


مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
والمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت ۱ ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الأول — السنة الخامسة والأربعون — المحرم سنة ١٣٩٣ هـ — فبراير سنة ١٩٧٣ م


بسم الله الرحمن الرحيم

# هلال المحرم


للأستاذ عبد الرحيم فودة


---

دار الزمن دورته ، وعاد هلال المحرم ليذكر المسلمين بما كان عليه أسلافهم قبل الهجرة وبما صاروا إليه بعدها ، ليجددوا ثقتهم بالله . وإيمانهم به . واعتصامهم بحبله . وجهادهم في سبيله . ويقينهم بأنه كما يقول : « ولينصرن الله من ينصره » . وكما يقول : « إن ينصركم الله فلا غالب لكم » .

لقد تحمل النبي والمسلمون بمكة قبل الهجرة ما تنوء بحمله الجبال ، فلم يهن لهم عزم ، ولم تلن لهم قناة ، وظلوا صامدين صابرين — مع هول ما كانوا يعانونه ويقاسونه — ثلاثة عشر عاما حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وأظلم عليهم الجو بما تكاثف فيه من سحب البغي وغيوم الضلال . ثم كانت هجرتهم إلى المدينة — بأمر من الله — حركة تحرك بها الوجود كله ، فتقوضت قلاع الظلم على رءوس الظالمين ، وتحطمت معاقل الطغيان على رقاب الطاغين ، وانطلق نور الإسلام يشرق ويتألق ويزحف خلف جيوش الظلام في كل اتجاه ، حتى حقق الله وعده كما يفهم من قوله : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره

على الدين كله » . ونزل قوله تعالى : « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » . وعندئذ وقف النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع يطل على الجموع المحتشدة من حوله . ويذيع فى سمع الدنيا كلها هذه الكلمات : أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ربه راضياً مرضياً ، ومضى المسلمون من بعده فى الطريق الذى رسمه لهم : يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . . يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ، وكان الله معهم بعونه وتوفيقه ونصره ، فلم يمض غير قليل حتى ارتفعت راية الإسلام فى كل ما حولهم من بقاع وأصقاع ، وصارت إليهم مقادة العالم فى كل شىء كان يعرفه العالم ، ووصلوا إلى القمة التى لم تصل إليها أمة كما يفهم من قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . ذلك هو التفسير الكبير للسبب الذى تلتقى فيه كل أسباب الهجرة ، بل هو التفسير لبعض ما يفهم من قول الله فى المهاجرين : « الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » . وقوله فى الأنصار : « والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

فقد كانت الهجرة بعد بيعة الأنصار النبى على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم . وبعد أن انتشر الإسلام فى المدينة حتى لم يبق فيها بيت إلا وفيه رجال مسلمون ونساء مسلمات ، ومن ثم انتقلت بها الدعوة الإسلامية إلى أرض أخصب ، وجو أطيب . وأفق أرحب . وانتقل بها المسلمون من موقف الضعف والفرقة إلى موقف القوة والتجمع ، وانتقل بها العرب إلى مكانة الإمامة

والزعامة بين عامة الشعوب التى دانت بالإسلام ، وانتقلت بها الإنسانية كلها كما يقول العقاد رحمه الله : من جمود إلى حركة ؛ ومن فوضى إلى نظام ، ومن مهانة حيوانية إلى كرامة إنسانية . بل كما يقول الله فى كتابه وفى الرسول الذى بعث به : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

فليذكر المسلمون ذلك وهم يستقبلون عامهم الجديد بهلال المحرم ، ويستقبلون معه ما ينتظرهم من مواقف تجاه أعدائهم وأعداء دينهم الذين يتربصون بهم . ويتحينون الفرص للقضاء عليهم ، ليواجهوهم بما كان عليه أسلافهم من روح لا تقبل الهزيمة ، وعزيمة لا تعرف الضعف ، ويقين بأن الله غالب على أمره . وأنه القاهر فوق عباده ، وأنه كما يقول : « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات » ؟

عبد الرحيم فودة

---

قال الله تعالى :

« إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين » .

( التوبة : ٣٦ )

# من آثار الهجرة المحمدية

للأستاذ محمود النواوى

---

إذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد هاجر من مكة وهى أحب بلاد الله إلى الله وأحب البلاد إلى رسول الله وهى مسقط رأسه الشريف وهو أسلم الخلق فطرة . وأعظم الناس اعتزازا بوطنه فإنه قد هاجر منه لأن هناك ما هو أعز وأغلى منه وهو نجاح دعوة الحق وحصوله على من ينصرها ويقدرها ويضحى بكل عزيز فى سبيلها وهم قوم آخرون لبوا داعى الله حين استمعوه ينادى الإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ثم احتضنوا ذلك الداعى ومن استجاب له من بنى وطنه فآووا ونصروا ورضى الله سبحانه عمن هاجر إليهم كما رضى عنهم وجعل من لم يهاجر إليهم ولا عذر له من الظالمين المغضوب عليهم فى الدنيا وفى يوم الدين كما قال سبحانه : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، إلى أن يقول : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما[1] » .

وفى القرآن الكريم آيات عدة تنوه بشأن الهجرة وتنعى على المتقاعسين عنها لأنهم لم يقدروا أخوة الإسلام قدرها ولم يضحوا كما ينبغى فى سبيلها كما فى آيتى ( ٤١ - ٤٢ ) من سورة النحل والآيات ( ٧٢ - ٧٥ ) من سورة الأنفال - وآية ( ٥٦ ) من سورة العنكبوت .

وغير ذلك من الآيات الكريمة ، ولقد تـ[illegible] حكمة الله الرفيعة فى تكليف رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته بالهجرة من تلك القرية الظالم أهلها التى سأل المستضعفون من أهلها ربهم أن يخلصهم منها وطلب الله من المهاجرين أن يقاتلوا المشركين لاستنقاذهم منها وذلك فى قوله سبحانه : « وما لكم لا تقاتلون

---

(١) النساء ٩٧ - ١٠٠ .

فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيراً [١]».

لقد تجلت هذه الحكمة فى آثار تلك الهجرة التى استقرت بها دعوة الإسلام ثم انتشرت بين ربوع الأنام تلك الدعوة التى قامت بمكة كالبذرة الطيبة فى الأرض الهامدة التى لا تنبت فلما صارت فى المدينة اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ولله سبحانه حكمته فإنه لو شاء لجعل مكة - أحب البلاد إليه - هى مبعث ذلك النور والضياء إلى جميع البقاع والأرجاء فكأنه سبحانه أراد أن يعلمنا أنه فوق الظنون . وإن اصطفاءه لدينه ليس مختصا ببقعة من البقاع مهما عظم الناس أمرها .

كما أنه سبحانه يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس كما شاء وكيف شاء وتلك عظمة الربوبية التى بينت للناس أقدارهم وعلمتهم أنه وحده العليم الخبير والعزيز الحكيم كما يقول سبحانه لنبيه: «ليس لك من الأمر شىء [١]»، فإنه صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله المربوب لتصرفه العظيم.

وكما قال سبحانه: «لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شىء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم [٢]».

لقد قام النبى صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله فى قوم وصفهم سبحانه فقال: «فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا» [٣] وبقى على ذلك ثلاث عشرة سنة ولقد كانت تلك السنون شدادا كل الشدة . صابر فيها النبى جهده وهو جهد نبى عظيم يتحمل مالا قبل للجبال باحتماله ويملك من الصبر والمثابرة مالا عهد لمخلوق بمثله . وصبر معه صفوة كرام ماخاس واحد منهم أبدا بعهده معه ولا تحول مهما لقى من العذاب عن منهجه أولئك قوم يصفهم الله سبحانه . فيقول: «والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من

(١) النساء : ٧٥

(١) آل عمران : ١٢٨

(٢) الحديد : ٢٩

(٣) مريم : ٩٧ - واللد جمع ألد والألد - كما فى القاموس - الخصم الشحيح الذى لا يزمع إلى الحق .

الله ورضوانا ، الآية [١] ثم يقول فيهم : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » [٢] وإنى أكتفى إذ أبين لك ما لقى النبى وأصحابه وهو بمكة قبل الهجرة من الأذى والعذاب الذى كان يعوق سير دعوتهم الكريمة ، فأسوق لك حديثين يصور أحدهما بعض مالقى صحابته الأكرمون ويصور الآخر بعض احتمال ذلك النبى الأمين .

أما الحديث الأول : فهو حديث خباب بن الأرت رضى الله عنه رواه البخارى بسنده إليه قال : أتيت النبى وهو متوسد ببرد وهو فى ظل الكعبة وقد لقيت من المشركين شدة فقلت : ألا تدعو الله ! فقعد وهو محمر الوجه فقال :

( لقد كان من قبلكم يمشط بأمشاط الحديد مادون عظامه من لحم أو عصب مايصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ) . وجاء

(١) الفتح : ٢٩ (٢) آل عمران : ١١٠

فى رواية أخرى قال خباب : شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء فلم يشكنى [١] .

ويبدو كما قال ابن كثير فى سيرته [٢] أن هذا الحديث مختصر من الحديث الأول ، وهو أنهم شكوا إلى رسول الله ما يلقون من المشركين من التعذيب بحر الرمضاء وأنهم يسحبونهم على وجوههم فيتقون بأكفهم وغير ذلك من ألوان العذاب وسألوه أن يدعو الله لهم أو يستنصره عليهم فوعدهم بذلك ولم ينجزه فى الحال الراهنة . ومهما يكن فالحديث واضح الدلالة على ما بلغ الأمر بهم - رضوان الله - عليهم من شدائد وأهوال فصلت فى كتب السير ، وعلى أن الله سبحانه أطلع نبيه على ما يكون من نصر المؤمنين ونشر لهذا الدين ، ولم يتم ذلك إلا بعد الهجرة إلى يثرب .

وأما الحديث الثانى فإنه ما جاء فى الصحيحين عن عروة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها حدثته أنها قالت لرسول الله : هل أتى عليك يوم كان أشد عليك

(١) أشكاه : أزال شكايته بتحقيق بغيته .

(٢) سيرة ابن كثير جـ ١ ص ٤٩٧ .

من يوم أحد ؟ قال لها : « ما لقيت من قومك كان أشــــد منه يوم العقبة حين عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى ولم أستفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا جبريل عليه السلام فنادى إلى فقال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وإن الله قد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ثم نادى إلى ملك الجبال فسلم علىّ وقال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال قد بعثنى ربك إليك لتأمرنى بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[١] فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ( أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً ) وصلوات الله عليك يا أرجح العالمين عقلا وأوسعهم أفقا وأكرمهم خلقا والله أعلم بك إذ أرسلك رحمة للعالمين .

أيها القارىء الكريم : إن هذا الحديث يصور لك بعض ما لقى هذا النبى الكريم من قومه ، وهو يدعوهم إلى ربه . لقد طف الكيل حتى خرج إلى ابن عبد ياليل من أشراف الطائف فأغروا به سفهاءهم يصيحون به ويرجمونه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين وصار يدعو الله ويبتهل إليه فى كلماته المنفعلة الجامعة ، وفيها قوله : ( إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى غير أن عافيتك أوسع لى ) .

وانظر فى تصويره العف الكريم وهو يحدث عائشة أم المؤمنين فإنه لم يزعجه سب ولا شتم ولا قــــذف ولا رمى بالحجارة وإنما أزعجه أن لم يجب إلى ما أراد من دعوة الحق . فهذا هو الذى كان أشد عليه من أحـــــد حين استهدف للهلاك والموت فشج وجهه وأصيبت رباعيته وحفرت له الحفيرة ليهوى فيها ولكن الله سلم ، وهذا هو الصبر النبوى العجيب .

نعم لقد كان فى هذا وأشباهه مما لقى محمد وأصحابه ما يبرر تلك الهجرة التى حققت النصر وجاءتهم بالربح كما كان يقول لهم إذا أسرفوا فى الإيذاء وتمادوا فى الاستهتار والاستهزاء . وصدق الله إذ قال : « والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوأنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون »[١] .

(١) هما جبلان يكتنفان مكة .

(١) النحل : ٤١ - ٤٢ .

لقد صدقهم الله سبحانه وعده فجنوا ثمرات الصبر والمثابرة هدوءا واستقرارا وسيرا بدعوة الله سبحانه فى كل مجال .

ثم كانت الهجرة المحمدية فصلا بين عهدين متباينين: عهد كله امتحان وأذى وعدوان وبغى لا يخفف وقعه إلا متعة الإيمان فى ساعات الصفو مع الرحمن ، وعهد كله أمن وسلام استقبلت فيه دعوة الله بنفوس مؤمنة صادقة الإيمان فى قوم يصفهم الله فى القرآن فيقول سبحانه « والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »[1] .

أيها القارىء الفاضل: لقد آمن هؤلاء الأنصار بالنبى قبل قدومه إليهم وانتشر الإيمان فى بيوتهم من قبل أن يلقوا ذلك الرسول على حين أن قومه شاهدوه ورأوا آياته « وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها » ولله شأنه الذى هو فوق الأفكار والعقول .

ويقرر ذلك الإيمان العجيب ماروى محمد بن إسحق بسنده إلى رجال من أصحاب رسول الله قالوا: لما بلغنا خروج رسول الله وتوكفنا قدومه[1] كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر النبى فو الله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال .

ويروى بسنده إلى أنس رضى الله عنه قال: إنى لأسعى فى الغلمان يقولون: جاء محمد فأسعى ولا أرى شيئا حتى جاء رسول الله وصاحبه أبو بكر ونحن فى بعض خراب المدينة فبعثنا من يخبرهم فاستقبله منهم زهاء خمسمائة رجل حتى أتوا إليهما فقالوا: انطلقا آمنين مطاعين .

وتالله لقد كان ذلك الأمن بالإقامة فى كنف هذه النفوس المؤمنة والطاعة الممثلة فى تلبية دعوة الحق كل آونة، وهذا مظهر ما أراد سبحانه من التوبة على هذا النبى ومن معه وتفريغهم لتطبيق أحكام الدين وبثه بكل حكمة حتى طبق الآفاق بفضل الله وإحسانه وصدق الله إذ يقول: « فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين. وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم »[2] .

(١) الحشر : ٩ .

(١) توقعناه .

(٢) الأنفال : ٦٢، ٦٣

والأخبار فى استقبال الأنصار النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته الأكرمين وما لقوا منهم من حفاوة فوق الوصف أخبار كثيرة متضافرة تملأ النفوس إيمانا بما صنع الله لرسوله وما هيأ لدينه من من نصر عجيب وتوفيق سريع خصيب دخل به الناس فى دين الله أفواجا فى مدة وجيزة لا يستطيع أى مصلح مهما أوتى من وسائل القدرة المعنوية والحسية أن يبلغها فى مئات السنين .

فليتأمل القارىء الفاضل فى ذلك العوض الربانى الكريم لمن صبروا على الإيذاء وتلك الفيوضات التى سخرت لهم ما فى الأرض والسماء فى حياة منطلقة يدعون فيها إلى ربهم ليبلغ الله أمره وينجز للمؤمنين وعده الذى أوجزه فى كلمات معدودة : «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا [(١)] » ولقد ذكرهم سبحانه بما طيب من عيشهم بعد البؤس وما آواهم وكانوا مزعزعين وأيدهم بنصره وكانوا مستضعفين فقال سبحانه فى كلمات: «واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون[(١)]» .

لقد دافع الله سبحانه عن المؤمنين وتجلى دفاعه جل شأنه فى إذنه لهم فى القتال وما اتصل بذلك من نصر إلى نصر وتأييد تلو تأييد لا يسمح المقام بتفصيله على أنه من المعلوم، ولقد بين الله سبحانه أنه لم يأذن لهم فى القتال لانه يكره الناس على الحق ويقسرهم على اتباعه، وإنما أذن لهم فى القتال لأنهم يقاتلون من الآخرين ولأنهم ظلموا من القوم الكافرين وهو سبحانه قدير على نصرهم فقد أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفاعه عنهم وعن أمثالهم لفسدت الأرض. ولهدمت بيوت الرب التى أذن أن ترفع ليذكر فيها وحده ولأنهم إذا مكن الله لهم أقاموا الدين ورفعوا راية الحق كما أمر الله عباده منذ خلقهم بعبادته وذلك قوله سبحانه : «إن الله يدافع عن الذين آمنوا » الآيات إلى

(١) النور : ٥٥

(١) الأنفال : ٢٦

قوله سبحانه: «ولله عاقبة الأمور [١]».

ولقد حقق سبحانه ما أراد فحق أعداء المؤمنين بعد أن فصلوا عنهم بالهجرة إلى قوم صالحين خلا لأنصار الحق وجه الدعوة إليه وتقلص ظل الجور رويدا رويدا حتى خفقت راية العدل كما أراد الله سبحانه وجل شأنه.

أيها القارىء الكريم:

لقد كان من أبرز الصور وأمثلها تأسيسا لقواعد العدل والإحسان بناء المسجد الأول أول الأمر. والمسجد في الإسلام بيت الله الذى يأوى إليه عباده فيلتقون فيه إخوانا متحابين ويتلقون دروس الإيمان ومعالم الدين، ويوثقوا أواصر الحب والمودة حتى اظل كلمتهم مجتمعة؛ ومن أجل ذلك جعل الله سبحانه محب المسجد المتعلق به ممن يظلهم فى ظل عرشه لأنه أوى إلى الله فى دنياه فآواه مع صفوفه فى أخراه، وذلك فى الحديث الصحيح الذى ذكر فيه رسول الله سبعة يظلهم الله فى ظل العرش فقال فيه (ورجل قلبه معلق بالمساجد) ولهذه الاعتبارات بدأ النبى عمله ببنائه توجيها إلى فضله وانتفاعا بمزاياه قبل أن يصل إلى مقره فى المدينة المنورة فبنى مسجد قباء وصار يصلى فيه ثم لم ينس فضله وحقه بعد أن بنى مسجده النبوى الثانى الذى جاوره وعاش فى كنفه فقد صار يصلى فى مسجد قباء كل يوم سبت ويذهب إليه تارة ماشيا وتارة راكبا واتخذ المسلمون ذلك سنة منذ فعله وحث عليه، ولعله كان يختار يوم السبت لأنه اليوم الذى يتصل بيوم الجمعة الذى يؤدى الجمعة فيه بمسجده الثانى ثم يقضى حق المسجد الأول فى اليوم التالى دون ريث ولا إبطاء. وهذا إلهام وذوق رفيع، ولابد أن نشير إلى أول كلمة صدرت من كلمة الجامع كما نص عليه مغلطاى فى سيرته وهى قوله: (أيها الناس أطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام).

كلمات معدودة وجهت إلى حسن العلاقة بالبعيد والقريب وإلى حسن الصلة بالله فى ساعات التجلى الإلهى والصفو النفسى، ولو شرحنا ذلك لطال المدى وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق ولابد أن نشير إلى أول خطبة خطبها

(١) الحج ٣٨ - ٤١

صلوات الله وسلامه عليه وآله يثبت فيها دعائم التوحيد ويقرر فيها حقه على المؤمنين ويدعو فيها إلى الجمع بين حظ الجسد وحظ الروح معاً والاستمساك بحبل الله والالتفاف حول مأدبة الله والجهاد فى سبيله إعلاء لكلمته ... وكل ذلك من آثار الاستقرار والعيش فى بحبوحة الأمن والقوة التى جاءت بها تلك الهجرة المباركة .

ولا يعنينا أمر الاختلاف فى أول خطبة أهى هذه أم تلك ولا فى أى مسجد أهو قباء أم مسجد آخر مما كان قبل ذلك مهما اختلفت الروايات ، فإن كل ذلك لا يخرج بنا عن أن هذا الكلام صدر منه فى بدء هجرته الكريمة .

جاء أنه قال فى أول خطبة خطبها بالمدينة .

« الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره . وأستهديه وأومن به ، ولا أكفره وأعادى من يكفره . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على فترة من الرسل وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل [1] . من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيداً . خذوا حظكم ولا تفرطوا فى جنب الله . قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة » .

وهى خطبة جامعة لمنهج الحق ولكنها غير طويلة وذلك شأنه على خلاف ما يصنع خطباؤنا من الإطالة بكلام ينسى آخره أوله .

وهناك خطبة أخرى لسنا بصدد إيرادها ، وإنما الذى يعنينا التركيز عليه هو أن يتصور القارىء كيف انطلقت دعوة الحق على صور وألوان جمة . وأما ما اتصل بذلك الانطلاق وانبنى عليه من مؤاخاة أو معاهدات أو اتصالات ، أو جهاد ودفاع أو انتشار واقعى لدعوة الله فى الآفاق فإنه يعوزه حديث آخر نرجو أن نوفق له فى العدد القادم إن شاء الله ؟

محمود النواوى

(١) الأجل : هنا هو القيامة كما يتضح من المقام.

# المصطلحات العسكرية فى كتاب المخصص
## واستعمالها فى الجيوش العربية الحديثة

للواء الركن : محمود شيت خطاب

— ١٠ —

مقدمة :

١ — كان عنوان هذه السلسلة من المقالات هو : المصطلحات العسكرية فى كتاب المخصص واستعمالها فى الجيش العراقى الحديث .

وقد نشرت من هذه المقالات فى هذه المجلة تسع حلقات ، وقد ذكرت فى المقال الأول من تلك الحلقات أن هدفى من نشرها هو إظهار عظمة اللغة العربية فى مجال المصطلحات العسكرية ، ووضع رصيد ضخم من المصطلحات العربية تحت تصرف العسكريين العرب فى كل مكان ، لاستعمالها فيما يستجد من مصطلحات عسكرية حديثة .

وقد أصبح عنوان هذه السلسلة من المقالات هو : المصطلحات العسكرية فى كتاب المخصص واستعمالها فى الجيوش العربية ، ذلك لأن المصطلحات العسكرية فى الجيوش العربية قد وُحِّدت ، وأصدرت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربيـة المعجم العسكرى الموحَّـد ( انـكليزى ـ عربى ) والمعجم العسكرى الموحَّـد ( فرنسى ـ عربى ) وهى بسبيل إصدار المعجم العسكرى الموحَّـــد ( عربى ـ إنـكليزى ) والمعجم العسكرى الموحَّد ( عربى ـ فرنسى ) . وهذه اللجنة مؤلفة من ضابط يمثل جيشه العربى وضابط يمثل القيادة العربية الموحَّـدة وعضو من مجمع اللغة العربية ، وهى تعمل فى كنف جامعة الدول العربية ورعايتها .

وكان اعتماد اللجنة بالدرجة الأولى على الرصـــيد العسكرى الضخم المتيسر فى : المصطلحات العسكرية فى القرآن الـكريم ، والمصطلحات العسكرية فى الحديث النبوى الشريف ، والمصطلحات العسكرية فى كتب اللغـة وعلى رأسها : المخصص لابن سـيده عليه رحمة الله .

٢ – أذكّر القراء بأنّ المادة (١) من كل مقال هي مختصر ما جاء في (المخصص) من مصطلحات عسكرية ، والمادة (٢) هي استعمال المصطلحات في الجيوش العربية .

ومن تدقيق مفردات المصطلحات العسكرية الواردة في المادة (١) من كل مقال من سلسلة هذه المقالات ، وموازنتها بالمفردات المستعملة في الجيوش العربية الحديثة ، ليتضح أن كثيراً من المصطلحات العسكرية الأصيلة لا تزال غير مستعملة حتى اليوم ، وهي تكوّن رصيداً غزيراً لكل مستحدث من الأسلحة والمعدات والذخيرة والأساليب القتالية الجديدة .

لقد زعم أعداء العربية من أبنائها ومن غير أبنائها قبل سنين بأنّ العربية قاصرة عن استيعاب المصطلحات العسكرية الحديثة .

وصدور المعجمات العسكرية الموحّدة باللغة العربية الفصحى ، وتيسر رصيد هائل من المصطلحات العسكرية غير المستعملة حتى اليوم في الجيوش العربية والتي لا تزال تنتظر دورها في الاستعمال – خير دليل على تكذيب مزاعم هؤلاء الأعداء .

والله أسأل أن يفيد بهذه المقالات الأمة العربية بعامة والجيوش العربية بخاصة ، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم .

## نُعُوتُ السِّهام إذا رُمِي بها

١ – (أ) من السِّهام الخازِقُ والخاسِقُ : وهو المُقَرْطِسُ – أراد بالخاسِق الخازِق ، يقال : خَزَقَ وخَسَقَ . وخَزَقَهُ السَّهم : أصابَهُ . والخَزْقُ : ما يَثْبُتُ : والخَسْقُ : ما يَنْفُذُ .

(ب) ومن السِّهام الحابِي : الذي يَزْحَفُ إلى الهدف : والمُعَظْعِظ : الذي يضطرب إذا رُمِيَ به .

(ج) ومن السِّهام المُرْتَدِع : الذي إذا أصاب الهدف انْفَضَخَ عوده .

(د) ومن السِّهام الحابِض : الذي يقع بين يَدَي الرامي .

(هـ) ومن السِّهام الصّائِف : الذي يَعدِل عن الهَدَف يميناً وشمالاً ، والصَّيْفوفَة : مَيْلُ السَّهم عن الرَّمِيَّة وإخطاؤه إيّاها .

(و) المُعَصِّل : الذي يَلْتَوِي في الرَّمي .

(ز) الدّابِرُ : الذي يَخْرُج من الهدَف .

(ح) صابَ السَّهمُ نحو الرَّمِيَّة يَصُوبُ صَيْبُوبَةً : قَصَدَ . وصابَ : جاء من عَلٍ .

وأصاب : من الإصابة وسهم صَيُوب : صائب .

(ط) سَهْمٌ زالِجٌ . مَرِيعُ الانْزِلاج من القَوْس حتى يصيب الهدف ، وبه سمى مِزْلاج الباب ـ وهى الخشبة التي يغلق بها . وكل سَرِيع زَالِجٌ ، وكل سُرْعة زَلَـجٌ . وَزَلَجَ السَّهْمُ : مضى على وَجْهِ الأرض ، وفى المثـل : « لا خَيْرَ فى سَهْم زَلَـجَ » .

(ى) الخطِل : الذى يمضى يَميناً وشِمالاً يَعْدِلُ عن الهَدَف .

(ك) سَهْمٌ شاخِصٌ : إذا علا الهدَفَ .

(ل) مَرَقَ السَّهم من الرَمِيَّة : خَرَج ، وبذلك سميت الخوارج مارقة . ومَرَقُ اللَّحم أحسب اشتقاقه منه ، لمروقه عن اللَّحم .

(م) طاشَ السَّهْمُ : لم يَقْصِد .

(ن) نَضَا السهم : مضى .

٢ ـ (أ) أصابَ الهَدَفَ : لم يُخْطِئْه وصَوَّبَ السَّهمَ : وجَّهه وسَدَّده .

(ب) هَدَف شاخِصٌ : هدف علاهُ رأس كرأس الإنسان .

(ج) مَرَق السَّهْمُ : خرج . ومَرَقَتِ القُنْبُلةُ : خرَجت من فُوَّهة المِدْفَع .

(د) طاشَ السَّهْم : لم يُصِبِ الهَدَف . طاشَتِ القُنْبُـلَة : لم تُصِبْ هدَفَها .

## الرَّمْىُ بالسِّهام

١ ـ (أ) رَمَيْتُ بالقَوْسِ وعليها وعنها ، ولا يُقَال : رَمَيْتُ بها .

(ب) خَرَجْتُ أَتَرَمَّى : إذا خرَجتَ تَرْمِى فى الأغْراض وأصول الشَّجَر . وخَرجتُ أرْتَمِى : إذا خرَجتَ تَرْمِى للقَنَص .

(ج) الرَّمِيُّ : المَرْمِى .

(د) نَزَعْتُ القَوْس : إذا جَذَبْتُ الوترَ بالسَّهْم . وانْتَزَعْتُ له بِسَهْمٍ ونَزَعْتُ : رَمَيْتُهُ به . والمِنْزَع والمِنْزَعَة : السَّهْم يُرْمى به أبْعَدَ ما يكونُ .

(هـ) حَدَجَهُ بِسَهْمٍ : رماهُ به .

(و) الغَلْوَة بالسَّهْم : أن يَرمِىَ به حَيْثُما بَلَغَ . وقد غَلاَ وهو من الغُلُوِّ : الارْتفَاعُ فى الشىء ومجاوَزَةُ الحدِّ فيه . وكل مُرْتَفِـع مُتَغَالٍ ، ومنه اشتقاق الشىء الغالى لأنه قد ارْتَفَع عن حُدُود الثَّمَن . وجَمْعُ الغَلْوَة غِلاَء .

(ز) الرَّشْقُ فى الرَّمْيِ : ما يُرَدُّ عليه .

(ح) قَصَرَ السَّهْمُ عن الهَدَفِ قُصُوراً : لم يُدْرِكْهُ .

(ط) هم يَتَراضخون بالسِّهام : أى يَترامونَ بها .

(ى) التَوْقيعُ : رَمْىٌ قريبٌ كأنك تريد أن تُوقِعه على شىء .

(ك) نَضَخْناهمُ بالنَّبل : رَمَيْناهمْ .

(ل) وللعرب كلمتان عند الرَّمْى – إذا أصابَ الرَّمِى قالوا : مَرْحَى ، وإذا أخطأ قالوا : بَرْحَى .

(م) هَوَى السَّهْمُ هَوِيًّا : سقط من عُلْوٍ إلى سُفْل .

(ن) الإذْلاق : سرعة الرَّمْى .

٢ – (أ) رَمَيْتُ بالمِدفع أو البندقيّة : أطلقتُ القُنبلةَ بالمدفع أو الرَّصاصةَ بالبندقية . والرَّمْىُ : فِعلُ إطلاقِ النارِ بالسِّلاح .

(ب) الرَّشْقُ : رَمْىٌ بِضْع قنابل بالمدفع ، أو بضع صَلْيات بالرشّاشة أو بِضْع إطلاقات بالبندقية لتجربة السِّلاح أو لإزعاج العدو .

(ج) قصّرت الطَّلْقــة أو القُنْبلة : لم تدركه .

## التَّســاوِى فى الرَّمْى

١ (أ) رَمَوْا على مِنْوالٍ واحدٍ ورِشْقٍ واحدٍ . وتَراشَق القوم : تراموا على تَساوٍ ، ورمى القوم على غِرارٍ واحدٍ وسُجْحٍ وحدٍ وسَجِيحَةٍ واحدة ومَيْداءٍ واحدٍ .

(ب) تحاتَن القوم تَساوَوْا فى الرَّمْى . ووقعتِ النبلُ فى المَدَف حَتَنَى : متقاربات المواقِع .

٢ – رموا على منوال واحد وعلى غِرارٍ واحدٍ : تَساوَوْا فى الرَّمْى .

## السَّهْمُ لا يُعْلَمُ مَنْ رَماه

١ – (أ) أصــابَهُ سَهْمُ عَرَضٍ (مضاف) وحَجَرُ عَرَضٍ : إذا تعمّد به غيرُه فأصابه . فإن سَقَط عليه حَجَرٌ من غير أن يَرْمِى به أحدٌ فليس بِعَرَضٍ .

(ب) أصابَهُ سَهْمُ غَرَبٍ : إذا لا يُرَى مَنْ رماه . أصابَهُ سَهْمُ غَرَبٍ أو سَهْمٌ غَرْبٌ أو سَهْمُ غَرْبٍ .

٢ – أصابَه سَهْمُ عَرَضٍ : أصيب بسهم لا يُعْلَمُ مَنْ رَماهُ . أصابته طَلْقَةٌ طائِشَة : إذا أُصِيبَ بِطَلْقَةٍ غير مُصَوَّبَة .

## عُيُوبُ السِّهام

١ – (ا) النِّكْسُ من السِّهام : الذى يُنكَسُ فيُجْعَلُ أعلاه أسفلَه . وهو الذى

يُجعل سِنخُهُ نَصلاً ونَصلُه سِنخاً فلا يَرْجعُ كما كانَ ولا يكونُ فيه خَيرٌ.

(ب) المِنجابُ: الذى ليس فيه رِيشٌ ولا نَصْلٌ. وقيل المِنجاب: الذى يُراشُ بلا نَصْل.

(ج) الخلطُ الذى يَنبُتُ عُودُه على عَوَجٍ فلا يزالُ يتعوَّجُ وإنْ قُوِّمَ.

(د) قِدحٌ أعصَلُ، كذلك قِدحٌ عَصِلٌ: مُعوَجٌّ.

(هـ) سَهمٌ أمْلَطُ وأمْرَطُ ومُرُطٌ: لا قُذَذَ عليه. وسَهمٌ مَرِطٌ، ومَلِطَ السَّهمُ وتَملَّطَ ومَرِطَ وتمرَّطَ: سقَطَ رِيشُه.

(و) سَهمٌ زَهنَشٌ: مُنْشَقُ الرِّصاف.

(ز) سَهم مَرِيخٌ: مُلتَوٍ.

(ح) سَهم عَتِيقٌ: الذى أصابَهُ الصدأ وأفسدَه.

(ط) سَهمٌ شارِفٌ: طالَ عَهدُهُ بالصِّيان وانتكَثَ عَقَبُهُ وريشُهُ.

(ى) سَهمٌ نِضْوٌ: إذا كانَ قد فَسَدَ من كثْرَةِ ما رُمِىَ حتى بَلِيَ.

(ك) المُقْتَثِلُ: السَّهم الذى لم يُبْرَ بَرْياً جَيِّداً.

(ل) المِعراض: سَهمٌ ذو رِيش يَمضِى نحو الرَّميةِ عَرْضاً.

(م) سَهم خَوَّارٌ وخَورٌ: ضَعيفٌ.

٢ — مِدْفَعٌ عَتِيقٌ — مُسَدَّسٌ عَتِيق: لا فائدة فيه لوجود خلل فيه أو لاختراع مِدْفَعٍ أو مُسَدَّسٍ أدقَّ منه تَصْويباً أو أبعَدَ مَدَى؟

(يتبع)

محمود شيت خطاب

● تصحيح:

وقع بالجزء السادس من المجلة ص ٥٩٤ ـ المجلد السابق ـ السطر الثامن كلمة (أسبانيا) وصحتها (اسفاليا).

من هدى السنة :

# من حديث الهجرة

للدكتور محمد أبو شهبة

روى البخارى فى صحيحه بسنده من حديث الهجرة النبوية الطويل وفيه :

« قال ابن شهاب فأخبرنى عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر ثياب بياض ، وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة ، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته : يامعشر العرب هذا جدكم الذى تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح ، فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو ابن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، فقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا . فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك . فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو ابن عوف بضع عشرة ليلة ؛ وأسس المسجد الذى أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ثم ركب راحلته ؛ فسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة . . . »

تخريج الحديث : الحديث رواه البخارى فى صحيحه ؛ وهو جزء من حديث الهجرة الطويل وقد أخرجه مقطعا - أى مجزءا - فى مواضع من صحيحه فى كتاب الصلاة وفى كتاب الإجارة ؛ وفى الكفالة ؛ وفى كتاب الأدب .

« الشرح والبيان »

قال ابن شهاب : « فأخبرنى عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام » .

الظاهر أن عروة سمعه من أبيه الزبير فقد وصله الحاكم من طريق معمر عن الزهرى قال : أخبرنى عروة أنه سمع الزبير به يعنى يحدث به ، والزبير هو ابن العوام صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وحواريه ؛ وابن عمته السيدة صفية وقد هاجر إلى المدينة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الركب : بفتح الراء وسكون الكاف جمع راكب كتاجر وتجر ؛ قافلين : أى راجعين من تجارة لهم كانوا يصرفونها فى الشام ؛ وهو منصوب على الحال .

« فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض » .

أى أعطاهما ثيابا بيضاء على سبيل الهدية وقوله : « ثياب بياض » من إضافة الموصوف إلى الصفة .

وقد روى موسى بن عقبة وغيره من أصحاب السير أن المهدى هو طلحة بن عبيدالله الصحابى الجليل ، وكان قد هاجر إلى المدينة قبل مقدم النبى صلى الله عليه وسلم ، ففى رواية موسى بن عقبة ، ويقال لما دنا من المدينة - أى النبى صلى الله عليه وسلم - كان طلحة قد قدم من الشام فخرج عائدا إلى مكة إما متلقيا ، وإما معتمرا ، ومعه ثياب أهداها لأبى بكر من ثياب الشام ، فلما لقيه - أى النبى - أعطاه فلبس منها هو وأبو بكر » .

وقد مال الدمياطى فى سيرته إلى ترجيح أن المهدى طلحة بن عبيد الله كما هى عادته فى ترجيح ما فى كتب السير ، والأولى أن يجمع بينهما وذلك أمر يسير ويكون كل من الزبير ، وطلحة كساهما ثيابا بيضاء ويشهد لهذا ما رواه ابن سعد فى طبقاته حيث قال : « لما ارتحل النبى صلى الله عليه وسلم من الحجاز فى هجرته إلى المدينة لقيه

طلحة بن عبيد الله من الغد جائيا من الشام فكسا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبا بكر من ثياب الشام وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من بالمدينة من المسلمين يتلهفون على مقدمه شوقا إليه ، فعجل رسول الله صلى الله عليه وسلم السير ... »[1].

وكذلك روى ابن عائذ في المغازى من حديث ابن عباس «خرج عمر والزبير وطلحة ، وعثمان ، وعياش بن أبي ربيعة نحو المدينة ، فتوجه عثمان ، وطلحة إلى الشام» ومن ثم يتبين أن القولين صحيحان وأن كلا من الصحابيين أهدى النبي والصديق.

« وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة » .

وفي رواية معمر عن الزهري عن عروة فلما سمع المسلمون بالمدينة ، مخرج : مصدر ميمي بمعنى الخروج ، وهو منصوب بنزع حرف الجر ، أي بمخرج رسول الله من مكة ، وبه جاءت رواية أخرى .

« فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة » .

يغدون : بسكون الغين المعجمة ، والدال المهملة أي يخرجون غدوة ، والحرة الأرض ذات الحجارة السود النخرة ، والمراد الحرة التي هي عند قباء ، وبالمدينة حرار غيرها ، والظهيرة : وقت اشتداد الحـــر .

وقد جاءت رواية الحاكم من طريق آخر عن عروة ، عن عبد الرحمن بن عويم ابن ساعدة عن رجال من قومه قال : « لما بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم كنا نخرج ، فنجلس له بظاهر الحرة ، فلجأ إلى ظل المدر ، حتى تغلبنا عليه الشمس ثم نرجع إلى رحالنا » .

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مبلغ حب الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحرقهم شوقا للقائه الكريم ، ووفائهم بما عاهدوه عليه في العقبتين من أنهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم إن قدم عليهم المدينة .

« فانقلبوا يوما بعدما أطالوا انتظارهم » .

انقلبوا : أي رجعوا ، وفي الذكر الحكيم : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ... »[1] .

---

(١) فتح الباري جـ ٨ ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، وعمدة القاري جـ ٨ ص ١١٠ .

(١) آل عمران : ١٧٤ .

حتى تغلبنا عليه الشمس ؛ أى تغلبنا على انتظاره حر الشمس فنضطر إلى الرجوع إلى البيوت .

« فلما أووا إلى بيوتهم ، أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه » .

أووا : أى حلوا فيها واطمأنوا ، أوفى أى طلع إلى مكان عال فأشرف منه ، والأطم : بضم الهمزة والطاء : الحصن أى على حصن من حصونهم وكان اليهود يساكنون الأوس والخزرج بالمدينة ، وهم يهـــود بنى قينقاع ، وبنى النضير ، وبنى قريظة ، وكانت بيوتهم عاطلة بالحصون ، ولاسيما بنو قريظة .

« فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب » .

بصر : بفتح الباء وضم الصاد أى رأى وفى الكتاب الكريم : « وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون [١] » .

مبيضين : أى عليهم الثياب البيض التى كساهم بها الزبير أو طلحة ، والسراب : ما يرى فى الظهيرة عند الحر كأنه ماء وليس بماء قال تعالى : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ... [٢] » . ومعنى يزول بهم السراب : أى يزول السراب عن النظر بسبب عروضهم له ، وقيل : معناه ظهرت حركتهم للعين .

« فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته : يا معشر العرب هذا جدكم الذى تنتظرون » .

أى فلم يملك اليهودى نفسه أن صاح بأعلى صوته ، وليس ذلك فرحا بمقدمه صلى الله عليه وسلم فإن ذلك مما ينغص بالهم ويقض مضاجعهم ، ولكن المرء إذا فوجىء بشىء فإنه يجد نفسه مدفوعا من غير شعور وتعمد إلى أن يصنع ما صنع اليهودى أو لعله أراد أن تكون له يد عند المسلمين بهذا الإعلام .

« يا معشر العرب » المعشر : الجماعة من الناس ، وفى رواية يابنى قيلة - بفتح القاف وسكون الياء وهى الجدة الكبرى للأنصار : الأوس ، والخزرج ، وهى قيلة بنت كاهل بن عذرة ، « هذا جدكم » أى حظكم ، وصاحب دولتكم الذى

(١) القصص : ١١ ومعنى قصيه : تتبعى أثره وأخباره كى تطمأنى عليه .

(٢) النور : ٣٩

تنتظرونه ، والجد - بفتح الجيم - من معانيه الحظ ، والنصيب .

« فثار المسلمون إلى السلاح ، فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة » .

وإنما ثاروا إلى السلاح ، ليكون وفاء للعهد بالعمل لا بالقول ، وليروا اليهود ومن على شاكلتهم من المشركين أن رسول الله لا يزال فى عزة ومنعة من أنصار الله ، وأنصار رسوله ، وأنه وإن فارق أهله ، وبلده ، ووطنه فى سبيل الله فقد وجد أهلا بأهل ، وجيرانا بجيران وبلدا طيبا محبا له ، ببلد عاداه أهله ، وائتمروا بقتله ، فلله أنتم يا أنصار الله ، ويا أنصار رسول الله .

« فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف » .

عدل بهم : أى مال بهم جهة اليمين لينزل فى بنى عمرو بن عوف أى ابن مالك ابن الأوس بن حارثة ، ومنازلهم بقباء[1] وهى على فرسخ من المسجد النبوى ، وقباء هى أول ما يستقبله القادم إلى المدينة .

وقد اختلف فيمن نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة . فقيل : كان نزوله على كلثوم بن الهدم ، وقيل إنه كان يومئذ مشركا ، وبه جزم محمد بن الحسن ابن زبالة فى أخبار المدينة ، وهذا إن صح يدل على ما كان يتصف به العرب من مروءة ، ورجولة ، وقيل : نزل على سعد ابن خيثمة وهو الذى نزل عليه الصديق أبو بكر ، وعامر بن فهيرة مولاه لأنه كان أعزب ، فلا حرج فى نزول بعض المهاجرين عليه ، ولعله صلى الله عليه وسلم كان ينام عند كلثوم بن الهدم بالليل ، ويجلس نهاره عند سعد ؛ ليلتقى بأصحابه .

« وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول » وقد اتفق العلماء على أن ذلك كان يوم الاثنين ، ولكنهم اختلفوا فى تحديده ، فقيل لليلتين خلتا - أى مضتا - منه ، وقيل : لاثنتى عشرة ليلة منه ، وهو ما روى عن ابن اسحاق ، وقيل لثلاث عشرة ليلة وقيل غير ذلك .

« فقام أبو بكر للناس . وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا ، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيى أبا بكر » .

فقام أبو بكر للناس أى لاستقبالهم ،

(1) قباء : بضم القاف وفتحها ، وبالمد والقصر : قرية بجوار المدينة .

فطفق : أى جعل ، وهى من أفعال الشروع فى الشىء ، وإنما كانوا يحيون أبا بكر لأنهم كانوا يعرفونه لكثرة تردده عليهم فى التجارة إلى الشام ، وأما النبى فلم يذهب إليها بعد أن كبر ، ولا ذهب إلى المدينة من يوم أن صحب السيدة والدته إليها وهو فى سن السادسة .

« حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك » .

وهذا من الصديق أدب عال ، وحب أصيل ، ولكى يعلم القادم أن المظلل هو رسول الله ، فلله در الصديق ما أسمى أدبه ، وما أعظم خلقه .

« فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة » ، وفى رواية أخرى فى الصحيح « أربع عشرة ليلة » هذا ما روى فى الصحيح ، وفى كتب المغازى والسير لابن إسحاق وغيره أنه أقام فيهم أربعة أيام : الاثنين ، والثلاثاء والأربعاء ، والخميس ، ويمكن التوفيق بين القولين بأن المراد أنه أقام فيهم تتمة أربع عشرة ليلة بما فيها المدة التى قضاها بعد خروجه من الغار حتى وصوله إلى المدينة .

وفى هذه الأيام التى قضاها صلى الله عليه وسلم أسس أول مسجد فى الإسلام وهو مسجد قباء ، وهو المسجد الذى أسس على التقوى ، وهو الذى ذكره الله تبارك وتعالى فى قوله : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين »[1] ، على ما هو الصحيح عند العلماء أنه مسجد قباء ، وهذا يدل على منزلة المساجد فى الإسلام ، فهى بيوت الله ، ومهوى الملائكة ، ومثابة الصالحين وفيها كانت تعقد دروس العلم ، ومجالس القضاء والشورى فى الإسلام وفيها كان يتم الخير الدينى والدنيوى ، فأعظم برسالة المساجد من رسالة .

وفى يوم الجمعة خرج رسول الله قاصدا المدينة ذاتها ، فأدركته الصلاة فى بنى سالم بن عوف فصلى بهم الجمعة فى وادى « رانونا » ، وهى أول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه جماعة ، ثم أتاه رجال من بنى سالم بن عوف فقالوا يارسول الله أقم عندنا فى العدد والعدد ،

---

(١) التوبة ١٠٨ .

والمنعة [1] ويتشبثون بزمام الناقة فيقول لهم : « خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة » [2] ورسول الله واضع لها زمامها لا يثنيها به وصار كلما مر بدار من دور الأنصار المتناثرة على الطريق عرضوا عليه أن ينزل عندهم فى العدد والعدد والمنعة فيقول لهم مثل ذلك ، حتى أتت موضع مسجده بالمدينة فبركت ، ثم لم تلبث أن قامت وسارت غير بعيد ، ثم التفتت خلفها ، ورجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه وألقت بجرانها [3] فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعه أشراف الأنصار ورؤساؤهم أيهم ينزل عليه ؟ وهو الشرف الذى دونه كل شرف ، والمجد الخالد الذى لا يساميه مجد ، والعرب أحرص ما يكونون على المكارم والمآثر فبالك بهذه المكرمة التى ستبقى أبد الدهر !.

وكان موقفا عسرا حقا ، ومأزقا لا يستطاع الخروج منه ؛ ولكن صاحب القلب الكبير لا تضيق به المسالك ، وصاحب العقل الواسع الفسيح الذى لو وزن عقله بعقول البشر جميعا لرجحها ـ تصرف هذا التصرف الحكيم فقال : إنى أنزل على أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك ! ومن ذا الذى يؤلمه أن ينزل على ذوى رحمه ؛ وقرباه ؟ !! .

فقال : « أى دور أهلنا أقرب » ؟ فقال السيد الجليل أبو أيوب الأنصارى : أنا ، فاحتمل رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله فقال الرسول الكريم ؛ المرهف الحس الرقيق الشعور : « المرء مع رحله » وبذلك حلت المشكلة بسلام ؛ ورضا ، واقتناع .

ثم جاء أسعد بن زرارة وقد فاته شرف نزول الرسول عنده ؛ فأخذ بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عنده ؛ فانظر أيها القارىء الكريم كيف كانت القيم الخلقية ؛ والمعانى النفسية ، والمثل العالية عند القوم !! فلئن فاته شرف نزول رسول الله ؛ فلن يفوته شرف نزول ناقة رسول الله !! .

وكان يوما مشهوداً فى تاريخ الدنيا ،

---

(١) العدد ـ بفتح العين والدال : الكثرة والعدد بضم العين وفتح الدال : أدوات الحرب ، والمنعة : القوة .

(٢) نعم والله إنها مأمورة فالله تبارك وتعالى ملهمها ، وجبريل الأمين حاديها !.

(٣) الجران : مقدم العنق ؛

يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، لم تر البشرية له مثيلا ، ولن ترى له مثيلا ، وخرجت المدينة كلها بشبابها وشيبها ، وصبيانها ، ونسائها ، وولائدها ترحيباً بالقادم الكريم . يقول أنس رضى الله عنه : « لقد رأيت رسول الله يوم دخل علينا ، ويوم قبض . فلم أر يومين شبيها بهما » .

وخرجت جوار من بنى النجار يضربن بالدفوف ويقلن :

نحن جوار من بنى النجار
يا حبذا محمـــد من جار

ويدنو منهن الرءوف الرحيم . وكله حنان ورقة . ويقول : « أتحببننى » ؟ ! فقلن : « ـ إى والله ـ يا رسول الله » . فقال : « وأنا ـ والله ـ أحبكن » ثلاثا . ولتضج المدينة كلها بهذا النشيد : « الله أكبر . جاء رسول الله . الله أكبر . جاء رسول الله » .؟

د . محمد محمد أبو شهبة

« إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم . انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » . (التوبة : ٤٠ ، ٤١)

# دراسة الثقافة الجنسية

للأستاذ علي الجندي

---

كانت بعض الفتيات المدرسات المهذبات؛ كتبت إلى الأستاذ محمد زكي عبد القادر، تشكو له: من أنها عراها اضطراب وخجل في أثناء تدريس الجنس!

فكتب بعض القراء من ذوي الغيرة الجريئة، إلى الأستاذ عبد القادر يعيب على هذه الفتاة الكريمة حياءها، ويعنى عليها خجلها، ويصفها بالمرض، وأنها أولى بها أن تعالج نفسها!

وقد آلمني أن يساء إلى هذه الفتاة الحيية، والحياء خلق طبيعي في الفتيات الأصيلات، المنحدرات من أنساب شريفة، ولهذا ضرب العرب المثل بهما في ذلك، فقالوا: أحيا من فتاة حيية! وأحيا من البكر! وأحيا من العذراء! بل هو أيضاً من سمات الشباب النجباء ذوي الأخلاق النبيلة - وقد كان الحياء من صفة أشرف الخلق - عليه الصلاة والسلام - حتى كان «لا يثبت بصره في وجه أحد» وهو القائل: «الحياء نظام الإيمان» «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» ومن المشهور قولهم: من لا حياء فيه، لا خير فيه!

فهذه الفتاة في كمال صحتها وعافيتها، نفساً وعقلا وشعوراً، والمريض من يصفها بالمرض، فمحال أن يدرس الجنس، دون أن يخلو من إشارة أو عبارة أو تمثيل، يندى لها وجه الرجل الصلب الوجه، فضلا عن الفتاة المفطورة على الحياء!

وقد علمنا - سبحانه وتعالى - أدب الجنس في كتابه الحكيم، وعلى لسان نبيه الكريم؛ فالله - عز وجل - يقول: «ولا تواعدوهن سراً» فكنى «بالسر» عن المباضعة.

وكذلك كنى عنها «بالملامسة» في قوله «أو لامستم النساء».

و «بالإفضاء» في قوله: «وقد أفضى بعضكم إلى بعض».

وقد كنى عنها الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بكشف القناع؛ فقال: «من كشف قناع امرأة وجب لها المهر»

وبإرخاء الستر؛ وإغلاق الباب، فقال «من أرخى ستراً، وأغلق باباً، وجب عليه المهر».

وكنى عنها آباؤنا فى الجاهلية بالبناء؛ لأن من أراد الزفاف، كان يبنى خيمة فقالوا: بنى الرجل على أهله وبنى بأهله: زفها كابتنى.

كنى عنها العوام، بالدخول، فقالوا: دخل فلان عليها أو بها.

بل إن الحيوان الأعجم، عرف أدب الجنس عمليا! فالجمل يأبى أن يكوم[1] الناقة، دون أن يسترهما ساتر! بل دون أن يشجع على ذلك بالألفاظ الرقيقة، والربت[2] على ظهره!

وعرفه «الغراب» الذى يخفى «سفاده» عند الاتصال الجنسى، حتى ضرب العرب به المثل فى ذلك، فقالوا: «أخفى من[3] سفاد الغراب» فكان بذلك أكثر حياء من بعض الغربيين الذين يرتكبون الفاحشة على قارعة الطريق!

ثم لست أدرى: ما سر هذا الغرام العجيب المفاجىء، بدراسة الجنس، وخاصة من النساء؟! المفروض فيهن التزمت والاحتشام! كأننا فرغنا من تدريس كل ما يهم، فلم يبق إلا «علم الجنس، أو «فن الجنس»! الذى ألهمه الإنسان من عهد آدم إلى اليوم! حتى لنسمعه من أفواه الصبية والأطفال، حين يسب بعضهم بعضا!

ومن الغريب أنه فى هذا الوقت الذى ترتفع فيه أصوات شاذة، بتدريس مادة الجنس، ترتفع أصوات عاقلة رزينة فى أكثر بلاد العالم حرية ومدنية، وهى أمريكا: بأن تدريس الجنس أدى إلى تطبيق المراهقات والمراهقين، مضمون هذا الدرس عمليا فى كل مكان. ولا سيما فى عنابر النوم بمعاهد التعليم!

أما فى إنجلترة: فقد نشرت الجريدة الإنجليزية «افننج استاندر» مقالا طويلا حذرت فيه من عواقب الاندفاع فى التربية الجنسية! وقالت: إن أكثر من فاجعة حلت بالشعب الإنجليزى؛ نتيجة لعدم التبصر، وترك التعاليم الدينية جانبا والاندفاع وراء علماء العصر الحديث، والداعين إلى التحرر!

---

(١) يكومها: يتصل بها جنسيا.

(٢) ربت على ظهره: ضرب عليه برفق.

(٣) السفاد ككتاب: الجامعة.

ودللت الجريدة على صحة ما ذهبت إليه بما حدث فى قرية «أرثون ريفرد» فقالت : لقد ظلت هذه القرية تعيش فى سلام إلى عهد قريب أو إلى اليوم الذى عرض فيه فيلم سينمائى عن التربية الجنسية ! فلم يكد يعرض هذا الفيلم على فتيات القرية وفتيانها، حتى بدأت الدعائم التى شيد عليها مجتمع القرية تهتز وتكاد تسقط فوق رءوس أهلها !

ولقد حدث الزلزال عندما تردد فى أنحاء القرية : أن فتاة غير متزوجة لم تتجاوز الثالثة عشرة من عمرها، قد وضعت طفلا ! وأجرى تحقيق دقيق أسفر عن اكتشاف حقائق مروعة للسكان ! أدخلت الذعر فى قلوبهم ! فقد تبين أن سبعة وأربعين، قد ارتكبوا فى اليوم التالى لعرض الفيلم السينمائى المذكور ؛ أعمالا خارجة عن العرف، مع فتيات لم يجاوزن الخامسة عشرة ! من عمرهن !

وقال النائب العام فى تأثر ظاهر : إن الفيلم قد ترك أثرا سيئا فى نفوس الأطفال! وبذلك لم يصبح للبكارة، وبالتالى العفة فى البلاد الغربية قيمة ولا وزن !

ويمكن أن عدد اللقطاء فى بلاد الإنجليز، بلغ ربع المواليد !

ومما يلاحظ أن هذا المقـــال مضى على نشره فى الصحف الإنجليزية أكثر من ستين عاما ! أى إن إنجلترة من زمان سحيق تعـــانى ما نعانى من تدريس «الجنس» المشئوم ! .

ومن الفكاهات، أنه كان لى ابن خال - رحمه الله - يدرس الطب فى «اسكتلنده» فقص علينا أن مدير الكلية، ألقى على طلبتها محاضرة اجتماعية، صرح فيها بأن «العذارى» فى بريطانيا لا يجاوزن عن عشرين فى المائة !

فقال له الطلبة «منكتين أو مبكتين» : وبناتك فى أى الفريقين : فى العشرين فى المائة، أو فى الثمانين ؟

فقال : منهم !

فلم يدر الطلبة ما يريد بالدقة! فازدادوا ضحكا، وشاركهم المدير فى الضحك ! ولكنه كما قال المتنبى : ضحك كالبكا .

نسأل الله أن يقينا شر الفتنة العمياء الهوجاء وشر التقليد الأعمى الأصم !

علي الجندى

# نظرية اليمين واليسار في التاريخ الإسلامي
## امتداد معاصر لصراع الإلحاد ضد الإيمان

للأستاذ أحمد موسى سالم

- ٣ -

ثمة ظاهرة جديدة في هذه العمليات المتعمدة لفك أجـــزاء التاريخ العربي الإسلامي ، وقلب حقائقه ، لخدمة عديد من النظريات السياسية الحديثة ، التي هي بطبيعتها ضد المسار السليم لتجمع الأمة العربية على دينها وقوميتها ، ففي هذا السبيل من نفايات الفكر الاستشراقي العاجز عن فهم ديننا وتاريخنا بسبب التعصب والمناوأة ، أو بسبب القصور والإلحاد ـ تظهر في هذه الأيام بالذات كتب وكتابات عربية لتلامذة هؤلاء المستشرقين ، مهمتها الأولى أن تروج لإعادة قراءة التاريخ الإسلامي في قيود لنظرية سياسية حزبية معتمة ومضللة هي «صراع اليمين واليسار داخل الكيان السياسي الأول للمسلمين في مدينة الرسول » ، ا بذلك يصب هؤلاء المتعالمون بفكر المستشرقين ، والناشئون في خلفهم ، والمتوالدون في أنابيب اختبارهم ـ كثيرا من المداد الأسود والأحمر على أقدار الرجال واتجاهات الأحداث فوق خريطة التاريخ العربي الإسلامي ، ليعيدوا تشكيلها في هذا العصر وفق هذه الأهواء والإرادات المتحدة على غزو إرادتنا وفكرنا داخل أمثال هذه النظريات السياسية المتناقضة والفجة .

على أنه ليس عجيبا أبدا أن يظهر في بلادنا اليوم هذا النوع المتشنج من المثقفين الذين زادت شراهتهم إلى التفسير المادي المتعسف للتاريخ الإسلامي كنتيجة منتظرة ومحسوبة لتلك الجهود السابقة في العشرينيات ، والتي تمكن بها الاستعمار من دعم السيطرة للفكر الاستشراقي العدواني على مادة التاريخ الإسلامي داخل كلية الآداب في الجامعة ، هذا مع تنحية الدين وعلومه عن أسوارها ، ومع تلاحق ضغط الأحداث والمطامع الدولية والصهيونية على أمتنا العربية

التى لا تزال مجزأة سياسيا وعقائديا ، ثم مع هذا الفراغ الفكرى الذى لا زلنا نستحث أنفسنا لملئه بفكر دينى وقومى موحد ينقشع به ضباب الرؤية لتاريخنا الإسلامى الصحيح ، الذى ينبغى أن نبدأ من نهاياته الواضحة جهادنا المبصر والمجدى على كل ساحات الحياة .

إنه ليس عجيبا فى الواقع أن ينشط هذا النوع المهجن من المثقفين ، الفارغين تقريبا من مخزون القومى والذين يكادون يترجمون حرفيا أعمال أساتذتهم من المستشرقين الجاهلين بالاختيار أو بالضرورة ، ممن لا يخدمون إلا الأهداف الاستعمارية والصهيونية ، وذلك إذ يفرضون علينا كتابة تاريخنا الإسلامى بهذا المنهج المادى الضيق والمنحاز ، الذى يوفر لهم اصطناع هذه المشاهد العصبية الممسوخة والمبتورة على هذا المسرح الدعائى السياسى باسم المنهج العصرى للتاريخ ، حيث يظهر الشعب العربى الكريم القديم الذى جعله الله موضع اختياره لرسالته ، وأمة كتابه ، كمجتمع بدائى منحط من العبيد الأذلاء ، ومن المعدمين - البروليتاريا - المتضورين جوعا والمسحوقين اجتماعيا فى قبضة طبقة من طغاة التجار الشرسين فى مكة وعلى رأسهم - كما يزعمون - العباس بن عبد المطلب عم النبى ، وعثمان بن عفان ، وأبو سفيان ابن حرب ، وأن هذه الطبقة المالية التى تألف منها (الملأ) أو الحكومة فى زعمهم كانت لا تتورع فى مظالمها ذات الأساس المادى الاقتصادى عن استعباد المدينين العاجزين عن وفاء ديونهم - كما كان يجيز القانون الرومانى القديم قبل المسيحية - وأشنع من ذلك فى الافتراء أن هؤلاء التجار القساة - الذين كانوا فى نفس الوقت يتبارون فى جلب الماء النادر وإطعام عشرات الألوف من الحجيج ، كانوا يحملون المدينين بالإكراه على رهن زوجاتهم وبناتهم ثم حبسهن للتجارة بهن فى بيوت البغاء حتى استيفاء ديون الآباء والأزواج !!

إنه لا عجب أن ترد أمثال هذه المفتريات غزيرة ومسمومة فى هذه الأيام فى كتب ومقالات لبعض من لا يحسنون قراءة حرف من القرآن الكريم ، طالما أنها واردة فى جملة من كتب المستشرقين الذين احتكموا إلى معتقداتهم المذهبية

ـ بعيداً عن العلم ـ فى تصور القوانين والعوامل التى تحرك بها التاريخ الإسلامى بحيث ينطبق التصور عندهم على نظرية المذهب الذى يدينون به، وفى هذا الادعاء بالذات يقول المستشرق اليهودى الماركسى ( بندلى جوزى ) فى كتابه الذى تحتلبه أفواه كل هؤلاء وهو « من الحركات الفكرية فى الإســـلام » الجزء الأول صفحة ١٩ :

« وكانت نتيجة أعمال هذه الفئة الظالمة ـ يعنى تجار مكة ـ خراب للدينين واستعبادهم ثم استثمار أتعابهم بشتى الطرق التى كانت توحيها إليهم ضمائرهم الفاسدة فى ذلك الوسط المنحط ، ومن بينها أن الدائن كان يحمل امرأة المستدين أو ابنته على البغاء » !!

لم يكن عجيباً أن تظهر هـذه الدعاوى المشوائية عن يمين ويسار فى الإســلام يكون فيه سلمان الفارسى مثلا هو اليسار بعد أن ولاه عمر بن الخطاب ولاية الكوفة ثم عزله لأمور أخذها عليه ، ويكون عمر بن الخطاب عندهم بهذا الإجراء العادل هو حزب الوسط ، وأما اليمين فيكون عندهم بالحتم عثمان بن عفان خليفة المسلمين الثالث ، وابن عم النبى وزوج ابنتيه والباذل كل أمواله فى سبيل الله والمسلمين !! ... وهكذا .

ليس عجبا أن تلبس الشعوبية تحت تاجها الكسروى، وقناعها الباطنى ، هذا الرداء الفاقع للاشتراكية بمفهومها المــاركسى فى هذا العصر، وأن تنقل أفكارا تلونها حتى عن الشوفينية الصهيونية التى تنتحل التفسير المادى للتاريخ الإسلامى فى كتب مستشرقيها من أجل النكاية بالعرب ، وأن يظهر هذا التحالف الغريب بين كهنة المؤرخين الاستعماريين الأوربيين جميعا لينعكس فى هذا العصر على عقول بعض المثقفين العرب ، الذاهلين عن حقائق التاريخ فى صورة نظريات مبتدعة تنتهى إلى مؤازرتهم عمليات طمس تاريخ هذه الأمة العربية التى أضاءت بتاريخها وعلومها وإنسانيتها تاريخ وعقل أوروبا المظلم منذ عصر النهضة ، ومسحت رمد عينيها الفلسفيتين بالعلم اليقينى رغم اجتراحاتها وعدوانها الذى لا يكاد ينتهى .

## الرؤية الصحيحة :

واليوم عندما نمـــد الطرف بعيدا

إلى ما وراء الأحداث المعاصرة فى الوطن العربى بحثاً عن مفتاح الرؤية الصحيحة والشاملة، وعن الضوء الثابت للتحليل والتفسير لكل هذه الأحداث المتلاحقة سنجد ذلك كله فى هذا المشهد الدامى الباغت الأليم، الذى غمره فى النسيان تسامح العرب، وعفى عليه بالعمد ضجيج الشعوبية، وهو اغتيال الشهيد، العظيم التأسى برسول الله، والخليفة العادل عمر ابن الخطاب فى نهاية العام الثالث والعشرين من الهجرة.

لقد كان اغتيال عمر بن الخطاب الذى أعزاقه به الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها على يد أبى لؤلؤة المجوسى، وبتدبير الهرمزان ملك الأهواز السابق وكعب الأحبار اليهودى، وكلاهما ممن ادعى الإسلام وأقام بالمدينة - تاريخاً لقيام أول تنظيم باطنى تحالف فيه ممثلو الاستعمار الفارسى والكهنوت اليهودى على هدم الإسلام الذى قامت به دولة العرب، وعلى هدم دولة العرب الذين انتصر بهم الإسلام، وكان عمر بن الخطاب هو الشهيد الأول.

ويتوالى بعد عمر الشهداء، ويتسع تحت الأرض فى المجتمع الجديد، ووراء أقنعة النفاق والتقية - مجال التآمر على الأمة العربية الكبيرة التى وحد الإسلام أجزاءها وأطرافها فى مصر والشام والعراق واليمن فكان اتساع الدولة، وتسامح الحكام العرب، ونشاط حركة التعليم والتعلم لصحيح اللغة والفقه والأحكام.

ودخول كثرة من أبناء الشعوب المحررة بالدين الجديد فى مضمار هذا النشاط العلمى والصناعى والعسكرى والعمرانى والاجتماعى والإنسانى المتصاعد مناخاً تتخلق فيه أفكار وطفيليات هذه الردة السياسية والدينية داخل هذه الجماعات السرية الباطنية، المتربصة لنفاذ بذوراتها المضادة إلى السطح، لتندس فى الجمهور، ولتجهر بالتمرد والزندقة، بينما تستخدم كل الأسلحة من الذهب اليهودى والشعر الفارسى والخمر والجوارى والسيوف ضد الدولة العربية!

ولقد لجأ عدد من رؤوس هؤلاء المتواطئين إلى كثير من أطراف الأرض المحررة، التى كانت شمس الإسلام باردة عليها تحت الظلال الكثيفة لبقايا المجوسية واليهودية والفلسفات اليونانية، مثل

مدينة سلمية الواقعة شرق مدينة حماه ونهر العاصى ، والتى عرفها اليونان والرومان على عهودهم باسم سلاميس ، فى هذه المدينة الأثرية وأمثالها أفرخت بذور الإسماعيلية والقرامطة الأولى حيث خلص شياطينها ليصنعوا القضايا الشكية من المتشابه فى الدين ، وليؤولوا القرآن بين الظاهر والباطن ، وليدربوا العملاء والمهيجين على الاندساس والتخفى فى أخلاط العامة ليبثوا السخط ، وليروجوا الكذب ، وليستميلوا المردة ، وليفشوا الانتقاض ، وليتملوا بين عتقاء التحرير الإسلامى من عبيد كسرى ورعايا قيصر ليزينوا لهم سلطة الأضلال القديمة ، ومزايا طبقاتها وشاراتها وآلهتها ، ولينفخوا فى آذانهم دعاوى الاحتجاج العبودى المغرية على هـــذه الحريات الواسعة والتزاماتها الأخلاقية الصارمة التى جاء بها الإسلام ، والتزم بها العرب.

لقد اجتمع للتواطؤ والهدم إذن أولئك المنتقضون على الحرية ، والمتزندقون فى الإسلام ، والناقمون على العرب عجما وشعوبية ويهود فقالوا لأنفسهم : « لقد كنا نسيح فى أرض هؤلاء العرب كما نشاء قبل أن تصممهم كلمة الله ، وكنا نطلبهم فنردهم إلى حصونهم بالصحارى والفلوات حيث لا حاجة لنا إلى غزوهم ، ولا قدرة لهم على غزونا ، فاليوم وقد غلبونا على أرضهم وأوطانهم ذات الأنهار والثمار فى مصر والشام والعراق واليمن فهلموا نتغلغل فى جموعهم أخفى مما يتغلغل الوسواس ، لنفتنهم عن ربهم ، ولنضرب بعضهم ببعض ، ولنشد أزرهم إلى أقصى ما يتقبلونه من النسيان والترف الذى فيه موتهم ... ورجعتنا » .

## آلة الهدم :

ولنعد إلى المستشرق اليهودى الماركسى (بندلى جوزى) لنقرأ وصفه فى كتابه السابق لطبيعة هذا المنهج الشعوبى اليهودى الذى اصطنعه زعماء الباطنية الإسماعيلية وعلى رأسهم اليهودى الفارسى عبد الله ابن ميمون القداح ليكون آلة رهيبة وعجيبة للهدم فى دولة المؤمنين لحساب الكافرين ، وليس كما يزعم بعض المثقفين الجاهلين ثورة للاشتراكيين على إقطاع اليمين ! .. يقول بندلى جوزى صفحة ٩١ :

« إن تاريخ الإنسانية كلها يشهد شهادة صادقة على أنه لم يقم حتى اليوم حرب

أو مذهب أو جمعية مثل الاسماعيلية الباطنية التى نجحت فى أن تضم تحت لوائها كلا من الغالبين والمغلوبين ، وأصحاب الأفكار الدينية الحرة - يعنى الملحدين والزنادقة - الذين ينظرون إلى الدين نظرهم إلى لجام ضرورى للطبقات السفلى من الناس فقط ، كما تضم المتعصبين للدين من جميع الطوائف ، وتتخذ من المؤمنين واسطة لنقل السلطة إلى الكافرين - يقصد إلى الاسماعيلية الذين يسميهم بالشيوعيين الأوائل - ويستعمل الغالبين - يقصد العرب - آلة لهدم مابنوه من الملك وتسليمه إلى غيرهم، ثم هى - أى عصابات الباطنية - تؤلف حزبا كبيرا متلاحما مطيعا تستند إليه لوضع تاج الملك عند سنوح الفرصة إن لم يكن على رأس مؤسس هذا المذهب فعلى رأس خلفائه ، ! 

ويمضى بندلى جوزى فيقول :

« هذه كانت غاية عبد الله بن ميمون الأساسية ، وهذه كانت أفكاره ، وهى كما ترى أفكار غريبة مدهشة جريئة قد ساعده على تحقيقها دهاؤه النادر . . » !!

وهكذا يشهد بندلى جوزى على نفسه وعلى تلامذته أصحاب بدعة اليمين واليسار فى الإسلام ، وهو يؤكد بأقواله هذه وغيرها أن الذين هدموا دولة العرب ، ونشروا الزندقة بين المسلمين لم يكونوا يسارا ثوريا فارسيا ضد إقطاع اليمين العربى كما يزعمون، وإنما كانوا أم الكسروية والمجوسية والطبقية المتألهة بذاتها متحالفة بأهوائها مع الصهيونية القديمة ، وإن شأن ما يزينه المستشرقون من تصوير ذلك فى هذا العصر على أنه يمين عربى ويسار شعوبى إنما هو شأن أكاذيب الصهيونية المعاصرة التى ترفع داخل إسرائيل دعاوى الاشتراكية والتقدمية العلمانية ستارا على مقوماتها الدينية والعنصرية الفاشية !

لقد كان الصراع كما شهد به بندلى جوزى فى كلماته السابقة - رغم تحفظه وهو يخاطب العرب - صراعا بين الإيمان والإلحاد ، وهو صراع رغم شنشنة هذا المستشرق وأمثاله وقف فيه العرب بالإسلام - وليس الإسماعيلية والقرامطة بالمجوسية - إلى جانب حرية الجماهير والناس والعامة ، بينما تعرضت هذه الحرية ومعها العقل والأساس العلمى للحياة للعدوان والمصادرة على أيدى هذه العصابات

الاستعمارية الصليبية الكسروية واليهودية، الذين سبق أن تحطمت أحلامهم وأمبراطورياتهم وأساطيرهم على الأرض العربية المحررة بظهور الإسلام، ووحدة العرب ...

لقد كان اليسار فى شهادة بندلى جوزى بل رأسه المدبر ، هو عبدالله بن ميمون اليهودى الفارسى ورفاقه وصنائعه الذين اخترعوا بإقامة تنظيم الباطنية السرى هذه الآلة الهدامة الغريبة « المدهشة » التى عملت كما يقول آنفا .. « على أن تتخذ من المؤمنين واسطة لنقل السلطة إلى الكافرين » !!

فهل هذا بالضبط هو ما يفهمه هؤلاء المثقفون الجانحون ، الذين يرفعون أصواتهم المصبية فى هذه الأيام عن « اليمين واليسار فى الإسلام » .. أم أن هناك فهما آخر يبرر لهم تشويه حقائق التاريخ العــربى الإسلامى ، والعمل الهستيرى على تعتيم جوانبه المشرقة بدلا من زيادة الأضواء عليها ! ؟ ؟

أحمد موسى سالم

---

قال الله تعالى :

« قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغنى له ما فى السموات وما فى الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون . قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون » . (يونس : ٦٨ — ٧٠)

# سيادة القانون في نظر الإسلام

للأستاذ أبو الوفا المراغي

---

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : حد يقام في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا ثلاثين صباحا أخرجه النسائي .

أنزلت القوانين السماوية ووضعت القوانين البشرية لتنظيم علاقات الناس وصيانة نفوسهم وأموالهم وأعراضهم ولتحقيق أقصى ما يمكن لهم من سعادة واستقرار ، مع فارق بين القوانين السماوية والقوانين الوضعية ، فالقوانين السماوية مضمونة النتائج محققة الغايات إذا نفذت على وجهها الصحيح ولم تتناولها العقول والأفهام بالتحايل والتحريف لأنها من وضع الخبير العالم بطبائع النفوس وغرائزها واستعداداتها ، ولا كذلك القوانين البشرية فهي عرضة للخطأ في الوضع والتطبيق . كما تتأثر بالاتجاهات النفسية والبيئية والقوانين بعامة لا تثمر ثمرتها المقصودة منها إلا إذا وقعت من نفوس الناس موقع الاطمئنان والاقتناع وكانت محل التقديس والاحترام واستوى أمامها المحكومون والحكام وقد أصبح من معايير الرقي في الأمم مقدار احترامها لقوانينها والتزامها والتزام أفرادها بأحكامها واعتبر التهرب منها والخروج عليها جريمة لها عقوبة خاصة .

ومسألة احترام القوانين مسألة هامة في نظر الشريعة الإسلام ، فقد جعلت احترام القوانين من المقررات الدينية لدى الحكام والمحكومين .

ونعني بالقوانين هنا القوانين الإسلامية أعني الشريعة الإسلامية ، والحاكم الإسلامي الذي يخالف القوانين فيما يقضي فيه ويعرض عليه عرضة للمؤاخذة كما يقول الله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » وللمحكومين حق تنبيهه وتقويمه إذا اقتضت الحال ، لأنه نصب ميزانا للعدل بينهم وأسوة لهم والمحكومون الذين لا يرضون بحكم الإسلام عرضة للمؤاخذة في الدنيا والآخرة .

ففي الآخرة يقول الله تعالى : « فلا وربك

لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ، أما فى الدنيا فللحاكم أن يؤاخذهم بما يناسب جرمهم فيما خالفوا فيه بحسب جسامة تعديهم ، وقوانين الشريعة كما هو معلوم تختلف شدة ولينا حسب الجرائم وآثارها فى الجماعة فمنها ما يقتضى القتل قصاصا أى الإعدام ومنها ما يقتضى قطع الأطراف ومنها ما يقتضى الحبس والنفى ومنها ما هو دون ذلك ، وليس الغرض من جميع هذه العقوبات الانتقام والتعذيب ولكن الغرض منها الإصلاح والزجر والتهذيب وتسمى العقوبات المبين قدرها وكيفيتها حدوداً لأنها تحد المجرم عن إجرامه أى تكفه وتمنعه وتمنع غيره من ممارسة الجريمة.

وتعنى الشريعة الإسلامية بالجرائم ذات الحدود المقدرة وتطبيق فيها تلك الحدود بلا هوادة ولا ترخص فى شيء منها لأنها تتعلق بسلامة الأنفس والأعراض والأموال التى هى أعز وأغلى شيء فى الحياة ، ولا خير فى حياة تهدر فيها القوانين وتهدد فيها الأنفس والأعراض والأموال .

لذلك ترى الشريعة الإسلامية أن احترام القوانين وبخاصة القوانين الجنائية مطلب دونه كل مطالب الحياة وشئونها فالرخاء المادى أيا كان نوعه وقدره وأيا كانت فائدته ونتيجته لا يعدل احترام القوانين وتطبيقها ، لأن كل خير فى غياب القانون مهدد بالاستلاب والانتهاب ، وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : «حد يقام فى الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا ثلاثين صباحا » فالإمطار فى الأرض عبارة عن الرخاء المادى الوفير بالزروع والنبات والفواكه والثمار التى يعقبها المطر تلك المدة الطويلة خصوصا فى البلاد التى تقوم حياتها على تلك الأمطار ولقد ورد فى وجوب احترام القوانين من الحكام والمحكومين مالا يحصى من الآيات والأحاديث ، فمن تلك الآيات ما أشرنا إليه فى قوله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

ومنها قوله تعالى : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم » ، وقوله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

وهذه الآيات موجهة إلى كل من يلى حكما بين الناس فى أمر من الأمور ، سواء كان حاكما عاما أم كان مخصوصا بخصوصات معينة وسواء كان حاكما رسمياً أم حاكما متطوعا ارتضاه الخصوم للفصل بينهم لما امتاز به من تقوى وصلاح وكفاية وخبرة ، والتزام العدل فى الحكومة هو أقصى درجات احترام القوانين التى يحرص الإسلام على احترامها وإذا كان توخى العدل فى الحكومة والتزامه احتراما فى الخضوع للقوانين والرضا بأحكامها وعدم التماس الحيل للتفلت منها الاحترام المنشود من المحكومين ، وقد اعتبرت الشريعة الاستهانة حربا لله ورسوله وسعياً فى الأرض بالفساد يستحق مقترفه أشد العقاب ، وذلك حيث يقول جل شأنه : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ».

قال صاحب المنار : فمحاربة الله ورسوله هى عدم الإذعان لدينه وشرعه فى حفظ الحقوق فمن لم يذعنوا الشرع فيما يخاطبهم به فى دار الإسلام يعدون محاربين لله ولرسوله عليه السلام ، فيجب على الإمام الذى يقيم العدل ويحفظ النظام أن يقاتلهم على ذلك حتى يفيئوا ويرجعوا إلى أمر الله ، ومن يرجع منهم فى أى وقت يقبل منه ويكف عنه ولكن إذا امتنعوا على إمام العدل المقيم للشرع وعثوا إفساداً فى الأرض كان جزاؤهم ما بينه الله فى هذه الآية » .

إن سيادة القانون وإنفاذه فى الحكام والمحكومين وهو ذروة الديمقراطية العصرية وفخرها من أهم مبادىء الشريعة الإسلامية وضعاً وتطبيقاً طبقه الحكام على أنفسهم كما طبقوه على غيرهم ، ومن مفاخر التطبيق ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استشفع عنده فى حد من الحدود فرفض فى غضب وقال : وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، وما جاء عن عمر رضى الله عنه ، فقد اقتص لقبطى من أقباط مصر من ابن عمرو بن العاص

( البقية على صفحة ٤٨ )

دراسات إسلامية :

# الجلالان صاحبا التفسير

للدكتور محمد رجب البيومي

---

لتفسير الجلالين شهرة مستفيضة ، إذ حاز القبول من يوم تأليفه فتناولته الأيدى ، لسهولة مأخذه ، ويسر تحصيله ، فقد كانت النفوس فى العصر المملوكى وما وليه ، فى حاجة إلى تفسير موجز ينأى عن حشو أصحاب المذاهب والجدل وأولى الفلسفة والكلام ، ومتحذلقى النحاة والبلاغيين ممن يحاولون أن يظهروا معلوماتهم فى كل آية ، وإن كان تفسيراً من الوضوح بحيث لا يتطلب هذا الاستطراد الممل ، حتى أصبحت كتب التفسير تحمل من الغمام المتراكب ما يكاد يحجب صفحة البدر الساطع عن العيون ، وهذا بعض ما اضطر صاحبى هذا التفسير إلى الخلوص من شوائب التعالم ، ما زالت لتفسير الجلالين حظواته الحبيبة حتى أوائل هذا القرن ، إذ كان الأستاذ محمد عبده رضى الله عنه لا يحمل فى يده عند إلقاء دروسه القرآنية بالرواق العباسى غير ملزمة منه تضم السورة التى يتعرض لشرحها ، فكأنه رحمه الله شاء أن يقف على المعنى المباشر من هذا التفسير بعيداً عن حشو المتكلفين ، ليجعله تكأة وطيدة لما يلهمه الله من بيان ، وإذا كان بعض العلماء قد نهضوا اليوم إلى تهيئة شروح موجزة القرآن تحذو حذو الجلالين كمحمد حسنين مخلوف وعبد الجليل عيسى وبعض من لا يحضرنى ذكره من الأفاضل الأعلام فإنى أعتقد أن تفسير العلامة الأستاذ محمد فريد وجدى رحمه الله ، قد قام مقاماً جميلا لا ينهض به سواه ، حيث تعرض إلى شرح المفردات فى الآيات ثم أتبعه بإجمال دقيق للمعنى العام يكشف المراد فى سطوع ونفاذ ، وإذا كانت الأعمال بالنيات فإن تفسير الأستاذ وجدى قد شرق وغرب وجنب وشمال بحيث دأبت دار الشعب فى السنوات

الأخيرة على أن تطبع منه كل عام أربعين ألف نسخة يتخطفها القراء فى شوق ! وقد تجافى عما ألح عليه تفسير الجلالين من بعض التوجيهات النحوية مع إيجازها المقتضب ، كيلا يشرد بالقارىء إلى قشور تحجب اللباب ، وقد لا يعلم القارىء أن الأستاذ وجدى قد بدأ بكتابة التفسير لنفسه دون أن يقوم فى ذهنه إعتبار آخر ، فلما تم له ما أراد لمس من حاجة العامة من القراء ما دفعه إلى طبع التفسير كما كتبه لنفسه ، فصادف الإقبال والحظوة ، وتلك بعض ثمرات الإخلاص .

وتفسير الجلالين - كما يشير إليه عنوانه - ليس من تفسير مفسر واحد ، ولكن الجلال المحلى قد بدأ بكتابة نصفه ، ثم أدركته المنية فقام الجلال السيوطى بتكملته ، لذلك سمى تفسير الجلالين ، وإذا كان من المعهود اليوم أن يشترك أكثر من مؤلف فى كتاب واحد ، فقد كان ذلك غير معهود لدى السلف [1] ، إلا إذا مات كاتب دون أن يتم كتابه ، فيتهيأ له من يواصل التأليف مترحماً على سابقه ، كما فعل جلال الدين السيوطى حين طمح إلى النهوض بملء ما خلف جلال الدين المحلى من فراغ ، ولابد من كلمة موجزة عن الجلالين لتلقى بعض الظلال .

أما الجلال المحلى فقد ولد فى مستهل شوال ٧٩١ هـ بالقاهرة وقد نسب إلى المحلة الكبرى من أعمال محافظة الغربية نظراً إلى منشأ أسرة والده ، فبدأ يحفظ القرآن ثم طلب العلم على أئمة شيوخه من أمثال الشمس البرماوى والباجورى والجلال البلقينى والولى العراقى وأضرابهم فدرس الفقه والأصول والنحو والبلاغة والحديث والتفسير ، وكان سمح النفس بعيداً عن التعصب المذهبى الشائع لدى معاصريه ؛ إذ جلس الجلال الشافعى إلى بعض أئمة الأحناف وانتفع بهم حتى بلغ الرياسة فى العلم وأخرج من المصنفات المفيدة ما كان موضع القبول مثل شرح جمع الجوامع فى الأصول ، وشرح المنهاج وشرح البردة ، ومناسك الحج ، وكتاب الجهاد ، وشرح الشمسية فى المنطق ، وحاشية الجواهر للأسنوى ، ومختصر

(١) نستثنى الأخوين الشاعرين الكاتبين المعروفين بالخالديين حيث كانا يشتركان حتى فى القصيدة الواحدة .

التلبيه ، غير ما كتبه من التفسير ، وهى مؤلفات مختلفة الاتجاه تجمع الفقه والمنطق والأصول والأدب والسيرة والتفسير !

وقد قال عنه السخاوى فى الجزء السابع من الضوء اللامع « إنه تفنن فى العلوم العقلية وتقدم على غالب أقرانه فأفاد ونفع ، وهوى إليه الطلاب ، وتخرج به الفضـــلاء » .

وشهادة السخاوى ذات دلالة هامة على مركزه العلمى لأن صاحب الضوء اللامع كان لا يسكت على معابة بل كان يضخم ما يعلمه من الهنات ، وقد كال الثناء كيلا للجلال المحلى ، على عكس ما صنع بالجلال السيوطى ، بما يمنع كل شبهة فى تزكيته ، ومن الطريف أنه ذكر عن المحلى أنه كان يتكسب ببيع البز ردحا من دهره ، فكأن الجلال لم يشأ أن يكون عبئا على غيره بل مهد لعيشه بما تاجر وكسب كأبى حنيفة النعمان .

أما الجلال السيوطى فأشهر من أن يعرف ، إذ طارت شهرة مؤلفاته واتسعت موضوعاتها وبلغ عددها خمسمائة فى بعض الروايات ، وقد قال عن نفسه فى ترجمة مبسوطة بالجزء الثانى من حسن المحاضرة ص ١٤٠ وما بعدها « إنه رزق التبحر فى سبعة علوم هى : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبديع ، وأنه رحل إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور (وهى التى تعرف اليوم بنجيريا الشمالية) وأنه أكمل آلات الاجتهاد ولو شاء أن يكتب فى كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها ، وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدر على ذلك بفضل الله ولا قوة إلا به » .

هذا بعض ما قاله عن نفسه ، وما بقى لدينا من مؤلفاته يزكيه ويؤيد دعواه ، وقد طعن بعض الباحثين فى مقدار ماذكر عن الرجل من المؤلفات ملمحا إلى اتهامه بالسطو فى بعض ما كتب ، ولكن طبيعة التأليف فى العصر المملوكى لا تمنع من تحقيق هذه الكثرة فى التأليف ، لأن التلخيص حينئذ كان يعد تأليفا ، وكذلك عد الشرح الموجز والتعليق المقتضب ، بل إن دروس الحلقة كانت تتضام ويجتمع لتصبح مؤلفا باجتهاد التلاميذ ، فإذا أضيف إلى ذلك أن كثيرا من هذه المؤلفات كان رسائل موجزة لا تتعدى بضع صفحات ، أمكننا

أن نتصور أن الجلال قد ألف مائة كتاب أو مائتين أو ثلاثمائة !! على أن مابقى لدينا من مؤلفاته ذات التحقيق الكاشف مثل الإتقان والمزهر ولباب النقول والجامع الكبير يفسح له مكانا مرموقا بين النابهين!

وفوق ما تقدم فإن الجلال ذو عجلة متسرعة لا يكاد يبدأ كتابا حتى يفرغ له من كل شىء محاولا أن يتمه فى وقت قريب، ذكر ذلك عن نفسه، حين قال عن تفسير الجلالين: «هذا آخر ما أكملت به تفسير القرآن الكريم الذى ألفه الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلى الشافعى رضى الله عنه وقد أفرغت فيه جهدى وبذلت فكرى فيه فى نفائس أراها إن شاء الله تجدى وألفته فى مدة قدر ميعاد الكليم»، ومعنى ذلك أنه فسر نصف القرآن فى أربعين يوما لأن الله عز وجل يقول: «وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة»، وإذا كان قد كتب هذا التفسير فى سن الثلاثين على هذا الوجه السريع فإن ما أعقبه من المؤلفات بعد هذه السن لا جرم يحذو حذو السرعة والتعجل، وقد يكون التريث والاتئاد أدعى إلى التثبت والإكمال ولكننا نتحدث عما كان، لا عما يجب أن يكون.

لقد بدأ الجلال المحلى بتفسير سورة الناس حتى انتهت حياته بانتهاء سورة الإسراء، فبدأ الجلال السيوطى بتفسير سورة البقرة حتى بلغ سورة الإسراء ليكمل الفراغ محتذيا حذو سابقه فى الإيجاز والتقريب، ومن الطريف أن نذكر هذه القصة التى ختم بها السيوطى تفسيره إذ قال:

«قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبى بكر الخطيب الطوخى، أخبرنى صديق الشيخ العلامة كمال الدين المحلى أخو شيخنا الشيخ الإمام جلال الدين المحلى رحمهما الله تعالى أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور فى النوم وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطى مصنف هذه التكملة، وقد أخذ الشيخ هذه التكملة فى يده وتصفحها، ويقول لمصنفها المذكور أيهما أحسن، وضعى أو وضعك، فقال: وضعى، فقال: انظر، وعرض عليه مواضع فيها، وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلطف، ومصنف التكملة كلما أورد عليه شيئا يجيبه والشيخ يبتسم ويضحك، ثم يعلق السيوطى على هذه الرؤيا المنامية فيقول: «الذى أعتقده وأجزم به أن

الوضع الذى وضعه الشيخ جلال الدين المحلى رحمه الله تعالى فى قطعته أحسن من وضعى أنا بطبقات كثيرة ، كيف وغالب ماوضع هنا مقتبس من وضعه ، ومستفاد منه لامرية عندى فى ذلك ، وأما الذى روى فى المنام المكتوب أعلاه فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التى خالفت وضعه فيها لنكتة ، وهى يسيرة جدا ، أظنها تبلغ عشرة مواضع ، منها أن الشيخ قال فى سورة ص : « والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه ، وكنت تبعته أولا فذكرت هذا الحد فى سورة الحجر ثم ضربت عليه لقوله تعالى: « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » الآية فهى صريحة أو كالصريحة فى أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه ، فالإمساك عن تعريفها أولى .

لذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكى فى جمع الجوامع : والروح لم يتكلم عنها محمد صلى الله عليه وسلم فنمسك عنها ، ومنها أن الشيخ قال فى سورة الحج « الصابئون فرقة من اليهود فذكرت ذلك فى سورة البقرة وزدت أو النصارى بيانا لقول ثان فإنه المعروف خصوصا عند أصحابنا الفقهاء ، وفى المنهاج : وإن خالفت السامرة اليهود والنصارى فى أصل دينهم وفى شرحه أن الشافعى رضى الله عنه نص على أن الصابئين فرقة من النصارى ، ولا أستحضر الآن موضعا ثالثا ، فكأن الشيخ رحمه الله يشير إلى مثل هذا والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب » .

هذا ماذكره السيوطى عن الرؤيا وتفسيرها الذى يتصوره ، أما نحن فنفهم أن هذه الرؤيا تمثل خواطر رائيها الشيخ كمال الدين المحلى شقيق الجلال ، إذ أنه قرأ ما كتبه السيوطى تكملة لتفسير أخيه ، وكأنه أنكر شيئا مما قرأ ، وعده مخالفا لما قرره الأخ الكبير فيما كتب ، وشغل نفسه بذلك بعض الوقت فى يقظته ، وحين أسلم نفسه للنوم صحا عقله الباطن ليصل ما انقطع من إنكار عقله الواعى فحلم بأخيه وقد اجتمع بالسيوطى، وأشار إلى بعض مآخذ ، أخذ يضع يده عليها ويضحك ، هذا ماكان من أمر صاحب الرؤيا ، أما السيوطى فقد فسرها بما علمه من مخالفته الشيخ فى بعض الآراء ، وخلاف العلماء أمر طبيعى لا مجال للاعتراض عليه ، بل إن السيوطى قد اعترف بأن خالف نفسه حين فسر

الروح أولا فى سورة الحجر بما يوافق كلام المحلى ، ثم بدا له أن يعدل عن هذا المعنى إلى سواه ، على أن هذه الرؤيا إلى جوانبها العلمية تمثل جانبا اعتقاديا هاما لدى هؤلاء العلماء ، هو ما يؤكدونه من اتصال الميت فى عالم الروح بالأحياء ، فالجلال المحلى قد قرأ التفسير فى مثواه واعترض على أوجه الخلاف ، واستطاع أن يعبر إلى ذلك عن طريق أخيه كمال الدين.

وتفسير الجلالين ليس وحده التفسير الموجز فى الشروح القديمة ، فتفسير النسفى والبيضاوى وغيرهما مما يشاركه الإيجاز غير أن تفسير الجلالين قد اختصر اختصارا حكيما بعد به عن القصور المخل وإذا كان تفسير النسفى عالة على تفسير الكشاف للزمخشرى حيث سطا على أكثر عباراته فيما عدا ما يختص بالاعتزال والبلاغة ، سطوا يظهر لكل مقارن بين التفسيرين ؛ فإن تفسير الجلالين لم يسط على أحد ، كما أن تفسير البيضاوى قد تورط فى ذكر الأحاديث الموضوعة التى تدل على فضيلة كل سورة من سور القرآن ، وقد كان الظن بعالم جدل نظار كالبيضاوى أن ينأى عن مثل هذه الموضوعات ، ولكنه ارتطم بها ارتطاما باعد ما بينه وبين تفسير الجلالين فبقيت له مزية غراء ، وليست الموازنة بين هؤلاء الجلة من المفسرين مما تتسع له هذه السطور ولكننا نلقى بعض الأضواء .

بقى أن نتحدث عن نقد بارز يوجه للجلال السيوطى بالذات فى هذا التفسير ، وهو عن تصديقه بعض الإسرائيليات دون تمحيص، وكان الظن به أن ينأى عنها فى تفسير موجز لا يتسع للاستطراد ، ولنضرب المثال لذلك بهذين الشاهدين :

١ — جاء فى تفسير قول الله تعالى « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون » ما نصه (ألم تر) استفهام تعجب وتشويق إلى استماع ما بعده أى ينته علمك (إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف) أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفا ،(حذر الموت) مفعول له وهم قوم من بنى إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم ففروا ( فقال لهم الله موتوا) فماتوا (ثم أحياهم) بعد ثمانية أيام أو أكثر بدعاء نبيهم حزقيل بكسر المهملة والقاف وسكون الزاى فعاشوا دهرا ،

عليهم أثر الموت لا يلبسون ثيابا إلا عاد كالكفن واستمرت فى أسباطهم (إن الله لذو فضل على الناس) ومنه إحياء هؤلاء (ولكن أكثر الناس) وهم الكفار (لا يشكرون) والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال.

فكل ما قيل عن عزقيل وإحيائه الموتى بدعائه، ثم بقائهم دهرا لا يلبسون الثوب إلا عاد كالكفن تخرص بالباطل، لأن إحياء الموتى لم يكن معجزة لغير المسيح ابن مريم، وما ورد فى تاريخ عزقيل لا يشير إلى هذه المعجزة، ولكن السدى المفسر روى ذلك عن بعض أهل الكتاب، وقد وصفه ابن جرير بالكذب كما أنه تلميذ ابن السائب الكلبى، فوقع الطير على شكله! ولا نريد أن نسهب فى تسطير ما اتهم به التلميذ والأستاذ فكلاهما مضل ضلول.

٧ — قال تعالى: «وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين».

قال الجلال: (وكتبنا له فى الألواح) أى ألواح التوراة وكانت من سدر الجنة، أو زبرجد، أو زمرد، سبعة عشر أو عشرة (من كل شىء) يحتاج إليه فى الدين (موعظة وتفصيلا) تبيينا (لكل شىء) بدل من الجار والمجرور قبله (فخذها) قبله قلنا مقدرا (بقوة) بجد واجتهاد (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين) فرعون وأتباعه وهى مصر لتعتبروا بهم».

فألواح التوراة التى من زبرجد أو زمرد أو ذهب، وأكثر ما ينحو نحو هذه الخيالات الموهومة وقد نقل عن كعب ووهب دون مصدر مؤكد من نص سماوى، وليس التفسير الموجز بحاجة إليه فيتورط كاتبه فى بعض ما تورط فيه الثعلبى ومقاتل بل وابن جرير وابن كثير وهما من هما فى الثقات! ولعل مما يهون الأمر أن أمثال هذه الإسرائيليات قد افتضحت فى التفسيرات المعاصرة اليوم بحيث أصبحت تذكر كدلالة سيئة لبعض مراحل التطور التدريجى فى تاريخ التفسير والمفسرين، ولو سلم تفسير الجلالين من أمثال هذين الشاهدين لسبق وجلى ولكن الكمال المطلق من صفة الخالق وحده لا من صفات الناس؟

د. محمد رجب البيومى

دراسات فى الفقه المقارن :

# الرهن

للدكتور ابراهيم دسوقي الشهاوي

الرهن فى عرف اللغويين هو: « حبس شيء عند إنسان فى مقابلة شيء أخذ منه ».

الرهن شرعا: اختلف الفقهاء فى معنى الرهن تبعاً لاختلافهم فى الأحكام المتعلقة به عندهم ».

فعرفه الحنفية : بأنه « حبس شيء مالى بحق يمكن استيفاؤه منه كالدين .

وعرفه المالكية : بأنه « بذل من له البيع ما يباع ، أو غررا ولو اشترط فى العقد ، وثيقة بحق .

وعرفه الشافعية : بأنه « جعل عين مال وثيقة بدين يستوفى منه عند تعذر الوفاء » .

وعرفه الحنابلة : بأنه « المال الذى يجعل وثيقة بالدين ليستوفى من ثمنه إن تعذر استيفاؤه ممن هو عليه » .

أوجه الخلاف بين تعاريف الرهن :

من تعاريف الرهن لغة وشرعا يتبين :

١ — أن تعريفه لغة أعم من تعاريفه عند الفقهاء ، فإنه عبر عن المرهون بكلمة « شيء » مطلقاً سواء أكان ماليا أم غير مالى ، وسواء أكان يمكن الاستيفاء منه أم لا ، وعبر عن المرهون به « بشيء أخــذ منه » مطلقا سواء أكان الشيء المأخوذ ديناً أم غير دين . بخلاف تعاريف الفقهاء فإنها تخص المرهون بكونه شيئاً مالياً يمكن الاستيفاء منه إذا تعذر الوفاء ، وتخص المرهون به بكونه ديناً أو حقاً يمكن استيفاؤه من المرهون إذا تعذر الوفاء .

٢ — أن بين تعاريف الفقهاء خلافا سببه اختلافهم فى الأحكام المتعلقة به عندهم ، وأهم أوجه الخلاف بينها تنحصر فى ستة وجوه :—

الوجه الأول : أن تعريف الحنفية وصف المرهون بكونه محبوساً ، ووصفته

التعاريف الأخرى بكونه وثيقة، والسر في هذا أن الحنفية يوجبون الحبس الدائم للمرهون، ويمنعون الراهن من استرداده ولو للانتفاع به مع إذن المرتهن، والمالكية والحنابلة يجيزون للراهن استرداده للانتفاع به بنفسه أو غيره إذا أذنه المرتهن، ولا يفوت عقد الرهن بذلك بل يفوت اللزوم عند الحنابلة والحوز عند المالكية. وأما الشافعية فإنهم يجيزون للراهن استرداده لينتفع به ولو قهراً عن المرتهن، لأنه حقه إذا توقف انتفاع الراهن على استرداده، فالحبس لا يظهر بأجل معناه إلا عند الحنفية فلذا عبروا به في تعريفهم، واكتفى الآخرون بالتعبير بالوثيقة.

الوجه الثاني: أن تعريف المالكية عبر عن المرهون بقوله: «ما يباع أو غرراً». وتعريف الحنفية عبر عنه بقوله: «شيء». وتعريف الشافعية عبر عنه بقوله: «عين مال». وتعريف الحنابلة عبر عنه بقوله: «المال».

والسر في هذا الاختلاف أن المالكية يرون جواز كون المرهون ديناً، لأنه يجوز بيعه فيجوز رهنه فلشمول التعريف له عبروا عن المرهون بقولهم: «ما يباع أو غرراً». أما المذاهب الثلاثة فلا يجوز عندهم كون المرهون ديناً، ويوجبون أن يكون المرهون عيناً يجوز بيعها، فعبر الحنابلة عن المرهون بكلمة «المال» لأن المال إنما يطلق على العين التي يجوز بيعها، وعبر الشافعية بقولهم: «عين مال» فلم يكتفوا بالملزوم وهو «مال» عن اللازم وهو عين. وعبر الحنفية بكلمة شيء وهي وإن كانت عامة إلا أنهم اكتفوا بوصف الحق بكونه يمكن استيفاؤه من الشيء، ومعلوم أنه لا يمكن الاستيفاء منه إلا إذا كان عيناً مالية، فقوله يمكن استيفاؤه ملزوم، واللازم كون المراد من الشيء هو العين، وهذا منهم اكتفاء بالدلالة الالتزامية.

الوجه الثالث: أن الحنفية والمالكية عبروا عن المرهون به بكلمة «حق». وعبر الشافعية والحنابلة بكلمة «دين». والسر في هذا الاختلاف أن المرهون به عند الشافعية والحنابلة لا يكون إلا ديناً فلذا عبروا عنه بكلمة «دين»، وأما الحنفية والمالكية فإنهم جوزوا في المرهون

به أن يكون عيناً مضمونة ، غير أن الحنفية شرطوا أن تكون مضمونة بنفسها لا بغيرها ، والمالكية جوزوا الرهن بهما إذا كانت العين غائبة ، فلهذا عبر الحنفية والمالكية بكلمة « حق » لتشمل الدين والعين المضمونة [1] .

الوجه الرابع : أن تعريف المالكية امتاز بوصف المرهون بقوله : « ما يباع أو غرراً لأنهم يجوزون رهن ما يباع وما لا يباع للغـــرر بخلاف المذاهب الأخرى فلا يجوز عندهم رهن ما فيه غرر ، فلذا خلت تعاريفهم منه تصريحاً وتلميحاً » [2] .

الوجه الخامس : أن تعريف المالكية صرح بالراهن ، وما يشترط فيه بقوله : « من له البيع » . فأفاد أن شرط الرهن أن يكون ممن يجوز بيعه ، وتعاريف المذاهب الثلاثة لم تصرح بذلك

(١) العين المضمونة : هي ما يجب بهلاكها مثلها إذا كان لها مثل ، أو قيمتها إذا لم يكن لها مثل . وهي نوعان: مضمونة بنفسها كالمغصوب في يد الغاصب ، والمهر في يد الزوج ، وبدل الخلع في يد الزوجة ، وبدل الصلح عن القتل العمد في يد العاقلة ، ومضمونة بغيرها كالمبيع في يد البائع ، فعند الشافعية لا يجوز أخذ الرهن بها مطلقاً مضمونة بنفسها أو بغيرها ، وعند الحنفية يجوز الرهن بها إن كانت مضمونة بنفسها مطلقاً غائبة أو حاضرة ، ويرى المالكية جواز الرهن بها سواء أكانت مضمونة بنفسها أم بغيرها إذا كانت العين غائبة ، ولا يجوز إذا كانت العين حاضرة . وعند الحنابلة روايتان بالجواز وعدمه .

( انظر البدائع جـ ٦ ص ١٦٢ والحطاب جـ ٥ ص ١٦ ، والمغنى للحنابلة جـ ٤ ص ٣٥١ . والمبسوط جـ ٢١ ص ٧٣ ) .

(١) المراد بالغرر ما يحتمل وجوده وعدمه وقت العقد ، وعلى تقدير الوجود يحتمل القبض عليه وعدمه: والغرر نوعان : خفيف كالعبد الآبق والبعير الشارد ، وقوى كالأجنة في بطون الأمهات ، والسمك في الماء ، والطير في الهواء ، فما فيه غرر خفيف يجوز رهنه عند جميع المالكية ، أما ما فيه غرر قوى فإن كان في عقد رهن من قرض فيجوز ، إن كان في عقد رهن من بيع فالمشهور المنع وأجازه ابن الماجشون ، وأحمد بن ميسر ( انظر حاشية الدسوقي على الشرح الكبير جـ ٢ ص ٢٠٨ - ٢١٠ ، ومغنى الحنابلة جـ ٤ ص ٤٢٨ ، والمهذب جـ ١ ص ٢٠٨ ، والبدائع جـ ٦ ص ١٣٧ ) .

الشرط مع أن المذاهب الأربعة متفقة على هذا الشرط فى الجملة ، والسر فى هذا أن المالكية دأبوا على ذكر الشروط فى التعاريف لتكون ضابطة للماهيا الصحيحة شرعا ، وغيرهم لا يلتزم ذلك ، لأن الأسامى الشرعية - عندهم - تطلق على الماهيا مطلقاً صحيحة أو فاسدة ، فإذا استوفت الماهية الشروط وانتفت الموانع سميت بالصحيحة ، أما المالكية فلا يعتبرون للماهية وجوداً إلا إذا كانت صحيحة فالخلاف بينهم مبنى على اختلاف الاصطلاح ، ولا مشاحة فى الاصطلاح.

الوجه السادس : أن تعريف الحنابلة الرهن بمعنى المرهون ، وتعريف المذاهب الأخرى الرهن بمعنى العقد ، والرهن يطلق شرعا على المرهون وعلى العقد ، فلا خلاف فى الحقيقة ، لأن المرهون فى التعريف مقيد بالذى يجعل وثيقة بالدين فيفهم منه الإيجاب والقبول كما يفهم من التعاريف الأخرى صراحة ؟

دكتور : ابراهيم دسوقى الشهاوى

---

## ( بقية المنشور على صفحة ٢٧ )

حاكم مصر فى لطمة لطمه بها ابن عمرو حين فاز القبطى فى السباق عليه واغتاظ منه وقال للقبطى : اضرب ابن الأكرمين وابن الأكرمين هى الكلمة التى قالها ابن عمرو للقبطى حين لطمه فقال له : أنا ابن الأكرمين إن الجماعات لا تفسد ولا يهتز بنيانها ولا تتقوض أركانها إلا حيث يستهان بالقوانين ويؤخذ بها الضعفاء دون الأقوياء وحيث تتخذ العوبة لصالح ذوى الجاه والسلطان وتستغل لصالح الأقرباء والأنسباء كما قال صلى الله عليه وسلم : ( إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ) .

اللهم لا تجعلنا منهم ووفقنا للعمل بما يرضيك ؟

أبو الوفا المراغى

# أدعياء الطب في الفقه الإسلامي

للدكتور محمد رأفت عثمان

تنظر شريعة الإسلام نظرة الحرص إلى صحة الإنسان ، وليس ذلك بغريب من هذه الشريعة التي أرادت للإنسان كمالا في كل ناحية من نواحي حياته الحسية والمعنوية ، فكما حثت هذه الشريعة الغراء على أن يسلك الإنسان السلوك السوي الكامل ، كذلك حثت على أن يكون المؤمنون أقوياء الأجسام ، لتتوافر لهم أسباب كسب العيش ، وتأدية العبادات كاملة ، والدفاع عن دين الله ضد القوى التي تتربص به ، ولذلك نجد رسول الإسلام محمدا صلى الله عليه وسلم يقول : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير » .

وإذا كانت هذه هي نظرة الإسلام إلى صحة المسلم فلا غرو أن يجيء الحث من رسول الإسلام على أن يتداوى الإنسان إذا ألم به شيء من الأسقام والأوجاع ، فقد روى عمرو بن دينار عن هلال بن يساف قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مريض يعوده ، فقال أرسلوا إلى طبيب ، فقال قائل : وأنت تقول ذلك يا رسول الله ، قال : نعم ، إن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل له دواء . ( زاد المعاد لابن قيم الجوزية جـ ٣ ص ١٠٧ ) . وقد ورد هذا الحديث عنه صلى الله عليه وسلم برواية أخرى هي : « إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، فتداووا » ( فتح الباري لابن حجر جـ ١٠ ص ١٠٤ ) .

وهذان الحديثان الشريفان وأمثالهما من الأحاديث تشير إلى أمرين هامين :

أولهما : أن الأمراض التي تصيب البشر كلها على الإطلاق ، قد جعل الله لها دواء يشفيها بقدرته وإرادته سبحانه ، وغاية الأمر أن أولي المعرفة بالطب قد يهتدون إلى معرفة الدواء الذي يعالج هذا المرض أو ذاك وقد يخفقون ، وهو ما يشير إلى أنه لا يحق للبشر أن ييأسوا من علاج أي من الأمراض مهما حار الأطباء

فى علاجه على مر العصور ، ويؤيد هذا قول المصطفى صلى الله عليه وسلم عند ما جاءه أعرابى يسأله : يا رسول الله ، أنتداوى ؟ قال : « نعم ، فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمه من علمه وجهله من جهله » ( نيل الأوطار للشوكانى جـ ٨ ص ١٦٦ ) .

الأمر الثانى : هو الحث من رسول الله صلى الله عليه وسلم على ألا يستكين الإنسان للمرض ، بل يتخذ الأسباب المؤدية إلى زوال ما أصابه منه ، وهو ما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : « أرسلوا إلى طبيب » ، وقوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث السابق : « فتداووا » :

وإذا علمنا أن أمور العالم كلها خاضعة لإرادة الله عز وجل أدركنا أن الشفاء لا يحصل للمرضى إلا حين تشاء إرادته سبحانه ، وهذا معنى يتأكد على الدوام بمثل حالات المرضى الذين يعالجون فلا يؤدى العلاج إلى شفاء حين يكون الشفاء متوقعا من الطبيب المعالج ، وحالات لمرضى يئس الطب من شفائهم فشفوا على غير ما ينتظر المعالجون ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى » .

وقد يظن بعض الناس أن الإنسان إذا أخذ بأسباب العلاج مما يصيبه من الأمراض يكون عمله هذا منافيا مع التوكل على الله وهو إحدى صفات المؤمنين الذين قال عنهم سبحانه : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون » .

قد يظن البعض ذلك ، والحقيقة أن التوكل على الله لا يتنافى مع الأخذ بأسباب العلاج ، كما لا يتنافى مع التوكل على الله أن يأكل الإنسان ويشرب ليدفع عنه خطر الجوع والعطش ، وأن يتجنب كل ما يمكن أن يؤدى إلى وقوعه فى الأمور الضارة ، وذلك لأن كلا مقدور لله تبارك وتعالى ، فكما أن المرض قدر لله عز وجل فمحاولة الاستشفاء منه هى انتقال من قدر لله إلى قدر له سبحانه .

فمحاولة التداوى إذن لا تخرج عن محاولة الانتقال من قدر الله إلى قدر الله عز وجل ، والمريض لا يشفى إلا بإذن

الله سبحانه ، لأن الله جلت قدرته هو الذى خلق الأسباب وجعل لها خاصية الشفاء، وليس للمعالج إلا محاولة الاهتداء إلى هذه الأسباب التى جعل الله لها هذه الخاصية . ( نيل الأوطار جـ٨ صـ ١٦٨ ) ولهذا نرى أنه يحدث فى بعض الأحيان أن يتعاطى المريض الدواء ومع ذلك فلا يظهر أثره فى العلاج ، لأنه قد يحصل منه - كما يقول ابن حجر - مجاوزة الحد فى الكيفية أو الكمية ، فلا ينجح بل ربما أحدث داء آخر ( فتح البارى جـ ١٠ صـ ١٠٤ ، ١٠٥ ) .

وقد أخذ النبى صلى الله عليه وسلم - وهو الأسوة الحسنة لكافة أفراد الأمة - بالأسباب ولم يتناف ذلك مع ما فيه عليه الصلاة والسلام من صفة التوكل على الله جل وعلا ، فقد أمر الرماة بحماية ظهر جيش المقاتلين المسلمين فى معركة أحد ، وأمر بحفر الخندق حول المدينة فى إحدى معاركه ، وأذن للمسلمين أن يهاجروا من ديارهم إلى الحبشة وإلى المدينة ، وهاجر هو أيضا إلى المدينة ، وأكل وشرب دفعا للجوع والعطش ، وادخر لأهله القوت اللازم لهم ، ولم ينتظر أن ينزل الله عليه من السماء شيئا من ذلك وهو أحق خلق الله أن يحصل له لو كان ذلك يحصل ، وعندما يسأله أحد المسلمين : أيعقل ناقته أو يتوكل ؟ يقول له عليه الصلاة والسلام « اعقلها وتوكل » ( نيل الأوطار جـ ٨ صـ ١٦٩ ) .

فالإسلام إذن يحرص على صحة الإنسان وهو يحثه على التداوى ممن تهيأت لهم أسباب العلم بأدواء الأجسام ، فهيأوا أنفسهم للاضطلاع بأعباء هذا العمل الجليل ، فتأهلوا له بما يجب من أنواع المعرفة بالأمراض وطرق علاجها ، ولذلك نجد أن كثيرا من علماء المسلمين ينحون ناحية طب الأجسام فاتخذوها ميدانا من ميادين اهتمامهم ، وبذلوا من فكرهم وجهدهم ما بلغوا به القمة فى النبوغ وذيوع الصيت ، مثل الرازى ، والمجوسى وابن سينا ، وابن زهر وغيرهم من أساطين الطب الذين تربعوا على قمة هذا العلم ودان لهم العالم بكثير من بحوثهم وتجاربهم ( مقدمة ابن خلدون صـ ٤١٣ ) .

والأمر الطبيعى أن لا يزاول علاج المرضى إلا من تأهل بصفات وقدرات ومعارف خاصة تعطيه حق وصف الدواء

لمن نزل به مرض من الأمراض ، وهو أمر يوجبه العقل والشرع ، وإلا يكون قد عرض حياة الناس الذين يصف لهم دواءه لخطر قد يفوت فى كثير من الأحيان تداركه .

وقد ورد الإرشاد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن الإنسان ينبغى له أن يختار من هو أكفأ وأقدر على معرفة العلاج اللازم له ، فقد روى أن رجلا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم جرح فاحتقن الدم ، فدعا الرجل رجلين من بنى أنمار ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيكما أطب ، فقال : أو فى الطب خير يا رسول الله ، فقال « أنزل الدواء الذى أنزل الداء » قال ابن القيم بعد أن ذكر هذا الحديث الشريف : فى هذا الحديث أنه ينبغى الاستعانة فى كل علم وصناعة بأحذق من فيها فالأحذق ، فإنه إلى الإصابة أقرب ، وهكذا يجب على المستفتى أن يستعين على ما نزل به بالأعلم فالأعلم ، لأنه أقرب إصابة ممن هو دونه ، وكذلك من خفيت عليه القبلة فإنه يقلد أعلم من يجده ، وعلى هذا فطر الله عباده كما أن المسافر فى البر والبحر إنما سكون نفسه وطمأنينته إلى أحذق الدليلين وأخبرهما ، وله يقصد وعليه يعتمد ، فقد اتفقت على هذا الشريعة والفطرة والعقل . ( زاد المعاد ج ٣ ص ١٠٧ ) .

ولكنه يحدث فى بعض الأحيان أن يتهجم بعض البعيدين عن هذا الفرع من التخصص على ما ليس لهم ، فيدعون صفة الأطباء ويتجرأون على وصف الدواء وعلاج المرضى ، مما قد يسبب الإيذاء لبعض من رماهم سوء الحظ بأيديهم ، أو يؤدى إلى هلاك نفوسهم دون ذنب إلا أن المصادفات ساقتهم إلى من لا يراعون الله فى أعمالهم .

وعلماء الأمة الإسلامية كلهم قد أجمعوا على أن الجاهل بالطب إذا أقدم على علاج الناس يكون مسئولا عما أتلفه بسبب جهله وتهوره ، يقول الخطابى : « لا أعلم خلافا فى أن المعالج إذا تعدى فتلف المريض كان ضامنا ، والمتعاطى علما أو عملا لا يعرفه متعد » ( سبل السلام للصنعانى ج ٣ ص ٢٥٠ ) .

ويقول ابن قيم الجوزية : « والطبيب الجاهل إذا تعاطى علم الطب وعمله ولم يتقدم له به معرفة فقد هجم بجهله على

إتلاف الأنفس وأقدم بالتهور على ما لا يعلمه ، فيكون قد غرر بالعليل فيلزمه الضمان ، وهذا إجماع من أهل العلم » (زاد المعاد جـ ٣ صـ ١٠٩).

وقد استند علماء الأمة فى هذا الحكم الذى قرروه، وهو مسئولية المعالج الجاهل إذا أدى جهله إلى الإضرار بالمريض ، إلى حديث مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه : « من تطبب (أى تكلف الطب ولم يكن طبيبا) ولم يكن بالطب معروفا ، فأصاب نفسا فما دونها فهو ضامن» (سبل السلام جـ٣ صـ ٢٥٠) .

ويرى ابن القيم التفرقة فى هذا المجال بين أمرين هما : حالة ما إذا علم المريض بجهل من استدعاه لعلاجه ، وحالة ما إذا لم يعلم بجهله .

فأما الحالة الأولى وهى ما إذا كان المريض عالما بأن الشخص الذى سيقوم بعلاجه جاهل بأمور الطب وأذن له المريض فى أن يداويه كانت المسئولية حينئذ واقعة على عاتق المريض نفسه ، لأن التقصير قد وقع منه ، فلم يتحرز عن معالجة هذا الجاهل مع علمه بجهله وعدم معرفته أصول مايزاوله من وصف الدواء ولا يضمن الشخص الجاهل الذى تجرأ على وصف الدواء ، لعلم المريض بحاله .

وهنا . يجيب ابن القيم عما قد يعترض به البعض من أن الحديث الشريف السابق وهو : «من تطبب ولم يكن بالطب معروفا فأصاب نفسا فما دونها فهو ضامن» قد لا يؤيد ما يقوله ابن القيم من حكم فيقول : « ولا يخالف هذه الصورة ظاهر الحديث ، فإن السياق وقوة الكلام يدل على أنه غر العليل وأوهمه أنه طبيب وليس كذلك » .

وأما الحالة الأخرى وهى حالة ما إذا لم يعلم المريض بجهل من ادعى معرفته بالطب ، فظن المريض أنه طبيب وأذن له فى أن يصف له من الدواء ما يلزمه ، ففى هذه الحالة إذا نتج عن علاجه الذى وصفه ضرر للمريض يكون هذا الجاهل مسئولا حينئذ عما جنته يداه ، والحديث الذى معنا ظاهر فى هذا الحكم أو صريح فيه . (ابن القيم زاد المعاد جـ٣صـ ١٠٩).

هذا هو مايراه ابن القيم ، ونحن نرى أن تفرقة ابن القيم بين هاتين الحالتين فى الحكم لا مبرر لها ، بل يجب أن يؤاخذ

(البقية على ص ٦١)

## حول تطور المجتمع الإسلامي :

# القضية والمنهج

للأستاذ ابراهيم الخولي

— ٣ —

من أهم ما يجب أن يعنى به من يتصدى لمعالجة قضية من شأنها أن تثير الجدل والنقاش أن يدقق فى استخدام مفاهيمه ومصطلحاته .. ويحددها تحديدا قاطعا يمنع من اللبس .. ويسد الطريق على من يحاول المراء أو الجدال بغير التى هى أحسن !!

ومن هنا كان لزاما أن نقف وقفة نكشف فيها عما نعنيه بقولنا : « مجتمع الإسلام » وهل يختلف عما نقصده حين نقول : المجتمع الإسلامى ؟!

فرق كبير بين ما نعنيه بهذين المصطلحين !!

« مجتمع الإسلام » هو مجتمع يلتزم بالقرآن الكريم التزاما تاما ويستمد منه توجيه لا يحيد عنه فى شأن من شئون الحياة !

هو مجتمع يؤسس فكره على عقيدة القرآن .. ويبنى أخلاقياته على قيم القرآن .. ويقيم علاقاته الداخلية والخارجية على مبادىء القرآن !!

هو مجتمع تقاس الحياة فيه قياسا مباشرا بمعايير القرآن . اعرضها على كتاب الله ، فإذا بالتطابق بين حياة هذا المجتمع وبين توجيه القرآن — هو السمة الغالبة على سلوك الفرد .. وهو الطابع السائد فى سلوك الجماعة .. وهو الخصيصة العامة المميزة لصورة المجتمع ..

وما عدا هذه الخصيصة .. وذاك الطابع .. وتلك السمة .. إنما هو شذوذ لا يؤثر فى اطراد القاعدة .. ومنكر لا ينقلب — بحال — معروفا .. شذوذ ومنكر يقابلهما المجتمع بالرفض والإدانة ويأخذ أصحابهما بما يلائم من تقويم وإصلاح .. أو زجر وعقاب !

« مجتمع الإسلام » مجتمع تكامل فيه ضمير الفرد .. وضمير الجماعة وأصبح للمجتمع منهما درع واقية تحمى حياة القرآن فيه .. بالتصدى لكل من تطوع

له نفسه أن يخرج على تعاليمه وحدوده ! في عبارة ملخصة : هو مجتمع يحيا فيه القرآن حياة حقيقية . تتمثل في التزام الفرد والجماعة اعتقادا . . وسلوكا بالقرآن .

هذا ما نعنيه بمجتمع الإسلام ! !

أما المجتمع الإسلامي فشيء مختلف !

هو مجتمع ينتمي للإسلام . . كما ينتمي أحدنا لأبيه في شهادة الميلاد . وكما ينتمي لوطنه بشهادة الشهادة الجنسية مثلا . . وهو بهذا الانتماء يجعل من الإسلام عنوانا عليه . . يميزه عن مجتمعات أخرى ليس لها هذا الانتماء ! ! تماما كما نقول : « العالم الإسلامي والعالم المسيحي ! » .

هذا الانتماء للإسلام شيء والالتزام به في حياة المجتمع شيء آخر . .

قد يحرص مجتمع ما على الانتماء للإسلام ويبلغ في هذا الحرص إلى درجة التعصب . . ومع هذا فحظه من الالتزام بالإسلام وتوجيهه في الحياة لا يتعدى نصا أو بضعة نصوص يتضمنها دستوره تعبيرا عن هذا الانتماء الذي قلما ترجم إلى التزام واقعي يتمثل في تطبيق الإسلام على الحياة . .

وانتماء مجتمع ما للإسلام قد يكفي لأن نسميه « مجتمعا إسلاميا » . ولكنه لا يكفي لأن يسمى « مجتمع الإسلام » فلابد لقيام « مجتمع الإسلام » من الالتزام بتوجيهه للحياة التزاما كاملا وهو أمر - كما ترى - وراء الانتماء وفوق الانتماء ! !

ووفقا لهذين المعيارين : الانتماء « والالتزام » نستطيع أن نصنف المجتمعات التي استظلت بالإسلام وضمها تاريخه - وأن نصفها وصفا يطابق حقيقتها فالمجتمع الذي وقف حظه من الإسلام عند حد الانتماء « مجتمع إسلامي » - والمجتمع الذي تجاوز هذا الحد والتزم بالقرآن توجيها للحياة « مجتمع إسلام » ! !

وعلى ذلك نستطيع أن نصدر حكما صحيحا على مجتمعات العالم الإسلامي المعاصر .

ترى : أيمكن أن يقال عن « تركيا » و « أندونيسيا » و « الصومال » و « باكستان » و « بنجالاديش » مثلا إنها « مجتمعات إسلام » !

وهل نستطيع أن نجد في مجتمعات العصر الأموي والعصر العباسي وما تلاهما من عصور ما نسميه بحق « مجتمع إسلام » قد تختلف النظرة . . ويختلف الحكم ومرد الاختلاف إلى طبيعة المعايير

والمقاييس التى يطبقها هذا الباحث أو ذاك لكن الاحتكام إلى معيار متفق عليه يذيب هذا الاختلاف ويقضى على الخلاف

فلنطبق المعيار الذى وضعناه !! هذه المجتمعات التى عددناها .. ما نصيبها من الإسلام ؟! أهو الانتماء إليه .. أم هو الالتزام به !!

إن كان الأول فهى مجتمعات إسلامية وحسبها ذلك .. وإن كان الثانى فقد سمت بنفسها لتكون مجتمع الإسلام !!

فى هذه الدراسة - وهى تعالج أخطر قضايا المجتمع الإسلامى المعاصر - يجب أن لا نستقبل التاريخ بعواطفنا فقد تكون هذه العواطف التى تحيط تاريخنا الإسلامى شيئا محمدا ... لكنها بالقطع تصبح شيئا غير محمود إذ سمحنا لها بالتدخل لتفسد علينا الرؤية الصحيحة فى مجال الدرس والبحث - وحيث يكون الهدف أخذ العبرة والإفادة من دروس التاريخ التى بدونها لا نستطيع أن نتطلع إلى مستقبل أفضل للإسلام وللمسلمين !!

لن نحتكم لعواطفنا فى وزن تاريخنا الإسلامى .. ولن نقنع بالمعايير الموضوعية التقليدية التى تتبع فى الحكم على التاريخ والمقارنة بين المجتمعات .. فهذه المعايير - مهما بلغت - لن ترقى إلى مستوى معايير القرآن ... التى لا نملك ولا نرتضى سواها فى تحديد « مجتمع الإسلام » ... وفى التفرقة بينه وبين ماعداه من مجتمعات !!

وهنا لا بد من التنبيه إلى حقيقة أرجو أن توضع فى الاعتبار كأساس لهذه الدراسة ... تلك أننا قد ندين مجتمعا معينا طبقا لمعايير القرآن حين نراه انحرف عنها ... بينما هو نفسه قد يفضل غيره من كثير من المجتمعات - برغم هذا الانحراف - إذا قسناه بالمقاييس المعروفة المألوفة فى قياس المجتمعات مما يضعه المؤرخون ، وعلماء الاجتماع !!

المسألة إذن نسبية .. والأحكام هنا ليست أحكاما مطلقة ...

قد نقول مثلا .. إن معاوية - غفر الله له - حول نظام الحكم فى المجتمع الإسلامى عن قاعدة « الشورى » إلى نظام شبه ملكى وراثى .

ولكن قد يقال كذلك أن عصر معاوية ومجتمعه كان فى جملته خيرا من كثير مما تلاه من عصور ومجتمعات أموية أو عباسية مع ما يبدو من انحرافه إذا ما قارناه

بعصر أبى بكر أو عمر بله «عصر النبوة»!!

هذه «النسبية» فى الأحكام تفسر لنا ما قد يبدو من خلاف بل صدام بين ما قد نقرره نحن من إدانة لمعاوية لانحرافه بالمجتمع عن صراطه السوى فى التطور على نهج القرآن.. وبين مايقرره آخرون عن يقيسون معاوية بمقاييس أخرى يرونه من خلالها رجل الدولة الممتاز.. والحاكم الحازم.. والسياسى الأريب!!

اختلفت الأحكام لاختلاف المعايير..

وقد يبدو ماء النهر صافيا نقيا فى نظر من ألف الشرب منه والاستحمام فيه. ولكنه قذر ملوث فى نظر من يعرف قوانين الصحة.. ويعى مواصفات الماء الصالح للشرب، ويدرك معنى النظافة والنقاء فيه!!

وحقيقة أخرى تكمل سابقتها ومؤداها أننا ننظر إلى الإسلام - كما هو فى القرآن - على أنه نظام شامل للحياة.. من أبسط شئون الفرد.. إلى أعقد مشكلات الجماعة ومن تدبير الأسرة إلى سياسة المجتمع الخ.

وهذا النظام الشامل مستويان:

مستوى يطبق على حياة الفرد ويمكنه أن ينهض به استقلالا!

ومستوى يطبق على حياة الجماعة.. وتضطلع هى به أساسا!

ومع أن بين المستويين تداخلا وتشابكا فالتمييز بينهما كما هو ضرورى للبحث والدراسة هو حقيقة قائمة بالفعل والواقع!

من الإسلام إذن ما ينهض به الفرد وحده.. حتى ولو كان منقطعا فى رأس جبل أو معتزلا فى كهف!!

أليس هو هناك يستطيع أن يصلى، وأن يصوم، وأن يرسل بزكاته إلى حيث يوجد من يستحقها، وأن يفد إلى بيت الله متى وافاه موسم الحج وتهيأت له أسبابه؟!

بل!! إنه يستطيع تطبيق هذا القدر من الإسلام فى نطاقه - كفرد - ولو كان وحده بعيدا عن الناس! ولا شك أن هذا القدر من تنظيم الإسلام للحياة، والخاص بحياة الفرد تكليفا وممارسة هو أساس ترتكز عليه حياته كعضو فى الجماعة فمن هذه الدائرة الفردية، تنبع أصول الحياة الاجتماعية على نحو وثيق، يجعل من الصعب الفصل بينهما رغم تمايزهما!

ما أشبه حياة الفرد بما يخصها من نظام الإسلام داخل حياة الجماعة بدائرتين متمركزتين، تستقر إحداهما داخل

الأخرى ، وأستطيع رغم اتحادهما فى المركز ورغم أن أى قطر ترسمه لإحداهما يخترق الأخرى ويصل ما بينهما ، فأنت قادر أن تمايز بينهما وتنظر إليهما كشيئين رغم ما بينهما من اتصال !!

ولعل هذا الانفصال والاتصال بين الدائرتين الفردية والجماعية فى النظام الإسلامى هو ما يشير إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقول : « بنى الإسلام على خمس ... » الحديث !! فهذه الخمس من الإسلام بمنزلة الدعائم من البيت ليست هى كل البيت ، ولكنها ضرورية لا قيام له بدونها !! هذه الخمس هى دعائم الإسلام وأركانه .. ولكنها ليست الإسلام كله !!

ومن الإسلام مالا ينهض به الفرد وحده .. ولا يناط به أمره تكليفا وممارسة !! وإنما تنهض به الجماعة ويدخل فى إطار مسئوليتها الجماعية أساسا ثم يكون دور الفرد فيه . دورا ليست له صفة الاستقلال كما كان الشأن فى القدر الخاص بحياته .. وإنما هو دور لا يلتمس له أداؤه إلا من خلال حركة الجماعة .. وفى إطارها !! .

مثلا : أمن المجتمع .. فى الداخل .. والخارج !! أهو من مسئولية الفرد أم من مسئولية الجماعة أساسا . تمارسها من خلال حاكمها المسلم !! هل يملك الفرد المسلم إعلان الحرب كما يملك أداء صلاته مثلا وتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الناس على أساس من العدل والتكافل - أهو من مسئولية الفرد أم من مسئولية الجماعة ؟ هل يملك فرد مثلا أن يضع حدا أعلى للملكية أو الدخول ؟ قد يكون للفرد هنا دور يتمثل فى أخذه نفسه بما يلزمه الوفاء به . وفى دفعه الآخرين ليفوا بما يلزمهم كذلك - أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر - لكن المسئولية فى جوهرها تظل فى النهاية مسئولية الحاكم يمارسها باسم الجماعة .. وتحاسبه الجماعة إذا قصر فى الوفاء بها ! .

لأمر ما يجمع الله وهو يمتن على عباده بإرسال الرسل . بين هذه المقومات الثلاثة : الكتاب ، الميزان ، الحديد . « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط . وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد » .

إن الكتاب يوضح معالم الحق ، والميزان

يرسى أسس العدل - فما شأن الحديد معهما ؟ ! إنه رمز لما يقتضيه إقرار الحق والعدل من قوة التنفيذ أو سلطة التطبيق التي بدونها يصبح الحق لغوا من القول ، والعدل مجرد صيحة في واد ! .

هذا المستوى الثاني من الإسلام — لا يناط بالأفراد - كأفراد - مسئولية تطبيقه . . لأنه يتجاوز حدود قدرتهم - وإنما هو منوط بالجماعة - من حيث هي جماعة - وحين يترك أمره للأفراد وتتخلى الجماعة عن مسئوليتها تجاهه - فقد استحال تطبيقه ، وعطلت أحكام القرآن وتوجيهه الخاص به ! ! .

وهذا المستوى الثاني من الإسلام . وهو الجانب الجماعي فيه ، هو الذي يحدد وجود مجتمع الإسلام وتطبيق هذا الجانب هو شرط قيام هذا المجتمع وبدونه لا يكون هناك مجتمع إسلام « بالمفهوم الذي حددناه — حتى ولو كان تطبيق المستوى الأول مستوى حياة الأفراد كاملا غير منقوص ! .

على أن تصور تطبيق المستوى الفردي تاما كاملا - مع توقف المستوى الآخر عن التطبيق إنما هو افتراض نظري بحت فكلاهما وثيق الصلة بالآخر يتأثر به كما يؤثر فيه ! .

في ضوء هذا كله : ألا يحق لنا أن نقول عن مجتمع - كل أفراده - وبهذا التعميم جدلا - يصلون ويصومون - ويزكون ويحجون الخ . وينفذون كل ما نيط بهم داخل إطار الفرد من تطبيق الإسلام - بينما الجانب الجماعي من الإسلام معطل لا يطبق فيه - ألا يحق لنا أن نقول أنه ليس مجتمع الإسلام وإن كنا لا ننكر أنه مجتمع إسلامي ! .

ها نحن أولاء أمام مجتمع كل أفراده مسلمون . . وكلهم يطبق من الإسلام ما يخصه كفرد ومع هـــذا لا يسمى « مجتمع إسلام » !!

لقد جعلنا من الالتزام بالإسلام معيارا وفيصلا للحكم بأن هذا « مجتمع الإسلام » ، أو « مجتمع إسلامي » ، ونزيد هنا أنه لا يكفي لقيام « مجتمع الإسلام » التزام الفرد بما يخصه فهذا الالتزام من جانبه - لا يعكس حياة « مجتمع الإسلام » وإنما يعكس حياة « فرد مسلم » مجرد حياة فردية يمكن أن توجد في قلب مجتمع - كما توجد في صحراء أو في كهف من الكهوف !!

قوام « مجتمع الإسلام » وشرطه الضرورى هو التزام الجماعة بما يخصها.. وتطبيقها إياه ومع التزامها هذا يدور « مجتمع الإسلام » وجودا وعدما !!

إن المظهر الاجتماعى شىء غير السلوك الفردى الأخير تعكسه حياة الفرد. بينما الأول تعكسه حياة الجماعة !!

والسؤال الآن : ما العلاقة بين « الإسلام » و« مجتمع الإسلام » ؟ وهل بينهما تلازم فى الوجود ؟ إن « الإسلام » هو الصورة النظرية « لمجتمع الإسلام » و« مجتمع الإسلام » هو الواقع العملى للإسلام أو هو الإسلام مطبقا فى واقع الحياة !!

والإسلام النظرى حى خالد فى مصادره والإسلام لواقع وحياة لا يوجد إلا فى مجتمع تنطبق عليه خصائص ومواصفات « مجتمع الإسلام ».

حينما يحدث انفصام بين المجتمع.. وبين توجيه القرآن.. يصبح الإسلام فكرا ودعوة تنتظر التطبيق. وحين يلتزم المجتمع بالقرآن يصبح الإسلام واقعا وحياة !!

فالإسلام فى وجوده يأخذ صورا ثلاثا لا يعدوها.

١ - صورة فرد مسلم اعتنقه والتزمه سلوكا واعتقادا !!

٢ - صورة مجتمع جعله عنوانا عليه وصاغ حياته على صورة فيها من خصائص الإسلام ما يبرر انتماء هذا المجتمع إليه كما يتمثل فيها ما يمنع وصفه بأنه مجتمع إسلام.

٣ - صورة مجتمع التزم الإسلام التزاما كاملا على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة وأصبحت الحياة فيه تمثل تطبيقاً عمليا حقيقيا للقرآن !!

وكل صورة من هذه الثلاثة قد توجد دون التى تليها. لكن كل منها يقتضى وجوده وجود ما قبله حتما !!

« فرد مسلم »، « مجتمع إسلامى »، « مجتمع إسلام ».

« مجتمع الإسلام » يصدق عليه أنه « مجتمع إسلامى » وليس العكس !!

والمجتمع الإسلامى يقتضى وجود أفراد مسلمين دون العكس.

قد يوجد مجتمع إسلامى دون « مجتمع الإسلام » !!

وقد يوجد فرد مسلم أو أفراد ولا يوجد « مجتمع إسلامى » فضلا عن

« مجتمع الإسلام » لقد قال عليه السلام: « ليدخلن هذا الدين كل ما دخل عليه الليل » !!

وقد حقق التاريخ نبوءته وشهد بصدقها فليس في عالم اليوم دولة لا يوجد من بين أهلها من دخل في الإسلام !! وعواصم العالم الكبرى وفيها من يدين بالمسيحية .. « ومن ازور عن الدين ازورارا .. كل هذه العواصم تضم مساجد ترتفع مآذنها في أجواء الفضاء تعلن كلمة التوحيد ليلا ونهارا !!

لقد دخل الإسلام كل ما دخل عليه الليل وصدق رسول الله .. لكن : أن يدخل الإسلام كل ما دخل عليه الليل شيء .. وأن يصير كل ما دخل عليه الليل مجتمعا إسلاميا شيء آخر فرق إذن بين « مجتمع الإسلام » « والمجتمع الإسلامى » كالفرق بين « الالتزام » بالإسلام ..

ومجرد « الانتماء » إلى الإسلام ؟

إبراهيم الخولى

---

( بقية المنشور على صفحة ٥٣ )

الجاهل المتطبب في كلتا الحالتين ، أى سواء أكان المريض يعلم بحاله من الجهل أم خفى عليه جهله ، ويؤيد هذا الرأى أمران :

الأمر الأول : أن لفظ هذا الحديث الشريف عام ، وهذا ما يفيده التعبير بلفظ « من تطبب » ، فإن « من » من ألفاظ العموم ، ومعناها حينئذ كل من تطبب ، فيشمل الحديث بيان ضمان الطبيب الجاهل بغض النظر عن علم المريض بجهله وعدم علمه .

الأمر الثانى : أن المتطبب أى مدعى الطب وهو جاهل به لا شك فى أنه متعمد بفعله هذا ؛ ولا يسلب عنه صفة التعدى كون المريض عالما بجهله ؛ وكل من كان متعديا بفعله يضمن ما ترتب على تعديه .

فالرأى الذى نميل إلى الأخذ به إذن هو ضمان الجاهل الذى يجرؤ على علاج المرضى ؛ سواء أكان المريض يعلم بجهله أم ظن به العلم والقدرة على وصف العلاج اللازم ؛ والله أعلم ؟

د . محمد رأفت عثمان

# النقد الأدبي في مجلس عبد الملك بن مروان

للأستاذ سيد قرون

من حكايات المبرد في الكامل أن رجلا من أهل الكتاب وفد على معاوية، وكان موصوفا بقراءة الكتب، فقال له معاوية: أتجدني في شيء من كتب الله؟ قال: إي والله لو كنت في أمة لوضعت يدي عليك من بينهم، فقال كيف تجدني؟ فحدثه ذلك الرجل بأمره وعن الملك وما يصير إليه من بعده، وعرفه أن الأمر سيخرج من ولده إلى رجل أعرف نعته وهو من آلك لا يزال لعدوه قاهرا، وعلى من ناوأه ظاهرا. قال معاوية. أتعرفه إن رأيته؛ قال: شدما. فأراه من في الشام من بني أمية. فقال: ما أراه ها هنا فوجه به إلى المدينة مع ثقات من رسله فإذا عبد الملك يسعى مؤتزرا في يده طائر فقال للرسل: ها هوذا، ثم صاح به: أبو من؟ قال: أبو الوليد. قال: يا أبا الوليد: إن بشرتك ببشارة تسرك، ما تجعل لي! قال وما مقدارها من السرور حتى نعلم مقدارها من الجعل؟ قال: أن تملك الأرض، قال عبد الملك: مالي من مال ولكن أرأيتك إن تكلفت لك جعلا أأنال ذلك قبل وقته؟ قال: لا. قال: فإن حرمتك أتؤخره عن وقته؟ قال: لا، قال فحسبك ما سمعت. وهذا سر إكرام معاوية عبد الملك ليحسن معاملة بنيه إذا أفضى الأمر إليه.

والذي يعنيني من تلك الحكاية الحوار الذي دار بين عبد الملك والرجل المتنبيء أو المبشر، فإن ما جاء على لسانه يدل على عقل حصيف، وتصرف حكيم وما يروى عن أهل الكتاب مع خلفاء المؤمنين له بحث آخر.

كان عبد الملك موضع إعجاب قومه من صغره خاصة ومن قريش عامة، يصفونه بالعلم والتدين والعمل الصالح، أبوه يستشيره في كل أمر جل أو هان ومعاوية يصفه بالعقل وحسن المروءة. جلس ذات يوم ومعه عمرو بن العاص فر بهما عبد الملك فقال معاوية: ما آدب هذا الفتى وما أحسن مروته! فقال عمرو: يا أمير المؤمنين: إن هذا الفتى أخذ بخصال

أربع وترك خصالا ثلاثا : أخذ بحسن الحديث إذا حدث ، وحسن الاستماع إذا حدث ، وحسن البشر إذ لقى ، وخفة المئونة إذا خولف ، وترك من القول مايعتذر عنه ، وترك مخالطة اللئام ، وترك ممازحة من لا يوثق بعقله ومروءته . وكان ذاهمة عالية ، سئل عن مدى حزنه على عثمان يوم الدار ، فقال : شغلني الغضب له عن الحزن عليه ، ولا عجب أن يأخذ الإمام مالك بأعماله وأقواله ، وكل ذلك راجع إلى حسن تربيته ، واستعداده الطبيعي وتفاعله مع ثقافة عصره وأحداثه .

ولد عبد الملك بن مروان سنة ست وعشرين من الهجرة حين كانت سيادة قريش تمتد شرقا وراء حدود الفرس وغربا على مشارف إفريقية ( تونس ) والخليفة يومئذ عثمان بن عفان رضى الله عنه ابن عم أبيه ، وأبوه كان الأثير والوزير والمستشار لدى عثمان وصاحب الكلمة النافذة ، فنشأ عبد الملك في تلك البيئة الكريمة ، وعلى حين غفلة - يوم عقل - رأى الأمور تتغير ، والأحوال تتبدل ويرى شراذم من مصر والكوفة والبصرة يحاصرون دار الخليفة ويرى نفسه وأباه ونفرا قليلا يدافعون عنه والذئاب تعوى مطالبة بعزل الخليفة ومحاكمة أبيه وتقتل الخليفة ، ويترك هذا الحادث في نفسه أثرا لا يمحى .

ويطول الصراع وينتهى الأمر إليه ، ويصبح أمير المؤمنين بعد صعاب وعقاب لا يمكن أن نفصلها هنا في هذا المقام .

هذه صورة مصغرة لعبد الملك تعطيك لمحة من شمائله ، وجانبا من خيالات الناس حوله ، ولن تجد خليفة مثله دارت حوله الأساطير والخرافات إلا ما تراه حول هارون الرشيد ، وإذا كانت «ألف ليلة وليلة» عنيت بالرشيد فهى مع عبد الملك أكثر عناية ، ذلك أن عبد الملك أبدى من ضروب البطولة في الحرب والإدارة والعلم والأدب ماجعله حديث عصره والعصور التي تلته حتى يومنا هذا ، وأنا لا أقصد بهذا كله أن أذكر تاريخه وإنما هو ضوء أمام أدبه وحبه للشعر ونقده فالكلمة عنده لها قداستها ، وبيت من الشعر يدفعه إلى الحرب أو العمل أو العفو عن المسىء ، وكأنه يأمره فيطيع ،أو يشير إليه فيتبع ،وهو لا يقبل إلا أحسن القول وأصدقه ، وأحكمه

وأقواه، أو بتعبير أدق لا يعجب من الأدب إلا أدب القوة .

ونحن إذا ذكرنا نقده الأدبى فلا نعنى ذلك النقد القائم على الدراسة، ومدارس الأدب ، ومذاهب القول التى أقيمت لها القواعد والأسس ، وطال فيها جدل علماء البلاغة وجهابذة الكلام ، فذلك النقد لم يتهيأ كما ينبغى إلا فى أواخر القرن الرابع الهجرى ثم القرن الخامس حيث أبو هلال العسكرى فى كتابه «الصناعتين» وعبد القاهر الجرجانى فى كتابيه: «أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز» . وهو إذا نقد شعرا فليس وكده أن يحلل ويعلل وينظر إلى طبيعة الشعر ولفظه وموسيقاه ومعانيه وخيالاته ، ومدى تأثر الشاعر بيئته وثقافته وعصره ، لا يفعل ذلك ، وإنما يعطيك تذوقا ذاتيا ، والتذوق الذاتى - فى نظرى - أول مراحل النقد وثمرتها معا . وما ظنك برجل وهب نفسه فى صباه وشرخ شبابه للقرآن الكريم والحديث الشريف ومجالس العلم، ورفده كثير من الشعر والخطب وأقاصيص الحياة الجديدة التى نشأت مع الجهاد فى سبيل الله بمنظور الإسلام ، لا شك أنه وعى ما وعى ، وحصل ما طبعه على الفكر الجيد ، والنظر المصيب ، فلا يستخفنا العجب حين نرى كتب الأدب التى ظهرت فى العصر العباسى كالكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ ، والأمالى لأبى على القالى وغيرها قد زخرت بمجالس عبد الملك وحفظت كثيرا من مناقشاته وآرائه ، ويأخذك البهر إذا رأيته بعد فى زمرة [1] العلماء والفقهاء ومع ذلك فهو الأديب الناقد كما قلنا ، ومختارته من الشعر تدل دلالة قاطعة على فهمه الشعر ومهمة الشاعر ، وكل نقد وجهه عد مثالا لمآخذ الشعراء فيما بعد حين ألفت الكتب ، وظهرت أصول النقد ، وكثير من نقده كان أصلا فى بابه .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أذكر أن النقد الأدبى والبلاغة العربية لا يزالان فى حاجة إلى الدرس والبحث والتقصى من جديد فما عندنا اليوم من النقد أصداء لما درسه نقاد عصرنا من النقد فى أوروبا ، وأصبحت مقاييس النقد هناك تطبق على شعرنا ونثرنا تطبيقا

(١) مقدمة ابن خلدون .

حرفيا دون نظر إلى اعتبارات الزمان والمكان والشخوص والعادات والتقاليد ومفاهيم الحياة ، ورجائى أن نصل بهما كما وصل أسلافنا بالنحو والصرف إلى القمة التى ليس بعدها قمة للكشف والزيادة .

ولنعود إلى عبد الملك ونقده ومجالسه ، وخضوعه للشعر ، واهتمامه البالغ له ، فإذا أردت دليلا على ماتقول ، فالدليل حاضر ، والشاهد موجود . انظر إليه وقد حز به الأمر ، وتفاقم عليه الخطب حين كان فى حرب دامية مع مصعب ابن الزبير ، يرسل الجيش بعد الجيش فيرتد منهزما ، فعزم على الخروج إليه بنفسه ، ولبس عدة الحرب ، وتهيأ للقتال ، وهنا اعترضته زوجه عاتكة بنت يزيد بن معاوية قائلة له : يا أمير المؤمنين لو أقمت وبعثت إليه لكان الرأى ، فقال : ما إلى ذلك من سبيل ، فلم تزل معه تمشى وتكلمه حتى قرب من الباب ، فلما يئست منه رجعت فبكت وبكى حشمها معها . فلما علا الصوت رجع إليها فقال : وأنت أيضا ممن يبكى . قاتل الله كثيرا كأنه كان يرى يومنا هذا حيث يقول :

إذا ما أراد الغزو لم يثن همه ... حصان عليها نظم در يزينها

نهته فلما لم تر النهى عاقه ... بكت فبكى مما شجاها قطينها

هاتف الشعر لا يفوته كما لم يفته فى أى موقف آخر ، ودواعى المجد والفتوة لا يسابقه فيها أحد ، فهو قد أراد الغزو ومحال أن تثنيه حصان أو قائمة ، وما البكاء والدموع بجانب مايهدف إليه من نصر وحطم جموع ؟

وشبيه بهذا الموقف وأشد دلالة على تلبية نداء الشعر ما حدث له عند حرب عبد الرحمن بن الأشعث ، فقد كتب صاحب اليمن فى ذلك الحين . إنى وجهت إلى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم ، ولم ير مثلها قط ، فلما مثلت بين يديه رأى وجها جميلا ، وخلقا نبيلا ، فألقى إليها قضيبا كان فى يده ، فانحنت لتأخذه ، فرأى منها جسما بهره فلما هم بها أعلمه الآذن أن رسول الحجاج بالباب فأذن له ونحى الجارية ، وقضى حاجة الرسول ، وكانت بشأن الحرب الدائرة مع ابن الأشعث . ثم بات يقلب كف الجارية ويقول : ما أفدت فائدة أحب إلى

منك ، فنقول: وما يمنعك يا أمير المؤمنين فقال : يمنعنى ما قال الأخطل ؛ لأنى إن خرجت منه كنت ألأم العرب :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم
دون النساء ولو باتت بأطهار

ولهذا نعته أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى بأنه « كان جبارا لا يبالى بما صنع » وإذا كان يستجيب لنداء الشعر فيحجم أو يقدم ويحارب أو يسالم ، فهو ينقد الشعر نقد الخبير الذى وهب له نفسه ، وهو صاحب المهام الكبيرة فى تلك الدولة الشابة التى تتراى أطرافها ولا تنتهى معاركها مع أعدائها شرقا وغربا ، وهو على بينة من أمرها ، لا يغفل عن جيوشه ولا يركن إلى ولاته وعماله . تعال معى نغش مجلسا من مجالسه لنرى ما يدور فيه وكيف يوجه المناقشات والمساجلات ، وكيف يصدر الرأى ويورده ؟ قال لجلسائه - وكان يجتنب غير الأدباء - : أى المناديل أفضل ؟ قال قائل منهم : مناديل مصر كأنها غرقئ البيض . وقال آخر : مناديل اليمن كأنها أنوار الربيع . فقال عبد الملك ما صنعتما شيئا ، أفضل المناديل ما قال أخو تميم ، يعنى عبدة بن الطبيب :

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية
وفار القوم باللحم المراجيل
ورد وأشقر ما يؤنيه طابخه
ما غير الغلى منه فهو مأكول
ثمت قمنا إلى جرد مسومة
أعرافهن لأيدينا مناديل

ومناديل أخى تميم هذه تعطيك وجهة نظر عبد الملك نحو الشعر وحياة الفروسية فهو لا يريد للعرب حضارة ولا تطرية ، بل البداوة والقوة هى سبيله والشعر صداها يغنى لها ويتوه بعلاها ، فرسان نزلوا عن خيولهم ، وقام الطهاة بإنضاج اللحوم لهم وهم فى عجلة لا ينتظرون نضجها فكل لحم غيره الغلى أكلوه حتى إذا أصابوا منه قليلا أو كثيراً جعلوا أعراف الخيل مناديل لأيديهم وامتطوها للانطلاق إلى عمل مجيد ، لقد وجه جالسيه إلى ما ينبغى أن يهتم به ، ويتعلق المرء بجدواه .

وفى مجلس آخر . قال لأسيلم بن الأحنف الأسدى: ما أحسن ما مدحت به ؟ فاستعفاه فأبى أن يعفيه وهو على سريره فلما أبى إلا أن يخبره قال قول القائل :

ألا أيها الركب المخبون هل لكم
بسيد أهل الشام تحبوا وترجعوا
من النفر البيض الذين إذا اعتزوا
وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا
إذا النفر السود اليمانون غنموا
له حوك برديه أجادوا وأوسعوا
جلا المسك والحمام والبيض كالدمى
وفرق المدارى رأسه فهو أنزع

فقال عبد الملك: ما قال أخو الأوس أحسن مما قيــل لك:

قد حصت البيضة رأسي فما
أطعم نوما غــير تهجاع

والأبيات التي مدح بها أسيلم وقومه بليغة ولا ريب، تصفهم بالسخاء، والمنزلة العالية والترف وأبهة النعمة والحياة الجميلة ولكن عبد الملك لا يريد هذا، وإنما يريد الشجاعة والاستعداد للحرب ولبس البيضة (الخوذة) فإذا كان أسيلم انحسر شعر رأسه فصار أنزع لترفه، فأخو الأوس لحروبه وملازمته آلة الحرب صار أنزع، وشتان بين حال وحال، وهمة وهمة، وحياة القوة أولى على كل حال. وفي ليلة من الليالي انعقد مجلس عبد الملك وبدأ الشــعراء والأدباء يتحدثون، ويعرضون أحدث ما يقولون واستطردوا فعرضوا بيتاً لنصيب:

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت
أوكل بدعد من يهيم بها بعدى

وقالوا فيما قالوا لم نجد لهذا البيت مذهباً حســناً، وكل عابه. فقال عبد الملك: لو كان إليكم فماذا كنتم قائلين؟ قال رجل منهم كنت أقول:

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت
فواحزنا من ذا يهيم بها بعدى

فقال عبد الملك: ما قلت والله أسوأ مما قاله. فقيل له فكيف كنت قائلا في ذلك؟ قال: كنت أقول:

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت
فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

وهذا مذهبه، وهو من محدثه لا يستغرب، لا بد أن يكون هو لا سواه فالحب عنده لا شيوع فيه، فهي له وهو لها ولا شيء غير ذلك وهو راو للشعر جيد الرواية يتتبع الشعر الجميل أنى وجده ومن أى إنســان قاله، ومن أظرف ما روته الرواة نادرته مع عرار الأسدى.

قالوا: إن الحجاج لما أخذ رأس ابن الأشعث وجه به إلى عبد الملك مع عرار

وكان أسود دميما ، فلما ورد به عليه جعل عبد الملك لا يسأل عن شيء من أمر الموقعة إلا أنباه عرار به في أصح لفظ . وأشبع قول ، وأجزأ اختصار ، فشفاه من الخبر وملأ أذنه صوابا ، وعبد الملك لا يعرفه وقد اقتحمته عينه حين رآه ، فقال عبد الملك متمثلا :

أرادت عرارا بالهوان ومن يرد
لعمري عرارا بالهوان فقد ظلم
وإن عرارا إن يكن غير واضح
فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

فقال له عرار : أتعرفني يا أمير المؤمنين قال : لا . قال : فأنا عرار ، فزاده في سروره ، وأضعف له الجائزة .

وقصته مع ابن قيس الرقيات تدل دلالة قاطعة على تذوقه الشعر ، وحقيقة الصدق فيه ، كان ابن قيس زبيري الهوى فلما قتل مصعب بن الزبير ضاقت به الأرض بما رحبت إذ صار طلبة أمير المؤمنين ، فلجأ إلى عبد الله بن جعفر ليشفع له عنده ، فقبل عبد الملك تلك الشفاعة وعفا عنه ، وعبد الملك كثير العفو عن الشعراء ، وتقدم ابن قيس الرقيات مادحا فقال :

ما نقموا من أمية إلا
أنهم يحلمون إن غضبوا
وأنهم سادة الملو
ك فلا تصلح إلا عليهم العرب

وخصه بالمدح فقال :

يعتدل التاج فوق مفرقه
على جبين كأنه الذهب

فقال عبد الملك أتقول لمصعب :

إنما مصعب شهاب من الله
تجلت عن وجهه الظلماء

وتقول لي : « يعتدل التاج . البيت » ألا ترى معي أنه قد أصاب في اعتراضه واستنكاره ، فهو لا يقبل أن يكون ملكا من ملوك العجم يزينه التاج ولكنه يريد أن يكون خليفة من الخلفاء عليه إشراق الدين ونور التقوى .

ونحن نقول اليوم لكل مقام مقال ، وقد سبقنا عبد الملك إلى ذلك ، دخل أرطاة بن سهية الشاعر عليه ، فقال له : ما بقي من شعرك ؟ فقال : ما أطرب ولا أحزن يا أمير المؤمنين : وإنما يقال الشعر لأحدهما ، ولكني قد قلت :

رأيت الدهر يأكل كل حي
كأكل الأرض ساقطة الحديد

وما تبغى المنية حين تغدو
سوى نفس ابن آدم من مزيد
وأحسب أنها ستكر يوما
توفى نذرها بأبى الوليد

فقال له عبد الملك ما تقول ؟ ثكلتك أمك ؟ فقال : أنا أبو الوليد يا أمير المؤمنين وكان عبد الملك يكنى أبا الوليد أيضا ، فلم يزل يعرف كراهة شعره فى وجه عبد الملك إلى أن مات ، والشعر يصلح للعظة والعبرة ، ولكن خطأ الشاعر أنه لم يلتفت إلى المخاطب وما يناسبه ، وكثير من هذا النوع رده عبد الملك ، وأنحى على صاحبه باللائمة ولا داعى لذكره فيكفى هذا مثالا له .

والناظر فى حياة عبد الملك لا يراه يوما افتخر بسابقة أجداده كما كان يفعل معاوية مثلا فيقول : افترق الناس فريقين ، فريق مع مهدينا وفريق مع ضالنا ، فقد جمعت المجد من طرفيه ، يشير إلى محمد صلى الله عليه وسلم فهو الهادى المهتدى ، وإلى أبى سفيان قائد المشركين ضد محمد ، لكننا وجدناه مرة وقع فى حوار وافتخار مع خالد بن يزيد بن معاوية .

وسببه أن خيل عبد الله بن يزيد مرت على الوليد بن عبد الملك فعبث بها ، فغضب خالد لذلك وتوجه إلى عبد الملك شاكيا والوليد عنده فقال : يا أمير المؤمنين ، الوليد بن أمير المؤمنين مرت به خيل ابن عمه عبد الله فعبث بها وأصغره ، وعبد الملك مطرق ، فرفع رأسه وقال : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » . فقال خالد : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » . فقال عبد الملك : أفى عبد الله تكلمنى ؟ والله لقد دخل على فما أقام لسانه لحنا ، فقال خالد : أفعلى الوليد تقول؟ فقال عبد الملك : إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان . قال خالد : وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد . فقال عبد الملك : اسكت يا خالد ، فوالله ما تعد فى العير ولا فى النفير ، فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ، ثم أقبل عليه وقال : ويحك ، فمن العير والنفير غيرى ؟ جدى أبو سفيان صاحب العير ؟ وجدى عتبة بن ربيعة صاحب النفير ، ولكن لو قلت : غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت.

لقد كان عبد الملك قاسياً في رده ، وكان خالد مضحياً في جوابه ، فجد بني أمية في الجاهلية إلى أسرة حرب بن أمية ، ولذا فخر خالد بجده أبي سفيان صاحب العير ، وبعتبة بن ربيعة صاحب النفير لأن هند أم معاوية بنت عتبة ، والقصة معروفة ، وأنكى من ذلك تعييره عبد الملك بجده الحكم إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطرده ومنعه من دخول المدينة فلجأ إلى الطائف ، وعاش طريداً حتى كان عثمان الخليفة ولذا قال خالد رحم الله عثمان لرده الحكم من منفاه ، وكان عثمان قد استأذن رسول الله في رده متى أفضى الأمر إليه . روى ذلك الفقهاء .

ولا جدال أن خالداً انتصر في ذلك المجال ، لأن له ما يفخر به ، وعنده ما يقوله : وترى عبد الملك هنا يستشهد بالقرآن ، ويحفظ الأمثال ويعني باللغة ، فيعيب من يلحن ، وذلك منهجه في العناية باللغة وآدابها .

رحم الله عبدالملك فقد كان رائداً من رواد النقد الأدبي ، ومثلا أعلى لراعي الشعراء والأدباء ، وقد توفي سنة ٨٦ هـ بعد أن حول الدواوين من الفارسية والرومية إلى اللغة العربية ، ووضع نظام الموازين ، وأدى واجبه نحو رعيته ، وأعطى صورة مشرقة للملك المثقف الحازم الذي لا يعوقه الملك عن النظر في الفنون ، وتزكية الأخلاق بها ؟

السيد حسن قرون

---

## حق الطريق

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( إياكم والجلوس على الطرقات . فقالوا : ما لنا بد ، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها . قال : فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها ، قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام وأمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر ) .

# القراءات في نظر المستشرقين والملحدين

للأستاذ عبد الفتاح القاضي

## — ١٧ —

قال جولد زيهر

في صفحة ٥٣ .. وهو - حديث : أنزل القرآن سبعة على أحرف - الصحيح الذي لم يقف علماء الدين الإسلاميون أنفسهم موقفا واضحا منه ذكر في تفسيره خمسة وثلاثين وجها لا علاقة له في الأصل بتاتا باختلاف القراءات .

وأقول : أعتقد أن أحدا يقرأ هذه العبارة . والحديث لا علاقة له في الأصل بتاتا باختلاف القراءات . ثم لا تأخذه الدهشة ، ولا يستولي على قلبه العجب . فإن هذا الحديث هو الأصل والعمدة في بيان إنزال القرآن على هذه القراءات المختلفة ، وهذا إجماع من علماء الإسلام لا خلاف بينهم في ذلك ، فكيف لا يكون له علاقة باختلاف القراءات ؟ سبحانك ربي هذا بهتان عظيم .

ثم إن هذا القـــول يتناقض تمام التناقض مع قوله في أول صفحة ٥٣ . إن هذا الحديث صار نقطة البدء وحجر الأساس لإحقاق علم القراءات الذي ازدهر فيما بعد : ومع قوله في صفحة ٥٤ وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم أصدر هذا المبدأ الأساسي . أنزل القرآن على سبعة أحرف ، حينما عرضت عليه اختلافات في قراءة نص القرآن - فقوله إن هذا الحديث لا علاقة له في الأصل بتاتا باختلاف القراءات قد توسط بين قولين من كلامه كل واحد منهما ينقضه ويأتي على بنيانه من القواعد .

قال في صفحة ٥٤ ما نصه وليس مفترضا - فيما يظهر - أن يكون القصد إلى تحديد حسابي ثابت مفهوما من عدد السبعة في هذا الحديث الذي روى في جوامع السنة المعتد بها .

على الرغم من أن ثقة مثل أبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هجرية دمغه بأنه شاذ غير مسند حتى مع حمله على التفسير السالف . بل المراد من هذا العدد - حتى في حالة اتخاذه دليلا على

فروق النص ، اختلاف القراءات ، هو إفادة معنى الكثرة . فالقرآن نزل على أحرف كثيرة العدد . وكل منها يمثل على قدم المساواة كلام الله المعجز . انتهى
وأقول : تضمنت هذه المقالة دعويين .

الأولى : ليس المراد بالعدد في الحديث حقيقته ، وإنما المراد به إفادة معنى الكثرة فمعنى أنزل القرآن على سبعة أحرف : على أوجه كثيرة وقراءات متعددة .

وهذا المعنى قد سبقه إليه بعض العلماء . فليس بجديد . قال في النشر[1] .. وقيل ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص . بل المراد السعة والتيسير . وأنه لا حرج عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب . من حيث إن الله تعالى أذن لهم في ذلك والعرب يطلقون لفظ السبع والسبعين والسبعمائة ولا يريدون حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر . وهذا جيد لولا أن الحديث يأباه .

فإنه ثبت في الحديث من غير وجه أنه لما أتاه جبريل بحرف واحد قال له ميكائيل استزده وأنه سأل الله تعالى التهوين على أمته فأتاه على حرفين فأمره ميكائيل بالاستزادة وسأل الله التخفيف ، فأتاه بثلاثة . ولم يزل كذلك حتى بلغ سبعة أحرف . وفي حديث أبي بكرة فنظرت إلى ميكائيل فسكت فعلمت أنه قد انتهت العدة . فدل ذلك على إرادة حقيقة العدد وانحصاره . انتهى من النشر ج ١ ص ٢٦ .

وبهذا يعلم أن ماذهب إليه جولد زيهر رأى قديم عند العلماء تأباه الأحاديث الصحيحة والآثار القوية .

الدعوى الثانية : أن أبا عبيد القاسم ابن سلام قد دمغ الحديث بأنه شاذ غير مسند وهي دعوى باطلة وفرية ظاهرة ، فإن أبا عبيد لم يقل بصحة هذا الحديث وشهرته لحسب بل صرح بتواتره كما نقله عنه جميع العلماء . منهم الحافظ ابن حجر في الفتح . والمحقق ابن الجزرى في النشر والسيوطي ، في الإتقان . وتدريب الراوى شرح تقريب النواوى في مصطلح الحديث . وغير هؤلاء من العلماء الأعلام .

قال في صفحة ٦٢ .. والمتكلمون على وجه الخصوص هم الذين لم يرتضوا

(١) للمحقق ابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هجرية

الحد من حريتهم تجاه النص القرآنى المأثور، وهم يقولون: إنه يسوغ إعمال الرأى والاجتهاد فى إثبات قراءات، وأوجه، وأحرف، إذا كانت الأوجه صوابا فى العربية. وإن لم يثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ بها ـ انتهى.

وأقول: لم يكن جولد زيهر أمينا فى النقل، ولا متحريا للحق حيث إن ظاهر عبارته يفيد أن ذلك رأى جميع المتكلمين. وليس كذلك. إنما هو رأى طائفة قليلة منهم. وأما جمهورهم وأهل الحق منهم فإنهم يرفضون هذا الرأى وينكرونه ويخطئون من يقول به. ويقولون ـ كما يقول غيرهم من سائر العلماء ـ إن القراءة لا يعتد بها. ولا تكون قرآنا مهما بلغت من الشهرة والصواب فى العربية إلا إذا ثبت بطريق التواتر. أو بطريق الآحاد المشهور أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ بها. فهم ـ كسائر الطوائف يتمسكون بعنصر الرواية، ويعتمدون على النقل والأثر، والتلقى والسماع.

قال فى صفحة ٦٥، ٦٦ ما محصله: كان علماء الدين يغضون تدخل علماء العربية فى نصوص القرآن الكريم، على الرغم من أن علماء العربية كانوا يبذلون قصارى جهدهم فى تسوية مشاكل القرآن اللغوية، دون أن يتناولوا النص المأثور بشىء من التغيير، بيد أنهم كانوا يعدون على وجه العموم غير مسموح لهم أن يتناولوا النص المقدس من وجهة نظرهم كما يتناوله القراء المختصون. نعم فى أزمنة أقدم من ذلك حصل الاعتراف أيضا بقراءات اقتضتها ضرورة المطابقة بين قواعد النحو الدقيقة وبين صيغ لفظية، وتراكيب جملية تخالفها.

من ذلك مثلا ما جاء فى الآية ٩ من سورة الحجرات «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا» حيث يعود ضمير جمع المذكر «اقتتلوا» على مثنى المؤنث «طائفتان» فقد أراد بعض القراء مطابقة قواعد النحو فقرأ أحدهم «اقتتلتا» واكتفى آخر بقراءة «اقتتلا» انتهى.

والذى أريد توجيه نظر القارىء إليه من هذه المقالة هو قوله: «حصل الاعتراف أيضاً بقراءات اقتضتها ضرورة المطابقة بين قواعد النحو الدقيقة، وبين صيغ لفظية وتراكيب جملية تخالفها». ثم تمثيله بالآية ٩ من سورة الحجرات،

فإن هذا القول يفيد صراحة أن الآية الكريمة تخالف قواعد النحو الدقيقة ، لأن الواو فى « اقتتلوا » وهى موضوعة لجمع الذكور الغائبين قد عادت على مثنى وهو «طائفتان» والقواعد النحوية تقتضى أن يقال «اقتتلتا» بإسناد الفعل إلى ضمير التثنية ليعود ضمير التثنية إلى المثنى وهو « طائفتان » أو يقال « اقتتلا » فكان من الضرورى اختراع قراءات ، بها تتحقق المطابقة بين القواعد النحوية والصيغ القرآنية . فاخترع ابن أبى عبلة هـذه القراءة « اقتتلتا » وقد روعى فى هذه القراءة لفظ «طائفتان» واخترع زيد ابن على وعبيد بن عمير هذه القراءة «اقتتلا» وقد روعى فى هذه القراءة معنى «طائفتان» لأنه أريد بالطائفة الفريق . فكأنه قيل : «وإن فريقان من المؤمنين « اقتتلا » . هذا مفاد كلام جولدزيهر .

وأقول : قلنا غير مرة : إن القواعد النحوية هى التى تخضع للقراءة ، ولا تخضع القراءة للقواعد النحوية ، لأن القرآن الكريم بجميع قراءاته ورواياته نزل على أفصح لغات العرب ، وأكثرها ذيوعا وانتشاراً ، والقواعد النحوية مستنبطة من كلام العرب . منثوره ومنظومه . كما أنها مستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فالكلام العربى - وفى مقدمته القرآن والسنة - مصدر هذه القواعد ، منه نشأت ، وعنه أخذت . فهو الأصل ، وهى الفرع ، ولا يعترض بالفرع على الأصل .

وقد اعترف جولدزيهر بهذه الحقيقة التى ذكرناها فقد قال فى صفحة ٦٨ ما نصه : « فالقرآن يقدم القياس المصحح للاستعمال العربى الصحيح لا العكس » فهذا اعتراف منه بخضوع الأساليب العربيـة للقرآن ، لا خضوع القرآن للأساليب العربية .

وأما الآية الكريمة فقد جرت على أفصح الأساليب ، وأبلغ التراكيب ، ذلك أن « طائفتان » مثنى طائفة . وبدهى أن الطائفة الواحدة تجمع أفرادا كثيرة ، فحينئذ تكون الطائفتان فى معنى القوم والناس ، فأتى بواو الجمع فى « اقتتلوا » باعتبار معنى «طائفتان» ومع أن القرآن قد راعى معنى «طائفتان» فأتى بواو الجمع فى «اقتتلوا» قد راعى اللفظ فأتى بألف التثنية فى قوله تعالى : « فأصلحوا بينهما »

والسر فى مراعاة المعنى أولا واللفظ ثانيا أن الطائفتين فى حال القتال تكونان مختلطتين بحيث يعسر التمييز بينهما .

وأما فى حال الصلح فتكون كل طائفة متميزة عن الأخرى، منعزلة عنها ، فمن أجل ذلك جمع ضميرها فى حال القتال . وثناه فى حال تعلق الصلح بهما ، فأنت ترى مما قررناه أن الآية الكريمة قد أوفت على الغاية فى روعة الأسلوب ، ورصانة التركيب ، وجلال المعنى وسمو المغزى .

وأما القراءتان اللتان ذكرهما فلم يذكرهما ولا إحداهما أحد من القراء المعتبرة قراءاتهم ، ولا أحد من ذوى القراءات الشاذة ، فهما جديرتان بالرفض والإنكار ، ثم إن كلا منهما مخالف لرسم المصحف العثمانى وقد أجمع المسلمون على أن القراءة إذا خالفت رسم المصحف لا يعتد بها ولا تعتبر قرآنا ، وتحرم القراءة بها فى الصلاة وخارج الصلاة .

وهنا ينتهى ما قصدنا إليه من الرد على جولدزيهر ، وتفنيد مزاعمه فيما كتبه عن القراءات فى كتابه « مذاهب التفسير الإسلامى » وفيما كتبناه بلاغ لكل من يريد الحق ويسعى إلى الصواب ولم تصمم به الحية والعصبية فقد انكشفت - فيما كتبناه - نوايا الكاتب الخبيثة ، وأفكاره السخيفة ، وآراؤه الشاذة ، ومذاهبه الآفنة . وصار ما كتبه - بفضل ما هدانا الله إليه من الدلائل التى تدحضه والبراهين التى تدمغه - صار زيفا وهراء لا يفيد ، وباطلا من القول لا يبدىء ولا يعيد ، وكذلك كل ما لا أساس له ينهار بنيانه ، وتتداعى أركانه ، « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » ، « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » ، « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، ورضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين والحمد لله رب العالمين ؟

عبد الفتاح القاضى

# العرب والمسرح

للأستاذ محمد كمال القصبة

## – ٧ –

يذكر المستشرق جوستاف لوبون[1] أن التمثيل كان من وسائل التسلية عند الشرقيين ، ولكن الممثلين فى الشرق هم من اللعب فى الغالب ، أو من الأشخاص الذين لم يحذقوا فن التمثيل والذين يسردون فصولهم برصانة كالقارىء ، ولا تمت أوضاعهم بصلة إلى حقيقة ما يرغبون فى الإعراب عنه من العواطف ، ويعتبر أن القصص التى يتلوها القاصون من أهم وسائل التسلية عند العرب ، والقاصون منتشرون فى أنحاء الشرق ولهم فيه حظوة كبيرة ، وقد يحدث أحيانا أن يقصوا القصص ارتجالا ، ولكنهم يقتصرون فى الغالب على إنشاد قصيدة أو تلاوة فصل من رواية ألف ليلة وليلة .

ويحكى جوستاف لوبون – وكان يزور أحياء يافا القديمة بفلسطين – أنه أتيح له فى إحدى الليالى أن يشاهد جمعا عربيا من الحمالين والنوتى والأجراء الذين كانوا يستمعون بعناية إلى قصة عنترة ، « وإنى لا شك فى أن يصيب قاص مثل ذلك النجاح لو أنشد جماعة من فلاحى فرنسا ما تيسر من شعر لامارتين أو شاتوبريان ، وبفضل ما نراه من تأثير القاصين فى الجمهور العربى ندرك ناحية من أخلاق العرب ، فنعلم أنهم ذوو حيوية ووقار وتصور ، وأنهم يتمثلون

---

(١) حضارة العرب : الدكتور غوستاف لوبون ، نقله إلى العربية محمد عادل زعيتر دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٤٥ ص ٤٠٠ – ٤٠٢ ، ويعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب الأجنبية التى تنصف حضارة العرب ، وتوضح حقيقتها المشرقة ، ويصف المترجم بأنه جاء جامعا لعناصر الحضارة وتأثيرها فى العالم شاملا لجانبها مفصلا لعواملها ، باحثا فى قيام دولة العرب وفى أسباب عظمتهم وانحطاطهم ، معتمداً على الآثار الماثلة التى تعبر عن رغائب الزمن الذى شيدت فيه ومشاعره ، مبتعداً عن أوهام الأوربيين التقليدية فى العرب والإسلام . انظر ص ٤ وما بعدها .

ما يسمعونه فيصيرون كأنهم يرونه حقا ».

ويصف لوبون الجمهور المشاهد لهذا التمثيل القصصي «كيف يضطربون وكيف يهدأون، وكيف تلمع عيونهم في وجوههم السمر وكيف تنقلب دعتهم إلى غضب وبكاؤهم إلى ضحك، وكيف يقاسمون الأبطال سراءهم وضراءهم، حقا إن تلك روايات وإن الحاضرين لممثلون أيضا». ثم يعقد مقارنة بينهم وبين مثيله عما يشاهده في أوربا فيقول لوبون: وحقا إن الشعراء في أوربا مع نفوذ أشعارهم وسحر بيانهم وجمال وصفهم، لا يؤثرون في نفوس الغربيين عشر معشار ما يؤثر به ذلك القاص الذى هو من الأجلاف في نفوس سامعيه، فإذا ما أحيط ببطل الرواية قال السامعون «حفظه الله»، وإذا ما شهر سيفه على أعدائه وأثخن فيهم أمسكوا سيوفهم كأنهم يريدون إنجاده، وإذا ما كاد يذهب فريسة الغدر والخيانة قطبوا وصرخوا قائلين: «لعنة الله على الخائنين»، وإذا ما قضى عليه أعداؤه الكثيرون تأوهوا وقالوا: «رحمة الله عليه»، وإذا ما رجع ظافرا قالوا: «الحمد لله الذى نصره»، ويكون هتافهم وقلما يذكر القاص محاسن الطبيعة، ولاسيما الربيع: «طيب طيب»، ولا شيء يعدل السرور الذى يبدو على ملامحهم عندما يصف القاص امرأة جميلة، فتراهم ينصتون له نصت من يكاد لبه يطير من الوجد، والقاص إذا ما أتم وصفه قائلا: «الحمد لله الذى خلق المرأة»، قالوا: «الحمد لله الذى خلق المرأة».

ثم يذكر لوبون[1] أن العرب زاولوا أنواع الأدب الأخرى — غير الشعر والفلسفة — وللعرب روايات في المخاطر والحب والفروسية. وترى في روايات العرب فوائد كبيرة لاشتمالها على ضروب المخاطر العجيبة، وقد حل العرب بخيالهم الخصب — وهم الذين لا نظير لهم في الفن — كل شيء لمسوه، ويقول سيديو[2]: «كان يتجلى خيال شعراء الأندلس في الروايات والأقاصيص، وكان العرب، وقد فطروا على حب الأحاديث يجتمعون تحت خيامهم ليسمعوا

(١ و ٢) حضارة العرب: لوبون ص ٤٧٤

الأقاصيص العجيبة التى كان يتخللها – كما فى غرناطة – بعض الأغانى والألحان الموسيقية ، ولم تكن القصص الأسبانية المقتبسة من اللغة العربية أو المنقولة عنها إلا دليلا على مواسم ذلك الزمن ولم يكن ما فى أسبانيا من ألعاب الخواتم وصراع الثيران وتمثيل حروب النصارى والمسلمين والتفاخر ورقص الفرسان والتشبيب والغزل إلا من الأمور التى اشتهر بها عرب الأندلس فى أوربا » .

ومن أشهر الكتب التى اشتملت على أقاصيص العرب مقامات الحريرى ومقامات بديع الزمان الهمذانى ورواية ألف ليلة وليلة ، والأمثال التى تعد من أكثر ما عنى به فى الشرق وهى من الآداب التى تلائم النفس وتحفظ عن ظهر القلب بسهولة .

يؤيد المؤرخ العربى جورجى زيدان [1] ما ذهب إليه جوستاف لوبون فيقول إن القصص والروايات لم تكن محدودة فى العربية ، ولكنها قليلة وخصوصا فى الجاهلية ، وقد نظموا على شبيه إلياذة هوميروس أو شاهنامة الفردوسى مما تضمن كثيرا من أخبار حروبهم المشهورة بين قبائلهم ونظرا لعدم تدوينها ضاعت من محفوظهم الا قطعا بقيت إلى زمن تدوين الشعر فى الإسلام تقتصر القصيدة منها على وصف وقعة أو بعض وقعة من تلك الحروب ، وقد سبق أن ذكرنا بعض الأسباب التى منعت من وصول هذا التراث الضخم إلينا ، ومنها الحروب الكثيرة التى خاضها العرب ، والحرائق الكثيرة التى ذهبت بالكثير من كتب هذا التراث .

ومع ذلك فإننا نذكر بعض ما وصلنا مما نقله العرب من تراث الأمم السابقة عليهم ، فمن اليونانية مثلا نقلوا من كتب أفلاطون محاورات «النواميس وطيماوس» ومن كتب أرسطو نقلوا «كتب الخطابة والشعر والجدل والأخلاق» ، ومما نقلوه عن الفارسية : كتاب رستم واسفنديار وكليلة ودمنة وبهرام شوس وهذا ينامه فى السير وآيين نامه [1] والدب والثعلب

(١) تاريخ التمدن الإسلامى . جورجى زيدان جـ ٣ ص ٣٠ دار الهلال ١٩٥٨ .

(١) المرجع السابق لجورجى زيدان ص ١٧١ – ١٨٠ .

ومن الهندية نقلوا : « سندباد الكبير وسندباد الصغير وقصة هبوط آدم وكتاب بيدبا في الحكمة وكل هذا التراث وغيره في مجال القصة والرواية والمثل على لسان الإنسان والطير فقط ، ولو عددنا كل ما نقلوه، وما نقدوه لثبت لدينا بما لا يدع مجالا للشك أن العرب عرفوا المسرح ، وعرفوا الدراما ، بلغة مبسطة وبطريقة بدائية ، وما يتفق مع طبائعهم وطبيعتهم ولا شك عندنا أيضا أن هذا الفن تطور لديهم في حدود هذه الطبائع والطبيعة بما لا يتجاوز تقاليدهم وأحداث حياتهم ويظهر هذا فيما أخذته عنهم أمم معاصرة لهم ولاحقة عليهم ، وأخذوا يطورونه على الحقب والعصور حتى أخذ شكله المرئى الآن والمتناقل في كتب التراث ، بينما توقف قليلا أو تعثر عند العرب لأسباب تاريخية ، أهمها تأخر العرب في سلك الحضارة بوجه عام وانتصار الأعداء عليهم، ثم احتواؤهم لهم وأكثر ما اهتم به الأعداء طمس معالم تلك الحضارة ونقلها إليهم مع حرماننا منها ، وفرض مدنيتهم علينا ، واستئثارهم بالسلطة والسلطان، وما فعلوه في الجزائر وسورية ولبنان ومصر غير بعيد ، ولولا بقية من شجاعة الصبر والثبات، والتمسك بالعادات والتقاليد ، وحفظ التراث إلى حد ما ، لجرفنا التيار إلى مهاوى الضياع ، ولولا يقظة العرب أخيرا بالحصول على استقلالهم وإن كان في نظرنا إلى اليوم استقلالا ناقصا ومشوها ، فمازالت أصابع الأعداء تلعب في العلن والخفاء في مقدراتنا ، سياسة واقتصادا، وعلما وتعليما ومع ذلك فإن جانبا كبيرا من مقدراتنا صار في يدنا ويجب أن نحرص عليه ونندفع به إلى الإمام . وأول واجباتنا أن نعود إلى تراثنا نقلب فيه، ونستمد منه ؛ ونبحث عما فقدناه، فقد نقل الأعداء مع ما نقلوه أغلب هذا التراث المكتوب وفيه سوف نجد بغيتنا من أدب وعلم وفن وسياسة واقتصاد ولعلنا واجدون فيه - مع ما سوف نجد - تراثا مسرحيا مؤكدا ، وصلتنا منه قشور ، وبقى اللباب طى المجهول الواعد بالخير الكثير ؟

محمد كمال الدين

# أمام الرّوضة الشّريفة بالمدينة المنوّرة

للأستاذ محمود بكر هلال

---

الحمد لله نلت اليوم غاياتى          وجئت روضة طه للتحيات
وحول بيت رسول الله قد غرقت          مواكب النور فى نور النبوات
من كل فج أتى الزوار يدفعهم          حب المشفع مبعوث السموات
هذا يصلى وذا يدعو وذا ثمل          بالحب ينهل منه فيض كاسات
والكل يسعى ليحظى عند روضته          بنفحة من شذا طه بروضات
صلى الإله عليه كلما طلعت          شمس الغداة وغابت بالعشيات
فإنه سر هذا الكون أرسله          رب البرايا بقرآن وآيات
فأنقذ الخلق من جهل ومن ظلم          وحرر الناس فى الماضى وفى الآتى
والآن تدرس أوربا شريعته          وتقتنى من سناها ضوء مشكاة
يضىء ما أظلمت فى كل ناحية          وتستقى منه أحكاما مضيئات
لعل فيها خلاصا من متاعبها          ومن أذاها ومن زيف وإعنات
فإنما دين طه للورى أمل          ومنقذ الكون من كل الضلالات
وشرعة الله ما زالت منائرها          تهدى الحيارى وفيها خير منجاة
فسارعوا نحو هذا النبع وانهلوا          فإن فيه شفاء الروح والذات
وفيه رى لمن تاهوا ومن ظمئوا          وفيه نهج لمن ضلوا المحجات
وذاك كالشمس فى قلب النهار وهل          تحتاج شمس الضحى يوما لإثبات؟
لا غرو فالدين مذ كان الوجود هـ          دى للناس وهو غياث فى الملمات
ينظم العيش فى كل الحياة على          أسمى القواعد من عدل ومرضاة
وليس فيه اعتساف أو مجاوزة          لأى حد سما من غير إعنات
قد جاء طه به للناس مرحمة          يهدى النفوس ويسمو بالجبلات
صلى الإله على طه وعترته          أهل التقى والهدى أهل الكرامات
وصحبه ومن استنوا بسنته          ما شع نجم مضىء فى السموات

دراسات قرآنية :

# سورة الإخلاص

للأستاذ مصطفى الطير

## - ٣ -

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد » ( سورة الإخلاص ) .

---

وصلنا في تفسير هذه السورة الكريمة ، في المقال الثاني ، إلى قوله تعالى : « الله الصمد » .

واليوم نفسر - بمشيئة الله تعالى - الجزء الباقي منها ، وهو قوله تعالى : « لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد » فنقول : وبالله التوفيق .

إن الولد يحتاج إليه أبوه في أمرين :

أحدهما : أن يساعده فيما لا يقدر على الانفراد بعمله .

وثانيهما : أن يرثه في ماله ومتاعه بعد موته .

وقد اتفقت الأديان جميعاً حتى ( الوثنية ) على أن الله تعالى تام القدرة . تام الإرادة . تام العلم ، كما اتفقت على أنه تعالى حي لا يموت ، فإذا كان أمره سبحانه عند جميع الأديان ذلك ، لزم أنه غير محتاج إلى اتخاذ ولد في الأمرين جميعاً ، وإلا لكان اتخاذه إياه عبثاً ، والعبث على الله محال ، وحيث كان الأمر كذلك ، بطلت دعوى الولدية لله لأى سبب من الأسباب ، وثبت قوله تعالى : « لم يلد » .

وبعد ذلك نسأل الذين ادعوا لله ولداً ، لم زعمتم هذا الزعم في حقه تعالى وأنتم مقرون أنه سبحانه غير محتاج إلى معين ، وأنه حي لا يموت ؟

أظننتم أنه تعالى يلهو ويلعب ، فيتخذ ولداً يسر بوجوده ، ويتلهى بشهوده ، من غير أن يكون له عمل في ملكه ، ولا مصلحة له في وجوده ؟ أظننتم أنه تعالى في سذاجة الأطفال ، يتخذ الولد ليبتهج برؤيته ، كما يبتهج الأطفال

بما يتخذونه من (الشخوص) والدمى، من غير أن يكون لها فى مجرى حياتهم سوى العبث والبهجة والانشراح، وحب الامتلاك، والتطلع إلى المستقبل الذى يبتغون الوصول إليه، فإن قلتم: تعالى الله عن أن تكون له سذاجة الأطفال، قلنا لكم: فعلى أى أساس زعمتم أن لله ولداً، ولأى غرض اتخذه، ما دامت تلك الفروض السابقة مستحيلة عليه سبحانه؟!

وهناك بعض الطوائف اتخذت لله ولداً معيناً، ولم تعترف له تعالى بولد سواه وهؤلاء نناقشهم فنقول: لماذا قصرتم الولدية على واحد بعينه، مع أن كتبكم مليئة بنسبة الولدية إلى سواه، ومن أمثلة ذلك جعل المطيعين أبناء لله تعالى، أفلا تستفيدون من ذلك واحداً من أمرين، أن لا تقصروا الولدية على ولد بعينه، بل تجعلوا جميع من وصف بها أبناء لله، أو أن تحملوا البنوة على الطاعة والحب والإعزاز، فإنها من آثار البنوة ولوازمها فإن نزلتم على رأينا قلنا لكم إن الأول باطل، لأن الولدية لله تعالى مستحيلة لما قدمناه، فلم يبق إلا حمل البنوة على ما يلزم منها وهو الحب والطاعة والإعزاز، وهذا هو الذى كان يجدر بكم أن تعقلوه فى نصوصكم.

ويحتم هذا التوجيه أنه يوجد فى نصوصكم أن من عصى الله كان أبناً للشيطان، وهذا النص لا يمكن حمله على الحقيقة، لأن العاصى ابن الإنسان، وليس ابن الشيطان، فلا بد من حمله على المجاز، وهو استجابة العاصى لما يوسوس به إليه الشيطان، كما يستجيب الابن لأمر أبيه.

وهذا هو الذى ذهبتم إليه فى النصوص المماثلة فى حق العصاة أبناء الشيطان، فلا بد أن تذهبوا إلى مثله فى النصوص التى نسبت البنوة إلى الله تعالى، وإلا لكان هذا تحكما وترجيحاً بلا مرجح.

أما ولادة واحد بعينه من غير أب، فإنها لا تستوجب أن يكون الله تعالى أباه، أرأيتم آدم أبا البشر، أليس أعجب خلقاً عمن جعلتموه ولداً لله، فإنه خلق بغير أبوين، ولكنكم لم تجعلوه ولداً له تعالى، مع أنه فى حكم قياس الإلزام يقتضى أن تنسبوا إليه الولدية أكثر من نسبتموها إليه، لحيث إنه لم يستحق

عندكم وصف البنوة لله تعالى مع أنه خلق بلا أبوين ، فالآخر أولى لأن له أصلا واحداً من هذين الأصلين .

وأما إحياء الموتى وإبراء ذوى العاهات والمرضى ، فتلك مسألة جزئية صغيرة جداً ومحدودة أعطيها ذلك السيد الكريم لتكون آية له عند قوم يبالغون فى تكذيبه ووصفه بما يجرده من الكرامة على الله ، فكان لازما أن يظهره ربه أمام قومه بمظهر يبهرهم ويجعلهم يعرفون براءته مما نسبوه إليه ، ويعيد له الاعتبار فى نفوسهم ، ويفهمهم أنه من الله بالمحل الكريم ، ويقيم له الحجة عليهم حتى يستجيبوا لما دعاهم إليه .

وقد جرت سنة الله فى معجزات رسله أن يكون من شأنها قطع ألسنة المعارضين وإبطال شبههم ، وهى فى كل نبى بحسب موقف أمته منه وبحسب عصره .

ومعجزات الرسل ليست من صنعهم ، ولاهم عليها بقادرين ، بل هى من صنع الله تعالى ، ولولا أن الله جعلهم رسلا لما قدروا على الإتيان بها .

بل إن بعضهم كان يخاف منها أول ما أجراها الله على يده .

فموسى عليه السلام حين ألقى العصا فانقلبت حية خاف منها فطمأنه الله وأمره أن يأخذها ولا يخاف ، وأفهمه أنه سيعيدها سيرتها الأولى ، وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة طه : «وما تلك بيمينك يا موسى . قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى . قال ألقها يا موسى . فألقاها فإذا هى حية تسعى . قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى »[1] .

وإذا كان الأمر كذلك لا يصح أن ينسب إحياء ميت وإبراء عليل إلى ألوهية من أجرى الله على يده ذلك ؛ فإنه لا يقدر على ذلك بنفسه ، بدليل أنه لا يقدر على أكثر مما أجراه الله على يده

ولو أن المعجزات تدل على ألوهية من جرت على يده ؛ لكان على القائلين بذلك أن يزعموا ألوهية موسى الذى شق الله البحر بعصاه فكان فيه اثنا عشر طريقا يبسا ، والماء من حولها كالجبال ثابت لا ينساب فى تلك الطرق مع سيولته والذى أفاض الله على عصاه الحياة فكانت حية تسعى وهى جماد ، والجماد أبعد شىء عن

---

(١) طه : ١٧ - ٢١ .

الحياة بخلاف الإنسان الذى حل به الموت فقد كان قبل موته مليئا بالحياة وشتى ألوان الإحساس. فإحياؤه أدنى مما صنعه موسى الذى لم يحظ بلقب الألوهية والبنوة.

وما قلناه فى موسى ومعجزاته يقال فى صالح وناقته التى خرجت من الجبل وانشق عنها الصخر. والحديث فى أمثال ذلك سوف يطول فحسبنا ما قدمنا.

إن الإله لا حاجة له أن يلبس جسد البشر، فحسبه أن يقوم رسله بتبليغ رسالته، إن الإله يجب أن يتنزه عن صفات البشر، وأخصها التجسد والتعرض للأذى، إن الإله أو ابن الله لا يصح فى المعقول أن يسعه رحم امرأة، وأن يترك هذا الملك والملكوت ليعيش فى تلك الرقعة من الأرض، ثم تنتهى مهمته إلى أدنى مما انتهت إليه رسالة نبى من البشر كموسى ومحمد عليهما السلام، وكداود وسليمان وإبراهيم، إن ذلك كله يفتقر إلى إعادة النظر فى تلك الدعوى الخطيرة، أيظن هؤلاء السادة، أن ملك الله هو هذه الأرض الحقيرة التى نعيش عليها، إن لله ملايين الملايين من المجرات، وكل مجرة فيها ملايين الملايين من النجوم والكواكب، ومن وراء ذلك عوالم لا يعلم كنهها سوى الخلاق العليم، فكيف يترك ابن الله ذلك الملك والملكوت، ليحبس نفسه فى بطن امرأة، ثم ليحبس نفسه فى رقعة ضيقة من الأرض فترة من السنين حتى ينتهى الأمر بموته.

« ولم يولد » أى ليس له أب يشاركه فى عز الألوهية، لأن الولادة تقتضى الحدوث، والحدوث على الله محال، لا تقتضاه المماثلة للحوادث والدور والتسلسل، وكل ذلك مستحيل.

« ولم يكن له كفوا أحد » أى لم يكن له أحد مكافئا ومماثلا له فى شىء من صفاته »[1].

---

(١) « وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه ». معنى الولد يصدق على الذكر والأنثى. ومن ثم يدخل فى مفهوم الضمير: الذين قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم، والذين قالوا: عزير بن الله، والذين قالوا: الملائكة بنات الله.

**فضائل سورة الإخلاص :**

أخرج البخارى وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن » لأن القرآن يشتمل على توحيد الله وسائر صفاته ، وعلى الأوامر والنواهى ، وعلى القصص والمواعظ ، وهذه السورة قد تضمنت التوحيد والصفات ، وذلك ثلث القرآن .

وأخـــرج الإمام مالك والترمذى والنسائى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد ، فقال : « وجبت » . فقيل يا رسول الله : ما وجبت ؟ قال : « وجبت له الجنة » .

اللهم أدم علينا نعمة التوحيد ، ووفقنا لطاعتك والعمل بكتابك ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟

مصطفى محمد الطير

---

**قال الله تعالى :**

« براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين . فسيحوا فى الأرض أربعـــة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين . وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم » . (التوبة : ١ - ٣)

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

---

● أهداف إسرائيل التوسعية :

للواء الركن : محمود شيت خطاب

هذا الكتاب «أهداف إسرائيل التوسعية فى البلاد العربية» الذى نشرته «دار الفكر» فى بيروت، من الكتب الجديرة - بحق - بالتقدير والاهتمام، برغم صغر حجمه إذ تبلغ صفحاته أقل من مائة وخمسين صفحة ..

فهو من الكتب القلائل التى ظهرت أخيرا، تلح علينا فى أن نعرف عدونا على حقيقته، فإن معظم المعلقين السياسيين الدوليين والعسكريين أيضا ؛ يرون أن من العوامل الأساسية فيما أصاب العرب من نكسة، أن العرب لم يحاولوا أن يعرفوا عدوهم على حقيقته ..

الحق أن المؤلف ليس فى حاجة إلى التعريف به، وقد أصبحت مؤلفاته الجادة الهادفة تحتل مكانا مرموقا فى المكتبة العربية، بالإضافة إلى ماضيه وحاضره السياسيين النظيفين، وإلى أن قلبه لا يمت إلى الاحتراف بصلة، لأنه يحمل عقيدة المسلم العربى الغيور على دينه وعروبته .

وفى هذه الدراسة الموجزة : يلم المؤلف بالقضية التى تناولها، منذ عقد اليهود مؤتمرهم فى بال بسويسرا بعد تخطيط طويل مدروس عام ١٨٩٧ م إلى أن أنشأوا دولة فى فلسطين عام ١٩٤٨، وإلى أيامنا هذه حيث يأملون فى تحقيق أحلامهم، ويطمحون إلى أملهم المرتقب أن تكون إسرائيل من الفرات إلى النيل ولقد أبدع المؤلف فى تحليل أطماع الصهيونية فى البلاد العربية : فى الأردن وسوريا والعراق والسعودية ومصر، ثم عرض لدوافع الصهيونية التوسعية :

العامل العقيدى : الذى ينبع من صميم الديانة اليهودية التى قامت على أساس العقيدة الصهيونية، وقام عليها الحل الصهيونى للمشكلة اليهودية أيضا، وهى ترتبط ارتباطا وثيقا بأسباب اختيار

فلسطين وطنا قوميا دون سائر بقاع الأرض .

والعامل العسكرى : فإسرائيل دولة معتدية لها أطماع توسعية ، لذلك جعلت الخدمة العسكرية فيها من المهد إلى اللحد .

والعامل الاقتصادى : له أهميته ، لأن من يمعن النظر فى جغرافية إسرائيل وحاجاتها الزراعية ومشاريعها لاستقدام أعداد إضافية من المهاجرين اليهود ، يدرك أهمية العامل الاقتصادى بالنسبة لها .

والعامل السياسى : الذى توليه الصهيونية اهتماما بالغا ، لأنها تدرك أن النصر العسكرى يجب أن يمهد له الاتصالات السياسية قبل الحرب وبعدها .

وختم المؤلف دراسته ببحث قيم عن التطبيق العملى للجهاد ، فالمؤتمرات الإسلامية والعربية وحدها لا تكفى ، بعد أن صار الجهاد بالأموال والأنفس فرضا عينيا فى عنق كل مسلم ، يقوم به على قدر وسعه وطاقته مهما بعدت الديار ، وبخاصة بعد الغزو الإسرائيلى التوسعى الاستيطانى لبلاد العرب والمسلمين . .

كنت أود أن يشير المؤلف فى بحثه الختامى عن معوقات الجهاد ، وهى كثيرة وملموسة ، المعوقات التى لا تزال تقف حجر عثرة فى طريق قومية المعركة ، على المستوى العربى ولا نقول على المستوى الإسلامى . .

ويبقى تقديرنا للمؤلف والكتاب . .

* * *

● مذهب ابن عباس فى الربا

للأستاذ زيدان

كتاب صغير الحجم تبلغ صفحاته مائة وبضع عشرة صفحة ، نشرته دار التراث بالقاهرة لعالم من علماء الأزهر ، ويعرض لقضية من أبرز القضايا المعاصرة وهذا الكتاب يعتبر حلقة ثانية من سلسلة « بناء الاقتصاد فى الإسلام » التى بدأها المؤلف منذ بضع عشرة سنة ، وقد قسم المؤلف دراسته الموجزة الطيبة إلى حلقات ست . تناول فى الحلقة الأولى « مذاهب فقهاء السنة والشيعة فى الربا » وفى الحلقة الثانية « مذهب ابن عباس فى الربا » وفى الحلقة الثالثة « العهد النبوى » الذى يقود الحياة الاقتصادية إلى العدالة والقضاء على الربا ، وفى الحلقة الرابعة « الربا فى المستوى العالمى » ، وفى الحلقة الخامسة « التخطيط للقضاء على الربا »

وفى الحلقة السادسة والأخيرة ، التعبئة لبدء عهد العدالة وتحريم الربا . .

أما مضمون مذهب ابن عباس - كما يذكر المؤلف من النصوص - فهو : « أنه لا ربا فى التفاضل أصلا ، وإنما الربا فى النسيئة ، فيجوز بيع الصاع بالصاعين ، والدينار بالدينارين ، ولا يكون ذلك إلا بتقدير الجـــودة والرداءة فى الصنف الواحد ، أما مستند مذهب ابن عباس ، فهو الحديث الصحيح الذى اتفق على صحتـه ، والذى رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أسامة بن زيد : « إنما الربا فى النسيئة » ، وبعد أن عرض المؤلف لموقف الفقهاء من هذا المذهب ، ومخالفتهم لصاحبه مستندين إلى حديث صحيح يخالف الحديث الذى اعتمـــد عليه ابن عباس فى مذهبـه ، وهو حديث الأصناف الستة : ( الذهب بالذهب مثل بمثل ، يدا بيد ، والفضل ربا . . ) وذكر فى الحديث : الفضة والحنطة ، والملح والشعير والتمر . . عرض المؤلف بعد ذلك لأصل المشكلة ، ورأى أن حديث ابن عباس ناسخ للحديث الآخر ، ثم سرد قاعدة الأصوليين إزاء تعارض النصوص : ( إذا تعارض نصان ، فإن علم تاريخ ورود كل واحد منهما كان اللاحق منهما ناسخا للسابق . وإن لم يعلم تاريخ ورودهما رجح أحدهما على الآخر بطريق من طرق الترجيح ، وإن لم يعلم تاريخ ورودهما ولم يرجح أحدهما جمع بينهما بطريق من طرق الجمع والتوفيق . . وإلا عدل عن الاستدلال بهما إلى الاستدلال بما دونهما مرتبة . .

وكان أن أهتم المؤلف بالمرحلة الأولى محاولا تأييد مذهب ابن عباس عن طريق إثبات أن حديث أسامة الذى استند إليه ناسخ لحـــديث الأصناف الستة الذى استند إليه الفقهاء ، كذلك حاول المؤلف إثبات ضعف الروايات التى أشارت إلى رجوع ابن عباس عن مذهبه قبل وفاته وكذلك ابن عمر الذى كان يتشيع لابن عباس .

لا ريب فى أن المؤلف قدم دراسة مركزة جديرة بالتقدير ، فهى لم تتناول - وحسب - مذهب ابن عباس فى الربا بين مذاهب فقهاء السنة والشيعة . . بل تناولت - أو كادت - قضية الربا كقضية كبرى من القضايا المعاصرة ، لكن إن

كان يغفر للمؤلف أنه نبه القارىء في نهاية مقدمته إلى أن يبدأ بالفصل الثالث (العهد النبوى) ص ٦٥ ليتابع التحايل الفقهى في الفصلين السابقين، وأن يغفر له أيضاً إحالة القارىء كثيراً إلى كتابه الأول الذى صدر منذ بضعة عشر عاماً، فلست أدرى كيف يغفر له عبارات هجومية على الفقهاء عامة جعل منها شبهات إدانة لهم بلا حيثيات تقريباً.

في المقدمة مثلا يقول: (أن الفقهاء أخطأوا عند ما خصصوا ربا الجاهلية بصورة واحدة صورة «أتقضى أم تربى؟» وذلك لأنه لا دليل لهم على هذا التخصيص من قرآن ولا سنة وأن الفقهاء استخرجوا عللا بنوا عليها تحريم الربا، وهى باطلة وتركوا العلة الصحيحة التى بينها القرآن والسنة.. وأن آراء الفقهاء أدت إلى غموض الأحكام). وفى ص ٣٥ يقول المؤلف: «إن موضوع الربا نفسه لم يوفق الفقهاء فى تطبيق قواعدهم الأصولية على نصوصه القرآنية والنبوية تطبيقا جيدا يخرج منها الأحكام الصحيحة التى أرشدت إليها». وفى ص ٤٥ يقول: «وهؤلاء - أى الفقهاء - تمسكوا بالحديث المنسوخ وحملوا ببعضه وتركوا بعضه، وأدخلوا بالأقيسة الفاسدة غير المحكمة الاشتباه على أنفسهم وعلى المسلمين، وخلطوا بين الحلال والحرام..!

ومع تقديرنا لهذه الدراسة كنا نود أن لا تشوبها مثل هذه العبارات التى تتهم الفقهاء المسلمين الذين لا تزال لهم مكانتهم فى نفوس المسلين والمؤلف أيضا..!

• • •

● حدث كبير.. ولكن..!

قالت الكاتبة الصحفية الأستاذة عاية الصالحى تحت عنوان «لقطات» وذلك فى العدد الأسبوعى من جريدة الجمهورية: «إن الهجرة حدث كبير فى تاريخ العقيدة الإسلامية. ومع ذلك - باستثناء الاحتفال الرسمى بمسجد سيدنا الحسين - فقد مر اليوم بهدوء، حتى بعض المدارس التى صادف يوم الهجرة يوم إجازتها الأسبوعية لم تعطل الدراسة بها يوما آخر بدلا منه كما هو متبع بالنسبة لأيام العطلات الرسمية الأخرى..

الغريب أنه قبل أيام كان الكل يتبارى هيئات وجماعات وأفرادا فى الاحتفال

بأعياد « الكريسماس » ورأس السنة الميلادية ... الخ » .

هذه الكلمة الجيدة ليست فى حاجة إلى التعقيب ، لكن سؤالا واحدا ملحا قد يجول بذهن القارىء : من المسئول عن هذا التهاون أو الإهمال إزاء الاحتفال بأجل ذكرى فى تاريخ الإسلام ؟

أما كان الأجدر بوسائل الإعلام الرسمية وغير الرسمية أن تمنح هذه الذكرى الجليلة شيئا من الاهتمام حتى تنتبه الأذهان إليها ؟ الحق أن الإذاعة والتليفزيون قد أديا الكثير مما يليق بالذكرى ، أما الصحافة اليومية والأسبوعية فلم تفعل شيئا إذا استثنينا الصفحتين الدينيتين فى الأخبار والجمهورية ، أما عدد الجمعة الأسبوعى من جريدة الأهرام فلم يشر إلى الذكرى من قريب أو بعيد .

أما بالنسبة للمدارس ، فالمسئول عن التقصير إزاء هذه الذكرى الجليلة فهم مدرسو اللغة العربية والدين ، ولو أنهم أحسوا بهذا الواجب لما مرت الذكرى فى صمت مخجل !

• • •

● قراءات :

إن عمر بن الخطاب مر على قوم قد أقيموا فى الشمس فى بعض أرض الشام فقال : ما شأن هؤلاء ؟ فقيل له : إنهم أقيموا فى الجزية ، فكره ذلك فقال : هم وما يعتذرون به ، قالوا : لا نجد ، قال : دعوهم ولا تكلفوهم ما لا يطيقون ، ثم أمر بهم فخلى سبيلهم » .

(من كتاب الخراج لأبى يوسف)

محمد عبد الله السمان

## على كل مسلم صدقة

عن أبى موسى رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( على كل مسلم صدقة ، فقالوا : يا نبى الله فمن لم يجد ؟ قال : يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق . قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف . قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة ) .

# باب الفتوى

يقدمه الأستاذ / محمد أبو شادى

## الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر

السؤال من السيدة / صباح يوسف
يريد الزواج من فتاة وقد رضع من أمها أكثر من خمس مرات فهل يجوز ذلك ؟ .

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن الرضاع المحرم فى مذهب الإمامين الشافعى وأحمد رضى الله عنهما هو ما بلغ خمس رضعات متفرقات متيقنات فى زمن الرضاع وهو الحولان .

وحيث أن هذا الشاب قد رضع من أم الفتاة هذا القدر المحرم فقد أصبحت أما له وأخا لجميع أولادها من الرضاع فلا يجوز له أن يتزوج من أى بنت من بناتها لأنهن أخوات له من الرضاع ، والرضاع يحرم به ما يحـــرم من النسب والله تعالى أعلم ؟

السؤال من السيد / ابراهيم خضر
قال ، على الطلاق لا تذهبى إلى بيت والدك إلا بإذنى ، وذهبت بدون إذن وقال ، على الطلاق لا بد أن تذهبى إلى بيت والدك وتخرجى من بيتى هذه الليلة ، وقال أخيرا ، على الطلاق بالثلاثة إذا لم يتم ما اتفق عليه فى هـــذه الليلة تكون بنتك محرمة على كأمى وأختى ، ووقع المحلوف عليه — فما الحكم ؟ .

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد بأن كلا من الأول والثانى يمين لا يقع به طلاق .

ويقع بالأخير طلقة واحدة رجعية إن لم يسبق ذلك طلقتان إن كان يقصد من اليمين حل العصمة وإيقاع الطلاق وذلك حسب قانون الأحوال الشخصية الجارى به التقاضى فى مصر والمأخوذ من الشريعة الإسلامية والله تعالى أعلم ؟ .

السؤال من السيد / الأستاذ عبد الرؤوف أحمد محمد شرف

عقد على فتاة ولم يدخل بها وتوفيت إلى رحمة الله ، وكان قد قدم شبكة بمبلغ مائة جنيه ومقدم صداق مائتى جنيه ومثلهما مؤخر - ما حكم هذه الأشياء ؟

الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فنفيد بأن الشبكة جزء من المهر ، وحيث قد تم العقد فإن الزوجة تستحق المهر جميعه المقدم والمؤخر وبوفاتها حل مؤخر الصداق ، وعلى الزوج الوفاء به ويعتبر هذا الصداق تركة يضاف إلى ما تملكه ويورث عنها لورثتها الشرعيين ويكون لزوجها منه النصف فرضا عند عدم الولد والله تعالى أعلم ؟

• • •

السؤال من السيد / محمد أحمد حسن

من أحق بحضانة صغيرة أم الأم أو أم الأب مع الإحاطة بأن الجدة لأم متزوجة ؟

الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد: فنفيد بأن حضانة الصغيرة تكون للجدة لأم إلا إذا كانت متزوجة من غير جد الصغيرة ، فإن كانت متزوجة من أجنبى فإن الحضانة تكون للجدة لأب والله تعالى أعلم ؟

• • •

السؤال من السيد / محمد عبد اللطيف مجايب

أرض كانت مقبرة لأهل القرية ، وبنى غيرها ، وأصبحت المقبرة القديمة مباءة للأقذار ويخشى ضياعها ، فهل يجوز بيعها أو استغلالها فى بناء مساكن فوقها ؟

الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد : فنفيد بأنه يجوز استثمار هذه الأرض بما يراه المسلمون مصلحة لهم ويجوز البناء عليها حيث لم تعد مقبرة ، وكل نفع يراه المسلمون فى ذلك فهو خير من ترك الأرض معطلة فضلا عن جعلها مباءة للأقذار أو تعريضها للضياع من أيديهم بل فى استثمارها على وجه من الوجوه المشروعة تحقيق للنفع العام الذى يقصده الواقف حيث لم يتيسر

بقاء الغرض الخاص الذى عينه بالذات وهو الدفن . والله تعالى أعلم ؟

* * *

السؤال من السيد/الأستاذ أحمد رزق سالم

مقبرة ضاقت لكثرة ما دفن فيها من أفراد العائلة بالعين المخصصة للرجال والعين المخصصة للنساء . وقد عزمنا على تجديد هذا المدفن ولتكدس عظام وهياكل المتوفين بالمدفن استعصى علينا إيجاد حل وطريق شرعى لكيفية التصرف فى هذه العظام .

فهل يجوز جمع العظام على بعد متر أو أكثر فى أسفل كل مقبرة ؛ أم تخصص لجميع العظام مقبرة وتدفن فيها ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فنفيد أنه يجوز جمع عظام الموتى ودفنها فى إحدى الزوايا المقابلة لباب المقبرة وعلى أن تكون فى حفرة عمقها متر أو أكثر وعلى أن تكون عظام الرجال فى مقبرة الرجال وعظام النساء فى مقبرة النساء ولا يجوز جمع الاثنين فى مقبرة واحدة . والله تعالى أعلم ؟

* * *

الاستفتاء من السيد / الأستاذ المدير العام للأوقاف والشئون الإسلامية بحكومة الشارقة .

قبل الأذان فى كل صلاة تبدأ بإذاعة القرآن من فوق المآذن لمدة ربع ساعة . تنبيها للناس بدخول الوقت ، فإذا حان وقت الأذان أوقفت قراءة القرآن الكريم ثم يبدأ الأذان والصـــلاة دون قراءة أخرى إلى أن تنتهى الصلاة . هل هذا العمل مخالف للشريعة الإسلامية ؟ .

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد بأن لجنة الفتوى بالأزهر ترى أن قراءة القرآن على المئذنة لإعلام الناس بدنو دخول الوقت غير جائز ، لأن القرآن لم ينزل لهذا وإنما نزل هداية للناس وللتعبد بتلاوته والاستماع إليه واستنباط الأحكام الشرعية منه حسب القواعد المقررة لهذا الاستنباط .

أما التنبيه للصلاة بأذانين أو ثلاثة بعد دخول الوقت فجائز والله تعالى أعلم ؟

السؤال من المواطن / محمد خضير : بشارع حمام بشتاك اليكنية

ولد طفل بإصبع زائدة فى اليد اليسرى فهل يجوز بتره ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

بأنه لا مانع شرعا من إزالة الإصبع المذكور إذا لم تكن إزالته مضرة بالطفل ولا يكون ذلك تغييرا لخلق الله والله تعالى أعلم .

• • •

السؤال من السيد / السيد عبد الغنى غنيم :

هل يجوز للرجل أن يتزوج من أخت ابنه من الرضاع ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد ، فنفيد : بأنه يجوز لهذا الرجل أن يتزوج من أخت ابنه من الرضاع ، إذا كان ابنه قد رضع من أم هذه الفتاة وليست الفتاة هى التى رضعت من أم هذا الابن والله تعالى أعلم .

• • •

المبيت بمنى

من السيد / عبد الرءوف إبراهيم

ما حكم المبيت بمنى :

الجواب

هو واجب عند جميع الفقهاء عدا الإمام أبى حنيفة فإنه يقول : إنه سنة .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ( إذا رميت الجمار فبت حيث شئت ) . رواه ابن أبى شيبة .

وعن مجاهد : لا بأس بأن يكون أول الليل بمكة وآخره بمنى أو العكس ، وقال ابن حزم : ومن لم يبت ليالى منى بمنى فقد أساء ولا شىء عليه .

• • •

حكم الرمى

من السيد / محمد صابر محمود

هل الرمى واجب أم هو ركن لا يصح الحج بدونه ؟

الجواب

ذهب جمهور العلماء إلى أن رمى الجمار واجب وليس بركن وإن تركه يجبر بدم ؟

محمد أبو شادى

# أنباء وآراء

● المسلمون والفلبين :

وجهت ليبيا الدعوة إلى البلاد الإسلامية ليشترك وزراء خارجيتها فى اجتماع طارىء يعقد فى طرابلس خلال شهر مارس ١٩٧٣ م - لبحث أوضاع المسلمين فى الفلبين .

● يتوقع مسلمو الفلبين حملات إبادة متوالية توجه إليهم بعد أن أعلن الرئيس الفلبينى فرديناند ماركوس أنه صدق على الدستور الجديد الذى عرض فى ١٧/١/١٩٧٣ لاستفتاء شعبى .

ويسمح هذا الدستور للرئيس الفلبينى بالبقاء فى الرئاسة إلى أجل غير مسمى . وقد أصدر فرديناند عقب ذلك مرسوما بمد الأحكام العرفية لمدة غير محدودة . فى ظل هذه الأحكام تتوالى حملات إبادة المسلمين مسبوقة بدعاية واسعة كأنهم جماعات منشقة .

● الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا:

أخذ التشريع المدنى الموحد لدولة الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا ، بالتشريعات الليبية الحديثة التى تحرم الربا فى التعامل بين الأفراد .

● باكستان وأسرى الحرب :

ناشد سفير باكستان فى عمان (عاصمة الأردن) الضمير الإنسانى التدخل من أجل تسعين ألفا من أسرى الحرب والمدنيين الباكستانيين الذين تحتجزهم الهند منذ عام . وقال :

إن خمسة وأربعين منهم قد لقوا مصرعهم أثناء محاولتهم الهرب ، وأن حالة الأسرى قد تدهورت .

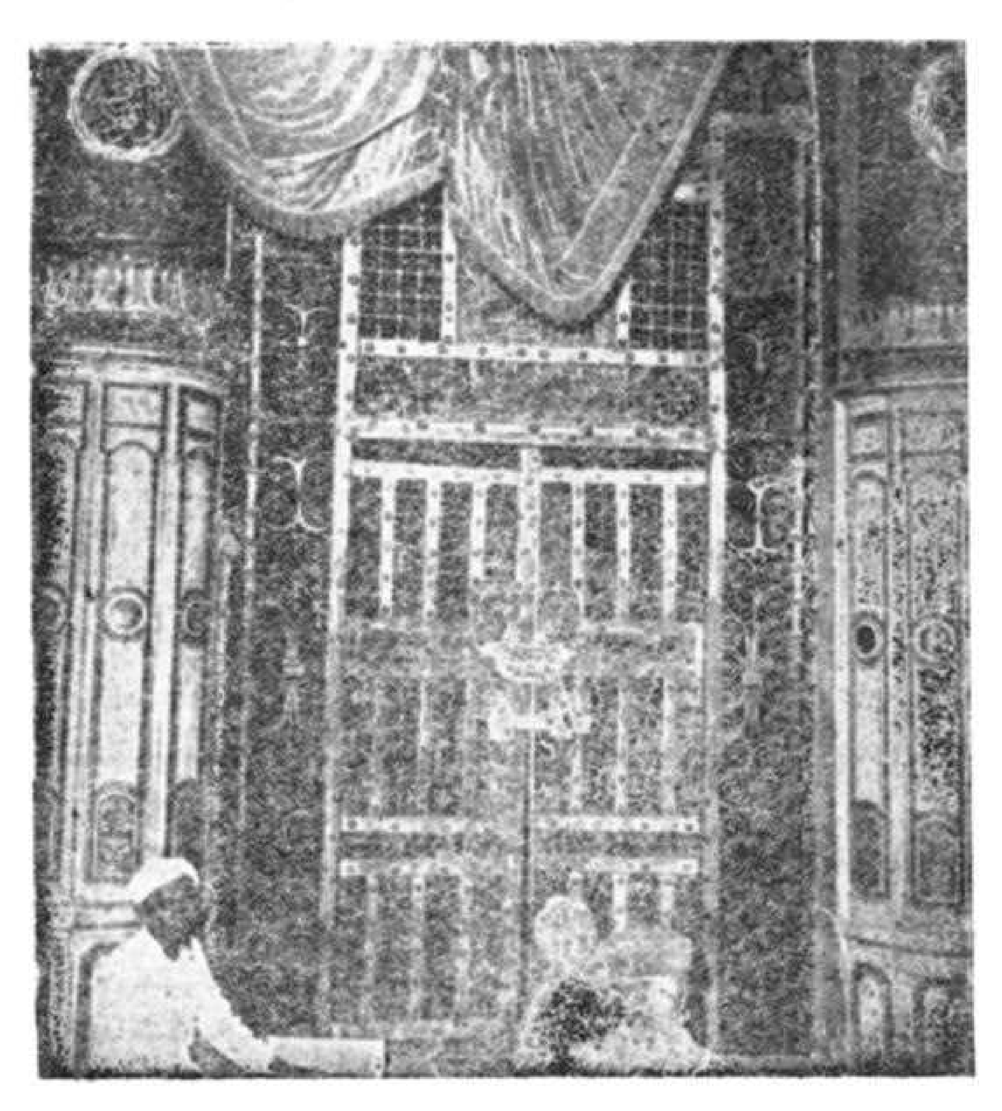
● إسرائيل تمنع العرب من مواصلة الدراسة :

أعلن وزير الدفاع الإسرائيلى فى الكنيست أنه لن يسمح للطلبة من أبناء مرتفعات الجولان السورية المحتلة بالسفر إلى الخارج لمواصلة دراساتهم وعزا ذلك إلى أسباب تتعلق بالأمن ؟

على الخطيب

**( Say (ye believers) We believe in Allah and that which hath been sent down to us. ( The Quran ) And that which hath been sent down to Abraham and Ismail and Isaac and Jacob and his offspring, and that which was given to Moses and Jesus and that which was given to the prophets from their Lord. We make no distinction between any of them and to Him do we submit. )**

**( 2 : 136 )**



**{ الروضـــة الشريفـــة }**

are portrayed by the Quran.

This is followed by the following comment :

« إن هذه أمتكم أمـــة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » . الأنبياء ٩٢

( Verily this nation of yours is one nation And I am your Lord so keep your duty unto Me ). 21 : 92

In a vivid example, The Messenger, illustrates the nature of co-ordination and co-operation between him and the earlier prophets.

He portrays the affinity that runs through their efforts and struggles.

The example run as follow :

قال صلى الله عليه وسلم : إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة فى زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين .

رواه أبو هريرة

( My example and the example of the Prophets who preceeded me is like that of a builder. He builds a house magnificently but in one corner leaves a brick unassembled. The people begin cercumambulating around the house. They are fascinated and in admination say : How nice it would be if this brick is assembled in its place ? Behold ! I am that last brick ! I am the last of all the Prophets. )

The prophet declares the brotherhood of mankind as follows :

قال صلى الله عليه وسلم : كلكم لآدم وآدم من تراب .

( You are all from Adam And Adam was created from clay. )

Islam is a universal religion addresses all mankind of varions colours and ranks.

The peoples in religious affairs such as the performance of the prayers, the times of fasting or fulfilling the pilgrim rites all are equal.

Islam required mankind to believe in all prophets without distinction and respected the other religions.

The Holy Quran declares :

« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

البقرة ١٣٦

# ISLAM CALLS FOR HUMAN BROTHERHOOD

*By*

*AHMAD RAGAB MOHAMED*

On the basis of monotheism which is the pivot of Islam and its essence. Islam calls for the unity of human life.

God is one and the soul of man is one. From this single soul God created its mate and from this couple issued all men and women. The command to fear God and the the wombs is an evidence of the bond that binds all men together, irrespective of the lands and times that separate them and irrespective of the differences in their colours, languages, economic, and social standard. The Holy Quran says :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ». (الحجرات ١٣)

( O Mankind We have created you of a male and female. And made you into peoples and tribes to get acquainted. Behold ! The most noble in the sight of God is the most God fearing. Verily God is The knower. The Wise. ) 49 : 13

. . . Islam looks at mankind as an enormous garden wherein there are flowers of every colour. Each has its beauty but in no way superior to others.

. . . Islam believes that all the prophets are all one in brotherhood.

To emphasize the meaning of brotherhood of man, Islam directs its attention to the deep historical passage of mankind. Stressing this point it invites us to have inplicit faith in all the prophets and messengers of Allah.

The Holy Quran declares :

« لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ». (البقرة ٢٨٥)

( We make no distinction between any of His Messengers. And they say, We hear and obey ! ( Grant us ) The forgiveness. Our Lord unto Thee is the end of all journeys. )
2 : 285

And the unflinching struggles of the prophets throughout the centuries

I close with two remarks. The first is that religion assumes its shape according to the receipients psychological and cultural conditions. Religion does not act in avacume, and man is its only medium. Hence it is unjust to judge religion by what a certain community concieve it, when that community is psychologically and culturally disturbed. A survey of more than one period in the life of the community should be carried out. Islam to-day mirrors the Muslims of to-day, but it does not mirror the Muslims of the early centuries — the good old days. Christianity to-day, as seen in Europe or America, does not coincide with the Christianity of the Puritans.

The second remarks is that Islam, becsame of its particular structure, is more than faith. It is a way of life, a discipline in wordly and outwordly. If this looks like "Formalism" and limitation to man's freedom, it should be remembered that this formalism is precisely that which saved the Muslim world from disintigration and collapse, during the dark periods of defeat and stagnation, which lasted for over seven centuries. Other communities such as Judaism were also saved by the same process. The healthy man is able to harmonize formalism with psychoconscionsness, materialism with spiritualism because he himself is harmonized from within. To lean to materialism will make might right. To lean to intellectualism will make cleverness right. Spiritualism provides the balance to make humanism might. It was man who discovered God after a long search for his benefit, and it will be his downfal to lose him. If religions, as such, are to survive periods of turmoil, they have to be more than lip service, more than psychological consciousness, more than communal prayer. Otherwise there is no escape, in the long run, from the statement "God is dead" and "les eglises sont mortes'. Muhamed Iqbal's statment that "liberalism - exassive has a tendency to act as a force of disintegration, might prove to be true. An infinite liberalism is the beginning of anarchy. Cosmos is the main characteristic of the universe. Discipline of the soul is as much needed as the discipline of the mind and the body. Disciplined liberalism is what is needed in this age.

Muslims believe that it is religion which makes life meaningful, sublime, and humanistic. From religion alone we have learnt that God is the One Father of all the human beings, and that man is a brother and not only a comrade.

same immorality. Corruption in administration is another conspicious phenomenon. Those who transcend their religion show honesty and fair dealing. Here we face two challenging forces, formalism and mysticism, The formalist consider the rituals an outword exercise devoid of moral values and inner spiritualism, where as the mystics regard the rituals as an outword expression of inner feeling. But mysticism is a vary general term. To the real mystic it is consciousness and inwardness, It is brotherhood, love, dignity, and honesty. To the formal mystic it is a sort of acrobat. The two exist in Muslim society, and it is extremly difficult to say which one out numbers the other. It seems that the problem of keeping a balance between the inwardness and the outwardness, between formalism and spiritualism, between the law and the human conscience is a general problem. It is to be noted that some Muslim countries have devised a new system by which the two dimensions could be integrated. They established institutions which prepare priest - physicians, priest - lawyers, priest - engineers and even priest-mothers with the aim of reconciling the conflict between materialism and spiritualism. Will this solve the dualism which is inherent in man ? It is too early to answer this question, for those institutions have been established quite recently in the Azhar University, but there is no doubt that our society needs this blend. Again this problem gives, rise to another crutial question, and that is the meaning and function of religion. Is it personal or social ; is it functional or static ; is it positive negative ; is it prayer or law, and so on. In fact these are current topics in the U. S. periodicals. The answer within the Islamic context is clear. It is life with all its dimensions, the physical, intellectual and spiritual. Life is one indivisible entity and religion pervades it. And here lies the particularism of Islam and its real significance.

" It may sound paradoxical, yet it is a fact that on the one hand Islam claims the entire allegiance of man, and on the other it leaves a vast field of human activity free from all shackles. Where the mind would benefit from following its own inclinations and exploring new avenues, it has been left free". *(1)* The two propositions on which the conceptual structure of Islam is based, namely that God is one and that Muhammad is the apostle of God, are so simple that it makes heresy almost impossible.

---

*(1) I. H. Qurieshi, Councils In Contemprory Islam I. K. Cragg. p. 186.*

exist in internal affairs as it exists in languages ? Modern Muslim societies realize that the Sharia is based on certain axioms which contain the idiology of Islam such as justice, equality, dignity, protection of private property etc, and that the Sharia is not rigid nor arbitrary.

The tendency now is to revitalize the Sharia — the Islamic law - by resorting to Ijtihad, and creating an eclictic school of jurcsprudence which draws from the traditional schools equally, and by injecting new vigor from Westren codes. The Azhar University teaches the Shia law togather with the orthodox law. But Muslims are not inclined to abolish the Sharia, because they consider it a unifying force in an age of diversity, and a source of discipline in an age of growing individualism. The Sharia contains three elements ; moral values, rituals and transactional matters. The moral values are retained because they are common in all religions, the rituals are not susceptible to rationalization. But transactional laws are adaptable and augmentable. In fact they have been adjusted through consensus of of opinion and ijtihad.

(3) A conspicuous phenomenon in the Muslim society to-day is the increasing numbers of mosques. On Fridays, at midday congregational prayer, mosques are packed with prayers from all ranks and professions. Hundreds of men pray on pavements which lie near mosques. They use news-papers as paper-mats. This is a remarkable scene which captures attention. The name of - God - is always on the lips of the pious. Yet one wonders sometimes does the scence point up to inner consciousness and spiritual awareness ? The answer is positive among a large fraction of the community. Many Muslims transcend their rituals. But it is unfortunate that some Muslims confine their religion only to themselves, and do not extend it into their business life. The market is generally governed by profiteering and bargainning. It is the cleverest who runs away with the big share. This is an old oreintal custom which has more than one cause. Islam combatted cheating and unfaire dealing. The Quran is full of evidences to this effect. The "hisba", a marketing system, which Muslims developed in order to control cheating and unfair profiteering is a highly organized institutions. But the difficulty with the Orient is that it is at cross road of many nations, and it is a melting pot. Traders from all nations vie with each other to accumlate wealth. This is, I think, one of the causes for the immoral way of running business. Non-Muslim countries in the East also are striken with the

of modern institutions they realized that religion, though an indispensable element in their life, can not solve their secular problems, and that religion is not a substitute for science. Hence they adopted modern sciences, such as medicine, pharmacy, engineering, chemistry etc. In the field of humanities they studied philosophy, psychology, sociology, etc. In the Azhar University to-day, which is the oldest Islamic University, students of religion study medicine, pharmacy, engineering and several other subjects togather with Islam. In addition to the Azhar there are many secular state Universities in all Muslim countries. Co-education is allowed in most of these Universities. Muslims have realised that science is secular and universal. Western books are used as text books, and in many Muslim Universities, Western professors are invited to participate in teaching and organizing. It might be asked : Is it possible to seperate Westren civilization from Westren moral values ? Can Muslims adopt Westren technology and sciences and retain their own moral values ? Does co-education and experimental sciences contradict Islam ? The fact that the religious leaders — the Ulama — send their childern to these Universities implies that neither Islam nor Muslim leaders maintain that co-education, contradicts Islam. There is no ground, in my opinion, for the hypothesis that western values, such as liberalism, devetion, persistance and self-assertion are exclusively Western values, or that they contradict the Islamic values. They are Universal human values, which move freely and sometimes lose their place of origin. Furthermore, Muslims, in their golden period, accomplished their achievements in wordly-sciences under the banner of Islam. But a shift in value emphasis is inevitable.

Since abolishing of the Caliphate by Ata-Turk in 1924 most of Muslim states gradually moved to a parlimentary republic based on Westren patterns. New constitutions have been adopted which guarenteed absolute equality of all the subjects before the law irrespective of colour, faith and ethnic origin. The Shari'à ( Islamic law ) was confined to personal affairs. Some states subsituted civil courts for Sharia courts, others unified the two court. Thus, the "tanzimat" —The Turkish reforms –, which failed in Turky in the 19th. century, were put into effect in the 20 th. century both in Turky and all other countries. But there are some Muslim states which are still buffled by this issue. Should the state follow the Sharia – the Islamic law – as it was enacted in prestine Muslim societies ? Does paradigm

between "ritualism" and mysticism, (6) Conservatism and Ijtihad. (Free personal interpretation of the law).

These six topics occupied the Islamic society for many centuries, and many ingenious works have been written, or as a contemperary Muslim writer puts it : "It provides us with a shining example of that fundamentally catholic genius of Islam - a panorama of continued tension and challenges, and of equally persistent effort to resolve these tensions and meet these challenges in a process of modification, adaptation and absorption". Yet through all these tensions God was always living and active within the world of Islam. Muslims never felt that God was dead or that "les eglises sont mortes". It is admitted that certain heretics, and even atheists, emerged, but they ware an insignificant fraction in the community.

The Muslim society suffered sever blows from the 11th. century up to the 20th. century by the crusaders, the Mongols, and foreign domination. These invarious inflicted a systematic cultural sterilization on the most creative phase of Islamic civilization. The hole existance of the Muslim community was at stake. Their spiritual and cultural life was shaken. During these dark centuries they resorted to defensive war. They were concerned mainly with survival. They grew suspicious and sceptical. They could not trust even their own rulers who often usurped the rule, and became tyrants. They kept their women in seclusion, unexperienced and uneducated. Some of their spiritual leaders failed them. The masses resorted to their religion for salvation. But the faith sank in formalism. All these factors led to stagnation, misinterpretation and dislocation.

In the 19th. century a ray of hope gleamed, but it was only at the mid of the century that Muslims sensed some security, and started to reconstruct their thought. Yet the challenge is not over, and a new challenge is posing.

It is natural that the Muslim society is now facing new problems, e. g. such as (1) Religion and modern civilization. (2) State and religion. (3) Ritualism and mysticism, (4) Imitation and Ijtihad (personal interpretation of the law).

In the pre-renaissance period the majority of Muslims regard Westren civilization as a devil. They gropingly fought to combat their three big enimies, poverty, disease, and ignorance, They maintained that religion alone can cure all their ills, be it spiritual cultural, social, political or physicial. Religious studies were dominant. But with the advent

Holy scriptures and to intermarry with their members, though with one limitation. The only major difference which exists is the nature of deity. The problem is highly controvertial, not among Muslims and Christians alone, but among Christians themselves, and among Muslims too. It is my humble conviction that the basic precepts and objectives of the three religions are compatible, and that the differences lie in the human interpretations.

With these three factors is coupled a human element which added further richness and broadness. When Islam expanded outside its cradle it penetrated into far stretched areas which possessed their own philosophies, and their particular social, moral and ethical structures. It reached as far as China, to the East, and as far as Spain to the West. The Muslim converts could not but graft into Islam their own views, or, in other words, comprehend Islam within the frame work of their religious cultures. The mystical inclined people of the Far East stressed the ascetic elements of Islam, and developed, in the course of time, a mystical fiber which, sometimes, went beyond the limits of Islam, and, sometimes, remained with its limits. To say that mysticism is an alien element in Islam is an exaggeration, and to say that mysticism is a byproduct of Islam alone is an oversimplification of the matter. The Quran provides enough material for mysticism. God is not absolutely transcendental. He is in the Universe and with His creatures everywhere, and in every moment of their lives. Those who travelled in Islamic countries could feel this tendency in the humble way Muslims perform their prayers. Arabic language is interspersed with the name of God and His Attributes. Allah is repeated tens of times in any casual conversation. For a Muslim, God is always alive and watchful. Muslims of the Middle East, however, find in the rituals, in prayer, fasting, and pilgrimage a self-satisfaction which a mystic finds in his ascetic experiences.

Does this mean that Muslim society is living in complete harmony with its environment ? Does it mean that it has no spiritual tension, no controvertial issues of any sort ? Not at all. Those who are familiar with Islamic theology and Jurisprudence know that Muslims, in their history wrestled with many problems, some of the major ones were (1) The caliphate or the Imamah, (2) The essence of God and His Attributions, (3) The nature of the Quran, and whether it was created or eternal, (4) Free will and predestination, ( 5 ) The conflict

its end, kept asserting, repeatedly, that Islam, or, Monothism originated with Abraham ; and that his prophethood was only one circle of a long chain of prophecies which had one basic and indentical objective ; that all prophets are brothers and equal; and that the Torah and Injil - the Gospel — are God's revelations. Consequently, Muhamed himself, and the early Muslims who grasped the real significance of Islam, held the Holy Scriptures with a great esteem, and indeed, resorted to them, at certain times, in search of God's guidance and ordinance. Islam, then completed the privious revelations and supplemented them. It never aimed at abrogating either one of them. The resources of the Bible, with its depth and richness, with its laws and ethics, were an inexhaustible well, form which early Muslims drew. Muhamed wished to unify the believers in a united front in face of the polytheists. He disliked schism and disintegrity. There are ample evidences to this effect. It suffices here to quote the Quran: "Lo ! As for those who sunder their religion and become schismatics, no concern at all hast thou with them. Their case will go to God, who then will tell them what they used to do". ( 7 : 160 )

Again, Muhamed tolerated differences in law, though the Quran confirmed Mose's ten commandments and other rituals with the aim of reconciling the differences. This attitude is summed up in Sura ( Chap. ) V. ( Verse 48 ). "And unto thee have We revealed the Scripture with the truth, confirming whatever scripture was before it, and a watcher over it. So judge between them by that which God hath revealed, and follow not their desires away from the truth which hath come unto thee. For each We have appointed a divine law and a traced-out way. Had God, willed He could have made you one community. But that He may try you by that which He hath given you ( He hath made you as you are ). So vie one with another in good works. Unto God ye will all return, and He will then inform you of that wherein ye differ".

Islam, therefore, absorbed all the vital elements which had been embodied in the preceding scriptures. No wonder that the traditions of Muhamed contained quotations which coincided with the Bible.

Islam, then, is a synthetic religion. There is nothing in the Quran that contradicts the moral values of the Old and New Testamants. It adds to the values, but it does not subtract from them.

A Muslim is enjoined to eat from the food of the followers of the

# Islam and Modern Problems

BY
Prof. I. M. HUSAINI

Islam is a full-fledged religion. It is composed of Doctrine, rituals, jurisprudance, socio-political institutions and mysticism, all firmly welded togather so much so that it is almost impossible to eliminate one component without jiopardizing the whole structure. This combination often seems to be a paradox to the critics who wish to analyse Islam, but fail to distinguish the tale from the head.

The main cohesive power in this superstructure is the Quran itself. A careful examination of the historical and logical evolution of Islam clarifies the situation and removes all confusion.

Firstly, Muhammad the prophet of Islam, lived for twenty - three years in his capacity as a prophet, and, consequently, succeeded in discharging his mission from beginning to end. Twenty three years of continuous labour without fatigue or constraint, enabled him to create a new community -Ummah- well equipped socially, politicaly, and spritually. Before his death, Muhamed declared with confidance, in the name of GOD: "This day have I perfected your religion for you and completed my favour unto you, and have chosen for you as religion AL - ISLAM". (the Quran 2 : 3) Indeed, the Ummah the community — which he strived to establish took its final shape, and the integral elements of his religion crystalized in the structure known as "Islam".

Secondly, Islam emerged 600 years after the mission of that unforgetable illustrious figure, Jesus Christ, whose life was one of the noblest, chapters in the history of humanity and obout 20 hundred years after the message of Moses, who was chosen by God to recive the first divine law.

The human race, therefore, was prone to accept a divine message which would combine the spirit with the law; which would prove that humanity is intelligent and progressive, since it is a reflection of the Absolute Intelligence, the Creator.

Thirdly, Muhamed, right from the beginning of his mission up to

« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون ».
( سبأ ٢٨ )

"And We have not sent thee ( Muhammad ) but to all the people as a bearer of good news and as a warner, but most of the people do not know". ( 34 : 28 )

« قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين » .
( الأحقاف ٩ )

"Say : I am not an innovater among the apostles, and I do not know what will be done with me or with you : I do not follow any thing but that which is revealed to me, and I am nothing but a plain warner". ( 46 : 9 )

« إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً »
( الفتح ٨ )

"Surley We have sent thee ( Muhammad ) as a witness and as a bearer of good news and as a warner". ( 48 : 8 )

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ... » ( الفتح ٢٩ )

"Muhammad is the Apostle of Allah, and those with him are firm of heart against the unbelievers, compassionate among themselves". ( 48 : 289 )

« واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين » .
( الأعراف ٢٠٥ )

"And remember thy Lord within thyself humbly and fearing and in a voice not loud in the morning and the evening, and be not of the heedless ones". ( 9 : 205 )

« أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ٥ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » .
( الإسراء ٧٨ - ٧٩ )

"Keep up prayer from the declining of the sun till the darkness of the night and recitation of Quran at dawn ; surely the morning recitation is witnessed. And during a part of the night forsake sleep by it, beyond what is incumbent on thee ; maybe thy Lord will raise thee to a position of great glory". ( 17 : 78 - 79 )

# THE PROPHET MUMAMMAD

*— IN VERSES FROM THE QURAN*

« قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » . ( الأعراف ١٥٨ )

"Say : O people ! Surely I am the Apostle of Allah to you all, of Him whose is the kingdom of the heavens and the earth, there is no God but He ; He brings to life and causes to die, therefore believe in Allah and His Apostle — the unlettered Prophet — who believes in Allah and His words, and follow him that you may be guided aright" ( 7 : 158 ).

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » . ( التوبة ١٢٨ )

"Certainly an Apostle has come to you from among yourselves : your iniquities press heavily upon him. He is careful over you, and towards the believers ( he is ) compassionote, merciful". ( 9 : 128 )

« قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » . ( الكهف ١١٠ )

"Say : I am only a mortal like you ; it is revealed to me that your God is one only God, therefore whoever hopes to meet his Lord, he should do good deeds, and not join any one in the services of his Lord" ( 18 : 110 )

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . ( الأنبياء ١٠٧ )

"And We have not sent thee ( Muhammad ) but as a mercy to ( all ) the nations". ( 21 : 107 )

« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما » . ( الأحزاب ٤٠ )

"Muhammad is not the father of any of your men, but he is the Apostle of Allah and the last of the prophets ; and Allah is cognizant of all things". ( 33 : 40 )

the community, as a whole, linked together in sorrow and happiness.

For the better reorganisation of the community as well as the development of the state, the Prophet invited the representatives of the inhabitants of the region : the Muslims and the non-Muslims, and suggested the establishment of a city-state in Medina. He endowed the city, with their ascent, with a written constitution, in which he defined the duties and rights both of the citizens as the head of the state. The Prophet Muhammad was unanimously hailed as the head of the proposed city-state. It is recalled that this is the first written constitution of its kind in the world. The administration of justice became henceforward the concern of the central organisation of the community of the citizens, and abolished the customary private justice. The document laid down principles of defence, foreign policy, social justice, and recognised definitely liberty of religion particularly for the Jews to when the constitutional act afforded equality with Muslims in all that concerned life in this world. The document recognised that the Prophet Muhammad would have the final word in all differences.

From the time of Hijrah the Prophet stands in the full blaze of day upon whom the light of history has ever shown. The details of his life are carefully noted and handed down to succeeding generations. His purity and nobleness of character, his intense and earnest belief in God's Mercy brought round him many a devoted heart. When the moment of the severest trial comes, like the faithful mariner, he remains steadfast at his post until all his followers are safe. The nobility of his character, his strong friendship, his courage, his earnestness and enthuisiasm for the truth he came to preach had revealed the hero and master whom it was alike impossible to disobey and impossible not to love. As the men of Medina came to know Muhammad ( peace be on him ) they devoted themselves to him body and soul, and the enthusiasm caught fire and spread among the tribes of Arabia, till all the peninsula came to the feet of the Prophet of the God. Now we can see the preacher who mended with his own hands his clothes, and often went without bread, was mightier than the mightiest sovereigns of the earth. We can see him now the ruler of human hearts, supreme commander, chief lawer, and yet without any self exaltation. He walks so humbly and so purely, that the people turn round and point : there goes 'Al-Amin' — the true, the upright, the faithful – friend, and God's peace and blessing be upon him.

appear, they returned home at midday. One day, they had returned home at midday, thinking the Prophet would not arrive, when a Jew who had climbed a date tree saw the Prophet and his companions coming. He called to the people of Yathrib, telling them : "Your man has arrived" : This was a feast day among the people of Yathrib, when they saw the Prophet was with them.

From that day the Prophet settled in Medina and because of the importance of that day it is regarded as the beginning of the history of Islam. Immediately after the Hijrah, the Prophet started the reorganisation of the community. The first Muslim state was founded and governed by the Prophet. The city of Medina is said to have been established by an Amalekite chief, whose name it bore until the advent of the Prophet. The jews who fled from Babyloniyan, Greek and Roman persicuters or avengers entered Arabia and established in the northern part of Hijaz. The most important of the Jewish colonies were the Banu-Nadhir at Khaibar, the Banu-Kuraiza at Fidak, the Bonu - Kainuka near Medina itself. They had domineered over the neighbouring Arab tribes, and lived in fortified cantons, until the establishment of two Kahtanite Arab tribes, Aus and Khazraj, at Medina ( Yethrib ).

These two Arab tribes were quarrelling among themselves and the Jews were exploiting this situation for their own end. This was the condition of Medina, which is situated about 11 days' journey ( by foot ) to the north of Mecca, when the Prophet reached the city. In order to develop a disciplined, model and living community the Prophet Muhammad established a harmonious equilibrium between the spitritual and the temporal. He tought a new system of law which dispensed impartial justice in which even the head of the state was as much a subject to it as any commoner, and in which religious tolerance was so great that non-Muslim inhabitants of Muslim countries equally enjoyed complete juridical, judicial, cultural and religious freedom. He paid more thought to the poor than to anybody else.

The Prophet Muhammad set a noble example and fully practised all that he taught to others. From the mement his advent into Medina the Prophet established a brotherhood between the 'Ansar and Muhajireen', and united them in closer bonds. The two tribes of Aus and Khazraj forgot their mortal feuds in the brotherhood of the Faith. They rallied round the standard of Islam and formed the nucleus of the Muslim community. The old divisions were effaced, and the members of

ready to sleep in his house that night in place of the Prophet.

That night the Prophet went to his bed as usual and during the night the young men came and took their places standing outside his front door, their hands placed on their swords. They were ready to kill him as soon as the Prophet came out.

It is related that when the Prophet wanted to leave the house God caused these youngmen to feel so tired that they went to sleep while standing in their positions and Muhammad came out without their knowledge, reciting these verses of the Quran :

يس ۝ والقرآن الحكيم ۝ إنك لمن المرسلين ۝ على صراط مستقيم ۝ تنزيل العزيز الرحيم ۝ لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون ۝ لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ۝ إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون ۝ وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ۝ ( يس ١ - ٩ )

"Ya Sin. By the wise Quran, Lo! thou art of those sent on a straight path, A revelation of the Mighty, the Merciful, that thou mayst warn a folk whose fathers were not warned, so they are heedless. Already hath the word proved true of most of them, for they believe not. Lo ! We have put on their necks carcans reaching unto the chins, so that they are made stiff - necked. And We have set a bar before them and a bar behind them, and ( thus ) have covered them so that they see not." ( 36 : 1 - 9 )

After the Prophet had left they noticed the time had passed and thought he had not yet come out of his house, as he usually did. They were worried and looked through the keyhole. They saw someone sleeping in the bed. They decided to wait until day break as they didn't know what had happened when the sun rose they saw that the person asleep in the bed was not Muhammad ( peace be on him ) and they were filled with rage and went around looking for him everywhere, realising that their plot had failed. Then they started to search outside Mecca, offering a reward of one hundred camels to anyone who could find the Prophet, alive or not.

News of the Prophet reached the people of Yathrib, and spread through the twon, and he was expected there before his arrival. They wanted to be the first to see the Prophet, and each day they waited for him, and when he didn't

MAJALLATU'L AZHAR

( AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FŪDA

| Muharram 1393 | ENGLISH SECTION | February 1973 |
|---|---|---|

# THE IMPORTANCE OF THE 'HIJRAH'

by : Dr. Mohiaddin Alwaye

The migration of the Prophet from Mecca to Medina was a very important event in the history of Islam. This happened in 622 A. D. Because of the importance of that journey it is regarded as the beginning of the Islamic calendar. The Prophet had spent thirteen years in Mecca calling its people to Islam, using every means he had to help them accept his call. But for their part, they used every means to stop him from continuing his call.

When they could find no other way to stop him they had a meeting in a conference hall in Mecca called 'Dar alnadwa to discuss the effective way to stop him from calling people to his mission. The people of Mecca decided in that meeting to kill the Prophet, and they quickly started to put this decision into action. When the decision to kill the Prophet was made by the people of Mecca he was to warned of it through a revelation from God.

God ordered him to leave Mecca and go to Medina on the night they planned to kill him. The Prophet started to prepare for this journey and he went to Abu Bakr one day at noon and informed him what they were to do. He instructed him to make arrangements for the journey and to find someone who had experience of the desert. The day before the night of the departure the Prophet called his cousin, Ali Ibn Abi Talib and asked him to get



مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ فى جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثانى — السنة الخامسة والأربعون — صفر سنة ١٣٩٣ هـ — مارس سنة ١٩٧٣ م


بسم الله الرحمن الرحيم

# هذا هو الإيمان

للأستاذ عبد الرحيم فودة

---

عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس الإيمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وإن قوما غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا : نحن نحسن الظن بالله . . وكذبوا . . لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل . . . » .

ومعنى ذلك أو بعض مايفهم من معناه أن الإيمان لا يكون بمجرد تخيل الأمانى . ثم تمنى الحصول عليها بغير الأسباب الموصلة إليها ، ولكن الإيمان الحقيق بأن يطلق عليه اسم الإيمان ، هو ما استقر فى قلب المؤمن أنه حق فاطمأن إليه ، واستراح له . وحرص عليه . ثم كان عمله موافقا له . مصـــدقا لوجوده أو لدعوى اعتقاده ، وقد غفل عن ذلك قوم ، فرأوا فى الإيمان مجرد اعتقاد سليم وحسن ظن بالله ، وبنوا على ذلك أوهاما باطلة . وأحلاما بعيدة ، فتمنوا على الله الأمانى . دون أن يدخلوا البيوت من أبوابها ، ويلتمسوا النتائج من أسبابها وظلوا على حالهم مخدوعين بالأحلام والأوهام . حتى خرجوا من الدنيا دون حسنة تحسب لهم . وقالوا : نحن نحسن

الظن بالله . ونطمع فى فضله وإحسانه ، وقد كذبوا فيما زعموا ، لأنهم لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل بما يعتقدون أنه حق وصدق، فذلك هو الذى يقربهم من ربهم ، ويدنيهم من أمانيهم . ويحقق لهم الحياة الطيبة فى الدنيا . والنعيم المقيم فى الآخرة كما يفهم من قوله تعالى : «من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

وهذا المعنى الذى يفهم من هذا الحديث يلتقى مع ما يفهم من قول الله جل شأنه : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » .

فالإيمان عقيدة قوية . وعمل صالح ، وبين العقيدة والعمل إرادة ماضية . وعزم مصمم ، وثقة مطلقة فى أن الله كما يقول : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » .

والعقيدة ليس معناها مقصوراً على التصديق بوجود الله وبكتبه ورسله واليوم الآخر ، وإنما هو واسع يتناول التصديق العميق بكل ما صدر عنه أو أمر به ، كالإيمان بأن الأجل لا يتقدم بحرب ولا يتأخر بسلم ، وبأن كل ما يصيب الإنسان من خير وشر إنما هو بقـــدر الله كما يفهم من قوله تعالى : « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير » ، وبأن الله لا يبخس الإنسان حقه فى الحياة ولو كان كافراً كما يفهم من قوله تعالى: « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون » ، وبأن أحق الناس بالحياة الطيبة هم المؤمنون ، كما يفهم من قوله تعالى : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » .

فإذا تخلف المسلمون عن غيرهم فى وسائل الحياة الحرة الكريمة فمرد ذلك إلى انحرافهم عن فهم الإسلام فهما سليما ، وعن ضعف إيمانهم بقيمه ومثله ، وعن بعدهم عن مصادر القوة فيه ، وقعودهم عن

الجهاد فى سبيله ، وهو من الإيمان كما يفهم من قوله تعالى : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » .

وإذا صار أمرهم إلى ما نرى ويرون من ضعف بعد قوة ، وجهل بعد علم ، وذلة بعد عزة ، وحياة شقية بعد حياة طيبة راضية فلأنهم لم يستجيبوا إلى دعوة الله ورسوله ، وهى حياة الحياة ، وروح الكرامة والعزة كما يفهم من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » ، وقوله : « أفمن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » .

ولا سبيل إلى إصلاح حالهم ومآلهم إلا بالإيمان على الوجه الذى بينه الله فى كتابه . ورسوله فى سنته ، وهو أن يكون طاقة دافعة إلى العمل . وقوة محركة للجهاد . وحافزاً طبيعياً للتفوق ، فإن الإسلام ليس تواكلا وتخاذلا وسلبية إنما هو عقيدة تعمر القلب . وعمل يعمر الحياة . وإيمان راسخ بأن الله كما يقول : « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » ؟

عبد الرحيم فوده

---

## كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : الإمام راع ومسئول عن رعيته ؛ والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ؛ والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته قال : وحسبت أن قال : والرجل راع فى مال أبيه ومسئول عن رعيته ؛ وكلكم راع ومسئول عن رعيته » .

# الرياضة المحببة فى الإسلام وصلتها بالجهاد

للأستاذ أبو الوفا المراغى

---

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا سبق إلى فى خف أو حافر أو نصل) أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى . وفى رواية أخرى للنسائى : لا يحل سبق إلا على خف أو حافر .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يضمر الخيل يسابق بها . أخرجه أبو داود .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها كانت مع النبى صلى الله عليه وسلم قالت : فسابقته فسبقته على رجلى فلما حملت اللحم سابقته فسبقنى فقال : هذه بتلك السبقة . أخرجه النسائى وابن ماجة .

السبق : بفتح الباء : الجعل الذى يقع السباق عليه . الخف : كناية عن الإبل . الحافر : كناية عن الفرس . النصل : كناية عن السهم .

يحرص الإسلام على الوقت ويكره أن يضيعه المسلم فارغا متبطلا ، فالفراغ كما هو خسارة مادية أو عقلية مجلبة للسوء والانحراف .

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة

لكنه مع حرصه على الوقت قدر للإنسان طبيعته فلم يحرمه من رياضته وأباح له كثيرا من الرياضات التى تلائم جسمه وتكوينه ولعلنا لا نبعد إذا قلنا أن فى الصلاة فى أوقاتها المختلفة نوعا من الرياضة الجسمية والروحية ، فهى إذن رياضة مفروضة ، أما الرياضات الأخرى المباحة فهى كثيرة ، وللمسلم أن يمارس منها ما يشاء ، غير أن هناك أمرين لا بد من توافرهما . أولهما : ألا تشغل عن مفروض . ثانيهما : ألا تكون سبيلا إلى المقامرة ، فمن تلك الرياضات السباحة والرمى والمصارعة والمسابقة سواء بالخيل أو الأرجل ونحو ذلك مما يتمخض عنه الفكر البشرى ، وينبغى أن نلاحظ أن الرياضة التى نبه عليها الإسلام ودعا

إليها ، لها جانبان : جانب خاص وجانب عام ، فالجانب الخاص وهو ما يعود على المرتاض نفسه فى جسمه وعقله من صحة ونشاط وتسلية ، أما الجانب العام أو جانب المصلحة العامة : فهو ما تجنيه الأمة الرياضية من إعداد جيل من أبنائها ينهضون بواجب الاستثمار والإنتاج وواجب حمايتها والدفاع عنها إذا دعا داعى الدفاع والنضال ، ولقد جعلت الأمم المتقدمة جزءا من برامجها الرياضة التدريب على الدفاع المدنى والتدريب على استعمال الأسلحة الخفيفة لتجمع بين الغرضين الخاص والعام ، ولقد أولى الإسلام نوعا من الرياضة اهتماما خاصا وهو النوع الذى يرتبط بالإعداد الحربى وهذا النوع هو المسابقة - والمسابقة بالخيل بوجه خاص - ذلك أن الخيل كانت أهم أدوات القتال فى العصور الأولى والاشتغال بالمسابقة بها يعطى المتسابق نوعا من الخبرة بها قوة وضعفا وكرا وفرا ، وهجوما ودفاعا كما يغريه باقتنائها وتخير الفواره منها .

وقد أخذ موضوع الخيل قسطا كبيرا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لاتصاله بموضوع الجهاد وكعنصر من أهم عناصره ، وقد عرضت هذه الأحاديث لفضل اقتنائها لفرض الجهاد وما أعد لمقتنيها لذلك الغرض من الثواب حسب نيته ، لأن منها ما يعد لغير الجهاد كالاتجار والتباهى والتفاخر كما تكلمت عن تضميرها وهو تغذيتها بطريق خاص يكسبها قوة ، وعن شياتها وألوانها وما يحمد منها ويذم وعن الوصاة بها لأن الخيل فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة ومما جاء فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : ارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأكفالها ولا تقلدوها الأوتار وعليكم بكل كميت أغر محجل أو أشقر أغر محجل أو أدهم أغر محجل ، وأخذ الكلام على المسابقة بالخيل والرهان فى المسابقة وجواز أخذه حظه من تلك الأحاديث ومنها ما صدرنا به كلمتنا هذه ، وظاهر ذلك الحديث جواز الرهان فى المسابقة وجواز أخذه ، الا أن الفقهاء وشراح الحديث قيدوا ذلك بما إذا كان الرهان من طرف واحد من المتسابقين ، فإذا كان الرهان من الطرفين فلا يجوز لأنه مقامرة ويجوز ذلك بمحلل وهو أن يدخلا بينهما متسابقا

ثالثا يسمى المحلل ويقولا له إن سبقتنا أخذت الرهانين وإن سبق أحدنا أخذهما بشرط أن يكون فرس المحلل فى كفاية فرس المتسابقين فإن كان دونهما كفاية فلا يحل لأحدهما أخذ الرهان ، لأن ذلك يكون احتيالا لأخذ الرهان ويجب أن نذكر فى هذا المقام كلام الفقهاء والمحدثين لأن هذا الموضوع مهم يتصل بحياة كثير من الناس فى هـــذا العصر وليطمئن القارىء إلى ماشرحناه فى الموضوع .

قال العلامة العينى شارح البخارى ، قال القرطبي: لاخلاف فى جواز المسابقة على الخيل وغيرها من الدواب وعلى الأقدام وكذا الترامى بالسهام واستعمال الأسلحة لما فى ذلك من التدريب على الحرب أنتهى . وقد خرج هذا من باب القمار بالسنة وكذلك هو خارج من تعذيب البهائم لأن الحاجة إليها تدعوا إلى تأديبها وتدريبها ، وقال : أجمع العلماء على جواز المسابقة بلاعوض ولكن قصرها مالك والشافعى على الخف والحافر والنصل ، وخصه بعض العلماء بالخيل وأجازه عطاء فى كل شىء وأما المسابقة بعوض فإن كان المال شرطا من جانب واحد بأن يقول أحدهما لصاحبه: إن سبقتنى فلك كذا وإن سبقتك فلا شىء لى ، فهو جائز ، وحكى عن مالك : وأنه لايجوز لأنه قمار ، ولو شرط المال من الجانبين حرم بالإجماع الا إذا أدخلا ثالثا بينهما ، وقالا للثالث ، أن سبقتنا فالمالان لك وإن سبقناك فلا شىء لك وهو فيما بينهما أيهما سبق أخذ الجعل من صاحبه . وسأل أشهب مالكا عن المحلل قال: لا أحبه ولنا مارواه أبوداود من حديث أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال : من أدخل فرسه بين فرسين وهولا يأمن إن يسبق فليس قمارا . وإن أمن أن يسبق فهو قمار .

فلهذا يشترط أن يكون فرس المحلل أو بعيره مكافئا لفرسيهما أو بعيريهما وإذن لم يكن مكافأ بأن كان أحدهما بطيئا فهو قمار ، ويشترط فى المسابقة فى الحيوان تحديد المسافة وكذا فى المناضلة بالرمى ، وقال العلامة الخطابى فى معالم السنن : فى شرح الحـــديث ، لا سبق إلا فى خف الخ .

السبق مفتوحة الباء : يريد أن الجعل

( البقية على ص١٢٦ )

# من جهاد النساء في الإسلام

للدكتور محمد أبو شهبة

روى البخارى فى صحيحه قال : حدثنا أبو معمر ( قال) حدثنا عبد الوارث (قال) حدثنا عبد العزيز عن أنس رضى الله عنه قال « لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر ، وأم سليم ، وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقها تنقزان القرب ، وقال غيره تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه فى أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان ، فتفرغانه فى أفواه القوم » .

« ما يتعلق بالسند » أبو معمر : هو عبد الله بن عمرو المنقرى ، وعبد العزيز : هو ابن صهيب .

تخريج الحديث : روى هذا الحديث البخارى فى صحيحه - كتاب الجهاد - باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال ، وفى كتاب المغازى - باب غزوة أحد بسياق أتم من هذا .

ورواه مسلم بالسياق التام فى كتاب الجهاد - باب غزوة النساء مع الرجال

« الشرح والبيان »

« لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم »

وكان السبب فى تلك الهزيمة مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كون فرقة من الرماة المجيدين للرمى بالنبال ، وأمر عليهم الصحابى الجليل عبد الله ابن جبير وأمرهم أن يقفوا وراء جيش المسلمين يدفعون عنهم بالنبال حتى لا تأتيهم خيل المشركين من وراء ظهورهم وقال لهم : « لا تتركوا مكانكم ولو رأيتمونا تخطفنا الطير ، وسواء انتصرنا أم انهزمنا » وكان هذا العمل حنكة حربية ، وتصرفا حكيما بارعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن هذا المكان هو الذى يمكن أن يؤتى منه المسلمون .

ولكن الرماة لما رأوا المسلمين انتصروا على المشركين ، وشرع البعض فى أخذ الغنائم وحيازتها اختلفوا فيما بينهم ، فقال الكثيرون منهم : إنما كانت وصاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا بالثبات فى حال عدم النصر وقال بعضهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانا بالثبات سواء أكان النصر أم كانت الهزيمة وذهب أصحاب الرأى الأول لجمع الغنائم وثبتت ثلة قليلة وعلى رأسهم قائدهم وأميرهم عبد الله بن جبير اتباعا لوصية رسول الله ، فاهتبل خالد بن الوليد - ولم يكن أسلم بعد - هذه الفرصة ، وهى خلو ظهر جيش المسلمين من معظم الرماة فجاء من خلف الجيش ، فقاتلته ودفعته الثلة الباقية مع قائدهم عبد الله بن جبير حتى استشهدوا جميعاً فى سبيل الله ، فما كان من خالد وخيله ، ورجله إلا أن شدوا على المسلمين من ظهورهم ، وكانت مفاجأة أذهلت الكثيرين من المسلمين ، وساد الهرج والمرج الجيش الإسلامى ، فكانت بوادر الهزيمة ، ثم أشيع أن رسول الله قتل ، فزاد من الاضطراب والهزيمة .

ولولا ثبات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحوله ثلة من خيار أصحابه وأبطالهم لكانت الهزيمة ساحقة ماحقة وكانت الهزيمة فى أحد درساً تربوياً إلهياً تعلم منه المسلمون أن لا يخالفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً مهما كانت الظروف والملابسات ، فمن ثم لم يقعوا فى هذا الخطأ فيما بعد ، ولم تقع بهم مثل هذه الهزيمة .

كما تعلموا منه أن ما عند الله خير وأبقى وأن الغنائم ما هى إلا عرض زائل لا ينبغى أن تكون غرضا لمجاهد فى سبيل الله ، كما كانت الهزيمة اختباراً تبين به المؤمنون الصادقون ، من ضعفاء الإيمان والمنافقين وقد دل ما حدث فى أحد على أن الرسل وأتباعهم قد تنالهم الهزيمة فى بعض المواقف لخطأ أو لغير ذلك ، ولكن العاقبة بالنصر لا بد أن تكون لهم ، وهذه هى سنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وصدق الله تعالى : « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله لقوى عزيز »[1] .

وقد سجل الله تعالى ما يتعلق بغزوة أحد ، وتسلية المسلمين لما أصابهم فيها ، فى نحو أربعين آية من سورة آل عمران .

« ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم » .

---

(١) المجادلة ٢١ .

أما « عائشة » بنت أبى بكر ، فهى أم المؤمنين وزوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم تمنعها منزلتها فى قومها فهى بنت الصديق سيد بنى تيم ، ومكانها من رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن تخرج مع الجيش فى أحد تحمل القربة على ظهرها لتسق العطشى ، وتغيث الجرحى بشربة ماء قد يكون فيها الحياة ، وبذلك كانت أسوة حسنة لغيرها من نساء الأمة المسلمات .

أما « أم سليم » فهى أم أنس بن مالك كانت من الصحابيات المجاهدات فى سبيل الله ، وكانت ممن شاركن فى أحد وغيرها بحمل الماء للعطشى ، ومداواة الجرحى .

بل لم تقتصر على هذا بل كانت تعد نفسها للقتال إذا لزم الأمر ، والدفاع عن نفسها إن هم أحد من المشركين بانتهاك حرمتها ، والتعدى عليها ، روى الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن أنس « أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرا فكان معها ، فرآها أبو طلحة ، فقال : يا رسول الله ، هذه أم سليم معها خنجر[1] فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما هذا الخنجر »؟ قالت : اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت به بطنه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ، وفى ضحك رسول الله إقرار لها على عملها ، وعجب من شجاعتها وبطولتها ، وكأنه صلى الله عليه وسلم بذلك ينوه بها زوجها أبا طلحة رضى الله عنه ، الذى تزوجت به بعد والد أنس رضى الله عن الجميع .

« وإنهما لمشمرتان ، أرى خدم سوقهما »

التشمير : رفع طرف الثوب من أسفل حتى لا يتعثر فيه صاحبه ، وإنما يفعل هذا الجد فى السير ، أو فى عمل كحمل القرب مثلا ، كما هنا .

خدم : بفتح الخاء المعجمة ، والدال المهملة : جمع خدمة وهى الخلخال ، والسوق : جمع ساق ، والمراد رؤية موضع الخلخال منها ، ولم يكن ذلك عن عمد من أنس - رضى الله عنه - وإنما حصلت النظرة منه فجأة من غير قصد للنظر ، ولم يستدم ذلك .

فإن قيل كيف تكشف الصحابيتان الجليلتان عن موضع الخلخال من ساقيهن وهن من خيرة النساء ؟! وموضع الخلخال من العورة ؟ والجواب : أن ذلك كان قبل أن يؤمر النساء بالحجاب فقد كان

(١) الخنجر - بكسر الخاء ، والفتح لغة - سكين كبير ذات حدين .

ذلك فى أحد فى السنة الثالثة من الهجرة أما نزول آية الحجاب فكانت بعد ذلك فى السنة الخامسة صبيحة بنى بالسيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها .

أو أن الحرب تعتبر ضرورة من الضرورات التى تبيح كشف بعض الساق ، والضرورات تبيح المحظورات .

« تنقزان القرب – وقال غيره – : تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه فى أفواه القوم » .

تنقزان : بفتح التاء وسكون النون وضم القاف بعدها زاى ، أى تحملان ، والقرب جمع قربة ما يحمل فيه الماء ، وهى من الجلد ، وفى الرواية الأخرى تنقلان والمعنى واحد وهى مفسرة لرواية تنقزان وهى رواية جعفر بن حمدان عن عبد الوارث فلعله رواها بالمعنى ؛ لأن الرواية التى اتفق عليها الشيخان تنقزان والقرب : منصوب على المفعولية .

وقيل : معنى تنقزان : تثبان وتقفزان ، والنقز : الوثب ، والقفز كناية عن سرعة السير ، وهذه المواطن مما يستحب فيها السعى والإسراع ، فرب شربة تنقذ عطشان ، أو جريحا من الموت ، والقرب المعنى منصوب على نزع الخافض على هذا أى تثبان وتقفزان بالقرب .

« على متونهما » ، أى على ظهورهما وجوانبهما كما هو الشأن فى حامل القربة من الماء .

« ثم تفرغانه فى أفواه القوم » الضمير فى تفرغانه للماء وهو مفهوم من الكلام إذ القربة وعاء الماء ، والمراد بالقوم المقاتلون العطشى ، والجرحى .

« ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغان فى أفواه القوم » .

كناية عن استمرار ذلك منهما ، وأنهما لم يفعلا ذلك مرة ولا مرتين ، بل فعلا ذلك مرارا .

وقد دل هذا الحديث على جواز خروج المرأة مع الجيوش لتصنع الطعام والشراب ، والكساء ، ولتسق العطشى ولتمرض الجرحى ، ولا حرج فى ذلك ولا فى ملامستها لغير محرم ، أو غير زوج لأنها ضرورات ، والضرورات تبيح المحظورات ، والضرورة تقدر بقدرها ، وهذا من سماحة الإسلام ، وصلاحيته لكل زمان ومكان ، وسبقه إلى كل خير .

أحاديث شاهدة لهذا الحديث :

---

وقد ورد فى إباحة خروج النساء ، فى الغزو والجهاد ، ومباشرتهن بعض

الأعمال الضرورية للجيش أحاديث أخرى منها: الحديث الذي رواه البخاري بسنده عن الربيع بنت معوذ [١] قالت: «كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنسقى القوم، ونخدمهم، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة».

ومنها الحديث الذي رواه مسلم بسنده عن يزيد بن هرمز أن نجدة [٢] كتب إلى ابن عباس يسأله عن خمس خلال فقال ابن عباس: لولا أن أكتم علما ما كتبت إليه، كتب إليه نجدة: أما بعد فأخبرني: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بالنساء؟ وهل كان يضرب لهن بسهم؟ وهل كان يقتل الصبيان؟ ومتى ينقضي يتم اليتيم؟ وعن الخمس لمن هو؟ فكتب إليه ابن عباس: «كتبت تسألني: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بالنساء، وقد كان يغزو بهن، فيداوين الجرحى، ويحذين [١] من الغنيمة، وأما بسهم فلم يضرب لهن، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يقتل الصبيان فلا تقتل الصبيان، وكتبت تسألني: متى ينقضي يتم اليتيم؟ فلعمري إن الرجل لتنبت لحيته، وإنه لضعيف الأخذ لنفسه، ضعيف العطاء منها، فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ الناس فقد ذهب عنه اليتم، وكتبت تسألني عن الخمس لمن هو؟ وإنا كنا نقول: هو لنا، فأبى علينا قومنا ذاك».

ومنها الحديث المرسل الذي أخرجه عبد الرازق عن معمر عن الزهري قال: «كان النساء يشهدن مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد، ويسقين المقاتلة، ويداوين الجرحى».

ومنها ما رواه أبو داود في سننه من

---

(١) الربيع: بضم الراء وفتح الباء الموحدة وكسر الياء المشددة وأبوها معوذ: بضم الميم، وفتح العين وكسر الواو المشددة، لها ولأبيها صحبة للنبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) هو نجدة الحروري من الخوارج، وقد كان ابن عباس يكرهه لبدعته، ولكن لما سأله عن مسائل من العلم لم يسعه إلا إجابته حتى لا يعد فيمن يكتمون العلم.

(١) يحذين: بضم الياء وفتح الذال مبنيا للمجهول أي يعطين على سبيل الرضخ لا على سبيل السهم وهو مذهب جماهير العلماء، وقال الأوزاعي تستحق السهم إن كانت تقاتل أو تداوي الجرحى، وقال مالك لا رضخ لها وهذان المذهبان مردودان بهذا الحديث الصحيح الصريح.

طريق حشرج بن زياد عن جدته وأنهن خرجن مع النبي صلى الله عليه وسلم في حنين وفيه : أن النبي سألهن عن ذلك فقلن : خرجنا نغزل الشعر ، ونعين في سبيل الله ، ونداوى الجرحى ونناول السهام ، ونسقى السويق ، إلى غير ذلك من الأحاديث في هذا المقام [١] .

ومن هذه الأحاديث يتبين لنا جليا أن المرأة المسلمة قامت بألوان من الجهاد التي تليق بها ، وأنها سبقت المرأة الغربية في هذا ، وقد كان خلفاء المسلمين يعرفن للنساء الغازيات المجاهدات فضلهن . روى البخارى في صحيحه أن عمر بن الخطاب قسم مروطا [٢] بين نساء من نساء المدينة فبقى منها مرط جيد ، فقال له بعض من عنده يا أمير المؤمنين : أعط هذا بنت رسول الله التي عندك - يريد أم كلثوم بنت على زوجته - فقال عمر : أم سليط أحق به منها . قال عمر : فإنها كانت تزفر [١] لنا القرب يوم أحد .

وكانت النساء يقمن بهذه الخدمات ، وأنواع الجهاد ، وهن على حالة من الوقار والاحتشام ، وعدم التبرج ، والمخالطة المريبة ، والإسلام لا يمنع المرأة من المشاركة في الحرب بما يليق بحالها ، بل ومن التسلح بالسلاح للدفاع عن نفسها ، وحماية شرفها كما سمعنا من أم سليم ، بل ومن المشاركة في القتال إذا لزم الأمر ، وذلك كما فعلت السيدة أم عمارة نسيبة بنت كعب الأنصارية فإنها في غزوة أحد خرجت لتسقى العطشى وتمرض الجرحى وكانت الريح للمسلمين ، فلما ذهبت ريحهم وبدت الهزيمة ، ألقت بسقائها ، وأخذت السيف وصارت تقاتل ، وتناضل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أحاط به المشركون ، ولم تزل تقاتل حتى سقطت مغشيا عليها من جراحها وآلامها وسأحدثك في مقال آت عن شيء من بطولاتها ، فرضى الله عنها ، ورضى الله عن النساء المسلمات الغازيات المجاهدات وأرضاهن ؟

د . محمد محمد أبو شهبة

(١) انظر صحيح البخارى - كتاب الجهاد - باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال وصحيح مسلم كتاب الجهاد - باب غزو النساء مع الرجال .

(٢) جمع مرط : كساء جيد من صوف أو حرير تتلفع به المرأة .

(١) تزفر مثل تحمل وزنا ومعنى .

# طبول النظريات الاستشراقية

## تدق أمام الغزو الإسرائيلى والمذهبى

للأستاذ أحمد موسى سالم

---

فى المقال السابق ذكرت رأى المستشرق الماركسى ( بندلى جوزى ) فى ميمون القداح اليهودى الذى كان الرأس المدبر لتنظيمات الإسماعيلية الباطنية والقرامطة والذى نجح كما يقول هذا المستشرق فى تركيب وإدارة هذه الآلة الغريبة المدهشة بحيث يكون من بعض أهدافها « أن تتخذ من المؤمنين واسطة لنقل السلطة إلى الكافرين » ... أى أن تتخذ من العرب المسلمين أصحاب السلطة والخلافة واسطة تساعد على تفتيت المجتمع ، وإثارة الصراعات ، وتمزيق الوحدة ، بما يؤدى إلى نقل السلطة لصانعى هذه الآلة الرهيبة من زنادقة الباطنية والقرامطة وأشياعهم الخارجين على الإسلام ...

ولقد كان عجيباً أن يعترف (بندلى جوزى) بهذه الحقيقة البسيطة التى رددها من قبله أبو حامد الغزالى وغيره عن الباطنية والقرامطة ، ثم يأتى بعض من تولى هو حضانتهم الفكرية ، ومن أرضعهم فى كتاباته لبان الدببة والثعالب القطبية من المثقفين العرب المسلمين فيرددوا معه بحماس المراهقة المذهبية هذه الأقوال والآراء التى يهدم بها - هو وأقرانه - أصول الاجتماع العربى ، وتركيب التاريخ الإسلامى ، ليصبح القرامطة والباطنية الشعوبيون والملحدون هم « الاشتراكيين الأوائل » و « اليسار المبكر » الذين جاد بهم الزمان لينادوا « بالعدالة الاجتماعية التى أوحى بها الإسلام » . .

وهكذا على أكتاف هؤلاء المثقفين « الأذكياء » ، وربما بسبب فرط ذكائهم تستمر فى الدوران هذه الطاحون الباطنية الرهيبة ، وتظل تنتشر هذه الأفكار المقلوبة التى ينقل بها المؤمنون « نظريات الإلحاد لغير الملحدين » ، وبذلك ينتقل الشعب العربى من حالة الوعى لأصالته ، والعمل لوحدته ، والتمسك بدينه ، إلى حالة أخرى يتردى فيها ، هى الشك فى ذاته

والاستجابة لأعدائه ، والانسلاخ من إيمانه ... !

ولكن رب ضارة نافعة ...

ونعود إلى التركيز فى هذه الكلمة على أن الهدف الأساسى الذى يصاحب الخطط العملية لإنشاء دولة إسرائيل الكبرى فوق أرض الأمة العربية الواحدة هو انتزاع يقين هذه الأمة فى دينها نهائيا ، ويتأتى ذلك فى زعم القائمين عليه بوسائل منها تنشيط نظرية قديمة فى شكل جديد يقودها من أوائل القرن العشرين لفيف من المستشرقين الماديين والعلمانيين حيث يقولون بشكل من العطف الدفاعى عن الأمة العربية ، وبالصيغة الاستدراجية لاهتمام أبنائها داخل طبيعة العصر « إن الإسلام لم يكن دينا خالصا بقدر ما عبر عن الاستجابة لقوانين التطور الاجتماعى والصراع الطبقى ، والعوامل الاقتصادية داخل قشرة خارجية من الدين » !!

لاشك أن هذه الصياغة الحديثة لنظريات المستشرقين الصريحة فى عدائها للعرب والإسلام فى القرن التاسع عشر تعتبر قفزة ملائمة لطبيعة العصر فى القرن العشرين .. وقفزة بالذات تجاه دوامة الموضوع الأساسى وهو «صراع الطبقات» ليس الدين إذن فى هذه النظرية البراقة التى تقطر عطفا على العرب وتقديراً للإسلام إلا قشرة رقيقة ، وأما المحتوى لحركة الإسلام ، وقلب البركان لأحداثه فهو المؤثرات السياسية والاقتصادية ... هكذا يكون الإسلام بطوله وعرضه وعمقه عندما ظهر فى القرن السابع الميلادى ليس إلا بشارة وإرهاصا لظهور اليسار الاشتراكى والماركسية اللينينية !

ولنعرض هذه النماذج القليلة الكلمات ، البليغة الدلالات من كلام هؤلاء المعلمين لبعض المثقفين عندنا : يقول المستشرق الإيطالى (كايتانى) فى كتاب له عن تاريخ الإسلام !

« إن الإسلام لم يكن حركة دينية ، إذ لم يكن فيه دينياً إلا الظاهر ، أما الجوهر فإنه كان سياسياً واقتصادياً » !

يريد كايتانى أن يقول أن الإسلام لم يحمل من الدين إلا الشعار أما طبيعته ودوافعه فهى سياسية واقتصادية فقط !

ويقول المستشرق الهولندى (دى جويج) فى مقال له بالعدد الرابع من مجلة الشرق الجديد الروسية وهو يحاول أن يصل إلى رأى كايتانى من طريق آخر :

« إن الداعى إلى ظهور الحركة الإسلامية هو الدين ، إلا أن القبائل العربية وسكان مكة والمدينة أقبلوا عليه ودخلوا فيه لأسباب غير دينية » !

يريد أن يقول إن العرب بطبيعتهم التى لا تتقبل الدين - كما يزعم - دخلوا فى الدين تحت تأثير عوامل اقتصادية وسياسية ظهرت فى نزاعاتهم بعد ختام الرسالة !

ويأتى المستشرق الماركسى اليهودى ( بندلى جوزى ) صاحب المدرسة التى انفجرت تعاليمها من القدس سنة ١٩٢٨ فى هذا الاتجاه من تفسير الإسلام وتاريخه تفسيراً « مادياً » بالمنهج الماركسى فيؤكد رأى كايتانى ولكن من طريق ثالث ، فيقول :

« إن صاحب الدين الإسلامى - يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم - استعمل الدين كغيره من أصحاب الأديان الكبيرة قبله وبعده - كما زعم - واسطة للوصول إلى أغراض أخرى لا علاقة لها بالدين أصلا ، أولها علاقة ضعيفة » !

أى أن الرسول بذاته وشخصه - كما يزعم - قد جعل الدين واسطة إلى أغراض سياسية واقتصادية هى الأصل عندما يريد مثله أن يفسر للمثقفين العرب - متطوعاً - تاريخهم الإسلامى بالمنهج المـــادى !

إن هذه النظرية الجاهلة بالعمد ، والتى تساق دعائياً فى كتب هؤلاء المستشرقين الذين لم يكونوا فى حقيقتهم أكثر من حاملى الطبول ، وموزعى المنشورات أمام كل من الغزوين الإسرائيلى والمذهبى ... هذه النظرية ليست أقل دهاء من أقوال وتنظيمات ميمون بن ديصان اليهودى الذى بنى آلته الباطنية الهائلة ، وصنع عش الزنابير القرمطى على أطلال مجد المسلمين فوق أرض العرب . فلقد كان معنى هذه الكلمات البسيطة مع لزوجتها الخطرة فى كلام المستشرقين الثلاثة أنه من الممكن أن يقع « الإنسلاخ عن الدين » دون أن يكون فى ذلك « انسلاخ عنه » ! فالإسلام - كما زعموا - ليس ديناً ، وإنما هو فى الأساس حركة سياسية واقتصادية فما أعجب ذلك !

وعندما يقع هذا الانسلاخ السهل عن دين هو مجرد قشرة فإننا سنجد الإسلام متمثلا فى « حركة سياسية واقتصادية »

والحركات السياسية الاقتصادية لا يمكن تحليلها - كما لابد أنكم تعلمون - إلا بالمنهج العصرى الذى يأخذ به الفكر العلمى ، وتأخذ به المادية التاريخية أيضا لأنها فكر علمى ! .

وعندما يقع ذلك سنتبين ونكتشف أن الإسلام كان ثورة « جذورها اقتصادية وطبقية ، وإن هذه الثورة كانت فى وجه رأسمالية ظالمة هى « الملأ من تجار قريش » إذن فالإســـلام ليس دينا بقدر ما هو يسار تقدمى ! ! .

أليست هذه براعة وخفة عقل تفوق بمستوى العصر ما صنعه مستشرقو القرن التاسع عشر من إثارة المسلمين عليهم ، بل تفرق ما صنعه ميمون القداح وهى تتجدد على نفس قواعده وأهدافه وأمام هذه البراعة ، وليوثه الأفاعى وظلال القويه من كل مكان ، كيف تجد الأجيال من شبابنا العرب المسلمين هذه الفرجة المادية التى ينسكب منها الضوء على أمثال هذه المفتريات المذهبية لتفضحها ولتمزق عن وجهها القبيح كل أقنعتها ! .

لقد جرى إذن هــذا التحول الخطير فى صيغة الكلام المطروح على شباب بلادنا تفسيرا لتاريخ الأمة العربية قبل الإسلام وبعد الإسلام ، فلقد كان هذا التفسير فى القرن التاسع عشر فى ظل الاستعمار والإعداد لصنع اسرائيل هو التهوين من شأن الإسلام ، والتحقير للعرب الذين آمنوا به ، واتهامهم بالتقليد وضعف الخيال الخ . وفى مثل هذا قال المؤرخ الفرنسى جوزيف أرنست رينان فى موسوعته التاريخية :

« إن الإسلام ليس إلا بساطة الروح السامى الهائلة التى تضغط على دماغ الإنسان ، وتسد أمامه الطرق المؤدية إلى كل فكر حر ، وكل بحث علمى ، مستعيضة عن كل ذلك بتكرارها الممل : لا إله إلا الله » .

ثم أصبح هذا التفسير لتاريخنا وديننا فى القرن العشرين فى عصر الصراع بين الماركسية والرأسمالية هو أمثال ما ذكرنا من أن هــذا الدين الذى كان « يضغط على دماغ رينان » لا وجود له إنه ليس إلا قشرة . . وإنما الذى يضغط على الدماغ هو السياسة والاقتصاد . وكأنما الدين عندما كان صحيحا فى حياتنا كان عقيدة بغير حياة ، وحياة بغير مجتمع ، ومجتمعاً بغير هدف .

ولكن هؤلاء المرجفين جميعا كما علمنا الله إنما ينفثون بأفواههم هذه النظريات خيوطا وخاخا على أرض تخلفنا وفرقتنا أوهن من بيوت العنكبوت أنهم برغم وسائلهم البحث، وحوافزهم الدراسة، واستصغارهم لشأننا فى المواجهة يتناقضون مع أنفسهم، ويضغطون على أدمغتهم عجزا ويأسا وهم يقدمون التحريف حول الإسلام فى صورة التعريف به. وهذا أعظم البلاء لأهله. وأقرب الحوافز لعلمائه الذين لا يزال جهدهم وجهادهم عن الدين أضعف من أن يؤثر وأقل من أن ينتصر.

فلا نجد من تناقضهم أن رينان المروع من بساطة الإسلام الهائلة، والذى يتململ من هذا التكرار المدوى لشعار «لا إله إلا الله» الذى سقط على أوربا فأجهض جهالتها، وردها إلى ما هو أرشد لحياتها يعود هذا الارنست رينان فى كلام آخر كأنه ليس من كلامه فيتمقل القضية التى تحيره، وتأخذ بلبه، فهو يعد بنانه وقلبه على طرف قلمه مشيرا إلى هــذه الآية العظمى فى الإسلام وفى الأمة العربية بما يقلب أفكار هذه المدرسة الماركسية القرمطية الحديثة رأسا على عقب، إنه يشير إلى الظاهرة الأساسية التى لا تزال تحمل هذا النبع العظيم من حيوية هذه الأمة، وبرهان دينها، وتركيب اجتماعها، وأساس نشأتها وهى اللغة .. يقول رينان فيما لا يمتد إليه فكر المثقفين المعاصرين:

«إن وسط الجزيرة العربية وهو موطن العرب الأصلى لم يظهر فى تاريخ الشرق القديم إلا متأخرا، ومع ذلك فإنه هناك بالتحديد تستمر بفضل الحياة البدوية هذه الميزات الأصيلة للجنس السامى. ففى القرن السادس بعد الميلاد يتراءى هناك عالم زاخر بالحياة وبالشعر وبالرقى الفكرى فى بلاد لم تعط حتى هذا التاريخ أية علامة على وجودها، فبدون سابقة ولا تمهيد نلتقى فجأة بفترة المعلقات وغيرها من الشعر الفطرى فى مضمونه والبالغ الأمانة فى شكله، ونلتقى بلغة تفوق فى لطائفها أبلغ أنواع الكلام تعبيرا عن الثقافة، وبألوان من الحصافة فى النقد الأدبى وفى البيان أشبه ما نجده فى أشد عصور الإنسانية إعمالا للفكر، فإذا ما وجدنا هــذه الحركة تنتهى بعد قرن من الزمان بدين جديد يفتح لصف

العالم ، ثم تعود من جديد فتنطوى فى النسيان ، أفليس من حقنا إزاء ذلك أن نقول إن بلاد العرب دون جميع البلاد تشذ أكثر الشذوذ عن كل القوانين التى نحاول بمقتضاها تفسير تطور الفكر الإنسانى !؟.

ويستأنف رينان كلامه الذى يربط فيه بين ظهور الإسلام ودلالات نشأة اللغة العربية على نضج العرب الفكرى والثقافى ، وعلى ارتفاعها بهم كظاهرة اجتماعية وإنسانية فوق مستوى التفسير لحياتهم بالقوانين المألوفة عند الغرب لتطور الفكر الإنسانى فهو يقول :

« ومن بين الظواهر التى اقترن بها هذا الانبثاق غير المنتظر لوعى جديد فى الجنس البشرى ربما كانت اللغة العربية نفسها هى الظاهرة الأشد غرابة والأكثر استعصاء على الشرح والتعليل ، فهذه اللغة المجهولة قبل هذا التاريخ تبدو لنا فجأة بكمالها ومرونتها وثروتها التى لا تنتهى لقد كانت من الكمال منذ بدايتها بدرجة تدفعنا إلى القول بإيجاز أنها منذ ذلك الوقت حتى العصر الحديث لم تتعرض لأى تعديل ذى بال. اللغة العربية لا طفولة لها ، وليست لها شيخوخة أيضا منذ ظهرت على الملأ ومنذ انتصاراتها المعجزة قبل كل ما يمكن أن يقال عنها ، ولست أدرى إذا كانت توجد لغة أخرى مثل هذه اللغة جاءت إلى الدنيا من غير مرحلة بدائية ، ولا فترات انتقالية ، ولا تجارب تتلمس فيها معالم الطريق ....! » .

هكذا يضع مستشرق واحد من أشجع أعداء الإسلام والمسلمين ، ومن أصدقهم مع نفسه ، يده على أعظم الظواهر الاجتماعية غناء وفاعلية مستمرة فى حياة الأمة العربية ، وهى اللغة العربية التى ظهرت ، بكمالها ومرونتها ، قبيل الإسلام لتكون أداته وآيته الكبرى فى القرآن الكريم لجمع شتات هذه الأمة ، وتحقيق وحدتها ، وإحداث هذا (الوعى الجديد) فى الجنس البشرى !

وهكذا أيضا نكتشف ونتبين أن هؤلاء الذين يسلطون المنهج الماركسى عشوائيا على أحداث التاريخ الإسلامى لقلب أوضاعه ، ممن لا يزالون يعيشون على عقدة «قلب الأفكار اصناعة الجديد من الأفكار ، إنما يجهلون باعترافهم أكثر الأسس التى تصنع علما أو منهجا علميا

حول تاريخ الإسلام والمسلمين وتفسير أحداثه سياسيا أو اقتصاديا كما يزعمون.

إنهم يجهلون لغة العرب، وحياة العرب، كما يجهلون معانى القرآن وشريعة القرآن، وهم حين يتدعون إسقاط المنهج المادى على الحديث التاريخى الإسلامى من خلال منظور معاصر إنما يثيرون السخرية بعقولهم التى تعكس لهم الشعب العربى قبيل الدعوة وخلالها فى أحوال واهتمامات ونزاعات أحد شعوب القرن العشرين، والتى تفترض أن الناس فى عصر النبوة، والتجار الأغنياء فى مكة كانوا يلبسون ملابس الروم مثلا، وكانوا بين الحجون إلى الصفا يرقصون على موسيقى الجاز، وكانوا فى أسواقهم خلال الأشهر الحرم يتنافرون بأشعارهم وخطبهم حول اليمين واليسار!.. وربما كانوا يظهرون فى تلك الأيام سعداء لأنهم - أى الذين آمنوا بالإسلام منهم - سبقوا بالبشارة المبكرة، وبالدليل السياسى والاقتصادى على صحة أقوال رجل يهودى يأتى من بعد، ويولد بألمانيا فى القرن التاسع عشر واسمه كارل ماركس!!

إن هذا هو مبلغهم من العلم.. وعلينا أن نبنى بلبنات من الحقائق هذا الجسر الذى نميز به فوق هذه الفجوة الواسعة بين مفهوم اليسار بالمعيار الاقتصادى والاجتماعى المجرد من الدين وبين الإسلام الحق بهذه المعايير نفسها النابعة من مصدره الإلهى، ومن أصالته فى التشريع، ومن تركيب الأمة التى آمنت به فى فجر الدعوة، ومن هذا الإيقاع الواسع للدين فى قصة الإنسان.

ولنا عودة إن شاء الله؟

أحمد موسى سالم

---

قال تعالى:

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ».

# هل للمرأة أن تشترط على زوجها ألا يتزوج عليها ؟

للأستاذ محمد الشرقاوى

---

قد يكون من المفيد للمرأة التى ترغب فى الزواج أن تشترط على زوجها فى صلب عقد النكاح شرطا أو شروطا تراها ذات قيمة عملية فى حياتها ، أو انسجام خاص فى مزاجها ، أو عائد مادى أو أدبى فى مصالحها ، والزواج كما خططه الإسلام لابد أن يقوم على الحرية التامة فى الاختيار ، والاشتراط ، وفى المعاشرة بحيث لايشعر كل من الزوجين أنه واقع تحت ضغط ، أو إكراه ، أو إحراج .. ومن هنا كان لابد من استئذان المرأة البكر فى زواجها ، وإذنها صمتها كما نطق الحديث الشريف ، كما لا مناص من استئذان الثيب فى إقترانها بمن تقدم لها ، وإذنها نطقها . ولا تزوج واحدة منهما إن نفرت أو منعت ، كما تتعلم البكر (١) بأن فى سكوتها إذنا ، والثيب بأنه لايكفى منها السكوت ولا الحياء والخجل ، بل لابد من الإعراب عما فى دخيلة نفسها ، والإفصاح عن مكنون سرها إما برفض أو بقبول ، كما دعا الإسلام إلى إزالة اللبس والغموض أمام الزوج حتى يرى زوجته رؤية الشمس فى رائعة النهار ، أو البدر فى ليلة التم والازدهار .. روى جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(٢) «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل قال جابر : فخطبت جارية ، فكنت أتخبأ لها حتى رأيت منها مادعانى إلى نكاحها ، فتزوجتها ، رواه أحمد وأبو داود برجال ثقات وصححه الحاكم وله شاهد عند الترمذى والنسائى عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أنه خطب امرأة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » أى أن تطول الألفة والوئام بينكما ولمسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل تزوج امرأة : أنظرت إليها ؟

(١) الفقه الحديث فى مذهب إمام الحديث : ١٠٨

(١) سبل السلام جـ ٣ : ١٢٠

قال : لا ، قال : اذهب فانظر إليها ، والنظر هنا خاص بما يحصل به المقصود من استطابة الزوجة فى حدود القصد والاعتدال ، وإن لم يمكنه النظر بعث امرأة موثوقا بها لاجتلاء الموقف وإخباره بصفتها كما بعث الرسول عليه الصلاة والسلام أم سليم إلى امرأة يخطبها وقال لها : « انظرى إلى عرقوبها وشمى معاطفها » رواه أحمد والطبرانى والحاكم والبيهقى .

وقد تعرض هذا الحديث الأخير للنظر والمناقشة التى لا يتسع لها المقام ، ومهما يكن من أمر فإن كل هذه الاحتياطات التمهيدية لإتمام الزوج تلقى ضوءاً على مدى إهتمام الشريعة الغراء بتوثيق عقود الزواج وإقامتها على أساس من الصراحة والواقعية والبعد عن ذر الرماد فى العيون ، وتابيد جو الزواج بضباب الشك والإبهام والغموض .

ومن هذا الاتجاه جاء جواز اشتراط الزوجة على زوجها فى العقد شروطا معقولة المعنى لا تتنافى مع الآداب والفضائل ، ويظهر فيها جانب النفع والفائدة حسبما تجرى الأعراف السائدة والتقاليد المتبعة .. مثل أن تتزوج بشرط ألا يخرجها زوجها من بلدة معينة كالقاهرة مثلا ، أو بشرط ألا يتزوج عليها امرأة أخرى ، أو نحو ذلك من الشروط المعتبرة عرفا وعادة .

فما موقف الشريعة الغراء من هذه الاشتراطات ؟ ، وهل يتقيد بها الزوج شرعا ؟ ، وهل يترتب على عدم الوفاء بها عواقب جزائية للإخلال بهذه الوعود المبذولة ، والعهود الموثقة ! . هذا ما نعرض له بالبيان فى هذا المقال لنكشف عن مبلغ احترام الإسلام لإرادة المرأة ، وعن قيمة الشروط والالتزامات فى أحكامه ، وليعرف الجميع أن الشريعة العادلة قد أعطت كلا من الزوج والزوجة حقوقا متكافئة وكالت لهم بمكيال واحد ، لا محاباة فيه ، ولا ظلم ، ولا إجحاف .

ونبدأ أولا بالقول بأن هذه الشروط التى أملتها الزوجة على زوجها كجزء من المعقود عليه صحيحة ومعترف بها ، ولها فى منطق الدين قوة وحرمة ونذكر فى المقدمة رأى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

يرى[1] الإمام أحمد أن هذه الشروط

(١) فتح القدير جـ ٢ : ٤٥٩

ملزمة ، ويجب الوفاء بها ، وأن الزوج إذا أخل بها ولم يف بوعده فيها ثبت للمرأة خيار الفسخ فى الزواج ، وكان من حقها أن تنقض العقد المبرم بينها وبين زوجها على أنه فسخ لا طلاق لأنها لم تتزوجه إلا بشرط أن تملك أمرا مرغوبا فيه لديها ، وقد قبل الزوج الالتزام به بملء إرادته ، وأعطاها على ذلك عهده وميثاقه . فكان لابد من الوفاء به عملا بقوله تعالى : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ، وكان الإخلال به أو التنكر له معناه فوات الرضا من جانب المرأة فى هذا العقد ، والرضا شرط أساسى أو جزء رئيسى من العقود ، وبفوات الرضا عرا العقد من صمام أمنه وأصبح عرضة للزوال والانهيار فيكون من حق المرأة نقضه لأنها لم ترض به ، وصار مثله عند الإمام أحمد كمثل رجل اشترى عبدا على أنه خباز أو كاتب ثم ظهر بعد الشراء أنه بخلاف ذلك حيث يحق المشترى أن يفسخ البيع بلا خلاف .. هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج » وهو حديث متفق عليه[1] والحديث دليل على أن الشروط المذكورة فى عقد النكاح يتعين الوفاء بها سواء كان الشرط حالا أو غير حال والشروط بحسب الغالب تأتى من المرأة إلى الرجل ويقاس عليها الشروط التى تأتى من الرجل إلى المرأة لأن استحلال المرأة من خصائص رغبتها ، وذلك فيما ترضاه لنفسها قال الخطابى :ـ « الشروط فى النكاح مختلف فيها على الوجه التالى :

أولا : ما يجب الوفاء به اتفاقا وهو ما أمر الله به من حسن العشرة والإمساك بمعروف أو التسريح بإحسان .

ثانيا : ما لا يجب الوفاء به اتفاقا وهو ما ينافى العقد مثل ألا يقربها ، أو لا يقسم لها ، أو يعزل عنها إلى غير ذلك فالشرط باطل والعقد صحيح لأن هذه الشروط تعود إلى معنى زائد فى العقد لا يشترط ذكره ولا يضر الجهل به قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه فيما رواه الترمذى : « سبق شرط الله شرطها »[2] .

ثالثا : ما اختلف فيه كاشتراط ألا يتزوج عليها وألا ينقلها من بلدها ، أو من

(١) سبل السلام جـ ٣ : ١٣٨

(٢) المصدر السابق : ١٣٩

منزلها فأبطله على والزهرى وقتاده ومالك والليث والثورى محتجين بحديث « كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط » وبحديث : « المسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو حلل حراما » وبحديث أم مبشر : « أن النبى صلى الله عليه وسلم خطبها إلى نفسها فاعتذرت وقالت : إن زوجى شرط على ألا أتزوج بعده فقال لها : إن هذا لا يصلح وأجازه غيرهم من الفقهاء والصحابة منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث قال : « إذا تزوج الرجل المرأة بشرط ألا يخرجها لزم » وبه يقول الشافعى وأحمد وإسحاق وغيرهم وهو قول سعد بن أبى وقاص ومعاوية وعمرو رضى الله عنهم .

الرأى الثانى : وهو للحنفية فقد ذكر فى الهداية[1] : « وإذا تزوجها على ألف على ألا يخرجها من البلدة أو على ألا يتزوج عليها أخرى فإن وفى بالشرط فلها المسمى ، وإن لم يف فلها مهر مثلها لانعدام رضاها بالألف فيكمل مهر مثلها إن نقص عن الألف ، ولا ينقص عن الألف إذ كان أقل ، ولو تزوجها على ألف إن أقام بها وعلى ألفين إن أخرجها فإن أقام بها فلها الألف ، وإن أخرجها فلها مهر مثلها عند أبى حنيفة بلا زيادة على الألفين ولا نقص عن الألف ، ولها الألفان عند الصاحبين والشرطان صحيحان عندهما لأن كل واحد منهما شرط مفيد وكل شرط منهما له تقدير محدد بلا تردد ولا جهالة .. قال صاحب سبل السلام : « إن شرط المرأة ألا يخرجها من منزلها شرط غير منهى عنه فيتعين الوفاء به وهو من الشروط الجائزة التى تراد من الحديث الشريف : « إن أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج » ولأنها شروط لا تتنافى مع العقد ومقاصده الأساسية وقد أجاب الحنفية ومن وافقهم عن أدلة المعارضين بأن الشروط الباطلة هى التى تتعارض مع أهداف العقد الجوهرية من إمكانية التمتع وطلب الولد والإعفاف . أما هذه الشروط التى تشترطها المرأة لضمان استقرارها النفسى والمادى فى حياتها المقبلة ، فهى لا تعطل مصالح الزواج الأساسية لأن المرأة قد سلمت نفسها إلى زوجها لتحصيل هذه المصالح ... وهى ليست شروطا تحلل حراما أو تحرم حلالا

(١) الهداية فى فتح القدير جـ ٢ : ٤٥٨

لأن تحريم الحلال هنا منتف... وإنما هو امتناع من الزوج عن بعض المباحات برضاه واختياره إيثارا لبعض المباحات الأخرى التى ترجح عنده جانب اختيارها مثل صحبة الزوجة وتوفير أسباب السعادة لها، والعمل على إجابة مطالبها، وتحقيق رجائها ولو كان شرطا حتى تستقيم العشرة وتطول الصحبة ويصفو جو العلاقات الزوجية من كل شائبة.. فامتناع الزوج عن التزوج على زوجته وعن إخراجها من منزلها أو بلدها، وإقدامه على تطليق ضرتها ليس من قبيل تحريم حلال أو تحليل حرام.. إذ هو معترف بعدم تحريمه أو تحليله، وإنما هو من باب إلزام النفس بالإمساك عن بعض المباحات تحقيقا لمصلحة أرجح، فمثله كمثل من حلف ألا يفعل شيئا مباحا.. حيث إنه يمنع نفسه بحلفه من دون أن يعتقد تحريمه فإن اعتقد تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله كان اعتقاده باطلا ومردودا عليه ولا يعمل به.

وبعد: فقد ظهر من هذا العرض المفصل لأقوال العلماء فى اشتراط الزوجة على زوجها شروطاً فى العقد لا تتنافى مع مقاصد النكاح الأساسية ما يلى:

أولا: إن هذه الشروط محترمة وواجبة الوفاء وأن الإخلال بها يبيح للمرأة حرية فسخ العقد إن أرادت عند الإمام أحمد.

ثانياً: إن المرأة إذا وضعت شروطاً جزائية لتحفظ حقها عند نقض الشروط. استحقت هذه الشروط كاملة عند أبى يوسف ومحمد مثل أن تقول: إن أقمت بى فى القاهرة فالمهر ألف، وإن أخرجتنى فالمهر ألفان أو أكثر.. فإن وفى لها بالشرط أخذت ألفا، وأن أخل به فلها المذكور كاملا، وعند أبى حنيفة يكون لها مهر المثل بالغاما بلغ وليس من حقها فسخ النكاح عند الحنفية.

ثالثاً: إنه كما يجب على الرجل احترام شروط المرأة يجب على المرأة احترام شروط الرجل فى الزواج قياسا لشروطه على شروطها.

رابعاً: إن الإسلام بشريعته الغراء قد وضع النقط فوق الحروف فى مسائل النكاح وطالب كلا من الزوجين باتباع أسلوب الصراحة والوضوح والوفاء بالوعود وأعطى كلا منهما سلاحه الذى يحمى به مصالحه ويصون به العهود التى أخذها على صاحبه؟

محمد محمد الشرقاوى

دراسات قرآنية :

# الدّعـاء والقـدر

للأستاذ مصطفى الطير

« ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين » .

طاقات البشر وقوام متفاوتة ، فإذا كان فى بعضهم اقتدار فى ناحية فإن فيه ضعفا فى ناحية أخرى ، وهكذا الشأن فى جميع أفراد الإنسان بالاستقراء والتقصى ، فلهذا يدعو بعضهم بعضا ليعينه على استكمال النقص فيه ، ويقضى له من شئونه مالا يستطيع قضاءه ، ومن أجل ذلك نشأت الحرف المختلفة تبعا للطاقات والهوايات الكامنة فى النفس البشرية .

ولقد أحس الإنسان منذ نشأته أن طاقات البشر مجتمعة أو متفرقة تعجز فى أحيان كثيرة عن نجدته فيما هو مضطر إليه ، فلهذا اتجهت نفسه إلى قوة فوق قوى البشر يطلب منها العون والمساعدة ومنهم من وفق إلى معرفة خالق الأكوان فدعاه ليجلب له نفعا أو يدفع عنه ضرا ومنهم من خانه التوفيق فدعا أربابا سواه لم تسعفه فى تحقيق مناه « أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله » .

ولما عرف عباد الأرباب الكاذبة هذه الحقيقة تركوا دعاءهم عند الشدة منيبين إلى الواحد القهار ، لكنه إذا كشف الضر عنهم ومنحهم الرخاء والنعمة إذا هم به مشركون ، قال تعالى : « وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله » الآية ٨ من الزمر .

( هل يرد الدعاء القدر )

قد يقول قائل : كل شىء بقضاء الله وقدره ، فإن كان فى قضائه تعالى جلب نفع للعبد أو دفع ضر عنه حدث ماقضاه الله سواء دعا العبد مولاه أم لم يدعه وإن لم يكن ذلك فى قضائه فلا يستطيع الدعاء أن يغير مما قضاه الله شيئا ،

بل لا يستطيع أهل السماء والأرض أن يغيروه بأي سبب من الأسباب ، وكان أمر الله قدرا مقدورا » .

قلنا ردا على ذلك إن الدعاء ينفع فيما جعله الله أزلا مترتبا على الدعاء ، فلا بد من حصول الدعاء ليحصل ما جعله الله مترتبا عليه .

وإن مثل الدعاء كمثل الدواء ، فإنه إن كان مقدورا عند الله الشفاء بتناول المريض له ، تناوله وحدث الشفاء ، وإن لم يكن مقدورا لم يحصل سواء أتناول الدواء أم كف عن تناوله .

وكما أنه لا يصح له ترك العلاج بالدواء اعتمادا على أن ما كتبه الله من شفائه أو سقمه سيحدث سواء أتناول الدواء أم تركه ، فكذلك أمر الدعاء ، فعلى العبد أن يتعاطى الأسباب والله تعالى بعد تعاطيها يتفضل بتحقيق ما كتبه أزلا .

ولمثل هذه الشبهة سأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أرأيت أعمالنا أهي شيء قد فرغ منه ، أم هي أمر يستأنفه الله تعالى ، فقال : « بل هي شيء قد فرغ منه » فقالوا : ففيم العمل إذن ؟ فقال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .

( الدعاء مخ العبادة )

على أن الدعاء له مدلولان : أحدهما : أن الداعي يعترف بدعائه ربه أنه هو القادر على تحقيق ما دعاه إليه ، وثانيهما : أنه يقر بعجزه أمام الأحداث وأنه محتاج إلى العون من خالقه ليحقق له ما عجزت عنه قدرته وقدرة سواه ، وكلاهما مظهران من مظاهر العبودية والخضوع لخالق الأكوان ، فلذا كان مطلبا عظيما من مطالب الشريعة الإسلامية ، قال صلى الله عليه وسلم : « الدعاء مخ العبادة » .

وحسبك دليلا على فضل الدعاء ومنزلته عند الله أنه تعالى يغضب حين يتركه العبد إذا نزلت به محنة ، قال تعالى : « فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » .

فعلى العبد أن يدعو ربه في أمره كله ، فهو مظهر من مظاهر خضوعه لربه وإقراره بحاجته إليه ، واعترافه بقدرته على تحقيق مآربه ، وعليه أن يستسلم لقدر الله وحكمته فيما دعاه إليه سواء وافق مبتغاه أو لم يوافقه ، فهو أعلم بمصلحة كونه وأعلم بمصلحة عبده وينبغي له أن يجزم في دعائه ولا يعلقه على المشيئة ،

قال صلى الله عليه وسلم (لا ينبغى لأحدكم أن يقول اللهم اغفر لى إن شئت. ولكن يعزم ويقول اللهم اغفر لى) .

(لماذا لا يجاب الدعاء دائما)

وليس من مصلحة الخلائق أن يجابوا إلى دعائهم كلما دعوا ، فإن لهم مطالب ليس من الحكمة تحقيقها ، ولو أجابهم إليها لفسدت الأرض وعم الخراب ، فما من إنسان إلا له عدو يرجو هلاكه ، ويدعو ربه ، فلو استجاب الله لكل داع لهلك أهل الأرض جميعا .

وما من فقير إلا طالب للغنى ، فلو استجاب لكل فقير لاستغنى الناس ولم ولم يستطع أحد أن يسخر سواه فى تحقيق مطالبه ، وبذلك تتعطل مصالحهم وتفسد أمورهم ، وليس ذلك من الحكمة : « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » .

وما من إنسان إلا كاره للموت محب للبقاء فى الأرض أحقابا فلو استجاب الله دعاء عباده بالبقاء لتكاثر الناس حتى ملئوا فجاج الأرض وضاقت عليهم بما رحبت ولم تكفهم أرزاقها التى قدرها الله بقدر يناسب لطالب الحياة الذى قدره الله لخلقه ولأكل الناس بعضهم بعضا لضيق الأرزاق عن كثرتهم .

وما من إنسان إلا راغب فى أن يكون سيدا على غيره وسواه من رعيته ، فلو أجاب الله دعاء كل الناس بأن يكونوا رؤساء وملوكا لفسدت الأرض ، والأمثلة كثيرة وكلها شاهدة بأنه ليس من مصلحة الخلق أن يجاب دعاؤهم على الدوام ، بل يكون ذلك تابعا لحكمة الله ومشيئته كما قال تعالى : « فيكشف ما تدعون إليه إن شاء » .

على أن دعاء المسلم إذا لم يحققه الله سبحانه فإنه تعالى يعوضه عن إجابته فى الدنيا أو الآخرة ، فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (دعوة المسلم لا ترد إلا لإحدى ثلاث مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم : إما أن يعجل له فى الدنيا وإما أن يدخر له فى الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء بقدر ما دعا) .

(صراعنا مع إسرائيل)

ونحن الآن فى صراع مع إسرائيل تؤيدها دول استعمارية معينة وقد أعددنا له من الأسلحـــة والخطط ما استطعنا ،

ولا نزال نأخذ فى أسباب القوة ، ومن أهم ما يجب الاعتماد عليه أن نلجأ إلى عظمة الله وجلاله ، بالإيمان والعبادة والإخلاص فى الدعاء ، والصدق فى اللقاء والوحدة فى الداخل واجتماع الكلمة بين الأمم العربية : « فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين » .

ولنا فى مواقف الرسول وأصحابه أسوة حسنة حين تألبت عليهم قوى الشر والعدوان من كل مكان ، فإنه لم يحرك تلك الأسلحة المعنوية إلى جانب الأسلحة المادية حتى « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » .

فلنكثر من التضرع واللجوء إلى الله تعالى ، فلن يأتى النصر بغير معونته والتوفيق إليه .

( أمثلة من أدعية مستجابة )

لما يئس نوح عليه السلام من إجابة قومه إلى دعوة الله بعد أن مكث يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما دعا ربه فقال: « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً » ، فاستجاب الله دعاءه ، فأهلكهم بالطوفان وهم يعمهون

وحين تعاظم البلاء على أيوب دعا ربه أن يكشف ضره ، فاستجاب له وأمره أن يضرب الأرض برجله ، فضربها فنبعت منها ماء باردا ، فأمره أن يغتسل من هذا الماء ويشرب منه ففعل فشفاه الله .

وفى أول الدعــوة الإسلامية آذى مشركو مكة رسول الله كثيراً ، ومن ذلك أنهم عمدوا إلى فرث(١) جذور فى كرشه فوضعوه على رأسه وهو ساجد فى المسجد الحرام ، فجاءت ابنته فاطمة الزهراء فنحته عنه ، فلما انتهى من صلاته دعا على من تآمروا عليه فقال : ( اللهم عليك الملأ من قريش ) وسمى أفرادا منهم ، قال ابن مسعود: فرأيتهم صرعى يوم بدر .

ولما اشتد أذاهم قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف » ، فأصابهم القحط حتى أكلوا الكلاب والجيف .

ودعا مرة فقال : « اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب » ، كما رواه الحاكم وصححه ، ورواه البيهقى وغيره بلفظ

(١) الفرث : السرجين فى الكرش.

« اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك : بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب » وكان عمر في ذلك الوقت مشركا فحصلت له بركة دعوته صلى الله عليه وسلم فآمن وأعز الله به الإسلام .

ولما هاجر صلى الله عليه وسلم أدركه سراقة في الطريق ليقتله أو يمسكه لقريش حتى يقبض الدية التي جعلتها لذلك ، فلما دنا منه صلى الله عليه وسلم دعا الله سبحانه فقال : « اللهم اصرعه فصرعه فرسه » كما جاء في صحيح البخاري ، وقد ساخت قوائم فرسه في الأرض مع أن الأرض جلدة .

ولما نفد الماء من المسلمين في غزوة تبوك ، وكانوا في الصحراء والجو شديد الحرارة جعلوا يذبحون بعض الإبل ويعتصرون فرثهـا ليبلوا بعصارته حلوقهم من شدة الظمأ ، فقال أبو بكر : يا رسول الله إن الله عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا ، قال « أتحبون ذلك » قال نعم ، فدعا الله رافعـاً يديه إليه سبحانه ، فلم يرجعهما حتى كان السحاب قد أمطرهم ، ولم يتجاوز الماء عسكرهم ، فشربوا وملئوا ما معهم من الروايا[1] رواه ابن جرير والحاكم وصححه وغيرهما ، وقد رويناه بالمعنى .

وعن أنس قال : « أصابت الناس سنة[2] على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قام أعرابي ، فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنـا ، فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة[3] فوالذي نفسي بيـده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ، فمطرنا يومنـا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى يوم الجمعة الأخرى ، إلى آخر الحديث .

ولهذا شرعت صلاة الاستسقاء والدعاء بإنزال المطر عند الجدب ومازالت تلك سنة المسلمين ، وكثيرا ما يحقق الله دعاءهم ويسعفهم بالمطر .

---

(١) الروايا : جمع راوية ، وهي وعاء الماء الذي تحمله الإبل ، ويشبه القربة .

(٢) السنة : الجدب والقحط .

(٣) أي سحابة .

ومن ذلك مارواه الإمام أحمد أن الناس قحطوا على عهد معاوية ، فخرج يستسقى بهم ، فلما وصلوا إلى المصلى قال معاوية لأبى مسلم الخولانى : قد ترى ما حل بالناس فادع الله تعالى ، فكشف البرنس عن رأسه ، ثم رفع يديه ، ثم قال : اللهم إنا منك نستمطر ، وقد جئت إليك بذنوبى فلا تخيبنى ، فما انصرفوا حتى سقوا .

قال أبو مسلم : اللهم إن معاوية أقامنى مقام سمعه ، فإن كان عندك لى خير فاقبضنى إليك ، وكان ذلك يوم الخميس ، فمات أبو مسلم يوم الخميس المقبل - انتهى مرويا بالمعنى ومقتصرا .

فاللهم إياك نسأل أن تنصرنا على أعدائنا وتوفقنا لمناصحتك ومعرفة حقك إنك سميع الدعاء ؟

مصطفى محمد الحديدى الطير

---

( بقية المنشور على صفحة ١٠٢ )

والعطاء لا يستحق إلا فى سباق الخيل والإبل وما فى معناهما . وفى النصل وهو الرمى وذلك لأن هذه الأمور عدة فى قتال العدو ، وفى بذل الجعل عليها ترغيب فى الجهاد وتحريض عليه ويدخل فى معنى الخيل البغال والحمير لأنها كلها ذوات حوافر وقد يحتاج إلى سرعة سيرها ونجائها لأنها تحمل أثقال العساكر وتكون معها فى المغازى ، وأما السباق بالطير والزجل بالحمام وما يدخل فى معناه مما ليس من عدة الحرب ولا من باب القوة على الجهاد فأخذ السبق عليه قمار محظور لا يجوز .

فالمسابقة ليست لهوا خالصا ولا رياضة خالصة وإنما هى رياضة لها جانبها الحربى ومن هذا أباحها الإسلام أو سنها كما يقول بعض الفقهاء وحاطها باليسر والمسامحة كما قدمنا ؟

أبو الوفا المراغى

# أبو حذيفه ..... في سبيل الله

للأستاذ السيد قرون

---

حين كانت الدعوة الإسلامية سرا استجاب لها أبو حذيفة بن عتبة شابا قويا لم يبلغ الثلاثين من عمره، وكانت قريش تظن أنها دعوة من قبيل ما كان يهتف به قس بن ساعدة وأمية بن أبي الصلت وورقة بن نوفل وغيرهم، وكان أتباع الدين الجديد كأبي بكر يحملون النور في قلوبهم فيشع في بطحاء مكة وظواهرها فتنجذب إليها وجوه أراد الله لها أن تبيض يوم تسود وجوه.

فلما أمر رسول الله محمد بن عبد الله بالجهر بالدعوة وقف على جبل الصفا ونادى بأعلى صوته فاجتمع عليه الملأ من قريش، فقال لهم قولته المشهورة: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقوني؟ قالوا: نعم أنت عندنا غير متهم، وما جربنا عليك كذبا قط، قال، فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. يابني عبد المطلب، يا بني عبد مناف، يا بني زهرة – حتى عدد الأفخاذ من قريش – إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله ...» وتفوه عمه أبو لهب بقول يغضب الله ورسوله فنزلت «تبت يدا أبي لهب وتب».

هنالك تغيرت الحال غير الحال وأتت قريش من ضروب الفكر والفجر والسفه ما يندى له جبين الحر، ونظرت إلى الدعوة نظرة الخائف من الخطر، الوجل من هول المستقبل، فاندفعت طائشة ظالمة لا تعرف حقا ولا عدلا ولا قرابة، وزادها سفها واضطرابا ما كانت تسمع من عيب آلهتها وتسفيه أحلامها، وذكر آبائها الذين ماتوا على الكفر.

في هذه الآونة الحرجة كان أبو حذيفة ابن عتبة قد زاده الله إيمانا على إيمان، وحل به من صفاء الروح والقلب ما جعله ينكر موقف أبيه من الدعوة المحمدية، وأبوه يومئذ سيد من سادات بني عبد مناف ورجل من رجالات قريش يخوض فيما تخوض فيه جادا، ويدخل

فى حروبها وحوادثها رأسا ويحل مشكلاتها ويحمى سيادتها مخلصا ، فقد اشترك فى حرب الفجار وتم الصلح على يديه ، واشترك فى بناء الكعبة حين جددتها قريش ، وحين حسم محمد نزاع قريش حول وضع الحجر الأسود فى مكانه كان عتبة ممثلا لربع بنى عبد مناف وزهرة رفع أحد أطراف الثوب الذى أشار به رسول الله الذى وضع الحجر الأسود فى مكانه . وكان عتبة مع ذلك واسع الثراء له أموال يديرها فى مكة ويحملها إلى الشام واليمن للتجارة كما تنقل قريش ، وله بساتين بالطائف ، لم ينظر أبو حذيفة إلى كل ذلك : لم ينظر إلى سيادة أبيه ولا إلى ثرائه وأمجاده ، وعد كل ذلك من حطام الدنيا الفانية ، أما هو فعنده الآخرة خير وأبقى ، آمن بإله واحد ، صمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وكان يتوق إلى تحطيم الأوثان والأصنام وتطهير الكعبة منها ؛ لذلك تعرض لأذى قريش وناله ما نال أصحاب محمد من التعذيب والسجن والفتنة ، ولكنه صبر صبر الفرح بما يلقى فى سبيل الله ، وكان أبو حذيفة منفتح النفس والذهن ، منشرح الصدر والقلب لآى الذكر الحكيم الذى يتلقاها شفاها من رسول رب العالمين ، فترتفع به إلى الملأ الأعلى حيث رضا الله ومنازل الصديقين ، ولم ينتظر بإيمانه أن يخلى أبوه مكانه كما فعل كثير من النجباء أمثال خالد بن الوليد ، وعمرو ابن العاص ، وعكرمة بن أبى جهل ، لكنه كان المثل الأعلى للمؤمن الصادق القوى الإيمان ، وما سيادة أبيه وما مفاخره ! إنه منقوص السيادة فلم تعد قريش تلوذ برئيس واحد بعد عبد المطلب ابن هاشم ، ظهرت بنو مخزوم وبنو تيم وبنو أسد ينافسون بنى عبد مناف ، وآكد دليل على ذلك اختلاف بطونها حول وضع الحجر الأسود ، وهذا خير فى نظره لأنه يجعل كل إنسان حرا فى تفكيره .

وكان يفزع قريشا ويقض مضاجعها أن تنتشر الدعوة الإسلامية فيهون شأن الكعبة ، وتنصرف العرب عن الحج إليها ، فتكسد تجارتها ، وتتعرض رحلتها لذؤبان العرب وانتهابها ، فراحت تشن الغارة على كل من يدخل فى دين الله ، تضربه وتشجنه ، وقد تقتله ؛ لهذا ذهب

نفر من أصحاب رسول الله إليه - منهم أبو حذيفة - يشكون ما يلقون من أذى قريش . فقال لهم رسول الله : تفرقوا فى الأرض . فقالوا : أين نذهب يارسول الله ؟ قال : هاهنا - وأشار إلى الحبشة - وكانت أرحب الأرض إليه أن يهاجر قبلها . فهاجر ناس ذوو عدد من المسلمين منهم من هاجر بأهله ، ومنهم من هاجر بنفسه . خرجوا متسللين سرا ، وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة ، انتهوا إلى ميناء الشعيبة - قرب جدة - ووفقهم الله فوجدوا سفينتين رحلوا عليهما إلى الحبشة كان هذا فى السنة الخامسة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

ويطيب لى فى هذا الصدد أن أسجل أسماء هؤلاء المهاجرين إلى الحبشة فى الهجرة الأولى ، فكل منهم يستحق أن يفرد له كتاب إشادة ببطولته ، وتنويها بقوة إيمانه . وقد رتبهم محمد ابن سعد فى الطبقات الكبرى حسب قرابتهم من رسول الله . فقال : عثمان ابن عفان معه زوجه رقية بنت محمد رسول الله ، وأبو حذيفة بن عتبة معه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو . والزبير ابن العوام ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد معه امرأته أم سلمة ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة العنزى حليف بنى عدى معه امرأته ليلى ، وأبو سبرة العامرى ، وحاطب بن عمرو ، وسهل بن بيضاء الفهرى ، وعبد الله بن مسعود حليف بنى زهرة . نزل هؤلاء المهاجرون على النجاشى فلقوا عنده جوارا حسنا ، ومقاما كريما ، فانصرفوا إلى عبادة ربهم فرحين بفرحهم الجديد ، وولد لأبى حذيفة ابنه محمد فى مهجره هذا . وكان دائم الشوق والحنان إلى مكة حيث رسول الله والوحى والقرآن والمؤمنون ، يتنسم الأخبار ، ويتلهف على سماع الأنباء وفرح فرحا شديداً حين بلغه إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب ، وهدنة قريش مع رسول الله ، فاجتمع مع المهاجرين وتشاوروا : هل نعود إلى مكة وقد هدأت قريش وهادنت رسول الله ؟ أنبقى هنا إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا ؟ واعتقدوا أن ما سمعوا صدق ، وأن مكة ترحب بهم إذا عادوا .

وماذا عليهم لو عادوا ليكونوا بجانب

فيهم يتلقون ما يوحى إليه من الآيات البينات ، وليكونوا دعاته إلى وجوه العرب فى مواسم الحج ومواطن التجمع فى عكاظ ومجنة وذى المجاز ؟ وعادوا فإذا قريش أشد ما تكون لرسول الله وأصحابه إيذاء واضطهادا ، فاستلوا حتى ودعوا راجعين إلى الحبشة ، فكانت الهجرة الثانية إليها .

كان أبو حذيفة فى الهجرة الثانية فى عداد ثلاثة وثمانين رجلا ومن النساء إحدى عشرة امرأة قرشية وسبع غرائب على رأسهم جعفر بن أبى طالب وكان كأميرهم يتحدث إلى النجاشى بشأنهم . ويحاول وفد قريش الذى جاء لردهم إلى مكة بالحجة والبرهان .

قال عثمان بن عفان يا رسول الله : فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة إلى النجاشى ولست معنا ، فقال رسول الله : أنتم مهاجرون إلى الله وإلى، لكم هاتان الهجرتان جميعا ، قال عثمان : فحسبنا يارسول الله .

ومرت الأيام وتتابعت الأحداث يتلو بعضها بعضا ، فكان موت خديجة وموت أبى طالب وكان المعراج والإسراء وفرض الصلوات الخمس ، وكان الجد من رسول الله فى عرض نفسه على القبائل وكانت رحلة الرسول إلى الطائف وما لقى فيها من سوء ثم انفراج الأزمة بدخول الأوس والخزرج فى الإسلام ، وآن لصاحب الدعوة أن يهاجر ، وآن له أن يبدأ عهدا جديدا .

كل هذه الأحداث وهى خطيرة ومثيرة كانت تصل إلى المهاجرين فييئسون حينا ويسرون حينا ، ولكنهم آخر الأمر مطمئنون إلى نصر الله وظهور الحق ، ونجاح الدعوة التى هاجروا من أجلها .

فلما سمع أبو حذيفة بهجرة رسول الله إلى يثرب ملأ السرور قلبه ، وفاض الحبور على وجهه ولم تسعه دنياه وهو يجهز نفسه لرؤية رسول الله ، لم يتوان ولم يتمهل ، بل شد الرحال إلى مكة فى صحبة ثلاثة وثلاثين رجلا وثمانى نسوة ، فمات منهم رجلان بمكة ، وحبس بها سبعة نفر .

واتجه أبو حذيفة شطر المدينة والشوق يدفعه دفعا لمقابلة النبى فى مهجره ، وأخذ يغذ السير حتى بلغ مأمنه ، وهناك وجد الفرحة الكبرى وأخذ يقص على رسول الله أنباء مهاجرى الحبشة وحسن جوار

النجاشى، وأنباء من تخلفوا فى مكة ومن أصبحوا فى جواره ووضع نفسه وأهله ومولاه سالما تحت إمرة رسول الله، ليعبد الله ويجاهد، وليتلق القرآن ويتهجد إنها حياة جبية جليلة على ما فيها من تعب ونصب، كل حركة، وكل جهد، وكل عمل مدخر له يوم الجزاء، وتمنى لو أن الله هـدى أباه ليعيش مثله فى الإشراق والانطلاق من ربقة الوثنية ومن الحقد والحسد ومتاعب السيادة الكاذبة ولكن «إنك لا تهدى من أحببت».

لقد كانت هجرة أبى حذيفة خالصة لله ورسوله، لم يهاجر لدنيا يصيبها، ولا لامرأة يتزوجها، وآخى رسول الله بينه وبين عباد بن بشر ولم تهدأ قريش بعد هجرة رسول الله، ولم يستسلم أصحاب محمد لها، وكانت غزوة بدر، فامتحن فيها أبو حذيفة بأبيه، ياله من امتحان وياله من إيمان!! سمعت قريش بتعرض محمد وأصحابه لعير قريش، فأقبلت تزحف نحو المدينة بزهوها وخيلائها تريد أن تطفىء نور الله بأسيافها وكانت لها مندوحة أن ترجع من حيث أتت؛ إذ العير التى خرجت من أجلها قد نجت. فلم الحرب إذن؟.

قال الرواة: إن أبا جهل رأى أن يعسكر ببدر وكانت سوقا تجتمع فيها العرب فينحر الإبل ويشرب وتغنى القيان ليرى العرب قوة قريش وعظمتها لذلك كانت تلك المعركة كان على رأس من خرج لقتال محمد رجلان يتنازعان الرياسة عتبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وكانت قريش أميل إلى عتبة ولهذا يحز فى نفس أبى جهل ألا يكون هو قائدها الأوحد وهو رجل من بنى مخزوم يرى أن يدفع عبد مناف عن سيادتها فلا تأخذ عليه السماء من أقطارها وهاهو ذا عتبة رجل من بنى عبد مناف تلوذ به قريش فى يوم من أعز أيامها، وطالما ردد أبو جهل «تنازعنا وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذ تحاذينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا: منا نبى يأتيه الوحى من السماء فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه» وعتبة يبقى على الكفر حتى لا تنفرد بنو مخزوم بسيادة قريش ومن ذا الذى يريد سيادة قريش؟ إنه أبو جهل، وطالما سخر عتبة منه، يراه رجلا حادا أحمق لا يصلح لسياسة الناس

وقد رأى الرجوع عن الحرب بعد نجاة العير وخطب قائلا : « يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر فى وجه رجل قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته فارجعوا ، وخلوا بين محمد وسائر العرب فإن أصابوه فذاك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك لم تتعرضوا منه لما تكرهون» وترامى إلى أبى جهـــل رأى عتبة ، فاضطرب وأكل الحسد قلبه ، فراح يفسد الرأى ويحرض بين الناس واستغل عامر بن الحضرمى فأمره أن ينشد أخاه قتيل المسلمين بنخلة . فصاح واعمراه . هناك رجع عتبة عن رأيه ، وخاف أن تضيع سيادته فما إن بدأت المعركة حتى كان هو فى الصدر ، وإذا بابنه أبى حذيفة يطلب مبارزته ، والرسول يحول بينه وبين قتال أبيه ، وأخته هند تهجوه :

الأحول الأثعل المشئوم طائره
أبو حذيفة شر الناس فى الدين
أما شكرت أبا رباك من صغر
حتى شببت شبابا غير محجون

وكان أبو حذيفة رجلا طوالا حسن الوجه مرادف الأسنان وهو الأثعل ، وكان أحول . هكذا وصفته أخته .

وأصر عتبة على المبارزة فنزل إليه ثلاثة من الأنصار فأبى مبارزتهم وصاح : يا محمد أخرج إلينا الأكفاء من قومنا ، وكان يقف بين أخيه شيبة وابنه الوليد . فأمر رسول الله حمزة وعلياً وعبيدة ابن الحارث ( عبد مناف وجها لوجه ) ودارت الدائرة على عتبة وأخيه وابنه فقتلوا جميعاً . وقتل أبو جهل أيضاً ، فعتبة قتيل السيادة ، وأبو جهل صريع الحسد ، كما نعته الدكتور طه حسين فى « هامش السيرة » .

وسمع أبو حذيفة قائلا يقول : إن النبى يقول : إنى عرفت رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ، من لقى العباس بن عبد المطلب عم النبى فلا يقتله فإنما أخرج مستكرها فاستشاط غضباً ، فصاح وهو لا يدرى ، نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشائرنا ونترك العباس ، والله لئن لقيته لألحمنه السيف . وبلغت مقالته رسول الله . فقال لعمر بن الخطاب . يا أبا حفص :

أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟ فقال عمر : دعنى ولأضرب عنق أبى حذيفة ، فوالله لقد نافق . امتحان عسير وقع فيه أبو حذيفة ، وثاب إليه رشده ، وتكشفت له الأمور عن خطأ بين حار فى الخلاص منه . . وأقبل على رسول الله يعتذر نادما يقول يارسول الله : شق على أن أرى أبى وعمى وأخى مقتلين ، فقلت : ما قلت . فقال رسول الله : إن أباك وعمك وأخاك خرجوا جادين فى قتالنا ، طائعين غير مكرهين ، وإن هؤلاء أخرجوا مكرهين غير طائعين لقتالنا ، وقبل النبى عذره ، وخرج أبو حذيفة وهو يقول : « والله ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلت ولا أزال منها خائفا إلا أن يكفرها الله عنى بالشهادة » .

ونحن لا نشك فى قوة إيمان أبى حذيفة ولا يمكن أن ينحرف عن مبدأ من مبادىء الإسلام وهو المهاجر الأول وقد طلب مبارزة أبيه وروح الإسلام لا تقبل أن يكون هناك شىء أحب إلى المسلم من الله ورسوله لا الآباء ولا الأبناء ولا الأموال وقد جاءت سورة « التوبة » بذلك وإذا دعا رسول الله إلى المحافظة على أرواح بنى هاشم ومن استكرهوا على الخروج بغزوة بدر فذلك من صميم خلقه ومنهجه وتعاليم دينه فبنو هاشم كانوا له ردءا ودرعا طوال الأيام دعوته بمكة وقوطعوا معه بصحيفة قريش الظالمة وحوصروا فى الشعب ، والعباس كان معه فى مبايعة العقبة وأخذ المواثيق على الأوس والخزرج حتى لا يسلموه إذا هاجر إليهم وكان عينا على قريش يراسل ابن أخيه بما تمكر به ، وقد دعا الرسول أصحابه ألا يقتلوا البخترى لأنه اشترك فى نقض الصحيفة ، ولكنه أبى إلا أن يقتل ، فمحمد لا يحابى أحداً لقرابة على حساب دينه ، ولكنه يجازى بالإحسان إحسانا ، وبالود وداً . لكن عتبة كان قائد الجيش ورأس الكفر ، فلا بد من قتله ؛ لأنه إن لم يقتل فسيقتل ، فلو تركه حمزة ما تركه .

إنها بادرة غليظة من أبى حذيفة ، ولكنه برىء من النفاق ، فقد كانت بنت غضب لحظة ثاب بعدها إلى المعبود عنه ، وقد وقع مثلها من أقرب الناس إلى رسول الله من زوجه . قالوا : رأت سودة بنت زمعة زوج النبى سهيل بن عمرو أحد أسرى بدر مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ، فلم تملك نفسها أن توجه إليه

الكلام قائلة : أى أبا زيد . أسلمتم أنفسكم وأعطيتم بأيديكم ، ألاتم كراما . فناداها محمد من البيت ياسودة . أعلى الله عز وجل وعلى رسوله تحرضين ؟ فأجابت يا رسول الله ، والله الذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى حين رأيت ما رأيت أن قلت ما قلت وسهيل من قريش مثلها ، ولكنه بعيد القرابة منها ، فوقف أبى حذيفة أهون من موقفها .

وقد حضر أبو حذيفة جميع الغزوات مع رسول الله فكان الجندى المخلص ، والمؤمن الصادق الذى يرى الشهادة هى النعمة الكبرى له .

وينتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، ويبقى أبو حذيفة كما عهدناموفياً لرسوله ، مجاهداً فى سبيل الله ، لا يطلب ولاية ولا قيادة ، وإنما يضع نفسه جنديا بين أجناد المسلمين يطيع الأمير والقائد ، ويطلب العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، لذلك نراه فى جيش خالد الزاحف إلى اليمامة لحرب مسيلمة الكذاب وبنى حنيفة ، ويفرح لأنه قادم على معركة لا يجد عنها المسلم مفراً ، فقد ارتدت العرب ومنعت شاتها وبعيرها ، ورجعت سيرتها الأولى . إن الجزيرة العربية لأول عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق لم يبق فيها من يتقى الله حق تقاته إلا المدينة ومكة والطائف ، فالجهاد واجب ، والاستشهاد طريق الجنة أو النصر .

والتقى جيش خالد بن الوليد بجيش مسيلمة ، وكانت الحرب ضروسا قتل فيها كثير من حملة القرآن ، ونظم خالد جنده ، وميزهم بميزاتهم ، لكل راية حتى يعرف بلاء كل قبيلة وكل جماعة ، وكان سالم مولى أبى حذيفة معه راية المهاجرين ، فصاح : ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله لحفر لنفسه حفرة قام فيها حتى لا تحدثه نفسه بالهرب ، وهجم هو وأبو حذيفة يطلبان الشهادة ، ويبليان فى سبيل الله بلاء حسنا ، يقتلان ويرومان الأعداء ، ويفعلان مالا يفعله جيش مسلح مدرب ، واستشهدا معاً وانتصر المسلمون .

قال محمد بن سعد فى الطبقات الكبرى : وجد رأس سالم عند رجلى أبى حذيفة . كان ذلك فى السنة الثانية عشرة للهجرة وعمر أبى حذيفة أربع وخمسون سنة .

رضى الله عنك أبا حذيفة ، فقد أخلصت لله دينك ، وكنت المثل الأعلى لمن يخلفك من المؤمنين الصادقين ؟

السيد حسن قرون

# الرّهن

للدكتور ابراهيم دسوقي الشهاوي

## - ٢ -

( الرهن فى القوانين الوضعية )

الرهن : نوعان :

(١) رهن حيازة . (٢) رهن تأمين .

( النوع الأول : رهن الحيازة )

رهن الحيازة : « عقد به يضع المدين شيئا فى حيازة دائنه ، أو حيازة من اتفق عليه العاقدان ، تأمينا للدين »[١] ، فهذا العقد يعطى الدائن حق حبس الشىء المرهون لحين الوفاء بالتمام ، كما يعطيه حق استيفاء دينه من ثمن المرهون مقدما بالامتياز على من عداه .

( خصائص رهن الحيازة )

لرهن الحيازة خصائص أهمها أربع :

الخاصة الأولى : أنه حق عينى ، فلا يكفى فيه الرضا لتكوينه ، بل يشترط فيه تسليم الشىء المرهون تسليما فعليا إلى الدائن بنقل الحيازة إليه ، وهو يتميز بذلك عن الرهن التأمينى الذى يعطى الدائن ضمانا من غير أن تنتقل حيازة الشىء المرهون من الراهن ، وإنما كان نقل الحيازة شرطا أساسيا ، لأن الغرض منه الحصول على ضمان الدائن ، وهذا الضمان لا يتحقق إلا إذا كان الشىء تحت سلطته سواء أكان المرهون منقولا أم كان عقارا ، لأنه إذا لم يكن فى حيازة الدائن أمكن الراهن أن ينقله للغير ويسلمه إليه ، فلا يستطيع الدائن إذا كان المرهون منقولا أن يستعمل حق الأولوية الذى له إذ يستطيع من انتقل إليه المرهون المنقول ، أن يتمسك بقاعدة « الحيازة فى المنقول سند الملكية » ، وأيضا فإنه بمقتضى القانون يجب على الدائن المرتهن أن يسعى فى استغلال الرهن ، والغلة التى يحصل عليها تستنزل من الفوائد والمصاريف ثم أصل الدين[١] .

(١) انظر المادة ٥٤٠ أهلى ، و ٦٦٢ مختلط ، ١٩٧١ ، ٢٠٧٨ فرنسى .

(١) انظر المادة ٥٤٥ أهلى ، و ٦٦٨ مختلط ، و ٢٠٨١ ، ٢٠٨٥ فرنسى .

وهذا لا يكون ميسورا إلا إذا كانت الحيازة لدى الدائن، وقبل التسليم لا يكون العقد إلا مجرد وعد بالرهن يجب على الراهن الوفاء به ، ولكنه لا يكون رهنا إلا من وقت تسليم الشيء إلى الدائن لا قبل ذلك ، ويترتب على كون الرهن عقدا عينيا ما يأتي :

١ — أنه يعطى الدائن المرتهن حق الأولوية على ثمن المرهون، فيستوفى دينه منه مقدما على من عداه ، وذلك بنص المادة ٥٤٠ أهلى ، و ٦٦٢ مختلط .

٢ — أنه يعطى الدائن حق التتبع على الشيء المرهون ، غير أن هذا الحق يتأثر فى المنقول بقاعدة «الحيازة سند الملكية» .

الخاصة الثانية : أنه عقد ملزم لطرف واحد ، فلا يترتب عليه التزامات إلا على طرف واحد وهو الدائن المرتهن الذى يلتزم بمقتضاه بالمحافظة على الشيء المرهون ، ورده بعد سداد الدين ، أما الراهن فلا يلتزم بشيء بمقتضى العقد ، وله التزامات أخرى خارجة عن نطاق العقد ، كدفع المصاريف الضرورية التى صرفها الدائن لصيانة الشيء المرهون ، كما هو نص المادة ٥٥٢ أهلى، والمادة ٦٧٦ مختلط ، وهذه الالتزامات التى تكون على الراهن لا توجد وقت العقد ، بل تتولد بعده .

الخاصة الثالثة: أنه عقد بمقابل ، فيستفيد من الرهن طرفا العقد ، وهما الدائن الذى يسلم إليه الشيء المرهون ، إذ يجد فى العقد ضمانا لوفاء دينه، والراهن الذى يسلم الشيء المرهون ، إذ يجد فى هذا العقد الثقة التى هو فى حاجة إليها والتى لا يمنحها بدون الرهن ، فلم يرهن الشيء للتبرع به.

الخاصة الرابعة: أنه غير قابل للتجزئة فما دام الدين لم يسدد كله ، فيبقى الرهن على كل الأشياء المقرر عليها ، ولو كان الدين قابلا للانقسام وللأداء على دفعات، فقد نصت المادة ٥٤٦ أهلى ، والمادة ٦٦٩ مختلط ، والمادة ٢٠٨٣ ، ٢٠٩٠ على ذلك بقولها : «جملة الرهن ضامنة لكل جزء من أجزاء الدين، أى أن الشيء المرهون وكل جزء منه ضامن لكل جزء من الدين مهما كان قليلا .

فإذا اشترى شخصان عقارا مرهونا ، وانفرد كل منهما بجزء منه كالنصف مثلا فليس لأحدهما الحق فى عرض نصف الدين الذى على العقار بحيث يكون

مسئولا عن دين النصف الآخر(١).

وعدم التجزئة من طبيعة عقد الرهن لا من مستلزماته ، فيجوز الاتفاق على أن الرهن لا يبقى على كل الشيء أو الأشياء المرهونة ، بل يتخلص بعض المرهون بوفاء بعض الدين .

(١) وعدم تجزئة المرهون هو حكم الشريعة الإسلامية - أيضاً - فقد جاء في مرشد الحيران - نص المادة ٩٨٩ - إذا قضى الراهن بعض الدين ، فلا يكلف المرتهن بتسليمه بعض الرهن بل يحبسه إلى استيفاء ما بقى منه ولو قليلا ، فإذا كان المرهون شيئين ، وعين لكل منهما مقدار من الدين ، وأدى الراهن مقدار ما عليه لأحدهما كان له أن يأخذه ، أما إذا لم يعين فليس له الأخذ ، لحبس الكل بكل الدين .

وكون الرهن متعلق بجملة الحق المرهون فيه وببعضه هو رأى الجمهور ، وقال قوم يبقى من الرهن بيد المرتهن بقدر ما بقى من الحق. وحجة الجمهور : أنه محبوس بحق ، فوجب أن يكون محبوساً بكل جزء منه وأصله حبس التركة عن الورثة حتى يؤدوا الدين الذى على الميت . وحجة الفريق الثانى : أن جميعه محبوس بجميعه ، فوجب أن تكون أبعاضه محبوسة بأبعاضه وأصله الكفالة (واجع بداية المجتهد لابن رشد جـ٢ صـ٢٥٩)

ويلاحظ أن عدم التجزئة مقرر لمصلحة الدائن المرتهن ، ورغم عدم التجزئة - التى هى من طبيعة عقد الرهن فإن المرهون إذا نقص فإن الرهن يبقى على الباقى(١) .

( النوع الثانى الرهن التأمينى )

الرهن الرسمى :

تنص المادة ١٠٣٠ من التقنين المدنى على أن « الرهن الرسمى عقد به يكسب الدائن على عقار مخصص لوفاء دينه حقا عينياً ، يكون له بمقتضاه أن يتقدم على الدائنين العاديين والدائنين التالين له فى المرتبة فى استيفاء حقه من ثمن ذلك العقار فى أى يد يكون » .

وعرف القانون الفرنسى الرهن التأمينى فى المادة ٢١١٤ بقوله : « الرهن التأمينى : حق عينى على العقارات المخصصة لتسديد الالتزام ، وهو بطبيعته غير قابل للتجزئة ، ويبقى بأكمله على العقارات المرهونة ، وعلى كل عقار ، وعلى كل جزء منها ، ويتبعها فى أى يد انتقلت إليها»

(١) أنظر الرهن الحيازى بكتاب التأمينات العينية والشخصية للدكتور محمد كامل مرسى ص ١٩٠ إلى ١٩٩ .

فالرهن التأميني يرتب المدين، أو أى شخص آخر بواسطة الإجراءات الرسمية حقا عينيا على عقاره لمصلحة الدائن ، ضمانا لوفاء الدين .

ولا يترتب على الرهن التأميني تخلى الراهن فى الحال عن عقاره المرهون كما فى رهن الحيازة .

ويحفظ لمالك العقار المرهون استعمال كل الحقوق التى يخولها إياه حق ملكيته فله أن يبيع العقار ، أو يرتب عليه حقوق ارتفاق ، كما يجوز له أن يؤجر العقار أو يبيع غلته ، كل ذلك بشرط ألا يترتب على تصرفه نقص قيمة العقار المرهون ، ويجوز للدائن المرتهن - ولو كان دينه أجليا ، أو معلقا على شرط - أن يتخذ الإجراءات التحفظية التى تحول دون إنقاص الراهن للعقار ، وإذا لم يدفع الدين عند الاستحقاق فيكون للدائن حق تتبع العقار فى يد أى حائز له ، ويطلب بيعه ، ويأخذ دينه من الثمن بالتقدم على الدائنين الآخرين .

( خصائص الرهن التأميني )

للرهن التأميني خصائص أهمها خاصتان :

الخاصة الأولى : - أنه حق عينى على العقار ينتج عنه حقان للدائن المرتهن :

الحق الأول : - حق التتبع الذى يخول للدائن المرتهن أن يتتبع العقار فى يد أى حائز له لطلب بيعه إن لم يسدد إليه دينه فى موعده المحدد[1] .

الحق الثانى : - حق الأولوية أو التقدم الذى بمقتضاه يتقدم الدائن المرتهن على من دونه من الدائنين بالنسبة لثمن للبيع حتى يستوفى منه دينه المضمون بالرهن .

الخاصة الثانية : - أنه حق غير قابل للتجزئة أو القسمة فقد جاء فى المادة ٥٦٤،٦٨٨ « والرهن يشمل جميع أجزاء العقار المرهون بغير تعيين حصة منه وجميع ملحقاته » .

وعدم قابليته للتجزئة يكون بالنسبة للعقار المرهون ، وبالنسبة للدين المضمون فكل جزء من العقار المرهون - كما فى الرهن الحيازى - يكون ضامنا لكل الدين وكل جزء من الدين يضمنه كل العقار .

فإذا كان المرهون عبارة عن جملة عقارات ضامنة للدين فكل منها وكل جزء من أجزائها يكون ضامنا لسداد كل الدين ، فيجوز للدائن أن يطلب بيعها إذا لم يسدد إليه أى جزء من الدين ،

وإذا كان المرهون عقارا واحدا مملوكا لجملة أشخاص ، وحصلت قسمته ، فإن كل جزء اختص به أحد المتقاسمين يبقى ضامنا لكل الدين ، ولكل جزء من أجزائه ولا يلزم الدائن المرتهن بأن يقسم دعوى الرهن على مالكى العقار .

وإذا بيع جزء من العقار المرهون ، أو انتقل إلى شخص لأى سبب ، فإن أى جزء من أجزاء العقار يكون ضامنا لسداد كل الدين ، وكل جزء منه .

وإذا انقضى جزء من الدين المضمون بالرهن ، فلا يترتب على ذلك تخليص جزء مقابل له من العقار المرهون ، فانقضاء ربع الدين مثلا لا يترتب عليه تخليص ربع العقار ، بل يبقى كل العقار المرهون ضامنا لوفاء الجزء الباقى من الدين فإن عدم تجزئة العقار من طبيعة عقد الرهن ، لا من مستلزماته ، فللدائن أن يتنازل صراحة عن عدم التجزئة ، كأن يتفق على أن يخصص جزء من الشيء المرهون لضمان الجزء الذى لم يدفع من الدين ، ويتخلص الجزء الباقى من الرهن نظير ما يدفع من الدين .

وقاعدة عدم تجزئة الرهن موضوعة لفائدة الدائن فليس للمدينين أن يتمسكوا بها .

هذا : ولم يكن الرهن التأمينى معروفا فى الشريعة الإسلامية ، وأحكامه فى القانون المصرى مستمدة من القانون الفرنسى مع قليل من الاختلافات ، ويسمى الرهن التأمينى - أيضا - بالرهن الرسمى ، لاعتماده والتصديق عليه من الجهات المختصة بتسجيل العقود[1] .

د : إبراهيم دسوقى الشهاوى

(١) انظر الرهن التأمينى للدكتور محمد كامل مرسى ص ٢١١ - ٢١٩ ط الثالثة .

---

أمارات النفاق :

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ؛ وإذا وعد أخلف ؛ وإذا اؤتمن خان » .

# العربية لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ علي عبد العظيم

## ١٤ — لغة الإحاطة والشمول

إن العربية أم اللغات السامية جميعا باعتراف كبار الباحثين ، بزغت وليدة فتية منذ عصور سحيقة ، ثم نمت نموا سريعا واتسع مداها فتفاعلت مع بقية اللغات السامية وأخذت منها وأعطتها وتأثرت بها وأثرت فيها ، حتى تمكنت بحيويتها أن تأخذ مكان الصدارة بين هذه اللغات ، فانتشرت في ساحات شاسعة ولهجت بها ألسنة عديدة زودتها بثقافات متنوعة ، ثم هذبتها الأزمنة المتوالية وعوامل الانتخاب الطبيعية وصقلتها فنون الشعر والحكم والأمثال ونفت عنها الشوائب والأقذاء فبلغت غاية النضج والنماء .

وما كاد الإسلام يشرق حتى أصبحت صالحة بما فيها من حيوية ومرونة وطواعية لحمل القرآن الكريم وأداء أهدافه السامية في أسلوب رائع وبيان شائق وتعبير بلغ قمة الإعجاز .

واتصلت باللغات الآرية في الهند وإيران وبالإغريقية في اليونان واللاتينية عند الرومان ، فأخذت وأعطت وأثرت وتأثرت ، ولكنها لم تذب في غيرها من اللغات ولكنها ظلت نامية مزدهرة نابضة بالقوة والحياة والنماء . وقد تعرضت لهزات عنيفة ، وغزوات عديدة قضت على كثير من اللغات ، ولكن العربية ما تكاد تضعف حتى تقوى ولا تكاد تتوارى حتى تشرق ، ولا توشك أن تنكمش في جهة حتى تمتد إلى سائر الجهات

وذلك لأنها لغة دين حي خالد تنبض به قلوب مئات الملايين في أرجاء العالم ، ولأنها - مع هذا - لغة دنيا صالحة التعبير عن الأعمال والأفكار وعن المشاعر والأحلام ، وعن الحضارة والعمران .

ومن أهم مزاياها عنايتها التامة بالكليات وإذا كان الفلاسفة من أقدم العصور حتى الآن يعنون بالكليات عناية تامة ، فإن اللغة العربية كفيلة بأن تمدهم بما يلائم

هذه الكليات ، ولهذا استوعبت فلسفة الإغريق والهند والصين كما تستوعب الآن آراء فلاسفة النهضة ، والفلاسفة المحدثين - ومع عناية العربية بالكليات فإنها تعنى أيضا عناية تامة بالجزئيات والتفصيلات ، وإذا كان العلماء من أقدم العصور حتى الآن يميزون بالجزئيات عناية تامة فإن العربية كفيلة بأن تمدهم بما يتسق وهذه الجزئيات ولهذا استوعبت العلوم المعروفة فى العصور القديمة عند الإغريق والرومان كما استوعبت الرياضة الهندية والحضارة الصينية والفارسية ، وأضافت إليها الكثير وهى تستوعب الآن أحدث ما وصلت إليه العلوم الحديثة من التفصيلات ، والجزئيات فى حاطة وشمول .

• • •

والأمثلة هنا تغنى ما لا يغنى الدليل والبرهان ، فمن أمثلة التعبير عن الكليات قولهم : كل ما علاك فأظلك فهو سماء ؛ وكل أرض مستوية فهى صعيد ، وكل بناء عال فهو صرح ، وكل شىء دب على وجه الأرض فهو دابة ، وكل ما غاب عن العيون وتمثلته القلوب فهو غيب ، وكل ما يستعار من أداة أو متاع فهو ماعون ؛ وكل شىء من متاع الدنيا فهو عرض ، وكل أمر لا يكون موافقا للحق فهو فاحشة . وكل نازلة شديدة بالإنسان فهى قارعة ، وكل ما كان على ساق من النبات فهو شجر ، وكل بستان عليه حائط فهو حديقة ، وكل ما يصيد من السباع والطير فهو جارح وكل ما يشعل النار فهو حصب . .

ونلاحظ أن هذه الكليات تتناول المواد الحسية كما تتناول الأمور المعنوية ، وتصور الأجناس كما تصور الأنواع ، وتعنى بالجماد كما تعنى بالكائنات الحية ، تتحدث عما تتجه فيه الرغبات وما تنصرف عنه النزعات . ولا تقتصر عناية العربية على الأحداث الكبيرة والكائنات الضخمة ، وإنما تعنى أيضا بدقائق الوجود وصغائر الكائنات ، ومن الأمثلة عن ذلك قولهم : الحصا : صغار الحجارة والفسيل : صغار الشجر ، والبهم : صغار أولاد الضأن والمعز ، والحشرات : صغار دواب الأرض ، والذر : صغار النمل ، والزغب : صغار ريش الطير ، واللهم . صغار الذنوب ، والقرن : الجبل الصغير ، والجدول : النهر الصغير ،

الكنانة : الجعبة الصغيرة ، القارب : السفينة الصغيرة . . . ونلاحظ هنا التنويع بين الكائنات الحية والجامدة وبين الأمور المادية والمعنوية ؛ ويقابل هذه الدقائق الصغيرة الكائنات التي تمتاز بالكبر أو الضخامة فيقال: الشارع: الطريق العظيم ؛ والسور: الحائط العظيم والرتاج: الباب العظيم ، والفيلق: الجيش الكبير ، والدوحة : الشجرة العظيمة ، والخلية : السفينة الكبيرة ؛ والصخرة : الحجر الكبير ؛ والثعبان : الحية العظيمة والملحمة : الموقعة الحربية الكبيرة ؛ والهراوة : العصا الضخمة ...

ولم يترك العرب صفة من الصفات الحسية أو المعنوية إلا وضعوا لها درجات متفاوتة تبين مدى تحقق هذه الصفة فيها فمن أمثلة صفات اللين قولهم: ثوب لين؛ ريح رخاء ، رمح لدن ، غصن أملود ، فراش وثير ، أرض دمثة ، بدن ناعم ـ وقالوا السهل : ما لان من الأرض ، الرغام : ما لان من الرمل ، الرغد : ما لان من العيش ، وفي مقابل اللين اليبوسة والجفاف قالوا فيها :

الجليد : الماء اليابس ، اللجين : اللبن اليابس ، القديد : اللحم اليابس ، المشيش : الكلأ اليابس ؛ الجزل : الحطب اليابس ؛ الصلد : الحجر اليابس الجسد : الدم اليابس ؛ الصلصال: الطين اليابس، كما حددوا صفات الشدة بما يناسب كل حالة ؛ فقالوا : الهلع : شدة الحزن ؛ اللدد : شدة الخصومة ؛ الحس ( بفتح الحاء ) : شدة القتل ؛ ومنه قوله تعالى : ( ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه) البث: شدة الحزن ؛ النصب: شدة التعب ؛ الحسرة: شدة الندامة، ولا نكاد نجد صفة من الصفات أغفلتها العربية أو أشارت إليها إشارة عارضة .

فقد تناولوا أوصاف السعة والضيق، والفرح والحزن ، والحب والبغض ، كما وصفوا درجات الطول والقصر ، والسمنة والنحول ، والصحة والمرض ، كما ذكروا مراتب الغنى والفقر ، والجود والبخل ، والشجاعة والجبن ، والقوة والضعف، والفصاحة والعي . ولم يكتفوا بذكر الصفات وإنما تناولوا التفصيلات والجزئيات على مقدار التفاوت بينها في توافر الصفات ، والأمثلة هنا تغنينا عن الدليل والبرهان .

إننا نعلم أن مسابقات دولية عديدة تقام فى الجرى وفى غيره من ألوان الرياضات البدنية ، والجرى له درجات متفاوتة ، لا نكاد نجد لها فى اللغات التى نعرفها إلا اسماً أو اسمين ، ولكن العربية وضعت له درجات عديدة ابتداء من الحركة المجـــردة إلى أقصى سرعة فى الجرى ، فقد قالوا فى هذا الترتيب : الدبيب ، ثم المشى ، ثم السعى ، ثم الإيفاض ، ثم الهرولة ، ثم العدو ، ثم الشد ، ثم الركض ؛ بل وضعوا مشية المتردد فقالوا : يقدم رجلا ويؤخر أخرى ووصف البهاء زهير بغلة بطيئة لأحد أصدقائه فقال مداعباً له :

لك يا صـديق بغـلة
ليست تساوى خـردلة
تمشى ، فتحسبها العيو
ن على الطريق مشكلة
تهـتز وهى مكانها
فكأنما هى زلـزلة
وتخـال مـدبرة إذا
مـا أقبلت مستعجـلة
أشبهتها بل أشبهت بـ
ـك كان بينكما صلة

ولم يكتفوا بهذا بل وضعوا أسماء لمشى كل كائن حى ، فالرجل يمشى ، والمرأة تمشى ، والصبى يدرج ، والشاب يخطر ، والشيخ يدلف ، والفرس يجرى والبعير يسير ، والظليم ( ذكر النعام ) يهدج ، والغراب يحجل ، والحية تنساب والعقرب يدب ، ولم يكتفوا بهذا بل ميزوا مشية الرجل عن المرأة ، والسليم من الصحيح ، والصغير عن الكبير ؛ وهيئات المشى ، فوضعوا لكل من هذه الأنواع اسماً خاصا به ، فالطفل يدرج ثم يحبو ، والشاب يخطر ، والشيخ يدلف والمثقل يهدج ، والمقيد يرسف ، والمختال يتمطى . ومنه قوله تعالى : « ثم ذهب إلى أهله يتمطى » . وقالوا : القهقرى مشية الراجع إلى الخلف ، والقزل : مشى الأعرج ، والتخلج : مشية المجنون فى تمايله يمنة ويسرة ، والإهطاع : مشية المسرع الخائف ، ومنه قوله تعالى : « مهطعين مقنعى رءوسهم » ، والهرولة : مشية بين المشى والعدو والتهادى : مشية الشيخ الضعيف ، والصبى الصغير ، والمريض والمرأة السمينة ؛ والرفل : مشية من يجر ذيوله . والرمل : قريب من الهرولة ؛

والتذعلب: مشية في استخفاء، والإهراع: الإسراع في المشي ..

وقالوا في مشية المرأة: تهالكت: مشت في بطء. وتأودت: اختالت في تثن وتكسر، وتبدحت: أحسنت مشيتها، وكتفت: مشت تحرك كتفيها، وتهزعت: اضطربت في مشيتها؛ وقسموا العدو بالنسبة إلى الإنسان وغيره فقالوا: عدا الإنسان، وأحضر الفرس، وأرقل البعير وخف النعام؛ وعسل الذئب ومزع الظبي؛

حتى الوثب وضعوا له أسماء متنوعة بحسب القائم به، فقالوا: طفر الإنسان، ضبر الفرس، وثب البعير، نفر الظبي نزا التيس، نقز العصفور، طمر البرغوث؛ وكيفية الوثوب ميزوا هيئاتها بدقة، وفي هـــذا فائدة للمشرفين على التدريبات الرياضية، فقالوا: القفز: انضمام القوائم في الوثب، والنفر: انتشارها والطمور: وثب من أعلى إلى أسفل، والطفر: وثب من أسفل إلى أعلا، والضبر أن يثب الفرس فتقع قوائمه مجموعة، والنزو: وثب التيس على العنز ... هذه الدقة الدقيقة يقدرها من يهتمون بالتصوير البطيء للحركات من رجال الخيالة وعلماء الحيوان ومدربي الرياضة البدنية والمولعين بالصيد وعلماء النفس البشرى والحيوانى وعلماء الأحياء..

ولم يكتفوا بهذا بل وضعوا عشرات الأسماء لأنواع عدو الخيل وعدو الإبل وترتيب عدد كل منهما وأنواع مشيها ليلا ونهاراً، كما وضعوا أسماء لترتيبها في السباق، فقالوا إن الفائز الأول في السباق يسمى: السابق أو المجلى، ويليه المصلى، ثم المسلى، ثم التالى، ثم المرتاح، ثم العاطف، ثم الحظى، ثم المؤمل، ثم اللطيم، والذى يأتى عاشراً هو السكيت؛ وهذا يهم الذين يعنون عناية فائقة بتربية الخيل وإعدادها للسباق في نطاق محلى أو دولى وهم كثرة كاثرة يعدون بالملايين في أنحاء العالم.

ولم يقتصروا على الصفات الحسية - كما ذكرنا - بل تناولوا أدق العواطف الوجدانية فقد ذكروا في ترتيب درجات السرور: أول مراتبه: الجذل، ثم الابتهاج ثم الاستبشار، ثم الارتياح، ثم الفرح ثم المرح، وهو شدة الفرح، ومنه قوله تعالى: « ولا تمش في الأرض مرحا » ويقابل هذا في وصف مراتب الحزن: الكمد، ثم البث، ثم الكرب، ثم السدم

(وهو هم مع ندم شديد) ثم الأسى واللهف (وهو حزن على شيء فائت)، ثم الوجوم (وهو حزن يخرس صاحبه)، ثم الأسف (وهو حزن ممزوج بالغضب) ومنه قوله تعالى: «ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا»، ثم الكآبة (وهي سوء الحال والانكسار مع الحزن)، ثم الترح.

كما رتبوا درجات الحب والبغض فقالوا أول مراتب الحب: الهوى، ثم العلاقة وهي الحب اللازم للقلب، ثم الكلف وهو شدة الحب، ثم العشق، ثم الشغف ثم الجوى، ثم التيم «وهو أن يتيمه الهوى» ثم التبل «ومنه رجل متبول»، ثم التدله وهو ذهاب العقل.. ثم الهيام «وهو أن يهيم على وجهه دون تفكير، ويقابل هذا: البغض، ثم القلى، ثم الشنآن، ثم المقت، ثم البغضة «بكسر الباء»، وهي أشد البغض»؛ أما الفرك فهو بغض المرأة زوجها أو بغض الزوج امرأته لا غير.

ولم يغفلوا الحركات الاضطرارية التي يسميها علماء النفس المحدثون بالحركات اللاشعورية فقد وضعوا لكل منها اسما خاصا فقالوا: خفقان القلب، نبض العرق، اختلاج العين، ضربان الجرح، ارتعاد الفريصة، ارتعاش اليد، رمعان الأنف، ومما يتصل بهذا قولهم: الرعدة: للخائف والمحموم، والرعشة: للشيخ الكبير ومدمن الخمر، والقفقفة: لمن يحس البرد الشديد، والزمع: للمدهوش والخاطر «الذي يراهن على شيء»، أما ما يتعلق بالأعضاء فقد ذكروا أن الإنغاض: تحريك الرأس، ومنه قوله تعالى «فسينغضون إليك رؤسهم»، والطرف: تحريك الجفون في النظر، التلمظ: تحريك اللسان والشفتين بعد الأكل، والمضمضة: تحريك الماء في الفم، والخضخضة: تحريك الماء أو السائل في الإناء، والهز والهزهزة: تحريك النخلة لإسقاط ثمرها، والزعزعة: تحريك الريح النبات والشجر، والهدهدة: تحريك الأم ولدها لينام، والنضنضة: تحريك الحية لسانها، والبصبصة: تحريك الكلب ذنبه، والمخض: تحريك اللبن لاستخراج زبده...

وهكذا لا تكاد اللغة تهمل حركة أو لونا أو خالجة فكرية أو عاطفة وجدانية سواء في الكليات أو الجزئيات إلا تناولتها في دقة وشمول وإحاطة،

وبهذا كانت العربية أغنى لغات العالم بالمفردات، فإذا حذفنا منها الكلمات ذات الحروف المتنافرة - وقد فعل العرب هذا - بقيت لدينا ثروة لغوية كبرى لا نجدها في لغة من اللغات القديمة والحديثة؛ وليست هذه الكلمات ألفاظا صوتية مجردة بل هي صور وأفكار ومشاعر مشبعة بالمعاني والتجارب والذكريات صقلتها الألسنة مئات السنين وأعطتها إشعاعا وحيوية وقوة كفلت لها البقاء والنفاذ إلى مختلف المواطن والبيئات في شتى العصور.

وكما تتمايز اللغات بمقدار ما حفلت به من آثار فكرية ووجدانية وتجارب نفسية فإنها تتمايز أيضا بمقدار ثروتها اللغوية ومادتها التعبيرية بما يعاونها على إجادة التصوير وروعة الأداء؛ وكذلك العبقري الممتاز فإن عبقريته تنهض على آرائه القيمة ومشاعره الوجدانية العميقة وتنهض أكثر من هذا على غزارة مادته اللغوية التي تستطيع أن تحمل أفكاره ومشاعره في صورة رائعة واضحة قوية ذات تأثير عميق في نفوس الأمم والشعوب؛ وفي هذا يقول تشارلتن H.B. Charlton: «إن رأيت رجلا غنيا بألفاظه فاعلم أنه لذلك أوسع حياة من سواه؛ وإن رأيت رجلا قديرا على استخراج المعاني من ألفاظها فاعلم أيضا أنه أعمق حياة من سواه، والشاعر الخلاق المبدع قلما يحتاج إلى ابتكار ألفاظ أو تعبيرات جديدة ولكن إبداعه يتجلى في ابتعاث صور وأنماط قديمة رسبت في قرارات النفوس بما تحمله من ذكريات ومشاعر وجدانية عميقة يبعثها فتية نابضة بالحياة»، وإلى هـذا أشار دي كوينسي De quincey بقوله: «إن الأديب الخالد لا يجبه الناس بحقائق منتزعة من ينابيع جديدة كل الجدة، بل هو الذي يبعث ملامح قديمة طال هجوعها في الذهن أو في أعماق الوجدان».

وفي هذا بلاغ لمن يضيقون بوفرة كلمات العربية واتساع ثروتها اللفظية؛ ومن يعيبون عليها ما فيها من مترادفات. والدارسون للعربية دراسة عميقة يعلمون أن المترادفات ليست كلمات متطابقة في معانيها وإنما هي صفات دقيقة متمايزة لتحديد مدى ما يتصف به الشيء من سمات مميزة فلا لغو ولا فضول ولا تكرار.

وقد أتاحت هذه الثروة اللغوية الخصبة

( البقية على ص ١٦٤ )

# الصورة الأدبية فى القرآن الكريم

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

— ١ —

نريد من هذه الدراسة أن نتعرض لجدة القرآن الكريم فى كل جوانبه ومجالاته ونواحيه الأدبية فضلا عن شتى جوانبه الروحية والتفكرية والإنسانية التى كانت جدتها حدثاً كبيراً ضخما من أهم الأحداث العالمية، وأكبرها إثارة، وجليل أثر، وكبير خطر، فى الحياة.

ولا يستطيع منصف أن ينكر أن القرآن الكريم فى ناحيته الروحية والفكرية قد أتى بشكل جديد، وبأكثر وأكبر مما أتى ويأتى به أى جديد، وأن جدة القرآن الكريم حقيقة وجدت ولا تزال موجودة حتى اليوم، ومع كل ما وصل إليه الفكر الإنسانى من تطورات مذهلة، ونتائج جديدة فى نطاق ميدان البحث والكشف والتقدم والحضارة..

وجدة القرآن الكريم لا تزال باقية ماثلة أمام كل تطور إنسانى وبشرى، وأمام كل تقدم فكرى بلغته الحياة حتى اليوم، والقرآن الحكيم كما كان جديدا على عقل إنسان القرون الأولى لنزوله، فإنه بفكره المشرق المضىء، وبما أتى به فى مجال العقيدة والشريعة وبناء الحياة على أقوم الأصول وأرسخ الدعائم، هو جديد أبدا، وسيظل هو الجديد دائما على مر العصور والأجيال والأحقاب.

لن نفيض فى الحديث إذن عن الجدة فى القرآن الكريم من حيث نواحيه وآثاره الدينية والعقلية والسياسية والاجتماعية ولكننا نريد أن نبحث هنا عن جدة الصورة الأدبية فى القرآن الكريم..

ويدفعنا إلى ذلك أمران:

**الأول**: جانب المعجزة فى القرآن الكريم.

والثانى: جانب المعرفة لأهمية هذا الكتاب العظيم وقيمته من الناحية الأدبية فضلا عما يجمع عليه كل المنصفين من أهميته وقيمته وأثره فى الناحيتين: الروحية والفكرية.

ولا يستبين الباحث أهمية أى نص من نصوص الأدب، أو أثر من آثاره الرفيعة إلا إذا أدرك إدراكا عميقا مدى الجدة فى هذا الأثر، ومدى مايحويه من عناصر التجدد والحياة والنمو والزيادة التى يضيف بها إلى الفكر الإنسانى شيئا لم يضفه إليه السابقون.

ومن حيث كانت جدة القرآن فى جوانبه الروحية والفكرية أمرا مسلما به، فإن الذى سينتهى بنا الحديث إليه هو تقرير الجدة فى الصورة الأدبية للقرآن الكريم أيضا، لأن تقريرها أساس لتقدير أى أثر وفهمه ومعرفة قيمته.

ولماذا نخص حديثنا هنا ببحث الجدة فى الصورة الأدبية للقرآن؟ ولا نطلق البحث إطلاقا، ليصبح الغرض منه البحث عن مـــدى ما فى القرآن من الجانب الأدبى عامة من جديد؟

نعم نريد أن نبحث عن الجديد فى الصورة الأدبية فى القرآن الكريم وحدها لأن الصورة الأدبيـة هى الإطار العام للأدب، وهى التى تحـدد للأدب شتى عناصره وأصـوله ومقوماته ومختلف وظائفه؛ وهى التى تستثير الباحث أول ما يستثيره فى النص الأدبى من خصائص ومميزات؛ على أن الصورة الأدبية فى النص تبقى موضع اتفاق تام بين جميع الكتاب والآثار الأدبية، ولا تختلف عندهم كبير اختلاف إلا نادرا جدا، وفى أقل حدود الاختلاف والفوارق الفنية للأدب.

— ٢ —

والصورة الأدبية لها معنيان عند نقاد الأدب:

الأول: أنها تعنى المنهج وطريقة الأداء؛ وتساوى بهـذا المعنى ما نطلق عليه اسم الجنس الأدبى من قصيدة ومقالة وخطبة ورسالة وقصة الخ..

والثانى: أن الصورة هى الشكل فى النص الأدبى، وتقابل المضمون الذى هو الفكرة أو المعنى أو الغرض أيضا (مع بعض التجاوز) فى النص، فعلى هـذا تكون الصورة التى هى الشكل فى النص الأدبى شاملة للعبارة - أى الأسلوب - وللخيال الذى يلون عاطفة الأديب ويصورها. وعندئذ نقف فى النص بين الشكل والمضمون، فيجب على الأديب أن يوازن بينهما موازنة دقيقـة، فلا يطغى أحدهما على الآخر. أى فلا يطغى

المضمون على الشكل أى الصورة ، وإلا خرج الكلام من باب الأدب إلى العلم ؛ ولا تطغى الصورة على المضمون وإلا كان الكلام أدبا لفظيا إنشائيا لا وزن له فى باب الفكر ، بل فى مجال الأدب أيضا ؛ وحينئذ يجب أن يهتم الأديب بالمضمون أو الفكر ، كما يهتم بالصورة أو الشكل .

وسوف نتحدث هنا عن جدة الصورة الأدبية فى القرآن الكريم بالمعنى الأول الذى هو طريقة الأداء ، ونتحدث بعد ذلك عن جدة الصورة الأدبية بالمعنى الثانى الذى هو الشكل أو النظم أو الأسلوب .

— ٣ —

كانت الصورة الأدبية عند العرب الجاهليين قد انتهت إلى جنسين كبيرين : هما النثر والشعر ، فوقف النثر عند الخطبة والوصية والنصيحة والمثل والحكمة والمنافرة والمفاخرة والمحاورة وسجع الكهان والأسطورة والقصة الشعبية القصيرة ، ووقف الشعر عند القصيدة الغنائية بشكلها المعروف المألوف .

ولم يكن النثر وفنونه وأجناسه فى المجتمع العربى كبير خطر ، ولا عظيم شأن ؛ وكان أكثره ارتجالا واقتضابا ، وليس فيه ثقافة واسعة ، ولا فكر مضىء ، وأكثره يذهب فى الشتات والاختلاف وتفكك الوحدة الفنية ( أو العضوية ) مذهبا بعيدا ، فضلا عن أن النثر لم يحفل به المجتمع الجاهلى احتفالا يذكر ، ولم يوله عناية ما ، ولا أحله منزلة خاصة .

وفوق ذلك كله فقد فقد النثر الجاهلى قيمته بفقدان أصوله قبل التدوين وانضياع أكثره للمدة الطويلة التى عاشها هذا النثر معتمدا فى بقائه على الحافظة وحدها ، والحافظة يندءنها النثر ولا يبقى طويلا فيها ، بعكس الشعر لأنه مقيد والنثر مطلق ، والمقيد يبقى فى الذاكرة أكثر مما يبقى المطلق . ومع ذلك كله فهذا النثر المأثور عن العصر الجاهلى قد رفض كثير من الدارسين والنقاد ؛ ومن بينهم لفيف من المستشرقين وطه حسين أيضا رفضوا أن يسمى نثرا فنيا ، لأنه فى رأيهم لم يكن محتويا على عناصر النثر الفنى ومقوماته ، وذهبوا إلى أنه أشبه بالنثر الشعبى ، الذى يستعمل لغة لأحاديث الحياة اليومية العابرة . . ولكل هذه

الأسباب كانت الصور الأدبية النثرية ، عند العرب الجاهليين غير ذات أهمية تذكر في مجال النقد وموازين الكلام والحديث عن القيمة الفنية .

ولقد بقيت القصيدة الغنائية وحدها أرفع صور الأدب في مجتمع الجاهليين، وهو المجتمع الذي نزل القرآن الكريم متحدثا إليه مفيضا في التوجه كل التوجه له

وهـــذه القصيدة الغنائية قد مرت بأطوار عديدة من التهذيب الفني ، حتى انتهت إلى ما انتهت إليه من قصيدة المعلقات المعروفة ذات الصبغة المتوارثة العمودية ، التي وضعت تقاليدها الفنية العريقة كل ألوان التقاليد الشعرية للقصيدة العربية التي ورثناها عن الجاهليين وكانت لهذه القصيدة منزلتها ومكانتها وأهميتها في المجتمع العربي ، فهي حديث الناس ، وموضع اعتزازهم وتقديرهم وفخرهم وهي التي ينشدونها في مجالس لهوهم وجدهم ، وفي مسامراتهم وأنديتهم ، وفي أسواقهم وحروبهم وحلهم وترحالهم ، وهي على العموم آية عبقرية ، ودليل شخصية وذاتية عظيمة ، والشاعر عندما يكتبها ترتفع قيمته الاجتماعية في مجتمعه ، ويصبح وله كل ألقاب الحمد والمجد والتقدير بين الناس وبلغ من أمر قصيدة المعلقات أن علقت على أستار الكعبة .

وإذا أردنا أن نعرف قيمة قصيدة المعلقات هذه لنرى مدى ما تستحقه من تقدير رأينا أنها :

١ — تخلو من كل قيمة فكرية أو إنسانية أو روحية .

٢ — وأنها تخلو من كل وحدة فنية ، مما لاحظه عليها كثير من النقاد المعاصرين من أمثال العقاد في كتابه « مراجعات »، وغير العقاد أيضا كأحمد أمين فيما كتب عن الشعر الجاهلي في مجلة الثقافة[1] .

٣ — وأنها تمثل منهجا بدويا في التعبير والأسلوب واللفظ والخيال ، وليس هو كل شيء في مناهج التعبير الأدبي .

٤ — وأنها كذلك تكثر أخطاء الشاعر اللغوية فيها كثرة مذهلة .

ولسنا نقول نحن ذلك تجنيا على القصيدة العربية القديمة ، بل لقد سبقنا إلى ذلك

(١) جناية الشعر الجاهلي على الأدب العربي - أحمد أمين - مجلة الثقافة المصرية عام ١٩٣٩ .

الإمام أبو بكر الباقلانى فى كتابه المشهور «إعجاز القرآن»، الذى درس معلقة امرىء القيس المشهورة فى صفحات عديدة من كتابه، وأبان ما اشتملت عليه من أخطاء لغوية وفنية وغيرها.

ونحن نعرف أهمية قصيدة المعلقات معرفة وثيقة، فهى التى وضعت كل الأصول الفنية للقصيدة العربية وهى التى تمثلت فيها البلاغة العربية بجميع خصائصها تمثلا كاملا، وهى التى استنبطت منها أحكام اللغة العربية وقواعدها فى بيانها ونحوها وصرفها واشتقاقها وأحكام مفرداتها ونظام معجماتها وغير ذلك وهى كذلك التى أمدتنا بالشاهد والمثل على كل شىء فى لغتنا العربية، ومن أجل ذلك كان ابن عباس رضى الله عنه يقول: إذا عز عليكم فهم شىء فى كتاب الله تعالى فالتمسوه فى شعر العرب[1] فنحن لا نريد أن نغض من قيمة القصيدة الشعرية الجاهلية أو ننفر منها، ولكننا نضعها فى موضعها الذى وضعه فيها الإمام الباقلانى فى مقام حديثه عن إعجاز القرآن الكريم.

هذه القصيدة الشعرية إذن كانت أرفع صور الأدب فى مجتمع الجاهليين، ومع ذلك فإنها لا تزن شيئا فى مقام الحديث عن الصورة الأدبية فى القرآن الكريم.

— ٤ —

فما هى إذاً الصورة الأدبية فى القرآن الكريم والجديد فيها، والطريف منها، والشىء الذى لم يعرفه الجاهليون من أجناسها وفنونها وألوانها وطرق أدائها؟

لأول وهلة نجد أنفسنا أمام أشياء جديدة كل الجدة، ففرقان وقرآن وآيات وسور، أسماء جديدة لمسميات جديدة كذلك «وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا»[1].

«تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا»[2].

«آلر تلك آيات الكتاب المبين. إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون»[3].

«طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى»[4]

«سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون»[5]،

(١) راجع ما كتبناه عن ذلك فى كتابنا «الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى»، وكتابنا «موقف النقاد من العصر الجاهلى».

(١) الإسراء: ١٠٦ (٢) الفرقان: ١
(٣) يوسف: ١، ٢ (٤) طه: ١، ٢
(٥) النور: ١

ولم ينزل القرآن الكريم على النمط المألوف من كلام العرب، فلم يتخذ شكل القصيدة الجاهلية نمطاً له، ولم يأت على أسلوب الخطابة ولا الوصية ولا المثل ولا الحكمة ولا المنافرة ولا المفاخرة ولا المحاورة.

ولكننا نجد فيه القصة في أرفع أشكالها، وأروع ظلالها، ونجد فيه الخيال الرفيع في ألوان بديعة من التمثيل والتشبيه والمجاز والكناية والاستعارة، ونجد فيه البشارة والإنذار والوعد والوعيد، ونجد أرفع الأوصـــاف وأجل الصور.

لم يكن القرآن شعرا ولا سجعا ولا مزاوجة ولا نثرا مرسلا ولا خطابة، بل جاء على مذهب خارج عن المعهود من نظام كلام العرب، ومباين للمألوف من مناهج كلامهم، يتصرف على وجوه مختلفة: من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج وحكم وأحكام، وإعذار وإنذار ووعد ووعيد وتبشير وتخويف وأوصاف وتعليم، وسير مأثورة، ويتردد بين طرفي الإيجاز والإطناب، كله يضيء كما يضيء الفجر، ويزخر كما يزخر البحر كالروح في البدن، والأمن في الوطن، وكالغيث الشامل، والسحاب الهاطل، وكالضياء الباهر، والبحر الزاخر.

وإن تعجب فعجب تصوير القرآن الكريم للحياة الإنسانية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها؛ وللنفس البشرية في سلمها وحربها ولهوها وجدها؛ وأملها وألمها؛ وكفرها وإيمانها؛ وللمثل العليا في الحياة المهذبة الكريمة التي يسمو إليها إنسان الإسلام؛ وتسير لشاطئها الأمين إنسانية الحياة في ظلال الدين؛ لأنه خلاصة لكل ما في الحياة من ثقافة وحقائق؛ والمنهج الكامل للحياة الروحية والاجتماعية والبشرية الكاملة الصحيحة السليمة.

وفي القرآن الكريم من سمو وصفاء الحكمة وتمام مطابقة المثل؛ ما جمع به البلاغة من مختلف أقطارها وفيه من المحجة الدامغة؛ والروحانية الصافية؛ والحديث عن العقيدة؛ والإفاضة في بيان الشرك والإيمان؛ والشر والخير ما يوقظ الضمائر؛ ويحرك العقول؛ ويثير النفوس.

وفيه من أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية، والشرائع البائدة، والأديان السالفة، ومن أخبار أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن الإخبار بالمغيبات

ومن الإفاضة فى شرح الدعوة ، وبيان التشريع والاستدلال على حقائق الأمور بالآثار المشاهـــدة فى خلق السموات والأرض ، وبقياس الغائب على الشاهد وبضرب الأمثال ، وبالبراهين العقلية المجردة : وفيه من حسن التقسيم ، وجمال المقابلة، وروعة الطباق ، وبديع الجناس ورفيع الفواصل ، ما يهز القلوب، ويملك على عقل الإنسان كل منافذه وأبوابه .

ومع ذلك كله فهو ليس كتاب قصص وليس كتاب متعة وتسلية ، وليس شعر أدب أو حكمة أو تاريخ أو اجتماع ، وإنما هو خلاصة لكل ما الحياة من حقائق ومعارف وعلوم وثقافات ومنهج كامل لكل جانب من جوانب الحياة الروحية والعقلية والاجتماعية والسياسية فهو كتاب الإنسانية كلها وصحيفة البشرية قاطبة ...

وما أروع القرآن فى فواتحه ومقاصده وخواتيمه ، وفى مبادىء آياته وفواصلها وفى حديثه عن المعانى الدقيقة والأفكار العميقة ، والأغراض النبيلة وفيما اشتمل عليه من دقة التصوير وجمال الوصف مع سمو التعبير وعظمة التأثير ، وروعة الإيجاز وسحر المجاز وبلاغة التكرار وفصاحة التعريض .

يصور نعيم المؤمنين وسعادة المتقين فيدعك تشعر بالراحة والنشوة وبالسعادة والفرحة ، وبالسرور والحبور وبقرة العين ، وانثلاج الصـــدر ، وبالعجب والطرب ثم يصور هلاك العاصين وشقاء الجاحدين وعذاب الكافرين ، فيتركك حليف الهم والحزن، والتذكر والاعتبار والتفكر والتدبر ، والألم والدمع والبكاء والعبرة المنسكبة ، والآهة المرددة .

والسورة القرآنية ، قصيرة أو طويلة تجيء ممثلة لفكرة ، ومصورة لغرض ، ومؤدية لمعنى وتسير فى جوها العبق ، وأفقها الساحر وجوانبها المشرقة فتسير مع الفكرة المقصودة خطوة خطوة وتجدك تمشى مع الغرض القرآنى غاية فغاية ، فى وحدة واتساق وفى نظام عجيب وترتيب غريب ، وفى منطق متسق وحجج متدافعة متدفقة وتجد الآيات تتحرك فى معرض الاستدلال كأنها موكب من نور ، ومهرجان مصور لأدق خفايا الشعور وحنايا الصدور وتجد فى هذه السورة فكرة واحدة غير الفكرة التى تمثلها السورة الأخرى ، وغرضا واضحا غير الغرض الذى ترمى إليه السورة السابقة أو اللاحقة.

وتجد افتتاحات السور العجيبة ، مثل ص ، ن ، ق ، طه ، طسم ، طس ، حم ، الر ، ألم ، إلى غير ذلك .

وتجد الآيات تتوالى فى السورة وكأنها البحر الهادر والموج العاصف ، وتجد الفواصل فى السورة موقعة الخطا ، منغمة الحروف وتجد القصة والعبرة والموعظة والحكمة فى قالب من السحر ولا كسحر هاروت وماروت وفى طابع من الحسن والجمال ولا كحسن يوسف وإخوته .

وتجد لكل سورة اسما عجبا : البقرة ، والرعد والطور والمائدة والكهف ، ويونس ويوسف وإبراهيم ومحمد والنور والمؤمنين والمنافقين والضحى والشمس والقتال ، والفتح ، والحشر والصف ، والنساء والطلاق والتحريم ، والأحزاب والمائدة والأنفال والتوبة وآل عمران والجمعة ، والعصر إلى غير ذلك وتجد لكل اسم من أسماء السور قصة ولكل قصة حدثا وعبرة .

وكل ذلك نمط مخالف لأنماط البيان عند الجاهليين ، وصورة مباينة لصورة البلاغة عند العرب الذين نزلت عليهم هذه المعجزة الإلهية الحكيمة ، إنها صورة أدبية جديدة ، لا تجد مثلها ولا شبيها بها ولا تجدها نفسها إلا فى القرآن الكريم .

سبحانك ربى أنزلت القرآن ، وفصلت الفرقان ، وأحكمت البرهان ، وأنت رب العالمين ، ومنزل الكتاب المبين ، ورأى العرب الكتاب شيئا عجبا ، ومنطقا جديدا ؛ ومنطقا فسيحا من الحكمة الإلهية الجليلة ، فقال عتبة بن ربيعة حين ذهب فاستمع إلى محمد يتلو آيات الكتاب : « لقد كلمته فأجابنى بشىء ما هو بسحر ولا كهانة ولا شعر ، إنما هو الوحى ، الوحى المنزل على محمد بن عبد الله ، الوحى الذى نفس بعض العرب على محمد أن ينزل عليه ، حتى لقد جاء الوليد بن المغيرة ، إلى الأخنس بن قيس يقول له : ما تقول فيما سمعت من محمد ، فقال الأخنس : ماذا أقول : قال بنو عبد المطلب . فينا الحجابة ، قلنا : نعم . وقالوا : فينا السقاية فقلنا نعم . ثم عادوا يقولون : فينا نبى ينزل عليه الوحى ، والله لا آمنت به أبدا .

إنه الوحى المنزل من السماء المشتمل على الروعة والجمال والجلال والبهاء ؛ وكفاه ذلك فخرا على فخر وسناء على سناء ؟

محمد عبد المنعم خفاجى

# منهج حديث في دراسة "الفتوح"

للأستاذ أحمد عادل كمال

---

منذ عشرين سنة مضت لم نكن نجد في المكتبة الحديثة شيئا عن الفتوح الإسلامية في عهد الخليفتين الأولين : أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ثم بدأ ظهور كتابات جد هزيلة في الموضوع أعقبها ظهور كتب متعددة أكبر حجما لمؤلفين معدودين ما زالت تصدر حتى اليوم ، هذه الكتب درجت على الرجوع إلى المصادر الأمهات من كتب التاريخ الإسلامي لتجميع ما فيها وصبه في صياغة حديثة تقربها من قارىء اليوم . ولسنا نعني بهذا ما كتب من التاريخ السياسي أو الفكري أو المالي أو الإداري . الخ . وإنما نعني تاريخ الفتح من حيث هو فتح .

هذا الذي حدث لا نستطيع أن نصفه بأنه منهج ، فليس النقل في حد ذاته منهج ولو كان من مصادر شتى ، لا سيما وقد أريد به أن يكون هو « التاريخ الحربي » لحركة الفتح الإسلامي ، تلك الحركة التي غزت في سنوات معدودة الرقعة التي تشغلها الآن أكثر من خمس عشرة دولة مستقلة في الشرقين الأوسط والأدنى .

هذا القصور في البحث جعل أستاذا بكلية الآداب في إحدى جامعاتنا يقول في مؤلف له : « ولكن معلوماتنا عن خطة هجوم العرب في العراق غير واضحة ، وإن كان من الجائز أن خالدا سار أولا في بعض أجزاء البادية حيث سهل فتحها وجود قبائل عربية فيها » .

ونحن حين نقرأ المدارك الحربية الحديثة مثل معارك الحرب العالمية الأولى أو الثانية أو حروب القرن التاسع عشر وما قبله نجدها واضحة مفصلة كل التفصيل ورب قائل يقول : إنها حروب حديثة عاصرناها أو عاصرها آباؤنا فعرفتها في متناولنا وقد تم تدوينها بمعرفة المؤرخين والمراسلين الحربيين والقادة الذين خاضوها ، فمن أين لنا مثل هذا عن حروب المسلمين الأوائل وليس لنا حيلة إلا أن نأخذ ما وجدنا في كتب التاريخ على علاته .

وتكاد هذه الحجة أن تكتسح ماعداها غير أننا نجد من المعارك والحروب التى هى أسبق زمنا من الإسلام ماهو مفصل تماما اليوم . يقـــول الفريق طه باشا الهاشمى فى كتابه خالد بن الوليد :

«بينما نجد أن المعارك التى خاضها جيش الإسكندر الأكبر فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ومعارك الرومان مع جيوش الأقوام المهاجرة ومادار من معارك بين قياصرة الرومان والمنافسين لهـــم على العرش مفصلة بشكل لا يجهد الباحث ، وأنه قد تم تدوينها بشكل أقرب إلى الصحة مما نحن بسبيله من التاريخ الإسلامى الذى دونه القصاص ومدونو السير والمغازى ومن أرخوا لهذه الفترة بالسماع أو نقلا عن طريق الرواية والإسناد ، فلربما وجدناهم يختلفون على نقاط هامة كالزمان والمكان اللذين وقعت فيهما المعركة وكذلك فى مقدار قوات الفريقين المشتركين فيها.

ولنـا اعتراض على بعض جوانب هذا ، فلاشك عندنا فى أن تعدد مصادر التاريخ الإسلامى - ولو اختلفت فيما بينها فى بعض مضمونها - مدعاة إلى مزيد من الثقـة إذا ما قورنت بتواريخ الرواية الواحدة ، ولنضرب لذلك هـذا المثل المعروف . رمسيس الثانى أخذنا تاريخه عن مسلاته وآثاره المنقوشة نحتا على الجرانيت ، وهل أوثق من الحجر المنقوش دليلا ! ولكل واأسفاه ... فمع تقـدم الكشف والبحث تبين أن فرعون مصر العظيم كان دجالا ومزورا ، عمد إلى مسلات تحتمس الثالث فكحت اسمه من عليها ونقش اسم نفسه بدلا منها لينسب إلى نفسه أمجـاد من سبقه . هذا نموذج لتاريخ الرواية الواحدة التى ارتاح إليها الفريق طه الهاشمى وكثيرون غيره ، فعن أى شىء أسفر ؟ لقـد انتصر رمسيس الثـانى انتصاره الساحق على الحيثيين فى الشام ، هـذا فى آثار رمسيس ... ولكنه انهزم هزيمـة ماحقة على أيدى الحيثيين فى الشام ، هذا فى آثار الحيثيين !

من أجل ذلك وقـد عزت مصادر التفاصيل الحربية الإسلامية لم يعد أمامنا بد من أن يكون لنا منهج يكون لنا بمثابة حجر رشيد نقرأ به خفايا تلك المصادر ونفسرها ، أو ميكروسكوبا يستخرج من بين سطورها مالا نجده مرئيا للعين المجردة دون تكلف أو افتعال ، كما يفعل

محقق أى قضية حين ينتدب خبيراً أو يعرض أمراً على الطبيب الشرعى، ولقد وفقنا إلى ذلك بأكثر من طريق.

فنستطيع مثلا أن نجد فى كتب الرجال والتراجم ما نكمل به كتب التاريخ وأن نجد فيها ما يضيف لنا أشياء. ونستطيع أن نجد فى القرآن الكريم وفى كتب التفسير والحديث ما يشرح تشريعات الحرب والقتال عند المسلمين بل وبعض الوصف والعرض لأساليب القتال. ولنضرب لذلك مثلا بما جاء فى سورة العاديات. لقد جمعت آيات هذه السورة خواص سلاح الفرسان التى تميز بها منذ عصر التنزيل إلى عصرنا. فتقرر الآيات أن العاديات تتميز بخفة الحركة والسرعة (إذ أن العاديات من العدو وهو الجرى) وبالضجيج والصوت الذى تحدثه (ضبحا) فالموريات قدحا من اصطكاك حوافرها بالصخر فتقدح منه الشرر، ثم تقرر صلاحيتها للعمل النهارى، فالمغيرات صبحا، وإثارتها للغبار الذى يماثل اليوم قذائف الدخان، فأثرن به نقعاً، ثم وهو الأهم استخدامها فى فتح الثغرات فى صفوف العدو ودق الإسفين فى دفاعاته، فوسطن به جمعا. فإذا أخذنا مثل هذه المعلومات - فى الاعتبار - وهى معلومات لم تشر إليها مصادر التاريخ - أمكننا أن نضيف منها إلى تصوير المعارك أشياء وأشياء. وغير ذلك يمكن أن نجده فى مصادر الشعر والأدب والخطابة وكل دراسات البيئة من الطعام واللباس والمسكن والمركب.. الخ.

ومن أهم ما تأكد لدينا أن قبائل المسلمين العرب كانت تتحرك فى جيوش الفتح كوحدات حربية، فإذا ما عرفنا ذلك أمكننا أن نبنى عليه كمصدر جديد من مصادر تجميع المعلومات عن كل معركة فإن حركة القبيلة تدلنا على مكان أفرادها كما أن مكان الفرد يشير إلى موضع قبيلته واتجاه حركتها، فإذا ما درسنا قبائل العرب ومساكنها وأنسابها وأرجعنا كل من ورد ذكره إلى قبيلته نكون قد اكتسبنا مصدرا عظيم القيمة يقرأ لنا من بين سطور المصادر ما لا نجده فى السطور.

كذلك لاحظنا أن الطبرى (عمدة التاريخ الإسلامى) يذكر تعبئة معينة فى معركة من المعارك ثم لا يذكر تعبئة المعارك التالية. وقد تبين لنا من تمحيص ذلك أنه كان يعنى عنده أن التعبئة على

ما كانت عليه لم تتغير ، فإذا تغير شيء منها ذكره ، وقد درج على ذلك .

ثم كان من أهم وسائل إيضاح وشرح أى حروب أو معارك توقيعها على خرائط مساحية وطبوغرافية منضبطة تبين حقيقة المسارات والتحركات والحصار والتطويق والمكاشفة والاختراق والمدافعات ... الخ

وهنا يلزم تعديل الخرائط الحديثة لتطابق ما كانت عليه فى عصر الفتح ، ولا بد لذلك من الرجوع إلى ما كتب الجغرافيون والرحالة والبلدانيون المسلمون الذين تدين لهم الحضارة بما سجلوا فى عصورهم .. ابن حوقل وابن جبير وابن خرداذبه وابن بطوطة وياقوت الحموى والاصطخرى .. الخ . إن دراسة الجغرافية العسكرية أيضا للمنطقة ، والمجتمعات التى صارعها المسلمون ... الدولة الساسانية الفارسية ، نظام الحكم فيها .. كيانها الحربى وثقافتها فى الحرب وأسلحتها .. عقائدها ودياناتها المجوسية ، ومثل ذلك من إمبراطورية الروم ...

مزج البحث الذى درج الرواة على إيراد وقائعه طبقا للتقويم الهجرى القمرى بما يقابله من تقويم شمسى ميلادى ييسر لنا استنباط حالة الرياح والحرارة والجو والمحاصيل والفيضانات ... الخ ولكل ذلك أثره فى كل حرب ومعركة .

فإذا تم ذلك كله ، وعدده فى الكتابين «الطريق إلى المدائن» «والقادسية» وجدنا بحق ، دون ما عصبية أو تحيز أن المسلمين الأوائل كانوا أساتذة حرب ومدارس متنوعة فيها يتتلمذ عليها حتى اليوم أكابر قادة الجيوش فى العالم . فما أحوج أمتنا فى واقعها أن تتعلم من أوائلها ، فإنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وليعلم أبناء هذا الجيل من المسلمين أننا حين نفعل ذلك فإننا لا نبدأ من فراغ ؟ .

أحمد عادل كمال

# لابُدّ من تطبيق الشريعة لحماية المجتمع

للأستاذ عزت عبد الله طنطاوي

---

منذ وقت ليس ببعيد علت أصوات كثيرة تطالب باستبدال الشريعة الإسلامية الغراء بالقوانين الوضعية التي لم تؤت ثمرتها وكشفت الأيام عن قصورها وعدم ملاءمتها للبيئة الإسلامية.

ولكن بعض المعارضين تصدوا لصيحة الحق هذه يحاولون النيل منها متشدقين بأسانيد باطلة وحجج واهية ناسبين إلى شريعة الله ما ليس فيها .. زاعمين أنها قاسية وأنها لا تساير ما يسمونه بالتطور ومدنية القرن العشرين.

وبادىء ذي بدء أقول إنه ليس من المستغرب أن نسمع هذه المفتريات في وقت شاع فيه الباطل وذاع فيه قول الزور وتغلغلت فيه المادية الفاجـرة في كثير من مناحي الحياة.

ولكن فات هؤلاء المعترضين أن الحق وإن تأخر انتصاره لن يخبو ضياؤه وأن لا بد له من الانتصار حتى وإن علا الباطل عليه واستطال.

ومما لا جدال فيه ولا مراء أن الناظر لحجج هؤلاء المعترضين يكاد يلمس من الوهلة الأولى مدى مجافاة أسانيدهم الواقع ومخالفتها للعقل والمنطق العادي للأمور.

فغني عن البيان أن وظيفة كل قانون هي خدمة الجماعة التي يحكمها وسد حاجاتها وصيانة أخلاق أفرادها ورعاية آدابها وتقاليدها وحماية دينها ومعتقداتها ...

ومن هنا اختلفت القوانين باختلاف الشعوب فالقانون يجب أن يكون نابعاً من الظروف الاجتماعية للدولة ومن عقائدها ومشاعرها وعاداتها وتقاليدها. إنه يجب أن يكون قطعة من ماضيها وحاضرها وإلا فقد الغاية المرجوة منه، بل يكون وبالاً على الجماعة وأخلاق أفرادها.

ومما يؤسف له أن هذا هو ما تعاني منه الدول الإسلامية التي تحكمت فيها عقدة الاستيراد وهبطت بدينها إلى المستوى الذي حجب عنها حسناته فلجأت إلى الدول الأجنبيـة واستعارت بعض قوانينها، فجاءت هذه القوانين مخالفة لعادات المسلمين وتقاليدهم، ولا مكان فيها

لعقيدتهم . بل جاءت مجافية كل المجافاة للإسلام متحدية للمسلمين تسخر من عقيدتهم وتمتهن مشاعرهم وتعبث بحرماتهم فكانت الطامة الكبرى، وأصبحت الدول الإسلامية ، بسبب تطبيق هذه القوانين الغربية ، مجتمعات تشيع فيها الفاحشة ويتفشى فيها الفساد الذى يوشك أن يدمرها والانحلال الذى كاد يقضى عليها .

نعم . . . كل هذا بفعل هذه القوانين الأجنبية التى عطلت حدود الإسلام وأحلت ما حرمه الله وحرمت ما أحله الله.

ونظرة خاطفة إلى بعض مواد هذه القوانين تكفى لمعرفة مدى انسلاخها من الأخلاق وانحرافها عن الفضائل وتنكرها للبر والتراحم .

ولضيق المقام وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن القوانين الوضعية لا تعاقب على شرب الخمر ولا السكر لذاته وإنما تعاقب عليه فى حالة السكر البين فى الطرق العامة أو المحلات العامة لأن المشرع تخوف من أن وجود السكر فى هذه الأماكن قد يعرض المارين بالطرق أو المرتادين لهذه المحلات لأذاه أو اعتدائه ، ورغم هذا التخوف من المشرع نجد أن الحماية التى أراد أن يسبغها على هؤلاء أضعف من أنفاس المحتضر ؛ إذ جعل عقوبة هذه المخالفة الغرامة التى لا تزيد على جنيه أو الحبس مدة لا تزيد على أسبوع . . وبكل أسف ومرارة جرى القضاء فى الغالب الأعم من قضائه على تطبيق الغرامة دون الحبس.

ولكن الشريعة الغراء تعاقب على شرب الخمر فى جميع الأحوال لأنها تعتبره رذيلة مضرة بالصحة مفسدة للأخلاق متلفة للمال . . . إنها تحرمه لأنها تريد بناء الإنسان النقى الضمير الحسن الخلق مكتمل الصفات والفضائل لكى ينشر الفضل ولكى يسمو بنفسه وبالحياة والأحياء المحيطين به إلى درجة الكمال .

مرة ثانية على سبيل المثال أيضا نجد القانون الوضعى يحل الربا ويسبغ الحماية اللازمة عليه فى حدود قيمة الفائدة المحددة قانونا .

ونسى المشرع أن المدين لم يستدن إلا لضرورة من ضرورات العيش ، ونسى أن هذه الفائدة ترهق المدين وتزيده إعسارا على إعسار .

ولكن شريعة الإسلام تحرم الربا فيقول الله عز وجل : « وأحل الله البيع وحرم الربا » .

ثم يضع فى الاعتبار المدين الذى

أعجزته ضحالة الدخل عن السداد فيمانى من أجل ذلك الدين، هم الليل وذل النهار فيقول وهو أحكم الحاكمين: «وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون». وعلى سبيل المثال أيضا بينما نجد القانون الوضعى لايجرم الميسر إلا إذا كان فى محل عام مهيأ لدخول الناس فيه، نجد الإسلام يحرم الميسر فى كل آن ومكان لأنه يرى فيه ضياعا للوقت وإتلافا للمال.. وكم شاهدنا وطالعتنا الصحف بأخبار أسر هدمت وأطفال شردت، وكانت وبالا على المجتمع من جراء انغماس ذويهم فى السهر ولعب القمار. ثم نتأمل معالجة القوانين الوضعية لجريمة الزنا وكيف أباحتها مادام ذلك برضاء الأنثى، مالم تقل سنها عن ثمان عشرة سنة، وإذا كانت أقل من هذه السن جعلت عقوبة الزنا الحبس وتركت تقدير مداه القاضى الذى قد ينزل به إلى أسبوع، وهكذا نجد القانون خرج على الدين والأخلاق والتقاليد وجعل الاباحية هى القاعدة والأخلاق الفاضلة الكريمة هى الاستثناء..

أين هذا من عقوبة الله التى جعلها الرجم للمحصن والجلد لغير المحصن.

إن الله أراد حماية الأعراض من أن يعبث بها أو تمتد إليها الأيدى الملوثة الآثمة حرصا على الحرمات وصونا للأنساب من العبث والفساد.

هذا قليل من كثير أحلت به القوانين الوضعية ماحرمه الله وآذت به شعور المسلمين وأشاعت الفساد بينهم وعطلت الحدود التى جاء بها دينهم.

ولقد زعم بعض الأشخاص أن هذه الحدود لاتساير ما يسمونه بالمدنية والتطور مدعين أنها قاسية وكان أدنى للحق وأقرب للنفع العام والأوفق والأرشد فى علاج جرائم السرقة، وإحراق المال العام واختلاسه أن يسارع المشرع بتطبيق حدود الشريعة الإسلامية حتى لا يكون مال الدولة مستباحا لكل موظف خرب الذمة طامع فيه، ولكى لايكون أفرادها غرضا لكل هاجم ومرضا لكل معتد أثيم.

إنى أقول لهؤلاء المفترين والمدعين بأن شريعة الإسلام لاتلائم المدنية ولا تساير التطور، أقول له: إن الإسلام هو الذى انتشل الناس من ظلمات الجهل إلى النور وهو الذى قاد العالم إلى المدنية التى يزعمون أنه لايسايرها وعلى هؤلاء الذين

تتحكم فيهم عقدة الاستيراد أن يمعنوا النظر فى أقوال المستشرق الفرنسى رينان « أن المدنيه الأوروبية الحالية هى وليدة المدنيه الإسلامية القديمة فى حقائقها العليا » .

ثم هذا هو العلامة الكاثوليكى شبرل عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا يقول : « إن محمداً الذى تفخر به البشرية بانتسابه إليها استطاع أن يأتى من قرون بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى مثله بعد ألفى عام » .

وهذا مستشرق أمريكى آخر هو : كنج أستاذ الفلسفة بجامعة هارفا فيقول « ... إن فى الشريعة الإسلامية كل المبادىء اللازمة للنهوض بالحياة » .

هذا رد المستشرقين أنفسهم أضعه أمام القائلين بعدم مسايرة الشريعة للمدنيـة الحديثة .

بقيت الفرية الخبيثة التى ينسبونها للإسلام وهو منها براء : فرية القسوة فى قطع يد السارق

إن الإسلام وضع الحدود لتقويم الخاطىء وهداية المنحرف ووقاية المجتمع من شر الفاسد .

ترى هل الرحمـة فى نظر هؤلاء الضالين المضلين هو الحنان الذى لا يعقل له ... ؟ هل هى الشفقة التى تتنكر للعدل والنظام ؟ !!

إن الإسلام لا يقيم الحدود إلا بعد أن لا يكون هناك عذر للمسلم فى ارتكاب جرمه ولا شبهة فى وقوعه منه ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « ادرءوا الحدود عن المسلمين بالشبهات فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الإمام لأن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة » .

إن الإسلام يقطع يد السارق الذى لا يسرق اضطرارا ليطعم نفسه أو أهله فإن ساقته ضرورات العيش إلى جرمه فلا عقوبة عليه ، بل قد توقع العقوبة على من دفعه إلى السرقة كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع غلمان ابن أبى بلتعة الذين سرقوا ناقة فقد أطلق سراحهم وغرم سيدهم ثمنها ضعفين لأنه أجاعهم فاضطروا إلى السرقة .

ولما عمت المجاعة فى عام الرمادة لم يطبق حد السرقة لأن شروطه لم تتوافر ، ويخطىء بعض المسلمين فيقولون إن عمر رضى الله عنه عطل حد السرقة ، وحاشى لله أن يقوم عمر بتعطيل حدود الله وهو الحريص

على إرضاء ربه، وشدته في الدين وحرصه عليه لا يخفى على أحد .

ولكن عمر لم يطبق حد السرقة لأن شروطه لم تكن متوافرة ؛ لأن السارق كان يسرق وقتئذ اضطرارا .

ثم إن هذه القسوة التي يرمون بها الشريعة الإسلامية لا تدل إلا على جهل القائلين بها بدين الإسلام . إن الإسلام جعل الرحمة أساس الإسلام والإيمان وعلامة من علاماته ، بل هي صفة من صفات المؤمنين كما وصفهم القرآن الكريم.

والرحمة في الإسلام لا تقتصر على الإنسان بل تشمل الإنسان والحيوان فيقول الله عز وجل : « ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة» .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « في كل كبد رطبة أجر» ويقول: «والذى نفسى بيده لا يضع الله الرحمــة إلا على رحيم » .

هذه هي شريعة الرحمة . . شريعة الإسلام . . الشريعة التي جمعت بين العقيدة والنظام . . شريعة جمعت بين الدين والدنيا في توجيهاتها وتشريعاتها وأمرنا الله أن نطبقها في نظامنا الاجتماعى، والقانونى والخلقى . فيقول : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله » . ويقول : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله» ووصف من لا يحكم بكتاب الله كافرا وظالما وفاسقا . « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

وتضمن القرآن الكريم أن من يختار حكما غير كتاب الله فهو ضال لا يعرف الإيمان سبيلا إلى قلبه . « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

أقول لهؤلاء المعترضين: إن لدينا من التشريعات الإسلامية ما نعطيه للآخرين.

ولسنا بحاجة إلى استيراد قوانين أجنبية تخالف ديننا وتنحدر بأخلاقنا .

يا قوم تدبروا قول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » يا قوم تدبروا قول نبيكم الكريم: ( كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم

ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ؛ ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ، من قال به صدق ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم).

يا قوم أفيقوا من نومكم ، وسارعوا إلى تطبيق شريعة ربكم ، فهى المنقذ ولا منقذ لنا سواها .

يا قوم إن الله هو خالقكم وهو الأعلم بعلاجنا وشريعته هى الأقدر على حل مشاكلنا وهى الطريق الوحيد لسعادتنا ؟

على عبد اللاه طنطاوى

---

( بقية المنشور على صفحة ١٤٦ )

المجال لاتساع الشعر العربى ونموه وتنوعه مع التزام القافية الموسيقية ذات النغم التمهيدى الرتيب مما لا نكاد نظفر به فى لغة من اللغات .. والتمثيل العملى يغنينا عن الدليل المنطق ، فإن الإنكليزية وهى لغة عالمية كبرى يتكلم بها مئات الملايين لا تستطيع أن تعطى الشاعر المبدع أكثر من بضعة أبيات مقفاة ، وقد قمنا بتجربة عملية لحصر قافية الألف والتاء مثل كلمة . النبات والثبات . . . فوجدنا الألفاظ الآتيـــة : مضرب Bat قطة Cat سمين Fat قبعة Hat حصيرة Mat ضربة خفيفة Pat فأر Rat حـــوض Vat ولا زيادة على هـذا ؛ فإذا أراد شاعر انكليزى أن يلتزم هذه القافية فلا يجد غير هذه الكلمات ، ويكررها غيره من الشعراء على بعد ما بين معانيها من اتصال.

على حين نجد الشاعر العربى يستطيع أن يصوغ فى هذه القافية مئات الأبيات على أن تنوع الإعراب يعطيه من قافية الألف والتاء وأمثالها أربعة أنواع من القافية ؛ فيستطيع بالكلمات نفسها أن يصـــوغ قصيدة ثانية مفتوحة التاء أو مكسورة أو مضمومة أو ساكنة .. أما الذين يضيقون بالقوافى ويدعون إلى الشعر الحر - كما يسمونه - فإننا نعد دعوتهم علامة العجز والقصور لإعلان التحرر والانطلاق ؟

( البحث بقية )

على عبد العظيم

# العرب والمسرح

للأستاذ محمد كمال الدين

## – ٨ –

تطور فن المقامات فى الأندلس الإسلامية – أسبانيا حاليا – إلى أن اتخذ طابعا شعبيا ، يسجل مشاهد من حياة الناس فى بيوتهم وشوارعهم وأسواقهم وصورا واقعية بعيدة عن تكلف النماذج الأدبية الصماء فى أسلوب بسيط أقرب إلى لغة الكلام ، وبشكل فكه ساخر نابض بالحياة والحركة ، حتى أن هذه المقامات تبدو لنا فصولا هزلية جديرة بأن تمثل ، ولسنا نستبعد أن تكون هذه المقامات الشعبية قد تجسدت فعلا فى صورة من صور الأداء المسرحى[١].

وهذا يدل على أن العرب – فى الأندلس بل وفى غيرها من البلاد التى فتحوها – عرفوا الأدب التمثيل وعالجوه ، ومن ثم نقلوه إلى تلك الأقطار ، وتشكل فيها بطابع البيئة .

وفى التراث الباقى من الأدب الأندلسى أيضا ما يكشف عن وجود ما يشبه أن يكون أدبا مسرحيا شعبيا ربما كان يمثل للترفيه عن الناس فى الأعياد والمواسم ويبدو أنه كان من نوع المسرح الغنائى الذى يقوم على محاورات تجرى باللغة العامية الشائعة فى الأندلس ، وهى خليط من العربية واللاتينية الدارجة ، وفى ديوان أزجال ابن قزمان القرطبى[١] ( المتوفى سنة ١١٦٠ م ) أزجال هى محاورات فكهة ذات طابع شعبى ساخر تبدو كما لو كانت قد كتبت لتأخذ طريقها إلى خشبة المسرح ، ولا نستبعد أن يكون ابن قزمان وغيره من زجالى الأندلس قد ابتكروا فى هذه القطع مسرحا شعريا بدائيا من نوع تلك المسرحيات القصيرة التى كانت تتألف من فصل واحد

---

(١) أثر العرب والإسلام فى النهضة الاوربية – بإشراف اليونسكو – الفصل الاول : فى الأدب إعداد سهير القلماوى ومحمود على مكى الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(١) المرجع السابق ص ١٢٨ .

والتى كانت تمثل فى أسبانيا المسيحية فى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر ، كذلك من المؤكد أن لونا من مسرح العرائس الذى كان يقوم على تماثيل متحركة لشخصيات بشرية أو حيوانية قد عرف فى الأندلس الإسلامية ، فقد رأينا إشارات صريحة إلى هذا المسرح البدائى فى قصائد لبعض زجالى الأندلس المتأخرين مثل الفقيه عمر الزجال الذى عاش فى غرناطة خلال القرن الخامس عشر الميلادى .

وكما حاكى الأندلسيون مقامات العرب حاكاها أيضا الفرس من قبلهم ، والمقامة فى الأصل موضع القيام ، وقد استعملت للدلالة على المجلس استعمال الأضداد، ثم أطلقت على الحديث يقال فى مجلس واحد(١) فهى قصص تقال فى مجلس يحضرها مشاهدون وقد يطلقون أو يضيفون ، وقد نهج حميد الدين البلخى ـ المتوفى سنة ٥٥٩هـ فى مقاماته الفارسية نهج مقامات بديع الزمان والحريرى ، وإن خالفهما فى عدة أمور: منها أنه لا يدير قصصه حول شخص واحد كعيسى بن هشام أو الحارث بن همام أو أبى الفتح الإسكندرى .

وإنما تحتل شخصيته ـ كمؤلف ـ المكان الأول ، ويروى الأحداث عن كثير من أصدقائه لم يذكر أسماءهم ، وتتعدد الأبطال فى مقاماته وتتغير أحوالهم.

وقد نقل الفرس أيضاً عن العرب كثيراً من قصصهم القديمة والإسلامية ، ومن قصصهم التاريخية : الشاهنامة التى نظمها الفردوسى فى نحو خمسة وخمسين ألف بيت ، وتدور أحداثها حول تاريخ الفرس القدماء وأساطيرهم حتى نهاية الدولة الساسانية والفتح العربى ، ومن قصصهم المستوحاة من العرب نذكر قصة سليمان وتسخيره للجن وقصة يوسف وزليخا للفردوسى، وقصة يوسف وزليخا أيضاً للجامى(١) ، وخسرو وشيرين ، وليلى والمجنون للنظامى، وخسرو والجامى ونجد كذلك حكايات وتمثيليات تعرض لحلم معاوية وعدل عمر بن عبد العزيز وجور الحجاج ، ومنها القصص الشعبية الكثيرة التى كانت سبباً فى ظهور المسرحية المذهبية المعروفة فى الأدب

(١) تيارات ثقافية بين العرب والفرس ـ أحمد محمد الحوفى ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٦٨ ص ٢٨٠ - ٢٨٢ .

(١) المرجع السابق ص ٢٨٩-٢٩٠

الفارسى بالتعزية ، وهى تقابل مسرح الأسرار فى أوربا المسيحية منذ القرن الثالث عشر الميلادى ، فمن المعروف أن البلاد الشيعية - مثل إيران وهى بلاد الفرس قديماً - ظهر بها ضرب من المسرح نبع من طبيعة معتقداتها الدينية ، فقد كان أهل الشيعة لآل البيت أمراً جوهرياً فى مذهبهم[1] ، وكان مصرع الحسين بن على فى كربلاء حدثا هائلا رأى فيه الشيعة مأساة لحقت بهم وبآل البيت ، وكان التذكير بهذا الحدث كل عام يعمق من عقيدتهم ويثبت بصيرتهم ، ومن هنا نشأ هذا اللون من الفن المسرحى الدينى الذى أراد الشيعة به تمثيل هذه الواقعة فى ذكراها السنوية ، وهو المعروف باسم التعزية ، ويقول محمد عزيزة[2] إن نشأة هذا المسرح الدينى الإسلامى ترجع إلى سببين: دينى وسياسى، فقد اكتشفت الشيعة المسرح لأنها مرت بتجربة الشعور بالذنب من مقتل الحسين ، وشعرت - سياسياً - بأن الحسين قريب منها ، وواحد من أبنائها ، ومازال هذا اللون المسرحى يمثل إلى اليوم فى بعض أجزاء إيران وفى العراق .

سنرى شبيهاً لهذه الصورة المسرحية فى العصر الأموى ، فقد اشتهر فيه عدد من الشعراء أبرزهم الفرزدق وجرير والأخطل - فى بلاد العراق - وجمعوا بين المدح والهجاء ، سنحضر إحدى حلقات ذلك الشعر بأعلى مربض بالبصرة وفى حضور هؤلاء الشعراء، فماذا سنرى؟ الفرزدق يركب بغلة ويرتدى حلة جميلة[1] بينما يركب جرير فرسا ويلبس درعا وحلة تسمى « بيضة » ويتقلد سيفاً ، ويقومون بهذه « الحركات » لهواً ولعباً وكان أهـــل العراق يقبلون على هذه الحلقات للتفرج ، وكانت كل قبيلة تحاول أن تستخرج من شاعرها آخر ما فى

(١) أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية - اليونسكو - ص ١٢٧ .

(٢) الإسلام والمسرح: محمد عزيزة - ترجمة رفيق الصبان - كتاب الهلال ٢٤٣ أبريل ١٩٧١ ص ٤٩

(١) الأغانى للأصفهانى جـ ٢٠ ص ١٦٩ ، وجزء ٧ ص ٤٦ ، وجزء ١٠ ص ٢ ، أنظر أيضـــا : العرب والحضارة - على حسنى الخربوطلى - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٦ ص ٢١٧ - ٢١٨ .

جعبته من سهام ، وتمضية أوقات الفراغ أكثر من اهتمامهم بالعصبيات القبلية ، فكانوا يصفقون لهذا تارة ولذاك أخرى وكان يكثر بينهم المرج على نحو مايفعل الناس الآن في المسارح .

كذلك اشتهرت في ذلك العصر والعصر العباسي الذي تلاه ، ألوان شتى من الاحتفالات التي كان يقيمها الحكام والأمراء والأغنياء في قصورهم ومحافلهم وتتضمن فقرات كثيرة من الغناء والموسيقى وحكايات القصاص، ومشاهد المقلدين والمضحكين ، فكان المضحك يقلد الحاكم أو الوزير أو الأمير فيرد عليه مضحك آخر ، وقد يرد عليه أحد مشاهدي هذه الاحتفالات، وكان المشهد يتضمن حكاية أو قصة حقيقية أو متخيلة - بقصد التسلية بالطبع - ولكنها لم تكن تخلو من مغزى أو عبرة ، وقد يشترك في المشهد الواحد عدد من الممثلين يصلون إلى الخمسة أو أكثر ، وقد تحتدم بينهم منافسة المدح أو القدح — في منافسي الحاضرين أو أعدائهم - فتروى عنهم قصصا وحكايات ترفع البعض أو تهبط بهم، والذي يهمنا من ذلك كله أن الدراما والتمثيل قد عرفهما العرب بصورة ما في كل عصورهم ، جاهلية وإسلاما ، وأنهم قدموا فيهما ألوانا كثيرة حملت خصائصهم وعاداتهم ، ودلت عليهم ،وهي لاتختلف كثيرا عن ألوان درامية أخرى عرفها اليونان أو الرومان أو المصريون القدماء واقتبسها منهم شعوب أخرى كالفرس والأسبان ، وحاكاها أدباء عالميون نذكر منهم لوبي دي رويدا، المتوفى سنة ١٥٦٥ في أسبانيا . ولوبي دي فيجا (١٥٦٢ - ١٦٣٥) ثم كالدرون دي لاباركا (١٦٠٠ - ١٦٨١) في أسبانيا أيضا ، ومن فرنسا نذكر مسرحية السيد لكورني (١٦٠٦ - ١٦٨٤) ومن إيطاليا نذكر دانتي الجيري وبوكاتشيو وبازيل ومن ألمانيا نذكر الأخوين جريم ودي متز والشنباخ [١] وغيرهم ، مما سيأتي ذكرهم في إطار هذا البحث ، فإلى لقاء ؟

محمد كمال الدين

---

(٢) دور العرب في تكوين الفكر الأوربي عبد الرحمن بدوي مكتبة الأنجلو الطبعة الثانية ١٩٦٧ ص ٧٤ - ٩٧ .

# علاقة التشريع الإسلامي بالتشريع الوضعي

للأستاذ سيد عبد الله حسين

— ١٠ —

**التملك بالمزاد - وبقوة القانون :**

لا زال هذا السؤال مطروحا كل يوم: (هل التشريع الوضعي مأخوذ من التشريع الإسلامي) ؟ ونحن نجيب نعم! ونقيم الدليل على ذلك - وإليك هذا البحث.

**القانون الفرنسي :**

**المزاد من طرق التمليك :**

وهو تخصيص ملكية العقار بشخص نتيجة لحكم قضائي .

وينتج غالباً عن بيع عقار غير قابل للقسمة فى تركة - أو بين شركاء - أو نتيجة مديونية ص ٥٧٤ ج ١ فرانيه .

وصفة الحكم تختلف ، فهو بين الشركاء مظهر لا موجد لأن الملكية ثابتة قبل الحكم وليس نقلا للملكية - فليس بلازم نقل التكليف بتسجيله .

وإن كان حكم القسمة لصالح أجنبي فهو كالبيع ناقل للملكية فيجب تسجيله لنقل التكليف .

**التشريع الإسلامي :**

**التملك عن طريق المزاد :**

فى الواقع أن بيع المزاد الناتج عن تولى الحاكم لبيع عقار لا ينقسم فى تركة - أو عين بين شركاء يفسدها القسم - أو نفاذاً لحكم قضائي بمديونية من امتنع عن سداد دينه فتولى الحاكم بيع متاعه لسداد دينه هذه البيوع من غير المالك تفيد تمليك المشترى لما يشتريه من المزايدة وإن كان لم تتحقق فيه إرادة المتبايعين اختياراً - ولكنه يرجع للمصلحة العامة والعدل الاجتماعي الواجب توافرهما للجميع .

١ — ففى بيع الحاكم لعقار لا ينقسم مصلحة للمتقاسمين بإعطاء كل ذى حق حقه فوجب المصير إليه ممن يتولى المصلحة العامة وهو الحاكم أو من يعينه لذلك .

٢ — وفى تنفيذ الحكم القضائي بمديونية شخص ألد فى الخصام يريد أكل أموال الناس بالباطل فيطلب منه القاضى سداد

دينه فلا يفعل فيحكم عليه بالدفع فإن لم يدفع باع الحاكم أملاكه فى مزاد على يشتريه من يعطى حداً أعلى فى الثمن ـ فهو بيع جبرى يفيد التملك للمشترى .

٣ — وفى بيع مال المفلس سداد كل ديونه أو بعضها بنسبة مديونيته وسببه أن المدين أنقص من ماله فى تصرفاته فعجز عن السداد لحكم بإفلاسه ـ فيتولى الحاكم أو نائبه بيع ماله فى مزاد علنى ـ فهو بيع جبرى لا إرادة فيه للبائع ، ولكنه متى تم البيع والشراء فقد تملك المشترى ما اشتراه من المزاد .

وعلى ذلك فيكون البيع فى القسمة لما لا ينقسم ـ والبيع نفاذاً لحكم قضائى ـ والبيع لمال المفلس سبباً صحيحاً قانوناً للتملك فقد جاء :

١ — فى ج ٢ ص ٥٤ الشرح الصغير ما يأتى : ( ولا رد على حاكم ـ ولا على الوارث ـ ولا على الوصى متى علم المشترى صفتهما فى رقيق ـ وفاء لدين على الميت ـ أو الغائب ـ أو المفلس ـ أو نفقة الزوجة بشرط عدم علم الحاكم والوارث والوصى بالعيب وإلا فللمشترى الرد ـ قال ابن المواز قال : مالك : « وبيع السلطان وبيع الوارث بيع براءة ـ فإن لم يعلم المشترى صفة البائع فهو مخير بين الرد والإمساك » اهـ ( ومعناه أن بيع الحاكم ومن معه صحيح تترتب عليه آثاره ككل بيع من مالك العقار أو غيره إلا ما استثنى من الرقيق )

٢ — فى ج ٢ ص ٢١٠ الشرح الصغير فى باب القسمة ـ ( وقسمة القرعة تمييز حق فى مشاع بين الشركاء ( لا بيع ) ـ إلى أن قال ( ويجبر عليها من أباها ) .

وجاء فى ص ١١٤ منه وباع الحاكم أو نائبه ماله ( مال المفلس ) من عقار أو عروض أو مثليات بحضرته لأنه أقطع لحجته بشرط عدم وجود من يزيد فى الثمن ومع الخيار للحاكم ثلاثة أيام لطلب زيادة الثمن .

٣ — فى ج ٢ ص ٢١٥ ( وأجبر على البيع من أباه فيما لا ينقسم من عقار )

ملاحظة — جاء فى ص ٢ ص ٢١٠

( أن قسمة القرعة تمييز حق فى مشاع بين الشركاء ( لا بيع ) وهو صريح فى أن قسمة القرعة تمييز لحق كل شريك فهى مظهرة لملك كل شريك لا موجدة للملكية وهى نص القانون الوضعى فى هذا البحث فلا يتمتع بحقوق المشترى لأنه مالك

قبل القسمة أما المشترى من المزاد بحكم القسمة الأجنبى من الطرفين الشريكين فشراؤه من المزاد موجد للملكية لأنه أجنبى من الطرفين المالكين لما لا ينقسم فله حقوق كل مشترى .

فالبيع والمشترى فى المزاد العلنى يفيد التمليك للمشترى وقد وجد هذا التشريع زمن البعثة المحمدية واجتهد فيه المجتهدون فى القرن الثانى الهجرى فوضعوا شروطه وأحاطوه بضمانات محافظة على مال الدائن وحق المدين وعنه أخذ المتشرعون الوضعيون وسكتوا عن مأخــــذه .

**القانون الفرنسى = التمليك بقوة القانون**

يكون التملك بقوة القانون فى حالتين ( قوانيه ص ٥٧٢ ج ١ ) .

١ — فى حالة الميراث — فالوارث يملك نصيبه فى التركة بقوة القانون .

٢ — فى ثمرة المبيع — ثمرة بيع ملك الغير — تكون الثمرة للمالك واضع اليد بحسن نية م ٥٤٩ ق م .

**التشريع الإسلامى = التمليك بقوة القانون .**

١ — فى حالة الميراث — إن الإنسان خلق فى هذه الدنيا ليعمرها فيجد فى طلب الرزق فيستعمل ويدخر وفقا للغريزة البشرية — فإذا قضى نحبه ترك ما يورث عنه لورثته ملكا لهم بمجرد موته بدون حاجة إلى عقد أو صيغة ناقلة للملكية لورثته — وقد يريد دوام ذكراه فى دنياه بما ترك من ورثة وميراث .

ولهذه النظرية يجوز شرعا أن يتصرف الوارث بجميع أنواع التصرفات فى نصيبه من تركة مورثه بمجرد وفاة مورثه — لا قبل الوفاة لعدم وجود سبب الملكية وهو الوفاة — بشرط إخراج الحقوق المطلوبة من التركة كتجهيز الميت ووفاء ديونه وإخراج وصاياه .

وقد تأكد هذا التشريع بتفصيل أحكام الميراث وبيان الورثة فى القرآن الكريم فى سورة النساء : ( يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ) الخ من آية (١١) وما بعدها ومن السنة الصحيحة ومعنى التعبير ( باللام ) أن نصيب كل وارث يملكه صاحبه من تركة مورثه بعد الوفاة بدون ضميمة أى آخر للموت .

وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بعد بيان جميع حالات من يرث

وتحديد نصيبه : ( إن الله قد أعطى كل ذى حق حقـــه ألا لاوصية لوارث )

فهذا تشريع إسلامى بالنص أخذه المشترعون الوضعيون ونسبوه لأنفسهم ظلما وبغيا .

٢ — فى ثمرة ملك الغير المباع - وهو المعروف فقها ( ببيع الفضولى ) .

ذكر المشرع الوضعى أن ثمرة المبيع فى بيع الفضولى تكون للمشترى - وهى جزئيـة من قاعـــدة كليـة معروفة ومقررة فى التشريع الإسلامى وهى ( الضمان فى البيع الفاسد لا يكون إلا بالقبض ) فإذا فسخ البيع الفاسد واستلم المالك الأصلى سلعته فلا يرجع على المشترى بما استغله من المبيع مدة وجوده عنده إلى لحظة الحكم بالرد - وذلك بشرط أن لا يعلم المشترى بتعدى البائع فى بيعه هذا على ملك الغير - وإلا كان مشتريا من سارق أو غاصب فلا يستحق ثمرة المبيع عند الرد بل يرد المبيع وثمرته إلى مالكه الأصلى - .

١ - فقد جاء فى الخرشى ج ٥ ص ٩٥ مانصه: ( إنما ينتقل ضمان البيع الفاسد بالقبض - ويرد لبائعه والغـــلة للمشترى فالغلة فى البيع الفاسد تكون للمشترى إلى حين الحكم برد المبيع لكونه فى ضمانه إلى ذلك الوقت لأن الخراج بالضمان ولو علم الفساد ) ( يعنى فى غير بيع الفضولى ) .

٢ — وجاء فى الشرح الصغير ج ٢ ص ٧ ( وصح بيع غير المالك ) وهو الفضولى ثم قال ( فيوقف البيع على رضاء المالك ) ثم قال : ( والغلة للمشترى إذا لم يعلم بالتعدى من بائعه فإن علم المشترى بتعدى البائع وأن المبيع ليس ملكا له فالغلة للبائع إن رد البيع ) .

وبالنظر إلى التشريعين نجد التشريع اللاحق وهو الوضعى نقل نفس الأحكام عن التشريع السابق وهـــو الشريعة الإسلامية، فليتذكر أهل العلم كيف اغترف الناس من تشريعنا ونسبوه لأنفسهم .

هذا ويدخل فى سبب الملكية بالقانون الصدقة والهبـة فهى تملك بمجرد وصوله إلى المتصدق عليه والمعطى له بقوة القانون ص ٥١٣ ج ١ قرانيه .

وهى مأخوذة أيضا بالنص من الشريعة الإسلامية بأن المتصدق عليه يملك الصدقة بمجرد وصولها ليده ، وليس لأحد أن

ينزعها منه فيتصرف فيها تصرف المالك المطلق في ملكه ومثلها الهبة. وقد روى عن السيدة عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيته ذات يوم فقال هل عندكم من شيء (يعني يأكله) فقالت ليس عندنا إلا ما تصدق به على بريرة (اسم جارية) فقال صلى الله عليه وسلم: « هو لها صدقة ولنا هدية » ومعناه أنها تملكته بمجرد أن أعطاها المتصدقون والرسول هدية - بمعنى أنها تتصرف فيه تصرف الملاك - فلو بقي على حاله صدقة لما جاز الرسول صلى الله عليه وسلم ولا لآل بيته الأكل منه لأنه محرم عليهم أخذ الصدقة أو أكلها ولكن لما قال وهي لنا هدية جاز أكل الرسول وآل بيته منها لأنه كان يقبل الهدايا ويأكل منها.

وبعـــد:

فلا سبيل لإنكار مأخذ التشريع الوضعي من الشريعة الإسلامية؛ فقد توافرت الأدلة ومقابلة النص بالنص، فكانت المآخذ من اللاحق للسابق حتمية بعد التطابق الكامل، فعلى أهل القانون أن يرجعوا إلى شريعتهم فيأخذوا منها ما يشاءون، وعلى علماء الشريعة البيان، والله سبحانه وتعالى أعلم؟ (يتبع)

سيد عبد الله حسين

---

قال الله تعالى:

« يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما ». (النساء: ١١)

# الإسلام والمسلمون فى أوربا

للأستاذ محمد علوى عبد الهادى

— ٥ —

مرحلة العداء العاقل نحو الإسلام :

كان اتصال الأوربيين بالمسلمين فى فلسطين والشام طوال مدة الغزو الصليبى سببا أساسيا فى فتور روح العداء الأحمق نحو الإسلام وبدء فترة من التعقل ومحاولة لدراسة هذا الشعب الذى صورته لهم الأغانى والأساطير التى كانت متداولة أنه شعب وثنى همجى محب للذات ، ذو ميول عدوانية شريرة .

فالاتصال المباشر على مدى قرنين من الزمان بين عامة الشعب الصليبى والشعب المسلم أظهر للأوربيين خطأ الصورة التى فى أذهانهم عن الشعب الإسلامى .

وعلاوة على ذلك كانت حضارة الأندلس وصقلية الزاهرة دليلا حيا وناطقا على كذب الصور المشوهة التى رسمتها أغانى الإشارات .

وكان انتقال الحضارة العربية إلى أوربا عن أسبانيا وصقلية وفلسطين والشام سببا فى قيام حركات علمية فى أوروبا .

ولكن العداء الأحمق الذى كان طابع الشعور الأوروبى والكنيسة الكاثوليكية قبل الحروب الصليبية لم يكن لينتهى فجأة بل تحول إلى نوع من العداء الذى يحاول أن يتجسد فى الحركة العلمية .

لقد بدأت رئاسة الكنيسة الكاثوليكية فى روما حركة النقل عن العرب منذ القرن الثامن حيث هاجر إلى روما كثير من مسيحى الشام وبعض هؤلاء ارتحل شمالا حيث أهلتهم معرفتهم باللغة اليونانية لمركز ممتاز وأخذوا معهم المخطوطات التى جلبوها من أوطانهم .

ولكن الانفتاح الحقيق على حضارة العرب بدأ بعد الحروب الصليبية حيث هاجر إلى أسبانيا وصقلية والشام الكثير من رجال العلم من انجلترا وفرنسا وإيطاليا ومن رجال الفاتيكان ، وتعلموا ونقلوا

إلى بلادهم الكثير من تراث العرب الحضارى .

ولكن الأوربيين عندما نقلوا عن العرب ، نقلوا وفى أعماق نفوسهم روح العداء القديم الأحمق .

حقيقة ، أخذوا العلوم الطبيعية من كيمياء وطبيعة وهندسة وعمارة ... الخ اعترفوا بفضل العرب فى بعضه ونسبوا إلى أنفسهم أو إلى اليونان البعض الآخر .

ولكنهم نقلوا عن العرب أيضا الفلسفة وعلم الكلام الإسلامى بقصد تخريج علماء يحاربون المسلمين ، يحاربونهم بالحجة والمنطق بعد أن فشلت الحروب ضد الإسلام على مدى القرون السابقة .

وسيرا على هذا الخط ترجم القرآن إلى الأسبانية سنة ١٢٥١ وتوالت ترجماته بعد ذلك . كما ترجمت نسخ التوراة والأناجيل التى كانت ببلاد الشرق باللغات القديمة والعربية وأعيدت ترجماتها مرارا .

وكان لذلك آثار عديدة : بعضها هز الكنيسة نفسها وتولد عنه حركات الإصلاح الدينى ، وبعضها أثار العداء بين طائفة العلماء وبين الكنيسة ولكن الأثر الأهم هو أن روح العداء الأحمق التى كانت تتصف بها مشاعر الشعوب المتأخرة خفت كثيرا بفضل الصراع بين رجال الكنيسة أنفسهم ، وبينهم وبين رجال العلم ثم بانتشار العلم والوعى الثقافى بين الشعوب .

لم ينته العداء ولكنه تحول إلى عداء عاقل يحاول أن يطعن فى الإسلام بالأسلوب العلمى الذى يتفق مع ارتفاع المستوى الثقافى للشعوب الأوربية وخلقت هذه الحركة حركة الاستشراق العلمى الذى يتسم بالانحياز ضد الإسلام . والآثار العلمية لهذه الحقبة هى التى يتأثر بها بعض مفكرى المسلمين ، ويهاجمون على أساسها كل حركة الاستشراق حتى التى تلت ذلك .

المد الاستعمارى :

سلم العرب تراثهم الحضارى إلى أوربا وركنوا إلى سبات طويل لم يفيقوا منه بعد .

وبدأت أوربا تنهض وتنقل حركة الغزو منها إلى العرب ، فسقطت أسبانيا وصقلية ومالطة فى إيديهم ثم بدأ الغزو البحرى بكرستوفر كولمبس ثم فاسكو دجاما ثم حققت البرتغال أول انتصار عسكرى بهزيمتها الأسطول المصرى فى بحر العرب

وتسيدت بذلك على التجارة مع الهند ، ثم بسطت نفوذها على ساحل عمان .

وتوالى المد الاستعمارى من باقى دول أوربا . ذلك المد الذى شمل معظم البلاد الإسلامية ثم بلاد أفريقيا وشرق آسيا .

وفى هذه المرحلة حققت أوروبا تقدما حضاريا مذهلا .

وكان لذلك أثره فى الحركة العقلية العلمية والشعبية ، إذ نشأ شعور الاستعلاء لدى الأفراد الأوربيين ولدى حكوماتها وأصبحت تنظر إلى نفسها أنها سيدة العالم وانعكس ذلك على الحركة العلمية فأنكرت كل فضل للعرب والمسلمين ، وقصرت اعترافها بدور العرب والمسلمين على أنهم نقلوا تراث اليونان .

وصاحب ذلك الثورة الفرنسية وحروب نابليون وسيطرته على أوربا بما فى ذلك إيطاليا وكرسى البابوية . وكنتيجة للصراعات الفكرية أعاد نابليون البابا إلى أوربا بعد أن تم معه مصالحة بين الكنيسة والدولة ، تنازلت بمقتضاها الكنيسة عن العديد من السلطات التى كانت لها منذ قيام الامبراطورية الرومانية المقدسة فى سنة ٨٠٠م . ونشأت مع الثورة الفرنسية الحركة التى تعرف بالعلمانية . ودعوى فصل الدين عن الدولة (١) .

وصاحب موجة الاستعمار وارتبط به النشاط الحامى للتبشير المسيحى ذلك النشاط الذى شمل العالم كله وشاركت فيه أمريكا بدور كبير .

وإذا كان التبشير المسيحى قد ساعد كثيرا على توطيد الاستعمار الأوربى ، فى أفريقيا وآسيا ، فإنه لم ينجح فى تحويل أى من المسلمين فى المستعمرات الأوربية فى أفريقيا وآسيا ، كما لم ينجح فى اجتذاب الكثير من أصحاب الديانات الوثنية فى بلاد الحضارات الآسيوية الشرقية .

---

(١) ومن سوء الحظ أن أولى البعثات التى أرسلها محمد على للتعليم فى أوربا عاصرت هذه الحقبة . فلما عادت لمصر نقلت إلى مصر هذه الدعوى دون فهم أو تبصر . ومع أن الدعوى أصلا أريد بها فصل سلطان الكنيسة عن سلطان الدولة ، إلا أن المراهقين الذين ذهبوا إلى أوربا للتعلم لم يكن عندهم أى خلفية ثقافية عن أصول دينهم ولا عن العلاقة بين الدين والكنيسة والفرد والدولة فى أوربا فنقلوا هذه الدعوى دون فهم وقلبوا حقيقتها وأساءوا إلى قضية التقدم المصرى والعربى كثيراً .

وبعد جهود مضنية أقر المبشرون بعجزهم وأن الجهود التى يبذلونها لا تتناسب مطلقاً مع النتائج التى يحصلون عليها سواء فى إفريقيا أو آسيا أو أمريكا الجنوبية ، وقد أجمعت تقاريرهم منذ القرن الثامن عشر على أن الإفريقيين يعتنقون الإسلام بدون أى دعوة له بمعدل تسعة إلى كل واحد يعتنق المسيحية بعد جهد جهيد من التبشير .

وكان استمرار تقارير المبشرين بهذا المعنى داعياً إلى نشوء تيار فكرى جديد فى رئاسة الكنيسة الكاثوليكية فى روما

انحسار المد الاستعمارى :

واجهت موجة الاستعمار موجة مقابلة من يقظة الأمم المغلوبة ونشأت الحركات القومية فى معظم المستعمرات ووصلت هذه النهضات القومية ذروتها بعد نهاية الحرب العالمية وبدأت المستعمرات تستقل واحدة بعد الأخرى .

ومن ناحية أخرى واجهت الكنيسة الكاثوليكية تهديداً جديداً شديد الخطورة . وذلك هو الثورة الشيوعية التى بدأت أول ما بدأت تهاجم سلطان الكنيسة ، ومع أن الثورة الفرنسية سبقت إلى ذلك إلا أن سلطان الكنيسة وقت الثورة الفرنسية كان أقوى من أن تؤثر فيه ثورة فرنسا بينما ثورة الشيوعية قامت كدعوة فكرية سبقت انتصار الثورة الروسية وانتشرت سلمياً بين الشعوب وكان سوء الأحوال الاجتماعية وموقف الكنيسة سبباً قوياً فى انتشارها فكرياً .

ومع الثورة الشيوعية ؛ كان لانتشار المتعلمين(١) وللاكتشافات العلمية والأثرية والاتصال بالشعوب المستعمرة ودراسة حضاراتهم البائدة ودياناتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، الأثر الواضح فى التمزق الفكرى الذى عانت منه جموع المثقفين الأوربيين والأمريكيين وظهر

(١) كان التعليم فى أوروبا كله تابعاً للكنيسة وتحت إدارتها . فلما عقد نابليون المصالحة مع البابا تنازل هذا فيما تنازل من سلطات الكنيسة عن تدخل الكنيسة فى التعليم وأصبح التعليم فى معظمه علمانيا مع السماح للكنيسة بإدارة نظام تعليمى خاص بها . وانتشار التعليم العلمانى حرر أذهان المتعلمين من سلطان الكنيسة وسمح الكثير من الأفكار الحرة أن تسود المجتمعات الأوربية المتعلمة والنصف متعلمة .

أثر ذلك واضحاً فى تفكك الكنيسة الكاثوليكية إلى العديد من الطوائف والنحل، بعضها يحتفظ لتبعيته لبابا روما والآخر انشق عليه وتختلف هذه الطوائف عن بعضها فى تفاصيل العقيدة وفى أنواع الطقوس، ومنها مايقترب فى عقائده من الإسلام قربا شديداً ، ومنها مايشذ عن الإسلام والمسيحية شذوذاً واضحاً(١) ويختلف أتباع كل طائفة عدداً ونوعية وانتشاراً فى الأقطار الأوربية والأمريكية.

ولمواجهة هذا كله بدأت الكنيسة الكاثوليكية فى تعديل خططها وسياستها.

انتشار دعوة السلام:

عانت الشعوب الأوربيـــة طويلا وطويلا جداً من الحروب المتتالية بين شعوبها ، والواقع أن تاريخ أوروبا منذ سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية حتى الحرب العالمية الثانية عبارة عن حروب متصلة. بعضها دينى والآخر سياسى.

وإذا كان للحروب الحديثة أثر واضح فى التقدم الصناعى والحضارى فى أوروبا فإنها خلقت فى النفوس كثيرا من المرارة وبعد الحرب العالمية الثانية عانت الشعوب كثيراً من الفقر وشظف العيش ، أعقبه ثراء شديد وتقدم صناعى هائل جعل مستوى المعيشة يرتفع كثيرا لدى الشعوب الأوربية مما دفعهم إلى الاتجاه المبالغ فيه نحو الاسترخاء والاستمتاع .

وهذا الاتجاه الواضح نتج عنه انصراف الشعوب الأوربيـة عن مشاعر التعصب الشديد والعداء نحو الإسلام التى كانت سائدة فى القرون السابقة .

لقد أصبح هم المواطن الأوربى الآن أن يعيش فى سلام ويستمتع بنتاج تقدمه الحضارى ولا يعنيه من دنياه إلا ذلك . وسقطت ـ تقريباً ـ روح الغرور والشعور بالسيادة إزاء العالم الذى كان طابع الشعور الأوربى فى القرن السابق، وكان لنهوض الأمم الإسلامية والآسيوية والأفريقية وبروز أفراد منها على مستوى عالمى من النبوغ الذهنى أثره فى تعاطف الشعوب الأوربيـــة مع المسلمين والأفريقيين

(١) بعض النحل فى أمريكا طورت عقيدتها إلى صورة مستحدثة لديانة إيزيس المصرية القديمة وبعضها جعلت طقوس عبادتهـــا مساخر وحفلات يفسرها عقلاء الأمريكيين بأنها نوع من المرض النفسى .

والآسيويين وإقبالهم على من يعيش من أبناءهم بين ظهرانيهم، ورغبتهم فى التعرف على أحوالهم واحترام من يحترم عقائده وعاداته منهم .

وكل هذه العوامل جعلت الجو ملائما جدا للدعوة إلى الإسلام ، وأصبح هناك تشوق بين الأوربيين على اختلاف مستوياتهم الذهنية إلى معرفة الإسلام إما عن رغبة فى عقيدة جديدة وإما عن رغبة فى الاستطلاع ؟

محمد علوى عبد الهادى

---

## ( الخير فى الحديث النبوى )

- خير الناس من طال عمره وحسن عمله .
- خير الناس أنفعهم للناس .
- خير النكاح أيسره .
- خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن ليه .
- خير ما أعطى الناس خلق حسن .
- خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى .
- خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح .
- خياركم أحسنكم قضاء الدين .

# فروق بين ألفاظ متقاربة

للأستاذ عباس أبو السعود

— ٥ —

٢١ — ولا يفرقون فى تعبيراتهم بين السقوط والوقوع ، ويستعملونهما استعمالا واحدا مع أن بينهما فرقا دقيقا ينبغى للخاصة أن يراعوه فيما ينطقون ويكتبون .

يقال : وقع المطر إذا نزل ، ولا يقال سقط ، ويقال : سقط الولد من بطن أمه فهو سقط إذا خرج ميتا ، وأما إذا خرج حيا فيقال : إنه وقع .

ويقال : وقع الأمر إذا حصل ووجد ، ولا يقال سقط الأمر ، ويقال : إن عملك هذا ليقع منى موقعا حسنا ، ولا يقال : ليسقط منى .

ويقال : سقط فى يده ، وأسقط فيها إذا أخطأ وندم وتحير ، وفى التنزيل : « ولما سقط فى أيديهم » . ولا يقال : وقع فى يده ، ويقال : فلان يحن إلى مسقط رأسه بكسر القاف ، ولا يقال : يحن إلى موقع رأسه ، قال الشاعر :

خرجنا جميعا من مساقط رأسنا
على ثقـــة منا بجود ابن عامر

٢٢ — ولا يفرقون بين الشهوة ، والشهية ، ويستعملونهما فى معنى واحد على سواء ، وقد يستعملون إحداهما مكان الأخرى ، فيقولون مثلا : فقد المريض شهية الطعام ، والصواب أن يقال فقد شهوة الطعام ، وذلك لأن الشهوة هى اشتياق النفس إلى الشىء ونزوعها إليه ، جمعها شهوات قياسا ، وأشهية ، وشهى وزان غرف على غير قياس :

والشاهية : الشهوة مصدر كالعاقبة ، والعافية ، والناشئة .

أما الشهية فهى مؤنث الشهى بمعنى اللذيذ ، تقول . طعام شهى ، وشراب شهى ، ولقمة شهية ، أى لذيذة ، ويقال : شهى فلان الطعام كرضى يشهاه ، وشهاه كدماه يشهوه ، واشتهاه ، وتشهاه إذا أحبه ورغب فيه ، فهو شهى ، وشهوان ،

وشهوانى، وهى شهوى، وهم وهن شهاوى. ويقال: أشهاه إذا أعطاه مشتهاه، وهذا شىء يشهى الطعام أى يحمل على اشتهائه.

٢٣ — ولا يفرقون فى المعنى بين عقب وزان قفل وعقب وزان كتف إذا أضيف إليهما أحد الشهور: فالأول إذا أضفته إلى ذى الحجة مثلا فقلت: عدت من الحجاز فى عقب ذى الحجة أو فى عقبانه بالضم كان المعنى أنك عدت بعد ما مضى الشهر كله، أما الثانى فإذا أضفته إلى الشهر نفسه فقلت: عدت فى عقب ذى الحجة كان المعنى أنك عدت وقد بقيت فيه بقية.

٢٤ — ولا يفرقون بين فرط الثلاثى وفرط الرباعى المضعف، وأفرط الرباعى المهموز، ويخلطون بينها فى الاستعمال، والحق أن لكل منها استعمالات خاصة تختلف باختلاف تعديته.

فالثلاثى:

١ — يتعدى بنفسه ويكون بمعنى السبق، تقول: فرط فلان القوم فروطا من باب قعد إذا تقدمهم وسبقهم إلى الورود ليصلح لهم الحوض ويهيىء الدلاء، فهو فارط وهم فراط، ويقال له أيضا فرط بالتحريك ويستوى فيه الواحد والجمع.

٢ — ويتعدى بفى ويكون بمعنى التقصير، تقول: فرط فلان فى الأمر إذا قصر فيه وضيعه حتى فات.

٣ — ويتعدى بعلى ويكون بمعنى الإسراف والعجلة، تقول: فرط العدو علينا إذا أسرف معجلا، ومنه قوله تعالى: «إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى».

٤ — ويتعدى بمن ويكون بمعنى السبق كالمتعدى بنفسه، تقول: فرط من فلان قول لاذع أى سبق.

والمضعف:

١ — يتعدى بفى، ويكون بمعنى التقصير والإهمال، تقول: فرط فى الشىء تفريطا إذا ضيعه وقدم العجز فيه وقصر، ومنه قوله عز شأنه «ما فرطنا فى الكتاب من شىء».

٢ — ويتعدى بنفسه ويكون بمعنى التقصير كسابقه، تقول: فرط فلان الشىء إذا قصر فيه وأهمله.

والمهموز :

١ — يتعدى بنفسه ويكون بمعنى الترك ، تقول : أفرط فلان أخاه إذا تركه فأخوه مفرط ، ومن هذا قوله تعالى : « لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون » أى متركون فى النار ، ويكون أيضا بمعنى الملء ، تقول : أفرط الولد الإناء إذا ملأه حتى سال منه الماء وفاض ، وكذلك يكون بمعنى النسيان ، تقول : أفرط الرجل الشىء إذا نسيه .

٢ — ويتعدى بفى ويكون بمعنى مجاوزة الحد ، تقول : أفرط فلان فى الأمر إفراطا إذا جاوز الحد فيه وأسرف ، ومدح فلان صديقه حتى أفرط فى الإشادة به والثناء عليه .

٣ — ويتعدى بعلى ويكون بمعنى مجاوزة الحد كسابقه ، تقول : أفرط الرجل على خادمه إذا حمله ما لا يطيق وجاوز الحد ، وقولهم : هذا أمر فرط بضمتين معناه مجاوز فيه الحد ، ومنه قوله جل شأنه : « وكان أمره فرطاً » .

٢٥ — ولا يفرقون بين ملح الثلاثى وأملح وملح الرباعيين ، والحق أن الثلاثى معنى يخالف معنى الرباعى بنوعيه ، تقول : ملح الطاهى القدر من بابى نفع وضرب إذا طرح فيها الملح بقدر ، وأملحها إملاحا ، وملحها تمليحا إذا وضع فيها الملح بكثرة فأفسدها ؟

عباس أبو السعود

---

( من كلمات خليفة رسول الله أبى بكر الصديق )

- أولى الناس بالله أشدهم توليا له .
- الصدق أمانة والكذب خيانة .
- إن عليك من الله عيوناً تراك .
- ثلاث من كن فيه كن عليه : البغى ، والنكث ، والمكر .
- حق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلا ، وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفا .

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

---

● الطريق إلى المدائن .

للأستاذ أحمد عادل كمال

هذا الكتاب الجديد للمؤلف والذى نشرته دار النفائس ببيروت يقع فى أكثر من خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، وقد عنى المؤلف فيه بوضع عديد من الخرائط التى تعين على فهم أسرار المعركة ، والتى خلت منها الدراسات القديمة التى تناولت المعارك الإسلامية الكبرى . . هذه المعارك التى لقيت عناية فائقة من الدراسات القديمة والحديثة . .

ولقد أشفقت على المؤلف حين علمت منه أنه يكتب دراسة أو بمعنى أدق سلسلة من الدراسات عن استراتيجية الفتوحات الإسلامية ، مبتدئا بالفتح الإسلامى العراق فى عهد الخليفتين : أبى بكر وعمر ، لأن الكتابة فى موضوع استهلك عشرات المرات يجعل مهمة المؤلف ذات مسئولية أدبية إذا هو لم يأت بجديد وهذا ما اعترف به الأستاذ أحمد عادل كمال فى مقدمته ، حيث يرى أن أمهات كتب التاريخ الإسلامى التى تعتبر المصادر الأولى للفتوحات الإسلامية ، دونت فى عهد متأخر كثيرا عن تواريخ دوران تلك المعارك ، وقد فاتها الكثير مما يتطلبه البحث الحربى ، وأعتقد أن المؤلف يوافقنى على أن المؤرخين الأول قد بذلوا جهدا مشكورا ، وحسبهم أن مؤلفاتهم هى الرصيد الأساسى لا غنى عنه لكل باحث حديث . .

إن الذى لا شك فيه أن المؤلف قدم لنا دراسة جديدة ومنهجاً جديدا ، فهو لم يقصر دراسته على الاستراتيجية والتكتيك ، بل تناولت العوامل السياسية والإدارية والنفسية والعقيدية ، وأثر البيئة ونظام القيادة ، كذلك اهتم بالتحليل لبعض المواقف وأبدى رأيه فيها .

قسم المؤلف دراسته إلى ثلاثة أجزاء ، تناول فى الجزء الأول : قبائل العرب ، والبيئة العربية وحروب العرب ، وعدة

الحرب وأدواتها ، ثم طبقات المجتمع الفارسي والمقاييس، وتناول في الجزء الثاني: حروب الردة، وحملة خالد بن الوليد وتحليلا لشخصيته ، واكتساح العراق الجنوبي وفتح الحيرة ، ثم تحليلا للحملة ، وعزل خالد ، وتناول الجزء الثالث : حملة أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، وقيادة المثنى بن حارثة الشيباني ، وعمليات الأسواق ، والغارات على بعض الأسواق ، ثم القادسية في التاريخ ، وقد اختتم المؤلف دراسته القيمة بترجمة لبعض مشاهير قادة الفتح كالأقرع بن حابس والقعقاع بن عمرو التميمي ومحمد بن مسلمة وغيرهم ، ثم بفهارس للخرائط والأشكال ، وللأعلام المسلمين والعجم ، وللبلدان والأماكن .

وبعد - فلئن كانت هذه الدراسة قد استفاضت حتى جاءت وافية متكاملة، إلا أن البعض قد يرى أن المؤلف أقحم على دراسته فصولا مسهبة استوعبت أكثر من ستين صفحة ، تناول فيها شبه الجزيرة العربية وقبائلها وبيئتها وحروبها ومعارك الإسلام الأولى ، وعدة الحرب وركوب البحر عند العرب ومصادر سلاحهم ، وغير ذلك مما يصلح دراسة مستقلة عن الموضوع الأساسي وهو « الفتح الإسلامي للعراق » وأعتقد أن وجهة نظر المؤلف في ذلك أن دراسته تعتبر حلقة أولى في دراسات عن الفتح الإسلامي عامة ، وإذن فلا يعتبر بحثه في شبه الجزيرة العربية والعرب إقحاما على الموضوع الأساسي، وإنما يصبح من مستلزمات الدراسة المتكاملة ، لكني لست أدري لماذا احتلت حروب الردة ثلاثين صفحة من هذه الدراسة ؟ ولم خلت هذه الدراسة أيضا من البحث المقارن بين أساليب الفتوحات الإسلامية الحربية وأساليب الحرب الحديثة ، وبخاصة بين عبقرية خالد العسكرية وبين غيره من قواد العصر الحديث ؟

ولا يسعنا مع ذلك إلا الإشادة بهذه الدراسة التي بذل فيها المؤلف جهدا مشكورا، والتي جاءت في وقتها المناسب حيث تمر الأمة العربية بأخطر مرحلة ، وتواجه كثيرا من التحديات ، وأصبح أبناؤها في حاجة إلى أن يقرأوا صفحات مشرقة من ماضيها المجيد .

• • •

● شريعة القتال فى الإسلام .

للأستاذ عثمان السعيد الشرقاوى

هذا الكتاب الذى نشرته مكتبة الزهراء بالقاهرة وقدم له فضيلة الإمام الأكبر وفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود - يقدم لنا دراسة عن شريعة القتال فى الإسلام فى زهاء مائتين وخمسين صفحة وتتضمن خمسة أبواب :

الباب الأول : تناول مبادىء القتال فى الإســـلام ، أبرزها : إيثار السلم والوفاء بالعهود ، وحسن معاملة الأسرى ثم رعاية أهل الذمة . والباب الثانى : تناول فيه المؤلف أهداف الفتح الإسلامى وهى فى مجملها أهداف إنسانية بحتة . والباب الثالث : رد المؤلف فيه على الفرية القائلة بأن الإسلام انتشر بالسيف . والباب الرابع : تناول فيه المؤلف مكانة الجهاد والمجاهدين فى الإسلام ، وعوامل النصر وقواعد الحرب وآدابه ، والقاعدة والتطبيق . أما الباب الخامس والأخير : كيف نستعيد أمجادنا ؟ يرى المؤلف أننا سنعيد أمجادنا إذا نحن عدنا إلى الله ، والتزمنا بالشرائط والحدود التى جاء بها الإسلام ، فعلى قدر تقوى الأمة يكون النصر ، وعلى قدر إيمانها وتمسكها بدينها تكون الغلبة والرفعة .

وبعد - فهذا موجز سريع للدراسة الطيبة عن « شريعة القتال فى الإسلام » التى عنى المؤلف فيها بالرد المفحم على الشبهات والمفتريات التى أثارها المغرضون والحاقدون حول الحروب الإسلامية وأهدافها ، وكان جميلا من المؤلف أن استعان بشهادات غير المسلمين فى دحضه لتلك الشبهات والمفتريات ، لكن مما يؤخذ على المؤلف أنه لم يلتزم نفسه بمنهج واحد فى دراسته ، فبينما أوضح عناصر البحث فى البابين الأول والرابع ، إذ هو يهمل عناصر أبحاثه فى الأبواب الثلاثة الأخرى ولا سيما الباب الثانى « أهداف الفتح الإسلامى » فلا تحديد فيه لهذه الأهداف ولست أدرى كيف تسنى للمؤلف أن يخرج كتابا يحتوى مثل هذه الدراسة الطيبة وينسى أن يضع فهرسا فى نهاية الكتاب ؟ نرجو أن يتدارك هذا فى الطبعات القادمة إن شاء الله تعالى .

• • •

● الصحافة والكتب الجديدة .

كتب الأستاذ رشدى صالح فى يوميات

الأخبار ، تحت عنوان « رحلة كل عام لآلاف الكتب الجديدة » فذكر فى كلمته أنه سهر ساعات يفكر فى مجموعة كبيرة من الكتب الجديدة التى صدرت فى الظل ونزلت فى الأسواق فى بحار من الصمت ، إنها ألف وخمسمائة كتاب صدرت فى الأشهر الستة الأخيرة حسب نشرة دار الكتب ، ليست كلها ضئيلة القيمة ، لكن أكثرها لم يجد سطراً فى إعلان . ولم ينتزع كلمة فى صحيفة ، وأقل القليل منها وجد صدى عند حملة الأقلام والنقاد ، ومع أن بعض هذه الكتب يتحدث عن مشكلات فكرية وحضارية ساخنة إلا أنها لم تحرك شهوة الحوار الساخن أو النقد المتعمق ، ولم يحدث فى السنوات الماضية أن طرح النقاد تقيما عادلا لاتجاهات التأليف والترجمة . . ثم تساءل الكاتب :

هل تمضى مئات الكتب فى صمت وتصدر فى الظل لأن النقاد الناجهين لا يجدون فيها جديداً يحرك النفس ويثير التفكير ؟ هل فقد هذا الجمهور المؤثر شهوة الأخذ والرد ؟

والذى لم يشر إليه الكاتب الكبير أن الأزمة فى هذه المسألة أزمة ضمائر ، فإن النقاد متوافرون لكنهم يلهثون خلف أسماء المؤلفين اللامعة ، فلا يكادون يكتبون عن كتاب إلا إذا كان مؤلفه ممن يعيشون وسط الأضواء بالإضافة إلى أن الكتاب الدينى لا يجد أدنى لفتة من ناقد إلا إذا كان لمؤلفه وجود يذكر ويتزلف إليه . . !

• • •

● قراءات :

« ثلاثة : المسلم والكافر فيهن سواء : من عاهدته فوف بعهده مسلما كان أو كافراً فإنما العهد لله ، ومن كانت بينك وبينه رحم فصلها مسلما كان أو كافراً ، ومن ائتمنك على أمانة فأدها إليه مسلما كان أو كافراً » ميمون بن مهران ؟

محمد عبد الله السمان

# باب الفتوى

يقدمه الأستاذ / محمد أبو شادي

## الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر

---

السؤال من السيد / عبد الحكيم عبد الشافى

توفيت امرأة عن زوج وثلاث بنات وأم وأب — فمن يرث وما نصيبه ؟

وعلى الزوج مؤخر صداق وتركت بخلافه عفش المنزل .

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد : فنفيد بأن مؤخر الصداق حل بموت الزوجة ويعتبر تركة مع ما تركته من عفش تملكه ، وتوزع تركتها على الوجه الآتى : للزوج الربع فرضا لوجود الفرع ، وللبنات الثلاث فرضا لعدم من يعصبهن ، ولكل من الأم والأب السدس فرضا كذلك لوجود الفرع الوارث ، والمسألة من ١٢ وتعول إلى ١٥ للزوج ٣ وللبنات ٨ وللأم ٢ وللأب ٢ مجموع ذلك خمس عشرة والله تعالى أعلم؟

السؤال من السيد / الحاج حام محمد السنغالى

١ — ما الحكم فى مسابقة الخيول ؟

٢ — هل للمسلم أن يبيع الخمر ؟

٣ — ما حكم كتابة التمائم ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد عن الأول : بأن المسابقة الموجودة المعروفة بسباق الخيل التى يختار إنسان فيها فرسا خاصا ويدفع على ذلك مقدارا من النقود فإن كان هو السابق أخــذ الجائزة وإلا خسر ما دفعه .

هـذا النوع من باب القمار والميسر وقد حرمه الله تعالى بقوله : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

وعن الثانى : بأن يحرم على المسلم الاتجار فى الخمر وربحه حرام .

وعن الثالث : بأن كتابة التمائم من الآيات القرآنية بقصد الشفاء أو التبرك لا مانع منها بشرط المحافظة على المكتوب وعـــدم تعريضه للنجاسة أو المهانة والله تعالى أعلم؟

* * *

السؤال من السيد / محمد على دسوقى

قال لزوجته « أنت حرام على كندى أى ولمدة سنة » فما حكم هذا اليمين ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد بأن هذا يمين يقع به طلقة واحدة رجعية إن لم يسبق ذلك طلقتان فله مراجعة زوجته ما دامت فى العدة فإذا انقضت عدتها حلت له بعقـــد ومهر جديدين برضاها والله تعالى أعلم؟

* * *

السؤال من السيد / إبراهيم محجوب

هل يجـــوز شرعا تخصيص بعض الأولاد بفدانين حيث شارك صاحب المال فى تكوين ثروته دون البعض مع ترك باقى التركة وقدرها ثلاثة أفدنة يكون ميراثا شرعيا لجميع الأولاد ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد بأنه إذا صح أن للأولاد الذين يراد تفضيلهم عن الآخرين مشاركة فى ثروة صاحب المال فهذا أمر جائز بشرط أن يترك باقى المال ميراثا للجميع والله تعالى أعلم؟

* * *

السؤال من السيد / لطفى على عزب

عقد شاب على فتاة ، واتفق على أن يكون عفش المنزل الذى يقوم بتجهيزه هو مقدم المهر ، أما المؤخر فقد اتفق على أن يكون مبلغ ٥٠ جنيها ، وأثناء عقد الزواج ذكر أن مقدم المهر هو مبلغ ٢٥ جنيها والمؤخر ١٥٠ جنيها وفعلا قام الزوج بتجهيز حجرة نوم وصالون ، وقبل الدخول بالزوجة توفى إلى رحمة الله فما حكم هذا العفش الذى قام بتجهيزه وما حـــكم مؤخر الصداق ؟ ومن يرثه

وما نصيب كل وارث مع الإحاطة بأنه ترك زوجته المذكورة وأبا وأما ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد : فنفيد بأنه إذا كان الاتفاق على أن يكون الجهاز كمقدم مهر ، فإن هذا العفش يكون للزوجة وكذلك يحل بموته مؤخر الصداق وتأخذه الزوجة من تركته قبل توزيعها على الورثة والباقي من تركته يكون لهذه الزوجة الربع منها فرضا لعدم وجود الفرع الوارث وللأم ثلث الباقي فرضا كذلك والباقي للأب تعصيبا والله تعالى أعلم ؟

• • •

السؤال من السيد/ أحمد سليمان عبدالله (من السنغال) .

هل حادث الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح ؟ أم بالروح فقط ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فنفيد بأن الإسراء ثابت بالقرآن الكريم والمعراج ثابت بالسنة النبوية الصحيحة والله تعالى يقول فى شأن الإسراء «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحـــرام إلى المسجد الأقصى» .

والمراد من العبد هو الرسول — صلى الله عليه وسلم — وهو شامل الجسد ، والروح ، حقيقة فلا ينصرف الكلام إلى غير ذلك إلا بقرينة ، ولا قرينة تصرفه عن ذلك ؛ لأن قدرة الله تعالى لا يحـــول بينها وبين الإسراء بالروح والجسد حائل .

وعلى ذلك فالإسراء كان بالجسد والروح معا ، والله تعالى أعلم ؟

محمد أبو شادى

• • •

# أنباء وآراء

---

## محنـــة

### « مسلمى تايلاند » بعد مسلمى الفلبين

هل ينجح مسلمو تايلاند فى أن يعيشوا حياة آمنة ينالون فيها حرية ممارسة شعائرهم الدينية التى تتفق مع عقيدتهم وتقاليدها بعيداً عن وابل الرصاص المنهمر الذى يحصدهم بالمئات ؟

وهل ينجح مسلمو تايلاند فى تبليغ كافة حكومات العالم الإسلامى وغيرها بواقعهم المرير حيث تجرد عليهم حكومة تايلاند حملات تصفية مستمرة فى المقاطعة الناسعة التى تشمل يالا وباتانى وأوتان وتارا ثيوات — تستخدم فيها الدبابات والمدفعيـــة المعززة بالطائرات فى ظل أحكام عرفية فرضت على المقاطعة .

لقد نجحت حكومة تايلاند - حتى الآن - فى قمع المسلمين ومنعهم من أداء شعائر دينهم ، كذلك نجحت فى انتزاع الكثير من أراضيهم ودورهم ومزارعهم ، والمسلمون عزل من كل سلاح وكان النجاح الأكبر لحكومة تايلاند مركزاً فى تطويقها للمسلمين وحرمان العالم الخارجى من معرفة حقيقة هـــذه المذبحة . وقد بلغ عدد المعتقلين من المسلمين - حسب إحصائية الحكومة ( ١٦٥٠ ) معتقلا بينما القتلى تجاوز الألوف .

فيا لله للمسلمين ؟

● أرسل السيد عبد الحى حسين الفرماوى مدرس التفسير المساعد بكلية أصول الدين جامعة الأزهر يقول .

ذكرت إحدى المجلات العربية الصادرة فى فبراير ١٩٧٣ فى بابها ( بريد القراء ) سؤالا عن قراءة قوله تعالى : ( قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا ) ٤٢ الإسراء .

وكان السائل - وهو من بلاد المغرب العربى - يقول: إنه يجد فى المصحف الذى عنده لفظ ( يقولون ) مكتوبة بالتاء هكذا ( كما تقولون ) .

وأجابت المجلة بتخطئة السائل وطلبت إليه معاودة النظر فى المصحف ليتأكد من صحة ما ورد فى المجلة وخطأما يدعيه

ولما كان الموضوع يتعلق بكلام رب العالمين ، أحببت أن أحيط علم سيادتكم أنه كما كانت المجلة غير مخطئة فى كتابة الآية ، فكذلك كان السائل غير مخطىء فيما ذكره من وجود الآية مكتوبة فى مصحفه بالتاء ، والخطأ حقيقة هنا كان يأتى لو أن أحدهما أو كليهما ادعى تصويب ما هو عليه فقط دون غيره ، كما وأنه كان على المجلة أن تراجع هذا الموضوع فى كتب القراءات قبل أن تجيب ولو أنها فعلت لعرفت : .

أن الفعل المذكور فى الآية الكريمة ورد بقراءتين : الأولى بالياء « يقولون » والأخرى بالتاء « تقولون » .

فمن قرأها بالياء : ابن كثير ، وحفص وابن محيصن ، والشنبوذى .

ومن قرأها بالتاء : باقى القراء ومنهم «نافع» الذى اشتهر بالرواية عنه «ورش» وهذا الراوى هو الذى اشتهرت روايته بالمغرب الشقيق .

ومن هنا نعلم أن المصحف المغربى منقوط فى هذه الآية بالتاء وهو صواب وفقا لرواية « ورش » عن « نافع » .

● الإسلام دين الدولة فى باكستان :

وافقت الجمعية الوطنية الباكستانية فى الثانى من المحرم ١٣٩٣ الموافق ٧ / ٢ / ١٩٧٣ على تعديل فى الدستور ينص على أن الإسلام هو الدين الرسمى للدولة .

● اعتراف بلجيكا بالإسلام دينا رسميا فى بلادها :

وافق مجلس النواب البلجيكى على مشروع قانون يقضى باعتبار الدين الإسلامى أحد الأديان الرسمية فى بلجيكا

واتخذ المشروع طريقه إلى مجلس الشيوخ لإقراره فتنفيذه.

المشروع تؤيده الحكومة البلجيكية .

● الشريعة الإسلامية في قانون الأسرة في مصر:

أعلنت الدكتورة عائشة راتب في السادس من المحرم ١٣٩٣ الموافق ١١ / ٣ / ٧٣ في بنها : أن مشروع قانون الأسرة الذي سيصدر بديلا لقانون الأحوال الشخصية قد روعى في كل مواده تطبيق مبادىء ونصوص الشريعة الإسلامية .

● مقترحات مصر في مؤتمر وزراء الأوقاف بالكويت .

تقدم الوفد المصرى بمؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الإسلامية العرب المنعقد بالكويت : .

(ا) بإنشاء كلية للدعوة الإسلامية مستقلة عن الحكومات يتخرج فيها الدعاة إلى الله .

(ب) وإنشاء أمانة دائمة لمتابعة القرارات التي يصدرها المؤتمر .

(ح) ورحب باقتراح الكويت الخاص بإنشاء صندوق للمعونة الإسلامية .

(د) وطالب ـ بمذكرة إلى المؤتمر ـ بإنشاء مراكز إسلامية في آسيا وأفريقيا وإنشاء معاهد إسلامية في المناطق التي توجد بها نسبة عالية من المسلمين .

● الإسلام في كوريا الجنوبية :

يقوم نحو أربعة آلاف مواطن من كوريا الجنوبية بنشاط إسلامى كبير ، وقد انتشر الإسلام في كوريا . وبخاصة في العاصمة ( سيول ) على يد الإمام محمد كوتشك الذي كان إماما للفرقة التركية التي نزلت كوريا إبان الغزو الشيوعى .

يطالب مسلمو كوريا بمزيد من المنح الدراسية من البلاد الإسلامية .

● مسلمو الفلبين والمؤتمر الإسلامى في ليبيا :

قرر المؤتمر الإسلامى الذي عقد في طرابلس ـ بليبيا في المحرم سنة ١٣٩٣ من ٢٤ إلى ١٩٧٣/٣/٢٧ إرسال بعثة من ممثل ثلاث دول على رأسها ليبيا لدراسة أحوال المسلمين في الفلبين ، ووقف ما تتعرض له جماعاتهم من إبادة جماعية تقوم بها حكومة الفلبين ؟

علي الخطيب

It is obvious then that Islam does not approve that mankind overcome their instincts and their material and biological necessities for the sake of worshipping or concentrate all their intrests for their worldly life. But Mankind should fulfill the needs of their life as well as their duty towards Allah, their Creator.

That is the meaning of the part of the verse "Seek which God has bestowed upon you the home of the Here after, (that is by worshipping Allah), and do not forget your protion in the world, ( that is by giving the body its right to enjoy life and all human intrests whitin the allowed ).

While Islam incites Mankind to benefit from the belief and worshipping for the reward in the Hereafter-life, and while man is insited to enjoy the good things Allah has bestowed upon him and gifted him in the world life, Islam also orders man not to go far to the forbidden and not to be extravagent in the enjoyments of life as understood from verses such as :

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » . ( الأعراف ٣١ )

"And eat and drink but be not prodigal. He ( Allah ) loves not the prodigals". ( 7 : 31 )

And so being modest is very important in everything.

That is how Islam deals with the individual in the different sides of spritual and material life confirming the modesty in everything.



the human action towards his Creator and towards the society.

Concerning the material side of the life of man many verses in the Holy Quran call upon the people to make profit of what Allah had created in this world :

« كلوا من طيبات ما رزقناكم » . ( طـــه ٨١ )

"And eat from the good things which Allah gifted you." (20 : 81)

« يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيباً » . ( البقرة ١٦٨ )

" Oh you, people, eat from what is on the earth lawful to you and good". ( 2 : 168 )

Even the sexual side of the life of man is dealt with in the Holy Quran in several verses which mention the organization of family and the relation between the two sexes, for example :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » . ( الروم ٢١ )

" And of His signs He created for you from yourselves Wives to enjoy comfort with them, and He conveyed Affectionate devotion and compassion between you". ( 30 : 21 )

This verse symbolizes the basis of marriage relationship as well as the following verse symbolizes the sexual side of the life where Allah Says :

« نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » . ( البقرة ٢٢٣ )

"Your wives are a tilth for you, so approach your tilth as you will". ( 2 : 223 )

Affirming this notion in Islam, It was told after Anas Ibn Malik that three men came to investigate how Prophet Muhammed used to worship Allah, when they were told about it they said :

"Where are we if compared with the Prophet as Allah had forgiven him in all past, present and future life". One of them said, "I pray all the night long and I do not sleep". The other said, " And I fast all my life and never break fasting at all". The third said "And, I abolish women and will never marry". Prophet Muhammed heard them and came out and said :

" Me thouh, I am the most obediend to Allah, but I fast and break fasting, I pray and lay asleep for a part of the night for rest and I also marry women. This is my method and those who do not follow my method are not considered my followers."

# ISLAM – THE RELIGION OF MANKIND

*By : MOHAMAD GALAL ABBAS*

---

Islam is a complete Religion which deals with the real essence of Mankind and their life with all its contents, actions, functions, and relations. This fact can be easily affirmed if we passed through the Holy Quran and the sayings of Prophet Muhammed in which we can find verses and sayings confirming that Islam is never restricted to one sense of Human life and is not limited to some particular aspectes or phases of life, but it encompases the entire human life with all its particulars.

In the following verse we can find out a clear orientation towards three of the factors of human life :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك » . ( القصص ٧٧ )

"Seek which God has bestowed upon you, the home of the hereafter ( world ), and do not forget your portion in this world, and, do good ( to others ) as Allah had done good to you". ( 28 : 77 )

This verse indicates a general call for Mankind ; first to worship God and to keep His orders to gain the reword in the Here-After life, Secondly an advice to forget not the legitimate portion of human being in the worldly life, and thirdly a call to do good to others in the society. This offirms the interest of Islam in the three main phases of haman life : the spiritual or psycological ( in his relation with Allah ), the physical or physiological ( by reserving the primary needs of of world life, as a right given to Mankind ), and the social, ( as to be useful for his society by doing good to others ).

It is evident in other verses the link between worshippig Allah and doing good :

« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » . ( الحج ٧٧ )

"O, ye who believe ! Bow down and prostrate, worship God and do good as well so you may succeed (in your life ). ( 22 : 77 )

From this verse we can easily notice the complete link between

first book on the Quranic, the latter being the ideal of eloquency of speech.

He concluded his research in a special thesis on matchless character of the Quran which he called "Al Shafia"; and it seems that this was the last book he wrote on this subject.

In his book entitled "The Proofs of the Matchlessness of the Quran", he first speaks about the art of speech and the rules governing it. He then goes on to apply those rules on the Quran concluding that it embraced the best characteristics so that it rendered the whole world speechless before it.

This is the issue for Abdel Kaher, The Language — any language has certain rules which were agreed upon by its speakers and which they applied in the use of such language. And if anyone brings up new structures that were not incorporating the rules of the language they wonld reject such new innovations. Having set forth such phenomenon of the language, and having showed the inability of the Arabs to defy the Quran — which did not exceed the norms of their language —, he finds himself confronted with a question; what is the secret in the speech of the Quran that gave it such power and authority over the Arabs ?.

He answers this question with another question, namely is it possible to identify the secret of the matchlessness of the Quran ? He was actually replying to some people who claimed that there was no need to seek the aspects of the miraculous character of the Quran, and that it was enough that the arabs could not match the language of the Holy Book.

He however did not attempt to find the truth about the miraculous character of the Quran. Though he gave examples as to the miraculous aspects like the lucid language, the precise meanings and their acceptance by the mind.

In "Al Shafia", which is a summary of the previous book, he brings forth proofs about the incidence of matchlessness in the Quran and the continuance of such nature till the end of the world.

There are also examples of many approaches to the miraculous character of the Quran like Al Zamakhshary (Died 533 H) (1) Al Qady Ayyad (Died 544 H), (2) Abu Hayan Al Tawhidi (Died 330 H) (3)

---

*(1) In his introduction to his book entitled "Al Kashaf".*

*(2) In his book entitled "Al Shifa".*

*(3) Quoted by Al Assiuty in his book "Mâstery in the sciences of the Qn an" Second Volume.*

***(to be continued)***

the early Arabs were much more eloquent than the poets. This system of writing could be in verse or prose, but what places the one above the other is the eloquence.

For him the eloquence of the Quran is based on the lucidity of the word and the goodness of the meaning rather than the style of the Quran itself.

The Quran itself. If these two aspects have been incorporated in a new way of writing this would confer further eloquency on the speech.

He adds that eloquency is not in the individual words but in the collective arrangement of words, each having a specific function.

"Such function, he said, could be the agreed meaning of the word, or the specific place of the word in the sentence.

Abdel Gabbar also attempts to explain the eloquency of speech in which resides the matchless character of the Quran. He says : "the meanings must be taken into account although the distinction appears with something else. Such distinction appears by substitution of the words, and the special place accorded to the word in the sentence, as well as syntax. But it is evident that Abdel Gabbar Does not advocate the fact that the matchless character of the Quran resided in God's act of preventing the heathen from attacking it. He recognises the advantages in the Quran including the lucid languages and the meanings which are in now way near to human intellect.

## Abdel Kaher Al Gergany

Abdel Kaher Al Gergany is almost singular among the scholars of his age, in that he adopts an approach that his characterized by " tact ". He is characterized also by the purity of instinct and nature. His profession did not take the upper hand of him, and his taste did not indulge in the philosophic styles that won fame in literature during his age.

Thus the works of Al Gergany concerning the matchless character of the Quran were based on taste and tact rather than on the complex rules and theories.

The most important of his writings, in this connection, are "The secrets of Eloquency" and "The Proofs of the Matchlessness of the Quran '. The two books are complementary to the extent that the first book can be considered an introduction to the second.

In the first book he attempts to discover the aspects of lucidity and beauty in speach, in sense that the peech is meant to explnin and influence.

In the second book he attempts to apply what he mentioned in the

the Quran in his book "The Matchlessness of the Quran" he used to quote the earlies scholars. He says : "our companions and others mentioned three aspects of matchlessness.(1) The first consists of forecasting the unknown, something that is beyond the power of men. Among these is the promise of God to His Prophet that His religion will rise above all other religions'

Abu - Bakr used to remind his armies of this promise of God before they set out for war so that they set out for war so that they may be confident of victory. Omar also used to do the same thing."

Al Baklany then goes on to mention the verses that carried news from the unknown and how they came to be realized, saying that it was known that the Prophet could read or write It was also known that he knew nothing about the books of the pedecessors, their biographies or achievements. But the Prophet brought the entire story about the big events took place since the creation of Adam till his day. For him this was the secodd aspect.

The third aspect consists of the style of the Quran. Here Al-Baklany pauses in length commending and praising the verses and words of the Quran.

He says : "The Quran is a marvel in style, wonder in writing, and sublime in eloquency and rhetoric to the extent that human beings cannot imitate it.

In this connection Al Baklany says : "The Quran has a different style and phraseology than that used by the Arabs.

Thus Al Balkany actually dealth with matters to prove the miraculous character of Quran but he did not deal with its essence.

Abdel Gabbar *(2)*

Al Kady Abdel Gabbar is one of the leading Motazals. But has he followed the same theme of the other Motazala in connection with the matchlessness of the Quran ?.

He wrote a book on jurisprudence, entitiled "Al Mofny" about the oneness of God and Justice. In this book he devoted a whole colume about the miraculous character of the Quran.

He says that the eloquence of of speech does not necessarily involve a special system. The speakers among

---

*(1) This may be the people of the Snnna and other advocates of other factions like Shia and Motazala.*

*(2) Al Kady Abul Hassan Abdel Gabbar. Died 415 H.*

Al Khattabi says in comment : there is no doubt that this and other news told in the Quran, represent a type of miracle, buit it is not a general thing that can be found in all surahs. God wished very surah to be a miracle in itself so that no creature can bring something similar to it. God says : "Bring forth a similar Surah and call your withnesses if ye are truthful . . . " without mentioning a specific Surah. This indicates that the meaning is different from that shown by the non-believers.*(1)*

What are the aspects of the miraculous nature for Al Khattabi ? Al Khattabi considers that the miraculous nature of Al Quran resides in its words, meanings and spirit. The miracle about the Quran, for him, is the Quran itself.

He says : "you should know that the Quran is miraculous because it brought up the most eloquent words in the best forms of writing, including the most sound meanings.

He goes on to say that bringing these things together is a matter before which any human being would stand powerlese. Those obstinate non-believers described it once as being poetry, and then as magic when they were unable to do the same. Al Khattabi feels that he did not any thing about this subject more than testifying its occurence. Thus he comments by Saying : "In showing the miraculous character of the Quran I referred to another aspect namely its effect on the hearts and spirit. Nothing but the Quran would, when heard, infiltrate to the heart.

He goes on to say that the Quran relieves the spirit and heart which once satisfied would come back to it with fear and anxiety. Many enemies of the Prophet wished to assassinate him but once they heard verses of the Quran they soon changed their minds and decided to to profess the religion".

One may now ask about the miraculous aspect of the Quran that was revealed by Al Khattabi ? He only referred to the feelings and emotions which overwhelm those who recite or listen to the verses of the Quran. But he said nothing about the elements of the force that produces this effect in the hearts.

Al Baklany *(2)*

When Al Baklany attempted to describe the miraculous aspects of

*(1) See "The Miraculous Nature of the Quran" — Al Khattabi.*

*(2) Al Kady Abu-Bakr Mohamed Ben Al Tayeb Al Baklany-author of The Matchlessness of the Qnran-Died 403 H.*

Al Khattabi *(1)*

He is one of the first Islamic scholars to examine the secret about the miraculous character of the Quran, adopting a scientific method of research. The science of speech that appeared in the latter part of the second century and the early part of the third had a great impact on arousing a tumultuous controversy among the Muslim scholars. It also had a great impact on opening up many debates about matters of religion like justice, injustice, reward and penalty and other subjects which were not considered by the early scholars.

Hence the Quran was a subject of consideration and examination and a field of controversy in interpreting its verses and words. To identify the secret about the matchless nature of the Quran was one of these subjects that aroused controversy. Al Nizam was the first scholar to take up this matter, especially in describing the reason why the Arabs did not defy the Quran. Al Nizam says that the Arabs were not unable to oppose the Quran, but that God prevented them from opposing it.

This attitude however cannot be considered an objective study of the matchless character of the Quran. It is an attitude based on the recognition of the inability to find out the secret.

Al Khattabi denied this attitude. He says that "some people considered that the reason for the matchlessness of the Quran is that God prevented the Arabs from defying it, and not because they were unable to defy it.

He then quotes the words of God "Say if mankind and the jinni joined efforts to bring somethihg like this Quran they will not be able to do it even if each of them supported the other."

Al Khattabi, on the other hand considers that the miraculour character of the Quran resides in that it tells of strange happenings which did not takes place, but which latter took place in the same way as they were told.

He quotes the verses "Alif. Lam. Mim.: The Greeks have been defeated in a land hard by : But after their defeat they shall defeat their foes." And the verse: "Say to those Arabs of the desert, who took not the field, we shall be called forth aginst a people of mighty valour. Ye shall do battle with them, or they shall profess Islam.

---

*(1) Ibn Soliman Mohamed Ben Ibrahim Al Khattabi — a linguist. Died 388 H.*

In his message entitled "The Broofs of Prophethood", Al Gahiz spoke about the miracle of the Prophet which he termed to be the Quran, In his message, however, he did not tackle the miraculous aspects of the Quran but rather on the proofs of the presence of such aspects. In one of his books, Al Gahiz actually indicated in detail the inability of the Arabs to defy the Quran without mentioning anything about the area where the miraculous and matchless nature resided. He himself stated his sense of shame when he stood watching the secrets of the miraculous Quran. Thus he chose silence.

But in the same book Al-Gahiz made reference to the secret inherent in the miraculous nature of the Quran. He says ; What prevented them (namely the Arabs) from that (from one sing the Quran) is what prevented Ibn Aby Al Awgaa, Isaac Ibn Talut, and Namaon Ibn Al Monzir who opted for disbelief, misery and atheism. They used to invent news about the Quran which they contented and attributed to it false statements.

Al Gahiz, here, wished to say that what prevented the Arabs from defying the Quran is what prevented those heathen men from embracing the religion of God, and His book.

What had prevented those deviationists ? And from what they were prevented ?

Perhaps Al Gahiz meant that they were prevented from embracing the religion of God and following the right path. As for the force that prevented this may understood to be fate, and the authority of the Conqueror. Those deviationists are under the influence of the will of God.

If this explanation is accepted, then what prevented the Arabs from opposing the Quran and defying it was the authority of fate that protected it.

Thus, Al Gahiz says that God silenced the Arabs and prevented them from advancing any creticism of the Quran.

It is not a matter of wonder to find Al Gahiz saying this for Al Gahiz is a leading figure of the Motazala. It is also known that Al Nizam, one of the masters of Al Motazala was the first to advance this opinion and opened the way for controversy about it.

One should not consider Al Gahiz as a mere follower of Al Nizam, as the former reached his opinion after through study and conviction.

because it is the silence of those who have a saying in this respect. It is the silence of those who possessed the power speech.

The masters of the Language and those who have a saying in it knew the value of the Quran and knew also their capabilities; they thus abstained from saying and withdrew in silence. This is the same attitude adopted by the companions of the Prophet and his followers. They did not interpret the Quran and we did and no one advanced his opinion as his understanding of the verses as we did. For them the interpretation of a verse was in its recital.

As for those who were able, though their inability is confirmed, to say something about the miraculous character of the Quran and to describe some of its aspects, their opinion can be measured with the scope of their intellectual and emotional understanding of such miraculous nature.

The situation of the two teams, those who were unable and kept silent, and those who were unable but outspoken, resembles the situation of people on the day of judgement and on earth. If the events of the day of recknoning render people drunken without liquore and unable to think or speak, this was the state of those who lived in the days of revelation; they received the Quran with their pure Arab nature which was not corrupt by mixing with the aliens, As for those who listen to the Quran after having been intermingled with alient cultures thus losting their Arab character, their state resembles the state of people on earth who pass judgement on marvelous works inspired by their own emotions.

## Some Attempts at Determining the Miraculous Character of the Quran:

The following is a brief expose of the works of some research workers regarding the mirsculous aspects of the Quran.

### Al Gabiz (1)

He lived betweem the latter part of the second Hajira Century to the middle of the Third Century.

Al Gabiz did not leave any message or boob solely designed for showing the miraculous aspects of the Quran. However in some of his messages and books we can find statements here and there about this subject. !

*(1) Osman Amr Ben Bahr Ben Mahboub wrote many books on literatnre and brânches of learning. Died in 255 h.*

# The Miraculous Character of The Quran

By : *Abdel Sattar El Sayed*

Minister of Waqfs, Syrian Arab Republic

## – III –

**The Age of Revelation of the Quran :**

Student of the Matchless nature the Quran and those seeking such miraculous aspects might be surprised to learn that in the age of the revelation of the Quran, and the age of the Caliphs, the Age of the Ommayad state and part of the Abassid state, the issue of the miraculous aspects of the Quran had not been raised.

This fact would certainly arouse wonder especially that the first battle of the Quran was against Korraish and all the Arabs. The weapon of the Quran then was its challenge to them to bring up one verse that is similar to its verses. The weapons of the opponents had been shattered when they attempted to fight the Quran ; thus they finally gave in and surrendered.

On the other hand, it is a fact that having acknowledged their inability to defy the Quran, the Arabs tried strenuously to discover the secrets inherent in it ; such secrets that were responsible for their open defeat.

Did the Arabs at that period fail to discover the secret of the miraculous aspects of the Quran, as they failed to defy the Quran itself? The answer is yes. The failed to discover the secrets of the miraculous character of the Quran, and so did all people till the present day.

The difference between the inability of those living in early period of the Quran and the inability of those who followed till the beginning of the Abassid state onward, is that the forefathers failed but they did not speak, while the latter failed and spoke.

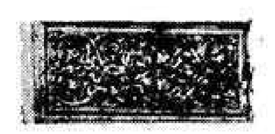
The underlying secret is that the inability of tho forefathers possessed their minds and faculties to to the extent of silencing their speech. Hence, the silence of the forefathers is much more eloquent than anything that can be said about the miraculous nature of the Quran,

guidance is alike for all, without distinction of race colour, country or nationality.

We have been taught that the purpose of man's life is that he should become the agent of God on earth and a manifestation of His attributes. God has endowed man with the best and most appropriate faculties for the achievement of that purpose. He has constrained to man's service the heavens and the earth and all that is in the universe to help him acheive the purpose of his creation. This universe is bound by law and operates in accordance therewith. This certainty is the basis of all knowledge and research.

We thus find that the univers has been constrained to the service of man to help him achieve the purpose of life, which is that man should become a mainfestation of God's attributes. This concept would help us to realise how great a bounty of God is life, and how immense is the trust committed to man has been created in the image of God. This idea is expressed in the above Quranic Verse — the nature (framed) of Allah in which He has created and ( fashioned ) man — that is to say that man has been created pure and free from any deviation from the upright path. So, evil comes in his life from outside of his true nature, through his neglect or default, but it is possible for him through sincere repentance to retrace his course and win back to purity and righteousness.

Thus, Islam reminded man that he is the purposeful product of God. He is not the product of chance. It also taught that man has an guided destiny in this life and hereafter.



"Does man think that he will be left aimless?". (75 : 36)

So everything in the universe is subject to a particular law and order and part of a well ordered system. There is nothing without beneficent and good reason. The Holy Quran refers to this ultimate purpose as follows :

« خلق الله السموات والأرض بالحق إن فى ذلك لآية للمؤمنين » .

( العنكبوت ٤٤ )

"God has created the heavens and the earth with truth. Verily, in this there is a sign for those who believe" (29 : 44)

Man, by his nature and by his position in the universe, is created for the Service of God. This service entitles him to be the agent of God in the earth and makes him the most noble in the sight of Him. This agency requires first of all that man should know his Lord in a real knowledge and His guidadce. There are the laws of nature and the laws of spiritual, all operating in their respective spheres. But they all proceed from God and are consistent with and complementary to each other.

There is no conflict between the laws of the nature and the Divine guidance revealed from God to His messengers and prophets for mankind. The following Quranic verse has dealt fully with the real concept of life, in all its dimensions and in all its various activities :

« فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » . ( الروم ٣٠ )

"So set thy face (purpose) for religion as man by nature upright. The nature (framed) of Allah, in which He Has Created mankind. There is no altering the (law of) Allah's creation. That is the right religion. But most men know not". (30 : 30)

We have seen in this verse that the true religion is to follow man's original nature. A complete guidance has been provided, by the All-Wise Creator, for the regulation of human life in all circumstances. That is the greatest manifestation of God's beneficence. He is the Creator of the universe and is Gurardian over all things, and the light of the heavens and the earth. There is but one true path, the universal path for all mankind.

That is the path of Divine Guidance in all walks of life. This

راعون • والذين هم على صلواتهم يحافظون • أولئك هم الوارثون • الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ».
( المؤمنون ١ — ١١ )

It means : "Successful indeed are the believers. who are humble in their prayers, And who shun vain conversation, And who are payers of the poor-due : And who guard their modesty — Save from their wives or the ( slaves ) that their right hand possess, for then they are not blameworthy, But whoso craveth beyond that, such are trangressors — And who are shepherds of their pledge and their covenant, And who pay heed to their prayers. These are the heirs Who will inherit Paradise. There they will abide forever". ( 23 : 1 - 11 )

It we preform all our actions consciously, according to the Plan of the Creator, such actions are regarded as worship and constituted as part of the Divine Rule. The Islamic doctrine is that man is originally good and pure, but it is also implied that un-belief in God and lack of good actions destroy this original perfection and purity. As in the Holy Quran we are told :

« لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم • ثم رددناه أسفل سافلين • إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ».
( التين ٤ — ٦ )

It means : "Surely We created man of the best stature. Then we reduced him to the lowest of the low, Save those who believe and do good works, and theirs is a reward unfailing". ( 95 : 4 - 6 )

Thus Islam is not only a spiritual attitude of mind adjustable to different settings, but a self sufficing orbit of cultural and a social system of clearly defined nature. It is emphatic in the assertion that man can reach perfection in his earthly, individual life by making full use of all the worldly possibilities of his life. In this way Islam gives this life the status of a self - contained and positive entity.

The Almighty and All - Wise Creator must have a purpose behind His creation of this universe. It also follows that the Almighty Creator will not have created the mankind without a purpose. Not only that the doctrine of purposeful creation is applied to man in a special way. The Lord Who has Created, Cherished, Nourished and Fashioned man through many stateg and froms will not leave him without purpose or aim. The Holy Quran says :

« أيحسب الإنسان أن يترك سدى ».
( القيامة ٣٦ )

eminently suited to the requirements of man's daily life on this earth. Islam neithr ignores the limitations and imperfections of mankind, nor does it stoop down to the level of encouraging what is mean ignoble. It takes full notice of the original tendencies in human nature, and tries to build upon them a code of life that succeeds in retaining its highly elevating character. This thourghly practicable code opens to one a peculiar and new vista [on the possibilities of human society being organised with a minimum of internal conflicts and a maximum of real brotherly feeling.

It the pirnciples and teachings of the code of Islam are carefully examined we can find all its parts are harmoniously conceived to complement and support each other. Nothing is super flues and nothing lacking, with the result of an absolute balance and solid composite. while Islam teaches that all life is essentially a unity, it also shows man the practical way how he can produce within the limits of his individual, earthly life, the unity of ideas and actions both in his existence and in his consciousness.

Islam is simply a programme of life according to the laws of nature which God has decreed upon His creation. Its supreme achievement is the complete co-ordination of the spiritual and the material aspects of human life. Islam allows to man a very wide margine in his personal and social existence, so that the various qualities, temperaments and psychological inclinations of the different individuals may find the way to positive development accordiug to their individual predisposition. Islam does not debar anyone from acquiring wealth through fair and honest means. He must shape personal and social life to the laws decreed by God. His duty is to make the best of himself, in order that he may honour the life gift which his Creator has bestowed upon him. He also is asked to help his fellow - beings, in their spiritual, social and material endeavours, by means of his own development.

The concept of worship in Islam is not restricted to the purely devotional practices, but it extends over the whole of man's practical life. In this regard the Holy Quran says:

« قد أفلح المؤمنون ٭ الذين هم فى صلاتهم خاشعون ٭ والذين هم عن اللغو معرضون ٭ والذين هم للزكاة فاعلون ٭ والذين هم لفروجهم حافظون ٭ إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ٭ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ٭ والذين هم لاماناتهم وعهدهم

# MAJALLATU'L AZHAR

( AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

| SAFAR 1393 | ENGLISH SECTION | MARCH 1973 |
|---|---|---|

# THE CONCEPTION OF LIFE IN ISLAM

by : Dr. Mohiaddin Alwaye

---

The basic principles of Islam are formed on the fact that this life is not a mere shade of the Hereafter or a meaningless one. But Islam teaches man not only that all life is essentially a unity, it also shows the practical way how a man can reach within the limits of his individual earthly life, the supreme goal of life. To attain this goal, he is neither compelled renounce the worldly life, nor austerities are required, nor pressure is exerted upon the mind to believe in comprehensible dogmas.

Islam does not call upon its followers to retire either in despair or disguest from the society of their fellow-men, seeking consolation in the lonely places or gloomy forests. Nor does it call upon to immerse in materialism, but it is a well balanced and organised code of life. In the very essence of his creation, man is but a curious blending of the mortal and the spiritual. Such being the nature blessed the mankind with a religion which leads them to the path of prefection and salvation in the spiritual and the material aspects of life.

In the teachings of Islam, both these aspects are not only reconciled to each other in sense that there is no inherent conflict between the bodily and the moral existence of man, but the fact of their co-existence is insisted upon as the natural basis of life. The essential greatness of Islam lies in its being a religion




مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«بدل الاشتراك»
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت: ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثالث — السنة الخامسة والأربعون — ربيع الأول سنة ١٣٩٣هـ — إبريل سنة ١٩٧٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

# النبي العظيم ..... في القرآن العظيم

للأستاذ عبد الرحيم فودة

ما أكثر ما قيل وما يقال وما سيقال في وصف النبي صلى الله عليه وسلم والثناء عليه بما كان عليه من خلال كريمة عظيمة وما أسداه للحياة من خير لا ينضب له معين، وهدى لا يضعف معه يقين. ونور لا يشاب بضباب.

وما أقل ما قيل وما يقال وما سيقال - مع كثرته في ذاته - إذا قيس بمقامه صلى الله عليه وسلم، وبقدره العظيم الذى يرتفع فوق كل تقدير، ويعلو فوق كل وصف، ويطل على وجود الناظرين إليه والمتأملين فيه كما تطل الشمس على الكواكب حولها وعلى الأرض بما تحمل من كائنات لا تقع تحت حصر، ولا يبلغها استقصاء وإحصاء.

وحتى هذا المعنى الذى نذكره ونعبر به عن شعورنا بقدره وأثره حقيقة مطروقة وجدها الشعراء والعلماء تطل عليهم من سماء سيرته. فقال البوصيرى في بردة المديح:

دع ما ادعته النصارى في نبيهمو
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

انسب إلى ذاته ما شئت من شرف
وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له
حد فيعرب عنه ناطق بفم

وقال فضيلة المرحوم الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى فى التعريف بكتاب «حياة محمد» للدكتور هيكل: منذ وجد الإنسان على ظهر الأرض وهو مشوق إلى تعرف ما فى الكون المحيط به من سنن وخصائص وكلما أمعن فى المعرفة ظهرت له عظمة الكون أكثر من ذى قبل، وظهر له ضعفه وتضاءل غروره، ونبى الإسلام صلوات الله وسلامه عليه شبيه بالوجود؛ فقد جد العلماء منذ أشرقت الأرض بنوره يتلمسون نواحى العظمة الإنسانية فيه، ويتلمسون مظاهر أسماء الله جلت قدرته فى عقله وخلقه وعلمه، ومع أنهم استطاعوا الوصول إلى شىء من المعرفة فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة، وأمامهم جهاد طويل، وبعد شاسع، وطريق لا نهاية له ...

وقال العقاد رحمه الله فى كتابه «عبقرية محمد»: إن عمل محمد لكاف جد الكفاية لتخويله المكان الأسنى، من التعظيم والإعجاب والثناء ... وحسبنا من كتابنا هذا أن يكون بنانا تومىء إلى تلك العظمة فى آفاقها، فإن البنان لا تقدر على الإشارة من الباع على الإحاطة، وأفضل من عجز المحيط طاقة المشير.

وهكذا محمد قدره عليه الصلاة السلام فوق تقدير البشر، فلا يقدره حق قدره إلا من خلقه وسواه وجمع فيه من مكارم الأخلاق ما تفرق فى غيره من الأنبياء قبله، وأكمل هذه المكارم فيه فكان وكانوا بالنسبة إليه كما قيل بحق وصدق:

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء

وأى نبى أخذ الله على الأنبياء العهد والميثاق أن يؤمنوا به ويوصوا أممهم بالإيمان به قبل أن يولد، كما يفهم من قوله فى محمد: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين».

وأى نبى قال الله فيه وله مثل ما قال فى محمد: «إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما» ومثل ما قال له: «يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيراً».

لقد أقسم الله بحياته حيث قال: «لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون»، وأقسم بالبلد الذى كان فيه حيث قال:

« لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد » وجعل اتباعه سبيلا إلى حبه ـ جل شأنه ـ كما يفهم من قوله : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » وسماه نورا كما يقول فيه : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » ونهى المؤمنين أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته وأن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض حيث قال : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم » .

هذا إلى ما تتألق به الآيات التي تتحدث عنه أو إليه في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم » وقوله : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وقوله : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، وقوله : « إنا أعطيناك الكوثر » وقوله : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا » ، وقوله : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » وقوله : « ألم نشرح لك صدرك . ووضعنا عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك » .

ويطول بنا المقال إذا استطردنا في سرد الآيات التي تدل على مقام النبي العظيم في القرآن العظيم ، فحسبنا أن نذكر قول عائشة رضي الله عنها : كان خلقه القرآن فإن هذا القول على إيجازه يزن قدره بما لا يرقى إليه وزن إنسان ، ويفسر لنا قول الله له : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم » ، وقوله له : « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » .

صلى الله عليه وسلم ، ووفق المسلمين إلى اتباعه والعمل بسنته ، والحرص على دعوته ، فإنها دعوة إلى الحياة الطيبة بكل ما يتسع له معنى الحياة الطيبة كما يفهم من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » ؟

عبد الرحيم فودة

# محمد والذين معه ... في التوراة والإنجيل

للأستاذ مصطفى الطير

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً . محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » ( الآيات من الآية ٢٨ إلى آخر سورة الفتح ).

بين الله فى الآية الأولى ، أنه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، والمراد بالهدى الدليل الواضح أو القرآن العظيم ، والمراد بدين الحق الإسلام بأصوله وفروعه (١) .

وبين فى الآية الثانية : أن الرسول الذى أرسله بالهدى ودين الحق ، هو محمد ـ صلى الله عليه وسلم .

ولقد كان العالم قبل مبعثه فى ضلال مبين ، وكانوا فى كل واد من أودية الشر يهيمون ، فهم ما بين عباد للأنصاب والأوثان ، وسجد للنجوم والكواكب ، وركع للإنسان والحيوان ، ومعطلين ليس لهم إله إلا هوام .

وكان أهل الكتاب قد تأثروا بجيرانهم الوثنيين ، فاتخذوا لهم إلها غير الله ، وسموه ابن الله ، فاليهود عبدوا عزيرا ، والنصارى عبدوا عيسى ، وسمت كل طائفة معبودها ابن الله ، كما أطلق الوثنيون على الملائكة ـ بنات الله ـ وهو ما حكاه الله بقوله فى سورة الإسراء منكراً عليهم : « أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما » .

وكما عبد المشركون الملائكة ، عبد أهل الكتاب أنبياءهم ، ولم يكتفوا بذلك

(١) ويجوز أن يكون المقصود من الهدى ودين الحق الإسلام ، فإنه جامع بين الوصفين : الهدى ودين الحق .

بل وصفوا الله بالجسمية والخطأ والندم والبكاء ومصارعة البشر طول الليل حتى الفجر ، وقيادة الجيوش حتى المهزومة منها ، كما وصفوه بالأكل والشرب وغير ذلك من النقائص ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، سبحانه هو فوق الخواطر والظنون ، وكل ما خطر ببالك ، فالله تعالى بخلاف ذلك .

وكانت الأمم مغلوبة على أمرها ، لملوك جائرين ، وولاة ظالمين ، وشيوخ للقبائل متجبرين .

وكان يقتسم العالم أمتان كبيرتان — الفرس والرومان — والحرب بينهما سجال ، فيوم يكون الغلب فيه للفرس ، وآخر يكون الغلب فيه للرومان ، وكانت الأمم الضعيفة المحكومة بهما ، وقوداً للحروب المتتابعة بينهما ، وطحناً لرحى القتال التي لا تنفك عن الدوران ، وكانت أموالهم نهباً لسادتهم ، وسلباً سهلا للمسيطرين عليهم .

ولم يكن الحكم فيهم إلا بشريعة الغاب وبقانون الفتك والعذاب ، والويل كل الويل لمن تأوه أو شكا .

وكانت الحرب بين القبائل تشب من آن لآخر لأتفه الأسباب ، فكثيراً ما يعلو لهيبها من أجل غنمة رعت في كلأ الحمى ، أو حماية لمستجير وإن كان آثماً ، أو لغير ذلك من صغائر الأمور .

وما أفظع ما كانت تنتهي إليه حروبهم من الخراب والدمار ، فكم من قبيلة أبادتها قبيلة ، وكم من فصيلة طحنتها فصيلة .

وكانت الخمر أم الخبائث فاشية بينهم ، تحرضهم على الإثم ، وتدعوهم إلى البغي ، وتفتك بأجسادهم ، وتقضي على أموالهم .

وكان الخمول مخيماً عليهم ، والبطالة منتشرة فيهم ، والجهل ضارباً أطنابه بينهم .

وكانت سوق الأخلاق الوضيعة نافقة ، وسوق الأخلاق الفاضلة كاسدة ، وبلغ بهم السفه أنهم كانوا يرتزقون بأعراض إمائهم ، ويتكسبون من ممارستهن الرذيلة ولا يجدون حرجاً في صدورهم ، ولا نكيراً من ضمائرهم .

وقد امتد الفساد إلى حرائرهم ، فلذا عمدوا إلى قتل بناتهم صغيرات ، حتى لا ينحرفن كبيرات ، وكانوا يقولون : وأد البنات من المكرمات ، إلى غير ذلك من المفاسد الكثيرة ، فكان من رحمة الله أن بعث فيهم محمداً — صلى الله عليه وسلم —

رسولا ؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن الفوضى إلى النظام ، ومن الجور إلى العدل ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الرذيلة إلى الفضيلة .

وقد وعده الله تعالى أن يظهر دينه الذى بعثه به على الدين كله ، فحقق بفضله وعده ، فما من دين فى الأرض إلا غلبه ؛ ولا نزال ننتظر المزيد ؛ ونرجو الاستيعاب .

« وكفى بالله شهيدا » على أنه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ؛ وقد تجلت شهادة الله تعالى : فيما أيده به من شتى المعجزات ؛ وباهر الآيات ؛ ونصره على من عارض هذا الدين ؛ وتعرض بالأذى للمسلمين « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

ولقد وصف الله الذين آمنوا برسوله - من أصحابه - بأنهم أشداء على الكفار ؛ رحماء بينهم ؛ ونحوه قوله تعالى : « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » .

وهذا الوصف يجب أن يتحقق فيمن جاء بعدهم من المؤمنين ؛ فعليهم أن يكونوا أسوداً كواسر على من عاداهم ؛ وأن لا يوالوهم على حساب إخوانهم المسلمين ؛ وأن يكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً وعاطفة واحدة ضد الكافرين الذين يتربصون بهم جميعاً الدوائر ؛ وعليهم أن يتحابوا فى الله ويتراحموا فيما بينهم .

وليعلم المسلمون اليوم أنه لولا شدة السلف الصالح على الكفار ؛ وتراحمهم فيما بينهم ، لما عز الإسلام ولما غاب جميع الأديان ، فمهادنة أعدائنا وملاينتهم تطمعهم وتؤلبهم على المسلمين ؛ وفقدان التراحم بين المسلمين يحل عقدتهم ؛ ويفرق جمعهم ؛ ويضعف أمرهم ؛ ويهيء السبيل لاستيلاء أعدائهم عليهم ؛ وهذا - مع الأسف - هو الذى كان بين المسلمين فى الحقب المتأخرة ؛ فهان شأنهم وضعف أمرهم ؛ واستولى عليهم أعداؤهم ؛ وغيروا دين بعضهم ؛ كما حدث لمسلمى الأندلس ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . ولقد صدق الحكيم إذ يقول : « إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » ، وماذا كنت تنتظر لقوم قال فيهم الشاعر :

وتفرقوا شيعاً فكل قبيلة
فيها أمير المؤمنين ومنبر

فأين هذا من قوله صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

ولقد شاء الله أن يفيق المسلمون من سباتهم ويعملوا على الخلاص من غاصبيهم، فنال بعضهم حريتهم، ولا يزال البعض الآخر جاهدا فى سبيلها.

وليعلم المسلمون اليوم، أن أمرهم لن يستقيم إلا إذا عملوا بكتاب الله وسنة رسوله، وتركوا التراخى فى الدين، وأعرضوا عن تقليد غيرهم فى التحلل والميوعة، حتى يستحقوا وعد الله تعالى «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين».

والتراحم بين المسلمين يتناول: أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، وأن يحافظ على حرمة جاره، ويشاركه فى سرائه، ويعينه فى ضرائه، ويحييه بالسلام والمصافحة عند لقائه، ولأهمية التحية بالسلام، شرعه الله فى ختام الصلاة، أما المصافحة فقد أخرج فيها أبو داود عن البراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفراه غفر لهما»، وفى رواية الترمذى: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان، إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا».

ويتناول التراحم رحمة صغيرنا وتوقير كبيرنا، أخرج بن أبى شيبة وأبو داود عن عبد الله بن عمر مرفوعا: «من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا فليس منا».

وروى أحمد وابن حبان والترمذى - وحسنه - عن أبى هريرة قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول: لا تنزع الرحمة إلا من شقى».

ثم وصف الله أصحاب الرسول الذين آمنوا معه بقوله: «تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا»، أى تراهم مستمرين على الصلاة من آن لآخر، لا يبغون من صلاتهم هذه سوى فضل الله ورضوانه، أما الرياء فقد كان أبعد شىء عن قلوبهم، ثم وصف الله أثر مواظبتهم على صلاتهم بقوله: «سيماهم فى وجوههم من أثر السجود».

أى علامتهم ظاهرة فى وجوههم من

أثر الصلاة، والمراد بهذه العلامة، مايبدو على الوجوه من الخشوع والطمأنينة : والجهد في صلاة الليل، أما الأثر الذى يكون في الجبهة فليس هو المقصود، روى ابن جرير وغيره عن مجاهد أنه قال : ليس له أثر في الوجه، ولكنه الخشوع

وقال منصور : سألت مجاهدا : هذه سيما هى الأثر يكون بين عينى الرجل، قال لا وقد يكون مثل ركبة البعير، وهو أقسى قلبا من الحجارة.

وحكى عن بعض المتقدمين أنه قال : كنا نصلى فلا يرى بين أعيننا شيء، ونرى أحدنا الآن يصلى فترى بين عينيه ركبة البعير، فما ندرى : أثقلت الرءوس، أم خشنت الأرض ؟ وأخرج الطبرانى والبيهقى في سننه، عن حميد بن عبد الرحمن قال : كنت عند السائب بن يزيد، إذ جاء رجل وفي وجهه أثر السجود، فقال : لقد أفسد هذا وجهه، أما والله ما هى السيما التى سمى الله تعالى، ولقد صليت على وجهى منذ ثمانين سنة، ما أثر السجود بين عينى. فإذا برزت خشونة في الجبين من أثر السجود بلا تعمد بالضغط لإحداثها، فهى بعض آثار السجود الخالص لوجه الله، وقد كان مثل ذلك موجودا في جبهة على زين العابدين بن الحسين رضى الله عنهما، وفي جبهة على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم، وكان يقال لهما ذوا الثفنات.

أما تعمد إحداث تلك الثفنات فنهى عنه، قال صلى الله عليه وسلم : « لا تعلبوا صوركم » أى لا تحدثوا فيها سمة وعلامة، من العلب - بفتح العين وسكون اللام - وهو الأثر.

ومن العلماء من قال : إن سيماهم في وجوههم من أثر السجود تكون في الآخرة أخذا من حديث أخرجه الطبرانى في الأوسط والصغير، وابن مردويه بسند حسن، عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : « سيماهم في وجوههم من أثر السجود » النور - يوم القيامة.

وبهذا أخذ ابن عباس والحسن، ولا يبعد أن تكون لصلاتهم علامة في الدنيا والآخرة، فما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم من نورهم يوم القيامة لا يمنع من أن تكون لصلاتهم تلك الآثار التى ذكرناها.

ثم قال الله تعالى : « ذلك مثلهم في التوراة » يعنى أن ما تقدم من أوصاف أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم ، قد جاء مثله عنهم في التوراة ، وفيما يلي ما عثرنا عليه فيها ، من وصف النبي وأصحابه ، روى الواقدي عن ثعلبة بن أبي مالك « أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، سأل أبا مالك - ثعلبة بن هلال - وكان من أحبار اليهود فقال : أخبرني بصفات النبي - صلى الله عليه وسلم - في التوراة ، فقال : إن صفته في توراة بني هرون التي لم تغير ولم تبدل هي :

« أحمد من ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وهو آخر الأنبياء ، وهو النبي العربي ، الذي يأتي بدين إبراهيم الحنيف ، يأتزر على وسطه ، ويغسل أطرافه ، في عينيه حمرة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، ليس بالقصير ولا بالطويل ، يلبس الشملة ، ويجتزىء بالبلغة ، ويركب الحمار ، ويمشي في الأسواق ، سيفه على عاتقه ، لا يبالي من لقي من الناس ، معه صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان ، ولو كانت في عاد ما أهلكوا بالريح ، ولو كانت في ثمود ما أهلكوا بالصيحة ، يولد بمكة وهو أمي لا يقرأ المكتوب ، وهو الحماد يحمد الله شدة ورخاء ، سلطانه بالشام ، وصاحبه من الملائكة جبريل ، يلقى من قومه أذى شديدا ، ثم يدال عليهم ، فيحصدهم حصدا ، تكون الواقعات بيثرب منها عليه ومنها عليها ، ثم له العاقبة .

معه قوم هم أسرع إلى الموت ، من الماء من رأس الجبل إلى أسفله ، صدورهم أناجيلهم ، وقربانهم دماؤهم ، ليوث النهار ، رهبان الليل ، يرعب عدوه مسيرة شهر ، يباشر القتال بنفسه ؛ ثم يخرج ويحكم ، لا شرط معه ولا حرس ، الله يحرسه » .

وقد تبين من هذا النص وصف أصحاب الرسول بأنهم أشداء على الكفار ، إذ كانوا أسرع إلى الموت من الماء من رأس الجبل - وأن قربانهم دماؤهم ، كما تبين أنهم ركع سجد ، من قوله رهبان بالليل [1] .

وحسبنا اليوم ما ذكرنا ، أما مثلهم في الإنجيل فسنشرحه في العدد القادم إن شاء الله تعالى ؟

مصطفى الطير

---

(١) بعد كتابة ما تقدم عثرت على وصف لأصحاب الرسول في سفر أشعياء ، إصحاح (٣٣) فقرة (٣) ونصه « واستعلن من جبل فاران ، ومعه ألوف الأطهار ، في يمينه سنة من نار ، أحب الشعوب ، جميع الأطهار بيده » انتهى - ويلاحظ أن جبل فاران بمكة .

# نسب النبي الشريف الزكى

للدكتور محمد أبو شهبة

روى الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن واثلة بن الأسقع يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم ».

رواه الترمذى فى سننه بسنده عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم ». قال أبو عيسى - يعنى الترمذى - هذا حديث حسن صحيح ، وهذه الرواية أتم من رواية مسلم ، ورواه من طريق آخر بمثل لفظ مسلم .

تخريج الحديث : رواه مسلم فى صحيحه - كتاب الفضائل - باب فضل نسب النبى صلى الله عليه وسلم ورواه الترمذى فى سننه - كتاب المناقب - باب فى فضل النبى صلى الله عليه وسلم .

« الشرح والبيان »

من هو واثلة بن الأسقع ؟

هو الصحابى الجليل واثلة بن الأسقع ابن عبد العزى بن عبد ياليل ... الكنانى الليثى وقيل فى نسبه : واثلة بن عبد الله ابن الأسقع ، أسلم والنبى صلى الله عليه وسلم يتجهز إلى تبوك ، قيل : إنه خدم النبى ثلاث سنين ، وكان من أصحاب الصفة .

وكان ينزل ناحية المدينة ، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى معه الصبح ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح انصرف فيتصفح وجوه أصحابه ينظر إليهم ، فلما دنا من واثلة أنكره . فقال : « من أنت » ؟ ! فأخبره ، فقال : « ماجاء بك » ؟ قال : أبايع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « على ما أحببت وكرهت » ؟ قال : نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فيما

أطلقت ، ؟ قال : نعم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز إلى تبوك ، ولم يكن لواثلة ما يحمله ، فجعل ينادى : من يحملنى ، وله سهمى ؟ فدعاه كعب بن عجرة وقال : أنا أحملك عقبة[١] بالليل ، ويدك أسوة يدى[٢] ، ولى سهمك ، فقال واثلة نعم . قال واثلة : كان يحملنى عقبى ويزيدنى وآكل معه ويرفع لى ، حتى إذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أكيدر الكندى بدومة الجندل خرج كعب وواثلة معه، فغنموا ، فأصاب واثلة ست قلائص[٣] فأتى بها كعب بن عجرة ، فقال : اخرج فانظر إلى قلائصك فخرج كعب وهو يبتسم ويقول : بارك الله لك ، ماحملتك ، وأنا أريد آخذ منك شيئا ، وهكذا فلتكن الأخلاق الإسلامية تفعل الخير لوجه الله ، ثم سكن البصرة وبنى بها دارا ، ثم سكن الشام بالقرب من دمشق ، وشهد فتحها ، وشهد المغازى بدمشق وحمص ، ثم تحول إلى فلسطين ، ونزل بيت المقدس ، وقيل بلده جبرين حتى توفاه الله .

(١) عقبة ـ بضم العين ـ أى نوبة .

(٢) يعنى أنهما سواء فى المعيشة والطعام .

(٣) جمع قلوص وهى الناقة الشابة القوية .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن غيره من كبار الصحابة ، وروى عنه أبو إدريس الخولانى وأبو عمار شداد ابن عبد الله وغيرهما وكانت وفاته سنة ثلاث وثمانين وهو ابن مائة وخمس سنين وقيل غير ذلك فرضى الله عنه وأرضاه ،

« النسب الشريف الزكى » .

ويستحسن هنا ذكر نسب النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو على ما ذكره أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى فى صحيحه[١] قال : « محمد بن عبد الله ، ابن عبد المطلب ، بن هاشم بن عبد مناف ، ابن قصى بن كلاب ، بن مرة ، ابن كعب ، بن لؤى بن غالب ، بن فهر ابن مالك ، بن النضر ، بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة ، بن إلياس ، بن مضر بن نزار ابن معد ، بن عدنان » وهذا النسب الزكى متفق عليه بين علماء الأنساب إلى عدنان قال أبو الخطاب بن دحية : « أجمع العلماء على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما انتسب إلى عدنان ، ولم يجاوزه » .

وأما من بعد عدنان فهم مختلف فيهم ، وإن كان النسابون اتفقوا على أن عدنان

(١) صحيح البخارى باب مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، بعد الفضائل .

ينتهى نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، فالخليل إبراهيم هو جد النبى الأصل ، وقد انتقلت إلى النبى صلى الله عليه وسلم من جده أبيه بعض الصفات الجسمانية ، فى الحديث الصحيح الذى رواه البخاوى فى صحيحه أن النبى لما ذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام قال : « وإنه لأشبه الناس بصاحبكم » . إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل » .

قد جاءت رواية الترمذى التى ذكرناها أتم من رواية مسلم فقد ذكرت حلقة من حلقات النسب الشريف ، التى لم تذكر فى رواية مسلم ولعل ذلك نسيان من الراوى ، أو اقتصار ، والحلقة التى ذكرها الترمذى هى « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل » .

اصطفى : اختار والمراد تخير الفروع الزكية من الأصول الكريمة تخيرا مبناه الأخلاق الكريمة والفضائل الإنسانية السامية ، والطباع الفطرية السليمة ، وهذا الاصطفاء بهذا المعنى هو الذى ينبغى أن يفهم من الحديث فى الاصطفاءات التى عرض لها .

وينضم إلى ذلك بالنسبة لاصطفاء إسماعيل من ولد إبراهيم اصطفاء النبوة والرسالة والله حينما يصطفى نبيا أو رسولا إنما يصطفيه من خيار الناس ، وأفضلهم والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وكذلك بالنسبة لاصطفاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم « واصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى من كنانة قريشا » .

كنانة هو أحد أجداد النبى صلى الله عليه وسلم وهو والد النضر ، الذى كان ينتسب إليه النبى ، لقب بالنضر لنضارة وجهه ، والنضر هنا فى رأى ابن هشام هو قريش وبه قال الشافعى ، وعزاه العراق للأكثرين وقال النووى هو الصحيح ، وصححه الحافظ صلاح الدين العلائى ، ويستدلون له بحديث الأشعث بن قيس لما وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد كندة ، فقال : يا رسول الله ألستم منا ؟ قال : « لا ، نحن بنو النضر ابن كنانة » رواه ابن ماجه وأبو نعيم وابن عبد البر وروى الحافظ البيهقى أنه بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أن رجالا من كندة يزعمون أنه منهم ، وأنهم منه فقال : « إنما كان يقول ذلك العباس ، وأبو سفيان بن حرب فيأمنان بذلك ، وإنا لن ننتفى من آبائنا ، نحن بنو النضر ابن كنانة »

ومن العلماء من يرى أن فهراً هو قريش وإليه تنسب قريش في قول جماعة، منهم الإمام الزهري، فما كان فوق فهر فليس بقرشي، بل هو كناني على الصحيح.

ومن العلماء من وفق بين القولين، بأن فهراً جماع قريش، فأبوه مالك ما أعقب غيره وكذلك النضر ليس له عقب إلا مالك فاتفق القولان.

وقريش: تصغير قرش، وهي دابة في البحر عظيمة - أي سمكة - من أقوى دوابه سميت بذلك لقوتها، لأنها تأكل ولا تؤكل، وتعلو، ولا تعلى، فسميت قريش بذلك لذلك.

وقيل: سموا قريشاً لأنهم كانوا يتجرون من قولهم: قرش الرجل يقرش كضرب يضرب، إذا اتجر.

«واصطفى من قريش بني هاشم».

هاشم هو جد والد النبي صلى الله عليه وسلم، واسمه عمرو، وهاشم لقبه، وإنما لقب بذلك، لأنه أول من أطعم الناس الثريد(١) بمكة قال شاعرهم:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه
قوم بمكة مسنتين عجاف(٢)

سنت إليه الرحلتان كلاهما
سفر الشتاء، ورحلة الأصياف

وكان من الأجواد، وقد ولي هاشم الرفادة(١) والسقاية(٢) بعد أبيه عبد مناف، وهما من مآثر أهل الجاهلية، ومفاخرهم. وكان هاشم يستعين بقريش في الرفادة، فكان إذا حضر الحاج قام في قريش فقال:

«يا معشر قريش، إنكم جيران الله، وأهل بيته. وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله وحجاج بيته، وهم ضيف الله، وأحق الضيف بالكرامة ضيفه، فاجمعوا لهم ما تصنعون به طعاما أيامهم هذه التي لا بد لهم من الإقامة بها، فإنه - والله - لو كان مالي يسع لذلك ما كلفتكموه»، فيستجيبون له، ويخرجون لذلك خرجا من أموالهم، كل بقدر طاقته، فيصنع به للحجاج طعاما حتى يرجعوا من مكة، وهي مكرمة من مكارم العرب لا تكاد توجد اليوم على كثرة المال وفحش الثراء!

وفي عهد هاشم ازدهرت مكة، وسمت

---

(١) هو الخبز يخلط بالمرق واللحم.
(٢) وفي رواية: ورجال مكة مسنتون عجاف.

(١) طعام كان يعد ويقدم للحجيج بلا مقابل
(٢) ماء زمزم ينقع فيه التمر والزبيب ويسقى للحجاج.

مكانتها فى الجزيرة ، وأصبحت العاصمة المعترف بها .

« واصطفانى من بنى هاشم » .

أى اختارنى من بنى هاشم لأكون خاتم الأنبياء والمرسلين، هذا إلى اصطفائه بتخير الخلال الكريمة له صلى الله عليه وسلم ، حتى صار صلى الله عليه وسلم مجموعة من الفضائل، والمكارم والأخلاق العالية التى لم تجتمع قبله فى بشر قط .

وراثة الصفات والفضائل :

وإذا كان الله سبحانه وتعالى جرت سنته أن لا يبعث نبيا إلا فى وسط من قومه شرفا ونسبا ، ومحتدا وغنى بالفضائل ، فقد كان فى الذروة من ذلك كله نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه فما من آبائه إلا من كان مليأ - غنيا - بالفضائل والمكارم ، وقد علمت بعضا منها آنفا ، وما من أم من أمهاته إلا وهى أفضل نساء قومها نسبا وموضعا ، ولم تزل هذه الفضائل والكمالات البشرية تنحدر من الأصول إلى الفروع حتى تجمعت كلها - على أقوى ما تكون وأمثل ما تكون - فى سلالة ولد آدم ، وخلاصة ولد إبراهيم وإسماعيل ، سيدنا محمد ابن عبد الله الأمين .

وليس من شك فى أن النسب الكريم إذا زانه الحسب العريق (1) . كان ذلك من أسباب الكمال ، ووراثة الصفات الخلقية ، والخلقية - بضم الخاء واللام - والخصائص النفسية والعقلية أمر مقرر معلوم ، وقد سبق إلى علمها الإسلام ، وليس أدل على هذا من قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذى جاء يشتكى إلى النبى أن ابنه جاء أسود ، ولم يكن أحد من أبويه أسود ، فقال له : « هل لك من إبل» ؟ قال: نعم، قال : وما ألوانها ؟ قال : حمر ، قال : هل فيها من أورق ؟ - يميل لونه إلى الغبرة والسواد - قال : نعم ، قال : فأنى ذلك ؟ قال : لعله نزعه عرق ، قال: « فلعل ابنك هذا نزعه عرق» يعنى جاء لونه لأحد أجداده ، فرضى الرجل ، ورجع .

وقد شرح العلماء المحدثون قوانين الوراثة

(1) الحسب - بفتحتين - ما يعد من المآثر وهو مصدر حسب وزان شرف شرفا ، وكرم كرما ، قال الأزهرى : الحسب : الشرف الثابت له ولآبائه . وقال ابن السكيت : الحسب والكرم يكونان فى الإنسان وإن لم يكن لآبائه شرف ، وأما المجد والشرف فلا يوصف بهما الشخص إلا إذا كانا فيه وفى آبائه .

وبينوها غاية البيان فقالوا : هناك وراثة نوعية عامة : وهى وراثة الصفات الجسمية والنفسية الخاصة بالنوع الإنسانى ، فكل طفل يولد مزود بهذه الصفات عن طريق الوراثة النوعية ، ووراثة خاصة : وهى التى تنقل إلى الفرع صفات من أصوله الخاصة القريبة ، أو البعيدة ، وهى لذلك تنتظم طائفتين : أحدهما : الوراثة الخاصة المباشرة ، وتظهر فيما يرثه الطفل عن أصليه المباشرين : أبيه ، وأمه . والثانية : الوراثة الخاصة غير المباشرة : وتظهر فيما يشبه فيه الطفل أحد أجداده ، أو إحدى جداته من جهة الأب أو الأم من الدرجة الأولى ، أو من الدرجات التى تليها من صفات لم تظهر فى أحد أبويه ، ومن هذا النوع ما يسمونه « الوراثة الفرعية » أو « الوراثة بالواسطة » أو « الوراثة المشتركة » ثم إن الوراثة قد تكون للأبوين معا فى بعض صفاتهما ، وقد تكون لأحدهما دون الآخر .

وتنقسم الوراثة أيضا إلى « ا » وراثة جسمية « ب » وراثة عقلية « ج » وراثة خلقية كوراثة الصفات المتعلقة بالخير والشر والفضيلة والرذيلة ، كالحلم ، والورع ، والتقوى .

وقد أفاد النبى صلى الله عليه وسلم من الوراثتين : العامة ، والخاصة بنوعيها ، فكان فيه خير ما فى صفات البشر ، والنوع الإنسانى ، وخير ما كان فى آبائه وأمهاته من الفضائل والصفات ، ونزهه الله عن كل ما فى الوراثتين من نقائص ورذائل وقد انضم إلى ذلك أن الله سبحانه وتعالى تعهده من الصغر بالتربية المثلى ، والتأديب البالغ ، فلا تعجب إذا كان صلى الله عليه وسلم المثل الكامل فى جسمه ، وفى عقله وفى دينه ، وفى خلقه ، وفى نسبه ، وحسبه « والناس معادن : خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » رواه البخارى .

ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتقل من أصلاب الآباء الطيبين إلى أرحام الأمهات الطاهرات لم يمس نسبه من سفاح الجاهلية شىء ، بل كان بنكاح صحيح على حسب ما تواضع عليه العرب الشرفاء حتى خرج من بين أبويه الكريمين .

وفى معنى هذا الحديث ما رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بعثت من خير قرون[1]

(١) القرن : مائة سنة وقيل : ثمانون ، وقيل : الجيل ولعله الأولى هنا .

بنى آدم قرناً فقرناً ، حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه » .

وروى البيهقى بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه خطب فقال : « أنا محمد ابن عبدالله . . » إلى آخر النسب الشريف ثم قال : « وما افترق الناس فرقتين إلا جعلنى الله فى خيرهما ، فأخرجت من بين أبوى ، فلم يصبنى شىء من عهر الجاهلية[1] ، وخرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم ، حتى انتهيت إلى أبى وأمى ، فأنا خيركم ، وخيركم أبا[2] » .

وروى الإمام أحمد فى مسنده بسنده عن المطلب بن أبى ورادعة قال : قال العباس : « بلغه صلى الله عليه وسلم بعض مايقول الناس[3] ، فصعد المنبر ، فقال : « من أنا » ؟ قالوا : أنت رسول الله ، قال : « أنا محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خير خلقه ، وجعلهم فرقتين فجعلنى فى خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلنى فى خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلنى فى خيرهم بيتاً فأنا خيركم بيتاً ، وخيركم نفساً » إلى غير ذلك من الأحاديث التى تنم عن شرفه وحسبه وشرف آبائه وحسبهم .

وهذا الذى قاله صلى الله عليه وسلم هو الذى أيده التاريخ الصادق ، الذى لا يحابى ، ولا يجامل ، وسأعرض بشىء من الإيجاز لآبائه ، وأمهاته .

الآباء : أما الأب المباشر فهو الفتى الهاشمى القرشى عبد الله بن عبد المطلب ثانى الذبيحين فى تاريخ الدنيا ، وأجداده كلهم سادة ، ورثوا المجد والشرف كابراً عن كابر ، وليس فيهم أحد يغمص فى خلق أو يغمز فى نسب ، أو يطعن فى شرف ، فكان منهم الوسيم القسيم ، ومنهم البطل الصنديد ، ومنهم الجواد الكريم ، ومنهم الحكيم الذى تتفجر الحكمة من قلبه ، وتجرى على لسانه ، وكان منهم التاجر الذى يكسب المعدوم

---

(١) فجور ومفاسد الجاهلية .

(٢) يعنى : وأما وتأمل فى قوله : « فأنا خيركم » لتعلم أنه البحر الذى صبت فيه جداول الآباء والأجداد ، والجدات بكل خير وخلق عظيم .

(٣) لعل المراد بهذا ما ذكره الترمذى فى سننه عن العباس قال : « قلت يا رسول الله إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم فجعلوا مثلك كمثل نخلة فى كبوة من الأرض » الحديث .

والبر الرحيم الوصول للرحم ، ومنهم المتدين ، والمتحنث[1] ؛ والمتحنف[2] .

وبحسب البيت الهاشمي شرفا وكرما أنهم كانوا سادة العرب جميعاً ؛ لا ينازعهم في السيادة منازع ؛ وأنه انتهت إليهم السقاية ؛ والرفادة ؛ مع أنهم لم يكونوا جميعاً من أهل الغنى والثراء ؛ إنها - وأيم الحق - لمآثر ومفاخر ؟ لا تجدها في أعرق الدول حضارة ؛ ولا في أغنى أمم الأرض اليوم ؛ فلا عجب إذا كان الله أعد عبد الله بن عبد المطلب ليضطلع بهذه الأبوة في التاريخ .

الأمهات : أما الأم المباشرة فهي السيدة الكريمة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ؛ فهي تجتمع مع عبد الله في جدهما الأعلى : كلاب ؛ وقد كان زهرة الولد البكر لكلاب ؛ والشقيق الأكبر لقصي ؛ الذي جمع قريشاً بعد تشتت ؛ وصاحب مآثر الجاهلية ومفاخرها . وقد عرف بنو زهرة بالود الخالص لبني عبد مناف بن قصي ، والانحياز إلى جانبهم في السلم والحرب ، والأحلاف والعهود . وأما جدها عبد مناف فكان يقرن في الشرف بابن عمه عبد مناف بن قصي فيقال : المنافان تعظيما وتكريماً . وأما أبوها وهب . فكان سيد بني زهرة .

وجدة السيدة آمنة لأبيها عاتكة بنت الأوقص السلمية إحدى النساء اللاتي اعتز بهن الرسول فقال : « أنا ابن العواتك من سليم . وأمها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي . وجدتها لأمها أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى ابن قصي بن كلاب . سلالة عريقة أصيلة انبتت آمنة بنت وهب لتضطلع بعبئها الجليل في أمومتها التاريخية ، ولتنتظم بهذه الأمور في سلك الأمهات المنجبات للرجال الذين صنعوا أمما ، وغيروا وجه التاريخ ، وكذلك كان أمهات أبيه ، وأجداده ، كلهن كن ذوات نسب ، وشرف ، وعفة ، واعتداد بأنفسهن ، وبعد ، فهلك آمنت معي بأن نسب الرسول وحسبه ، لا ينالان ، ولا يطاولان بنفسي أنت ، وأبي ، وأمي يا سيدي يارسول الله ، في شهر ذكراك ؟

الدكتور محمد محمد أبو شهبة
(٢)

---

(١) المتعبد .

(٢) الذي اتبع دين الحنيفية : دين الخليل إبراهيم عليه السلام .

# العبث بكيان الأسرة جريمة عظمى

للأستاذ أبو الوفا المراغى

---

عن ثوبان رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( أيما امرأة اختلعت من زوجها من غير بأس لم ترح رائحة الجنة ) وفى رواية : أيما امرأة سألت زوجها طلاقها ، أخرجهما الترمذى وأبو داود .

وعن حبيبة بنت سهل الأنصارى رضى الله عنهما أنها كانت تحت ثابت ابن قيس بن شماس قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت لا أنا ولا ثابت ، وفى رواية أن رسول الله خرج إلى الصبح فوجدها عند بابه فى الغلس فقال : من هذه ؟ قالت : أنا حبيبة بنت سهل يا رسول الله ، فقال لها : ما شأنك قالت لا أنا ولا ثابت بن قيس لزوجها ، فلما جاء ثابت قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذه حبيبة قد ذكرت ما شاء الله أن تذكر ، فقالت حبيبة : كل ما أعطانى عندى ، فقال رسول الله لثابت : خذ منها ، فأخذ منها ، وجلست فى بيتها . أخرجه الموطأ وأبو داود والنسائى .

أولى الإسلام الأسرة عنايته فى جميع مراحلها وحرص على استقرارها ليكون مصدر الراحة والسكن والاطمئنان للرجل والمرأة والأولاد ، ففى مرحلة التكوين والبناء ، أرشد إلى الأسس السليمة التى ينبغى أن يقوم عليها ذلك البناء وجعل من أسسه أن يكون راغب الزواج ذا قدرة مالية يستطيع بها أن يقوم بأعبائها حتى لا يحمله العسر المالى على أن يسلك مسالك الريبة والانحراف ، وفى ذلك يقول جل شأنه : « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » أى ليجتهد فى العفة وصون النفس من لا يتمكن من المال الذى يتم به النكاح ولينتظر أن يغنيه الله من فضله حتى يصل إلى بغيته من النكاح .

وجعل من أسسه أن يتحرى فى الاختيار بقدر طاقته ، وعرض نماذج من النساء

تقع الرغبة فيهن بحسب الفطرة ورجح منهن من يغلب على الظن عادة موافقتها وحسن معاشرتها، ففي حديث لرسول الله «تنكح المرأة لحسبها ولمالها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك».

وهناك أسس أخرى نبه إليها ويطول الكلام؛ هنا بسردها فإذا تم تكوين الأسرة فقد انتقلت إلى مرحلة أخرى وهي مرحلة الامتحان بالمسؤليات والواجبات وتحديدا لحريات. ولا شك أن الرجل بتكوين الأسرة بالزواج أصبح مسئولا عن زوجته بالقيام بواجباتها المالية والاجتماعية والزوجية كما أصبحت المرأة مسئولة عن زوجها بالقيام بواجباته الشخصية والاجتماعية، وبمقدار احتمال كل منهما لمسئولياته يستمسك حبل الأسرة ويستطاب جوها ويتوافر اطمئنانها، وللوصول إلى ذلك أوصى الإسلام كلا منهما أن يتحمل مسئولياته ويقوم بواجباته في إطار من المودة واللطف دون محادة أو مشادة، وقد أجمل الإسلام وصية الرجل بالمرأة في قوله تعالى: «وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا». وأجمل وصية المرأة بالرجل فقال صلى الله عليه وسلم: «أيما امرأة لم ترفق بزوجها وحملته على ما لا يقدر عليه وما لا يستطيعه لم تقبل منها حسنة وتلقى الله وهو عليها غضبان». وأجمل حقوق كل منهما نحو الآخر في قوله تعالى: «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة».

ووصايا الإسلام كلا منهما بالآخر لا حصر لها حرصا على الأسرة أن تعيش في قلق واضطراب أو أن يتقوض بنيانها أو ينتقض كيانها وحرصا على أن يستظل الأطفال بظلال الحنان والرحمة بين الوالدين فظلال الوالدين جنة دنيا الأطفال.

إن رابطة الأسرة رابطة مقدسة، وكل محاولة للإخلال بها أو تقويضها فهي جريمة في نظر الإسلام ومن حاول إفساد زوجة على زوجها أو بذر بذور الجفاء والشقاق بينهما مجرم آثم وجريمته مزدوجة بل هي مجموعة من الجرائم، إذ يضيف إلى جريمة إفساد الزوجة جرائم تشريد الأطفال وإفساد المجتمع وإيقاد نار العداوة والبغضاء بين الأسر، ومما رواه

ابن حبان فى صحيحه : « من أفسد امرأة على زوجها فليس منا » وفى حديثنا الذى صدرنا به كلمتنا هذه : أى امرأة اختلعت من زوجها من غير بأس لم ترح رائحة الجنة ومعنى اختلعت من زوجها من غير بأس طلبت فراق زوجها والانفصال عنه من غير ضرورة ومن غير إيذاء لها من زوجها على مال تدفعه له . والخلع فى الاصطلاح الفقهى الإسلامى : فراق الرجل امرأته على عوض يحصل منها .

فأسلوب الحديث كما نرى أسلوب تهديدى بأشنع العقوبات وهو حرمان المرأة من الاقتراب من الجنة فضلا عن دخولها ، وما نهج الإسلام ذلك النهج إلا لحرصه على سلامة الأسرة وصيانتها من الانهيار ، فالخلع وهو فراق الزوجة زوجها أو انفصام عقد الأسرة ، طريق شائك سيء الآثار لا ينبغى سلوكه إلا إذا دعت الضرورة وتعذرت الحياة الزوجية ، وكانت سببا فى تعطيل حدود الله التى وضعها للأسرة ، وهو محظور فى نظر الإسلام إلا لهذا السبب وهو حينئذ كالجراحة التى لا بد منها ولا غنى عنها ولا يلجأ إليها إلا عند اليأس مما سواها من وسائل الشفاء ، وقد يقول قائل : إذا كان الإسلام حريصا على سلامة الأسرة وحفياً بها فلماذا شرع الطلاق وهو المعول الهدام للحياة الزوجية ، والمبدد للأسرة ، والمفرق لشملها ، ولا شك أن هذا السؤال توحى به النظرة السطحية فى سر تشريع الطلاق ، ولكنا إذا أنعمنا فى النظر واستبطنا سر التشريع وجدنا أن تشريع الطلاق فى إطاره المحدود وعلى نطاقه الضيق وجعله فى يد الزوج ليس عاملا من عوامل الهدم لكنه عامل من أنجح العوامل وأبعدها أثرا فى استقرار الأسرة وتماسكها وصمام من صمامات الأمن فيها ، ذلك أن المرأة سريعة الانفعال مذبذبة العواطف متقلبة الأحوال فما لم يكن هناك سلاح يخيفها ويضبط عواطفها ويوقفها عند حدها ويكبح جماحها لما وقفت عند حد واندفعت بأهوائها لا إلى غاية ؛ فتضطرب حياة الأسرة وتعيش على براكين من الخلافات فكان من رحمة الله وحسن تدبيره للأسرة أن يشرع الطلاق وهو ذلك السلاح المخيف فقط ويجعله بيد الرجل وهى يد حازمة أمينة متزنة تعرف كيف

( البقية على ص ٢٢٨ )

# القيادة الإقناعية من هدى النبوة

للأستاذ محمد جمال الدين محفوظ

---

تعرف القيادة فى علم النفس العسكرى بأنها هى : « فن التأثير على الرجال وتوجيههم نحـــو هدف معين بطريقة تضمن بها طاعتهم وثقتهم واحترامهم وولاءهم وتعاونهم » .

وواضح من هذا التعريف أنه يقرر للقيادة الرشيدة - عند حصولها على الطاعة - شروطا محددة هى أن تكون مقترنة بثقة المرءوسين فى القائد واحترامهم وولائهم له ، وتعاونهم معه ، وهذا يؤكد حق فلسفة القيادة والطاعة التى مؤداها أن القائد والمرءوسين ، منخرطون جميعا فى خدمة هدف اجتماعى مشترك يحقق الخير للجماعة .

ويحدد علم النفس للقيادة العسكرية نمطين هما : القيادة الارغاميه ( وتسمى أيضا بالقيادة المطلقة أو المستبدة ) والقيادة الإقناعية . . أما القيادة الإرغامية فهى القيادة التى يرغم بها القائد مرءوسيه على طاعته معتمدا على سلطة مركزه وقوته ؛

وأما القيادة الإقناعية فهى القيادة التى يحصل بها القائد على طاعة مرؤسيه وهم مقتنعون بأوامره .

فإذا قارنا بين القيادة الإرغامية والقيادة الإقناعيـة نلاحظ أنه فى حالة القيادة الإرغامية يطيع المرؤسون أوامر القائد وهم غير مقتنعين ذاتيا بها ، لكنهم يرغمون أنفسهم على طاعتها خوفا من عقابه أو طمعا فى مكافآته ، ونلاحظ أيضا أن للقيادة الإرغامية عيوبا كثيرة منها : أنها قد تؤدى إلى توليد شعور عدم الرضا عند المرءوسين وبالتالى إلى ضعف روحهم المعنوية ، وقد تولد شعورا عدائيا نحو القائد وتؤدى إلى ضعف كفاءة المرءوسين فى تحقيق الأهداف وإنجاز الأعمال التى أرغموا على تحقيقها ، وقد تؤدى أيضا إلى تفشى روح السلبية عند المرءوسين ، والاكتفاء فى العمل بالقدر الذى يجنبهم عقاب القائد ، وإلى محاولة التهرب من العمل فى غيابه .

أما فى حالة القيادة الإقناعية فإن المرءوسين يطيعون أوامر القائد عن رغبة واقتناع ذاتى وليس عن رهبة وخوف ...

وذلك لأن القائد فى هذه الحالة يعمل حساب العامل البشرى ويراعى أن هناك فروقا كثيرة بين الأشخاص بعضهم وبعض فى القدرات ، والإمكانيات البدنية والعقلية وهو ما يسمى « بالفروق الفردية » والقيادة الإقناعية تعتمد إلى حد كبير على « قدرة القائد ومهارته « فى السلم والحرب ، أى قدرته على القيادة وعلى مواجهة المواقف وحل المشكلات ، وبعبارة أخرى قدرته على إدارة دفة الأمور بنجاح بينما تعتمد القيادة الإرغامية على « قوة القائد وسيطرته » وللقيادة الإقناعية مزايا عديدة منها : أنها تؤدى إلى توليد شعور الارتياح والرضا عند المرءوسين وبالتالى إلى ارتفاع روحهم المعنوية ، وتوليد روح المحبة والإخلاص للقائد ، وتؤدى إلى الكفاءة العالية عند المرءوسين فى تحقيق الأهداف التى يوجههم إليها القائد وتؤدى أيضا إلى خلق روح الإيجابية فى العمل عند المرءوسين ، وإلى زيادة إنتاجهم ، ومساهمتهم فى حل المشاكل التى تواجههم وإلى الإقبال على العمل بإخلاص وحماسة حتى فى غيبة القائد .

### القيادة العسكرية الناجحة :

من ذلك يتضح أن القيادة الإقناعية أفضل من القيادة الإرغامية ، ومع ذلك فإن القيادة العسكرية الناجحة هى التى تستطيع أن تجمع بين النوعين ، فالقائد الناجح هو الذى يستطيع « بقدرته » أن يقنع مرءوسيه بقبول قراراته والأهداف التى يختارها ، كما يستطيع أيضا « بقوته » أن يرغمهم بسهولة على قبول قراراته وأهدافه عندما يجد ذلك ضروريا لمصلحة العمل ؛ أى أن القائد الناجح يتخذ أسلوب القيادة الإقناعية أساسا لسياسته وطريقته فى القيادة ، وهو يملك أيضا القوة التى تمكنه من إرغام مرءوسية على قبول قراراته عند اللزوم . وأهم ما يلاحظ هنا أن المرءوسين فى هذه الحالة سوف يطيعونه بسهولة نظرا لأنهم عرفوا ولاحظوا من قبل نجاح وفاعلية قيادة هذا القائد ومنحوه ثقتهم وتقديرهم .

### نمط القيادة العسكرية فى المدرسة الإسلامية :

وهذا بالضبط هو ما قررته المدرسة الإسلامية فى أن القيادة العسكرية الناجحة هى التى تتأسس على نمط القيادة الإقناعية ولا تستبعد استخدام نمط القيادة الإرغامية فى ظروف خاصة عند الضرورة .

قال تعالى: « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » .

ولقد كانت قيادة الرسول الكريم قائد جيش الإسلام مثالا متكاملا لنمط القيادة العسكرية الحقة ؛ فقد كان الإقناع وسيلته الأولى فى طاعة المؤمنين ؛ له لأن الإقناع يوجب الود ويؤكد الصلات بين القائد ومرءوسيه ويحقق النتائج المرجوة على أحسن الوجوه . . وهذا أمر لا غرابة فيه حيث إن الإقناع والاقتناع كانا أصلا، هما الأساس فى الدعوة الإسلامية قال تعالى : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

ولقد كان الرسول القائد لا يستبد برأى بل كان يتبع مبدأ الشورى فيستشير أصحابه وينزل على الرأى الذى يبدو صوابه بصرف النظر عن صاحبه كبيرا كان أو صغيرا .

غير أن الرسول الكريم كان يلجأ أيضا إلى أسلوب القيادة الإرغامية عند الضرورة وخاصة فى أوقات الحروب وكان الخير يبدو دائما فى أعقاب ما حمل أصحابه عليه « صلوات الله عليه » .

ولعله من المناسب أن نذكر بعض المواقف التى توضح نمط القيادة العسكرية فى المدرسة الإسلامية فى مجال التطبيق فى صدر الإسلام .

فى غزوة بدر لم يصدر النبى القائد قراره بالخروج للمعركة إلا بعد أن استشار أصحابه وهو يقدر الموقف قائلا لهم : « أشيروا على أيها الناس » ، وكان هذا هو الحال أيضا فى أغلب الغزوات .

وفى نفس الغزوة أيضا اتخذ جيش المسلمين موقعا ، لكن الحباب بن المنذر أشار بالانتقال إلى موقع آخر رأى من وجهة نظره أنه أفضل من الموقع الأول

لأنه يتحكم فى البئر فنزل الرسول القائد على رأيه وانتقل الجيش إلى الموقع الذى أشار به .

وفى غزوة أحد كان الرسول يرى البقاء فى المدينة بينما رأى أكثرية أصحابه الخروج لقتال قريش خارج المدينة فنزل على رأيهم ولقد حدث فى هذه الواقعة ما يؤكد حسم الرسول القائد وحزمه فلقد أحس المسلمون أنهم قد استكرهوا النبى على الخروج على خلاف ما كان يراه فلاموا أنفسهم وأبدوا رجوعهم عن رأيهم ، وقالوا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك . لكن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما كان لنبى إذا لبس لامته ( أى الدرع والسلاح ) أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه انظروا ما آمركم به فاتبعوه والنصر لكم ما صبرتم » .

وهنا يقدم لنا الرسول القائد خير دليل على احترام المشورة وفى نفس الوقت يقدم لنا نموذجا للحسم واستخدام أسلوب القيادة الإرغامية حيث لا يسمح بالمناقشة وهذا ما يعبر عنه تصميمه على الخروج رغم رجوع المسلمين فى رأيهم وما يفهم من عبارة ، انظروا ما آمركم به فاتبعوه » .

## القيادة الإرغامية فى موضعها الصحيح

ولعل أبرز صور القيادة الإرغامية التى تعتبر ضرورة فى بعض المواقف هو ما حدث فى صلح الحديبية حيث نلاحظ أن الرسول القائد لم يستشر أصحابه فى غزوة الحديبية رغم أنه استشارهم فى كافة غزواته الأخرى .

أما سبب عدم استشارتهم فى تلك الغزوة فهو أنه كان عليه الصلاة والسلام يصر على نواياه السلمية التى تؤمن له الاستقرار الضرورى لانتشار الإسلام وكان لبعد نظره المدهش يعرف أن نتائج الصلح ستكون خيراً شاملا للدعوة ، بينما كان أصحابه يريدون النصر العاجل قبل أوانه ، وكان الرسول يقصد من التفاهم مع قريش أهدافا بعيدة جداً ليس من مصلحة الدعوة ولا من مصلحة المسلمين الإخبار عنها وقد ظهرت أهدافه فيما بعد فى تيسير نشر الدعوة الإسلامية .

فموقف كهذا لا مجال فيه لاستشارة أحد ولا تصح فيه المناقشة فهو يعد - كما في العلم العسكري الحديث - من الأهداف الاستراتيجية العليا .

ومما أثار حفيظة المسلمين صبر الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء كتابة العهد فقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب وقال له :

« اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل[1] « أمسك ، لا أعرف الرحمن الرحيم » بل اكتب باسمك اللهم » قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اكتب باسمك اللهم » ثم قال : « اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل ابن عمرو » .

قال سهيل : « أمسك . لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك » .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اكتب هذا ما صالح عليه محمد ابن عبد الله » ويبدو الإرغام كذلك بعد صلح الحديبية حين رد الرسول أبا جندل ابن سهيل بن عمرو الذى جاء المدينة مسلما إلى مكة ؛ تنفيذاً لنص من نصوص المعاهدة التى لم يجف مدادها بعد . يقضى النص بأن من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم .

« لقد جعل أبو جندل يصرخ ويقول : يا معشر المسلمين ! أأرد إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ؟ فزاد ذلك من عدم ارتياح الناس إلى الصلح . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم » .

فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى جنبه ويقول : اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب قال ويدنى قائم السيف منه . قال عمر : « وددت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه » ؟

محمد جمال الدين محفوظ

(١) ممثل قريش فى المفاوضات .

# النبي وقول الشعر

للدكتور ابراهيم أبو الخشب

ربما كان من الغريب أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم مع ما وهبه الله إياه من ذرابة اللسان، وفصاحة البيان، وقوة الحجة، وسحر المنطق، غير شاعر يجرى - كغيره - فى ميدان القصيد، بالمقطوعات الرائعة، أو المطولات السائرة، وأنه لم يتناقل الناس عنه أنه أقام وزنا لبيت دون أن يقدم كلمة عن مكانها، أو يؤخرها إلى غير موضعها، اللهم إلا ما تمثل به فى يوم أحد «أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب»، وكذلك «ما أنت إلا أصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت»، وإن كان بعض رجال الأدب لا يعترف لمثل هذا القول بكونه شعرا، لأنه رجز لا يهز وجدانا، ولا يحرك عاطفة ولا يثير شيئا من لواعج النفس، وأشجان القلب، وسواء كان الرجز من الشعر أو ليس منه، فإنه كلام كان يردده لدفع السأم، ومطاردة الهموم، وإلهاب شغفه للعمل الذى كان يشارك به أصحابه لصد هجوم العدو، وعرقلة تقدمه، إلى منازل المسلمين وجموعهم بالمدينة، حينما كانوا يحفرون الخندق الذى كان حاجزا بين جماعة الشيطان وجماعة الرحمن، ونحن نعلم أن الشاعر أول ما يتوافر له من الشاعرية تذوق الموسيقى فى البيت ليدرك به إن كان صحيح البناء، سليم التأليف، أو مكسورا لا يخضع للالتزامات العروضية، ولا يستقيم على قواعد الخليل ابن أحمد الفراهيدى التى دونها بعد أن رأى العرب لا يخرجون عنها، ولا يخالفون قانونها.. ومما كان معروفا عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يستحسن بعض الأبيات التى كانت عائشة رضى الله عنها ترددها على سمعه كلما خلت به، وكان يطلب منها أن تسمعه إياها، فيقول: أبياتك ياعائشة، حتى إذا ما فرغت من إنشادها، أخذ هو يجريها على لسانه، فإذا هى تتحول إلى نثر بسبب التقديم والتأخير، والخلل الذى أصاب الوزن،

وحدث فى التفاعيل ، وقد صح أنه جرى على لسانه البيت المشهور لطرفه بن العبد « ستبدى لك الأيام » فقرأ الشطر الأخير منه « ويأتيك من لم تزود بالأخبار » . وقلما نطق بيتا من الشعر كاملا وإنما كان ينطق بمصراع واحد مجردا عن الثانى ويقول فى بعض أحاديثه أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد « ألا كل شىء ما خلا الله باطل » ، وإن كان مع ذلك كله يهتز للشعر ، ويطرب له ، ويجيز عليه ، ويرى أن له دورا إيجابيا فى انتصار القضايا ، وتوجيه الآراء ، وخدمة المبادىء . وجمع الصفوف ، وتقوية العزائم . وإشعال الحماسة فى النفوس ... وفى قصة كعب ابن زهير معه ما يثبت ذلك كله ويؤكده إذ أنه خلع عليه بردته ـ بعد أن كان قد أهدر دمه ، وأحل قتله ... لقصيدته المسماة: « بانت سعاد » ومما لا شك فيه أنه كان ينصب المنبر فى المسجد لحسان ويقول له: قل يا حسان وروح القدس يؤيدك .

ويرى المؤرخون أنه سمع أبيات قتيلة أخت النضر بن الحارث الذى كان شديد الخصومة للإسلام والمسلمين ، والذى كان يشترى كتب الأسماء ، التى اشتهرت عن الفرس وجاء أن يشغل الأذهان عن القرآن ، ويصرف بها القلوب عن الاستماع إلى هذا الكتاب الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وهو الذى نزلت فيه الآية ـ من سورة لقمان : « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين » .

فقال لو سمعتها قبل أن يسبق عليه القضاء بالقتل لحقنت دمه ، ومننت عليه بالفداء ، وكان النضر هذا من أسرى بدر ولا بد للعقل ـ هنا ـ من أن يطيل فى النظر فى تلك الظاهرة التى كانت بادية فيه ـ صلوات الله عليه ـ والتى كان معها على تلك الحال التى جعلت لسانه لا يستقيم على قول الشعر ؛ ولا النطق به ، فى حين كان الشعر عند العرب عنوانا على الذوق السليم ، والإحساس المرهف ، والذهن المتوقد ، والفكر الناضج ، والقريحة الخلاقة ، والشعور الفياض ، والألمعية العظمى ، والإلهام المبدع ، حتى لقد كان الرجل منهم إذا لم يكن من فرسان هذا الميدان ، جديرا بأن يوصف بالإفحام ، وبلادة الطبع ، وبرود الوجدان ، وغباوة

الفكر ، وجمود التصوير ، ومرض الإحساس ، فهل يخضع الرسول الكريم لهذه المعايير كلها ، ونضفى عليه هذه الأوصاف ، ونتهمه بتلك النقائص ، لأنه كان غير شاعر ، أو أن من حقنا أن نقول إن قرض الشعر وتذوقه ، واستقامة اللسان عليه ، لم تكن من المزايا إلا فى اعتبار الجاهليين ، الذين خلت حياتهم من العلم ، وأقفرت طباعهم من الإنصاف وجحت بهم أهواؤهم عن المعرفة ، ولم يكن لهم حظ فى القراءة والكتابة ، والفلسفة والمنطق ، والتصوير والموسيقى والنحت والبناء ، والطب والهندسة ، والكشف والاختراع ، وغير ذلك كله مما يدخل فى صميم التقدم والعمران ، أو المدنية والحضارة ، ولو صادفهم شيء من ألوان تلك الثقافات والعلوم التى يقوم عليها الرقى والازدهار لكان لهم حكم آخر على الشعر ، أو نظروا إليه بعين أخرى لا تجسمه بتلك الصورة ، ولا تخلع عليه تلك الأوصاف ، وبخاصة بعد أن اشتغل به جماعة من دهماء الناس فابتذلوه وجعلوه وسيلة من وسائل استدرار العطف واستجلاب الرزق ، وأخذ العطاء وامتهان القيم والاستخفاف بالأخلاق والمعايير : «ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون» .

ومما لا ريب فيه أن الله سبحانه وتعالى نزه رسوله عن قول الشعر وجعله مما لا ينبغى له ، كما جاء ذلك فى قوله جل جلاله : «وما علمناه الشعر وما ينبغى له» وقد كان ذلك كله لأسباب كل واحد منها ، - على انفراده - جدير أن يزرى به ، وأن يسىء إلى المهمة التى بعثه الله من أجلها وأن يحيط به من الظنون والأوهام ما من حقه أن يفض الناس من حوله . أو أن يحول وجوههم عنه . .

الأول : أن الشعر يعتمد على الخيال أكثر مما يعتمد على الحقيقة ، ويقوم على الاختراع أكثر مما يقوم على المحاكاة وتجرى فيه المبالغة وتخطى الحدود ، وكل هذه مظنة للتزيد ، وعرضة للاختلاق ، ومدعاة للريب ، وهدف للطعن بالكذب والاتهام بعدم الصدق ، وقد رأينا كبار أساتذة النقد له . والحكم عليه يقولون «أعذبه أكذبه» ، وعلماء البلاغة - وعلى رأسهم الإمام عبد القاهر الجرجانى - يشيدون بهذه النظرية ، ويمدحون نهجها ويرتفعون إلى الذروة بذلك المبدء الذى تنادى به ، وتدعو إليه ، وتحض عليه .

والتسليم بأن يكون صلى الله عليه وسلم من فرسان هذا الميدان معناه أن يكون على الأقل - من أضراب - امرىء القيس وطرفة والمرقش الأكبر أو الأصغر وغيرهم ممن كان الناس يجدون فى شعرهم من قضايا الزيف والباطل ، واللهو والكذب ، والأحـــلام والأوهام ، ما يتخذون منها أسبابا للإغراق فى دنيا الأساطير الموضوعة والأخبار المصنوعة والأحاديث المكذوبة ، والإسراف فى الانصراف عن الصواب والصدق ، والبر والمعروف والطموح والجد وحينئذ يكون عرضة للاتهام بالتمويه والتدليس والاختلاق والزيف ، والبهتان والريبة وحاشاه أن يكون كذلك « وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى » .

الثانى : أنه إن جاز له أن يقول الشعر أو كان مما ينبغى له ، فهو إما أن يقول فى كل أبواب الشعر وفيها الغزل الفاحش والوصف الداعر ، والهجاء المقذع ، والتكسب المزرى ، والمدح الذى يقوم على تأليه الممدوح وتجاوز حدود الآدمية به ، أولا يقول إلا فى بعض تلك الأبواب وكلا هذين المعنيين يزرى بقدره ، وينزل بشأنه ، ويحطه عن منزلة الشعراء الأفذاذ أو الدعاة المصلحين ، وهنالك تتناوله سهام النقد الذى لا يرحم أحداً ، ولا يحابى إنسانا ، وهو مالا ينبغى لأمثاله ولا يليق بمن هو على شاكلته ، وهو الذى صنعه ربه على عينه ، وأدبه بأدبه ، واصطفاه لوحيه واختاره لأن يكون مبلغا عنه .

الثالث : أنهم كانوا يزعمون أن الشعراء يستمدون ذلك الإلهام الذى تفيض به قرائحهم ، وتجرى به أسلات أقلامهم ، أو تنطق به ألسنتهم من خواطر الشياطين الذين ينفثون فى روعهم ، ويقذفون فى قلوبهم ، وأن لكل شاعر رئيا من الجن يملى عليه فيقول ، ويوحى إليه فينطق ، ولهذه القضية عندهم أحاديث مستفيضة فى كتب الأدب ، حتى لقد كانوا يبالغون فيذكرون صاحب كل شاعر باسمه المعروف به عند قومه من الجن - كما جاء ذلك فى كتاب رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى - ونحن نربأ برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون كذلك وهو هذا الذى كان يهتف به داعيا هذا الصوت الإلهى : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين . وإنه لتذكرة للمتقين . وإنا لنعلم أن منكم

مكذبين . وإنه لحسرة على الكافرين . وإنه لحق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم » . وهو من غير شك ملتزم لا يتجاوز حدوده ، ولا يخرج عن نطاق المأمور به يتلقى عن جبريل عن رب العزة جل جلاله

الرابع : أن العرب كانوا يعلمون أن الشعر سحرا يأخذ بالألباب ، ويغطى على على البصائر ، ويتصرف فى الوجدانات ويعطى مقادة الأفئدة إلى غير العقل الرشيد والرأى السديد ، والفكر السليم والإدراك الواعى ، والمنطق الصحيح ، والعاطفة النبيلة .. والرجل فى أمثال تلك الأحوال اللاشعورية لا يفرق بين الشعر والسحر ، فإن قال فى إنسان من هؤلاء هو شاعر كذاب ، كان ذلك مرادفا لقول غيره هو ساحر بموه ، أو مختلق يجعل من الحبة قبة ..

ومن رحمة الله بالناس وبه - كذلك - صلى الله عليه وسلم أنه لم يدنسه بذلك النقص ، أو يخلع عليه هذا العيب ، فيقول القائلون من هؤلاء الملاحدة أو الزنادقة إن الذين استجابوا له إنما نزلوا على سلطان الشعر ، وخضعوا لتلك الإرادة القاهرة ، والنفوذ العاتى ، والجبروت الظالم ، والقوة الغاشمة من غير اختيار وإرادة ، وحجة ومنطق ، ووعى وإدراك ، وبصر وتدبر ، وعقل وتفكير وتأمل ونظر .. بل لقد ثبت أنهم زعموا هذا الزعم ، وقالوا حين رأوا أن بلاغة القرآن يتطامن لها الأبى ، ويستجيب لها العصى ، ويخضع الشامس ، ويذل الأرن ويهدأ الثائر : إنه سحر مبين . كما قالوا عن الداعى به شاعر نتربص به ريب المنون ، وهو من غير شك قول المتخبط وحديث المأخوذ ، ومنطق المغلوب على أمره ، حينما تعوزه أساليب الدفاع ؛ وتخونه كل أسلحته التى يحارب بها ، ثم لا يبقى له بعد ذلك كله إلا المهاترة المفضوحة ، والمناقشة الهزيلة ، والقول المريض ، والسباب المسف ، والكلام البارد ، والعواصف الهوجاء ، التى لا تثيرها إلا الأعاصير الرعناء .

أما أنا وأنت فإننا واثقون كل الثقة أن تجرد النبى صلى الله عليه وسلم من تلك الميزة كان هو فى ذاته ميزة ، وأن الرذيلة فى موضع ربما كانت فضيلة فى موضع آخر ، كما كانت أميته من دلائل المعجزة وبراهين الرسالة ، ولله فى خلقه شئون يبديها ولا يبتديها ؟

د . إبراهيم على أبو الخشب

# بيع ثمار البساتين أول ظهورها

للأستاذ محمد الشرقاوي

---

قد تدعو الحاجة وتعامل الناس إلى المبادرة فى شراء الثمار على الأشجار .. بمجرد ظهورها إلى خير الوجود ، وبدون انتظار إلى نموها .. أو اكتمال نضجها ، نرى ذلك كثيرا فى أشجار البساتين ، حين تتبدى على رءوسها ، وفى ثنايا أغصانها الثمار وهى فى طور التكوين الأول .. حيث لا تبدو معها صلاحية الانتفاع بها ، والإفادة منها ، لا فى مطعم الإنسان ، ولا فى علف الحيوان .. وحيث تكون عرضة للآفات الزراعية ، والتقلبات الجوية التى قد تأتى عليها كلا ، أو بعضا ومع هذه الاحتمالات الممكنة ، والتنبؤات المخامرة ؛ فإن الناس يقبلون على هذا اللون من التعامل ، بدون أن يسبب لهم كوارث غير متوقعة ، أو يثير بينهم منازعات من أى نوع .. وتجرى معاملاتهم على أساس من التراضى ، والتقديرات الحسابية المتوقعة التى قلما تخطىء الظن ، أو تنبو عن الواقع .

وفى شرعة الإسلام مكان لهذا النوع من التبايع ، وبيان لما ينبغى أن يحاط به من ضمانات ، وما يتميز به من تيسيرات وتسهيلات نابعة من روح الشريعة السمحة ، التى تأبى الضيق والحرج ، وتتيح للناس من رخصها ، ومخارجها ما يهيىء لهم حياة الرغد واليسر والرخاء .

وسنبدأ أولا ببيان رأى فقهاء الحنفية فى هذه المسألة نظرا لتمتعه بأكبر قسط من سعة الأفق ، وعمق الفكرة ، وقوة الدليل ، ودقة المأخذ مع ما فيه من خفة ولطف وإسماح :

يرى فقهاء الحنفية[1] : أن بيع الثمار قبل ظهورها وهى لا تزال سرا فى ضمير الغيب ، غير جائز ، لأنه بيع المعدوم وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك ضمن الحديث الذى رواه الخمسة وصححه الترمذى وابن خزيمة

(١) الهداية وفتح القدير والعناية وحاشية سعدى جلبى جـ ٥ : ١٠٢ وما بعدها .

والحاكم ونصه : « لا يحل سلف وبيع ، ولا شرطان فى بيع ، ولا ربح مالم يضمن ولا بيع ما ليس عندك » .

.. أما إذا كان الثمر قد بدا للظهور ، وخرج من حيز العدم إلى واقع الوجود . بأى صورة كانت حتى ولو لم يكن صالحا لعلف الحيوان فضلا عن منفعة الإنسان فإن للحنفية فيه رأيين أصحهما : أنه يجوز بيعه استدلالا بما يأتى :-

أولا : قوله صلى الله عليه وسلم : «من اشترى نخلا قد أبرت فثمرته للبائع إلا أن يشترط المبتاع » فقد جعله الرسول صلى الله عليه وسلم للمشترى بالشرط من غير أن يقيده بقيد ظهور الصلاح اكتفاء بظهور الوجود ، فدل هذا على جواز بيعه مطلقا ، والحديث متفق عليه .

ثانياً : احتجوا بما رواه الإمام مالك فى موطئه عن عمرة بنت عبد الرحمن رضى الله عنها قالت : « ابتاع رجل ثمرة حائط ( أى بستان ) فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فعالجه ، وقام حتى تبين له النقصان ، فسأل رب الحائط أن يضع له أو يقيله ، فحلف لا يفعل .. قالت عمرة راوية الحديث : فذهبت بالمشترى إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكرت له ذلك فقال : يأبى ألا يفعل خيراً ، فسمع بذلك رب الحائط فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : «هوله» والحديث دليل على صحة بيع الثمر قبل المعالجة بدليل تصحيح الإقالة المعبر عنها فى الحديث بقوله : «هوله» ولولا صحة البيع لما ترتبت الإقالة .. كما يدل على أنه لو حدثت توقعات سيئة فى هذه الصفقة وظهر لسبب أو لآخر أن المشترى قد تعرض للخسارة فإن من واجب البائع أن ينظر إلى ذلك بعين الرحمة والعدالة ، وأن يسوى حسابه مع المشترى إما بتنقيص الثمن ، وإما بفسخ البيع من أساسه ، ورد الثمن كله لصاحبه كما حدث فى قصة الحائط الآنفة الذكر .

ثالثاً : ما أشار إليه محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة وناشر مذهبه فى باب العشر حين قال : « ولو باع الثمار فى أول ما تطلع ، وتركها بإذن البائع حتى أدرك ( أى حتى نضجت الثمار ) فالعشر على المشترى » .. فلو لم يكن الشراء جائزاً فى أول ما تطلع الثمار على شجرها لما وجب العشر على المشترى ..

وفى هذا دليل آخر على أنه لا مانع من ترك الثمار المشتراة فى أول بزوغها على الأشجار حتى تصل إلى درجة النمـــو الكامل، والنضج التام، ويكون تركها بإذن صريح من البائع أو ضمنى بأن يؤجر الأشجار أو النخيل إلى وقت النضج : لأن حاجة النـاس إلى هذه الإجارة تقوم دليلا على صحتها وفى ذلك يقول الكمال ابن الهمام[1] : «إن الشارع أجاز الإجارة فى الأشجار ذات الأثمار للحاجة فيما فيه تعامل . . أما إجارة الأشجار المجردة من الثمار فلا تعامل فيها فلا تجوز، كما تجوز ترك الثمار على الأشجار بدون شرط ولا إذن لا صريح ولا ضمنى إذا لم يمانع البائع ويعتبر ذلك رضا ببقائها إلى وقت الإدراك، وفى هـــذا يقول صاحب الهداية(٢): «ومن باع ثمرة لم يبد صلاحها، أو قد بدا جاز البيع لأنه مال متقوم لكونه منتفعا به فى الحال أو فى المآل ؛ وهذا إذا اشتراها مطلقا أو بشرط قطعها فى الحـال ؛ ثم قال : ولو اشتراها مطلقا وتركها بإذن البائع طاب له الفضل» .

فقيد تركها على الشجر بإذن البائع ورضاه وذلك يتحقق بعدم اعتراضه على البقـاء وانعدام مطالبته بالإزالة والقطع .

رابعا : احتجوا على جواز بيع الثمار فى أول بدوها بالقياس على بيع المهر والجحش فى أول ولادتهما فإنهما فى هذه الحال لا ينتفع بهما . . ولكن بمجرد ظهورهما إلى الوجود كاف فى تجويز بيعهما بالاتفاق نظرا إلى أنهما سينتفع بهما فيما يأتى من الزمان الثانى، أى إن لم ينتفع بهما فى الحال فسينتفع بهما فى المآل وهذا الاعتبار مصحح لبيعهما بلا خلاف . . فكذلك الثمار فى مطلعها . . تكون بحال من الصغر والضآلة بحيث لا تحقق انتفاعا حاليا . . ولكن بالنظر إلى المستقبل تكون محلا للانتفاع، وهذا مبرر شرعى لصحة بيعها .

خامسا : أن مايشترطه الحنفية لتجويز هذا البيع هو عدم اشتراط بقاء الثمار على الأشجار فى صلب العقد لأن هذا الشرط مفسد للبيع ؛ لأنه شرط لا يقتضيه

---

(١) فتح القدير جـ ٥ : ١٠٢

(٢) المصدر السابق ص ١٠٢

العقد، ولأنه شغل لملك الغير.. أو لأنه صفقة فى صفقة وقد نهى عنها النبى صلى الله عليه وسلم لأنه: إما إعارة فى البيع إن لم يذكر الأجر، وإما إجارة فى البيع إن ذكر الأجر وذلك محظور.

سادسا: إن لم يأذن البائع ببقاء الثمار على الأشجار إلى أن تدرك فالحيلة فى جواز البيع باتفاق المشايخ كما قال الكمال بن الهمام: «أن يبيع الكمثرى - مثلا - أول ما تخرج مع أوراق الشجر فيجوز فيها تبعا للأوراق كأنه ورق كله، ثم يلجأ إلى تأجير الشجر إلى وقت النضج كما يأتى بيانه.

سابعا: إذا باع الثمار بحيث ينتفع بها ولو علفا للدواب فالبيع جائز باتفاق أهل المذهب إذا كان البيع بشرط قطعها فى الحال، أو مطلقا أى بدون ذكر القطع ويستأذن صاحب الشجر فى بقاء الثمر.

ثامنا: إذا باع الثمار على الأشجار واشترط فى هذه المرة بقاءها إلى وقت النضج وذكر ذلك الشرط فى صلب العقد فإن كان ذلك أول ما تظهر الثمار فالبيع فاسد.. وإن كان فى منتصف نضجها جاز البيع والشرط عند الشافعى، وإن كان بعد أن تناهى نضج الثمار جاز البيع والشرط عند محمد بن الحسن من الحنفية وعند الأئمة الثلاثة مالك، والشافعى، وأحمد، واختاره الطحاوى لعموم البلوى وفى المنتقى: ذكر أبو يوسف مع محمد الذى استحسن هذا الشرط فى صورة النضج لأن العادة جرت بترك الثمار حينئذ على الأشجار إلى وقت الجذاذ، وقد تعامل الناس بذلك، وتعامل الناس وجه للاستحسان يترك به القياس.

وقد أجاب الحنفية عن أدلة غيرهم بأنها متروكة الظاهر ومنها ما فى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه: «أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها، وعن بيع النخل حتى تزهو قيل: وما تزهو؟ قال: تحمار أو تصفار فقد ترك غير الحنفية ظاهر هذا الحديث وأجازوا بيع الثمار قبل حمرتها وصفرتها بشرط قطعها فى الحال.. وفسروا هذا الحديث بأن المراد النهى عن بيعها بشرط الاحمرار والاصفرار بدون احمرار واصفرار.. أو المراد النهى عن بيعها

سلما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : أرأيت لو أذهب الله الثمرة بم يستحل أحدكم مال أخيه » .

وبعـــد . . فقد ظهر مما تقدم :

أن بيع الثمار على رءوس الأشجار وفى خلال أغصانها فى أول ظهورها جائز عند الحنفية على أصح الروايات عندهم نظرا لأنها سينتفع به مآلا ، وإن كانت قاصرة عن الانتفاع فى الحال ، وأن الشرط المصحح لهذا البيع هو عدم اشتراط البقاء على الشجر فى صلب العقد، ويكفى إذن البائع بالبقاء صريحا أو ضمنا . . هذا فى الثمار حين بدوها ، وقد خالف فى ذلك الأئمة الثلاثة الذين يشترطون لصحة البيع ظهور النضج والحلاوة فى الثمر . . ، أما الثمار الكبيرة التى أكتمل نموها فإنه يجوز بيعها واشتراط بقائها على الشجر إلى وقت الجذاذ عند محمد بن الحنفية والأئمة الثلاثة وذكر قول أبى يوسف مع محمد فى بعض الكتب لأن الثمر حينئذ لا يزداد حجمه بل تتغير حالته ولونه وطعمه ، فإن الشمس تنضجه والقمر يلونه ، والكواكب تعطيه الطعم[1] ، فكان هذا الشرط متعاملا به ومتعارفا عليه ، فاعتبر شرطا يقتضيه العقد ، ولا يتنافى مع مقاصد البيع ، ولا مع يسر الشريعة وسعة صدرها ، ومرونة تعاليمها وصدق الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وكذا يجوز بيع ما قارب النمو عند الشافعى مع اشتراط تركه على الشجر إلى النضج ، وأن الحيلة فى جواز ذلك للخروج من خلاف الأئمة : هو فى شراء الثمار فى ضمن أوراق الشجر المحيطة بها حتى تصير تبعا للأوراق وتكون الصفقة كأنها واردة على الورق ودخل فيه الثمر بطريق التبع وحينئذ تبقى الثمار داخلة فى عقد صحيح ، أو بشراء الأصول وهى الأشجار والنخيل مع الثمر . . أو تلا فى هذا التكلف وما فيه من مشقة وحرج والاكتفاء - كما رأى الكمال بن الهمام - بتأجير الشجر والنخل إلى وقت تحقق النضج ، وحين القطاف ، وفى ذلك يقول ابن الهمام : « ويمكن أن يشترى الثمار مع أصولها فيتركها عليها ، ولا يخفى

---

(١) العناية جـ ٥ : ١٠٢

ما فى هذا من الضرر ، فإنه يستدعى شراء مالا حاجة له إليه ، أو مالا يقدر على ثمنه ، وقد لا يوافقه البائع على بيع الأشجار ، فالأول وهو إجارة الأصول إلى وقت تمام النضج أولى بالعمل ، لأن الإجارة وإن كانت باطلة بمقتضى القياس .

إلا أن الشرع أجازها للحاجة فيما فيه تعامل ، وهذا فى الأشجار التى عليها ثمارها . أما الأشجار المجردة من الثمار فلا حاجة إلى إجارتها ولهذا لا تصح فيها الإجارة »[1]

هذا كله إذا لم يأذن صاحب الشجر والنخل ببقاء الثمر فإن أذن ببقائه إلى وقت الجنى والقطاف فلا حاجة لهذه الحيل وصح البيع من أول بزوغ الثمار إلى وقت النضج والتمام ؟

محمد محمد الشرقاوى

(١) فتح القدير جـ ٥ : ١٠٣

( بقية المنشور على ص ٢١٢ )

تستعمله ومتى تستعمله دون طيش أو تهور ولكن بعد التروى والتأنى وحين لا يكون من استعماله بد ، فالطلاق مظلة أمان للأسرة لا معول هدم وتدمير كما يظن بعض الجهلاء بأسرار التشريع أو من يقفون عند ظواهره .

لقد وضع الإسلام الأسرة موضع عنايته فى جميع مراحلها وكل ما شرعه لها فالقصد منه صيانتها وحمايتها ودوامها واستقرارها وهو تشريع يستوحى الفطرة ويقدر مقتضياتها ، فكما أن الزواج للأنس والسكون والمتاع إذا استقامت الحياة الزوجية فطرة فالافتراق لتباين الأمزجة وتنافر القلوب ، واختلاف الطباع فطرة أيضا وقد جعل الإسلام لكل حالة ما يناسبها من الأحكام ، وقد سعدت الأسرة الإسلامية حين استظلت بظلال تلك الأحكام وستسعد ما استظلت بها ووقفت عند حدودها ؟

أبو الوفا المراغى

# الرّهنُ

للدكتور ابراهيم دسوقي الشهاوي

- ٢ -

## المقارنة بين رهن الحيازة والرهن التأميني

الرهن في القوانين الوضعية يتنوع إلى : رهن حيازة ، ورهن تأميني ، بخلاف الرهن في الشريعة الإسلامية فإنه نوع واحد وهو رهن الحيازة ، سواء أكان المرهون عقاراً ، أم كان منقولا ، ورهن الحيازة في القوانين الوضعية ، قريب في حقيقته ، وفي أغلب أحكامه ، وآثاره إلى رهن الحيازة في الشريعة الإسلامية ، فإنهما يتفقان في أن كلا منهما يشترط فيه قبض المرتهن للعين المرهونة ، ونقل حيازتها إليه ، لتحقيق معنى التوثق في الرهن ، فإنه لا يتحقق إلا بالقبض ، لأن العين مادامت في يد مالكها ، وتحت سلطانه يمكن أن يدعي أنه ما رهن ، أو أنه وفي الدين ، وقبض المرهون ، ويتفقان - أيضاً - في عدم جواز انتفاع المرتهن بالمرهون بدون مقابل ، وفي وجوب صيانته وحفظه للمرهون وفي استغلاله لمصلحة الراهن .

ويتخالفان في أن القوانين الوضعية أجازت للمرتهن أن يطلب أخذ فائدة من المدين الراهن بدون مقابل ، حددتها له ؛ بحيث لا يجوز له أخذ زيادة عنها ، فإن طلب أزيد مما حدد له لا يمكن منه ويكون معرضا لعقوبة التعامل بالربا الفاحش ، أما الشريعة الإسلامية فإنها لا تجيز الفائدة مهما قلت ، لأنها ربا ، والربا منهي عنه قليلا كان أو كثيراً .

أما الرهن التأميني : فلم يكن معروفا في الشريعة الإسلامية ، وقد أنشأته القوانين الوضعية وهو خاص برهن العقار ، ولا يشترط فيه قبض المرهون ونقل حيازته إلى المرتهن ، بل يظل في يد مالكه ، وله حق التصرف فيه بكل أنواع التصرفات من بيع وإجارة وعارية وغيرها ، كأنه غير مرهون ، وللمرتهن حق تتبع العقار المرهون في يد أي حائز له ، لاستيفاء حقه من ثمنه عند الأجل إذا لم يوف الراهن الدين في ميعاده ، وله

- أيضاً - حق التقدم على سائر الغرماء، وقد استعاضوا عن القبض ونقل الحيازة إلى المرتهن بالتوثيق الرسمي لجعلوه كالقبض.

فالرهن التأميني يخالف رهن الحيازة في أمرين:

الأول: عدم قبض المرهون، والاتفاق على تركه في يد الراهن وتحت سلطانه يتصرف فيه كيف يشاء بخلاف رهن الحيازة فلا بد فيه من قبض المرهون وإخراجه من حيازة الراهن إلى المرتهن، أو من ينوب عنه.

الثاني: أن الرهن التأميني خاص بالعقار فلا يصح رهن المنقول رهناً تأمينياً، لأن التوثق بالمنقول مع عدم قبضه ضعيف، لأن المدين الراهن يستطيع إخفاءه، ويدعى أنه ضاع، أو سرق أو هلك، وبذلك يصبح الدين بلا رهن، وعرضة للجحد والإنكار من المدين، أو من ورثته إن مات؛ فإنهم قد لا يعلمون بالدين، بخلاف رهن الحيازة فإنه عام في العقار والمنقول.

حكم الرهن التأميني في الشريعة الإسلامية تخريجها على قواعد الفقهاء:

عقد الرهن التأميني - كما حددته القوانين الوضعية - يشتمل على شرط فاسد، وهو الاتفاق على عدم قبض المرهون، وبقائه في حيازة المدين الراهن وتحت سلطانه.

وقد اختلف الفقهاء في العقد إذا اشتمل على شرط فاسد على قولين:

القول الأول: أن العقد إذا اشتمل على شرط فاسد فإنه يكون باطلا؛ ذهب إلى ذلك جمهور الفقهاء، بناء على قاعدتهم الأصولية: «أن النهي يقتضي الفساد» وعلى هذا يكون عقد الرهن التأميني باطلا لاشتماله على شرط منهي عنه، وهو الاتفاق على عدم قبض المرهون.

القول الثاني: أن العقد إذا اشتمل على شرط فاسد كان العقد صحيحا، ذهب إلى ذلك الحنفية وبعض الحنابلة، بناء على قاعدتهم الأصولية «أن النهي لا يقتضي الفساد»، وعلى ذلك يكون عقد الرهن التأميني صحيحا، مع اشتماله على شرط فاسد، وهو الاتفاق على عدم قبض المرهون، والله أعلم بالصواب.

هذا : والمختار هو القول بصحة عقد الرهن التأميني لأن التعامل به لا يتنافى مع ما شرع الرهن له من التوثق لحفظ مال المرتهن فإنه عقد أعطى المرتهن حق تتبع العين المرهونة فدينه متعلق بالعين ، ولا يخاف من تصرف المدين فيها بأي وجه من وجوه التصرف وانتقالها من يده إلى يد أخرى ، فالمرتهن له عند حلول أجل الدين إذا لم يوف المدين ما عليه من الدين المرهون ، أن يتتبع العين المرهونة في أي يد كانت ويبيعها ويستوفي دينه من ثمنها مقدما على سائر الغرماء . وهو يبيح للراهن أن يتصرف في المرهون بما هو مباح له قبل الرهن ، حتى ينتفع به الانتفاع الصحيح الذي ربما كان سببا من أسباب قضاء دينه ، فلا منافاة في هذا الرهن لحكمة الشارع ، ولا فرق بينه وبين رهن الحيازة في معنى التوثق ، على أن المرهون رهنا تأمينيا ليس في يد الراهن حقيقة ، بل هو في يد الحاكم الذي ينوب عن المرتهن في الحفظ كما ينوب العدل عنه ، ويد الحاكم أقوى من يد العدل ؛ فإن العدل قد يفاجأ بالموت وقد ينكر ورثته الودائع التي تحت يده ، أما يد الحاكم فلا يمكن أن يطرأ عليها الإنكار لأن شخصية الحاكم معنوية دائمة ليست محصورة في ذات معينة وإن كان يحصل في ذاتها البدل ، فالتوثيق الرسمي المقيد في سجلات الحاكم يقوم مقام القبض فلا يتصور إنكار ، الراهن ، وحق التتبع وحق التقدم فيهما الضمان الكافي لحفظ مال المرتهن .

آراء العلماء في الرهن التأميني في عصرنا وشبههم .

الرهن التأميني معاملة حدثت في القوانين الوضعية بعد رهن الحيازة ، ولم تكن على عهد فقهاء المسلمين المجتهدين لذلك تكلم فيها العلماء في عصرنا كلاما كثيرا وأوردوا شبها بعضها يؤيد جوازه وبعضها يمنعه . وذلك شأن كل مسألة لم ينص الفقهاء على حكمها كمسألة التأمين على الحياة، ولزيادة الفائدة نذكر هنا رأي فريقين من العلماء :

رأي الفريق الأول : يرى الفريق الأول أن الرهن التأميني أرقى أنواع الرهن لأن فيه إنصافا للدائن والمدين معا ، فهو يعطي للدائن ضمانا كافيا ، إذ يعطيه حقا عينيا على عقار المدين ، وهذا الحق بطبيعته ضمان كاف له فهو إذا لم يستوف حقه من المدين يبيع العقار ويستوفي حقه

من ثمنه متقدما على سائر الدائنين ، وهذا هو حق التقدم .

وله أن يتتبع العقار فى أى يد كانت حتى لو باعه المدين لشخص آخر فيأخذ الدائن العقار من ذلك الشخص ويبيعه بمقتضى حق الرهن ، وهذا هو حق التتبع فهذه هى الحقوق التى للدائن والتى تكون ضمانا كافيا لدينه .

أما المدين فإنه يعطيه حق الحيازة فيبقى المرهون عند المدين ، وهو الذى يستولى على غلته ، وكل ما يلزم به المدين هو أن يقرر هذا الحق المعنوى غير المقترن بعمل مادى ، غير أنه إذا هلك العقار فإنه يهلك على المدين لأنه هو المالك .

وبذلك يصبح التوازن تاما بين حق المدين ، وحق الدائن .

رأى الفريق الثانى : يرى الفريق الثانى أن الرهن التأمينى وسيلة لأكل أموال الناس بالباطل ، فإن البسطاء ـ وما أكثرهم ـ قد يشترون العقار المرهون جهلا منهم برهنه ، لأنهم يرونه فى يد مالكه الذى يعلمون علم اليقين أنه مالكه ، ثم بعد أن يدفعوا الثمن ، ويريدوا أخذ المبيع ، يظهر المرتهن ، ويلزم المشترى بالدين الذى لم يكن له علم به ، ويساعده القضاء على ذلك ، وغير البسطاء كثيرا ما يقعون فى حبائل المحتالين ـ أيضا ـ فإن أحدهم قد يرهن ملكه ، ويسمى نفسه باسم ، ثم يبيعه ويسمى نفسه باسم يختلف عن الأول فى اسم الجد أو اللقب ، فإذا بحث مريد الشراء فى المحاكم لم يجد العقار مرهونا بالاسم الذى يبحث عنه ، فيقدم على الشراء ، ويدفع الثمن ، ثم يظهر له المرتهن فيأخذ منه العقار الذى اشتراه .

ومنهم من يعقد مع مريد الشراء عقدا ابتدائيا ثم يبحث مريد الشراء عن العقار فيجده لا رهن عليه ، وقبل تسجيل البيع يكون البائع قد اتفق مع آخر على الرهن وتسجيله ، ثم يذهب مع مريد الشراء للتسجيل بعد تسجيل الرهن فيدفع إليه الثمن كله وهو مطمئن غاية الاطمئنان ثم يظهر المرتهن ويطالب المشترى بالدين . وما قيل فى الشراء يقال فى الرهن . فما دامت العين بيد صاحبها فقد يرهنها إنسانا بدين ، ثم يستدين من آخر ويرهنها إياه ، ويستدين من ثالث ، وهكذا ، وهو واثق بأن العين لو بيعت لا تساوى عشر الديون .

هذا كله ممكن فى الرهن التأمينى ولا شك أن هذه أضرار توجب القول بعدم إباحته أما رهن الحيازة فليس فيه شىء من ذلك .

هذه هى الشبه التى أوردها كل من المجوزين الرهن التأمينى ، والمانعين له من علماء عصرنا .

ونحن نرى أن الرهن التأمينى ليس ممنوعا بل هو مباح ، ولكنه ليس أرقى أنواع الرهن، فإن أرقى أنواع الرهن إنما هو رهن الحيازة ، لأنه عام فى العقار والمنقول ، والرهن التأمينى خاص بالعقار والسر فى هذا أن المنقول يستطيع المدين إخفاءه ، ويدعى أنه سرق أو ضاع أو هلك ، وبهذا يذهب التوثق ، بخلاف العقار فإنه لا يغلب عليه .

ولأن رهن الحيازة صالح للتوثق لدى من يعلمون الكتابة ومن يجهلونها وفى السفر والحضر بخلاف الرهن التأمينى ، فإنه ما لم يكتب ويسجل فى سجلات يسهل معرفتها لا يصلح ، لأنه من أين لنا أن هذا المنزل مثلا مرهون مع أنه بيد صاحبه ، هذا فضلا عن التكاليف التى يلزم بها الراهن لتسجيل العقد . فرهن الحيازة أقوى توثقا ، وأقل تكاليفاً ؛ لذلك نرى أنه أرقى أنواع الرهن . وأما الشبه التى أبداها المانعون للرهن التأمينى فهى شبه ضعيفة ؛ لأن الأضرار التى أشارت إليها يمكن التحفظ منها وخصوصاً فى عصرنا الذى شرعت فيه القوانين البطاقات الشخصية والعائلية ؛ فلا يتمكن الشخص من تغيير اسمه ؛ على أن مسائل البيع والشراء والرهونات وغيرها من المعاملات أصبحت فى عصرنا من البديهيات التى لا تخفى حيل الناس فيها ؛ ولو فرضنا وقوع حادثة خداعا فى بيع أو رهن ؛ فإن فى القوانين ما يرد الحق إلى صاحبه ؛ ويزجر المعتدى ؛ فلا نمنع معاملة فيها مصلحة لمجرد احتمال وقوع حادثة نادرة .

## الغـــاروقة

عرفت المـــادة ٥٥٣ مدنى أهلى ؛ الغاروقة بالتعريف الآتى :

« الغاروقة : عقد به يعطى المدين عقاره للدائن . ويكون للدائن المذكور الحق فى استغلاله لنفسه ، والانتفاع به لحين تمام وفاء الدين . وأصحاب الأطيان الخراجية هم الجائز لهم دون غيرهم عقد مشارطة الغاروقة على أطيانهم » .

والأراضي الخراجية: هي الأراضي التي كانت مملوكة الرقبة الحكومة، ولم يكن للأفراد فيها إلا حق المنفعة. ولم يكن في بادىء الأمر لحائزيها الحق في بيعها. أو التصرف فيها. فلم يكن لهم الحق في رهنها رهن حيازة. لأن هذا الرهن يؤدي إلى البيع. ولكن تسهيلا لحائزيها وحتى لا يحرموا من الاقتراض عليها أجاز لهم القانون رهنها رهن غاروقة.

وبمقتضى هذا العقد يكون الدائن الحق في وضع يده على الرهن، وأخذ غلة العقار لنفسه مقابل الفوائد، ولا يحاسب المدين عليها ويبقى الأمر كذلك حتى يستوفي دينه مهما طال الوقت، ولا يجوز بيع الأراضي المرهونة رهن غاروقة.

خصائص رهن الغاروقة :-

لرهن الغاروقة خصائص يتميز بها وأهمها أربع :-

الخاصة الأولى:- أن يكون المرهون عقاراً خراجياً.

الخاصة الثانية :- ليس للدائن المرتهن أن يطلب بيع العقار المقرر عليه الرهن. لأن المدين لا يملكه. وإنما يملك الاستغلال فقط.

الخاصة الثالثة :- لا يلزم الدائن المرتهن تقديم حساب عن غلة العقار. لأنها تكون له ولا تخصم من الدين.

الخاصة الرابعة :- يتعلق وقت دفع الدين في عقود الغاروقة على إرادة المدين لأنه لا ضرر على الدائن من الانتظار ما دام منتفعاً بالعين المرهونة.

زوال عقد الغاروقة :-

قد زال هذا العقد لزوال موضوعه. فإن جميع الأراضي الخراجية. أصبحت مملوكة الرقبة للأفراد ملكا تاما؛ إذ سوى الأمر العالي الصادر في ٣ سبتمبر ١٨٩٦ بين الأراضي الخراجية والعشورية. وتعدلت المادة «٦» مدني أهلي. ونصها بعد التعديل: « تسمى ملكا العقارات التي يكون للناس فيها حق الملك التام بما في ذلك الأراضي الخراجية ».

وبذلك أصبح عقد الغاروقة غير مستعمل لإبطال صفة موضوعه.

فإذا أنشىء عقد في صورة عقد الغاروقة وجب اعتباره رهنا خاضعاً لقواعد الرهن، وعلى ذلك لا يجوز الاتفاق على أن الدائن المرتهن لا يكون له الحق في أن يبيع العقار، إذا لم يؤد إليه الدين،

(البقية على صفحة ٢٤٠)

# مقاييس العبقرية

للأستاذ عبد الغني أحمد ناجي

دأب الناس على تسمية من يستحوذ على إعجابهم فى مجال من مجالات الإبداع بالعبقرى ، وهى كلمة موجزة ، يشعر الناطق بها براحة نفسية ؛ إذ تترجم عن كل ما يعتلج فى نفسه من معانى الدهش والإعجاب لدى رؤية ما يبهر ، وما يشبه الخوارق ، وكأن من ينطق بها يصب فيها كل انفعاله النفسى معبرا ، وناقلا إحساسه إلى الآخرين .

وإذا كان العبقرى يستأهل كل هذا الإعجاب والتقدير ، فمن هو ؟ ، وما سماته البارزة ، وشياته المميزة ؟ . إن كثيرا من الباحثين ذهبوا إلى استقصاء صفات النابغين فى أى مجال ، وجعلوها حدوداً للعبقرية ، فلقد ذهب العالم الإيطالى ( لمبروزو ) إلى القول بأن العبقرى يكون ذا صفات جسمية شاذة ، أو تخالف سائر الناس ، وضرب لذلك المثل بكون العبقرى يعمل بكلتا يديه ، أو بكون أعسر ، أو بائن الطول أو القصر ، ولكن ( لمبروزو ) لم يضع يدنا على جذور العبقرية ، وإنما كشف عن مميزات العبقرى فى نظره ، وهو فى كشفه لها يبدو متحاملا على العباقرة فى كل جيل ، إذ يجعل العبقرية صنو الجنون أو الشذوذ الاجتماعى ولم يقل بذلك أحد ، وإذا أردنا تفسيرا لما يبدو على العباقرة مما يشبه الجنون ، أو الشذوذ الاجتماعى - فهو أن العبقرى دائما يوقدة ذكائه ، وعجيب إنتاجه يحرك فى الناس الذين هم دونه بمراحل نوازع الحقد الدفين ، فيدفعهم ذلك - بشعور أو بلا شعور - إلى تلمس هفوات وهنات لهذا العبقرى الفذ ، والدليل على ذلك أن هذه الهفوات المتصيدة للعبقرى موجودة عند بعض من تلمسوها بصورة أو بأخرى ، وإلا فماذا نقول عن إنسان بائن الطول أو القصر ، أو إنسان يعمل بكلتا يديه - كما يقول ( لمبروزو ) - وليس عنده أثارة من ذكاء ، أو حظ من تفرد وامتياز ؟ ! وإذا احتجنا فى الرد على ( لمبروزو ) إلى الإحصاء والاستقصاء وجدنا فى انجلترا ( فرنسيس غالتون )

يكفينا ذلك ، فقد أثبت سنه ١٨٦٩ أن صفات العبقرية هي صفات عادية ، لا تختلف عن صفات سائر الناس إلا في مبالغة بعضها في النمو لا الانحراف. أما الفيلسوف الإنجليزي (هفلوك ألس) فقد درس أعظم أصحاب العبقرية من الإنجليز فوجد أن من بين ( ١٠٣٠ ) شخصا درسهم ( ١٣ ) فقط كانوا مختلي العقول ، و ( ١٩ ) كانوا مصابين بجنون ضعيف ، أو أصيبوا بجنون حاد ثم شفوا منه ، و ( ١٢ ) اختل شعورهم عندما تقدموا في السن ، وإذا بحثنا عن نسبة هؤلاء إلى العدد الكبير السابق وجدناها ( ٤ر٢ ٪ ) وهذه النسبة الضئيلة لا يصح أن تتخذ أساسا لما ذهب إليه (لمبروزو) من الحكم على كل العباقرة بالجنون ، والشذوذ والانحراف .

وإذا تركنا ( لمبروزو ) في رأيه الجامح ومن ردوا عليه من الفلاسفة - إلى الباحثة الأمريكية (كاترين موريس كوكس) وجدناها تخرج علينا برأى ناضج أصيل ، يشق الثلة في هذا المضمار ، إذ تبين أن العبقرية تعتمد على أساسين ، هما :

١ - قدرة ذكاء مرتفعة في مستوى غير عادى منذ الطفولة .

٢ - طاقة من التوهج الذهني الذى يضيء ضوءاً صافيا إذا استغل في موضعه .

ولشد ما نرتاح - بعد البحث - لعبارة : (كاترين كوكس ) التي تقول عن توهج ذهن العبقرى : « إذا استغل في موضعه » فهى تعبر عما نرتضيه من أن العبقرى إنسان جمع بين الذكاء الحاد ، والعمل المتفق مع ميوله الفطرية ، أو استعداده الطبيعى ، فلو بحثنا في حياة كثير من العباقرة في كل عصر ، وفي كل مجال - لوجدناهم يتمتعون بطاقة فذة من الذكاء ، وقد ساعدتهم ظروف حياتهم على مزاولة أعمال تتفق مع ميولهم الفطرية ، فأحسوا وهم يمارسون تلك الأعمال - سهلة كانت أو شاقة - بأنهم يمارسون هواية محببة ؛ أو يقومون بتسلية مرغوب فيها. ودليلنا على صحة ذلك فشل الأذكياء فيما نيط بهم من أعمال لا تناسب ميولهم الفطرية ، ويتأكد الدليل إذا سألنا أحدهم عن إحساسه نحو العمل الذى مارسه وفشل فيه - بالرغم من سهولته - إذ ستكون الإجابة في الغالب الأعم تبرما وضيقا

بهذا العمل ، لأنه مناف للميل الطبعى الذى فطر عليه هذا العبقرى الفاشل - إن صح هذا التعبير - .

ويؤازر هذا الدليل جنوح بعض الناس إلى مزاولة أعمال غير التى كلفوها فى حياتهم ، فنجد المهندس الذى ينبغ فى الأدب، والطبيب الذى يبدع فى الشعر والفقيه الذى يبرع فى اختراع آلة مثلا فهؤلاء لو وجهوا فى أول الشوط إلى الأعمال التى يتطلعون إليها لكان منهم - دون جدال - عباقرة أفذاذ ، وكأنهم - بجنوحهم إلى غير مايمارسون - ينفسون عن رغبات طبعية مركوزة فى فطرهم ، كالسيل الذى يحصر فى مجرى فيأبى إلا التدفق فى مجراه الطبعى .

وقبل أن نبعد فى الإعجاب بـ (كاترين كوكس) لنظريتها الصائبة فى العبقرية يجدر بنا - نحن المسلمين - أن نذكر أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - منذ أربعة عشر قرنا من الزمان قد دل الناس على دعامتى العبقـــرية اللتين ألمحت إليهما (كاترين كوكس) .

ويفضل النبى - صلى الله عليه وسلم - علماء العصر الحديث بأنه طبق نظريته التى ألهمها من قبل ربه - فى مجالات عدة فآتت ثمارها ناضجة جنية ، فلقد كان أبو بكر وعمر - رضى الله تعالى عنهما - عبقريين دون منازع ، وكان من بواعث عبقريتهما أن نبى الإسلام - صلى الله عليه وسلم - استكنه نفسيهما، وعرف مايصلح لكل منهما من عمل ، حتى الزمان الذى ينبغى أن يزاول فيه كل عمله .

فأشار على المسلمين بأن ينوب أبو بكر عنه فى الصلاة وهو فى مرض موته ؛ ليكون فى ذلك إشارة إلى استصواب توليه الخلافة بعد الرسول - صلى الله عليه وسلم - فكان بهذا كاشفا لميزات أبى بكر ، وواضعاً لها فى مكانها المناسب ، وزمانها المناسب ، فكانت عبقرية فى تاريخ المسلمين ، تبعتها عبقرية عمر - رضى الله تعالى عنه - الذى سلك الرسول - صلى الله عليه وسلم - معه النهج نفسه فى اكتشاف كوامن عبقريته ، ثم فى وضعها فى مكانها المناسب ، إذ كانت الدولة الإســـلامية عقب وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى حاجة إلى من يؤلف الجماعة ، ويشد على القلوب ويمنع الخطر من الداخـــل ، فكان

أبو بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - الذى سد ثغرة الردة ، فحمى الإسلام من خطر جسيم ، وكانت الدولة الإسلامية بعد موت أبى بكر فى حاجة إلى رجل يتسم بكل ما اتسم به عمر - من عدل ورحمة ، وغيرة على الدين ، وفطنة هادية ، وإيمان وثيق ، ليبسط جناحى الإسلام على أرجاء تتطلع إلى نوره ، وهدايته ، بعد الاستقرار الداخلى الذى أصله الخليفة الأول بحربه للمرتدين .

هذا فى مجال ضرب المثل ، وإحضار النموذج الشاهد على صدق النظرية ، أما إذا ذهبنا إلى ميدان الدعوة إلى تفجير ينابيع العبقرية ، لإعطاء الحياة والأحياء فإننا نجد الإسلام الحنيف فى نهجه التربوى يمدح ملكة الكياسة والفطنة : ( المؤمن كيس فطن ) ولا اعتراض عليه فى هذا بأن تلك الملكة منحة من الله تعالى ، وإذا مدحها الإسلام تقطعت نفس من حرمها حسرات - لأن الإسلام بمدحه لها إنما يهدف إلى إرشاد المسلم إلى أن يكشف ما لديه من ذكاء فطرى فيستخدمه فى حياته ، لينفع نفسه ومجتمعه ، فتعطيل تلك القوى إثم كبير لما فيه من حرمان وبوار .

ونجد القرآن الكريم فى أكثر من آية ينادى المؤمنين الحصفاء بهذا النداء : « يا أولى الألباب » ، تنويها بشأن اللب ، وهو العقل المفتوح ! والذكاء المتوهج والفكر النابض بالومضات الهادية .

وليس فى هذا التحليل جنوح إلى تعصب . ونحن فى مجال التحقيق العلمى لظاهرة العبقرية . لأن الجميع - من مسلمين وغيرهم - يكادون يجمعون على أن نتيجة العبقرية إنما هى فى الإتيان بما يبعث على الدهش والانبهار فى كل مجال من مجالات الحياة . وعلى هذا نقرر - ونحن مطمئنون أن الإسلام وهو ينشد فى المؤمن الكياسة والفطنة . واللب الحصيف - إنما يبغى أن يوجد فى دنيا البشر المائجة بالانحراف ذلك النموذج الفذ الفريد الذى يسير على الجادة السوية بالرغم مما يكتنفه من عوامل الإغراء والجذب لمباءات الرذيلة ومعاطن الفساد . فالمؤمن بهذا الكمال البشرى المنشود ، وبهذا التفرد بين الناس عبقرى من حيث صموده أمام تيارات الإغراء . وهو إن وضع أو وفق إلى عمل

فى الحياة يتفق مع ميوله الفطرية فأتى بما يستولى على الإعجاب ، ويبعث على الارتياح - كان عبقريا من حيث العمل والابتـــكار فى الحياة .

والصورة الأولى هنا ، وهى العبقرى من حيث الصمود أمام الإغراء - هى صمام الأمان للصورة الثانية : صورة العبقرى من حيث الإبداع ، والاختراع ، إذ أن كثيراً من عباقرة الصورة الثانية قد حققوا ما انبهرت به الأجيال ، ولكنهم طمسوه بغمسه فى أوحال الشر المدمر ، والفساد المروع ، ومن منا لا يذكر مخترعى « الديناميت » ، و « البارود » ، ثم مكتشفى « الذرة » ، و « النابالم » ، فهؤلاء عباقرة بمعنى أنهم أتوا بما يستحوذ على إعجاب النـاس فى مجال العلم والبحث ، أو فى مجال كشف المجهول ، ولكنهم فى حساب الإنسانية الندية ، والتاريخ المنصف غير عباقرة ؛ لأن الإعجاب بهم كالسراب يعتمد على عنصر المكر ، والخداع ، أو لأنه إعجاب مشوب بسخط الآخرين ، وعلى هذا نقرر ثانيا أن العبقرية الحقة هى ما كانت مكونة من الصورتين الاثنتين معاً ، فبامتزاجهما لدى المسلم يوجد الضمير الحى والأريحية الوريفة ثم الفكر المتوهج ، والعمل البناء ، والكشف المفيد المعطاء ، ولقد حفل التاريخ الإسلامى - على تطاول حقبه - بنماذج باهرة من هذا النمط العبقرى ، ولو ذهبنا نحصـــيها لأعيانا الحصر والاستقصاء ، وحسبنا ما ذكرناه آنفاً عن الخليفتين : أبى بكر وعمر - رضوان الله تعالى عليهما - إذ ما زال ، وسيظل اسم عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - فى فم الزمن نشيداً للعدل المنقطع النظير .

نستشف من هذه الجولة القصيرة أن العبقرية تفرد وامتياز ، فمن منحها كان كالعلم شهرة وبروزاً ، وأضحى عمله - رضى أم أبى - فذاً فريدا ، وأن التفرد والامتياز يعتمدان على ذكاء فطرى ، ومواهب طبعية تكتشف بوسيلة أو بأخرى ثم يختار لها المكان المناسب ، والمناخ الملائم ، أو البيئة المتـارقة معها .

ويحق لنا - دون تعصب أو مغالاة - أن نقرر أن الإسلام ينشد العبقرية فى أتباعه ، ويدعو إلى ارتياد منابعها فى الحياة ، أو تفجير ينابيعها لدى الفرد المسلم ؛ لمـا لها من بالغ الأثر فى إسعاد

البشر ، ولقد كان رسول الإسلام - صلى الله عليه وسلم - القدوة الحسنة فى هذا المجال ، فاكتشف مواهب رجاله ، واستبطن نفوسهم ، ووضع كلا فى مكانه المناسب ، فكان العباقرة من المسلمين الذين أضحوا نماذج حية اتسمت بالتفرد والامتياز فى كل مجالات الحياة عبر التاريخ .

وبهذا نستطيع أن نرد على المتشائمين الذين يذهبون اليوم إلى القول بأننا مقبلون على حالة عقم فى العباقرة ، فنطمئنهم إلى أنه لن يخلو عصر من العباقرة ؛ لأن الذكاء الفطرى موجود دائما ، فهو منحة الله للبشر ، وليس علينا إلا أن نضع هذا الذكاء فى مكانه المناسب ؛ ليتوهج ويضىء توهجاً وإضاءة يحدثان العبقرية المنشودة ، كما فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل الباحثة ( كاترين كوكس ) بقرون .

وبعد : فهذا رأى فى مجال العبقرية أذهب إليه ، ولا أضيق بمن يخالفه ؟

عبد الغنى أحمد ناجى

---

( بقية المنشور على ص ٢٣٤ )

لأن حق الدائن فى بيع المرهون من مستلزمات العقد فكل شرط يترتب عليه حرمانه من هذا الحق ، يجب إلغاؤه .

وكذلك يجب على الدائن المرتهن أن يحاسب المدين على ريع العقار ، وإلا يأخذ لنفسه من الغلة إلا بقدر الفوائد الجائز الاتفاق عليها قانوناً ، وما زاد يخصم من الدين ، وإلا كان من السهل الالتجاء إلى هذه الطريقة للحصول على فوائد ربوية أعلى من المقرر قانوناً .

رهن الفاروقة فى الشريعة الإسلامية :

ليس لرهن الفاروقة أصل فى الشريعة الإسلامية ، وصورته - كما بينها القانون الوضعى فى المادة ٦٥٣ مدنى أهلى - حرام بإجماع الفقهاء لما فيه من اشتراط الغلة للدائن بالغة ما بلغت وذلك من القرض الذى يجر نفعا وهو ربا منهى عنه شرعا قليلا كان أو كثيراً (١) ؟

إبراهيم دسوقى الشهاوى

---

(١) انظر الفاروقة فى كتاب التأمينات العينية والشخصية ص ( ٣٠٤ - ٣٠٩ ) ط الثالثة سنة ١٩٣٨ للدكتور محمد كامل مرسى

# ابن الذبيحين

للأستاذ معوض عوض ابراهيم

١ — ابن الذبيحين :

كان سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلوات الله عليه سر أسرار الله ، فيما أمر الله به خليله إبراهيم أن يهاجر بوليده ووحيده الرضيع مع أمه هاجر عليهم السلام إلى مكة ، وفيما أجراه الله وأمضى على إسماعيل حلاه حين أعطى أباه طاعته ، وأسلم إليه نفسه يفعل بها ما أمره مولاه ، وفدى الله الذبيح الأول ليكون أبا العرب ؛ ولصفوته منهم محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب أبي الذبيح الثاني عبد الله الذى حفظه الله ليتم به المنة الكبرى على البشرية بأسرها بميلاد مصطفاه ، بعد أن فدى عبد المطلب ابنه عبد الله فى قصة تجب بمائة من الإبل فكان رسول الله صلوات الله عليه بحق « ابن الذبيحين » .

٢ — الذبيح إسماعيل لا إسحق :

والنظرة المتأنية فى آيات سورة الصافات تؤكد أن الذبيح هو إسماعيل دون سواه نقول هذا عن اطمئنان ويقين ، فى هذه القضية التى ما كان ينبغى أن تكون مثار جدل ، ولا أمرا تختلف فيه وجوه الرأى ولكنها أدواء بعض الناس ، تفرض أن ينفسوا على غيرهم ما حباهم به مولاهم دونهم : « أم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون » ( الزخرف ٣٢ ) .

وفى كتاب « قصص الأنبياء » للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة سبعمائة وأربع وسبعين هجرية ج ١ يقول بعد أن لفت النظر إلى آيات ٩٩ — ١١٣ من سورة الصافات :

« وفى القرآن كفاية عما جرى من الأمر العظيم ، والاختبار الباهر ، وقد فدى بذبح عظيم ، وقد ورد فى الحديث أنه كان كبشا » .

وقال الإمام أحمد بسنده عن صفية بنت شيبة قالت : أخبرتني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا قالت: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان ابن طلحة، وقال مرة إنها سألت عثمان بن طلحة : لم دعاك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت ، فنسيت أن آمرك أن تخمرهما ! خمرهما ، فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي » .

قال سفيان : لم يزل قرنا الكبش معلقين في البيت حتى احترق البيت فاحترقا » .

وأورد عن ابن عباس رواية قريبة من هذه .. ثم قال :

« وهذا وحده دليل على أن الذبيح إسماعيل ، لأنه كان هو المقيم بمكة ، وإسحق لا نعلم أنه قدمها في حال صغره ؛ والله أعلم . .

« وهذا هو الظاهر من القرآن ، بل كأنه نص على أن الذبيح هو إسماعيل ، لأنه ذكر قصة الذبيح ثم قال بعده « وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين » ومن جعله أن إسحاق ؛ إنما هو إسرائيليات وكتابهم فيه تحريف ، ولا سيما ههنا قطعا لا محيد عنه ، فإن عندهم أن أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده وفي نسخة من المعربة « بكره إسحق » فلفظة إسحق ههنا مقحمة مكذوبة مفتراة ، لأنه ليس الوحيد ولا البكر إنما ذاك إسماعيل » .

« وإنما حملهم على ذلك حسد العرب ، فإسماعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسحق والد يعقوب - وهو إسرائيل - الذي ينتسبون إليه ، فأرادوا أن يجروا هذا الشرف إليهم ، فحرفوا كلام الله وزادوا فيه ، وهم قوم بهت ، ولم يقروا بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء » .

وقد ذكرت بعض التفاسير أن الذبيح إسحق وأورد ابن كثير أن بعض التابعين عزى إليهم ذلك القول ، وقال : وإنما أخذوه .. والله أعلم - من كتب الأحبار أو من صحف أهل الكتاب وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى يترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز ، ولا يفهم هذا من القرآن ، بل المفهوم ! بل المنطوق ! بل النص عند التأمل على أنه إسماعيل » .

قال ابن كثير في «القصص»: «وما أحسن ما استدل به ابن كعب القرظي على أنه إسماعيل وليس بإسحاق، من قوله «فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب». قال فكيف تقع البشارة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب، ثم يؤمر بذبح إسحق وهو صغير قبل أن يولد له»!

«هذا لا يكون لأنه يناقض البشارة المتقدمة. والله أعلم.

وذكر اعتراض السهيلي ورده وأبطله وقال: «إن الذبيح إسماعيل لا إسحق، وساق بعض الذين قالوا إن الذبيح إسحق ثم قال — وبحق — ولكن الصحيح عن ابن عباس — وعن كثير ممن ذكرهم — أن الذبيح إسماعيل عليه السلام.. قال ذلك مجاهد وسعيد والشعبي ويوسف بن مهران وعطاء وغير واحد عن ابن عباس..

وروى ابن جرير بسنده عن ابن عباس أنه قال: «المفدى إسماعيل وزعمت اليهود أنه إسحق، وكذبت اليهود».

وقال عبدالله بن الإمام أحمد عن أبيه: «هو إسماعيل».

وإلى أنه إسماعيل ذهب عمر بن عبد العزيز ومحمد بن إسحق بن يسار، وكان الحسن البصري يقول: «لا شك في هذا».

وقال محمد بن إسحق بسنده عن محمد ابن كعب أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبدالعزيز وهو خليفة؛ إذ كان معه بالشام. يعني استدلاله بقوله بعد القصة: «فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب». فقال له عمر: إن هذا الشيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما قلت، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فأسلم وحسن إسلامه! وكان يرى أنه من علمائهم، قال: فسأله عمر بن عبد العزيز: أي ابني إبراهيم أمر بذبحه!؟ فقال إسماعيل والله يا أمير المؤمنين، وإن اليهود لتعلم ذلك، ولكنهم يحسدونكم — معشر العرب — على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به؛ فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحق لأن إسحق أبوهم».

وفي ذيل ص ١٠٢ من كتاب «قصص الأنبياء» للمرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار قال: «قصة الذبيح في التوراة الإصحاح الثاني والعشرين».

ولا يهمنا منها إلا هذه الكلمات « إن الله امتحن إبراهيم . فقال له : يا إبراهيم فقال : هأنذا ، فقال الرب : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه - إسحق - واذهب به . . » إلى آخر ما قالت التوراة .

. . وقال الشيخ النجار : وفى رأيى أن مسألة الذبح كانت قبل ولادة إسحق . وأن إبراهيم أسكن إسماعيل وأمه مكان مكة قبل مسألة الذبح وأنها حصلت بنواحى مكة لا فى أرض موريا كما ورد فى التوراة » .

وتحريف أهل التوراة لتوراتهم أمر معلوم كثير الوقوع ومن شاء شيئاً من ذلك فليراجع « إظهار الحق » لرحمة الله الهندى فى صفحات ١٢٦ - ١٩٦ ج ١ .

. . ويقول الشيخ النجار فى كتابه بعد إيراد آيات سورة الصافات المذكورة قبلا والمختتمة بقوله تعالى : « وباركنا عليه وعلى إسحق » ١٣٣ « ولا شك أن الضمير فى عليه ، راجع إلى الذبيح .

فالإتيان بالبشرى بإسحق بعد ذكر القصة صريح فى أن إسحق غير الغلام الذى ابتلى الله إبراهيم بذبحه ، وعود الضمير إلى الغلام الذبيح ، وذكر إسحق معه صريحا ، يقتضى التغاير بين الذبيح وإسحق » .

ثم قال : « أما هذه القصة فى التوراة فبطلها عند اليهود : إسحق . وفى اعتقادى أن لفظ إسحق حشر حشرا فى غضون القصة ، وذلك حرصا منهم على أن يكون أبوهم هو الذبيح الذى جاد بنفسه فى طاعة ربه وهو فى حالة صغره » !!

ودليل على أن الذبيح هو إسماعيل من التوراة نفسها : أن الذبيح وصف بأنه ابن إبراهيم الوحيد - أى الذى ليس له سواه - إذ سخاوة نفس إبراهيم بولده الوحيد ، يذبحه امتثالا لأمر ربه له فى منام أدل على غاية الطاعة والامتثال لأمر الله وهذا هو الإسلام بعينه ، إذ الإسلام هو الطاعة والامتثال ، وهو دين الله فى الأولين والآخرين » .

« وإذا رجعنا إلى إسحق لم نجده وحيدا لإبراهيم فى يوم من الأيام ، لأن إسحق ولد ؛ ولإسماعيل نحو أربع عشرة سنة - كما هو صريح التوراة - وبقى إسماعيل إلى أن مات إبراهيم ، وحضر إسماعيل وفاته ودفنه » .

« وأن ذبح إسحق يناقض الوعد الذى وعدبه إبراهيم أن إسحق سيكون له نسل » .

وفى الجزء الأول من السيرة الحلبية للإمام برهان الدين الحلبى الشافعى بيان عن قالوا : الذبيح إسحق ثم قال : « وفى الهدى إسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم .

وأما القول بأنه إسحق فردود بأكثر من عشرين وجها ، ونقل عن الإمام ابن تيمية أن هذا القول متلقى عن أهل الكتاب مع أنه باطل بنص كتابهم الذى هو التوراة - وخذوا كلام الإمام ابن القيم بتفصيله حتى لا نكرر ما اقتبسه صاحب السيرة الحلبية من كلام ابن تيمية فالتلميذ أوعى وأجمع لما قال أستاذه :

عقد الإمام ابن القيم فى كتابه القيم : « إغاثة اللهفان جـ ٢ ص ٣٥١ وما بعدها ط الحلبى وتحقيق ونشر الشيخ حامد الفقى » فصلا فى بيان آراء العلماء فى تحريف التوراة التى بأيدى القوم ، هل هى مبدلة أم التبديل والتحريف وقع فى التأويل دون التنزيل » ؟!

فقال فيما يتصل بموضوعنا ، وتوسطت طائفة ثالثة ، وقالوا : قد زيد فيها - فى التوراة - وغيرت ألفاظ يسيرة ، ولكن أكثرها باق على ما أنزل عليه والتبديل فى يسير منها » .

« وممن اختار هذا القول شيخنا - ابن تيمية - فى كتابه ( الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ) قال : وهذا كما فى التوراة عندهم : أن الله تعالى قال لإبراهيم « اذبح ولدك بكرك ووحيدك إسحق » . فإسحق زيادة منهم فى لفظ التوراة .

« قلت : « ابن تيمية - وهى - الزيادة وما أريد منها - باطلة قطعا من عشرة أوجه :

الأول : أن بكره ووحيده هو إسماعيل باتفاق الملل الثلاث ، فالجمع بين كونه مأمورا بذبح بكره وتعيينه بإسحق جمع بين النقيضين .

الثانى : أن الله تعالى أمر إبراهيم أن ينقل هاجر وابنها إسماعيل عن سارة ويسكنها فى تربة مكة ، لئلا تغير سارة فأمر بإبعاد السرية - هاجر - وولدها عنها حفظا لقلبها ، ودفعا لأذى الغيرة عنها ، فكيف يأمر الله سبحانه وتعالى بعد هذا بذبح ابن سارة ، وإبقاء ابن السرية ؟ فهذا مما لا تقتضيه الحكمة !! .

الثالث : أن قصة الذبح كانت بمكة قطعا ولهذا جعل الله تعالى ذبح الهدايا والقرابين بمكة ، تذكيرا للأمة بما كان من قصة أبيهم إبراهيم مع ولده .

الرابع : أن الله سبحانه بشر سارة أم إسحق : هود : ٧١ ) بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب، فبشرها بهما جميعا فكيف يأمر بعد ذلك بذبح إسحق ، وقد بشر أبويه بولد ولدهما ؟! .

الخامس : أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر - قصة الذبيح وتسليمه نفسه لله تعالى ، وإقدام إبراهيم على ذبحه وفرغ من قصته ، قال بعدها : الصافات : ١١٢ « وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين » ، فشكر الله له استسلامه لأمره ، وبذل ولده له ، وجعل من إثابته على ذلك ؛ أن آتاه إسحق ، فنجى إسماعيل من الذبح ، وزاده عليه إسحق .

السادس : أن إبراهيم - صلوات الله وسلامه عليه - سأل ربه الولد ، فأجاب الله دعاءه ، وبشره ، فلما بلغ معه السعى أمره بذبحه « وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين رب هب لى من الصالحين. فبشرناه بغلام حليم » الصافات : ٩٩ - ١٠١ .

فهذا دليل على أن هذا الولد إنما بشر به بعد دعائه وسؤاله ربه أن يهب له ولدا وهذا المبشر به هو المأمور بذبحه قطعا بنص القرآن . .

وأما إسحق فإنه بشر به من غير دعوة منه ، بل على كبر السن ، وكون مثله لا يولد له ، وإنما كانت البشارة به لامرأته سارة ، ولهذا تعجبت من حصول الولد منها ومنه .

قال تعالى : « ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط . وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب . قالت ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشيء عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله » هود : ٦٩ : ٧٣ ، فتأمل سياق هذه البشارة وتلك تجدهما بشارتين متفاوتتين مخرج أحدهما غير مخرج الأخرى . .

والبشارة الأولى : كانت له ، والثانية : كانت لها .

والبشارة الأولى هى التى أمر بمن بشر به فيها دون الثانية .

السابع : أن إبراهيم عليه السلام لم يقدم بإسحق إلى مكة البتة ، ولم يفرق بينه وبين أمه ، وكيف يأمره الله تعالى أن يذهب بابن امرأته ، فيذبحه بموضع ضرتها فى بلدها ، ويذبح ابن ضرتها ؟ !

الثامن : أن الله تعالى لما اتخذ إبراهيم خليلا ، والخلة تتضمن أن يكون قلبه متعلقاً بربه ، ليس فيه شعبة لغيره ، فلما سأله الولد ، وهبه إسماعيل ، فتعلق به شعبة من قلبه ، فأراد خليله سبحانه أن تكون تلك الشعبة له ليست لغيره من الخلق ، فامتحنه بذبح ولده ، فلما أقدم على الامتثال ، خلصت له تلك الخلة ، وتمحضت لله وحده ، فنسخ الأمر بالذبح لحصول المقصود وهو العزم ، وتوطين النفس على الامتثال .

ومن المعلوم أن هذا إنما يكون فى أول الأولاد ، لا فى آخرها ، فلما حصل هذا المقصود من الولد الأول ، لم يحتج فى الولد الآخر إلى مثله ، فإنه لو زاحمت محبة الولد الآخر الخلة لأمر بذبحه ، كما أمر بذبح الأول ، فلو كان المأمور بذبحه هو الولد الآخر لكان قد أقره فى الأول على مزاحمة الخلة به مدة طويلة ، ثم أمره بما يزيل المزاحم بعد ذلك ، وهذا خلاف مقتضى الحكمة ، فتأمله .

التاسع : أن إبراهيم عليه السلام إنما رزق إسحق عليه السلام على الكبر ، وإسماعيل عليه السلام رزقه فى عنفوانه وقوته . والعادة أن القلب أعلق بأول الأولاد وهو إليه أميل ، وله أحب ، بخلاف من يرزقه على الكبر ، ومحل الولد بعد الكبر كمحل الشهوة المرأة .

العاشر : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يفتخر بقوله : « أنا ابن الذبيحين » يعنى أباه عبد الله وجده إسماعيل .

الذبيح الثانى :

إن علماء السير ليقررون أن العرب فى جاهليتهم كانوا لا يجلون الرجل ، ولا ينزلونه من تقدوهم أكرم منزل حتى يكون أبا لعشرة بنين . ولقد كان لبنى عبد مناف من الشرف ما ذهب بأوفر حظوظه شيبة بن هاشم الذى غلب عليه فيما بعد اسم « عبد المطلب » ولزمه ذلك اللقب منذ عاد به إلى مكة عمه المطلب ابن عبد مناف ، يردفه خلفه من المدينة

حيث كان يعيش شيبة مع أمه « سلمى بنت عمرو » التي بقيت في قومها بني النجار بعد أن مات زوجها في إحدى رحلات قريش التجارية بين مكة وبين الشام ودفن في غزة - أنهى الله غيبتها ورد غربتها -

قال الإمام ابن جرير في كتابه « تاريخ الرسل والملوك » ج٢ ص ٢٥١ » :

« وكان إلى عبد المطلب بعد مهلك عمه المطلب بن عبد مناف ما كان إلى من قبله من بني عبد مناف من أمر السقاية والرفادة، وشرف في قومه، وعظم فيهم خطره فلم يكن يعدل به منهم أحد وهو الذي كشف عن زمزم؛ بئر إسماعيل ابن إبراهيم واستخرج الذهب الذي كانت جرهم قد دفنته فيها حين أخرجت من مكة وما كان مع الذهب من أسياف قلعية وأدراع، فجعل الأسياف بابا للكعبة، وضرب في الباب الذهب صفائح، فكان أول ذهب حليته الكعبة - فيما قيل - !!

ويقول ابن هشام في كتابه « سيرة النبي صلى الله عليه وسلم » ج ١ :

« قال ابن إسحق : وكان عبد المطلب ابن هاشم، فيما يزعمون والله أعلم، قد نذر حين لقى من قريش ما لقى عند حفر زمزم، لئن ولد عشرة نفر، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه، لينحرن أحدهم لله عند الكعبة، فلما توافى بنوه عشرة [1]. وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع؟ فقال ليأخذ كل رجل منكم قدحا - القدح : السهم قبل أن يراش ويركب نصله - ثم يكتب فيه اسمه، ثم ائتوني، ففعلوا ثم أتوه، فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة ».

(١) قال صاحب السيرة الحلبية : واستشكل كون أولاد عبد المطلب كانوا عشرة عند إرادة الذبح بأن حمزة ثم العباس إنما ولدا بعد ذلك، وإنما كانوا عشرة بهما وغير ذلك يشكل قول بعضهم : فلما تكامل بنوه عشرة وهم : الحرث والزبير وجحيل وضرار والمقوم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله هذا كلامه، وأجيب عن الأول بأنه يجوز أن يكون له عند إرادة الذبح ولداً ولد . . فقد ذكر أن لولده الحرث ولدين هما : أبو سفيان ونوفل، وولد الولد يقال له ولد حقيقة . . . وذكر بعضهم أن أعمامه صلى الله عليه وسلم كانوا اثنى عشر أو ثلاثة عشر، وأن عبد الله كان ثالث عشرهم . . وعليه فلا إشكال.

يقول ابن هشام «فقال عبد المطلب لصاحب القداح : اضرب على بنى هؤلاء بقداحهم هذه ، وأخبرهم بنذره الذى نذره، فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذى فيه اسمه ، وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغر بنى أبيه(١) ، كان هو والزبير وأبو طالب - وهو عبد مناف - أخوة لأم واحدة ، هى فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران المخزومية» .

قال ابن إسحق : وكان عبد الله - فيما يزعمون - أحب ولد عبد المطلب إليه ، وكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى(٢)، وهو أبو رسول الله صلوات الله عليه ، فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها ، قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله(١) ، ثم ضرب صاحب القداح ؛ فخرج القدح على عبد الله ، فأخذه عبد المطلب بيده، وأخذ الشفرة(٢) ثم أتى به إلى أساف ونائلة - قال الإمام محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه وهما وثنا قريش اللذان تنحر عندهما ذبائحهما - ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه .

فقالت له قريش وبنوه : والله لا تذبحه حتى تعذر فيه - أى لا تجد سبيلا إلى افتدائه ولا تكون ملوما فى إمضاء ما اعتزمت فيه - لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتى بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟ .

---

(١) قال صاحب السيرة الحلبية : ولا يشكل كون حمزة ثم العباس أصغر من عبد الله على ما تقدم من أن عبد الله كان أصغر بنى أبيه وقت الذبح لأنه يجوز أن يكون أصغرهم حين أراد ذبحه لا بقيد كونهم عشرة أو بذلك التصيير ولا ينافيه كونه ثالث عشرهم لأن المراد به واحد من الثلاثة عشر .

(٢) أشــوى : أبقى وترك ما يحب عبد المطلب ، يقال : أشويت من الطعام : إذا تركت منه .

(١) عبد المطلب هنا وفيما مضى من تلبية الدعوة لحفر زمزم ، ومن حرصه على الوفاء بنذره ، ومن فزعه إلى الله فى كل مرة يقرع فيها بين عبد الله وبين فدائه ، كان إيمانه بالله وصدق مرضاته لربه ، من أبرز ما يبدو من مشاهد تقاه وإيثاره لطاعة الله والامتثال لأمره كائنة ما كانت التضحية .

(٢) الشفرة : السكين العريض .

وقال له المغيرة بن عبد الله من بنى مخزوم ـ وكان عبد الله بن أخت القوم ـ والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه . وقالت له قريش وبنوه : لا تفعل وانطلق به إلى الحجاز ، فإن به عرافة لها تابع ـ قرين من الجن ـ فسلها . وأنت على رأس أمرك إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج فعلته . فانطلقوا حتى جاءوها فسألوها . وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه وما أراد به ونذره فيه . فقالت لهم : ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله ، فرجعوا من عندها . فلما خرجوا عنها . قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها . فقالت لهم : قد جاءنى الخبر كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل ـ وكانت كذلك ـ قالت : فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم ، وقربوا عشرا من الإبل . ثم اضربوا عليه وعليها القداح فإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضى ربكم . ونجا صاحبكم . فخرجوا حتى قدموا مكة . فلما أجمعوا على ذلك من الأمر . قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشرا من الإبل . وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو الله عز وجل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا فعشرا حتى بلغت مائة من الإبل ثم قام عبد المطلب يدعو ، ثم ضربوا فخرج القدح بالإبل . فقالت قريش ومن حضر . قد انتهى رضى ربكم يا عبد المطلب فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضرب عليها ثلاثا . ورضوا . وفعل ما اعتزم . وكان القدح فى كل مرة يخرج بالإبل . فنحرت ثم تركت ، لا يصد عنها إنسان ولا سبع ! !

.. وفرحت قريش كلها ، كما لم تفرح قط ، وفاضت غبطتها من القلوب ، وانطلقت بها الأسارير ، ولم يبق رجل ولا امرأة فى هذا الحى من الناس إلا والحدث الكبير يغلف كلامهم ، ويأخذ من تفكيرهم مأخذه .

### ٥ ـ كيف نذر هذا النذر ؟

ولم يكن مأنوساً فى تاريخ الإنسان كذلك مثل نذر عبد المطلب ، لكن الرجل الذى ووجه من قومه فى حفر زمزم بما ووجه ، ورأى عظمة إنعام الله عليه بعشرة من بنيه تضيف إلى شرف

حسبه ونسبه وحاضره شرفاً آخر، أراد بنذره ذلك أن يعظم الشكر لله ، وذلك لا يكون إلا على الصورة التي يقدم فيها أحد بنيه لله .

ولعله صنيع إلهي للفت الأنظار إلى عبد الله أب النبي الذي لن تحيط بأقطار هدايته ونعمة الله به البصائر والأبصار جميعا .

.. وغدا عبد الله مطمح أنظار ؛ ومهوى أفئدة ؛ أكثر مما كان منذ جمع الله عليه المشاعر طوال هذا الغدو والرواح لضرب القداح بينه وبين الإبل . حتى الفداء ، وكانت هذه الأحاسيس إعداداً لاجتلاء فجر التوحيـــد ، ولم يلبث عبد المطلب غير قليل حتى اختار لابنه الذبيح المفدى زوجاً هي آمنة بنت وهب سيد بني زهرة نسباً وموضعاً ،وأودعها عبد الله النور الإلهي الذي كان يأتلق في جبينه ، ولقـــد صانه الله وهو يعصم عبد الله من كثيرات تعرضن له ، وحاولن كل واحدة أن يخلص إليها عبد الله شغفاً بجماله وحرصاً على أن يكون لكل منهن من عبد الله ذلك الذي تتجاوب جوانب مكة بأصدائه من أمر النبي الذي توالت به البشريات، وتعددت الإرهاصات .

وجاء محمد صلوات الله عليه من عبد الله وآمنة كما قال . ولدت من نكاح ولم أولد من سفاح » .

ويقول : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من إسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار » ورحم الله شوقي إذ يقول :

فأسدت البرية بنت وهب يدا بيضاء طوقت الرقابا
لقد ولدته وهاجا منـــيرا كما تـــلد السموات الشهابا

وصلوات الله وسلامه على ابن الذبيحين ؟

معوض عوض إبراهيم

# العرب والمسرح

للأستاذ محمد كمال الدين

## – ٩ –

تعتبر « القصة » أو « الحدوتة » أهم عناصر المسرح ، فما لم يكن هناك شيء يقال ، لم يكن مسرح ولا مسرحية ، والقصة هي القالب الذى اصطلح عليه النقاد لوجود فن مسرحي ، ولا بد لهذه القصة من عناصر فنية تجعل منها أحداثا تجرى على خشبة المسرح ، لها بداية ووسط وذروة ونهاية وفيها صراع بين طرفين أو أكثر يجعل منها كيانا مرئيا أو مقروءا أو مسموعا يمكن فهمه والخروج منه بمعنى أو مغزى أو عظة أو عبرة ، يجعل المشاهد يتجاوب معها ويتأثر بها سلبا أو إيجابا ، نفورا أو إعجابا .

ومن أهم عناصر المسرحية أيضا نذكر : عنصر المكان الذى تجرى فيه أحداث القصة ، والذى نراه أمامنا كشاهدين ، وهو ما نصطلح على تسميته بخشبة المسرح بحيث يكون الشاهدون أمامها أو حولها يرون ما يجرى عليها من أحداث ، ويتتبعون من خلالها تسلسل القصة من بدايتها إلى نهايتها ، وقد يحمل هذا المكان من معالم القصة وأوصافها ما يجعله مطابقا للأحداث والوقائع التى يشاهدها ، وهذا ما يعرف بالديكور والإضاءة والاكسوار والملابس التى يرتديها الممثلون وتدل على الزمان والمكان والعصر .

كذلك من أبرز عناصر المسرحية : الممثل الذى ينقل بتعبيرات وجهه ، وحركات جسمه ، وتكوينات صوته ما تتضمنه القصة من معانى مختلفة وعبارات تتعدد لهجاتها بحسب المواقف الدرامية والمناسبات الواقعية من خلال الأحداث .

ولقد عرف المسرح منذ نشأته هذه العناصر الثلاثة الأساسية فى فن الدراما عرفه المصريون القدماء ، والهنود ، والصينيون ، واليونانيون القدماء ومن تلاهم من أمم ، وتطور كل عنصر منها على مر العصور والأزمان حتى اتخذ

الشكل الحديث المتعارف عليه ولا شك أنها بدأت بشكل بدائى يكاد يختلف عن الشكل الحالى من كل الوجوه ، فالقصة مثلا بدأت « حدوتة » بسيطة ، ثم إلى أسطورة ، ثم إلى قصة واقعية ، ثم إلى قصة رمزية أو رومانسية بحسب المذاهب المختلفة التى عرفناها فى تاريخ الأدب ، وبدأ المكان بالشارع أو البيت أو بمكان الاحتفال كالسوق أو على عربة جوالة قبل أن يستقر فى المكان المعروف الثابت كمسرح مستقل له مؤسساته ونظمه ولوائحه. أما الممثل فقد بدأ به المسرح فردا واحدا يحكى ما يريده أمام جمهـــور بسيط ، وبشكل بدائى ساذج ، ولا يهتم بما يقتضيه الحال من ملبس أو نبرات صوت أو لهجة إلقاء أو انفعال وجه ، أو حركة جسم ، هكذا بدأ المسرح قصة ومكانا وتمثيلا ، بداية اختلطت فيها المقاييس الدرامية ، ولا نكاد نميز فيها شيئا من الفن ، ولكنها كانت أساسا لا بد منه حتى يتطور المسرح إلى الشكل الحالى ، بل الأشكال المتعددة التى نراه عليها فى وقتنا الحاضر ، وهذه البداية شهدتها كل شعوب الأرض دون جدال فإذا عرفنا أن التمثيل شىء غريزى فينا ، لأنه يقوم على التقليد والمحاكاة ، عرفنا أن الانسان - أى إنسان فى أى مكان وزمان - يمثل بطبعه ، فهو يحاكى أباه ، أو أحد أقربائه فى حركة يقوم بها أو صوت يتلفظ به ، متقمصا ما استطاع تلك الشخصية ، ولنا فى ألعابنا صغارا وشبانا مثل آخر ، فكم قام كل منا بدور فى تمثيل « العسكر والحرامية » فى الشارع وكم اشتبكنا كالجيوش فى قتال مصطنع ، فالإنسان يولد ممثلا ، وهو غير مكره على التمثيل ، ولا التمثيل مطلوب منه ، ولا هو فى حاجة إليه طلبا للرزق ، ثم هو يمثل دون أن يعلمه أحد كيف يمثل ، ولا كيف يصنع عالمه التمثيلى ، وإنما جاء التمثيل بعد ذلك وفق مبادىء وأسس فنية قامت على غريزة التقليد والمحاكاة ، فهو يأخذ من أصل غريزى ليقننه ، كما تأخذ مذاهب الأدب من الأدب ذاته فى تطوره ، وهنا نتذكر عبارة شكسبير فى مسرحية « كما تحب » : « ما هذه الدنيا كلها إلا مسرح ، وما الخلق كلهم من رجال ونساء إلا ممثلون ، تارة يظهرون على المسرح وتارة يخرجون ، وقد يلعب الواحد منهم ، فى لحظاته المحدودة أدوارا عديدة ».

فإذا كانت مصر واليونان والهند عرفت هذه العناصر من بدايتها إلى أشكالها المتطورة عندها ، فقد عرفها العرب أيضاً منذ قديم الزمان ، عرفوها قصة ومكانا وتمثيلا ، ولا يكاد أحد ينافسهم فيما صاغوا من قوالب للتعبير عن القص والإشعار به ، فهم أول من قالوا من غابر الدهر[1] ، قال الراوى ، ويحكى أن ، وزعموا أن ، وكان ياما كان ، إلى آخر تلك الفواتح التي يمهد بها القصاص العربى فى مختلف العصور لما يسرد من أقاصيص ؛ والأمة العربية أمة قصصية بالطبع ؛ وقصصها ذات صبغة خاصة بالعرب وإطار مرسوم لها ؛ فهى تصور نفسية المجتمع العربى وخلاله ، وتمتاز بدقة الوصف والتصوير والحوار وفصاحة البيان ؛ والقدرة على استنباط الحقائق واكتناه الأسرار ؛ وروح الفكاهة والمرح ؛ وتصوير الحياة والنفوس وطباعها ؛ والكشف عن العقائد والعقليات . .

وقد عرف العرب القصة منذ جاهليتهم ؛ وكانت تدور حول الوقائع الحربية التى وقعت بين القبائل كيوم داحس والغبراء ؛ ويوم الفجار ؛ ويوم الكلاب أو يوم ذى قار ؛ وكانت هذه القصص موضوعهم الأثير فى سمرهم ؛ وانتقلت معهم أيام إسلامهم ؛ ونجد فى تراث العرب المقروء كتبا كثيرة أشارت إلى عديد من القصص العربى القديم : مثل كتاب العقد الفريد وأمثال الميدانى ؛ وقيد الأوابد البنجديهى ؛ وكتاب العالم الذى بدأه صاحبه أحمد بن أبان ؛ ومقامات بديع الزمان الهمذانى والحريرى ؛ ورسالة الغفران للمعرى . ورسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسى . ومحاكمة الجن للإنسان لإخوان الصفا . وجمهرة الأمثال للعسكرى . والمستقصى للزمخشرى والفاخر للمفضل بن نهمة . ومن نماذج هذه القصص العربية نذكر قصة المنخل اليشكرى والمتجردة زوج النعمان . وقصة شريك مع المنذر . وقصة رجل بنى ضبة ، ومن القصص الفارسى الذى عرفوه ونقلوه ورووه قصة النضر بن الحارث فى سيرة ابن هشام وأحاديث رستم

(١) تاريخ القصة فى الأدب العربى ، بحث لمحمود تيمور - مجلة المجلة - العدد الخامس مايو ١٩٥٧ .

واسفنديار . وغـيرها(١) .

وأوشكت القصة فى صدر الإسلام أن تصبح عملا رسمياً : وأول من قص فى مسجد الرسول هو تميم الدارى فى خلافة عثمان ، وكان نصرانيا من اليمن أسلم فى سنة تسع من الهجرة وقد ذكر النبى ﷺ قصة الجساسة والدجال (أسد الغابة ج١ ص٢١٥)

وصورة هذه القصص أن يجلس القاص فى المسجد وحوله الناس فيذكرهم بالله ويقص عليهم حكايات وأحاديث وقصصا عن الأمم الأخرى، معتمداً على الترغيب والترهيب(٢)، ويقول الليث بن سعد فى خطط المقريزى (ج٢ص٢٥٣): إن القصص التى عرفها العرب نوعان : قصص للعامة ، وقصص للخاصة ، فأما قصص العامة : فهو الذى يجتمع إليه النفر من الناس يعظهم ويذكرهم ، وأما قصص الخاصة : فهو الذى جعله معاوية أمراً معترفا به ، إذ ولى رجلا على القصص .

ثم ارتفع شأن القصص حتى رأيناه عملا رسميا يعهد به إلى رجال رسميين يعطون عليه أجرا ، ويذكر الكندى فى كتابه ( القضاة ) أن كثيرا من القضاة كانوا يمينون قصاصا أيضا ، وكان أول من قص بمصر هو سليمان بن عتر التجيبى سنة ٣٨هـ ، وجمع له القضاء إلى القصص ثم عزل عن القضاء وأفرد بالقصص ، وعن هذا الطريق دخلت إلى العربية قصص كثيرة من قصص الأمم الأخرى وأساطيرها

ولا شك أن القاص كان يجلس وحوله مستمعون ومحاورون : يتجاوبون معه ويتبادلون معه الحوار ، فهو هنا ممثل فرد يحكى بلسانه وتعبيرات وجهه ، وهو يمثل القصة بأبطالها ، أو بمعنى آخر يمثل وحده كل الأدوار ، ويتقمص فى كل دور شخصيته ، فيعطيه ملامحه بالصوت والتعبير والحركة ، تتغير ملامحه بتغير المواقف ، أما المسرح فكان هو ذلك الشكل البدائى لخشبة المسرح ، رواق المسجد، أو عتبة الدار ، أو إفريز الشارع أو مكان التجمهر ، وأما المشاهدون فهم الجمهور الذى يتجمع أمامه وحـوله يتجاوبون معه ، يعجبون ويطربون بما يقص عليهم ، وقد يحدث بينهم وبينه حوار نجد صورة له فى المسرح المرتجل، ومسرح ديللارتى فى إيطاليا فى عصر النهضة ؟

محمد كمال الدين

---

(١) فجر الإسلام : أحمد أمين، الجزء الأول ـ الطبعة العاشرة ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥ ص ٦٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥٨/١٥٩ - ١٦١

# دعوة الحق *

للدكتور احمد عمر هاشم

---

حين أقبلت يا ربيع المكرم أقبلت ذكرياتنا تتبسم...
تهادى وأفقهـا يتهادى والأمانى أوشكت تتكلم...
وحديث الإيمان رف مع الرو ح.. فأضحى وجودنا يترنم..
أى فجر أطل بعد ظلام ؟ أى هدى أهل بعد تجهم ؟
إيه ياهـذه الحياة أما تد رين سرا سرى فطاف وحوم
بشر الكون أن فجر انتصار جاء يردى ليلا على الأفق أظلم
لبصوغ الحياة وفـق ضياء يمنح الكون عيلما بعد عيلم...
تلك ذكرى فقف بنا هل رأيتم مثل أيامها أجـل وأكرم
تلك ذكرى ميلاد خير البرايا فعليه صلى الإله وسلم

• • •

يارعاك الإله يادعـوة الحـ ـق.. حماك رب السماء وأكرم
قد ترعرعت بين أحشاء قوم قد نما غرسهم بدار ابن أرقم
كم غدت فى الحياة قلعة نور ورفاق الهدى بدور وأنجم

• • •

يا أخى فى النضال لاتأس يوما لا تخف لا تهب، ولا تتألم
عاهد الله خـذ يمينك منه وبنـير الإيمان لا تتقدم
وأحم دين الإله فهـو سلاح وسـلاح الإله لا يتثلم
إن يثوروا أو ينهبوا أو يجوروا فالعليم الحكيم أعلى وأحكم

أو يغيروا على القناة افتراء فستغدو لهم جحيما وعلقم
أو أتوا بالسلاح من أرض سوء فسلاح الإيمان بالحق أقوم
أو أتونا براً وبحراً وجواً فالإله القهار أقوى وأعظم

* * *

أمتى أمتى على العزة عيشى وإلا فالموت للحر أكرم
ليس هذا الشهيد فى الحق ميتاً فهو حى فى الخلد يعطى ويكرم
هجرة المصطفى ضياء مبين علمتنا الفداء ما لم نعلم
علمتنا أن الحياة كفاح ليس للحر أن يخور ويسأم
وأرتنا أن السماء تحوط المؤمن الحق ، بانتصار محتم

* * *

إيه يا مولد الحبيب المرجى يوماً ما غانماً يتجسم
يتمطى الأعصار فيه عنيداً والهوى فى حياته قد تحكم
أنت أيقظت أمة من ثبات فمضت فى رشادها تترسم
وإذا الفجر طالع بسناه وإذا معقل الظلام تحطم
فابعث اليوم نفحة لجراح قد تنزت فنفحة منك بلسم
سيدى المصطفى وهذا نداء ضارع الشجو بالمهيمن أقسم
بدعاء من « الخليل » أبينا وببشرى المسيح عيسى ابن مريم
فورب السماء والأرض إنا إن نسر فى طريقك الرحب نسلم
هكذا يومك الحبيب ينادينا . . وبشراه للورى تتكلم

د . أحمد عمر هاشم

# العربية لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ علي عبد العظيم

— ١٥ —

## لغة القرآن الكريم

لقد هيأ الله اللغة العربية لتحمل كتابه الكريم إلى أرجاء العالم، فما سرت فيها أشعته الروحية حتى أينعت وازدهرت وأنبتت من كل زوج بهيج، واستطاعت بفضله أن تحلق فى آفاق السماوات، وأن تمد آثارها فى الزمان والمكان امتداداً لم تبلغه لغة من اللغات، فأصبحت لغة دنيا ودين، وعلم وعمل، وواقعية ومثالية، وعقيدة وشريعة، وبهذا جمعت بين الأرض والسماء، وبين الدنيا والآخرة، وبين المادية والروحية، مما كفل لها البقاء ومنحها الخلود، وهذا كله بفضل الذكر الحكيم: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون».

والقرآن الكريم هو هدية الله الكبرى إلى العالمين، لأنه كلام الله الخالق ومعجزته الكبرى، ولأنه جوهر جميع الديانات السماوية ولأنه ظل - وسيظل - سامياً عن التحريف والتصحيف: «لا تبديل لكلمات الله ذلك الدين القيم». ونحن نعلم أن جميع ما أبدعه الله تعالى من الكائنات هو كلماته الكونية التى لا تنفد «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً»؛ فإنه سبحانه لاحدود لقدرته ولا قيود على مشيئته: «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون». وهو عز وجل يحيى ويميت، ويعز ويذل، ويرفع ويخفض، ويولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل: «يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شان». وبهذا لا تنفد كلماته ولا تنقضى آياته: «ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله».

وإذا كان الكون هو كلمات الله المجلوة فإن القرآن الكريم هو كلمات الله المتلوة ، وهو نوره المبين : « فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلناه » . وهو روح من أمر الخلاق العظيم : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » . وهو كما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم : « كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل . . . وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه . . . » من حديث رواه الترمذى .

وقد وصف الله سبحانه آثاره الكونية بالآيات والبينات قال تعالى : « وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » . وقال تعالى : « سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة » وقال جل شأنه فى وصف بيت الله الحرام : « فيه آيات بينات » . وقال تعالى : « وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه » وقال جل شأنه : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » . وقال عز من قائل : « إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين » .

كما وصف الله كلماته المتلوة بالآيات البينات قال تعالى : « ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون » وقال سبحانه : « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين » .

وآيات الله الكونية معجزات خالدات فوق مقدرة الإنس والجن على السواء قال تعالى : « أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون . . . أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . أفرأيتم الماء الذى تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . أفرأيتم النار التى تورون . أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون » . وقال تعالى : « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض

فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران . فبأى آلاء ربكما تكذبان » .

وآيات الله المنزلة معجزات خالدات فوق طاقة الجن والإنس على السواء ، قال تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » . وقال تعالى : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » .

فالكون كلمات الله المعجزات وآياته البينات ، والقرآن الكريم كلمات الله المعجزات وآياته البينات ، وقد أمرنا الله بالتدبر فى كل منهما لأنهما الطريق الموصل إلى إدراك عظمة الله وقدرته وحكمته سواء عن طريق العقول للفكرة أو عن طريق الأنبياء المرسلين ، قال تعالى : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً . كذلك الخروج » . وقال تعالى : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت » . وقال جل شأنه : « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء » . هذا من حيث التدبر فى آيات الله الكونية ؛ أما من حيث التدبر فى آياته المتلوة فقد قال تعالى: « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » . فقد جعل من لا يتدبر آيات القرآن الكريم كمن وضع على قلبه الأقفال وحجبها عن نور الذكر الحكيم ، وقال جل شأنه : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب » . وقال عز وجل : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » .

ولهذا لا يحل لمؤمن أن يرى آيات الله الكونية فيعرض عنها كما لا يحل أن يسمع

إلى آيات الله المتلوة ، فيعرض عنها ، قال تعالى : « وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » . وقال عز من قائل : « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » .

فآيات الله المتلوة إنما هى ترجمة صادقة لآياته الكونية ، وإذا كان للكلمة آثارها العميقة فى تطور الأمم والشعوب فإن لكلمات الله المنزلة آثارها العميقة فى جميع العوالم قال تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله » . وقال جل شأنه : « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى » . لو تم هذا لكان هو هذا القرآن .

ولا عجب فإن القرآن الكريم ما كاد يلامس قلوب العرب حتى نقلهم من الأمية إلى العلم ، ومن البداوة إلى الحضارة ، ومن الضعف إلى القوة ، ومن الذل إلى العز ، ومن التبعية إلى السيادة ، ومن التفرق إلى الوحدة ، فأصبحوا بفضله كالبنيان المرصوص أو الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . « وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » .

وسبحان « الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

والدارس المتعمق لكتاب الله الكريم يراه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من شئون الحياة إلا تناولها فى دقة وإيجاز فقد تناول عالم الغيب وعالم الشهادة . كما تناول صفات الخالق وشئون المخلوقين ، وتحدث عن الحياة الدنيا والحياة الآخرة كما تحدث عن أرجاء الأرض وآفاق السموات ، وذكر أحوال البشر وطبائع الحيوان ، كما ذكر الجماد والنبات ولا نجد لوناً من ألوان المعرفة التى وصلت إليها عقول البشر أو حامت حولها إلا ولها ذكر فى القرآن الكريم ، فهو دائرة معارف موجزة دقيقة محكمة لا تغيير فيها ولا تبديل .

ومن الخير أن نسوق بعض الأمثلة التوضيحية ، فمن حيث العوالم الغيبية

ذكر القرآن العرش ووصفه بالعظمة، ونسبه إلى ذاته العليا، فقال تعالى: «فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم». كما ذكر سبحانه الملائكة الحافين بالعرش فقال: «وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم». كما ذكر حملة العرش الثمانية: «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية». كما أشار سبحانه إلى الكرسي وسعته وعظمته. فقال عز من قائل: «وسع كرسيه السموات والأرض». روى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة فى أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة». أخرجه البستي فى صحيحه المسند وأورده البيهقي وصححه، والعقل لا يمنع وجود أكوان أخرى غير الكون الذي نعرفه وقد يكون بعضها أعظم من الكون المعروف لنا، وقد وصف الله الجنة بأنها «عرضها كعرض السموات والأرض». وقد ذكر الله سبحانه من العوالم الغيبية: «سدرة المنتهى». والآيات تشعرنا بأنها فى نهاية الكون المعروف وراء السموات وأنها: «عندها جنة المأوى» وقد وصف الله الجنة وما فيها من نعيم مقيم. كما وصف النار وما فيها من عذاب أليم وصفاً يفوق أوسع ما يتسع له خيال البشر أجمعين، وذكر سبحانه: «أم الكتاب». فقال جل شأنه: «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» وقال سبحانه فى وصف القرآن الكريم: «وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم». ووصف سبحانه الملائكة وأنه جعلهم رسلا: «أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع». وذكر سبحانه الروح الأمين، وقال فيه: «إنه لقول رسول كريم. ذى قوة عند ذى العرش مكين. مطاع ثم أمين».

كما وصف من العوالم الغيبية عالم الجن وأنه خلق أفراد هذا العالم: «من نار السموم»، وأن لهم القدرة على التحليق فى آفاق السماوات واستراق السمع، وأنهم فتنة البشر: «يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً». وأنهم مكلفون، وقد استجاب فريق منهم الهداية واعتنق الإسلام بعد أن استمع إلى

تلاوة الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم ، ونزلت فيهم سورة الجن :

كما أشار القرآن الكريم إلى عالم آخر بين الحياة الدنيا والحياة الأخرى ، سماه المفسرون : عالم البرزخ ، وقال فيه القرآن الكريم : « نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين . على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون . ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون » ، وذكر أن مانعلمه قليل جداً بالنسبة إلى ما نجهله فقال : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ، وأشار إلى ما لا تدركه حواسنا فقال : « فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون » ، أما عالم الشهادة ، فقد تناوله القرآن الكريم وأفاض فى تناوله حيث تناول نشأة الكون وكيف تكون من السديم الذى يشبه الدخان ويتكون من ذرات الأيدروجين ، قال تعالى : « ثم استوى إلى السماء وهى دخان . . » .

وذكر أن السموات والأرض كانتا كتلة واحدة ثم انقسمت إلى شموس . والشموس انقسمت إلى كواكب ، ومنها الكوكب الأرضى ، قال تعالى : « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما » . كما ذكر سبحانه سنته الكونية فى دوران الكواكب والنجوم فى مدارات خاصة بها : « وكل فى فلك يسبحون » ، كما ذكر سنته الكونية فى التوازن القائم بين الكواكب والنجوم طبقاً لقوة الجذب وقوة الدفع ، أو قوة الرجع وقوة الصدع كما عبر عنهما القرآن الكريم ، فالرجع هو الجاذبية التى تجذب بعض الأجرام إلى بعضها الآخر ؛ لترجعها إليها ويقابلها قوة الصدع وهو الانشقاق والاندفاع فى الفضاء : قال تعالى : « والسماء ذات الرجع . والأرض ذات الصدع . إنه لقول فصل . وما هو بالهزل » ، والتوازن القائم بين قوتى الجذب والدفع هو الذى يحفظ الأجرام السماوية فى مواقعها ومداراتها المقدرة لها « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا » ، والله سبحانه بقوانينه الكونية « ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم » .

هذا من جهة النشأة الكونية ، أما من جهة الإنسان ؛ فقد أشار القرآن الكريم إلى الجنس البشرى وأن الله سبحانه خلقه من صلصال من حمإ مسنون ثم خلقه فى أحسن تقويم ، ثم أمر ملائكته بالسجود له فقال تعالى : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » ثم ذكر سبحانه سجود الملائكة لآدم تقديسا لله سبحانه على إبداعه هذا الكائن البشرى العجيب وإظهارا لتعاونها وتعاونها معه . أما إبليس وذريته فقد رفض السجود لآدم وأعلن عداءه له ولذريته من بعده . وقام الصراع بين الخير والشر ، وموضع الصراع هو الجنس البشرى . والملائكة تمثل العنصر الذى يجذب إلى الخير . والجن تصور الجانب الذى يدفع عن الخير ويزين الشر ؛ وقد زود الله الإنسان بالعقل وأرسل إليه الرسل وأنزل عليه الكتب وأرشده وهداه إلى ما يعود عليه بالخير فى الدنيا والآخرة وبشره بالثواب إذا أطاع وبالعقاب إذا لج فى العناد وفتح أمامه أبواب التوبة إذا تذكر وأناب ، وشرع له أساليب العبادة ووسائل المعاملات المالية والاجتماعية وسخر له ما فى الأرض جميعا من سهول ووديان وجبال وبحار وصحارى وغابات ومناجم ومحاجر .

قال تعالى : « الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه » ، وكما أشار القرآن الكريم إلى بداية تكوين العالم أشار إلى نهايته المتوقعة فإن الكون يتمدد ويتسع بمقدار نحو مائة ميل فى الثانية . والله تعالى يقول : « والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون » ، فإذا استمر هذا الاتساع فإن روابط الجاذبية تنقطع وتنفصم ؛ فتنفطر السموات وتتشقق . قال تعالى : « إذا السماء انفطرت . وإذا الكواكب انتثرت ... » وقال جل شأنه : « إذا السماء انشقت . وأذنت لربها وحقت » وذلك يوم « تبدل الأرض غير الأرض والسموات » ، وكما تناول القرآن الكريم الأجرام الكونية تناول الكائنات الأرضية فذكر عالم الحيوان وأشار إلى

الفيل والبقر والإبل والخيل والبغال والحمير والطيور والزواحف والأسماك والحشرات، حيث ذكر البعوض والذباب والنحل والنمل والعنكبوت ... قال تعالى: «والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه»، وقال جل شأنه: «والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع»، وقال في خيرات البحر «لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ..».

وكما يتفاهم البشر باللغات تتفاهم الحشرات وسائر الحيوان برموز وأصوات خاصة تؤدي مهمة اللغات، وهذا ما أثبته علم النفس وعلوم الأحياء حديثا؛ قال تعالى: «قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم»، وقصة الهدهد مع سليمان عليه السلام معروفة، وهو يعدد نعم الله عليه فيقول: «وعلمنا منطق الطير».

وكما ذكر عالم الحيوان ذكر أيضا عالم النبات، قال تعالى: «وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل»، كما أشار إلى التمثيل الضوئي (الكلوروفيل) وهو الذي عربه علماء الأحياء باسم اليخضور، وكان عليهم استعمال التعبير القرآني الدقيق الجميل وهو (الخضر) والتمثيل الضوئي يحمل سر الحياة في الخلية النباتية، فهي تستطيع به أن تستمد طاقة الحرارة من الشمس وأن تختزنها حتى تقدمها لنا في الوقت المناسب نارا مشتعلة ولولا التمثيل الضوئي ما استطاع النبات أن يكون ثمرة أو زهرة أو يبقى على قيد الحياة، وإذ انعدم النبات انعدم تبعا له عالم الإنسان وعالم الحيوان. قال تعالى: «وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا»، أي نخرج من الخضر حبا متراكبا .. «وجنات من أعناب والزيتون والرمان». وهذا الخضر الذي اشتق اسمه من الخضرة هو الذي يختزن الطاقة الشمسية بأسلوب عجيب ثم يقدمها إلينا نارا، وقد أشارت إليه الآية الكريمة «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون».

وقد لفت القرآن الكريم العقول إلى ازدواجيـة جميع الكائنات في عوالم الإنسان والحيوان والنبات والجماد أيضا قال تعالى: « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » وقال تعالى: « سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » فالكائنات مكونة من مادة مثل الأشجار والجبال والإنسان والهواء ؛ أو من طاقة مثل الضوء والحرارة والكهرباء والمغناطيسية والجاذبية ، وللمادة مكونة من العناصر المعروفة ، وكل عنصر مكون من الذرات والذرات مزدوجة فإن كلا منها تضم نواة ( بروتون ) وكوكبا أو عدة كويكبات تدور حولها ( الكترونات ) مثل نظام المجموعات الشمسية ، والبروتون كهرباء موجبة والالكترون كهرباء سالبة ، وهنا تتضح الازدواجية .

أما الطاقة فلكل منها قطبها السالب وقطبها الموجب مثل الكهرباء والمغناطيسية كما أن لها موجاتها الإشعاعية الازدواجية المتوالية . .

ومن هنا كانت الازدواجية نظاما سائدا في جميع الكائنات بحيث لا يتم قيامها إلا بهذه الازدواجية أما الوحدانية المطلقة التي لا تحتاج إلى ما يكملها فقد انفرد بها الله الواحد الأحد الصمد القيوم .

فالقرآن الكريم ما ترك شأنا هاما من عالم الغيب أو من عالم الشهادة في الدنيا والآخرة ، أو الأرض والسماء ، إلا تناوله في تفصيل أو إيجاز ، كما تناول العبادات والتشريعات وشئون الأفراد وشئون الجماعات ، وعالج أهم القضايا الفلسفية والمشكلات الاجتماعية .

ومن هنا كانت اللغة التي استوعبت هذا الكتاب الكريم واستقلت بحمله وأدائه لغة نابضة بالحياة ، جديرة بالبقاء قمينة بالخلود ، وهي بهذا أهل لأن تكون اللغة العالمية للبشر في المستقبل القريب ؟

( البحث بقية )

علي عبد العظيم

# فروق بين ألفاظ متقاربة

للأستاذ عباس حسن أبو السعود

## - ٦ -

٢٦ - ولا يفرقون بين الفراسة بكسر الفاء والفراسة بفتحها، وقد يستعملون إحداهما مكان الأخرى، فيقولون فلان صاحب الفراسة بالفتح وهم يعنون أنه سديد الرأى، والحق أن لكل منهما معنى لا صلة له بمعنى الأخرى: فمعناها بالكسر: الخبرة بيواطن الأمور، تقول: هو صاحب الفراسة، وهى اسم من قولك: تفرست فى فلان خيرا، وتفرست فيه الذكاء، أى عرفتهما بالظن الصائب، وفى الحديث: «اتقوا فراسة المؤمن».

والأصل: فرست بالعين أفرس من باب ضرب فراسة، أى صرت ذا رأى وعلم بالأمور، أما معناها بالفتح فهو الحذق بركوب الخيل، تقول: فرس فلان من بابى ظرف وسهل فراسة بالفتح وفروسة وفروسية بضمهما إذا حذق بأمر الخيل.

ويقال من هذا: فلان فارس ثابت الفراسة، ومن الأول فلان فارس صائب الفراسة.

٢٧ - ولا يفرقون بين الترجى والتمنى، وقد يستعملون أحدهما مكان الآخر فيقولون: يرجو فلان ألا يموت، ولعل الشباب يعود.

والمعروف عند جميع النحاة أن التمنى يقع على ما يجوز أن يكون نحو: ليت المسافر يعود، وعلى ما لا يجوز أن يكون نحو: ليت الشباب يعود، كما فى قول الشاعر:

ليت الشباب يعود يوماً
فأخبره بما فعل المشيب

وكما فى قوله تعالى: «ويقول الكافر ياليتنى كنت تراباً».

أما الترجى فلا يكون إلا فيما يجوز وقوعه فقط، كما فى قوله جل شأنه: «فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى».

وهناك فرق بين الترجى والإشفاق: فالترجى يكون فى المحبوب، نحو: لعل

الله برحمنا ، وقوله سبحانه : « لعلى أعمل صالحا فيما تركت » ، أما الإشفاق فإنما يكون فى المكروه ، كما فى قوله تعالى : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم » .

٢٨ — ولا يفرقون بين المهبل وزان مغزل ، والمهبل وزان منبر ، ويخلطون بينهما ، فيقولون: لرحم المرأة مهبل بكسر الميم وفتح الباء ، وهذا خطأ ، والفصيح أن يقال له : مهبل بفتح الميم وكسر الباء ، ومعناه الرحم ، أو مسلك الذكر منها أو موضع الولد ، وفى الحديث : « الخير والشر خطا لابن آدم وهو فى المهبل » وتقول : استقرت النطفة فى المهبل وهو موضعها من الرحم .

أما المهبل بالكسر فهو الخفيف كما فى قول تأبط شرا :

ولست براعى صرمة[1] كان عبدها
طويل العصا مئناثة[2] الصقب[3] مهبل

٢٩ — ولا يفرقون بين الطعم بضم الطاء ، والطعم بفتحها ، وبينهما فرق فى المعنى: فالمضموم هو الطعام والرزق ، تقول : إن فلانا لموسع له فى الطعم ، أى فى الرزق وطعم طعما إذا أكل أو ذاق فهو طاعم ، قال تعالى : « فإذا طعمتم فانتشروا » ، أى أكلتم ، والمطعم وزان منبر من كان شديد الأكل ، وهى مطعمة بالهاء ، والمطعم وزان المنظم هو المرزوق ، والمطعام بالكسر من كان كثير الأضياف والقرى .

تقول : هذا طعام طعم أى يشبع من يأكله ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى زمزم : « إنها طعام طعم » ، أى يشبع منه الإنسان .

أما مفتوح الطاء فهو ما يؤديه الذوق من حلاوة أو ملوحة أو مرارة فى الطعام والشراب ، تقول : هذا طعم طيب الطعم وذاك طعم خبيث الطعم .

والطعم بالفتح أيضا ما يشتهى من الطعام ، يقال منه : ليس لهذا الشىء طعم وما فلان بذى طعم إذا لم يكن مقبولا .

وتقول : تغير طعم هذا الطعام إذا خرج عن وصفه الخلقى ، قال جل شأنه : « وأنهار من لبن لم يتغير طعمه » ، وتقول استطعمت الطعام إذا ذقته لتعرف طعمه

---

(١) الصرمة بالكسر : القطعة من الإبل .

(٢) يقال عصا مئناثة وسيف مئناثة : أى كهام كليل .

(٣) الصقب : ولد الناقة .

وفى المثل : « تطعم تطعم » أى ذق حتى تشتهى فتأكل .

٣٠ — ولا يفرقون بين الميل وزان البيت ، والميل بالتحريك ، ويزعمون أنهما يؤديان معنى واحدا ، والحق أن لكل منهما معنى خاصا به .

فالأول يكون فعلا للفاعل ، تقول : مال الولد عن الطريق يميل ميلاد من باب باع إذا تركه وحاد عنه ، ومال الحاكم فى حكمه إذا جار وظلم ، قال تعالى : « فلا تميلوا كل الميل » ، ومال النهار أو الليل إذا دنا من المضى ؛ قال الراعى يصف الظعائن :

وقد مال النهار وهن فيه

يخدرن الدمقس ويحتوينا

أى يجعلنه خدورا وحوايا ، وقال عمر ابن أبى ربيعة :

فتأهبت لهـــا فى خفية

حين مال الليل واجتن[1] القمر

ومال الحائط إذا زال عن استوائه ، ومن المجاز : مال فلان عن الحق ، ومال عليهم الدهر إذا أصابهم بجوائحه .

أما الثانى : فهو الاعوجاج خلقة تقول : ميل فلان يمال ميلا من باب تعب فهو أميل العنق أو أميل المنكب .

(١) اجتن القمر : استتر

٣١ — ولا يفرقون بين عرض الثلاثى ، وأعرض الرباعى المهموز ، وعرض الرباعى المضعف ويخلطون بينها ، ولكن على الرغم من أنها جميعاً من مادة واحدة فبين معانيها كثير من الخلاف ، تقول من الأول : عرض فلان إذا أتى العروض وهى مكة المكرمة والمدينة المنورة شرفهما الله وحرسهما ، وعرض لفلان كذا ، إذا ظهر ، وعرض فلان الشىء على فلان إذا أراه إياه ، وعرض الرجل الحوض والقربة إذا ملأهما ، وعرض الولد عرض أبيه إذا نحا نحوه وسار سيرته ، وعرض له من حقه كذا أعطاه إياه مكان حقه ، وعرضت الكتاب عرضاً إذا حفظته عن ظهر القلب ، وعرضهم على السيف إذا قتلهم ، وعرضهم على النار إذا أحرقهم ، ومن هـذا قوله تعالى : « ويوم يعرض الذين كفروا على النار » ، وعرض لفلان بالبناء للمجهول إذا جن ، كل هـذا من باب ضرب .

وتقول : عرض من باب كرم عرضا وزان عنب ، وعراضة بالفتح إذا اتسع وصار عريضاً ، وتقول من الثانى : أعرض فلان عن كذا إذا صد عنه وأضرب وتولى ، ومن هـذا قوله تعالى : « وإذا

سمعوا اللغو أعرضوا عنه ، وقوله : « وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه » ، وأعرض السائح فى الصحراء إذا ذهب فيها عرضا ، وأعرض لك الشىء إذا أمكنك من عرضه ، وأعرضت المرأة بأولادها إذا ولدتهم عراضا ، وأعرض المهندس الطريق إذا جعله عريضاً وأعرض لى عن الأخبار المفزعة إذا نسيتها .

وتقول من الثالث : عرض الرجل قومه إذا أهـــدى إليهم عند قدومه ، وعرض الطريق إذا جعله عريضاً ، وعرضت لفلان ، وعرضت به تعريضاً إذا قلت قولا وأنت تعنيه ، وهو ضد التصريح من القول ، ومن هذا قيل : كان البراء بن قبيصة صاحب شراب ، فدخل يوماً على الوليد بن عبد الملك ، وبوجهه أثر جرح ، فقال له : ما هذا ؟ قال : فرس لى أشقر ركبته فكبا بى ، فقال يعرض بأنه شرب الخمر : لو ركبت الأشهب لما كبابك ، يريد الماء .

بما عرضنا استبان أن الفعلين الرباعيين والثلاثى الذى هو من باب كرم لم تتفق إلا فى معنى واحد هو جعل الشىء عريضاً .

٣٢ — كما لا يفرقون بين العرض بفتح العين ، والعرض بضمها ، والعرض بكسرها : فهو بالفتح مصدر عرض ، كما فى قوله تعالى : « وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا » ، وكذلك هو ضد الطول كما فى قوله : « وجنة عرضها كعرض السموات » ، أما المضموم فمعناه الجانب والناحية ، تقول : اضرب بفلان عرض الحائط ، أى تنح عنه وخذ جانباً آخر ، والسفينة تسير فى عرض البحر أى فى جانب منه ، ونظرت إليه عن عرض أى من جانب وناحية ، وأما مكسور العـــين فمعناه رائحة الجسد طيبة كانت أو خبيثة ، تقول : فلان طيب العرض ، وفلان خبيث العرض ، وهو أيضاً الجسد ، وفى صفة أهل الجنة : إنما هو عرق يسيل من أعراضهم ، أى من أجسادهم ، وكذلك هو النفس ، تقول : أكرمت عنه عرضى أى صنت عنه نفسى . وفلان نقى العرض أى هو برىء من أن يشتم ويعاب . وقيل عرض الرجل حسبه .

٣٣ — ولا يفرقون بين الإمداد ، والمد ، ويستعملونهما فى الخير والشر على سواء ، وقد يستعملون أحدهما مكان الآخر فيقولون : مددنا الفقراء بكثير من المال ، والصواب عكس ذلك فيقال : أمددناهم بكثير من المال ، وذلك لأنه

ورد عن العرب أن الإمداد يكون فى الخير ، والمد يكون فى الشر ، ومما يؤيد ذلك قوله تعالى فى الإمداد : « وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون » .

وقوله : « وأمددناكم بأنعام وبنين . وجنات وعيون » .

وقوله : « وأمددناكم بأموال وبنين » .

وقوله : « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك » .

وقوله فى المد : « ونمد له من العذاب مدا » .

وقوله : « الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون » .

وقوله : « وإخوانهم يمدونهم فى الغى » .

هذا : ولم يرد فى كتاب الله ، ولا فى الآثار الأدبية ما يحمل معنوا الخير ، وما يحمل معنى الشر إلا على النحو الذى عرضنا.

٣٤ — ولا يفرقون بين العلا بالألف ، والعلى بالياء : فالأولى : مفردة ومعناها : الرفعة والشرف والمجد ، ومنها قول الشاعر :

إن العلا حدثتنى وهى صادقة
فيما تحدث أن العز فى النقل

أما الثانية : لجمع كما فى قوله جل شأنه : « فأولئك لهم الدرجات العلى » ، والمفرد العليا بالضم وهى ضد السفلى ، ومنها قوله سبحانه : « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا » . ومثل العليا فى المعنى العلياء بفتح العين ؛ إذا ضممت العين قصرت ، وإذا فتحتها مددت .

قال ابن الأنبارى : والضم مع القصر أكثر استعمالا ، وجمع العليا عُلى ككبرى وكبر ، ومثل العلا فى معناها المعلاة بالفتح ، وجمعها المعالى .

٣٥ — ولا يفرقون بين نصل الثلاثى ، وأنصل الرباعى اعتماداً على أنهما من مادة واحدة ، ولكن العرب وضعت كلا منهما لمعنى يخالف معنى الآخر ، فقالت : نصل فلان الرمح نصلا من باب قتل إذا جعل له نصلا أو ركب نصله ، وأنصل الرمح إذا نزع نصله ، وكانوا يقولون لرجب : منصل الأسنة ، لأنهم كانوا ينزعونها فيه ، ولا يقاتلون ، فكأنه هو الذى أنصلها .

ويقال : نصل الشىء من موضعه إذا خرج ، تقول : نصل الشعر إذا زال عنه الخضاب ، ولحية ناصل ، ومنه قولهم : تنصل فلان من الذنب إذا تبرأ منه فهو متنصل ، وفى الحديث : « من لم يقبل من متنصل صادقا أو كاذباً لم يرد على الحوض » .

عباس أبو السعود

# الصورة الأدبية في القرآن الكريم

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

## – ٢ –

### – ١ –

نتحدث هنا عن الجدة في الصورة الأدبية القرآنية التي نريد منها الشكل وما يقابل المضمون ، بعد أن تحدثنا عن الجدة في الصورة الأدبية التي يراد منها الجنس الأدبي ، وطريقة الأداء والمنهج الذى ينتهجه المتكلم في التعبير [1] .

والشكل في النص القرآني لا يرتاب متذوق لبلاغة الكلام في روعته وعبقريته وجدته ، فهو يعلو ببلاغته على كل بيان ، ولا يستطيع إدراك أسرار إعجازه إنسان .

تتكون عناصر الصورة من الدلالة المعنوية للألفاظ والعبارات ، وما يضاف إليها من مؤثرات يكمل بها الأداء التعبيرى ، من الإيقاع وموسيقى الكلمات والعبارات ؛ ومن الصور والظلال التي يشعها التعبير . ثم هناك طريقة تناول الموضوع ، أى الأسلوب الذى تعرض به الفكرة ذاتها .

والصورة المثيرة للالتفات هي القادرة قدرة كاملة على التعبير عن تجارب المتكلم ومشاعره ، والتي تتجمع فيها روعة الخيال وعظمة البيان ، وجلال التأثير وجمال التصوير ، وتظهر فيها شخصية صاحب النص ظهورا واضحا .

ويقف البليغ أمام اللفظ طويلا ، يؤثر لفظة على أخرى ، ويختار كلماته اختيارا دقيقا ، بحذر شديد ، ودقة متناهية ، ويقول كثير من النقاد : إننا نفكر بالألفاظ ، أى أن الألفاظ هي مظهر إدراكنا الفكرى ؛ وعمل البليغ تهيئة الجو الفنى للألفاظ لتشع على قارئها وسامعها الظلال والأضواء ، ولتؤدى

---

(١) الصورة الأدبية تطلق أحيانا على المنهج ، وأحيانا على الجنس الأدبى ، وأحيانا على النظم ، أى الشكل والمضمون معاً ، وأحياناً على الأساليب التخييلية في البيان من تشبيه واستعارة وكناية ومبالغة وحسن تعليل وتجريد ، وخلاف ذلك .

المعانى فى رشاقة وحركة وتتابع وعذوبة ولتصعد فى مراتب البلاغة حتى تبلغ الذروة ، نقرأ قوله تعالى : «إذا زلزلت الأرض زلزالها» فنجد جواً من الشدة والرهبة والفزع ، ونقرأ قوله تعالى : «والليل إذا سجا» فنجد جوا من الهدوء والطمأنينة والنعمة ، ونقرأ قوله تعالى : «فأصبح فى المدينة خائفا يترقب» فنجد كل لفظة فى التعبير قد رسمت صورة مذعور يلتفت فى كل جانب خوفا وطلبا لموضع الأمن ، وفى قوله تعالى : «عتل بعد ذلك زنيم» البلاغة فى أرفع منازلها ، فالجفوة والغلظة ووحشة الطباع ممثلة فى قوله تعالى: «عتل» ، و«زنيم» صورة للمنتسب إلى غير موضع نسبته . وهكذا نجد ألفاظ القرآن الكريم تمثل المعانى تمثيلا دقيقا رائعا كاملا غير منقوص .

إن الحروف والألفاظ فى النص ، والصياغة والمضمون والأفكار والمعانى تتلاحم فى الصورة الأدبية تلاحما كاملا يغذيه الإيقاع أو اللحن ، والخيال الذى يبدو فى مظاهره العديدة من التشبيه والمجاز والكناية والاستعارة وحسن التعليل .

إلى حيوية التعبير وبلاغته وقوة تأثيره ووضوح شخصيته ، وجدة نمطه ، وبعده عن المألوف فى الأداء والصياغة .

ومن دلائل بلاغة الكلام أن يراعى فيه مقامات الكلام ، وأحوال المتكلمين والخصوصيات المختلفة ، فتوضع الجزالة فى موضعها ، والعذوبة والرقة فى موضعها ، والتقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، والوصل والفصل ، والإيجاز والإطناب ، والتعريف والتنكير .. كل فى موضعه ، لتكمل الصورة ، وترتفع منزلة الأسلوب فى البلاغة . ومن البدهى أن أبلغ الكلام هو ما لا يلتقى فيه بالأحكام جزافا ، وما يصور الأسلوب فيه المراحل المختلفة للشعور وما يتصل به من قريب أو بعيد . وهو ما تجتمع فيه المعانى الأول والمعانى الثانوية فى ضمائة واحدة قوية مؤثرة عميقة ، تؤثر فى السامع والقارئ المتذوق أعظم تأثير ، وأجله ؛ وتملك ناحية التعبير فى قوة وجلال وجمال .

— ٢ —

والصورة الأدبية بهذا الاصطلاح النقدى كله : هى كل شىء فى البلاغة ، أو أهم جانب من جوانبها .

ولو أردنا أن نقول : إن الصورة

الأدبية بهذا المعنى ـ وهو ما يرادف الشكل أو النظم أو الأسلوب والصياغة ـ جاءت فى القرآن الكريم على أبلغ ما يكون الأداء والتعبير والتصوير، لما أتيتنا بجديد فى الموضوع .. لأن ذلك أمر واضح معروف مسلم به .

فالبلاغة القرآنية تحمل عناصر جديدة كل الجدة عما ألفه العرب فى بلاغاتهم .

ولست أقول : إن القرآن الكريم خرج فى أسلوبه وصوره عن النطاق الذى كان كلام العرب يدور حوله ، بل أقول : إن القرآن الكريم ارتفع بكل قيم البلاغة وعناصرها إلى أرفع من القمة ، وجلس على عرش البيان ، واحتل الصدارة فى إعجازه وإيجازه وعبقريته فى ذوق كل إنسان ؛ وأين من سحره السحر ؟ ومن جماله كل الجمال ، ومن جلاله كل الجلال ؟

وفى مجال الموازنة فى أى جانب من جوانب البيان بين كلام الرحمن وكلام الإنسان ، وبين أى نص قرآنى وأرفع نص عند العرب ؛ سنجد البون شاسعا ، والفرق بعيدا ، ويطول بنا الطريق لو وازنا بين أساليب القرآن وأساليب العرب ونتيجة الموازنة ، هى دائما الشهادة الحقة للنص القرآنى بالعظمة والجلال والسمو والروعة والسحر .

وهناك عناصر جديدة فى الصورة الأدبية ، وهى كثيرة ، ولا تزال علوم البلاغة والنقد تسير فى طريقها فى محاولات كبيرة وكثيرة للكشف عنها : من مثل الوحدة العضوية ، والتجربة الأدبية فى النص ، ومن مثل النظم والشكل ، والإلهام والصنعة ، والجمال والجلال والتأثير والقوة والمتعة ..

وهناك قضايا كبيرة بيانية تناولها النقاد القدماء ، وهى تتصل بالصورة الأدبية : كالوضوح والرمز ، والرقة والجزالة ، والطبع والصنعة ، وسوى ذلك كله .

والعناصر البيانية للصورة الأدبية فى كل جوانبها وألوانها، وسواء منها العناصر التى تدوول استعمالها فى الأسلوب ، والعناصر الأخرى التى كشف عنها النقاد المحدثون، وكل ماله صلة بالصورة الأدبية من قضايا ونظريات وقيم جمالية .. كل ذلك حين يدرس ويبحث وتقام فيه الموازنة ، سيكون شاهد عدل على أن القرآن الكريم كلام رب العالمين ، وأنه

انفرد بالإعجاز، وتميز بالدقة وبالإيجاز وأنه صورة أدبية مستقلة، ليس لها مثيل وليس هناك نمط يشبهها ويناظرها فى شىء أبدا.

— ٣ —

وأسلوب القرآن الكريم نمط فريد وحده فى البلاغة والسمو والجلال والروعة وقوة التأثير، وفى إشراق البيان، وجمال التعبير، وعبقرية التصوير.. أسلوب جمع بين الجزالة والسلاسة وبين القوة والعذوبة، وبين حرارة الإيمان، وتدفق البيان، فهو السحر الساحر، والنور الباهر، والحق الساطع والصدق المبين.

نظم رائع وألفاظ عذبة، وخيال صادق؛ وعاطفة حارة، وفكر رفيع. تملك على القارىء والسامع لبه ووجدانه وعقله وبيانه، ولما سمعه فصحاء العرب وأرباب البيان والبلاغة فهم سجدوا له خاشعين؛ وما إيمان عمر حين سمع «طه» وما فزع عتبة بن ربيعة وقوله: «والله ماهو بشعر ولا كهانة ولا سحر» حين سمع «فصلت». وما تردد بلغاء العرب على الأماكن التى كان يتعبد فيها محمد ليلا، ليسمعوا هذه البلاغة الباهرة خفية، إلا دليل السحر القرآنى الذى جعل العرب يصفونه متعجبين بقولهم: إن هو إلا سحر مبين، وقولهم إن هذا إلا سحر يؤثر. السحر القرآنى الذى يتمثل فيما يتمثل فى صدق الشعور وحرارة العاطفة وجمال النظم، وإحكام البيان وروعة التصوير.

إى وربى، وهل تجد أفصح ولا أجزل ولا أسلس من ألفاظه، وهل ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تشاكلا وروعة من نظمه العجيب، وأسلوبه الغريب الآخذ بمجامع القلوب وبمشاعر النفوس.

إن بلاغة الصورة الأدبية وجدتها فى القرآن الكريم لا يحيط بها وصف واصف، ولا يستطيع أن يكشف عن خصائصها وأسرار إعجازها باحث أو ناقد.

وحسبك روعة القرآن وجدته وحيويته وأخذه بالأفئدة والأسماع والمشاعر والعواطف والنفوس، وحسبك خلوده على مر الأيام واختلاف البيئات والعصور.

هذه البساطة فى الأسلوب، والوضوح والجمال والدقة والقوة فيه، والجزالة، والعذوبة فى أطرافه ونواحيه تمثل جانبا من جوانب عظمة التصوير فى القرآن الكريم.

وهذا أعرابى سمع قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » ، فسجد ، وقال : سجدت لفصاحته وهذا آخر سمع قوله تعالى : « فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا » ، فقال : أشهد أن مخلوقا لا يقدر على هذا الكلام .

وماذا تقول فى حسن التأليف وتخير الألفاظ ، والتئام الكلمات ، وإحكام الصنعة ، وجودة السبك ، وكمال البيان وجمال الرونق ، ومتانة النسج ؟ وماذا تقول فى هذا النظام الفريد ، والنسق الغريب ، وفى هذه النضارة والجلالة ، وفى ذلك الإشراق والبهاء ودقة الصوغ؟

ألفاظ كأنها السحر ، وكأنها الدر تشع نورا كما يشع الفجر ، وتهدر حركة وحياة ونموا وتجددا كما يهدر البحر ، وتهدأ وتعذب وتسلس ، كما تهدأ صفحة النهر .

وصور تموج كما تموج العواصف ، وتتحرك كما تتحرك الأشباح لراكب مسرع فى السير .

وبلاغة هى حديث الأيام ، والتى سلم بها فحول النقاد والبلغاء على توالى الأعوام ؛ وما هى إلا الضوء السافر ، والهدى الباهر والوحى الصادق ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

أو رأيت وسمعت ما قاله الوليد ابن المغيرة وقد تردد على الرسول وسمع منه ، فقال لقومه : والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا برجزه ، ولا بقصيده ولا بأشعار الجن ، والله مايشبه الذى يقول شيئا من هذا ، ووالله إن لقوله الذى يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه .

— ٤ —

والسورة القرآنية تطول وقد تقصر ، وهى مع ذلك سلسلة محكمة ، متصلة الحلقات مشرقة الصور والقسمات والصفحات ، فسق هو السحر وتآخ وصفاء وتعاقب فى الترتيب كأنه الوحدة الإلهية التى دعا إليها القرآن ؛ ممثلة فى كلمات .

المعنى عند العربى كان يتم بتمام الجملة ، وهذه الجملة قصيرة فى لفظهم ، ولكل جملة معنى ، وتتوالى المعانى دون ترتيب ولا نظام ؛ وجاء القرآن الكريم ، فصارت الجملة تمثل أرفع المعانى وأدقها ؛ وساد نظام وتآخ ووحدة تامة بين الجمل بعضها والبعض الآخر ، وقد تطول الجملة

القرآنية، وتتركب فيها الصور، وتتوالى المشاهد، وتتعاقب المعانى وقد لا يؤدى المعنى القرآنى آية أو آيات؛ بل عشرات الآيات؛ ومع ذلك فلن تجد إلا معانى مهذبة، ونظاما محكما. وتصويرا منمنما ووشيا منمقا، وإحكاماً فى الصياغة ودقة فى الصناعة ولن تجد إلا وشيا يبهرك جماله ويسحرك جلاله، ولن تجد إلا العذوبة والرشاقة والسلاسة والوضوح.

والصورة القرآنية تتميز بالحركة ودقة التصوير، وإبراز معالم المعنى جزءا جزءا، وحركة بعد حركة، وإن شئت فاسمع قوله تعالى: «وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا» وقوله تعالى: «وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما» وقوله تعالى: «وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا» ولو وقفنا عند هذه الآية الأخيرة، وهى من سورة الكهف لرأينا فيها هذه الحركة العنيفة المتدافعة ممثلة فى أروع بيان، وأبسط تعبير، ولرأينا فيها هذا الإيجاز الرفيع البليغ مع أداء المعنى كاملا غير منقوص ولرأينا فيها هذه الصورة البديعة الممثلة لأروع تصوير الغرض المقصود.

الآية ثلاث جمل قصار:

١ - وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض

٢ - ونفخ فى الصور

٣ - فجمعناهم جمعا

وترى فى الجملة الأولى: الحركة والتدافع والاختلاف والاضطراب وما يصيب الناس من أثر ذلك من أهوال وعذاب وشدة، والسر فى ذلك هو كلمة (يموج) التى أدت تلك الصورة كاملة، والمشهد رائعا والمعنى ممثلا أدق تمثيل، وأدت تلك الحركة والحياة، ومشت بك إلى آفاق رحيبة من جلال الأداء وروعة النظم ودقة المعنى وسمو التصوير.

وفى الجملة الثانية: لا تجد أبلغ من هذا التمثيل الذى يصور لك قدرة الله معلنة - بأروع مظاهر هيمنتها وسيطرتها - إلى الناس أن قد جاء أمر الله وأن نهاية الأمر لا بد أن توضع، وأن الناس وهم فى أمر مريج لا بد أن يستيقظوا لحدث جديد، وأمر عتيد، وقدر شديد.

وتصور الجملة الثالثة: تعلن إليك أن الله عز وجل يجمع الناس جميعا إلى ساحته العظيمة ليفصل بينهم يوم

القيامة ، بالحق والميزان ، وأن قدرته لا تعجز عن جمعهم مع هول كثرتهم وشدة شتاتهم ، ومن ثم جاء التأكيد بالمصدر « جمعا » ليدلك على عظمة القدرة وروعة المشهد ، وجلال اليد المصرفة لأمر الخلق فى هذا الموقف العصيب .

ولو أن بليغا من أبلغ الناس ، ومن أذكاهم وأحذقهم بصناعة البيان ، حاول أن يؤدى هذا المشهد وذلك الحدث الجليل العظيم ، وأن يرسمه ، لما استطاع أن يقول ولما أمكنه أن يصور هذا المعنى فى عمقه ودقته بمثل هذا التصوير الساحر ، وذلك الأسلوب الباهر بجماله وعظمته وروعته .

إى وربى ، إنه الذكر المبين ، والكتاب الحكيم ، والقرآن الكريم ، والوحى العظيم . إنه الجلال والعظمة ، والإيجاز والإعجاز . .

يا كتاب الله !

يا معجزة البيان !

يا أعجوبة الزمان !

يا نادرة العصور !

يا باقية الدهور !

يا جلال السماء ، وحكمة الرب ذى البهاء

يا وحيا نزل على محمد بن عبد الله . . حسبى حسبى . . فإعجازك حديث الزمن والأجيال والآباد والأيام ؛ وليس لإعجازك حد تقف عنده البلاغة أو ينتهى إليه البيان ، فأنت الفرقان ، وأنت القرآن ، وأنت الخلود ، وأنت كل البلاغة بلا حدود ولا قيود ؟

د . محمد عبد المنعم خفاجى

---

قال الله تعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » . ( الحجرات : ١٣ )

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● محمد رسول الله :

لمولاى محمد على

هذا الكتاب الذى نشرته مكتبة مصر بالقاهرة فى أكثر من ثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط ، هو من تأليف العلامة المسلم الهندى مولاى محمد على ، وقد قام بترجمته عن الإنجليزية الأستاذان مصطفى فهمى ، وعبد الحميد جودة السحار ، والكتاب فى أربعة وثلاثين فصلا قصارا استوعبت فى إيجاز السيرة النبوية منذ قبيل البعثة إلى وفاة الرسول صلوات الله عليه ، ومن هذه الفصول: العرب وبلادهم - الجاهلية - موجات الإصلاح فى بلاد العرب - التبشير بظهور النبى - الوحى - محاولات الإجهاز على الإسلام - العلاقة مع اليهود - أخلاق النبى وطباعه ..

قد يبدو للقارىء لأول وهلة أن موضوعات الكتاب - بالنسبة للسيرة النبوية - لا تضيف جديدا على ما كتبه القدامى والمحدثون وبما لا يحصى له عدد ، وربما كانت الفائدة من النسخة الإنجليزية لقراء هذه اللغة أجدى من النسخة العربية المترجمة لقراء العربية الذين لديهم الكثير من الأبحاث والدراسات باغنهم عن السيرة المحمدية ، والحق أن المؤلف قد أضاف من ثقافته الغربية أشياء ، أهمها مناقشة الأفكار الغربيــة التى حاولت النيل من هذه السيرة العطرة .

وقد تصدى المؤلف لكاتب أوربى هو المستر كاش الذى أشار فى كتابه : ( شرح الإسلام ) إلى الاغتيالات التى وقعت بإيعاز منه ، ليستنتج من حدوثها ما ينافى الرحمة التى اتصف بها ، وقد استنق الكاتب الغربى أكاذيبه مما كتبه من قبله السير وليم موير ، ويعرض المؤلف لقصة مقتل عصماء الشاعرة لأنها هجت النبى ، فيو كد نفيها ؛ إذ ليس من المنطق أن يحرم النبى قتل النساء فى الحرب ويجيز قتلهن فى السلم . كذلك ما ينطبق على عصماء الشاعرة ينطبق على قصة أبى عفك

اليهودى الشيخ الطاعن فى السن ، أما كعب بن الأشرف الذى لاجدال فى أنه قتل بيد مسلمة ، لكنه نقض العهد وظاهر أعداء الإسلام وحرص على قتل النبى وبرغم ذلك فليس هناك دليل واحد على أن النبى قد اشترك فى خطة التخلص منه كما عرض المؤلف لآخر ما افتراه المستر كاش على النبى . وهو إباحته سبى نساء بنى المصطلق ، وهذه الفرية لاأساس لها من الصحة ؛ حتى لم يشر إليها أقسى نقاد الإسلام كالسيروليم موير . وكل ماحدث أن بعض المسلمين شاءوا أن يتزوجوا بعض الأسيرات زواج متعة على أن يعزلوا حتى لا تحمل الزوجات . ولكن لم يثبت مطلقا أن شيئا من ذلك قد وقع . وقد أطلق سراح نساء بنى المصطلق دون فدية عقب أن أطلق النبى سراح جويرية وتزوجها.

وبعد ، فإن من الملاحظ أن المترجمين قد اكتفيا بالترجمة الحرفية دون تعليق يذكر ، إزاء مسائل كانت فى حاجة إلى التعليق عليها . بــل لم يقدما المؤلف ولو بسطور معدودة ليتعرف القارىء على شخصية المؤلف . وأكثر من هـذا أن الكتاب قد خلا من فهرست للموضوعات التى استوعبها . ولا أظن أن هناك عقبات يمكن أن تقوم أمام تحقيق ما أشرت إليه .

° ° °

● رسائل إليهم :

للأستاذ مصطفى الكيك

هذا الكتاب الذى نشرته مكتبة علاء بالإسكندرية يقع فى مائتى صفحة من القطع الكبير . وهو مجموعة من الرسائل التى بعث بها المؤلف إلى طائفة من الكتاب فى مصر ؛ يناقش فيها آراءهم فى الدين والعلم والغيبيات . ومن هؤلاء الأساتذة : عبدالرزاق نوفل . ومحمد زكى عبد القادر . وعبد الكريم الخطيب وغيرهم . والمؤلف لم يلجأ إلى نشر هذه الردود فى كتاب . إلا بعد أن فقد الأمل فى أن تجد رسائله إلى هؤلاء الكتاب العناية التى تقتضيها الأمانة العلمية ؛ ولا سيما إذا كان الموضوع المجادل فيه عقائديا . ومما يحز فى النفس أن المؤلف أرسل تعقيباته إلى هيئة الإذاعة البريطانية فلم يصبها شيء من التعالى ، بل أذاعت تعليقاته وأرسلت إليه تشكره على اهتمامه ببرامجها ..

لقد استوعبت مناقشة آراء الأستاذ عبد الرزاق أكثر من ثلاثة أخماس الكتاب . فالكاتب يرى فى مؤلفه :

« أسرار وعجب » أن يؤكد وجود حياة للإنسان سبقت حياته الأرضية الحالية بما فيها حياة الجنين ، وأنها حياة قديمة وضاربة فى القدم عن هذه الحياة الدنيا .

ويرى المؤلف : أن الكاتب يحاول التدليل على هذه النظرية من واقع ملاحظاته الشخصية ، وفى إطار تفسيره بالرأى الفردى لبعض آيات الغيب فى القرآن الكريم . وهكذا استطاع المؤلف بحق أن يضيق الخناق على آراء الأستاذ نوفل فى بعض مؤلفاته : طريق إلى الله ، وأسئلة حرجة ، ويوم القيامة ، وتناسخ الأرواح .. ويرى أن فيها آراء انفرد بها الكاتب ، وآراء اقتبسها من كتابات غيره ، ومما يأسف له المؤلف أن الكاتب يعتز بآرائه كما لو كانت آراء لا تقبل الجدل .

كذلك يناقش المؤلف رأياً للأستاذ عبد الكريم الخطيب ، مؤداه : أن الجن المخلوقين من نار ومنهم إبليس هم من جنس الملائكة المخلوقين من نور ، بينما المغايرة واضحة فى التكوين الخلق النوعين : النار والنور ، وهم جنس واحد كما يقول النص ؛ مما يستلزم تعليلا معقولا لهذه المغايرة ، وهو ما لم نعثر عليه فى كتاب المؤلف « نظرات فى سورة الرحمن » وهناك آراء أخرى للكاتب ناقشها المؤلف .

أما الأستاذ محمد زكى عبد القادر فقد كتب يقول : إن الله فى داخل الإنسان ، وإنه إذا عاد - أى الإنسان - إلى داخله يرى فيه ربه ، وأن الله أودع الإنسان قبساً منه .. وأن الخير الذى تنطوى عليه النفس ليس شيئاً آخر غير الله . ومعنى ذلك - كما يقول المؤلف - أن الله عز وجل مجزء بقدر عدد الناس ، بحيث يكون لكل فرد منهم جزء إلهى يكمن فيه بقصد تغليب قوى الخير على قوى الشر ، ولا يعرف فى الإسلام سند لهذا القول ، بل هو معروف عند الهندوس والفراعنة والمسيحية ، أما المسلمون فإنهم ينزهون الذات الإلهية عن التلبس بالمادة ، سموا بها عن المماثلة ، والله يقول : « ليس كمثله شىء » . ولا أظن أن الكاتب يقصد بالضبط فكرة التجسيد المادى .

وبعد : فالحقيقة أن مناقشة المؤلف لهؤلاء الكتاب مناقشة موضوعية ، إلا أنه فى بعض المسائل اكتفى بتفنيد رأى الكاتب دون أن يقدم الرأى الصحيح الذى يراه ، كما فى تفسير الأستاذ عبد الكريم الخطيب للآية : « مرج

البحرين يلتقيان » . كذلك ، فإن احتجاج المؤلف بآراء المفسرين لا يقوم حجة قاطعة لتفنيد رأى مفسر ولو كان من المتأخرين ، ويبقى بعد ذلك أن نحتفظ للمؤلف بتقديرنا لهذه المتابعة والملاحقة لآراء الكتاب ، ولا سيما أولئك الذين يعيشون فى أبراج من العاج .

• • •

● الإيمان هو العمل الحاسم فى المعركة :

أجرى الأستاذ عبد العزيز خميس المحرر بالأخبار حديثاً طيباً ممتعاً مع المجاهد العربى الدكتور عبد الرحمن عزام أول أمين عام لجامعة الدول العربية أثير فيه كثير من المعانى وبخاصة مما يتصل بالمعركة ، ومما قاله الدكتور عزام : « إن الرجوع إلى الدين وإلى تاريخنا يولد الثقة فى النفس ، ويدفع إلى الشجاعة والتضحية ، وقد فتح العرب الدنيا بفضل إيمانهم . إن قوات ( الكوماندوز ) العربية فى حرب عام ١٩٤٨ - وكان عددها لا يتجاوز ١٥٠٠ جندى يقودهم عدد محدود من الضباط لا يتجاوز العشرة على رأسهم البطل الشهيد أحمد عبد العزيز - لم تهزم فى أية معركة خاضتها ضد القوات الصهيونية بفضل تمسكها بالدين وإيمانها » .

وأضاف قائلا : « إن عامل التطور فى نوعية السلاح عامل هام لا يمكن إغفاله ، ولكن الإيمان هو العامل الحاسم الذى يحدد نتيجة أية معركة ، ذلك أن الإيمان هو الروح ، وهو الحافز وهو الأمل للمقاتل ، وإذا غاب الإيمان تحول المقاتل إلى جسد بلا روح ، وإلى آلة بدون أمل » . لا أظن أن هذه الكلمات فى حاجة إلى تعقيب .

وإن كانت فى مسيس الحاجة إلى أن يقرأ ويتدبر أولئك الذين يطيب لهم دائما أن يجردوا الدين والإيمان من أية فاعلية فى النضال ، حتى فى الوقت الذى يعلن على الملأ فيه أن الدولة تقوم على العلم والإيمان .!

• • •

● قراءات :

« لو اقتصر احتفالنا بمولد النبى الشريف على الحلاوة ، والعروس ، والحصان .. فهو بدعة .. ولكن لو اقتدينا بتصرفات الرسول بسلوكه عملا بالقرآن الكريم : ( لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ) فهذا هو التكريم الحقيقى لرسول الحرية ، والإنسانية والسلام » .

حلية الصالحى - الجمهورية

محمد عبد الله السمان

# باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادي

---

ورد إلى لجنة الفتوى بالأزهر ما يأتي من هيئة اليونسكو :

١ — ما حكم الإسلام في تشريح جثث الموتى للاستفادة بذلك في دراسة علم الطب؟

٢ — وما الحكم كذلك في نقل عين الميت أو قلبه أو أي جزء منه إلى غيره من الأحياء لتعويضه عما يفقده من هذه الأجـــزاء ؟

٣ — وإذا نقل الدم من جسم رجل إلى جسم امرأة أجنبية عنه ، ثم شفيت من مرضها ، فهل يجوز لهذا الرجل أن يتزوج من هذه المرأة أو بنتها ، أو يكون اختلاط الدم مانعا من ذلك كما يمنع اشتراكهما في الرضاع . .

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين - أما بعد : فنفيد عن السؤال الأول : أن دراسة علم الطب عمل ضروري لمصلحة الفرد والمجتمع لما يتوقف عليه من المحافظة على الجميع من عوامل الضعف التي تعوق عن النشاط في مجال الدين والدنيا ، وهذا يخالف ما أمر الله تعالى به في قوله : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » يعني سيكون عملكم للدين والدنيا مشهودا عند الله ومشهودا به عند الرسول وسيجزيكم الله على عملكم بما يراه خير جزاء .

ولذلك يعتبر تدريس علم الطب من فروض الكفاية التي تتعلق بذمة الأمة كلها ، إذا قام به البعض سقط وجوبه عن الآخرين وإذا لم يقم به البعض أثمت الأمة كلها .

وقد ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يتداوى ، وكان يأمر بالتداوي ، ومن أحاديثه في ذلك : ( تداووا ، ولا تداووا بالحرام ) وقوله : ( تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء ) .

ولا شك أن تعلم الطب يقتضي تعلم علم التشريح لمعرفة الداء وموضع العلة في الجسم ، ولتشخيص العلاج النافع

بالقدر المستطاع فى ضوء ما يهتدى إليه الطبيب العارف .

وكذلك تشتد الحاجة إلى تشريح الجثة فى الحوادث الجنائية لمعرفة نوع الجناية وملابساتها والتمكن من إثباتها أو نفيها عن المتهم وذلك تمكين للعدالة أن تأخذ وضعها الحق فى الأحكام ، كما هو أوجب الواجبات .

وجملة القول أن التشريح لمثل هذه المقاصد أمر يرتبط كثيرا بحياة الناس فلا بد منه ولا شبهة فى إقراره .

ولا يقال إن المسلمين فى أول زمنهم لم يكونوا يعولون على التشريح ولو كان جائزا لفعلوه لجواب ذلك : أن المتقدمين لم يكونوا قد عرفوا التشريح بل كانت وسائل العلاج عندهم محدودة وبقدر تجاربهم فى مجتمعهم الخاص . . ثم إن العلم يتقدم بتقدم الزمن ويتسع أفقه بمواصلة البحوث الجديدة ، ويظهر من أسراره مع الأيام ما لم يكن معهودا من قبل .

والدين يحضنا على التوسع فى العلم النافع للأخذ بكافة أنواعه المفيدة .

فإذا توصلنا إلى جديد كعلم التشريح كان العمل به تجاوبا مع دعوة الدين إلى العلم .

والجواب عن السؤال الثانى : فنفيد بأن نقل عين الميت أو قلبه أو أى جزء منه إلى غيره من الأحياء لينتفع الحى بهذا الجزء أمر جائز شرعا .

نعم للميت كرامة تراعى ، ولا يجوز التعرض له بما يؤذيه لو كان حيا ، والنبى صلى الله عليه وسلم - ينبهنا على ذلك بقوله : « إن الميت يتأذى مما يتأذى منه الحى » ، وهذا للمنع من التمثيل بجثته أو المساس بها على أى نحو يعتبر إهانة لها ، « ولقد كرمنا بنى آدم » .

والذى يصح القول به أن أخذ أى جزء من الميت بعد وفاته لينتفع به الحى لا يعتبر إهانة للميت ولا مساسا بكرامته الآدمية ، لأن هذا مقصود لمنفعة الحى ؛ والحى أفضل من الميت لأنه لا يزال فى مجال الانتفاع به فى المجتمع فانتفاعه بجزء من الميت أولى من ترك هذا الجزء يبلى فى التراب والإنسان لم يخلق لنفسه فقط بل خلق لنفسه ولمجتمعه ويشهد بذلك أن المرء مطالب بالجهاد لعدو دينه ووطنه ومطالب بالتضحية فى سبيل الذود عن غيره من

الأمة فأخذ الجزء من الميت لينتفع به الحى أيسر عملا وأهم شأنا من التضحية بالنفس فى باب المنفعة العامة .

ومع هذا الإيضاح فينبغى أن يلاحظ أولا : أن الحى الذى ينتفع بجزء الميت لا يكون مهدر الدم كالمرتد عن الإسلام أو الزانى المحصن ، والقاتل لغيره ظلما .

وثانيا : أن يستأذن أهل الميت إن كان له أهل ؛ حتى لا يوجد خلاف من جانبهم ؛ فربما يكون الخلاف سببا فى فتنة بين الناس والله يأمرنا باجتناب الفتن كلها.

الجواب عن السؤال الثالث : أن نقل الدم من جسم رجل إلى جسم امرأة أجنبية عنه وبالعكس لا يمنع من زواج هذا الرجل بهذه المرأة ولا بينهما لأن التحريم يكون بأسباب أخرى، ومنها المشاركة فى الرضاع كما صرح القرآن بذلك وبينته كتب الفروع

وليس من أسباب التحريم نقل الدم ولا هو فى معنى الرضاع المحرم للزواج.

وباب الحلال مفتوح بين هذا الرجل وأبنائه وبين هذه المرأة وبناتها مالم يوجد مانع آخر ؛ وبذلك علم الجواب والله تعالى أعلم .

محمد أبو شادى

---

قال الله تعالى :

« آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير . ألا تعبدوا إلا الله إننى لكم منه نذير وبشير . وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وإن تولوا فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير . إلى الله مرجعكم وهو على كل شىء قدير » . ( هود : ١ - ٤ )

# أنباء وآراء

● دراسة عن دور الأزهر يعدها الإمام الأكبر :

صرح فضيلة الإمام الأكبر دكتور عبد الحليم محمود بأنه انتهى من إعداد دراسة عن دور الأزهر تشمل خطين رئيسيين :

أحدهما داخلى : ويهدف إلى استعادة المجتمع إلى حظـيرة الدين وتجميعه فى وحدة شاملة .

وثانيهما خارجى : ويقضى بالتوسع فى استيعاب أبناء المسلمين من شتى أنحاء العالم للدراسة بالأزهر فى كل مراحله ، مع الاهتمام بإنشاء معاهد وجامعات أزهرية فى الدول الإسلامية .

● المسلمون فى تايلاند :

تحاصر الحكومة فى تايلاند المقاطعة التاسعة من المملكة حيث يقطن المسلمون ويتعرضون للإبادة . ظهر أن حكومة تايلاند فرضت الأحكام العرفية على المقاطعة التاسعة فقط من بين أرض المملكة ، واستمرت الأحكام العرفية حتى الآن من نحو عشرين سنة .

● .... وفى الفلبين :

أعلن مصـدر مسئول فى الشرطة الفلبينية فى ٩ / ٤ / ١٩٧٣ ، أن أكثر من مائتى مسلم قد لقوا مصارعهم خلال الأسبوعين الماضيين بأيدى القوات الفلبينية فى مدينة لابنجان فى جنوب الفلبين ، وفى نهاية عطلة الأسبوع فقد المسلمون العزل عـدداً آخر فى مدينة كوتاباتو .

● توقف نشاط إسرائيل هـدام فى كينيا :

أصدرت حكومة كينيا قراراً - فى ٢٣ من ربيع الأول ١٣٩٣ - ٢٦/٤/٧٣ - بحظر نشاط جمعية « شهود يهوا » ، ووصفت الجمعية « بأنها تمثل خطراً على حسن سير نظام الحكم فى البلاد » .

« شهود يهوا » جماعة إسرائيلية تعمل تحت ستار نشر تعاليم « الكتاب

المقدس ، العهد القديم ، وقد كشفت حكومة كينيا عن حقيقة نشاطها السرى الذى يستهدف القيم الأخلاقية والوطنية وهو نشاط توجهه إسرائيل لصالح سياستها .

● ليبيا والفكر الإسلامى :

تهتم لجان التعليم فى ليبيا بالتزام الخط الإسلامى فى المكتبة التعليمية إبعاداً بها عن الفكر المنحرف الذى تمثله الاتجاهات الرأسمالية والشيوعية والصهيونية .

● زوال الخلاف بين باكستان والعراق :

صرح السيد / عبد الستار الجوارى وزير التعليم العراقى الذى زار باكستان فى الثلث الأخير من شهر ربيع الأول بأن الخلاف الطارىء بين الشقيقتين الإسلاميتين قد زال ، وأن العلاقات ستستأنف بينهما قريباً .

أدلى الوزير العراقى بهذا التصريح فى « لاهور » بباكستان .

● مدينة طالبات الأزهر :

تم إعداد الأجنحة الجديدة بمدينة طالبات الأزهر فى مدينة نصر . والأجنحة الجديدة تستوعب خمسمائة طالبة . يمكن أن تستوعب المدينة الآن نحو ألف طالبة .

● عالم عربى فى المجمع العلمى الفرنسى :

انتخب أعضاء المجمع العلمى الفرنسى « أكاديمية العلوم الفرنسية » دكتور رشدى فكار أستاذ علم الاجتماع فى جامعة محمد الخامس - عضوا بالمجمع . للدكتور رشدى مؤلفان بالفرنسية : هما : العلاقات الثقافية بين فرنسا والعالم العربى تأملات فى الإسلام فلسفية واجتماعية .

● الرواية « السينمائية » وأثرها فى الانحراف :

أعد الباحث « عبد المنعم سعد » مدير إدارة المهرجان بهيئة السينما بحثا عن « علاقة السينما بمظاهر الانحراف عند الشباب » ، وانتهى الباحث إلى أن السينما ذات تأثير مباشر للانحراف عن طريق التقليد والمحاكاة وأن ( أفلام ) المغامرات تحتل الرغبة الأولى لدى مجموعة الشباب المنحرف ، وذلك بما فيها من إشعال الرغبات الجنسية ، والرغبة فى الجريمة .

ويطالب صاحب البحث بضرورة رفع سن الأحداث من ١٦ إلى ٢٠ سنة ليسمح لهم برؤية الأفلام التى تخصص للكبار ؟

على الخطيب

that the companions of the Prophet ever spoke about such matters.

He goes on to says : "this is an affirmation that the Quran was not meant to decide upon matters claimed by them." "Yes ! The Quran included sciences relative to those of the Arabs, and forecast similar sciences that aroused the wonder of the mindful and which cannot be grasped except by those with searching minds wishing to be enlightened.

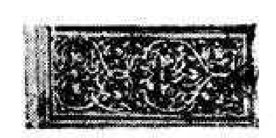
We do not wish to conclude this paper without affirming an important fact, namely that the Quran paves the way for science and scientists. He calls all the minds to come to it and approaches the men of learning to meet it, open their minds and hearts to consider its words and verses.

Thus all science and scientists are welcome to the Quran ; which represents rich nourishment for those who seek its taste and to benefit from it.

The age of science, as we have already said, is the chance of the Quran, so that scientists may fill their hearts and minds with it and use its light to make new discoveries about the secrets and fact of the universe. It is the light of God with which He guides those who followed his path. " He to whom God shall not give light, no light at all hath he ! ".

God says the truth and He guides the way.

*( Concluded )*



most that can be seen by people of it is that it shows them the landmarks of the path of life. If someone later comes to produce energy of its light to run factories, this does not detract from its value before the eyes of men, and would not annul its function.

Here arises another question : If the secrets and scientific facts said to be included in the Quran do not appear until they are discovered by science, what is the use of having it contained in the Quran ?.

The answer to this is as follows :

(1) The secrets and facts said to be contained in the Quran are not meant to be the scientific ones, but primarily the psychological and spiritual facts that promote the value of man and enhance his humanity towards perfection. These facts are found in the Quran by psychologists, sociologists and scholars of ethics, and here the Quran is the first and foremost source of these. These facts were revealed to the early Muslims, and they lives by them ever since.

(2) what harm would there be if the Quran, besides the psychological and spiritual facts, contained other scientific facts not known by men except though science. These facts would then be inside the Quran and not alien to it. But we should seek such facts and secrets in the Quranic verses without being arbitrary in interpretation.

Many people were hit with the disease of quoting the Quran in questions of science. This is an old disease which inflicted many people who missed the point about the book of God, and who brought the verses of the Quran without any thinking in discussion of subjects of science and arts.

Many scientists stood against this approach, old and new, and attacked those who placed the verses of the Quran in such upside-down manner or who read them from left to write. The moement they hear about any scientific discovery or a natural phenomenon, they would direct to to them the verses of the Quran, and thus detract the latter from their concept.

Imam Al Shatby*(1)* dealth with this matter in his book entitled "Al Mowafakat", when he said : "Many people exceeded the limit on attributions to the Quran, adding to it any science of physics or mathematics and logic, and the art of wards.

He then says that this is not verified, we have never been informed

---

*(1) Isaâc Ibrahim Ben Mossa Al Lakhmy Al Ghe naty - Died 790 H.*

the cause of the Quran. For it brings around it many of the conscious talents to discover its secrets and wisdoms. Here resides a new aspect of the miraculous character of the Quran, and that it is immortal defying the scientists and sages at all times, and guiding life to the right path. This is what made the message of Islam the last heavenly Book for mankind.

It should not be understood that we here are taking the path of those who adopt arbitrary methods in understanding the book of God, or those who go to extremes in interpreting its verses, to take this as a protext for the fact that the Quran contained all sciences and learning.

This is cheep stuff that does not correspond to the sublime nature of the Quran. The Quran in itself is rich enough and it is sufficient for it that its words and verses are the turth. God said : In truth we have sent down the Quran, and in truth it descended".

Somebody might ask : "If the Quran included the secrets of the universe, how this was not grasped by the early people of this nation, although it was them who received the Quran ? How come that they did not benefit from it in their life ? Why did not they establish with the Quran the manifestations of civilisation and culture ? Why did not they discover the atom as did the scientists of today ? Why did not they fly in space as the scientists of today ?

The answer to this is as follows:

( 1 ) The Quran was not a scientific book which came to reveal the secrets of nature. It is a book of religion and sharia addressing primarily the conscience of man, to rectify his relationship with his Creator.

The first task of the Quran is to correct the instinct of man and to remove any corrpution and deviation, and to ensure its safety. If the instinct of man is corrected then everything will be open for him, and will be worthy of being the successor of God on earth, extracting its riches and mustering its inherent power. It was through the light of the Quran that the conscience of the companions of the Prophet was enlightened ; thus they witnessed the glory of truth that led them to the positions of goodness and righteousness.

( 2 ) If the first mission of the Quran is guidance, this does not exclude other purposes which can be found by those who seek them. The sun for instance is the proof of light covering the universe. The

remember. But is there any that rememberth ?.

Thus it is incumbent upon all Muslims to prepare themselves for meeting with the Quran, such readiness should be done with knowledge of sciences and arts so that the mind may understand the verses of God.

This great harvest of the studies of Muslim scholars about the Quran is the fruit of the various cultures that differ from one age to another from one scholar to another and from one region to another. Thus it is possible from looking at this great legacy of Quranic studies, to lay down an honest history of the culture of the Islamic nation, period by period and country by country.

The age of science in which we live, provides several ways for studying the Quran and for collecting a big harvest of this endless supply.

It is science that can serve the cause of Islam and shed upon it revealing light indicating the greatness of this religion, the genorosity of its essence and the plentiful resources it opens for men. God says : "Say : Should the sea become ink, to write the words of my Lord, the sea would surely fail before the words of my Lord would fail, though We brought its like in aid."

If people see in life one of the lights of science, this represents some small portion of what is contained in the Quran : "If all the trees that are upon the earth were to become pens, and if God should after that swell the sea into seven seas of ink, His words would not be exhasuted for God is Mighty, Wise".

If people see one of the secrets of the universe, this would represent a new eye of truth opening up on the look of God : "We will show them our signs in different countries and among themselves, until it becomes plain to them that it is the truth".

Of all people the men of learning are better off than others in winning the fruits and lights of the Quran. This is indicated by God's saying : it is clear verses in the breasts of those who received learning. And only the unjust deny Our verses '.

The Quran, thus, consists of clear and shining verses in the hearts of those who received learning. As for those who did not get their share of learning, the Quranic verses will not have the same effect on them. God says : "Shall he then who knoweth that hath been sent down to thee from they Lord is the truth, act like him who is blind ? Men of insight only will bear this in mind '. Learning, as we said, serves

He also poses another question answers it as follows : "If one asks why was it not said " no kind of beast nor fowl that flieth but is a folk like you", and why add with its wings and on earth., Then my answer will be that this is meant to embrace all.

Again he poses a question as follows : If one asks : what is the purpose of mentioning all it is. He then answers by saying : this is to indicate the power of God, the wideness of His authority.

This is an example of how Al Zamakhshary dealt with the Quran. He would bring forth the statements which a human-being might like to substitute the Quranic verses with, then he would match the original to show the weakness of human-beings.

By his approach he established two facts :

(1) The inability to calculate the matchless aspects of the Quran.

(2) He made of the entire Quran a miracle evident in each letter, word and verse. Thus people regardless of their age or nation would still find endless miraculous aspects of the Quran.

• • •

The Quran . . . the development of its matchlessness with the development of cultures

Having said all this, we should now determine in full awareness that the characteristics and features of the miraculous aspects of the Quran develop and vary according to the development of cultures.

Any man who wishes to benefit from the fruits of the Quran will always be satisfied, although such fruits will be according to the intellect and understanding of each person.

Among the proofs of the Quran is that although it is so sublime, it is still near to all men. The Quran is thus the book of each mind with a mind to think, it is a message to all men to guide them to the path of God. It is it the book of a certain class people alone. It is rather the book of the Lord of men to all men. The Lord who addresses people saying : "O ye folk there has come to you a warning from your Lord, and a balm fo what is in your breasts, and a guidance and a mercy to believers".

The sources of the Quran are thus easy and accessible to all those who seek guidance. This is what is indicated in the verse "And in true we have made the Quran easy a

# The Miraculous Character of The Quran

By : *Abdel Sattar El Sayed*

Minister of Waqfs, Syrian Arab Republic

## — IV —

If it is difficult to portray the opinion of each of those leading scholars about the subject of this paper, what we have already explained about the opinions of Al Gahiz, Al Baklany and Al Gergany, is sufficient to indicate the inability of anyone attempting to lift the veil off this great secret.

But it would be appropriate to refer to the approach of Al Zamakshary which seems to be new and worthwhile.

He did not write a book devoted exclusively for the subject, but he undertook an unprecedented attempt. Having decided that there is no rule to uncover the secrets about the matchless nature of the Quran, he decided to set the proofs from the entire verses of the Quran, and make the whole Book a field for those wishing to determine its matchless character.

Thus he devoted his interpretation entitled "The discoverer of the truths about the secrets of Revelation" to this end. He did not follow the same path of those who preceded him in explaining the words of the Quran or their syntax, or deriving the rules of Sharia. But he reviewed the entire Quran from beginning to end, verse, not stopping at each verse, as his mind heart concentrated on the matchlessness of the Quranic style, and its secrets in the words and structures.

It would be sufficient to take one example to show the approach of Al Zamakhshary. In interpreting the verse "No king of beast is there on earth nor fowl that flieth with its wings, but is a folk like you : nothing have We passed over in the Book : then unto their Lord shall they be gathered, "Al Zamakhshary said : if one asks how it was said but it a fold" putting the beast and fowl in the singular, my answer would be then God would not have said no kind of beast is there on earth nor fowl that flieth.

put two of her eggs there. When the people saw the web and the eggs they did not look inside the cave, as some one remarked: " This was here before Muhammad was born" !.

When the people of Mecca left, Muhammad and his companion stayed for three more days and then went on their way. On their way to Madina something extraordinary happened. One whose name was Surakah Ibn Malik, heard about the reward of one hundred camels and when someone told him that three men had been seen in the desert, he knew it must be the Prophet and his friends. Then he got up on his horse and followed them. When he approached them his horse's forelegs sank into the sand and when he tried to lift the horse up he couldn't until the Prophet had gone for ahead. Then Then Surakah cried: "O Muhammad, ask God to free my horse and I shall not follow you".

But when his horse got up, the 100 camels made him forget his promise. He started again to follow them, but again, when he approached, the horse's hooves began to sink in the sand. Surakah called again to the Prophet, promising not to follow him, but again he did so, and the same thing happened the third time. Surakah fell from the back of his horse. He swore before the Prophet that this time he really would not follow the Prophet.

The Prophet continued on his way to Madina. On their way they felt hungy and thirsty. They passed a tent in the desert, with a Bedouin woman there. They asked her if she had something to drink. She apologised to them as she had nothing at all, apart from a very weak and old goat and this didn't give milk. When the Prophet touched the udder, however, it gave plenty of milk and and they drank as much as they wished, leaving a lot for the woman and her husband. After they had left the woman was astonished to find that the goat continued to give plentyful suppy of Milk ! . The woman and her husband always remembered this Blessed day when this Blessed man came to her tent whom she didn't know.

*The Prophet in Madina*

News of the Prophet reached the people of Yatfrib, and spread through the town, and he was expected there before his arrived. They all wanted to be first to see him. This was a feast day among the people of Yathrib, when they saw the Prophet was with them.

The Prophet entered the city of Yathrib ( Madina ) on Friday 16th Rabi awwal (2nd July 622 A D.) From that day the Prophet settled in Medina, and because of the importance of that day it is regarded as the beginning of 'Hijra' year.

*(to be continued)*

caused these men to feel so tired that they went to sleep while standing in their positions and Muhammad ( peace be on him ) came out without their knowledge, reciting these verses : "Ya Sin ( being abreviated letters ) By the wise Quran. You are truly among the Messengers, on a straight path; the sending down of the Al-Mighty, the All — Wise, that you might warn a people whose fathers were never warned, so they are heedless. The word has been realised against most of them, yet they do not believe. Surely, We have put on their necks fetters up to the chin, so their heads are raised and We have covered them so they do not see", ( 36 : 1 - 9 )

And after he had left they noticed the time had passed and thought he had not yet come out of his house, as usually did. They were worried and looked through the keyhole. They saw someone sleeping on the bed. They dicided to wait until daybreak as they didn't know what had happened. When tho sun rose they saw that the person asleep on the bed was not Muhammad and they were filled with rage and went around looking for him everywhere, realising that their plot had failed. Then they started to search outside Mecca, offering a reward of one hundred camels to anyone who could find the Prophet, alive or not.

The Prophet went to his friend Abu Bakr, who was waiting for him. When he reached his house, Abu Bakr made arrangements with his family and his workmen, and he and Muhammad left together. They went to the cave outside Mecca on the way to Medina. This cave was called the Cave of 'Thaur'. When theys reached there the Prophet told his friend they would spend some time in this cave. They went in and stayed there for three days. Abu Bakr asked a shepherd there to graze his sheep around the cave during the day and to come and stay there during the night to inform him of the news from the people of Mecca. This shepherd let his sheep move around the cave until they had removed the footprints of the Prophet and his companions and, during the night, he gave them milk and food and informed them of what the people of Mecca were saying about them.

During their stay in the cave the people of Mecca came to the mouth of the cave, looking for them. Abu Bakr told the Prophet : " O Prophet, if one of them looked at his feet, they would see us ! ; But the Prophet answered : "Don't worry, Abu Bakr, no harm will come to those whom God with". And There was spider's web at the mouth of the cave and that a bird came and

establish a strong army with thousands of soldiers and everyone would join him.

Then the third suggestion was made. They would choose one young man from each trib in Mecca and each of them would have sharp sword. They would be ordered to go to Muhammad and all of them would share in his killing. His family would be given the ranson for his life and would not be able to fight every tribe represented by the assassinators. This suggestion was accepted. They quickly started to put this plan into action and chose the young men would take part in the plot and the arrangements were made for certain time and date. Before this, Muhammad had advised most of his companions to emigrate to Medina. His friend Abu Bakr did not go, as Muhammad asked him to wait behind. Perhaps they could find another companion and leave together.

*Hijra to Madinah*

When the decision to kill the Prophet was made by the people of Mecca he was warned of it through a Revelation from God. God ordered him to leave Mecca and go to Medina on the night they planned to kill him. The Prophet started to prepare for this journey and he went to Abu Bakr one day at noon and informed him what they were to do. He instructed him to arrangements for the journey and to find some-one who had experience of the desert.

The day before the night of departure the Prophet called his cusin, Ali ibn Abutalib and asked him to get ready to sleep in his house that night place of the Prophet. He also instructed him to return to his followers put all their trust in Muhammad, and for this reason anyone who had something very precious and wanted to keep it in a safe place would ask Muhammad to take care of it. The Prophet wanted to stand by his duty and return all all these things and so had to choose a member of his own family to do this.

That night the Prophet went to bed as usual and during the night these young men came and took their places, standing outside his front-door, their hands placed on thier swords. They were ready to kill the Prophet as soon as he came out; they knew of his reqular habit of leaving his house late at night to go to the Kâba to pray until dawn.

*Miracles of Hijra*

It is related that when the Prophet wanted to leave the house God

Prophet, and to assure him that Allah was with him always, even if there was no one to help him from the creation; and at the same time, through this journey he saw many signs to show him the power of God, to give him more aid : as the Holy Quran says : "To show him from among Our signs".

This journey took plece during part of one night and was over before the daun broke. On the next day, when the Prophet informed the people of Mecca about this journey they become enraged and they accused the Prophet Muhammad, calling him a liar, and they tried to use the strangeness of this event as proof to persuade people to give up the religion. They even tried to influence Abu Bakr (may Allah bless him) with this.

They asked, 'Do you-know what your friend has said'. 'What did he say ?' said Abu Bakr. He claims that he went to Jerusalem during the night and returned before dawn', they said; 'A journey of one month each way ! How can this be done in a few hours of the night ?' "If he said so, then he is telling the truth". Abu Bakr replied.

The People of Mecca were astonished. 'Do you believe him, then ? they asked. "why not ?" Abu Bakr answered. "I would believe more than that about him. I believe that the revelation came from heaven".

*13 years in Mecca*

The Prophet had spent 13 years in Mecca calling its people to Islam, using every means he had to help them accept his call. But for their part, they used every means to stop him from continuing his call, they hurt him and they persecuted his followers. They even killed some of them. They wanted to kill him, too but they did not try as they were afraid of his family. But when they could find no other way to stop him they had a meeting in a house in Mecca to discuss a way to stop Muhammad from calling people to his religion.

During that discussion one of them suggested putting him in prison and leaving him to die, without food or water. The others did not agree with this, arguing that some of his followers would help him to escape, he might persuaed the guards to let him go free, his influence on people was so profound. Another proposal was that they should drive him out of their country and let him do what he liked elsewhere. But the members of the meeting rejected this idea, also, saying that his words influenced people so greatly that he would soon find other tribes to accept his call and would

people ordered their slaves and naughty children to line the street on either sid of his way and to stone him as he walked, until the blood flowed and covered his heels. His servant, Zaid, tried to protect him, but was unable. After the Prophet left the town he was in a most unhappy state, and sat down under the shade of some trees.

These trees were on the boundary of a vineyard which belonged to two men from Quraish, whose names were Otbah an Shaibah, sons of Rabia. These two saw what had happened to the Prophet, and felt pity for him, and sent a slave of theirs to him with a bunch of grapes. when the Prophet started to to eat he said, "Bismillah Al-Raman Al-Rahim ( in the name of God, the Merciful, the Compassionate )'. The slave was astonished to hear those words, and said, 'Sir this was a custom not used by the people of this region.' The Prophet asked him which country do you come from ? The man answered, ' I come from Ninawa'. The Prophet said, 'It is the town of the righteous man, Younos ibn Matta'. 'How do you know Younos ? the man said'. "He is my brother", said the Prophet. He was a prophet, and I am a Prophet, also.

The man knelt down and kissed the hands of the Prophet. His masters were most surprised to seem behaving in this way. When they questioned him about his conversation with the Prophet, and heard his answer, they warned him not be affected by the ways of Muhammad ( peace be on him ).

Then the Prophet raised his hand Praying to God : "O my Lord ! You are my God, and the God of those who are weak, to whom you leave me, to an enemy, giving him control of my affairs, to a foreigner. I ask You, by the light of Your Face, by which the darkness becomes shining and by which the whole earth and the heavens stand in order to give me Your help, so long as I know You are not angry with me, I don't care what people do against me".

It was clear there was no help at all from anyone on earth for the Prophet. When he came near to Mecca the news of the failure of his journey had got there before him, and he couldn't enter Mecca without first sending a message to a man called Al-Mutim ibn Adwi, asking him to be his protector, as was the custon of the Arab tribes at that time.

*Abu Bakr the Siddiq:*

It was in this situation that the Journey from Mecca to Jerusalem and from Jerusalem to heaven took place, to give spiritual aid to the

Mecca to Jerusalem, and other journey, from Jerusalem to Heaven. It is mentioned in detail in the Hadith of the Prophet and some verses of the Holy Quran in 'Surat an-Najim', refer to this event.

But we have to know why this event took place at this particular time in the life of the Prophet, and what was the significance of it, and exactly what happened during that night. It is related that during the space of the year the Prophet lost his uncle, Abu Talib, who used to protect him from the aggression of the people of Mecca, and also his wife, Khadija, who was a good wife to him, and who used to smooth for him the various difficulties he had to face from people outside the house. The loss of these two persons in one year caused a lot of sorrow for the Prophet ( Peace be on him) and he called this year the year of sorrow. After the death of Abu Talib the people of Quraish harrassed the Prophet more and more, and when he went home he did not find anyone to make it easy for him as Khadija used to do.

*Journey to Taif*

It was a hard time for the Prophet, and it semmed there was no helper or protector in Mecca. Therefore he decided to go to the town of 'Taif', in which the tribe of Thaqif lived, to call them to Islam, hoping that he would find a helper from among them. He started the journey from Mecca to Taif with his servant, Zaid, and the Prophet kept his journey secret, because he did'nt know if the people of Taif would accept his call or not. When he arrived in Taif he began by meeting the heads of the tribes, discussing with them the matter of belief, and inviting them to the religion of Islam. But unfortunately their response was not good, and he had to bear the hardship of receiving their refusal. He asked them to keep his discussion with them a secret in order to keep the people of Mecca from knowing about this failure in Taif.

But they would not agree to this, and their words to him were very impolite. One man swore by Allah that if the Prophet spoke the truth, then he was their superior and should not speak to them, because discussion between them would be unsuitable. But if, on other hand, the Prophet was a lior, then he was the inferior of the tribesmen, and it was not suitable for the tribesmen to keep the company of such an inferior.

*His experience in Taif*

When the Prophet ( peace be on him ) began to leave the twon, the

I shall live until your people drive you out." The Prophet asked him : "Will they drive me out".And Waraqa explained that no-one had ever told his people such things without being driven out. Waraqa promised that if he lived he would do everything he could to help Muhammad.

*The first believers*

Muhammad (peace be on him) started to speak to his close friends and his own family. Khadija, his wife, was the first woman to accept Islam, and Abu Bakr the first man. Ali Ibn Abi thalib, his cousin was the first boy to accept Islam, and Zaid was the first servant to accept Islam. The number started to increase slowly through the personal contact of the Prophet and his close friend, Abu Bakr, but when he received the verse "warn your close relatives", it was a sign to inform the whole people of Macca of his cause.

The prophet climbed a hill called Al-Safa and started to call out : 'O people of Mecca' ! with a loud voice. They were sitting around Kâba. When they heard his voice they came and gathered round him. He Said : "What would you say if I informed you that there is an army coming to attack you from the other side of the mountains ? They answered : "We never knew you to tell lies." Then he said : "I am the manifest warner, and I am the Prophet of God to you, and therefore I call you to worship God alone and not worship idols".

*Public Call*

It was the first time that the Prophet had made a public announcement of his call, but the people were astonished at the information he gave to them, because he had never told a lie, and yet what he asked them was extraordinary. One of his uncles, Abu Lahab, got annoyed and spoke to him harshly.

From that time onward, the Prophet started to call people to accept Islam, openly, and at the same time the people of Quraish started to inflict more and more harm upon him ; he continued his call and did not give any attention to the harm he suffered from the people.

*The Ascension of the Prophet*

There is a chapter in the Holy Quran called Al-Isra. In the beginning of the chapter, Allah says : Glory be to Allah who took His servant by night from the inviolable place of worship to the far distant place of worship, the neighbourhood whereof We have blessed, that We might show him of Our tokens ! Lo ! He, only He is the Hearer, the Seer."

This is about the journey from

on the Mount of Hirâ, and his chosen month was Ramadân ? One night toward the end of his quite month that the first Revelation came to him, when he was 40 years old. The Angel came to him and said : "O Muhammad ! you are the messenger of God and I am the Angel Gabriel. Then he embraced him strongly and said : "Read". The Prophet answered : "I cannot read." Then the Angel embraced him again and said : "Read." The Prophet answered : "But I am unable to read." The Angel embraced him for the third time strongly, and said : "Read in the name of thy Lord who created. Created man from a clot. Read and your Lord is the Most Generous. He taught man by the pen. Taught man what he knew not". ( 96 : 1 – 5 )

*Khadija's Faith*

This was a shock for Muhammad ( peace be on him ), and he was amazed. He turned his face away but wherever he turned the voice came to him and he saw the Angel. He could not understand how such a thing could have happened to him, and he left the cave and returned quickly to his home. But on the way the Angel appeared to him and the voice of the Angel filled his ears. He was afraid and and when he reached his house his wife knew he was worried and he asked her to bring plenty of blankets as he was so cold. Perspiration flowed from his face. When he had become calm and his wife was beside him, he wondered what had happened to him. His wife asked him to explain what had happened as she wanted te remove this worry from his mind.

When he told her, she told him not to worry, and she reminded him that Allah will never disgrace those who help the weak and give money to the poor and spend their lives helping others, as Muhammad had always done. Then he slept. The Prophet's wife had an uncle called Waraqa. Ibn Nawfal. He was an old man and he was one of those who rejected idolatry and was looking for an ideal religion. He had read the Old and the New Testament and he followed Christianity. He therefore had a knowledge of prophethood and revelation. From his knowledge he had come to know the religious men of the 'People of the Book' and knew from them that they were expecting the Prophet to come.

Khadija took the Prophet to him And when the Prophet told him what appended, Waraqa Said. 'By Allah, you are the Prophet for whom we have heen waiting. I hope

Kâba, because it was an honour for them, and all the Arab tribes. All the Arab people respected those of Mecca and regarded them as the people who looked after the House of God. when they started building they came to the place where they had to replace Al-Hajar al-Aswad, the Black stone. From this moment the arguments started. who could have the honour of patting the stone in its place ? Each tribe wanted to have this honour. They started arguing, and this almost led to a fight. Some of them called for a fight, and blood bath threatened Mecca. The wise leaders of the tribes recognised this as an extremely dangerous situation and they wondered what they could do to prevent this tragedy.

*Nobility*

One of the leaders suggested that they should accept the judgment of the first man to enter the place. This suggestion was readily accepted, because nobody wanted this threat to continue ; they were afraid of the consequences, as they might well be killed. They all stood with their eyes facing towards the way which led to the Kâba. Then they saw the Prophet Muhammad coming towards them. At that time Muhammad had not claimed to be a prophet but he was the most highly respected man in Mecca and re-nowned for his honesty and trustworthiness. For this reason they used to call him Al-Sadiq, Al-Amin — The trustworthy, the truthful — and when they saw him coming all of them cried with one voice : "Al-Sadiq Al-Amin"! in a tone of appreciation. And they all felt happy and at peace in their minds and they felt sure no harm would now befall any of them, and that what ever Muhammad's decision, it would be accepted by all.

When they explained the problem he requested them to bring a peice cloth and he chose four men, one from each tribe. He then placed the stone on the cloth and asked each of the four men to take one corner. The four men then shared the carrying the stone untill they came near to the wall, and the Prophet then took the stone in his hands and put it in its place in the wall. By making this decision he was able to prevent the 'blood - bath' and peace prevailed in Mecca. This too, was the first day that the people realised the outstanding wisdom of Muhammad ( peace be on him ) and he came to be regarded as the most revered person in Mecca.

*First Revelation*

It was his practice to retire with his family for a month of every year to a cave in the desert for meditation. His place was the cave

in Syriya the dates of Hijaz, and perfumes of Yemen, and in return brought back with him Products of Byzantine empire.

Muhammad accompained his uncle and guardion on one of his mercantile journeys to Syriya. During this period it was opended before him the scene of religious degradation, and social misery prevalent in the world. Silently and humbly, with many thoughts in his mind, the solitary orphan boy grew from childhood to youth.

It is recalled that with all his affection forh is people, he seemed far removed from them, in his ways of life and mode of thoughts. The lawless ness prevailed among the people of Arabia, the sudden outbursts of causeless and meaningless quarrels among the tribes, and the immorality of the the people. naturally caused feelings of intense horror and disguest in his mind.

*Marriage*

In the 25 th year of his age, he travelled once more into Syriya as an agent of the noble lady of of Quraish, Khadija. The nobility and ability with which he discharged his duties impressed the lady Khadija. In spite of the disparity of age between Muhammad and Khadija, a marriage was arranged between them. The marriage proved a very happy one, though she was 15 years older than he was.

This marriage gave him rank among the nobles of Mecca. Throughout the 26 years of their life together he remained devoted to her. There always existed the tenderest devotion on both sides. This marriage provided him with the rest and freedom from daily duties which he needed in order to prepare his mind for his great task, and beyond that it gave him a loving heart, that was the first to believe in his mission, and that was ever ready to console him in his despair.

*Children*

Khadija bore him seven children – 3 sons and 4 daughters – but the sons all died in infancy. The daughters long survived. The next 15 years after his marriage was a silent record of spiritual communion, preparation and looking inward. Muhammad, rich by his alliance with Khadija, and Abbas, the brother of Abutalib, were the most opulent citizens of Mecca.

*Wisdom*

When the Prophet was 35 years of old the people of Mecca wanted to re-build the Kâba, because it had been damaged by the floods which covered the vally of Mecca at that time. The tribes of Mecca co-operated with each other to re - build the

# MAJALLATU'L AZHAR

( AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

| Rabi'Awwal 1393 | ENGLISH SECTION | APRIL 1973 |
|---|---|---|

*To mark the birthday of Prophet Muhammad*

## SPOTLIGHT ON THE LIFE OF THE PROPHET

by : Dr. Mohiaddin Alwaye

---

*His birth*

Muhammad the Prophet was born on the 12 th of Rabi'Awwal, ( the 29 th of August, 570 A. D. ). In accordance with the customs of the Arabs, the child was confided during early infance to a Bedouin woman of the tribe of Bani - Saad, and upon being returned by her to his mother Amina he was brought up with tenderest care.

His father, Abdullah, had died before he was born, in the course of a journey to Yathrib ( Madina ), in the 25 th year of his age. He was bereft of his mother when only 6 years of age. The doubly-orphaned child was thus brought up by his grand father Abdul Muthalib. Towards the year 579 A. D. he lost his grandfather also. On his death-bed Abdul Muthalib had confided to his uncle Abu Talib the charge of his brother's child. In the house of Abu Talib Muhammad passed his early life.

*Early life*

His early life was not free from the burdon of labour, for had often to go into the desert to watch the flocks of his uncle. Abu Talib, like his father and grand father, carried on considerable trade with Syria and Yemen. He transported to Damascus, to Basra, and other places




مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت ٩٠٦١١ ، ٩٠٥٥٠٦

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«بدل الاشتراك»
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الرابع — السنة الخامسة والأربعون — ربيع الآخر سنة ١٣٩٣هـ — مايو سنة ١٩٧٣م


بسم الله الرحمن الرحيم

# هذه الحياة كما يجب أن نفهمها

للأستاذ عبد الرحيم فودة

لا تدرك قيمة الرخاء إلا بعد الشعور بالشدة ، ولا لذة الراحة إلا بعد الشعور بالتعب ، ولا نشوة الفرح بالنجاح إلا بعد قسوة الإحساس بالإخفاق والفشل ، ومثل ذلك يقال في الفرج بعد الضيق ، واليسر بعد العسر ، والنصر بعد الهزيمة .

فقد شاء الله أن تكون طبيعة الناس في الحياة وطبيعة الحياة مع الناس كذلك ، وأن يبتلى المؤمنين فيها بالخير والشر كما يقول : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون » ، فمن صبر في الشدة وشكر في الرخاء كان له أجر الصابرين ، وخير الشاكرين ، وهما كما يقول سبحانه : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » . وكما يقول : « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد » .

ولا شك أن الصبر في الشدة والشكر في الرخاء من مظاهر الشخصية القوية التي لا تستخفها النعم إلى الطيش والغرور والبطش ، ولا تعصف بها المحن والشدائد مهما تكن قاسية عاتية ، وهذا ما دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم وعمل على تربية المسلمين عليه : ليكونوا كما وصفهم الله بقوله : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

وقوله : « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : ( عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ؛ وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ) .

فالحزن القاسي على فوت منفعة ، أو لوقوع حادثة أو كارثة ليس من طبيعة المؤمن الذي يوطن نفسه على احتمال الشدائد ؛ ويكل أمره إلى الله ، ويتطلع إلى عدله وفضله ، ويثق بأن كل شيء بقضائه وقدره ، وأن الخير قد يكون فيما يراه شراً ، والشر قد يكون فيما يراه خيراً ، كما يفهم من قوله تعالى : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

والفرح الذي يستخف صاحبه عند الشعور بالنعمة ، أو لوقوع ما لم يكن يترقبه من خير ليس كذلك من طبيعة المؤمن الذي يوقن بأن النعمة من الله . ويؤمن بأن الخير منه ؛ كما يفهم من قوله تعالى : « وما بكم من نعمة فمن الله » ، وقوله : « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده » .

ولهذا يقابل فضله عليه وإحسانه إليه بما ينبغي من ذكر وشكر ، ولا يزدهيه ما يتقلب فيه من خير إلى البطر والأشر والغرور ؛ وهذا ما ينبه إليه القرآن حيث يقول الله فيه : « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور » .

ثم إن هذه الحياة ليست هي الفرصة الوحيدة التي يتمتع فيها الإنسان بما قسم الله له من رزق طيب ، ومتاع للروح والجسد ، وإنما هي معبر وممر لحياة أخرى أكرم وأعظم منها ، وفترة اختبار يخرج منها الإنسان إلى ما أعده الله له من نعيم في الجنة أو عذاب في النار .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ، وهذا مما يحفز همم المؤمنين إلى العمل الصالح ، ويقوى عزائمهم على احتمال الشدائد ، والصبر عليها ، والأمل فيما تنتهي إليه

من خير مضمون مأمون . « فإن مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا » . كما يقول الله . وإن الفلاح والفوز ثمرة الصبر والمصابرة والصمود والتقوى ، كما يفهم من قوله : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

نقول هذا ونحن نواجه لونا من الحياة يتعرض المسلمون فيه لمحن شداد وخطوب ثقال ، وتتألب عليهم وتتحزب ضدهم فى ظلامه قوى يقودها الشيطان إلى البغى والعدوان .

فلنؤمن بأن النصر مع الصبر ، وأن الله أكبر . وأنه كما يقول سبحانه : « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات » « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

وصدق الله إذ يقول : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » ؟

عبد الرحيم فودة

---

أوصى عمر بن الخطاب قائده بطل القادسية ( سعد بن أبى وقاص ) بوصية قال فيها : « إنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ؛ فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم ؛ فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا » . « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

# عناية الإسلام بأسر الشهداء

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب فلحقت عمر امرأة شابة فقالت: يا أمير المؤمنين هلك زوجى وترك صبية صغارا والله ما ينضجون كراعا ولا لهم زرع ولا ضرع، وخشيت أن تأكلهم الضبع وأنا بنت خفاف بن أيماء الغفارى، وقد شهد أبى الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوقف معها عمر ولم يمض، ثم قال: مرحبا نسب قريب، ثم انصرف عمر إلى بعير ظهر كان مربوطا فى الداخل فحمل عليه غرارتين ملؤهما طعام وحمل بينهما نفقة وثيابا ثم ناولها بخطامه، ثم قال: اقتاديه فلن يفنى هذا حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها، قال عمر: ثكلتك أمك إنى لكأنى أرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنا زمنا فافتتحناه ثم أصبحنا نستفىء سهمانهما.

أخرجه البخارى.

ما ينضجون كراعا: يقال: فلان ما ينضج كراعا وما يستنضج إذا كان عاجزا لا كفاية فيه ولا غناء، ويقال للضعيف: فلان لا ينضج الكراع.

تأكلهم الضبع: الضبع: السنة المجدبة. يقال أكلتهم الضبع أى السنة التى لا خصب فيها. الضرع: خلف الشاة، والمراد به الشاة نفسها يقال: فلان ماله زرع ولا ضرع إذا لم يكن له حرث ولا ماشية. ظهر: بعير ظهر إذا كان قويا شديدا. نستفىء سهمانهما، استفاء يستفىء من الفىء وهو ما يؤخذ من أموال أهل الحرب بغير قتال والسهمان جمع سهم وهو النصيب، والمعنى فأصبحنا نأخذ ما حصل لهم من الفىء أو نشاركهم فيه.

إن هذا الحديث ليأخذنا بروعة عباراته كما تأخذنا روعة معانيه، وأى روعة فى العبارات بعد هذه الكنايات التى سلكتها المرأة الشابة فى شكاتها سلك الدرر فى عقود الملاح. لقد سلكتها فى شكاتها تقطر حسرة وتوجعا وتصور حالها تصويرا يفلق الصخر ويلين الحديد.

لقد شكت حال أولادها وأنهم صغار لا ينضجون كراعا يعني أنهم لا غناء فيهم ولا حول لهم ولا يستطيعون ضربا في الأرض اكتسابا للرزق وابتغاء القوت وتخشى أن تأكلهم الضبع أي تشتد عليهم الحياة أكثر مما هم فيه فيهلكوا جوعا ويذهبوا ضياعا، ولا غرابة أن ينطلق لسان هذه الشابة بالقول المعجب من أساليب العرب فهي إحدى عقيلات العرب وفصيحاتهم اللواتي فتقت البادية العربية والبيئة العربية ألسنتهن وعقولهن لجرين مع الرجال في حلبة البلاغة متنافسات متسابقات سابقات.

أما روعة المعاني فيتبينها القارىء في شرحنا لهذا الحديث، وفي الحق أن الحديث في حواره الرائع يعطي القارىء فكرة عامة عن مضمونه قد يستغني بها بعض القارئين عن الشرح والتبسيط ولكن إعجابنا به ورغبتنا في الإفادة منه تدعونا إلى أن نزيده بسطا وننبه إلى ما يوحي به مما يربطه بقضايا عصرنا وظروف حياتنا.

وملخص قصة الشابة هذه أنها مسها وأهلها الضر فذهبت إلى عمر بن الخطاب ولحقته في الطريق واستوقفته لتبلغه شأنها، وتبسط له حاجتها وما تعانيه، فوقف عمر - وهو أمير المؤمنين - ليسمع من امرأة في عرض الطريق غير متكره ولا متسخط، فهكذا كان أسلوبه في شئون حكمه وإدارة دولته رضي الله عنه إذ كان التلاحم بجماهير الشعب ومخالطة العامة أبرز سمات حكمه، وقصصه في ذلك شائع معروف.

وقف عمر فأخذت الشابة تبثه شكاتها وتفضي إليه دخيلة أمرها وتبدي له جملة أعذارها وكانت لبيبة حاذقة في عرضها فقد حشدت له من الأعذار ما يكفل لها بلوغ الغاية وإنجاح القصد، ولا شك أن أعذارها كانت قوية ووجيهة لا يخامر سامعها شك في قوتها ووجاهتها لا سيما إذا كان السامع عمر ذا الفراسة والفطانة والرفق والعدالة وحسن اللقاء وصدق التقدير.

قالت الشابة لعمر: إن لي أولادا صغارا لا يستطيعون إعالة أنفسهم فهم عجزة عن العمل والكسب لصغرهم وأخشى إن استمرت بهم تلك الحال ولم يجدوا ملاذا أو ملجأ ولا من يكفيهم عيشهم أن يهلكوا، وإن حقا على الدولة أن تكفلهم وترعاهم فهم أبناء وأحفاد جنود

الدولة الذين قتلوا فى ساحة الحرب، فأخى وهو خالهم وأبى وهو جدهم كلاهما استشهد فى المعارك الإسلامية ، وإذا أنا طالبت أن تكفلهم الدولة فإنما أطلب حقا لا إحسانا وصدقة ، وأنت ممثل الدولة وحاكمها والمسئول عما تسفر عنه الحروب من الكوارث وأهمها إعالة أسر الشهداء

سمع عمر ذلك ولا شك أنه قد انفعل انفعالا عنيفا وتنازعته عوامل الشفقة والحاجة والغيرة والمسئولية ، وما كان أقسى عامل المسئولية على عمر ؛ لقد كان نصب عينيه فى سلوكه فى رعيته ، ويحس فى كل تصرف من تصرفاته أن عين الله ترقبه وتوجه عليه تصرفه .

استشعر عمر حاجة هؤلاء الصغار وموقف أمهم منهم وهمها بهم وقلقها عليهم كما استشعر مسئوليته عنهم كحاكم قلده الله أمورهم ووكل إليه شئونهم وسيحاسبه عليهم .

استشعر عمر ذلك كله فنهض مسرعا ليفرج كربة المرأة ويؤدى واجب الدولة نحو أسرة من أسر الشهداء وعمد إلى دار قريبة منه فوجد جملا قويا مربوطا بها فملأ غرارتين (جوالين) بطعام ووضعهما ووضع بينهما ثياب ونفقة على الجمل وناول زمامه المرأة وقال : خذى الجمل فإنه لك بما حمل واعتبرى هذا إسعافا مؤقتا حتى يأتيك خير الله ، يعنى والله أعلم ؛ حتى تقرر لك ولأولادك الدولة معاشا دائما يقوم بأودهم ويصلح من شأنهم حتى يستقلوا بأنفسهم ، وقد استكثر أحد مرافقى عمر ما أعطاه عمر هذه المرأة فأنكر عليه عمر ما قال ، ثم قال عمر : إن هـذا ليس بكثير على هؤلاء ، فهم أبناء وأحفاد الذين ضحوا بأرواحهم فى سبيل دينهم ووطنهم وكانوا شركاء فى النصر وفيما أفاء الله على المسلمين من خير ؛ أفلا يكون من حقهم على الدولة أن ترعاهم حتى يكبروا ويشعروا بتكريم الدولة للمجاهدين من أبنائها لينغرس فى نفوسهم حبهم لأوطانهم ويعدوا أنفسهم لأن يكونوا حماة لها فى مستقبلها كما كان آباؤهم حماة لها فى ماضيها .

ذلك إجمال قصة الحديث وأن ساسة العصر وزعماءه وحكامه يتواصون ، بالعناية بأسر الشهداء ويتنافسون فى ذلك اكتسابا لعطف الشعوب وحرصا على احتوائها وتأييدها ، وقل من يفعل ذلك

( البقية ص ٢٩٩ )

دراسات قرآنية :

# محمد والذين معه ... في التوراة والإنجيل

للأستاذ مصطفى الطير

— ٢ —

« ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ »
« فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعدالله »
« الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما »
(آخر سورة الفتح)

الشـــــرح

تحدثنا فى المقال السابق عن إرسال النبى - صلى الله عليه وسلم - للناس بالهدى ودين الحق . ليظهره على الدين كله . وعن مثله وأصحابه فى التوراة .

واليوم نتحدث عن مثلهم فى الإنجيل. فنقول وبالله التوفيق :

يقول الله تعالى: « ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ، والمراد بشطء الزرع فراخه، وهى ماتخرج وتتفرع على شاطئيه - أى جانبيه - قال صاحب الفواع: شطأ الزرع وأشطأ إذا أخرج فراخه . وهو فى الحنطة والشعير وغيرهما .

وقال أبو حيان فى كتابه - البحر - : أشطأ الزرع أفرخ . والشجرة أخرجت غصونهـــا . وقال صاحب القاموس : الشطء فراخ النخل والزرع أو ورقه .

ومعنى الآية: مثل النبى -صلى الله عليه وسلم - هو وأصحابه ، كمثل زرع نبت من التربة بغير أوراق وفروع ، ثم أخرج أوراقه وفروعه ، فآزرت هذه الأوراق والفروع ذلك الزرع ، أى قوته وأعانته على أن يتحمل الرياح فى هبوبها . وكلما كثرت هذه الفروع حول الساق ازداد الزرع قوة واستغلظ - أى أصبح غليظا بعد ما كان دقيقا - واستوى بسبب ذلك على ســـوقه ، أى استقام على قصبه وأصوله ، يعجب الزراع بفروعه وغلظه وكثافته وخضرته، وجماله وحسن منظره

قال صاحب الكشاف : هذا مثل ضربه الله تعالى لبدء ملة الإسلام . وترقيه فى الزيادة ، إلى أن قوى واستحكم ، لأن النبى - صلى الله عليه وسلم - قام وحده ، ثم قواه الله تعالى بمن معه ، كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها .

قال الألوسى : وظاهره أن الزرع هو النبى - صلى الله عليه وسلم - والشطء هم أصحابه . فيكون مثلا له ولأصحابه . لا لأصحابه فقط . وروى هذا المعنى عن الواقدى وابن عباس - رضى الله عنهما -

وإنما جعلهم الله على هذا النمط ليغيظ بهم الكفار ، بما تحدثه مؤازرتهم الرسول من القوة والانتصار عليهم ، وظهور حقه على باطلهم .

وهكذا كان أمر الإسلام وصاحب رسالته - محمد صلى الله عليه وسلم - مع خصومهما ، فقد بدأ الإسلام برسالة محمد صلى الله عليه وسلم كما يبدو الزرع من الغرنة لجعل الرسول يدعو الناس سرا إلى الإيمان بربه ، فآمن به عدد قليل تقوى بهم فى دعوته ، ثم استعلن بها فجابهه المشركون بما يكره وقسوا عليه وعلى من آمن معه ، فصمدوا لخشونة قومهم وقسوتهم ، كما يصمد الزرع الذى تقوى بطاقاته ، ولم توهن قوته الرياح والزوابع ، فكلما مالت به الريح عاد إلى استقامته ، فلما اشتد الإسلام وقوى بكثرة من آمن به من أهل المدينة وما حولها ، عظم أمر الرسول والرسالة ، وعز الإسلام وأتباعه وأصبحوا قوة منيعة ، ثابتة مكينة ، كما يشتد الزرع ويقوى ويغلظ ، بكثرة طاقاته ، وتعدد أفراخه وأشطائه .

وقد ترتب على انتشار الإسلام وكثرة معتنقيه غيظ الكفار وحنقهم عليه وعلى أصحابه ، لظهوره عليهم وفاء بوعد الله تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » ، ونشره تعاليم الإسلام ، ونجاح الدعوة الإسلامية فى النواحى التى امتدت إليها ، وتلاشى الظلم والفوضى من ربوعها ، وإحلال النور والهدى محل الظلمة والضلال ، ونشره العدل بين جوانبها ، مكان الظلم والطغيان .

وقد جاء فى الإنجيل مثل هذا المثل المضروب فى الآية ، فقد أخرج ابن جرير الطبرى وعبد بن حميد عن قتادة « مكتوب

فى الإنجيل : سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع ، يخرج منهم قـــوم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

وجاء فى إنجيل متى إصحاح ٢١ ما يؤكد ما صرحت به الآية من علو الرسـول وإغاظته لأعدائه ، فقد جاء فيه : « الحجر الذى رفضه البناءون صار رأس الزاوية من قبل الرب لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل إثماره ومن سقط على هـذا الحجر يترضض ، ومن سقط عليه يسحقه » .

فهذا النص يفيد أن سلطان الرب الذى أعطاه لبنى إسرائيل سيزول عنهم إلى إسماعيل الذى تنكر له بنو يعقوب ، مع أنه عمهم ، وسيعطى لبنى إسماعيل حين يظهر حفيده محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد تنبأ هذا النص ، بأن من تنكر لمحمد صلى الله عليه وسلم من بنى إسرائيل يتحطم ، ومن يحاربه منهم يسحقه .

وقد حدث هـذا كله والحمد لله ، فقد بعث محمد من ذرية إسماعيل ، ولما بغى عليـه اليهود سحقهم ، ومن بقى منهم حيا أجلاهم من بـلاد الحجاز ، فتفرقوا فى شعاب الأرض .

وجاء فى إنجيل برنابا فى قوة الرسول على الكافرين ، ورحمته للمؤمنين ـ الفصل السادس والتسعين ـ أن السيد المسيح عليه السلام قال : « ولكن عندما يأخذ فى الله من العالم ، سيثير الشيطان مرة أخرى هـذه الفتنة الملعونة ، بأن يحمل عادى التقوى على الاعتقاد بأنى الله وابن الله ، فيتنجس بسبب هذا كلامى وتعليمى حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمنا ، حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذى خلق كل الأشياء لأجله الذى سيأتى من الجنوب بقـوة ، وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر ، وسيأتى برحمة الله لخـلاص الذين يؤمنون به وسيكون من يؤمن بكلامه مباركا » .

وجاء فى الفصل الثالث والستين بعـد المائة من إنجيل برنابا المذكور ، من فقرة (٣) إلى فقرة (١١) « حينئذ قال يسوع : أيها الإخوة : إن سبق الاصطفاء لسر عظيم حتى إنى أقول لكم الحق : إنه لا يعلمه جليا إلا إنسان واحـــد ، وهو الذى تتطلع له الأمم والذى تتجلى له أسرار الله تجليا ، فطوبى للذين سيصيخون السمع

إلى كلامه متى جاء إلى العالم ، لأن الله سيظللهم كما تظللنا هذه النخلة ، بل إنه كما تقينا هذه الشجرة حرارة الشمس المتلظية ، هكذا تقى رحمة الله المؤمنين بذلك الاسم من الشيطان - أجاب التلاميذ يا معلم : من عسى أن يكون ذلك الرجل الذى تتكلم عنه الذى سيأتى إلى العالم ؟ أجاب يسوع بابتهاج قلب : إنه محمد رسول الله ، ومتى جاء إلى العالم فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر بالرحمة الغزيرة التى يأتى بها ، كما يجعل المطر الأرض تعطى ثمرا بعد انقطاع المطر وقتا طويلا ، فهو غمامة ملأى برحمة الله وهى رحمة ينثرها الله رذاذا على المؤمنين كالغيث » .

ومن ذلك النص نعلم أن إنجيل برنابا جاء فيه اسم الرسول صلى الله عليه وسلم صريحا ، وموصوفا بأنه يبعثه الله رحمة للعالمين ، وأنه بالمؤمنين رءوف رحيم ، وهذا هو ما جاء عنه فى القرآن الكريم ، ولصراحة هذا الإنجيل حرمه الملك قسطنطين ، وعاقب من يوجد معه ، وبقى خفيا فترة طويلة حتى عثر عليه فى المكتبة البابوية بروما ، فترجم إلى عدة لغات ، ثم ترجم إلى العربية عن الترجمة الإنجليزية بقلم أحد المسيحيين المصريين ثم راجعه المرحوم العلامة الشيخ محمد رشيد رضا وقدمه لطلاب المعرفة ، ورواد الينابيع الصادقة الفياضة بالحق ، وكان العثور عليه فى أوائل هذا القرن ، فشكرا للعناية الإلهية التى أتاحت للناس أن يطلعوا على إنجيل لا يكتم الحق ، ولم تعمل فيه أيدى المغرضين بالطمس والتحريف والإبهام .

وقد ختمت الآية بقوله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » أى وعد الله أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم - الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة لما عسى أن يحدث منهم من المعاصى ، فإنه ليس من البشر من هو معصوم منها إلا الرسل صلوات الله عليهم ، كما وعدهم بأجر عظيم لا يقادر قدره .

ووصفهم بالذين آمنوا وعملوا الصالحات بعد وصفهم بأنهم مع الرسول إما لمدحهم والتعليل لاستحقاقهم المغفرة والأجر العظيم ، وإما لإخراج من كان معه من المنافقين ، فإنهم كانوا معه بأجسادهم

لا بقلوبهم [١] والله تعالى نسأل أن يعصمنا من الزلل، ويوفقنا لصالح العمل حتى نكون أهلا لهذا الوعد الكريم، بالمغفرة والأجر العظيم، فإنه وإن كان خاصا بأصحاب النبي لفظا، لكنه عام لهم ولغيرهم حكما، إذا ساروا على سنتهم من الإيمان والعمل الصالح، والشدة على الكفار والتراحم فيما بينهم، وإقامة الصلاة، وابتغاء الفضل والرضوان من الله ؟

مصطفى الحديدى الطير

(١) الضمير فى قوله: «منهم» راجع إلى قوله: «والذين معه» و(من) للبيان وليست للتبعيض كما فى قوله تعالى: «فاجتنبوا الرجس من الأوثان» وذلك إذا أريد بالذين معه جميع المؤمنين الصادقين فإن أريد بهم مايعم المنافقين: فمن للتبعيض لإخراج المنافقين من الوعد بالمغفرة والرحمة، والوجه الأول هو الظاهر، لوصف الذين معه بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، والمنافقون لم يكونوا كذلك، والله أعلم.

---

( بقية المنشور على صفحة ٢٩٤ )

منهم برا ومروءة وإنسانية، أما الإسلام فقد جعل تلك العناية دينا، من خالفه فقد خالف الدين ولم يجعلها متاجرة سياسية يتوسل بها إلى الظفر بالحكم والانفراد بالأمر، إننا حين ننشر هذا الحديث ونبسط القول فيما تضمنه من غايات فقصدنا أن نذكر الأجيال الحاضرة من الأمم الإسلامية بمفاخر الإسلام وكيف أسهم فى وضع اللبنات الأولى فى نظم تخفيف ويلات الحروب، ولو تتبعنا بإمعان، غزوات الرسول وحروب الخلفاء الراشدين لوجدنا فى ثنايا كل معركة قاعدة أو قواعد من تلك النظم ولو جمعناها لوجدنا منها أصولا صالحة فى علاج ما تسفر عنه الحروب من مآس ومشكلات، وتمثل بالتالى جانبا من جوانب الحضارة الإسلامية التى لم تترك ناحية من نواحى الحياة الراقية إلا انفتح لها ذهنها ووضعت عليه طابعها، فالإسلام قانون الحياة العام يعالج مشكلاتها فى جميع أحوالها ولا يغفل شيئا منها وهذا امتياز الإسلام بين الأديان ؟

أبو الوفا المراغى

من هدى السنة :

# الإخاء بين المهاجرين والأنصار

للدكتور محمد أبو شهبة

روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: « لما قدموا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن وسعد ابن الربيع ، قال لعبد الرحمن : إني أكثر الأنصار مالا فأقسم مالي نصفين !! ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها !! قال : بارك الله لك في أهلك ومالك ، أين سوقك ؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ثم تابع الغدو ، ثم جاء يوما وبه أثر صفرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مهيم » ؟ قال : تزوجت ! قال : « كم سقت إليها » ؟ قال : نواة من ذهب أو وزن نواة من ذهب شك إبراهيم » .

ورواه أيضا بسنده عن أنس رضي الله عنه أنه قال : « قدم علينا عبد الرحمن ابن عوف ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع ، وكان كثير المال ، فقال سعد : قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالا ، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين ، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك ، فأطلقها ، حتى إذا حلت تزوجتها !! فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، ولكن دلني على السوق .

فلم يرجع يومئذ حتى أفضل شيئا من سمن وأقط ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه وضر من صفرة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مهيم » ؟ قال : تزوجت امرأة من الأنصار ، قال : ما سقت فيها ؟ قال : وزن نواة من ذهب أو نواة من ذهب ، قال : « أولم ولو بشاة » .

تخريج الحديث : هذا الحديث مما انفرد به البخاري في صحيحه عن مسلم ، وقد رواه في أول كتاب البيوع ، وفي الفضائل - باب إخاء النبي بين المهاجرين والأنصار -

وفى باب كيف آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين أصحابه قبيل كتاب المغازى ، وفى كتاب النكاح - باب «أولم ولو بشاة» .

« الشرح والبيان »

« من هو عبد الرحمن بن عوف » ؟

هو الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب ابن مرة القرشى ، الزهرى يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جده كلاب ، كان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو وقيل : عبد الكعبة فسماه رسول الله عبد الرحمن ، وأمه الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث ابن زهرة ولد بعد الفيل بعشر سنين ، وأسلم قبل أن يدخل الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، فهو من السابقين الأولين ، هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة ، وآخى النبى بينه وبين سيدنا سعد بن الربيع ، وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل سيدنا عمر بن الخطاب الخلافة فيهم وجرح يوم أحد إحدى وعشرين جراحة ، وكان من أثرى الصحابة ، وكثير الإنفاق فى سبيل الله عز وجل ، ولما توفى ورثت كل امرأة من نسائه الأربع ثمانين ألفا[1]

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه بنوه إبراهيم ، وحميد ، وأبو سلمة أحـــد الفقهاء المشهورين ومصعب . وغيرهم كابن عباس وابن عمر ، وجابر وتوفى سنة إحدى وثلاثين بالمدينة وهو ابن خمس وسبعين سنة . وأوصى بخمسين ألف دينار فى سبيل الله . فى وقيل فى سنة وفاته غير هذا . فرضى الله عنه وأرضاه .

« من هو سعد بن الربيع » ؟

هو سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك الأنصارى الخزرجى عقبى . بدرى . شهد العقبة الأولى والثانية وكان أحد نقباء[2] الأنصار ، وقتل يوم أحد شهيدا . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد : « من يأتينى بخبر سعد بن الربيع » ؟ فقال رجل : أنا ، فذهب يطوف فى القتلى حتى عثر عليه وهو فى آخر رمق ، فقال الرجل :

---

(١) رجح الحافظ بن حجر فى الفتح أنها بالدنانير لا بالدراهم

(٢) جمع نقيب وهو الرئيس ، والكفيل على قومه بما عاهدوا الله ورسوله عليه

ما شأنك ؟ قال : بعثنى رسول الله لآتيه بخبرك ، قال : فاذهب فأقرئه منى السلام ، وقل لقومك : الله الله ، وما عاهدتم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ، فو الله ما لكم عند الله عذر إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف ! ، ولم يبرح الرجل حتى مات ، فرجعت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : « رحمه الله نصح لله ولرسوله حيا وميتا » فرضى الله عنه وأرضاه (١)

« آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع »

ذلك أنه لما استقر المسلمون بالمدينة بعد الهجرة ألهم الله سبحانه نبيه محمدا بعمل يعتبر غاية فى حسن السياسة ، وأصالة النظر ، وبعد النظر ، فقد عقد بين المهاجرين والأنصار أخوة بها يتعاونون ، ويترافقون ، ويتناصرون ، بل ويتوارثون ، وإنه لعمل بارع حقا !

وقد اختلف العلماء فى وقت هذه المؤاخاة : فقيل بعد الهجرة بخمسة أشهر ، وقيل بتسعة ، وقيل : وهو يبنى المسجد ، وقيل قبل بنائه ، والذى نرجحه أن ذلك كان بعد الهجرة بقليل ، فإن الحال كانت تدعو إلى الإسراع بهذا الإخاء جمعا للشمل ، وتوثيقا للأخوة الدينية . وقطعا لدسائس الأعداء ولا سيما اليهود . وقد كانت هذه المؤاخاة فى دار الصحابى الجليل أنس ابن مالك كما فى صحيح الإمام مسلم .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى بن أبى طالب أخوين ، والصديق أبو بكر وخارجة بن زيد أخوين ، والفاروق عمر ، وعتبان بن مالك أخوين (١) وحمزة وزيد بن حارثة أخوين (٢) ، وحاطب ابن أبى بلتعة ، وعويم بن ساعدة أخوين وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن الربيع أخوين . وابن مسعود ومعاذ ابن جبل أخوين . ومصعب بن عمير ؛ وأبو أيوب الأنصارى أخوين ، وأبو حذيفة بن عتبة . وعباد بن بشر أخوين ؛ وبلال وأبو رويحة أخوين

---

(١) أنظر ترجمة الصحابيين الجليلين فى كتب الرجال كأسد الغابة ، والاستيعاب والإصابة

(١) نص على ذلك ابن اسحاق ، وجاء فى صحيح البخارى غير صريح .

(٢) ثبتت أخوتهما فى صحيح البخارى فى كتاب المغازى – باب عمرة القضاء

وأبو عبيدة بن الجراح . وأبو طلحة الأنصاري أخوين[1] والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة ابن وقش أخوين . وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخوين . وسعد بن زيد وأبي بن كعب أخوين ، وعمار وحذيفة ابن اليمان أخوين . . . وهكذا .

قال ابن سعد : « آخى بين مائة : خمسين من المهاجرين . وخمسين من الأنصار ، وليس معنى هذا أنه لم يكن التآخي إلا بين هذا العدد . وإنما كان هذا أول ما آخى . وصار يجدد بحسب من يأتي إلى المدينة مهاجرا . ومن دخل في الإسلام بعد ذلك .

« أوهام لابن إسحاق » :

ومما ينبغي أن يتنبه إليه أن الإمام محمد ابن إسحاق وهم في بعض من ذكرهما أخوين وذلك مثل عده جعفر بن أبي طالب ، ومعاذ ابن جبل أخوين .

والمعروف الثابت أن جعفر ما كان بالمدينة آنئذ ، بل كان بالحبشة ، ولم يقدم المدينة إلى عام خيبر سنة سبع ، وعده أبا عبيدة ، وسعد بن معاذ أخوين والصحيح ما ذكرته .

وقد أجاب الإمام الحافظ ابن كثير عن بعض هذه المآخذ : بأن النبي أرصد من كان حاضرا بالمدينة لأخوة من لم يكن حاضرا بها حتى يقدم[1] !! وهو جواب كما ترى .

وقد أنكر الإمام تقي الدين أحمد بن تيمية المؤاخاة بين مهاجري ومهاجري ، وقال : إنها كانت بين مهاجري وأنصاري ، وقد رد عليه الحافظ ابن حجر في الفتح فقال : « وأنكر ابن تيمية في كتاب الرد على ابن المطهر الرافضي - يعني كتابه منهاج السنة - المؤاخاة بين المهاجرين ، وخصوصا مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم لعلي ، قال : لأن المؤاخاة شرعت لإرفاق بعضهم بعضا ، ولتأليف قلوب بعضهم على بعض فلا معنى لمؤاخاة النبي لأحد منهم ، ولا لمؤاخاة مهاجري لمهاجري . . إلى آخر ما قال .

قال الحافظ : وهذا رد للنص بالقياس وإغفال عن حكمة المؤاخاة ؛ لأن بعض

(١) ثبت ذلك في صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه رضي الله عنهم ، وكذلك رواه الإمام أحمد

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧

للمهاجرين كان أقوى من بعض ، بالمال ، والعشيرة ، والقوى ، فآخى بين الأعلى والأدنى ، ليرتفق الأدنى بالأعلى ، ويستعين الأعلى بالأدنى ، وبهذا نظهر مؤاخاته صلى الله عليه وسلم لعلى ، لأنه هو الذى كان يقوم به من عهد الصبا من قبل البعثة ، وكذا مؤاخاة حمزة ، وزيد ابن حارثة ؛ لأن زيدا مولاه ، فقد ثبتت أخوتهما وهما من المهاجرين[1].

«التوارث بهذه الأخوة» ولم تكن هذه الأخوة أخوة إسلام وتعاون فحسب ، وإنما كانت أخوة بها يتوارثون قال عز شأنه «إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا[2]» ، وقد استمر الأمر على ذلك حتى عز الإسلام ، واجتمع الشمل ، وذهبت آثار الغربة من وحشة ، وحاجة ، فنسخ الله تعالى حكم التوارث بهذه الأخوة بالحكم الثابت المستقر ، وهو التوارث بالقرابة والرحم ، وهو الذى تقتضيه الفطرة البشرية ، فمن ثم كان آخر التشريع فى دين الفطرة ، قال عز شأنه : «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا[1]» ، وقوله سبحانه : «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شىء عليم[2]» .

«سأقسم مالى بينى وبينك شطرين» .

قال فى القاموس: الشطر -بفتح الشين- نصف الشىء ، وجزؤه ، ومنه حديث الإسراء «فوضع شطرها» ، أى بعضها جمعه أشطر وشطور ، والجهة ، والناحية ، والمراد هنا الأول وهو النصف بدليل الرواية الأولى «فأقسم مالى نصفين» .

«ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك ، فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها» .

أعجبهما : أحسنهما وأجملهما ، حلت : أى انتهت عدتها ، وقد جاء ذلك صريحاً فى الرواية الأولى ، وهو أعلى أنواع الإيثار لأن الإنسان قد يؤثر غيره بماله ، وهذا أمر معهود ، أما أن يؤثره بأحسن زوجتيه وأجملهما على نفسه فهذا أمر

(١) فتح البارى جـ٧ ص٢١٢ (٢) الأنفال: ٧٢ (١) الأحزاب : ٦ . (٢) الأنفال: ٧٥ .

لا يكاد يعرف إلا نادراً جداً ، ولكنه الإيمان الحق الصادق فعل فعله فى نفوس الأنصار رضوان الله عليهم حتى آثر سعد أخاه عبد الرحمن بأحسن زوجتيه وأجلهما !

وهكذا ضرب سيدنا سعد بن الربيع مثلا فريدا فى تاريخ البشر !!

« فقال عبد الرحمن : بارك الله فى أهلك ومالك » .

لئن كان سيدنا سعد قد ضرب مثلا أعلى فى الإيثار فقد ضرب سيدنا عبد الرحمن ابن عوف على عوزه وحاجته مثلا عالياً لعزة النفس، والمروءة ، والعفة ، والرغبة فى العمل والاكتساب. وهكذا يجب أن يكون المسلم : عزيزاً ، عفيفا ، يأكل من عمل يده .

« أين سوقك ؟ فدلوه على سوق بنى قينقاع » بفتح القاف ، وسكون الياء ، وضم النون ، وفتح القاف ، وهم قوم من اليهود الذين كانوا يسكنون بالقرب من المدينة ، فذهب إلى السوق فباع واشترى وعاد بفضل من ربح ، وكان من أقط وسمن، الأقط: بفتح الهمزة وكسر القاف: الجبن المصنوع من اللبن بعد نزع زبده ، والسمن : معروفة وهى : ماتؤخذ من لبن الحيوان كالبقر والغنم ونحوهما .

« ثم تابع الغدو » الذهاب إلى السوق والبيع والشراء ، والاكتساب .

« ثم جاء يوما وبه أثر صفرة » وفى الرواية الأخرى «وعليه وضر من صفرة».

الوضر : -بفتح الواو والضاد المعجمة وآخره راء مهملة- هو الأثر، وفى رواية « وعليه ردع زعفران » الردع - بفتح الراء وسكون الدال آخره عين مهملة - : هو أثر الزعفران والمراد بالصفرة: صفرة الخلوق، والخلوق: طيب يصنع من زعفران وغيره ، وقد استدل به على جواز التزعفر للعروس وخص به عموم النهى عن التزعفر للرجال ، وأما الذين منعوه مطلقا فأجابوا عن الحديث : بأن ذلك كان قبل النهى ، أو أن النهى ليس على التحريم ، وإنما هو التنزيه فيكون جائزاً ولا سيما للعروس .

« مهيم » كلمة معناها : ما شأنك ؟ أو ما هذا ؟ فهى كلمة استفهام مبنية على السكون ، وأهى بسيطة ، أم مركبة ؟ قولان لأهل اللغة ، وقال ابن مالك : هى اسم فعل بمعنى أخبر .

ووقع فى بعض الروايات بلفظ : ماهذا وهو يدل على أنها للاستفهام عن شأنه وحاله .

« قال : تزوجت، قال : كم سقت إليها ؟ قال : نواة من ذهب أو وزن نواة من ذهب » .

وقد قيل إن اسم هذه المـــرأة من الأنصار أم إياس بنت أبى الحيسر واسمه أنس بن رافع الأوسى « نواة من ذهب أووزن نواة من ذهب » شك من الراوى أى اللفظين قاله عبد الرحمن ، وهنا يدل على شدة تحرى الرواة فى الألفاظ وإلا فالمعنى متقارب، ووزن النواة قدره خمسة دراهم وقيل : ربع دينار ، وأيا كان المراد فالحديث دليل على عدم الغلو فى المهور، واستحباب القصد فيها ، ولو كان ذلك مكرمة لكان أولى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة .

« أولم ولو بشاة » يدل على مشروعية الوليمة فى العرس واستحبابها ، وأنه يكفى شاة، بل ماهو دون الشاة، والأمر متروك لحالة الزوج فإن استطاع أن يولم بأكثر من شاة فليفعل

« وبعد » فقد كان لهـذه الأخوة آثارها البعيدة المدى فى الحب والارتفاق والتعاون والتناصر ، وقامـوا بحقوقها خير قيام ، وضرب الأنصار فى هذا الباب مثلا عليا لم تعرف لغير هؤلاء السادة الكرام الأبرار ، وهذا ما سأحدثك عنه فى الحديث الآتى إن شاء الله تعالى ؟

الدكتور محمد محمد أبو شهبة

---

قال الله تعالى :

« والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

صدق الله العظيم

# الدين والأيديولوجية ومنهج كتابة التاريخ

للأستاذ أحمد موسى سالم

---

ذكرت فى المقال السابق نماذج من آراء بعض المستشرقين فى تعريف « حركة الإسلام » بين قول من يقول : « إنه حركة سياسية واقتصادية استخدمت الدين » وقول من يقول : « إنه دين آمن به أتباعه من العرب لأسباب غير دينية » الخ . . مما يقطع بتناقضهم مع حقيقته ، زيادة عن هذا التناقض بينهم وبين أنفسهم فى فهمه ، وبالتالى فإن هذا التناقض المزدوج فى الفهم يؤكد استحالة أن يكون هو الأساس السليم لمحاولاتهم تفسير وتقنين أحداث التاريخ الإسلامى تفسيرا علميا مهما زعموا من سلامة المنهج الذى يستخدمونه التحليل والتركيب والتقنين ، طالما أن الفكر الذى يوجه ويحكم هذا المنهج أو هذه الأداة ليس علمياً ولا عصريا . . !

وكنت قد أشرت إلى أن واحدا من أهم أسباب تخبط هؤلاء المستشرقين فى دراسة التاريخ الإسلامى هو جهلهم بالمعنى المحدد والكامل لكلمة « الدين » فى لغة القرآن الكريم . وبالإضافة إلى ذلك نجد تأزم متنوعا ومبهما وأسطوريا لمعنى الكلمة المقابلة للدين فى لغاتهم فى ضوء المفهومات العديدة عنه فى الفلسفة المثالية ، أو فى التصورات والأحكام الماركسية ، أو فى التفسيرات العلمانية المستحدثة لبعض علماء الاجتماع .

ولو كان اقتصر الأمر على كتابات هؤلاء المستشرقين لأنفسهم ومواطنيهم عن الإسلام وتاريخه وتنظيره لهان الأمر . وربما لو أنهم عرضوا هذه الكتابات علينا عرضا حياديا منزها عن وسائل التسلل والقهر السلبى أو الغزو الصريح لأفكارنا ومعتقداتنا الذى يمهد للغزو السياسى والاقتصادى والعسكرى ويتبعه ماكان علينا ولا عليهم من بأس . ولكنهم لم يتعلموا العربية حبا فيها أو فى أهلها ، وهم لم يبحثوا ويرحلوا وينقبوا من أجل

أعدائهم وأفكارهم المسبقة للتدليس والتزوير فى هذا التاريخ الإسلامى تعبدا للعلم، أو تكريما وأزرا للإنسان العربى، بل من أجل تخريج أجيال من أبنائهم وأبنائنا تكرر أقوالهم، وتبث داخل الكيان الفكرى للشعوب العربية المجزأة والمخدرة - كما يبث الطفيلى فى عائله - شكوك هؤلاء العلماء السياسيين، ومفترياتهم المبتكرة، وأمراضهم النفسية المصابة تجاه الإسلام، ونبى الإسلام، وشعب الإســلام، ومصادرة قوة الإسلام!

ومنذ مائة عام مع صيحة الخديو إسماعيل بتسليم فكر وتراث مصر لأعدائها حتى يسخروها بفكرهم فى صورة «قطعة تابعة لأوربا». ومنذ ارتكب هذا الوالى السفيه خيانة إلغاء الشريعة الإسلامية مستبدلا بها تحت الوصاية اليهودية قوانين فرنسا وغيرها فى التشريع المدنى والجنائى تفتحت المغاليق والطرق أمام النشاط الظاهر والخفى لحـركة الاستشراق الاستعمارى والسياسى، وذهبت إلى أوربا بعثات من شباب عرب متفائلين فى طلب العلم، ليجدوا أو لنكتشف نحن فيما بعد صحة ما قاله مؤسس الصهيونية الحديثة تيودور هرتزل فى يومياته:

«إننا معشر اليهود نلعب دورا هاما فى الحياة الجامعية فى جميع أنحاء العالم. والأساتذة اليهود يملأون جامعات البلدان كما أن هناك منهم عددا كبيرا من العلماء المتخصصين فى جميع المجالات التعليمية»!.

وهكذا تلقى أكثر أبنائنا مادة التاريخ الإسلامى - منذ أوائل القرن العشرين - على أيدى أساتذة يهود. وهكذا تبصر اليوم هنا وهناك هؤلاء الذين يركضون من مثقفينا وراء أقوال هؤلاء المستشرقين اليهود ولو كان إلى الهاوية... هؤلاء الذين يسلمون مع أساتذتهم بأنهم «لا يستطيعون عرض الدين وأسسه عرضا علميا»... لا يستطيعون تخليصه من شوائب ما نسب إليه وتفسيره... لا يستطيعون عملية الاستجلاء لهذه السنن التى سارت بالدين الحق كظاهرة وحركة واحـــدة منذ آلاف السنين تؤكدها هذه الحلقات والموجات المتتابعة حتى اليوم... لقد أغمضوا عيونهم على الذل بالرأى، وباعوا

ضميرهم العلمى ، وخروا على أقوال آلهتهم ساجدين !! .

وفى محاولة مبسطة لتفسير أخطاء أكثر المستشرقين فى النظر والبحث ، وللكشف عن القواعد المقابلة فى بناء الفكر الإسلامى العلمى والسليم نبدأ ببيان معنى كلمة الدين فى لغة القرآن ، فى مقابل معناها فى المفاهيم والتصورات المثالية والماركسية وغيرها لدى أكثر المستشرقين ، مما يوضح ما لهذا التباين من الأثر المباشر على تخبطهم فى فهم الإسلام ، ومنهج دراسة تاريخه .

الدين فى لغة القرآن :

يأتى الدين فى اللغة بمعنى الخضوع ، ومن هذا المعنى تظهر كلمة الدين فى القرآن الكريم بمعنى الخضوع الخالص لله . وأصبح لهذا الخضوع بالإيمان وجهه الإيجابى فى كلمة « العبادة » ، وذلك فى مثل قوله تعالى : « ألا لله الدين الخالص » ، وفى قوله : « قل الله أعبد مخلصا له دينى » ، وبهذا المعنى يبدأ تفسير الحياة عند المؤمن من حقيقة أنه ـ مع كل الأشياء ـ خاضع وعابد لله لأنه منه بدأ وإليه ينتهى .

ولما كان الاتجاه إلى الله بالعبادة يلزمه منهج لتنظيم هذه العبادة أصبح من معانى الدين « الشريعة » ، أو المنهاج الذى يتعبد الإنسان به ، وفى ذلك يقول الله : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك » .

ولما كانت الأعمال التى تنبع من الالتزام بعبادة الله بحسب ما هى شريعته لا بد لها من غاية تنتهى إليها فى مسار الدين الحق فقد أصبح من معانى الدين « الحساب » و « الجزاء » ، وذلك فى قوله تعالى : « مالك يوم الدين » وفى قوله : « وإن الدين لواقع » .

كذلك يأتى الدين بشكل هذه المعانى مجتمعة فى مثل قوله تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » . وأخيرا يأتى الدين بمعنى عام يشمل ما تكون عليه معتقدات البشر فى تفسير الحياة وهم يعبدون فى دينهم تلك القوى المختلفة سواء كانت الإله الحق ، أو الآلهة المتجسدة فى عناصر الطبيعة ، أو فى الملوك والأسلاف ، أو فى قوانين المادة . والدين بهذا المعنى العام يقابل

إلى حد ما هـذا الاصطلاح الحديث لكلمة الأيديولوجية أى المذهب أو النظرية المؤلفة من مجموعة من الأفكار تحدد فى الحياة مجموعة من المواقف الاجتماعية والسياسية .

الدين عند المستشرقين :

هـذه المعانى القرآنية لكلمة الدين لا يدركها المستشرقون ، ولا يبحثون أصلا فيما وراءها ، لأنهم نشأوا - مع ضعف المسلمين - على قدر من معاداة الإسلام يساوى القصور عن فهم نصوصه وتدبر مصادره . ولذلك فإنهم يفهمون كلمة الدين فى لغاتهم هـذا الفهم الأسطورى والمبهم والمتنوع كما توحى إليهم به تلك المفهومات والتصورات العديدة المتضاربة فى الفلسفات المثالية أو المادية أو الصهيونية التى يدينون لها وحدها دون حرج من تناقضها على المنهج الذى يدعون علميته وعصريته . . . !

فالدين فى مجتمع الفلسفات المثالية يعنى بصفة عامـة « ممارسة طقوس مقدسة » ويعنى أيضا « خضوع الإنسان لقوة أخرى فوق الإنسان » ويعنى عند التحديد « نظام الإيمان كما جاءت به الأديان الكبرى ، وفى مقدمتها المسيحية والإسلام » .

والدين فى المجتمعات الشيوعية مأخوذاً عن فلاسفة الماركسية هو « الخضوع بعد مراحل من الطوطمية والروحية والفتيشية لهذا الكائن الخيالى غير الطبيعى ، الكلى القدرة ، وسيد السماء ، الذى يفترض أنه خلق العالم وأنه يحكمه ، والذى هو الله فى الإسلام ، والثالوث فى المسيحية ، ويهوه فى اليهودية ! » .

والدين فى التفاسير العلمانية الحديثة لعلماء الاجتماع مثل دور كايم هو : « تمثل المجتمع لسلطانه فى صورة الله » ، وليست الرموز المقدسـة للمعتقدات والممارسات الدينية إلا الإشارة لهذه القوانين الأخلاقيـة التى يريد المجتمع أن يجمع بها نفسه ، ويدعم تضامنه . والدين لذلك عند دور كايم وأمثاله باق ومستمر .

هذه هى المواقف المتنوعة لرؤية الدين عند المستشرقين وهى جميعها كما نرى لا تقدم فى إنكارهم له أساسا موضوعياً للعلم بقدر ما تلق عليه شبهات للهدم ، وهى جميعها لا تصلح منطلقا لدراسة علمية

ومنزهة للتاريخ الإسلامي من موقف بعيد عن الخيال والارتجال والعداء المسبق !

الأيديولوجية بديلا للدين :

ولزيادة إيضاح ما سبق نشير إلى ما شهده القرن التاسع عشر فى أوربا من هذه الظواهر الفكرية والاجتماعية البالغة فى التأثير على « العقل الأوروبى » الحديث ومنه العقل الاستشراقى إلى أقصى حد .

فنى القرن التاسع عشر ظهرت الآثار التطبيقيـة للثورة العـالمية النظرية فى شكل الثورة الصناعيـة التكنولوجية ومضاعفاتها ومؤثراتها على جميع ساحات الحياة الأوربية بصفة خاصة ؛ والعالمية بصفة عامة ، وكان من أهم الآثار والتغيرات التى وقعت : نهاية الملكية وتقوض سلطة الكنيسة الأوربيـة ، وظهور قوة الشـعوب ، ونشوء المبـدأ القومى للدول ، ونشاط حركة الاستعمار ، وبروز التجمع اليهودى تحت شعار الصهيونية الحديثة فى اتجـاه فلسطين .

وكنتيجة لكل ذلك فى مجال تطور العقل الأوربى ، حدث انهيار فى إمكان استمرار التكيف بين عالم الأفـكار والفلسفات النظرية وبين عالم الواقع الذى لا زالت تضغط عليه مع هذه المتغيرات تلك القيم القديمـة المتوارثة ، والمقصود بها المعتقدات الدينية المسيحية كما عبر عنها أوغسطين فى كتابه « فائدة الاعتقاد » ، حيث يقول رداً على ديكارت : « إذا كنت مخطئاً فأنا موجود » ، وحيث يقول : « أنا لا أعقله لذلك أومن به » . وكما عبر عنها توما الأكوينى فى كتابه « الجامع فى اللاهوت » ، الذى حاول فيـه التوفيق بين العقل والدين . . وكما عبر عنها كذلك دانتى من الجانب الفنى فى كتابه « الكوميديا الإلهية » .

تحت وطـأة هذا الانهيار ، اتجـه فلاسفة القرن التـاسع عشر إلى محاولة بنـاء ما يسمونه المثل العليا الحضارة الغربيـــة على أساس دنيوى وإنسانى خالص ، أى على أساس علمانى غير دينى ، وبالذات غير مسيحى ، وهكذا كان المخاض من الحل بهـذه الأزمة العقلية التى استثمرها الهدامون وحدهم ، هو ميلاد كلمة « الايديولوجية » التى صيغت وتطورت لتكون بديلا لكلمة الدين الخطرة عندهم وهى تعبر

من عالم انقلابى جديد للأفكار الاجتماعية .. الدنيوية !

كان أول من صاغ لفظ الأيديولوجية من كلمة ايديو يعنى فكرى هو الفيلسوف الفرنسى المغمور ديتوت دى ترامى ( ١٧٥٤ - ١٨٣٦ ) وقد استخدمه دى ترامى أول الأمر ليدل على « التحليل التجريبى المجدد للذهن البشرى » ثم انتقل اللفظ من مجرد معنى التجديد إلى زعماء الثورة الفرنسية لكى يدخلوا عليه معنى استخدام هذا التجديد « فى تحليل الأفكار الاجتماعية المنعكسة من الإحساس بالظلم الاجتماعى » كسلاح فعال فى محاربة المعتقدات الدينية والسياسية المتسلطة التى استغلها النظام القديم فى الاحتفاظ بقبضته الباطشة !

فالأيديولوجيات التى ظهرت خلال محنة العقل الغربى فى القرن التاسع عشر ومحنة إنسانيته أيضا مع نمو الصهيونية والاستعمار - كانت هى مرحلة التحول فى الحقيقة إلى نقد العقل نفسه الذى استطاعت تلك المعتقدات المتوارثة أن تعيش فى ظله فلسفيا، ففى عصر التحولات الصناعية والمادية الهائلة ، وفى مجرى المخاوف والشكوك المتدفقة فى كل اتجاه والمتولدة من ظهور قوى جديدة كالقوة اليهودية وقوى الاحتكارات وأصحاب مصانع الأسلحة ، وانخساف قوى أخرى كالملوك ورجال الدين والشعراء الرومانتيكيين امتد النقد إلى قلب الفلسفة نفسها عندما أدركتها آثار الثورات السياسية والاجتماعية والعلمية التى كانت مستمرة منذ عصر النهضة ، مما أدى إلى التشكك فى أداة التفكير الفلسفى ذاتها وهى العقل الذى سرعان ما نشط واضعو الايديولوجيات إلى اتهامه بأنه « المحرر المزعوم للفكر البشرى » وبأنه غالبا ما كان « مستودعا للأوهام البالية والعادات الذهنية العتيقة » !!

وهكذا اتجه الايديولوجيون منذ القرن التاسع عشر إلى تقويض الفلسفة القديمة والعقل القديم من أجل ما أرادوا أن يصنعوه من الفلسفة الحديثة والعقل الحديث ، فكانت هذه الايديولوجيات التى لا ترتبط أساسا بالتاريخ أو الأخلاق أو العلم إلا لتطويعها كأدوات أساسية تحقق « انقلاب كل القيم » ... أدوات معقدة تستخدم قصدا لإعادة تشكيل

مواقف الإنسان الأوربى - وغيره فيما بعد - تجاه تراثه ، وبالتالى تجاه ذاته !

لقد وقع هذا الانقلاب الأيديولوجى فى الأفكار إذن من أجل القضاء فى البداية أو النهاية على هذا الرمز الثابت وهو «الله» الذى لم يعد له عند هؤلاء المذهبيين الجدد أى فائدة فى عصر ما يسمونه النظم السياسية والاجتماعية الدنيوية ؛ حيث تتولى «الايديولوجيات» - وليس الدين - إعادة تفسير الرموز الأساسية للعقيدة الأوربية على نحو يجعلها تشغل الأذهان فقط بهذه المحن التى يخوضها الإنسان الحديث فى حياته الاجتماعية وهو يحدد مواقفه منها !

لقد كانت هذه فى الحقيقة هى مهمة الفلاسفة الإيديولوجيين الذين كان يستحيل عليهم التفلسف ضد الدين بالطرق «العقلية» ، والذين عملوا على زعزعة الاستدلال العقلى حتى الأعماق فى أعظم أزمة تجتازها الحضارة الغربية منذ الاصطدام الأول على أرضها بين الوثنية والمسيحية الأولى . إنها الأزمة التى ترتد بها أوروبا شرقا وغربا إلى وثنيتها الرومانية والإغريقية القديمة ، ولكن بأشكال ووسائل كما تسميها : إيديولوجية وعصرية .. رائعة ومروعة !

وأخيرا فإن هذه الإيديولوجية التى يعرفها المفكر الماركسى جورج بولتيزر بالتبسيط الشديد فيقول إنها : «مجموعة من الأفكار تؤلف نظرية أو مذهبا أو حالة ذهنية خاصة» أصبحت هى الهيكل المقدس الجديد لتناول أفكار العصر ، ومباركتها ! وبعبارة أصح أصبحت هى هذا المسرح الدائرى العجيب الذى تصدر عن مؤثراته السحرية والمتناقضة بين فكرتين مثل : الماركسية والوجودية - جميع أشكال المناهج التحليلية موضوعيا وذاتيا ، ولا موضوعيا ولا ذاتيا للوصول إلى المعرفة العلمية !.. تصدر جميع هذه الادعاءات المزونة والتى تحصى بالآلاف تحت عنوان المنهج العلمى أو العصرى !

وبالعودة إلى المنهج نعود مرة أخرى إلى مواجهة هؤلاء المستشرقين الذين غامروا مطمئنين بتزوير التاريخ الإسلامى وهم يحملون أوزارهم الأيديولوجية وراء قناع اسمه المنهج !! ؟

أحمد موسى سالم

# عبد الرحمن بن عوف ... الصّادق البار

للأستاذ السيد قرون

---

أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد السابقين إلى الإسلام ، وأحد المهاجرين إلى الحبشة ، وأحد الأبطال الذين شهدوا المواقع كلها مع رسول الله محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه ، وممن ثبت فى غزوة أحد ، ثم هو أبرز رجال الشورى بعد مقتل عمر ، وأحد الأثرياء الذين عرفوا المال ووضعوه فى موضعه .

ولد عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب فى أسرة لها مكانتها فى قريش حيث الحسب والنسب ، والثروة والجاه وزهرة هو الأخ الأكبر لقصى بن كلاب جد الرسول لأبيه ، وإن كان قصى قد جمع قريشا ووضع لها النظم التى تعيش عليها فأخوه زهرة لم يكن بعيدا عن مناصرته وكان الرسول يقول : « ولدت من خيرى حسبين : هاشم وزهرة لأن أمه آمنة بنت وهب من بنى زهرة ، فعبد الرحمن ابن عوف من أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعروف لنا أن هاشما وبنيه كانوا ذوى نزعة دينية ، وحب للخير ، وسمو عن الخنا ، وكذلك بنو زهرة ما شاموا بريقا من الخير إلا ترقبوه ، وسارعوا إلى طالبيه ، وأقرب مذكور لنا انضمامهم إلى بنى هاشم حين دعوا إلى حلف الفضول لنصرة المظلوم ، والضرب على يد الظالم ، فابن عوف من أسرة كريمة لها فى صنع الخير ، والدعوة إلى البر فضل عظيم ، وحسبك منها أنها أنجبت لنا عبد الرحمن ، وسعد بن أبى وقاص .

شب عبد الرحمن فى هذه الأسرة وفى بطحاء مكة فتى حلو الشمائل ، صادق القول فيه أناة ورفق ، وأريحية ومغالبة للنفس وطموح إلى المجد وبصر بعواقب الأمور وقد حباه الله حسنا وجمالا ، عن يعقوب بن عتبة قال : « كان عبد الرحمن بن عوف رجلا طويلا حسن الوجه رقيق البشرة فيه جنأ أبيض مشربا حمرة لا يغير

لحيته ولا رأسه، وكان مولده بعد حادث الفيل بعشر سنوات .

وحين تتحدث كتب السيرة والتاريخ عن أول من أسلم وعن السابقين فى الإسلام تختلف اختلافا كبيرا ، فتقول: أول من أسلم أبو بكر، وتقول : أول من أسلم على ابن أبى طالب ، وبعضها يقول : زيد ابن حارثة مولى رسول الله ، وكذلك الشأن فى إسلام بقية العشرة المبشرين بالجنة ، والذى نعتقده ونثق به هو ماجاء حسب العوائد وطبيعة الأحياء والمشاهدة والمنطق المقبول أن الإسلام بدأ فى منزل خديجة حيث منزل الوحى الأول فمن البديهى أن تكون خديجة أول المسلمين ثم الذين يعيشون فى بيتها على وزيد، ومن البديهى أن يكون أبو بكر هو أول من أسلم حين دعا محمد خارج بيته فهو الصديق والصديق .

والذى قلناه هنا نقوله فى الذين دعاهم أبو بكر إلى الإسلام فاستجابوا ، إننا نجد اختلافا فى السابق منهم ، والأقرب إلى العقل أنهم ذهبوا إلى الرسول معا ، أو متتابعين فى أوقات متقاربة، فلا نعجب إذا سمعنا سعد بن أبى وقاص يقول كنت ثلث الإسلام ، يعنى أنه كان ثالث من من أسلم، لكن كتب التاريخ ترتبهم حسب قرابتهم لرسول الله هكذا ، عثمان بن عفان والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص، وطلحة بن عبيد الله والتاريخ الإسلامى قام أصلا على أساس حياة محمد وغزواته ، ولكل من أصحابه أبناء نبلاء ، وأتباع مخلصون تحدثوا حتى وصلت رواياتهم إلى العصر العباسى حيث دون التاريخ ولذلك نجده على طريقة رواية الحديث من العنعنة ، وأخذ الآخر عن الأول ، وتختلف الروايات شأنها شأن الأحاديث النبوية وعلى كل حال فابن عوف بالإجماع ، من السابقين حين كانت شفاه قليلة تردد : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، ومع أننا لا نجد فى حياته بمكة حين أسلم من كفار مكة ما يدعوه إلى الفرار بدينه: والهجرة إلى الحبشة إلا أننا نرجع ذلك إلى حسه المرهف ونفسه الحرة أن يرى التعذيب لأصحاب محمد ولا يذود عنهم ، كان الاضطهاد عنيفا حين هاجر إلى الحبشة فعثمان يحبس فى منزل عمه ، وسعد يضرب من يهزأ به وهو يصلى ، والضعفاء يلقون فى الرمضاء ، والرسول

يقرأ عليهم «فاصبر صبرا جميلا». ومن ذكريات ابن عوف عن هذه الفترة الحرجة هذه الحادثة التي رواها لمن يجالسونه، وفيها طرافة، وتصوير لعقلية قريش: قال: كان أمية بن خلف لي صديقا بمكة وكان اسمي (عبد عمرو) فسميت حين أسلمت (عبد الرحمن) فكان يلقاني فيقول: يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماكه أبوك؟ فأقول: نعم. فيقول: فإني لا أعرف (الرحمن) فاجعل بيني وبينك شيئا أدعوك به. أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول، وأنا لا أدعوك بما لا أعرف. فكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه. فقلت: اجعل بيني وبينك يا أبا علي ما شئت. قال فأنت عبد الإله، فقلت: نعم فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الإله فأتحدث معه: حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه علي ومعي أدراع قد استلبتها فأنا أحملها، فلما رآني قال: يا عبد عمرو فلم أجبه. فقال يا عبد الإله. قلت نعم. قال: هل لك في فأنا خير لك من الأدراع التي معك قلت: نعم هلم إذا، فطرحت الأدراع من يدي، وأخذت بيده ويد ابنه علي وهو يقول ما رأيت كاليوم أبدا. يا عبد الإله: من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟ قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل. قال عبد الرحمن فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي، وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على أن يترك الإسلام فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد. فيقول بلال: أحد، أحد - فقال بلال حين رآه: رأس الكفر أمية بن خلف. لا نجوت إن نجا. قلت أي بلال أبأسيري؟ قال: لا نجوت إن نجوا. قلت: تسمع يابن اللخناء. قال لا نجوت إن نجوا. ثم صرخ بأعلى صوته يا أنصار الله. رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا. قال عبد الرحمن فأحاطوا بنا، ثم جعلونا في مثل المسكة[1] وأنا أذب عنه، فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط. قلت انج بنفسك ولا نجاء فوالله ما أغنى عنك شيئا، فهبروهما بأسيافهم حتى

(١) المسكة - الحلقة.

فرغوا منهما ، فكان عبد الرحمن يقول : رحم الله بلالا : ذهبت أدراعي ، وفجعني بأسيري » .

والذي يعنيني من هذه الحادثة أمران الأمر الأول : أن أذى قريش لعبد الرحمن لم يتعد إنكارها لتغيير اسمه ، وطرافة القصة في الاتفاق الذي تم بينهما في شأن التخاطب ، وقد ظهر أثره في غزوة بدر فلم يجبه عبد الرحمن حين ناداه باسمه الأول ( عبد عمرو ) فلما ناداه بعبد الإله أجابه وأمية بن خلف ممن أعمى الله أبصارهم ، فلم يهتدوا ، وباء بخزي في الدنيا وله عذاب مهين في الآخرة .

والأمر الآخر : الفاقة التي كان يعانيها عبد الرحمن فهو يذكر حزنه على الأدراع ، وفجيعته في أسيريه ، ولا عجب في ذلك فهو كسائر المهاجرين ترك داره وماله ، وأصبح في حاجة ماسة إلى المال .

قال الرواة : « حين قدم ابن عوف مهاجرا إلى المدينة آخى رسول الله بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري . فقال له سعد أخي أنا أكثر أهل المدينة مالا ، فانظر شطر مالي فخذه ، وتحتي امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها لك ، فقال عبد الرحمن بن عوف : بارك الله لك في أهلك ومالك . دلوني على السوق ، فدلوه .... » فهو حين قدم لم يكن ذا مال وما زال إلى غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة لم يكن قد أثرى ، وإنه ليذكر أدراعه وأسيريه متحسرا ، ولكن ما لبث حتى كان ذا مال كثير ، كيف حدث ذلك؟

إننا لا يمكن أن نغفل الغنائم حين نتحدث عن ثرائه ، ولكن لا يمكن أن تكون هي سبب الثراء والرخاء اللذين صار إليهما ، فكثير ممن شهد مع رسول الله المشاهد كلها لم يكن ذا ثراء ، ومنهم علي ابن أبي طالب ، فلا بد من شيء آخر جلب إليه المال ، وجعله أغنى رجل في تلك الدولة الناشئة . ذلك هو الربح الحلال من التجارة التي كان يحسن القيام عليها ، واستثمارها في جو مهيأ للتجارة والكسب الكبير .

أثرى عبد الرحمن والرسول ما زال يؤسس الدولة الإسلامية ، فقال له : « يابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفا ، فأقرض الله يطلق لك قدميك . قال ابن عوف : وما الذي أقرض الله يا رسول الله ؟ قال : تبدأ بما

أمسيت فيه قال: أمن كله أجمع يارسول الله؟ قال: نعم. فخرج ابن عوف يهم بذلك. فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن جبريل قال: مر ابن عوف فليضف الضيف، وليطعم المسكين، وليعط السائل، ويبدأ بمن يعول فإنه إذا فعل ذلك كان تزكية ما هو فيه».

ومن ذلك اليوم وهو ينفق على الفقراء والمساكين، ويتبرع بماله في الغزوات ولا يضن به في سبيل الله، وكان يضايقه المال فيود لو خرج منه ولم يعد إليه، ولكنه كلما أنفق زاد المال وفاض، وقد جعل همه بعد رسول الله أن يتولى زوجاته بالرعاية ينفق عليهن من ماله، ويصحبهن إلى الحج جنديا لا تغفل عينه عن الحراسة والعناية، وكثيرا ما باع أرضا أو عقارا ليتصدق عليهن العطاء، باع أمواله من كيدمة - وهو سهمه من بني النضير - بأربعين ألف دينار فقسمها على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت أم سلمة زوج النبي: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأزواجه: إن الذي يحافظ عليكن بعدي لهو الصادق البار اللهم اسق عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة».

ومرة أخرى باع أرضا له من عثمان ابن عفان بأربعين ألف دينار. فقسم ذلك كله في فقراء بني زهرة، وفي ذي الحاجة من الناس وفي أمهات المؤمنين.

وأكبر من هذا بكثير ما أنفقه يوم أبل من مرضه، قال ابن عباس: «مرض عبد الرحمن بن عوف فأوصى بثلث ماله فصح، فتصدق به ثم قال: يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل من كان من أهل بدر له على أربعمائة دينار. فقام عثمان وذهب مع الناس فقيل له: يا أبا عمر، ألست غنيا؟ قال: هذه وصلة من عبد الرحمن لا صدقة، وهو مال حلال، فتصدق عليهم في ذلك اليوم بمائة وخمسين ألف دينار».

فابن عوف عرفه المال وعرف هو كيف ينفقه، عوده الله أن يعطيه من خزائنه، وعود ابن عوف عيال الله أن يجود عليهم بذلك المال. لقد كتبت له السعادة من بطن أمه كما تحدث هو عن نفسه. قال بعد أن أفاق من إغماءة: «أغشى علي؟ قالوا: نعم. قال: أتاني ملكان أو رجلان فيهما فظاظة وغلظة فانطلقا بي، ثم أتاني رجلان أو ملكان

هما أرق منهما وأرحم. فقالا : أين تريدان به ؟ قالا : نريد به العزيز الأمين : قالا : خليا عنه فإنه ممن كتبت له السعادة وهو فى بطن أمه » .

وتحدث مرة أخرى فقال : لقد رأيتنى ولو رفعت حجرا رجوت أن أجد تحته ذهبا أو فضة ، فهذا الصحابى الجليل ابتلى بالمال فشكر كما ابتلى غيره بالفقر فصبر، ولم يقصر يوما ما فى إسداء معروف أو تفريج كربة، وكان كلما لان عيشه تذكر شظف رسول الله فذرفت عيناه الدموع وكان كلما اجتمع له عدد من العبيد أعتقهم ووصى لهم بما يكفيهم .

إنه نموذج سام للمؤمن البر الصادق الذى يتبع وصايا نبيه وتعاليم دينه ، ولا تغره الدنيا ، ولا يبطره الغنى وكان به بعض مرض جلدى ، فشكا إلى الرسول فأجاز له لبس الحرير، وفى عهد عمر أقبل بابنه أبى سلمة وعليه قيص من حرير ، فقال عمر : ما هذا ؟ ثم أدخل يده فى جيب القميص فشقه إلى سفله ، فقال له عبد الرحمن : أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحله لى ؟ فقال عمر : إنما أحله لك لأنك شكوت إليه من حكة فأما لغيرك فلا ، واستجاب لقول عمر وفعله ولم يغضب ، فهو طوع تعاليم دينه وسنة نبيه .

ويأخذنا العجب حين نقرأ تركة ابن عوف عند وفاته سنة ٣٢هـ بعد إنفاقه كل تلك الأموال التى ذكرناها آنفا ، فنى « الطبقات الكبرى » أنه - ابن عوف - ترك ألف بعير ، وثلاثة آلاف شاة بالبقيع ، ومائة فرس ترعى، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحا وكان فيما ترك أيضا ذهب كثير ، وترك أربع نسوة فأخرجت امرأة من ثمنها بثمانين ألف .

وقريب من هذا ما ذكره ابن خلدون فى مقدمته نقلا عن المسعودى الذى دون ثروة كبار الصحابة، وعلق على ذلك قائلا : « فكانت مكاسب القوم كما تراه ولم يكن ذلك منعيا عليهم ، فى دينهم ، إذ هى أموال حلال لأنها غنائم وفيوء ، ولم يكن تصرفهم فيها بإسراف » وقد رد العقاد هذا الرأى ولم يقبله فقال فى كتابه - ذو النورين عثمان بن عفان - : « ويهمنا أن نلتفت إلى مصدر الثروات من التجارة تصحيحا لوهم الواهمين أنها قد اجتمعت كلها من الغنائم ؛ فإن عطاء المقاتلين لم يكن

يتفاوت هذا التفاوت فى الأنصبة بين أكبر عطاء، وأصغر عطاء، ولم يكن فى وسع طلحة ولا الزبير ولا عبد الرحمن، ابن عوف أن يجمعوا من أنفال القتال ثروة تزيد مع نصيب الأجناد بمثل ذلك الفارق الكبير » .

والحقيقة أن تجارة قريش بعد قيام الخلافة اتسعت اتساعا كبيرا ، ولاسيما على عهد عثمان حين اتسعت رقعة الدولة وصار الأمن مستتبا فى المدن والأمصار وفى طرق القوافل فى الحجاز والشام ومصر وبلاد الفرس ، وشتان بين تجارة قريش فى الجاهلية وتجارتها فى هذا الأوان حيث سلطان الخلافة وقوة الإيمان ورقابة الضمير وتنفيذ حدود الله .

ولا يظن ظان أن عبد الرحمن بن عوف عاش لماله يستكثره ، ولتجارته ينميها ، ولحياته الخاصة بين أزواجه وبنيه فقد كان معنى بشئون مجتمعه الجديد يعمل له ، ويفكر فيه ، فكل فتح أو اضطراب أو تولية قائد ، كان فيه بمصباح رأيه يحل المشكلات ويجبهها ولا يركن إلى النأى عنها ، وفى المقال التالى نتحدث عن « عبد الرحمن بن عوف والدولة الإسلامية » .

وحسبنا فى هذا المقال أن نقدمه للقراء مثلا أعلى للمؤمن البار ، والصحابى الوفى لدينه ورسوله ولخلفائه من بعده .

إن ابن عوف حظى بمكانة كريمة لم يحظ بها إلا أبو بكر، فقد صلى النبى عليه الصلاة والسلام خلفه فى غزوة تبوك ، وقال حينذاك « ما قبض نبى قط حتى يصلى خلف رجل صالح من أمته » .

رضى الله عن ابن عوف ، فقد كان مثلا ، للمجاهد الصابر ، ونموذجا للثرى الشاكر ؟

السيد حسن قرون

●●●

# مسئولية الأزهر تجاه تعليم اللغة العربية لغير العرب

للأستاذ محمد صبحي عيسى

---

لا يمكن لأى أحد أن ينكر فضل الأزهر فى الإبقاء على كيان اللغة العربية وسط تيارات جارفة كادت تنال منه فى وقت من الأوقات . وتفخر صفحات التاريخ بتسجيل هذا الدور للأزهر ورجاله .

وإذا كان الأزهر لا يزال الحصن المنيع للحفاظ على كيان اللغة العربية وتراثها بالقدر الذى يؤهل الدارس المسلم لفهم القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف .

وإذا كان الأزهر لا يزال يؤدى واجبه نحو الإسلام والمسلمين ويلبى رغباتهم فى ضوء متطلبات العصر الحديث واحتياجاته ، فإن مخاوفنا ليست هى على كيان اللغة العربية بقدر ما هى مخاوف على مستقبل تعليم هذه اللغة للمسلمين من غير العرب ، سواء الذين يفدون منهم إلى مصر ، حيث الأزهر وهيئاته المتخصصة ، أو الذين يرجون أن يبعث إليهم الأزهر بمن يعلمهم لغة قرآن رب العالمين . وفى كلتا الحالتين فإن نظرة سريعة على الطرق والوسائل المستخدمة فى تعليم اللغة العربية لغير العرب فى الأزهر ، تقتضينا أن نعيد النظر فى برامج وخطط هذا التعليم . . وأقل ما يقال عن هذه البرامج والخطط أنها محاولات غير مدروسة بعناية ولا تسير بقدر متساو مع حركة التقدم والتطور السريعة التى يمر بها الأزهر الآن ، ولعل ذلك هو الحافز الرئيسى الذى دفعنى إلى كتابة هذه السطور .

إن الحياة داخل الأزهر ومن حوله سواء فى مصر أو خارج مصر تمر بتحولات بعيدة المدى وتتغير فيها الأشياء تغيرا يقتضى سرعة المتابعة والملاحقة ، وقد شمل هذا بالطبع كثيرا من أمور الحياة ومن بينها طرق التعليم عامة وطرق تعليم اللغات بصفة خاصة . فقد تقدمت كثيراً جداً جميع أفرع الدراسات المتصلة

باللغات وأدخلت عليها مفاهيم جديدة ساعــدت بدورها على وضع أسس ونظريات تسهل وتختصر زمن وجهد تعليم اللغات ، ولم يكن هذا وقفا على علوم اللغات وحسب ، بل شمل كل العلوم ذات الصلة بميدان اللغات وتعليمها كعلم النفس والاجتماع والتربية ، كما شاركت أيضا علوم التقنية الحديثة فأفادت منها علوم اللغة إفادات جمة وما زالت تبحث عن طرق للإفادة من كل جديد فى ميدان العلوم الحديثة . كل هذا بهدف الوصول إلى طريقة مثلى لتعليم اللغات عموما فى أقصر وقت وبأعلى قدر من الكفاءة ، والطريقة المثلى ليست طريقة واحدة تستخدم فى كل زمان ومكان ، بل هى أفضل الطرق تناسبا مع الظروف التى يتم فيها تعليم اللغة باعتبارات متعددة .

وقد حظى جانب تعليم اللغات لغير متكلميها بجــزء كبير من الأبحاث والدراسات النظرية والتطبيقية التى تجرى على نطاق واسع وفى بلدان متعددة ، ولعل أوسع هذه الأبحاث انتشارا وذيوعا تلك التى تقوم بها أمريكا وانجلترا بمجال فى تعليم اللغة الإنجليزية كلغة ثانية أو كلغة أجنبية أو لغير متكلميها بحسب ما يفهم من كل تخصيص من هذه الثلاثة ، ولا تقل عنهما فرنسا أو روسيا أو ألمانيا نشاطا فى هذا المجال بالنسبة إلى لغة كل منها . . فأين يا ترى مكان اللغة العربية فى هذا المجال ؟ . . وإذا تساءلنا عن مكان اللغة العربية فإننا بالتالى نتساءل عن دور الأزهر وهيئاته وماذا يا ترى يستطيع أن يستفيد منه أو يفيد به بهدف إيجاد أسهل الطرق وأيسرها ملاءمة لتعليم اللغة العربية للمسلمين من غير العرب .

## ماذا نقصد بالأزهر ؟ !

إن « الأزهر » كلمة عامة تشمل - حسب تقسيم القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر - خمس هيئات هى : ١ - المجلس الأعلى للأزهر ، ٢ - مجمع البحوث الإسلامية ، ٣ - إدارة الثقافة والبعثات ، ٤ - جامعة الأزهر ، ٥ - المعاهــد الأزهرية . وإذا كنت لا أرى فى هذا التقسيم سوى أنه توزيع للاختصاصات مع بقاء المسئولية على عاتق الأزهر ككل ، إلا أننى سأخصص بالمسئولية هنا هيئتين فقط هما : مجمع البحوث ، وجامعة الأزهر .

مجمع البحوث . . واللغة العربية لغير العرب

يعتبر مؤتمر علماء المسلمين أهم شكل من أشكال النشاط التنفيذى لمجمع البحوث الإسلامية ، وقد نص القانون (١٠٣ لسنة ١٩٦١) على عقد المؤتمر كل سنة . ومنذ سنة ١٩٦٤ حتى سنة ١٩٧٢ عقد المؤتمر سبع دورات أصدر فى خمس منها توصيات تنص على ضرورة الاهتمام باللغة العربية وتعليمها للمسلمين من وفى جميع البلاد الإسلامية . .

فى المؤتمر الأول (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م) تنص التوصية على « اتخاذ الوسائل الكفيلة بزيادة عناية الشعوب الإسلامية جميعا باللغة العربية ـ لغة القرآن ـ ، وفى المؤتمر الثانى ( ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م ) يوصى المؤتمر : « . . تعنى الأمم الإسلامية جميعا بدراسة اللغة العربية ـ لغة القرآن والتشريع ـ حتى يكون ذلك سبيلا إلى الاتصال المباشر بلغة الوحى » ، وفى المؤتمر الثالث ( ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م ) يؤكد المؤتمر توصيته للدول الإسلامية بتعليم اللغة العربية ـ لغة القرآن الكريم ـ فى مدارسها لتيسير مشاركة غير العرب من المسلمين فى دراسة القرآن والسنة النبوية ، وفى المؤتمرين الرابع والخامس لم تصدر توصيات من هذا النوع لظروف خاصة بانعقاد المؤتمر لمناقشة موضوعات بعيدة الصلة بهذا اللون من التوصيات ، ولكنه يعود فى المؤتمر السادس (١٣٩١هـ-١٩٧١م) فيوصى « بنشر لغة القرآن الكريم فى كل البلاد الإسلامية . . » ، ثم يوجه المؤتمر فى دورته السابعة نداء إلى الحكومات الإسلامية بأن « تعنى عناية خاصة بتدريس اللغة العربية وآدابها تدريسا يمكن طلابها من الفهم الدقيق للعلوم الشرعية » كما يؤكد المؤتمر فى توصية أخرى « ماسبق له من توصية بأن تكون اللغة العربية (وهى لغة القرآن الكريم والدين ) لغة تدرس فى مدارس البلاد الإسلامية غير الناطقة بالعربية » .

جامعة الأزهر . . واللغة العربية :

يتضح من اسم ( جامعة الأزهر ) أنها إحدى هيئات الأزهر الخمس المسئولة عن التعليم العالى والبحوث التى تتصل بهذا التعليم أو تترتب عليه ، وتنص المادة ٣٧ من القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر على « أن اللغة العربية هى لغة التعليم فى جامعة الأزهر»

كما تنص المادة التالية مباشرة (٣٨) على أن « تتساوى فرص القبول للتعليم بالمجان فى كليات الجامعة ومعاهدها المختلفة للطلاب المسلمين من كل جنس وكل بلد .

وتفهم من هاتين المادتين : أن وسيلة نقل العلوم إلى الدارسين فى الجامعة هى اللغة العربية ، كما أن نوعيات الطلاب لا يحددها جنس ولا لون ولا لغة سوى رابطة الإسلام والأهلية للالتحاق بالتعليم العالى حسب النظم واللوائح . ونقف هنا لنوضح أن القانون أيضا نص على « تنظيم دراسات خاصة لطلاب البعوث ليتأهلوا لمتابعة الدراسة فى الكليات والمعاهد مع نظرائهم من الطلاب العرب وكلمة (بعوث) فى هذا النص شاملة للعرب وغير العرب من المسلمين من غير مواطنى جمهورية مصر . ولكن جرى العرف والفهم المنطق فيما يتعلق بتنظيم الدراسات الخاصة على تخصيصها للمسلمين من غير العرب .

نتائج بلا مقدمات ..

ونقف هنا لنتأمل توصيات مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية وتأكيداتها على ضرورة الاهتمام بتعليم ونشر اللغة العربية وتربط بينها وبين نظام جامعة الأزهر واشتراط اللغة العربية مصحوبا بتخيل وجود مساواة بين الطلاب .

من الواضح فى توصيات مؤتمر المجمع أنها أمنيات غالية عزيزة يحلم بها كل مسلم غيور على دينــــه ولغته ، غير أنها - مع الأسف - لم تعد بجرد أمان عريضة لا تحمل بين طياتها أسلوب أو خطة عمل تبدأ بخطوة تتلوها خطوات حتى تصل الى ما تصبو إليه ، فبينما يناشد المجمع الحكومات والهيئات الإسلامية - فضلا عن مناشدته المسلمين أفرادا وجماعات - بأن تكون اللغة العربية لغة يتعلمها المسلمون فى جميع البلاد الإسلامية ، وبينما يحرص فى كل نداء يصدره ، بل ويؤكده ، أن يضيف عبارة ( لغة القرآن الكريم والتشريع ) إلا أنه لا يشرح كيف يكون ذلك ولا ماهو السبيل إليه . ولعل ذلك نتيجة لعدم الاعتماد على مصادر تمد واضعى هذه التوصيات بمعلومات عن مدى التطورات الهائلة التى طرأت على مجال تعليم اللغات ولا عن مدى إمكانية الاستفادة من الجهود الناجحة لبعض هيئاتنا ومعاهدنا المختصة بتعليم اللغات لغير متكلميها . لقد استطاعت هيئات

تعليمية أجنبية أن تجتذب عدداً كبيرا من رجال التعليم عندنا لتؤهلهم وتدربهم على أحدث طرق تعليم اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية لغير متكلميها هنا فى مصر ولم يحدث أن فكرت مصر وبالأخص الأزهر فى إعداد أى عدد - مهما كان ضئيلا - خصيصا لغرض تعليم اللغة العربية لغير متكلميها .

لعله من أول الأمور أهمية قبل أن نناشد ونوصى بنشر وتعليم اللغة العربية بين جميع المسلمين فى العالم - أن نفكر فى وضع الخطوط المبدئية لإعداد المعلم المؤهل والكفء والمتخصص فى تعليم العربية التى تتناسب مع كل مجموعة من الدارسين وفقا للاعتبارات المتعددة التى يعرفها جيدا الخبراء فى هذا المجال . وليست هذه الأمور سهلة كسهولة اطلاقها حبرا على ورق ، ولكنها خطة عمل تتطلب الكثير من الجهد والوقت والتخصص . ولعله مما يوضح عدم سهولة هذا الموضوع أن نقرر حقيقة أنه ليس كل من يتكلم أو يكتب أو يقرأ لغة معينة حتى ولو كان من أهلها بقادر على تعليمها أو نقلها إلى غيره ، وإذا كان هذا ينطبق على تعليم اللغة لمتكلميها فلعله أكثر انطباقا بل وأكثر تعقيدا فى حالة تعليم اللغة لغير متكلميها . .

ونقول هذا أيضا عن الكتاب والطريقة وكل ما يخص تعليم اللغات فى أى مكان وأى زمان . . فالتعليم فى حد ذاته فن ليس فى هذا شك ، وتعليم اللغات أحد تخصصات هذا الفن وتعليمها لغير متكلميها هو ذروة هذا التخصص الذى يحتاج إلى استعداد ومهارات خاصة معظمها مكتسب ومضاف إلى الموهبة السابق تواجدها لدى القائم بهذا العمل . . وإذا كان هذا فى حد ذاته لا يبدو سهلا فكيف بنا إذا أضفنا إليه ما استحدثه العصر وأضافه التقدم الفنى من آلات وأجهزة سمعية وبصرية فى مجال تعليم اللغات بصفة عامة ولغير متكلميها بصفة خاصة . . يبدو أن الحديث عن هذا ليس هنا مجاله ولكن يكفى فقط أن نتصور أين نحن من هذا الميدان وبأى خطى يجب أن نسير لنلحق بالموكب المسرع حرصا على تحقيق ما نتواصى ونحلم به فى نفس الوقت .

المساواة .. كيف ؟

وإذا انتقلنا إلى جامعة الأزهر ومبدأ المساواة بين الدارسين نجدنا نقرر فعلا أن هذه المساواة مكفولة فى حق التقدم والقبول والدراسة والامتحان.. ولكن كيف يكون هـذا التساوى حقيقيا إذا كان بعض الدارسين من غير العرب يعانون من صعوبات استيعاب ما يسمعون من محاضرات وما يقرأون من كتب وما يؤدى إليه هـذا فى إجاباتهم على أسئلة الامتحانات ؟!!! وليس هناك ما يثبت أو يدل على القصور أو التخلف الذهنى أو التقصير والإهمال المتعمد جانبهم ، إنما المشكلة الرئيسية هى عدم تمكنهم من الوسيلة ( وهى اللغة العربية ) تمكنا يتيح لمبدأ المساواة أن يتحقق فعلا بينهم وبين الدارسين من الطلاب العرب .

حقيقة أن الدارس من الطلاب غير العرب تنظم له دراسة خاصة ـ حسب ما ينص القانون ـ فى اللغة العربية قبل التحاقه بالجامعة ، ولكن ما هى طريقة التدريس ومن هم المدرسون ، وما هى المواد التى يستعملها الدارس فى تحصيل اللغة و .. الخ ، عما يعرفه جيدا غيرى من المسئولين عن هـذه الدراسات فى كل من مجمع البحوث الإسلامية ومعهد البحوث الإسلامية بالأزهر . وما يعنينى هنا هو أن مجرد إجابة هذه الأسئلة سيؤكد عدم وجود المساواة ـ سوى المساواة الشكلية ـ بين الطلاب العرب وغير العرب فى جامعة الأزهر ، والأمثلة الحية كثيرة جدا وتحت تصرف من يريد إجراء دراسة أو مقارنة من المهتمين فى الأزهر .

وبعـــد :

ليس هناك شك فى الجهود التى يبذلها رجال الأزهر فى سبيل رفعة شأن الإسلام واللغة العربية . ولكنى أرى أن النوايا الطيبة والجهود الفردية فى سبيل تحقيق الآمال الكبار لا يمكن أن تجدى ما لم يصحبها تعاون وتضافر وتخطيط جيد ودراسة متخصصة .. ولا زلت عند يقينى فى أن الأزهر حياة متجددة دائماء خصبة دائما وأنه ملىء بالرجال المخلصين الحريصين على دينهم ولغتهم ، ومطلوب منا أن نتحرك معا وندرس سويا ـ وبدى معكم ـ إمكانية تطوير تدريس اللغة العربية وتحقيق ما تتواصوا به فى مؤتمراتكم .. وكبداية لهذا فليسمح لى أساتذتى الفضلاء

( البقية ص ٣٤٠ )

# الرهن

للدكتور ابراهيم دسوقي الشهاوي

– ٤ –

## حكم الرهن وحكمة مشروعيته

(حكم الرهن)

حكم الرهن الإباحة . يدل لذلك : الكتاب والسنة والإجماع .

أما الكتاب : فقوله تعالى : « وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة » .

وجه الدلالة : أن قوله تعالى : «فرهان» جمع رهن . ورهن مصدر جعل جزاء للشرط مقرونا بالفاء فهو يدل على فعل أمر - محذوف وجوبا - من لفظه تقديره فارهنوا رهانا مقبوضة والأمر هنا للإباحة بقرينة قوله تعالى بعد ذلك : « فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته » وأيضا فإن الله تعالى أمر بالرهن بدلا عن الكتابة عند عدم إمكانها أو عدم قبول المرتهن التوثق بها ، والكتابة غير واجبة ، فيكون الرهن غير واجب ، لأن البدل يأخذ حكم المبدل منه .

وأما السنة : فأولا : مارواه أحمد والبخارى والنسائى وابن ماجه عن أنس - رضى الله عنه - قال : « رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعا له عند يهودى بالمدينة وأخذ منه شعيرا لأهله » .

وثانيا : ماروا البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها : « أن النبى صلى الله عليه وسلم اشترى طعاما من يهودى إلى أجل ، ورهنه درعا من حديد » وفى لفظ « توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير » [1] .

فهذه الأحاديث صريحة فى أن النبى صلى الله عليه وسلم - قد تعامل بالرهن وذلك دليل على إباحته .

وأما الإجماع : فقد اتفق المجتهدون من السلف والخلف على إباحة الرهن .

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكانى ج ٥ ص ١٩٧ و ١٩٨ ط سنة ١٣٣٧ هـ بمطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر .

(حكمة مشروعية الرهن)

جاءت الشرائع جميعها بوجوب المحافظة على المال؛ لأنه من الضروريات التي لا غنى لأحد عنها ولا تصلح الحياة بدونها ونهت عن الاعتداء عليه - فحرمت السرقة والغصب، وقطع الطريق، كما حرمت الربا والرشوة، والقمار، وغيرها من كل ما يؤدي إلى الحصول عليه من طريق غير مشروع، وشرعت عقوبات مقدرة وغير مقدرة، لكل من يحصل عليه بغير وجه حق، فهذه العقوبات، وتلك النواهي إنما شرعت لأجل المحافظة على المال الذي لا بد منه لصالح الناس.

وشرع - سبحانه وتعالى - للحصول عليه عند الحاجة إليه المبادلات، لأن الإنسان مدني بالطبع طموح إلى التملك متطلع إلى ما في يد غيره إذا لم يكن في يده مثله، حريص على ما في يده لا يتخلى عنه بلا عوض. ومن هنا نشأ عقد البيع، وتبعته سائر العقود بحسب الحاجة إليها.

ولما كان بعض الناس لا يجد البدل لما يحتاج إليه، وتدعوه الضرورة إلى الحصول عليه. بطريق المداينة، ليقضي مصالحه الناجزة وهو ينتظر الحصول على مثل هذا المال في المستقبل. فأباح الشارع الحكيم له أن يستدين ما يحتاج إليه إلى أجل مسمى كما أباح الدائن أن يطالب من المدين وثيقة بالدين. تحفظ عليه ماله من الجحود أو الموت المفاجيء إذا خاف على ماله الضياع.

وقد تعددت الوثائق التي شرعها سبحانه وتعالى - واختلفت تبعا لاختلاف الناس في طباعهم وأخلاقهم وعاداتهم، فإن بعض الناس يرى أن أقل شكر يقدمه لدائنه هو دفع دينه إليه، وبعضهم يرى أن أداء الدين الذي عليه لدائنه غرم عليه. ومن الناس من ينسى مقدار ما عليه من الدين، ومنهم من يستدين أكثر مما تطيق أمواله، فيضيع على كل دائن جزء من دينه. ومنهم من يتحرى من الأموال فيضيع على الدائنين ديونهم كلها، ومنهم من يخفي استدانته فيموت ولا يدري ورثته أنه مدين فينكرون على من يطالبهم، ولذلك شرع الله تعالى من الوثائق: الكتابة، والإشهاد، والرهن [1].

(١) فقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا =

فإن بعض الدائنين يكفيه مجـــرد الإشهاد بالنسبة لمدينه، وبعضهم لا يكفيه الإشهاد؛ مخافة إنكار الشهود أو الموت المفاجىء للمدين والشهود، فيؤكد ذلك بالكتابة، وبعضهم لا يكفيه الإشهاد ولا الكتابة. ويرى أنه لابد من وثيقة تطمئن إليها نفسه يحبسها عنده تحمل المدين على الوفاء عند الأجل، وتلك الوثيقة هي الرهن، فالرهن أقوى من الوثائق التي شرعها الله سبحانه وتعالى؛ لأنه يجعل الدائن مطمئنا على ماله كأنه في حيازته ولا يخشى إنكارا ولا موتا مفاجئا ولا ضياعا بالنسيان أو بكثرة الاستدانة.

والرهن مع كونه من أقوى الوثائق فإنه يكاد يكون غريزة من غرائز الإنسان الفطرية تظهر عند الحاجة إليها فالطفل قد يعير زميله شيئا أو يقرض مالا فيماطل، أو يجحد، فيأخذ المعير أو المقرض متاعا من أمتعة صاحبه المماطل أو الجاحد ويقول: لا أعطيكه حتى تعطيني مالي، فهذا وإن لم يكن رهنا شرعا لأنه قهري لا عقد معه إلا أنه يصور لنا فكرة الرهن ويصلح أساسا للرهن الشرعي، بأن يتفق عليه المتعاقدان عند عدم الوثوق بدلا من الالتجاء إلى القوة

---

= إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد. وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم. وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم » ( الآية ٢٨٢، ٢٨٣ ) من سورة البقرة يتبين منهما بوضوح الوثائق التي شرعها الله تعالى وكيفيتها.

هذا : والأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم تفيد أن عقد الرهن من العقود السابقة على الإسلام ، وأنه كان معروفا عند العرب في الجاهلية ولما جاء الإسلام أحاطه بقواعد وأحكام تنظمه وتكفل صلاحيته ؛ لما شرع لأجله ومثله في هذا مثل كل العقود التي جاء الإسلام فوجدها معمولا بها فصقلها بطابع شرعي كالنكاح والبيع مثلا .

يدل لذلك : ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( لا يغلق الرهن لصاحبه غنمه . وعليه غرمه ) .

وقد زاد ابن الجوزي في التحقيق في متن هذا الحديث ، قال إبراهيم النخعي : « كانوا يرهنون ويقولون إن جئتك بالمال إلى وقت كذا ، وإلا فهو لك : فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، انتهى(١) » .

ويدل أيضا حديث معاوية بن عبدالله ابن جعفر : أن رجلا رهن دارا بالمدينة إلى أجل مسمى فضى الأجل ، فقال الذي ارتهن : « منزلي » ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يغلق الرهن » (٢) .

فهذا كله يفيد بوضوح أن الرهن كان شريعة عربية ، وأنه لمعمول به في الأمم السابقة على الإسلام ، وأنه كان عادة جاهلية دفعت إليها حاجة الإنسان الفطرية فكانوا يرهنون ، ويشترطون على الراهن إن لم يؤد الدين في الوقت المتفق عليه يصبح المرهون ملكا للمرتهن فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشرط وهو غلق الرهن وأقر أصله بما يتفق ومصلحة الإنسان .

وعلى الجملة ، فالرهن إنما شرع محافظة على أموال الدائنين من الضياع وحفظا لمال المدين نفسه ، فإن مايرهنه قد يبيعه بأبخس الأثمان . وبرهنه حفظه وقضى حاجته . فضلا عن أن الرهن يشجع على قضاء حوائج الناس ويظهر المجتمع بالتعاون لا بالتقاطع ، فالشريعة الإسلامية بنظمها وتعاليمها ترغب في كل ما يجلب التيسير على العباد فهي لا تنزل واديا إلا جملته من بعد عسر يسراً .

إذا نزلت سلمى بواد فماؤه
زلال وسلسال وأشجاره ورد

د . إبراهيم دسوقي الشهاوي

---

(١) نصب الراية جـ ٤ ص ٣٢٠، ٣٢١ .

(٢) المغني جـ ٤ ص ٤٣٠ .

# الثقافة الإسلامية وأثرها فى التوجيه

للدكتور محمد حسين الذهبى

---

مفهوم الثقافة :

ورد لفظ التثقيف فى اللغة العربية بمعنى التهذيب والتقويم ، وشاع ذلك أولا فى التهذيب والتقويم الحسيين ، يقال : ثقف الرمح إذا هذبه وقومه ، ثم استعمل هذا اللفظ بعد فى التهذيب والتقويم المعنويين ، يقال : ثقف فلان فلانا إذا هذبه وأدبه وعلمه ، ومنه تثقيف اللسان ، أى تهذيبه وتعديله بحيث يحسن النطق من غير عى ولا لكنة ولا عجمة .

أما لفظ الثقافة ، فكلمة محدثة ، ويراد بها مجموعة العلوم والمعارف والفنون التى يطلب الحذق فيها[1]. فكأن الجاهل بكل ذلك أو ببعض منه مختل الفكر معوج المعرفة ، فإذا ما وعاه وأحاط به معرفة وحذقا ، فقد هذب فكره وقوم معرفته .

والثقافة بمفهومها العام ، هى : مجموعة العلوم والمعارف والفنون التى يطلب الحذق فيها ، أيا كان لون هذه الثقافة ، وأيا كان أصحابها .

أما الثقافة بمفهومها الخاص ، فهى : مجموعة العلوم والمعارف والفنون التى لجماعة من الجماعات الإنسانية .

تنوع الثقافات وأسبابه :

والثقافات الإنسانية متنوعة ، والسبب فى ذلك هو اختلاف نقطة التجمع التى تلتف الجماعة حولها ، وتلتقى عندها ، فأى جماعة لها ثقافة خاصة ، قد تتجمع حول عقيدة من العقائد الدينية ، وقد تتجمع حول وحدة الجنس والوطن ، وقد تتجمع حول وحدة الهدف الذى تسعى إليه وتعمل من أجله ، ومن هنا اختلفت الثقافات ، وتميزت كل منها عما سواها بمميزات وخواص ، أبرز ما فيها : طابع الدين ، إن كان التجمع حول عقيدة يدينون بها ، وطابع التعصب الجنسى

---

(١) انظر مادة (ثقف) فى القاموس المحيط وفى المعجم الوسيط .

والتأثر بالبيئة ، إن كان التجمع حول وحدة الجنس والوطن ، وطابع التحيز للهدف والتعصب للفكرة ، إن كان التجمع حول هدف يرمون إليه وفكرة يعملون من أجلها ، ومن هنا وجدنا ثقافة إسلامية ، لها من روح الحنيفية السمحة سماحتها وعدالتها ، وثقافة مسيحية لها من روح المسيحية المتسامحة تسامحها وحبتها ، وثقافة يهودية ، لها من روح اليهودية القاسية [1] عنفها وقسوتها ، وثقافة يونانية ؛ لها من بيئة أهلها وطبيعة أرضها فلسفتها وفنها ، وثقافة اشتراكية أو رأسمالية ؛ لكل منهما من تسلط الفكرة ، وتحكم الهدف تعاليمها وخططاتها :

وجهل الإنسان بأى من هذه الثقافات عيب وقبيح ؛ وجهله بثقافة الجماعة التى ينتمى إليها أشد عيبا وأفحش قبحا ، فالمعرفة أيا كان لونها ، غذاء للعقل والروح ، يمتصان منها ما يفيد ، ثم يلفظان مالا يفيد .

ومادام حديثنا عن الثقافة الإسلامية فواجبنا أن نعرف : ماهى هذه الثقافة ؟ وما جوانبها ؟ ومامدى تأثرها بالثقافات الأخرى وتأثيرها فيها ؟ وما أثرها فى حياة الفرد وحياة الجماعة الإسلامية ؟ توضح كل ذلك فنقول :

**حقيقة الثقافة الإسلامية وجوانبها :**

أما حقيقة الثقافة الإسلامية ، فهى مجموعة العلوم والمعارف والفنون التى عرفت للأمة الإسلامية على مدى تاريخها واختلاف عصورها .

وللثقافة الإسلامية جوانب ثلاثة ، يتفرع عن كل منها علوم ومعارف وفنون :

**الجانب الأول : هو الجانب الدينى ،** ويتفرع عنه علوم الدين والشريعة : من تفسير ، وحديث ، وفقه ... وغير ذلك من كل ماله صلة بالعقيدة والشريعة أصالة أو تبعا .

**والجانب الثانى : هو الجانب اللغوى** ويتفرع عنه علوم اللغة : من نحو ، وصرف ، وبلاغة ، وأدب .. وغير ذلك

---

(١) وإنما كانت الشريعة اليهودية قاسية لقسوة أهلها وعنادهم ، تأمل قوله تعالى : « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم » النساء - ٢٦٠ ، وتأمل قوله : « وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة » الأعراف - ١٧١ .

من كل ما له تعلق باللغة العربية أصالة أو تبعا .

والجانب الثالث : هو الجانب المادى ويتفرع عنه كل العلوم الكونية : من طب وفلك ، وطبيعة ، وكيمياء ، وجبر ، وهندسة .. وغير ذلك من كل ما يتصل بالكون وظواهره .

ومعرفة هذه الجوانب وما يتفرع عنها أمر واجب على الأمة الإسلامية ، ولا بد أن يكون لكل جانب منها طائفة متفقهة فيه متقنة له ، فإن هى قصرت فى ذلك كانت آثمة وظالمة لنفسها .

وليس جانب من هذه الجوانب الثلاثة أولى بعناية الأمة الإسلامية من غيره ؛ فجانب اللغة لا يقل عن جانب الدين ؛ وكذلك جانب المادة لا يقل عن جانب الدين أو جانب اللغة ، فالجوانب الثلاثة كلها يكمل بعضها بعضا ، وكلها له دخل فى كيان الأمة ورقيها : فعلوم الدين لا تنهض بالأمة وحدها ، وكذلك علوم اللغة لا تنهض بالأمة وحدها والعلوم المادية والكونية -أيضا- لا تنهض بالأمة وحدها ، ولا يمكن أن تستقل بإسعادها ورقيها .

## مدى تأثر الثقافة الإسلامية بالثقافات الأخرى وتأثيرها فيها :

والثقافة الإسلامية - ككائن حى يحيط به كائنات أخرى من جنسه - لا بد أن يكون لها تأثر بغيرها من الثقافات وتأثير فيها :

فالعرب - وهم وعاء الإسلام فى أول أمره - كان لهم فى جاهليتهم رحلات يرحلونها مشرقين ومغربين ؛ وكان لقريش - كما يحدثنا القرآن الكريم - رحلتان : رحلة الشتاء إلى اليمن ، ورحلة الصيف إلى الشام ، وفى اليمن والشام كثير من أهل الكتاب وغيرهم ممن لهم ثقافات دينية ، وثقافات مادية ؛ وكان بين العرب وهؤلاء الذين يرحلون إليهم لقاءات كانت عاملا قويا من عوامل التحام الثقافتين : العربية وغيرها ؛ فتأثر كل منهما بالآخر تأثرا نلحظه فى كثير من تراثنا العلمى وتراثهم .

واستمر العرب بعد الإسلام يرحلون إلى بلاد غير بلادهم ؛ ويلتقون بأهل هذه البلاد ، وتتلاقى أفكارهم ومعارفهم ، ويستمد كل فريق من ثقافة الآخر

ما ليس عنده ؛ حتى جاء عصر الدولة العباسية ، وفيه ازداد تلاحم العرب بمن حولهم من أهل البلاد الأخرى ؛ ودخل فى الإسلام كثير من الفرس والروم وغيرهم ، وكان لهؤلاء ثقافات ، ولهم فى كثير منها مؤلفات : فترجمت هذه الكتب المؤلفة إلى العربية ، واستفاد العرب المسلمون منها فائدة كبيرة حيث فتحت عقولهم وأذهانهم على كنوز من المعرفة ، استغلوها ؛ وطوروها ؛ وزادوا عليها ؛ حتى وجدنا لهم نهضة علمية وحضارية عالية ؛ ووجدنا من بينهم علماء مبرزين فى كثير من جوانب العلم والمعرفة :

وجدنا علماء فى الطب ، وعلى رأسهم أبو على ابن سينا وأبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، وكتبهما لا زالت إلى اليوم من المراجع الطبية الهامة لدى علماء الطب شرقيين وغربيين [١] .

ووجدنا فى علوم الهيئة والفلك علماء أعلاماً كعلى بن عيسى الأسطرلابى ، والفرغانى الذى ألف فى الفلك كتابا ظل مرجعا تعتمد عليه أوربا وغرب آسيا سبعمائة عام [١] .

ووجدنا فى علوم الكيمياء أمثال جابر ابن حيان ، الذى كان له فى علم الكيمياء أثر لا ينكر .

ووجدنا عباس بن فرناس الذى خطا أول خطوة فى الطيران فكانت مفتاحا لكل من جاء بعده ممن اخترعوا الطائرات والصواريخ والأقمار الصناعية .

ووجدنا الشريف الأدريسى ، ذلك العالم الجغرافى الكبير ، الذى وضع ـ فيما نعلم ـ أول خريطة للكرة الأرضية وما فيها من ممالك وبقاع .

ووجدنا أمثال الفارابى ، والغزالى ، وابن رشد ، ممن كان لهم فى الفلسفة والعلوم العقلية أثر عظيم لازالت تحتفظ

(١) من هذه الكتب : كتاب القانون فى الطب لابن سينا وهو بحث ضخم فى وظائف الأعضاء وعلم الصحة والعلاج والأقرباذين وكتاب الحاوى فى الطب للرازى ، عشرون مجلدا ، وهو يبحث فى كل فرع من فروع = الطب ، وقد ترجم إلى اللغة اللاتينية ، وظل عدة قرون أعظم الكتب الطبية مكانة وأهم المراجع لهذا العلم فى بلاد الرجل الأبيض ، وكان من الكتب الطبية التسعة التى تتألف منها مكتبة الكلية الطبية فى جامعة باريس سنة ١٣٩٤م ـ قصة الحضارة جـ ١٣ ص ١٩١

(١) قصة الحضارة جـ ١٣ ص ١٨٢ .

لنا به المكتبة الإسلامية حتى اليوم .

ووجدنا فى علوم الدين والشريعة من كان لهم يد طولى ، وسابقة أولى ، كأبى حنيفة ، ومالك ، والشافعى ، وابن حنبل .

ووجدنا فى علوم اللغة من قعدوا قواعدها ، وعبدوا الطريق أمام دارسيها كأمثال سيبويه ، والمبرد ، وأبى على الفارسى .

ووجدنا من جمع لنا ذخائر العرب من أشعارهم وخطبهم ، كالأصمعى ، وابن سلام الجمحى ، والجاحظ ؛ وغيرهم من أعلام رجال الأدب العربى : شعره ونثره .

غير أنه ـ وللأسف ـ قد خلف بعد هؤلاء العلماء الأعلام خلوف وجدوا لهم حسبا عريقا فى العلوم والمعارف ، فاتكلوا على أحسابهم ، واكتفوا بالمفاخرة بأنسابهم ، وناموا عن استغلال هذا التراث الخالد ، وقعدوا عن تنميته وتطويره حسب متطلبات كل عصر يمر بهم ، وكان ذلك الخمول منهم فى الوقت الذى تنبه فيه علماء الغرب إلى هذه الثروات العلمية الضخمة التى خلفها علماء المسلمين فاستغلوها استغلالا بارعا ، وطوروها تطويرا فذا فى مراحل مختلفة ، حتى أصبحوا أساتذة هذه العلوم غير مدافعين ولا منازعين .

## أثر الثقافة الإسلامية فى حياة الفرد والمجتمع .

وللثقافة بمفهومها العام أثر بالغ فى حياة الفرد والجماعة ، فالإنسان الذى يلم بصنوف المعرفة خيرها وشرها ، نافعها وضارها ، يمكن أن يسعد نفسه ويسعد أمته ، بما يتفتح أمام عقله وقلبه من أفكار نافعة ، ونظرات ملهمة ، قد تنتهى به إلى أن يحقق لأمته ما ينهض بها ماديا وأدبيا ، ويمكن فى الوقت نفسه أن يجنب نفسه وأمته مزالق الفكر ، وخطل الرأى ، وخطر الاندفاع وراء الهوس المادى الذى أشفى بالإنسانية على الهلاك والدمار .

والثقافة بمفهومها الإسلامى الخاص ، لها أيضا ـ ذلك الأثر البالغ فى حياة المسلم ومجتمعه الإسلامى ، فالمسلم الذى يعطى من نفسه اهتماما أكبر بثقافة أمته التى يعيش بينها وينتسب إليها ، ويلم إلماما كاملا بكل جوانب المعرفة فيها ، ويتعرف مبلغ ما هى عليه من تقدم حضارى وفكرى ، يمتلىء قلبه بالثقة فى أمته ، وترتفع رأسه اعتزازا بقوميته ، ويملك فى يده الحجة الدامغة التى تشهد بأصالة أرومته ، فإذا نالها متعرض بعد

ذلك بانتقاص ، أو رماها حاقد بالجهل والتخاف، ألقمه الحجة ، وألزمه المحجة.

هذا إذا انتهى به الأمر إلى أن لأمته مجدا ثقافيا أخذت به نفسها فى ماضيها وحاضرها ، أما إذا انتهى به الأمر إلى إدراك قصور فى ثقافة قومه ، أو انحطاط لها بعد ازدهار ، فإنه يستطيع - وقد أحاط علما بثقافات أقوام آخرين - أن يتدارك أسباب القصور ، ويتلافى عوامل الانحطاط هو ومن على شاكلته ، حتى يبلغ بثقافة قومه أوجها ، ويعيد لها عزها وازدهارها.

## المسلمون بين ماضيهم الثقافى وحاضرهم ومستقبلهم :

والحقيقة الناصعة هى : أن للمسلمين مجدا ثقافيا تليدا ، اعتز به أسلافهم ، فكان المشعل الذى أنار الطريق أمامهم والقوة التى دفعتهم وبلغت بهم إلى حيث شاءوا ، فاتحين ومبشرين بالإسلام .

والحقيقة القائمة المؤلمة ، هى أن المسلمين فرطوا فى تراثهم الثقافى ؛ حتى ليخيل لمن يرى حالهم أنهم قطعوا ما بينهم وبين ثقافاتهم من صلة فأصبحوا لا يتأثرون بها ولا يؤثرون فيها ! !

والواقع أن المسلمين لا ينقصهم الذكاء وإنما ينقصهم اليقظة لما حولهم من العالم وما يدور فيه من تطورات وأحداث ! فلو أنهم التفتوا وراءهم إلى مجدهم الثقافى التليد ؛ وماضيهم الحضارى المتيد ؛ وفتحوا أعينهم على تراثهم العلمى فتأملوه ببصيرة واعية ، وتصرفوا فيه بعقلية متطورة ، تساير روح العصر ، وتتلاحم مع رواد الفكر من عدام من الأمم لكان لهم من وراء ذلك مكانة مرموقة بين الأمم المتحضرة . ولعادت لهم هيبتهم التى كانت لهم فى الأعصر الغابرة .

كل فرد من أفراد المسلمين يستطيع أن يتعرف ماضى أمته ، وأن يعتز به ويفخر ، ولكنه مطالب بعد ذلك بأمور :

١ - أن يصل حاضره بماضيه .

٢ - وأن يربط حاضره بمستقبله .

٣ - وأن يعلم أن الفلك دائر لا يتوقف أبدا .

٤ - وأن يلزم نفسه بأن يدور مع الفلك ولا يتوقف وإلا طحنته عجلة الزمن الذى يتطلب منه كل آونة نهجا جديدا .

لو أن كل مسلم وعى كل هذا فى حدود عمله ومجال نشاطه ، وألزم نفسه به إلزاما صادقا جادا ، لحقق بذلك لنفسه ولأمته عز الدنيا وسعادة الآخرة ؟

محمد حسين الذهبى

# من المبادئ الفقهية التي سبق بها الإسلام

للأستاذ عبد العزيز عبد الرازق صبري

— ٣ —

تناولنا في المقالين السابقين قاعدة عدم إمكان العقاب إلا بنص، وعدم سريان التشريع الجنائي على الماضي وما ورد على هذه القاعدة من استثناءات. وأوضحنا أن مصدر كل هذه المبادىء الحكيمة هي شريعة الله عز وجل الذي أحاط بكل شيء علما. وسنتناول في هذا المقال ثلاث قواعد هامة أخرى، تعد من الدعامات الراسخة التي تقوم عليها العدالة جاءت بها الشريعة الإسلامية الغراء ونقلتها عنها كافة تشريعات العالم، وهذه هي:

١ — قاعدة عدم سريان التشريع الجنائي إلا بعد إعلانه إلى الكافة.

٢ — قاعدة شخصية العقوبة.

٣ — قاعدة أن الشك يفسر لصالح المتهم.

فأما عن القاعدة الأولى: فواضح أن الهدف منها هو تمكين الأفراد من العلم بالتشريع الجنائي قبل تطبيقه عليهم؛ لأنه مما يتنافى مع أبسط قواعد العدالة، بل ومع المنطق والعقل أن يطبق مثل هذا التشريع على الناس وهو مازال بين يدي ولي الأمر لا يعلم به سواه. وإنما لابد لإمكان تطبيقه وسريان أحكامه من إعلانه إعلانا كافيا لإمكان العلم به.

ولا يثير الأخذ بهذه القاعدة أية صعوبة بالنسبة لجرائم الحدود حيث ورد النص عليها في القرآن الكريم وهو معلوم لكافة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. أما بالنسبة للتعازير فإنه قد يتراءى لولي الأمر بماله من حق التعزير تقييد أو منع بعض الأمور المباحة التي لم يثبت تحريمها بالدليل؛ إما لكونها من المكروهات، أو لما تلحقه من أضرار بالمجتمع. ففي هذه الحالة يجب عليه أن يعلن هذا التقييد أو المنع إلى الكافة إعلانا كافيا للعلم به قبل أن يجري تطبيق أحكامه.

وقد ذكر الماوردي في هذا المقام وهو يروي عن إبراهيم النخعي أنه قال: (إن عمر بن الخطاب نهى الرجال أن يطوفوا مع النساء، فرأى رجلا يصلي مع النساء

فضربه بالدرة - فقال الرجل : والله إن كنت أحسنت فقد ظلمتنى ، وإن كنت أسأت فما علمتنى . فقال عمر أما شهدت عزمتى ألا يطوف الرجال مع النساء ؟ فقال ماشهدت لك عزمة فألقى إليه الدرة وقال له : اقتص ، قال : لا أقتص اليوم . قال: فاعف عنى، قال: لا أعفو، فافترقا على ذلك ثم لقيه من الغد فتغير لون عمر . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين كأنى أرى ما كان منى قد أسرع فيك . قال: أجل، قال: فأشهد الله أنى قد عفوت عنك.

وهذا الأثر السلفى يدل دلالة قاطعة على أن الأمور التى يرى ولى الأمر منعها أو تقييدها بعد أن كانت مباحة أو مطلقة لا بد وأن يعلن عنها إعلانا كافيا لعلم الكافة بأحكامها قبل بدء العمل بها .

وقد أخذت بهذه القاعدة الشرعية كافة دساتير العالم وتشريعاته الوضعية فتارة ينص عليها فى الدستور وهو القانون الأساسى للدولة كما هو الحال فى المادة ١٦٤ من دستور مصر الصادر فى سنة ١٩٦٤ والتى تنص على ما يأتى : « تنشر القوانين فى الجريدة الرسمية خلال أسبوعين من تاريخ نشرها ، وتارة أخرى ينص عليها فى القانون ذاته فيذيل بمادة أخيرة نصها « يعمل بهذا القانون بعد مدة كذا من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية » .

وأما القاعدة الثانية : وهى قاعدة شخصية العقوبة فمفادها أن لا يعاقب الإنسان إلا على ما جنته يداه وأن تكون العقوبة مقصورة على شخصه لا تتعداه إلى غيره إذ ليس من العدل أن يؤاخذ غير المذنب بذنب غيره . وقد وردت هذه القاعدة بجلاء ووضوح فى القرآن الكريم فى الآيتين التاليتين - فقد قال الله تعالى :

« وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا » آية ١٣ من سورة الإسراء . وقال جل وعلا فى الآية ١٥ من هذه السورة : « من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

وتأويل هاتين الآيتين الكريمتين سهل ميسور لا يحتاج إلى كبير عناء ، ومؤداه ألا يؤاخذ الشخص بذنب غيره . وأن كل إنسان مسئول عن فعله الذى اقترفته يداه . فإن كان حسنا كان له ثوابه ، وإن

كان وزرا حق عليه عقابه، قال الله تعالى: «ولا تزر وازرة وزر أخرى[1]».

وخلاصة ما تقدم أن العقوبة في الفقه الإسلامي شخصية بمعنى أنها لا تصيب إلا شخص المجرم الذي ثبتت إدانته دون غيره من الناس. ولا يؤثر في هذا النظر ما قد تلحقه العقوبة بطريق غير مباشر من أضرار ببعض الأبرياء من أقارب المجرم وذويه. فعقوبة الغرامة مثلا قد تضر بمن يعولهم المحكوم عليه بها. وعقوبة الحبس قد تحرم بعض الأبرياء من عائلهم الوحيد. ولكن هذه النتائج كلها أساسها ذلك العمل الإجرامي الذي قارفه المجرم وقضى عليه بالعقوبة من أجله.

وقد أخذت كافة التشريعات الجنائية الوضعية في مختلف الدول بهذه القاعدة الحكيمة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية من ذلك ما نصت عليه المادة الأولى من قانون العقوبات المصري من أنه: «تسرى أحكام هذا القانون على كل من يرتكب في القطر المصري جريمة من الجرائم المنصوص عليها فيه، وهكذا في جميع القوانين الجنائية الأخرى.

(١) الآية رقم ١٥ من سورة الإسراء.

وأما القاعدة الثالثة: وهي قاعدة أن الشك يفسر لصالح المتهم. فإنها تهدف بدورها إلى إقرار العدالة والطمأنينة في المجتمع. ومؤداها أنه إذا كان النص التشريعي يحتمل تأويلا لمصلحة المتهم وتأويلا ضد مصلحته يحمل النص على ما فيه مصلحة. لأن الأصل في الإنسان البراءة حتى تثبت إدانة. وأن تبرئة ألف مذنب خير من إدانة برىء واحد. وهذه القاعدة العادلة ثابتة في الفقه الإسلامي من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ادرءوا الحدود بالشبهات فإن كان له مخرج فخلوا سبيله. فإن الإمام إن يخطىء في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة».

ومؤدى هذا الحديث الشريف هو أن الحد يدفع بكل شبهة تذهب باليقين في الأمر الموجب له. وقد تكون هذه الشبهة متعلقة بركن من أركان الجريمة كشبهة ملكية السارق للشىء المسروق أو متعلقة بالجهل النافي للقصد الجنائي. كمن يأخذ حذاء آخر لدى خروجه من المسجد معتقدا أنه أخذ حذاءه.

أو تكون متعلقة بالإثبات كما لو تناقضت أقوال الشهود تناقضا من شأنه

أن يوصف بالتهمة المسندة إلى المتهم ويجعلها محوطة بالريبة والشك . وأخيرا فإن الشبهة قد تكون متعلقة بالنص التشريعي ذاته ؛ وما إذا كان منطبقا على واقعة الدعوى أم لا بسبب ما يشوبه من غموض أو قصور .

وهذه القاعدة التي نحن بصددها لم يخل منها أي تشريع من التشريعات الوضعية وتعتبر نبراسا للقضاة في جميع أنحاء العالم يهتدون بهديه . وقد نصت المادة ١/٣٠٤ من قانون الإجراءات الجنائية المعمول به في جمهورية مصر . بأنه إذا كانت التهمة المسندة إلى المتهم غير ثابتة قبله أو كان يحوطها الشك فإنه يتعين على المحكمة في هذه الحالة أن تقضي بتبرئة ساحته منها .

وهكذا يبين في جلاء ووضوح أن الشريعة الإسلامية الغراء هي مصدر كافة النصوص الفقهية التي تقوم عليها العدالة في جميع أنحاء العالم ، ولا عجب فهي شريعة الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا ؟

د . عبد العزيز صبري

---

( بقية المنشور على ص ٣٢٦ )

من علماء الأزهر ورجاله أن أضع هذه المقترحات أمانة بين أيديهم :

أولا : إنشاء معهد يلحق بجامعة الأزهر يخصص لتعليم اللغة العربية للطلاب الوافدين من غير البلاد العربية يعتبر مرحلة تمهيدية تؤهل الطالب لغويا لمتابعة الدراسة بالجامعة .

ثانيا : تنشأ أقسام تخصصية في كل من كلية التربية ومعهد اللغات والترجمة بجامعة الأزهر لإعداد مدرسين للغة العربية لغير متكلميها وتزويدهم ، بالدراسات الضرورية والحديثة في هذا المجال .

وأخيرا فإن إيجاد جيل متخصص من المدرسين يعملون في مكان مخصص لتدريس اللغة العربية لغير متكلميها سيضعنا وسط الميدان العملي الذي يتمكن فيه الأزهر من القيام بدوره والإفادة مما يستجد على هذا الميدان وإفادته بما تنتجه التجارب العملية في داخله . . كما أن هذا الجيل من المؤهلين سيكون منه المبعوث الكفء لنشر اللغة العربية بين المسلمين في بلادهم ، وفقنا الله وهدانا سبيل الرشاد ؟

محمد صبحي عيسى

# الحرب والسلام فى الاسلام

للدكتور عباس حلمى إسماعيل

---

الحرب والسلام ضدان يتعاقبان ولا يجتمعان . وقد سعى الإنسان إلى السلم إبقاء على البشر من الفناء . وأجاد الحكام فن السياسة إجادتهم فن الحرب ، حتى أضحت السياسة عماد حكمهم ، وعليها التعويل فى حقن الدماء ، وحفظ الأموال ، ومنع الشرور ، على قول ابن طباطبا صاحب الفخرى فى الآداب السلطانية .

عند ما أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم دعوة الإسلام ، وجد بين ما توارثه العرب ، من ملة إبراهيم وإسماعيل ، تحريم القتال فى أربعة أشهر من كل عام هى : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم . وقد ظل العرب فى جاهليتهم ، يعظمون هذه الأشهر الأربعة ، ويحرمون القتال فيها . والحكمة فى تحريم القتال ثلث العام ، هو جعلها بمثابة الهدنة العامة التى تفسح المجال أمام المتحاربين ، للتروى والرجوع إلى الصواب ، وتمكن الساعين فى الصلح ؛ من القيام بواجبهم ، وتتيح الفرصة للفريق الضعيف ، الذى قد يكون مأخوذا على غرة ، أن يستعد ؛ ويتبين للناس أى الفريقين كان معتديا ظالما ، فيفر عنه من يفر ؛ ثم ينضم إلى الفريق المعتدى عليه من ينضم .

ولكن طول العهد ، جعل بعض الرؤساء فى الجاهلية ، لا يلتزمون تحريم القتال فى الأشهر المحددة لذلك التحريم ، بل كانوا يستمرون فى قتالهم فى الشهر الحرام المحدد ؛ ثم يحرمون شهراً آخر ؛ بحيث يجعلون مجموع أشهر التحريم أربعة من غير ترتيب . ولو أدى الأمر إلى أن يزيدوا شهرا فى عام ؛ فإنهم ينقصونه من عام قابل ؛ مما يطلق عليه النسىء ؛ وهو تأخيرهم الشهر الحرام حسب أهوائهم ليجعلوا عدد الأشهر المحرمة أربعة أيا كانت .

ولما كان تحريم القتال فى فترة من العام شريعة سارية ؛ فيها ما فيها من جلائل الحكم ؛ فقد أقرها التشريع الإسلامى ؛

وأبقاها على ما كانت عليه ؛ قبل أن تحرمها الأهواء .

غير أن قتال المشركين فى هذه الأشهر مباح : إذا كان منهم اعتداء على المسلمين . وقد حدث فى أوائل الإذن بالقتال، أن بعث الرسول سرية بقيادة عبد الله بن جحش ، ليترصد قافلة على رأسها عمرو بن عبد الله الحضرمى ، وكان ذلك قبل غزوة بدر بشهرين - فى أواخر جمادى الآخرة سنة ٢هـ (٦٢٣م) وعندما التقى عبد الله بن جحش بالحضرمى كان قد حل أول رجب، وهو لا يدرى ، واشتبك الفريقان ، وقتل الحضرمى وثلاثة من صحبه ، واستاق ابن جحش العير وما فيها من بضاعة إلى الرسول .

علمت قريش أن قتال ابن الحضرمى ، قد وقع أول رجب ، فراحوا يشنعون بالرسول ، ويذيعون أنه استحل حرمة الشهر الحرام ، وأمر أصحابه بالقتال فيها . وسرعان ما انقلب فرح المسلمين بأول غنيمة فى الإسلام غما ، وغضب الرسول . وقال لابن جحش وأصحابه : ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام . فعظم ذلك على ابن جحش وأصحابه . وقالوا : والله ما نبرح حتى تنزل توبتنا ، وذلك لثقتهم بأنهم لم يخالفوا عهدا . وإنما كانوا لا يعلمون حلول أول رجب .

وفى وسط هذه البلبلة الفكرية ؛ وتقولات قريش ، واغتمام المسلمين ؛ أنزل الله تعالى آيات بينات ، تضع الأمور فى نصابها . وتبكت قريشا على ما راحت تذيعه ، متناسية ما ترتكبه من مخالفات صارخة ، تأباها المبادىء الإنسانية : فهم كانوا يصدون من يقصد البيت الحرام ، فيخرجون من آمن بالله ورسوله منه ظلما وعدوانا ، ويفتنون من يستطيعون أن يفتنوه عن دينه بمختلف وسائل التعذيب ، ويشركون بالله مالا يسمع ولا يبصر ، ولا يغنى عنهم شيئا، من أحجار يقيمونها ويخرون لها ساجدين . نبهتهم الآيات إلى أن هذه الجرائم العديدة ، لا يمكن أن توضع فى كفة ميزان، مع خطأ حدث من بعض المسلمين من غير قصد ، إذ أن المسلمين كانوا يدعون إلى خير وإلى إصلاح ، ولم يصروا على خطئهم أو يكابروا فيه ، بل ندموا وانتظروا عفو الله ، على حين أن قريشا تحاول إشعال الفتنة جاهدة ،

وتكابر وتصر على ما هى فيه من ضلال وهنا قبعت الفتنة ، واطمأن الرسول ، وأخذ المسلمون الغنائم .

ووجه القرآن الكريم نظر المسلمين ، إلى موقف الكفار العدائى الدائم ، حتى يكونوا على حذر ، صدق ذلك بما كان بين المسلمين والمشركين من معارك كبرى كان أولها فى غزوة بدر الكبرى ، بعد حادث السرية بشهرين إثنين . ولقد عاد المشركون فى عام الحديبية ٦ هـ (٦٢٨م) فقاتلوا المسلمين فى الشهر الحرام : ذى القعدة ، فخشى المسلمون أن يردوا على قتالهم بقتال ، ولكن الله أذن للمسلمين فى رد العدوان .

وكان فى هذا تذكير للمسلمين وتبكيت آخر للمشركين ، بعد أربعة أعوام من الحادث السابق . ومع هذا ضرب الرسول المثل ، فأنهى حالة الحرب مع كفار مكة ، عندما عقد معهم صلح الحديبية ، الذى يعد أول هدنة وقعت فى تاريخ الدولة العربية الإسلامية فصارت نموذجا سياسيا ومثلا يحتذى فى العلاقات الدولية .

وقد كان المسلمون يخشون أن يقاتلهم المشركون داخل المسجد الحرام سواء فى الأشهر الحرم أو فى غيرها ، ولكن عناية الله لم تدع المسلمين فى حيرتهم ، إذ كانوا قد صدقوا النيات على القتال فى سبيل الله ، وأصبحوا مستعدين لتلقى أوامر الرسول بالغزو ، فهم فى تعبئة عامة دائمة .

فأنزل الله ما يرفع به الحرج عنهم إذا قاتلوا عند المسجد الحرام ، دفاعا عن أنفسهم ، وردا لعدوان الكفار ، كما رفع الحرج عنهم إذا قاتلوا فى الأشهر الحرم من يبدءونهم بقتال ، وأكد وجوب استمرار المؤمنين فى القتال ، فى غير هوادة ، حتى تستأصل شأفة المجرمين ، ويستريح الناس من شرورهم وفتنتهم . اطمأن المسلمون إلى رحمة الله بهم . ورفع الحرج عنهم ؛ إذا هم قاتلوا المشركين عند المسجد الحرام أو فى الأشهر الحرم . فقويت عزائمهم ، وصمدوا لكل عدوان أينما كان . ومتى كان . ولم يستطع المشركون أن يردوا فردا واحدا عن دينه ؛ بعد أن ذاق حلاوة الإيمان .

والواقع أن الإسلام جاء بمثله العليا ، فألف بين قلوب العرب وجمعهم تحت

رايته ، وقضى على ما كان من انفصالية وقبلية ، وبث فيهم حب السلام والتعاون والعمران ، فظهرت بذلك الخلال العربية الأصيلة ، والتقت بهذه المثل العليا التى جاءت مع الدين الجديد ، وقامت بذلك قوة عظمى لم يشهد لها التاريخ مثيلا ، قوضت أركان أعظم دولتين تربعتا على عرش العالم قرونا طويلة من الزمان ، وهما الفرس والروم ، ويخطىء من يظن أن العرب انتصروا على جيوش الفرس والروم بقوة السلاح ، فلم يبتدع العرب سلاحا جديدا فتاكا يشبه القنبلة الذرية مثلا ، وكانت جيوش الفرس والروم أكثر عددا وأوفر سلاحا وأعظم عدة ، ومع ذلك انتصر العرب .

والحرية والمساواة والخير والعدالة والسلام والتسامح هى القيم الجديدة التى غزا بها المسلمون العالم ، منذ أربعة عشر قرنا من الزمان . فقد اتخذ الإسلام مبدأ الحرية دعامة لجميع ما سنه للناس من عقائد ونظم وتشريع ، وحرص على تطبيقه فى مختلف شئون الحياة ، فقد كان الناس على عهد عمر بن عبد العزيز ، والمأمون ابن الرشيد ، يتناقشون بكامل الحرية ، وفى حضرة الخليفة نفسه ، فى شأن الأسرة الحاكمة ، ومبلغ أحقيتها بالخلافة . وقد شهد بذلك بعض كتاب الفرنجة المحدثين ، فقال جوستاف لوبون - يوازن بين فتوحات العرب وبين الاستعمار الأوربى : « لم ينبئنا التاريخ قط بفاتحين أرحم ولا أعدل من العرب فى فتوحاتهم ذلك أن العرب لم يكن هدفهم استعمار البلاد المغلوبة واستغلالها ، بل كان غرضهم نشر رسالة العدل والسلام ، ومن أجل ذلك رضيت الشعوب بفتح العرب ورضوا بهم ، ولم تلبث لغتهم أن سادت وتغلبت ، وأصبحت هى اللغة الرسمية ثم دخل الناس فى دين الله أفواجا عن رضا وطواعية ، وعن اقتناع بفضل الدين الجديد . أما الذين آثروا البقاء على دينهم من يهود أو نصارى - فلم يتعرض العرب لبيعهم أو كنائسهم ؛ وظلوا يمارسون عباداتهم فى حرية » .

لم يحارب المسلمون لبغى ولا لتنكيل ، ونزهوا الجهاد عن عرض الدنيا .

غير أن العالم اليوم ، يعانى الاضطراب والقلق والذعر . والتشرد فى القلب

والذهن؛ لأن شبح الحرب يحاصره ليل نهار . حتى أن دعاة السلام يعدون العدة للحرب لاحبا للحرب، بل حفاظا على السلام ،وذلك يعنى أنهم يرهقون الناس بالضرائب . ويبتزون منهم أموالهم ، ويسوقونهم ليدربوهم على فنون التقتيل والتدمير ، ويطردون الراحة والهناءة والأمل من قلوبهم وأفكارهم وساكنهم - جاعلين مكانها الحزن ، والشك ، والقلق . ويبنون الأساطيل ويكدسون القذائف الجهنمية لا ليتهكوا بها حرمة السلام . بل ليقيموا بها سدا منيعا بين الحرب والسلام . إنهم يحاولون أن يقاوموا الحرب بأحب الأشياء إلى قلب الحرب وبالمدافع والقنابل .

إن سلما مدججا بالسلاح لسلم يهزأ بالعقل ، ويمرغ فى الأوحال أنبل ما فى القلب من آمال. إنها الحرب وقد تقنعت بقناع السلم .

لقد آن للناس أن يدركوا أن سلما يحميه الخوف من السلاح ، ليس بالسلم الذى يدوم ، وما هو إلا هدنة ما بين حرب وحرب ، فلا الجيوش الجرارة، ولا الأسلحة الفتاكة ، ولا المعاهدات الدولية ، بقادرة أن تؤمن السلم الذى نصبو إليه ونفرح من أجله .

إن للسلم الحقيقى مفتاحا واحدا وذلك المفتاح لن نجده إلا فى القلب ، وفى نزعة الإنسان إلى الحياة والحرية ، هذه النزعة التى تهدف إلى جعل الإنسان سيد نفسه وسيد الطبيعة ، فلا حواجز بين إنسان جائع ورغيف من الخبز ، وبينه وبين حريته ، وبين إنسان وآخر ، مهما اختلف جنسه ولونه ولسانه ، كيلا تكون مبعثا للخلافات بين الشعوب . ثم على الناس أن يفهموا أن احترام النفس يعنى احترام الآخرين ، وأن المحافظة على الكرامة الفردية ، تعنى المحافظة على كرامة الإنسان ، وأن يدرك الناس أن أعداءهم الحقيقيين الجهل والفقر والعبودية للغرائز، هذه هى الأعداء التى يجمل بالناس فى كل مكان ، أن يجندوا جميع قوام لمحاربتها ، ويتعاونوا فى القضاء عليها .

ولكن ما أشد حاجة العرب إلى التربية الحربية ، فقد تبين أن العربى بدونها حمل بين ذئاب ، ولا تزال طبيعة الناس كما وصفها الشاعر العربى القديم :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له
وتتقى صولة المستأسد العادى

كما يصدق هذا على الأفراد يصدق على الأمم ، فالأمة إذا لم تكن عزيزة مرهوبة الجانب ؛ فإنها تكون طعمة الطاعم ونهبة الظالم ، وفريسة المعتدى ، ولا ينفعها قدر أنملة ما تنادى به من طلب مراعاة العدل ، والاستغاثة بالإنسانية والضمير العالمى ، والاستصراخ بالمبادىء . فالعدالة والإنسانية والمبادىء إنما تطبق على الأقوياء لا على الضعفاء وعلى من استند فى دعواه إلى السلاح لا إلى الصياح . والقوة الحديثة التى يجب أن يتزياها العرب ، لا بد أن تكون على أحدث منهج وآخر طراز ؛ فلا نحارب القنبلة بالسيف ؛ ولا الدبابات المصفحة بالصفوف الراجلة ؛ فهذا لا يسمى حربا ولكن إلقاء بالأيدى إلى التهلكة وكذلك الشأن فى النظم الحربية ، فقد تطورت تطورا كبيرا ، والأمم تتسابق فى التجديد علما منها بأن النصر مكفول لمن وفق إلى التجديد النافع .

غير أن الإنسانية المتفائلة تهدف إلى السلام الدائم ، مؤمنة بوجود تحالف طبيعى بين القوة والسلام . وأنها أداته وما إجماع الرأى العام العالمى على استنكار العدوان على العرب فى حرب السويس إلا دليل على أن المثل العليا إذا خذلتها الأقلية ؛ بإغراء الأنانية السطحية ؛ فإنها تجد فى خدمتها الأغلبية الساحقة التى تمثل الإنسانية بأسرها ؛ والتى تكمن فيها القوة العظمى . إن الإنسانية لا بد أن تتجه نحو هدفها الأكبر ؛ وهو سعادة الجميع وتحقيقها لا يمكن أن يتم إلا بمنع الحروب وإشاعة السلام ، ولا شك أن الوسيلة هى التضامن والتعاون ، والتآخى المؤدى إلى الاتحاد العام . فإن الله قد خلق الناس شعوبا ليتعارفوا ، وكما امتنعت الحروب بين المدن ؛ باندماجها فى دولة واحدة ؛ فكذلك تمتنع الحروب بين الدول التى تتحد .

وإذا كانت الولايات الأمريكية قد اتحدت ، وكذلك الجمهوريات السوفيتية ، وتتجه أوربا إلى التفكير فى الاتحاد الأوربى ، برغم ما بين دولها من أحقاد تاريخية واختلافات لغوية ، فما أشد ضلال من يعملون على تعويق الوحدة الإسلامية

( البقية ص ٣٥٤ )

# حساب الجمل وعلم أسرار الأعداد والحروف

للأستاذ محمد كمال السيد

---

حساب الجمل طريقة استعملها القدماء وظلت تستعمل حتى أوائل القرن الهجرى الحالى ، للتوفيق بين الكلمات والأعداد .

وأساس الطريقة هو الثمانية والعشرون حرفا المكونة منها الأبجدية ، وقد وضعوا الأبجدية فى الكلمات الثمانية الآتية : ( أبجد - هوز - حطى - كلمن - سعفص - قرشت - ثخذ - ضظغ ) وجعلوا لكل حرف عددا يقابله .

فتسعة الحروف الأولى يقابلها من الأعداد من ١ - ٩ على التوالى . فالألف تساوى ١ . والباء تساوى ٢ . والجيم تساوى ٣ وهكذا حتى الطاء تساوى ٩ .

والتسعة حروف التالية يقابلها من الأعداد العشرات : من : ١٠ - ٩٠ على التوالى . فالياء تساوى ١٠ . والكاف تساوى ٢٠ . واللام تساوى ٣٠ وهكذا حتى الصاد تساوى ٩٠ .

وتسعة الحروف الثالثة يقابلها من الأعداد المئات من ١٠٠ - ٩٠٠ على التوالى . فالقاف تساوى ١٠٠ . والراء تساوى ٢٠٠ . والشين تساوى ٣٠٠ . وهكذا حتى الظاء تساوى ٩٠٠ .

والحرف الأخير من الأبجدية وهو الغين يساوى ١٠٠٠ .

هذا هو الحساب فى المشرق العربى ومنه مصر .

واختلف أهل المغرب فى ترتيب حروف الأبجدية كما هو موضح بالجدول الآتى :

فى المشرق والمغرب العربيين

| أبجد | هوز | حطى | كلمن |
|---|---|---|---|
| أ ب ج د | هـ و ز | ح ط ى | ك ل م ن |
| ١-٢-٣-٤ | ٥-٦-٧ | ٨-٩-١٠ | ٢٠-٣٠-٤٠-٥٠ |

### فى المشرق العربى

| سعفص | قرشت | ثخذ | ضظغ |
|---|---|---|---|
| س ع ف ص | ق ر ش ت | ث خ ذ | ض ظ غ |

٦٠-٧٠-٨٠-٩٠-١٠٠-٢٠٠-٣٠٠-٤٠٠-٥٠٠-٦٠٠-٧٠٠-٨٠٠-٩٠٠-١٠٠٠

### فى المغرب العربى

س ع ف ض  ق ر س ت  ث خ ذ  ظ غ ش

سعفض  قرست  ثخذ  ظغش

ونتج عن هذا الاختلاف بين المشرق والمغرب العربيين فى ترتيب الحروف اختلاف القيمة العددية فى ستة حروف .

| | | فى المشرق | | فى المغرب |
|---|---|---|---|---|
| فالصاد | تساوى فى المشرق | ٩٠ | وفى المغرب | ٦٠ |
| والضاد | « | ٨٠٠ | « « | ٩٠ |
| والسين | « | ٦٠ | « « | ٣٠٠ |
| والظاء | « | ٩٠٠ | « « | ٨٠٠ |
| والغين | « | ١٠٠٠ | « « | ٩٠٠ |
| والشين | « | ٣٠٠ | « « | ١٠٠٠ |

وكانوا يرصعون بناء المساجد والأسبلة والأضرحة وختام مؤلفاتهم كتابة أو طبعا ، وغيرها مما يريدون تخليد تاريخ إنشائها أو إتمامها ، بعدة أبيات من الشعر يكون البيت الأخير منها ، أو الشطر الأخير منه ، تبعا لحساب الجمل .

ونضرب مثلا للتوضيح :

فى ختام مقامات الحريرى بالمطبعة الحسينية بالقاهرة ١٣٢٦ هـ ذكر الشاعر السيد محمد حسن الحموى صاحب ديوان الحمويات عدة أبيات من الشعر مطلعها:

مقامات الحريرى إلى الأريب
بدت بالطبع فى شكل غريب
بها الإبداع يظهره اقتـــدار
بآيات المعـــانى للأديب

وجعل البيت الأخير من القصيدة المكونة من عشرة أبيات كالآتى :

بدت بجمال رونقها فأرخ مقامات الحريرى إلى الأريب

٥٨٢ ٤٥٩ ٤١ ٢٤٤ = ١٣٢٦ هـ

| مقامات | الحريرى | إلى | الأريب |
| --- | --- | --- | --- |
| م = ٤٠ | ا = ١ | ا = ١ | ا = ١ |
| ق = ١٠٠ | ل = ٣٠ | ل = ٣٠ | ل = ٣٠ |
| ا = ١ | ح = ٨ | ى = ١٠ | ا = ١ |
| م = ٤٠ | ر = ٢٠٠ | | ر = ٢٠٠ |
| ا = ١ | ى = ١٠ | | ى = ١٠ |
| ت = ٤٠٠ | ر = ٢٠٠ | | ب = ٢ |
| | ى = ١٠ | | |
| ٥٨٢ | ٤٥٩ | ٤١ | ٢٤٤ = ١٣٢٦ هـ |

مثل آخـــر :

لما حضر أحمد باشا المعروف بكوروزير واليا على مصر من ( ١١٦١-١١٦٣هـ = ١٧٤٨ — ١٧٥٠م ) كان مولعا بالعلوم الرياضية . فاتصل بالشيخ حسن الجبرتى - والد المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى - وكان علامة وقته بالنسبة للعلوم الفلكية والميقات وصناعة المزاول والمنحرفات . وكانت لازمة المسلمين لتحديد أوقات الصلاة ؛ إذ الساعات لم تكن متداولة بين أيديهم وقتذاك . فعرف الوزير قدر الشيخ حسن ، ودرس عليه واستفاد من علمه الكثير . وقال المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى : ( واشتغل عليه برسم المزاول والمنحرفات حتى أتقنها . ورسم على اسمه عدة منحرفات على ألواح كبيرة من الرخام صناعة وحفرا بالأزميل كتابة ورسما . ونصب واحدة من هذه المزاول بالجامع الأزهر وأخرى بسطح جامع الإمام الشافعى وأخرى بمشهد السادات الوفائية . وعمل له تاريخا منظوما نقشه عليها وهو هذا :

مزولة متقنـــة نظيرها لا يوجـد
راسمها حاسبها هذا الوزير الأمجد
تاريخها أتقنها وزير مصر أحمد

٥٥٧ ٢٢٣ ٣٣٠ ٥٣ = ١١٦٣ هـ

وهذه المزولة لا تزال موجودة للآن بصحن الجامع الأزهر على عامود خلف المدرسة الطيبرسية . وتوجد نسخة أخرى منها بمكتبة الأزهر بالمدرسة الأقبغاوية . والمدرستان المذكورتان من ضمن مبانى الجامع الأزهر الحالية .

وكان المعجم - ونعنى ما شرق العراق - طريقة أخرى فى حساب الجمل . وهى ألا يعتبروا إلا المعجم أى المنقوط من الحروف ولكن بنفس الأعداد المبينة بالجدول بالنسبة للمشرق العربى .

ونضرب لهذا مثلا ما ذكره المرحوم رفاعه بك بدوى رافع فى كتابه (الكواكب المنيرة فى أفراح العزيز المقمرة) لتسجيل تاريخ أفراح الأنجال أى أنجال الخديوى السابق إسماعيل . وكانت أربعة قرانات فى وقت واحد سنة ١٨٧٢ م = ١٢٨٩ هـ . واستمرت الأفراح أربعين يوما وكانت الاحتفالات الشعبية بحى المنيرة ولم يكن مزدحما بالمبانى كالآن بل به فراغات كثيرة . ولا يزال الآن بالمنيرة شارع متفرع من شارع القصر العينى باسم شارع أفراح الأنجال .

وطاب زمان الأنس عيشا فأرخوا

زهت بكمال السعد أضواء أفراح

٤٠٧   ٢   —   ٨٠٠   ٨٠ = ١٢٨٩

ز = ٧ - ب = ٢ — ض = ٨٠٠ ف = ٨٠

ت = ٤٠٠

وبحكم هذا التصنع تكون الأبيات الشعرية غالبا ضعيفة المعنى متكلفة اللفظ . ولا يوجد الآن من الكتاب أو الشعراء من يضيع وقته فى مثل هذا العناء .

ولم يقتصر القدماء فى حساب الجمل على التأريخ .

ولكنهم كانوا يستعملون التوفيق بين الأعداد والحروف فى علوم أسرار الأعداد والحروف وكشف طوالع الأحداث والملوك والعظماء واستخراج الأجوبة من الأسئلة والسحر والطلسمات والتنجيم والطب الروحانى وغيرها من العلوم القديمة .

فقسموا حروف أبجد وهى أربعة كتقسيم العناصر الأصلية عندهم - فجعلوا الألف للنار . والباء للهواء . والجيم للماء والدال للتراب .

وخصوا الألف - وهى النار - بسبعة حروف : الأول والخامس والتاسع وهكذا بزيادة أربعة على التوالى إلى الحرف الخامس والعشرين فى ترتيب الأبجدية .

وخصوا الباء - وهى الهواء - بسبعة حروف : الثانى والسادس والعاشر وهكذا بزيادة أربعة على التوالى إلى الحرف السادس والعشرين من ترتيب الأبجدية .

وخصوا الجيم - وهى الماء - بسبعة حروف : الثالث والسابع والحادى عشر وهكذا بزيادة أربعة على التوالى إلى الحرف السابع والعشرين فى ترتيب الأبجدية .

وخصوا الدال - وهى التراب - بسبعة حروف : الرابع والثامن والثانى عشر ، وهكذا بزيادة أربعة على التوالى إلى الحرف الثامن والعشرين من ترتيب الأبجدية .

وغير هذا كثيرا مما يطول أو يستعصى شرحه - بل فهمه - لكثرة ما تصادف من رموز وأرقام .

ولا فائدة من هذه الدراسة أو البحث الآن إلا للمساعدة على فهم بعض ما فى كتب التراث بالنسبة للعلوم المذكورة وتقييمها على ضوء العلوم الحديثة .

وينكر العلم المادى الحديث الكثير من هذه العلوم القديمة . ولكنه لا يستطيع أن ينكر أن الإنسان ليس مجرد آلة مادية تعمل ميكانيكيا وكيماويا فقط . ولكن به عقل يفكر ، ولا يزال كثيرا من وظائف المخ مجهولا ، وبه حياة تنبض بالروح لا يزال العلم يقف حائرا فى كنهها والتنويم المغناطيسى وعلم النفس الحديث خطوة فى التحول عن فكرة المادية المطلقة . ولا يزال الكثير من أعمال فقراء الهنود الخارقة مثل حبس النفس مدة طويلة تحت الماء أو التراب . والصيام عن الطعام أو الشراب فترات أطول بكثير مما يقدره العلم للإنسان . ومثل تخفيف الأجساد حتى ترتفع فى الهواء . وغيرها من الخوارق . محل عجب وتساؤل.

كذلك كثير مما كان يعتبر من الأساطير أو الخرافات أصبح حقائق علمية عادية . فبلورة المنجم السحرية التى يرى بها الأحداث فى شتى أنحاء المعمورة يقابلها الآن التليفزيون . ومثل البساط السحرى يقابله الآن الطائرات .

وليس بعيدا - أو مستحيلا - أن تكون هناك كائنات أخرى تعيش معنا وتمنعنا عن رؤيتها طبيعية تركيب عيوننا أو تكوين الضوء الذى نحيا فيه . وتعنى كائنات أخرى غير عالم الميكروبات .

ونحن - كمسلمين - نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى اختص نفسه بعلم الغيب فقال فى كتابه العزيز : ( عالم الغيب والشهادة ) وقال عن نبيه عليه الصلاة والسلام : ( ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ) ونذكر الحديث الشريف : ( كذب المنجمون ولو صدقوا ) وفى رواية - ولو صدفوا - أى صادفوا .

ولكننا أيضا - كمسلمين - لاننكر السحر . فقد ورد فى القرآن عدة مرات وكان السحر من معجزات موسى عليه السلام، وقد تحدى به سحرة فرعون وكان للمصريين وقتذاك شهرة بالعلوم السحرية .

وقد ذكر المفسرون فى نزول سورة الفلق : أن لبيدا اليهودى سحر النبى عليه الصلاة والسلام فى وتر به إحدى عشرة عقدة ، فأعلمه الله بذلك ومكان الوتر فأحضر بين يديه ، وأمر بالتعوذ بهذه السورة وسورة الناس التى بعدها ، فكان كلما قرأ آية منهما انحلت عقدة ووجد خفة . حتى انحلت العقد كلها وقام وكأنما نشط من عقال . وآيات السورتين إحدى عشرة آية .

ومن آيات سورة الفلق :

( ومن شر النفاثات فى العقد . ومن شر حاسد إذا حسد ) .

ومع أن الكثير من هذه العلوم القديمة قد شابه الخلط أو الدجل ، أو الأهواء السياسية كالجفر المنسوب إلى الإمام جعفر الصادق . وهو سادس الأئمة عند الشيعة . فقد زعمت الشيعة أنه كان لديه كتاب على جلد به أسرار العالم ما مضى وما سيكون . وأن علم الجفر هو علم الحروف الذى تعرف به أحداث العالم لغاية انقراضه .

ولكننا لا نستطيع أن نقطع جزما ببطلان جميع ماورد فى هذه العلوم القديمة وجهلنا بها أو بأسرارها ليس دليلا على بطلانها . وقد يكون من المفيد أن نعيد النظر فيها ، بعقولنا الحاضرة الأكثر تفتحا للحقائق . والأوسع انطلاقا وتحررا من المؤثرات .

ومن التخريجات اللطيفة لتفسير الحديث الشريف : ( خلقت حواء من الضلع الأيسر لآدم ) ماورد فى علم أسرار الأعداد والحروف ، فقد اعتقد بعضهم بصحة الحديث ، وأن ضلوع الرجل تنقص ضلعا عن ضلوع المرأة لخروج حواء من هذا الضلع ، وهو ماينكره

علم التشريح ، ولكن تصدى آخرون لتفسير الحديث كالآتى :

أن رقم ٩ لآدم ، رقم ٥ لحواء.

بمعنى أنك إذا جمعت الأعداد من ١ - ٩ لكان حاصل الجمع ٤٥ وهو بحساب الجمل يساوى آدم .

(أ + د + م = ١ + ٤ + ٤٠)

وإذا جمعت الأعداد من ١ - ٥ لكان حاصل الجمع ١٥ وهو بحساب الجمل يساوى حواء .

(ح + و + ا = ٨ + ٦ + ١)

وفى علم الأرتيماطيق (الحساب) إذا ضربت عددا فى عدد سمى كل من العددين ضلعا . وسمى حاصل الضرب المضلع .

وحيث أن حاصل ضرب ٩ × ٥ (وهما ما يقابلان آدم وحواء كما ذكرنا) يساوى ٤٥ وهو أيضا يساوى آدم .

فتكون حواء أحد ضلعى آدم . . وهى الضلع الأيسر (من اليسير لا من اليسار) أى الأقل فى الضلعين .

وحاولوا الربط بين حوادث التاريخ والأعداد . فقد ذكر عن ابن عباس (هو عبد الله بن عباس ابن عم الرسول - صلى الله عليه وسلم أن ليلة القدر - وهى مختلف فى تحديد وقتها فى شهر رمضان - تقع فى ليلة السابع والعشرين من رمضان . لأنها ذكرت فى سورة القدر ثلاث مرات . وأن حروف كلمتى (ليلة القدر) عددها تسعة . وحاصل ضرب العددين ٣ × ٩ = ٢٧ .

وذهب آخرون فى هذا الموضوع نحوا آخر . قالوا إن كلمات سورة القدر ثلاثون كلمة . وأن بآخرها (سلام هى حتى مطلع الفجر) وأن كلمة (هى) هى الكلمة السابعة والعشرون من كلمات السورة

وقال الرئيس ابن سينا فى رسالة له فى العشق : (العشق سار فى المجردات والفلكيات والعنصريات والمعدنيات ، والنباتات والحيوانات . حتى أن أرباب الرياضى قالوا : الأعداد المتحابة واستدركوه على إقليدس أنه فاته ولم يذكره .

العددان المتحابان هما : ٢٢٠ ، ٢٨٤ .

فلو جمعت أجزاء ٢٢٠ لكان حاصل الجمع ٢٨٤ ( { ١/٢ + ١/٤ + ١/٥ + ١/١٠ + ١/١١ + ١/٢٠ + ١/٢٢ + ١/٤٤ + ١/٥٥ + ١/١١٠ + ١/٢٢٠ } × ٢٢٠ = ١١٠ + ٥٥ + ٤٤ + ٢٢ + ٢٠ + ١١ + ١٠ + ٥ + ٤ + ٢ + ١ = ٢٨٤ ) .

ولو جمعت أجزاء ٢٨٤ لكان حاصل الجمع ٢٢٠ ( { ١/٢ + ١/٤ + ١/٧١ +

$\frac{١}{٢٤٢} + \frac{١}{٢٨٤} \} \times ٣٨٤ = ١٤٢ +$ $٧١ + ٤ + ٢ + ١ = ٢٢٠)$ .

وأصحاب العدد يزعمون أن لهذين العددين المتحابين ، خاصية عجيبة في المحبة مجربة .

وكما أن هناك أعدادا متحابة فهناك أعدادا أسموها الأعداد الشريفة وهي الأعداد التي مجموع أجزائها مساوي لها. مثل العددين ٦ ، ٨ . فالستة مثلا مجموع نصفها وثلثها وسدسها يساوي ٦ وقالوا : إن الله خلق العالم في ستة أيام أحـــد الأعداد الشريفة .

وهكذا ترى أنه حتى لو خلت هذه الدراسات من الفائدة فإنها لا تخلو من بعض الطرافة ؟

محمد كمال السيد محمد

---

( بقية المنشور على ص ١٤٦ )

كخطوة ضرورية في طريق الإخاء الشامل إن مجد الحكام اليوم يقاس بمدى ما يعمر قلوبهم من الوفاء للإنسانية ومثلها العليا وهذا الوفاء يقتضي التمهيد للتقارب والتآخي والتحاب في ظل السلام . وبهذا تتجنب الإنسانية ويلات الحرب ، وتنصرف إلى إسعاد الجميع ؛ بلا تفرقة بين أقلية ممتازة وأغلبية معتادة ، ولا بين بيض وملونين ، أو بين عرب وغيرهم ؛ بل الكل سواء كأسنان المشط ، في الاتجاه الإنساني الشامل . أكرمهم عند الله أتقاهم . ويومئذ تختم الإنسانية عصرها الأول : عصر الحروب . وتبدأ عصرها الثاني : عصر السلام الدائم الذي يعمل فيه الجميع من أجل سعادة الجميع : السلام القائم على العدل والقوة ، لا السلام الذي ينبعث عن استسلام .

وإن لنا قبلة نحج لها ، ونتوجه إليها في صلواتنا ، وتعلمنا أن الإنسانية لا تبلغ كمالها إلا حين تجتمع القلوب على هدف . لقد نزل علينا الوحي ذات يوم لنقود الإنسانية إلى مراشدها ، فكانت حضارة الإسلام التي أنقذت العالم من ظلمات الضلال . فعلينا بما نملك من قوة الروح ومن الإيمان بالله ، ومن الشعور بمعاني الأخوة الإنسانية بين البشر ، أن نبعث رسالة السلام ؟

عباس حلمي إسماعيل

# العرب والمسرح

للأستاذ محمد كمال الدين

## – ١٠ –

ظل الأدب العربي ، بما يحويه من قصص وروايات ، ينتقل شفاها عن طريق الرواة سنين طويلة قبل أن يبدأ تدوينه مع مطلع العصر العباسي ، فحملت إلينا المدونات ألوانا أدبية تدل على أن العرب عرفوا لونا من التمثيل والقصة يتناسب تماما مع بداية المسرح في كل أمة عرفت هذا الفن ، وقلنا في المقال السابق أنهم عرفوا القصة التي يحكيها أو يرويها القاص في المسجد أو في الأسواق ، وقد عرفوا أيضا نوعا من المؤرخين عرفوا باسم «الإخباريين» الذين يمزجون بين الواقع والخيال ، وقد عرف السمعاني «الإخباري» في كتابه «الأنساب» (ص ٢١) بأنه الشخص الذي يروى الحكايات والأقاصيص والنوادر ، في قولهم ما يشعر بالحق والخيال معا ، يقولونه في ليالي السمر ، واشتهر بهذا النوع الهيثم ابن عدى الذى مات بمصر سنة ٢٠٦ هـ وأبو بكر عياش ، ويموت ابن المزروع[1] كانت قصصهم تمثل نفسية المجتمع الذى عاشوا فيه ، ويحملو نظرته وقيمه الأخلاقية .

وقد عرف العرب أيضا لونا أدبيا مما جمعه الرواة ، هو الملاحم أو القصائد المطولة التي تحمل في طياتها قصصا دراميا يمكن أن تخضع للتمثيل ونذكر منها ما نظمه السموأل في أبياته الرائية ، ومعلقة عمرو بن كلثوم ، وقصيدة الحطيئة والأقاصيص الشعرية لامرىء القيس وعمر بن أبي ربيعة والأحوص ، ففيها جميعا نجد سعة الخيال ، والأحداث المتسلسلة المترابطة ، واستبطان النفوس ، وتصوير الواقع ، وحيوية الوصف والتعبير ومن الملاحم الشعبية التي جمعت بين النثر والشعر نجد ملحمة أبي زيد الهلالي وملحمة عنترة بن شداد وملحمة الظاهر بيبرس ، ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري والتي تتضمن نقدا للشعراء والأدباء في الجاهلية

---

(١) ضحى الإسلام جـ ٢ ص ٣٥٦ والجزء الثالث منه ص ٣٥٢ الطبعة السابعة أيضا ١٩٦٤

والإسلام بأسلوب خيالى يتخلله حوار أدبى ولغوى ، كما نجد قصة حى بن يقظان لابن طفيل الأندلسى[1] .

ومن الكتب القصصية عند العرب نذكر كتاب « الفرج بعد الشدة » للقاضى أبى على المحسن التنوخى الذى اهتم به عدد كبير من المستشرقين لاعتبارات كثيرة منها أنه يحتوى على بذور الدراما العربية ، وقد ربطت مجلة الساميات الألمانية بين إحدى قصص هذا الكتاب وبين رواية « عروس كورنث » للشاعر الألمانى جيته ، وأجمع الكتاب على أن التنوخى يعد من كبار العلماء العرب فى القرن الرابع الهجرى ، وأن قصص كتابه تقوم على فكرة بسيطة هى سعى الإنسان الدائب فى الحياة ثم اصطدامه ثم انتصاره فهو يبارك الإنسان ويقف إلى جانبه بعد كل هزيمة ، ويرسم له طريق الانتصار[2] .

(١) الأصول الفنية للأدب . عبد الحميد حسن مكتبة الأنجلو ٩٤٩ ص ١٠٣ .

(٢) مقدمة لمسرحية قصيرة بعنوان المنتظر لعبده بدوى أخذت فكرتها من كتاب التنوخى ، مجلة المسرح العدد ٤٤ أغسطس سنة ١٩٦٧ ص ٨٣ - ٩٠ .

ونستطيع أيضا أن نذكر ألف ليلة وليلة التى يرجع تاريخها إلى القرن الثانى عشر أو الثالث عشر والتى ترجمت من الفارسية إلى العربية فى العصر العباسى ، وانتشرت فى العراق والشام ثم مصر أيام الأيوبيين والفاطميين ، وراجت كثيرا فى العصر المملوكى ، ويقول عنها ادوارلين أنها تمثل وتصور عادات العرب وطبائعهم وخاصة المصريين[1] ، ومما يذكر أن قصص ألف ليلة وليلة من أصل فارس ، عرفت فيه باسم : المزار إنسان ، أى الكتب الخمسة أو « أوهو الألف خرافة » كما يقول المسعودى ، وسميت فى العربية بألف ليلة وليلة لأن العرب كانوا يتفاءلون بالأرقام الفردية ويحبون تسمية أعمالهم الكبيرة بألف واحد وواحد بغير قصد إلى الحصر الدقيق وهى تحتوى على كثير من القصص المعروفة ، وحولت أخيرا إلى مسلسلات إذاعية وتلفزيونية سمعناها وشاهدناها أعمالا درامية متكاملة ، فيها الحدث

(١) بحث ألف ليلة تعيش معنا - أحمد رشدى صالح - مجلة الجديد العدد ١٢ - ١٥ يوليو ١٩٧٢ ص ٢٩ / ٣١ .

والحوار ، وفيها كل المقومات المسرحية بالمعنى القديم والحديث .

ومن أقدم القصص العربية نستطيع أن نذكر قصص بخلاء الجاحظ ( ١٥٩ - ٢٥٥ هـ ) التى استمدها من بيئته العربية ( فى البصرة ومدن العراق ) . فهم أشخاص عاشوا معه وحوله ممن خالص وخالط ، ثم خلع عليهم جميعا من أسلوبه وكسام من رشيق لفظه ، فبدت لهم صورة حية نابضة من حياتهم، وكيف كانوا يتعاملون ويتفاهمون ؛ ويجيئون ويذهبون ؛ وهى تدل على ما للجاحظ من إحاطة بأساليب الحياة فى بلاده وعصره[١] . وقدرة على الوصف والخيال والتصوير ، فى أسلوب فكه ؛ وكل قصة فيها - والكتاب يحوى أكثر من مائة قصة ، كلها تدور حول البخل والبخلاء - وكان الجاحظ واحدا منهم ؛ وقد روى على لسانه بعض القصص التى تصور حاله ، أو ترمز له . وهو كتاب ليس بمجرد أقاصيص وأفاكيه ، بل هو آراء فى البخل ، وصور من عقول البخلاء ، وتفكيرهم .

وتقترب من قصص البخلاء ، نوادر جحا ؛ التى تعتبر هى الأخرى قصصا فى الحكمة وصورا اجتماعية طريفة يمكن تمثيلها .

كما تقترب منها حكايات بيدبا الفيلسوف فى كليلة ودمنة التى ترجمها عبد الله بن المقفع وهى تصلح مسرحا للأطفال يقدم لهم قصصا درامية طريفة ، وقد ترجمت هذه القصص إلى الأسبانية سنة ١٢٥١ م ثم إلى اللاتينية بعد ذلك وانتشرت فى أوربا انتشارا واسعا[١] . كما ترجمت فى أوائل القرن الثانى عشر مجموعة من القصص العربية ، ترجمها بطرس الفونسو فى كتاب بعنوان : « تعاليم الكتاب » . ومنها قصص « الشاعر والأحدب ، الينبوع والأعمى ، الصناديق العشرة ، كيس النقود .. الخ » .

فإذا ذكرنا أن قصص الديكامرون لبوكاتشيو لها أصول عربية فى قصص ألف ليلة وليلة ، وكذلك ملحمة هرفيز دى ميتز التى استمدها من ألف ليلة أيضا فى نهاية القرن الثانى عشر ، وكذلك

( البقية على ص ٣٧٣ )

(١) مقدمة أحمد العوامرى وعلى الجارم لكتاب البخلاء ج١ - مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٨ م ص ٤ - ١٢

(١) دور العرب فى تكوين الفكر الأوربى - عبد الرحمن بدوى - مكتبة الأنجلو - الطبعة الثانية ١٩٦٧ ص ٦٧ - ٩٧ .

# فروق بين ألفاظ متقاربة

للأستاذ عباس حسن أبو السعود

– ٧ –

٣٦ – ولا يفرقون بين وسط بفتح السين، ووسط بسكونها، ويستعملونهما في معنى واحد، والحق أن لكل منهما معنى خاصا به لا صلة له بمعنى الآخر.

فمفتوح السين: اسم يدل على ما بين طرفى الشيء، تقول أمسكت وسط العصا ووقفت فى وسط الميدان، قال ابن برى: الوسط بالتحريك اسم لما بين طرفى الشيء وهو منه، وقد يأتى صفة وإن كان أصله اسما، لأن وسط الشيء أفضله وخياره، كوسط المرعى خير من طرفيه ووسط الدابة خير من طرفيها لتمكن الراكب، ومنه الحديث: «خير الأمور أوساطها». فلما كان وسط الشيء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفة، تقول: هذا رأى وسط، ومنه قوله تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا».

أما ساكن السين فهو ظرف، لا اسم تقول: جلست وسط القوم أى بينهم، قال ثعلب: وكل موضع يصلح فيه بين فهو وسط بسكون السين وإن لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك فمما جاء ساكن السين قول سوار ابن المضرب.

إنى كأنى أرى من لا حياء له
ولا أمانة وسط الناس عريانا

وفى الحديث: «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط القوم» أى بينهم ولما كانت بين لا تصلح أن تكون بعضا مما يضاف إليها، وكذلك وسط بالسكون لا يكون بعض ما يضاف إليه كان معناهما واحدا، ألا ترى أن وسط الدار منها، ووسط القوم ليس منهم؟ مما عرضنا اتضح الفرق من جهة اللفظ ومن جهة المعنى.

أما من جهة اللفظ: فإن الساكن لا يكون بعض الشيء الذى يضاف إليه، بخلاف المتحرك، وأما من جهة المعنى: فإن ساكن السين يلزم الظرفية ولا يصح رفعه على أنه فاعل، أو نصبه على أنه مفعول به، بخلاف المتحرك أيضا.

وإذا دخل على وسط ساكن السين حرف الوعاء خرج عن الظرفية ، ورجع فيه إلى وسط المتحرك ، ويكون بمعنى ساكن السين ، كقولك : جلست في وسط القوم ، والمعنى مع تحركه كمعناه مع سكونه .

وقد يستعمل وسط الذى هو ظرف اسما ويبقى على سكونه ، كما استعملوا بين اسما على حكمها ظرفا فى قوله تعالى : « لقــد تقطع بينكم » برفع بين ، قال عدى بن زيد :

وسطه كاليراع [1] أو سرج المجـ [2]

ـــدل حينا يخبو [3] وحينا ينير

٣٧ — ولا يفرقون بين كلمتى : شائق وشيق بتشديد الياء مكسورة ، ويخلطون بينهما خلطا عجيبا ، فيستعملون إحداهما مكان الأخرى ، فيقولون مثلا : هـذا أسلوب شيق ، والواجب أن يوصف الأسلوب بأنه شائق أى جذاب إذ تقول : شاقنى الأســـلوب شوقا إذا هاجك وأطربك ، وجعل نفسك تنزع إليه ؛ فالأسلوب شائق ، وأنت مشوق أما شيق فمعناها مشتاق ، تقول : أنا شيق إلى لقائك أى مشتاق إليه .

٣٨ — ولا يفرقون بين السمع والاستماع والواقع أن بينهما فرقا دقيقا : فالاستماع لما يكون مقصودا ، لأنه لا يكون إلا بالإصغاء ، تقول : استمعته واستمعت له كما فى قوله تعالى : « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه » ، وقوله : « فإذا قرىء القرآن فاستمعوا له » .

أما السمع فيكون بقصد ، وبدون قصد قال جل شأنه : « يلقون السمع وأكثرهم كاذبون » ، والسماع اسم من السمع ، تقول : سمعت كلام الخطيب إذا فهمت معنى ألفاظه ، فإن لم تفهمه لبعد أو لغط فهو سماع صوت لا سماع كلام ، لأن الكلام مادل على معنى تتم به الفائدة وأنت لم تسمع ذلك .

وسمع يتعدى بنفسه كما فى قوله تعالى : « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها » ويتعـدى باللام كما فى قوله تعالى :

---

(١) اليراع : ذباب يطير بالليل كأنه نار الواحدة يراعـــة .

(٢) المجدل بالكسر : القصر .

(٣) يخبو : ينطفىء .

« لا تسمعوا لهذا القرآن » ، ويتعدى بالباء كما فى قوله تعالى :

« ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين » .

ويقال : سمعت بفلان إذا نوهت به ، ورفعت ذكره ، وشهرته ، وذهب سمع فلان فى الناس بكسر السين إذا انتشر صيته وفشا بينهم .

٣٩ - ولا يفرقون بين الوقر بكسر الواو ، والوقر بفتحها ، مع أن لكل منهما معنى لا صلة له بمعنى الآخر : فالأول هو حمل البغل أو الحمار ، وقد يستعمل فى البعير ، وقال الخليل : الوسق بفتح الواو حمل البغل والحمار .

أما الثانى : فهو ثقل السمع ، تقول : وقرت أذن فلان توقر من باب تعب ، ووقرت تقر وقرا من باب وعد إذا ثقل سمعها أو صمت ، ووقرها الله ، يستعمل لازما ومتعديا ، تقول : أذن وقرة وزان فرحة ، وأذن موقورة .

وتقول : قد وقرت أذنه عن الاستماع إذا لم يقبله ، قال .

كم كلام سىء قد وقرت
أذنى عنه وما بى من صمم

وقال عز شأنه : « كأن فى أذنيه وقرا » .

٤٠ - ولا يفرقون بين العقد بفتح العين ، والعقد بكسرها : فالعقد بالفتح وهو العشرة ، والعشرون إلى التسعين ، وتسمى ألفاظ العقود .

أما ما بين كل عقدين من هذه العقود فيسمى عقدا بكسر العين تشبيها له بالعقد الذى تضعه المرأة على صدرها معلقا برقبتها .

قال الشيخ نصر الهورينى فى هامش القاموس فى مادة ( بضع ) قوله : ما بين العقدين هو بفتح العين ، لأن العشرة أى العاشر منها الذى هو رأس العقد يقال له : عقد بالفتح أى ربط ، وأما العقد بالكسر فهو مجموع الآحاد إلى رأس العقد ، كما بين العشرة والعشرين ، وما بين الخمسين والستين ، وما بين الثمانين والتسعين .

عباس أبو السعود

# علاقة المسلمين بأهل الذمة

للدكتور محمد رأفت عثمان

الإسلام هو دين الله الذى ختم به سبحانه سائر رسالاته إلى البشرية .

وهذا الدين الإلهى لم يترك سلوكا من كافة أنواع السلوك الإنسانى إلا هذبه ، ونظمه ، فنظم علاقة الإنسان بأخيه ، وأبيه ، وأمه ، وزوجه ، وأبنائه ، وسائر أفراد أسرته القريبين والبعيدين ، ونظم علاقة الإنسان بجاره قرب أم بعد وعلاقة الفرد بالمجتمع الكبير ، شريكا فى تجارة ، أو زميلا فى عمل ، أو رئيسا أو مرءوسا ، أو غير ذلك من الأعمال التى تحتاج إلى اتصال الأفراد بعضهم ببعض .

وكما نظم الإسلام علاقة الأفراد بعضهم ببعض ، نظم كذلك علاقة الحاكم بالمحكومين ، سواء أكان هؤلاء المحكومون مسلمين أم غير مسلمين ، وهم ما يسمون فى العرف الإسلامى بالذميين أو أهل الذمة .

حدد الإسلام فى كل هذه العلاقات وغيرها من العلاقات البشرية حدودها ورسم طريق الخير فيها لكل طرف من الأطراف .

ولقد بين الإسلام بنصوصه وقواعده التى أتى بها علاقة المسلمين بالذميين ، وهم رعايا الدولة الإسلامية من غير المسلمين المقيمون داخل الدولة الإسلامية .

وسنحاول فى هذا البحث أن نبين بعضا من علاقات المسلمين بالذميين ، وبعض هذه العلاقات هى :

## أولا : حريتهم فى عقيدتهم :

يرفض الإسلام أن يكره الناس على الدخول فى عقيدة لا يرتضونها ، فالإنسان بعقله الذى وهبه الله إياه ، عليه أن ينظر أى طريق يسلكه من طريق الهدى والضلال ، وعلى المسلمين أن يبلغوا رسالة الإسلام إلى من عداهم ، فإما أن يهتدوا ويختاروا طريق الخير وهو طريق الإسلام ، وإما أن يختاروا الطريق الآخر لا إكراه عليهم فى ذلك ، ونصوص الإسلام صريحة فى عدم إجبارهم على الدخول فيما لا يؤمنون به ، يقول الله تعالى : « لا إكراه فى الدين قد تبين

الرشد من الغى »(١) وقد نزلت هذه الآية الكريمة بعد حادثة حاول فيها أب أن يجبر ابنين له على الدخول فى الإسلام رأفة بهما وعطفا عليهما ، فقد حدث أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنان لرجل من الأنصار ، وكانا قد دخلا فى النصرانية قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قدم هذان الابنان فى نفر من الأنصار إلى المدينة ، للتجارة فى الزيت ، فلما لقيهما أبوهما لزمهما ، وقال : لا أدعكما حتى تسلما ، ولكن الابنين رفضا رغبة أبيهما واختصما إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال أبوهما : يا رسول الله ، أيدخل بعضى النار وأنا أنظر ؟ فرفض رسول الله صلى الله عليه وسلم إجبارهما على الدخول فى دين لا يعتقدانه ، وأمر الأب أن يخلى سبيلهما ، ونزل قول الحق تبارك وتعالى : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم »(٢) .

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ١ صـ ٣١١

ويقول تبارك وتعالى : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »(١).

ويجب أن نشير هنا إلى ما يراه علماؤنا رضى الله عنهم فى الآية الكريمة: «لا إكراه فى الدين » هل هى منسوخة فى حكمها أم أن حكمها باق لم ينسخ ، وقد اختلفوا فى هذا على ثلاثة آراء :

الرأى الأول: يرى أن حكم هذه الآية الكريمة منسوخ بمثل قول الحق سبحانه وتعالى : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين »(٢) .

وقوله سبحانه : « يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير »(٣) .

الرأى الثانى: يرى أن حكم هذه الآية الكريمة باق لم ينسخ ، غير أنه خاص

(١) سورة آل عمران آية ٦٤

(٢) سورة التوبة آية ٣٦

(٣) سورة التوبة آية ٧٣

بأهل الكتاب الذين يقرون على الجزية.

وقد اعتمد هذا الرأى على أمرين :

الأمر الأول: ماجاء فى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن ، وقد جاء فيه : « من كره الإسلام من يهودى أو نصرانى فإنه لا يحول عن دينه وعليه الجزية ، على كل حالم ذكر أو أنثى »[1].

الأمر الثانى: ماروى عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لعجوز نصرانية : أسلمى أيتها العجوز تسلمى ، إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ، قالت : أنا عجوز كبيرة ، والموت إلى قريب ، قال عمر : اللهم فاشهد ، ثم تلا قوله تعالى : « لا إكراه فى الدين »[2].

فقد أفاد الحديث والخبر أن عدم الإكراه فى الدين خاص بأهل الكتاب ، لأنه لو كان يجوز إكراههم لما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن تحويل اليهودى والنصرانى عن دينه ، ولا كره عمر المرأة على الدخول فى الإسلام .

وعلى ذلك فيكون أهل الكتاب قد استثنوا من عموم الآيات الآمرة بقتال المشركين كافة ، فلا يكرهون على الدخول فى دين الإسلام .

الرأى الثالث : يرى أن آية « لا إكراه فى الدين » لم تنسخ ، وهى فى الوقت نفسه باقية على عمومها ، فليست مخصصة بأهل الكتاب .

وذلك لأنه لا يلجأ إلى القول بالنسخ إلا إذا تعذر الجمع بين النصين ، وهنا يمكن الجمع بينهما ، لأن الآيات التى تنفى الإكراه فى الدين وتدعو للعفو والصفح لا تتعارض مع الآيات الآمرة بالقتال إذ يمكن فهم النصوص على أن الكفار إذا لم يعتدوا على الدعوة الإسلامية فالدعوة التى توجه إليهم تكون بالحسنى من غير عنف ، أما إذا رفعوا السلاح فى وجه الدعوة الإسلامية فالأمر هنا قد اختلف وأصبح من الواجب أن يدافع المسلم عن دينه ، فهنا مجال الآيات الآمرة بالقتال مثل قوله سبحانه وتعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » .

والرأى الثالث ، هو أرجح الآراء الثلاثة ، لأن فى الأخذ به إعمالا للنصوص

---

(١) المحلى لابن حزم جـ ٧ صـ ٣٤٨

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ٣ صـ٢٨٠

كلها ، وأما على القول بالنسخ فإن العمل يكون بالناسخ فقط ، ولا شك أن إعمال النصوص كلها أولى من إعمال بعضها فقط ، ولأن هذا هو المتمشى مع روح الإسلام التى تتسم بالعطف والتسامح مع أصحاب الأديان الأخرى[1] .

ثانياً : أنه لا يجوز الاعتداء على أنفسهم ، أو أموالهم ، أو أعراضهم ، ومن أموالهم التى لا يجوز لنا أن نعتدى عليها ما يكون فى حوزتهم من خمر أو خنزير ، فإنه على الرغم من أن مثل ذلك ليس بمال وإتلافه ليس تعديا إذا كان يملكه مسلم، إلا أن هذا إذا كان فى حوزة الذمى فليس للمسلم أن يعتدى عليه .

وإذا ما فرض أن أحد المسلمين قد اعتدى على ذمى فى حياته أو ماله فعليه عقاب قتل نفس الذمى وعقاب سرقة المال .

ثالثاً : من علاقاتنا بهم : وجوب الدفاع عنهم ضد كل من يعتدى عليهم ، سواء أكان هذا المعتدى من مواطنى دولة أخرى تحاربنا ، وهم ما يسمون فى العرف الإسلامى بالحربيين ، أم كان من أهل الذمة أو من المسلمين .

رابعاً : أنه يجوز للمسلم أن يتزوج الكتابية ، أى التى لقومها فى دينهم كتاب سماوى وهم اليهود والنصارى ، لكن لا يجوز للكتابى أن يتزوج مسلمة .

ويجوز أيضا الأكل من ذبائحهم ، لقول الله تبارك وتعالى : « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

وحل زواج المسلم من الكتابية ، وحل الأكل من ذبائح الكتابيين مبين له شروط وضحها الفقهاء المسلمون ، وشروط حل الزواج من الكتابية هى نفس الشروط المطلوب توافرها فى جواز الأكل من ذبائحهم ، وهى شروط مذكورة فى كتب الفقه الإسلامى ليس هنا مجال سردها ويمكن الرجوع إليها فى محالها فى أبواب

---

(١) مصادر تملك الأرض بدون مقابل للدكتور الشافعى عبد الرحمن ص ٣٩ .

النكاح والصيد والذبائح (١) .

خامساً : جواز زيارتهم وعيادتهم إذا مرضوا ، وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى غلاما من اليهود كان مريضا يعوده فقعد عند رأسه فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : «أسلم» فنظر الغلام إلى أبيه ، فقال : أطع أبا القاسم ، فأسلم الغلام ، فقام النبى صلى الله عليه وسلم فقال : «الحمد لله الذى أنقذه بى من النار» (٢) .

سادساً : خضوع أهل الذمة وانقيادهم لأحكام الشريعة الإسلامية فى ضمان النفس والأموال والعرض ، وأن تقام عليهم الحدود فيما يعتقدون تحريمه عليهم دون ما يعتقدون حله ، ومما يعتقدون تحريمه الزنا والسرقة والقتل ، والقذف ، فهذه الأمور وأمثالها يجب خضوعهم لأحكام الإسلام فيها ، سواء أكان الحد - وهو العقوبة التى قدرها الله تعالى - واجبا عليهم فى دينهم أم لا ، ومما يدل على ذلك أمران :

الأمر الأول : ما روى أن يهوديا قتل جارية فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر النبى عليه الصلاة والسلام أن يقتل ، وروى ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بيهوديين قد فجرا بعد إحصانهما فرجمهما .

الأمر الثانى : أن هذه الجرائم محرمة فى دينهم كما هى محرمة فى دين الإسلام .

وأما الأفعال التى يعتقدون حلها لهم كشرب الخمور وأكل لحوم الخنازير ، فيقرون عليها ولا عقوبة عليهم فى ذلك ، لاعتقادهم أن هذه الأفعال حلال لهم ، ولأننا نقرهم على كفرهم ، والكفر أعظم إثما من هذه الأمور .

غير أنه يجب على الحاكم الإسلامى أن يمنعهم من إظهار هذه الأمور بين المسلمين لأن المسلمين يتأذون بذلك ، وحتى لا يكون فى هذا إغراء لضعاف الإيمان فى أن يقلدوهم فى ارتكاب هذه المحرمات فى شريعة الإسلام (١) .

---

(١) انظر مثلا : نهاية المحتاج للرملى ج ٥ ص ٢٢٠ وما بعدها ، وانظر : المغنى لابن قدامة ج ٧ ص ٥٠٠ وما بعدها .

(٢) الشرح الكبير لعبد الرحمن بن محمد ابن أحمد بن قدامة ج ١٠ ص ٦١٧ .

(١) الشرح الكبير : المصدر السابق ج ١٠ ص ٦١١ ، ٦١٢ .

سابعاً : إحسان معاملتهم ، فالإحسان في المعاملة مأمور به المسلم في معاملة سائر أفراد الجنس الإنساني ، بل هو مأمور به حتى في معاملة غير الإنسان .

وهذا الإحسان في معاملة الذميين ، واجب على كل أفراد المسلمين ، ما داموا لم يتعرضوا للمسلمين بالأذى، ولهم في هذا الحق ما للمسلمين على بعضهم من حسن المعاملة

بل إذا فرض وكان للذى ابن قد أسلم دون أبيه فإن الواجب على الابن أن يبر والده وأن يطيعه إلا فيما يختص بالعقيدة لقول الله تبارك وتعالى : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون[1] » .

والآثار الدالة على حسن المعاملة مع الذميين كثيرة ، منها ما روى عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومنها ما روى عن أصحابه رضى الله عنهم .

من ذلك ما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : « من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه إلى يوم القيامة » .

ومن ذلك ما روى أن رجلا من المسلمين قتل رجلا من أهل الكتاب فرفع أمره إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام : « أنا أحق من وفى بذمته ، ثم أمر به فقتل .

من ذلك أيضا ما روى أن عمر بن الخطاب قال : أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيرا ، أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم[1] .

ثامناً : أنه لا يجوز للذميين إحداث بناء الكنائس والبيع وكل ما يبنى لتعبدهم فيه ، لا يجوز لهم إحداث ذلك في كل بلد أحدث المسلمون بناءه كالقاهرة والبصرة .

وبناء الكنائس والبيع وغيرها من دور عبادة الذميين أمر يحتاج إلى تفصيل البيان ، وذلك لأن هذه المسألة تخفى على

---

(١) سورة لقمان آية ١٤، ١٥

(١) الخراج ليحيى بن آدم القرشي ص ٧٠ وما بعدها .

كثير من المثقفين من أبناء هذه الأمة ، بل هي قد خفيت أخيرا على بعض حكام المسلمين ، مما يوجب على المتصلين بالدراسات الإسلامية أن يعنوا ببيان هذه المسألة وغيرها مما كان على هذه الصفة ، وواجب الحكام أن ينفذوا أحكام شريعة الله .

وإليك بيان المذاهب الفقهية الإسلامية

مذهب المالكية :

يذهب المالكية إلى وجوب منع الذميين من إحداث بناء كنيسة أو بيعة أو غير ذلك من دور العبادة الخاصة بهم فى البلاد التى اختطها المسلمون كالقاهرة والبصرة .

غير أن المالكية قد بينوا أنه لو ترتب على منعهم من إحداث البناء مفسدة أعظم من إحداث بنائهم هذه الدور فإنه يجوز لنا حينئذ أن لا نمنعهم من الإحداث ، وذلك للقاعدة المعروفة وهى أنه لو تعارض أمران كل منهما مشتمل على ضرر ، فإنه يرتكب الأمر الذى فيه الضرر الأقل إذا كان ذلك دافعا للأمر المشتمل على الضرر الأعظم . (١)

هذا ما يتصل بالبلاد التى اختطها المسلمون ، وأما البلاد التى لم يختطها المسلمون بل كان الذميون هم الذين اختطوها ، فإما أن تكون هذه البلاد قد خضعت لحكم للمسلمين عنوة ، وإما أن تكون قد خضعت لحكمهم عن طريق الصلح ، ولكل من هذين النوعين حكم خاص به .

فأما البلاد التى خضعت لحكم المسلمين عن طريق القوة والقهر فإنه لا يجوز لهم إحداث الكنائس وغيرها فيها .

ولكن الموجود منها حين فتح المسلمين لها يجوز إبقاؤه إلا أنهم يمنعون من رم ما تهدم من هذه الدور القديمة .

بيد أن المالكية يرون أن الذميين لو طلبوا منا حين تقدير الجزية الواجب عليهم دفعها إلى الخزانة العامة أن يسمح لهم بإحداث البناء ووافقناهم على هذا الذى طلبوه ؛ فإن لهم حينئذ أن يحدثوا بناء الكنائس وغيرها مادام هذا الشرط قد اتفق عليه بيننا وبينهم .

وهذا هو ما نقله العلامة أحمد الدردير أحد كبار علماء المالكية عن الإمام

(١) الشرح الصغير لأحمد الدردير جـ٢ ص١٨٦

مالك رضى الله عنه ، وقال عنه الدردير : إنه المعتمد . (١)

وأما البلاد التى خضعت لحكم المسلمين لا عن طريق القهر والغلبة بل عن طريق الصلح ، فإن لهم أن يحدثوا بناء الكنائس وغيرها فيها سواء أشرطوا هذا علينا أم لم يشرطوه ، ولهم كذلك من باب أولى أن يرموا ما تهدم منها (٢) .

مذهب الحنفية :

وإذا ما انتقلنا إلى فقه الحنفية فإننا نراهم يبينون أولا : أن جزيرة العرب لا يجوز إحداث كنيسة ولا بيعة ولا غيرها من دور عبادة غير المسلمين فيها ، ولا يجوز أن يبقى فيها إحدى هذه الدور بل يجب هدمها ، سواء فى كل ذلك أمصار جزيرة العرب وقراها .

ولا يجوز تمكين غير المسلمين من اتخاذ أرض العرب مسكنا ووطنا لهم ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب »(١) .

وأما غير جزيرة العرب فإن الحنفية يتفقون على القول بأنه لا يجوز إحداث كنيسة أو بيعة فى أمصار المسلمين ، وذلك لأن الأمصار هى التى تقام فيها شعائر الإسلام من صلاة الجمعة ، والعيدين ، وإقامة الحدود ، والواجب ألا تعارض هذه الشعائر بإظهار أمور تخالفها . (٢)

وقد استدل الحنفية على منع إحداث بناء الكنائس بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا خصاء فى الإسلام ولا كنيسة » والخصاء بكسر الخاء مصدر خصاه إذا نزع خصيتيه ، وهو فى الحديث يحتمل أن يفهم على حقيقته فيكون المعنى النهى أن يفعل الإنسان بنفسه أو بغيره هذا العمل ، ويحتمل كذلك أن يكون المراد النهى عن التبتل والامتناع عن إتيان النساء ، والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم : « ولا كنيسة » الإحداث ، فالنفى هنا بمعنى

(١) الشرح الصغير جـ ٢ صـ ١٨٥

(٢) المصدر السابق جـ ٢ صـ ١٨٥

(١) شرح العناية على الهداية لمحمد بن محمود البابرتى جـ ٤ صـ ٣٧٩ ، وبدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع للكاسانى جـ ٧ صـ ١١٤

(٢) بدائع الصنائع جـ ٧ صـ ١١٤

النهى ، أى لا تحدث كنيسة فى دار الإسلام [1] .

وهذا الحديث قد روى بروايات متعددة ، فقد رواه البيهقى عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا خصاء فى الإسلام ولا بنيان كنيسة » لكن البيهقى ضعف هذا الحديث .

ورواه أبو عبيد القاسم بن سلام بلفظ : « لا خصاء فى الإسلام ولا كنيسة » .

وروى ابن عدى بسنده إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تبنى كنيسة فى الإسلام ولا يبنى ما خرب منها » غير أن هذا الحديث معلول بسعيد بن سنان .

فالحديث إذن قد روى بروايات متعددة وإن كان بعضها قد أعل إلا أنه يعمل به عند العلماء ، لأنه كما يقول الكمال ابن الهمام : إذا تعددت طرق الضعيف يصير حسنا [2] .

وأما إحداث الكنائس وغيرها فى القرى لا فى الأمصار ، فقد اختلف الحنفية فى جوازه :

فالبعض منهم يرى جوازه لأن الأمصار هى التى تقام فيها الشعائر عند الحنفية ، فبناء الكنائس فى الأمصار يعارض الشعائر التى نقيمها فيها بإظهار شعائر تخالفها ، وأما القرى فلأن الشعائر لا تقام فيها فلا تتحقق فيها معارضة .

والبعض من الحنفية يرى أن القرى التى تقام فيها شعائر المسلمين لا يجوز إحداث بناء كنائس أو بيع فيها ، وعلى ذلك فقرى مصر الآن لا يجوز إحداث بناء كنيسة أو بيعة فيها ، لأن هذه القرى تقام فيها الآن شعائر المسلمين ، وكذلك كل قرية من قرى المسلمين تقام فيها هذه الشعائر .

وبعض الحنفية يرى أنهم يمنعون من إحداث الكنائس وغيرها فى كل قرية غالب أهلها مسلمون ، وأما إذا كانت القرية غالب أهلها ذميون فإنهم لا يمنعون من ذلك .

وقد بين بعض علماء الحنفية أن المختار هو عدم جواز إحداث كنيسة أو بيعة فى أى قرية سكنها المسلمون [1] .

وأما الأمصار التى مصرها المسلمون

---

(١) شرح العناية على الهداية جـ ٤ صـ ٢٧٧

(٢) فتح القدير للكمال بن الهمام جـ ٤ صـ ٣٧٩

(١) فتح القدير جـ ٤ صـ ٣٧٨ .

كالكوفة والبصرة اللتين مصرهما عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، فلو فرض أن باع أحد المسلمين داره لذمى وأرادوا أن يتخذوها كنيسة فإنهم يمنعون من ذلك[١] .

هذا من ناحية إحداث بناء الكنائس أو البيع أو غيرها من دور عبادتهم .

وأما حكم دور عبادتهم القديمة ، أى التى كانت موجودة فى بلادهم قبل خضوعهم لحكم المسلمين ، فيرى الحنفية التفرقة فى الحكم بين ما إذا كانت أمصارهم قد فتحها المسلمون عنوة وما إذا كانت قد فتحت صلحا .

فأما إذا كانت أمصارهم قد فتحها المسلمون عنوة ـ أى قوة وقهرا ـ فإن معابدهم تبقى ولا تهدم ، غير أنهم يمنعون من الاجتماع فيها للصلاة والعبادة ، فتبقى لهم يستغلونها مساكن فقط ، وذلك لأن هذه الأمصار حينما استولى المسلمون عليها بطريق القوة والقهر أصبحت مملوكة للمسلمين[٢] .

وقد استند الحنفية فى القول بإبقاء هذه الدور إلى أن الصحابة رضى الله عنهم قد فتحوا كثيرا من البلاد عنوة ، ومع ذلك فلم يهدموا كنيسة ولا ديرا ، ولم ينقل أحد عنهم ذلك قط ، ومن المتيقن أن الصحابة لو علموا أن الحكم الشرعى غير هذا لما تأخروا عن العمل بما علموه من الحكم الشرعى .

وأما إذا كانت بلادهم لم تفتح بالقوة والقهر ، بل فتحها المسلمون عن طريق الصلح ، وكانوا قد صولحوا على إقرارهم على أراضيهم ، فإن كنائسهم يجوز إبقاؤها أيضا ولا يمنعون من صلاتهم فيها ، لكن يمنعون من إظهار شىء من هذه العبادة خارج كنائسهم ، ولذلك نقل عن الكرخى أحد أئمة الحنفية أنه قال : إذا حضر لهم عيد يخرجون فيه صلبانهم وغير ذلك فليصنعوا فى كنائسهم القديمة من ذلك ما أحبوا ، فأما أن يخرجوا ذلك من الكنائس حتى يظهر فى المصر فليس لهم ذلك[١] .

هذا ، وقد بين علماء الحنفية أنه فى الحالات التى لا تمنعهم من إبقاء كنائسهم ودور عبادتهم ، لهم أن يعيدوا بناءها من

---

(١) البدائع جـ ٧ ص ١١٤ .
(٢) المصدر السابق جـ ٧ ص ١١٤ .

(١) فتح القدير جـ ٤ ص ٣٧٩ .

جديد إذا انهدمت إحدى هذه الدور ، وذلك لأن لهم أن يقروها فكذلك لهم أن يعيدوا بناءها ، ولكن ليس لهم أن ينقلوها من موضعها إلى موضع آخر ، لأن هذا يكون كإحداث بناء كنيسة أخرى وهم ممنوعون من ذلك(١) .

مذهب الشافعية :

يرى الشافعية أنه لا يجوز للذميين إحداث بناء الكنائس والبيع وكل ما بنى لتعبدهم فيه ، حتى ولو كان يستعمل لغرض آخر مع التعبد ، ككونه مكانا لنزول المارة فيه ، لا يجوز لهم إحداث شيء من ذلك في كل بلد أحدثه المسلمون كالقاهرة والبصرة .

ويرى الشافعية أنه يجب أن يهدم ما أحدثوه مما ذكر ، ولو لم يكن قد شرط هدمه في عقد بيننا وبينهم .

ولو فرض أنه قد شرط في عقد الصلح بيننا وبينهم أن يمكنوا من إحداث شيء من ذلك فهذا شرط باطل لا يجوز للمسلمين أن يلتزموا به .

وأما أماكن عبادتهم التي لا نعلم هل أحدثوا بناءها بعد إحداث المسلمين البلد الموجودة به ، أو بعد فتح المسلمين لها فإن الحكم حينئذ أن تبقى هذه الأماكن لأنه يحتمل أن تكون قد بنيت ببرية أو قرية ثم اتصل بها العمران .

وكذا الأماكن التي يبنونها لاستراحة المسافرين لا للعبادة يجوز إبقاؤها سواء أكانوا يبنونها لكي ينزل بها المسافرون من الذميين أم من المسلمين .

ما سبق كان فيما يختص بالبلاد التي أحدثها المسلمون ، وأما البلاد التي لم يحدث بناءها المسلمون ففيها التفصيل الآتي :

أما أن يكون المسلمون قد فتحوها عنوة كمصر وبلاد المغرب ، أو يكونوا قد فتحوها صلحا .

فأما الحالة الأولى : وهي ما إذا كان المسلمون قد فتحوا هذه البلاد عن طريق القهر والغلبة فإنه لا يجوز لهم إحداث شيء من دور العبادة فيها ، ويجب أن يهدم ما يحدثونه في هذه البلاد بعد دخول المسلمين فيها ، وذلك لأن هذه البلاد ، أصبحت مملوكة باستيلائهم عليها .

هذا هو الحكم بالنسبة إلى إحداثهم البناء بعد دخول المسلمين بلادهم عنوة ، وأما حكم الكنائس وغيرها من دور

(١) البدائع جـ ٧ صـ ١١٤ .

العبادة التى أيقنا أنها كانت موجودة فى هذه البلاد حال فتح المسلمين لها ؛ فإن الشافعية يختلفون فيه .

فبعضهم يرى أنه لا يجوز للمسلمين أن يقروهم عليها ، وعللوا رأيهم هـذا بنفس تعليل منعهم من إحداث البناء بعد دخول المسلمين بلادهم عنوة ، وهو أن هذه البلاد أصبحت مملوكة للمسلمين باستيلائهم عليها .

والبعض الآخر من الشافعية يرى أنهم يقرون عليها .

والرأى الأول هو الأصح فى فقه الشافعية .

وأما الحالة الثانية : وهى ما إذا كان المسلمون قد فتحوا هذه البلاد عن طريق الصلح ولم يفتحوها عنوة ، فإن الحكم هنا يختلف بحسب ما اتفق عليه بيننا وبينهم من كون الأرض تصير مملوكة لنا أو تبقى مملوكة لهم .

فإذا ما كان الصلح بيننا وبينهم على أن تنتقل ملكية أرضهم إلينا وأن يسكنوها نظير خراج يؤدونه للمسلمين ، فإنه يجوز أن يشترطوا علينا أن تبقى كنائسهم ودور العبادة الخاصة بهم ، وذلك لأنه يجوز الصلح معهم على أن تكون جميع البلد لهم ، وإذا ما جاز الصلح مع اشتراط كون جميع البلد لهم فإنه يجوز باشتراط كون بعض البلد لهم من باب أولى .

وأما إحداث بناء دور العبادة فلا يجوز لهم ذلك ، لكن يسمح لهم بإعادة بناء ما تهدم منها ، وترميمها .

وإذا شرط لهم حق إحداث بناء دور جديدة فلا يصح هذا الشرط إذا لم تدع ضرورة إليه ، وأما إذا كانت هناك ضرورة ملجئة إلى قبول هذا الشرط فإنه يجوز حينئذ للمسلمين قبوله .

وإذا كان عقد الصلح بيننا وبينهم قد أطلق فيه شرط الأرض للمسلمين ولم يبين وضع دور عبادتهم فلم يتعرض له الاتفاق ببيان ، فإن للشافعية حينئذ رأيين أصحهما أنه لا يجوز إحداث شىء من دور عبادتهم ، ولا يجوز الإبقاء كذلك على شىء منها ، فتهدم كلها .

وقد علل أصحاب هذا الرأى ما يرونه بأن إطلاق شرط كون الأرض لنا يستلزم أن تصير جميع الأرض للمسلمين ، ولا يلزم من بقائهم فى الأرض أن تبقى دور عبادتهم لأنهم قد يسلمون ، أو قد يخفون عبادتهم

فلا يجهروا بها فى أماكن ظاهرة للعبادة .

وأما الرأى الثانى المرجوح فى فقه الشافعية فيرى أنهم لا يمنعون من ذلك لأن العقد الذى بيننا وبينهم وإن كان لم يبين فيه وضع دور عبادتهم إلا أن هذه الدور مستثناة بقرينة الحال ، لأنهم محتاجون إليها فى عبادتهم .

هذا كله إذا كنا قد اتفقنا معهم على أن تكون الأرض مملوكة لنا .

وأما إذا كان الصلح بيننا وبينهم قد تم على أن لا تنتقل ملكية أرضهم إلينا ، بل تظل الأرض مملوكة لهم ويؤدوا الخراج عنها فإن الشافعية يرون أننا نقرهم على الكنائس وغيرها من دور العبادة الموجودة حينئذ .

وأما الكنائس التى يريدون إحداث بنائها فإن للشافعية رأيين فى ذلك أصحهما أن ذلك من حقهم ، لأن الأرض لهم .

والرأى الثانى المرجوح فى فقه الشافعية أنهم يمنعون من إحداث البناء ، لأن البلد أصبحت تحت حكم المسلمين[1] .

د . محمد رأفت عثمان

(١) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لشمس الدين الرملى ج ٨ ص ٩٣ وما بعدها .

( بقية المنشور على ص ٣٥٧ )

ما أخذه الأخوان جريم الألمانيان من تلك القصص أيضا مثل حكايات الأطفال والبيت ، إذا ذكرنا ذلك وغيره كثير سبقت الإشارة إليه ، عرفنا أن المسرح الأوربى الحديث والمعاصر لم ينشأ وحده بل اعتمد على ما أخذه من الحضارة العربية ، واستغل ما فيها من قصص وحكايات وقدمها بصورة أوربية مبتكرة ولم يستطع إنكار أصلها أو ادعائها لنفسه ولا ينقصنا فى ذلك إلا نظرة متأنية إلى الوراء ، إلى تاريخنا القديم ، إلى تراثنا على ما فيه من نقص وتشويه ، إلى ما بقى لنا من تراث حفظته الأيام ، وتراث مازال طى المجهول ، وسوف نجد فيه بغيتنا ، وما ينكره البعض علينا اليوم . لقد عرف العـــرب المسرح بلغتهم ووفق تفكيرهم وبيئتهم ، حقيقة سنظل نحرص عليها ، ونكشف عنها اليوم وغدا . . فإلى لقاء ؟

محمد كمال الدين

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

---

● الإسلام والنصر

للواء الركن محمود شيت خطاب .

هذا كتاب جديد يقع فى أكثر من مائتين وخمسين صفحة ، نشرته دار الفكر فى بيروت ، للمجاهد المسلم اللواء الركن محمود شيت خطاب ، الذى عرفناه من قبل فى عشرات الكتب التى تناولت الشئون العسكرية الإسلامية ، وقادة الفتوحات الإسلامية ، والقضايا الإسلامية السياسية . .

وهذا الكتاب الجديد دراسة عن « الإعداد المعنوى للجهاد ، نحن فى أمس الحاجة اليوم إليها ، والأمة الإسلامية العربية تمر بأخطر مرحلة من حياتها ، مرحلة التحديات التى تواجهها من كل صوب وحدب ، وقد تناول المؤلف فى هذه الدراسة ، أثر الإسلام فى إحراز النصر ، والإسلام والحرب النفسية ، والتربية الإسلامية المثالية ، والأخلاق المحاربة ، والتدين وعلاقته بالقيادة ، والوحدة العسكرية فى التاريخ العربى الإسلامى ، ثم التطبيق العملى للجهاد . .

إن الإعداد المعنوى للجهاد من أبرز الأسس التى تكفل النصر فى المعارك ، فالجيش - كما يقول المؤلف - ليس بعدده وعدده بقدر ما هو بمعنوياته ، والجيش الذى لا يتحلى بالمعنويات العالية لا قيمة له فى الحرب ، والفئة القليلة ذات المعنويات الرصينة ، تغلب الفئة الكبيرة ذات المعنويات المنهارة . .

كان تعريف المعنويات قبل الحرب العالمية الثانية : بأنها الصفات التى تتجلى فيها الطاعة القائمـــة على الحب وتنمى الشجاعة ، لكن هذا التعريف يشمل الجيش وحده ؛ لأن الحروب كانت حروب جيوش لا حروب أمم ، كما أصبحت فى العصر الحديث ، الذى يرى أن المعنويات هى القوى الكامنة فى صلب الإنسان التى تكسبه القابلية على الاستمرار فى العمل مهما اختلفت الظروف المحيطة

به ، وهذا التعريف يشمل الشعب كله لا الجيش وحده . .

أما عوامل رفع المعنويات ، فأبرزها الدين وبخاصة بالنسبة للعرب كما يرى ابن خلدون الذى يقول : « إن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم » والقيادة عامل مهم فى رفع المعنويات ، ولا تقتصر على الناحية العسكرية ، بل تشمل النواحى السياسية والصناعية والفكرية والعائلية . . ثم النصر كذلك عامل مهم فى رفع المعنويات ، النصر فى شتى الميادين : الحرب والعلم والعمل . .

كنت أتمنى أن يضيف المؤلف العالم إلى هذه العوامل الثلاثة عاملا رابعا له أهميته ، هو عامل « الهدف » فإذا لم يكن الهدف مثاليا مقنعاً أثر ذلك فى معنويات القوى العسكرية والمدنية على السواء ، والهدف يحدده الإسلام بأنه : « إعلاء كلمة الله » وهو هدف مرتبط ارتباطا وثيقا بالعقيدة ، والعقيدة هى الطاقة الكبرى التى تمد الشعوب بالقوة التى ترفع من معنوياته . .

ويختم المؤلف هذه الدراسة القيمة بفصل موجز عن « الكاتبون فى الدين » لكنه فصل ممتع للغاية ، فأشار إلى أن الشباب الذى يعانى اليوم صراعا فكريا لا هوادة فيه ، محتاج إلى دراسات عن الفكر الإسلامى الأصيل ، وكيف يعالج هذا الفكر القضايا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية والعسكرية المعاصرة ، ولكن مما يدعو للأسف ، أن كثيرا من الكتابات المنسوبة إلى الإسلام تدعو إلى تساؤل : أيعيش كاتبوها فى الدنيا أم هم يعيشون فى الآخرة ؟ إذ لا علاقة بين ما يكتبون وبين ظروف الأمة والبلاد . .

ونحن مع المؤلف ، فى ضرورة أن يقدم الكاتبون فى الدين فكرا إسلاميا واضح المعالم يمكن أن يسد الفراغ الذى تعانيه رؤوس شباب العرب والمسلمين ويمكن أن يقاوم الغزو الفكرى الأجنبى وإلا فالأمر جد خطير . . !

° ° °

● الحسنة والسيئة لابن تيمية :

تحقيق : الأستاذ جميل غازى

هذا الكتاب الذى نشرته مطابع المدنى بالقاهرة ، يقع فى أكثر من مائة وخمسين صفحة من القطع الكبير ، وقد

قام بتحقيقه والتقديم له الأستاذ محمد جميل أحمد غازى من العلماء الشباب المثابرين، وبالرغم من أن مقدمته موجزة فى بضع صفحات إلا أنها جاءت جديرة بالتقدير فقد قدم لنا شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية من خلال انطباعاته الذاتية التى تنم عن تقديره له ، مع استيعابه لمنهجه فى التجديد وخطته فى الإحياء ، وطريقته فى الفهم . .

يقول المحقق موجها عباراته إلى حماة المنهج العلمى ودعاته :

إن « ابن تيمية ، قد سبقهم إلى تقرير قواعد المنهج العلمى فى جميع ما كتب ، ودرس ، وبحث ، وحقق .. بل إنه أول « من ناقش منطق أرسطو » ، ورد أشكاله وحدوده ووضع أسس المنهج الاستقرائى أو منطق العلوم ، لكنه لم يجد من قومه من يهتم به كما وجد « بيكون » من قومه حتى نسب المنطق الاستقرائى إلى بيكون وكان حقه أن ينسب إلى « ابن تيمية » وضعا للأمور فى نصابها » .

يشير المحقق فى هذا إلى كتابى ابن تيمية « نقض المنطق - الرد على المنطقيين » ثم يذكر أن ابن تيمية لم يكن عالما يكتفى بحفظ الدين وروايته ، فهذا دور يتحول به العالم إلى كتاب « يوضع على رف فى صوان ولكنه كان يناقش ما يقرأ ، وما يسمع بوعى وفهم ورغبة أكيدة فى الوصول إلى الحق ، وقد وصل . كذلك يشير إلى جهاد ابن تيمية فى مواجهة الباطل والمحن التى تعرض لها فى حياته ، شأنه شأن كثير من العلماء الرجال .

شىء واحد كانت تنقصه المقدمة الواعية هو التعريف بالكتاب الذى قدم له ، ومنهج المؤلف فيه ، لكن يبدو أن إعجاب المحقق بابن تيمية العالم الرجل ، والفقيه المثقف الذى لا ينضب معينه ، قد شغله عن الكتاب الذى هو جزء من كيان المؤلف ، وأثر من آثاره الفكرية .

فابن تيمية يتخذ من قوله تعالى :

« ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » .

مدخلا للموضوع ، فتحدث عن سياق الآية ، وعن معنى الحسنات والسيئات ، ومعنى التعبير « بما أصابك » ثم عرض لآراء المفسرين ورأيه هو نفسه ، ثم انفتح بعد ذلك على كثير من المسائل وكثير من القضايا التى كثر حولها الجدل ورد على القدرية ، والجهمية والجبرية ،

والمعتزلة ، وناقش محنة الإمام أحمد ابن حنبل ، ومذهب الصوفية فى الفناء ووحدة الوجود ، والكرامات، والمحكم والمتشابه فى القرآن ، وهكذا أصبح الموضوع الذى يبدو لأول وهلة هينا سهلا، أصبح موسوعة للمعرفة الإسلامية فى شتى المسائل والقضايا الفكرية .

وبعد - فإن الأستاذ جميل غازى ليشكر على تقديمه إلى القراء إحدى رسائل ابن تيمية الجيدة ، والتى لم تلق من قبل العناية اللائقة بها ، إلا أننا كنا نود أن يضيف فضيلته إلى جهده فى الضبط والإشارة إلى أرقام الآيات ، جهدا آخر فى تيسير بعض العبارات التى كانت فى حاجة إلى التيسير ، وإلى التعريف الموجز ببعض القضايا التى أثارها المؤلف ، وببعض الأعلام التى أوردها فى رسالته ، وبذلك يقدم عملا متكاملا هو جدير به .

• • •

● حول « إعادة كتابة التاريخ » :

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ أحمد عباس صالح فى العدد الأسبوعى من جريدة الجمهورية مقالا جيدا جديرا بالقراءة والاستيعاب ، أشار إلى القرار الذى أصدرته الجامعة العربية بتشكيل لجنة من أساتذة التاريخ فى الجامعات العربية للنظر فى إعادة كتب التاريخ على أسس صحيحة ، ويرى الكاتب أن هذا القرار على جانب من الأهمية ، فهناك كثير من الاختلافات فى الآراء وفى التفسيرات ، بل وفى ذكر الوقائع التاريخية أو تجاهلها فى المصادر العربية القديمة ، وهو أمر طبيعى ، فكل مؤرخ كان يضع بصورة أو بأخرى ميله الحزبى أو عواطفه الشخصية .. كما يرى الكاتب أنه لا بد من محاولة أكثر جدية لدراسة التاريخ العربى والإسلامى دراسة شاملة أكثر عمقا من بعض الكتب التى صدرت فى العالم الغربى ، فالمواطن العربى والجندى العربى فى حاجة إلى مثل هذه الدراسة ، وربما كشف التاريخ الشامل عن طبيعة الصراع الأوربى العربى الذى بدأ من أوائل الفتوح الإسلامية حتى انتهى بسقوط الدولة العثمانية ، وهو صراع ما زال قائما ويلعب دورا هاما فى إقامة إسرائيل ومساندتها من ناحية ، وفى النظريات العربية الكثيرة المطروحة من ناحية أخرى ، والتى نعتقد أن التجربة

تطور طبيعى لحركة القوميات العالمية التى بدأت فى أوربا أوائل القرن التاسع عشر ، وباعتبار أن ظاهرة القومية ظاهرة عالمية فى هذا التاريخ .

ويشير الكاتب إلى نقطة ذات أهمية فيقول : وعلى سبيل المثال ، فقد أصبح من المسلمات فى كتب التاريخ المدرسية فى العالم العربى شرعية الصراع الذى نشأ بين الدول أو الولايات العربية والدولة العثمانية ، وصورت هذه الدولة بشكل راسخ على أنها استعمار دولة أجنبية للدول العربية لا يختلف عن الاستعمار البريطانى أو الفرنسى لها ، ومن المضحك أن السياسة البريطانية هى التى أذكت هذا الشعور وحرضت عليه بعض القادة العرب على القيام بثورة « عربية » ضد الأتراك فى الحرب العالمية الأولى ، وانتهت هذه الحرب على كل حال بتوزيع الدول العربية بين انجلترا وفرنسا .

وأشار الكاتب أيضا إلى أن الدراسة الجامعة الشاملة ، لإعادة كتابة التاريخ ستثير كثيرا من الجدل ، مثلا : هل الحاجة التى تدفع إليها نابعة من مفهوم دينى أم مفهوم علمانى ؟ وهل نحن حقيقة نخلع الدولة العثمانية ونعود القهقرى إلى عصر الدولة الدينية ؟ وهل الخروج من الدولة الدينية يعنى انسلاخا من الروابط الإسلامية أم هو إنشاء علاقات جديدة بين العالم الإسلامى وعلى أسس عصرية ، وهل هناك معنى للوحدة العربية تختلف عن الجامعة الإسلامية ؟ وهل تماسك العرب على أسس قومية يعنى عودة النواة الصلبة التى قامت عليها حركة التاريخ العربى والإسلامى إلى التماسك من جديد ، باعتبار أن هذه النواة هى نقطة الانطلاق

تساؤلات أخرى غير هذه أثارها الكاتب ، ولا يتسع المقام هنا لمناقشة كل ما يمس مفاهيم الإسلام ، وحسبنا أن نشير إلى نقطتين : الأولى ، أن الإسلام لا يعرف « الدولة الدينية » بمفهومها الكهنوتى ، بل إن الفكر الإسلامى يستوعب مقومات الدولة الحديثة ، والمحاولات التى تسعى لإيجاد تناقض بشع بين الإسلام بمفاهيمه الصحيحة والدولة الحديثة ، إنما هى محاولات قائمة على الهوى وإن أعان على خلقها الأحقاد من جانب ، والعقليات المتزمتة المنسوبة إلى الإسلام من جانب آخر . أما النقطة

الأخرى ، فإن التناقض بين الإسلام والعلم لا أساس له ، فهو تناقض يتشبث بخيوط أوهى من خيوط العنكبوت ، ولا جدال فى أن الإسلام يرفض الدولة العلمانية التى لا تعترف بالدين بل وتحاربه ، وإنما يقبل الدولة التى يتسع صدرها للدين والعلم معا ، حيث لا تناقض بين الدين والعلم ، فلا الدين عقبة فى طريق العلم ، ولا العلم معوقا للمفاهيم الدينية السليمة .

ونحن مع الكاتب ، فى أن أية دراسة التاريخ تقوم بها أية لجنة لن تكون كتابا مقدسا ، بل ستكون فتحا لطريق البحث الحر ، فكم حملنا التاريخ الإسلامى من أوزار هو برىء منها ، لأن الأقلام التى تطاولت عليه وجدت كل إمكانيات التطاول ميسرة لها ، ولم تجد الأقلام الإسلامية شيئا من إمكانيات الدفاع .

• • •

● قراءات :

« لم يكن هؤلاء الغزاة الفاتحون تحت الراية الخضراء ذات الهلال هدامين مدمرين بأى حال من الأحوال فلقد جلبوا معهم فى نهضتهم هذه ثقافة عظيمة . . ونحن مدينون للعرب بإثارة حوافزنا إلى الاستكشاف ، وبإحياء العلوم اليونانية القديمة ، وبالكثير من المعلومات البكر فى ميادين البصريات وفلاحة البساتين والطب .

من كتاب « داخل أفريقيا » لجون جنثر .

محمد عبد الله السمان

---

نلفت نظر السيد القارىء الكريم إلى أن المجلة سوف تحتجب شهرى جمادى الأولى والآخرة ـ جرياً على عادتها السنوية ـ وسيوالى إصدارها ابتداء من غرة رجب إن شاء الله ؟

أسرة المجلة

# باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

السؤال من السيد / الدكتور أحمد مختار الشربينى :

أتقدم إلى لجنـــة الفتوى بالأزهر باللائحة الخاصة بإقراض المدخرين لأداء فريضة الحج - وهى مرافقة للاستفتاء - برجاء الاطلاع عليها وإبداء الرأى فى هذا المشروع الذى سيتولاه بنك ناصر مع التفضل بإبداء الرأى فى الاعتراض الوارد فى الحديث الشريف الذى رواه ابن أبى أوفى قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل لم يحج أيستقرض للحج ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لا » .

فهل فى هذه اللائحة ما يخالف الشريعة الإسلامية وقد ورد الاعتراض السابق ذكره وما قيمة هذا الاعتراض ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد : فنفيد بأنه بعد الاطلاع على اللائحة الصادرة من بنك ناصر الاجتماعى الخاصة بإقراض للمدخرين للحج نفيد بأنا لم نجد فى اللائحة ما يتنافى مع قواعد الشرع فى الإقراض وأن هذا من باب التعاون على البر وليس فيه ما يؤثم أو يعود باللائمة على المقرض أو المقترض ، وما قيل من أن هذا النظام فيه ما يخالف الشريعة والاستدلال على ذلك بما روى من حديث ابن أبى أوفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « عن الرجل لم يحج أيستقرض للحج » فقال : « لا » فإن هذا الحديث على فرض وروده لا يفيد منع الاستقراض للحج إذ المراد به نفى الوجوب وهو لا يستلزم المنع كما أنه لا يفيد عدم صحة الحج إذا صرف المال المقترض فى طريقه .

هذا وقد تأشر بالنظر على اللائحة المقدمة إلى اللجنة والله تعالى أعلم ؟

السؤال من السيد عبد الحميد خورشيد

ما حكم شراب البيرة ؟ هل هو حلال أم حرام ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . . أما بعد :

فنفيد بأنه ثبت فى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله أفتنا فى شرابين كنا نصنعهما باليمن : البتع وهو من العسل ينبذ حتى يشتد والمزر وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد . قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطى جوامع الكلم فقال : « كل مسكر حرام » .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من الحنطة خمرا ومن الزبيب خمرا ومن التمر خمرا ومن العسل خمرا وأن أنهى عن كل مسكر ، رواه أبو داود وغيره .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ) وفى رواية ( كل مسكر خمر وكل خمر حرام ) . رواهما مسلم .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(كل مسكر حرام وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام ) قال الترمذى حديث حسن والفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا والمعنى ما أسكر كثيره فقليله حرام .

وروى أهل السنن عن النبى صلى الله عليه وسلم من وجوه أنه قال : ما أسكر كثيره فقليله حرام وصححه الحفاظ .

وعن جابر رضى الله عنه أن رجلا من اليمن سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له ( المزر ) قال: أمسكر هو؟ قال : نعم ، فقال : ( كل مسكر حرام إن على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال ) قالوا : يا رسول الله ما طينة الخبال ؟ قال : ( عرق أهل النار أو عصارة أهل النار) رواه مسلم .

والخمر هو ما يغطى العقل .. والأحاديث فى هذا الباب كثيرة مستفيضة وشراب البيرة الكثير منه مسكر وما أسكر كثيره فالقليل والكثير منه حرام وعلى ذلك فشرب البيرة حرام وبيعها حرام .

• • •

السؤال من إدارة الشئون العامة للأزهر

نأمل التفضل بإبداء الرأى فى لظرة

الشريعة الإسلامية إلى كلمات الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد سكتة قصيرة بعد كلمات الأذان بنحو ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم بصوت منخفض مغاير لأداء الأذان وبصوت المؤذن نفسه وذلك بالنسبة للمذاهب كلها وتاريخ هذه الزيادة التي زيدت .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين: أما بعد : فنفيد بأنه يسن لكل من مؤذن ومقيم وسامع ومستمع أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الأذان لخبر مسلم : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على ، فإنه من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا » .

وتحصل السنة بأى لفظ يأتى بعد عما يفيد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ما يقع للمؤذنين من قولهم بعد الأذان : الصلاة والسلام عليك يارسول الله ، أما رفع الصوت بالأذان فقد ورد فيه حديث البخارى عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة أن أبا سعيد الخدرى قال له : إنى أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت فى غنمك أو باديتك فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما رفعه بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم بعده فقد ورد فى شرح العباب (فقه الشافعى) : أفتى شيخنا زكريا وغيره بأن ما يفعله المؤذنون الآن من الإعلان بالصلاة والسلام مرارا حسن لأن ذلك مشروع عقب الأذان فى الجملة فالأصل سنة والكيفية حادثة ، وأول ما زيدت الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم بعد كل أذان على المنارة فى زمن السلطان المنصور بن الأشرف فى شعبان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة من شرح الأذكار النووى لابن علان الجزء الثانى عند الكلام على الأذان .

واللجنة لا ترى فى التشدد لمنع هذا وجها ؛ إذ الأمر لا يخرج عن كونه صلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة فى التنبيه عليها . والله تعالى أعلم ؟

محمد أبو شادى

# أنباء وآراء

● الإسلام مصدر التشريع في باكستان

أصدرت حكومة باكستان قرارا باعتبار الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع في جمهورية باكستان .

كذلك ينص الدستور على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام .

ويعتبر نص الدستور على هذين المبدأين أحسم رد على أعداء باكستان الذين أشاعوا دعاية مضادة تصور باكستان على اتجاه غير إسلامي .

● الإسلام في تركيا

وزعت رئاسة الشئون الدينية في تركيا على جميع أئمة المساجد والوعاظ تعليمات تقضي بضرورة تنظيم حملة واسعة النطاق للتوعية الإسلامية .

جاء في هذه التعليمات :

إن الغرض من هذه الحملة هو إرشاد الناشئة في تركيا من الطلبة والطالبات إلى الطريق السوي بعدا بهم عن مزالق الإلحاد والضلال .

فقد كان من نتيجة البعد عن تعاليم الإسلام ازدياد النشاط الشيوعي الهدام في تركيا.

● المسلمون . . . والفلبين

« يبذل « فرناند ماركوس » رئيس الفلبين محاولات يائسة لتغطية موقف حكومته من أعمالها المتواصلة في إبادة المسلمين ، وقد أعلن - أخيرا - أن لجنة مشكلة من عدة دول عربية ستزور مانيلا لدراسة أوضاع المسلمين في الفلبين » .

أوضاع المسلمين في الفلبين ليست بحاجة إلى دراسة فهم مواطنون فلبيبون يجب أن يتمتعوا بكل ما للمواطن الفلبيني الآخر من حقوق ، أهمها حقان :

الأول : حرية ممارسة شعائره الدينية

الثاني : تأمينه على أرضه وعرضه وماله

والمسلم الفلبيني محروم من كل منهما ولم يعد خافيا على أحد ما تتذرع به حكومة الفلبين بادعائها أن المسلمين يتلقون أسلحة من الخارج مع أن ماركوس نفسه أذاع أن القوات الحكومية ألحقت خسائر فادحة بالمسلمين في اشتباكين متواليين وقعا في إقليمي : كوتاباتو وصولو .

● دروس دينية للصحفيين فى أندونيسيا:

نظمت وزارة الشئون الدينية بأندونيسيا برنامجا دراسيا للمعلقين الدينيين فى الصحف الأندونيسية لرفع المستوى العلمى بالدين بينهم ، وأعدت - خصيصا لذلك - مقرا بالمكان الرئيسى للوزارة بجاكارتا .

وانتظمت الدراسة عددا كبيرا من المعلقين والكتاب والمخبرين الإسلاميين فى كل الصحف الأندونيسية .

● هل امتدت أصابع إسرائيل إلى لجنة الدفاع بمنظمة الوحدة الأفريقية :

أعلن راديو أوغندا أن الرئيس «عيدى أمين» سيثير أمام منظمة الوحدة الأفريقية: أن عددا من المسئولين فى لجنة الدفاع التابعة للمنظمة هم خبراء من اليهود وقال الرئيس أمين :

إنه سيقترح على نزو ايكنجكى الأمين العام للمنظمة البحث فى هذا الموضوع .

● جريمة أخرى فى المسجد الأقصى :

فى الخامس من ربيع الآخر ١٣٩٣ - ٨/٥/١٩٧٣ - وكانت إسرائيل تحتفل بالذكرى الخامسة والعشرين لقيامها - اقتحم أربعة شبان إسرائيليين ينتمون إلى جماعة (بيتار) المسجد الأقصى وأحدثوا به جلبة وضوضاء ورددوا فيه عبارات استفزاز ثم رفعوا فوقه العلم الإسرائيلى .

صرح الشيخ صدر الدين عليم مفتى وقاضى القدس بأنه يعتزم عقد المجلس الأعلى الإسلامى لبحث العمل الأحمق الذى أقدم عليه الشبان الأربعة .

لم تذكر الأنباء أن الشبان الأربعة أصيبوا بأى أذى .

● مصحف محرف :

صدر فى «بانكوك» عاصمة تايلاند طبعة محرفة للقرآن الكريم أصدرتها طائفة قاديانية وفيه تحريف تام للتعاليم الإسلامية.

هذا التحريف يخدم الفكر الوثنى والصليبى الذى يسعى فى تايلاند للقضاء على المسلمين فيها .

● موقف الكويت من الوثنية والبهائية:

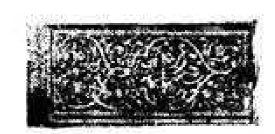
أغلقت حكومة الكويت معبداً وثنيا فى محلة النقرة كان قد أسسه الهنود البوذيون إلى جانب مسجد وباشروا فيه طقوسا وثنية .

كذلك أغلقت المعبد البهائى ، وكانت الجمعيات الإسلامية قد طالبت بإغلاق المعبدين لأنهما يمثلان تحديا وقحا لمشاعر المسلمين ؟

على الخطيب

been very important. A remarkable characteristic of Muslim science is the rapidity of its development. The Quran was the first book ever written in the Arabic language. Scarcely two hundred years later, this language of the illiterate Bedouins developed into one of the richest in the world, later to become not only the richest of all language of the time, but also an international language for all sorts of sciences. Without stopping to discover the cause of this phenomenon, let us recall another fact. The first Muslims were almost all Arabs, yet with the exception of their language, which was the repository of the Word of God and of His Prophet, they effaced their own personality, under the influence of Islam, in order to receive in Islam all races on the basis of absolute equality. Therefore is it that all races have participated in the progress of the "Isamic" sciences: Arabs, Iranians, Greeks, Turks, Abyssinians, Berbers, Indians, and others, who had embraced Islam. Their religious tolerance was so great, and the patronage of learning so perfect, that Christians, Jews, Magians, Buddhists and others collaborated with a view to enrich the Muslim sciences not only in the domain of their respective religious literatures, but also in the other branches of learning. Arabic had spread more widely than any other language of the world, since it was the official language of the Muslim State whose territory extended from China to Spain.

*(to be continued)*



for purposes of the understanding of the contents by those who did not know Arabic, yet never for liturgy; for in the service of worship, one uses only the Arabic text. And the method adopted by order of the Prophet for the preservation of the integrity of the sacred text was perpetuated, namely recording in writing and learning by heart, both done simultaneously. Each process was to help the other in guarding against forgetfulness or the commission of errors. The institution of a judicial method of verification further perfected the system. Thus, one was required not only to procure a copy of the Quran, but also to read it from the beginning to the end before a recognized master, in order to obtain a certificate of authenticity. This practice contiues to this day.

As in the case of the Quran, the Muslims were attached also to the sayings of their Prophet. The reports of his sayings and doings, both public and private, were preserved. The preparation of such memoirs began even in the life-time of the Prophet, on the private initiative of certain of his companions, and was continued after his death, by a process of collection of first hand knowledge. As in the case of the Quran, authentication was insisted on in all transmissions. One could relate all that is know of the lives of Noah, Moses, Jesus, Buddha and other great men of antiquity, in a few pages only, but the known details of the biography of the Prophet Muhammad fill hundreds of pages, so great was the care that was taken to preserve for posterity documented and precise data.

The speculative aspect of the Faith, particularly in the matter of beliefs and dogmas, shows that the discussions which began in the life-time of the Prdphet, became later the root causes of different sciences, such as Kalam (dogmatico — scholastic), and tasauwuf (mystico — spiritualistic). The religious polemics with non-Muslims, and even among Muslims themselves, introduced foreign elements from Greek and Indian philosophy, etc. Later on, Muslims did not lack their own great philosophers endowed with orginality and erudition, like al-Kindi, al-Farabi, Ibn - Sina (Avicenna), Ibn-Rushd (Averroes) and others. The Arabicization of foreign books resulted in the fortunate feature that hundreds of Greek Sanskrit works, whose originals have now been lost, became preserved for posterity in their Arabic translations.

## NEW SCIENCES

The part played by the Muslims in developing the social sciences has

deceased. Similarly there is the fundamental need of the understanding of the Quran in the light of historical facts and allusions and references to the sciences contained therein. In fact the study of the Quran requires first of all a knowledge of the language in which it is compiled (linguistic sciences ; its references to peoples demand a knowledge of history and goegraphy, and so on and so forth.

Let us recall by the way that when the Prophet began an independent life, settling down in Medinah, his first act was the construction of a mosque with a portion reserved for the purpose of a school – the celebrated Suffah – which served during the day as a lecture hall, and during the night as a dormitory for students.

God helps those who help the cause of God, is reiterated often in the Quran (47/7, 22/40). It is not surprising if Muslims had the good luck of possessing abundant and cheap paper for spreading knowledge among the masses. Since the second century of the Hijrah, there began to be established factories for the manufature of paper all over the vast Muslim empire.

For, purposes of this short sketch, we shall refer only to a few sciences in which the contribution of the Muslims has been particularly important for mankind.

RELIGIOUS & PHILOSOPHICAL SCIENCES.

The religious sciences began, naturally enough, with the Quran which the Muslims received as the Word of God, the Divine Message addressed to man. Its persual and understanding necessitated the study of the linguistic, grammatical historical, and even the speculative sciences, among many others,-which gradually developed into independent sciences of general utility — the recitation of the sacred text brought into being and developed the religious "music" of Islam (to which we shall revert later). The preservation of the Quran led to improvements in the Arabic script, not only from the point of view of precision, but also of beauty. With its punctuation and vocalization, the Arabic script is incontestably the most precise for the needs of any language in the world. The universal character of Islam necessitated the understanding of the Quran by non - Arabs ; and we see a series of translations, from the very time of the Prophet-Salman al-Farsi had translated parts of into Persian-continuing to our own days, and there is no end to it in sight. It is necessary to point out that these translations were made solely

reminds men of the duty of worshipping the One (Who hath fed them against hunger, and hath made them safe from fear) (106/4 - 5); and on the other, it tells them of the need for the effort in this world of cause and effect: (And man hath only that for which he maketh effort) (53/39). The Quran (30/42) urges men not only to go on exploration: (Say: travel in the land and see the nature of the end of those who were before you,) but also for new discoveries: (. . . who meditate over the creation of the heavens and the earth, (and say): Our Lord! Thou created not this in vain) (3/191).

As to the method of increasing knowledge, it is inspiring to note that the very first revelation that came to the Prophet, who was born among illiterate people, was a command to read and write, and the praise of pen which is the only means or custodian of human knowledge:

"Read with the name of thy Lord, Who createth,

Createth man from a clot.

Read, and thy Lord is the Most Bounteous,

Who teacheth by the pen:

Teacheth man that which he knew not." (Q. 96/1-5)

It reminds us also: "... and ask the people of remembrance if ye know not" (16/43, 21: 7), as also: "... and of Knowledge ye have been vouchsafed but little" (17/85). Further: "... We raise by grades whom We will, and over every possessor of Knowledge there is one more knowing" (12/76). What a beautiful prayer is the one which the Quran teaches man: "... and say: my Lord Increase me in knowledge" (20/114).

The Prophet Muhammad said: "Islam is built on five fundamentals: Belief in God, Service of worship, Fasting, Pilgrimage of the House of the One God, and the Zakat-tax." If belief demands the cultivation of the Theological sciences, the others require a study of the mundane sciences. For the service of worship, the face is turned towards Mecca, and the service must be celebrated on the occurance of certain determined natural phenomena. This requires Knowledge of the elements of geography and astronomy. Fasting also requires the understanding of natural phenomena, such as the appearance of the dawn, the setting of the sun, etc, The pilgrimage necessitates knowledge of routes and the means of transport in order to proceed to Mecca. Payment of the Zakat requires Knowledge of mathematics, which knowledge is also necessary for calculations for the distribution of the heritage of the

# Muslim Contribution To The Sciences And Arts

By

*Dr. MUHAMMAD HAMIDULLAH*

As many are there sciences, as many do we require specialists from among historians to describe adequately the Muslim contribution to each branch and to collaborate in the compilation of a general survey of this vast subject. Far from pretending to deal adequately with the topic, an attempt is made here to give information of a general character relating to the part the Muslims have played in the development of the various sciences and arts.

GENERAL ATTITUDE

Islam is a comprehensive concept of life and not merely a religion describing the relations between man and his Creator. It becomes necessary therefore to give first of all an account of the attitude of Islam, with regard to the pursuit of the sciences and the arts.

Far from discouraging a life of well-being in this world, the Quran gives expression again and again to directions like : "Say (O Muhammad): Who hath forbidden the adornment ( beautiful gifts ) of God which He hath brought forth for His bondmen and the good things of His providing ?" ( 7/32 ). It praises those "who say : Our Lord : Give unto us in this world that which is best and in the Hereafter that which is best, and guard us from the torment of Fire" ( 2/201 ). It teaches mankind : ". . . and neglect not thy portion of the world, and be thou kind even as God hath been kind to thee . . . " ( 28 / 77 ). It is this quest for the well-being which attracts man to study and learn, in as perfect a manner as possible, of all that exists in the universe, in order to profit by it, and to be grateful to God. The Quran says : "And We have given you (mankind) authority on the earth, and appointed for you therein a livelihood ; and how little are the thanks ye give ! " ( 7/10 ; cf. 15/20-21 ). And again : "He it is Who created for you all that is in the earth . . . . " ( 2/29 ) : further : "See ye not how God hath made serviceable unto you whatsoever is in the skies and whatsoever is in the earth and hath loaded you with his favours both without and within ?" ( 31/20, cf. 14/32 - 3, 16/12, 22/65, 65/11 - 2, etc. ) On the one hand the Quran

"... My Lord! grant me that I should be grateful for Thy favour which Thou hast bestowed on me and on my parents, and that I should do good such as Thou art pleased with, and make me enter, by Thy mercy, into Thy servants, the good ones". (27 : 19)

« ... ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم » (غافر ٧ ، ٨)

"... Our Lord! Thou embracest all things in mercy and knowledge; forgive, therefore, those who turn repentant to Thee and follow Thy path; keep them from the pains of hell: Our Lord! and bring them into the gardens of bliss which Thou hast promised to them, and to the righteous ones of their fathers and their wives and their children; for Thou art the All-mighty All-Wise". (40 : 7-8)

« رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين » (الأحقاف ١٥)

"... My Lord! grant me that I may give thanks for Thy favour which Thou hast bestowed on me and on my parents, and that I may do good works which pleases Thee and do good to me in respect of my offspring: Surely I turn repentant to Thee, and surely I am of those who submit (am a Muslim)" (46 : 15)

« ... ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم » (الحشر ١٠)

"... Our Lord! forgive us and those of our brethren who have preceded us in the faith, and do not allow any spite to remain in our hearts towards those who believe; Our Lord! surely Thou art kind, Merciful". (59 : 10)

« ... ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير . ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم » (الممتحنة ٤ ، ٥)

"... Our Lord! On Thee do we rely, and to Thee do we turn, and to Thee is the eventual coming; Our Lord! do not make us a trial for those who disbelieve, and forgive us, our Lord! Surely Thou art the Mighty, the Wise". (60 : 4 - 5)

"... Upon Allah do we rely. O our Lord ! make us not subject to the persecution of the unjust people : And do Thou deliever us by Thy mercy from the unbelieving people". (10 : 85 – 86)

«... فاطر السماوات والأرض أنت ولي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين». (يوسف ١٠١)

"O ! Originator of the heavens and the earth ! Thou art my guardian in this world and the Hearafter ; make me die a Muslim and join me with the good". (12 : 101)

«رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء. ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب».

(إبراهيم ٤٠،٤١)

"O my Lord ! grant that I and my posterity may observe prayer. O our Lord ! and grant this my petition. O our Lord ! forgive me and my parents and the believers on the Reckoning Day". (14 : 40-41)

«... ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقرا ومقاما ... ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما». (الفرقان ٦٥،٦٦،٧٤)

"... O our Lord ! turn away from us the chastisement of hell, surely the chastisement thereof is a lasting evil : Surely it is an evil abode and (evil) place to stay. O our Lord ! give us in our wives and offspring the joy of our eyes, and make us examples to those who fear Thee". (25 : 65, 66, 74)

«رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ، واجعلنى من ورثة جنة النعيم . ولا تخزنى يوم يبعثون . يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم».

(الشعراء ٨٣،٨٥،٨٧-٨٩)

"My Lord ! Grant me wisdom, and join me with the good : And give me a good name (high repute) among pasterity : And make me of the heirs of the garden of bliss : And disgrace me not on the day when mankind shall be raised up, The Day when neither wealth nor children shall avail, Save to him who shall come to Allah with a sound heart". (26 : 83-85, 87-89)

«... رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين». (النمل ١٩)

«... ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ... ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين .. ... رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين » .

( الأعراف ٢٣،٤٧،١٢٦،١٥١ )

" . . . Our Lord ! we have been unjust to ourselves, and if Thou forgive us not, and have not mercy on us, we shall certainly be of the losers . . . Our Lord ! place us not together with the unjust people . . . Our Lord ! pour out upon us patience and cause us to die Muslims . . . My Lord ! forgive me and my brother and cause us to enter into Thy mercy, and Thou art the most Merciful of the merciful ones". ( 7 : 23, 47, 126, 151 )

«... فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ».

( التوبة ١٢٩ )

". . . Say : Allah is sufficient for me, there is no god but He ; on Him do I rely, and He is the Lord of the Tremendous Throne".

( 9 : 129 )

« ... على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين . ونجنا برحمتك من القوم الكافرين» . (يونس ٨٥،٨٦)

ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار. ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لاتخلف الميعاد» .

(آل عمران ١٩١ ، ١٩٤ )

" Those who remember Allah standing and sitting and lying on their sides and reflect on the creation of the heavens and the earth : Our Lord ! Thou hast not created this in vain. Glorly be to Thee ! Save us them from the chastisement of the Fire ; Our Lord ! surely whom so ever Thou makest enter the Fire, him Thou hast indeed brought to disgrace, and there shall be no helpers for the unjust :

" Our Lord ! we have heared a preacher calling to the faith saying : Believe in your Lord ! so we did believe ; Our Lord ! forgive us therefore our faults, and cover our evil deeds and make us die with righteous. Our Lord ! and grant us what Thou hast promised us by Thy apostles and disgrace us not on the day of resurrection ; surely Thou dost not fail to perform the Promise"

( 3 : 191 - 194 )

«... ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

"Our Lord ! make not our hearts to deviate after Thou hast guided us aright, and grant us from Thee mercy ; surely Thou art the most liberal Giver. Our Lord ! Thou art the Gatherer of men on a day about which there is no doubt ; Surely Allah will not fail ( His ) Promise... Our Lord ! surely we believe, therefore forgive us our sins and keep us from the torment of the Fire".

( 3 : 8, 9, 16 )

« قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير • تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب » .

(آل عمران : ٢٦ - ٢٧)

"Say : O Allah, Possessor of all power ! Thou givest power to whom Thou wilt, and from whom Thou wilt, Thou takest it away ! Thou raisest up whom Thou wilt, and whom Thou wilt Thou dost abase ! In Thy hand is all Good ; for Thou art over all things Potent. Thou causest the night to pass into the day, and Thou causest the day to pass into the night. Thou bringest the living out of the dead, and Thou bringest the dead out of living ; and Thou givest sustenance to whom Thou wilt, withont measure".

( 3 : 26 - 27 )

« رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء • ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . . . ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ».

(آل عمران : ٣٨ ، ٥٣ ، ١٤٧)

". . . My Lord ! grant me from Thee good offspring ; surely Thou art the Hearer of Prayer. Our Lord! we believe in what Thou hast revealed and we follow the Apostle, so write us down with those who bear witness. Our Lord ! forgive us our affair, and make firm onr feet and help us against the unbelieving people".

( 3 : 38, 53, 147 )

« الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار • ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار • ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا

# PRAYERS FROM THE QURAN

« . . . ربنا تقبـــل منا إنك أنت السميع العليم ◦ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . . . ربنا آتنـا فى الدنيا حسنـة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

( البقرة : ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢٠١ )

"... Our Lord ! accept ( this service ) from us ; Surely Thou art the Hearing, the Knowing. Our Lord! and make us both submissive to Thee, and (raise) from our offspring a nation submitting to Thee, and show us our ways of devotion and turn to us ( mercifully ), surely Thou art the oft - returning ( to mercy), the Merciful . . . Our Lord! grant us good in this world and good in the Hearafter, and save us from the torment of the Fire".

( 2 : 127, 128, 201 )

« . . . ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الـكافرين . . . ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنـا به واعف عنا واغفر لنـا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الـكافرين » .

( البقرة : ٢٥٠ ، ٢٨٦ )

"... Our Lord ! pour down upon us patience, and make our steps firm and assist us against the unbelieving people . . . Our Lord ! do not punish us if we forget or make a mistake ; our Lord ! do not lay on us a burdan as Thou didst lay on those before us ; Our Lord ! do not impose upon us that which we have not the strength to bear, and forgive us, and pardon us, and have mercy on us. Thou art our Protector : so help us ag inst the unbelieving people".

( 2 : 250, 286 )

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنـا وهب لنا من لدنك رحمـــة إنك أنت الوهاب ◦ ربنا إنك جامع النـاس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد . . . ربنا إننا آمنا فاغفر لنـا ذنوبنا وقنا عذاب النار » .

( آل عمران : ٨ ، ٩ ، ١٦ )

treasury (Kanz as they called it), to which they contributed for eventual needs; Muslims had nothing to do with in, similarly the Zakat was perceived on Muslims only, Jews being exempt.

*Social Insurance*

5 — As many as to clauses (3 to 12) are devoted to social insurance. In § 4 — 11 it is said that the various Ansar tribes will continue to act according to their former customary system of 'ma'aaqil'; and § 12 says, if the resources of a unit fall short of the requirements, others will come to help, in a sort of pyramidal organization, (the central government coming to help in the last resort). And § 3 says, "the emigrants of Quraishite origin will among themselves practice the same system". The word former customery practice is not employed here.

This last point is more than an insignificant detail. In fact the Muhajireen did not hail from the same tribe; there were even the Abyssinian Bilal, the Persian Salman, the Greek Suhaib. All these are welded into one single unit, and transformed into a new tribe, which was not based on blood relationship but an the brother hood of the faith. This seems to be the first step to abolish nationalities based on the accidents of birth, such as the identity of birth-place language, race, colour of skin etc.) where there is no choice to a man. Islam envisaged a world order, and indentity of the ideology was chosen as the basis, where every individual had the possibility of subscribing, in a supra — racial yet internally very solid group, with all the possibility of including the entire humanity, even of men and the jinn..."(1)

By this charter a full pledged nation was emerged in Madina under the banner of Islamic system, and under the all accepted leadership of the Prophet Muhammad. His life is the noblest record of a work nobly and faithfully performed. He proclaimed the value of knowledge and learning. Within the short period of ten years the hosts of Arabia came flocking to join his mission.

His life and works are a clearly written record, no mistery and no tails around his life story. The life of the Prophet Muhammed puts before the mankind the key to the treasures of a simple, but a meaningful life.

---

*(1) See Majallotu'l Azhar, Sebtember 1969.*

groups of population, who had never known before a state or a king, religious tolerance was a fundamental need. So § 25 says : "to the Jews their religion and to the Muslims their religion, be they clients or patrons. But whose oppresses or sins, it is his person and the members of his house who would suffer. — This implies a sort of autonomy to units. In fact few were the subjects transferred to centre, in all the rest the unit or tribes were autonomous.

It will look strange today that naturalization of foreigners was not a central subject, but belonged to every tribe and even every individual member of the tribe. In fact by 'Wila' and 'Jiwar' (§ 15, 25, 46 etc. ), foreigners could become members of the family, and thus inhabitants and citizens of the state.

Legislation and administration of justice were partly central and partly depended on the units. When resorted in appeal case to the heed of state, he could give orders ; and the head of the state also could take initiative of giving new orders. In all such cases, his decision was declared final for Muslims (§ 25) as well as for Jews (§ 42) : "they will be turned to God and to Muhammad say the two clauses. It was a revolution in Arabia to declare that vendentta and private justice will not be tolerated, and that nobody should hinder the administration of justice even against his child (§ 13, 21,22,36 b, 47 etc). Justice belonged to the head of, be that of the unit or of the city-state; and these judges were not only bound by the law of the land, but could also execute their decisions another novelty, since in pagan Arabia, rights were declared by arbitrators, but not executed by them.

War and peace also were "central topic, and hence indivisible. "The peace of the Believers is one sole (§ 17), war and peace both of Muslims and Jews are mutually adhered to (§ 36 a, 45 a). There was to be mutual held among Muslims and Jews in case of foreign attack on Yathrib (37 d, 44), each group of population having to bear its own expences in war and defence (§ 24, 37 a, 38,45 b).

Foreign policy is also partly centralieed, and the document precisely lays down that nobedy must protect life or property of the pagan Quraish and of their allies (§ 43).

4 — Al though there is question of expenses during a war, there is no mention of taxes in peace time. This implies that in fiscality also there was autonomy. We know that the Jews of Al-Nadir had a muncipal

*Analysis*

1 – After the *basmalah*, the Act says: "This is a prescription of the Prophet Muhammad Messenger of God, (to have effect) between the Believers and the Submissive, from among the Qurish, the people of Yathrib (Madina), and those who would follow them by jouning them and combatting along with them". (§ 1 – Along with the Muslims of Mecca and of Madina, the door is left open to others to join the same state a confederal city-state at that time. The Act speaks (§ 20 b) of Arabs of Madina who had not yet embraced Islam, and (§ 16,24—47) of Jews. There were some Christians also in the city, led by Abu Aamir ar-Rahib, but they seem to have refused to callaborat, and even migrated to Mecca to fight agaminst Muslims in the battle of uhud along with other pagans; hence the silence on their score. The § 110 says: "Whichever of the Jews follows us, will have succour and equathird party)" — This seems to imply that § 24-47 are late additions, when the Jews of Madina decided to enter the confederation, may be after the great victory at Badr.

Our historians say that there were three Jewish tribes: Qainuqa, an-Nadir and Quraiza. But the document names only the "Jews, clients of 'Awf, Najjar, Harith, Saaida Jushom, Aws, Thakala and Shutaiba (25 - 33). These are all Ansar of Khazraj and Aws. The implication seems to be that the Jews were not the original inhabitants of Madina, much less independent groups; but that they lived there at suffrance, as guests and clients of the local Arabs.

2 – The text continues, "They constitute one single community in face of all men" (§ 2)— This is the declaration of independence, be that against the pagan Mecca, Byzantine empire, Iran or any other state in the world. As to the limits and frontiers. (§ 39) speaks of the 'Jawf' (valley) of Yathrib, as a sanctuary for the people of this document". In his history of Madina.

ما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة

Al-Matari records that the Prophet sent some persons to construct pillars in different direction of Madina as limits of the city-state. Later this sanctuary became the capital of the expanding state, and new territorial acquisitions did not require modification of the constitution, although the Quran and the Hadith completed the provisions whenever found necessary.

3 — As the city-state had diverse

around him beat in harmony and affection with his soul stirring words of his speeches.

*The First Written Charter*

In the meantime the Prophet invited the representatives of the inhabitants of regions : Muslims and non-Muslims ( Jews, christians and others ) and suggested the establishment of a City - State in Madina. With the assent of them, he endowed the state with a written constitution or charter, in which he defined the duities and rights of the citizens and the head of the state. The administration of justice became henceforth the concern of the central organisation of the community of the citizens. This constitution, which is to be considered the first of its kind in the history of written constitutions, laid down principles of home, defence and foreign policies of a developing state. It recognised also explicitly liberty of religion, worship etc, particularly for the Jews, to whom this document afforded equality with Muslims in all that concerned this world.

This charter reveals the Prophet in his real glory, as a master-mind not only of his own age but of all ages, and as a statesman of unrivalled powers, who sat himself to the task of re-constructing a state and a society upon the basis of universal humanity. Nevertheless this charter showed a practical example of a welfare state envisaged by the Prophet. In order to throw some light on this earliest written constitution or charter, of a state in the world as it was produced at Madina in the year 622 A. D. ( the first year of the Hijra ), it is interesting and inspiring to quote the following analysis given by eminent Scholar Dr. Muhammad Hamidulla to this historical document :

" According to al-Bukhari, it was in the house of Anas ibn Malik that it was prepared ( apparently the Prophet having convened there the consultative meeting of the representative of the population ). According to al-Maqrizi, this document used to hang on the sword of the Holy Prophet ( perhaps with significance that its violation will be published by sword ).

The document could be divided into 55 clauses. But the first European translation ( in German, by Wellhausen ) has numbered only 47 clauses, amalgamating at times several clauses into a single one ; and all later western translations have followed the same numbering. I am obliged to do so, but I shall, at occasinons distinguish by subdivisions a, b, etc.

Aus and Khazraj at Yathrib were living in habitual feuds and quarrelling among themselves.

*New Era*

With the advent of the Prophet a new era dawned upon the city of Yathrib. The two tribes of Aus and Khazraj rallied round the standard of Islam and they bore the noble title of Ansar ( helpers ). The faithful people who had forsaken their birthplace in the way of Allah received the title of Muhajireen ( emigrants ). In order to unite the Ansar and Muhajiren in closer bonds under the banner of fraternity and equality, the Prophet established a common brotherhood which linked them together in sorrow and in happiness. Yathrib changed its ancient name and became known as Madinat-un-Nabi ( the city of the Prophet ) or Al - Madina - Al - Munawwara ( the illuminated city ). It is now shortly called Madina. Immediately after the commencement of fraternization between the Aus and Khazraj, on the one hand, and between Ansâr and Muhajir, on the other hand, the nucleus of the Muslim community had emerged.

*A New Community*

Till the Hijra the Prophet had been a Preacher only. From then he was the ruler of a state, a very small one at first, which grow in ten years to a developed state. The kind of guidance which he and his people needed after the Hijra was not the same as that which they had before needed. Because till then the Prophet was giving guidance to the individuals as warner, thenceforth he started to give guidance to a growing community, in all walks of life, as a law giver, reformer, and an exemplary ruler.

The Prophet had begun the reorganisation of the community by developing their spiritual aspects of life as well as the material interests of it. For the development of the individual and of a society; would be better achieved by coordinating the spiritual and temporal parts of life.

The Prophet's first concern as ruler and preacher was to establish public worship and lay down the constitution of the state. Soon he built a mosque, in a simple form, its walls were of brick and earth, and its roof was of palm leaves. Everything is in this humble place of worship was conducted with the greatest simplicity. A portion of the mosque was set a part as a shelter for those who had no home of their own. The Prophet preached and prayed in this simple structure, suited to the simple and natural religion he preached. The devoted hearts

# MAJALLATU'L AZHAR

## ( AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

| Rabi'Thani 1393 | ENGLISH SECTION | MAY 1973 |
| --- | --- | --- |


# SPOTLIGHT ON THE LIFE OF THE PROPHET

by : Dr. Mohiaddin Alwaye

*( Continued from Previous Issue )*

### *The Prophet at Madina*

The departure of the Prophet from Mecca to Medina was a clear division in the history of his mission. It marked the end of 13 years of persecation and humiliation, and beginning of the 10 years of success and accomplishments. The Prophet entered the city of Yathrib (Madina) in the company of his faithful friend, Abu-Bakr, after several adventures, marking the greatest development in the human history. From the moment of his advent into Madina he stands in the grandest of figures upon whom the light of history has ever shown.

According to the history the city of Yathrib was founded by an Amalekite cheif, whose name it bore until the advant of the Prophet. The city is said to have been inhabited by the Amalekites. Flying before Greek, Roman and Babylonian persecutors or avengers, the Jews entered Arabia and established themselves in Yathrib and its environs in the northern part of Hijas. The successive colonies of Jews overwhelmed and destroyed the indegenous people. They had domineered over the neighbouring Arab tribes and they established fortified colonies. The most important of those colonies were the Banu Kainuka near Madina, Banu Nadhir at Khaibar, and Banu Kuriza at Fidak. The two Arab tribes of




مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الخامس — السنة الخامسة والأربعون — رجب سنة ١٣٩٣ هـ — أغسطس سنة ١٩٧٣ م


بسم الله الرحمن الرحيم

# حديث الإسراء والمعراج

للأستاذ عبد الرحيم فودة

---

كلما أقبل شهر رجب ـ وهو من الأشهر الحرم ـ أطلت على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ذكرى الإسراء والمعراج ، وذكرتهم بما كان عليه حال الإسلام والمسلمين قبلهما وبعدهما من ضيق إلى سعة ، ومن ضعف إلى قوة ، ومن جهد محصور مقهور إلى جهاد متصل ظافر مكن للإسلام أن يظهر ويشرق ويتألق وتخفق رايته فوق هامة الوجود .

لقد كان الإسراء كما أراد الله أن يكون ، وكان من المسجد الحرام الذى يقول فيه : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا » ، إلى المسجد الأقصى الذى يقول فيه : « باركنا حوله » ، وكان ذلك الإسراء لحكمة أجملها الله في قوله : « لنريه من آياتنا » ، ومعنى ذلك أو بعض ما يفهم من معناه ، أن الله أراه في هذه الليلة أو هذه الرحلة بعض آياته ليزداد إيمانا بقدرته ، ويقينا به ، واطمئنانا إليه ، وثقة بأن الدين الذى بعثه به ، سينطلق نوره من محبسه في مكة حتى يشرق على المسجد الأقصى وما حوله من ربوع الشام ، وفي ذلك التسرية والتسلية عما كان يعانيه ، ويعيش مع المؤمنين فيه ،

فقد كان ركانوا يقاسون من أذى قريش ما تنوء بحمله الجبال ، وألمت به - عليه السلام - خطوب أخرى ضاعفت همه وغمه ؛ إذ مات عمه أبو طالب ، وزوجه خديجة : ففقد السند الذى كان يعتمد عليه ، والظل الذى كان يفىء إليه ، ولم يكن ذلك ليخفف من قسوة القلوب التى ضاقت به ، فقد كانت كالحجارة أو أشد قسوة ، وبلغ بها الغيظ منه والحنق عليه درجة شعر فيها باليأس منهم وخيبة الأمل فيهم ، ولما التمس لدعوته جواً آخر تتنفس فيه ، وتوجه إلى الطائف وجد فيها ما يجده المستجير من الرمضاء بالنار ، فقذف بالحجارة حتى سال الدم من قدميه ، ثم وقف إلى جوار حائط ، يناجى ربه بهذه الكلمات : اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ، إلى بعيد يتجهمنى ، أم إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بى غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك ...

هذه الظروف القاسية المريرة يمكن أن نلمحها فيما يفهم من قول الله : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » ، وقوله : « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » ، وقوله : « ولا تك فى ضيق مما يمكرون » ، وقوله : « قد نعلم إنه ليحزنك الذين يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » ، ويكفى لتصور ما كان يتحمله عليه السلام أن نذكر قول الله فيه : « ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك » ، بل يكفى لتصور الجو الذى كان يعيش فيه قوله تعالى : « وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون » .

وقد صغر فى عينيه - عليه السلام - كل ما كان يلقاه بعد حادث الإسراء ، وعاد من هذه الرحلة فى هذه الليلة يحدث الجاحدين المعاندين بما رأى من آيات ربه غير عابىء بما يثار حوله من لغط ، أو يقابل به من استهتار ، وظل وظل

المؤمنون معه صامدين صابرين حتى تمزق ظلام الإفك والشرك ، وانطلق نور الإسلام يزحف فى كل اتجاه ، ويشرق فى كل أفق .

ذلك درس يجب أن يتنبه إليه وعى المسلمين الآن وهم يحتفلون بذكرى حادث الإسراء ، ويرون جحافل الظلام والظلم تزحف إليهم وتتألب عليهم ، وتغتال حقوقهم ، بل يرون المسجد الأقصى فى قبضة أعدائهم وأعداء دينهم ، وطريقهم إلى استرداد حقوقهم ، وتحرير أرضهم ، وصيانة حرماتهم ومقدساتهم هو . هو ، الطريق الذى مضى فيه رسول الله والمؤمنون الصادقون ، الصمود . والصبر . والجهاد . والتمسك بالحق إلى آخر رمق ، والثقة المطلقة بأن الله كما يقول : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » . وكما يقول : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » .

لقد حقق واقع التاريخ ما رآه صلى الله عليه وسلم فى ليلة الإسراء وسيحقق الواقع وعد الله الذى تنطق به آياته ، وتخفق به كلماته كما يفهم من قوله : « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » . وقوله : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » ، وقوله : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون » .

وصلى الله على محمد إمام المجاهدين . وخاتم النبيين . وأشرف المرسلين . وعلى آله وصحبه أجمعين ؟

عبد الرحيم فودة

● ● ●

# أبواب الخير

للأستاذ أبو الوفا المراغى

---

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : (ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تكفر الخطيئة ، وقيام العبد فى جوف الليل . وتلا هذه الآية : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » ) . أخرجه الترمذى .

صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله محمد بن عبد الله ، لقد جعلك الله مفتاحا للخير ، مغلاقا للشر ، وفى سبيل الخير ومكافحة الشر كان جهادك ، وكانت تعاليمك ، وكان من شعاراتك : إنما المؤمنون إخوة ، وتعاونوا على البر والتقوى ، شر الناس من تركه الناس اتقاء شره ، المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

أبغضت الشر وأخذت عليه المنافذ وما تركت سبيلا إليه إلا نبهت إليه وحذرت منه ، وأحاديثك الشريفة فى عمرك المبارك تدور حول هذه القضية قضية الخير والشر ، وهى قضية الإنسان بل قضية الكون التى شغلت الأنبياء والمصلحين منذ وجد الكون وعلى قدر السداد فى علاجها كان حظ الإنسانية من السعادة والهناء .

وهذا حديث من أحاديث الرسول التى تدور فى فلك هذه القضية ، يرشدنا به إلى أبواب الخير لنفتحها ونظفر بما فيها من خير فى ديننا ودنيانا يسلم أولها إلى ثانيها ، وثانيها إلى ثالثها لنستوعب كل ما فيها من كنوز البر والطاعة . ومن تأمل الحديث راعه ما فيه من ترتيب طبيعى ومنطقى ، فكل مسألة من مسائله كالأساس لما بعده ولا بد له منه .

وأول أبواب الخير للمسلم : الصوم أعنى الصوم بجميع أنواعه ، والصوم كما نعرف : حبس النفس عن شهوات الطعام والجنس بنية خالصة لله ، وهو بهذا المعنى وقاية للنفس من المعاصى والآثام سواء

فى وقت ممارسته والنهوض به أم فى غير وقته ، فبواعث المعاصى هى الشهوات وإذا ملك الصائم شهوته بالصوم ملك زمام معصيته بالكف والزجر ، ولذلك كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم للشباب الذين لا يجدون نكاحا أن يصوموا ليخمدوا نار شهواتهم حيث يقول : ( يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة - النكاح - فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ) .

والصائم على ذكر من الله دائما فكلما عضه الجوع تذكر لمن هو صائم ومن هو متقرب ، فإذا أدرك أنه صائم لله ومتقرب منه استحى أن يغضبه ونفر من معصيته واجتهد فى مرضاته حتى لا يناقض نفسه ويهدر عمله ، ولهذا كان الصيام غياث الصالحين لأدواء نفوسهم .

قال العلامة الشريف الرضى فى بيان أن الصوم جنة : ( والمراد أن الصائم الذى يخلص فى صومه ويستكمل آخر يومه يكون بالإخلاص فى ذلك الصوم كأنه قد لبس جنة من العقاب وأخذ أمانا من النار ) . والصوم سر عجيب فى تصفية النفوس وترقيق القلوب وبعث الهمم إلى البر يدرك ذلك من راقب نفسه وراقب الصائمين حوله ؛ ومن هنا ندرك سر صلة قوله صلى الله عليه وسلم : ( الصوم جنة ) بقوله ( والصدقة تكفر الخطيئة ) وبنائه عليه بناء النتيجة على المقدمة يعنى أن الصائم ينبغى أن يغتنم فرصة انبعاث عاطفة السخاء فى نفسه فيبادر إلى التصدق بما وسعه جهده ليكفر عن خطيئته ويمحو أثر زلته ويتقى نارها فالصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النــار كما ورد فى بعض الأحاديث وهو من بديع تشبيهاته صلى الله عليه وسلم ، حيث جعل الخطيئة بمنزلة النار من حيث كانت مفضية إلى عذاب النار وجعل الصدقة مطفئة لها إذا كثرت فأثرت فى سقوط عقابها ، وإطفاء نار الخطيئة بالصدقة - وهو محو آثارها وإبطال نتائجها - مبدأ إسلامى جليل سنه الله تفضلا على عباده ترغيبا فى الخير ودفعا لليأس أن يتسلط على كيان المؤمن فيزلزل أركانه ويكدر صفوه ففى القرآن الكريم فى صفة عباد الرحمن الذين أنابوا إلى الله بعد أن فرطوا فى جنبه : « إلا من تاب وآمن وعمل عملا

صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما، وفي السنة النبوية من قول الرسول لمعاذ بن جبل : (وأتبع السيئة الحسنة تمحها) .

وليس بنا حاجة أن نبين فضل الصدقة وكونها بابا من أبواب الخير تطفىء نار الحاجة في نفس المحتاج وتصون وجهه وتكفيه ذل المسألة كما أنها تخفف حدة التوتر في الجماعات وتغرس بينهم بذور المحبة والصفاء ، وإذا انفتح للمسلم هذان البابان من الخير ودخلهما آمنا وغنم ما ادخر فيهما تهيأ لدخول الباب الثالث من أبواب الخير، وهو باب تحسين العلاقة بالله وتوثيق الصلة به وهو التفرغ لمناجاته والاجتهاد في مرضاته بالصلاة والذكر والدعاء طمعا في رحمته وفرارا من نقمته في وقت يخلو فيه قلبه من شواغل العيش ومشاكل الحياة ، وهذا الباب هو ما عناه الرسول بقوله : (وقيام العبد في جوف الليل) إن قيام العبد في جوف الليل والتجافي عن وثير الفراش ولذيذ المنام في وقت استقرت فيه بالناس المضاجع وطوتهم الغفلة واستدرا لسحر المنام - مقام من مقامات الصديقين لا يبلغه المؤمن إلا إذا زكى نفسه بالصوم واستجن به من المعصية وإلا إذا محا من صحيفته ما غلبه الشيطان عليه من الأوزار ، بأنواع الصدقات .

إنه مقام من استوحش من الخلق فالتمس الأنس بالخالق فشمر لذكره بإخلاص نية واستجماع قلب وفكر ، استجلابا للرضوان والتماسا للرحمة ، إنه مقام الخائف المستجير الذي أعوزه الأمان في الأرض فاستجار بمالك الأمن في السماء ، ولا شك أن اللائذ بالله لائذ بكريم لا يبخل وجواد لا يمسك ولا تنفد خزائنه ولا يضيق بطالب ولا طامع . ولقد وعد الله أصحاب هذا المقام العطاء الجزل والثواب الغامر وأعد لهم من النعيم ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ، كما قال جل شأنه في حديث قدسي : «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعكم عليه ، يعني زيادة عما علمنا مما ورد به القرآن والسنة من جزاء الصالحين عامة . قال الحسن : أخفى الله تعالى لهم ما لا عين ، رأت ولا أذن سمعت .

(البقية ص ٣٩٨)

دراسات قرآنية :

# الأشهر الحرم والقتال فيها

للأستاذ مصطفى الطير

« إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين » . (التوبة : ٣٦)

(البيان)

أفادت هذه الآية الكريمة أن عدد الأشهر فى السنة القمرية اثنا عشر شهرا وأن ذلك النظام فى كتاب الله منذ خلق الله السموات والأرض .

واختلف العلماء فى تفسير المراد من كتاب الله ، فمنهم من قال : هو اللوح المحفوظ ، ومنهم من قال : هو ما أثبته الله وأوجبه من الأخذ بهذه العدة لا يتجاوزونها .

والذى يبدو أن المراد به ما كتبه الله وقدره تنفيذا من النظام الزمنى الذى تدور عليه معرفة عدد السنين والحساب ومصالح الناس فى كوكبنا الأرضى ، ويشهد لذلك قوله تعالى « يوم خلق السموات والأرض » فهو يشير إلى أن ذلك النظام مقدر وثابت ومنفذ منذ بدء الخليقة لمصلحة خلقه .

وهكذا شأن الله تعالى فى ملكه . فقد أعد لكل كوكب ما يليق به من النظم التى يصلح بها منذ بدء الخليقة ، « فتبارك الله أحسن الخالقين » .

ومن هنا تظهر فائدة النص على أن السنة القمرية اثنا عشر شهرا ، فلولا أن الله تعالى يريد بذلك الإشارة إلى إبداعه وتقديره الدورة القمرية الشهرية والسنوية لمصالح عباده منذ خلق السموات والأرض ، لما كان هنا داع للنص على عدد شهور السنة ، فإنه أمر معروف .

وإنما وقت هذا الكتاب وذلك التقدير يوم خلق السموات والأرض ، لأن المقصود به الكتاب التنجيزى والقدر الإيجادى ، أما القدر بمعنى العلم أو المشيئة فهو أزلى سابق على خلق السموات والأرض ، وقد كنى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله : « جفت الأقلام وطويت الصحف » .

وكما أن النص على عدد شهور السنة القمرية يشير إلى ما ذكر ، ففيه فائدة أخرى ، هى إبطال زيادة بعض العرب شهراً فى السنة أو شهرين ، لتكون ثلاثة عشر شهراً أو أربعة عشر ، فربما تأزمت الأمور بينهم فيحلون ذا الحجة ، ويؤخرون تحريمه إلى شهر يجعلونه خلفه غير المحرم ، فتزيد السنة بذلك شهرا ، وربما فعلوا مثل ذلك فى ذى القعدة وذى الحجة ، فتزيد السنة شهرين ، ولذلك نص على العدد فى الكتاب والسنة وكان وقت حجهم يختلف تبعاً لذلك ، وهذا يتفق مع تفسير كتاب الله بما كتبه وأوجبه من الأخذ بهذه العدة لا يتجاوزونها .

وقد حج بالناس أبو بكر - رضى الله عنه - فى السنة التاسعة من الهجرة ، وكان حجه بهم فى ذى القعدة ، وحج النبى - صلى الله عليه وسلم - بالناس حجة الوداع سنة عشر ، فى ذى الحجة ، وهو الذى كان على عهد إبراهيم عليه السلام ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله » .

وقد نص الله فى هذه الآية على أنه جعل منها أربعة أشهر حرماً يحرم فيها القتال ، وبين أن ذلك هو الدين القيم - أى المستقيم -

وكان ذلك فى شريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وظل العرب يتوارثون احترامها من بعدهما ، ويكفون عن القتال فيها منذ عهدهما ، وكان الرجل منهم يلقى فيها قاتل أبيه أو أخيه فلا يتعرض له ولا يؤذيه .

( رجب مضر )

وتلك الشهور الأربعة واحد منها فرد هو رجب ، وثلاثة سرد ، هى : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وقد بينها النبى صلى الله عليه وسلم بقوله فى حجة الوداع :

« يأيها الناس : إن الزمان قد استدار ، فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ، أولهن رجب مضر بين جمادى وشعبان ؛ وذو القعدة وذو الحجة والمحرم » رواه الإمام أحمد كما رواه أصحاب السنن بهذا المعنى .

وأخرج الشيخان أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ؛ السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم : ثلاث متواليات ورجب مضر » .

وإضافة رجب إلى مضر ؛ لأنهم كانوا يحافظون على موضعه بين جمادى وشعبان ، بخلاف ربيعة ، فإنهم كانوا يجعلونه فى موضع رمضان ، ويعطونه اسم (رجب) .

(رجب منصل الأسنة)

كان العرب يطلقون على رجب (منصل الأسنة) أى مخرجها من مواضعها فى الرماح والسهام[1] .

أخرج البخارى عن أبى رجاء العطاردى قال : « كنا نعبد الحجر ، فإذا وجدنا حجراً هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر ، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثوة من تراب ، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ، ثم طفنا به ، فإذا دخل شهر رجب قلنا منصل الأسنة ، فلم ندع رمحا فيه حديدة ولا سهما فيه حديدة إلا نزعناها فألقيناه » .

(الأشهر الحرم كانت وقت هدنة)

كانت هذه الأشهر الأربعة وقتاً مقدساً يحرم فيه القتال منذ عهد إبراهيم عليه السلام ، وكان يعتبر وقت هدنة إجبارية ناشئة عن الوازع الدينى ، وقد شرع الله تحريم القتال فيها ليثوب المتقاتلون إلى رشدهم ، بعد أن يحصروا قتلاهم ويدركوا مقدار خسارتهم ، فتتجه نفوسهم إلى المصالحة وقبول سعى الخيرين من زعماء القبائل وحكمائهم ، لإنهاء الشقاق بينهم .

ولم يجعلها الله مجتمعة ، بل قسمها قسمين ، قسما قصيرا هو شهر رجب ، وقسما طويلا هو ذو القعدة وذو الحجة والمحرم .

والحكمة فى طول هذا القسم أنه تعالى

(١) يقال نصله وأنصله أخرجه : قاموس

جعله ميقاتا لمقدم الحجاج وأدائهم النسك وعودتهم إلى بلادهم ؛ حتى يفدوا على بيت الله ويؤدوا شعائر الحج ويعودوا إلى أوطانهم ، وهم آمنون على أنفسهم وأموالهم .

( فلا تظلموا فيهن أنفسكم )

اختلف المفسرون فيما يعود إليه ضمير ( فيهن ) فمنهم من أعاده إلى جميع شهور السنة . ونسب هذا إلى ابن عباس رضى الله عنهما .

والمعنى على هذا الرأى : فلا تظلموا أنفسكم فى جميع شهور السنة ، بفعل المعاصى وترك الطاعات . أو بجعل حلالها حراما وحرامها حلالا كما فعل المشركون.

ومنهم من أعاده إلى الأشهر الحرم . وروى هذا عن قتادة . واختاره الفراء وأكثر المفسرين . والمعنى على هذا : فلا تجوروا على أنفسكم فى الأشهر الحرم بالقتال فيها ، فإن ذلك يجعلكم آثمين مستحقين للعقاب . وفى ذلك ما فيه من الضرر العائد عليكم ( أنفسكم ).

والجمهور على أن حرمة القتال فيها منسوخة بآيات الترخيص فيه . كقوله تعالى : « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص » وقوله تعالى : «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » ، وقوله « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ، إلى غير ذلك من النصوص المبيحة لقتال أعداء الإسلام ، بأسلوب مطلق يتناول كل أوقات السنة ، ولا يختص بزمان الأشهر الحلال .

ومنهم من فسر الظلم المنهى عنه فى الأشهر الحرم بارتكاب المعاصى ولم يفسره بالقتال ، وهذا التفسير لا يحتاج إلى القول بالنسخ ، لأن حرمة المعاصى فيها أمر مجمع عليه .

وتخصيص الأشهر الحرم بالنهى عن ارتكاب المعاصى فيها - مع أنها منهى عنها دائما فى جميع الشهور - لأن ارتكاب المعاصى فيها أشد قبحا ، وأعظم وزرا من ارتكابها فى غيرها .

ويرى عطاء بن أبى رباح أن حرمة القتال فى الأشهر الحرم باقية لم تنسخ ، فلا يحل الغزو فيها ، كما لا يحل القتال فى الحرم ، إلا أن يعتدى على المسلمين معتد ، فيحل قتاله حينئذ ، لأنه دفاع عن النفس ، ولأن هتك الحرمة ليس منهم بل من البادىء ، ومع استناده إلى

تلك الحجة العقلية، استند إلى قوله تعالى: «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص»، أي: والحرمات يجرى فيها القصاص، فإذا كان العدو هو البادىء، فهو المعتدى بهتك الحرمة، فيحل قتاله قصاصا، والجزاء من جنس العمل.

ورأى الجمهور أحق بالقبول لما تقدم وسواء أكان قتالنا لأعداء الإسلام لرد عدوانهم، أم لاتقاء عدوان يبيتون له، فكل ذلك مشروع فى الأشهر الحلال والأشهر الحرم على سواء، قال تعالى: «وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين»، فهذا النص يبيح البدء بقتال من علمنا أنهم يبيتون النية لغزونا أو لأى نوع من أنواع الخيانة التى تضر بمصالح المسلمين ولم يقيد الإباحة بشهور الحل ولا برد الاعتداء، وذلك الإطلاق يعطى المسلمين الحق فى البدء بقتالهم ولو فى الأشهر الحرم، ومن هنا لا يصح قصر قتالهم فى الأشهر الحرم على ما إذا اعتدوا علينا فيها كما قال عطاء.

وقد استدل بعض العلماء على جواز قتال الأعداء فى الأشهر الحرم وإن لم يبدأونا بالقتال بأن النبى صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف وحاصرهم فى شوال وبعض ذى القعدة الحرام، فعمل الرسول دليل على جواز القتال فيها ابتداء.

والحق أن قتال الرسول وحصاره لهؤلاء، كان ردا على اعتدائهم الذى جمعوا له كما سنبينه، ولم يكن بدءاً، والصواب فى الاستدلال هو ما تقدم.

( قصة هوازن وثقيف )

أما قصة هوازن وثقيف فتتلخص فى أنه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة قالوا: قد فرغ محمد من قتال قومه، ولا ناهية له عنا، فلنغزه قبل أن يغزونا وارتضوا على القبيلتين أميراً للحرب رجلا اسمه مالك النصرى؛ لحشد خلقا كثيرا من مختلف القبائل، وجعل النساء صفوفا وراء المقاتلة، ثم الإبل، فالبقر فالغنم، ليدافع كل مقاتل عن نفسه وأهله وماله ولا يفر.

فقال له دريد بن الصمة - وكان مشهورا بأصالة الرأى - وهل يرد المنهزم شىء، إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت

فى أملاك ومالك ، فلم يقبل مشورته .

ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم باستعدادهم لحربه على هذا النحو توجه إليهم بجيشه الذى فتح مكة ، وانضم إليهم ألفان ممن أسلم من أهل مكة فى غزوة الفتح ، وكان فيهم ثمانون من المشركين ، فكانوا جميعا اثنى عشر ألفا ، وقد أعجبتهم كثرتهم فلم تغن عنهم شيئا .

فإن مقدمة المسلمين لما توجهت نحو العدو ، خرج لها كمين من شعاب الوادى واضحهم بنبل كالجراد ، فهزمت المقدمة فانهزم بهم من خلفهم ، وثبت النبى صلى الله عليه وسلم وقليل من المهاجرين والأنصار ، وبلغت هزيمة بعض المنهزمين مكة ، فأمر الرسول عمه العباس أن ينادى الأنصار - وكان جهورى الصوت - فناداهم قائلا : يا معشر الأنصار ، يا أصحاب بيعة الرضوان ، فأسمع من فى الوادى ، فأقبلوا سراعا نحوه صلى الله عليه وسلم فلما اجتمع حوله عدد عظيم ، كروا على أعدائهم ، فانهزموا أمام المسلمين هزيمة منكرة ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ويغنمون . فبلغت غنائمهم نحو أربعة وعشرين ألف بعير ، وأكثر من أربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية فضة ، وذهباً كثيرا .

ولما تجمع من بقى من ثقيف وهوازن بالطائف ، وتحصنوا بحصونها ، أراد الرسول أن يقضى عليهم حتى لا يثير المتاعب للمسلمين مستقبلا ، فحاصرهم ثمانى عشرة ليلة ، وكانوا يضربون المسلمين من حصونهم بالنبال ويقذفونهم بالحديد المذاب ، وكان مع المسلمين دبابتان أعدوهما لينقبوا الجدار وهم فيهما ، فنعهم هذا الحديد المذاب من أداء ما اعتزموه .

فأمر الرسول بقطع نخيلهم وأعنابهم فقطعها المسلمون قطعا ذريعا ، فناداه أهل الحصن ، أن اتركها لله وللرحم ، فأمر المسلمين بالكف عنها .

ولما رأى النبى صلى الله عليه وسلم أن تمنعهم شديد ، وأن الفتح لم يأذن الله فيه استشار نوفل بن معاوية الديلى فى الذهاب أو المقام ، فقال يا رسول الله : ثعلب فى جحر ، إن أقمت أخذته ، وإن تركته لم يضرك ، فأمر صلى الله عليه وسلم ، بالرحيل عنهم ، فطلب منه بعض أصحابه أن يدعو عليهم ، فأبى وقال : « اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين » فاستجاب الله دعاءه

فقد جاء وفد هوازن بعد بضع عشرة ليلة من ترك الحصار، واعتذر للرسول وطلب منه أن يرد عليهم نساءهم وأولادهم وأموالهم، وأسلم منهم كثير، فأجابهم إلى ما سألوا، وأمر عليهم مالك بن عوف النصرى الذى كان قائد هذه الحرب ضد المسلمين بعد أن هداه الله إلى الإسلام.

ثم جاء وفد من ثقيف تائبين معتذرين وأسلموا، وطلبوا أن يعين لهم من يؤمهم فأمر عليهم عثمان بن أبى العاص.

فما سبق تعلم أن حصار الرسول وقتاله لهؤلاء كان ردا على تجمعهم لقتاله ولم يكن بدءا.

«وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة».

أوجبت هذه الجملة على جميع المسلمين أن يقاتلوا المشركين جميعا إذا قاتلوهم، وقتالهم فرض عين على كل مسلم قادر إذا كثر المشركون المقاتلون، ولم تكف الجيوش الإسلامية المعدة لقتالهم وفيما عدا ذلك فهو فرض كفاية.

ومتى عين الإمام أو نائبه بعض المسلمين للقتال تعين عليهم، ووجب عليهم امتثال أمره، وتعتبر قوانين الخدمة العسكرية فى سن معينة أوامر تكليفية ملزمة لصدورها عن رئيس الدولة، فإذا طلبت فئة ذات سن تتفق مع هذه القوانين وجب عليها المجىء طواعية، فإن قبلت من الناحية الصحية وجب عليها أن تمارس التدريب الذى يؤهلها لملاقاة العدو، عملا بقوله تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة»، ومن يتخلف عن ذلك يجوز أن تطبق عليه القوانين الرادعة.

«واعلموا أن الله مع المتقين».

ختم الله الآية الكريمة بهذه الجملة ليحمل المسلمين على تقوى الله تعالى حتى يكون معهم بالنصر والمعونة، والمراد من المتقين عام، يتناول كل من يتق الله بفعل الطاعات وترك المعاصى، ويدخل فيهم جنود الجيش دخولا أوليا، نظرا لسياق الآية.

ويدخل فى تقوى الجندى لله، أن يكون مطيعا لقائده، منفذا لأوامره الحربية، مقبلا على تدريبه بروح راضية وشجاعة متجددة، وأن يخلص لدينه ووطنه فى لقائه لعدوه، فلا يتراخى ولا ينهزم، ولا يفكر فى شىء سوى

إحراز النصر العزيز لأمته ، وذلك إلى جانب أدائه للصلاة فى أوقاتها والثقة بوعد الله بنصر المؤمنين ، والتزامه آداب الحرب التى سنها رسول الله والسلف الصالح من بعده .

وقد وعد الله المتقين بأن يكون معهم بالنصر والتأييد ، أما غيرهم فلا مكان لهم فى وعد الله فإن هزموا لا يلوموا سوى أنفسهم ، وصدق الله تعالى إذ يقول « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ويقول « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » ؟

مصطفى الطير

---

( بقية المنشور على ص ٣٩٠ )

إن ما عدد الحديث من أبواب الخير ليست هى كل أبوابه غير أنها جاءتها وإنما كانت هذه أبوابا من الخير لما فيها من تضحيات فى سبيل الله ، فالصوم تضحية بلذائذ الطعام والجنس وتعبد لمن يحب التعبد له ، والصدقة تضحية بالمال وهو حبيب الروح وصنو النفس والولد والقيام بالليل تضحية بالنوم والراحة والأنس بالأهل والأحبة ؛ ولا يبذل هذه التضحيات إلا من عرف قدر ربه وقدر نفسه وحقيقة الدنيا بالنسبة إلى الآخرة ، وأن الآخرة هى الجديرة بكل تضحية وبذل كما قال تعالى : « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » ؟

أبو الوفا المراغى

# من مآثر الأنصار رضوان الله عليهم

للدكتور محمد أبو شهبة

روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : « قالت الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل ، قال : « لا » فقالوا : تكفونا المؤنة ، ونشرككم في الثمرة ، قالوا : سمعنا وأطعنا » .

وروى البخاري بسنده عن يحيى بن سعيد أنه سمع أنس بن مالك - رضي الله عنه - حين خرج معه إلى الوليد ، قال : دعا النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين ، فقالوا : لا ، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها !! قال : إما لا فاصبروا حتى تلقوني إنه سيصيبكم بعدى أثرة » .

تخريج الحديث : روى البخاري الحديث الأول في كتاب الفضائل - باب إخاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، وفي كتاب المزارعة - باب إذا قال : أكفني مؤنة النخل أو غيره ، ونشركني في الثمر ، وذكره موجزا في كتاب الهبة - باب المنيحة .

وروى الثاني في الفضائل - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار : اصبروا حتى تلقوني على الحوض ، وفي كتاب المزارعة - باب القطائع ، وباب كتابة القطائع .

( الشرح والبيان )

أما أبو هريرة ، وأنس رضي الله عنهما فقد تقدمت ترجمتهما فلا داعي لإعادتها ، والوليد هو ابن عبد الملك بن مروان ، وكان السبب في ذهاب أنس إلى الوليد ابن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي أن الحجاج بن يوسف الثقفي المبير الظالم قد آذى أنسا رضي الله عنه وهو بالبصرة فخرج برفقة تلميذه يحيى بن سعيد الأنصاري حتى قدم دمشق ، فشكاه إلى الخليفة الوليد ابن عبد الملك بن مروان فأنصفه منه ، وأزال شكايته .

« قالت الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم » :

الأنصار جمع نصير كشريف وأشراف وشهيد وأشهاد وهو علم على قبيلة الأوس والخزرج ، والأوس ينسبون إلى الأوس ابن حارثة، والخزرج ينسبون إلى الخزرج ابن حارثة ، وهما ابنا قيلة ـ بفتح القاف وسكون الياء ، وفتح اللام ؛ آخره هاء ، وهو اسم أمهم ، وأبوهم حارثة بن عمرو ابن عامر الذى يجتمع إليه أنساب الأزد .

والأنصار اسم إسلامى ، سمى به النبى صلى الله عليه وسلم الأوس ، والخزرج[1] لأنهم نصروه وآووه ، وأصحابه وآثروهم على أنفسهم ، ومنعوا النبى مما يمنعون منه نساءهم ، وأبناءهم ، ووفوا له بما عاهدوه عليه فى العقبة الأولى والثانية .

وإن المتأمل فيما قام به السادة الأخيار الأنصار ـ رضى الله عنهم وأرضاهم ـ تجاه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرين ليعجب مما فعله هؤلاء القوم ، ولو ذهب يتلمس الأسباب فلن يجد إلا سبب الأسباب ، وهو أن ذلك كان بفضل الله ورحمته ، لا بصنع بشر ، وحكمته ، وسياسته ، وصدق الله تبارك وتعالى فى قوله : « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين . وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم »[1].

ذلك أنه لم يلتق النبى صلى الله عليه وسلم بالأنصار فى العقبة إلا سويعات تحت جنح الليل ، واكتفى منها بعرض الإسلام ، وأخذ العهود ، والمواثيق عليهم ، ولم يطل لقاؤه معهم قبل الهجرة حتى يكون هذا الذى فعلوه بسبب تربية النبى صلى الله عليه وسلم إياهم ، وطول تعهده لهم كما فعل مع المهاجرين حتى كون منهم رجالا أبطالا ، ولم يكن بين دخولهم فى الإسلام ، وقيامهم بهذه المآثر إلا أقل من عام ، وقد سمعت فيما مضى طرفا من لقائهم للرسول، وإكرام

(١) صحيح البخارى ـ باب مناقب الأنصار ففيه أنه : سئل أنس « أرأيت اسم الأنصار كنتم تسمون به ، أم سماكم الله به ؟ قال : بل سمانا الله به » .

(١) الأنفال : ٦٢ ، ٦٣ .

وعادته ، وذلك في حديث الهجرة[1] .

ولم يكن شعورهم تجاه إخوانهم المهاجرين بأقل من هذا ، فقد فتحوا لهم قلوبهم قبل أن يفتحوا لهم بيوتهم ، ووسعوهم بصدورهم قبل أن يسعوهم بأموالهم وتسابقوا إلى لقائهم وإكرامهم حتى لم يجدوا بدا في بعض الأحيان من تحكيم القرعة بينهم وضربوا في باب الإيثار ، وسخاء النفس ، وكرم الطبع مثلا عليا لا تزال تذكرها لهم الأجيال المتعاقبة بالإكبار ، والإعظام ، وأقرب شاهد على هذا ما ذكرناه في المقال الماضي مما كان بين سعد بن الربيع الأنصاري وأخيه في الله عبد الرحمن بن عوف المهاجري ؛ وأعتقد أن القراء الكرام على ذكر منه ومن هذه المثل العليا ما رواه أبو هريرة في هـــذا الحديث « اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل » .

النخيل : جمع نخل كعبد وعبيد وهو جمع نادر كما قال صاحب الفتح . والمراد بإخوانهم المهاجرون ؛ وقـــد جاءوا يعرضون ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم عن طواعية واختيار ؛ بل عن حب وإيثار ؛ وما كانوا - علم الله - إلا صادقين فيما يقـولون ؛ مخلصين فيما يعرضون قال : « لا » .

القائل : « لا » هو النبي صلى الله عليه وسلم بالنيابة عن المهاجرين ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم يعلم أن الأنصار قد قاموا لإخوانهم المهاجرين بالكثير من الإرفاق والبذل ، والعطاء ، والإيثار ، وأن الدنيا ستفتح على المسلمين ، وسينال المهاجرين منها الخير الكثير من الأموال . والعقار فآثر أن يبقى للأنصار عقارهم ولا سيما والنبي صلى الله عليه وسلم يعلم أيضاً أن المهاجرين لا تطيب أنفسهم باقتسام العقار ، والبساتين مع إخوانهم الأنصار فمن ثم قال : « لا » .

فلما فهم الأنصار ذلك جمعوا بين المصلحتين : امتثال ما أمرهم به النبي صلى الله عليه وسلم وهو الإبقاء على نخيلهم ، وتعجيل مواساة إخوانهم المسلمين فسألوهم أن يساعدوهم في العمل . ويشركوهم في الثمر ، وهو أمر وسط . وفيه رفق بالطرفين .

« فقالوا : تكفونا المؤنة ، ونشرككم في الثمرة » القائل : هم الأنصار رضوان الله عليهم . المؤنة : هو ما يحتاج النخيل من حرث وسقى ، وحمل ، ورعاية .

(1) انظر عدد المحرم ١٣٩٣ بمجلة الأزهر

نشركم : هو بفتح النون ، وسكون الشين ، وفتح الراء أى نقتسم معكم ثمر النخيل « قالوا : سمعنا وأطعنا » .

القائل هم المهاجرون أى سمعنا لما عرضتم ، وأطعنا ما عرضتم ، وهذا من أدب المهاجرين مع إخوانهم الأنصار ، وهكذا نجد أنهم بادلوهم حبا بحب وأدبا بأدب فرضى الله عن الجميع .

قوله فى الحديث الثانى دعا النبى صلى الله عليه وسلم الأنصار أن يقطع لهم البحرين .

البحرين : إقليم من أقاليم الجزيرة العربية على الخليج العربى ، وأشهر مدنه البحرين ، والنسبة إليها بحرانى ، والبحرين من البلاد التى أسلم أهلها قديما بعد الهجرة ، وكان أميرها العلاء بن الحضرمى وكان النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يكافئهم على ما قدموا له وللمهاجرين من بر ، ومواساة وإيواء ، ولكن القوم سموا ، وأبوا إلا أن يكون عملهم لوجه الله لا يريدون عليه من أحد جزاء ولا شكورا وهذا هو الظن بالأنصار وهذا هو معنى قولهم : لا ، إلا أن تقطع لإخواننا المهاجرين مثلنا » .

« قال : إما لا فاصبروا حتى تلقونى ، إنه سيصيبكم بعدى أثرة » .

« إما لا » أصلها إن مكسورة الهمزة ساكنة النون المخففة ، وهى الشرطية ، و « ما » زائدة ، و « لا » نافية ، فأدغمت النون فى الميم ، وفعل الشرط محذوف وتقديره « تقبلوا » أو « تفعلوا » والمعنى إما لا تقبلوا ما عرضته عليكم فاصبروا حتى تلقونى ، وفى رواية « حتى تلقونى على الحوض فإنه سيصيبكم بعدى أثرة » .

الضمير فى « فإنه » ضمير الشأن يعنى فإن الحال والشأن أنه سيصيبكم بعد موتى أثرة والأثرة بفتح الهمزة ، والثاء ، وفتح الراء ، وهى الاستئثار ، وهو خلاف الإيثار وضده وروى بضم الهمزة ، وسكون الثاء وهو بمعنى الأثرة ، والمراد الاستئثار عليهم بالإمارة ، وبالأموال ، وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا إلى أن الأمر كما وصف صلى الله عليه وسلم ، وهو معدود فيما أخبر به من الأمور الآتية ، فوقع كما قال ، فكان من معجزاته صلى الله عليه وسلم .

وإن شئت أروع من ذلك فى باب الإيثار وأعجب فإليك ما روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأنصار : « إن شئتم قسمتم للمهاجرين

من أموالكم ، ودياركم ، وتشاركونهم في هذه الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم أموالكم ، ودياركم ، ولم تقسم لكم شيئا من الغنيمة ، فقالت الأنصار : « بل نقسم لهم من أموالنا ، وديارنا ، ونؤثرهم الغنيمة ، ولا نشاركهم فيها » !!! ذكره البغوي في تفسيره .

يا لله لهذه النفوس الكريمة الأبية ، المؤثرة غيرهم على أنفسهم ، حتى ولو كانت بهم حاجة وفقر ، فلا عجب أن أنزل الله في الأنصار قرآنا يتلى إلى يوم الدين وصدق الله حيث يقول : « والذين تبوأوا الدار والإيمان [1] من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة [2] ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون [3] » . ولا عجب أن قال فيهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مشيدا بمناقبهم وفضلهم : « لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار » وأن جعل حبهم علامة الإيمان ، وبغضهم علامة النفاق فقال : « آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار » وقال : « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق . فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » روى الثلاثة البخاري ، وأن أوصى بهم المسلمين بعده خيرا فقد حدث أنس بن مالك قال : « مر أبو بكر ، والعباس - رضي الله عنهما - بمجلس من مجالس الأنصار ، وهم يبكون فقال : ما يبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم منا ، فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك قال : فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب على رأسه حاشية بردة ، فصعد المنبر ، ولم يصعده بعد ذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي ، وعيبتي [1] ، وقد قضوا الذي عليهم ، وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم » رواه البخاري . فرضي الله عن الأنصار وأرضاهم كفاء ما قدموا للإسلام والمسلمين من عون ونصرة ؟

د . محمد محمد أبو شهبه

---

(١) أي وأحبوا الإيمان .

(٢) فقر وحاجة . (٣) الحشر : ٩ .

(١) بطانتي وخاصتي ، وقوتي ، وموضع سري ، وهذا من الكلام البديع الذي لم يسبق إليه صلى الله عليه وسلم .

# رؤية جديدة للتاريخ بأعين الأعداء

للأستاذ أحمد موسى سالم

---

عبر الأشهر الماضية حذرت هذا التحذير الوئيد فى مجلة الأزهر من هذه الحركة الهدامة التى انتشرت بين بعض المثقفين العرب - فى مصر وغيرها - للافتراء على حقائق التاريخ الإسلامى، وعلى الأمة العربية بالذات، باعتبار هذا التاريخ بماصح من أطواره الاجتماعية وتأكيداته القومية هو ضوؤها الذى ترى به الماضى كما كان، وتستبق به إلى المستقبل كما ينبغى أن يكون.

ولقد تعددت إشاراتى فى مقالات التحذير إلى أن توقيت هذه الحملة الظالمة على التاريخ الإسلامى يأتى والأمة العربية تعانى فى حربها المصيرية جراح انقساماتها، وتصدعكلتنا بديها تشكيكات أعدائها - من اليهود وحلفائهم - فى أى مستقبل لها يقوم على وحدة شعوبها، وعقيدة إيمانها، كما كشفت فى بعض كتب المستشرقين اليهود والاستعماريين والماركسيين عن هذه الأقوال نفسها التى لم تكن أفواه المثقفين العرب وهم يتعالمون بها باللغة العربية «المكسرة» إلا أبواقا نشطة لهؤلاء المستشرقين، المدربين فى المعاهد الصهيونية والاستعمارية والأمية على هذه المهام المتنوعة، لتشكيك الأمة العربية فى دينها وقوميتها وتاريخها بمختلف هذه النظريات البسيطة والمركبة القديمة والجديدة، حتى تيأس من إمكان تحقيق «ذاتها التاريخية» فى هذا العصر، فتنحل من داخلها إلى أشلاء وفلول متدابرة تتلقفها «أذرع هذا الأخطبوط الهائل والمخيف فى عصرنا وهو العنصر الأيدلوجى ونظرياته المذهبية الإلحادية الجاهزة»!!

ولما كان بعض هؤلاء المثقفين المروجين لبعض هذه النظريات هم بكل الأسف مدرسون التاريخ الإسلامى فى بعض جامعاتنا؛ فقد اجتهدت فى مقالات التحذير السابقة أن لا أوسع القضايا، وأن أحصر الانتباه فى قضيتين أساسيتين:

الأولى - أن لا تسمح الدولة فى أى بلد عربى يدين أهله بالإسلام بتدريس

التاريخ الإسلامى لأبنائها فى الجامعات وغيرها بهذه الطريقة المقلوبة التى تقع بها ولا شك جريمة إفساد الأجيال العربية من حيث أننا نقدم لها ونحن نعدها لحرب طويلة مع العدو تاريخها خلال الأربعة عشر قرنا الأخيرة برؤية أعدائها وأفكارهم وأهدافهم ..

الأحرى - أن تكون هذه الآراء - بعيدا عن رحاب الجامعات ومحاولات التسلل إليها - موضع حوار مفتوح فى الضوء ، والهواء النقى ، حتى يصح منها الصحيح ، ويبطل الزائف ، بمشهد ومشاركة من أصحاب الحق والرأى ، وبذلك يتحقق لجميع أصحاب الآراء أن يمارسوا حرية الرأى والتعبير ، بعيدا عن شبهة القسر أو الضرار ، منهم أو عليهم .

كذلك فإن من باب التيسير على من يحب أن يفهم ركزت المواجهة لهذه الآراء غير المسئولة فى موضوعات التاريخ الإسلامى فى الموضوع الخطر منها ، والغم القابل للتفجير والتدمير وهو الزعم المتكرر بعد هزيمة ٥ يونيو بأن « حركة القرامطة الباطنية - التى تجمع بين الدعوة للإلحاد فى الإسلام والإثارة الشعوبية ضد العرب - هى التجربة الرائدة فى التاريخ الإسلامى للاشتراكية التى اجتهدت فى تطبيق مفهوم العدالة الاجتماعية فى الإسلام » !

ولا شك أن خطورة هذا الزعم تتجلى عندما نتصور سهولة انزلاق الجماهير من العرب المسلمين بقوة أشواقهم المعاصرة إلى التحول بمجتمعاتهم نحو عدل يوحى به الإسلام إلى تقبل مثل هذه الشنشنة القرمطية ، فى الوقت الذى تجهل فيه هذه الجماهير طبيعية هذه المعتقدات السرية الدموية فى اللاهوت القرمطى ، والذى ألله نظريا عبادة أرباب من البشر يحكمون وراء الأقنعة بأيدى دعاتهم المجهولى الأسماء بدورهم ، كما أن أقله فى التطبيق الذى حكى عنه التاريخ قيام عصاباتهم التى تمركزت فى البحرين بقيادة الفارسى المسمى أبو طاهر الجنابى بنهب المسلمين العرب واستباحة دمائهم فى كل مكان ، ثم اقترافهم هذه المذبحة الكبرى للحجاج تحت أستار الكعبة وحولها حيث قتلوا نحو ٣٠٠٠٠ من الرجال والنساء ، ونهبوا كل ما استطاعوه من الأموال سنة ٣١٢ هـ و٩٢٤ ميلادية !

**الصحوة ضد الخطر :**

لم تكن هذه الغزوة الفكرية الشرسة وهي تمضي بموازاة التصعيد الصهيوني في مختلف الساحات لتمر في محاولات التسلل والتغلغل دون أن تحرك انتباه الأمة وصحوتها ضد هذا الخطر ، فظهرت في مقابل الحملة الظالمة مؤلفات ونداءات للمواجهة والتفنيد والتحذير . أذكر منها كتاب الدكتور أحمد محمد جمال أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة الملك عبدالعزيز بالسعودية الذي صدر أخيراً بعنوان « مفتريات على الإسلام » وفيه يرد على المفتريات القرمطية في الطبقة البيروتية الحديثة لكتاب المستشرق الماركسي بندلي جوزي « من الحركات الفكرية في الإسلام » هذا الكتاب الذي أصدره بندلي في طبعته الأولى سنة ١٩٢٨ في القدس ليكون مصدر نظريته عن « جمهورية القرامطة الشيوعية الأولى بين المسلمين » وليتجه به كما ذكر فيه « إلى الشباب العرب الذين حرروا عقولهم من الخرافات الاجتماعية والدينية والقومية » !

على هذا المستشرق المبتدع النظرية القرمطية التي أخذ بها بعض المثقفين العرب حديثاً يرد الدكتور جمال في كتابه فيقول :

« إن الأحداث التي أرخ لها هذا المستشرق ليست عربية وإنها ضد العرب وضد الإسلام ، فالطوائف التي تحدث عنها وهي الإسماعيلية والقرامطة والبابلية ليست من الإسلام في شيء . إن بندلي جوزي ذلك الشيوعي الأصيل قد بارك هذه الحركات على أساس أنها حركات ومبادىء شيوعية . وكان عليه لو كان أميناً أن يسمى كتابه « من تاريخ الحركات المعادية للإسلام » !

ومع نفس الصوت في السعودية يرتفع في صوت الدكتور سيد الناصري مدرس التاريخ في جامعة القاهرة ليحذر من هذه العملية الجارية لتزوير التاريخ الإسلامي لصالح القرامطة « الشيوعيين » كما يراد أن يعاد تشكيل حركتهم الشعوبية الإلحادية ، فكتب في جريدة الأخبار في الشهر الماضي يقول :

« إن مشكلتنا الرئيسية أننا نعاني من غيبة مدرسة أصيلة للتاريخ بدلا من ربطنا بركاب المدارس الأوربية ، ومن فرض أفكار فلسفية غريبة على هذا

الشعب ، وليس فى مقدورنا إلا أن نصفها بالتزوير التاريخى ، فلقد وصل بنا الحال إلى تصور القرامطة مثلا وهم أحد المجتمعات الفارسية الأصل والتى عاشت قرب البحرين زمن الفاطميين بأنهم - كما اعتبرهم بعض مدرسى التاريخ - اشتراكيون وماركسيون ، وبأنهم أول من سار إلى اليسار من العرب العاربة والمستعربة ، ! !

قرامطة العصر :

إن خطر هذا التزوير المتزايد للتاريخ الإسلامى متمثلا فى أحبولة ، الاشتراكية القرمطيـة ، وفى التغنى على ربابة « البورجوازية العربية » و « الهرقلية الأموية » و « الكسروية العباسية » إنما يتأكد إذا علمنا أن هناك حركة فعلية لترويج وتنظيم الأفكار المهزومـة والمقدومة باتجاه بعث رفات قرامطة ذاك الزمان فى نشاط ومغامرات هذا العصر .

فلقد صدر فى السنوات الأخيرة أكثر من كتاب عن قرامطة انشقت عنهم القبور بعصا المغريات الأيديولوجية التى ربطت كالجزرة أمام أنوفهم ، فقاموا يتحدثون ويعترفون بالوجود المستمر للحركة القرمطية ، ويبشرون بها ، فمن ذلك كتاب أصدره عارف تامر أحد أبناء بلدة سلمية - بين حماة وحمص - التى كانت الوكر الأول لزعماء الإسماعيلية والقرامطة من أمثال ميمون القداح ، وفى هذا الكتاب عن « القرامطة » يقول صاحبه :

« نحن مطمئنون بأن الحركة القرمطية ما زالت حتى يومنا هذا باقية وقائمـة ومنتشرة ، تتطور حسب العصور والأزمان ، وتتكيف حسب المجتمع والبيئـة » .

يريد عارف تامر أن يقول أن قرامطة العصر مع تمسكهم بمعتقداتهم فى ألوهية البشر ، وكراهيتهم للإسلام الذى اتحد به العرب ، يستطيعون أن يلبسوا على هذه المعتقدات فى هـذا العصر ثوب « الاشتراكية الثورية الصحيحة » وذلك على الرغم من أن عارف تامر نفسه قد سعد يوما ما فى سنة ١٩٥٥ باستقبال أغا خان الرب الأعلى للقرامطـة والإسماعيلية الذى زار سلمية ومعه صديقته الفرنسية ، وأنه بكل ما فى

عبودية البشر للبشر من عنف و«انقلاب» قد انحنى في تيار عقيدته ليلثم مع آلاف المستقبلين العابدين ظل حذاء ذلك الرب، وأنه قد أدرك تماما في تلك اللحظة - دون أن يكتب ذلك لنا ليسرنا به - معنى حركة التطور التاريخي العظيم بالعد السلبي وإلى الوراء، بمفهوم الاشتراكية القرمطية القديمة والحديثة، أي التطور من عدالة الإسلام وحكمه العلمى الجمهوري إلى ظلمة الوثنية وحكم كسرى ومتيرا، واهريمان وأغا خان !! . كذلك لم يكتب لنا عارف تامر في كتابه الذي يبشر به لصالح القرمطة كيف أن الرب الذي لثم ظل حذائه على التراب لم يكن ضابطا في جيش الشيوعية الثورية الأممية الصحيحة، بل كان بكل فخـــر ضابطا (كولونيلا) في جيش بريطانيا قاهرة الشعوب، وناهبة المستعمرات، وصانعة إسرائيل !!

أشعث جديد :

ثم أتجاوز ذلك وكتباً كثيرة من هذا النوع، وعن مصادر هذه الكتب المترجمة إلى العربية من مؤلفات أمثال بندلي جوزى ١٨٧١ - ١٩٤٢، المستشرق الماركسى الذى عاش طويلا فى القدس، والذى بدأ حياته بالتدريس فى معهد للرهبان ثم مضى للتدريس فى جامعتى قازان وباكو الروسيتين، وذلك حتى أصل إلى الحديث عن هـذا الكتاب الضخم الذى صدر أخـيراً بالقاهرة بعنوان «الحركات السرية فى الإسلام» للدكتور محمود إسماعيل عبد الرازق مدرس التاريخ الإسلامى بآداب عين شمس وهو نفس العنوان والموضوع تقريباً، وبالتأكيد نفس النظرية التى ابتدعها بندلى جوزى أو شارك فى ابتداعها، عن اشتراكية القرامطة، وشيوعية مجتمعهم الأول المضاد للإسلام !

إن هذا الكتاب الذى كان سلسلة مقالات على صفحات مجلة روز اليوسف والذى تحول الآن إلى كتاب أصدرته المجلة نفسها لتمهيده فى ساحة النظريات التاريخية - المستوردة إلى أرض مصر - يضعنا أمام النقطتين اللتين سبق أن أشرت إليهما وهما :

الأولى : التحقق من أن الآراء التى يهدم بها الدكتور محمود إسماعيل عبد الرازق حقائق التاريخ الإسلامى،

ويفرض أصالتها ، ويخضع دلالاتها بالقسر لتيارات فكرية معادية لوحدة الأمة العربية وعقيدتها - ليست مما يقوم الدكتور بتدريسه لشباب الجامعة؛ أومنع ذلك إذا كان يحدث .

الأخرى : المناقشة على نطاق واسع وعبر نوافذ مفتوحة لهذه الآراء في جملتها وتفاصيلها لإحقاق الصحيح ، وإدانة الباطل، في قضية من أخطر قضايا التربية القومية للمواطنين .

هذه المناقشة التي سبق أن قمت ببعض راجعي فيها بالرد والتصويب لآراء الدكتور محمود إسماعيل على صفحات روز اليوسف وفي مقالات ثلاث أعوام فأمهد لاستئنافها بمشيئة الله بمرحلى هذه النقاط الإيضاحية منذ البداية :

أولا : هناك فرق بين حرية الاعتقاد الشخصي وبين ضرورة تأمين الشباب في الجامعات من حرية تشكيكهم في مقومات المجتمع العربي المؤمن الذي يعيشون فيه، ويقاتلون عنه . مثل هذا التأمين قائم بصرامة في الجامعات الشيوعية ، كما أنه قائم بنفس الصرامة في الجامعات الرأسمالية بالنسبة للقيم والأسس الرأسمالية، والفرق واضح ولا شك بين دراسة الفكر الماركسي للاطلاع عليه وبين أن نضع الشباب في حضانة هذا الفكر ، أوغيره، لنبنيهم به ، وننظم أفكارهم عليه في اتجاه مضاد لوطنهم .

ثانيا : أن هذه المناقشة المفتوحة تقتضى أن يدخل في مادتها الأصل الذي نقل عنه الدكتور محمود إسماعيل من كتب المستشرقين ، سواء كان النقل اقتباسا، أوتواردا في الهوى والخواطر أوكنتيجة حتمية للمنهج العلمي الذي يدعى الدكتور محمود إسماعيل بأحاديثه عند تحليل الأحداث التاريخية ، ذلك أن القضية هي قضية وجوه الشبه بين آرائه التي سبق أن لفظها المجتمع الإسلامي وبين المحاولة الاستشراقية الواسعة - بتوقيت مع الغارة الصهيونية على أرض العرب - لتحويل للمنظور التاريخي الإسلامي من دين وشريعة ووحدة إلى إسقاط ايديولوجي شيوعي ينعكس بها هذا المنظور عناصر صراع ايديولوجية محدودة بحدود البروليتاريا البورجوازية ، وممسوخة بمقاييس اليمين واليسار .

ثالثا : لا بد كذلك من مناقشة المنهج

العلمى أو العصرى الشمولى الذى يدعى الدكتور محمود إسماعيل أنه سلم السحرى للوصول إلى ما وصل إليه . ذلك أن الآراء المترجمة عن : بندلى جوزى وشركاه - إيفانوف الروسى ، اليهودى الإنجليزى برنارد لويس، اليهودى الإنجليزى س. م. شتيرن، تلميذ إيفانوف المستشرق الألمانى بول كراوس الخ والتى ملأ بها الدكتور محمود إسماعيل كتابه الصغير تقرر أنه قد اختار لنفسه - بغير حاجة لمنهج علمى - أن يكون هو الأشعث الجديد لدعوة قرمطية فى هذا العصر لا تزال رغم ذكائه النادر غامضة الأصول النظرية فى كتابه، وغريبة ومشبوهة .

إنه بهذا الحماس الذى يشبه الصرع الإيديولوجى لا يمكن أن يكون الدكتور محمود إسماعيل - كاسترى فى مناقشة كتابه إن شاء الله - قد التزم شيئا مما يسميه المنهج العلمى ، أو قريبا من هذا الادعاء الكبير .

ذلك أن كل براهينه وتحليلاته واقتناعاته قد تمت بداخله نفسيا بمجرد أن وجد مرساته ومرتكزه - لسوء الحظ - على هذه الإيديولوجية المختلة طبيا وتاريخيا - والتى تقبل بها أيديولوجيا - قول بطارقة الاستشراق الماركسى المبجلين أن « مجتمع القرامطة فى القرنين الثالث والرابع الهجريين هو الشيوعية الأولى، وإن هذا المجتمع الغامض الدموى والوثنى ، يصبح لذلك عند الدكتور « تجربة رائدة للاشتراكية تجتهد فى تطبيق مفهوم عدالة الإسلام »

بهذا الاضطرار إلى القهر للكلمات ، والقسر فى التعبير وجد الدكتور محمود إسماعيل نفسه بالعقل والوجدان فى سبى أحكام وتفسيرات شمولية مسبقة ، ليست ولن تكون فى رأسه إلا نظاما فكريا مغلقا لا يطيق النقد العقلانى ولا يتحمله

من أجل ذلك تقتضى ضرورة العدل والأمانة العلمية أن نناقش الدكتور محمود إسماعيل فى قضية « للمنهج العلمى » وفى طبيعته برمتها . وأكثر من ذلك فلأن الدكتور الذى جمع مقالاته فى كتابه الصغير بدا وكأنه يتساند وراء قضبان آرائه المترجمة ، فهو على طريقته يقدم كتابه بطريقة عجيبة وغير معقولة إلى من يتصور تناقضا مع نفسه أنهم المموه

( البقية على ص ٤٥٥ )

# الاسلام والصحة النفسية

للأستاذ علي القاضي

---

الصحة النفسية تعبير حديث يقصد به: أن يكون الإنسان قادرا على التوافق مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه بنفس خالية من الاضطرابات مليئة بالتفاؤل والأمل. فالشخص الصحيح نفسيا هو الذي يواجه مشكلات الحياة بأسلوب موضوعي فيحلها وكأنها ليست مشكلة وبذلك لا يهرب منها ولا يقابلها بانفعالات تؤذي ولا تفيد.

والإسلام جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.

والقرآن أنزله الله ليكون شفاء ورحمة للمؤمنين (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) ذلك لأن الإيمان بالله نور يشرق في القلب فتشرق به النفس فيرى الإنسان الطريق أمامه واضحا فلا يصيبه اضطراب ولا قلق.

وعقيدة الإسلام حين تتغلغل في النفس تدفعها إلى سلوك إيجابي سليم يجعل المؤمن مطمئنا ثابتا (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة).

والإسلام يجعل المسلم مرتبطا بالله تعالى في كل خطوة من خطواته فهو يؤمن بالله وحده لا شريك له، ومنه يستمد القوة والعون وهو يتصل به خمس صلوات في كل يوم يتلو في كل صلاة (إياك نعبد وإياك نستعين) عدة مرات، ومن يجعل الله هو العون له فإنه يحس بالأمن والطمأنينة والراحة لأنه يحس بأقوى سند في هذه الحياة.

## الصحة النفسية في الطفولة:

يقول علماء النفس: إن شخصية الإنسان تبدأ في التكوين في الأيام الأولى من الحياة ويتم تكوينها سريعا وتتبلور ملامحها من الصور المتلاحقة التي يستقبلها جهاز الأطفال العصبي والتي تتجمع من سلوك الآباء والأبناء. ولهذا كانت الدعوة إلى الصلاة والتمسك بها والصبر عليها من أهم الأشياء التي دعا إليها الإسلام (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) فالصلاة

تجعل النفس تطمئن فتحس بأنها فى حماية الله فتهدأ من قلق الوحدة وتشعر بالحماية من كل شر إلا ما شاء الله وفى الابتلاء تصبر هذه النفس على البلاء لتنال رضوان الله وتهدأ لأنها تحس بأنها ليست وحدها فى الوجود ، إذ كل ما حولها من صنع الله وهو صديق لها لأن الله سخره لها « سخر لكم ما فى الأرض جميعا » فالنفس المسلمة ليست كالنفس الغربية التى تحس بأن الطبيعة عدو لها فهى لذلك فى صراع دائم معها .

ولقد حرص النبى الكريم على أن يغرس فى الناشئة من أتباع المسلمين أركان الصحة النفسية حتى تكون حياتهم خالية من الاضطرابات والقلق وحتى تكون نفوسهم سليمة ، ومن ذلك أنه أوصى عبد الله بن عباس (وقد أردفه خلفه وهو صبى) بدوام الصلة بالله حتى يدوم له الأمن والطمأنينة فقال له « يا غلام : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك » .

ومن الملاحظ أن بلوغ سن الرشد الدينى للمسلم يأتى فى مرحلة مبكرة عن سن الرشد الاجتماعى وفى ذلك فائدة كبيرة للفرد المسلم ذلك لأنه سيخرج إلى الحياة وهو حامل لرصيد كبير من الأسس النفسية السليمة ومن الصلة القوية بالله ومن يقظة الضمير ومن توافق الإنسان مع نفسه الأمر الذى يجعله يتغلب على صعوبات الحياة وتتزن انفعالاته فى فترة المراهقة بعد أن يكون قد تمكن من السيطرة على كافة نزعاته ؛ وذلك بفضل الإيمان الذى ينتج عن التربية الدينية الصحيحة وهو الدواء لكل مسلم إذ يحل له جميع مشكلاته ويجعله يعيش فى هدوء وأمل مستمر .

مطالب الإنسان فى الحياة :

لكل إنسان مطالب فى الحياة بعضها يتحقق وبعضها لا يتحقق والإنسان إذا أصابه خير فرح واستبشر وإذا أصابه حزن ضاق وحزن وقد يؤثر هذا فى نفسه ويؤثر فى سلوكه وقد يصيبه بالقلق

والأمراض النفسية المختلفة والأمراض الجسمية المتنوعة .

والإسلام يعالج هذه الناحية فيبين للمسلم أن الشيء الذى يحبه قد لا يكون فيه الخير وأن الشيء الذى يكرهه قد لا يكون فيه الضر وعلم ذلك عند الله : « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ، وبهذا يستريح قلب الإنسان فلا يصبح موضع صراع لأنه يحس بأن ما أصابه من خير أو شر هو خير بالنسبة له وإن كان لا يعلم فيه وجه الخير .

وقد يفكر الإنسان فى حل شيء ويقف متردداً هل يقدم أم يحجم ؟ ؟ إن على الإنسان أن يبحث هذا الأمر من جميع الزوايا وأن يستشير فيه أهل الذكر والأصدقاء والإخوة فإن لم يهتد إلى رأى قاطع فعليه أن يستخير الله ويطلب منه العون بأسمى الأساليب فيصلى ركعتين تطوعا ثم يدعو الله بدعاء مخصوص ثم يستخيره، فأى شيء يوجهه الله إليه ففيه الخير ودعاء الاستخارة موجود فى كتب السنة وفى كتب الفقه وهو :

( اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر ( ويسمى حاجته ) خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به ) .

وبهذا يستريح قلبه ويطمئن فؤاده فإن الله الكريم هو الذى أراد له هذا ففيه الخير كل الخير حتى وإن كان لا يظهر له ذلك .

داخل المجتمع الإسلامى :

المسلم داخل المجتمع فى حاجة إلى الأمن والطمأنينة ؛ ولذلك فقد جعل الله الصلة بين المسلمين هى صلة المودة فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى فيه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر فهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه وهو الناصح الأمين له وهو الصديق الذى يشاركه فى أفراحه وأحزانه .

والحب في الله له مكانة عالية والإسلام يوجه المسلمين هذه الوجهة القوية ليستمر فيها ويسير عليها فالمتحابون في الله لهم مكانة عالية عند الله يغبطهم عليها الأنبياء والشهداء : ( إن من عباد الله أناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم من الله قالوا : يا رسول الله من هم ؟ قال : قوم من أمتي تحابوا على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إنهم لفي نور ولا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ) .

والحياة بين المسلمين حياة تعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، والتسامح هو الطريق الذي يزيد المودة بينهم ويبعد البغضاء : « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » ، وكظم الغيظ والعفو عن الناس دليل قوة النفس وتقوى الله ولقد كان الرسول الكريم قدوة في ذلك كله .

والإنسان وحده قد يكون ضعيفا لا يقوى على تيار الحياة وصعوباتها وقد تنتابه الانفعالات المختلفة التي تؤثر على صحته الجسمية والنفسية ولذلك ينصحه القرآن بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، والمسلم بهذا مستقل عن القيم الزائفة في مجتمعه لأنه يؤمن بالقيم التي أقرها الإســـلام .

وتطلع الإنسان إلى ما في يد غيره وتطلعه إلى أن يكتسب أشياء فوق قدراته المادية والجسمية واستعداداته الفطرية يجعل الإنسان دائم الضيق والألم وقد يدفعه هذا إلى الانحراف حتى يصل إلى مثل ما وصل إليه غيره والقرآن يعالج هذه الناحية فيطلب من المسلم القناعة ( ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ) فإن أراد شيئا فليسأل الله من فضله فإن أعطاه شكر وإن لم يعطه صبر وله الثواب في الحالتين . ومع ذلك فقد يكون ما في يد غيره مقصود به الفتنة وقد عافاه الله منها . ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » فتستريح نفسه ويشكر الله الذي عافاه من هذا الابتلاء ويبعد نفسه بذلك عن كثير من المشكلات النفسية وهو بهذا يستعل

من المغريات ولو كان في حاجة إليها ويتوج هذا كله بأن يطلب المسلم من الله أن يصفي قلبه وألا يجعل فيه غلا لأحد «ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا».

والإسلام يعطي للفرد أهميته ويجعل له كيانا مستقلا عن الناس جميعا حتى ولو ظن غير ذلك (كلكم على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتينه من قبله) وهو بهذا يجعله يثق بنفسه ويبعده عن الأمراض النفسية؛ إذ هي نوع من فقدان الثقة بالنفس وفقدان الأمل.

وعلاج هذه الأمراض النفسية يكون بالإيمان الذي ينتج عن التربية الدينية الصحيحة.

## المسلمون في فترات الشدة:

تمر بالمجتمع الإسلامي فترات شدة حين تكون الحرب مستمرة بين الكفار والمسلمين وحين ينهزم المسلمون في موقعة من المواقع فيستولي الحزن على نفوسهم لانتصار أعدائهم عليهم، وحتى لا تتأثر صحتهم النفسية وروحهم المعنوية بذلك يبين لهم القرآن الكريم أن المسلم قوي في كل حالاته ما دام متصلا بالله مؤدياً لواجبه، وعلى المسلمين ألا يهنوا ولا يضعفوا وعليهم ألا يحزنوا ولا ييأسوا فهم الأعلون في كل وقت حتى وإن انهزموا فإن كل ما لاقوه من صعوبة هو في ميزان حسناتهم ومن استشهد فله الجنة، وإلى جانب ذلك فإن الأعداء قد أصابهم من الشدة مثل ما أصاب المسلمين وما هذه الهزيمة إلا اختبار لمدى صبرهم على البأساء والضراء حتى يتبين الصادقون من غيرهم «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين. إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين. وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين».

ثم يطلب الله جل شأنه من المسلمين أن يكونوا متفائلين دائماً وأن يبعدوا الناس عنهم فإن المؤمن متفائل دائماً (ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) ويطمئنهم بأنه معهم دائماً إذا سألوه فإنه قريب منهم يجيبهم إذا دعوه (وإذا سألك عبادي

عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان ) . وهذا نهاية الأمن والطمأنينة التى يحتاج إليها الإنسان .

وفى ظلال التربية الإسلامية لا نجد شيئاً من الأمراض النفسية التى تجعل حياة الناس جحيما لا يطاق .

وفى ظلال التمسك بالقيم الإسلامية يعيش الناس جميعاً فى رضا وفى هدوء وفى سعادة، كل فرد يحس بكيانه يعرف حقوقه وواجباته يحس بأن من فى الكون وما فى الكون صديق له فالناس إخوة له يحبونه ويتعاونون معه ويعملون معه فى سبيل هدف مشترك لخير الناس جميعاً والطبيعة كلها مسخرة لمصلحته يستخدمها بالطريقة التى تفيده . وبذلك يرضى عن نفسه وعن مجتمعه ويرضى عنه مجتمعه وهذا نهاية ما يؤمله كل مجتمع من المجتمعات التى تريد أن تحيا حياة سعيدة؟

على القاضى

---

( بقية المنشور على ص ٤١٠ )

هذه الآراء . ثم هو قد سمح لنفسه ، ولأمانته العلمية المزعومة أن يحذف من ردودى عليه التى نشر جزءا منها فى كتابه هذا الرد الذى تناولت فيه بالدليل العلمى تزييف ما يدعيه من منهجه العلمى !!.

ومع كل ذلك ، فسأحاول بمشيئة الله أن أصل من مناقشة هذا الكتاب إلى إلى إيضاح ما هو هدف فى الحقيقة منها وهو تيسير الخروج لجميع من يفكرون على طريقة الدكتور محمود إسماعيل من مثل هذه الورطة الفكرية الانهزامية فى تناول أحداث التاريخ الإسلامى هذه الطريقة التى تجعل الموقف الأساسى لكل منهم بالأيدلوجية على طرف نقيض مع الموقف الأساسى للعلم ،ناهيك بالموقف المتناقض والمتعسف ، مع القومية والإسلام ؟

أحمد موسى سالم

# آداب تلاوة القرآن

للدكتور لبيب السعيد

---

كتاب « آداب تلاوة القرآن » بعض موسوعة « إحياء علوم الدين » للإمام أبي حامد الغزالي المتوفى سنة خمس وخمسمائة من الهجرة ، وهي الموسوعة الإسلامية الباهرة والزاخرة بالمعارف والأفكار الصوفية والفقهية والأخلاقية.

وقد شمل كتاب آداب تلاوة القرآن أربعة أبواب تسبقها مقدمة قصيرة .

(والباب الأول) في فضل القرآن وأهله وذم المقصرين في تلاوته .

وهنا ساق الغزالي كل ما أورده الحديثيون في فضل القرآن . وجزى الله خيراً عالم السنة العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ في كتابه الدقيق النافع : « المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار » عزا كل حديث في « الإحياء » إلى مخرجه ، وبين صحته أو حسنه أو ضعفه أو أنه ليس له أصل في كتب الأصول .

وأورد الغزالي - على عادته في موسوعته الجليلة - أقوالا رائعة لبعض الصالحين في فضائل القرآن الكريم .

وفي كلام الغزالي عن ذم المقصرين في تلاوة القرآن ، استطرد إلى ذم تلاوة الغافلين وهم - كما يعرفهم - الذين يحملون القرآن ، ومع ذلك يعصون منزل القرآن.

° ° °

(والباب الثاني من الكتاب)

موضوعه : ظاهر آداب التلاوة .

ويحصر الغزالي هذه الآداب في عشرة:

(أولها) : حال القارىء ، وأفضل أحواله - عند الغزالي - أن يكون متوضأ وقائماً يصلي .

(والأدب الثاني) : يتعلق بمقدار القراءة ، والغزالي يؤثر الاعتدال في تحديد القدر المقروء ويكره الاقتصار كما يكره الاستكثار .

(والأدب الثالث) : موضوعه : وجه قسمة المصحف . وهـذا أمر يصرح الغزالي بحق بأنه لاحرج من الاختلاف فيه ، وأن أغلبه محدث .

( والرابع ) : فى الكتابة . ومؤداه : استحسان تبيين كتابة القرآن .

( والخامس ) : فى الترتيل . ويذكر الغزالى أنه الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فإن للعجمى الذى لايفهم معنى القرآن يستحب له فى القراءة أيضا الترتيل والتؤدة ، لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام ، وأشد تأثيرا فى القلب من الهذرمة والاستعجال .

( والسادس ) : البكاء ، فنى الحديث : « اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا » .

ووجه البكاء عند القراءة أن يتأمل القارىء تقصيره فى أوامر القرآن وزواجره ، فيحزن لا محالة ، ويبكى ، فإن لم يحصل فليبك على فقد الحزن ، فإن ذلك أعظم المصائب .

( والسابع ) مراعاة حق الآيات ، كالسجود إذا مر بآية سجدة أو سمعها .

( الثامن ) الاستعاذة بالله عند بدء التلاوة ، مع التسبيح أو التكبير ، أو الاستغفار أو الاسترحام أو الاستعاذة وذلك بحسب ما تقتضيه الآيات ، وأخيرا الدعاء عند انتهاء القراءة .

( والتاسع ) الجهر بالقراءة ، والعبرة هنا بالنية ، فإذا كان الجهر أبعث على القراءة وأقوى فى إيقاظ الغافل ، فهو أفضل ، وإن كان الإسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو ـ فى حق من يخاف ذلك على نفسه ـ أولى وأجدر .

( والعاشر) : تحسين القراءة ، وترديد الصوت بها من غير تمطيط مفرط يغير النظم ، فذلك سنة ثابتة .

• • •

( والباب الثالث من الكتاب )

موضوعه : أعمال الباطن فى التلاوة .

وهذه الأعمال عند الغزالى عشرة أيضا :

( أولها ) فهم عظمة الكلام وعلوه ، ولطف الله بخلقه ، حيث أوصل معانى كلامه الذى هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه ، وهى أفهام قاصرة .

(والثانى) التعظيم للمتكلم ، حيث يذكر القارىء أنه يتلو كلام الله عز وجل ، ويتفكر فى صفاته سبحانه وتعالى ، وفى جلاله وأفعاله . وكما لا يمس القرآن إلا المطهرون جسدا ، فكذلك لا يمسه إلا المطهرون قلبا .

(وثالث أعمال الباطن فى التلاوة عند الغزالى) : حضور القلب وترك حديث النفس ، والاستغراق فى خيرات القرآن والانشغال به عما سواه .

(والرابع) : التدبر ، وهو مقصود القراءة وثمرتها . وقد روى بسند صحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، فرددها عشرين مرة وأنه صلوات الله وسلامه عليه قام ليلة بآية واحدة يرددها ، وهى :

« إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » .

(والخامس) : التفهم . ومعناه أن يستوضح من كل آية ما يليق بها .

فإذا قرأ أسماء الله تعالى وصفاته تأمل فى معانيها لتنكشف له أسرارها .

وإذا قرأ أفعاله سبحانه تأمل فى عجائبها ليفهم منها صفاته عز وجل ، أى ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع .

وإذا قرأ أحوال الأنبياء عليهم السلام وأحوال مكذبيهم انفتح له باب التفهم لقدرة الله الذى نصر أنبياءه وهزم أعداءه .

(وسادس أعمال الباطن فى التلاوة) : التخلى عن موانع الفهم ، وهى عند الغزالى : صرف الهمم إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها ، فيشغله ذلك عن تفهم المعانى .

ولعل هذا الرأى من الغزالى ، أن يكون مبالغاً فيه : فإن العناية بألفاظ القرآن هى أول السبيل إلى فهم معانيه ، والتفريط فى قواعد التجويد يتغير به وجه الكلام ، ودقة الأداء القرآنى سنة لا مناص من اتباعها . وماذا يخاف الغزالى إعطاء الحروف القرآنية حقوقها وترتيبها ورد كل منها إلى مخرجه وأصله والنطق به على كمال هيئته .. هذا كله مشروط دائماً بالبعد عن الإسراف والتعسف والإفراط والتكلف ؟

ومن حجب الفهم فى رأى الغزالى : التعصب لمذهب ما بغير بصيرة ومشاهدة.

ومن الحجب : الإصرار على الذنب ، والاتصاف بالكبر ، والخضوع للهوى ، والاعتماد - فى التفهم - على النقل عن القدامى دون اجتهاد فى الرأى .

(أما العمل السابع) فهو التخصيص . ويقصد به الغزالى أن يذكر القارىء أنه المقصود بكل أمر أو نهى ، أو وعد أو وعيد فهذا أدعى إلى تأمل القرآن والعمل بمقتضاه .

( الثامن ) : التأثر : فالقارىء يخاف الوعيد ، ويستبشر بالوعد ، ويخضع لجلال الله ، ويستقبح مقالة من لم ينزهوا الله ، ومن قالوا اتخذ الله ولدا . وعند وصف الجنة يشتاقها ، وعند ذكر النار يرتعد خوفا . فهكذا يخرج القارىء عن أن يكون مجرد حاك فى كلامه .

( والتاسع ) هو الترقى . وأدنى درجاته أن يقدر القارىء أن الله ناظر إليه ومستمع منه ، فيكون حال القارىء التضرع . والدرجة الثانية : أن يذكر أن الله يخاطبه ويناجيه ، ومقام القارىء هنا : الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم . وهذه درجة أصحاب اليمين . أما الدرجة الثالثة : فهى أن يرى فى الكلام المتكلم ، وفى الكلمات الصفات . وهذه درجة المقربين .

وآخر الأعمال الباطنة فى التلاوة عند الغزالى ) : التبرى أى أن يتبرأ القارىء من حوله وقوته ، فهو لا يشهد نفسه عند مدح الصالحين ، وإنما يتمنى أن يلحقه الله تعالى بهم . وهو عند ذم العصاة يشهد على نفسه ، ويقدر فى خوف أنه المقصود .

ويعقد الغزالى بابا رابعا فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى .

والغزالى يسوق الأخبار والآثار التى تدل على أن فى معانى القرآن متسعا لأرباب الفهم ، وأن المسلمين مكلفون تعلم القرآن والعمل بما فيه .

وأبطل الغزالى أن يكون معنى ماورد فى النهى عن تفسير القرآن بالرأى أن لا يتكلم أحد فى القرآن إلا بما يسمعه ، لأن السماع لا يكون إلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا لا يصادف إلا فى بعض القرآن ، والتفاسير مختلفة ، ولا يمكن أحيانا الجمع بينها ، فكيف تكون كلها مسموعة ؟

وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس ، وقال : « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » فإن كان التأويل مسموعا كالتنزيل ، ومحفوظا مثله ، فما معنى تخصيص ابن عباس بذلك ؟

وقوله تعالى : « لعلمه الذين يستنبطونه منهم » يجيز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه . وعند الغزالى أنه لعل النهى عن التفسير بالرأى أن يكون قد نزل على أحد وجهين :

(أحدهما) التأول وفق الرأى والهوى وبعلم أو جهل، وبحسن نية أو بسوء نية.

(وثانيهما) التفسير بظاهر العربية من غير استعانة بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن فيقع الغلط.

ومن هذه الغرائب: الإيجاز والتطويل والإضمار والحذف والإبدال والتقديم والتأخير.

ويورد الغزالى عشرات الأمثلة لهذه الغرائب مبيناً أنها لا تفهم على وجهها الصحيح إلا بالسماع.

وقد يكون مفيداً أن نختار من هذه الأمثلة اثنين نجمل قول الغزالى فيهما:

الأول: عند الكلام عن الإيجاز بالحذف والإضمار كما فى قوله تعالى: «وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها»، فظاهر العربية يوهم أن الناقة كانت مبصرة غير عمياء، وظاهر العربية أيضاً يسكت عن معنى: «فظلموا بها»، ولكن النقل والسماع يؤديان المعنى الصحيح إلى الأفهام. وهو أن الناقة كانت آية واضحة فظلموا أنفسهم بقتلها.

والثانى عند الكلام عن اللفظ المبهم، وهو الذى تتعدد معانيه والذى يمثل له الغزالى بلفظ (أمة) فهذا اللفظ فى قوله تعالى: «وجد عليه أمة من الناس يسقون» يعنى: الجماعة.

وفى قوله سبحانه: «إن إبراهيم كان أمة قانتاً» يعنى: الرجل الجامع للخير والمقتدى به.

وفى قوله عز وجل: «إنا وجدنا آباءنا على أمة» يعنى: الدين.

وفى قوله تبارك وتعالى: «إلى أمة معدودة» وقوله: «وادكر بعد أمة» يعنى: الحين والزمان.

وبعد: فكتاب آداب تلاوة القرآن للغزالى هو - ككل إنتاج حجة الإسلام - غنى جداً بالمعارف والأفكار الروحانية.

رحم الله الغزالى، ونفعنا دائماً بالقرآن؟

د. لبيب السعيد

# أعشاب خبيثة في حقول الجامعة :
# (كتاب التاريخ السياسي للدول العربية)

للأستاذ علي عبد الحليم

---

المؤلف من أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب بجامعة عين شمس ، وكان عليه أن يقدر المسئولية وأن يرعى الأمانة العلمية وأن يعتمد في أبحاثه ودراساته على المراجع التاريخية الأصيلة التي عاصر مؤلفوها الأحداث أو نقلوها بأمانة عمن عاصرها وشارك في أحداثها ؛ ولكنه اعتمد على المبشرين والمستشرقين المتعصبين الذين تمتلىء قلوبهم بالأحقاد المتوارثة على الإسلام والمسلمين والذين أعمتهم العصبية الحمقاء فأضلتهم عن سواء السبيل .

ومن الغريب أنه يسرد آراءهم دون مراجعة أو تمحيص وينقلها كأنها حقائق ثابتة ويلقنها لتلاميذه ويلزمهم بها كأنها أحكام صحيحة لا تحتمل البحث أو الجدال وليس هذا شأن الأساتذة الجامعيين الذين يرعون الأمانة ويقدرون المسئولية ويتحرون الحقائق من مصادرها الأصيلة ويراجعون أنفسهم مراجعة دقيقة قبل إصدار الأحكام الحاسمة التي تشوه التاريخ العربي وتلطخ القيم الإسلامية العليا بأبشع الأكاذيب والمفتريات .

ولو كان الأمر مقصوراً على كتاب يؤلفه صاحبه ويحشوه بما يشاء من آراء المنحرفين المتعصبين لهان الأمر ، ولكنه كتاب جامعي مفروض على طلبة الكلية فرضا منذ سنوات يتلقاه الطلبة عن أستاذهم واثقين به ليرددوا ما فيه - بعد ذلك - على عشرات الآلاف من تلاميذهم في التعليم العام عاما بعد عام .

والمؤلف يعلم أن هناك مستشرقين منصفين درسوا الحضارة الإسلامية والتاريخ العربي دراسة علمية عميقة بعيدة عن الهوى والتعصب وأنصفوا العرب والمسلمين وعززوا آراءهم بالأدلة الحاسمة والبراهين القاطعة معتمدين على الآثار الإسلامية الباقية والتراث العربي الخالد ، ولكن المؤلف تحاماهم جميعاً واستباح لنفسه أن يسرد آراء المتعصبين الحاقدين

دون دليل أو برهان كأنه يشفى غليلا فى نفسه أو يشبع ما حملته طبيعته من بواعث الهدم والتدمير، ومن الخير أن نسوق بعض الأحكام التى ملأ بها الكاتب صفحات كتابه دون نقد أو تمحيص.

أولا : ص ٦٠، ٦١ جـ ١ : كان بعض الأعراب يذبحون الكلاب كقبيلة أسد أو يأكلون لحوم الناس كقبيلة هذيل .. كما أن بعض الأعراب كانوا يأكلون الحيات والعقارب والجعلان والخنافس أو حتى القمل.

ثانيا : يذكر المؤلف ص ٩٤، ٩٥ أن تاريخ ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم غير معروف بالضبط ويتشكك فى ربطه بعام الفيل، ويوحى بأن ذلك ناشىء عن محاولة الربط بين مولده وهذا الحادث القوى بالنسبة لقريش ومن الغريب أن يعتمد فى ذلك على معجم البلدان لياقوت وهو كتاب متأخر ويعتبر من الكتب الجغرافية لا التاريخية كما يعتمد على ثلاثة مراجع فرنسية، يفعل هذا على حين يترك المصادر التاريخية المتقدمة الأصيلة مثل تاريخ الطبرى وسيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وفتوح البلدان والروض الأنف .. والسيرة النبوية لابن كثير.

ثالثا : فى ص ١٩٨، جـ ١ يقول المؤلف : «وفجأة فى سن الأربعين يملك محمد موهبة النبوة»، وهذا التعبير غير لائق بجلال النبوة فإنها ليست موهبة فطرية شأنها شأن المواهب الأخرى ولكنها اصطفاء من الله للأخيار الذين اجتباهم من عباده المخلصين.

رابعا : يستبيح المؤلف لنفسه أن يسرد عبارات تصف القرآن الكريم بأنه من صياغة محمد صلى الله عليه وسلم مثل قوله فى ص ٩٩ جـ ١ : «ومع ذلك فلم يرد على لسان النبى فى القرآن» .. ويقول فى ص ١٢٥ : «وقد أناب فيه أبا بكر صديقه ليقرأ عليهم سورة براءة التى يتبرأ فيها محمد عن يحج من المشركين» وكأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو الذى ألف هذه السورة ليتبرأ فيها من المشركين مع أن أول السورة «براءة من الله ورسوله».

خامسا : فى ص ٢٥٠ يصدر المؤلف حكما غريبا يهدم الشريعة الإسلامية من أساسها حيث يقرر أن الوحى كان يتم فى المنام - وكأنه أضغاث أحلام

فيقول عن الوحى : « أنه كان ينزل عليه وهو نائم » .

سادسا : يدعى فى ص ٢٥٠ أن النبى - صلى الله عليه وسلم - « كان ينسخ بعض الآيات التى أملاها ويأتى بأخرى غيرها ، وكأنه هو الذى ألف القرآن ثم أجرى فيه بعض المحو والإثبات ، وكأنه ليس وحيا سماويا منزلا » . على أن موضوع النسخ فى القرآن محل جدل بين علماء المسلمين وعلى فرض ثبوته فهو من عند الله وحده وهو تدرج فى التشريع موحى به من الله تعالى لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين » الحاقة ٤٤ - ٤٧ .

سابعا : يذكر المؤلف ص ١٢٧، ١٢٨ ج ١ عن رسالة النبى صلى الله عليه وسلم فيقول : « وهو وإن كان أرسل إلى العرب إلا أنه اعتبر نفسه أنه مرسل إلى كافة الناس » . ومعنى هذه العبارة أنه مرسل إلى العرب وحدهم ولكنه تجاوز حده واعتبر نفسه رسولا إلى كافة الناس ، وكأنما الأمر متروك إليه يقرر فيه ما يشاء مع دلالة النصوص القرآنية وتواتر الأحاديث النبوية على رسالته إلى جميع الناس « ليكون للعالمين نذيرا » الفرقان : ١ .

ثامنا : فى ص ١٢٧ يذكر المؤلف أن رسالة المسيحية عامة وليست خاصة كاليهودية والمؤلف هنا يخالف القرآن الكريم فى قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام : « ورسولا إلى بنى إسرائيل » آل عمران ٤٩ ، كما يخالف العهد الجديد حيث جاء فى إنجيل متى : « لم أرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة » الإصحاح ١٥ : ٢٤ - فالمؤلف ينقل آراء المستشرقين والمبشرين دون نقد أو تمحيص ولو خالفت القرآن الكريم والحديث الشريف .

تاسعا : يتحدث المؤلف فى صفحة ١٢٨ وما بعدها عن قضية البعث والحساب فيصوغها فى عبارات توحى بالسخرية والشك فيما رواه القرآن الكريم فيقول مثلا : « ويخرج الأموات من قبورهم ليقفوا أمام الله والملائكة ليحاكموا ، وكأنها محكمة خاصة يتبادل فيها القضاة الآراء ويحكمون برأى الأغلبية والملائكة فى رأيه يشاركون الله فى إصدار الحكم » ولنا أن نتساءل : ما علاقة هذا بالدراسة

التاريخية ؟ والقارىء متأثر فيما كتبه بكتاب «الفن القصصى فى القرآن الكريم» الذى رفضت جامعة القاهرة قبوله رسالة للدكتوراه، وكأنه مولع بنقل آراء الحائدين عن الصواب من غربيين وشرقيين.

عاشرا: يقول المؤلف فى ص ١٢٣ أن الزكاة فى الإسلام ليست نوعا من التضامن الاجتماعى كما فى وقتنا، وإنما يفسرها بأنها حث على الشفقة والرحمة واستغلال فى الجهاد ونشر الدين «فهل الشفقة والرحمة متعارضة مع التضامن الاجتماعى؟ إن القرآن الكريم لم يعتبر الزكاة إحسانا وإنما جعلها حقا مفروضا للسائل والمحروم، وقد حدد الإسلام مصارف الزكاة وليس فيها نص على الجهاد ونشر الدين إلا فى مصرف واحد من المصارف الثمانية، فهم منه بعض المفسرين الاستعانة به عند الحاجة وهى قوله تعالى: «وفى سبيل الله».

حادى عشر: ينفى المؤلف فى ص ١٣٤ «أن الدين الإسلامى عالج نظم الحياة بنصوص صريحة. وكل من له إلمام بالتشريع الإسلامى يدرك بأدنى ملاحظة النصوص الصريحة التى تناولت جميع شئون الحياة من بيع وشراء وهبة ودين ووصية وزواج وميراث، كما حددت الفضائل والرذائل والعلاقات الاجتماعية والنظم السياسية وشئون الحرب والسلام كما تناولت أساليب الحكم والقضاء وحددت الجرائم والقصاص والحدود. كما تناولت حقوق الإنسان قبل أن تحدده هيئة الأمم بأكثر من ثلاثة عشر من القرون.

ثم يكرر هذا الاتهام فى ص ١٣٨ فيقول: «والواقع لم يدع الإسلام أنه بنى مجتمعا فى غاية التنظيم! «لقد كان العرب قبائل متناحرة متنافرة يحارب بعضها بعضا لاتفه الأسباب وما كان يمكن أن تتألف منها وحدة تامة، ولكن القرآن الكريم ما كاد ينفذ إلى قلوب أفرادها حتى أصبحت أمة قوية متماسكة كالجسد الواحد أو البنيان المرصوص، قال تعالى: «وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم». وما تفرق شملهم إلا بعد أن تهاونوا فى التمسك بدينهم القويم وكتابهم الكريم.

ثانى عشر : سرد المؤلف فى ص ٣٤ مايلوكه المبشرون فى تعدد الزوجات دون مناقشة أو مراجعة وتمحيص ، وكأنه يوق يردد أصـــداء هؤلاء الحاقدين الحاسدين .

ثالث عشر : فى ص ١٣٦ يذكر أن الإسلام حرم الربا لأن معظم القائمين به م اليهود وكأن التشريع الإسلامى يقوم على الأغراض الشخصية وليس وحيا سماوياً يستهدف الصالح العام لجميع العالمين ، ومن العجيب أن المؤلف يتناول الآيات القرآنية ويفسرها تفسيراً يدل على عدم فهمه لأسلوب القرآن العربى للبين ، فقد فسر المؤلف قوله تعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كا يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » بأن الآية تشبه أكل الربا بالشيطان ج ٢ ص ٢٧٥ . إن الآية الكريمة واضحة بينـــة يفهمها العامة قبل الخاصة ، ولكن سوء الفهم حجبه عن أضواء القرآن الكريم .

رابع عشر : فى ص ١٤٥ يقـول المؤلف : « ولا ريب أن النبى نفسه تعب من استهتار العرب بالدين وعدم ميلهم إليه » ، وهو تعبير يجافى الذوق السليم بالنسبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم الذى قضى حياته مكافحاً مناضلا يتقدم الصفوف ويقود المسلمين فى مواطن الخطر والهلاك دون أن يدركه ملل أو كلال ودون أن يخشى فى الله لومة اللائمين أو يرهب الموت فى سبيل الله فكيف يتعب من الدعوة إلى الله .

خامس عشر : لاحظنا أن المؤلف يلتزم نقل آراء المستشرقين ويتحمس لها ولكنهم إذا أنصفوا الإسلام فى موقف ما أسرع إلى مخالفتهم وكأنه موكل بتشويه صفحة الإسلام الوضاءة وتلويث تراثه المجيد ، فنجده فى ص ١٦٣ يقول : « لا نوافق بعض المستشرقين فى قولهم إن العرب كانوا مدفوعين نحو الفتوح بالحماس الدينى .. ولكن من غير المعقول أن يخرج البدوى - وهو الذى لا يهتم بالدين - لنشر الإسلام » . ومن العجيب أن يقرر المستشرقون الحقيقة وينصفوا الفتوحات الإسلامية ، ولكن المؤلف المسلم يخالفهم على غير عادته ليزعم أن الصحابة لا يهتمون بالدين وأن الفتوحات الإسلامية كانت قائمة على النهب والسلب

لا على نشر الإسلام والتضحية فى سبيله بالأموال والأرواح وركوب الأخطار .

سادس عشر : ينكر المؤلف كعادته آثار التسامح الإسلامى فى تحرير الشعوب من أغلالها فيخالف آراء جميع المؤرخين العرب كما يخالف جمهرة كبيرة من آراء المستشرقين ويكتفى برأى يوحنا النقيوسى الذى انفرد بذكر مقاومة الأقباط فى مصر للفتح الإسلامى مدة اثنى عشر عاما دون مناقشة أو دليل ؛ ليخلص من هذا إلى أن الفتوح الإسلامية كانت قائمة على النهب والسلب وإشباع شهوة سفك الدماء . ص ٢٢١ - ٢٢٣ .

سابع عشر : يذكر فى ص ١٨٠ أنه : « كان لانتصار المسلمين فى أجنادين وقع عظيم بحيث اعتقد المسلمون أن هذا النصر من عند الله » وهى عبارة تصدم العقيدة الإسلامية فى الصميم ، لقد انتصر المسلمون قبل أجنادين فهل كانوا يعتقدون أن هذا النصر من عندهم لا من عند الله ؟ ولقد كانوا يحفظون القرآن الكريم وفيه قوله تعالى : « وما النصر إلا من عند الله » الأنفال : ١٠ .

ولو كان المؤلف يعرف العقيدة الإسلامية لعلم أن النفع والضر بيد الله وحده وأن الإنسان لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله ، فهل كان الصحابة ينكرون هذا ولم يعتقدوه إلا بعد نصرهم فى موقعة أجنادين ؟ .

ثامن عشر : فى ص ٢٢٧ ، ٢٣٠ يرمى المؤلف الصحابة بالوحشية والإجرام فى فتوحاتهم الإسلامية ويزعم أنهم كانوا قساة القلوب غلاظ الأكباد لا يكتفون بحرق المزارع وهدم البيوت وإنما يحاولون قهر الشعوب المفتوحة وإرغامهم على دفع الجزية حتى ولو أسلموا مخالفا بذلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وإجماع المؤرخين ، ثم يشتط فى أحكامه فيزعم أن العرب فى فتحهم لبرقة وطرابلس اكتفوا بفرض الجزية وأجازوا لأهلها بيع أبنائهم ليدفعوا الجزية ، ولو رجع إلى المصادر الوثيقة لعلم أن الجزية لا تفرض إلا على القادرين - من غير المسلمين - على دفعها وأنها تقابل فريضة الزكاة عند المسلمين وأنها تنفق لتحقيق الصالح العام للجميع لا للغزاة الفاتحين ، ولكنه لا يريد أن يعلم ، وإنما

بالتزم الباطل التزاما ، ومن هذا ما زعمه من أن المسلمين أرغموا أهل النوبة على أن يحملوا كل سنة إلى ولاة مصر ٣٦٠ رأسا من الرقيق غير المعيب المتوسط العمر !! ولو كان للمؤلف أقل إلمام بالثقافة الإسلامية لعلم حرص الإسلام الشديد على تحرير الرقاب وأنه جعل هذا العتق كفارة لبعض الذنوب وأنه رصد جزءا من صدقات المسلمين لإنفاقها فى تحرير الرقاب وأنه أهاب بالمسلمين أن يتقربوا إلى الله بتحرير الرقيق ، قال تعالى : « فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . » البلد ١١ - ١٣ . ولكن المؤلف يجهل أحيانا ويتجاهل فى معظم الأحيان .

تاسع عشر : المؤلف مولع بتشويه صفحات الفتوحات الإسلامية بكل الوسائل وهو يستبيح فى سبيل إشباع شهوته الاعتماد على أقوال المستشرقين يسوقها دون مناقشة أو جدال كما قال فى ص ٣٠٤ ج ٢ عن فتح المسلمين للأندلس « قيل إنهم طبخوا أول من قتلوه فى القدور » ولو كان المؤلف مؤرخا لدرس الفتح الأندلسى دراسة جادة وعلم أن الأهالى الأسبانيين ساعدوا العرب مساعدة قيمة للتخلص من حكم طاغيتهم المستبد لذريق ولو كان المؤلف جادا فيما يكتب ما اعتمد على الأساطير والخرافات ولعرف أن المسلمين حريصون على تحرير الشعوب ولكنه حريص على أن يصور المسلمين وحوشا مفترسة من آكلى لحوم البشر ، ولو كان المؤلف نال قسطا يسيرا من الثقافة الإسلامية لتذكر وصية النبى صلى الله عليه وسلم للمجاهدين من الصحابة ومن تلاهم فى قوله : « لا تقطعوا شجرا ولا تقتلوا طفلا ولا امرأة ولا شيخا ولا تهدموا بيتا ، وستجدون رجالا فى صوامعهم يتعبدون فدعوهم وما هم فيه » ويظهر أن المؤلف لا يأخذ بالقرآن الكريم ولا بالحديث الشريف وأن ذكرهما فى مصادره للتمويه والتضليل .

عشرون : المؤلف مهتم كل الاهتمام بتشويه سيرة الصحابة رضوان الله عليهم فهو يرى عمر بأنه كان يخشى الرجال الأشداء فينحيهم عن مناصب القيادة ص ١٨٣ ويكرر هذا فى ص ٢٠٠ ليبرر عزله خالدا والمثنى بن حارثة ، ونسأل المؤلف : هل نحى عمر أبا عبيدة وسعد

ابن أبى وقاص وعمرو بن العاص وغيرهم من كبار القادة الأقوياء عن مناصبهم ؟

وشبيه بهذا ما ذكره عن الإمام الحسن رضى الله عنه ناقلا ما ذكره خصومه من الأمويين وطائفة من المبشرين والمستشرقين حيث يقول فى ص ٢١ ج ٢ : « فلعل وفاة الحسن كانت بسبب إسرافه فى حياة اللهو .. » ويتناسى أنه سبط الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه سيد شباب أهل الجنة وأن الله سبحانه أنزل فيه وفى أسرته « يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » ويتناسى ما ورد فيه من الأحاديث الشريفة ولكن يظهر أن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية لا ترقى إلى مستوى مطاعن المبشرين والمستشرقين عند المؤرخ المسلم أو المفروض أنه من المسلمين .

واحد وعشرون : يستبيح المؤلف لنفسه أن يهب النبوة لمن يشاء ويسلبها عن يشاء فهو يمنح زرادشت النبوة دون سند حيث يقول فى ص ١٩٤ ج ١ : « وكان رسول هذه الديانة نبى اسمه زرادشت » على حين ينكر نبوة إدريس عليه السلام جاهلا أو متجاهلا قوله تعالى : « واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا . ورفعناه مكانا عليا » مريم ٥٦ ، ٥٧ .

اثنان وعشرون : المؤلف يلتزم التعبير الجافى للذوق السليم فضلا عن التعبير الصحيح فهو يذكر « الفتح العربى » بدلا من « الفتح الإسلامى » ويذكر « الدين العربى » بدلا من « الدين الإسلامى » وكأن الفتح الإسلامى كان مقصورا على العرب وحدهم وكأن الدين الإسلامى كان مقصورا على العرب وحدهم ولم يكن موجها إلى العالمين ، وما سمح لنفسه قط أن يتبع ذكر محمد بالعبارة المأثورة « صلى الله عليه وسلم » والله تعالى يقول : « إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » وإذا كان المؤلف لا يعد نفسه من « الذين آمنوا » فهو يخاطب قوما مؤمنين وإذا فاته حظ الإيمان فعليه ألا يفوته أدب الخطاب .

ولقد حرص المؤلف على طبع كتابه فى بيروت خشية أن يلاحقه الرقيب فى مصر ، وفرضه على تلاميذه منذ سنوات ، وفاته أن عين الله لا تغفل وأن الذين يلحدون فى آياته لا يخفون عليه

( البقية على ص ٤٣٤ )

# انتفاع المرتهن بالمرهون

للدكتور ابراهيم دسوقي الشهاوي

اتفق العلماء على أن عين الرهن، ومنافعه ملك للراهن، وأن المرتهن ليس له إلا حق استيفاء دينه من ثمن المرهون إذا تعذر على الراهن وفاء الدين للمرتهن عند الأجل، مقدما به على سائر الغرماء.

كما اتفقوا على أن المرتهن لا يحل له الانتفاع بشيء من المرهون، إذا لم يأذن له الراهن، ولم يكن المرهون مركوبا، أو محلوبا، أو صالحا للخدمة.

واختلفوا في انتفاع المرتهن بالمرهون إذا أذن له الراهن مطلقا سواء أكان المرهون مركوبا، أو محلوبا، أو صالحا للخدمة.

فالخلاف بين الفقهاء في موضعين :-

الموضع الأول :- انتفاع المرتهن بالمرهون، إذا أذن له الراهن في الانتفاع.

الموضع الثاني :- انتفاع المرتهن بالمرهون، إذا لم يأذن له الراهن في الانتفاع وكان المرهون مركوبا، أو محلوبا، أو صالحا للخدمة.

## (الموضع الأول)

### انتفاع المرتهن بالمرهون إذا أذن له الراهن :

اختلف الفقهاء في انتفاع المرتهن بالمرهون إذا أذن له الراهن، على ثلاثة أقوال :

القول الأول : الجواز مطلقا سواء أكان الدين قرضا، أم غيره، وسواء أكان الانتفاع مشروطا في العقد، أم لا، ذهب إلى ذلك الحنفية[1].

---

(١) بمراجعة كتب الفروع عند الحنفية نجد أن الحنفية قد اختلفوا فيما بينهم في انتفاع المرتهن بالمرهون، إذا أذن له الراهن على خمسة أقوال :

الأول :- أنه يجوز مطلقا، سواء أكان مشروطا في العقد أم لا، وسواء أكان الدين من قرض أم من غيره.

الثاني :- لا يجوز مطلقا.

الثالث :- لا يجوز إذا كان مشروطا في العقد ويجوز إذا كان غير مشروط.

الرابع :- يجوز قضاء لا ديانة.

الخامس :- إن كان مشروطا فهو حرام وإن كان غير مشروط فهو مكروه. —

**القول الثاني** : عدم الجواز مطلقاً سواء أكان الانتفاع مشروطاً في العقد، أم لا ، وسواء أكان الدين قرضاً ، أم غيره ، ذهب إلى ذلك الشافعي كما في الأم[١] وهو قول الحنفية .

**القول الثالث** :ـ عدم الجواز إذا كان الرهن بدين القرض والجواز إذا كان بدين غير القرض ، كثمن مبيع ، وأجرة دار ، ذهب إلى ذلك المالكية والحنابلة ؛ وهو المروى في التحفة عن الشافعي ؛ غير أن المالكية والشافعية قيدوا الجواز بأمرين :

**الأول** : أن يكون شرط الانتفاع في صلب العقد .

---

ـ وبالنظر في هذه الأقوال الخمسة نجدها ترجع إلى قولين فقط ، وذلك لأن الكراهة في القول الخامس تحريمية ، وهي قريبة من الحرمة فيصير هذا القول إلى المنع مطلقا . والقول الرابع لا معنى له في هذا المقام لأن الانتفاع إذا كان ربا فإنه لا يظهر فرق بين الديانة والقضاء ، وحينئذ فرجعه إلى القول بالمنع مطلقا ، إذا لاحظنا أن المعروف عرفا كالمشروط وأن الناس إنما يريدون الانتفاع بالمرهون عند الدفع ، ولولاه لامتنعوا عنه وأما مايقع من بعض الأفراد من عدم اشتراط الانتفاع ولا يكون مقصودهم ذلك قبل العقد ولا حين التعاقد ، ثم يأذن الراهن للمرتهن في الانتفاع بالمرهون عن طيب نفس فهو ـ على فرض تسليم وقوعه ـ نادر فلا يصح بناء الأحكام عليه ( راجع ابن عابدين ج ٥ ص ٣٢٢، ورسالة الفلك المشحون للكندي ص ٩ )

(١) اختلاف النقل عن الشافعي ـ رضي الله عنه ـ فالمروى عنه في الأم ج ٢ ص ١٤٧ يفيد عدم جواز الانتفاع إذا كان الرهن ـ بدين القرض ، والجواز إذا كان الرهن بدين غير قرض بشرطين :ـ

الأول :ـ أن يكون شرط الانتفاع في صلب العقد .

الثاني : أن تكون المنفعة معلومة ببيان مدتها ، لأن ذلك يكون جمعا بين بيع وإجارة ، وصورته أن يقول شخص لآخر بعتك هذا الثوب بدينار على أن ترهنى به دارك ، ويكون لي سكناها سنة ، فمجموع الدينار ، والمنفعة المعينة ثمن ، والثوب مبيع وأجرة .

ونقل عن الشافعية أنه إذا أذن الراهن للمرتهن في الانتفاع من غير شرط جاز مطلقاً سواء أكان دين الرهن من قرض ، أم كان من بيع ، وسواء أكان مع العقد أم بعده ( انظر تحفة المحتاج شرح المنهاج مع حاشيتي شرقاوي وابن قاسم ج ٥ ) .

الثانى :- أن تكون المنفعة معلومة ببيان مدتها .

( الأدلـــة )

استدل أصحاب القول الأول :- على جواز انتفاع المرتهن بالمرهون إذا أذن له الراهن ؛ مطلقاً : بأن الراهن مالك لجميع منافع المرهون . فله أن يملكها لغيره . فإذا أباحها للمرتهن صح ذلك ، وحـــل للمرتهن الانتفاع بالمرهون ، وكان الراهن وهب المنفعة للمرتهن والهبة مشروعة .

ورد هذا الاستدلال :- بأن الهبة المشروعة هى ما أقدم عليها المالك بمحض اختياره ، طيبة بها نفسه . والظاهر من حال الراهن أنه إنما أقدم على إباحة الانتفاع للمرتهن بالمرهون ، تحت تأثير الحاجة ، ولم يكن إذنه عن طيب من نفسه . وعلى ذلك فلا يحل للمرتهن الانتفاع بالمرهون بذلك الإذن ؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم - : « لا يحل مال امرىء إلا بطيب من نفسه » .

واستدل أصحاب القول الثانى على عدم جواز انتفاع المرتهن بالمرهون مطلقاً ؛ بما رواه أبو هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: « لا يغلق الرهن ، الرهن من صاحبه الذى رهنه ، له غنمه ، وعليه غرمه »[1]

ووجه الدلالة من هذا الحديث : أن قوله « له غنمه وعليه غرمه » نص صريح فى أن منافع الرهن ملك الراهن ، ولا يباح منها للمرتهن شىء ، إلا ما يقوم على إباحته دليل صحيح .

وليس هناك دليل صحيح يدل على إباحة الانتفاع ، وإذن الراهن للمرتهن فى الانتفاع بملكه - وقد وضعته الحاجة هذا الوضع القاسى - لا ينبغى لمنصف أن يدعى أنه صدر منه عن كال اختيار ، وطيب نفس ، بل صدر منه تحت سلاح الحاجـــة القاسية ، على أنه فى بعض الحالات يكون الانتفاع ربا صريحاً فيما إذا كان الدين قرضاً ، لقوله - صلى الله عليه وسلم - : « كل قرض جر نفعاً فهو ربا » وهو منهى عنه شرعا .

---

(١) « له غنمه . وعليه غرمه » معناه : للراهن زوائد المرهون ومنافعه ، وعليه نقصانه وهلاكه ( انظر المنتقى وشرحه نيل الاوطار جـ ٥ صـ ١٠٢ والأم جـ ٣ صـ ١٤٧)

فانتفاع المرتهن بالمرهون منهى عنه شرعا .

واستدل أصحاب القول الثالث :

أولا : على عدم جواز انتفاع المرتهن بالمرهون إذا كان الرهن عن دين قرض .

بما رواه على - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « كل قرض جر نفعاً فهو ربا » .

ولاشك أن انتفاع المرتهن بالمرهون إذا كان الرهن عن دين قرض، زيادة خالية عن عوض فيكون ربا، وهو منهى عنه .

ورد هذا الاستدلال :- بأن هذا الحديث . وإن لم يثبت مرفوعا إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - فقد ثبت معناه فى روايات كثيرة ، وجرى عمل الصحابة ، والسلف الصالح على ذلك ، وهذا كاف للعمل به .

وثانيا :- على جواز الانتفاع إذا كان الرهن عن دين غير قرض بمفهوم حديث « كل قرض جر نفعا فهو ربا » ، فإن مفهومه أن غير القرض إذا جر نفعا لا يكون ربا ، فلا يكون نفعه منهيا عنه .

وقد رد هذا الاستدلال : بأن هذا الحديث لا مفهوم له ؛ لأنه خرج مخرج الغالب ، حيث كان الواقع والكثير الغالب ، أنهم كانوا يأخذون الرهن فى مقابلة القرض وينتفعون به ، فنهى الشارع عنه بخصوصه لا ينفى الحكم عما عداه، ونظير ذلك قوله تعالى: «لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة» .

ولو سلمنا : أن له مفهوما ، فلا حجة فيه - أيضاً - لأنه مفهوم لقب. ومفهوم اللقب لا يحتج به على القول الراجح عند جمهور الفقهاء .

واستدل المالكية والشافعية : على تقييدهم جواز الانتفاع فيما إذا كان الدين غير قرض . بكونه مشروطاً فى صلب العقد . وبكون المدة معينة .

بأنه: إذا كان مشروطاً فى صلب العقد، كان بيعا ، وإجارة وهو جائز . وتعيين المدة يخرج من الجهالة المفسدة للإجارة.

ورد على المالكية والشافعية :

أولا : بأن تقييدهم هذا لا يجنبهم المحظور الذى فروا منه . وهو فساد الإجارة ؛ لأنها فى هذه الحالة فاسدة ؛

لجهالة الأجرة . وكذلك البيع فاسد لجهالة الثمن : لأن الدين أصبح أجرة وثمناً على الشيوع .

وثانياً : بأن هذه الإجارة لا اختيار فيها، فالظاهر من أمر المشترى أنه إنما قبل هذا الاشتراط تحت تأثير الحاجة . فهو تصرف لا اختيار له فيه، وكل تصرف صدر لا عن اختيار فهو غير صحيح .

(القول المختار)

هذا : والمختار من الأقوال الثلاثة هو القول بعدم جواز انتفاع المرتهن بالمرهون إذا أذن له الراهن ، مطلقاً سواء أكان الانتفاع مشروطاً فى العقد أم كان غير مشروط ، وسواء أكان الرهن بدين قرض أم كان بغير دين قرض ، لقوة أدلته ، وسلامتها عما ورد عليها ، ولأنه يتفق وسماحة الدين ويسره ونبل مقصده ، حيث حث على التعاون وأكده ، أما تحسين القرض لأكل أموال الناس بالباطل فليس فى شرائع الله تعالى ؟

د . إبراهيم الشهاوى

---

( بقية المنشور على صفحة ٤٢٩ )

ولعل هناك صلة بين كتابه وكتب التبشير الصادرة فى بيروت - ولو اجتهد المؤلف فأخطأ مرة وأصاب مرات لالتمسنا له العذر ولكنه - وأسفاه لا يجتهد ولا يبحث وإنما هو ناسخ فحسب يعتمد على نقل ما يشوه القيم الإسلامية المثالية ويرتمى على أقدام المبشرين والمستشرقين والمتعصبين ويمعن كل الإمعان فى التفاهة والضلال .

وكأنه يعيش فى دولة غير إسلامية ولا يعبأ بأنه يعيش ويدرس لطلاب فى دولة إسلامية تتزعم العالم الإسلامى وينص دستورها على أن دينها هو الإسلام وينادى رئيسها بشعار « دولة العلم والإيمان » إن بقاء هذا المؤلف بين أعضاء هيئة التدريس بكلية آداب عين شمس خطر على البحث العلمى والأمانة التاريخية والفضائل الخلقية والتراث الإسلامى المجيد ، ؟

على عبد العظيم

# عبد الرحمن بن عوف والدولة الإسلامية

للأستاذ السيد حسن قرون

منذ تبلج النور فى غار حراء ، وسجل التاريخ مولد خير أمة أخرجت للناس أصبح ابن عوف كوكبا لامعا فى المجموعة الشمسية التى تدور حول شمس الهدى «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما».

كان ابن عوف ذلك الكوكب المضىء منذ أسلم وجهه لله وهو محسن ضن بدينه ، وولى ظهره نهائيا عن مكة حتى كان بعد فتح مكة وعلى كثرة حجه لا يدخل بيته الذى هاجر منه ، وكان أبغض مكان إليه وما إن استقر فى منزله الذى اختطه رسول الله له فى المدينة حتى أدى دوره كاملا فى الدفاع عن بيضة الإسلام ، يغدو ويروح مع شمس الهدى لا يفوته خبر السماء ، ولا ينكص عن بذل وفداء ، معه فى السراء والضراء وحين البأس ، ومعه فى الفتح المبين ، وفى ويلات القتال .

وفى السنة السادسة للهجرة قام بأمرين عظيمين: أولهما : فى شعبان من تلك السنة دعاه رسول الله فأقعده بين يديه ، وعممه بيده ، وقال له : اغز باسم الله ، وفى سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله ، لا تغل ، ولا تغدر ، ولا تقتل وليدا ، وبعثه إلى قبيلة (كلب) بدومة الجندل ، وقال له: إذا استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم ؛ فسار عبد الرحمن حتى قدم (دومة الجندل) فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام ، فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبى ، وأسلم كثير من قومه ، وأقام من أقام على دفع الجزية ؛ وتزوج تماضر بنت الأصبغ ، وقدم بها إلى المدينة ، وهى أم ابنه أبى

سلمة ، وهى أول كلبية تزوجها قرشى .

وثانيهما : توقيعه على وثيقة صلح الحديبية ، وقد كان ذلك الصلح فتحا مبينا له ما بعده ، به تفرغ رسول الله لدعوة الملوك والأمراء والأقبال إلى الإسلام ، وبه دخل كثير من الناس فيه فصاروا من أصحاب محمد ، منهم خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وبه كان فتح مكة حين نقضت قريش عهد الصلح .

وكان عبد الرحمن عند حد المسئولية ، شديد المحافظة على التعاليم الإسلامية ، يرى أن الإسلام قد غير المجتمع العربى تغييرا تاما ، فلم يعد هناك مجال للجاهلية ودعواها الباطلة ، فلما أخطأ خالد بن الوليد فى قتل بنى جذيمة شن الغارة على خالد ؛ فاتهمه بأنه يعمل بعمل الجاهلية فى الإسلام وخلاصة ما حدث أن الرسول بعد فتح مكة أرسل خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة داعيا إلى الإسلام ، ولم يبعثه مقاتلا ، فخرج فى ثلاثمائة وخمسين رجـــلا من المهاجرين والأنصار وبنى سليم .

فلما بلغهم سألهم : ما أنتم ؟ قالوا : مسلمون قال : فما بال السلاح عليكم ؟ قالوا : إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا هم . قال : ضعوا السلاح . فوضعوه وأسرهم . وفى الليل أمر بقتلهم ، فامتنع المهاجرون والأنصار أما بنو سليم فقتلوا من كان فى أيديهم ، وبلغ النبى ما صنع خالد فقال : اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد ( ثلاثا ) وبعث على ابن أبى طالب فودى قتلاهم ، وأعطاهم ما ذهب منهم حتى ميلغة الكلب . . .

وغضب ابن عوف لهذه الحادثة غضباً شديداً ، ويروى الطبرى عن ابن إسحق أنه : « كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام . قال ابن عوف لخالد : عملت بأمر الجاهلية فى الإسلام . قال خالد : إنما ثأرت بأبيك . قال ابن عوف : قد كذبت . قد قتلت قاتل أبى ، ولكنك إنما ثأرت بعمك الفاكه ابن المغيرة حتى كان بينهما شىء ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : « مهلا يا خالد ، دع عنك أصحابى فوالله لو كان لك أحد ذهبا ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابى ولا روحته » .

وخلاصة القصة : أن رجالا من قريش فيهم عوف والد عبد الرحمن والفاكه

ابن المغيرة ذهبوا للتجارة في اليمن ، وعند عودتهم صحبهم رجل من بني جذيمة فمات في الطريق فحملوا ماله إلى وارثه ، فلما بلغوا بني جذيمة ( أسفل مكة ) تعرض لهم رجال من تلك القبيلة وعلى رأسهم فتى يقال له خالد بن هشام ادعى أنه الوارث ، فأبى القرشيون ، فدارت معركة قتل فيها عوف والفاكه وأحمد بني أمية . أما قريش فقد أرادت الحرب لمصرع رجالها ثم قبلت الصلح ، ولكن عبد الرحمن عمد إلى قاتل أبيه وهو خالد ابن هشام فقتله ، وقد أعان ذلك خالد عند المناقشة .

وهذا يعطينا صورة مكبرة للتغيير الذي حدث في عقلية ابن عوف ، فقد كان فتى لا يقبل الصلح ، ويصر على أن يأخذ الثأر بيده ، فصار بعد اعتناقه الإسلام لا يرى لأمر الجاهلية موضعا ، وهذا هو السر في غضبه على عمل خالد ، فلم يعد مجتمع الصحابة يسيغ شيئا من هوى النفس ، له مثله العليا ، وعدله العميم .

ويقضي الله قضاءه فيرى ابن عوف نفسه حيا ، ورسول الله قد مات ، ويرى حدثا جديداً هو الاختلاف حول خلافة محمد ، وحمد الله أن حسم أبو بكر ذلك الخلاف ، وصار أول خليفة للمؤمنين ، قمع الفتنة ، وحارب المرتدين ومانعي الزكاة حتى عاد الأمر سيرته الأولى وترى ابن عوف لأول أمر الخليفة أبي بكر يقود دابته وأبو بكر يأخذ بلحية عمر صارخا في وجهه : « استعمله رسول الله وأنزعه أنا ؟ » . لأن عمر أنهى إليه أن الأنصار لا يرضون إمرة أسامة ابن زيد لصغر سنه . وابن عوف قرير العين ؛ لأن أبا بكر ينفذ أوامر رسول الله وهو لا يغيب عن عمل ، ولا يبخل برأي ، ويرى السعادة الكبرى أن يحتفظ المسلمون بسنة رسول الله ، يجتمعون على الخير ، والحب ، والبر . عن نافع عن عبد الله بن عمر قال : « استعمل رسول الله أبا بكر على الحج في أول حجة كانت في الإسلام ، ثم حج رسول الله في السنة المقبلة ، فلما قبض النبي واستخلف أبو بكر استعمل عمر بن الخطاب على الحج ، ثم حج أبو بكر من قابل ، فلما قبض أبو بكر واستخلف عمر استعمل عبد الرحمن بن عوف على الحج ، ثم لم يزل عمر يحج سنيه كلها حتى قبض فاستخلف عثمان فاستعمل

عبد الرحمن بن عوف على الحج » .

ومعنى هذا أن ابن عوف كان موضع ثقة الخلفاء، وأنه جدير بالإمارة؛ فلا عجب أن رأينا الخليفة تلو الخليفة يستشيره فيمن يولى الخلافة استدعاه أبو بكر حين دنا أجله فأشار عليه بعمر مع اعتراض المعترضين وعرض عليه عمر عند مقتله الخلافة فأبى ودفعها عن نفسه ، وكان موضع إعجاب الشباب من الصحابة لذكائه وحسن تصرفه وحدبه على الإسلام والمسلمين ؛ فمعاوية وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر والمسور بن مخرمة وغيرهم يذكرونه بالتجلة والإكبار فى أحاديث شائقة وأقاصيص صادقة؛ لأنه نموذج للصحابى الجليل الذى يتسع صدره للكبير والصغير . وإذا كان أبو بكر وعمر لم يولياه ولاية، فقد كانت سياستهما أن كبار الصحابة لا يدنسون بعمل ، ويبقون بجانب الخليفة فى المدينة للمشورة . شأنه فى ذلك شأن على وعثمان وقد تبين لنا من سيرته أنه كان وسطا بين شدة عمر ولين عثمان ، فهو لا يسكت عن خطأ ، ويتصرف تصرف الحكيم فحين رأى عمر فى حيرة من أمر الفرس بعد استشهاد أبى عبيد الثقفى وكان يرى خروجه بنفسه للغزو والجهاد ،أشار عليه بسعد بن أبى وقاص ووصفه له بأنه الليث فى براثنه ووافق الحاضرون على رأيه ، فأخذ به عمر ، وكلل الله المسعى ، فأظهر سعد بطولة لا نزال نعتز بها .

وفى يوم أظلمت سماؤه وعبس صباحه طعن عمر رضى الله عنه وهو يكبر ليؤدى صلاة الصبح فى مسجد رسول الله والمسجد يضيق بالمصلين ، فلما طعن هاج الناس وماجوا . فقال قائل : الصلاة عباد الله قد طلعت الشمس ، فقدموا عبد الرحمن ابن عوف بأمر عمر، فصلى بأقصر سورتين فى القرآن « والعصر » و « إنا أعطيناك الكوثر » ونقل عمر إلى بيته والدم ينزف منه . وسأل ابن عباس عن قاتله ، فغاب برهة ثم رجع يعلمه أن القاتل أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، فحمد الله على أن قاتله ممن لا يصلى ، وكان فى ذلك الوقت يفكر فى أمرين: الخلافة والقبر. أما القبر فقد استأذن السيدة عائشة أن تدفنه مع صاحبيه ، فأذنت ، وأما الخلافة فقد حاطها بكل ما يملك من حب لله ولرسوله والمؤمنين ، وكأنه قد فكر فيها طويلا قبل أن تقع الواقعة ، ودليلنا ذكره

رجلين سبقا حين سئل عن الاستخلاف قال : لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا استخلفته ، فإن سألنى ربى قلت : سمعت نبيك يقول : إنه أمين هذه الأمة ، ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا استخلفته ، فإن سألنى ربى قلت : سمعت نبيك يقول: إن سالما شديد الحب لله . ثم قال : عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم من أهل الجنة : سعيد بن زيد ولست مدخله ( لأنه ابن عمه ) ولكن الستة على وعثمان ابنا عبد مناف ، وعبد الرحمن وسعد خالا رسول الله ، والزبير بن العوام حوارى رسول الله وابن عمته ، وطلحة الخير ابن عبيد الله ، فليختاروا رجلا منهم... فلما أصبح دعا هؤلاء الرهط . فقال : إنى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس ، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم ، وقد قبض رسول الله وهو عنكم راض ، إنى لا أخاف عليكم إن استقمتم ، ولكنى أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم فانهضوا إلى حجرة عائشة بإذن منها فتشاوروا ، واختاروا رجلا منكم . . ثم تناجوا فى الأمر ، فاعترض عليهم عبد الله بن عمر : « سبحان الله إن أمير المؤمنين لم يمت بعد » ، فانتبه عمر وكان فى غشية ، فقال : « أعرضوا عن هذا ، فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام ، وليصل بالناس صهيب ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم ، وطلحة شريككم فى الأمر - كان غائباً - فإن قدم فى الأيام الثلاثة فأحضروه أمركم ... » .

وأغلب الظن أن رأيه فيهم كرأينا نحن الآن ، فكل منهم فاضل وجدير بالخلافة ، فهم يمدحهم واحداً واحداً ، ويختم مدحه بقوله : « ونعم ذو الرأى عبد الرحمن ابن عوف مسدد رشيد له من الله حافظ فاسمعوا منـــه » ، وقال لأبى طلحة الأنصارى : اختر خمسين رجلا من الأنصار ، فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم . وقال لصهيب : صل بالناس ثلاثة أيام - بعد دفنه - ثم اجمع هؤلاء الرهط وقم على رءوسهم ، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف ، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا وأبى اثنان فاضرب رأسيهما ، فإن رضى ثلاثة رجلا منهم وثلاثة رجلا منهم فحكموا عبد الله

ابن عمر ، فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم ، فإن لم يرضوا بحكم ابن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف ، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس .

بهذا أدى الأمانة وأبرأ الذمة ، وبقى أن نعرف كيف أداروا الأمر بينهم وكيف تشاوروا وهم أصحاب الشورى ، ولا أحـــد خير منهم ، فلما مات عمر تصدى على وعثمان أيهما يصلى عليه . فقال عبدالرحمن لهما : كلاكما يحب الإمرة لستما فى شىء من هذا . هذا إلى صهيب حتى يجتمع الناس إلى إمام ، فصلى عليه صهيب . فلما دفن اجتمعوا فى بيت المسور بن مخرمة ( ابن أخت عبد الرحمن) ما عدا طلحة لغيابه . قال ابن عوف : أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم ؟ فلم يجبه أحد . فقال : أنا أنخلع منها . فقالوا : قد رضينا . وأخذ بعضهم على بعض المواثيق . وهنا تظهر براعة الرجل ، فابن عوف لم يدرس ديمقراطية اليونان ، ولا تشريع الرومان ولكنه تربى فى مدرسة القرآن ، وله عقله وتفكيره وحب أمة محمد والغيرة عليها فماذا يصنع ليخرج بالخلافة نقية بيضاء بعيدة عن الشقاق والافتراق ؟ اتخذ الإجراء الأول فأخرج نفسه من الخلافة ليدير الشورى أو ليجرى الانتخابات - إن صح التعبير - ثم اتخذ الإجراء الثانى ، فحصرها فى أحد رجلين : على وعثمان ، وخلا بعلى ، وقال له : تقول إنك أحق من حضر بالأمر لقرابتك وســـابقتك وحسن أثرك فى الدين لم تبعد ، ولكن لو صرف هذا الأمر عنك فلم تحضر ، من كنت ترى من هؤلاء الرهط أحق بالأمر ؟ قال : عثمـــان .

وخلا بعثمان ، فقال له : تقول شيخ من بنى عبد مناف وصهر رسول الله وابن عمه لى سابقة وفضـل لم تبعد ، ولكن لو لم تحضر فأى هـؤلاء أحق بالأمر ؟ قال : على . ثم خلا بالزبير فكلمه بمثل ما كلم به عليا وعثمان . فقال : عثمان . ثم خلا بسعد فكلمه ، فقال : عثمان . رجحت كفة عثمان مع أصحاب الشورى . فماذا بعد ذلك ؟ دار عبد الرحمن لياليه يلقى الصحابة ومن وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشراف النـاس يشاورهم ، ولا يخلو برجل إلا أشار بعثمان ، هكذا

روى الطبرى ، والأمر ليس أمر الشباب والكهول ، والنبوغ المبكر ، فقريش اختارت لنفسها كما قال عمر لابن عباس : إن قومكم (قريش) يدفعونكم عنها حتى لا تجتمع لبنى هاشم النبوة والخلافة ولو صارت إليكم ما خرجت عنكم . وكان عثمان أحب قرشى إلى قريش حتى لتقول من ترقص ابنها :

أحبك والرحمن حب قريش عثمان

وكادت المدة المضروبة تنتهى ولما يفرغ ابن عوف مما ندب إليه نفسه ، فلما كانت الليلة الأخيرة لتلك المدة أتى دار المسور ابن مخرمة فأيقظه لانما إياه على نومه وهو لم يغمض له جفن ، وكاد الليل ينفض ثلثيه . فقال له : انطلق فادع لى الزبير وسعدا ، فدعاهما فبدأ بالزبير ، فقال له : خل ابنى عبد مناف وهذا الأمر . قال : نصيبى لعلى ، وقال لسعد: أنا وأنت كلالة (أبناء عم من بعيد) فقال سعد : إن اخترت نفسك فنعم ، وإن اخترت عثمان فعلى أحب إلى . ثم قال: أيها الرجل بايع لنفسك وأرحنا ، وارفع رءوسنا قال يا أبا إسحق : إنى خلعت نفسى منها ، ولو جعلت لى ما أردتها ، وانصرف الزبير وسعد . وأرسل المسور إلى على فناجاه طويلا ، وهو لا يشك أنه صاحب الأمر ، ثم نهض وأرسل المسور إلى عثمان فتناجيا حتى فرق الصبح بينهما ، فلما صلوا الصبح اتخذ الإجراء الأخير . جمع أصحاب الشورى ، وبعث إلى من حضره من المهاجرين والأنصار ، وإلى الأمراء والأشراف حتى ضاق المسجد بأهله .

ورقى ابن عوف المنبر وقد لبس العمامة التى عممه بها رسول الله بيده . فقال : أيها الناس ، إن الناس قد أحبوا أن يلحق أهل الأمصار بأمصارهم ، وقد علموا من أميرهم ، فقال سعيد بن زيد : إنا نراك لها أهلا . فقال : أشيروا على بغير هذا قال عمار بن ياسر : إن أردت ألا يختلف عليك المسلمون فبايع عليا ، قال المقداد ابن الأسود صدقت . قال ابن أبى سرح ـ أخ لعثمان من الرضاعة ـ : إن أردت ألا تختلف قريش فبايع عثمان فأيده عبدالله ابن ربيعة المخزومى . فقال عمار لابن أبى السرح : متى كنت تنصح للمسلمين ؟ فتكلم بنو هاشم وبنو أمية . فقال عمار: إن الله أكرمنا بنبيه ، وأعزنا بدينه ،

فأنى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ؟ فقال رجل مخزومى لقد عدوت طورك يا بن سمية وما أنت وتأمير قريش لأنفسها؟ قال سعد بن أبى وقاص : ياعبد الرحمن افرغ قبل أن يفتتن الناس، فقال عبد الرحمن : إنى قد نظرت وشاورت فلا تجعلن على أنفسكم سبيلا .

لقد تأنى ما تأنى ليستخرج ما فى النفوس وليضع الأمر حين يضعه على بصيرة . وهنا دعا عليا . فقال له : عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده، قال على: أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمى وطاقتى ودعا عثمان، فقال له مثل ما قال لعلى. قال: نعم. قال ابن عوف : إنى وضعت ما فى عنقى فى عنق عثمان وبايعه ، وتزاحم الناس على عثمان يبايعونه ،وأقبل على يشق الناس وهو يقول : سيبلغ الكتاب أجله وبايع عثمان وتمت البيعة . لقد أدى عبد الرحمن دوره فى هذا المجال فى حدود نظرته ومشاورته ، ولا يمكن أن يتهم بالمحاباة كما ذكرت بعض الكتب من أنه صهر عثمان فهو زوج أخته لأمه أم كلثوم بنت عقبة الأموية ، ولو كان محابيا لحابى نفسه بها ، وقد عرضها عليه عمر كما قدمنا لقد كان خليفة المسلمين ثلاثة أيام (خلافة انتقال) يعمل لآجالهم، وينظر لما يصلحهم حسب رأيه، واختيار الناس لعثمان وهو الذى لا يهاب أن يقول ما يعتقد. قال له المغيرة بن شعبة: يا أبا محمد قد أصبت إذ بايعت عثمان ، وقال لعثمان : لو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا . قال عبد الرحمن : كذبت يا أعور لو بايعت غيره لبايعته ولقلت هذه المقالة .

كان المسور بن مخرمة يقول : ما رأيت رجلا بذ قوما فيما دخلوا فيه بأشد مما بذهم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فقد كان نظاراً للدولة الإسلامية يحوطها بقلبه ولسانه وسنانه ؟ .

السيد حسن قرون

# من المبادئ الفقهية التي سبق بها الإسلام

للأستاذ عبد العزيز عبد الرازق صبري

— ٤ —

تناولنا في مقالاتنا السابقة طائفة من المبادىء الفقهية التي سبق بها الإسلام في ميدان الجريمة والعقاب، وأوضحنا كيف أن هذه المبادىء السامية كانت نبراساً سارت على هديه كافة الشرائع حتى في الدول غير الإسلامية، وسنتحدث في هذا المقال عن المبادىء الدولية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية الغراء. والتي هي الآن محط أنظار العالم أجمع ومعقد آماله وخصوصاً في هذه المرحلة العصيبة التي يجتازها في هذه الأيام.

فقد كان العالم قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن يعاني حالة فوضى اجتماعية شاملة فلم يكن هناك أي قانون يحكم علاقات الدول والقبائل بعضها مع البعض الآخر سوى قانون الغاب فكانت إذا ما استشعرت إحدى الدول أو القبائل بضعف الأخرى انقضت عليها لا ترقب فيها إلا ولا ذمة، وكان الأقوياء يعاملون بعضهم البعض على حساب الضعفاء، وكانت الأمة العربية بدورها تعاني من نفس هذه الفوضى، فما كان من القبائل من يستقر في مكان أو يقيم في واد إلا قليلا ممن كانوا ينزلون حول البيت بمكة وفي ربوع يثرب، وكانوا يتمدحون بالنهب والسلب والإغارة وقطع الطريق، ويعدون الظلم والبطالة من مفاخرهم. فكان الرجل منهم يخرج ليرى إبلا سارحة أو رائحة. فيقتادها ويدافع عنها أصحابها حتى يضمها إلى إبله وسوائمه ثم ينظم ذلك في قصيد ليذيعه على الناس فخراً وتعاظماً.

فلما جاء الإسلام، هدى ورحمة للعالمين، جعل الأصل في العلاقات الدولية هو السلم. فقال الله تعالى في كتابه الكريم: «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين» سورة البقرة آية ٢٠٨، وقال جل وعلا أيضاً: «فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل

الله لكم عليهم سبيلا » آية رقم ٩٠ من سورة النساء .

ولم يقر الإسلام الحرب إلا لضرورة وفي حالتين :—

أولا : الدفاع عن النفس في حالة الاعتداء : كما حدث في اعتداء المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة حتى خرج منها ، فأخذوا يعتدون على أتباعه ، بل إنهم لاحقوه إلى المدينة المنورة لكي يقتلعوا دعوته من أساسها ويجتثوها من فوق الأرض . فكان لزاما عليه أن يقاتلهم ويبدهم أنه ليس من اللازم للقتال وقوع الاعتداء بالفعل ، بل يكفي أن يكون للرقابة منه إذا كان متوقعا وقامت الأدلة على أنه واقع لا محالة .

فإذا وقع الاعتداء بالفعل أو التهديد به ولم يدخل العدو ديار المسلمين ففي هذه الحالة يجب عليهم القيام بالذود عنها والجهاد دونها فرض كفاية فإن دخل العدو الديار كان الجهاد فرض عين عليهم وأضحى من واجبهم جميعا مقاومة ما أمكنتهم الفرصة واستطاعوا إلى ذلك سبيلا .

ثانيا : الدفاع عن العقيدة وعن الحرية الدينية : فقد كان الملوك غير المسلمين يعتدون على عقيدة من هم تحت سلطانهم ، ممن اختاروا الإسلام دينا . فيرهقونهم في عقيدتهم الدينية . ففي هذه الحالة يكون لا مناص للمسلمين من قتالهم . كما حدث عندما أمر هرقل ملك الروم بقتل من أسلم من أهل الشام ، وعندئذ أرسل النبي صلى الله عليه وسلم جيوشه لقتال الروم في الشام . وجهز وهو في مرض الموت جيشاً فيه وزيراه : أبو بكر وعمر .

ففي هاتين الحالتين يكون القتال مفروضاً على المؤمنين . كما صرح بذلك الكتاب الكريم لكونه ضرورة ملزمة ، وإن كان قد وصفه بأنه أمر مكروه لهم . قال تعالى : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » آية ٢١٦ من سورة البقرة .

هذه حقائق ثابتة يستفاد منها لا محالة أن العلاقة بين المسلمين وغيرهم كانت هي السلم حتى يقوم الداعي للقتال .

غير أنه ما إن علت صيحة الحق وقوى جيش المسلمين ، حتى خشي ملوك الكفار والمشركين من أن يذهب دين

محمد بسطوتهم فأرادوا أن يطفئوا نور الإسلام قبل أن يعم ويضيء بين رعاياهم فكاتفوا ضد المسلمين وتألبوا عليهم.

فكان لابد للمسلمين إذن من أن يخضعوا للأمر الواقع وأن يستعدوا دائماً للقتال.

ومع ذلك فقد رأوا حقناً للدماء أن يخيروا جيرانهم بين أمـــور ثلاثة : الإسلام حتى يكونوا جميعاً إخواناً في ظله، أو العهد حتى يأمنوا الاعتداء فإن لم يكن هذا ولا ذاك، فالحرب. ولم يرتض هؤلاء الملوك العهد ولم يؤمنوا بالدعوة الإسلامية. فكانت الحرب، ولمعت السيوف بدل أن تلمع الحقائق الدينية ومضى عهد الراشدين وجاء عهد ملوك الأمويين ثم ملوك العباسيين والحرب ما زالت مشتعلة.

هذه هي مبادىء الإسلام القويمة في ميدان العلاقات الدولية، وقد اعتنقتها كافة دول العالم وضمنتها ميثاق هيئة الأمم المتحدة، الذي حرم اعتداء أي دولة من أعضاء الهيئة على غيرها أو احتلال أراضيها بالقوة. كما نادى بحفظ السلام والأمن الدوليين وتنمية العلاقات الودية بين الأمم وحــل مشكلاتهم بالطرق السلمية ؟

د. عبد العزيز عبد الرازق صبرى

---

قال الله تعالى :

« قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً . قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » .

( الكهف : ١٠٩ ، ١١٠ )

# علاقة المسلمين بأهل الذمة

للدكتور محمد رأفت عثمان

— ٢ —

مذهب الحنابلة :

قسم الحنابلة كما قسم غيرهم الأمصار إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ما مصره المسلمون ، كالبصرة والكوفة وبغداد .

القسم الثانى : ما فتحه المسلمون عن طريق القوة والقهر .

القسم الثالث : ما فتحه المسلمون عن طريق الصلح .

ولكل من هذه الأقسام الثلاثة حكم خاص به .

فأما البلاد التى مصرها المسلمون فلا يجوز للذميين إحداث بناء الكنائس أو البيع أو غيرها من دور عباداتهم فيها .

ولا يجوز لرئيس الدولة الإسلامية أن يعقد معهم صلحا يعطيهم حق الإحداث .

وهذا حكم مستند إلى أمرين :

الأمر الأول : ما رواه عكرمة عن ابن عباس أنه قال : أيما مصر مصرته العرب فليس للعجم أن يبنوا فيه بيعة ولا يضربوا فيه ناقوساً ، ولا يشربوا فيه خمراً ، ولا يتخذوا فيه خنزيراً . رواه الإمام أحمد واحتج به .

الأمر الثانى : أن البلاد التى مصرها المسلمون هى ملك خاص بهم ، فلا يجوز أن تبنى فيها مجامع الكفر .

قال ابن قدامة : « وما وجد فى هذه البلاد من البيع والكنائس مثل كنيسة الروم فى بغداد فهذه كانت فى قرى أهل الذمة فأقرت على ما كانت عليه » .

وأما البلاد التى فتحها المسلمون عن طريق القوة والقهر ، فإنه لا يجوز أن يحدث فيها شىء من الكنائس وغيرها من دور عباداتهم ، وذلك لأن هذه البلاد قد صارت بهزيمتهم أمام جيوش المسلمين ملكا للمسلمين .

هذه بالنسبة إلى إحداث البناء ، وأما الحكم بالنسبة إلى الكنائس والبيع التى كانت موجودة وقت فتح المسلمين هذه البلاد ، فإن فقهاء الحنابلة فى هذا على رأيين :

أولهما : أنه يجب أن يهدم ما كان موجوداً منها فلا يجوز له إبقاؤه .

وقد استند هذا الرأى إلى أن هذه البلاد قد صارت ملكا للمسلمين فلا يجوز أن تبقى فيها كنائس أو بيع كالبلاد التى اختطها المسلمون .

وأما ثانى الرأيين : فيرى أنه يجوز إبقاؤه ، وقد اعتمد صاحب هذا الرأى على عدة أمور :

الأول : ما فى حديث ابن عباس :

« أيما مصر مصرته العجم ففتحه الله على العرب فنزلوه فإن للعجم ما فى عهدهم » .

الثانى : أن الصحابة رضى الله عنهم قد فتحوا كثيراً من البلاد عنوة ومع ذلك فإنهم أبقوا على فيها من كنائس وبيع فلم يهدموها ، ويشهد لذلك أن الكثير من الكنائس والبيع موجود فى البلاد التى فتحها المسلمون عنوة ، وهذه الكنائس والبيع لم يحدث بناؤها فدل ذلك على أنها كانت موجودة فى هذه البلاد فأبقى المسلمون عليها .

الثالث : أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قد كتب إلى عماله ألا يهدموا بيعة ولا كنيسة ولا بيت نار .

الرابع : أنها موجودة فى بلاد المسلمين من غير أن ينكر أحد من علماء المسلمين ذلك ، وهذا إجماع على جواز إبقاء الموجود منها .

وأما القسم الثالث من أمصار المسلمين وهو ما فتحه المسلمون عن طريق الصلح فقد قسم الحنابلة هذا القسم إلى نوعين :

النوع الأول : أن نكون قد صالحناهم على أن تكون الأرض لهم على أن يدفعوا خراجا لنا عنها .

النوع الثانى : أن نكون قد صالحناهم على أن تكون الأرض لنا ، وأن يؤدوا الجزية إلينا .

ولكل نوع من هذين النوعين حكم خاص به .

فأما النوع الأول ، فلهم أن يحدثوا بناء ما يحتاجون إليه من الكنائس وغيرها فيه ، وذلك لأننا قد صالحناهم على أن تكون الدار دارهم .

وأما النوع الثانى ، فيرى الحنابلة أن الحكم فى البيع والكنائس على ما وقع عليه صلحنا معهم فى إحداث البناء وعمارته ، أى إذا صالحناهم على أن لهم أن يحدثوا بناء كنيسة أو بيعة فلهم ذلك

وإن صالحناهم على أنه ليس لهم ذلك فإنه يجب منعهم منه .

ولكن الأولى أن نصالحهم على مثل ما صالحهم عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، واشترط عليهم الشروط المذكورة فى كتاب عبد الرحمن بن غنم ، وقد ذكر فى هذا الكتاب أن لا يحدثوا بيعة ولا كنيسة ولا صومعة راهب .

وإذا ما كان الصلح بيننا وبينهم قد أطلق فلم يبين فيه ما يجب اتباعه بالنسبة للكنائس والبيع ، وجب أن يحمل الصلح على ما وقع عليه صلح عمر معهم .

هذا ، وقد بين الحنابلة أن الحالات التى نقرهم فيها على الكنائس والبيع لا يجوز لنا هدمها ، وكذلك لهم أن يقوموا برم وإصلاح الأجزاء التى تتهدم من هذه الكنائس والبيع التى أقررناهم عليها ، وذلك لأننا إذا منعناهم من رمها وإصلاحها كان ذلك مؤديا إلى خرابها وخرابها جار مجرى الهدم وليس لنا ذلك .

وأما إذا وقع البناء كله ، فهل يجوز لهم أن يبنوه من جديد أم لا يجوز ؟ .

اختلف فقهاء الحنابلة فى هذا على رأيين

الرأى الأول : يرى جواز بنائها إذا وقعت كلها .

الرأى الثانى : يرى أنه لا يجوز البناء .

وقد استند الرأى الأول القائل بجواز البناء إلى أمرين :

الأمر الأول : أنه لما جاز لهم أن يرموا بعض ما ينهدم منها ويبنوه جاز لهم أن يبنوها إذا انهدمت كلها ، لوجود الشبه بين الحالتين .

الأمر الثانى : أنه يجوز لهم أن يستديموا بناءها ، ومادام ذلك جائزا لهم فإنه يجوز لهم كذلك بناؤها إذا تهدمت كلها ، لأن البناء كالاستدامة .

وأما الرأى الثانى القائل بعدم جواز البناء فقد استند إلى ما رواه كثير بن مرة عن عمر بن الخطاب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تبنى الكنيسة فى الإسلام ولا يجدد ما خرب فيها» ، وهذا بناء لكنيسة فى دار الإسلام فلا يجوز كما لا يجوز أن يحدث بناؤها .

وأما ما اعتمد عليه الرأى الأول من قياس بناء ما انهدم كله على رم ما تهدم فقد رد عليه بعض أصحاب الرأى الثانى بأن هذا غير مسلم ؛ لأن هناك فارقا بين الحالتين ، إذ إن رم الأجزاء المتهدمة ما هو إلا إبقاء واستدامة للبناء ،

والحال هنا ليس كذلك وإنما هو إحداث للبناء [١] .

مذهب الظاهرية :

وإذا ما انتقلنا إلى ما يراه الظاهرية نجد ابن حزم يوضح عند بيانه لمعنى الصغار المذكور فى قول الله تبارك وتعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » . نجد ابن حزم يقول : « والصغار هو أن يجرى حكم الإسلام عليهم ، وأن لا يظهروا شيئاً من كفرهم ولا مما يحرم فى دين الإسلام ، قال عز وجل : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » ، ثم قال ابن حزم بعد ذلك : ويجمع الصغار شروط عمر رضى الله عنه عليهم ، ثم ذكر ابن حزم هذه الشروط التى اشترطها عمر حين صالح نصارى الشام ، ومن هذه الشروط : « أن لا يحدثوا فى مدينتهم ولا ما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قلية [١] ولا صومعة راهب ، ولا يجددوا ما خرب منها ، ولا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم ، ولا يؤووا جاسوساً » الخ [٢] .

وبعد : فقد تبين للقارئ من استعراض الأقوال الفقهية الإسلامية ، أن البلاد تختلف أحكامها من ناحية جواز بناء الكنائس والبيع وغيرها فيها تبعاً لاختلاف أحوالها ، من إحداث المسلمين لها ، أو خضوعها لحكم المسلمين بعد انتصارهم على أهلها فى المعارك الحربية ، أو لغير ذلك من الأحوال .

ونحب بعد أن استعرضنا أقوال فقهائنا رضى الله عنهم فى هذه المسألة أن نبين ما يمكن استخلاصه من هذه الأقوال .

---

(١) انظر : المغنى لعبد الله بن أحمد ابن محمود بن قدامة على مختصر الخرقى جـ ١٠ ص ٦٠٩ - ٦١٢ . وانظر : الشرح الكبير على متن المقنع لعبد الرحمن بن محمد بن أحمد ابن قدامة جـ ١٠ ص ٦١٨ - ٦٢٠ .

(١) القلية : بيت من بيوت عبادة النصارى .

(٢) المحلى : لعلى بن أحمد بن سعيد ابن حزم جـ ٧ ص ٣٤٦ .

وسنثير عددا من الأسئلة ، بالإجابة عنها يتبين للقارىء ما يجب اتباعه فى هذه الناحية من نواحى علاقة المسلمين بأهل الذمـــة .

وأول هذه الأسئلة هو : ما حكم إقامة غير المسلمين بجزيرة العـــرب وبنائهم الكنائس وغيرها فيها ؟

والثانى : ما حكم بناء الكنائس وغيرها فى البلاد التى أحدثها المسلمون كالقاهرة والبصرة ؟

والثالث : ما حكم بناء الكنائس فى البلاد التى فتحها المسلمون بطريق القوة ؟

والرابع : ما حكم بنائها فى البلاد التى فتحها المسلمون بطريق الصلح مع أهلها ؟

والخامس : ما هو حكم الإبقاء على الكنائس الموجودة حين فتح المسلمين البلاد التى هى فيها .

والسادس : ما هو الحكم فى الكنائس التى لا نعلم متى بنيت ؟

والسابع : ما حكم الأماكن التى يبنيها الذميون لكى تكون استراحات للمسافرين ؟

والثامن : هل يجوز للمسلمين أن يهدموا الكنائس التى أقروا عليها أهل الذمة أو لا يجوز لهم ذلك ؟

والسؤال التاسع والأخير : إذا وقع بناء كنيسة أقر ناهم عليها ، فهل يجوز أن يبنوها من جديد أو لا ؟

هذه أسئلة نثيرها فى نهاية هذا البحث لنصل بالإجابة عنها - المستخلصة من أقوال فقهائنا رضى الله عنهم - إلى ما نريده من بيان .

فأما إقامة غير المسلمين فى جزيرة العرب فلا يجوز ، فيجب منعهم من الإقامة فيها ، سواء فى ذلك قرى جزيرة العرب وأمصارها ، وبالتالى لا يجوز إحداث كنيسة أو الإبقاء على كنيسة فيها ، وهذا حكم مستند إلى ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى مرضه الذى مات فيه : « لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب » وروى الإمام مالك فى الموطأ أن عمر أتاه اليقين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب » فأجلى يهود خيبر وأجلى يهود نجران وفدك . وفى صحيح البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما : لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه قال : « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب »[1]

(١) فتح القدير جـ ٤ صـ ٣٧٩ .

ولكن ما هى حدود جزيرة العرب ؟ اختلف العلماء فى الحدود التى تحد بها جزيرة العرب ، فنقل عن الأصمعى أنه قال : إن جزيرة العرب هى ما بين عدن أبين إلى أطراف الشام طولا ، وأما عرضها فمن جدة وما والاها من شاطىء البحر إلى ريف العراق .

ويرى البعض أن جزيرة العرب هى : مكة والمدينة واليمن واليمامة .

ويذهب آخرون إلى أن جزيرة العرب خمسة أقسام هى : تهامة ، ونجـــد ، والحجاز ، والعروض ، واليمن .

فأما تهامة فهى الناحية الجنوبية من الحجاز ، وأما نجد فهى الناحية التى بين الحجاز والعراق، وأما الحجاز فهو جبل يقبل من اليمن حتى يتصل بالشام وفيه المدينة وعمان ، وسمى حجازاً لأنه حجز بين نجد وتهامة ، وأما العروض فهو يشمل بلاد اليمامة إلى البحرين، وأما اليمن فهو ما كان جنوبى نجد [١] .

وروى عن البعض أن جزيرة العرب هى أرض مكة والمدينة ، وقيل غير ذلك [١]

وأما بناء الكنائس فى البلاد التى أحدثها المسلمون كالقاهرة والبصرة : فإن ذلك لا يجوز بإجماع العلماء [٢] .

غير أن المالكية يصرحون بأنه لو ترتب على منعهم من إحداث البناء مفسدة أعظم من الإحداث فإنه فى هذه الحالة يجوز لنا أن لا نمنعهم من إحداث بناء الكنيسة للقاعدة المعروفة أنه يجب دفع الضرر الأعظم بارتكاب الضرر الأخف ، قال الإمام أحمد الدردير بعد أن قرر ذلك : « وملوك مصر لضعف إيمانهم قد مكنوهم من ذلك ، ولم يقدر عالم على الإنكار إلا بقلبـــه أو بلسانه لا بيده ... » ثم استشهد بالآية الكريمة « وسيعلم الذين ظلمـــوا أى منقلب ينقلبون [٣] » .

وأما حكم بناء الكنائس فى البلاد التى فتحها المسلمون بطريق القوة ، فإن العلماء

---

(١) المصباح المنير - باب الجيم والزاى والراء ، والإمامة العظمى لمحمد رأفت عثمان ص ٢ .

(١) فتح القدير جـ ٤ ص ٣٧٩ .

(٢) فتح القدير جـ ٤ ص ٣٧٨ ، والبدائع جـ ٧ ص ١١٤ ، ونهاية المحتاج جـ ٨ ص ٩٢ ، والمغنى جـ ١٠ ص ٦٠٩ .

(٣) الشرح الصغير جـ ٢ ص ١٨٦ .

قد صرحوا بأن ذلك غير جائز بإجماع علماء المسلمين[1].

وأما حكم بنائها فى البلاد التى فتحها المسلمون بطريق الصلح ، فإننا نميل إلى اختيار رأى الشافعية القائل بالتفريق فى الحكم بين ما إذا تصالحوا معنا على أن تكون الأرض لهم ويؤدوا الخراج عنها وما إذا صالحونا على أن تكون الأرض لنا ويؤدوا الخراج نظير إقامتهم فيها .

فإذا كان الصلح معهم قد تم على أن تكون الأرض لهم ، فإن لهم أن يحدثوا بناء ما يحتاجون إليه من الكنائس وغيرها فيه ، وذلك لأن الصلح معهم قد وقع على أن تكون البلاد بلادهم .

وأما إذا كان الصلح معهم قد وقع على أن تكون الأرض لنا ، فلا يجوز لهم إحداث شىء من الكنائس والبيع وغيرها[2]

وأما حكم الإبقاء على الكنائس الموجودة حين فتح المسلمين البلاد التى هى فيها ، فإننا نميل إلى اختيار الرأى القائل بجواز الإبقاء ، بيد أننا لا نرى رأى المالكية فى منعهم من رم ما تهدم منها ، وذلك لأنه ما دمنا قد سمحنا لهم بإبقاء هذه الدور فرمها لم يخرج عن محاولة العمل على إبقائها .

وأما حكم الكنائس التى لا نعلم متى بنوها ، فإنه يجوز إبقاؤها .

وأما حكم الأماكن التى يبنيها الذميون لكى تكون استراحات ينزل بها المسافرون فإن هذه الأماكن تبقى ولا تهدم ، سواء أكان الذين ينزلون بها من المسلمين أم من غير المسلمين .

وأما حكم هدم ما يقرون عليه من الكنائس وغيرها ، فإن ذلك غير جائز .

وأما حكم البناء الذى وقع بعد أن أقررناهم عليه ، فهل يجوز لهم أن يبنوه من جديد أم لا ؟ فإننا نميل إلى اختيار الرأى القائل بعدم جواز بنائه من جديد للحديث الذى رواه كثير بن مرة عن عمر بن الخطاب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تبنى الكنيسة فى الإسلام ولا يجدد ما خرب منها »[1]

وبهذا تنتهى الإجابة عن الأسئلة التى

(١) فتح القدير جـ ٤ صـ ٣٧٨ ، والشرح الصغير جـ ٢ صـ ١٨٥ ، ونهاية المحتاج جـ ٨ صـ ٩٢ وما بعدها ، والمغنى جـ ١٠ صـ ٦١٠ .

(٢) نهاية المحتاج جـ ٨ صـ ٩٣ وما بعدها.

(١) المغنى جـ ١٠ صـ ٦١٢

أثرناها ، ولعل القارىء قد لاحظ أننا قد أطلنا فى مسألة بناء الكنائس وفصلنا القول فيها ، أولا : من ناحية حكاية المذاهب الفقهية ، كل على حدة ؛ وثانيا : باستخلاص نتائج محددة مستندة إلى آراء الفقهاء رضى الله عنهم .

وقد حدانا إلى هذا طبيعة الموضوع وعدم معرفة الكثيرين به ، وقد كان يجوز أن نشير إلى هذه الأحكام التى استخلصناها أخيرا من أقوال الفقهاء ، غير أننا أردنا بما اتبعناه أن نضع يد القارىء وفكره أولا على آراء علمائنا رضى الله عنهم ، حتى يلمس بنفسه اتجاهات المذاهب الفقهية فى هذه المسألة فيكون ذهنه مهيئا بعد ذلك لهذه النتائج التى وضعناها أخيرا بين يديه .

وبهذا أيضا ينتهى كلامنا عن الأمر الثامن من ملامح علاقتنا بأهل الذمة ، وننتقل الآن إلى بيان الأمر التاسع والأخير من هذه الملامح .

التاسع من ملامح علاقتنا بأهل الذمة : دفعهم الجزية للخزانة العامـــة للدولة الإسلامية ، والجزية : هى مقدار قليل من المال يدفعه غير المسلمين لإقامتهم فى الدولة الإسلامية ، ومقابل الخدمات التى تؤديها الدولة لهم ، وإشعارا لهم بعلو شريعة الإسلام .

وهذا المقدار تحدده الدولة ليدفعه الذميون كل عام من غير إرهاق لهم فى تقديره وبلا عنف فى طلبه منهم .

وهذه الجزية واجبة بنص القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة وبإجماع علماء المسلمين .

فأما النص القرآنى فقوله سبحانه : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون »[1] .

وأما السنة ، فما روى المغيرة بن شعبة أنه قال لجند كسرى يوم نهاوند : أمرنا نبينا رسول ربنا أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية .

وروى عن بريدة أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أميرا على على سرية أو جيش أوصاه بتقوى الله

(١) سورة التوبة : ٢٩

تعالى فى خاصة نفسه وبمن معه من المسلمين خيرا ، وقال له : « إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى خصال ثلاث : ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل وكف عنهم ، فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم » .

وقد أجمع المسلمون على أخذ الجزية من الذميين (١) .

ثم أما بعد ، فهذا بحث أردت به أن أبين بعضا من ملامح علاقة المسلمين بالذميين ، قياما ببعض ما يجب على رجال الفقه الإسلامى من بيان أحكام شريعة الإسلام للمسلمين ولغير المسلمين .

وليس يخاف على القارىء أن بعض هذه العلاقات ما هو واجب على جميع أفراد المسلمين حكاما كانوا أم محكومين وذلك كعدم جواز الاعتداء على أى ذمى فى نفسه أو ماله أو عرضه ، وكوجوب الدفاع عنهم ضد كل من يعتدى عليهم ، سواء أكان هذا المعتدى من الحربيين أم ذميا منهم ، أم كان من المسلمين ، وكوجوب الإحسان فى معاملتهم .

وبعض هذه العلاقات واجب متوجه إلى حكام المسلمين لتحقيقه ، وذلك كمنعهم من إحداث الكنائس فى البلاد التى أحدثها المسلمون كالقاهرة والبصرة ، وكفرض الجزية عليهم .

وفق الله حكام المسلمين للعمل بأحكام الله وهدانا جميعا سواء السبيل ؟

دكتور محمد رأفت عثمان

(١) المغنى جـ ١٠ صـ ٥٦٢ .

قال عز من قائل :

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » . (التوبة : ٣٣)

# حديث "المعرفة رأس مالى" فى الميزان

للأستاذ فكرى الجزار

---

روى عن على بن أبى طالب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال : « المعرفة رأس مالى ، والعقل أصل دينى ، والحب أساسى ، والشوق مركبى ، وذكر الله أنيسى ، والثقة كنزى والحزن رفيق ، والعلم سلاحى ، والصبر ردائى ؛ والرضا غنيمتى ، والفقر فخرى ، والزهد حرفتى ؛ واليقين قوتى ، والصدق شفيعى ، والطاعة حسبى ، والجهاد خلق ؛ وقرة عينى فى الصلاة »[1] .

وبالبحث عن هذا الحديث فى كتب الأحاديث الصحيحة لم نجده . . فيممنا وجهنا شطر كتب الأحاديث الموضوعة فألفينا الإمام الشوكانى يقول عنه : « ذكره القاضى عياض ؛ وآثار الوضع عليه لائحة »[2]

ونجد أن القاضى عياض ذكره بالنص التالى : « عن على رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال : « المعرفة رأس مالى ، والعقل أصل دينى ، والحب أساسى ، والشوق مركبى ، وذكر الله أنيسى ، والثقة كنزى ، والحزن رفيق ، والعلم سلاحى ، والصبر ردائى ، والرضا غنيمتى ، والعجز فخرى ، والزهد حرفتى . واليقين قوتى ، والصدق شفيعى ، والطاعة حسبى ، والجهاد خلق ، وقرة عينى فى الصلاة » .

وفى حديث آخر : « وثمرة فؤادى فى ذكره ، وغمى لأجل أمتى ، وشوقى إلى ربى عز وجل »[1] .

وذكره الإمام الغزالى فى كتابه « إحياء علوم الدين » فى آخر كتاب المحبة

---

(١) كتاب حياة محمد : للمرحوم محمد حسين هيكل . الطبعات التالية : الطبعة الثالثة ، الطبعة الثامنة ، الطبعة التاسعة .

(٢) كتاب الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة فى : ( باب فضائل النبى صلى الله عليه وسلم ) تحت رقم ٢٤ ص ٣٢٦ الإمام محمد الشوكانى . تحقيق عبد الرحمن اليمانى .

(١) كتاب ( الشفا بتعريف حقوق المصطفى ) جـ أول صـ ٢٣٦ ، القاضى عياض ، وبهامشه : ( مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء ) العلامة أحمد الشمنى .

والشوق [١] . وقال عنه الإمام العراقى فى تخريج أخبار إحياء علوم الدين ما نصه : « حديث على : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال : المعرفة رأس مالى ، والعقل أصل دينى . . الحديث ذكره القاضى عياض من حديث على ابن أبى طالب ولم أجد له إسنادا » [٢] .

وقال الإمام السيوطى رحمه الله تعالى : « إنه موضوع ، وآثار الوضع عليه لائحة وهو يشبه كلام الصوفية » [٣] .

ويقول عنه الإمام الزبيدى : « سئل عنه الحافظ بن حجر فى فتاويه فقال : « لا أصل له » [٤] .

ويقول الإمام على القارى - بعد شرحه « والعجز فخرى » - وقع فى نسخة من لفظ « الفقر » بدل « العجز » قال ابن تيمية : إن حديث « الفقر فخرى » كذب وقال العسقلانى : إنه باطل [١] .

ويستطرد الإمام القارى فيقول : فإن الحكم بوضعه إنما هو باعتبار ما وصل من سنده لا من حيث مبناه المطابق معناه لما ورد فى كتاب الله . ولا يبعد أن هذا من كلام على كرم الله تعالى وجهه موقوفا [٢] بمضمون ما سمعه عنه صلى الله عليه وسلم فى بعض أحوال متفرقة مرفوعا » [٣] .

وفى نهاية شرح الإمام القارى للكلام الذى صدرنا به مبحثنا هذا يقول : « فهذه كلمات جامعة معانيها مطابقة لما ورد فى الكتاب والسنة ، والمصنف - يعنى القاضى عياض - ثبت ثقة ، فحسن الظن به أنه ما رواها إلا عن بينة وإن لم تكن عندنا بينة ، وأما قول الدلجى :

(١) جـ ٤ صـ ٣٥٠ القاهرة ، طبع عيسى البابى الحلبى ، د . ت .

(٢) هامش نفس المصدر السابق .

(٣) عن كتاب : ( نسيم الرياض فى شرح الشفاء ) جـ ٤ ص ١٦١ للإمام شهاب الدين الخفاجى ، استنبول . المطبعة العثمانية سنة ١٣١٢ هـ .

(٤) اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين جـ ٩ ص ٦٨٤ العلامة السيد محمد الزبيدى

(١) يلاحظ أن الرواية التى نقلها الدكتور هيكل فى كتابه : (حياة محمد) والتى صدرنا بها هذا البحث تقول : ( والفقر فخرى ) مصداقا لقول الإمام على القارى ، فليتأمل .

(٢) الحديث الموقوف : هو الذى يختص به الصحابى ، ويسميه كثير من الفقهاء والمحدثين : أثراً .

(٣) الحديث المرفوع : هو ما أضيف إلى النبى صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا عنه .

قال الأئمة : موضوع . يحتمل أن يكون باعتبار بعض أفراده بناء على اختلاف إسناده[1] .

وإننى مع الإمام على القارى فى أن « القاضى عياض » ثبت ثقة ، بل هو من أئمتنا الأجلاء . ولكنه كعادة بعض أئمتنا القدامى - رضى الله عنهم - نقل كل غث وسمين وضمنه كتابه : « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » ... وهذا لا يقدح فى شخصه ، ولا يحط من قدر كتابه الرائع العظيم باستثناء بعض ما فيه من الموضوعات والمناكير كما يقول الإمام ابن تيمية رضى الله عنه .

فعند تبيين عدم صحة ما زعموه من أن آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام قد توسل إلى الله برسوله صلى الله عليه وسلم حينما رأى اسمه مكتوبا على قوائم العرش ليقبل الله توبته ويقيل عثرته ،

ويقول الإمام ابن تيمية : « وإنما ذكر هذا وأمثاله من يجمع الموضوعات الكثيرة والأكاذيب العظيمة . . مثل : القاضى عياض بن موسى اليسبتى[1] مع علمه وفضله ودينه أنكر العلماء عليه كثيرا مما ذكره فى « شفائه » من الأحاديث والتفاسير التى يعلمون أنها من الموضوعات والمناكير ، مع أنه قد أحسن فيه وأجاد ، بما فيه من تعريف بحقوق خير العباد ، وفيه من الأحاديث الصحيحة والحسان ما ينشرح به كل من عنده إيمان[2] » .

وإذ قد أثبتنا أن الإمام عياض قد ينقل الموضوع والمنكر نعود إلى نص كلامه إلى محاولة الإمام القارى التبرير للإمام عياض .

يقول الإمام القارى : ولا يبعد أن هذا من كلام على كرم الله تعالى وجهه موقوفا بمضمون ما سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أحوال متفرقة مرفوعا :

ويعنى هذا الكلام . صحة هذا الحديث وهو ما تنقضه .

---

(1) كتاب شرح الشفا جـ ١ ص ٣١٩ للإمام على القارى ، استنبول . المطبعة العثمانية سنة ١٣١٩ هـ .

(1) صحتها : ( السبتى ، نسبة إلى سبتة ) وهى بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب . ( انظر : معجم البلدان جـ ٣ ص ١٨٢ طبع بيروت دار صادر سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م ) .

(2) كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكرى ص ٦ : ٨ الإمام ابن تيمية ، القاهرة ، طبع المكتبة السلفية سنة ١٣١٦هـ

فقوله : ولا يبعد أن يكون هذا من كلام على كرم الله وجهه

كلام يفيد الاحتمال . ولا يكون الاحتمال طريقا إلى تحقيق علمى إلا بدليل ولا دليل .

ثم إن المرتقى من احتمال إلى احتمال آخر لجعل الكلام حديثا عن الرسول صلى الله عليه وسلم أبعد فى التحقيق العلمى ولا دليل فيه على الحديث بل لا يرفعه إلى مرتبة الضعيف .

وليس فى هذا الكلام إلا محاولة عالم فاضل العمل على حسن الظن بأخيه . وهذا أدب مقبول لكنه لا يستخدم فى بحث علمى .

وها نحن نرى تهافت نسبة ما صدرنا به هذا البحث إلى أفضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ... كما تراه فى أسلوبه أدنى من مستوى بلاغة وفصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى لا يدانيه فيهما إنسان .

وكان الأجدر بالمرحوم الدكتور محمد حسين هيكل وكل من يتصدى للكتابة عن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم أو ينقل حديثاً عنه أن يتثبت من صحة ما ينقله لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . لأن الناقل الذى لا يتثبت الحق فيما ينسب إلى رســــول الله صلى الله عليه وسلم ولا يستبين صحة الحديث من بطلانه وقوته أو ضعفه - يرتكب إثما كبيراً وذنباً عظيما ويشارك الذين اجترأوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبوا إليه ما لم يقله وإن كان متفقا مع القرآن والسنة الصحيحة ويصدق فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه : « من حدث عنى بحديث يرى[1] أنه كذب فهو أحد الكاذبين »[2] .

والحقيقة أن ما تصدينا له من بحث فهو : قطرة من غيث ، وحبة رمل فى فلاة ، وقليل من كثير مما يعتقده كثير من الناس أنه من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويخالف البعض كذلك . . وبالبحث عنه يثبت لنا أنه لا يمت بصلة إلى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فكرى زكى الجزار

---

(١) يرى - بضم الياء - أى يظن . والكتابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نقل الحديث عنه لا يجب أن يخضعا للظن لأن الظن لا يغنى عن الحق شيئاً . (والكاذبين تقرأ : بالجمع والتثنية ) .

(٢) انظر : صحيح مسلم ، الجزء الأول ، صفحة ٩ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، القاهرة . طبع ( عيسى البابى الحلبى ) سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .

# العرب والمسرح

للأستاذ محمد كمال الدين

– ١١ –

فنستطيع أن نذكر بعض الملاحم العربية الأخرى ، والتى تقوم على قصة تصلح لأن تكون مسرحا بالدرجة الأولى مثل قصص : ذات الهمة - فتوح اليمن - حمزة البهلوان - فيروز شاه - أحمد الدنف على الزيبق – ومن الملاحم الشعرية الخالصة نذكر ملحمة الفرزدق التى تتألف من مائة وتسعة أبيات ، وجرير التى تتكون من تسعة وأربعين بيتا ، وذى الرمة التى تتألف من مائة وأربعة عشر بيتا والكميت التى تتألف من خمسة وخمسين بيتا وملاحم الأخطل وعبيد الراعى ، وأبى الحسين ابن حازم القرطاجنى [١] وبها مائة بيت ، وأطولها ملحمة ابن عبد ربه فى القرن التاسع والعاشر الميلاديين وتقع فى خمسمائة وخمسين بيتا قسمها شاعرها على سنى الحكم والحوادث التى جرت للملك الناصر فى الأندلس حتى انتهى حكمه ، وملحمة أبى طالب بن عبد الجبار الذى كان يسمى بمتنبى المغـــرب فى الأندلس ونشرها ابن بسام فى خمسمائة وثمانى أبيات وهذه الملاحم كلها تروى قصص البطولة والفروسية كما عرفت واستقرت خلائقها وسماتها عند العرب بما تتضمنه من أساطير وسير وحكايات ونوادر .

هذا الشكل لا يختلف فيما كان عند اليونان ، التى تتخذ منها نموذجا ومثلا لتطور الفن المسرحى واستقراره على شكل معين ، ، فإذا كان المسرح اليونانى له ممثلون ونظارة ، فإن راوى القصة الشعبية العربية هو الممثل الوحيد [١] ، ومشاهدوه هم جمهور المستمعين وإن قل عدد جمهور المسرح عدداً ، ولعل أثرهم فى القصص الشعبى أعظم من أثر النظارة فى الأدب المسرحى لأن التفاعل بين

---

(١) الملحمة فى الشعر العربى سعد الدين الجيزاوى - المكتبة الثقافية عدد ١٨٢ سبتمبر سنة ٢٩٦٧ ص ٣٠

(١) الظاهر بيبرس - عبد الحميد يونس - المكتبة الثقافية - العدد الثالث - ص ٣١٠٧ .

المستمعين والقصاص ـ شاعراً كان أو محدثاً ـ كان بالغ القوة، فهم يستطيعون حمله على الإطناب أو الإيجاز أو الحذف أو التبديل فى نص القصة .

ومن هذه الألوان القصصية الدرامية، يمكن أن نصل إلى لون آخر نعده قصصاً دراميا أيضاً، وهو المقامة، والمقامة فى أصلها أدب تمثيلى عرف منذ العصر الجاهلى، وكانت تمثيلا مباشراً متواصلا يقوم به ممثل فرد [١]، وتعتمد دائما على الحضور فى النادى أو مجلس الخلفاء[٢] أو حضور الطلاب فى قاعة الدرس، أو احتشاد الجمهور فى أماكن السمر المختلفة، وهذا الحضور كان يقف على رأسه فنان مؤد من نوع أو آخر، فها هنا مؤد ومؤدى إليه، فنان وجمهور، ولم تنفصل المقامة قط عن الحضور حتى فى الطور الذى دفعها إليه بديع الزمان والحريرى، حيث المقامة نص أدبى يعتد به، ولكنها فى الوقت ذاته أدب حى قابل للتمثيل، ومن أشهر المقامات التى عرفناها، مقامات الجاحظ (٢٥٥ هـ)، ومقامات ابن دريد (٣٢١ هـ) ومقامات بديع الزمان الهمزانى (٣٥٨ - ٣٩٨هـ)، ثم مقامات الحريرى، وفى العصر الحديث فى مصر نجد مقامات عبد الله فكرى ١٨٩٠م، ومقامات إبراهيم الأحدب ١٨٩٠ م، وغيرها عند اليازجى وعلى مبارك والمويلحى. ونحن نعد المقامة من الأدب التمثيلى لأنها استعانت ـ فى تطورها من الجاهلية إلى الإسلام إلى العصر الحديث ـ على السمت والمظهر، وأحياناً على الزى الذى يرتديه راويها، وكان يصاحبها الرمز والإشارة والحركة وتلوين الصوت، كما أنها كانت تصطنع شخصية تحرك مختلف المواقف، وتستجيب لضرورات السلوك، وتتحدث بما ينبغى فى كل مناسبة، وخلقت راوية بين الأبطال وبين الناس، فهى بحق رائدة للرواية والقصة والتمثيل أيضاً [١]، وهى تشبه

(١) خيال الظل ـ عبد الحميد يونس ـ المكتبة الثقافية العدد ١٣٨ أول أغسطس سنة ١٩٦٥ ص ١٠ .

(٢) فنون الكوميديا ـ على الراعى ـ كتاب الهلال ـ العدد ٢٤٨ سبتمبر سنة ١٩٧١ ص ١٠ - ١١ .

(١) ظواهر تمثيلية فى الأدب الشعبى العربى ـ بحث لعبد الحميد يونس ـ المجلة ـ العدد ٤٦ أكتوبر سنة ١٩٦٠ ص ١٤ - ١٩ .

المسرحية - فى تصورها اليونانى القديم وتصورنا الحديث - فى أنها فن جماعى أى تقوم على ارتباط النص بالوجدان الجمعى المشاهد ، فقد ارتبطت بدار الندوة فى العصر الجاهلى ، وبعده انتقلت لمختلف الأماكن الجماهيرية كالسوق . والدار والشارع إلى جانب مجالس الخلفاء والوزراء من علية القوم .

فإذا أردنا نماذج تطبيقية على صدق دعوانا ، فلنستعن بإحدى مقامات الهمذانى ولتكن « المقامة المضيرية » إذ فيها شخصية رئيسية ، هى شخصية التاجر حديث النعمة [1] ، وكثير الفخر بنفسه وزوجه وماله ، الساعى بالنصب والاحتيال والجشع ، ثم شخصيتان أخريان لضيفين أو لم لهما ليتخذ منهما شهوداً ونظارة لعمل فنى يؤلفه من واقع مغامراته ، ويعقد على الراعى مشابهة بينها وبين كوميديا الأمزجة التى تقوم على دراسة كاريكاتورية مبالغاً فيها فى شخصية إنسانية منتزعة من واقع المجتمع ، تشبه ما فعله بن جونسون الكاتب المسرحى الإنجليزى الذى جاء بعد الهمذانى بخمسة قرون حين أخذ يكتب مسرحياته القائمة على الشخصيات مفردة الصفات ، ونستطيع فى « المقامة المضيرية » أن نقسمها إلى مشاهد درامية وأن نأخذ من أحد مشاهدها حواراً مسرحياً بنص كلامها كالمشهد التالى الذى يدور بين أبى الفتح الإسكندرى - بطلها - وبين التاجر وبين الصبيان :

يقوم أبو الفتح . .

التاجر : أين تريد ؟

أبو الفتح : حاجة أقضيها . .

التاجر : يا مولاى ، لو رأيتها ، والخرقة فى وسطها ( يصف بذلك زوجته لأبى الفتح ) .

وهى تدور فى الدور ، من التنور إلى القدور ، تنفث بفيها النار وتدق بيديها الأبزار وأنا أعشقها لأنها تعشقنى ، ومن سعادة المرء أن يرزق المساعدة من حليلته .

أبو الفتح : صدعنى بصفات زوجته ، ولكن ها نحن قد انتهينا إلى محلته .

التاجر : يامولاى ، ترى هذه المحلة ؟ هى أشرف محال بغداد ، يتنافس الأخيار فى نزولها ويتغاير الكبار فى حلولها ،

(1) فنون الكوميديا - على الراعى - ص ١١ - ٢٢ .

ثم لا يسكنها غير التجار ، وداري في السطة من قلادتها ، كم تقدر يامولاي أنفق على كل دار فيها ؟ قله تخمينا إن لم تعرفه يقينا .

أبو الفتح : الكثير .

التاجر : يا سبحان الله ، ما أكبر هذا الغلط ، تقول الكثير فقط ؟ ! ( يتنفس الصعداء ) سبحان من يعلم الأشياء .

أبو الفتح : انتهينا إلى باب داره .

التاجر : هذه داري ، كم تقدر يامولاي انفقت على هذه الطاقة ؟ .

أبو الفتح : . . . ( لا يرد )

التاجر : أنفقت والله فوق الطاقة ، ووراء الفاقة ، كيف ترى صنعتها وشكلها ؟

أبو الفتح : . . . ( لا يرد ) .

هكذا يستمر الحوار حتى تنتهي أحداث المقامة ، في أسلوب أدبي رشيق وتصميم فني دقيق ، إلى جوار الهدف الاجتماعي الواضح ، تجمع هذا في تركيب يؤلف بين القصة والمسرحية ، ونستطيع تخيل الأحداث مجسمة على المسرح بالتمثيل المباشر أمام جمهور مشاهد ، كما تستطيع السينما أو التليفزيون تجسيدها أيضا .

اهتم العالم الغربي بهذه المقامات فترجم المستشرق الألماني ريكرت ( ١٧٨٨ ١٨٦٦ ) مقامات الحريري وسماها حكايات أبي زيد السروجي ، ـ وهو بطل المقامات التي وضعت في الربع الأول من القرن الثاني عشر الميلادي ـ وأصبحت تنافس كتابات جوته في ذيوعها وانتشارها ، وقد تم العثور على عدد كبير من مخطوطات هذه المقامات تزينها الرسوم وهي محفوظة الآن في المتحف البريطاني والمكتبة الأهلية بباريس وفينا ، وتنتمي هذه الصور ، وهي عشرة [1] إلى المدرسة العباسية ذات الروح الابتكارية والحيوية والبساطة ، والميل نحو الزخرفة ، وهي من أعمال الرسام العربي (يحيى الواسطي) (٦٣٤هـ ـ ١٢٢٧م) ومنها صورة للسروجي يسأل الناس أثناء خطبة العيد وصورة أخرى له في هيئة حجام ، وصورة له أثناء مرضه وقد وقف ابنه عند رأسه ، وصورة له وهو يتطفل على نخبة من الناس جمعها مجلس طرب ؟

محمد كمال الدين

---

(١) أبو زيد السروجي بين الأدب والفن بحث حسن الباشا ـ المجلة ـ العدد ١٧ مايو ١٩٥٨ ص ٤٥ ـ ٤٨

# غلمان فى المعـــــــــركة

## للأستاذ محمد محمد الشرقاوى

تعودت - فيما تعودت - ألا أحرك يراعى إلا فى مفاخر الرجال ، وأمجاد الأبطال الذين هم فى عنفوان العمر .. أو شرخ الشباب من أمثال أبى بكر وعمر وعلى والمشيخة من شيب الصحابة وشبابهم .

حيث أجد فيهم ركائز للكتابة الهادفة ، ومحاور للأبحاث المستفيضة .. التى تستند إلى رجاحة العقل ، أو عظمة الشخصية ، أو وقار الشيوخ ، أو ألمعية الشباب .. أما الآن فسأشغل نفسى وقلمى وقرائى بالحديث عن غلمان يجتازون دور المراهقة ، ويستشرفون طور الشباب ، ويستعدون استعدادا فطرياً وعقليا .. لاستقبال الحياة أينع ما تكون الحياة ، وارتداء ثوب الرجال بما ينطوى فى أردائه من مسئوليات جسام ، وتبعات ضخام .

وقد لفت نظرى ، واستوقف فكرى . ما لمحته فى غضون حياتهم الباكرة من أعمال وبطولات قد تكون أخلد على الزمان من أعمال كثير من الشيوخ بله الشباب ، وما سجلوه فى تاريخ دينهم وعقيدتهم من أساطير كانت وستكون منارة إشعاع وهداية للأجيال من بعدهم .. يجدون فيها دروسا نافعة ، ومواعظ مؤثرة .. تجعل منهم أساتذة فى حلبة الإيمان ، وقادة فى ميادين الفدائية والنضال .

فقبل أن يغادر الرسول منطقة المدينة بجيشه يوم الخروج إلى بدر .. ضرب عسكره فى مكان متصل ببيوت المدينة يقال له : « السقيا » وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أول شارب من بئر هذا المكان. ثم أمر أصحابه أن يستقوا منه .. وصلى عنده ركعتين .

ثم وقف يودع المدينة فى رحلته إلى المعركة الأولى فى حياة الإسلام والمسلمين ، ويبثها أحر ما ينبض به قلب محب عارف بالجميل فقال : « اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لأهل مكة ، وإنى محمد عبدك ونبيك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم فى صاعهم ومدهم وثمارهم ، اللهم حبب إلينا المدينة ، واجعل ما بها من الوباء بخم ( وخم على ميلين من

الجحفة على مقربة من البحر ) . اللهم إنى قد حرمت ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم خليلك مكة » ، ( واللابتان : الجبلان المحيطان بالمدينة ) .

ثم أخذ القائد محمد صلى الله عليه وسلم يستعرض جيشه ، ويتفقد جنده . بعين الناقد البصير . . فمن رآه أهلا للنضال المسلح استبقاه ، ومن وجده دون ذلك ، لصغر فى عمره ، أو ضعف فى بنيته ، رده إلى موعد آخر . . وفى أثناء تجواله بين المقاتلة رأى سبعة من الفتيان الذين لم ينضج عودهم ، ولم تشتد سواعدهم . . فأخرجهم ولم يجزهم وامتثلوا لأمر القائد ، أما هؤلاء السبعة فهم : عبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، ورافع بن خديج ، والبراء بن عازب ، وأسيد بن ظهير ، وزيد بن أرقم ، وزيد بن ثابت . . بيد أن غلاما ثامنا استطاع بدموعه المترقرقة فى مقلتيه أن يتخذ منها شفيعا لدى الرسول لكى يبقى فى مصاف الرجال ، ولكى يخوض معركة الأبطال . . حرصا منه على الشهادة ، ورغبة منه فى المشاركة الإيجابية الباكرة .

يقول سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : « رأيت أخى عمير بن أبى وقاص قبل أن يعرضنا النبى صلى الله عليه وسلم يتوارى .. فقلت مالك يا أخى ؟ فقال : إنى أخاف أن يرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستصغرنى فيردنى ، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقنى الشهادة . . قال : فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستصغره فقال : ارجع ، فبكى عمير .. فأجازه الرسول . قال سعد : فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره ، فقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة . .

وهكذا انطلق ذلك الغلام اليافع مع الركب الصاعد وهو ثمل من نشوة الظفر . . بانحيازه إلى جانب الرجال الكبار ، والأبطال المغاوير وقد أطربته كلمة الرسول صلى الله عليه وسلم حين بدأ المسيرة التاريخية بعد أن فصل من بيوت السقيا قائلا : « اللهم إنهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فأشبعهم وعالة فأغنهم من فضلك » . قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فما رجع أحد منهم حتى أغناه الله من فضله .

تلك هى روح الفدائية والبطولة التى كانت تسرى فى دماء المحاربين الأوائل ،

وتنقل خطواتهم على أرض المعركة : الصغير يزاحم الكبير ، والغلام يدعى الشباب ، والدموع تنساب من المآقى الرطيبة حبا فى التضحية وأملا فى الشهادة من أجل المبدأ الحق والعقيدة الصادقة ، والحق المسلوب .

وفى العام التالى تكررت الصورة بغلمانها ، ودهائها المشروع ، وحيلتها البارعة ومحاولاتها اللطيفة التى لا يعدلها فى لطفها إلا سمات هؤلاء الغلمان وهم يخطرون فى ثوب المراهقة وحداثة السن وتتطاول أعناقهم فى عناد وتصميم إلى قمم المجد ، ومنازل الأبطال .

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم أحد . . يدعو بفرسه فيركبه . . متقلداً قوسه آخذا بيده قناته ، بيده زج الرمح ، والمسلمون مدججون بالسلاح والدروع .

وانطلق السعدان : سعد بن عبادة ، وسعد بن معاذ أمام ركب القائد يشقان الطريق ، ويسابقان الريح ، ويستعرضان أعمال الفروسية أمام الجيش الزاحف ، والناس عن اليمين وعن الشمال وكأنهم فجر يغمر الأفق بنوره اللماح . . ليطارد فلول الظلام بعد ليل حالك الإهاب . .

ويقف الرسول بجيشه عند مكان يسمى « الشيخان » وأخذ يستعرض جيشه . فنظر إلى كتيبة دخيلة فسأل عنها فقيل : حلفاء عبد الله بن أبى بن سلول من اليهود فردهم الرسول وقال : (لا يستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك . . ) ثم عرض عليه غلمان تبدو عليهم علائم الصغر . . يسابقون أعمارهم . . ويتعجلون أقدارهم فردهم ، وهم : عبد الله بن عمر ؛ وزيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد ؛ والنعمان بن بشير وزيد بن أرقم ؛ والبراء بن عازب ؛ وأسيد ابن ظهير ؛ وعرابة بن أوس ؛ وأبو سعيد الخدرى ، وسمرة بن جندب ؛ ورافع ابن خديج . . إلا أن الغلمان لم يتسللوا من الصفوف فى سهولة ؛ ولم يفارقوا الجيش فى يسر ؛ بل أخذوا يحتالون فى حرص وإلحاح لكى يأخذوا مكانهم فى الصف . . فتقدم رافع إلى الرسول وشهد له البعض بأنه يحسن الرماية ؛ وكان يتطاول على أمشاط قدميه مستعينا بخفين له حتى يوارى قصر قامته ؛ وخفة مظهره .

وأخيرا نجحت الحيلة ، وأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهنا

تحركت المنافسة الشريفة فى صدر رفيقه سمرة وذهب إلى ربيبه مرى بن سنان وهو زوج أمه وقال يا أبت .. أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن خديج وردنى ، وأنا أصرع رافع بن خديج فقال مرى : يارسول الله .. رددت ابنى وأجزت رافع بن خديج وابنى يصرعه ، فأمر رسول الله أن يتصارع الغلامان : رافع ، وسمرة . حتى تنجلى حقيقة الأمر فتصارعا .. وصرع سمرة رافعا فأجازه رسول الله .

وإذا تركنا أحدا لنعود إلى بدر مرة أخرى وجدنا التاريخ يحدثنا عن مصرع الطاغية أبى جهل عدو الإسلام الأول . ويذكر لنا بأحرف من نار ونور أن نهاية ذلك الفرعون لم يكن على يد كبار المحاربين ، ولا شباب المسلمين .. وإنما على يد غلامين هما ابنا عفراء .. التقى سيفاهما على جسد رأس الكفر . فواحد يمزقه ، والآخر يثبته .. يروى ابن هشام فى « السيرة النبوية » نقلا عن ابن اسحاق قصة هذين الغلامين واسم أحدهما معاذ بن عمرو ابن الجموح واسم الآخر معوذ بن عفراء ويعرفان بابنى عفراء : « قال معاذ : سمعت القوم - وأبو جهل فى مكان حصين - يقولون : أبو الحكم لا يخلص إليه ( يريدون أبا جهل ) .. فلما سمعتها جعلته من شأنى .. فصمدت نحوه . فلما أمكننى حملت عليه .. فضربته ضربة أطاحت قدمه بنصف ساقه ، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها . قال : وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى .. فطرح يدى . فتعلقت بجلدة من جنبى . وغابنى القتال عنه .. فلقد قاتلت عامة يومى ، وإنى لأسحبها خلفى ، فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ثم تمطيت بها حتى طرحتها ، وقد عاش بعد ذلك بذراع واحدة حتى زمن عثمان رضى الله عنه .. وبقى أبو جهل يتخبط فى دمه بعد هذه الضربة المفاجئة إلى أن انتهز الغلام الآخر معوذ . فرصته المواتية فضربه الضربة القاضية وتركه وبه رمق . حتى عثر عليه ابن مسعود فى نهاية المعركة فاحتز رأسه وألقاها بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم .

أيها الغلمان الأبطال بل أيها الصغار الكبار .. معذرة إذا أطلقت اسم الغلمان

( البقية على ص ٤٧١ )

# فروق بين ألفاظ متقاربة

للأستاذ عباس حسن أبو السعود

## - ٨ -

٤١ - ولا يفرقون بين الحمل بكسر الحاء، والحمل بفتحها: فهو بالكسر ما يحمل على الظهر ونحوه، قال تعالى: «ولمن جاء به حمل بعير» جمعه أحمال.

أما مفتوح الحاء فهو حمل المرأة وحمل الشجرة، قال تعالى: «وتضع كل ذات حمل حملها»، جمعه أحمال أيضا كما في قوله عز شأنه: «وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن».

وذكر ابن دريد أن حمل الشجرة فيه الفتح والكسر، والأفصح ما ذكرنا، ويؤيده ابن السكيت فقد قال: الحمل بالفتح ما كان في بطن أو على رأس شجرة والحمل بالكسر ما كان على ظهر أو رأس قال الأزهري: وهذا هو الصواب، وهو قول الأصمعي.

ويقال: امرأة حامل، وحاملة إذا كانت حبلى، فمن قال حامل قال هذا نعت لا يكون إلا للإناث، ومن قال حاملة بناه على قولهم: حملت المرأة فهي حاملة

ولكنها إذا حملت شيئا على ظهرها أو على رأسها فهي حاملة لا غير، لأن الهاء إنما تلحق للفرق فما لا يكون المذكر لا حاجة فيه إلى علامة التأنيث، فإن أتى بها فإنما هو على الأصل.

هذا قول الكوفيين، أما البصريون فقالوا: هذا غير مطرد، لأن العرب قالت: رجل أيم، وامرأة أيم، ورجل عانس، وامرأة عانس مع الاشتراك، وقالت: امرأة مصبية إذا كانت ذات صبية، وكلبة مجرية إذا كانت ذات جراء مع الاختصاص، قالوا: والصواب أن يقال إن قولهم: حامل، وطالق، وحائض ونحوها أوصاف مذكرة وصفت بها الإناث، كما أن راوية، وصف مؤنث وصف به المذكر، وهو البعير أو البغل أو الحمار يستقى عليه.

٤٢ - ولا يفرقون بين أخر التي هي جمع لأخرى مؤنث آخر بفتح الخاء بمعنى الواحد المغاير، وبين أخر التي هي جمع

الأخرى بمعنى آخرة مؤنث آخر بكسر الخاء ، فيمنعونهما من الصرف .

والصواب أن أخر الأولى هي التي تمنع من الصرف للوصفية ، والعدل ، تقول: مررت بنسوة أخر ، ومن هذا قوله تعالى: « فعدة من أيام أخر » .

وأما أخر الثانية فهي مصروفة لانتفاء العدل ، فمفردها أخرى بمعنى آخرة ، والدليل على ذلك قوله تعالى: « وأن عليه النشأة الأخرى » وقوله في آية أخرى: « ثم الله ينشىء النشأة الآخرة » فوصفه النشأة بالأخرى ، وبالآخرة يشير إلى أن معناهما واحد هو الإحياء بعد الموت فأخرى هنا ليست من باب أفعل التفضيل.

والفرق في المعنى بين أخرى أنثى آخر وأخرى بمعنى آخرة أن الأولى لا تدل على الانتهاء ، ويمكن أن يعطف عليها مثلها ، فتقول: فازت فتاة أخرى وأخرى

أما الثانية فتدل على الانتهاء ، ولا يمكن أن يعطف عليها مثلها ، لأن الانتهاء لا يتعدد ، وأخرى هذه هي المقابلة للأولى في قوله تعالى : « وقالت أولاهم لأخراهم » ومذكر هاتين الكلمتين هو الأول والآخر بكسر الخاء كما في قوله سبحانه: « هو الأول والآخر » .

٤٣- ولا يفرقون بين الكم بكسر الكاف والكم بضمها ، فالأول هو وعاء الطلع وغطاء النور كالكمام والكمامة بكسرهما ، وجمع الكم أكمام ، وجمع الكمام أكمة كزمام وأزمة .

تقول : كمت النخلة تكم كما من باب رد ، وكموما أيضا إذا أطلعت ، وأكمت إذا أخرجت كمامها ككممت ، وخرجت الثمرة من كمها ، والثمار من أكمامها ، وكمت النخلة بالبناء للمجهول فهي مكموم ونخل مكمم بصيغة اسم المفاعل ، قال :

رأيت جمال الحي لما تحملوا(١)
حوامل للأحداج(٢) نخلا مكمما

أما مضموم الكاف فهو مدخل اليد ومخرجها من الثوب ، جمعه أكمام ، وكمة كقرط وقرطة ، تقول : أكم الخياط القميص إذا جعل له كمين ، وشمر فلان كمه ، وثوب طويل الأكمام .

٤٤- ولا يفرقون بين طعام الغدو ، وطعام نصف النهار ، فيزعمون أن الغداء هو طعام نصف النهار ، وهذا وهم واضح

---

(١) تحملوا : ارتحلوا .

(٢) الأحداج : جمع حدج بالكسر وهو الحمل ومركب للنساء كالمحفة .

والفصيح أنه طعام الغداة ، وهى ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس ، وهو الذى يطلق عليه العامة كلمة ( الفطار ) جمعه أغـــدية .

أما طعام نصف النهار فاسمه عند العرب الكرزمة وزان المرحلة ، والهجورى بفتح الهاء وتشديد الياء ، والعشاء بالفتح هو الطعام الذى يتعشى به وقت صلاة العشاء جمعه أعشية ، تقـول تعشى فلان فهو متعش ، وعشيان ، كما يقال : تغدى فهو متغد وغديان .

والسحور بالفتح ما يـؤكل فى وقت السحر وهو قبل الفجر .

والفطور بالفتح ما يتناوله الصائم عقب غروب الشمس كالفطورى ، تقول أفطر الصائم فهو مفطر ، وهم مفاطير ، كما تقـول : أفلس التاجر فهو مفلس ، وهم مفاليس .

٤٥ - ولا يفرقون بين الحس بكسر الحاء والحس بفتحها : فهو بالكسر الصوت الخفى كالحسيس فى قوله عـــز شأنه : « لا يسمعون حسيسها » ، وهو أيضا الوجع تقول : النفساء تشتكى حسا فى رحمها أى وجعا ، أما مفتوح الحاء ، فمعناه : القتل والاستئصال ، تقـول : حسه حسا فهو حسيس أى قتله قتلا فهو قتيل وصحبوهم يحسونهم أى قتلوهم قتلا ذريعا واستأصلوهم ومن هذا قوله تعالى : « إذ تحسونهم بإذنه » .

وهو أيضا العلم : تقول : حسست الخبر حسا من باب نصر إذا علمته فهو محسوس ، ورجل حساس للأخبار إذا كان كثير العلم بها ؛ ومثله الإحساس ، تقول : أحس الرجل الشىء إحساسا إذا علم به ؛ وفى التنزيل : « فلما أحس عيسى منهم الكفر » .

وأصل الإحساس الإبصار ؛ ومنه قوله جل شأنه : « هل تحس منهم من أحد » أى هل ترى وتبصر ثم استعمل فى العلم بأى حاسة كانت .

٤٦ - ولا يدركون ما بين الآخِر بكسر الخاء والآخَر بفتحها من الفروق ؛ وقد يستعملون أحدهما مكان الآخر ، والواقع أن بينهما خمسة فروق :

١ - أن الآخر بالكسر خلاف الأول ؛ كما فى قوله تعالى : « هو الأول والآخر » .

أما الآخر بالفتح فهو بمعنى الواحد المغاير ؛ كما فى قوله تعالى : « فتقبل من

أحدهما ولم يتقبل من الآخــــر » .

٢ — أن مكسور الخاء مؤنثه آخرة ، وهي ضد الأولى كما في قوله جل شأنه : « له الحمد في الأولى والآخرة » .

ويقال : جمادى الآخرة بمعنى المتأخرة لا الأخرى بمعنى الواحدة المغايرة ؛ كما يقال :

شهر ربيع الآخر بكسر الخاء لا بفتحها الذي هو بمعنى الواحد المغاير ، وجمعه أواخر؛ وآخرون، ومن هذا قوله تعالى: « وتركنا عليه في الآخرين » .

أما مفتوح الخاء فمؤنثه أخرى كما في قوله سبحانه « ولي فيها مآرب أخرى » وجمعه آخرون كما في قوله : « وآخرون مرجون لأمر الله » وجمع أخرى أخريات وأخر . قال تعالى: « فعدة من أيام أخر » .

٣ — أن مكسور الخاء وزنه فاعل ؛ أما مفتوحها فوزنه أفعل .

٤ — أن مكسور الخاء مصروف ؛ وكذا مؤنثه ، تقول : عاد الرجل آخراً وعادت زوجته آخرة بالتنوين فيهما .

أما مفتوحها فممنوع من الصرف للوصفية ووزن أفعل ؛ قال تعالى: « ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر » ، وكذا مؤنثه ممنوع من الصرف لألف التأنيث المقصورة كما في قوله تعالى: « ولقد رآه نزلة أخرى » ، وكذا أخر الذي هو جمع أخرى ممنوع من الصرف للوصفية والعدل ؛ كما في قوله سبحانه : « هن أم الكتاب وأخر متشابهات » .

٥ — أن مكسور الخاء ومؤنثه يدلان على الانتهاء ، ولهذا لا يجوز أن يعطف عليهما ، فلا يقال : خرج آخر الزائرين ثم محمد ، ولا خرجت آخرة الزائرات ثم خديجة .

أما مفتوح الخاء ومؤنثه فلا يدلان على الانتهاء ؛ ولذا يجوز العطف عليهما فيقال : أثنيت على زميل وزميل آخر ثم أخي الصغير ، وأكرمت أختي وفتاة أخرى ثم أباها .

٤٧ـ ولا يفرقون بين كلمتي: أسوان بضم الهمزة ، وأسوان بفتحها ، ويستعملون إحداهما مكان الأخرى، والحق أن لكل منهما معنى خاصا بها يخالف معنى الأخرى

فهي بالضم علم لبلد بالصعيد أما مفتوحة الهمزة فمعناها الحزين، مأخوذة من الأسى وهو الحــــزن ، وكذلك هو المداواة والعلاج ، تقول : أسوت الجرح أسوا

من باب عدا ، وأسا أيضا إذا داويته ، فهو مأسو ، ومنه الآسى أى الطبيب ، جمعه أساة بالضم كقضاة ، وإساء بالكسر كرعاء ، وهى آسية من أواس وكل هذا من الفعل الواوى ومن الفعل اليائى تقول : أسيت عليه كرضيت أسى أى حزنت ، ورجل أسيان وهم أسيانون وامرأة أسيانة ، وهن أسيانات .

٤٨ – ولا يفرق بين الهون بضم الهاء ، والهون بفتحها ، ويستعملونهما لمعنى واحد ، والواقع أن بينهما تناقضا فى المعنى :

فالهون بالضم هو الهوان والذل والخزى ، كما فى قوله عز شأنه : « اليوم تجزون عذاب الهون » . وقوله : « أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب » .

أما الهون بالفتح فهو الرفق والسكينة ، ومنه قوله تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا » ، وفى المثل : « أحبب حبيبك هونا ما » .

عباس أبو السعود

---

( بقية المنشور على ص ٤٦٦ )

عليكم فإنما أنا ناقل عن كتب عنكم وسجل فى لوحة الشرف قصتكم . أما الآن وقد قبست من نور شمائلكم مشعلا ورفعت من طيب ذكركم راية . فإنى فى دوامة هذه المفاخر الناشرة أعلم علم اليقين أنى شغلت قلبى ونفسى وقرائى بأبطال من الصف الأول ، وقادة من النوع النادر خلدوا الأجيال تلو الأجيال وهم فى نضارة العمر وغضارة الحياة – كيف تكون الفدائية وكيف تتحول العزيمة إلى قوة دافعة ودفعة صاعدة ، تجعل من الصغير بطلا عظيما ، ومن الغلام اليافع مقاتلا صنديدا سلام على غلمان الإسلام فى المعركة ، سلام على عمير بن أبى وقاص ، سلام على سمرة ابن جندب ، سلام على رافع بن خديج سلام على معاذ بن عمرو بن الجموح ، سلام على معوذ بن عفراء ؟

محمد محمد الشرقاوى

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

---

● صور من البلاغة المحمدية :

تأليف : د . عبد الحميد محمد العبيسى

الكتاب دراسة تحليلية بيانية للأحاديث المختارة ، كما أراده المؤلف ، الدكتور العبيسى مدرس البلاغة والنقد الأدبى بجامعة الأزهر ، فقد اختار خمسة عشر حديثا من الأحاديث النبوية المشهورة ، ذات اتجاهات عظيمة فى التربية والسلوك فى شتى المجالات ، بعض هذه الأحاديث يشير إلى القرآن كدستور للحياة ، وبعضها يهتم بقضايا الإيمان وأنماط الناس .

الحق أن المؤلف فى دراسته هذه قد التزم بالعنوان الذى اختاره لهذه الدراسة فقدم لنا صورا بلاغية من أقوال الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - فهو يعرض الحديث النبوى ، ثم يبدأ التعليق بنبذة من راويه ، ثم يشرح للمفردات اللغوية فى تبسط ، ثم يعرب بعض الألفاظ ، ثم يذكر الأسرار البلاغية فى الحديث ، ثم يوجز المعنى الإجمالى له ، ويختم منهجه بإبراز ما يؤخذ منه .

يلاحظ أن المؤلف يعتبر هذا المنهج أفضل الوسائل لدراسة الحديث الشريف لكن ليس معنى هذا أن مثل هذا النهج هو أفضل الوسائل لدراسة البلاغة المحمدية ، وكون الشريف الرضى المتوفى فى أوائل القرن الخامس الهجرى ، قد ألف كتابه « المجازات النبوية » على هذا النهج ، لا يقوم دليلا لا يقبل المناقشة على أن هذا النهج هو أفضل الوسائل ، وبخاصة بعد أن بلغت المناهج الدراسية شوطا كبيرا من التطور . .

ويلاحظ أيضا - وقد اتبع المؤلف منهجا تحليليا فى دراسته للحديث يقوم على ست مراحل - أن نصيب المرحلة الخاصة بأسرار البلاغة ، أقل حظا من المراحل الخمسة من معطياته التى أمتعتنا فى الحقيقة بثروة لا بأس بها فى اللغة والتراجم والنحو والصرف ..

● ملامح من هذا الدين :

لفضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم

هذا كتاب جديد للمؤلف يقع في زهاء مائتي صفحة ، نشر ضمن سلسلة دراسات الإسلام التي يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، تناول فيه عدة جوانب من الإسلام ، هي بمثابة ملامح من هذا الدين تؤكد أن الإسلام - منذ أكمل الله به الدين ، وأتم به النعمة على المسلمين ، ورضيه لهم دينا - هو وحده الملجأ والملاذ ، وهو وحده طوق الإنقاذ من طوفان مبادىء وأفكار ونظم وقيم ، يراد لها أن تكون بديلا عن دين الله ، كما يقول المؤلف في مقدمة كتابه .

ومن الجوانب التي طرقها المؤلف : الإيمان بالله طوق النجاة - الإسلام يرسى قواعد العلم - أمام كتاب الكون المفتوح الإسلام دين الحياة ، ودين الجهاد العادل - فطرة الله ومنطق الحياة - المسلمون خير أمة - الإسلام دين الوفاء والإخاء .

هذا وقد تصدى المؤلف للملاحدة : تحت عنوان : منكرو وجود الله في عصر النور ، وكان فضيلته موفقا في كل ما كتب ، لكني لست معه في أن أولئك الملاحدة من القلة بحيث لا يحسب حسابهم منصف ، لأنهم أصبحوا اليوم - على قلتهم - أكثر تشبثا بالباطل ، يتحركون في ظل الاتجاهات دون أن يملوا الحركة ، ومهما قل شأنهم فالإسلام يفرض علينا أن نتعقبهم في كل مكان ، ولا نترك لهم فرصة يتمكنون من خلالها من التسلل إلى عقول شبابنا المسلم .

وكان خاتمة المطاف في هذه الدراسة ، صفحات معدودة قوية مؤمنة تحت عنوان : « في مستوى الأحداث » إن كل مسلم - كما يقول المؤلف - على ثغر من ثغور الإسلام استحفظه الله إياه ، وهو سائله عنه ، ورعاية المسلم لمسئوليته وجه من وجوه تكريم الله للإنسان . وما أكثر الذين يتنكرون للتبعات الملقاة على عواتقهم ويخونون أمانات المسئوليات التي هي جوهر إيمانهم وإنسانيتهم ، ويرضون لأنفسهم أن لا تكون شيئا ذا بال في موازين الرجال ... وحساب هؤلاء بين يدي الله كبير وشديد .. !

● المختـــار من الأنوار في صحبة الأخيار - للشعراني

هذا الكتاب الذي نشر ضمن سلسلة البحوث الإسلامية ، يقع في أقل من مائة وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، وهو نصوص مختارة من كتاب الشعراني المسمى « الأنوار في صحبة الأخيار »

وقد قام باختيار هذه النصوص من الأصل المخطوط ، وتحقيقها وتقديم المؤلف فى صفحات بلغت بضع عشرة صفحة ، العالمان الأديبان : الدكتور عبدالرحمن عميرة ، والأستاذ طلعت غنام ، والحقيقة أن المحققين الفاضلين أحسنا الاختيار ، وأجادا التحقيق من حيث الضبط والشرح والتعليق والتخريج والترجمة ..

أما ما اختاره المحققان من النصوص فهو مما يدور فى إطار السلوك الإنسانى فيما يتصل بالأخوة فى الله ، التى هى - كما يقول المؤلف - من أوثق عرى الإسلام ومن أكبر أبواب الخير ، وقد رغب العلماء فيها سلفا وخلفا ، والصحبة فى الله لها حقوق ، منها : أن يتعامى الأخ عن عيوب أخيه ، وأن يحمل مايراه منه على وجه من التأويل ، كذلك لهذه الصحبة فى الله آدابها ، منها : الفرار إلى الله فى جميع الشدائد ومراقبته ، ولزوم الرحمة للمؤمنين ..

إن الشيخ الشعرانى فى هذا الموضوع السلوكى ، اختار معظم الشواهد من أقوال القوم الصوفية ، حتى بدا نصيب الشواهد من الكتاب والسنة ضئيلا ، مع أن الكتاب والسنة حافلان بالشواهد التى تخدم الموضوع ، أما المقدمة المسهبة التى قدم بها المحققان الشعرانى ، فهى تمثل وجهة نظرهما ، ولا أظن أنهما أرادا بما جاء فيها أن يكون من المسلمات التى لا تقبل المناقشة ، لكن يبقى بعد ذلك أن مكانة العالمين الجليلين من حيث تحقيق النص ، لها تقديرها .

● الكاتبة الصحفية الأستاذة سى شاهين المحررة بدار أخبار اليوم كاتبة وقور فى ألفاظها ، موضوعية فى كتاباتها ونحن نقرأ لها ما تكتب ، ونستريح لطريقة عرضها للمشكلات والقضايا .

لذلك دهشت ودهش غيرى لما كتبته منذ أسابيع تحت عنوان : « التربية السليمة أم . »فقد روت لنا على لسان مدرسة عملت مراقبة فى إحدى لجان امتحان الشهادة الإعدادية للبنات ، حيث ضبطت المدرسة فتاة متلبسة بالغش عن طريق إخراج قصاصات ورق مكتوبة من جيوبها لتستعين بها على الإجابة عن الأسئلة ، وكان أن تصرفت المدرسة بلباقة واستولت على قصاصات الورق ثم أودعتها فى حقيبتها ، ونسيتها أياما ثم تذكرتها ، وكان مفاجاة لها - أى للمدرسة - أن وجدت بين القصاصات رسالة غرامية

بخط الطالبة إلى حبيبها تفيض ألفاظا مبتذلة وأساليب فاضحة ، أما المثير فى هذه القصة ، فهو أن الطالبة .. كانت ممن يرتدين الملابس الطويلة الواسعة المبالغ فى حشمتها ، البنطلون طويل فوقه معطف واسع و « إيشارب » يغطى كل الرأس وجزءا من الوجه ومع ذلك - على حد تعبير المقال - فإن هذه الطالبة نفسها المحتشمة منظرا ، سمحت لنفسها خطأ وخطيئة ، أما الخطأ فهو الغش ، وأما الخطيئة فتتمثل فى خطابها الغرامى الفاضح ..

لقد حاولت الكاتبة أن تجعل من هذه المسألة قضية جديرة بالمناقشة ، ولا مجال هنا حتى للإشارة إليها . والذى يهمنا هو أن نشير إلى أن القارىء للقصة تزكم أنفه رائحة الصناعة والاختلاق ، وإذا كنا نثق فى أمانة النقل لأننا نعرف الكاتبة فليس لأحد أن يفرض على عقولنا الثقة فى شاهدة العيان التى روت القصة للكاتبة ، ولنفرض جدلا أن للقصة بعض رتوش الحقيقة ، فهل معنى هذا أن يصبح انحراف فتاة محتشمة مسوغا للنيل من الزى المحتشم والتهكم عليه ..

كم كنا نود من الكاتبة الوقور - بدلا من أن تحول القصة القلقة إلى قضية متشعبة الجوانب - أن تحولها إلى معنى سام ، هو الدعوة إلى أن يكون خطار الاحتشام مطابقا لسلوك المحتشمات ، حتى ينلن رضا الله ، وثقة المجتمع ..

● قراءات :

«الإسلام كل لا يتجزأ ، ودين متكامل لا يستقيم جانب منه إلا بتطبيقه كله ، ولا يستفيد منه مجتمع إلا إن أخذ به من كل نواحيه ، ورضى به منهاجا للحياة وطريقا فى الوجود .. ذلك لأن كثيرين يعتقدون أن بإمكانهم أن يأخذوا من الإسلام ما يشاءون ، ويذروا منه ما يشاءون .. وهم بهذا مسلمون .. وهو خطأ بالغ يأباه الإسلام فى جوهره ، ويستحيل تطبيقه والقرآن يحذر من ذلك بقوله :

(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) .

من كتاب الأسرة فى الإسلام ، للدكتور مصطفى عبد الواحد

محمد عبد الله السمان

# باب الفتوى

[illegible] الأستاذ / محمد [illegible]

---

السؤال :

هل يجوز الانتفاع بجلد الميتة من الحيوانات ؟

( الجواب )

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

بأنه يجوز الانتفاع بجلد الميتة إذا دبغ إلا جلد الكلب والخنزير . قال صلى الله عليه وسلم : « أيما إيهاب دبغ فقد طهر » والله تعالى أعلم .

• • •

السؤال من المواطن / الأستاذ بكر محمود محفوظ :

هل يجوز التداوى بمادة الأنسلين التى تستخلص من بنكرياس الخنزير مع وجود دواء بديل ومستخلص من بنكرياس العجول ؟

( الجواب )

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

بأنه لا يجوز شرعا للمسلم التداوى بالأنسلين المتخذ من بنكرياس الخنزير ما دام هناك دواء بديل عنه متخذ من بنكرياس العجول . والله تعالى أعلم .

• • •

السؤال من المواطن / محمد سمير محروس

ما حكم الصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم - عقب الأذان ؟ .

( الجواب )

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

بأن لا خلاف فى أن الصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم - مطلوبة من كل من المؤذن والسامعين عقب الأذان وإن لم تكن جزءا منه . ورد فى الحديث : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على » رواه مسلم .

ودعوى أن الجهر بها من المؤذن - بدعة محرمة - دعوى باطلة والله أعلم .

* * *

السؤال من المواطن / فتحى سعيد :
هل تقبل صلاة الزانى أوشارب الخمر؟

(الجـــواب)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

بأن الصلاة ركن من أركان الإسلام عليه أن يؤديها كما فرضت عليه ولا يحول دون ماصحتها ما اقترفه من إثم متى كانت مستوفية شروطها وأركانها أما ما فعله من زنا أو شرب خمر فعليه إثم ذلك ويجب عليه أن يبادر بالتوبة رجاء أن يتوب الله عليه ، وأما أمر قبول صلاته عند الله أو عدم قبولها فأمره مفوض إلى ربه . والله تعالى أعلم .

* * *

السؤال : من المواطنين / محمد الأمير موسى ، عبد الفتاح شهاب ، على كريم ، أحمد عبد العليم وآخرين :

بعد التحية : فإنه يوجد بشارع المنيل بالقاهرة الممتد من القصر العينى إلى أقصى الروضة فى مساحة تبلغ خمسة كيلو مترات والمحروم من المساجد الجامعة - قطعة أرض فضاء فى منتصف ميدان الباشا . ظلت مهملة عشرات السنين وملتى للقاذورات ومرتعاً للجرائم ومأوى للصوص والمنحرفين وضهر صورة ، ومنذ مدة طويلة أقام المسلمون مصلى لإقامة الشعائر الدينية على تلك القطعة ومن حوالى ثلاثة شهور أقمنا بها مسجداً أقيمت فيه الشعائر الخمس وصليت فيه الجمع والعيدان وأقيمت فيه الاحتفالات الدينية وألقيت المحاضرات الإسلامية فى المناسبات من أعـــلام الإسلام ، والآن ظهر رجل مسلم يدعى ملكية هذه القطعة التى أقيم عليها المسجد ، ويسعى جاهداً لهدمه . فما رأيكم ؟ وما حكم الصلاة فيه ؟

(الجـــواب)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

حيث إنه قد أقيم المسجد وأقيمت فيه الشعائر وصليت فيه الجمع والعيدان واحتفل بافتتاحه . والآن يتوقع كثيراً

أن تثور الفتن بين المسلمين بعضهم مع بعض إذا ما تعرض إلى إزالة هذا المسجد .

فتفادياً لمثل هذا الشر المستطير وتقديماً للمصلحة العامة ومحافظة على شعور المسلمين . نرى وجوب الإبقاء على المسجد على أن يرد إلى المدعى ما دفعه ثمناً لأرض المسجد بعد أن تثبت ملكيته لها رسمياً . والصلاة فى هذا المسجد صحيحة ولا حرمة فيها والله تعالى أعلم ؟

• • •

السؤال من المواطن / مصطفى شعراوى

هل يجوز قراءة القرآن فى صلاة التراويح فى رمضان من غير تجويد حرصا على زيادة كمية القراءة وحتى يتيسر بذلك إتمام قراءة القرآن فى الشهر كله وأيضا فى هذا الجمع بين كثرة المصلين وبين إتمام قراءة القرآن كله فى صلاة التراويح .

( الجــــواب )

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

بأنه يجب أن تكون القراءة مستوفية أحكام التلاوة والترتيل ، وترتيل القراءة يقتضى أن توفى الحروف حقها من الإظهار والإخفاء والغن والمد إلى غير ذلك .

والقراءة بدون ذلك ناقصة لا يصح الاكتفاء بها وإن كثرت مع القدرة على القراءة بالتجويد والله تعالى أعلم ؟

° ° °

السؤال من المواطن / جبريل إبراهيم أرويص

عبد أعتق وكان له بنت ، توفى العبد وليس له وارث غير ابنته ثم توفيت البنت دون أن تترك وارثا سوى حفيد المعتق . فما حكم تركتها ؟ وهل بيت المال يفضل فى الإرث عن حفيد المعتق ؟

( الجــــواب )

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ، أما بعد فنفيد :

بأنه إذا ثبت أن البنت المتوفاة بنت عتيق جد السائل ولا وارث لها سواه من النسب أو الولاء أقرب منه فميراثها له بطريق الولاء ويقدم على بيت المال والله تعالى أعلم ؟

محمد أبو شادى

# أنباء وآراء

● برقية شيخ الأزهر إلى الرئيس أنور السادات بمناسبة الذكرى الثالثة والعشرين للثورة :

السيد الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية .

باسم هيئات الأزهر ، وباسمى أحييكم بمناســبة ذكرى قيام ثورة الثالث والعشرين من يوليو راجين لكم دوام العافية والتوفيق .

وإن الله العلى القدير الذى منحكم الرعاية والمعونة فى حركة تصحيح مسار الثورة حقيق بأن تشكروا له ذلك الفضل الذى أولاكم إياه رعاية للإسلام دينه الحق الذى ينتظر منكم التمكين لعقيدته ، وإعلاء شريعتـــه فى مجتمعنا المسلم .

ولكم بذلك عز الدنيا ومجد التاريخ .

« إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

● ... مسلمو الفلبين .. وأسقف الفاتيكان .

شنت القوات الجوية والبرية لحكومة الفلبين هجمات عنيفة على منطقة باسيلان التى يقطنها المسلمون فى الحادى والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٣ الموافق ٢١ / ٧ / ١٩٧٣ .

لجأ المسلمون العزل من السلاح إلى المستنقعات فتتبعتهم الطائرات وفتحت عليهم نيران المدافع الرشاشة والقنابل .

وقد صرح أحد أعضاء وفد الفلبين الإسلامى فى المؤتمر الليبى المنعقد فى أوائل جمادى الآخرة من هذا العام بأن هجمات الإبادة المحيطة بهم بدأت ثم اشـــتدت منذ زيارة بولس السادس أسقف الفاتيكان للفلبين عام ١٩٦٧ .

● درر السمط فى خــبر السبط بالمكتبة المغربية :

مخطوط نادر للعلامة الراوية المؤرخ

أبى عبد الله محمد بن الآبار البلنسى - قام بتحقيقه ، بمعاونة نسخ ثلاث مع القطع الواردة منه فى كتاب «نفح الطيب» ، الدكتور عبد السلام الهراس والأستاذ سعيد أعراب : .

● الصورة الأدبية فى شعر ابن الرومى .

رسالة الدكتور على صبح المدرس المساعد فى كلية اللغة العربية جامعة الأزهر .

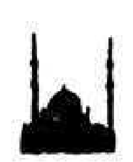
ستقوم جامعة الأزهر بطبع الرسالة حسب توصية لجنة المناقشة التى أجازت صاحبها بمرتبة الشرف الأولى .

● لجان علمية وقانونية تتبع جمعية علماء الحديث الحسنية بالمغرب قرر مؤتمر جمعية العلماء خريجى دار الحديث الحسنية تأليف أربع لجان لمواصلة البحوث الإسلامية هى : لجنة الشئون الاجتماعية ولجنة القضاء والقانون ، ولجنة الثقافة والتعليم ، ولجنة القضايا الإسلامية .

● مجلس الفنون يطبع دواوين عزيز أباظة سيقوم مجلس الفنون بطبع دواوين الشاعر الراحل عزيز أباظة .

يعتبر عزيز أباظة أحد الشعراء الرواد ، وعمل عضوا بمجمع اللغة العربية ؟

على الخطيب

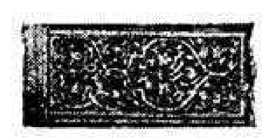


The first minbar (pulpit) in the mosque, which was prepared for the Prophet, was decorated with two balls, like pomegranates and the two little grand-children of the Prophet enjoyed playing with them. This was the beginning of wood-carving. Later on, copies of the Quran where illuminated in colour, and the greatest care was taken in their binding. In short, Islam never forbids artistic progress. The only break put in is the one against the reoresentation of animal (including human) figures.

The prohibition does not seem to be absolute, and we shall revert to it, yet the Prophet has placed a restraint on this activity. The reasons for this are metaphysical as well as psychological biological and scocial. In the creation- of the different kingdoms, animal life is the highest manifestation, the vegetables and minerals succeeding it in a lower order. Therefore in his anxiety to pay his profound respect to the Creator, man reserves for God the privilege of the supreme creation, and contents himself with the representation of inferior objects.

The psycholcgists point out that, seeing the privileged position which the animal kingdom occupies in the creation (with the faculty of movement and, for man in particular, the faculty of invention), the animal representation gives man the double temptation to which he cannot much resist; the temptation to believe that he "creates", whereas he merely manufactures, (and as a proof the famous story of a Greek sculptor who had become amourous of his own sculpture), and the temptation to attribute to representation the soul and the ideal virtues of an accessible Divinity (cf. the history of human antiquity of idolatory, and the modern taste for the cult of heroes, champions, and stars). The biological aspect is that an unutilized talent reinforces those in constant use.

*(to be continued)*



the relay after the fall of the previous standard — bearers of civilization, — before one can make up the distance. Moreover noble characters and great minds cannot be had at will : they are the gift and grace of Almighty on a people. That men of noble character are held in check, and not invested with the direction of their country men, which is assumed by incompetent and unscrupulous persons, is another tragedy which one has often to deplore.

THE ARTS

As in the case of the sciences, the Quran took the initiative in the development of arts among Muslims. The liturgical recitation of the Holy Quran created a new branch of music ( cf. infra 485 ).

The conservation of its text necessitated calligraphy and book-binding. The construction of mosques developed architecture and decorative art. To these were added later the seculare needs of the wealthy. In its care for an equilibrium between the body and soul, Islam taught moderation in all things, led the natural talents in the right direction, and tried to develop in man a harmonious whole.

We read, in the Sahih of Muslim, and the Musnad of Ibn Hanbal, and interesting saying of the Prophet : "God is beautiful and likes beauty". Another of his sayings is "Beauty is prescribed in everything ; even if you kill somebody, kill him in a nice manner." God has spoken in the Quran : "We have beautified the lower sky with lamps" (67 / 5), or "Lo ; We have placed all that is in the earth as an ornamental thing that We may try man : which of them is best in conduct' ( 18/7). It goes so far as to ordain : "Put on your dress of adorment on every occasion of prostration ( service of prayer )" ( 7 : 31 ).

In the life of the Prophet, we come across the following instructive incident : One day he saw the interior of a grave which was not fully levelled. He ordered the defect to be mended adding that it would do neither good nor harm to the dead, but it was more pleasant to the eye of the living, and whenever one does something, God likes that one does it in a perfect manner. ( cf. Ibn Sa'd, VIII, 156 ).

The taste for fine arts is innate in man. As in the case of all other natural gifts, Islam seeks to develop the artistic talents with the spirit of moderation. It may be recalled that excess even of self-mortification and of spiritual practices is forbidden in Islam.

in Islam. Thus it is that the Muslims began very early an ever-progressive and serious study of chemistry and physics. Scientific works are attributed to Khalid ibn Yazid ( d. 704 ) and to the great jurist Ja'far as-Sadiq ( d. 765 ) and their pupil Jabir ibn Hayyan ( cir. 770 ) has justly remained celebrated through the ages. The characteristic feature of their works has been objective experimentation, instead of simple speculation; and it was through obseration that they accumulated facts. Under their influence, ancient alchemy was transformed into an exact science, based on facts and capable of demonstration. Already Jabir knew the chemical operations of calcination and reduction ; it is he who developed also the methods of evaporation, sublimation, crystallization, etc. It is evident that in such paths of human knowledge, patient work for generations and centuries was required. The existence of Latin translations of the works of Jabir and others, — used for long as text books in Europe, — suffices to show how greatly modern science is indebted to the works of Muslim savants, and how fast it developed, thanks to the application of the Arabo-Muslim method of experiment rather than the Greek method of of speculation.

MATHEMATICS

The mathematical science has left ineffaceable traces of the Muslim share in its development. The terms algebra, zero, cipher etc., are of Arabic origin. The names al-Khwarizmi, 'Umar al-Khayyam, al - Biruni and others shall remain as famous as those of Euclid and the Indian author of Siddhanta, etc. Trigonometry was unknown to the Greeks : The credit of its discovery goes undoubtedly to Muslim mathematicians.

TO SUM UP

Muslims continued their work in the service of science until great misfortunes afflicted their principal intellectual centres, Baghdad in the East, and Cordova-Granada in the West. These were occupied by barbarians, to the great misfortune of science, at a time when the printing press had not yet come into vogue ; the burning of libraries with their hundreds of thousands of MSS, led to untold and irreparable loss. The wholesale massacres did not spare the learned. What had been constructed in the course of centuries was destroyed in days. Once a civilization declines, due to such calamities, it takes several centuries of time as well as numerous resources, including the facilities to study the achievements of others — who should have assumed

of the world medical knowledge; and if the old lore was subjected to trial and test, new original contributions were also made.

The works of Razi ( Rhazes ), Ibn-Sina ( Avicenna ) Abu'l-Qasim ( Abucasis ) and others remained until recent times the basis of all medical study even in the West. We know now that the fact of the circulation of blood was also known to them, tanks to the writings of Ibn an-Nafis.

OPTICS

This science owes a particular debt to the Muslims. We possess the books of rayes by al-Kindi ( of the 9th century ), which was already far in advance of the Greek lore of the incendiary mirrors. Ibn al-Haitham ( Alhazen 965 ), who followed him, has rightly merited a lasting celebrity. Al-Kindi, al-Farabi. Ibn-Sina, al-Biruni and others, who are representatives of Muslim science, yield their place to none in the world history of sciences.

MINERALOGY, MECHANICS, ETC.

This attracted the attention of the learned, both from the medical point of view and for the purpose of distinguishing precious stones, so much sought after by kings and other wealthy persons. The works of al-Biruni are still usable in this field.

Ibn-Firnas ( d. 888 ) had invented and apparatus, with which he flew a long distance. He died in an accident, and left no successor to pursue and perfect the work. Others invented mechanical instruments for floating sunken ships, or pulling out without difficulty trees of enormous dimensions.

For the underwater lore, numerous treatises were written on pearl-fishery and the treatment of their shells.

ZOOLOGY

The observation of the life of the wild animals and birds had always fascienated the Bedouins of Arabia. Al-Jahiz ( d. 868 ) has left a huge work for popularizing the subject while referring to evolution, which theme was later developed by Miskawaih, al-Quzwini, ad-Damiri, and others, not to speak of numerous works on falconery and hunting by means of domesticated and trained beasts and birds of prey.

CHEMISTRY AND PHYSICS

The Quran has repeatedly urged the Muslim to mediate over the creation of the universe, and to study how the heavens and earth have been made subservient to man. Therefore there has never been a conflict between faith and reason

wonderful. The authors began their study of the sciences by the preparation of classified dictionaries of technical terms, which were found in their own language.

With extraordinary patience, they ransacked all books of peotry and prose, for gleaning out terms, — with useful citations, — in each branch separately, such as anatomy, zoology, botany, astronomy, mineralogy, etc. Every successive generation revised the works of its predecessors in order to add thereto something new. These simple lists of words, with some literary or anecdotic observations, proved of immenee value when the work of translation began; and rare were the cases in which one required to Arabicize or conserve a foreign word, in Arabicized form.

Words used in Botany are very characteristic. Except for the names of certain plants which did not grow in the Muslim empire, there is not a single technical term of foreign origin therein; one found words for every term in Arabic. The Kitab an-Nabat, Encyclopaedia Botanica of ad - Dinawari (d. 895) in six thick volumes was compiled even before the first translation into Arabic of the works on the subject in Greek. In the words of Silberberg: After a thousand years of study, Greek botany resumes itself in the works of Dioscorides and Thephrastus, but the first Muslim work, of ad-Dinawari, on the subject far surpasses them in erudition and extensiveness. Ad-Dinawari describes not only the exterior of each plant, but also their alimentary, medicinal and other properties; he classifies them, speaks of their habitat, and other details.

MEDICAL SCIENCE

Medicine also made extraordinary progress under the Muslims, in the branshes of anatomy, pharmacology, organization of hospitals, and training of doctors, who were subjected to an examination before being authorized to start practice. Having common frontiers with Byzantium, India, China, etc. Muslim medical art and science became a synthesis

---

(1) His actual words are : "Any who it is astonishing enough that the entire botanical literature of antiquity furnishes us only two parallels to our book (of Dinawari). How was it that the Muslim people could during so early a period of its literary life, attain the level of the people of such a genius as the Hellenic one, and even surpassed it in this respect." (Zeitschrift fuer Assyriologie, Strassburg, vols 24-25, 1910-1911, see Vol. XXV, 44).

The map of al-Idrisi, prepared for King Roger of Sicily, ( 1101-54), astonishes us by its great precision and exatitude; it marks even the sources of the Nile. One has to remember that the Arabo-Muslim maps point upwards to the South, the North being downwards. The maritime voyages necessitated the tables of longitudes and latitudes as well as the use of the astrolabe and other nautical instruments. Thousands of Muslim coins, discovered in the excavations of Scandinavia, Finland, Russia, Kazan, etc. show conclusively the commercial activity of Muslim caravan - leaders during the Middle Ages. Ibn Majid, who served as pilot to Vasco da Gama as far as India, speaks of the compass as already familiar thing. Muslim mariners astonish us with their skill and daring in their voyages from Basrah ( Iraq ) to China. The words arsenal, admiral, cable, monsoon, douane, tariff, which are all Arabic origin, are substantial proof of the Muslim influence on mordern Wer-stern culture.

## ASTRONOMY

The discovery and study of a number of stars is acknowledged to be a valuable and unforgettable contribution of the Muslims. A very large number of stars are still known in Western languages by their Arabic names, and it is Ibn - Rushd ( Averroes ) who recognized spots on the surface of the sun. The calendar reform by 'Umar al-Khayyam out-distances by far the Gregorian one. The pre-Islamic Bedouin Arabs had already developed very precise astronomical observations, not only for their nocturnal travels in the desert, but also for meteorology, rain, etc. A number of books called Kitab al-Anwa', gives us sufficient proof of the extent of Arabic knowledge. Later, Sanskrit, Greek and other works were translated into Arabic. The confrontation of their divergent data required new experiments and patient observations. Observations emerged everywhere. Under the the Caliph al-Ma'mun, the circumference of the earth was measured, the exactitude of whose results is astonishing. Works were compiled very early dealing with the ebb and tide, dawn, twilight, rainbow, halo, and above all the sun and the moon and their movements, since they are immediately related with the question of the hours of prayers and fasting.

## NATURAL SCIENCE

The characteristic feature of this aspect of Islamic science is the emphasis laid on experiment and observation without prejudices. The Arab method was quite unique and

It is interesting to observe that these historians, to begin with at-Tabari — commenced their works with a discussion on the notion of time. Ibn Khaldun dived deeper into these sociological and philosophical discussions, in his celebrated Prolegomena to Universal History.

Already in the first century of the Hijrah, two branches of history began to develop independently, and were later combined with one composite whole. One was Islamic history, beginning with the life of the Prophet and continuing through the time of the caliphs, and the other non-Muslim history, whether concerning pre-Islamic Arabia or foreign countries such as Iran, Byzantium, etc. A very clear instance is that of the history of Rashiduddin Khan, the major portion of which still remains to be printed. This was simultaneously prepared both in Arabic and Persian versions, — and speaks with equal familiarity of the prophets, the caliphs, and popes as well as the kings of Rome, China, India, Mongolia, etc.

GEOGRAPHY AND TOPOGRAPHY

Pilgrimage as well as commerse in the vast Muslim empire needed communications. Baladhuri and Ibn al-Jauzi report : " Every time the post departed for some destination or other — ranging from Turkistan to Egypt, and this happened almost daily — the Caliph 'Umar used to have it announced in the metropolis so that private letters could also be despatched in time through the official courier." The Directors of Posts prepared routeguides, whose publication was always accompanied by more or less detailed historico-economic description of each place, place - names being often arranged alphabetically. This literary geography led to other scientific studies. The geography of Ptolemy was translated into Arabic, and so were the Sanskrit works of Indian authors. Tales of travels and voyages increased daily the knowledge of the common man. The very diversity of the data counteracted all possibility of Chauvinism and one was obliged to put everything to practical test and trial. The dialouge of Abu-Hanifah (d. 767) reported by al- Muwaffaq, ( I, 161 ) is well known : A Mu'tazilite asked him where the centre of the earth was, and he replied : "In the very place where thou art sitting, ! "This reply can be given only if one meant to convey that the earth was sperical. Even the earliest world maps, prepared by Muslims, represent the earth in circular shape, Ibn Hauqal's ( cir. 975 ) cartography, for instance presents no difficulty at all in recognizing the Mediterranean or the Near-Eastern countries.

of authenticity and the other collection and preservation of the most varied details. Born in the full light of history, Islam did not require legends and hearsay. With regard to data concerning other peoples, each narration was accorded the value it merited. But the current history of Islam required fully reliable measures to maintain such an integrity through the ages. Attestation by witnesses was once an exclusive feature of judicial tribunals. The Muslims applied it to history; one required evidence for each reported narration. If, in the first generation after the event, it sufficed to have one trustworthy witness of the event, in the second generation it was necessary to cite two successive sources : "I have heard A, telling me that he had heard B who had lived at the time of the event, giving details", and in the third generation three sources were required, and so on and so forth. These exhaustive references assured the truthfulness of the chain of the successive sources, for one could refer to biographical dictionaries which indicated not only the character of individual personages, but also the names of their teachers as well as of their principal pupils. This kind of evidenence is available not mererly in connection with the life of the Prophet, but even for all branches of knowledge transmitted from one generation to another, sometimes even in the domain of anecdotes meant simply for amusement and pastime.

Biographical dictionaries are a characteristic feature of Muslim historical literature. The dictionaries were compiled according to professions, towns or regions, centuries or epochs, etc. Equally great importance was given to genealogical tables, particularly among the Arabs; and the relationship of hundreds of thousands of persons of some importance, thus learnt, facilitates the task of the researcher who should desire to penetrate the underlying causes of events.

As to history proper, the characteristic trait of the chronicles is their universalism. If pre-Islamic peoples produced national histories, Muslims seem to be the first to write world histories. Ibn Ishaq (d. 769) for instance, who is one of the earliest historians of Islam, not only begins his voluminous annals with an account of the creation of the universe and the history of Adam, but speaks also of other races that he knew, of his time — a task which was pursued with ever-increasing passion by his successors at-Tabari, al-Mas'udi, Miskawaih, Sai'id al-Andalusi, Rashiduddin Khan and others.

that it makes no discrimination among foreigners ; it does not concern inter-Muslim relations, but deals solely with the non-Muslim States of the entire world. Islam in principle forms one single unit and one single organic community.

Another contribution in the legal domain is the comparative Case Law. The appearance of different schools of the Muslim law necessitated this kind of study, in order to bring into relief the reasons of their differences as well as the effects of each divergence of principle on a given point of law. The books of Dabusi and Ibn Rushd are classical on the subject. Saimuri wrote even a work of comparative jurisprudence or methodology of law ( usul al-fiqh ).

The written-constitution of the State is also an innovation of the Muslims. In fact, the Prophet Muhammad was its author. When he established a City-State at Medinah, he endowed it with a written constitution, which document has come down to us, thanks to Ibn Hisham and Abu Ubaid, and its contents could be divided into 52 clauses. It mentions in precise terms the rights and obligations of the head of the State, shows the constituent units, and the subjects respectively, in matters of administration, legislation, justice, defence, etc. It dates from the year 622 of the Christian era.

In the sphere of law proper, codes have appeared since the beginning of the second century of the Hijrah. They are divided into three principal parts : Cult or religious practices, Contractual relations of all kinds, and penalties. In keeping with its comprehensive view of life, there was no differntiation in Islam between the mosque and the citadel. The doctrine of the State or the constitutional law formed part of the cult, since the leader of the State was the same as the leader of the service of worship. The revenues and finances also formed part of the cult, sice the Prophet had declared them to be one of the four fundamentals of Islam, side by side with worship, fasting, and pilgimage. International law formed part of penalties, war being placed on the same level as action against marauding brigands, pirates and other violators of law or of treaty.

It is due to this comprehensive view of law among the Muslims that we have discussed the question at length.

HISTORY AND SOCIOLOGY

The share of Muslims in these is important from two points of view, one being assurance in the matter

# Muslim Contribution To The Sciences And Arts

By

*Dr. MUHAMMAD HAMIDULLAH*

## — II —

### L A W

In its comprehensive character, legal science developed among Muslims very early. They were the first in the world to entertain the thought of an abstract science of law, distinct from the codes of the general laws of the country. The ancients had their laws, more or less developed and even codified, yet a science which should treat the philosophy and sources of law, and the method of legislation, interpretation, application, etc., of the law was wanting, and this never struck the minds of the jurists before Islam. Since the second century of the Hijrah (8th Chr. cent.) there began to be produced Islamic works of this kind, called Usul-al-Fiqh.

In the days of antiquity, International Law was neither international nor law; it formed part of politics, and depended on the discretion and mercy of statesmen. Moreover its rules applied only to a limited number of States, inhabited by peoples of the same race, following the same religion and speaking the same language. The Muslims were the first to accord it a place in the legal system, creating both rights and obligations. This may be observed in the rules of international law that formed part of a special chapter in the code and treatises of the Muslim law ever since the earliest times. In fact the most ancient treatise which we possess is the Majmu of Zaid ibn Ali, who died in 120 H/737. That work also contains the chapter in question. Further, the Muslims developed this branch of study as an independent science, and monographs on the subject, under the generic title of Siyar, were found existing even before the middle of the second century of the Hijrah. In his Tawali at-Ta'sis, Ibn Hajar relates that the first monograph of the kind hailed from the pen of Abu Hanifah, the contemporary of the abovementioned Zaid ibn Ali. The characteristic feature of this international law is,

It has also strictly forbidden any intereference in the affairs of non-muslims and guaranteed their liberties in all walks of life. The general human brotherhood was recommended by Islam as means of conduct among people of different religions, lands and races.

4 – Justice : Justice is the dominnnt feature of Islam. It is the perfect criterion whereby relations between people in both peace and war times are determined. The international relations are regulated by Islam on the basis of justice and humon equality no matter whether such relations be with friendly or hostile peeple. The Holy Quran has stressed this principle in the following verse :

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

( المائدة ٨ )

( Let not hatred of any people seduce you that deal not justly. Do justice that is nearer to your duty ( towards Allah). 5 : 8

Justice in all froms represents Islam's ideal systems. The Quran says :

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان » .

( النحل ٩٠ )

( Lo. Allah enjoins justice and kindness) 16:90. A general understanding between races and peoples will prevail in the world only when justice has become the basis of human relations in all forms).

5 — Equality : The ultimate purpose of differences among people, in races and tribes, is the acquaintance of them with each other. This acquaintance could exist only between two equals and not between parties of differing ranks. Equal treatment is a principle which the Prophet has called for in the following words :

« احب لأخيك ما تحب لنفسك واكره له ما تكرهه لها » .

( Like for thy brother what you like for thyself ; and hate for him what you hate for thyself).

Islam, therefore, recognised human co-operation as the spring of human brotherhood, world understanding and the promotion of love and amity among people. The Quran declared, addressing to all mankind, the principle of international co-operation and relation :

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

( المائدة ٢ )

( Help you one another unto righteousness and pious duty. Help not one another unto sin and transgression). 5 : 2

« ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ».
( الروم ٢٢ )

(And of His signs is the creation of heavens and the earth and the difference of your languages and colours)30:22 This difference, however, would not clash with the principle of unity, nor should it be the cause of conflict but rather of acquaintance with each other and of mutual friendship as the Quran says :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا »
( الحجرات ١٣ )

(O mankind ! Lo ! We have created you male and female and have made you nations and tribes that you may know one another ). 49 : 13

2 - Human Dignity : God has created man to serve Him and consecrated the universe to his service. The Quran says :

« وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض » . ( الجاثية ١٣ )

( And that made of service unto you whatsoever is in the heavens and whatsoever is in the earth). The Quran also declares that God has entrusted the earth to man and He bestowed on him such powers as would enable him to know things and to rule the world :

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ».
( الإسراء : ٧٠ )

( Verily We have honoured the children of Adam and We carry them on the land and the sea, and have made provision of good things for them, and have preferred them above many of those whom We have created with a marked preferment). 17 : 7

3 – Liberty : Islam has totally rejected any kinds of compulsion as means of driving people to embrace a certain religon, faith or doctrine. As the Quran declared :

« لا إكراه فى الدين » ( البقرة ٢٥٦ )

( There is no compulsion in religion)2 : 256. And God the Almighty ordered the Prophet and He said :

« .. أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ». ( يونس ٩٩ )

(Would you compel people until they are believers)10:99 It has ensured all the human freedoms, namely, those of residence, speech and work.

1 – Human Unity : The Holy Quran declares that all the peoples are one community. They emanate from one origin and share the same end when they meet their Lord in the Day of Judgement, though they differ in races, colours, tongues, tribes or nations and believers or atheists, God says :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء » (النساء ١)

( O mankind ! Be careful of your duty to your Lord who created you from a single soul and from it created its mate and from them twain hath spread a multitude of men and women ). 4 : 1 This same unity was stressed by the Prophet :

« كلكم لآدم وآدم من تراب »

( You all are Adam's offspring, Adam is of earth).

Despite this common parentage their differences, in colours, tongues, tribes and races, are of the signs of God in the universe and its aspects. Different areas must produce a difference of colours and of tongues. On the link between the creation of earth and the skies and the difference of colours and tomgues, God, the Almighty, has said :

teachings of his Lord in all the spheres of his everyday individual and social life, in oreder to attain the perfection of the All - Perfect and to live a model of the perfect man.

The following verse of the Quran expressed the power and sovereignity of God and the universality of His religion :

« أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون ». (آل عمران ٨٣)

( Seek they other than the religion of Allah, when unto Him submitted whosoever is in the heavens and the earth, willingly or unwillingly and unto Him they will be returned). ( 3 : 83 )

The religion of 'Islam' has a distinctive appellation ; it is not derived from the name of its preacher, Muhammad ( peace be upon him ). Some people mistakingly or deliberately call this religion 'Muhammad anism' after the name of the prophet Muhammad. As a matter of fact the Prophet himself repeatedly stated that he was only a servant of God and His messenger.

Islam regulated the rules of international relations in the following principles :

represents the latest development of the religious faculties of human being. It combienes within itself the prominent features in all ethnic and general religions compatible with the reason and moral intuition of man.

Islam tries to attain the object of perfection by grasping the principle that man will be judged by his work alone. This belief leads the Muslim to the practice of self denial and universal charity, and the belief in the Oneness of God, in His Mercy, Love and His Sustainment, leads him to self humiliation, patience and firmness in the trials of life.

The universal character of Islam is clear from the concluding verses of the second chapter of the Quran:

« لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير . آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » .

( البقرة : ٢٨٤ - ٢٨٦ )

(Unto Allah (belongeth) whatsoever is in the heavens and whatsoever is in the earth; and whether ye make known what is in your minds or hide it, Allah will bring you to account for it. He will forgive whom He will and He will punish whom He will. Allah is able to do all things. The messenger believeth in that which hath been revealed unto him from His Lord and (so do) the believers. Each one believeth in Allah and His angels and His scriptures and His messengers — we make no distinction between any of His messengers — and they say: We hear, and we obey, (Grant us) Thy forgiveness our Lord. Unto Thee is the journeying. Allah tasketh not a soul beyond its scope. For it (is only) that which it hath earned, and against it (only) that which it hath deserved). (2 : 284 - 286)

Thus Islam signifys a religion of right — thinking, right — speaking and right-doing, founded on divine love, universal charity and the human brotherhood. A true Muslim is fully conscious of the fact that the present life is the seed - ground of the future. Out of this belief he endeavours with honesty, sincerity and devotion to impliment the

him and his nature and regulates his cource of life according to the nature ( Fitrat ) in which God Has created man; that is the 'Will of Allah" ; that is 'Islam'. The Holy Quran says :

«فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

( الروم ٣٠ ) .

( The nature ( framed ) of Allah, in which He Has created men. There is no altering ( the law of ) Allah's creation. That is the right religion, but most men know not ). ( 30 : 30 )

The principal basis on which the Islamic system is founded are mentioned in the second chapter of the Quran :

« الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون »

( البقرة من ١ - ٥ ) .

( Alif. Lam. Mim. This is the Scripture whereof there is no doubt, a guidance unto those who ward off ( evil ). Who believe in the unseen, and establish worship, and spend of that We have bestowed upon them ; And who believe in that which is revealed unto thee ( Muhammad ) and that which was revealed before thee, and are certain of the Hereafter. These depend on guidance from their Lord. These are the successful). ( 2 : 1 — 5 )

We can summarize the essential points of these verses as follows :

* The belief in the oneness of God, His immateriality, His mercy and His supreme power.
* Charity and brotherhood among mankind.
* The Holy Quran directs people to believe in all revelations and the prophets of God since the birth of mankind.
* The necessity of belief in the accountability for human actions in another existence.
* The Quranic code of life guides man in the right path and it leads him to the channel of progress.

The wonderful adaptability of Islamic rules to all ages, places, nations, and circumstances, their entire agreement with the light of reason and the absence of all mysterious ideas, prove that Islam

# MAJALLATU'L AZHAR

( AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

| RAJAB 1393 | ENGLISH SECTION | AUGUST 1973 |
|---|---|---|


## THE UNIVERSAL CHARACTER OF 'ISLAM'

by : Dr. Mohiaddin Alwaye

A religion (Deen) ought to mean the system of life. The chief object of it should be the elevation of humanity towards that perfection which is the ultimate purpose of the creation of man. The perfect religion, therefore, ought to place, on a systematic basis, the fundamental principles of morality, regulating social obligations and human duties which bring man nearer and nearer to the aim of his existence in the earth.

In order to form a just idea of the Religion of 'Islam' it is necessary to understand the true significance of the word 'Islam'. The word 'Islam' means to surrender, submit, yield. The noun derived from it ('salam' or 'salamah') means peace, safety, salvation and greeting. In order that the religion of 'Islam' is characterized in the 'absolute submission to the Will of God. The Holy Quran contains principles of the religion of Islam. It is a concrete and complete system dealing with all walks of human life.

It is the distinctive characteristic of Islam; that it is not merely a system of positive moral rules, based on a true conception of human progress, but it is also the establishment of certain principles, the enforcement of certain dispositions, the cultivation of certain temper of mind, which the conscience is to apply to the ever-varying exigencies of time and place.

It interprets the true nature of man and establishes peace between

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ فى جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت ٩٠٥٩١٤ ، ٩٠٥٥٠٦

الجزء السادس — السنة الخامسة والأربعون — شعبان سنة ١٣٩٣ هـ — سبتمبر سنة ١٩٧٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

# نحو تطبيق الشريعة الإسلامية

للأستاذ / عبد الرحيم فودة

١ — من المقررات التى لا ريب فيها عند من يؤمنون بالله وبدينه الذى ارتضاه أن الحكم له وحده، وأنه مالك الملك، وكل ما سواه مدين له محتاج إليه. وأنه أعلم بخلقه وبما تصلح عليه حياة خلقه، والنتيجة الطبيعية لهذا الإيمان أن يرضى المؤمن بحكمه، ويذعن له، ولا يجد فى صدره حرجا مما يأمره به أو ينهاه عنه، فإذا فسق عن أمره، أو ضاق صدره بحكمه، أو شك فى أن الخير فى طاعته والتزام حدوده لم يكن مؤمناً سليم الإيمان، كما يفهم من قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما»، وكما يفهم من قوله: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»، وقوله: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون»، وقوله: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون».

٢ — فالكفر، والظلم، والفسق — وليس وراء ذلك إثم يذكر — وصمات سود فى وجوه الذين يعارضون الحكم

بما أنزل الله ، أو يناهضون الدعوة إليه ، وهم حين يفعلون ذلك يحدثون نشازاً فى نظام المجتمع المؤمن الذى يعيشون فيه ، فإذا بلغت بهم الوقحة والجرأة إلى السخرية من حكم إسلامى مسلم به ، منصوص عليه بقطع يد السارق . فأمرهم أخطر ، وشرهم أكبر . والسكوت عنهم جريمة فى حق الله وحق المجتمع ، وحق الدستور الذى وافق عليه ممثلو الشعب ، ونص فيه على أن الإسلام دين الدولة . وأن الشريعة الإسلامية مصدر أساسى للتشريع .

٣ – نقول هذا تعقيباً على ما نشر وأذيع عما قاله المنحرفون والمنحرفات فى الندوات التى عقدها الرئيس معمر القذافى فى مؤسسات : روز اليوسف ، والأخبار ، والأهرام ، ولم يخفف من ألمنا وشعورنا بالاشمئزاز والتقزز أنه بالبصر البعيد ، والثقافة الواسعة ، والحوار الحر كشف الأقنعة الخادعة عن وجوههم الغريبة ولشاطهم المشبوه ، فإنهم بحكم عملهم الصحفى فى هذه الصحف يشوهون واجهة مصر العربية المسلمة . وهم فى واقع أمرهم لا يمثلون إلا أنفسهم والقوى التى تحركهم .

٤ – أما شعب مصر الماجد الخالد فهو – كما كان وكما هو كائن الآن وكما سيكون بإذن الله – الشعب المؤمن المتدين الصامد الصابر الذى يعتز بمصريته وعروبته وإسلامه ، ويرى فى المصرية والعروبة والإسلام شرفا لا يفضله أو يعدله أو يرقى إليه شرف ، ومفاخر لم تجتمع لشعب آخر غيره . ومن ثم هان عليه ما بذل واحتمل فى الماضى البعيد والقريب دفاعا عن كرامته وعروبته وإسلامه ، ولم يضع رأسه فى التراب مع كثرة ما قاساه وعاناه ، ولم يهن له عزم أو تلن له قناة ، أو يضعف له يقين مع ما رأى ويرى من جحود فضله ، وتجاهل إحسانه . وسيظل على طبيعته الأبية النقية قلعة منيعة رفيعة :

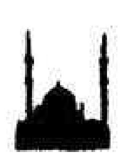
لا يأخذ الليل منه والنهار سوى
ما يأخذ النمل من أركان ثهلان

٥ – وقد بلغ عدده نيفا وثلاثين مليون مسلم يؤمنون بالله واليوم الآخر

ويتقربون إليه بالجهاد فى سبيله ضد أعدائه وأعداء دينه ، ويحرصون على شرف التضحية والإيثار . فى سبيل القيم العالية الغالية النبيلة التى يؤمنون بها ، ويدافعون عنها ، ولن يحجب حقيقته وطبيعته ما يثيره العملاء من غبار لأنه ما كسمائه الصافية ووادية الخصيب ، وستظل مآذنه الشامخة الشماء ترتفع بين ربوع مدنه وقراه . . أعلاما عزيزة ، تثير فى نفوس أبنائه الشعور بالعزة ، والكرامة والشرف ، والإسلام .

٦ — إن النص فى دستور مصر على أن دينها الإسلام ، وعلى أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الأساسى فى التشريع - فوق أنه ليس جديداً - تعبير سليم عن حقيقة الوضع ، وعن إرادة الشعب ، ولم يكن مرادا به حين وضعه وحين الموافقة عليه مجرد كلام يقال أو يكتب وإنما أريد به الاستجابة لإصرار الأمة على الاعتزاز بالإسلام ، والحرص عليه ، والعمل بأحكامه ، وتطبيق شريعته ، لأنه يعلم صدق قوله تعالى : « ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » ، وقوله : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون » ؟

عبد الرحيم فودة



# الأصل والصورة فى كتاب للتاريخ

للأستاذ أحمد موسى سالم

---

فى كلمة اليوم أبدأ مناقشة كتاب « الحركات السرية فى الإسلام » للدكتور محمود إسماعيل عبد الرازق ، مدرس التاريخ الإسلامى بجامعة عين شمس ، وهو الكتاب الذى التبس عنوانه وموضوعه ومادته وأهدافه من كتاب : « من الحركات الفكرية فى الإسلام » للكاتب الماركسى المذهب ، اللبنانى الأصل ، المسيحى قبل ارتداده للشيوعية « بندلى صليبا جوزى » ، وهو الكتاب الذى صدر لأول مرة فى القدس سنة ١٩٢٨ ليكون فى تلك الحقبة مرجعا دعائيا لبعض المثقفين العرب فى منهجه الشيوعى والشعوبى لتحليل ظهور الإسلام وتاريخ المسلمين ، وهو أيضا الكتاب الذى صدرت له - بعد ركود طويل - طبعة ثانية عاجلة فى العام الماضى سنة ١٩٧٢ كانت دليلا بطريقة نشرها المفاجىء ، وطريقة تقديمها من مجهول على تزايد النشاط الخفى لهذه المدرسة المادية فى قراءة التاريخ الإسلامى ، وكأنما هناك من جهة - دون أن ندرى بالضبط من هو - أن يضع بهذا الكتاب وأمثاله « أساسا ماديا » لجميع جوانب الفكر العربى بصورة قسرية ومطردة !

فى تعاقب وتلاحق صور هذا النشاط يظهر كتاب الدكتور محمود إسماعيل « الحركات السرية فى الإسلام » حاملا دون أى تفسير طابع النقل الحاسى لهذه الأفكار الماركسية الشعوبية التى تشيع فى كتاب بندلى ، وإذا كان هناك شىء جديد أضافه مؤلفنا العربى العبقرى فهو إعلانه عن هذه المشاعر المتورمة بالحقد على العرب حكاما ومذهبا دينيا وشعبا ، عما اختار أن يصور به حقيقة الموقف الشعوبى الذى اختار مساندته وبعث ترهاته وأساطيره فى كتابه العصبى ، الذى استحضر فيه ما وسعه من فكر بندلى جوزى !

من أجل هذا وحتى نستكشف الكثير

من أفكار وخلفيات مؤلفنا العربى ، المصقول الذهن والذكاء لمهام التقليد ، فإن علينا أن نعرف القدر الممكن من أساسيات تفكير شيخه وإمامه المستور بندلى جوزى ، وما يمكن أن نتصور به طبيعة مهمته ، واتجاه إنتاجه فى عالم الاستشراق أو الاستعراب !

بندلى جوزى « ١٨٧١ - ١٩٤٢ » نشأ فى القدس فى المرحلة الغامضة التى تم خلالها الإعداد بمؤامرات دولية لانتزاعها من الأتراك المسلمين ووضعها بالانتداب تحت سيطرة الإنجليز تمهيداً لإقامة دولة يهودية بالاغتصاب الاستيطانى المسلح على أرض العرب بينما هم فى ذروة الضياع والشتات . ثم قبل بداية القرن العشرين ذهب بندلى إلى جامعة قازان على نهر الفولجا فى أعماق الأرض الروسية بدافع دراسة اللغات السامية والتخصص فى المباحث الشرقية ، ثم تولى التدريس بعد ذلك فى معهد الرهبان فى القدس . ثم عاد فانتقل للتدريس فى جامعة قازان ، ومنها اتجه للتدريس فى جامعة باكو الروسية على بحر الخـــزر ، وظل بها حتى آخر أيامه .

كان لبندلى جوزى دور هام فى تنفيذ الخطة الروسية الاستشراقيـة فى الوطن العربى بعد نجاح الثورة الشيوعية . وكان تفسيره المادى لظهور الإســـلام ، وإصباغ الصبغة الشيوعية على العصابات الملحدة والمتآمرة لإسقاط الدولة العربية أيام العباسيين هو أبرز أعماله لإنجاح هذه الخطة . ففى هذا التفسير الذى تضمنه كتابه « من الحركات الفكرية فى الإسلام » اعتبر بندلى أن النبى محمداً صلى الله عليه وسلم مجرد « مصلح عربى » وقف بحكم اليتم والفقر الذى عاناه إلى جانب الفقراء والأرقاء والمعدمين فى وجه رجال المال والثراء من أصحاب القوافل والتجارة فى مكة . وبهذا المنطق المحدود ، وبأفكار إلحادية مسبقة فى تصور حياة النبى وأقواله وأعماله ، فرض بندلى جوزى شكل نظريته التى أدخل بها الدعوة إلى الإسلام فى عمومية المفاهيم السائدة عن نظرية « صراع الطبقات » ، والتى اعتبر بها بعد المداورات والمناورات اللفظية أن عمل النبى « الإصلاحى » لا يبلغ مرتبة عمل الاشتراكيين أو الشيوعيين - كذا - كما أنه لا يسوغ الادعاء عليه بأنه

دفاع عن مصالح أصحاب الثروة !
ثم جعل كل هذا الخلط سبيلا إلى الإشادة بهذه « الحركات الفكرية » التى جاءت بعد عهدين من حياة الرسول لتأخذ شكل « الثورات الاجتماعية الشيوعية » التى تعارض الحكم العربى الدينى فى عهد العباسيين فى محاولات لتنفيذ برامج اشتراكية !! وذكر من هذه الحركات البابكية الإباحية ، والإسماعيلية الباطنية ، والقرامطة الممارسة للقتل والنهب ، وعند هذا الفهم المقلوب الذى توصف به أعمال اللصوص والجهلة والزنادقة وعبدة البشر بأنها « ثورات اجتماعية » كان لقاء للدكتور محمود إسماعيل بأستاذه وإمامه بندلى جوزى الذى سار عبر التضليل ، وتناقض القضايا المنطقية نحو هدفه المرسوم ... ولكن أى هدف كان الدكتور محمود وراء أستاذه فى هذا التقليد ؟ ... لا ندرى بعد !

لهذا فإنه من أول سطر فى مقدمة كتابه يقع الدكتور محمود إسماعيل فى أعجب التناقض حين يحاول أن يسدل قناعا من التستر على هدفه ، أو يرفع قدراً من هذا القناع عنه ، وهو يهدى هذا الكتاب إلى جماعة « أيلول الأسود » متعللا بأن الدعايات الصهيونية والاستعمارية ألحت على وصف أعمالها النبيلة بأنها فوضوية وإرهابية ، وزاعما أن هذا التجنى على الفدائيين الفلسطينيين أقلقه فنشط لهذه الدراسات التاريخية التى ضمها كتابه ، وذلك ليقدم - كما يدعى - هذه الصورة المماثلة فى التاريخ العربى ، التى خاض فيها « رجال ثوريون » مثل هذا النضال « السرى المشروع » الذى تقوم به المقاومة الفلسطينية ، وبذلك - كما يتوهم - يبرىء الرأى العام العالمى ساحة الفدائيين الفلسطينيين من تهمة الفوضى والإرهاب !

على هذا السلم الحلزونى الخيالى تسلق الدكتور محمود إسماعيل لينفخ بفمه على حقائق التاريخ فيطمسها ، ليحاول أن يطوى مع بندلى جوزى بيضع كلمات ومصطلحات نور الدولتين : الأموية والعباسية ساحة التاريخ ، ليقول فى أول كتابه غير مبال بما يقول :

« حاولت أن ألمس فى التاريخ الإسلامى نماذج وصوراً للعمل السياسى السرى الذى أخذت به قوى المعارضة

فى الإسلام - هكذا - لمواجهة تسلط الحكومات الثيوقراطيـــة - أموية وعباسية - التى عدلت عن الحق، وحادت عن جادة الشريعة» !

ويمضى المؤلف فيشرح أن ذلك الإثبات لمشروعية النضال الشعوبى السرى ضد ما يسميه بضراوة القوى العربية المتسلطة لم يكن أمرا سهلا فهو يقول: .

«ولم يكن إثبات تلك الحقيقة بالأمر الهين: فكتابات السلف فى الغالب الأعم تتواتر على تبرير النظام الملكى الهرقلى الأموى! والحكومة الكسروية العباسية وتحمل بلا هوادة على كافة الحركات والثورات الاجتماعية المعارضة وتصورها سياسيا على أنها تطاول وتمرد وفتنة، ضد أولى الأمر. واجتماعيا على أنها مروق وكفر وزندقة، من الناحية الدينية، وتقليد ومحاكاة للفكر الوثنى فى جوانبها الأيديولوجية» ! .

سنرى فيما بعد إن شاء الله فى رحلتنا مع المؤلف العبقرى أنه لن يخطو أية خطوة فى نفى هذه التهم أو «الحقائق» عن جماعاته السرية التى يقاتل عنها بضراوة نادرة ضد أكثر حقائق التاريخ ثبوتا..

وكيف وهو يمضى بعد عبارته السابقة التى يشكك بها فى كتابات السلف، أى فى كتابات المؤرخين المسلمين فيقول: «والواقع أن معظم المؤرخين الرسميين كانوا موالين للسلطة سياسيا، كما كانوا سنيين مذهبا ينتمون إلى طبقة أهل القلم» ! .

إذن فالمذهب السنى عند مؤلفنا العبقرى مذهب رجعى.. وأما أقوال المرجئة والمعتزلة التى جمعوها من موائد اليهود والفلسفات اليونانية فهى مذهب وسط وأما أقوال وأعمال القرامطة الذين جاهروا بإعلان خروجهم من الإسلام وقتلوا آلاف الحجيج وسرقوهم فى مكة وداخل الحرم، وعبدوا إلها بشرا هو إمامهم الإسماعيلى المعصوم، فهؤلاء هم مذهب اليسار الثورى الاجتماعى، كما يدعى الدكتور محمود إسماعيل، تحقيقا لصميم أهداف إمامه غير المستور بندلى جوزى !

ويمضى الدكتور فى مقدمته ليكشف عن منهجه فى رفض أقوال المـــؤرخين المسلمين، وفى الانحياز ضدهم مسبقا لأنهم «سنيون»، مثل الحكام العرب والشعب

العربى ، وكما هى فى طبيعتها وصميمها دعوة الإسلام . إنه يمضى فينكر بتأويل باطنى أن تكون عصمة ما للقديم فيقول اقتباسا لحكمة ذات وجهين : .

« إن التسليم بالقديم والوهم بعصمته يؤدى إلى إسدال الحجب الكثيفة بين الإنسان وما قد جاءت به الأيام من تطورات فى العلم والمعرفة » .

إنه يرى أن التسليم بعصمة أقوال المؤرخين المسلمين الذين تحدث أكثرهم بما رأى إنما هو وهم ، وإسدال للحجب الكثيفة على علم جديد جاء به أمثال بندلى جوزى الذى نادى جميع الشباب العرب فى مقدمة كتابه « من الحركات الفكرية فى الإسلام » وربما سمع الدكتور محمود إسماعيل صوته وهو فى المهد حيث قال : « أهدى كتابى هذا إلى الشبيبة العربية الناهضة ، إلى الذين حرروا عقولهم من تأثير الخرافات الدينية والقومية . . ! ! » الخ .

لقد كان ذلك فى سنة ١٩٢٨ ، ومن القدس التى اغتصبها اليهود وقد امتد هذا الصوت والمنهج بالتسلل والمناورة ، ومن المصادر الجامعية فى الخارج فكان مؤلفنا الدكتور محمود إسماعيل من بين من لم يجدوا العصمة التورع عن تقليد هذا المستعرب الدعى على العرب ، وعلى التاريخ ، وعلى العلم ، « بندلى جوزى » الذى كان من أشهر مؤلفاته فى سلسلة أعماله المأجورة والمخططة له كتابه « تعليم اللغة الروسية لأولاد العرب » وبمعاونة كريمسكى « فقرات من البهائية » ثم « رباعيات أبو العلاء » التى نشرها فى المقتطف سنة ١٩٣٩ ، والتى عنى بنشرها على « أولاد العرب » ليقدم إليهم نموذجا من أقوال الإلحاد التى شاعت فى المناخ الإلحادى للإسماعيلية ، ومثالا للملحد الذى يراه جديرا بتقدير « الشبيبة العربية » والذى يسميه من حيثه « إمام الناقين ، وزعيم المفكرين الأحرار » ! !

إنه لا عصمة فى نظر الدكتور محمود إسماعيل للمؤرخين المسلمين الرسميين « السنيين » الذين أجمعوا على تسجيل فضائح وجرائم الباطنية والقرامطة والحشاشين ولكن العصمة عنده لهذا النوع المدرب من كلاب الصيد الأوروبية الدعائية الموجهة بالاستشراق أو الاستعراب إلى نهش حقائق التاريخ ، وإلى استدراج

الأشباه والنظائر إلى معاركنها وليمة ذبح التاريخ الإسلامى ، وقلب سير الحكام العرب ، خدمة للدول والقوى التى تدربهم وتصنعهم وتستأجرهم ، من أمثال شيوخ الدكتور محمود وأساتذته بندلى وإيفانوف ولوتسكى فى الشرق ، وبرنارد لويس وكاتياني وماسينيون فى الغرب ، وما أطول قائمـــة تضم ألفين من المستشرقين ظهروا على الأقل مع ظهور الصهيونية والاستعمار والشيوعيـة فى القرون الثلاثة الأخيرة !

لقد بلغ من تأثير هـذا الجيش من المستشرقين الأجانب - من غير السلف - على عقـل الدكتور محمود إسماعيل أنه رضى لعقله أن يهدى إلى قوات المقاومة والثورة الفلسطينية كتابه الذى يشيد فيه بكل الخارجين بالفكر الإلحادى أو بأعمال القتل والتخريب على الإسـلام ، وعلى نظام الحكم العربى السنى الشرعى ، وذلك فى إطار معادلة معكوسة يضع فيها أمثال الإسماعيلية والقـــرامطة والحشاشين فى مقابـل قوات الثـورة الفلسطينية المشروعة والعلنية للنضال عن حق ظاهر - إلا ما اقتضته إجراءات الأمن - والتى هى فى نفس الوقت طليعة سابقة ومنبثقة من الثورة العربية الأم ، كما أنها مؤمنـة بالدين ، وبالإسلام الحق السنى فى سماحته التى تتسع قوميا لغيره معـه ؛ وليس لغيره ضده !.

لقد رضى الدكتور محمود إسماعيل لعقله وعلمه ودينه أن يقدم فى كتابه هذه المعادلة المقلوبة ، والشديدة الخبث أيضا إذ نراه من أول الأمر يسوى بين نبل وشرعية المقاومة الفلسطينية وبين عدوان ولا شرعية الإسماعيلية والقـــرامطة والحشاشين الذين يرام لذروة العمل الفدائى ثم يتركنا لنكتشف هدفه حين يجعـل أعداء الثورة الفلسطينية وهم إسرائيل والصهيونية والاستعمار مقابلين فى نظره الباغى للقوى العربية الشرعية من خلفاء الدولتين الأموية والعباسية ! .

لقد رضى الدكتور محمود إسماعيل بتأثير حاضنيه ، وفى فورة الكـراهية الغربية المدسوسة على فكـره والشاذة فى طبعه ، ضد آبائه العرب أن يجرى قلمه فى أول كتابه بهذا الخبث الاستشراقى ، والحقد الشعوبى ، الذى يضـع الثورة الفلسـطينية العربية المشروعة فى كفـــة

مع المؤامرات البابكية المزدكية والإسماعيلية والقرمطية ، ليعود فيضع الخلفاء العرب ومهما اجترحوا من خطايا وأخطاء في كفة مع إسرائيل والصهيونية والاستعمار ! .

لقد رضي الدكتور محمود إسماعيل ذلك مقدمة لكتابه ، وعنوانا على فكره ، وبهذا يظل السؤال قائما من جملة هذه المؤثرات المعقدة التي سوغت له أن يعكس الأوضاع والحقائق بهذه المعادلة الواضحة السفه والبطلان بين البطل الفلسطيني العربي الثائر المعاصر وبين الثائر الشعوبي الجاهل الزنديق ، المأجور لشيوخه وآلهته المستورين ، والذي ماتت أكاذيبه وترويجاته بعد أن أدت مهمتها المشبوهة بإسقاط الدولة والحكم العربي !

نعم سيظل هذا السؤال قائما على رأس المؤلف العبقري أمام الزمان : كيف رضي لعقله أن يسوى في هذا العصر ، وفي هذه الظروف ، بين قوى الدولة العربية التي كانت تمارس على الوطن العربي حقوق سيادتها المشروعة - مهما كان من انحراف عارضه الكثيرون -

وبين تلك الشراذم والنفايات المأجورة للقوى الناقمة والسرية من الفرس واليهود والبيزنطيين الذين كانوا في المعادلة الصحيحة أقرب بالجذور والهدف والغطرسة والزندقة والجريمة إلى سفاحي هاشومير والهاجاناه والأرجون من الإرهابيين اليهود ، والذين لم يروموا قط أن يحرروا أوطانهم غير العربية من سلطة الدولة العربية ، ومن صرامة الشريعة الإسلامية على عاداتهم الإباحية ، بقدر ما كانوا يستهدفون في الأساس تخريب وتمزيق الدولة العربية ، وتشويه وقتل عقيدة الإسلام ، ثم استرجاع السيادة الأجنبية كيفما كانت على أرض العرب ، بمؤامرات أقرب إلى خطط الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي الحديث ، كما حدث في محاولة إقامة دولة للعبيد بين القرامطة وغيرهم .. !

لقد رضي عقل الدكتور محمود إسماعيل ذلك لأنه في أول طموح لقراءاته الأعجمية تصور أنه اكتشف « القارة المفقودة » باكتشافه « ثورة المعارضة الاجتماعية » في تاريخ لصوص الحلل وقتلة النساء المسلمات من القرامطة الذين يسمى مجموع

جرائمهم وجهالاتهم ، تجربة رائدة فى الاشتراكية ، ، ولأنه أيضا أغمض عينه عن نصف القمر المضىء ، وعاش بكل حماسة فى نصفه المظلم ، لجهل بالسذاجة أو تجاهل بالتساذج أن المجتمع الإسلامى العربى الممتد من حياة النبى وخلفائه فى المدينة ، إلى عهد الأيوبيين فى دمشق ، ثم إلى عهد العباسيين فى بغداد قد مارس بكل حيويته وإيجابيته حياة المعارضة والرفض والإنكار والتقويم لحكامه العرب ، فى حدود كتاب الله وسنة النبى ، بقدر اتساع الضوء وأفوله على قوسه الممتد من الشروق إلى الغروب فى حياة الأمم والحضارات والدعوات .

لقد أغمض المؤلف العبقرى عينيه عامداً عن هذه المعارضة العربية المشروعة التى استوحت الإسلام ، وعبرت عن حق الناس فى تقويم الخلفاء على ماعلمهم عمر بن الخطاب ، وذلك ليفتحهما بشدة ، وبسذاجة حقده الغريب على الأمويين والعباسيين ، ليعيش بالمدائح المزورية ، وبقعقعة المصطلحات الشيوعية الفارغة فى عالم الظلام والتلصص والاستتار حيث كان الأجانب والغرباء يديرون حركة تهييج العامة الذين يسميهم الإسماعيلية والقرامطة جمهور ، العميان والحمير ، لكى يسمى تلك المؤامرات الإجرامية الاستعمارية والإلحادية «ثورات معارضة اجتماعية» . . . ثورات من كانوا حقا ، العميان والحمير ، لسادتهم المستورين !!

لقد كانت هناك معارضة عربية صادقة بالكلمة وبالسلاح فى صورة «الخوارج» العرب ، السنيين ، مثل حكامهم ، والذين تحدث عنهم المؤلف فى أول كتابه لمجرد التقية ثم أعطاهم عجزاً عن تحليل حركتهم ، وفرارا من نشاز هذه الحركة وسط الكرنفال الفارسى واليهودى والرومى الذى ساق فيه عجائب حركات المتآمرين باسم المعارضة المشروعة ! بل لأنه من أسباب فشل هذه المعارضة العربية التى ضرب بها الخوارج أكثر القياسات فى الشجاعة والأمانة كان ـ عدا حماقات بعض قادتها ـ محاربة الحركات الاستعمارية الشعوبية لها ، لأنها ـ وهدفها تحطيم العرب ـ لا تريد ثورة عربية جديدة تزيد من التزام المسلمين بحدود الله قوة وصرامة !!

ولقد كانت هناك بما هو أوضح من الشمس معارضة علمية فقهية شعبية قادها وسط جماهير أهل السنة أئمة راشدون صادقو البأس ، بعيدا عن أية مؤثرات النأس، أو أى «انفتاحات فكرية مجوسية أوهيلينية أو إسرائيلية كما يسميها المؤلف». وذلك فى مواجهة الخلفاء العرب فى العهدين الأموى والعباسى بدمشق وبغداد ، فلم تكن الأفواه مكممة ، ولم يكن النقد محرما ، ولم يكن العسف مضروبا ، وإلا ما وجد دهاقين الإسماعيلية ودعاة القرامطة من الدعاة للمزدكية والكسروية فرصة لغرس الأعشاب السامة فى الحقل العربى ، وداخل هذا المجتمع الذى نعم رغم جراحه بالرخاء والعدل ، والذى بشم فيه طغام الفرس تحت الرعاية العربية بطعام الحرية وحقوق الإنسان ، كما ظل هذا المجتمع فى وجه العالم الوثنى منارة للعلم الذى نشأ منهجه التجريبى فى ظل الشريعة ، وفى حماية الخلفاء الأمويين والعباسيين أكثر من ستة قرون متصلة .

لقد عارض أحمد بن حنبل على سبيل المثال فتنة أولئك «المنفتحين» على سقط الفلسفات اليونانية واليهودية من متكلمى المرجئة والمعتزلة ومتفلسفيهم، الذين جعلوا مجرد الكلام ، وصنعة السفسطة والفخاخ الجدلية علما أعجميا يربحون به الشهرة ؛ ويخبطون فيه ابتغاء الفتنة ، على منوال سابق قبل الإسلام فى مدارس الرقة والرها ونصيبين وجنديسابور ، وتحت رعاية الجناح الفارسى فى الحكم العباسى ، وعندما استحوذ المأمون - وما أكثر حماقاته - فوافق المعتزلة على فرية «خلق القرآن» وطلب اعتبارها «عقيدة رسمية» لا يعارضها الفقهاء تصدى لها أحمد بن حنبل ومات بسببها بعض رفاقه، وظلت المعارضة قوية من الأئمة والجمهور ضد الخلفاء الذين يتهمهم الدكتور محمود إسماعيل بالضراوة مع أنهم ناصروا المخربين الفكريين من المعتزلة ، حتى جاء الخليفة الواثق فعدل من هذه الفرية ورجع فى أمر القرآن إلى الكتاب والسنة .

إذن فالحكام العرب من الأمويين والعباسيين الذين يهال الدكتور محمود إسماعيل للحركات الشعوبية الاستعمارية واليهودية ضدهم لم يخرجوا على جوهر الإسلام ، ولم يعبثوا بمرتكزاته ، ولم

يغيروا بالتأويل الباطنى المجوسى من حقائق الإيمان به ، كذلك فإنهم لم يضيقوا قط بالمعارضة الشعبية التى تبصرهم مهما كانت شدتها بطريقه ، وتردهم بكل وسائلها إلى جادته . ولذلك فإنهم التزموا بحكم الشرع فى حملهم عبء المجاهدة لأعداء الله فى الداخل والخارج ، هؤلاء الأعداء الذين كان تواصلهم عبر الحدود مستمرا خلال طرق وأساليب لم تتوقف بين أباطرة البيزنطيين وزعماء الإسماعيلية والقرامطة وأمثالهم طوال الحكم العربى داخل الخلايا والمنظمات والأنفاق التى عاش فيها الشيوعيون الأوائل كما يسميهم بندلى جوزى !

لماذا إذن سقط الأمويون والعباسيون ؟ لقد سقطوا خضوعا لما يسميه القرآن سنن الله التى لا تتبدل ، ولما يسميه أمثال الدكتور محمود إسماعيل بالحتمية التاريخية التى يسيئون تأويلها بسبب أهوائهم فالأمويون والعباسيون لم يسقطوا أساسا بسبب مؤامرات الزنادقة ، أو منظمات الدهاقين الخفية ، بل سقطوا أصلا لأنهم فقدوا خطوة وراء أخرى قوة عقيدتهم وإيمانهم ولأنهم لم يستطيعوا الاحتفاظ طويلا بنقائهم وصرامتهم تجاه أسباب الرفاهية ومغريات القوة ، فأخذت العقيدة التى كانت سبب انتصارهم وبأسهم ووحدتهم ورخائهم تضمحل شيئا فشيئا على المنحنى البيانى المحتوم نحو الشيخوخة والانحلال والموت . .وكان تجار وصناع اللذات والفسوقات من اليهود والفرس وراء هذا الموت ! .

ولقد سقطوا أيضا بسبب هذه المعارضة العربية القوية لأعمالهم ، هذه المعارضة المشروعة التى صرفت الكثيرين من الجند العرب ، ومن القادة عن مناصرة بعض الخلفاء فى بعض المواقف ، مما تسبب عنه وهن الدولة ، وتخلق به هذا المناخ الملائم لظهور طفيليات الحركات السرية الإلحادية والاستعمارية التى عاشت على أمراض الدولة العربية ، ثم ماتت بموتها إلى حين .

ثم إلى لقاء آخر إن شاء الله مع هذا الكتاب الشعوبى العجيب للدكتور محمود إسماعيل . . عافاه الله ؟

أحمد موسى سالم

# مما يتساهل فيه النساء

## للأستاذ أبو الوفا المراغي

---

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : لا خير في جماعات النساء إلا عند ميت ، فإنهن إذا اجتمعن قلن ، وقلن . رواه الطبراني . وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها . أخرجه الشيخان .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، الرجل يفضي إلى امرأته أو تفضي إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه . أخرجه مسلم وأبو داود .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحمو ؟ قال : الحمو الموت . أخرجه الشيخان .

الحمو: أخ الزوج وأقاربه كابن عم ونحوه الرجل والمرأة سواء في نظر الإسلام من حيث الواجبات والحقوق ، والنصوص الواردة في هذين الأمرين من الكتاب والسنة والأدلة الأخرى المستمدة منهما تشمل الرجل والمرأة عدا أشياء قليلة امتازت فيها المرأة عن الرجل بحكم تكوينها وطبيعتها ، فعلى المرأة أن تصلي وتصوم وتزكي وتحج كما على الرجل أن يفعل ذلك ، وللمرأة حقها في اختيار زوجها ونفقتها ، وفي نصيبها في الميراث وفي البيع والشراء والإسهام في عمل البر بلا قيود أو حدود وإذا كانت المرأة كذلك فهي مطالبة بالالتزام بأمور دينها كما يلتزم الرجل ، ولا تقوم أنوثتها عذراً لها في التفريط في شيء منها ، غير أننا إذا تتبعنا بالملاحظة موقف المرأة من تلك الأمور ألفيناها على غير السداد وعلى منهج لا يقره الدين ولا يرضاه ، وإذا أخذنا لذلك مثلا ، موقفها من الصلاة والصوم وهما من أهم أركان الإسلام وأظهر شعائره ، وجدنا موقفها منهما موقفاً غير محمود ولا يتفق

مع مكانتهما الدينية . فكثير من النساء وخاصة الشابات والمتفرغات لا يصلين ولا يصمن ولا ينظرن إلى هذين الركنين كما ينظر إليهما الرجل ، وكأن هذين الركنين قد فرضا على الرجال دونهن وأقبح الاعتذارات لدى بعضهن إذا حوسبن أو عوقبن فى ذلك اعتذارهن بأنهن مازلن شابات وسيصلين أو يصمن إذا اكتهلن وفى العمر فسحة ويكاد يكون هذا الأمر مقررا بينهن وكأن الصبا أو الشباب يسقط فرضا من فروض الله ، لا سيما الصوم والصلاة .

ذلك مثل من أمثلة تساهل النساء فى بعض المأمورات ، وهذه مثل أخرى من تساهلهن فى بعض المنهيات .

لقد حرم الله الغيبة على المسلمين جميعا نسائهم ورجالهم وجعل الموغل فى أعراض الناس كالآكل من لحوم الموتى من إخوانه الآدميين توكيدا لحرمتها ومبالغة فى التنفير منها ، ولكن قل من المسلمين أو المسلمات من عمل بنهى الله عنها ، وحفظ غيب أخيه أو أخته وصان كرامتهما ، فأعراض الناس مضغة للأفواه وحلوة فى الشفاه يتفكه بها الفارغون ويقتلون بها فراغهم وبخاصة النساء ، فالحديث المحبب إليهن فى بيوتهن وزياراتهن هو الغيبة وهو الحديث المفعم بالهمز واللمز فى فلانة وأحوالها وأناقتها وهندامها وحسن لبستها أو قبحها وتصرفها مع زوجها وأهله وعلاقاتها بجاراتها ونحو ذلك مما لا يعنيهن ، ولا يتناول الحديث إلا الجوانب المعتمة القبيحة أما الجوانب المشرقة النبيلة فقل أن يحمن حولها وكأنما عناهن الشاعر بقوله :

إن يسمعوا سبة طاروا بها فرحا

منى وما سمعوا من صالح دفنوا

ومن هذا القبيل من التساهل فى أمور الدين من النساء جميعا استباحة النظر إلى بعضهن فى أجسامهن حتى إنهن ربما يعتقدن أن ذلك مباح شرعا من كثرة ما تعودنه وتوارثنه ، وهذا خطأ وخطء فهناك مناطق محرمة من المرأة لا تحل لأختها أن تنظر إليها إلا عند الضرورة فى علاج أو وضع وهى منطقة ما بين السرة إلى الركبة كما قرر الفقهاء وهو ما يسمى بالعورة .

وسر خطر هذا النظر من المرأة إلى أختها فى تلك المنطقة : أن المرأة لا تملك لسانها فى أحيان كثيرة فربما أفلتت لسانها

بما رأت من أختها فوصفته لزوجها أو صواحباتها فيتعلق قلب الزوج بما سمع فيكون مشغلة له ، ومفتاحا لفساده نفسه أو مجتمعه وبابا لفتنة عارمة إن فشا الخبر واستشرى الخطر، وفي أحاديثنا في أول الكلمة إشارة إلى هذه المعاني حيث يقول صلى الله عليه وسلم : لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها ، ولهذا السر أيضا واصيانة الحرمات حرم الإسلام على كلا الزوجين أن يفشي سر ما يجري بينهما في شئون المباشرة الخاصة ويتحدث بما يكون بينهما في خلواتهما فشئون المباشرة من أقدس الأسرار التي لا يترخص في إذاعة شيء منها ، فالزوجان حين يخلو أحدهما بالآخر ترتفع بينهما حجب الكلفة والوقار وتنطلق ألسنتهما بالهجر من الأقوال حيث لا حياء ولا احتشام ، والرجل أو المرأة التي تتحدث بما يجري بينهما ساقط المروءة نازل المقدار ، وله شر المنازل عند الله وعند الناس . وفيما قدمنا من الأحاديث: إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل الذي يفضي إلى امرأته أو تفضي إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه .

وإذا كانت المجالس العامة بالأمانة كما يوصي رسول الله ، فإن أولى المجالس بالائتمان على ما يجري فيها مجالس الزوجية التي يزول فيها كل حرج وتنطلق الألسنة والجوارح إلى غير حد ، ولكن الملاحظ أن كثيرا من النساء لا يحرصن على هذا الأدب الإسلامي وخصوصا النزقات المتبزلات فإنهن يباهين صواحباتهن وخصوصا ضرائرهن بما يكون منهن مع أزواجهن للدلالة على حظوتهن عند الأزواج .

ومن الأمور التي تتساهل فيها النسوة وربما كان ذلك عن جهل أو غفلة بحكم الله فيه ودون تقدير لعواقبه ومآسيه ، عدم تورعهن عن مخالطة الرجال من أقاربهن أو أقارب أزواجهن من غير محارمهن مع استكمال الزينة وفي غيبة المحارم أحيانا بعلة القرابة أو الألفة أو استبعاد أن يتولد من ذلك ما يخدش الشرف أو يجرح الشعور ، وإن في هذا لأكبر الخطر على المرأة وبالتالي على الأسرة ، ففي مخالطة القريب من السوء ما هو أشد من مخالطة الغريب فالغريب بحكم ضعف الصلة بالأسرة منظور إليه بعين الحذر والحيطة مع

ندرة اللقاء، والقريب بحكم القرابة لا يقيده شيء من ذلك، وفي ظل قرابته تتاح له فرص اللقاء والكلام والخلوة أحيانا؛ وهذه مسالك الإغراء والإفساد، ولقد راعت الشريعة هذه المعاني وخشيت ما يتولد منها من أخطار واحتاطت للمرأة من الأقارب أشد الاحتياط وجعلت مخالطة المرأة القريب كالموت في خطورتها وسوء آثارها حيث قال صلى الله عليه وسلم «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار: أرأيت الحمو، قال الحمو الموت. أي لقاؤها مثل الموت، وبالغ بعض شراح الحديث فجعل من الأحماء أبا الزوج إلا أنه جعل ما يتوقع منه خطرا آخر فقال: إذا كان هذا رأيه - يعني النبي - في أبي الزوج فكيف بالقريب وعلل هذا بأن خلوة الحمو معها أشد من خلوة غيره من الغرباء لأنه ربما حسن لها أشياء وحملها على أمور تثقل على الزوج من التماس ما ليس في وسعه أو سوء عشرة أو غير ذلك، ولأن الزوج لا يؤثر أن يطلع الحمو على باطن حاله بدخول بيته.

إن الأقارب الذين يبيح الإسلام للمرأة مخالطتهن في زي إسلامي محتشم سائر من محارمها أي التي يحرم عليهم التزوج بها لنسب أو قرابة وما عدا هؤلاء فهم أجانب مهما كانت درجة قرابتهم لها لأن ميل الجنسين بعضهم إلى بعض؛ وانجذاب بعضهم إلى الآخر غريزة قوية سلطانها قاهر خصوصا إبان الفترة والشباب لا تحول دون انطلاقها وثورانها وشيجة القربى فحسب بل لا بد مع ذلك من احتياطات أخرى ومن تلك الاحتياطات ما أقره النبي صلى الله عليه وسلم من قول ابنته فاطمة حين سئلت عما يصون شرف المرأة وعرضها فقالت: ألا ترى الرجل ولا يراها الرجل فتبسم وضمها إلى صدره وقال: ذرية بعضها من بعض. ذلك هو الضمان لسلامة المرأة مما تتعرض له من الأخطار.

إن الانطلاق والتوسع في الاختلاط باب من أبواب الشر ومن الخير إغلاقه وإن في الرجال لغيرة وفي كثير منهم حساسية أو وسوسة من هذه الناحية تقذى عيونهم وتحرج صدورهم وتثير ثائرتهم، وإن أدنى روائح الشك من هذا الاختلاط تحيل غيرة الرجل

إلى إعصار مدمر قد لا تقوى الأسرة على مقاومته فتنقض أركانها ويتهاوى بنيانها ولتكن المرأة في هذا الأمر على أحد أحوالها ولا تحملن هذه الغيرة محمل السوء والاتهام ولتعلم أن هذه طبيعة الرجال وليس لهم فيها اختيار .

أما ما يعرف به بعض المتحذلقين من أن السبيل لصيانة المرأة وعصمتها هو التعليم والتربية والتهذيب والمخالطة ونحو ذلك فهي سفسطة يكذبها الواقع ما نرى ونسمع ، ومحال أن يهزم سلاح التربية مهما بلغ سلطان الغريزة ، وأن مقارنة بسيطة بين نسبة الجرائم الجنسية في الأرياف والمدن تكفينا في الدلالة على ما نقول ، ولعلها تكفى هؤلاء في الدلالة على فساد ما يذهبون إليه حيث تنخفض نسبة الجرائم في الأرياف إلى حد الانعدام أحيانا وتتصاعد في المدن إلى حد الإزعاج وما ذاك إلا لتوافر الاحتياط وندرة الاختلاط في الريف دون المدن .

هذا وإن للمرأة تساهلات شتى في أمور أخرى من الدين ، وشرها ما يتعلق بزينتها وزيها وانطلاقها في حريتها ، وقد طم فيها السيل وطفح الكيل وأعيا أمرها المصلحين والغيورين وعسى أن يفتح الله فيها وهو خير الفاتحين ؟

أبو الوفا المراغي

---

يقول عز من قائل :

« والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

( النجم : ١ - ١٨ )

دراسات قرآنية :

# الأولياء والكرامة

للأستاذ مصطفى الطير

« ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم »

الآيات ٦٢ - ٦٤ من سورة يونس

## البيان

يختلف الناس فى فهم المراد من الأولياء ، كما يختلفون فى إثبات الكرامة لهم ، وقد رأينا أن نبين رأى الدين فى ذلك ، أثناء شرح تلك الآيات المباركات التى جعلناها صدراً لمقالنا هذا ، فنقول : وبالله التوفيق .

الأولياء : جمع ولى ، ومن معانيه اللغوية القريب والمحب والحبيب والناصر ، وكل تصح إرادته من قوله تعالى : « ألا إن أولياء الله » الخ . فالعبد الصالح قريب من الله بروحه ونيته وإخلاصه ، محب لربه ومحبوب له سبحانه ، وناصر لدينه ، لا تأخذه فى الله لومة لائم .

وقد وعد الله - سبحانه - أولياءه بأنهم : « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » أى لا يعتريهم يوم القيامة خوف من لحوق مكروه ، ولا هم يحزنون على فوت مطلوب ، فهم آمنون من خلف الله فى وعده عباده الصالحين بالمغفرة وحسن الجزاء ، فإن وعـــده تعالى يستحيل أن يتخلف .

ولا يمنع ذلك من أن يخافوه فى دنياهم ، فإن من خاف الله تجنب مخالفة أمره ونهيه ، وقد جاء فى الحكم : من خاف سلم ، والخوف من الله ضرب من ضروب العقل والعلم . قال تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ،

والله تعالى لا يجمع على عبده خوفين ولا أمنين ، فمن خاف الله فى الدنيا فأطاعه أمنه فى الآخرة ، ومن أمنه فى الدنيا فعصاه خوفه فى الآخرة .

وليس المقصود أنه لا خوف عليهم من محن الدنيا ، ولا هم يحزنون فيها على فوت بعض المنافع أو فقدان الأحبة مثلا ، فإن الله يمتحن عباده بالمحن فى دنياهم ، ويفوتهم بعض النعم ، ليبلوهم أيهم أحسن عملا ، ومن ذلك ما أصاب المسلمين فى غزوة أحد من الضحايا الكثيرة ، وضياع النصر الذى أصابوه فى أول الغزوة . وصدق الله إذ يقول : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب »[1] .

وقد بين الله تعالى صفة أوليائه الذين يستحقون وعده الكريم بقوله : « الذين آمنوا وكانوا يتقون » ، يعنى أن أولياء الله الذين لا يخافون ولا يحزنون ، هم الذين صدقوا بالله ورسوله وما جاء به عن ربه وكانوا مستمرين على تقوى الله تعالى ، فإن تلبسوا بمعصية فلا شبهة فى زوال وصف الولاية عنهم حينئذ ، لأن الاتصاف بها قائم على تقوى الله ، ولا تقوى مع وجود المعصية بالإجماع .

فإن تاب العاصى توبة نصوحا من ذنبه وعاد إلى تقوى الله تعالى ، قبل الله توبته قال سبحانه : « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون »[1] .

وأما عودة الولاية إليه بعد المعصية ، فموقوفة على سلوكه ، فإن كان من الذين يترددون بين الطاعة والمعصية ، فهيهات أن تعود إليهم ، وإن استمروا على الطاعة نادمين على ما سلف من المعصية ، فمن العلماء من يرى عودة الولاية إليهم ، ورب نادم على معصية ندما بليغا ، يكون أعظم إقبالا على الطاعة وصفاء النفس ممن داوم على الطاعة برفق ، ويكون هذا نظير من يتصف بالإيمان أو العدالة بعد أن لم يكن متصفا بذلك ، ومن أمثلة ذلك أن الله تعالى أوجب فى صدر الهجرة صيام رمضان ، وحرم على من نام فيه

(١) البقرة ٢١٤ .

(١) الشورى : ٢٥ .

ليلا أن يأتى أهله إذا استيقظ فى ليلة بعد النوم ، أو كان مستيقظا وقد نامت زوجته فلا يحل له أن يأتيها بعد نومها حتى لا يفسد صومها ، وقد وقع فى هذه الخطيئة أو تلك بعض الصحابة ، ثم استعظموها وجاءوا رسول الله نادمين قائلين هلكنا يا رسول الله ، فأنزل الله قوله تعالى : «أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم» إلى قوله «فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل» الآية[1] .

وقد وقع فى هذه الخطيئة بعض كبار الصحابة ، ومنهم عمر بن الخطاب وهو من كبار الأولياء ذوى الكرامات ولعل وقوعهم فيها لقرب تكليفهم بالصوم مدة طويلة تبدأ من حين النوم بعد الإفطار أو بعد صلاة العشاء ، بعد أن لم يكونوا كذلك .

ولقد كان الفضيل بن عياض من قطاع الطريق ، وفى إحدى جولاته الليلية سمع قارئا يقرأ قوله تعالى : «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله» ، فتأثر قلبه بالآية تأثرا بليغا . وقال : آن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، وتاب عما كان منه وكان من أزهد الناس وأعبدهم وأصلحهم ، ويروى عنه الكثير من الكرامات ، وهو معدود عند أهل التصوف من كبار الأولياء .

ومن العلماء من قال إن المعصية تنافى الولاية ، وإن حدوثها يدل على أن صاحبها الذى كان يبدو بمظهر التقوى ، لم يكن تقيا عند الله تعالى ، نظرا لما علمه سبحانه من أنه سيعصيه ، واستشهد لذلك بما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه ، ولا زال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها» الحديث . فالمراد من الحديث أن الله ينتقم ممن يؤذى ولى الله وأن العبد لا يتقرب إليه سبحانه بشىء أحب إليه من الفرائض التى أوجبها عليه

(١) البقرة : ١٨٧ .

وأنه لا يزال يتقرب إليه بالنوافل فوق الفرائض ، حتى يمنحه ولايته وحبه ، فإذا أحبه - جل وعلا - حفظ حواسه وجوارحه ، فلا يسمع ولا يبصر ولا يأخذ ولا يمشى إلا فيما يرضى الله تبارك وتعالى .

وقال الخطابى : المراد من قوله ( فإذا أحببته كنت سمعه إلخ ) توفيق الله عبده فيما يباشره بهذه الأعضاء ، حتى ييسر عليه فيها سبيل ما يحبه ، ويعصمه عن موافقة ما يكرهه ، من إصغاء إلى لهو بسمعه ، ونظر إلى ما نهى عنه ببصره ، وبطش بما لا يحل بيده ، وسعى فى باطل برجله .

وقد تكلم فى هذا الحديث غير واحد بما لا يخرج عن هذا المعنى: وخلاصته أن الله يحفظ وليه الذى اتقاه من المعصية حتى تبقى له ولايته وقربه وحبه ، فإذا فعل المعصية من ظاهره تقوى الله وطاعته يعلم أنه لم يكن محفوظا ومحروسا بعناية الله ، ويعلم أيضا أنه لم يكن محبوبا لله لأنه لم يكن بطاعته متقربا إليه ولا متقيا إياه حق تقواه ، وإن ظنه الناس كذلك فهو حينئذ ليس من أولياء الله تعالى فى واقع الأمر .

ومن العلماء من قسم الولاية إلى صغرى وكبرى ، فالصغرى قد يقع فيها الذنب نادرا ، فيبادر صاحبه إلى الاستغفار منه فورا والعودة إلى صلاح الحال ، فمثل هذا يحفظه الله ويعينه كما قال ابن حجر ، أما من كثرت معاصيه أو كانت نادرة ولم يبادر إلى التوبة ، فإن حراسة الله وحفظه ليس له منهما شىء .

أما الولاية الكبرى فلا يقع فيها الذنب أصلا مع إمكان الوقوع بخلاف الأنبياء فإنهم معصومون بعصمة الله فيستحيل وقوع المعصية منهم ، فالله خلقهم على سجية البعد عن الذنوب ، أما الأولياء فإنه لم يخلقهم على هذه السجية ، بل أكسبهم إياها بطاعته ، وحام منها بمزيد التقرب إليه بالنوافل على ما مر فى حديث البخارى قال الآلوسى : ومن هذا التقسيم يعلم أن الكثير ممن يدعى الولاية فى زماننا أو تدعى له ، ليس له منها سوى الدعوى لإصراره - والعياذ بالله تعالى - على كبائر تقع منه فى اليوم مرارا .

وقد بين الله تعالى السبب فى نفى الخوف والحزن عن أوليائه بقوله : « لهم البشرى

في الحياة الدنيا وفي الآخرة» أما بشراهم في الحياة الدنيا فهي الرؤيا الصالحة، فإنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة في أكثر الروايات، أو من سبعين جزءا منها كما جاء في بعض الروايات.

والدليل على أن بشرى الحياة الدنيا هي الرؤيا الصالحة، ما أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم وصححه وغيرهم، عن عبادة بن الصامت قال: (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله سبحانه: «لهم البشرى في الحياة الدنيا» قال: هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له.

وقيل هي ما جاء في القرآن الكريم من للبشرات، كقوله تعالى: «وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا» وقوله: «وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم».

وأما بشراهم في الآخرة فهي بشراهم عند الموت بالغفران والرحمة، أخرج ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ وابن منده من طريق أبي جعفر عن جابر قال: (أتى رجل من أهل البادية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله أخبرني عن قول الله تعالى: «الذين آمنوا وكانوا يتقون. لهم البشرى» الخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما قوله تعالى: «لهم البشرى في الحياة الدنيا» فهي الرؤيا الحسنة ترى للمؤمن فيبشر بها في دنياه، وأما قوله سبحانه: «وفي الآخرة» فهي بشارة المؤمن عند الموت: إن الله قد غفر لك ولمن حملك إلى قبرك).

وقال عطاء: البشرى في الدنيا أن تأتيهم الملائكة عند الموت بالرحمة، قال الله تعالى: «تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة» وأما البشرى في الآخرة فهي تلقى الملائكة إياهم مسلمين، مبشرين بالفوز والكرامة، وما يرون من بياض وجوههم وإعطاء الصحف بأيمانهم، وما يقرأون منها، إلى غير ذلك من البشارات.

وقد ختم الله هذا الوعد الكريم بقوله: «لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم» أي لا خلف فيما تكلم الله أو وعد به، وفي جملة ذلك هذا الوعد السابق للأولياء، وقد بين الله أن ظفرهم

بتحقيق البشارتين هو الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه .

( من يدعون الولاية )

من الناس من يدعى الولاية لنفسه ، وأن له أحوالا مع الله وكرامات مع الناس ، فهذا المدعى من أهل الباطل ، ولا يليق بعاقل تصديقه ، لأن الولى لا يعامل الخلق ، بل يعامل الحق تبارك وتعالى ، فسواء عنده أعرف الناس أنه ولى أم لم يعرفوا ، فهو مشغول القلب برضا الله لا برضا الناس ، معتقداً أن حديثه عن نفسه للخلق يفقده منزلته عند الحق تبارك وتعالى ، لأنه بذلك يرائى الناس والرياء من الكبائر ، وهى لا تليق بحال الولى .

وهناك من هؤلاء المدعين من يزعم أن الولى قد يرتكب المعاصى ولا تزول عنه الولاية بارتكابها ، لأنهم عرفوا من الغيب أنها مكتوبة عليهم ، فهم ينفذون ما كتبه الله وهم كارهون .

فهؤلاء يمارسون الرذائل ، ويعملون من يعتقد فيهم الولاية على عدم الاعتراض عليهم ، بل يزينون له تمكينهم مما يريد ، لأنه لا يغضب الله : « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً » .

ألا فليعلم الناس أن هؤلاء شياطين فساق خاسرون ، لأنهم مخالفون لكتاب الله وسنة رسوله ، فأما مخالفتهم لكتاب الله فلأن الله تعالى يقول : « إن وليّ الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » ، فكيف يقبل منه ما يقول والقرآن يكذبه ، وهل يعقل أن يتولى الله فاسقاً غير أهل لمحبة الناس ، لأنه يتحدى حدود الله ، وينتهك حرمات عباده ، إننا نعيب للملك إذا اتخذ له بطانة فاسدة الخلق معيبة السلوك ، فكيف يقبل العقل أن يتخذ الله له وليا ممن يخرج على شريعته ، ويفعل المنكرات ، ويكون قدوة سيئة لغيره ، مع أنه يقول فى أوليائه : « الذين آمنوا وكانوا يتقون » ، وأما مخالفته لسنة رسول الله ، فدليله حديث البخارى الذى تقدم ذكره ، ومثل هذا الحديث كثير .

( البله والمجاذيب )

أما أولئك البله الذين لا يعقلون ، وأصحاب الثياب ( المرقعة ) والعصى الطويلة ، والعمائم الكبيرة ذات الألوان

( البقية على ص ٥١٨ )

من هدى السنة :

# صفحات مشرقة من جهاد المسلمين فى البحر

للدكتور محمد أبو شهبة

روى الشيخان فى صحيحيهما بسندهما - واللفظ للبخارى - عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه - وكانت تحت عبادة بن الصامت - فدخل يوما فأطعمته ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ يضحك ، قالت : فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ فقال : « ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله ، يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة ، أو قال مثل الملوك على الأسرة » - يشك إسحاق - قلت : ادع الله أن يجعلنى منهم ، فدعا ، ثم وضع رأسه فنام ، ثم استيقظ يضحك ، فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : « ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة » فقلت : ادع الله أن يجعلنى منهم ، قال : « أنت من الأولين » ، فركبت البحر زمان معاوية ، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت » .

تخريج الحديث : رواه الإمام البخارى فى كتاب الجهاد باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء - وباب غزوة المرأة فى البحر - وباب ركوب البحر وفى كتاب الاستئذان - باب من زار قوما فقال عندهم ، وفى كتاب التعبير - باب رؤيا النساء ورواه الإمام مسلم فى كتاب الجهاد والسير - باب فضل الغزو فى البحر ، ورواه أبو داود فى الجهاد ، ورواه الترمذى وقال : حسن صحيح .

## « الشرح والبيان »

« أنس بن مالك » تقدمت ترجمته فلا داعى لإعادتها ، وقد روى هذا الحديث عن أنس والظاهر أن قصة المنام أخذها عن خالته أم حرام ، كما روى عن أم حرام نفسها .

« أم حرام بنت ملحان »

أم حرام - بفتح الحاء - بنت ملحان - بكسر الميم وسكون اللام ، وبالحاء المهملة ، وفى آخره نون - بن خالد بن زيد ابن حرام من بنى عدى بن النجار أخت أم سليم ، وخالة أنس بن مالك قال الإمام أبو عمر بن عبد البر : لا أقف لها على اسم صحيح ، وأظنها أرضعت النبى صلى الله عليه وسلم ، وأم سليم أرضعته أيضا إذ لا يشك مسلم أنها كانت منه بمحرم وقد أخبرنا غير واحد من شيوخنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما استجاز أن تفلى أم حرام رأسه لأنها كانت منه ذات محرم من قبل خالاته لأن أم عبد المطلب كانت من بنى النجار ، وقال يونس بن عبد الأعلى: قال لنا ابن وهب أم حرام إحدى خالات النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة(١) ...

وقد ذهب إلى أن أم حرام كانت محرما للنبى صلى الله عليه وسلم الإمام النووى فى شرح مسلم ، وقال نحو ما قال ابن عبد البر وقال الإمام أبو بكر بن العربى : كان النبى صلى الله عليه وسلم معصوما يملك إربه عن زوجته فكيف عن غيرها مما هو المنزه عنه ، وهو المبرأ عن كل فعل قبيح ، وقول رفث ، فيكون ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم .

والذى ينقدح فى ذهنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل دار أم سليم - أم أنس بن مالك خادمه - ودار أم حرام وكانتا فى دار واحدة وذلك مؤاساة لهما فقد استشهد أخوهما حرام بن ملحان فى يوم بئر معونة « سرية القراء » التى غدر بها عامر بن الطفيل وقومه ، وقد ثبت فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه ، إلا على أم سليم فقيل له : فقال : « أرحمها قتل أخوها معى » يعنى حرام بن ملحان ، وكانت أم سليم ، وأم حرام أختين وفى دار واحدة كل منهما تسكن فى جزء منها .

وقد انضم إلى ذلك كون أنس خادم النبى صلى الله عليه وسلم وقد جرت العادة بمخالطة المخدوم خادمه ، وأهل خادمه ، ورفع الحشمة التى تقع بين الأجانب عنهم على أنه ليس فى الحديث ما يدل على الخلوة

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٣ ص ٥٧

بأم حرام ، ولعل ذلك كان مع ولد أو خادم أو نحو ذلك ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عصمته ، وطهارة ذيله ، وعفته ، ما يبعده عن كل ظن سيء أو تهمة ويكون هذا من خصوصياته كما قدمنا .

« فتطعمه » وفى رواية أخرى أنها كانت تفلى له شعره ؛ وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعاملها معاملة الأم له ، وأنها كانت تعطف عليه كما تعطف الأم على ابنها ، وأنه وجد منها الحنان الذى افتقده من يوم أن ماتت أمه آمنة ـ شرفها الله سبحانه ـ .

« وكانت تحت عبادة بن الصامت » .

ظاهر هذا أنها كانت زوجة له عند حدوث هذه القصة فى بيتها ، ولكن هذا الظاهر غير مراد ؛ فقد ورد فى الصحيحين من طرق أخرى « فتزوج بها عبادة بن الصامت »[1] وفى رواية مسلم « فتزوج بها عبادة بعد » ؛ وعلى هذا ينبغى أن تحمل الرواية التى معنا على الرواية الأخرى ويكون المراد بالرواية التى نشرحها الإخبار عما صار إليه الأمر بعد ذلك من كونها زوجا له « عبادة بن الصامت » .

وعبادة بن الصامت صحابى جليل وكان أحد النقباء ليلة العقبة ، وما كان يعتز بشىء بعد شهوده بدرا اعتزازه بحضور العقبة وقد شهد المشاهد كلها ، وشهد فتح مصر وكان أمير ربع المدد . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا ، وروى عنه الكثيرون ، ولما كتب يزيد بن أبى سفيان إلى سيدنا عمر باحتياج أهل الشام إلى من يعلمهم القرآن ، ويفقههم فى الدين أرسل له معاذا ، وعبادة ، وأبا الدرداء ؛ فأقام عبادة بفلسطين ، وكان لا يخاف فى الحق لومة لائم ، ولا يخشى أحدا ، وله مع معاوية قصص متعددة ، وأنكر عليه أشياء ؛ وفى بعضها رجوع معاوية لرأيه وكانت وفاته سنة أربع وثلاثين بالرملة فرضى الله عنه[1] .

« فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ يضحك » .

---

(١) صحيح البخارى كتاب الجهاد ـ باب غزو المرأة فى البحر ، وصحيح مسلم كتاب الجهاد ـ باب فضل الغزو فى البحر .

(١) الإصابة فى تاريخ الصحابة ج ٢ ص ٢٦٨ .

كان هذا النوم وقت القيلولة كما بينته رواية مسلم وغيرها، وجملة يضحك حال أى حالة كونه ضاحكا ؛ وفى رواية للبخارى ومسلم «ثم استيقظ وهو يضحك».

« قالت : فقلت : ما يضحكك يا رسول الله » .

وفى بعض الروايات زيادة « بأبى أنت وأمى » ، وهو من أدب الصحابة فى خطاب الرسول ، وتفديتهم له بالأب والأم ، بل والنفس .

« فقال : ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله » .

المراد أنه رأى ذلك فى المنام ، ورؤياه صلى الله عليه وسلم حق ووحى ، وقد وقع ما رآه كما أخبر به فكان من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ، ففى رواية لمسلم « أريت قوما من أمتى » .

وكان سبب ضحكه صلى الله عليه وسلم عما رأى إعجابه بهم ، وفرحا لما رأى لهم من المنزلة العالية . وسرورا بكون أمته تبقى بعده متظاهرة بأمور الإسلام حريصة على الجهاد والغزو حتى فى البحر الذى لم يكن العرب قلب الجزيرة كثير عهد به .

« يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة ، أو قال مثل الملوك على الأسرة - يشك إسحاق » ، الثبج - بفتح الثاء ، والباء الموحدة ، ثم جيم - ظهر الشيء . وهكذا فسره جماعة من العلماء . وقال الخطابى : متن البحر وظهره ، وقال الأصمعى : ثبج كل شيء وسطه والمعانى متقاربة والمراد ركوبهم البحر سواء أكان ذلك فى وسطه أم على شواطئه ، وإن كان وسط البحر أدل على الجرأة ، والشجاعة ، والتضحية فى سبيل الله .

« ملوكا على الأسرة » :

الأسرة جمع سرير ، وملوكا منصوب على الحال يعنى حالة كونهم كالملوك على الأسرة فأداة التشبيه محذوفة ، فصار تشبيها بليغا و « أو قال » ، شك من الراوى ، والشك إنما هو من إسحاق ابن عبد الله بن أبى طلحة راوى هذا الحديث عن أنس رضى الله عنه .

وليس بين الروايتين فرق يذكر ، ولكنه التحرى فى الألفاظ والأمانة من رواة هذا العلم النبوى الشريف ، وقد كان إسحاق - رحمه الله - من حافظ

على تأدية الحديث بلفظه ، ولا يتوسع فى تأديته بالمعنى .

وقد اختلف فى المراد بهذه الفقرة من الحديث : فقيل إن هذا إخبار عما سيؤول إليه حالهم فى الآخرة وصفتهم فى الجنة ، وقد قال الله تعالى فى صفة أهل الجنة : « على سرر متقابلين »[1]. وقال : « على الأرائك ينظرون »[2] ، والأرائك هى السرر فى الحجال ، والحجال : جمع حجلة وهى البيوت المزينة بالستائر ونحوها .

وقال الإمام القاضى عياض : هذا محتمل ، ويحتمل أيضا أن يكون خبرا عن حالهم فى الغزو من سعة أحوالهم وقوام أمرهم ، وكثرة عددهم ، وجودة عددهم ، فكأنهم الملوك على الأسرة ؛ أقول : وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل جلوسهم على ظهر السفن الخشبية ، على صلابتها وغلظها ، كما كان الأمر فى هذا العهد ، أفضل عند الله من كراسى الملوك على أبهتها وفخامتها ولينها ، ومثل ذلك قول الصحابة - رضوان الله عليهم - وهم يحملون اللبن فى بناء مسجد الرسول بالمدينة .

هذى الحمال ، لا حمال خيبر
هـذى أبر - ربنا - وأطهر

« فقلت : ادع الله أن يجعلنى منهم فدعا » وحق لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو لها .

هذا يدل على رغبة النساء المسلمات فى هذا العصر فى الجهاد ، وحب الاستشهاد فى سبيل الله على ما كان يتعرض له راكب البحر آنئذ من ضيق ؛ وحرج ، وتحمل ، وأن الصحابيات - رضى الله عنهن - لم يكن دون الرجال فى ذلك ؛ وما أم حرام بنت ملحان إلا مثل من أمثلة كثيرة ؛ وقد قدمت فى هذه المجلة من جهاد النساء صفحات مضيئة مشرقة : وبعبادة وأمثاله وبأم حرام ومثيلاتها انتشر الإسلام وعز المسلمون ، وبلغوا مشارق الأرض ومغاربها ، وهكذا فلتكن النساء ، وعسى أن يكون فى أم حرام قدوة لنسائنا اليوم اللاتى يقضين معظم وقتهن فى تزجيج الحواجب ، وتشويه العيون ، وارتياد الملاهى ، والجرى فى الطرقات ، عاريات كاسيات ، مائلات مميلات !! .

وقد وقع فى بعض الروايات بيان الدعاء ، « فقال : اللهم اجعلها منهم » ،

(١) الصافات : ٤٤ . (٢) المطففين : ٢٣ .

وقد استجاب الله الدعاء ، فلا عجب أن جاءت بعض الروايات بالجزم بأنها منهم .

« ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ يضحك ... » .

هذه مرة أخرى غير الأولى ، وقد رأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها مثل ما رأى أولا ، وقام يضحك مثل ما فعل أولا ، وسألته ، فأجاب بمثل ما أجاب أولا ، وطلبت منه الدعاء أن تكون من الفريق الثاني أيضا فقال لها صلى الله عليه وسلم : « أنت من الأولين » وفي بعض الروايات زيادة « ولست من الآخرين » ، وهذا ما كان ، فقد استشهدت عقب الغزوة الأولى ، ولم تدرك الثانية ؛ وفي رؤياه صلى الله عليه وسلم الثانية ما يدل على أن جهاد المسلمين وغزوهم في البحر أمر موصول ، وسنة حسنة باقية ؛ وإنه لأمر مما يسر منه المسلم ويفرح ويعجب ، ويطرب له ، ويضحك .

« فركبت البحر زمان معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر ، فهلكت » .

ظاهر هذا الجزء من الحديث أن ذلك كان في خلافة معاوية رضي الله عنه ، وليس الأمر كذلك وإنما كان ذلك في وقت إمارته للخليفة الثالث عثمان - رضي الله عنه - وكان معاوية أميرا على بلاد الشام .

وكان سيدنا عمر - رضي الله عنه - ينهى عن ركوب البحر ، وكان هذا اجتهادا منه ، وكان ذلك من شفقته وخوفه على جيوش المسلمين لأنهم لم يكن لكم عهد بركوب البحر ، ولا سيما أن السفن لم تكن ميسرة حينذاك فلما ولى سيدنا عثمان - رضي الله عنه استأذنه معاوية في الغزو في البحر فأذن له ، وقد نقل ذلك أبو جعفر الطبري عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وروى الطبري أيضا قال : أول من غزا البحر معاوية في زمن عثمان ، وكان استأذن عمر ، فلم يأذن له ، فلم يزل بعثمان حتى أذن له ، وقال : لا تنتخب أحدا بل من اختار الغزو فيه طائعا ، فأعنه ففعل .

وقال خليفة بن خياط في تاريخه في حوادث سنة ثمان وعشرين : وفيها غزا معاوية البحر ، ومعه امرأته فاختة بنت قرظة ، ومع عبادة بن الصامت امرأته أم حرام ، وأرخها في سنة ثمان وعشرين

غير واحد ، وقيل سنة سبع وعشرين وقيل : ثلاث وثلاثين ، والأول هو الأصح ، وكل هذا كان فى خلافة عثمان رضى الله عنه ، وقد كان الغزو فى البحر سنة حسنة ، ومازالت تتتابع حتى بلغ المسلمون بعد قرن أو يزيد بحر الظلمات « المحيط الأطلسى » شرقا ، وشارفوا إلى المحيط الهادى غربا وتحقق لهم وعد الله «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا [1] » .

وقد كانت هذه الغزوة التى استشهدت فيها إلى جزيرة « قبرس » [2] وقد صالح معاوية أهلها بعد فتحها على سبعة آلاف دينار كل سنة ، وقد مكثت قرونا تحت سلطة المسلمين .

وقد اختلف فى زمان استشهادها فقيل حين خرجت من السفينة لتنزل بالجزيرة قربت إليها دابة لتركبها فسقطت عنها فماتت ، وقيل : حين قفلوا راجعين من الجزيرة . روى الطبرى من طريق الواقدى أن معاوية ـ رضى الله عنه ـ صالحهم بعد فتحها على سبعة آلاف دينار ، فلما أرادوا الخروج منها قربت لأم حرام دابة لتركبها فسقطت فماتت ، فقبرها هناك يستسقون به ويقولون : قبر المرأة الصالحة » وبعد ، .

فهذه صفحة من صفحات جهاد المسلمين والمسلمات ، وغزوهم فى البحر ، وعدم تخوفهم من هوله وسعته وإن للمسلمين فى بناء السفن والأساطيل على توالى العصور لأجل الدفاع عن الأوطان وحماية الذمار لتاريخا حافلا مجيدا ، فلنعمل على أن تكون لنا قوتنا البحرية لندافع عن شواطئنا وموانينا ضد الغزاة الصهاينة البرابرة ولنتسابق إلى ذلك رجالا ، ونساء ، وشبابا ، وشيبا فإنه باب من أعظم أبواب الجهاد والاستشهاد وليكن لنا فى سلفنا الأولين القدوة والأسوة الحسنة . ؟

محمد محمد أبو شهبة

---

( ١ ) النور : ٥٥

( ٢ ) فى القاموس : ( وقبرس يعنى بالسين . جزيرة عظيمة للروم بها توفيت أم حرام بنت ملحان )

# الإسلام في معارك التحدي

للدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي

— ١ —

أعجب كل العجب من بقاء الإسلام دينا سماويا للإنسانية كافة طيلة أربعة عشر قرنا من الزمان، منذ نزول الرسالة الإسلامية حتى اليوم .. على الرغم مما وجه إليه من حملات ومؤامرات، وما غزى به في عقر داره من حروب تشيب لهولها الأطفال ..

في القديم كانت مؤامرات اليهود ضد الإسلام مستمرة، فمن محالفتهم لمشركي مكة في عصر الرسالة لعلهم يستطيعون بمعاونتهم حصار الإسلام في المدينة والقضاء عليه إلى مؤامراتهم العديدة لاغتيال الرسول الأعظم، التي نجاه الله جل جلاله منها .

ثم كانت الردة وأهوالها، وموقف الخليفة أبي بكر الحازم منها .

ثم كانت مؤامرة العناصر المتربصة بالإسلام التي تمخض نشاطها عن اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب شهيد الإسلام، ثم بعد ذلك اغتيال الخليفة عثمان بن عفان، ثم ما كان بعد ذلك من فتن راح ضحيتها الخليفة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

ونشأت الفرق السياسية الإسلامية في العصر الأموي، واحتدم بينها الصراع الدموي، حتى كاد يفني بعضهم البعض الآخر فناء ذريعا .

وحملت امبراطورية الروم الشرقية بعد فتح الشام ومصر مهمة غزو العالم الإسلامي بالأساطيل البحرية حينا، وبالجيوش البرية حينا آخر، فأخذت أساطيلها تجوب شواطىء البحر الأبيض المتوسط الجنوبية، تغزو البلدان التي عمها الإسلام حتى صارت دولة واسعة مترامية الأطراف .

وكانت معركة ذات الصواري دلالة واضحة على قبول المسلمين للتحدي، وللدخول مع الروم في حرب الأساطيل البحرية التي لم يكونوا يعرفونها من قبل واستمرت الأمبراطورية الرومانيـــة الشرقية منذ ذلك الحين تغزو شواطىء الشام وأفريقيا الإسلامية بأساطيلها عاما بعد عام، ثم أخذت تغزو الثغور الإسلامية

فى آسيا الصغرى وعلى حدود الشام حينا بعد آخر ؛ وبتأثير حملاتهم العسكرية الضخمة وحملاتهم البحرية الهائلة تأخر فتح المسلمين القسطنطينية نحو ثمانية قرون أو يزيد .

ووجه أعداء الإسلام لحربه الكثير من الفرق الإلحادية ومن بينها الزنادقة ، ولكنها فشلت فشلا ذريعا ، على الرغم من تعاونها مع العناصر اليهودية المختلفة المنبثة فى العالم الإسلامى .

وأعلنت أوربا عزمها على الوقوف فى وجه الحضارة الإسلامية فى بواتييه بقيادة شارل مرتل الذى ألحق بعبد الرحمن الغافقى وجيشه الإسلامى فى مناطق الحدود الفاصلة بين أسبانيا وفرنسا وعلى مقربة من باريس هزيمة ساحقة ما زال يذكرها التاريخ ، ويذكرها بعض المنصفين فى أوربا من المستشرقين علامة واضحة فى تاريخ الإنسانية ، لأنها تركت أوربا تعيش فى الظلام نحو سبعة قرون ، وتأنف أن تسير فى ظلال الحضارة الإسلامية الرفيعة التى امتدت إلى كل مكان دخله المسلمون وحرروا فيه الناس من العبودية والرق والطغيان والوثنية .

ثم أعلنت كذلك أوربا عزمها على الوقوف فى وجه هذه الحضارة الإسلامية بما أعلنته من الحروب الواسعة على العالم الإسلامى ، وبخاصة مصر والشام وسواحل أفريقية ، وهى الحروب التى سميت باسم الحروب الصليبية ، واستمرت نحواً من قرنين ونصف من الزمان ، وقادها المتعصبون من البابوات وبعض ملوك أوربا وأمرائها .

وظهر المغول فى شرق ووسط آسيا ، وصاروا قوة كبيرة فتحالفت معهم الصليبية تحالفا وثيقاً لعلها تستطيع القضاء على الإسلام ، واجتمعت العناصر الشريرة من الصليبيين والوثنيين على حرب الإسلام [1] ، ولكنها فشلت فشلا ذريعاً فى حطين وعين جالوت ومعركة المنصورة وسوى ذلك من كبرى المعارك الفاصلة فى تاريخ الإنسانية .

(١) ورحلة ماركو بولو إلى الصين لمقابلة إمبراطور المغول مظهر لذلك ، وكان ماركو بولو موفداً من قبل البابا المسيحى لهذه المهمة السرية المجهولة الأسرار حتى اليوم .

— ٢ —

وحملت مصر عبء الدفاع عن العالم الإسلامى فى عصر المماليك نحواً من ثلاثة قرون ، كانت لها الزعامة المطلقة على جميع الشعوب الإسلامية من الهند شرقا إلى مراكش غربا .. وظهر بجوار المماليك فى مصر دولة العثمانيين فى آسيا الصغرى ، وصارت قوة كبيرة أخرى فى العالم ، وبخاصة بعد أن فتح أحد ملوكها القسطنطينية ، وهو السلطان محمد الفاتح العثمانى .

وصار العالم كله منذ ذلك الحين يخضع لسيطرة الدولتين الكبريين : دولة المماليك ودولة العثمانيين .

ولجأت أوربا إلى حرب الإسلام وتحطيم كبرياء المسلمين بالقضاء على الأندلس واحتلال جميع معاقل المسلمين فيها ، وطردهم نهائيا من أسبانيا ، وإجبار من بقى منهم هناك - بفعل محاكم التفتيش - على النصرانية .

وأغرت أوربا العداوة بين المماليك والعثمانيين فبدأت بين الدولتين المسلمتين الكبيرتين الخصومات والحروب ، وأخذ المماليك يعيشون فى الترف وينسون واجبهم فى الإبقاء على القوة الحربية الكبرى فى أيديهم ، فأهملوا فى الاستعداد لواجب الدفاع إهمالا كبيراً .

وكان السلطان فرج بن برقوق (٨٠١ - ٨١٥هـ) بعد وقفه لزحف تيمورلنك فى أرض الشام قد داخله الغرور والكبر فأخذ يظلم الرعية ويجور فى الأحكام ، فكان علماء الأزهر ، وفى مقدمتهم الإمام الشيخ شمس الدين الحنفى يقفون فى وجهه ، ويعارضونه فى جوره ، فأخذ فرج يضطهد الشيخ ويعنف فى معاملته ويغلظ له القول ؛ ويقول للشيخ المملكة لى أولك ؟ فرد عليه الشيخ : إنها ليست لى ولا لك ، المملكة لله الواحد القهار ؛ ويقول العينى فى تاريخه الكبير : « ما سمعنا - فيما اطلعنا عليه من أخبار الشيوخ - أن أحدا أعطى من العز والرفعة والكلمة النافذة مثل ما أعطى شمس الدين الحنفى ، وكان « جقمق » يكره شمس الدين الحنفى ومع ذلك لم يكن يستطيع رد شفاعته ؛ وكان يقول لحاشيته : « كلما أقول لا أقبل لهذا الرجل شفاعة لا أستطيع ، بل أقبل شفاعته ، وأتعجب من ذلك فى نفسى » ، وكان موقرا من الأمراء ؛ من مثل :

يشبك ، وجاطر ، برسباى ؛ وظل كذلك حتى توفى إلى رحمة الله عام ٨٤٧ هـ .

وفى عهد الغورى نهض عالم الأزهر وواعظه الشيخ شمس الدين الديروطى الدمياطى بعبء تنبيه السلطان إلى الخطر الكامن فى إهماله وعدم عنايته بقوة مصر البحرية وبأسطولها الكبير ، وصار يندد بالغورى لأنه ترك الجهاد فى سبيل الله وسافر الشيخ إلى دمياط ، وبنى حصنا على شاطىء البحر الأبيض هناك وملأه بالسلاح ليدافع من هناك عن ثغور مصر وشواطئها العزيزة التى لا تضام ؛ وقد أنفق الشيخ فى بناء هذا الحصن (البرج) نحو أربعين ألف دينار من ماله الخاص ، ولم يكن الشيخ يقبض مرتبا طول حياته وأراد الغورى أن يستميله إليه فعرض عليه عشرة آلاف دينار مساعدة له فى بناء البرج ، فردها الشيخ عليه ؛ وقال: أنا رجل ذو مال ولا أحتاج إلى مساعدة أحد ، ولكن إن كنت أنت محتاجا أقرضتك وصبرت عليك ؛ فما رؤى أعز من الشيخ فى ذلك المجلس ، وعاش الشيخ إلى أن توفاه الله إلى رحمته فى ربيع الأول من عام ٩٢١ هـ عن نيف وخمسين سنة ؛ ووصف الشعرانى فى الطبقات الكبرى مجلس وعظه فى الأزهر فقال : كان مجلسه مجلسا تفيض فيه العيون ، إذا تكلم أنصت الناس بأجمعهم ( ١٦٤/٢ الطبقات الكبرى للشعرانى ) .

وكان الشيخ قبل موته يرى آثار إهمال السلطان الغورى للأسطول المصرى ، وذهاب سيادة مصر البحرية ، على أثر الغزو البرتغالى للشواطىء الإسلامية فى المحيط الهندى بقيادة «فاسكو دى جاما» وانتقال التجارة العالمية إلى المرور برأس الرجاء الصالح بعد أن كان مرورها من قبل فى البلاد المصرية ويضعف مصر اقتصاديا !

ثم انتقلت الزعامة على العالم الإسلامى إلى العثمانيين ، وصارت دولتهم هى سيدة العالم آنذاك .

— ٣ —

ولم ينصرف الغـــرب المسيحى عن الكيد للشرق الإسلامى فى وقت من الأوقات .

وبدأ الغرب يعمل بنفوذه السياسى والعسكرى ، وفى ظل قواته الضخمة التى احتل بها العالم الإسلامى على مساندة

حركة التبشير المسيحي من جانب ، وعلى مؤازرة حركة الاستشراق وثقافته من جانب آخر .

فمن طريق التبشير جند الغرب بتوجيه البابوية الآلاف المؤلفة من المبشرين الذين حلوا في كل مكان ومن كل موقع ، بتأييد من أوربا وقواتها العسكرية ، ودخلوا إفريقية وآسيا وكل مجهول في الأرض ، كما دخلوا مختلف بلاد الإسلام للعمل هناك ضد الإسلام والمسلمين ، ودخلت إلى الميدان جمعيات التبشير الأمريكية وجمعيات التبشير اليهودية الإنكليزية وغيرها .

ومن طريق ثقافة المستشرقين وجهت الشكوك والمطاعن إلى الإسلام والقرآن والحديث وعلوم الإسلام وعلمائه . وثقافة الاستشراق هي على أية حال ثقافة عصر الاحتلال الأوربي لبلاد الشرق ، وهي ثقافة مشت في ركاب جيوش أوربا ونفوذها السياسي والعسكري في بلاد المسلمين .

وفي ظلال الاحتلال الغربي فرضت المربيات الغربيات المسيحيات على جميع بيوت الأسر الكبيرة لتكون عيونا للاستعمار ، وعامل تحطيم للقوة المعنوية في نفوس المسلمين ، وقد نشرت « آن ادواردز » الكاتبة الإنجليزية في صفحتها النسائية في الديلي اكسبريس صورة لفتاة مسيحية ترعى بعض الأميرات في الشرق العربي ، وهي المربية الإنجليزية « نوراسميث » وقالت الكاتبة في مقالها : « برافو أيتها المربيات الإنجليزيات ، فمع أن الحاكم البريطاني قد طرد من كثير من البلاد ، إلا أن المربية الإنجليزية لا تزال تحكم في هدوء من غرف الحضانة في هذه البلاد » ( الأخبار الجديدة ٢٦/٥ ١٩٥٧ ) .

— ٤ —

وفي عصر الديون والاحتلال الإنجليزي لمصر ، فرض المحتل بقوة السلاح القانون المدني الفرنسي الذي مهد له ذيوعه في المحاكم المصرية بتأثير النفوذ الغربي قبل بدء عصر الاحتلال مباشرة ، وفرض على المدارس والشباب المصري في مختلف مراحل التعليم الثقافة الغربية واللغة الانجليزية وباعد بينه وبين التعليم الديني وبين اللغة العربية فبدأت عجمة الثقافة واللغة في الأجيال التالية ،

ثم فرض المحتلون جميع مظاهر الحضارة الغربية وألوانها على الحياة المصرية، فالبغاء وحانات الخمور ومصارف الربا، والمحاكم المختلطة، كلها كانت من الحضارة الغربية، وكذلك العرى فى المصايف، ونشر المدارس الأجنبية الدينية فى مصر ودخول أبناء الطبقات الراقية فيها للتعليم كل ذلك مهد لانتشار العادات الغربية فى الطعام والشراب واللباس والسهر ونظام المائدة وغير ذلك، ولانتشار ألوان الحياة الغربية فى بلادنا واستعاضة الكثير منا بها عن نظم حياتنا ومجتمعاتنا الشرقية الإسلامية.

وحرم الاحتلال الانجليزى فى مصر أن يوظف عالم من علماء الأزهر فى أى ديوان من دواوين الحكومة ووزارة من وزاراتها وذلك بمقتضى أوامر سرية كانت تصدر من دار الاحتلال، وورقة بتوقيع الحاكم البريطانى إلى جميع مستشاريه الانجليز فى وزارات الدولة، والانجليز هم الذين شجعوا العناصر المعادية للشعور الوطنى من بعض الأقليات كاليهود على محاربة رجال الدين، بل أنشأوا قسما خاصا فى دار الحاكم البريطانى لإصدار النكات اللاذعة ضد علماء الأزهر وكبار رجال الدين.

وفى سجل حرب أوربا للإسلام ألغيت الخلافة الإسلامية فى تركيا وقامت دولة علمانية بدلها، وصدر تصريح بلفور المشئوم وقامت الحركة الصهيونية فى سويسرا وانتشرت فى كل مكان، ثم قامت دولة إسرائيل الصهيونية المعتدية الآثمة.

وفى ظلال فكرة أوربا المعتدية ضد الإسلام كانت حرب ١٩٤٨ فى فلسطين وحرب ١٩٦٧، وكانت مساندة القوى الاستعمارية الكبرى لإسرائيل لزرع شعب أبيض داخل الشعب العربى المسلم يدين بأوربا وحضارتها.

لقد نجحت ثورة مصر فى تقليم أظافر الاحتلال الغربى فى كل مرفق من مرافق الحياة المصرية والعربية، نعمل العقل الغربى على إدخال شعب غريب إلى فلسطين يدين بالصهيونية، ويتحالف مع الإلحادية ويعتنق الحضارة الغربية كلا لا يتجزأ، ليغير به فى المستقبل من بناء المجتمع الإسلامى وإصراره على التحرر والتحرير.

إننا نعتقد أن الحضارة الغربية فى قيمها العلمية العملية التى لا تمس نظام المجتمع

ولا تهدف إلى بناء اجتماعى جديد ؛ هى حضارة إنسانية لنا فيها نصيب ، لأننا نحن المسلمين أحد روافدها ، أما قيم الحضارة الغربية التى تهدف إلى البناء الاجتماعى وإلى سيادة النظم الغربية المطلقة فى الحياة الإسلامية فهذه هى التى نحاربها ونعتقد أن صبغ حياتنا بها وبمذاهبها عمل ضد التحرر الوطنى ، وضد حركة التاريخ العربى الإسلامى فى جميع عصوره ، وأنه يخدم الصهيونية وأعداءنا ولا يفيدنا فى شىء .

وفى حركات الغرب المعادية للإسلام قامت الحرب بين الهند وباكستان ، وتقوم الحرب ضد المسلمين فى الفيليبين ، كما قامت ضدهم فى أماكن كثيرة من العالم ، وتقوم كذلك معاهد فى أوربا وأمريكا للاستماع على العالم الإسلامى والكشف عن التيارات الجديدة فيه ، لتحليلها ووضع الخطط اللازمة للقضاء عليها ، بزعم أنها معاهد للدراسات الإسلامية ، مع أن الموجهين لها والمشرفين عليها كلهم علماء من اليهود الصهيونيين المتطرفين فى عداوتهم العالم العربى والإسلامى بل للإسلام نفسه .

— ٥ —

وبعد ، فإن أوربا وغير أوربا فشلوا ويفشلون دائما فى حربهم للإسلام وللشعوب الإسلامية ، وهى ترتدى كل يوم زيا جديداً فى ميدان هذه الحرب ، وتخطط لها كل ساعة خططا جديدة ، ومع ذلك فالإسلام أعلى من دسائسهم وكيدهم ومؤامراتهم .

لقد فشل تحالف أوربا مع المغول ضد الإسلام .

وسيفشل حتما وعما قريب تحالف أوربا وأمريكا مع الصهيونية من أجل ما يتوهمون من القضاء على الإسلام .

وسيفشل كل معاد لنور الله ولشريعة السماء ولمبادىء الحق والعدالة والحرية وحقوق الإنسان التى نادى بها الإسلام العظيم .

وليس ذلك كله لأننا نخطط من أجل انتصار الإسلام وبقائه وخلوده فى أية حرب بينه وبين الوثنية والصهيونية والصليبية والإلحادية .. ولكن من أجل أن الله عز وجل كتب لدينه الخلود ، ولشريعته البقاء ، وللدين الذى ارتضاه لعباده دينا قيما العزة والنصر والتأييد ، وصدق الله العظيم فيما يقول :

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » إن الناس الذين ألفوا العيش فى ظلال الحياة الغربية وحضارة الغرب وفى ظلال عصر الاحتلال ، الذى استمرت آثاره ومظاهره باقية فى حياتنا حتى اليوم .

هؤلاء واهمون حينما يتصورون أن العالم الإسلامى يمكن أن يفتح ذراعيه فى يوم من الأيام ليصافح بكلتا يديه الصهيونية وعملاء الاستعمار .

وهم أكبر وهما حينما يظنون أننا سوف نتخلى عن فكرنا التحررى الذى ندين به فى ظلال الإسلام وشريعته السمحة الخالدة ؟

د . محمد عبد المنعم خفاجى

---

( بقية المنشور على ص ٥٠٤ )

المختلفة ، والسبح ذات الحبات الكبيرة التى يلبسونها أعناقهم ، ويجعلونها تتدلى على صدورهم ، فهؤلاء لا يسمح الدين أن يسميهم أولياء على الإطلاق ، فإن تعريف الولى فى عرف الإسلام هو التقى الصالح ؛ والأبله لا يعرف له صلاح ولا تقوى فلا يكون وليا ولو ظهرت على يده بعض الخوارق ، فإن الخوارق التى تظهر على أمثال هؤلاء يسميها علماء التوحيد معونة ولا يسمونها كرامة ، وسنشرح ذلك فى المقال التالى .

( والمجذوب ) صاحب العصا الطويلة والمسبحة المدلاة من عنقه مراء خداع ، وقد يكون هارباً من جريمة رأى أن يفر من تبعاتها بالتخفى فى ثياب المجاذيب ، وقد يكون مفتونا التبس عقله فهوى به إلى هذا الرياء والهذيان .

إن الولى هو الذى يتخفى ولا يستعلن ، يبطن ولا يظهر ، يتعامل مع الخالق ويفر من مراءاة المخلوق .

والكلام بقية هامة فانتظروها فى العدد القادم ، حيث نتكلم فيه عن الكرامات وسائر خوارق العادات ، والله تعالى هو الموفق والمعين ؟

مصطفى محمد الطير

# انتفاع المرتهن بالمرهون

للدكتور ابراهيم دسوقي الشهاوي

— ٢ —

اختلف الفقهاء في انتفاع المرتهن بالمرهون، إذا كان مركوبا أو محلوبا أو صالحا للخدمة، ولم يأذن الراهن للمرتهن بالانتفاع بالمرهون - على أربعة أقوال:

القول الأول: لا يحل انتفاع المرتهن بالمرهون المركوب، أو المحلوب، أو الصالح للخدمة، إذا لم يأذن الراهن له بالانتفاع، ركوبا، أو حلبا، أو خدمة، مطلقا سواء أكان الانتفاع بقدر نفقة المرهون، أو أزيد منها، وسواء أكان الإنفاق على المرهون لامتناع الراهن عن الإنفاق على المرهون أم كان لغيبته، ذهب إلى ذلك الحنفية، والمالكية، والشافعية، وأحمد في رواية مرجوحة عنه.

القول الثاني: يحل الانتفاع بالمركوب، أو الحلب خاصة بقدر النفقة مع تحرى العدل في ذلك مطلقا، سواء أكان الإنفاق لامتناع الراهن عن الإنفاق أو لغيبته، أم كان مع عدم امتناعه وقدرته مع حضوره، ذهب إلى ذلك الحنابلة وإسحاق [1].

القول الثالث: يحل الانتفاع بالمرهون ركوبا أو حلبا، أو استخداما عند امتناع الراهن من الإنفاق عليه، ويكون الانتفاع بقدر النفقة فقط، ذهب إلى ذلك أبو ثور والليث والأوزاعي [2].

القول الرابع: يحل الانتفاع بالمرهون ركوبا، وحلبا فقط، إذا امتنع الراهن من الإنفاق عليه، وتكون المنفعة بالغة ما بلغت في مقابلة النفقة، فلا يقيد حل الانتفاع بقدر ما ينفقه على المرهون [3].

( الأدلة )

أدلة القول الأول: استدل أصحاب القول الأول على عدم حل انتفاع المرتهن

(١) مغني الحنابلة جـ ٤ صـ ٤٢٣. وتفسير القرطبي جـ ٨ صـ ٤١١.

(٢) مغني الحنابلة جـ ٤ صـ ٤٢٣، والمنتقى وشرحه نيل الأوطار جـ ٥ صـ ١٠٢.

(٣) المحلى لابن حزم جـ ٨ صـ ٨٩.

بالمرهون المركوب ، أو المحلوب ، أو الصالح للخدمة ، إذا لم يأذن الراهن للمرتهن بالانتفاع مطلقا ، بالسنة ، والقياس :

أما السنة : فبما روى الشافعي والدارقطني عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يغلق الرهن ، الرهن من صاحبه الذي رهنه ، له غنمه ، وعليه غرمه » .

ووجه الدلالة : من هذا الحديث : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - جعل الغنم للراهن ، والغرم عليه ، ولا شك أن المنافع من غنمه ، فلا يصح للمرتهن أن ينتفع بشيء منها بدون إذن مالكها بلا تفرقة بين مركوب ، ومحلوب ، وبين غيره .

ونوقش هذا الدليل من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن هذا الحديث مختلف في وصله ، وإرساله ، ووقفه ورفعه ، وهو مع هذا الاختلاف لا يقوى على معارضة ما رواه البخاري ، وأبو داود ، والترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال : رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « الظهر يركب بنفقته إذا كان مرهونا ، ولبن الدر يشرب بنفقته إذا كان مرهونا ، وعلى الذي يركب ، ويشرب النفقة » .

ودفع هذا الوجه : بأن الوصل ، والرفع زيادة من الثقة ، وهي مقبولة والاختلاف فيها لا يمنع من صحة الاحتجاج بالحديث .

الوجه الثاني : أن هذا الحديث في سنده عبد الله بن الأصم الأنطاكي وله أحاديث منكرة ، ذكرها ابن عدي في كتابه ، ومنها هذا الحديث .

ودفع الوجه الثاني : بأن هذا الحديث قد ورد من طرق أخرى ليس فيها هذا الراوي ، وهذه الطرق حسنها علماء الحديث . كما قال صاحب نصب الراية .

الوجه الثالث : أن قوله : « له غنمه . وعليه غرمه » ليس من كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإنما هو من كلام سعيد بن المسيب ، نقله عنه الزهري ، كما قال أبو داود في مراسيله .

ودفع الوجه الثالث : بأن معمرا ذكره عن ابن شهاب مرفوعا . ومعمر أثبت الناس في ابن شهاب[1] .

(١) نصب الراية ج٤ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

وأما القياس : فإن المرهون ملك للراهن ، وليس للمرتهن فيه إلا حق الحبس ، ولم يأذن الراهن للمرتهن بالانتفاع به ، ولا الإنفاق عليه ، فلم يكن له ذلك كغيره من الأموال ؛ فكما أنه لا يجوز للمرتهن ولا لغيره الانتفاع بأموال الراهن غير المرهونة ، بغير إذنه فكذلك لا يجوز للمرتهن الانتفاع بالمرهون بغير إذن الراهن ، بجامع أن المرهون وغير المرهون من أموال الراهن ملك له .

ورد هذا القياس : بأنه فاسد الاعتبار لأنه واقع فى مقابلة نص ، وهو قوله - صلى الله عليه وسلم - : « الظهر يركب بنفقته إذا كان مرهونا ، ولبن الدر يشرب بنفقته إذا كان مرهونا ، وعلى الذى يركب ويشرب النفقة » ، والقياس فاسد الاعتبار لا يصلح للحجية .

( أدلة القول الثانى )

استدل أصحاب القول الثانى على حل الانتفاع بالركوب والحلب خاصة بقدر النفقة مع تحرى العدل فى الانتفاع بقدر النفقة - مطلقا - بالسنة والقياس .

أما السنة : فما رواه البخارى وأبو داود والترمذى ، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الظهر يركب بنفقته إذا كان مرهونا ، ولبن الدر يشرب بنفقته إذا كان مرهونا ، وعلى الذى يركب ويشرب النفقة » .

ووجه الدلالة من هذا الحديث : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جعل منفعة المرهون فى مقابل نفقته ، ولم يقيد ذلك بإذن الراهن ولا بامتناعه من الإنفاق كما لم يقيد الانتفاع بكونه بمقدار النفقة ؛ ولكن ورد ما يقيد إطلاقه فى هذه الناحية ، وهو ما رواه حمادة بن سلمة فى جامعه بلفظ « إذا ارتهن شاة شرب المرتهن من لبنها بقدر علفها فإن استفضل من اللبن شىء بعد ثمن العلف فهو ربا »[1] .

ورد هذا الدليل بأربعة أوجه :

الوجه الأول : أن هذا الحديث مجمل حيث لم يبين فيه من المنتفع ، أهو الراهن أم المرتهن ، وهو مع هذا الإجمال لا يصح به الاستدلال[2] .

(١) مغنى الحنابلة جـ ٤ صـ ٤٢٣ .
(٢) نيل الأوطار للشوكانى جـ ٥ صـ ١٠٢ .

ودفع الوجه الأول : بأن الحديث لا إجمال فيه ، فإنه جعل الانتفاع عوضا عن النفقة، وهذا إنما يصح فى حق الراهن لأن الراهن إنما ينفق على المرهون وينتفع به بحق الملك لا بطريق المعاوضة ، وعلى تسليم أنه مجمل فى حد ذاته ، فقد جاء فى بعض رواياته ما يبين هذا الإجمال وهو « إذا كانت الدابة مرهونة فعلى المرتهن علفها ، ولبن الدر يشرب وعلى الذى يشرب النفقة، فهذه الرواية صريحة فى أن المنفق هو المرتهن فيكون هو المنتفع.

الوجه الثانى : أن هذا الحديث كان قبل تحريم الربا ثم نسخ بقوله صلى الله عليه وسلم : « كل قرض جر نفعا فهو ربا »[1]

ودفع الوجه الثانى : بأن النسخ لا يثبت بمجرد ادعائه ، بل هو متوقف على القطع بتقدم المنسوخ ، وتأخر الناسخ ، وعدم إمكان الجمع بينهما والتاريخ مجهول ، فلا تصح دعوى النسخ .

والوجه الثالث : أن هذا الحديث معارض لحديث ابن عمر عند البخارى وغيره ، ولفظه « لا تحلب ماشية امرىء بغير إذنه » وهو حاظر وإذا تعارض الحاظر والمبيح قدم الحاظر .

ودفع الوجه الثالث : بأن معارضة حديث ابن عمر لا تضر ، لأنهما بين عام وخاص ، فيحمل حديث ابن عمر العام على ما عدا مادل عليه الخاص وهو حديث « الظهر يركب بنفقته إذا كان مرهونا الخ . . . » والجمع بين الدليلين أولى من إهدار أحدهما .

الوجه الرابع: إن هذا الحديث مخالف للقياس من وجهين : :

الأول : أنه جوز الانتفاع لغير المالك بغير إذنه وهو ممنوع ، لقوله - صلى الله عليه وسلم : « لا يحل مال امرىء إلا بطيب من نفسه » .

الثانى : أنه جعل الضمان بالنفقة ، والأصل فى الضمان أن يكون بالمثل أو القيمة .

ودفع الوجه الرابع : بأن مخالفة الحديث القياس غير قادحة فى الاستدلال بالحديث ؛ لأن الأئمة أثبتوا كثيرا من الأحكام بالنصوص ، وقالوا: إنها ثابتة على خلاف القياس ، كالإجارة والسلم ،

---

(١) المبسوط للسرخسى جـ ٢١ ص ١٠٨ .

وغيرهما (١) ، وأما القياس : فقد قالوا في تقريره :

إن نفقة الحيوان واجبة على الراهن وللمرتهن فيه حق ، وقد أمكنه استيفاء حقه من الرهن ، والنيابة عن المالك فيما وجب عليه ، واستيفاء ذلك من منافع المرهون ، وهو جائز قياسا على المرأة ، فيجوز لها أخذ نفقتها من مال زوجها عند امتناعه ، بغير إذنه ، والنيابة في الإنفاق على نفسها ، والجامع بين المرتهن وبين المرأة هو مطلق الامتناع من كل من الراهن والزوج ، فيجوز للمرتهن أن ينفق على الحيوان المرهون ويأخذ مقابلها من منفعته كما يجوز للمرأة أن تنفق على نفسها من مال زوجها عند امتناعه من الإنفاق عليها متى أمكنها ذلك

( أدلة القول الثالث )

استدل أصحاب القول الثالث على حل انتفاع المرتهن بالمرهون ، ركوبا وحلبا

---

(١) رد ابن قيم الجوزية في كتاب إعلام الموقعين دعوى كون هذا الحديث مخالفاً القياس ، وأثبت أنه على وفق القواعد والأصول الشرعية فقال ما نصه : « والصواب ما دل عليه هذا الحديث ، وقواعد الشريعة وأصولها لا تقتضي سواه ، فإن المرهون إذا كان حيواناً فهو محترم في نفسه لحق الله - سبحانه وتعالى - وللمالك حق الملك وللمرتهن حق الوثيقة وقد شرع الله - سبحانه - الرهن مقبوضاً بيد المرتهن ، فإذا كان بيده فلم يركبه ولم يحلبه ذهب نفعه باطلا ، وإن مكن صاحبه من ركوبه خرج عن يده وتوثيقه ، وإن كلف صاحبه كل وقت أن يأتي يأخذ لبنه شق عليه ، غاية المشقة ، ولا سيما مع بعد المسافة ، وإن كلف المرتهن بيع اللبن وحفظ ثمنه شق عليه ، فكان مقتضى العدل والقياس ، ومصلحة الراهن والمرتهن والحيوان أن يستوفي المرتهن منفعة الركوب والحلب ، ويعوض عنهما بالنفقة ، ففي هذا جمع بين المصلحتين ، وتوفير للحق : فإن نفقة الحيوان واجبة على صاحبه ، وللمرتهن إذا أنفق عليه أدى عنه واجباله فيه حق . فله أن يرجع ببدله ، ومنفعة الركوب والحلب تصلح أن تكون بدلا . فأخذها خير من أن تهدر على صاحبها باطلا ، ويلزم بعوض ما أنفق ، وإن قيل للمرتهن لا رجوع لك كان فيه ضرر عليه ولم تسمح نفسه بالنفقة على الحيوان . فكان ما جاءت به الشريعة هو الغاية التي ما فوقها غاية من العدل ، والحكمة والمصلحة شيء يختار » . ( انتهى من إعلام الموقعين ج ٢ ص ١٣٠ ) .

بالسنة ، كما استدلوا على انتفاع المرتهن بالمرهون استخداما بالقياس .

أما السنة : فأولا ما روى الشافعى والدارقطنى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يغلق الرهن ، الرهن من صاحبه الذى رهنه ، له غنمه ، وعليه غرمه » .

وثانياً : ما رواه البخارى وأبو داود والترمذى عن أبى هريرة - رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الظهر يركب بنفقته إذا كان مرهوناً ، ولبن الدر يشرب بنفقته إذا كان مرهونا وعلى الذى يركب ويشرب النفقة » .

ووجه الدلالة من الحديثين : أن الحديث الأول دل على أن جميع منافع المرهون للراهن ، والحديث الثانى دل على أن المرتهن أن ينتفع بالمرهون ركوبا وحلبا فى نظير إنفاقه عليه ، فجمعا بين الحديثين يحمل الأول على ما إذا قام الراهن بالإنفاق على المرهون ، والثانى على ما إذا امتنع من الإنفاق عليه .

وأما القياس : فالاستخدام كالحلب والركوب لأنه فى معناهما ، فكما جاز انتفاع المرتهن بالركوب والحلب ، فكذلك يجوز انتفاعه بالاستخدام .

( أدلة القول الرابع )

استدل أصحاب القول الرابع على حل انتفاع المرتهن بالمرهون ركوبا وحلباً فقط إذا امتنع الراهن من الإنفاق على المرهون فى نظير الانتفاع بمنفعة المرهون ولو زادت على قدر النفقة ، بالكتاب والسنة .

أما الكتاب : فقوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » .

وأما السنة : فقوله - صلى الله عليه وسلم : « إن دماءكم ، وأموالكم عليكم حرام » وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب من نفسه » .

فهذه النصوص - من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - تدل صراحة على أن انتفاع الشخص بمال غيره من غير إذنه حرام ، ولا شك أن ملك الشىء المرهون باق لراهنه ، فانتفاع المرتهن به لا يحل بدون إذن الراهن ، وقد جاء الحديث « الظهر يركب بنفقته إذا كان مرهونا ، ولبن الدر يشرب بنفقته إذا كان مرهونا ، وعلى الذى

يركب ويشرب النفقة ، وهو يفيد جواز انتفاع المرتهن بالمرهون ركوباً وحلباً من غير إذن الراهن ولم يقيد ذلك بقدر النفقة فيقتصر على مورد النص ، ويبقى التحريم فيما عداه .

ورد هذا الدليل بأنه قد جاء في بعض الروايات التقيد بقدر النفقة ، وهو ما رواه حماد بن سلمة في جامعه ، بلفظ « إذا ارتهن شاة شرب المرتهن من لبنها بقدر علفها ، فإن استفضل من اللبن شيء بعد ثمن العلف فهو ربا »[1].

وهذا صريح في أن الانتفاع بما زاد على قدر النفقة يكون حراما ، فالواجب تقييد حديث « الظهر يركب بنفقته إذا كان مرهوناً ... الخ » بهذا الحديث .

( المختار )

والقول المختار : من الأقوال الأربعة في انتفاع المرتهن بالمرهون المركوب أو المحلوب ، أو الصالح للخدمة ، إذا لم يأذن الراهن للمرتهن في الانتفاع به ، هو القول الثالث وهو ما ذهب إليه أبو ثور ، والليث ، والأوزاعي ، من حل الانتفاع بقدر النفقة إذا امتنع الراهن عن الانفاق على المرهون ، لقوة أدلته[1]

(١) فإن الناظر في أدلة المذاهب المختلفة ، يرى أنه قد سلم منها حديث ( له غنمه ، وعليه غرمه ) وحديث ( الظهر يركب بنفقته ) وحديث ( فإن استفضل من اللبن شيء بعد العلف فهو ربا ) . وسبيل العمل بالأحاديث المتعارضة هو الجمع بينها ، وأما الأخذ ببعضها وترك البعض الآخر لمجرد ما أثير حوله من أقاويل أو تعصب لرأي معين فبعيد عن الصواب . والإنصاف يقتضي :

أولا : يحمل حديث له ( غنمه ، وعليه غرمه ) العام ، على حديث ( الظهر يركب بنفقته إذا كان مرهونا ) الخاص ، فيبقى العام مانعاً من انتفاع المرتهن بدون إذن الراهن فيما المركوب والمحلوب .

وثانياً : بتقييد حديث ( الظهر يركب . ) المطلق المفيد جواز انتفاع المرتهن بالمرهون في نظير النفقة ، سواء امتنع الراهن من الإنفاق ، أم لا وسواء أكانت المنفعة مساوية النفقة ، أم لا ـ في موضعين :

الأول : إذا امتنع الراهن من الإنفاق .

والثاني : إذا كانت المنفعة مساوية النفقة .

أما الأول : فلأن الأصل أن نفقة المرهون على مالكه ، كما أفاد حديث ( له غنمه ، وعليه غرمه ) ، ولا يعدل عن هذا ـ

(١) نيل الأوطار للشوكاني جـ ٥ صـ ٢٠٢

ولموافقته لروح التشريع ، ولما فيه من المحافظة على حقوق الراهنين والمرتهنين وعلى الأموال التى أمر الشارع بالمحافظة عليها ونهى عن إضاعتها وأكلها بالباطل.

هذا وقد أتى بما اخترناه من عدم جواز انتفاع المرتهن بالمرهون غير المركوب والمحلوب والصالح للخدمة، وجواز انتفاعه بالمرهون إذا كان محلوبا أو مركوبا أو صالحا للخدمة بقدر النفقة عليه عند امتناع الراهن من الإنفاق عليه ـ شيخ شيوخنا وعالم عصرنا المحقق المدقق صاحب الفضيلة ـ الشيخ يوسف الدجوى رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء ؟

د . إبراهيم دسوقى الشهاوى

---

ـ الأصل إذا امتنع من الإنفاق على المرهون . ولما كان المرتهن صاحب حق فى المرهون ، وبترك النفقة عليه يفوت هذا الحق ؛ جعل الشارع النفقة عليه فى مقابل انتفاعه ركوباً ، أو حلباً ، لئلا يتضرر من الإنفاق على ملك غيره ، بالمجان ، وقياس الحنابلة تصرف المرتهن على تصرف المـــرأة فى مال زوجها بالإنفاق على نفسها يؤيد ذلك ، لأن المقيس عليه خاص بحالة امتناع الزوج من الإنفاق . فيجب أن يكون المقيس كذلك مقيداً بتلك الحالة، وإلا كان قياسا مع الفارق.

وأما الثانى : فلأن حديث « فإن استفضل

---

من اللبن شىء بعد ثمن العلف فهو ربا » صريح فى ذلك حيث كان الزائد عن النفقة ربا . وهو محرم شرعا . وبذلك يظهر بوضوح رجحان ما ذهب إليه أبو ثور ، والليث ، والأوزاعى ، من جواز انتفاع المرتهن بالمرهون ركوبا وحلباً واستخداما بقدر ما ينفقه عليه لا غير ، إذا امتنع ـ الراهن عن الإنفاق على المرهون ، وفى حكمه إذا غاب أو تعذر إنفاقه ، لعدم قدرته على الإنفاق . والله عنده علم الصواب .

# إقامة الحدود في المجتمع الإسلامي

للدكتور مصطفى كمال وصفي

---

إن قضية تطبيق الحدود في مجتمع ينتسب إلى الإسلام ، هي قضية كلية تتعلق بأصول الإيمان وليست قضية فرعية تتعلق بالحدود ، فهذه القضية هي قضية بناء المجتمع على الإيمان وقيامه عليه .

فقد ورد في صحيح البخاري ( كتاب الإيمان - باب الإيمان - طبعة دار الشعب الجزء الأول صفحة ٨ ) . « إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً ، من استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان » .

فقيام المجتمع الإسلامي على الإيمان يتطلب هذه القوائم الأربعة : الفرائض والشرائع ، والحدود ، والسنن . فكأن هذا المجتمع بناء له أربعة عمد يجب أن يقوم عليها ، فإن اختل أحدها تهدد البناء كله بالانهيار .

وبذلك ، فإن أهمية إقامة الحدود كأهمية إقامة الفرائض والشرائع والسنن سواء بسواء ؛ لا تقل عنها فتيلا .

وأما الفرائض - وهي الأمور التي أوجبها الشارع ويعاقب تاركها ويثاب فاعلها كالصلاة - فأهمية إقامتها أنها الرابطة بين العقائد والأحكام من معاملات وسير وقضاء ونحوها .

فالشريعة تتطلب أن تقوم هذه الأحكام على أساس من العقيدة ، ولذلك فرضت العبادات لتكون وسيلة لهذا الربط وأعطى للأحكام أوصافاً تعبدية من حيث فرضيتها وندبها وإباحتها وكراهتها وتحريمها . وجعل الفرائض دورية حتى تغذى أتون القلب بجمية الإيمان على الدوام ؛ كلما فترت فيه حرارته ، انبعثت من جديد بأداء الفرائض وخاصة الصلاة . وهكذا استلزم الأمر إقامة الفرائض وطلبها الشارع وعنيت كتب الفقه بتفصيلها قبل الكلام على المعاملات ، لأنها المدخل إليها ولا سبيل لإقامة أحكام الله إلا مع طهارة القلب واعتدال النوايا والمقاصد .

وأما الشرائع فهى القواعد التى تقوم عليها النظم الاجتماعية من المعاملات ونحوها ، وضرورة إقامتها أنها أداة حفظ ضرورات الدين والنفس والنسل والعقل والمال بالوسائل والضوابط التى أقرها الله تعالى فى عباده ، فإذا لم تقم هذه الشرائع على وجهها اختلت هذه الضرورات فى الجماعة ، وشق على الناس أمر حياتهم بل يصعب الكمال فيها حتى لا تحتل تحسينيات الحياة ومكملاتها .

وأما الحدود فهى الموانع التى ينهى عنها المسلم فى الجماعة الإسلامية ، وهى مخصوصة بالذات بصيانة عصمة أهل دار الإسلام - من مسلمين وذميين ومعاهدين - فى أنفسهم ودمائهم وأعراضهم وأموالهم فنظامها الشرعى هو وسيلة هذه الصيانة وهذه العصمة ، وهى - كما هو واضح - تتعلق بكل ضرورات المقاصد الشرعية وهى عصمة الدين والنفس والنسل والعقل والمال ، واختلالها يؤدى إلى اختلال هذه الأمور ، ولا يتصور أن يقوم مجتمع لا يأمن الناس فيه على أنفسهم ودمائهم وأعراضهم ، فكل ذلك حرام بين أهل الجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه ، أو كما قال ، ولقوله فى خطبة الوداع : « ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم بينكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . ألا هل بلغت ؟ .. اللهم فاشهد ، أو كما قال - متفق عليه بمعناه .

وفى أحاديث تحريم الشفاعة فى حدود الله - كحديث المرأة المخزومية التى سرقت فى عام الفتح وقوله صلى الله عليه وسلم: ( لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ) وسائر أحاديث الاهتمام بإقامة الحدود خير دليل على ذلك .

وأما السنن فهى المناهج من العوائد والوسائل ، كقيام المجتمع على العلم وتنظيم ذلك وكليات الشريعة فى التيسير ورفع الحرج وآداب الجماعة ونوافل العبادات ونحو ذلك .

وبذلك يتضح أن إقامة الحدود ركن من أركان البناء الاجتماعى للمجتمع الإسلامى . لا تفاضل بينه وبين ركن آخر مما سلف ، فكلها ضرورى وكلها لازم وذلك لما ورد فى العبارة السابقة عن الإمام البخارى : « من استكملها

فقد استكمل الدين ومن لم يستكملها لم يستكمل الدين » .

وأما إقامتها على الوجه الذى وردت به نصوص الشريعة الإسلامية أو تطويرها بما يناسب المجتمع فى كل زمان ومكان ، فإن هذه القضية تتفرع إلى قضيتين :

أولاهما : مكانة النص من العقل ، وإمكان العدول عن النص إلى ما يوجبه العقل .

وثانيتهما : قابلية أحكام الشريعة الإسلامية - عموماً - التطور ، أو بيان موقف هذه الأحكام بين الثبات والمرونة .

فالإبصار بعنوان ذلك وضبطه ، يقضى على فوضى المزايدة بين دعاة الجمود بحججهم ودعاة الانطلاق بحججهم ، ليكون الأمر قواما واعتدالا بين الجمود المعطل والانطلاق الهدام ، ويستقيم أمر تطبيق الشريعة على وجهها كما أراده الله سبحانه وتعالى بين الثبات والمرونة .

وأما عن مكانة النص من العقل :

فإنه عندنا نحن الجماعة وأهل السنة ، يقوم النص فوق العقل ، فإن الشارع سبحانه وتعالى وضع الأحكام ليحقق بها مصالح الناس . وهناك قرينة تلازم النصوص على أنها محققة لمصالح العباد فى درء المفاسد وجلب للصالح على أحسن الأحوال وأفضلها ، ولولا ذلك لرمى الشارع سبحانه وتعالى - تنزه عن ذلك وعلا علوا كبيراً - بالقصور والعجز عن التشريع حاشا لله وكلا . وهـــذه المصالح المقترنة حتما بالنصوص هى ما نسميه بالمصالح المقيدة وقد وضعها أهل السنة والجماعة فوق التحسين والتقبيح العقليين وإلا لقلنا إن الناس أقدر على التدبير من الله .

وإنما هذه الأحـــكام من لدن خبير حكيم عليم . لا يطاوله فى ذلك خبير آخر ولا يدانيه غيره فلا حكيم عليم قبله أو يقاربه .

ويقابل ذلك ما قالته المعتزلة - وأخذه عنهم بعض الشيعة - فى أن العقل فوق النص ، وأن النص كاشف لما يقبله العقل وهى دعوى لا نقبلها وليس من رأينا . فالعقل قاصر عاجز وتحكيمه على إطلاقه يؤدى إلى الاضطراب والاختلال ، وإنما جعل الله سبحانه وتعالى ضوابط النصوص كحواجز الوقاية ومن خطر التردى فى الخطأ . وما دام الشارع قد تكفل بنفسه بالنص ، فإنه لا يجوز

مطاوله ذلك أو مجادلته ، ويقابله أيضا - عند الشيعة الإمامية - أن الإمام الحق هو قائم الوقت على الشريعة الإسلامية ، وهو معصوم ويقوم مقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيامه على الشريعة ولذلك فقد اعترفوا له بما يشبه النسخ ، بالتخصيص فيما ورد عاما ؛ والتفصيل فيما ورد مجملا ، بل وجعل له البعض التأويل فيما ورد غامضاً متشابهاً . وهذا النظر ليس هو نظر الجماعة ، فإن افتراض أن كل إمام معصوم هى دعوى ينقصها البرهان . وقد أدى الاعتراف بذلك للأئمة إلى نسخ بعض فروع هذا المذهب لهم . كان ذلك فى بعضها أقل ، فإنه لما غاب الإمام الثانى عشر وقفت هذه الوسيلة عند الشيعة الإمامية الجعفرية لحفظ الله هذا المذهب بالذات من خطورات الانطلاق ، بينما انطلقت غيرها ممن لم يفتقد إمامها ؛ فكان منهم الباطنية ومنهم من خرج عن الإسلام خروجا واضحا والعياذ بالله .

وبذلك فإن المقرر عندنا أن النص فوق العقل . وما ورد فيه نص صريح من قطع يد السارق أو حد القاتل والزانى والمرتد ، كل ذلك لا يعرض على التقبيح والتحسين العقليين ولا يناقش مناقشة المصالح المرسلة ، ولا نتجاهل النص وهو قائم موجود ونلجأ فيه إلى النظر والتقدير .

وأما عن مكانة الشريعة الإسلامية بين الثبات والتطور : فإنه لا يعقل بطبيعة الحال أن تقف الشريعة الإسلامية موقف الجمود التام ، ولا يقول عاقل بتحريم تطورها لكى تساير عجلة الزمان وما يظهر فيه من النوازل ؛ وإنما يحتاج ذلك لضبط دقيق .

وحقيقة هذا الأمر - على ما أوضحه الإمام الشاطبى رضى الله عنه فى الموافقات - أن هناك عوائد أصلية جبلية فى الإنسان هى غرائزه التى لا تتطور ولا تتغير من زمان لزمان ولا من مكان لمكان .

فالإنسان مفطور على الحاجة إلى الطعام والمأوى والملبس والحاجة إلى الجنس والإنجاب وإلى أمن وإلى رياضة العقل والجسم ، ونحو ذلك من ضرورات الحياة . وهناك عادات أخرى فرعية فى كيفيات استيفاء هذه الغرائز وذلك من حيث النسبة والقدر ، والكيفية والوسيلة والسرعة وغير ذلك ، مما يمكن أن

يتغير من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان .

وقد ارتبطت مسألة تطور الشريعة الإسلامية وثباتها بهذا النظر ، فما كان متعلقا بالعادات الأصلية أو الغرائز الفطرية والجبلية لا يقبل التغيير والتغيير ، وما كان متعلقا بالعادات الفرعية والكيفيات والوسائل ولا نص فيه ، فإنه يقبل مسايرة الزمان وتطويره في إطار المقاصد الشرعية ، أى تطويراً محكوما بأصل جلب المصالح ودرء المفاسد ، على الأصول والأسس المقررة ، لا تطوراً مطلقاً لا ضابط له ولا معيار .

ولبيان سياسة التطوير في ذلك : أوضح الإمام رضى الله عنه أن ما يجب حفظه وتحريه في الجماعة خمسة أمور - أشرنا إليها - هى : الدين والنفس والنسل والعقل والمال . وأن حفظها يكون على ثلاث أوجه : وجـــه الضرورة ، ووجـــه تحقيق الحاجيات بما يرفع المشقة والحرج ، ووجـــه تحقيق الكماليات والتحسينات ، وقد لاحظ الإمام رضى الله عنه وأرضاه أن ما هو مقرر على وجه الضرورة يتعلق بالعوائد الأصلية المذكورة فلا يقبل التطور .

فالأمور الضرورية وهى التى إذا انعدمت أو اختلت أختل لها أساس الجماعة هى التى لا تقبل التطوير أصلا لأنها قوام الجماعة وأساسها والإطار الحافظ لها ، ومنها إقامة الحدود لما بيناه من ارتباط عصمة النفس والدم والعرض والمال بها وهى أمور كلها إذا اختلت اختل أساس المجتمع . وهى منضبطة بنصوصها الواردة لما بيناه من علو النص على العقل فى مذهب الجماعة . وأما تعليل تصرف عمر باجتهاده فى عدم القطع فى مجاعة الرمادة فإن ذلك قد تأتى لا من عدم تطبيق النص ، بل من إعمال أصل آخر من أصول الشرع فى ذات المجال وذات النطاق ، فلم يكن ذلك إعراضا عن تطبيق النص وإنما كان تطبيقا صحيحا فى أمر أعتمل فيه أصلان وهذه الطريقة لمستها فى عمر فى أمور أخرى ، كقوله لما منع الدخول إلى بلد موبوء رداً على من سأله : نفر من قضاء الله ؟ فقال عمر « نفر من قضاء الله إلى قضاء الله » فكان ذلك إبصار بالمسألة من ناحيتين وليس تطبيقا أصما للأصل .

كما لاحظ الإمام الشاطبى أن الحاجيات أقل تعلقا بالغرائز ولكنها كحصن واق لتحقيقها فهى تقبل التطور ولكن يجب المحافظة عليها لأن اختلالها يتسرب إلى الإخلال بالضرورات. وكذلك فالتحسينات أو التكميليات أقل تعلقا بالغرائز من الحاجيات ولكن اختلالها أيضا يؤدى إلى اختلال الحاجيات وبالتالى يؤثر فى الضرورات، فهى تقبل التطوير أكثر من سالف ولكن على وجه لا يخل بما يعلوها. وبذلك تستقيم سياسة تطوير الأحكام المرنة فى الشريعة الإسلامية فى إطار حافظ من الأصول.

وقد ادعى البعض زورا هذه الأيام أن أحكام القرآن وردت بجملة، والسنة مضطربة غير ثابتة، وفى تطبيقهما على إجمالها حرج على الناس، ولذلك نعرض عن القرآن والسنة رفعا للحرج، وهذا القول ينم عن ضعف العقل وفقر الدم العلمى فى جسد عليل سقيم. فما تعلق بالأحكام مما ورد فى القرآن محكم واضح؛ كقوله تعالى: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما»، وقوله: «يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه»، الآية على تفصيلها. وأما المتشابه فيقع غالبا فى الغيبيات وذلك لجهلنا بها، والسنة ليست مضطربة، كذب وخاب. بل إنه لم يحدث فى التاريخ العلمى فى أى نظام أو مجتمع أن جرى ضبط وتحقيق كما كان فى سنته صلى الله عليه وسلم، وإن الصحيح من الحديث معروف ومعتمد، والحسن كذلك والضعيف، وهناك ضوابط دقيقة محققة لاعتماد السنة أفاض فيها علماء مصطلح الحديث وجعلت أمر هذا الدين مستقرا واضحا. وتقديم هذا البعض رفع الحرج على حفظ الضرورات عدم بصر بصحيح العلم إن لم يكن رغبة فى تنحية نظام الإسلام، ولا يقبل أن يقول عاقل بأن نهدر النص والضرورات لنرفع الحرج. بل تقام الضرورات فى الناس ولو أدى ذلك إلى الحرج لأنه حفظ الضرورات مقدم على رفع الحرج.

هذا هو بيان إقامة الحدود فى المجتمع الإسلامى وموائمته لتطورات العصر، ومــدى ما تسمح به الشريعة من هذه الموائمة والله تعالى حافظ حكيم؟

مصطفى كمال وصفى

# شروط قبول الحديث عند الشيخين

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

---

الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن الأحنف بن بردزبه الجعفي بالولاء البخاري الحافظ ، قال ابن خلكان: رحل في طلب الحديث إلى أكثر محدثي الأمصار وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق والحجاز والشام ومصر ، وقدم بغداد واجتمع إليه أهلها واعترفوا بفضله وشهدوا بتفرده في علم الرواية والدراية .

وحكى أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس ، والخطيب في تاريخ بغداد : أن البخاري لما قدم بغداد سمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها ، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري وأخذوا الموعد للمجلس فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها من البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه واحد من العشرة ، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخاري : لا أعرفه فسأله عن آخر فقال : لا أعرفه فما زال يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول : لا أعرفه ، فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون : الرجل فهم ومن كان منهم ضد ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم ، ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال البخاري : لا أعرفه ، فسأله عن الآخر فقال : لا أعرفه ، فما زال يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته ، والبخاري يقول : لا أعرفه ، ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة والبخاري لا يزيدهم على قوله : لا أعرفه فلما علم البخاري أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال : أما حديثك الأول

فهو كذا، وحديثك الثاني أهو كذا والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه وفعل بالآخرين كذلك ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل، وكان ابن صاعد إذا ذكره يقول : الكبش النطاح ونقل عنه محمد بن يوسف الفربري أنه قال : ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين، وعنه أنه قال : صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة خرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة فيما بيني وبين الله، وقال الفربري : سمع البخاري تسعون ألف رجل فما بقي أحد يروي عنه غيره، وكانت ولادته يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة ١٩٤، وتوفي ليلة السبت بعد صلاة العشاء وكانت ليلة عيد الفطر ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ٢٥٦. وذكر ابن يونس في تاريخ الغرباء أن البخاري قدم مصر وتوفي بها وهو غلط والصواب ما أوردنا.

فقد قال الحافظ في هدي الساري: بعد ذكر ما جرى بينه وبين أمير بخاري بعد عودته إليها قال : فرض ثم أركب إلى الأمير فأدركته المنية في الطريق ... فما أن وضع في حفرته حتى فاح من تراب قبره رائحة زكية ودامت أياما.

أما الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري فقد رحل إلى الحجاز والعراق والشام ومصر وسمع يحيى بن يحيى وأحمد بن حنبل وإسحق ابن راهويه وعبد الله بن مسلمة القعنبي وقدم بغداد غير مرة وروى عنه أهلها وآخر قدومه إليها سنة ٢٥٩. قال محمد الماسرجسي : سمعت مسلم بن الحجاج يقول : صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة، ولد مسلم في تاريخ لم يضبطه أحد بدقة فعن أبي عمرو ابن الصلاح أنه ولد سنة ٢٠٢ ورواية أخرى أنه سنة ٢٠٦، أما وفاته فكانت عشية يوم الأحد ودفن بنصر آباد ظاهر نيسابور يوم الاثنين لخمس وقيل لست بقين من شهر رجب سنة ٢٦١ وعمره خمس وخمسون سنة على القول بأن ولادته سنة ٢٠٦.

إن هذين الكتابين العظيمين هما ثمرة جهود مضنية وأسفار دائبة حتى جاء هذان الكتابان واسطة العقد بين كتب الحديث قاطبة فقد نزلت كلها سواء منها ما كتب قبلهما أو ما دون بعدهما عن رتبتهما ، مع أنه كان الأحرى أن تتفوق السابقة بشدة قربها من عصر الصحابة ، وبعض أصحابها رأى كبار التابعين كالزهرى طارق بن شهاب وعبد الله بن المبارك ، ومالك بن أنس ، والحميدى ، أو تتفوق اللاحقة بمظنة التماس الكمال من اللاحق واطلاعه على ما فات السابق مع ما يضيفه اللاحق من أمور لم يدركها السابق .

ولكن الذى تحقق أن الصحيحين وقعا موقع القلب من جسد السنة وعلومها لما قبلهما دونهما عظمة وارتقاء وتنظيما وتبويباً وتقسيما وما بعدهما كذلك فضلا عن أنها جميعاً أقل منهما ضبطاً وإتقانا ؛ فجاء هذان الكتابان قرة عين للمسلمين ، وقذى فى أعين الطاعنين الشانئين لهما والنافسين عليهما ؛ فما هى هذه الشروط التى التزماها وانتهجاها حتى كانت نتيجتها ثمرة صحيحة ؟

لم ينقل عن واحد من الشيخين ولا عن غيرهما أنه قال : شرطت أن أخرج فى كتابى ما يكون على الشرط الفلانى سوى اشتراط اللقاء عند البخارى والمعاصرة عند مسلم ، وهذه الملامح فى نظرات صادقة وتقويم دقيق للرجال جاء بها مسلم فى مقدمة صحيحه ، ولم يصنع البخارى مقدمة لكتابه ؛ فكان لا سبيل إلى معرفة هذه الشروط إلا باستقراء وسبر كتبهم واستجلاء إشاراتهم ورموزهم بالدراسة والمناظرة وملاحظة الفروق من كون البخارى لا يروى عن أناس ثم يروى لهم مسلم .

ومن المقطوع به أن الشيخين لم يخرجا إلا الحديث المعتمد على ثقة نقلته ، ومن جرح من رجالهما لا يلتفتان إلى تجريح من جرحه لوقوعه على غير شرطهما أيضاً وهو ألا جرح بغير بيان سببه ، وقد لا يقتنعان بمسوغات الجرح فتبق العدالة وهى الدين ويضاف إليها الضبط والإتقان ، فيكتمل بذلك الراوى شرطان فارمان .

ويقدر الشيخان الأمور تقديراً إنسانيا فليس معنى أن يكون الراوى

عدلا ديناً أن يكون معصوماً من الخطأ فإن كل مكلف لا يكاد يسلم من أن تشوب طاعته معصية، ولذلك لم يكن سبيل إلى ألا يقبل إلا طائع محض الطاعة لأن ذلك يوجب ألا يقبل أحد، فلم يبق إلا من يطمئن له القلب ويرضى عنه سواد الناس لقوله تعالى: «ممن ترضون من الشهداء». وكل من ثبت كذبه رد خبره وشهادته؛ لأن الخبر ينقسم إلى الصدق والكذب، فالصدق هو الخبر المتعلق بالمخبر على ما هو عليه، والكذب عكسه، وقد اختلف العلماء في حد الخبر فقالت طائفة: الخبر ما دخله الصدق والكذب. وقالت أخرى: ما جاز أن يكون صدقاً وأن يكون كذباً. وقيل: ما كان صدقاً أو كذباً، وهذه حدود رسمية لا تكاد تسلم من النقوض، والكلام فيها يليق بالأصول.

وقد رأينا البخارى يترك أحاديث جماعة لشبهة وقعت فى نفسه ثم يأتى مسلم فيخرج لهم؛ وذلك لزوال هذه الشبهة، وذلك لثبوت مرويات خاصة لهم ظهرت صحتها له بزوال الشبهة الطارئة ببحث خاص فانتقاها من أخبارهم، لا بمعنى جميع مروياتهم مطلقاً، ولذا لا يصح القول بأن جميع مرويات بعض من روى له الشيخان صحاح كلها، فكما لا تكون أحاديث سيء الحفظ كلها باطلة كذلك لا تكون أحاديث الثقة كلها صحيحة، ولذلك الشيخان يسبران مرويات النقلة رواية رواية، ولنضرب لذلك الأمثال:

حماد بن سلمة وسهيل بن أبى صالح، وداود بن أبى هند، وأبو الزبير، والعلاء ابن عبد الرحمن وغيرهم وهؤلاء الخمسة مثال لغيرهم لكثرة روايتهم وشهرتهم، فلما تكلم فيهم بما لا يزيل العدالة والثقة ترك البخارى إخراج حديثهم معتمداً عليهم تحريا واحتياطا. وأخرج مسلم أحاديثهم بعد أن وضح له أن أسباب الجرح غير قائمة. ومثال ذلك أن سهيل ابن أبى صالح تكلم فى سماعه من أبيه فقيل: إنه أخذ كلام أبيه من صحيفة ولم يسمع أباه ـ والمحدثون لا يعتمدون الصحائف إلا بشروط؛ إذ ربما يدس فيها ما لا يرضاه كاتبها وليس من مروياته ـ ومن أجل هذا تركه البخارى واستغنى عنه بغيره من أصحاب أبيه.

ومسلم اعتمد عليه لما سبر أحاديثه فوجده مرة يحدث عن عبد الله بن دينار عن أبيه، ومرة عن الأعمش عن أبيه، ومرة يحدث عن أخيه عن أبيه بأحاديث فاتته من أبيه فصح عنده أنه سمع من أبيه إذ لو كانت روايته صحيفة لكان يروى هذه الأحاديث مثل تلك الأخر، وبهذه المناسبة رأينا النسائى يروى عن سهيل ويشجب عمل البخارى فى رفضه الاعتماد عليه فيقول: سهيل والله خير من أبى اليمان ويحيى بن بكير وغيرهما، وكتاب البخارى ملآن من هؤلاء وهم شيوخ البخارى المباشرون.

وحماد بن سلمة إمام كبير أطنب الأئمة فى الثناء عليه، غير أن بعض المشتغلين بهذا العلم زعموا أن بعض الكذبة أدخل فى حديثه ما ليس منه، فلم يخرج له البخارى معتمداً عليه، وإنما جاء به تابعاً لرواية شاهداً فى بعض المواطن من الصحيح لكى يبين أنه ثقة، وهذه من الرموز الذكية والإشارات التى تكثر فى صحيح البخارى، وكم فى البخارى من رموز تتيهها فحول الحفاظ. ثم أخرج له أحاديثه التى يرويها ولكن من حديث من أقرانه كشعبة وحماد بن زيد وأبى عوانة وأبى الأحوص وغيرهم.

أما مسلم فقد اعتمد عليه لأنه رأى جماعة من أصحابه القدماء والمتأخرين رووا عنه حديثاً لم يختلفوا عليه، وشاهد مسلم منهم جماعة وأخذ عنهم ثم ناهيك بعدالة الرجل فى نفسه وإجماع أئمة النقل على توثيقه وإمامته، فهذا بعض وجوه الخلاف بين الشيخين.

لقد كان كثير من المدونين يرفضون الرواية لأسباب غير مقبولة عند النظرة العادلة والفحص الدقيق، كقولهم فلان من اللفظية أى كان يقول: لفظى بالقرآن مخلوق أو فلان كان ينفى الحمد عن الله أولا يستثنى فى الإيمان فرجىء أو جهمى فى غير مسألة الجبر والخلود أو كان لا يقول الإيمان قول وعمل فتركناه، أو ينسب إلى الفلسفة أو الزندقة لمجرد النظر فى الكلام أو كان يقول بالرأى فى مسائل الفروع. وكما يقول ابن قتيبة: لا يخلو كتاب ألف بعد محنة الإمام أحمد فى الرجال من البعد عن الصواب كما لا يخفى على أهل البصيرة الذين درسوا تلك الكتب بإمعان

وقال الرامهرمزى فى كتابه (الفاصل بين الراوى والواعى) : وليس للراوى المجرد أن يتعرض لما لا يكمل فإن تركه ما لا يعنيه أولى وأعذر له ، وكذلك كل ذى علم فكان حرب بن إسماعيل السيرجانى يعنى الكرمانى صاحب المسائل عن إسحاق ابن راهويه وأحمد بن حنبل - قد اكتفى بالسماع وأغفل الاستبصار ، وعمل رسالة سماها (السنة والجماعة) تعجرف فيها واعترض عليها بعض الكتبة - يعنى كبار الموظفين أو الوزراء - من أبناء خراسان ممن يتعاطى الكلام ويذكر بالرياسة فيه والتقدم ، فصنف فى ثلب رواة الحديث كتابا يلقط فيه كلام يحيى ابن معين وابن المدينى ، ومن كتاب التدليس الكرابيسى وتاريخ بن أبى خيثمة والبخارى ما شنع به على جماعة من شيوخ العلم خلط الغث بالسمين والموثوق بالظنين ولو كان حرب مؤيداً مع الرواية بالفهم لامسك من عنانه ودرأ ما يخرج من لسانه، ولكنه ترك أولاها فأمكن القارة من رماها ، ونسأل الله أن ينفعنا بالعلم ولا يجعلنا من حملة أسفاره والأشقياء به إنه قريب مجيب ، اه .

فإذا عرفت كيف شاعت وفشت فشوا بالغا شائبة الجرح لأتفه الأمور تبين لك هذا المسلك الحصيف الذى سلكه الشيخان فى اطراح ثلب من عرفا فيهم العدالة والضبط ، ولم يحفلا بمن يتكلم فى أبى اليمان بن أبى بكير أو بدل المحبر من شيوخ البخارى وكيف لا يقفان هذا الموقف ذائدين الغلو فى ذم مشيخة أجلاء. وقد نالهما بعض ما نال غيرهما من الأذى، قال الحاكم : سمعت أبا الوليد يقول : قال أبى ( يعنى أبا حسان محمد النيسابورى) أى كتاب تجمع ؟ قلت : أخرج على كتاب البخارى قال : عليك بكتاب مسلم فإنه أكثر بركة فإن البخارى كان ينسب إلى اللفظ . قال الذهبى : ومسلم أيضا منسوب إلى اللفظ ، والمسألة مشكلة .

قلت : نعم وقع بين البخارى وشيخه محمد بن يحيى الذهلى حين قدم البخارى نيسابور وسألوه عن اللفظ فقال . القرآن كلام الله غير مخلوق وأعمالنا مخلوقة. قال أبو حامد الشرقى : سمعت الذهلى يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق ومن زعم (لفظى بالقرآن مخلوق ) فهو مبتدع

لا يجلس إلينا ولا نكلم من يذهب بعد هذا إلى محمد بن إسماعيل ، فانقطع الناس عن البخارى ، إلا مسلم بن الحجاج وأحمد ابن سلمة ووصل وفاء مسلم للبخارى وعدم تخليه عنه فى هذه المحنة أن أرسل إلى محمد بن يحيى الذهلى بجميع ما كان كتب عنه على جمل . وقال الذهلى : لا يساكنى محمد بن إسماعيل فى البلد ، فخشى البخارى على نفسه وسافر منها ، ومسلم بعد هذا لم يخرج لا عن الذهلى ولا عن البخارى .

وأما البخارى فقد أخرج حديث الذهلى فى صحيحه مع ما جرى من الإساءة له ، فلم يتكدر صفاؤه ، ولم يحرمه شنآن الذهلى من الأخذ عنه فروى عنه فى الصوم والطب والجنائز والعتق وغير ذلك مقدار ثلاثين موضعاً إلا أنه من فرط تأثره يقول : حدثنا محمد أو حدثنا محمد بن خالد ينسبه إلى جده أخذاً بعلمه ودفعاً لما يتوهم من أن شيخه محق فى طعنه لو صرح باسمه .

وقال البدر العينى : فى الصحيح جماعة جرحهم بعض المتقدمين وهو محمول على أنه لم يثبت جرحهم بشرطه ، فإن الجرح لا يثبت إلا مفسراً مبين السبب عند الجمهور ، ومثل ذلك عند ابن الصلاح فى عكرمة وإسماعيل بن أويس وعاصم ابن على وعمرو بن مرزوق وغيرهم . قال : واحتج مسلم بسويد بن سعيد وجماعة اشتهر الطعن فيهم . قال : وذلك دال على أنهم ذهبوا إلى أن الجرح لا يقبل إلا إذا فسر سببه . ثم قال : وقد طعن الدارقطنى فى كتابه المسمى بالاستدراكات والتتبع على البخارى ومسلم فى مائتى حديث فيهما ، ولأبى مسعود الدمشقى ( صاحب الأطراف ) استدراك عليهما وكذا لأبى على الغسانى فى تقييده اهـ .

وقد بذل شراح الكتابين جهوداً عظيمة وأجادوا فى الإجابة عما أورده هؤلاء لا سيما الحافظ ابن حجر فى مقدمة فتح البارى المسماة بهدى السارى ؟

محمد نجيب المطيعى

# قيم إنسانية في الإسلام

للدكتور ابراهيم أبو الخشب

---

يحكى القرآن الكريم عن الشرائع السابقة للأنبياء والمرسلين أنها كانت على أساليب متنوعة ، فيقول: «ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » ويقول مثل هذا القــول المؤرخون لتلك الشرائع ، والمتحدثون عن هذه الديانات . على اعتبار أنها كانت إقليمية ترتبط بالمناخ الذى تكون عليه ، وبالعادات والطباع التى تتحكم فى الناس حينئذ وكأنما كانت هذه كلها بمثابة الإعداد الأولى ، أو فترة الانتقال التى يجب أن تجتازها البشرية فى هذا الوقت ، لينمو وعيها ، وتتسع مداركها ، ويتهيأ استعدادها العام لأن تتحول ميولها الفردية أو الإقليمية إلى ميول إنسانية شاملة تتلاءم مع ذلك الدين الشامل الذى أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون للأسود والأبيض ، والأحمر والأصفر ، فلا يخص بيئة بعينها ولا جماعة دون أخرى . . وليس عمومه من ناحية كون الداعى به كان ينادى أن الله قد بعث به إلى النـــاس كافة ، إنى رسول الله إليكم جميعاً ، وأن الدستور الذى يعلنه صالح لكل زمان ومكان . . ولكن ذلك كله كان من ناحية أخرى ، وزاوية جديدة تطل على هذا الكون وتلك هى أنه إنسانى بحت ، يتجاوب مع العواطف ، وتهفو إليه الطباع ، وترضى به الوجدانات وتستريح إليه الميول ، حتى ليكاد العاقل يفهم أن رسالته لا تخصه هو وحده ، ولا تقتصر عليه دون سواه ولا يقف غرضها عنده وكفى ، ولا تنتهى تعاليمها عند تكاليفه بالواجبات ، وإلزامه بالمأمورات ، بمقدار ما تريد أن تهذب نفسه ، وترقق حسه ، وتنمى فيه الميل العــام إلى العطف والرفق ، والمودة والحب ، والإخاء والمساواة ، والسلامة والأمن ، والعدل والإنصاف ، والبر والمعروف ، ولذلك كان القرآن الكريم فى خطابه للمسلم يستعين دائما أبداً بكلمة إنسان يملأ بها سمعه ، ويحيط بها جوانبه

فيقول: «يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ما شاء ركبك». ويقول: «إن الإنسان خلق هلوعا». ويقول: «إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى». ويقول: «يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه». وهكذا نجد هذه الكلمة متناثرة هنا وهنالك فى الخطاب للأمر أو النهى ، والترغيب أو الترهيب لتهز الضمائر ، وتثير الأحاسيس، وتحمل على الاستجابة والقبول ، وهنالك يتسع القلب للناس ، ويلين الجانب للخلق ، وتحسن معاملة الفرد للفرد .. وكانت عائشة رضى الله عنها تقول: قال لى النبى صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب الرفق فى الأمر كله». وفى بعض الأحاديث الأخرى ما يفيد أن الرفق ما كان فى شىء إلا زانه ، وما خلا من شىء إلا شانه ، وهو كما يفيد معناه اللغوى علاج الأمور بيسر ، وأخـــذها بسهولة ، وتناولها بهدوء ، ودفعها بلين ، وبهذا لا يتأذى منها أحد ، ولا يتضرر بها مخلوق ، ولا يتخلف عنها شر ، وهو شىء من العنوان الكبير فى أخلاق النبوة العظمى التى تحدث البيان الإلهى عنها بقوله: «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك». ولقد كان من سياسته صلى الله عليه وسلم التى تدل على ما كان كامنا فى طباعه من خلال الإنسانية بكل ما تحتمله الكلمة من معنى أنه كان يعامل اليهود والنصارى الذين كانوا يجاورونه فى المدينة أحسن معاملة يجدها مواطن من المواطنين له ، فما وجدوا منه غبناً ، ولا أحسوا منه غبناً ولا شكوا منه ظلماً ، ولا لاقوا اضطهادا ، أو شعروا بما يسمى الآن بالتفرقة العنصرية ، وكان يعلن إلى أصحابه رغبته الأكيدة فى الإحسان إلى هؤلاء الناس، ويجهر بقوله: من آذى لى معاهداً أو ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة. وقد صح أن عمر رضى الله عنه رأى فى بعض رحلاته التى كان يتحسس فيها أحوال الرعية يهودياً أقعده الكبر ، وأضناه الهرم ، وبلغت به الشيخوخة غايتها ، وقد أذله الفقر ، وتوسعت ظهره السنون ، فأمر أن يجرى عليه راتب شهرى من بيت المال ، وقال ما كان لنا أن نأخذ منه الجزية فى شبابه ثم نتركه

يعانى — الآن — العوز والفاقة ....
وهكذا يرى الإسلام ذلك المبدأ العام فى الإحسان والرفق والحدب والعطف ودفع غائلة الجـــوع والفقر والحاجة ومرارة الحرمان حتى فى أشد حالات الغضب والألم ، وإذا كان المسلم فى حرب مع عدوه الكافر فليس له أن يميل به ، أو يجهز على النساء والأطفال والزمنى أو المرضى ، ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » إرشاداً لأمته أن تتجافى القسوة ، وأن تنأى عن الغلظة وأن تكون رقيقة غاية الرقة حتى مع العجماوات من الحيوانات .. وقد نص الفقهاء على أنه يكره للمسلم أن يذبح بالسكين الباردة ، كما يكره له أن يذبح الحيوان على مرأى من آخر ينتظر دوره ولعل الإسلام هو صاحب الفضل فيما يسمى « بالرفق بالحيوان » فإن المسلمين يحفظون جميعاً الحديث المشهور « أن امرأة دخلت النار فى هرة حبستها ، فلا هى أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض ، ويحفظون أيضاً « فى كل كبد رطبة صدقة » فإن علماء الحديث يقولون: إنه حث على إطعام الطعام للجائع ، وبذل الماء للعطشان ، وإغاثة الملهوف من الحيوان أو الإنسان ، وقد صور الحديث هذه العاطفة الكريمة فى رجل ذهب إلى بئر ليستقى منه فوجد عليه كلباً يلهث من العطش فلم يسعه أن يشرب وهذا الكلب على وشك أن يموت ، وقال فى نفسه لابد أن يكون هذا الكلب أشد منى حاجة إلى الماء ، فأخذ يملأ خفه ويسقيه ، وكانت هذه مما رضى الله به عنه ؛ وأثابه عليه أعظم الثواب وأجزله .

وإذا كانت الأبوة فى الآباء تقتضيهم أن تتسع قلوبهم لأبنائهم من غير تفرقة وتحدب أفئدتهم عليهم من غير تمييز ، وتمتد ظلالهم امتداداً عاماً لأنهم فى محيط الأسرة أشبه بالراعى الذى يسهر لراحة الرعية ، ويعمل لخير الأمة ، ويشتى لإسعاد الجماعة ، فإن الإســـلام وقد جعله الله هذا القانون الإلهى العام كان من الضرورى أن يجنى النـاس ثمرته ، وأن يذوقوا حلاوته ، وأن يدركوا نعمته ، وأن يشربوا من كأسه الملأى رحيق الحياة المثلى ، والإنسانية العظمى

والآدمية المهذبة الكريمة ، لأنه الشمس التى خلقها الله لتكون مصدر الإشعاع والنور ، والحرارة والدفء ، والنمو والبركة والخير والرزق ، ثم لتكون منها تلك الطاقة الحرارية الكبرى فى استخدام هذا الكون والانتفاع به ، وكما أن الشمس هى هذا الكوكب الذى يطل على ذلك الكون كله ، فإن الإسلام يشرف من عليائه على هذا العالم الذى يموج بالظلم ، ويغلى بالشر ، ويطفح بالفتنة ، ويضطرب بالفساد ، وهنه نوره الذى يهديه ، ورائده الذى يقوده . وأستاذه الذى يعلمه ، وقانونه الذى يقـــومه ، ودستوره الذى يصونه ، وجيشه الذى يحميه ، وبصره الذى يكشف له مواضع أقدامه فى ظلمة الحياة. ولا ندعيها دعوى طويلة أو عريضة من غير دليل ناطق ، أو برهان صادق فإن الإنسانية المكلومة المعذبة طال المدى بها أو قصر سوف تجد نفسها بعد هذا الغليان بحاجة إليه لينقذها من الحرب وينجيها من الهلاك ويجنبها ويلات هذا الصراع القاسى الذى تعانيه . . وقد بسط الإسلام نفوذه فى يوم من الأيام على رقعة فسيحة من الأرض ودان لسلطانه القبطى واليهودى ، والبوذى والنصرانى، والحبشى والرومى، والفارسى والهندى ، وفى جوار أهله عاشوا هادئين وادعين ، وفى ظلال دينه أمنوا من الخوف ، ونجوا من العسف ، وسلموا من الشرور ، ونعموا بالراحة ، وسعدوا بالحياة . فلم يعتد أحد على حرماتهم ، ولم يطمع إنسان فى اغتصاب أموالهم ، ولم يتطلع إلى أخذ ما بأيديهم، ولم يشعروا يوما من الأيام بغربة الدار ، ولا نزوح الوطن . أو تباين الطباع أو العادات ، أو احتقار الآدمية ، وابتذال العرض . والحد من الحريات ، والحجر على الأفكار . أو الوقوف فى وجه العقائد والأديان بل كانت لهم الحريات المطلقة والتصرف التام ، والأمن الشامل ، والاطمئنان الكامل والاختيار الصحيح والعدالة البحتة ، والاحترام غير المحدود فلم يشعر واحد منهم أنه بين قوم يخالفونه فى الدين . أو يباينونه فى العقيدة ، أو يغايرونه فى الشريعة . وهم لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، ذلك لأن القرآن الكريم يوصينا بهم ويحدبنا عليهم .

ويقول : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » .

والدين الذي يكون هذا شأنه ، وهذه سماحته ، وتلك شيمته . وذلك الدستور ينبع منه ، يعمل بقومه أن يتمكنوا في الأرض ، ويحسن بالناس جميعا أن يمدوا إليهم أيديهم ، وأن يفتحوا عليهم أعينهم ، ليربطوا مصيرهم بتشريعتهم التي رسمت الخطوط الواضحة والمعالم الصحيحة للسعادة التي لا زيف فيها ، ولا غبار عليها . . ولولا أن للإسلام هذه الجوانب الخصبة بالمعاني الإنسانية لما اتسع كنفه للمخالفين له في العقيدة . المناوئين له في الأسلوب ، المعارضين له في الاتجاه . وهؤلاء هم اليهود يتحدث تاريخهم أنهم في أوربا المسيحية لم يطب لهم جوار ؛ ولم يستقر بهم قرار ، ولم يهدأ لهم جنب ، ولم يصف لهم عيش وظلوا هنالك يلاقون الهوان ويتحملون الضيم ، ويتجرعون كؤوس المذلة .

مع أن اليهودية والمسيحية أبناء عم يجمعهما كثير من الطباع والعادات ، والسلوك والأخلاق ، وهما إلى جانب هذا يشتركان في التجهم للإسلام ، وقد عاشت كل واحدة منهما إلى جواره هادئة مطمئنة ، لا يتهدد دعوتها خطر ، ولا ينغص صفوها كدر ، ولا يجلب لها هذا الدين شراً ، أو يضمر لها عداوة ، وفي الوقت الذي كان أسلوبهما معه يقوم على العنف والكيد ، والقسوة والشدة ، كان أسلوبه الحجة والبرهان ، والعقل والمنطق ، والنظر والتروي ، والتدبر والتأمل ، ودفع السيئة بالتي هي أحسن ، وقد كان على طول الخط يفسح صدره لخصومه ، ويتناسى سيئات أعدائه ، والذين يقفون في سبيله ، ويصدون عنه ، ويمدح أهله بقوله : « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » وليس في كلمة الناس تحديد بالمؤمنين ، ولا تخصيص بالمسلمين . . فهل بعد هذا شك في أنه دين الإنسانية المهذبة والآدمية العامة ، والبشرية المستنيرة ، وأنه يبسط ظله الوارف على الكرة الأرضية من غير تمييز لجهة ، ولا تحديد بمكان ، أو توقيت بزمان ، أو عصبية لإنسان دون إنسان ؟

د. إبراهيم علي أبو الخشب

# عبد الرحمن بن عوف والخليفة الثالث

للأستاذ السيد حسن قرون

---

حين قال عبد الرحمن وهو على منبر رسول الله في المدينة والمسجد غاص بالمسلمين : « اللهم إنى قد جعلت ما فى رقبتى - الخلافة - فى رقبة عثمان » ازدحم الناس يبايعون عثمان بن عفان حتى غشوه عند المنبر ، وأقبل على ابن أبى طالب يشق الناس حتى بايع .

من تلك اللحظة أصبح عثمان الخليفة بعد الفاروق عمر بن الخطاب ، وابتهجت قريش لأنها قد اختارت لنفسها ، ولأن للمهاجرين الذين حجزهم عمر بالمدينة أن ينطلقوا إلى الأقاليم المفتوحة ، ورأوا أن ابن عوف أعفاهم من ابن أبى طالب الذى قال عنه عمر : « لو ولوها الأجلح سلك بهم الطريق » ونهض الخليفة الثالث بما أسند إليه ، وأصدر أوامره إلى الولاة وأمراء الجيوش ، وأدب الخارجين على الدولة فى أقاليم فارس وغيرها ، واستقامت له الأمور كما يحب المسلمون ويرضون .

واستراح ابن عوف إلى عمله ، واعتقد أنه أدى ما يجب عليه نحو أمة محمد ، فهو قد نظر وشاور ، واجتهد ما وسعه الاجتهاد ورد شيئا مما كانت تلوى به قريش فقد كانت تريد الخلافة متداولة بين بطونها وتود لو استطاعت أن تباعد بينها وبين بنى عبد مناف ، وأظهر بنى عبد مناف بطنان : أمية وهاشم ، أما هاشم فيكفيها النبوة عزا ومجدا وفخارا ولا بد من إرضاء البطن الثانى وسادته ، كأبى سفيان وخالد بن سعيد ، فقد كان أبو سفيان على عهد الخليفة أبى بكر يعلن ما لهذا الأمر فى أقل قريش وأذلها وخالد بن سعيد ، يخاطب عليا وعثمان قائلا : أغلبتما عليها يا بنى عبد مناف وعلى بجيبه : أهى مغالبة وليست خلافة ؟ ووجد عبد الرحمن السبيل ميسرة فى تولية عثمان الأموى الخلافة وله من سابقته وقرابته وصهره لرسول الله ما ينفى عنه الظنة ، ولا سيما أنه من رجال الشورى الذين عينهم عمر رضى الله عنه عند وفاته وهو رجل لين ليس فيه شدة عمر ، ولا حدة أبى بكر .

وسارت الأمور كما أراد ابن عوف وأهل المدينة يرون سنة الصاحبين مرعية وسنة رسول الله نافذة وبدأ لعثمان رضى الله عنه أن يعزل بعض الولاة ويولى غيرهم توضية للرعية، واستجابة لمطالب المسلمين، فهو الخليفة وإليه مقاليد الأمور وكانت الجزيرة العربية تتمخض عن أمر مريج، وشيء جديد يقتضى عزما وحزما وقوة رادعة فى حاضرة الخلافة وهى المدينة المنورة.

وكان أول شيء أتاه عثمان وأخذ عليه أنه حج بالناس سنة ٢٩ھ فضرب فسطاطا بمنى وأتم الصلاة بها وبعرفة فأنكر عليه الناس أن يصلى صلاة القصر أربع ركعات قال ابن عباس: «إن أول ما تكلم الناس فى عثمان ظاهرا أنه صلى بالناس بمنى فى ولايته ركعتين حتى إذا كانت السنة السادسة من حكمه أتمها، فعاب ذلك غير واحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم.

وأتى آت عبد الرحمن بن عوف فقال له: هل لك فى أخيك قد صلى بالناس أربعا، فصلى عبد الرحمن بأصحابه ركعتين ثم خرج حتى دخل على عثمان ودار بينهما الحوار الآتى:

قال عبد الرحمن لعثمان: ألم تصل فى هذا المكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين؟ قال عثمان بلى. قال ألم تصل مع أبى بكر ركعتين؟ قال عثمان: بلى. قال: ألم تصل مع عمر ركعتين؟ قال عثمان: بلى قال: ألم تصل صدرا من خلافتك ركعتين؟ قال عثمان: بلى..

واستطرد قائلا: اسمع منى يا أبا محمد، إنى أخبرت أن بعض من حج من أهل اليمن وجفاة الناس قد قالوا فى عامنا الماضى: إن الصلاة للمقيم ركعتان، هذا إمامكم عثمان يصلى ركعتين، وقد اتخذت بمكة أهلا فرأيت أن أصلى أربعا لخوف ما أخاف على الناس، وأخرى قد اتخذت بها زوجة ولى بالطائف مال، فربما مرجعة عليه فأقمت به بعض الصدر.

قال عبد الرحمن: ما من هذا شيء لك فيه عذر. أما قولك اتخذت أهلا فزوجتك بالمدينة تخرج بها إذا شئت، وتقدم بها إذا شئت، إنما تسكن بسكناك وأما قولك ولى مال بالطائف فإن بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث ليال وأنت لست من أهل الطائف، وأما قولك

يرجع من حج من أهل اليمن وغيرهم فيقولون هنا إمامكم عثمان يصلى ركعتين وهو مقيم ، فقد كان رسول الله ينزل عليه الوحى والناس يومئذ الإسلام فيهم قليل ثم أبو بكر وعمر وقد اتسع الإسلام وكثر أتباعه ولم تصل فى كل تلك العهود إلا ركعتين. قال عثمان : هذا رأى رأيته . والتقى عبد الله ابن مسعود بابن عوف فأخبره أنه صلى أربعا كما صلى الخليفة لأن « الخلاف شر » .

وهذا الحوار يدل على غيرة دينية ملحوظة ، وغضبة لله ورسوله ملموسة ، ونستبين منها خشية أن يحدث مثيلها فى الدين ، وماز الوا قريبى عهد بنور النبوة ولكن لو أخذ هذا الحدث على المحمل الطيب ، والتأويل الحسن وقبل فيه عذر عثمان ، وظنوا خيراً فى زيادة العبادة لسهل الأمر وهان ، ولكنهم كانوا مرهفى الحس فى هذا الشأن ومن هنا بدأ الشك يساور النفوس فى أعمال الخليفة عثمان ، فما من شىء يأتيه إلا تحدثوا فيه ، وأكثروا القول وقلبوه على جميع وجوهه . وغلبت على بعض الأمصار مثل الكوفة والبصرة والفسطاط « روادف[1] ردفت ، وأعراب لحقت ، لا تعرف مكانة لذى شرف وذى بلاء » ، وعرفوا أصحاب محمد عن كثب ، عرفوا طلحة والزبير وسعدا ، وتكلموا فى السياسة كما نقول اليوم ، وصارت النفوس أنواعا وأشياعا ، كل جماعة تتجه إلى صحابى من هؤلاء الأجلاء وتمدوا طورهم فتناولوا قريشاً بعامة وعثمان بخاصة ، وكثر الحديث عن الفيوء والغنائم والقسمة العادلة والقسمة الجائرة ، ووصل بهم الأمر إلى الغض من شأن إسماعيل والخليل إبراهيم ، لأن قريشاً من بنى إسماعيل بن إبراهيم .

روى المسور بن مخرمة أن إبلا من إبل الصدقة قدمت على عثمان فوهبها لبعض بنى الحكم - والحكم عمه - فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فأمر بردها ، فأخذها وقسمها بين الناس وعثمان فى الدار ، وهذا يدلنا على أن ابن عوف كان يعد نفسه مسئولا عن تصرفات

---

(١) فى رأيى أنهم أساس الخوارج . الطبرى خامس ص ١١٣.

الخليفة ، فإذا رآها خارجة عن الوازع الديني ، أو تثير الإذاعـة والقالة - على حد تعبيرهم - عجل القضاء عليها ، وتهوين أمرها حتى تهـدأ النفوس وتطمئن القلوب .

لقد استطاع عمر رضي الله عنه حين فتحت الشام ومصر وفارس وكثرت الأموال أن يدون الدواوين ، ويضع سياسة توزيع المال على أسس مكينة ، وقواعد سليمة خرج منها بصفة ، ما أجلها صفة الحاكم وهي العدل ؛ فكان ينبغي لمن يأتي بعده أن يضع نصب عينيه هذه السياسة ؛ فيسير في ضوئها ؛ ويستحدث من النظم ما يحول بين النفوس وبين الفتنة ، وكان ينبغي أيضاً أن تكون هناك سياسة متبعة في شأن اختيار الولاة وأمراء الأجناد حتى لا تكون فتنة ، ويكون الأمر كله لتلك السياسة ، ولابد من مجلس للمشورة ، لقد رأينا عثمان كثيراً ما يستشير العباس بن عبد المطلب كلما حزبه أمر ، ثم لا يكون لتلك الاستشارة أثر ، إذ كان بجانبه مروان وبعض بني أمية وهم يعملون لأنفسهم لا للدولة ، وما المانع أن يكون على رأس ذلك المجلس عبد الرحمن بن عوف وقد عـرف بصدقه وأمانته ، وغيرته على شئون المسلمين ، وزهده في الخلافة والولاية والمظاهر الدنيوية ، والمشورة أو الشورى عرفوها وزاولوها من عهد الرسول الكريم الذي أمر بها ، وشاورهم في الأمر ، ولما كانت الأمور قد تغيرت واتسع مجال العمل والثروة وتطلعت النفوس إلى الأشياء الجديدة فكان عليهم أن يقوموا لها ، ويضعوا لها التشريعات اللازمة ، ولكنهم تركوا الأمور تجرى كما تشاء دون نظام أو تقاليد .

كان الأمر في تلك الفترة يحدث فيهرع الناس إلى ابن عوف لثقتهم به ، فكان يرد الأمر إلى نصابه ما وجد إلى ذلك سبيلا ، فهو يستطيع أن يتصرف في إبل الصدقة وفي قصر الصلاة آن السفر ولكنه لا يستطيع أن يعزل والياً ولاه عثمان .

جاء في العقد الفريد ، فلما أحدث عثمان ما أحدث من تأمير الأحداث من أهل بيته على الجلة من أصحاب محمد ، قيل لعبد الرحمن : هذا عملك ! قال : ما ظننت هذا ، ثم مضى ، ودخل

عليه وعاتبه ، وقال : إنما قدمتك على أن تسير فينا بسيرة أبى بكر وعمر فخالفتهما ، وحابيت أهل بيتك ، وأوطأتهم رقاب المسلمين . فقال : إن عمر كان يقطع قرابته فى الله وأنا أصل قرابتى فى الله ، قال عبد الرحمن : لله على ألا أكلمك أبدا ، فلم يكلمه حتى مات ، ودخل عليه عثمان عائدا له فى مرضه فتحول عنه إلى الحائط ولم يكلمه ، وهذا موقف عصيب يترك ندوبا فى القلب ، واضطرابا فى التفكير ، فنحن نعرف أن المستشار مؤتمن ولا سيما عبد الرحمن لبده عنده ، ومصاهرته له ، فهو زوج أخته ثم هما أخوان فى الله ، وفى صحبة رسول الله ، ولا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال .

ونحن هنا لا نلوم عثمان ، ولا نعيب رأيه وأعماله ، ولكننا نحزن لحزن ابن عوف ، وألمه لما حدث من فتنة توشك أن تقع وتسفك الدماء ، وترخص الأرواح ، ويتطلع إلى الخلافة من كان لا يفكر فيها .

ولم يعش ابن عوف ليرى ولاة عثمان يطردون من مصر والكوفة والبصرة ، وتأتى الجموع لتهز الخلافة فى مستقرها بالمدينة وينقطع الغزو ، ويتوقف الجهاد فى سبيل الله ، فقد اتجهوا إلى الداخل بعد أن كانوا حماة الدولة من الخارج .

ومات ابن عوف عن خمسة وسبعين عاما فى عام مات فيه كثير من فضلاء الصحابة ، منهم العباس بن عبد المطلب وعبد الله بن زيد بن عبد ربه الذى أرى الأذان ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو طلحة الأنصارى ، وأبو ذر الغفارى سنة ٣٢ هـ

وآن لنا أن نذكر نسبه فهو عبد الرحمن ابن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث ابن زهرة بن كلاب .

وأمه الشفاء بنت عم أبيه التى كرمها الله برؤية سيدنا محمد عند ولادته وتوفيت فى حياته ، ومن أجلها سنت ( العتاقة ) رضى الله عنه . قال على بن أبى طالب يوم وفاته : « اذهب ابن عوف ، فقد أدركت صفوها ، وسبقت رنقها ، وله من الله الجنة وحسن الثواب كما بشره بها رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

السيد حسن قرون

# الطب النبوى

## « النهى عن التداوى بالخمر »

للدكتور حسن عز الدين الجمل

---

جاء فى كتاب الأربعين الطبية لمحمد ابن يوسف البرزالى ، الحديث الرابع من باب النهى عن التداوى بالخمر ما يلى :

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا سماك بن حرب عن علقمة بن وائل الحضرمى ، عن طارق ابن سويد الحضرمى قال : قلت يارسول الله إن بأرضنا أعنابا ، فنعتصرها فنشرب منها قال : لا .

فراجعت قلت إنا نستشفى به للمريض. قال : إن ذلك ليس بشفاء ولكنه داء . اه .

ثم لنرى ماذا يقول الطب والأطباء فى الخمر ، وما يقتضيه حفظ الصحة والأجساد كما يراه الحكماء . إن خمر الدنيا فيها غول وهى مفتاح لكل شر تغتال العقل .

والغول بفتح الغين ، يطلق على المادة المسكرة من الخمر وتعرف ( بالكحول ) كما جاء فى معجم متن اللغة لأحمد رضا .

وجاء فى المعجم الوسيط : الغول بضم الغين : كل شىء يذهب بالعقل ، ولفظ الكحول[1] أصله الغول .

والغول أو الكحول هو سائل عديم اللون ، له رائحة خاصة به والكحول أخف من الماء ، ويختلط بسرعة بالماء .

وللخمر تأثير مخدر ومنوم قد يصل إلى الإغماء وإلى فقد الشعور بعد تعاطى كمية كبيرة من الخمر قد تؤدى إلى التسمم الحاد الذى يعرفه الأطباء بهذه الأعراض وهى : انخفاض فى درجة الحرارة ، ويصبح لون الجلد متوردا ، وتتسع حدقة العين ويكون التنفس عميقا والنبض طارقا . وتظهر رائحة الكحول من الفم .

وإذا حاولت إيقاظ المخمور فإنه يضيق ولكنه لا يعلم ما يقول ويهذى .

والجهاز العصبى المركزى (المخ والنخاع

---

(١) لفظ كحول أخذ عن اللفظ العربى غول وانتشر فى اللغات الاوربية .

الشوكى ) هو أكثر الأجهزة حساسية لتأثير الخمر . وهذا يبدو واضحا فى عدم التوازن العضلى ، والاضطراب العقلى، والصداع المستمر الذى يشبه الطرق الحاد ، ويزداد هذا الصداع عادة إذا كان الرأس فى وضع أفقى مع الجسم ، لذلك يزداد هذا الصداع عند النوم . ولما كان الخمر تأثير مخدر يدعو إلى النعاس ، فغالبا ما يظهر هذا النوع من الصداع فى الصباح من ليلة تعاطى الخمر وهذا ما يسمى بالخمار بضم الخاء .

وعلى العموم فإن الكحول من المواد السامة جدا لخلايا المخ ، وليس من المعقول أن يكون شفاء بل هو داء وصدق رسول الله الكريم .

هذا وإن كان الخمر تأثير مخدر فإنها لا تستعمل فى الطب للتخدير فى العمليات الجراحية ، ذلك بأن الجرعة من الخمر التى تكفى لزوال الألم هى فى الوقت ذاته جرعة سامة ، ربما أدت إلى الوفاة قبل أن يصل الجسم إلى درجة التخـــدير .

وقد يساعد الكحول على اتساع شرايين القلب ويزيد من كمية الدم الواصلة إلى القلب ، ولكن إن كان ذلك نفعا فى إحدى الأزمات فإن الخمر ، بمرور الزمن ، لا ينفع مثل هذه الحالات ؛ ذلك بأن الخمر يؤثر على جدران شرايين الجسم كله ومنها شرايين القلب . أى أن للخمر تأثيرا ضارا على الأوعية الشعرية والشرايين فى جميع أنحاء الجسم ؛ إذ تمتلىء الأوعية ، وتحتقن بالدم وبمرور الزمن يتمدد النسيج الضام فى جدار الوعاء الدموى ثم يتمزق ثم يضمر مما قد يؤدى إلى نزيف فى جميع أجزاء الجسم الهامة ومنها القلب والمخ .

وقد يكون للخمر بعض تهييج جنسى ولكن الخمر تؤدى قطعا إلى ضعف الإرادة وفقد القدرة على السيطرة على أنفسنا والمعروف أن الجماع يحتاج إلى قوة الإرادة من الرجل .

وقد يكون للخمر تأثير عاجل مؤقت فى فتح الشهية للطعام ولكن تأثيرها بمرور الزمن تأثير خطير على خلايا المعدة ذلك بأن الكحول له تأثير سام على الخلايا المبطنة لجدار المعدة .

وأخيرا أحب أن أذكر أن للخمر تأثيراً ساماً جـــدا على خلايا الكبد

( البقية على ص ٥٥٦ )

# العرب والمسرح

للأستاذ محمد كمال الدين

## – ١٢ –

تصور مقامات الحريرى بطله أبازيد السروجى شيخا شغف بالأدب ثم ضاقت به سبل الحياة حين ركدت سوق الأدب ، فخرج من بلده « سروج » فى أعلى نهر الفرات متنكرا يجوب الآفاق ، وكان يلبس لكل حال لبوسها ، فهو تارة شحاذ يسأل الناس الإحسان ، وتارة أخرى دجال يبيع الرقى والتعاويذ ، وتارة واعظ خطيب ، وتارة سفيه يراوغ ويداور ، وهكذا طوال المقامات الخمسين التى يحتويها الكتاب الذى أصدرته المكتبة الحسينية بمصر عام ١٣٢٦ هـ ، وفيها يتنقل الحريرى ببطله أبى زيد فى أرجاء العالم الإسلامى من صنعاء إلى دمياط إلى الكوفة وبغداد ومكة والمغرب وسمرقند وتفليس وشيراز وعمان ونجران وغيرها ، وفيها يقدم لكل شخصية ما يقتضيها حال التمثيل من لهجة وأسلوب وحوار ولبرة وزى ، كل ذلك فى مرونة خلقية عجيبة ، إذ تتردد أخلاقه بين المروءة والشجاعة والكرم والقناعة والخيانة والجشع والسرقة ، وهذه المقامات تعد تمثيلا صادقا لواقع المجتمع والعصر اللذين عاش فيهما أبو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريرى مع بطله السروجى ، فقد عاش الحريرى فى مجتمع سادته الفوضى والاضطراب والكساد حين شاخت الدولة العباسية وعم الفساد أرجاءها ، فألجأه ذلك إلى تصوير بطله متجولا أو محتالا أو شحاذا ، بل إن الواقع قد فرض عليه ذلك .

هذا التنوع فى الشخصيات يخلق مجالات درامية أوسع ، وحركة مسرحية تتنوع باختلاف المواقف ، وتجعل للبطل سمات مسرحية واضحة ، وللقصة قدرات عرض لا مثيل لها ، من حيث الحبكة ودفع الأحداث إلى أزمة ثم انكشاف لهذه الأزمة ، ووجود بطل يعد المحور الرئيسى للأحداث ، وإلى جانبه أشخاص آخرون ، وحوار تتبادله الشخصيات ، وألفاظ تحمل سمات هذا الحوار .

ولنجتزئ من الحوار بعضه ، فني المقامة الخامسة عشرة الفرضية ، يدور[1] المشهد بين الحرث بن همام وأبي زيد السروجي هكذا ، مع محاولة نقله بنصه وفقاً لطريقة الكتابة المسرحية الحديثة :

يصور الحرث بن همام نفسه في بداية المقامة أنه أرق ذات ليلة ، وتمنى أن يزوره أحد يؤنس وحدته ، حتى قرع الباب قارع ، له صوت خاشع ..

الحرث ( لنفسه ) : لعل غرس التمنى قد أثمر ، وليل الحظ قد أقمر ..

( ينهض إلى الباب عجلان : من الطارق ؟ )

أبو زيد السروجي : غريب أجنه الليل وغشيه السيل ، ويبتغى الإيواء لا غير ، وإذا أسحر قدم السير .

( يستدل من شخصيته أن في مسامرته غنما ومسامرته لعبا، فيفتح له الباب بابتسام ).

الحرث (له) : ادخلوها بسلام .

(يدخل شخص قد حنى الدهر صعدته وبلل القطر بردته ، وحياه ثم شكره على تلبية صوته ، وأدنى المصباح منه فوجده أبا زيد ) ..

أبو زيد : أبلعنى ريقى ، فقد أتعبنى طريقى .

( يظنه الحرث جوعانا فيحضر له طعاما ، ولكنه ينقبض انقباض المحتشم ، ويعرض إعراض البشم ... )

أبو زيد : ياضعيف الثقة ، بأهل المقة [المحبة] واستمع إلى ..

الحرث : هات يا أخا الترهات .

أبو زيد : اعلم أنى بت البارحة خليف إفلاس ، ونجى وسواس ، فلما قضى الليل نحبه ، وغور الصبح شهبه ، غدوت وقت الإشراق إلى بعض الأسـواق متصديا لصيد يسنح ، أو حر يسمح ..

ويستمر الحوار ، وينتقل إلى مشهد آخر بين أبي زيد السروجي ، ورجل صادفه في الطريق آخر النهار ، ويدور بينهما حوار آخر :

( يبكى الرجل لشىء ألم به )

أبو زيد: ياهذا ، إن لبكائك سرا ، ووراء تحـرقك لشرا ، فأطلعنى على برحائك واتخذنى من نصحائك ..

الرجل : والله ما تأوهى من عيش فات ، ولا من دهر افتات ( أى تعدى ومضى ) بل لانقراض العلم ودروسه ، وأفول أقماره وشموسه .

---

[1] (١) مقامات الحريرى ص ١٣٦ - ١٤٩ ( المقامة الخامسة عشرة الفرضية ) .

أبو زيد : وأى حادثة نجمت ، وقضية استعجمت . .

( يبرز الرجل رقعة من كمه . . )

أبو زيد : أرنيها ، فلعلى أفتى فيها .

الرجل : ما أبعدت فى المرام ، فرب رمية من غير رام .

( يناولها له وهى تحتوى على أبيات من الشعر عن قضية ميراث ، يقرأها أبو زيد بصوت يسمعه الجمهور ، ويلمح سرها . .

أبو زيد : على الخبير بها سقطت ، وصادف بحثها ( أى العارف بها ) حططت .

وهكذا يدور الحوار طوال المقامة ومشاهدها المختلفة حتى تبلغ الذروة ثم الحل ، كالمعهود فى قصص المسرح منذ عرفته البشرية لونا فنيا متميزا .

ونلاحظ أن النص كما نقلناه بأسلوب الحريرى نفسه ، يتضمن ما نسميه اليوم بالإرشادات أو بالتعليمات المسرحية ، وهى تعليمات يضعها المؤلف لوصف حركة دخول أو خـــروج ، أو لوصف حالة نفسية للمتحدث ينقل بها إلى المشاهد سواء بالتمثيل الصامت أو المنلوج الذاتى أى مخاطبة المتحدث لنفسه ـ إيحاء نفسيا معينا أو حوارا لا يريد أن يسمعه شخص آخر غير المشاهدين ، وهو كما نرى عمل ذكى يدل على مهارة بطوايا النفس وما يريد تصويره بشكل غير مباشر .

بعد هذا نستطيع أن ننتقل إلى لون درامى آخر ، ظهر فى فترة زمنية تالية لزمن المقامات ، ونعنى به تمثيل مشهد مقتل الإمام الحسين فى كربلاء فى العاشر من أكتوبر عام ٦٨٠ م ( ٤٠ ـ ٤١ هـ ) مع أنصاره ، حيث قطع رأس الحسين ، على يد شمر بن ذى الجوشن من جيش يزيد[1] ، عدو الحسين وأنصاره ، وهذا الحادث على ما فيه من بشاعة وقسوة يحمل فى طياته إمكانيات درامية لا حد لها جعلت أنصار الحسين ، وهم الشيعة فى العراق وإيران منذ القرن السابع الميلادى يعيدون تمثيل مشهد مقتله كل عام على مدى الأيام العشرة الأولى من شهر المحرم ، وفيها ينتشر المتحدثون ، والممثلون ، على المنابر والأماكن العامة وبعض المنازل الخاصة يروون أحداث بطولة الحسين ويشيدون بمناقبه ، ويسردون المديح ثم يضمنونه حوادث تفسيرية والنتيجة التى

( ١ ) الإسلام والمسرح ـ محمد عزيزة ترجمة رفيق الصبان . ص ٤٨ .

كانت مزيجا من الرثاء والغناء والرواية والمواعظ، كذلك كانت تقوم المسيرات الدينية العنيفة التي تجعل مدينة مثل كربلاء في حالة توتر دائم، ويرى المستشرق (جوبينو) أن هذه الاحتفالات تشبه الطقوس الوثنية التي كانت تقام لأدونيس وفي اليوم العاشر من الشهر، وهو يوم عاشوراء، تبلغ الاحتفالات ذروتها بتمثيل مشهـــدا القتل نفسه، ويلقب بمشهد التمازي.

أما مسرحيات التمازي، فقد كتبها مؤلفون مجهولون [1]، ويتم تمثيلها في الساحات العامة وفي الهواء الطلق أو في تكية الدولة (في طهران) حيث يوضع في منتصفها صيوان خشبي دائري أو مربع يستعمل كخشبة مسرح، ويكون مفتوحا من كل جوانبه، وليس فيه أي ديكور أما الممثلون فيغيرون ملابسهم في أماكن جانبية، ويدوم العرض ساعات متوالية حيث يتجمع الناس منذ الصباح الباكر يأخذون أماكنهم كشاهدين وكشاركين أيضا في العرض ؟.

محمد كمال الدين

(١) المرجع السابق ص ٤٢ — ٤٤ - (الجزء الثالث - التمازي الشيعية).

---

( بقية المنشور على ص ٥٥٢ )

وهو تأثير متكرر من الجرعة الواحدة من الكحول؛ ذلك بأن الكحول يساعد على زيادة البول، إلا أن إفراز البول من الكليتين بطيء جـــدا والكحول يمتص [1] مرة أخرى حتى من المثانة.

وهذا يضاعف من تأثيره السام على الجسم.

وقد أورد أبو بكر بن العربي السؤال التالي (فنحن نرى الصحة والقوة عند شرب الخمر؟ قلنا: إن ذلك إمهال واستدراج).

ولابن القيم كلام حسن في علة تحريم التداوي بالخمر قال فيه: لو أبيح لاتخذ ذريعة إلى تناولها الشهوة واللذة بحجة التداوي. فسد الشارع الذريعة إلى تناولها بكل وجه.

وقد رأينا أن الطب يقول إن كل تأثير حسن للخمر فهو مؤقت واستدراج.

وهكذا اتفق الشارع مع الطبيب لسد الذريعة إلى تناولها بكل وجه ؟

د. حسن عز الدين الجمل

(١) بالبناء للمجهول.

# أتلوم قلبى ؟

للأستاذ محمد كمال هاشم

---

أتلوم قلبى والهوى دوار والدمع من فرط الجوى مدرار ؟

يا من زعمت بأن قلبك ما هوى أبداً جهلت فللهوى إعصار

وأنا الذى عرف الهوى أغنية ما كنت فى درب الهوى أختار

هلا رأيت الزهر يعشقه الندى والنور لاح تزفه الأطيار ؟

يتسامر العشاق فى خلواتهم وأنا دموعى للهوى سمار

وتسربلت حور الغرام بأضلعى فاهتزت الأوتار والأشعار

كم من سهاد صافحته محاجرى ومن الدموع تدفق الأنهار

بلغت قلوب العاشقين حناجرا عند الفراق وزاغت الأبصار

ذاب الهوى لما تقاسمنى النوى والشوق فانشقت له الأقمار

جنحت إلى دنيا الخيال بأنجم حيرى فبعثرت النجوم النار

وتعرت الأسرار من أثوابها فتكشفت من تحتها الأوزار

لعمى العيون عن الحقيقة بينما تعشى فيبدو فى الظلام نهار

يا رب نحيا واهمين ونرتمى فى غينا ونقول يا غفار

هذى يدى مدت إليك وهذه أيام عمرى والحياة إسار

رحماك ربى قد أتيتك طائعا ولقد رجوتك والرجاء إزار

فك الإسار عن اليدين ونجنى فغداً تفر بنا إليك الدار

ما هذه الدنيا سوى أرجوحة للراكبين تهزها الأقدار

---

# العربية لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ علي عبد العظيم

## ١٦ — مكانة عالمية

إن التوحيد الإسلامي يقوم على الإيمان بإله واحد قيوم « له الخلق والأمر » وبيده الثواب والعقاب ، ومنه الابتداء وإليه الانتهاء ، على أن يتجه إليه الإنس والجن على السواء بالعبادة والتقديس والتنزيه ، فما خلقهم سبحانه ليخلدوا إلى الأرض ولينقادوا إلى أهوائهم وشهواتهم ولينحرفوا عن الاتجاه إلى وجهه الكريم ؛ وإنما خلقهم ليعتمدوا عليه وليتجهوا إليه ، وليتقربوا منه وليتساموا نحوه في طهارة وصفاء ونقاء ليكونوا أهلا للاتصال بالملأ الأعلى وليصبحوا جديرين بخلافة الله في أرضه وحمل أمانته بين خلقه ، وليبلغوا من السمو منزلة تجعلهم جديرين بالخلود المقيم في دار النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ؛ وهذا التسامي هو العبادة الحقة التي خلق الله الجن والإنس لأدائها حق الأداء .

وبهذه العبادة يتجه الإنسان - مع الكائنات جميعها - في تناسق واتساق نحو فاطر الأرض والسموات « إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا » وكل كائن ينطق بلسانه أو بلسان حاله بالحمد والتسبيح للذي « خلق فسوى ، والذي » أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » فالكائنات كلها قائمة بأمره مسبحة بحمده « تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده » وهنا تلتف القلوب وتلتقي جميعها في وحدة كاملة لتكون أمة واحدة متجهة إلى إله واحد تؤمن به ، وتتوكل عليه وتعبده وتستعين به ؛ وبهذا يتم التوازن الدقيق والاتساق العميق بين جميع الكائنات التي تسري فيها جميعها روح الخلاق العظيم وسننه الكونية التي تنسقها في نظام وثيق وميزان دقيق فإنه سبحانه خلق الكائنات « ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان

وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ، وهذه هى دعوة الله على لسان الرسل جميعا : « يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم . وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

فالهدف الأسمى : إله واحد ، وأمة واحدة تمتلىء قلوبها بحبه وعبادته والسمو إليه . إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » .

ولقد أشرق الإسلام على العالم كله يدعوه جميعا إلى هذه الوحدة الكاملة التى تقوم على أساس إله واحد وعالم واحد ، ولهذا كانت رسالة عامة للبشرية جمعاء بل الجن والإنس على السواء .

والوحدة الكاملة لا تتم إلا على أساس شريعة واحدة ولغة واحدة يتم بها التفاهم والتلاقى وتنتظم بها علاقات الأفراد والجماعات والدول .

أما التشريع فقد تكفل به القرآن الكريم والحديث الشريف حيث وضعا دستورا عاما عالميا يتناول شئون الأفراد فى أدق تفصيلاتها ، كما يتناول شئون الجماعات فى أوثق علاقاتها ، كما يتناول الصلات الدولية فى السلم والحرب على السواء .

والإسلام حينما يتناول أركان العبادات يتناول أيضا أسس المعاملات الاجتماعية والاقتصادية والخلقية فى أدق تشريع وأحكم توجيه .

وهو حينما يعنى بالفرد يهتم بالأسرة والقبيلة والشعب والدولة فيضع لها جميعها من الروابط المادية والروحية والتشريعية ما يكفل لها الحياة الراضية المرضية التى تجمع فى نطاقها بين الأرض والسماء ، وبين الدنيا والآخرة ، وبين الواقعية والمثالية ، وبين العلم والعمل ، ثم يدفعها دفعا إلى التدبر « فى ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شىء » .

ثم يلفت نظر البشرية جمعاء إلى أن الله خلق لها ما فى الأرض جميعا وأنه سخر لها الكائنات لتستغلها بما يعود بالنفع على الجنس البشرى كله « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » . ونحن نفهم من الآية الكريمة أنه سبحانه خلق لكم جميعاً ما فى الأرض جميعاً ، وبهذا يتحقق معنى « الأمة الواحدة » التى استهدف الإسلام إقامتها بين البشر أجمعين .

والله سبحانه حينما اقتضت حكمته اختلاف الشعوب والأمم فى الألسنة والألوان لم يجعل هذا الاختلاف وسيلة القطيعة والشحناء ولا سبباً للتناحر والتدابر ، وإنما جعله وسيلة للتعارف والتآلف وليكمل كل جنس ما لدى الآخر من مواهب وقدرات مادية وعقلية ثم أكد سبحانه الحقيقة الكبرى التى تربط جميع سكان العالم - على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم - بروابط وثيقة هى روابط الأبوة والأخوة والدم المشترك الذى يرجع بملايين البشر فى جميع الأجيال إلى أب واحد وأم واحدة : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

أما قوله تعالى : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم » ، فإننا نفهم منها اختلاف الألسنة فى ذبذبة الموجات الصوتية فإن لكل منا صوته المميز ، كما أن لكل منا قسمات وجهه المميزة ، ونحن نستطيع أن نميز الأفراد بأصواتهم فى الظلام ، ومن فقـــدوا نعمة البصر استطاعوا بأسماعهم المرهفة ، أن يميزوا آلاف الأشخاص بنبرات أصواتهم وحدها ، كما تستطيع الكلاب المدربة أن تميز روائح الآلاف من البشر برائحة كل منهم المتميزة عن الآخرين .

ورجال البوليس يميزون مئات الآلاف من الناس ببصمة كل منهم المختلفة عن بصمات الآخرين .

ومن هنا تدرك إعجاز الآية الكريمة فى أنها تناولت أدق التفصيلات العجيبة التى تميز آلاف الملايين من البشر فى مختلف العصور بحيث لا يتفق إنسان مع غيره فى قسمات وجهه ولا فى نبرات صوته كما لا يتفق معه فى رائحته المميزة ولا فى بصمات أصابعه ...

واللغات القائمة فى العالم الآن عديدة متنوعة ولكنها تدل على النقص البشرى الذى يقيد الأمم والشعوب ، ويحبسها فى نطاق اختلاف البيئات والظروف والملابسات والعصبيات الحمقاء مما يثير بينها الحروب المدمرة ويمزقها شر تمزيق

ولقد بدأ العالم الآن يتطلع إلى لغة واحدة تربط القلوب والعقول ، وتكون من عوامل التعارف والتآلف والوحدة والوئام ، كما يتطلع إلى حكومة واحدة

وإلى شريعة واحدة ، وهو أمل لا يزال بعيد التحقيق ، وإن كانت إحدى الخطوات قد تمت فى هـــذا السبيل ، وذلك بتأسيس هيئة الأمم ، وهى صورة باهتة لهيئة تشريعية عالمية وبتأسيس مجلس الأمن وهو صورة خافتة لحكومة عالمية ، وإن كانت بوضعها الحاضر عاجزة عن التنفيذ .

أما اللغة العالمية فقد اعترفت هيئة الأمم بخمس لغات هى لغات الدول الكبرى ذات المقاعد الدائمة بمجلس الأمن وهى : الولايات المتحدة وانجلترا ولغتهما الانكليزية ، وروسيا ولغتها الروسية وفرنسا ولغتها الفرنسية والصين ولغتها الصينية بالإضافة إلى اللغـــة الأسبانية وتتحدث بها أسبانيا وأمريكا اللاتينية ( ماعدا البرازيل فإنها تتحدث بالبرتغالية ) ، وإن كانت هيئة اليونسكو ( وهى هيئة ثقافية تابعة لهيئة الأمم ) قد اعترفت باللغة العربية وأصدرت بها عددا من الكتب والمجلات الثقافية ، ولكن آمال العالم تتجه إلى لغة واحدة عالمية ، ولهذا اخترع بعض العلماء لغة طمع أن تكون لغة العالم كله ، وهى لغة الاسبرانتو Esperanto وهى لغة مخترعة تمتاز بالبساطة والسهولة وفى أنها مقتبسة من اللغات العالمية الكبرى ؛ وقد فتن بها كثيرون ، وقامت جمعيات عديدة فى عواصم العـالم الكبرى تدعو إليها وتعمل على نشرها فى أوسع مجال ولكنها فشلت فى أداء مهمتها لأنها لا تستند إلى شعوب تنطق بها ، ولأنها عاجزة عن استيعاب الحضارات العالمية الكبرى ، ولأنها لا تضم تراثا إنسانيا خالدا ، ولا يزال العالم يتطلع إلى لغة عالمية عامة تنطق بها شعوب حية عديدة وتحمل تراثا إنسانيا خالدا وحضارة عالميـــة كبيرة ، ولها ـ مع هذا كله ـ تاريخ مجيد ويكون لها من المرونة والحيوية والثراء ما تستطيع التعبير به عن أدق التفصيلات العلمية الحـــديثة ، والإبانة عن أعمق المشاعر الوجـــدانية الجياشة وهذا كله يتحقق فى اللغة العربية التى وسعت حضارات العالم القديمة من إغريقية ورومانية وفارسية وهندية وصينية ، ثم أضافت إليها الحضارة الإسلامية الكبرى بمظاهرها المادية والروحية والعلمية ، ثم هى تتهيأ الآن لاستيعاب

الحضارة الحديثة بأدق ما فيها من التفصيلات .

وتمتاز إلى جانب هـذا كله بأنها انفردت دون لغات العالم جميعا باتساعها الزمني حيث عاشت أكثر من ١٥٠٠ عام ولا تزال نابضة بالحياة حافلة بالقوة والنماء ، كما امتازت عن جميع لغات العالم بامتدادها المكاني حيث فرضت وجودها من حدود الصين إلى شواطىء المحيط الأطلسي، ولا يزال تراثها الخالد معروضا للبحث والدراسات في جميع جامعات العالم الكبرى مما يرشحها لتكون اللغة العالمية التي يتطلع العالم كله إلى وجودها ويتمنى تحقيقها ولو بعد حين وإذا كان الانكليز والأمريكان يتعصبون للانكليزية ويزكونها بأنها منتشرة في كثير من أقطار العالم فإن الصينيين يرون لغتهم أوسع انتشارا حيث يتحدث بها نحو ثمانمائة مليون نسمة أو ما يقرب من ربع سكان العالم ويعيب الانكليزية أنها في انجلترا تختلف عنها في أمريكا من حيث النطق والهجاء وكثير من المفردات اللغوية ، مما يجعلنا نتنبأ بأنها ستصبح لغتين منفصلتين مع مرور الزمان ، بل ستصبح عدة لغات نظرا لاختلاف الشعوب والبيئات الناطقة بهذه اللغة في مختلف القارات .

ونحن نلاحظ أن معظم الشعوب الناطقة بالانكليزية تعدها لغة ثقافية ، ولها لغاتها الوطنية الخاصة بها وحينما تقوى هذه اللغات الوطنية فإنها ستهجر الانكليزية التي فرضها الاستعمار الانكليزي قسرا على هذه الشعوب قبل أن تظفر بالاستقلال ، والفرنسية شأنها في هذا كله شأن الانكليزية ، ومثلها الروسية والاسبانية ، أما اللغة الصينية فلا سبيل لأن تكون لغة عالمية بأى حال لصعوبتها البالغة حتى على أبنائها المثقفين فإن حروف الهجاء فيها تتجاوز ألف حرف، يقضي الطالب في تعلمها بضع سنوات ، وهي بهذا لا تستطيع أن تسعف حاجة المثقفين إلى الطبع والنشر والتأليف .

ومن هذا يتضح أن اللغة العربية أحق لغات العالم جميعا بأن تكون اللغة العالمية التي يتطلع إليها علماء الأرض جميعا لما تمتاز به من حيوية ومرونة وثبات ويرون فيها الحل الأخير للوحدة العالمية الكبرى التي يحلم بها الفلاسفة والساسة

وكبار المثقفين ، ومما رشحها لهذه المكانة امتدادها الزمانى والمكانى كما ذكرنا وهى - إلى هذا - لغة أكبر وأتم الديانات السماوية التى يعتنقها أكثر من سبعمائة مليون نسمة ، وهى لغة حية يتحدث بها أكثر من مائة مليون نسمة الآن ويتعلمها ويتعبد بها مئات الملايين ، ولها تراث خالد مجيد وحضارة عريقة عظمى ، ولقد ظلت هى اللغة العالمية الأولى مئات السنين منذ القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر الميلادى وكانت جامعاتها الكبرى قبلة طلاب الثقافة العالمية فى أنحاء الأرض ، يترجمون منها إلى لغاتهم المحلية أرقى ما وصلت إليه العلوم والفلسفات والحضارات ، وظلت المصادر العربية الكبرى فى شتى ألوان المعرفة تدرس فى جامعات العالم كله عدة قرون ؛ وكان علماء الطب والفلك والجغرافيا والطبيعة والكيمياء فى جميع أنحاء العالم يأخذون معارفهم من الكتب العربية ويتلمذون لأكبر علماء العرب فى هذه المجالات .

وكان رواد التجارة العالمية وكبار الرحالة يتنقلون من جبال البرانس فى شمال أسبانيا إلى أواسط أفريقيا ومنها إلى مصر والسودان والبلاد العربية ثم إلى فارس والهند وجزر الهند الشرقية والصين يتفاهمون باللغة العربية فى كل مكان .

وحسبنا أن نعود إلى رحلة ابن جبير وابن بطوطة وغيرهما لندرس مدى انتشار اللغة العربية فى كل مكان .

ولقد آن للغة العربية أن تتبوأ مكانتها الكبرى فى العصر الحديث ولكن هذا يحتاج منا - معشر العرب - إلى أن نزيل من طريقها بعض العقبات ، وأهمها تبسيط قواعدها النحوية وهو أمر ميسور ينهض به المجمع اللغوى الآن .

كما أننا نحتاج إلى تبسيط قواعدها الإملائية مع العناية بالضبط التام للحروف ، وقد خطا المجمع فى هذا السبيل عدة خطوات نرجو أن تمهد طريقها إلى التنفيذ .

وعلينا - معشر العرب - أن ننقل إلى العربية المصادر العلمية الكبرى وهذا يحتاج إلى تعاون الجامعات والحكومات العربية للتنسيق والتنظيم ،

كما علينا أن نجعل العربية لغة التدريس في كليات الطب والعلوم .

وقد سبقتنا سوريا منذ أكثر من عشرين عاما إلى تدريس الطب بالعربية في جامعتها ، وجامعاتنا بالقاهرة تتهيأ الآن لبلوغ هذه المرحلة على أساس ثابت مكين .

• • •

وليس هذا حلما نتمناه ، ولا أملا بعيد التحقيق ؛ وإنما هو حقيقة نادى بها الإسلام وطبقها عمليا منذ مئات السنين وفرضها فرضا على جميع المسلمين .

وسنعزز بحثنا بالأدلة الفقهية التي تفرض تعلم العربية على جميع المسلمين في أنحاء الأرض في المقال التالي إن شاء الله ؟

علي عبد العظيم

« لفت نظر »

وقع خطأ غير مقصود في مقال الكاتب الأستاذ محمد كمال السيد عن « حساب الجمل .. وعلم أسرار الأعداد والحروف ، في صفحة ٣٥٢ من الجزء الرابع السنة الخامسة والأربعين ، فقد سمى معجزة موسى سحرا أبطل سحر السحرة ...

وكل المعجزات التي ظهرت على أيدي الأنبياء وقهرت الخلق من عمل الله الحق ، وصدق الله إذ يقول : « ولا يفلح الساحر حيث أتى .. » وقد يكون الخطأ ناشئا عن سقوط كلمة يستقيم معها المعنى ، ولعلها : وكان إبطال السحر من معجزات موسى عليه السلام .

# فروق بين ألفاظ متقاربة

للأستاذ عباس حسن أبو السعود

— ٩ —

٤٩ — ولا يفرقون بين التعبيرين : أشاد به ، وأشاد عليه ، والحق أن بينهما تناقضا فإذا قلت : أشاد الرئيس بمرءوسه أو بذكره ، كان المعنى : أنه رفعه بالثناء عليه ، وإذا قلت : أشاد عليه ، كان المعنى أنه أفشى عليه مكروها .

ويقال : أشاد عليه قبيحا ، وأشاد عليه بقبيح .

ولا يقال : أشاد عليه بخير ، ولا أشاد عليه بشيء حسن ، وفي الحديث « من أشاد على مسلم عورة يشينه بها ، شانه الله تعالى بها يوم القيامة » .

والإشادة رفع الصوت بالشيء ، وتعريف الضالة ، تقول : أشاد فلان بالضالة إذا عرّفها .

٥٠ — ولا يفرقون بين الفقد ، والعدم ، ويزعمون أن معناهما واحد ، والواقع أن بينهما فرقا لطيفا ، هو أن العدم أعم من الفقد .

قال الراغب في مفرداته : إن الفقد أخص من العدم ، لأن العدم قبل الوجود وبعده ، أما الفقد فلا يكون إلا بعد الوجود فقط .

وللافتقاد معنيان متناقضان : أحدهما التفقد وهو الطلب ، والآخر الفقد وهو العدم بعد الوجود .

تقول : ما افتقدت فلانا منذ افتقدته ، أي ما تفقدته وطلبته منذ فقدته ، وليس الافتقاد بمعنى العدم في قوله تعالى : « وتفقد الطير » ، وإن ورد بمعناه كما هو في الصحيح ، وكما ذكرنا آنفا ، بل هو الطلب والتفتيش .

٥١ — ولا يفرقون بين العروج بالضم ، والعرج بفتحتين ، والتعريج .

فالعروج معناه الارتقاء والارتفاع ، تقول : عرج فلان يعرج عروجا من باب قعد إذا صعد في سلم أو نحوه ، وفي التنزيل « تعرج الملائكة والروح إليه » ، والمعراج بالكسر هو المصعد ، جمعه معاريج ، كالمعرج بالفتح ، جمعه معارج

كما فى قوله تعالى «من الله ذى المعارج» ، وقوله : «ومعارج عليها يظهرون» . والمعراج والمعرج والمصعد ثلاثتها سواء فى المعنى .

أما العرج بالتحريك فهو الغمز الخلقى فى المشى ، تقول : عرج يعرج عرجا من باب تعب إذا غمز فى مشيته من علة خلق بها فهو أعرج ، وهى عرجاء ، وهم وهن عرج وعرجان بضمهما ، والعرجان بالتحريك مشيتهم ، أما إذا كان هذا المرض غير خلقى بأن أصيب الإنسان فى رجله فمشى مشية العرجان فإنما يقال : عرج يعرج عروجا من باب قعد فهو عارج ، وهى عارجة ، وهم عارجون ، وهن عارجات .

وأما التعريج على الشىء فهو الإقامة وحبس المطية عليه ، تقول : عرج على المنزل تعريجا إذا حبس مطيته عليه وأقام وكذا التعرج ، تقول : مررت بالملهى فما عرجت عليه عرجة بضم العين وفتحها ، ومالى عليه تعريج ولا تعرج .

وإذا أريد التعجب من العرج بالتحريك فقل ما أشد عرجه ، ولا تقل : ما أعرجه لأن ما كان لونا أو خلقة فى الجسد لا يقال منه ما أفعله إلا مع أشد أو نحوه .

أما التعجب من العروج سواء أكان بمعنى الارتقاء أم بمعنى الغمز غير الخلقى فيقال فيه : ما أعرجه .

٥٢ ـ ولا يفرقون بين البيات والنوم ، فيزعمون أن قولهم : بات فلان هذه الليلة معناه أنه نام فيه ، وليس كذلك ، بل معنى بات أظله المبيت ، وأجنه الليل سواء أنام أم لم ينم ، يدل على ذلك قوله تعالى : «والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما» وقول رشيد :

باتوا نياما وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلاما كالزلم

فأخبر عن ابن هند بأنه لم ينم ، بل بات متصديا لحفظه الإبل ممن يبتغى سرقتها على الرغم من أنه لا يزال غلاما كالسهم الذى لم يركب عليه الريش ، والزلم بفتحتين وتضم الزاى : القدح الذى لا ريش عليه ؟

عباس أبو السعود

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

---

● مؤتمر الشباب الإسلامى العالمى:

لا جدال فى أن العالم الإسلامى راقب باهتمام، مؤتمر الشباب الإسلامى العالمى الذى دعت إلى عقده الجمهورية العربية الليبية فى العاصمة طرابلس، حيث لبى هذه الدعوة مائة دولة مسلمة، واستمر المؤتمر منعقداً طيلة عشرة أيام من اليوم الثانى من جمادى الآخرة إلى اليوم الثانى عشر من الشهر.

وكان لابد أن يثير مثل هذا المؤتمر اهتمام العالم الإسلامى بأسره، والإسلام اليوم يعانى الأمرين من عواصف التحديات العنيفة التى تهب عليه من الشرق والغرب، تحمل بصمات الصهيونية المتوحشة، والصليبية المتحفزة، والمادية الإلحادية المتصلة، وعواصف التحديات هذه تصر على أن تنال من الإسلام فى عقيدته، فى أرضه فى شعوبه.

لقد أصبحت قضايا الإسلام متشعبة: غزو فكرى يتسلل، يجب أن يواجه لصده قبل أن يستشرى خطره، وعدوان صهيونى غاشم على أرض عربية مسلمة، يجب أن يواجه لردعه ورده على أعقابه ناكصا، قبل أن يستعذب الاستسلام فيثار بدور جديد، وبطش فى أكثر من دولة بالأقليات المسلمة يهدف إلى استئصالها، باعثا تاريخ الحروب الصليبية من مرقده، ومذكراً بأبشع صورة لهمجية التتار فى القرن العشرين، لذلك كان من الضرورى أن ينعقد مثل مؤتمر الشباب الإسلامى العالمى.

وفى دولة مثل ليبيا المسلمة بوجهها الجديد، والتى تكاد تتحمل وحدها من بين الدول الإسلامية تبعات الدفاع عن قضايا الإسلام ديناً ودولة وشعوباً بلا حساسيات وبلا مجاملات لأحد..

أجل كان من الضرورى أن يعقد مثل مؤتمر الشباب الإسلامى العالمى، لا ليضع النقاط على الحروف فى جرأة وكفى، ولا ليستنكر فى النهاية المؤامرات

الحسيسة على الإسلام ، أو يحتج على موجات الإرهاب المسلطة على الأقليات المسلمة وحسب ، بل ليرسم معالم خطة تلتزم بالتنفيذ ، ويضع أسس عمل يرتبط بالتطبيق .

قال الأخ الرائد بشير هوادى عضو مجلس قيادة الثورة الليبية ، ورئيس المؤتمر فى كلمة الافتتاح :

« إن أعداء الإسلام لن يكفوا أبداً عن محاربته ، ويتمثل هذا فى حروب عديدة عرفها التاريخ ، واستعمار عرفته المنطقة الإسلامية ، ويتمثل اليوم فى قهر يعانيه المسلمون فى بعض بقاع العالم كما نرى فى الفلبين ، كل ذلك يتطلب منا الوقوف يدا واحدة ، مصداقا لقوله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

أما كلمة الرئيس القذافى ، فقد جاء فيها ما يمس الحاجة الملحة إلى العمل ، والتى يحس بها كل مسلم غيور على دينه ، قال :

« أود أن يكون هذا اللقاء ليس لقاء تقليديا كما تلتقى وفود دولية كثيرة ثم تنفض دون أن تهتم بما أقرته ، أو قررته ودون أن تتابع ما اتفقت عليه ، لكى تخطو بعد ذلك خطوة أخرى إلى الأمام . .

إن تواجدكم فى هذه العاصمة من كل مكان بعيد ليس بأمر سهل . تكبدتم المتاعب والسهر والبعد عن دياركم وأهلكم فما دام الله من أجل شىء عظيم ، علينا أن لا نفرط فى نتائج هذا اللقاء ولا نجعله لقاء تقليديا . . إن هذا الملتقى الدولى العظيم يستطيع أن يلعب دورا كبيرا فى الوقوف مع الشعوب المكافحة فى سبيل حريتها . . . » .

أما الأخ عبد اللطيف الشويرف عضو جمعية الدعوة الإسلامية بليبيا ، فقد عرض فى كلمته الطيبة المنصفة ! ! إلى أخطر ألوان الغزو الفكرى للإسلام وللمسلمين ، ممثلا فى كتابات المستشرقين وآثارهم :

« إن المستشرقين أسهموا فى شحن قومهم بالروح الاستعمارية ، بإظهار العالم الإسلامى والمسلمين بمظهر المتأخر المنهار ليوحوا إليهم بأنهم رسل العناية لهؤلاء المساكين ، وهو دور يسجله تاريخ الاستعمار للمستشرقين .

الاتجاه الآخر ، ويتمثل فى غزو المسلمين أنفسهم وتدميرهم من الداخل ،

وتحطيم كل مقومات وجودهم وشخصيتهم وهذا هو الخطر البالغ للمستشرقين ، والآفة اللعينة التي أصبنا بها ، إن لعنة المستشرقين تكمن في تأثيرهم على أبناء المسلمين ، وحقنهم بأفكارهم وآرائهم ، وانحرافاتهم ، واتخاذهم أبواقا تروج لافتراءات أساتذتهم وأغراضهم ...

أما فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار ، الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، فقد قدم بحثا عنوانه مناهج التعليم في الوطن الإسلامي وإعادة النظر فيها على أساس إسلامي لبناء جيل قويم .

في رأيي - بلا مجاملة - أن مثل هذا البحث ، يعتبر بداية الخطوات الجادة على طريق العمل الجاد ، بل بمثابة اللبنة الأولى في بناء جيل إسلامي قديم قوى يتحمل تبعات المسير حتى نهاية الطريق .

أشار فضيلته في كلمته إلى أن قيام عديد من الثورات - بعد الحرب العالمية الثانية - في الدول الإسلامية وفي قارتي آسيا وأفريقيا ، هو في حد ذاته دليل قاطع على ما ساد شعوب هذه البلاد الإسلامية من شعور بالنقص ، وحاجة إلى الكمال ، ورغبة صادقة في تعويض ما فات بالعمل الجاد السريع ، وهذه الرغبة الصادقة أكدت معنى جديدا وأبرزت تصميما جادا حازما على إرادة التغيير ، والتطلع إلى ما هو أفضل : التغيير الاجتماعي ، والتغيير السياسي ، والتغيير الاقتصادي والتغيير الفكري ، بل أكثر من ذلك كله وأهم منه ، التغيير في المفاهيم والقيم .

كما أشار فضيلته إلى أن هذا التغيير لا يمكن أن يكون إلى فراغ أو إلى لا شيء لا بد أن يكون الفرق بين أوضاع ما قبل التحرر بأخطائها ومساوئها ووجهها العابس القبيح ، وبين أوضاع ما بعد التحرر بإصلاحاتها ومحاسنها ووجهها الباسم المشرق ، بها لا بد أن يكون هذا الفرق مميزا في أذهان قادة هذه الشعوب ورواد الإصلاح فيها . يتخذ شكله بوضوح ، وتحدد معالمه بدقة .

ومن هنا يكون المنطلق لضرورة التغيير في جانب من أهم جوانب الحياة الإنسانية وهو التغيير في مناهج التعليم وبرامجه ، وفي أسلوب التربية الذي كان سائدا في عهود الاستعمار ، إذن فقد كان

أم ما يجب على شعوب العالم الإسلامى وحكوماته عندئذ ، خلق شخصية جديدة للمواطن المسلم . .

أما ركائز الدعم الأساسى لبناء شخصية الفرد المسلم ، فهى تقوم على أسس ثلاثة كما يقول فضيلة الدكتور :

الإرادة الخـــيرة ، وهى العنصر الأخلاقى الأول فى أعمال الإنسان .

التربية الدينية الواعية المستنيرة .

العـــلم : أى غرس مختلف المعارف الإنسانية فى أذهان الشباب المسلم . .

• • •

كلمات كثيرة قيلت ، وبحوث عديدة قدمت خـــلال انعقاد مؤتمر الشباب الإسلامى العالمى فى طرابلس ، وعلى مسار عشرة أيام كاملة ، لا يتسع المقام هنا حتى لمجرد الإشارة العابرة إلى جميعها ثم كانت القرارات والتوصيات فى النهاية .

تضمنت التوصيات العامة : الوقوف إلى جانب الأقليات المسلمة المضطهدة فى كثير من بلاد العالم ، ثم التضامن مع المجاهدين الفلسطينيين فى جهادهم لاسترداد وطنهم السليب ، ثم وجوب التصدى لأخطار الصهيونية والنفوذ الأمريكى والتغلغل الصهيونى ، ثم ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية وجعلها واقعا حيا عمليا وسلوكيا ، والسعى لأن تكون اللغة العربية لغة رسمية فى المحافل الدولية ثم اقترح تكوين أمانة عامة للمؤتمر تتابع تنفيذ مقرراته وتوصياته .

وبالنسبة لمناهج التعليم ، أوصى المؤتمر بالعمل على تعميم مفهوم التربية الإسلامية ثم إيجاد التوازن بين حاجات الإنسان الروحية والمادية والاجتماعية التى تتمثل بالضرورة فى المنهج التربوى الإسلامى المتكامل ، كذلك أوصى المؤتمر بإنشاء هيئة من رجال الاختصاص التربوى على مستوى العالم الإسلامى لدراسة ووضع مخطط تربوى إسلامى ، وتأسيس دور للنشر ، وإنشاء جامعات إسلامية نموذجية ، وإعطاء الأولوية فى المنح الدراسية للأقليات المسلمة .

توصيات أخـــرى فى موضوع الاستشراق ، وموضوع الأقليات الإسلامية فى العالم ، وموضوع المرأة المسلمة ، ومشاكل الشباب المسلم .

• • •

( البقية على ص ٥٧٣ )

# باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

---

بعث مواطن من دبى يستفتى عن الحالة الآتية :

السؤال :

تزوج رجل بفتاة على أنها بكر ، فلما اقترب منها تبين أنها غير عذراء ، يقول : أى زلت قدمها فى طريق الشيطان ، فإذا أطلع أهلها يخشى أن يقتلوها فماذا يفعل ؟

(الجواب)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فنفيد بأنه يحرم على الزوج إطلاع أهلها حتى لا يتسبب فى مقتلها ثم إن شاء استمر على زواجه منها إعانة لها على السلوك المستقيم فى حياة شريفة ، وإن شاء طلق والله أعلم ؟

• • •

السؤال من السيد / محمد على على فياض

هل يجوز تحويل مكان يشتمل على عدة قبور يدفن فيها الآن إلى مسجد يصلى فيه ؟ وهل يجوز تحويل جزء من هذه المقابر إلى ميضأة لهذا المسجد ؟

(الجواب)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

بأن المقابر مادامت مستعملة للدفن فلا يجوز الصلاة عليها والله تعالى أعلم ؟

• • •

السؤال من السيد / جلال محمد محمود

عقد على فتاة وبعد مدة طلبت منه الطلاق ، مع الإحاطة بأنه لم يدخل بها أو يختلى بها كذلك ، فهل العقد وما حكم المهر ؟

(الجواب)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فنفيد بأن المعقود عليها ولم يدخل أو يختلى بها وطلقت ، فلا عدة عليها

من هذا الطلاق ولها نصف المهر مقدمه ومؤخره إلا إذا أبرأته من مؤخر الصداق عند إيقاع الطلاق والله تعالى أعلم ؟

° ° °

السؤال من السيد / أحمد اسماعيل

قال « على الطلاق لأخلص امرأتى » ولم يفعل .

وقال « على الطلاق لا أعاشر أمى ولا أبى ولا آكل ولا أشرب معهما » ثم فعل المحلوف عليه .

وقال أخيرا « على الطلاق لا أدخل غرفتى وأنا غضبان » ثم دخلها فما الحكم ؟

( الجواب )

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن هذه أيمان لا يقع بها طلاق وذلك حسب قانون الأحوال الشخصية الجارى به التقاضى فى مصر والمأخوذ من الشريعة الإسلامية والله تعالى أعلم ؟

° ° °

السؤال : من السيد / ع . م

قال « على الطلاق بالثلاث ، إن رحت ما تأخذ ولا فتلة » فما الحكم ؟ .

( الجواب )

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن هذا يمين لا يقع به طلاق وذلك حسب القانون الجارى به التقاضى فى مصر والمأخوذ من الشريعة الإسلامية والله تعالى أعلم ؟

° ° °

السؤال من السيد / محمود محمد موسى / المحامى .

رجل حج إلى بيت الله الحرام منذ سنوات طويلة وفى أثناء طوافه بالبيت قبل الحجر الأسود مرتين من السبع طوفات وكان يحرك قدميه إلى الباب فى الطوفتين ، وهذا قاطع لبعض مرات الطواف ، لأن بعض بدنه فى هواء الشاذروان وهو داخل الكعبة والطواف يجب أن يكون خارج الكعبة ، وهذا النص موجود فى كتاب تيسير الحج . فما رأى الشرع ؟ وهل يلزمه دم ؟ وهل يجوز له إحرام فى وطنه ؟

( الجواب )

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأنه كان الواجب عليه أن يخرج جميع بدنه من الشاذروان فى كل طوفة من طوافه ،

إذ ذلك شرط من شروط صحة الطواف لأنه من البيت وهو ما عليه الأكثر من المالكية والشافعية وذهب بعضهم إلى أنه ليس من البيت .

وعلى ما تقدم فإن طاف وبعض بدنه غير خارج عن الشاذروان في بعض الأشواط : شوط أو شوطين كما جاء في السؤال فإنه يعيد مادام في مكة فإن لم يذكر ذلك حتى بعد عن مكة فينبغي أن يأخذ رأى من يقول إنه ليس من البيت ولا يلزمه الرجوع إلى مكة ، وعليه دم مراعاة لمذهب الحنفية الذين يكتفون بأكثر الطواف والباقي واجب يلزم فيه الدم إذا تركه يذبح في الحرم ويوزع على فقرائه ولا يكفي ذبحه وتوزيعه في وطنه والله تعالى أعلم ؟

محمد أبو شادى

---

( بقية المنشور على صفحة ٥٧٠ )

وبعد ، فلا شك أن القرارات والتوصيات التى أنهى المؤتمر بها أعماله ، هى أمنيات عزيزة تعيش بصدر كل مسلم لا يزال على مستوى المسلم الصادق الغيور على دينه ، يرجو الله من أعماق نفسه أن تأخذ هذه القرارات والتوصيات طريقها إلى التنفيذ والتطبيق .

وكلمة أخرى لا بد منها ، إنها فى تساؤل لا يحتاج إلى إجابة :

لماذا وقفت وسائل الإعلام ـ ولا سيما الصحافة ـ فى البلاد العربية على الأقل من مؤتمر الشباب الإسلامى العالمى هذا ، موقفا مثيرا للدهشة بل للأسى ؟؟.

وإذا كان هناك مبرر لاتخاذ مثل هذا الموقف المخجل من صحافة غربية ، تتوهم أنها أرفع من أن تعنى بشئون الإسلام والمسلمين ، كما تتوهم أنها حرة فى أن تنشر أو لا تنشر ، فأى مبرر للصحافة العربية التى أصبحت ملكا للشعوب التى يمثل فيها المسلمون الأغلبية الساحقة ؟

إن ما نشر فى هذه الأخيرة عن مؤتمر الشباب الإسلامى العالمى فى طرابلس ، هو أقل بكثير مما تنشره عن طلاق ممثلة مغمورة ، أو عن أعمال فنان على هامش الفن لم يحس بنفسه بعد .

ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه !.

محمد عبد الله السمان

# أنباء وآراء

أرسل فضيلة الأستاذ عبد الرحمن نجا الأبيارى بالقصيدة التالية إلى المجلة . .

## « جهاد الأزهر »

أيها الأزهر الشريف سلاما ... أنت أطلعت للهدى الأعلاما
فاستفاد الإسلام أعظم عهد ... شمل الكل رحمة وسلاما
أيها الأزهر انقضى ألف عام ... قد حملت الأعباء فيها جساما
كم أتتك الطلاب من كل شعب ... من لبان العلوم تشفى الأواما
ثم عادت - كالنحل بالشهد عادت - ... علماء أئمة أعلاما
حث أبناؤك الخطى للمعالى ... بارك الله فى خطاهم دواما
نشروا العلم ما استطاعوا سبيلا ... وأناروا العقول والأفهاما
وأقاموا شريعة الله ما إن ... خفروا ذمة ، وخانوا ذماما
وإذا ما دعا إلى الهول داع ... فهم الأسد لا تهاب الحماما
فيد تحمل الكتاب وأخرى ... - فى حمى الله - تحمل الصمصاما
هكذا نحن فى الجهادين كنا ... وسنأبى بديننا أن نضاما
وستبقى هاماتنا عاليات ... حاشا للحر أن يطأطىء هاما

* * *

يا حماة الإسلام أنتم بدور ... فى سماء الوجود تجلو الظلاما
عصركم عصر قوة ليس تلقى ... أبدا للضعيف فيه مقاما
أشربوها نفوسكم وأعيدوا ... سالف المجد مشرقا بساما
واجعلوا العلم ركنها كل حين ... ليس إلا بالعلم نجنى المراما
إنما المجد لا يطيع الكسالى ... لا ولا تعرف العلا النواما
يا حماة الدين الحنيف لأنتم ... أخلق الخلق أن تقودوا الأناما
من سواكم يحمى حمى الحق فينا ... من سواكم فى الأرض يرعى الوئاما
( أنتم الناس قدوة واهتداء ... ونهوضا إلى العلا واعتزاما )
نحن إما نحيا كراما - وإما ... - تحت ظل السيوف - نفنى كراما

● المسلمون فى البرتغال .

تقدمت الجماعة الإسلامية فى البرتغال عن طريق ممثليها فى « لشبونة بطلب إلى حزب العمال - وهو الحزب الحاكم فى البلاد - ينص على وجوب تمثيل الدين الإسلامى بصورة قانونية داخل البرلمان مثلما حدث للأديان الأخرى .

يبلغ عدد مسلمى البرتغال نحو ثلاثة ملايين نسمة .

● « المصرف » الإسلامى يفتتح أبوابه قبل نهاية العام .

أعلن السيد / تنكو عبد الرحمن أمين عام للمؤتمر الإسلامى أن وزراء مالية الدول الإسلامية فى آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط سيجتمعون بجدة فى شهر رمضان القادم لتنفيذ مشروع « المصرف الإسلامى للتنمية » .

وأضاف : أن المصرف سيفتتح أبوابه قبل نهاية العام الحالى برأس مال قدره « مليار » دولار .

وقال : إن القروض التى سيقدمها هذا المصرف لن تضاف عليها أية فوائد .

● مجمع إسلامى فى ماليزيا

أعلن السيد « دوتياك وان عبد القادر » الأمين البرلمانى لرئيس وزراء ماليزيا : أن ماليزيا ستقوم ببناء مجمع إسلامى تبلغ نفقاته نحو مائة وخمسين ألف جنيه استرلينى ، وسيقام مبنى المجمع قرب المسجد الكبير فى العاصمة خلال هذا العام .

وقال السيد عبد القادر :

إن المجمع سيضم مقرا لمجلس الشئون الدينية ومركزا للبحوث الإسلامية كما سيضم معهداً للدراسات الإسلامية وسيلحق به بيت للطلبة الذين يأخذون دورات دراسية تهدف إلى زيادة نشر التعاليم الإسلامية فى ماليزيا .

● مسابقة علمية حول الاقتصاد الإسلامى .

تنظم الأمانة العامة الإسلامية للمؤتمر الإسلامى بجدة مسابقة لأحسن أربعة بحوث حول الاقتصاد الإسلامى وتنمية التبادل التجارى بين الدول الإسلامية والسبل المؤدية إلى إقامة سوق إسلامية مشتركة .

جوائز البحوث الأربعة الفائزة ستكون نحو ثمانية آلاف ريال سعودى .

● ٢٥٠ شابا من جنسيات مختلفة يعتنقون الإسلام فى تركيا.

أذاعت وكالة الأنباء السعودية من تركيا أن عددا من الشباب المثقف يمت أكثرهم إلى الجنسية الفرنسية والألمانية، دفعهم إلى اعتناق الإسلام ما فى عقيدته من بساطة ووضوح بعيدين جداً عن الاستئثار بأسرار تعتبر فوق العقل تحول بين الإنسان وربه وتضع واسطة بين الخالق والمخلوق، إلى ما فيه من سماحة وحسن توجيه وملاءمة لكل عصر.

● الإسلام دين البحرين الرسمى.

صرح مصـــدر مسئول فى اللجنة الخاصة التى تشكلت فى البحرين لوضع دستور البلاد بأن اللجنة قد انتهت من إقرار عـــدد من الفقرات فى أبواب «الدستور» من بينها فقرة تنص على أن:

«دين الدولة الرسمى هو الإسلام، وأن الشريعة الإسلامية مصدر أساسى للتشريع».

كذلك نصت فقرة أخرى على أن «اللغة الرسمية هى اللغة العربية».

وأن الدولة تعمل على صيانة التراث الإسلامى والعربى.

● مسابقة ثقافية عن القدس الشريف

أعلنت الجمعية المغربية للتضامن الإسلامى عن «مسابقة ثقافية إسلامية» تتعلق بتقديم بحث أو دراسة عن تاريخ القدس الشريف دينيا وحضاريا وسياسيا واجتماعيا.

يشترط فى المتقدم لها أن يكون من البلاد العربية والإسلامية وأن يكون الموضوع حديثا لم يسبق نشره أو إذاعته

تقبل البحوث بإحـــدى اللغات: العربية، الإنجليزية، الفرنسية.

آخر موعـــد لقبول البحوث أول يناير ١٩٧٤.

ترسل البحوث بالعنوان التالى:

«الجمعية المغربية للتضامن الإسلامى»

ص ب ٣٥١ - الرباط - المملكة المغربية

من بين جوائز المسابقة رحلة إلى الديار المقدسة ذهابا وإيابا؟

علي الخطيب

**"When you are told to make room in your assembles for otheers, then make room (that others may sit)".**

**"Eat and drink, but be moderate in your diet and do not exceed the proper limits".**

"Do not indulge in idle talk but speak rightly when occasion requires it".

"And let your clothes be clean and let everything that belongs to you (your body, your dwellings, etc.) be not dirty.

**"Bear witness with justice and let not hatred of some people induce you to act inacquitably".**

**"Act acquitably and be just, God is aware of all what you do".**

**"When speaking do not shout, and when walking walk gently".**

Having briefly indicated the directions given by the Holy Koran in the first stage of reformation, we now come to the second. After it has given to the savage and the primitive such rules as are necessary for his guidance, it undertakes to teach him high morals. We shall, therefore, mention, as a specimen, only a few of the moral qualities upon which the Holy Koran has laid stress. All moral qualities fall under two heads : (a) those which enable man to abstrain from inflicting injury upon his fellow-men, and (b) those which enable him to do good to others. To the first class belong the rules of conduct which direct the intentions of man so that he may not injure the life, property or his fellow beings by means of his tongue or eye or any other member of his body. The second class comprises all rules calculated to guide the intentions of man in doing good to others by means of the faculties which God has granted him or in declaring the glory or honour of others or in forbeering from punishing an offender, or in punishing him in such a manner that the punishment turns to be a blessing for him.



gone into them it shall be no sin); and the wives of your sons who proceed out of your loins; and it is also forbidden that you should have two sisters together (as two wives at one and the same time); this that you did before (in the time of ignorance) is now forbidden to you and forgiven by the All Forgiving and All Merciful God".

"And marry not women whom your fathers have married, but what is passed shall be forgiven (for you did it in ignorance)".

"This day (all) the good things are allowed to you, and the food of those who have been given the Scriptures (Jews and Christians) is lawful for you and your food is lawful for them; and the chaste from among the believing women and the chaste from among those who have been given the Scriptures before you (are lawful for you), when you have given them their dowries, taking them in marriage, not fornicating nor taking them for paramours in secret...".

"Do not commit suicide".

"Do not kill your children".

"Enter not into houses other than your own (like savages) without permission, but wait until you have asked leave; and when you enter, salute the inmates; and if the house is empty do, not enter till the owner of the house gives you leave; and if the owner ask you to go back, return forth with; that is more decent for you".

"Do not enter houses other than your own (like savages) unless you are given permission to enter; and when you enter, salute the inmates by wishing them paece ( i.e. say to them peace be unto you)".

"Enter houses by their doors (not by jumping over their walls)".

"When you are saluted with a salutation, just salute the person with a better salutation, or at least return the same".

"Wines (including all intoxicant liquors) and games of chance and idols and divining arrows are but an abomination of Satan's mischief, avoid them, therefore, that you may prosper"

"You are forbidden to eat that which dies of itself, and blood, and swine flesh".

"And they (the new converts) ask what is lawful for them to eat, say : everything good and clean is allowed to you (only dead and the unclean things which resemble the dead are forbidden)'.

It is to be observed that the first stage of a moral being, i.e. one whose actions can be classed as good or bad morally, is that in which he is capable of distiguishing between good and bad actions or between two good or two bad actions of different degrees. This takes place when the reasoning faculty is sufficiently well developed to form general ideas and perceive the remoter consequences of actions. It is then that man regrets the omission of a good deed and feels repentance or remorse after doing a bad one. This is the second stage of man's life which the Holy Kor'an terms "Nefs - il - lawwama", i.e. the self-blaming soul ( or conscience ). But it should be borne in mond that for the primitive minded man or the savage to attain to this stage of the self-balming soul, mere admonition is hardly sufficient. He must have so mush knowledge of God that he may not look upon his own creation of God as an insignificant or meaningless thing. This soul-ennobling sense of God can greatly help to lead to actions truly moral; and it is for this reason that the Holy Kor'an inculcates a true knowledge of God along with the adomnitions and warnings and assures man that evry good or bad action is watched and seen by God and that accordingly it bears fruit which causes spiritual bliss or torture in this life while a clearer and more palpable reward or punishment awaits him in the next. In short, when man reaches this stage of advancement, which we have called the self-blaming soul, his reason, knowledge and conscience reach the stage of development in which a feeling of remorse overtakes him in doing unrighteous deeds and he is very anxious to perform good ones. This is the stage in which the actions of man can be said to be moral.

Thus in the earliest stage in man's civilisation the Kor'an teaches that particular portion of morals which we term manners. Kor'anic Laws are laid down to guide the actions of daily life; and all that is necessary to make the primitive - minded a social being is inculcated. Examples of the injunctions of the Holy Book on this point are as follows :

"Your mothers are forbidden to you ( as wives ) and so are your daughters and sisters and your aunts both on the father's side and the mother's side; and your nieces on the brother's and sister's side, and your foster-mothers, and your fostr-sisters and the mothers of your step-daughters who are your wards, born of your wives to whom you have gone in (but if you have not

all, to take them through this stage and make them accustomed to morals of the lowest type. When the savage has learned the crude manners of society, he is prepared for the second stage of reformation. He is then taught the high and excellent moral qualities pretaining to humanity as well as the proper use of his own faculties and of whatever lies hidden beneath them. Those who have acquired excellent morals are now prepared for the third stage and after they have attained to outward perfection are made to taste of the real knowledge and love of God. These are the three stages which the Holy Quran has described as necessary for anyone who has embraced Islam.

Our Holy Prophet was raised at a time when the whole world had sunk to the lowest depth of ignorance. Utter darkness and barbarism at that time prevailed over the whole of Arabia. No social laws were observed, and the most despicable deeds were openly committed. An unlimited number of wives was taken, and all prohibited things were made lawful. Rapine and incest raged supreme and not infrequently mothers were taken for wives. It was to prohibit this horrible custom that the words of the Koran were revealed :

"Your mothers are prohibited to be taken as your wives" Like beast most beduin Arabs did not even hesitate to eat of carcasses and canibalism. There was no vice which was not freely practised by them. The great majority of them did not believe in a future life and not a few were atheists. Infanticide prevailed throughout the whole peninsula and they mercilessly butchered orphans to rob them of their properties. Their thirst for wine was excessive and fornication was committed unscrupulously Such was the dark picture of the tim and the land in which the Holy Prophet of Arabia appeard and it was to reclaim this wild and ignorant people that the word of God come upon him. It is for resson that the Holy Koran claims to be a perfect guidance to mankind as to it alone was given the opportunity to work out a reformation complete on all sides, and the other Scriptures were never given such an opportunity. The Koran had grand aim before it. It had first to reclaim mankind from savagery and to make them men ; then to teach them excellent morals and make them good men, and last of all to take them to the highest pinnacles of advancement and make them godly. The Holy Koran gives excellent and distinct teachings on those three points.

prayer. causes the soul to humble itself and adore the creator; whereas strutting produces vanity and vainglory. Experience also shows the strong effect of food upon the heart and brain powers. For instance, the vegetarians ultimately may loose courage. There is not the least doubt that food plays an important part in the formation of the character. And further; as there is a defect in excluding meat from the diet altogether, excess of meat is also injurious to character and badly affects the admirable qualities of humility and meekness. But those who adopt the middle path are heirs to both the noble qualities of courage and meekness. It is with this great law in view that the Holy Kor'an gives the instructions: Eat (meat as well as other food) and drink but do not give way to excess (in any particular form of diet so that your character and health may not suffer from it) (VII : 29). In fact there is a mysterious relation between the body and the soul of, man and the solution of the mystery is rather beyond human comprehension.

DIRECTION relating to reformation of man's external life.

The directions relating to the reformation of the external life of man and his gradual advancement from savageness to civilisation until he reaches the highest pinnacles of spiritual life reveals the following method. Almighty God has been pleased to lead him out of darkness and raise him up from a savage state by teaching him the rules relating to his ordinary daily actions and modes of social life. Thus it begins at the lowest point of man's development and, first of all, drawing a line of distinction between man and the lower animals, teaches him the first rules of morality which may pass under the name of sociality Next it undertakes to improve upon the low degree of morality already acquired, by bringing the habits of man to moderation, thus turning them to sublime morals.

Therefore, in the first stage we are concerned with more ignorant savages hwom it is our duty to raise to the status of civilised men by teaching them the social laws embracing their daily mutual relations.

The first step towards civilisation, therefore, consists in teaching the savage not to walk about naked, or devour carcasses, or indulge in barbarous habits. This is the lowest grade in the reformation of man. In humanising people upon whom no ray of the light of civilisation has yet fallen, it is necessary, first of

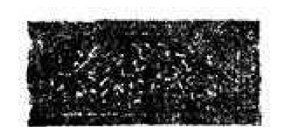
# MUSLIM ETHICS AND MORALITIES

*By : (Late) Dr. A. GALWASH*

Muslim Ethics and Moralities as stated in the Kor'an embrace the consideration of all those moral excellences known to any advanced civilisation, and are recommended, praised and enjoined upon Muslims in the Holy Kor'an and in the teachings of the Holy Prophet; such as sincerity, honesty, humility, justice patience straightforwardness, keeping a promise, chastity, meekness, politness, forgiveness, goodness, courage, veracity, sympathy, and other ethical instructions and rules of conduct.

But the Kor an does not simply enumerate such moral qualities and distinctions as God is pleased to enjoin upon his servants; nay it further gives us ethical teachings as to how man can get to acquire these moral excellences and shows the straight way leading to their achievements It teaches that there are three springs out of which the physical, moral and spiritual conditions flow. Now, what is the effect of the teachings of the Holy Kor'an upon the physical state of man, how does it guide us with respect to it and what practical limits does it set to the natural inclination? It may be remarked at the outset that according to the Muslim Scripture, the physical conditions of man are closely connected with his moral and spiritual states, so much so that even his modes of eating and drinking play a part in the moulding of his moral and spiritual qualies. If, therefore, his natural desires are subjected to the directions of the Law, they take the form of moral qualities and deeply affect the spiritual state of the soul. It is for this reason that in all forms of devotion and prayer and in all the injunctions relating to the internal purity and moral recititude, the greatest stress has been laid upon external purity ann cleanliness and the proper attitude of the body. The relation between the physical and spiritual nature of man would become evident on a careful consideration of the actions of the outward organs and the effect they produce upon the internal nature of man. Weeping whether artificial at once sadens the heart while an artificial laugh makes it cheerful. Likewise a prostration of the body, as is done in

developing its aesthetic aspects, and inventing thing quite new to it. In this sphere also, their share in development has been considerable. Passing remark may be made to two points : (1) Had the Muslims no culture of theirs — the all-prevading Islamic culture which the Prophet inculcated them intensely — they would certainly have been absorbed by the cultures of those whom these Muslims had so easily and so swiftly subjugated. (2) Among the subjects of the extremely extensive Islamic State, there were peoples of all religions : Christians, Jews, Zoroatrians, Sabians, Brahmins, Buddhists and others, each with its own cultural traditions; even if these did not collaborate with each other, all of them did collaborate with the Muslims their political masters, and each explained its own point of view to the Muslims who were thus obliged not to imitate any of them — since there was even contradictions in the different scientific strains — but to test them all and create a sort of synthesis, to the benefit of science and humanity.



Quran. Not accompanied by instruments of music, and not being even in verse, the Quran has been an object of great attention for recitation purposes, since the time of the Prophet. The Arabic language lends to its prose a sweetness and melody hardly to be surpassed by the rhymed verses of other languages. Those who have listened to the master singer, or Qari, the reciting the Quran, or pronouncing several times every day the calls to the prayer, know that these specialities of the Muslims have unequalled charms of their own.

Even mundane music and song, under the patronage of kings and other wealthy people, have had their development among Muslims. Theoreticians like al - Farabi, the authors of the Rasa'il Ikhwan as-Safa, Avicenna and others have not only left monumental works on the subject, but have even made appreciable corrections in the Greek and Indian music. They have employed signs to denote music, and have described different musical instruments. The choice of appropriate melody for different poems and selection of instruments according to the requirements of the occasions, — of joy and of sadness, in the presence of sick men, etc. — have been objects of profound study.

As for poetry, the Prophet declared : "There are verses and poems which are full of wisdom, and there are discourses of orators which produce a magical effect." The Quran has discouraged immoral poetry. Following this direction, the Prophet surrounded himself by the best of poets of the epoch, and showed them the road to follow and the limits to observe, thus distinguishing between the good and the bad use of this great natural talent. The poetical works of Muslims are found in all languages and relate to all times ; it would be impossible describe them here even in the briefest manner. An Arab, even a Bedouin, finds himself alwayes "at home" in his poetry, as is borne out by the synonymity of terms : Bait means both a tent and a verse of two hemistiches ; misra means not only the flap of a tent but also a hemistich ; sabab : is rope of the tent as well as the prosodiacal foot; watad : means a tent peg as well as the syllables of the prosodiacal foot. Further the names given to the different meters of poems are synonymous with the different paces — fast, slow, etc., — of the camel. These are but a few among great many pecularities of the language.

In short, in the realm of art, Muslims have made worthy contribution, avoiding its harmful features,

# Muslim Contribution To The Sciences And Arts

By

*Dr. MUHAMMAD HAMIDULLAH*

— III —

Thus, a blind man possesses a memory and a sensibility which are far superior to those in ordinary men. By abstaining from animal representations in painting, engraving, sculpture, etc., the innate talent of the artist seeks other outlets and manifests itself with greater vigour in other domains of art, (cf. the pruning down of the superfluous branches of a tree in order to increase its fruits). As regards the social aspect, the horror of Chauvinism, degenerates into idolatry, and restraint on animal representation would lead to restraint on idolatry. There are however several exceptions; such as toys of children, decoration of cushions and carpets — both these have expressly been tolerated by the Prophet, — scientific needs (for teaching anatomy, anthropology, etc.), security needs (of the police, etc., for identification, for search of the absconding criminal), and others of like import, cannot be banned.

History shows that this check on "figurative" art among Muslims has never curbed art in general; on the contrary and astonishing development was achieved in the non-figurative spheres. The Quran itself (24 : 36) recommended grandeur in the construction of mosques. The Prophet's Mosque at Madinah, the Dome of Rock at Jerusalem, the Sulaimaniyeh mosque at Istanbul, the Taj-Mahal at Agra (India), the Alharam Palace at Granada, and other monuments are in no way inferior to to the masterpieces of other civilisations, either in architecture or in artistic decoration.

Calligraphy as an art is a Muslim speciality. It makes writing a piece of art, in place of pictures; it is employed in painting or mural sculpture, to decorate fine cloth and other material. Excellent specimens of this art, with their powerful way of execution, grace and beauty, are things to see, and impossible to describe.

Another art which is pecular to the Muslims is the recitation of the

8 — Unless he repents, believes, and works righteous deeds, for God will change the evil of such persons into good, and God is Oft-Forgiving, Most Merciful.

٨ — إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما .

9 — And whoever repents and does good, has truely turned to God with an ( acceptable ) conversion ;—

٩ — ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متابا .

10 — Those who witness no falsehood, and if they pass by futility, they pass by it with honourable ( avoidance ) ;

١٠ — والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما .

11 — Those who, when they are admonished with the Signs of their Lord, droop not down at them as if they were deaf or blind ;

١١ — والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا .

12 — And those who pray : Our Lod ! Grant unto us wives and offspring who will be the comfort of our eyes, and give us (the grace) to lead the righteous.

١٢ - والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما .

13 — Those who are the ones who will be rewarded with the highest place in Heaven because of their patient constancy : therein shall they be met with salutations and peace.

١٣ — أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما .

14 — Dwelling therein ; how beautiful an abode and place of rest ! ( S 25, V. : 63 — 76 )

١٤ — خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما ( الفرقان ٦٣ - ٧٦ ) .

# THE VIRTUES OF THE TRUE SERVANTS OF GOD

*— IN THE VERSES FROM THE QURAN*

---

1 — And the Servants of ( God ) Most gracious are those who walk on the earth in humility, and when the ignorant address them, they say : Peace !

١ — وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .

2 — Those who spend the night in adoration of their Lord Prostrate and standing.

٢ — والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما .

3 — Those who say : Our Lord! Avert from us the wrath of Hell, for its wrath is indeed an affliction grievous.

٣ — والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما .

4 — Evil indeed is it as an abode, and as a place to rest in.

٤ — إنها ساءت مستقرا ومقاما .

5 — Those who, when they spend, are not extravagant and not niggardly, but hold just ( balance ) between those ( extremes ).

٥ — والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما .

6 — Those who invoke not, with God, any other God, nor slay such life as God Has made sacred, except for just cause, nor commit fornication ; and any that does this meets punishment.

٦ — والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما .

7 — The penalty on the Day of Judgement will be doubled to him, and he will dwell therein in ignominy. –

٧ — يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا .

merit of mutual respect and love of service to fellow-men. He taught them that this kind of life is the highest form of submission to God. The spiritual enlightenment led to indentify themselves in the art of noble living, to glorify the Almighty God, and work for the welfare of all.

While we live in an age of imense achievements in the fields of physical sciences and material inventions these achievements could not solve the race—prbolem which is a particularly significant one whose prominence has been very much enhanced by recent events in certain parts of the world. Race may simply explained as a group of human being possessing common genetical and biological characteristics from which they differ from other groups. It complotely excludee mental traits such as intelligence and temperament.

The Holy Quran exhorted the people to cultivate the spirit of selfless service and sacrifice, through which alone salvation is assured, and to rise to the peak of greatness in the standard of human achievements and to reach the summit of satisfaction.

The decisive point is, however, that human capacities can only be discovered if equality of opportunity is provided for all, Even United Nations Universal Declaration of Human Rights says : "All human beings are born free and equal in dignity and rights. They are endowed with reason and conscience and should act towards one another in a spirit of brotherhood."

Islam created the percept of unity, fraternity and equality, as the soundest and safest structure of solidarity in human relationship. The relative merit between possession and withdrawal cannot be final and conclusive. But there are other qualifications to outlast the vanishing things of a fleeting world. There is no priesthood in Islam to act as an intermediary. A Muslim has every right to appeal God direct.

If ever the racial problem is to be solved in a desirable manner, then it is this Islamic principle of equality of opportunity which will have to permeate the thoughts and actions of our present day society. And put in practice the cardinal principle of Islamic faith that superiority is to be attained only on the basis of good works and best conducts.

ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

(الحجرات ١٣)

(O people : verily, We have created you of a male and female ; and We have made you nations and tribe that you may recognise one another, Truely, the most worthy of honour in the Sight of Allah is he who fears Him most, Verily, Allah is Knowing, Aware ) 49 : 13

Once the mankind accepts the common origin of all communities and the Oneness of the Creator and Substainer of the whole Universe, each member must be regarded as being equal to any other. Imposition of laws or practices favouring one section or the community more than other will be against the teachings of Islam, Because Islam condemns any form of discriminntion whether it is class division or racial prejudices and enjoins the principle of equality and universal brotherhood.

In such a life the basis of judging one's greatness of character and integrity is the piety. Islam achieves this feeling, by first of all, freeing humanmind from ervitude to any one except the Almighty Allah. The Holy Qur'an declares :

« .... وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم ، فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين » .

(آل عمران ٦٢ - ٦٣)

( . . . . There is no God dare Allah, and Allah is the Mighty, wise. And if they turn away, then lo ! Allah is aware of ( who are ) the corrupters ) 3 : 62 - 63.

The division of a society based on the colour of the skin or the social status of its individuals will always be socially harmful, morally unjustified, and above all, can never be approved by the teachings of Islam. In a community such as that envisaged by the Qur'an one section cannot deny to another the opportunity and facilities which it may have been fortunate to acquire. How can humanity, with its common origin, and with its common love and devotion to the Common Creator and Sustainer, harbour the fallacious thought that some are found to lie with in the fetters of others ?

The message of Islam was indeed a miraculous revolution that brought about an unprecedent change among the waring tribes of Arabia, when it was engaged in blood feuds. Prophet Muhammad ( peace be upon him ) infused the true light to see the face of truth from the mirror of conscience and to understand the

loyal dischargining of responsibilities are the important directives of the teachings of Islam in the core of its social system.

Islam is a religion of reason. The cultural starting point of the Islamic civilization is the search for knowledge from all possible sources. The employment of reason in discovering the mysteries of the universe and in mastering natural resources for the benefit of mankind is also one of the main factors of the Islamic civilization.

While developing its own power of adaptabitity through its moderation, Islam was able to maintain its originaltiy and its purity. Thus the fact that Islamic communty was an open one, which allowed for the integration of racial elements, mad Islamic civilization a non-discriminating one. It is another historical fact that Islam was really not spread by the sword, as is often argued. The use of force is a clear contradiction to the very fundamental principle of Islamic faith. The epreab of Islamic culture and civilization widely dnring a phase of political and military weakness of the Muslim communitieo is indeed a historical phenomenen almost unique to Islam.

We have to recall that the simplicity preached by Islam, helped towards its radiation in a variety of environment. It was able to develop a certain degree of adaptability which did not touch its entirety. The epon - mindedness of Islam was another source of impression and strength. When followers of the Prophet spread from the original home land they found peoples and cultures of other patterns. By using reason and conscience they were able to appreciate these cultures and to attain compromise, and they were able to absorb older cultural patterns and give its own outlook. In this way Muslims became the unifiers of cultural and civilizational complexes that could not otherrwise have attained unity of human outlook. Islam was the most moderate element that culd bring together in fratenity and peace, all other elements of humanity. Because the nation of Islam. as ordained by God is a nation of mankind as a whole, irrepective of colour, racial affinity or historical prejudice.

It is one of the basic facts of Islam that it reminds the people the common origin of all manwind. It declares despite any apparent divergence of colour, race and tongue the humanity should be proud to trace its fundamental unity back to the One Lord, the Creator and Suctainer of the universe. Referring to this basic concept of Islam the Holy Quran says:

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من

colour, race or creed is not a true Muslim. Islam insists on the equality of all before God, on respect for the essential human rights, and on the peaceful co-existence betwen all communities and nations.

In other words Islam is a religion for humanity whose mission is to build up life and civilization. As a religion of humanity Islam has some distinguishing factors that help to understand the achievement of its mission in the field of human civilization. The following are main sources of strength and distinction in the build-up of Islamic life and civilization.

The basic principle of its moral system is the purity of conscience and the goodness of intention. The sense of fraternity between individuals, irrespective of linguistice, racial, political or geographical differences, is the key-note of the social structure in Islam : The basic organism of its social structure is the family, built on love, compassion and mutual co-operation and faithfullness.

Another important pattern of the Islamic civilization is the middleness of its nation. The sense of unity amongst Muslims was indeed fostered and promoted by the geographical situation of Arabia, cradle land of Islam. The geographical situation of Arabia gave it a special place in the heart of the world, as it situated at the cross-roads of both land-bridges and seaways The Holy land of Mecca was not only easily attained from all parts of the middle east, but also easily accessible for pilgrims from the different parts of the world.

No wonder therefore that Islamic civilzation was able to attain it unity of pattern over such a wide belt across the world. The conception of middleness goes far beyond the idea of simple geographical or geometrical centrality in the old world, but also Islam itself has bestowed another deeper sense of med-eration that added to the idea of centrality between other nations.

Now we can proceed to study some aspects of the economic system defined in the teachings of Islam. The Economic system of it built on mutual benefits, regarding wealth as a means and not an end, and respect for individual ownership, provided it is not exploitative nor prejudicial to public interest. Islam disapproves of both extravagance and hearding of wealth and the withholding of money from production and investment.

The cooperation of all classes of the society in the interest of the whole community, the efficient and

MAJALLATU'L AZHAR

( AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

| SHAABAN 1393 | ENGLISH SECTION | SEPTEMBER 1973 |
|---|---|---|

# FEATURES OF ISLAMIC CIVILIZATION

by : Dr. Mohiaddin Alwaye

The first important feature of Islamic civilization is the fact that its distinguishing characteristics spring from a Divine Guidance. This guidance supplies it with spirit, strength and coherence. It also directs to a just balance between spirit and body, mind and matter. The other important feature of this civilization is its universality and wide tolerance. It is not a civilization of one particular nation, region or race but it is a human civilization.

As a creed, Islam has proved its immense power of survival under all conditions. It is a creed which implies that members of its community should work for both their present life and their furture life after death. This is the best safeguard for a balanced life.

Islam came as a real and total revolution in human life. This revolution covered both the spiritual and material aspects of life of the individual and society. By its very nature, Islam aimed at the development of life and civilisation, on the basis of faith and moral values. It meant a religion for this life as well as for the other one.

The main pillar of the Islamic system is the belief in the existence of God and His Oneness, and the upholding of His Commands and Guidance in both individual and social life. According to the teachings of Islam, the belief without action and behavior in obedience to the precepts of religion is a deficient one. A Muslim who does not respect the dignity of man, irrespective of

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦




مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء السابع — السنة الخامسة والأربعون — رمضان سنة ١٣٩٣ هـ — أكتوبر سنة ١٩٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

# رمضان كريم .. حقا وصدقا

للأستاذ عبد الرحيم فودة

١ — رمضان كريم ...

عبارة مشهورة، مكن لها كرم الطبع في مصر أن تذيع وتشيع في هذا الشهر الأغر، لا تهكما بإطلاق اسم الأبيض على الأسود والكريم على البخيل، ولكن تحية يكرم بها الصائم ضيفه، ويجعلها اعتذاره له عما كان يجب عليه أن يقدمه إليه لو كانا في غير شهر رمضان ...

وهذه العبارة - مع إيجازها - تحمل الكثير من المعاني والحقائق، وإن كان القائل والسامع كلاهما لا يذكرها حين تقال وتسمع، لأن العرف ضيق مفهومها وجعلها شبه خاصة بالاعتذار عما ينبغي أن يقدم للضيف في زمن الإفطار.

فرمضان كريم حقا وصدقا، ومعنى الكريم يصدق على كل ما يرضى ويحمد، وعلى الكثير الخير، وعلى السخي الجواد وعلى العزيز والنفيس، وهذه المعاني كلها تتحقق فيه، ولا يضاهيه فيها شهر آخر أو يدانيه.

٢ — وأول ما نطالعه من مظاهر كرمه قول الله فيه: « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »، فإنه يفهم منه أن إنزال القرآن فيه أو في ليلة من لياليه هو الذى رفع قيمته ودرجته، وأعلى منزلته ومكانته فكان حقيقا بأن تصام أيامه، وتقام

لياليه ، وكان صيام أيامه وقيام لياليه بهذه المثابة الكريمة العظيمة التي يشير إليها قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من صام رمضان وقامه إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) وقوله عليه الصلاة والسلام: (أتاكم رمضان ، شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه مردة الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم)

٣ — وهذه الليلة التي تفضل ألف شهر هي ليلة القدر التي بدأ نزول القرآن فيها أو أنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا ، ثم نزل بعد ذلك منجما على النبي صلى الله عليه وسلم ، ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، كما يفهم من قوله تعالى : «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم» ، وقوله جل شأنه : «وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم» فالقرآن روح تحيا به النفوس ، ونور يهدى به الله من اتبعه ، وقد وصفه الله بكثرة الكرم حيث قال : «إنه لقرآن كريم» ، وبكثرة الخير والبركة حيث قال : «كتاب أنزلناه إليك مبارك» وبأنه موعظة . وشفاء لما في الصدور . وفضل من الله لا يقاس به المال وما إليه كما يفهم من قوله : «قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون» ، فكيف لا يكون رمضان كريماً عظيما . وقد شرف قدره بهذا الخير العظيم .

٤ — هذا إلى أن ثمرة الصيام فيه هي التقوى، كما يفهم من قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» وقد قرن الله بها الفوز والفلاح حيث قال في المتقين : «أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون» .

وجعلها سببا في زيادة الخير ، وعظم الأجر كما يفهم من قوله : «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب» وقوله : «ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا» ، وقوله : «ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا» .

٥ - وقد توج الله الصيام فيه بزكاة الفطر، ليعم السرور بالعيد ويشيع فيه البشر، ويلتقى الأغنياء والفقراء على الفرح بما ينتظرهم من ثواب الله ورضوانه وعلى الشعور بالأخوة التى عقدها الإسلام وأكدها الصيام؛ إذ يثير عطف الغنى على الفقير، ورحمة الكبير بالصغير، فيكون كما قال الله فيهم: «إنما المؤمنون إخوة» وكما يصفهم بقوله: «أشداء على الكفار رحماء بينهم» وقوله: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم».

٦ - هذا إلى ما أحرزه المسلمون فى هذا الشهر من انتصارات ساحقة على أعدائهم وأعداء دينهم فى غزوة بدر، وفتح مكة، وفى موقعة عين جالوت، فقد اقترن اسم هذا الشهر بهذه الانتصارات، كما اقترن بغزو الروم فى تبوك، وقهر القوط فى الأندلس، وكسر الفرنسيين وأسر لويس التاسع فى المنصورة فلا غرو أن يكون رمضان كريماً عظيماً بكل ما تحتمله كلمة رمضان كريم.

٧ - وكان صلى الله عليه وسلم يستقبل هلاله باهتمام لا يظفر به هلال شهر آخر ويقول حين يراه: «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربى وربك الله. هلال رشد وخير، فإذا كان فى هذا الشهر جاد بما فى يديه من خير كما ورد أنه عليه الصلاة والسلام كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون فى رمضان؛ فإذا دخل العشر الأواخر زاد اهتمامه بالعمل والعبادة، كما قالت عائشة رضى الله عنها: كان رسول الله إذا دخل العشر، أحيا الليل وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر.

٨ - ذلك وغيره مما لا يتسع المقال لذكره - هو تفسير معنى رمضان كريم... إنه كريم حقا وصدقا، ونسأل الله أن يعيننا على صيام أيامه وقيام لياليه وأن يجمع شتات العرب والمسلمين فيه ليعودوا كما كانوا «أشداء على الكفار رحماء بينهم»، «يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم» ويعملون بقول النبى صلى الله عليه وسلم: «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم» والنصر بعون الله مضمون مأمون، «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز».

عبد الرحيم فوده

# الملكية ووراثة الحكم في التاريخ الإسلامي

للأستاذ أحمد موسى سالم

ونعود إلى كتاب الدكتور محمود إسماعيل « الحركات السرية فى الإسلام » لنكشف عن هذا الهدف السرى الذى ركض وراءه بالمداورة والتقية فكر المؤلف العربى المنهزم قوميا ، والأسير باسم العلم فى أغلال نظريات الاستشراق الماركسى والاستعمارى ، والذى سول له ولعه بالتقليد ، أو الانهزام عن الحق أن يقلب بغير مبالاة حقائق التاريخ العربى الإسلامى رأسا على عقب ، وأن ينشط بفكر ظالم ، وأسلوب غاشم لتفريغ مدلول الأمة العربية فى عهود إسلامها من أصالتها ، وهو يكيل التهم الجزافية لعصرين من أزهى العصـــور فى تاريخ العرب المسلمين ، بل فى تاريخ العالم ، بعد عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، وعصر الخلفاء الراشدين ، وهما العصر الأموى والعصر العباسى ، ثم يكون ذلك كله فى هذه الظروف التى تناضل فيها الأمة العربية من أجل وحـــدة أجزائها ، وتنشيط مقوماتها ، فى حربها المصيرية الضارية مع أعدائها الذين ينقل المؤلف العربى المنهزم آراءهم العدوانية والمضللة بغير اكتراث !

فى مقدمة هذا الكتاب يبدأ المؤلف فيرفع معاول الهدم على صورة العصر الأموى والعصر العباسى فيصف الأول بأنه « النظام الملكى الهرقلى الأموى » ويصف الآخر بأنه « الحكومة الكسروية العباسية » ثم ينطلق وراء عقله الباطن والظاهر فيفصح بالتلميح عن علة خصومته لهذين العصرين العربيين الإسلاميين فيصفهما بأنهما « حكومات دينية » أو ثيوقراطية كما يسميها ويدعى عليهما بالمفهوم اليونانى والغربى لهذا المصطلح . ثم يسترسل مع هواه الموجه فيرى أن تسلط هذه الحكومات العربية بمنهجها الدينى ، وبما يغلب عليها من « الفكر الجبرى » أى « الشرعى » غير القابل للتطور فى نظره قد أوجب على من سماهم قوى المعارضة والظل واليسار من ملاحدة الشعوبية مجوسا ومزدكية وباطنية

ولرامطة أن تعارضها ، وأن تنظم الحركات السرية للثورة عليها ، لأنها — فى أعجب اختلال منطق يسوقه المؤلف — قد حادت بفكرها الجبرى الشرعى الإسلامى عن جادة الشريعة ، وأنه من أجل ذلك — ويا لضيعة العلم والعلماء — قد صار لهؤلاء المعارضين الثائرين الملاحدة أن يستعينوا عليها فى نضالهم السرى — الذى يباركه المؤلف العرق — بكل ما كانت تزخر به الأرض العربية بالشام والعراق قبل تحريرها بالإسلام من آراء وتعاليم مجوسية ، ومن وثنيات وإسرائيليات وفلسفات هيلينية يونانية فى حربهم السرية القذرة ضد هذه الحكومات العربية الشرعية الدينية ، فما كان الفكر الإسلامى — كما يجب أن تعلموا يا مسلمى هذا العصر ويا شباب مصر الطيبة فى الجامعة — ليصم أذنيه ، أو ليغلق عينيه — فى نظر عالم الزمان الدكتور محمود إسماعيل — عن هذا الميراث الحضارى الوثنى ، الضخم ، أى عن تعاليم ومفاهيم المجوسية والوثنيات والإسرائيليات والهيلينيات الذى صنعته البشرية فى عصور سالفة ، بل انفتح عليه الإسلام — هكذا — ونهل منه وتمثله — فى صورة هؤلاء المعارضين السريين الملاحدة من عملاء الاستعمار الفارسى ، ما لم يتعارض مع جوهر الإسلام ، كما يشترط فى جملة اختلاطه وعبثه بأبسط حرمات المنطق عالم الزمان المذكور . . . !

فالقضية عند تبسيطها بالمنهج الاستشراقى للمؤلف تنتهى إلى أنه من حق الملاحدة وعملاء الاستعمار الفارسى أن يناضلوا الحكومات العربية الدينية الشرعية على أرضها ووسط جماهيرها من المؤمنين وذلك باستعمال وسائل الإلحاد المجوسى والإسرائيليات والفلسفات والوثنيات ، ما لم تتعارض مع جوهر الإسلام ، !!!

والقضية بهذا التلخيص المنتزع من مقدمة الكتاب إلى خاتمته لا يعنى إلا أحد احتمالين هما أن المؤلف العصرى وتلميذ بندلى جوزى الماركسى وأمثال على الوردى وصالح أحمد العلى من شعوبية العراق يرى أن ، الإسلام لا يتعارض فى جوهره مع المجوسية والوثنيات والإسرائيليات والهيلينيات ، ولذلك أباح لمعارضيه من الثوار المزعومين أن يحاربوا إسلام

الحكومات العربية الدينية بسلاح الزندقة ، وهذا باطل واضح البطلان ولا يحتاج إلى دليل . أو أن المؤلف يرى فضل أنواع الزندقة من المجوسية والوثنيات والإسرائيليات وغيرها على جوهر الإسلام وشريعته ولذلك وقف فى تبجح وصرع أيديولوجى فى جانب زنادقة الشعوبية وعملاء الاستعمار الفارسى وسماهم بالبغى والكذب ثواراً ومناضلين ، وهذا إذا كان هو اختياره الذى لا إكراه له على غيره باطل ومخادعة وعجز ، وليس من حقنا أن نأذن له بتدريس هذا الباطل داخل حرم الجامعة ولشبابها ودعامة المستقبل وأمانته وعدته . . . حتى ولو استخدم شعار الاشتراكية المندس كذبا وتقليداً فى هذه الدعاية الماركسية !

وبغير الحالة نناقش بغى المؤلف وكذبه على أمته العربية من حيث ما يزعمه أولا من أن هـؤلاء العملاء واللصوص والمسوسين من شعوبية الفرس ودهاقينها الذين طمعوا فى استرجاع السلطان الكسروى الغاشم على أرض العرب بالقضاء عليهم وعلى الإسلام لم يكونوا قط ، كما أنهم لن يكونوا قط ، أصحاب قضية مشروعة على الأرض العربية ، وليسوا هم بزندقتهم وعبوديتهم لآلهة من البشر بالشهود العدول ، أو القضاة الأمناء على عدالة الحكومات العربية الإسلامية أموية كانت أو عباسية ، إذ أن ذلك يبقى لهذه الأمة ، ولأبنائها ، ولأجيالها الذين لم يطمعوا قط فى استعمار أرض فارس أو خراسان ، ولم ينكروا قط فى ظلم أو استعباد أهل فارس أو خراسان أو غيرهما سواء من أسلم منهم أو من بقى على مجوسيته ومزدكيته !

إننا نسأل من هم بحق هؤلاء الزنادقة المدلسون المسوسرن ، المخمورون والضائعون فى سجل التاريخ الذى يحاول المستشرقون والصهاينة والاستعماريون قلبه لتكريس شتات العرب ، وإضاعة دينهم ؟

يقول أبو حامد الغزالى وهو فارسى غير متهم بالولاء العنصرى للعرب وهو يتحدث فى ولائه الدين ، وقربه من تلك الأحداث عن نشأة هؤلاء الملحدين الذين حاربوا صراعة الشريعة الإسلامية ، وفقدان الإمبراطورية الكسروية

فى شخص السلطان العربى الدينى أمويا كان أو عباسيا وذلك فى كتابه الشهير « فضائح الباطنية » الذى عنى به أكثر المستشرقين تطرفا ضد الإسلام واعتبروه مرجعا موثوقا :

يقول الغزالى : « تشاور جماعة من المجوس المزدكية ، وشرذمة من الثنوية الملحدين ، وطائفة كبيرة من ملحدة فلاسفة المتقدمين ، وضربوا سهام الرأى فى استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين - أى العرب - وينفس عنهم كربة ما دهاهم من أمر المسلمين الذين استولوا بانفاقهم دعوة محمد - كما حدثوا أنفسهم - على ملك أسلافنا - أى الأكاسرة - وتنعموا فى الولايات مستحقرين لعقولنا وقد طبقوا وجه الأرض ذات الطول والعرض ، ولا مطمع فى مقاومتهم بقتال ولا سبيل إلى استنزالهم عما أصروا عليه إلا بمكر واحتيال الخ » .

هؤلاء هم الثوار والمناضلون السريون فى نظر الدكتور محمود إسماعيل الذى يرفض رأى أمثال الغزالى لأنه مسلم سنى أى ليس باطنيا ولا زنديقا ، ولذلك فهو مؤرخ رسمى أى مأجور للخليفة ، ومن هو الخليفة فى تلك الأيام ؟ .. إنه خليفة عباسى يحكم باسمه وزرائه وقادته من الفرس ، فى دولة قد عرفها حرية الرأى حتى تجاسرت الخفافيش التى كانت تحيا معلقة منكسة من أرجلها فى ليل خطاياها ، فخرجت وحملت السلاح ضـــد الدين والسلطة العربية الشرعية !

إنهم طغام الفرس ، وما تبقى منهم من القيامات الآدمية مختلطا ومستوراً داخل مزابل ملوكهم وطغاتهم وشياطينهم الذين عادوا إلى وساوسهم بعد خالد ، وبعد أن فترت عنهم سيوف عرب الشام وبعد أن أغمدت دونهم بالمهالة سيوف عرب العراق ، بما لم تشرق عليه فى خفاء الإثم وباطنه شمس الله فى دينه وشريعته وبما لم تهذب منـــه فى غلظة العقول والقلوب عاسنة الحكم العربى الذى رفعهم من الدرك ، وآخاهم فى الدين ، واستعان بهم فى الإدارة ، وترك لهم حرية الحركة والمبارة والتجارة ...

ويقول الإمام الحافظ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزى يحكى فى كتابه الشهير « تلبيس إبليس » عن صفة هذه الشراذم المتخمرة ببطر النعمة ، وإنكار

الخالق ، وتأليه البشر ، وعن كونها تمتمات ميكروبية شيطانية فى قاع المجتمع العربى الإسلامى تحركها نشوة الهدم ، وطاعة التسلط ، ولذة الخفاء ، بعيداً عن أى هدف للتحرر الوطنى ، أو معتقد للرقى الإنسانى .. يقول الإمام ابن الجوزى :

« والباطنية حيل فى استذلال الناس - أى فى تنظيمهم للعمل السرى بالمخادعة - فهم يميزون بين من يجوز الطمع فى استدراجه ممن لا مطمع فيه . فإذا طمعوا فى شخص نظروا فى طبعه ، فإن كان مائلا إلى الزهد دعوه إلى الأمانة والصدق وترك الشهوات ! وإن كان مائلا إلى الخلاعة أفهموه أن العبادة بلاهة ، وأن الورع حماقة ، وأن الفطنة فى اتباع اللذات من هذه الدنيا الفانية ، ويظهرون مع كل ذى مذهب بما يليق بمذهبه ، ثم يشككونه فيما يعتقده ، فيستجيب لهم إما رجل أبله ، أو رجل من أبناء الأكاسرة والمجوس ممن قد انقطعت دولة أسلافه بدولة الإسلام ، أو رجل يميل إلى الاستيلاء - أى انتهازى - ولا يساعده الزمان فيعدونه بنيل آماله ، أو شخص يحب الترفع عن مقام العوام ويروم بزعمه أن يطلع على الحقائق المخزونة ، أو رافضى يتدين بسب الصحابة رضوان الله عليهم ، أو ملحد من الفلاسفة أو الثنوية المتحيرين فى الدين ، أو من غلب عليه حب الذات ، وثقلت عليه التكاليف - أى الصلوات والعبادات والنهى عن الزنا وشرب الخمر ... » !

فهذه الأخلاط من كائنات الظلام ، من البلهاء ، أو الحاقدين من طغاة الفرس أو من المتبرمين من آداب الإسلام والساخطين على الحرية التى غرقت أنفسهم المزيلة فى أثوابها الفضفاضة السابغة التى أكرمهم بها الإسلام وشرعه وحكوماته العربية الدينية ، أموية أو عباسية - هذه الأوشاب المتلونة وراء ألف قناع ، والمدلسة داخل ألف أكذوبة هى جماهير الثوار اليساريين المعارضين لتسلط الحكم العربى الدينى ، والرواد الأوائل للشيوعية الأولى - كما يرى الأستاذ الرفيق بندلى جوزى - فى كتابه « من الحركات الفكرية فى الإسلام » وكما يراه مجودا على أعقابه تلميذه العربى ، الشاحب العروبة ، والمنهزم الإرادة والمنطق الدكتور محمود إسماعيل عبد الرازق !

هذا هو أحد ألوان البغى على الأمة العربية فى كتاب المؤلف الذى لا ينبغى السكوت على تدريسه فى آداب عين شمس وأما الكذب على الأمة العربية وعلى التاريخ وعلى الأمانة العلمية فى قوله عن العهد الأموى بأنه «النظام الملكى الهرقلى» فنناقشه دون إطالة أيضاً فيما يلى لبيان كذبه، وسقوطه، وعشوائية المقصود منه فى هدم التاريخ الإسلامى والزراية بالأمة العربية الإسلامية.

أولا — يعتمد المؤلف على صحة الادعاء على العهد الأموى بأنه نظام «ملكى» على ما قرأه بغير تمحيص على ألسنة أعداء هذه الدولة ممن لم يأخذ عن غيرهم، ولو أن الأمانة العلمية ساقت خطاه وحدها إلى مصادر التاريخ العربى الإسلامى الصحيحة لعرف — حتى مع حقده الشعوبى على العرب — أن كلمة «ملك» وإن تسمى بها بعض سادة العرب قبل الإسلام لم تكن تعنى ما تعنيه كلمة «ملك» فى النظم التى ظلت قائمة وراء الحكم العربى الإسلامى من سلطان طبقى يكون فيه الرعايا عبيداً، ويكون الملك وبخاصة فى أوروبا حتى القــــرن الخامس عشر تجسيداً للإله، ومستمداً للسلطان والعصمة منه، فهو لا يخطىء، ولا يستشير، ولا يحاسب عما يفعل!..

عرف العرب بالاسم كلمة «ملك» بمفهوم ولاية الأمر، وتشبها بغير تشابه مع من جاورهم، فالملك العربى يملك بسلطان قومه المتساوين مع أنفسهم ومعه ولذلك فإن التاريخ الذى يجهله المؤلف المتعزل عنه يقص قصة الملوك العرب الذين لم يرتفعوا بسلطانهم عن المساواة إخوانهم، والذين لم يكونوا أكثر من «شيوخ قبائل، أقوياء وأبطال حرب»، والذين قتلهم إخوانهم لأقل الهفوات التى يخرجون بها عن العرف، أو تميل أنفسهم بها لحظة إلى الزهو، كما حدث للملك الكندى حجر بن الحارث بن عمرو وأبو امرىء القيس الذى قتله غلام من بنى أسد لما ظلمهم، وكما حدث للملك عمرو بن المنذر الكندى أيضاً والمشهور بعمرو بن هنـــد والذى قتله على نزوة التعالى عمرو بن كلثوم التغلبى وهو يرفع فى وجهه الشعار المقدس فى حياة العرب جميعاً:

إذا ما الملك سام الناس خسفا
أبينا أن نقر الخسف فينا

وكما حدث كذلك لكليب وائل الذي جعله قومه من معد ملكا عليهم بعد انتصاره على جموع اليمن في يوم خزازى ثم لم يلبث أن قتله أخو زوجته لمجرد نزوة أخرى من نزوات التعالي لا تصبر عليها طبيعة المساواة الراسخة في وجدان الإنسان العربي قديماً وحتى اليوم مع عزة الإسلام .

هذا المعنى من أن كلمة ملك لا تعني عند العرب أكثر من ولاية الأمر بإرادة قوم هذا الملك يقول أبو بكر رضي الله عنه في أول خلافته للمؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك » ، وهو يقصد بالتأكيد أمانة ولاية أمر المؤمنين ولا يقصد طاغوت كسرى أو قيصر أو فرعون ..

إذن فلو أن الأمويين من أبناء عم النبي ومن قريش كانوا في اتهام الشعوبية ملوكا ما كانوا قط ملوك طبقة معصومة بل ملوك أمانة على ولاية أمر المؤمنين بحسب ما يهدى إليه الإسلام إيمانا وشريعة ، ومع ذلك فمن قال إلا الكذبة أنهم كانوا ملوكا !!

ثانيا — يريد المؤلف أن يستفيد من البلبلة التي أثارتها الشعوبية حول مفهوم الحكومة الوراثية في الإسلام ورفع معهم شعار الملك العضوض ، ولو رجعنا بصفاء ذهن ودون تشنج إلى موضوع « توارث ولاية الأمر بين المسلمين » لوجدنا أن هذا التوارث « غير الملكي » و « غير الهرقلي » قد تقرر فعلا في السقيفة في مجمع الشورى الأول عقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال أبو بكر رضي الله عنه للأنصار : « فأما العرب فلن تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش . فنا الأمراء ومنكم الوزراء ، لا تفتاتون بمشورة ، ولا تقضى دونكم الأمور » .

فإذا كان المقصود بكلمة « النظام الملكي » التي يعيرتها الشعوبية تحت عنوان « الملك العضوض » أن معاوية جعل إمارة المؤمنين في ولده يزيد فإن فعلة معاوية على انحرافها لم تخرج بعيدا عن الجماعة المقررة بين المسلمين للولاية وهي قريش فيزيد من قريش ، وهو ابن عم الحسين وهما معا من بني عمومة الرسول ، ولقد حارب الحسين وعبدالله بن الزبير وغيرهما

من أبناء صحابة الرسول بقيادة يزيد جيوش الروم وانتصروا انتصارهم العظيم فى قيسارية ، ولكن الشعوبية الملحدة الحاقدة كانت تقفز دائما فتصنع الخلاف وتوجهه، كما تفعل اليوم !

فإذا قيل لقد احتج الخوارج على تأمير القرشيين بل على مجرد إفراد العرب دون الموالى بالولاية قلنا إن هذه واحدة من حماقات الخوارج : وأنهم جهلوا بقوانتهم هذه حكم الله فى تاريخ الوحى والنبوة والدين ، فقد جعل الله قيادة دينه الحق فى أمة بذاتها جمع أجيالها مقومات هذه القيادة فى المحسنين من ورثتها وذلك حيث قال : ( إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض) وحيث قال: (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) فهؤلاء القرشيون أهل البيت الذين أدركهم إيلاف الله هم دماغ التنظيم و « الكادر النبوى » الذى تكون فيه الولاية بالمشورة حتى ينتهى الأجل كما وقع بعد سبعة قرون ...

فإذا كان الأمويون قد استخلصوا لأنفسهم أمارة المؤمنين وهم أهلها ولكن بغير مشورة أو ببعضها دون البعض الآخر فهذا انحراف أولى بنا أن نحلل أسبابه التى ألمت بمجتمع المسلمين ، وإن ننظر فيما قدمه الأمويون من مبررات انحرافهم عن النهج ، وأن نزن ذلك بما قدموه من دفاع عن الأمة الإسلامية ضد أعدائها فى الداخل والخارج ، وأن يدينها البعض بعد ذلك ! وأن يؤيدها البعض الآخر ، وفى كل الأحوال فإن ما فعله معاوية رضى الله عنه لا يقوم مبررا قط لمن يجىء بوجه الشعوبية الحاقدة ، والاستشراق المتآمر ليرفع سيف أعداء الإسلام وأعداء الأمة العربية على تاريخ المسلمين لصالح الإلحاد القديم والإلحاد الحديث !

ثالثاً — إن أية قراءة أمينة للتاريخ الإسلامى ، وأى تحليل منهجى لأحداثه فى ضوء الإيمان لا على لهب الزندقة يكشفان بوضوح عن هذه المؤامرات الفارسية المتصلة التى تسللت وضخمت بكل ضراوتها لتشكيل الأحداث الأليمة والفتن والمآسى فى هذا التاريخ الجليل والإنسانى والخصب، وذلك منذ أول بزوغ الإسلام على أرض الجزيرة ، حيث صاحب هذا البزوغ من أول يوم ، تحريض الفرس

القبائل فى اليمن وشرقى الجزيرة على إنكار الدعوة ، ثم على الارتداد عنها ، حتى لقد صنعوا لأول مرة فى التاريخ نبية كاذبة هى سجاح بنت الحارث التى أوفدوها فى قوات عربية من العراق لتحرض على الردة بين قومها من بنى تميم ، ولتشغب على خليفة رسول الله .

ثم تمضى المؤامرات الشعوبية الحاقدة تطفح على سطح المجتمع المؤمن النشط المجاهد من ذلك القاع السفلى الذى يتوارى فيه ويخرج منه أولئك الزنادقة المتآمرون ، المتشبثون بالمزدكية والامبراطورية الكسروية معاً على أرض العرب ، فيقع اغتيال عمر بأيديهم ، ثم يقع اغتيال عثمان بتدبيرهم ، ثم يقع اغتيال على والحسين رضى الله عنهم جميعاً بما تخلق بأنفاسهم وغلظة قلوبهم من مناخ المؤامرات والعمل السرى وشهوة الهدم ومحاربة الله . . .

فإذا كان تسلسل الأحداث فى منطق التاريخ داخل تيار هذا الحقد الشعوبى الأسود يقضى بأن يستخلص معاوية له ثم لولده من بعده يزيد هذه الولاية للأمر على المسلمين لإنقاذ الأمة ، وحماية الدين ، وصيانة استقلال الأمة العربية على أرضها فيقطع بذلك مجرى هذا التيار الإلحادى الكسروى فى الداخل ، ويواجه بالجيوش الموحدة موجة ذلك الهجوم الاستعمارى البيزنطى من الخارج ، فمن ذا الذى يلومه اليوم إن كان ثمة رجل مؤمن قد استوعب تاريخ الإسلام ، أو رجل متحرر قد سما إلى غاية إنسان العصر ، أو مؤرخ أمين ليس ذيلا لأحد من المستشرقين !

ولكن الدكتور محمود إسماعيل لا يزال يحمل على ظهره دون سبب معقول خرج هذه البضاعة الاستشراقية والشعوبية المسمومة وهو ينادى عليها بحماسة داخل أسوار الجامعة . . . فهل له من لحظة روية وادكار ؟!

أحمد موسى سالم

# أبوابُ الرّحمة

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن الحارث بن سويد رحمه الله قال : حدثنا عبد الله بن مسعود حديثين : أحدهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآخر عن نفسه . قال : إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه . فقال : ـ هكذا ـ أى بيده فذبه عنه ، ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل ينزل فى أرض دوية مهلكة . معه راحلته ، عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله ، قال : أرجع إلى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده ، عليها زاده وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته . أخرجه البخارى .

لحكمة سامية خلق الله الإنسان على هيئته وطبيعته ، وأنه مستعد للخير والشر كما قال تعالى : « وهديناه النجدين » . ولكنه للشر أميل كما قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : « وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى » . والفاقهون لأسرار العربية يدركون كيف يفيد هذا الأسلوب قوة الحكم على ميل النفس إلى الشر والاندفاع إليه . وقد تعددت السبل المهيئة للخير والشر فى الإنسان .

ففى الإنسان : اللسان للقول ، والعينان للنظر واليدان للبطش ، والأذنان للسمع والقلب للفرح والحقد والغيظ ، والفكر للتدبير والتخطيط ، وإذا وضع فى الاعتبار قوة الاستعداد للشر تفاقم الخطر على النفس الإنسانية ولا سيما إذا ظاهر ذلك بواعث الإغراء والاندفاع كالشباب والمال والجاه ومهما جاهد الإنسان نفسه وقاوم هواه وشهوته ، فلابد أن تغلبه فيعصى ويجترم ، ومحال أن يخلص للخير وإلا خرج عن طبيعته كما قرر الإمام الغزالى حيث يقول : الذنوب

أعمال مشتهاه بالطبع . وحيث يقول : المتجرد للخير ملك مقرب عنـــد الملك الديان والمتجرد للشر شيطان ، والمتلاف للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان فقد ازدوج فى طبيعة الإنسان شائبتان واصطحب فيه سجيتان . وكل عبد مصحح نسبه إلى الملك أو إلى آدم أو إلى الشيطان ، والمصر على الطغيان مسجل على نفسه نسب الشيطـان . فأما تصحيح النسب إلى الملائكة بالتجرد لمحض الخير فخارج عن حيز الإمكان الخ . ولو ترك الإنسان لنفسه يسترسل فى شهواته ويستجيب لمغرياته لتراكمت ذنوبه ، وتعاظمت خطاياه وساءت عقباه . ولو أخذه الله بما كسب وعجل عقوبته بما عمل لمات مثقلا بذنوبه رهيناً بأعماله وحق عليه وعيد الله ، ولكن الله الرحمن الرحيم الرؤوف الودود الذى شمل برحمته عبده مذ كان جنيناً إلى أن بلغ كتابه أجله لم يشأ أن يقطع عنه فضله ومدده ففتح له من أبواب الرحمة ما ينقذه مما تورط فيه من خطايا وآثام ومعاص إذا شاء أن يطهر نفسه ويستعتب ربه ويستقبل آخرته آمنا مطمئنا راضيا مرضيا .

فتح له من أبواب الرحمة باب التوبة وجعلها ماحية لذنوبه مكفرة لخطاياه . والتوبة هى رجوع العبد عن طريق الضلال إلى طريق الرشاد وعما يسخط الله إلى ما يرضاه فى إخلاص وصدق ، وحقيقتها توجع وتندم على خطايا ماضيه وعزم فى صدق على التزام الطاعة فيما يستقبل من الأيام وإقلاع عما يخوض فيه فى الحال مع رد الحقوق إلى أربابها حسب الإمكان وعلى أن يبادر بالتوبة ولا يسوق فيه رجاء أن يطول عمره ويمتد أجله فما يدرى مايقعر له وما بقى من أجله . وقد قال تعالى فى وجوب المبادرة إلى التوبة : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما . وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما » .

وقد فتح الله باب التوبة واسعا ليدخل فيه من شاء من المؤمنين ، من أعلام رتبة إلى أدنام منزلة ما كان الإيمان فى قلوبهم كما قال تعالى : « وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

ودعا القرآن المؤمنين إلى دخول ذلك الباب واغتنام الخير منه كما دعت السنة والحت في الدعوة، ومما ورد في القرآن من ذلك قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار».

ومما جاء في السنة قوله صلى الله عليه وسلم: التائب من الذنب كمن لا ذنب له. وحسبنا من السنة هذان الحديثان اللذان صدرنا بهما هذه الكلمة، وهما مما ورد في الصحيح، وقد حويا من قوة تصوير الذنوب وخوف المؤمن منها واستهتار الفاجر بها ما تعجز عنه ألسنة البلغاء، فقد صور الحديث الأول ثقل الذنوب على المؤمن وتخوفه من خطرها وعاقبتها بجبل مشرف على الانهيار عليه وهو تحته وصور استهتار الفاجر الذي لا يخشى الله ولا يبالى عقابه بمر الذباب على أنفه لا يعبأ به ولا يهتم له وذلك من انطماس بصيرته واشتداد غفلته، وصور الحديث الثاني في أسلوب رائع وبلاغة تنقطع دونها الأعناق ـ رضا الله عن عبده التائب وسرعة تقبل توبته وإجزال الثواب له بأشد حالة من الرضا يمكن أن يتصورها الناس وهي حالة إنسان ضل بعيره وعليه طعامه وشرابه في صحراء واسعة دوية مهلكة، وجد في طلبه ليبلغ عليه غايته ويطعم مما حمله حتى رهقه الطلب بالجوع والعطش دون أمل في العثور عليه واستسلم لليأس فنام تحت شجرة ينتظر الموت حتى إذا استيقظ وجد راحلته عند رأسه عليها طعامه وشرابه، فما هو مقدار الفرح والرضا الذي يغمر قلب ذلك الواجد لضالته بعد طول حيرته ؟؟

ذلك هو المثل النبوي لرضا الله عن عبده المؤمن إذا تاب، وما أروعه من مثل!

إنه ليخجل العبد من ألا يستجيب لنداء الله إياه إلى التوبة، ولعلنا لا نبعد في التأويل إذا قلنا: إن فرح الله بتوبة العبد ورضاه بها عنه إنما كان لأن التوبة مظهر الخشية لله واعتراف بعبودية المخلوق لربوبية الخالق وفرح الله بتوبة العبد كناية عن رضاه عنه، والله يحب أن يعرف العبد مكانه من الرب. وقد فسر بعض العلماء قوله تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»، بقوله: إلا ليكونوا عبادي، والكلام في التوبة

واسع مستفيض وحسبنا منه ما ذكرنا.

الباب الثاني من أبواب الرحمة ، تكثير الحسنات وتضعيفها للعبد فضلا من الله وإحسانا ، وإذا كثرت الحسنات وتضاعفت رجحت السيئات وغلبتها وطمست على آثارها فلا يؤاخذ بها العبد قال تعالى: «إن الحسنات يذهبن السيئات» وفي تكثير الحسنات وتضعيفها يقول تعالى شأنه : «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون» وتضاعف الحسنات في الجهاد إلى أكثر من ذلك إلى سبعمائة ضعف كما قال تعالى : «مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء» ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه فله بكل درهم سبعمائة ألف» .

ويدخل في هذا الباب أن الله سبحانه يعتد بحسنات العبد إذا عزم عليها وإن لم يفعلها لعارض ولا كذلك السيئات فإنها لا تحتسب عليه ولا يؤاخذ بها إلا إذا عملها ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن ابن عباس: من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة .

ومن هذا الباب أن يغفر الله الذنوب الصغيرة باجتناب الذنوب الكبيرة كما قال تعالى : «الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة» .

ولعل من هذا الباب أن يغفر الله الذنوب بما ينزل من البلاء والمكاره .

فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا الا كفر بها من خطاياه) .

الباب الثالث من أبواب الرحمة ، أن الله يغفر الذنوب جميعا لمن شاء إلا الشرك كما قال تعالى: «إن الله لا يغفر أن يشرك

( البقية على ص ٦٠١ )

دراسات قرآنية :

# الأولياء والكرامة

للأستاذ مصطفى الطير

– ٢ –

« الا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ... » الآيات ٦٢ – ٦٤ من سورة يونس

« قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » الآية ٤٠ من سورة النمل

( البيـــان )

بينا فى المقال السابق أن الولى مأخوذ من الولاية بمعنى المحبة أو القرب أو النصر وأن الذى يستحق أن يوصف بولاية الله – على أى معنى من هذه المعانى – هو المؤمن التقى ، فإذا اكتمل هذا الوصفان الإيمان والتقوى فى عبد من عباد الله ، منحه الله وسام الولاية ، وأفاض على قلبه الطمأنينة والغبطة ، وبشره بسعادة الدنيا والآخرة ، بموجب هذه الوثيقة الإلهية التى تضمنتها تلك الآيات من سورة يونس ، وكان مسك الختام فيها قوله تعالى : « لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » الآية ٦٤ .

واعلم أن علماء التوحيد عرفوا الولى بأنه : هو العارف بالله وصفاته ، المواظب على الطاعات ، المجتنب للمعاصى – بقدر الطاقة – المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات المباحة ، ومنهم من قال فى تعريفه : هو من تولى الله أمره فلم يكله إلى نفسه ولا إلى غيره ، ومنهم من عرفه بأنه : من تولى عبادة الله وطاعته ، فعبادته تجرى على التوالى من غير أن يتخللها عصيان ، وهى فى الحقيقة تعريفات متلازمة لابد من تحقق مفهوماتها ومضامينها حتى يغلب على ظننا أن الذى نراه ملتزما لها ، يكون وليا فى واقع الأمر وحقيقته ، ومن كان كذلك يجوز

أن يكرمه الله بأمر خارق للعادة يجريه على يديه ، ويسمى كرامة .

( كرامة الولى )

ذهب جمهور أهل السنة إلى جواز وقوع الكرامات من الأولياء ، وأنها وقعت بالفعل ، وعرفوا الكرامة بأنها أمر خارق للعادة ، غير مقرون بدعوى النبوة ، ولا هو مقدمة لها يظهره الله على يد عبد ظاهر الصلاح ، ملتزم بمتابعة نبي كلف بشريعة مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح ، علم بها أو لم يعلم .

وبهذا ظهر الفرق بين المعجزة والكرامة فإن الأمر الخارق للعادة من الرجل الصالح لا يعتبر معجزة إلا إذا اقترن بدعوى النبوة ، فإن لم يقترن بدعواها فهو الكرامة .

وإذا ظهر الأمر الخارق قبل النبوة فهو إرهاص لها وبشارة بها ، مادام صاحبه صالحا على درجة عالية من الاستقامة ومكارم الأخلاق .

فإن ظهر الأمر الخارق على يد من لم يعرف بالصلاح والتقوى من العوام الذين لا هدف لهم ، فهذا الأمر يسمى معونة ، أجراها الله على يد بعض الخاملين الضعفاء من عباده ، ليوجه إليهم قلوب الخيرين الكرماء من عباده ، فيعينوهم بكرمهم على مشقة العيش .

فإن ظهر على يد من لم يتابع نبيا ، فإن جاء حسب طلبه فهو استدراج ، وإن خالف طلبه سمى إهانة ، كما حدث لمسيلمة الكذاب . فقد بصق في بئر قليلة الماء ، ليحقق أمنية قومه بنى حنيفة في زيادة مائها ، فكان أثر بصقه فيها ذهاب مائها على عكس ما أمل قومه وإن جاء بتعاويذ ورقى يستخدم فيها الجن فهو السحر ، والاشتغال به حرام وأبلغه بعض الفقهاء إلى درجة الكفر ، أخذا من ظاهر قوله تعالى : « وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر[1] » .

واحتج جمهور أهل السنة على جواز حدوث الكرامة عقلا ، بأنها أمر ممكن الوقوع ، وكل ما كان كذلك فهو صالح لتحقيقه بقدرة الله تعالى ، ودليل إمكانه أنه لا يلزم من فرض وقوعه محال ، واحتجوا على وقوع الكرامات من

---

(١) راجع ما كتبناه عن السحر ورأى العلماء فيه ؛ وعن سحر هاروت وماروت في كتابنا ( هادى الأرواح ) .

الأولياء ، بما جاء فى القرآن الكريم من قصة مريم وولادتها عيسى دون أب ، وقصة أصحاب الكهف ، ولبثهم سنين بلا طعام ولا شراب ، وإحضار عرش بلقيس من اليمن إلى الشام قبل ارتداد طرف سليمان إليه ، وما وقع من كرامات الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

ومن أهل السنة من نفاها ، كأبى إسحاق الإسفراينى وأبى عبـــد الله الحليمى[1] ، كما نفاها جمهور المعتزلة[2] ، وتمسكوا بأنه لو ظهرت الخوارق من الأولياء ، لالتبس النبى بغيره ، ولأنها لو ظهرت لكثرت بكثرة الأولياء ، ولخرجت بذلك عن كونها أمراً خارقاً للعادة ، وذلك خلاف الغرض المقصود

وأجاب القائلون بها ، بأن الفرق حاصل بين المعجزة والكرامة ، باعتبار دعوى النبوة والتحدى فى المعجزة دون الكرامة ، وبأن تكرار ظهورها لا ينفى

(١) اعتذر العلامة (الأمير) عمن أنكروا وقوع الكرامة بأنهم قصدوا إغلاق الباب فى وجوه الدجالين وسد الذرائع .

(٢) ممن قال بجواز وقوعها من المعتزلة أبو الحسين البصرى .

كونها أمراً خارقاً للعادة ، لأن غايته استمرار خرق العادة ونقضها ، فتكرار ظهورها لا يقتضى تحولها إلى أمر عادى .

## ( الإمام النووى يقول )

يقول الإمام النووى فى كتابه ( بستان العارفين ) ، اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء ، وأنها واقعة وموجودة مستمرة فى الأعصار ، ويدل عليه دلائل العقول وصرائح النقول .

أما دلائل العقل فهى أمر يمكن حدوثه ولا يؤدى وقوعه إلى رفع أصل من أصول الدين ، فيجب وصف الله تعالى بالقدرة عليه ، وما كان مقدوراً كان جائز الوقوع .

وأما النقول فآيات فى القرآن وأحاديث مستفيضة ، أما الآيات فقوله تعالى فى قصة مريم : « وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » قال إمام الحرمين : ولم تكن مريم نبية بإجماع العلماء ، بل كانت ولية وصديقة كما أخبر الله عنها .

وقوله تعالى : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله » ومن

ذلك قصة صاحب سليمان عليه السلام حيث قال « أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » قال العلماء : ولم يكن نبيا ، ومن ذلك ما استدل به إمام الحرمين وغيره من قصة أم موسى ، وما استدل به أبو القاسم القشيري من قصة ذى القرنين وما استدل به القشيري وغيره من قصة الخضر مع موسى عليه السلام - قالوا ولم يكن الخضر نبياً بل كان ولياً[1] .

ومن ذلك قصة أهـــل الكهف وما اشتملت عليه من خوارق العادات ، قال إمام الحرمين وغيره : لم يكونوا أنبياء بالاجماع .

وأما الأحاديث فكثيرة ، منهـــا ما أخرجه البخاري عن أنس ( أن رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة ، ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما ، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله ) وهذا الرجلان هما عباد بن بشر وأسيد بن حضير[1] ومنها حديث أصحاب الغار الثلاثة ، الذين أووا إلى الغار ، فرفعت من الجبل صخرة سدت باب الغار عليهم فدعا كل واحد منهم بدعوة ، فانفرجت عنهم الصخرة ، وحديث أصحاب الغار مخرج في صحيحي البخاري ومسلم .

ومنها حديث أبي هريرة رضى الله عنه في قصة جريج ( أنه قال للصبي الرضيع من أبوك ؟ قال: فلان الراعي ) وهو مخرج في الصحيح .

ومنها حديث أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون ، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر » رواه البخاري في صحيحه .

ومنها الحديث المشهور في صحيح البخاري وغيره في قصة خبيب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان أسيرا عند بعض المشركين ، واسمه الحرث ، فقالت فيه ابنة الحرث

---

(١) قال الإمام النووي وهذا خلاف المختار ، والذى عليه الأكثرون أنه كان نبياً وقيل كان نبيا رسولا ؛ وقيل ملكا . وقد أوضحت الخلاف فيه وشرحه في تهذيب الأسماء واللغات وفى شرح المهذب : أ هـ

(١) انظره في كتابي الصلاة وعلامات النبوة في البخاري .

المذكور (والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب ، والله لقد وجدته يوما يأكل من قطف عنب فى يده ، وإنه لموثق فى الحديد ، وما بمكة من ثمر) وكانت تقول : (إنه لرزق الله رزقه خبيبا) والأحاديث والآثار وأقوال السلف كثيرة فى هذا الباب ويكفى ما تقدم .

(آراء لبعض علماء السلف)

يقول بعض من يثبت الكرامة إن شرطها أن تجرى من غير إيثار واختيار من الولى ومن العلماء من يجيزون وقوع الكرامة حسب اختيار الولى ، ولكنهم منعوا أن تكون وسيلة لإثبات دعوى الولاية ، فرقا بين المعجزة والكرامة .

ومنهم من قال : ما وقع معجزة لنبى لا يجوز وقوعه كرامة لولى ، فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحر ، وتنقلب العصا ثعبانا ، وإمام الحرمين لا يرى مانعا من كل ما ذكر .

ويقول الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله : المعجزات دلالات الصدق فإن ادعى صاحبها النبوة دلت على صدقه ، وإن أشار صاحبها إلى الولاية ، دلت على صدقه فى حالته ، فتسمى كرامة ولا تسمى معجزة وإن كانت من جنس المعجزات : لأجل التفرقة بين ما للنبى وما للولى .

وكان رحمه الله يقول : من الفرق بين المعجزة والكرامة أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، مأمورون بإظهار المعجزة ، أما الأولياء فيجب عليهم سترها وإخفاؤها ، والنبى يدعى النبوة ويقطع القول بها ، ويؤيدها بالمعجزة ، والولى لا يدعى ولا يقطع بكرامة ، لجواز أن يكون ذلك مكراً .

وقال القاضى أبو بكر الباقلانى رضى الله عنه : المعجزات تختص بالأنبياء والكرامات تظهر للأولياء . ولا تكون للأولياء معجزة ، لأن من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوة بها والمعجزة لم تكن معجزة لعينها ، وإنما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة ، فمتى اختل شرط من تلك الشروط لا تكون معجزة وأحد هذه الشروط دعوى النبوة ، والولى لا يدعى النبوة ، فالذى يظهر على يده لا يكون معجزة .

قال القشيرى : وهذا الذى قاله ، هو الذى نعتمده وندين به ، فشرائط المعجزة

كلها أو أكثرها توجد فى الكرامة ، إلا هذا الشرط الواحد ، فالكرامة فعل لاعالة ، وهو ناقض للعادة وتحصل فى زمن التكليف على عبد تخصيصاله وتفضيلا وقد تحصل اختيارية ودعائية ، وقد لاتحصل ، وقد تكون بغير اختيار فى غالب الأوقات ، ولم يؤمر الولى بدعاء الخلق إلى نفسه ولو ظهر شىء من ذلك عن يكون أهلا له لجاز .

واختلف أهل الحق : هل يجوز أن يعلم الولى أنه ولى أم لا ؟ فالإمام أبو بكر ابن فورك يقول : لايجوز ؛ لأنه يسلبه الخوف ويوجب له الأمن ، وكان الأستاذ أبو على الدقاق يقول بجوازه ، وليس ذلك واجبا فى جميع الأولياء ، فنهم من يعلم أنه ولى فتكون معرفته هذه كرامة له انفرد بها ، وليست كل كرامة لولى يجب أن تكون تلك بعينها ، بل لا يلزم ظهور كرامة للولى حتى تعرف ولايته ، فحسبه فى ولايته عند الله أن يكون مؤمنا تقيا بخلاف النبى فإنه يجب أن تكون له معجزات حتى يعلم الناس صدقه فيؤمنوا به ، وحال الولى بعكس ذلك ، لأنه ليس بواجب على الخلق ولا على الولى العلم بأنه ولى ، فهؤلاء العشرة المبشرون بالجنة من الصحابة ، لم تظهر على أيديهم كرامة يعرفون بها ولايتهم ، ومع ذلك فهم من خيرة الأولياء ، ولذا بشرهم الرسول بالجنة .

## ( أنواع الكرامة )

قد تكون الكرامة إجابة دعوة ، وقد تكون إظهار طعام أو شراب من غير سبب ظاهر ، أو تسهيل قطع مسافة طويلة فى مدة قريبة ، أو تخليص من عدو ، أو سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الأفعال المناقضة للعادة ، هكذا قال الإمام القشيرى ، ثم قال : إن كثيراً من المقدورات يعلم اليوم قطعا أنها لايجوز أن تقع اليوم كرامة للأولياء ، وبالضرورة أو شبه الضرورة يعلم ذلك ، فنها حصول إنسان من غير أبوين ، وقلب جماد بهيمة وأمثال هذا كثير .

ومع أن الإمام أبا إسحاق الإسفرايني من كبار أهل السنة ، فإنه كان يقول : المعجزات دلالات صدق الأنبياء ، ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبى ، وكان يقول : الأولياء لهم كرامات ليست من جنس

المعجزات ، أى ليست من خوارق العادات ، وذكر منها إجابة الدعاء .

(أمثلة واقعية للكرامة)

فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم أمثلة كثيرة للكرامات ، وقد مر بك أن فيها محدثين - وهم الذين يحدثهم الله بالغيوب إلهاماً أو بواسطة الملك - وأن من هؤلاء المحدثين عمر بن الخطاب ، وقصته مع القائد (سارية) معروفة ، فقد كان عمر يخطب على المنبر بالمدينة ، وكان سارية هذا قائداً لفرقة من المسلمين تقاتل أعداء الإسلام فى أرض بعيدة ، وكان وشيك الوقوع فى خطر لا ينقذه منه إلا أن يلوذ بالجبل ، فكشف الله الأستار المادية ومكن عمر من مشاهدة سارية وجيشه وما هم فيه من حرج ، فنادى قائلا : ياسارية الجبل الجبل ، ثم واصل خطبته ، فلما عاد سارية مظفراً منصوراً ، حدث المسلمين بما كان فيه من حرج ، وأنه سمع عمر بن الخطاب يناديه ويطلب إليه اللياذ بالجبل ، فعرف صوته ، ولبى نداءه وأحرز النصر بسبب ذلك ، وهنا أدرك من سمع الخطبة سر نداء عمر وهو على المنبر : - يا سارية الجبل - .

كما عرفت من الحديث الصحيح السابق أن بعض الصحابة كان ينبعث النور أمامهما من مصابيح لا يعرفون من أين أتت ، وأن خبيباً وهو أسير مقيد بمكة ، كان يأتيه العنب من ظهر الغيب ، وقد شهدت بذلك ابنة آسره ، فقد كان يأكله أمامها من قطف بيده ، وما بمكة شىء من ذلك .

(أبو مسلم الخولانى)

أبو مسلم : كنية تابعى من اليمن من قبيلة خولان ، اسمه عبد الله بن ثوب - ويقال ابن ثواب - وكان قد آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم - لما بلغته دعوته وهو باليمن - ولما ادعى الأسود بن قيس العنسى النبوة باليمن ، قال لأبى مسلم الخولانى : أتشهد أنى رسول الله ؟ قال لا أسمع ، قال أتشهد أن محمداً رسول الله قال : نعم ، فردد ذلك عليه ، فأمر بنار عظيمة ، فألقى فيها أبو مسلم فلم ، تضره ، فقيل للأسود : أنفه عنك ، وإلا أفسد عليك من تبعك ، فأمره بالرحيل ، فأتى أبو مسلم المدينة - وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم - واستخلف أبو بكر رضى الله عنه ، فأناخ أبو مسلم راحلته

بباب المسجد ، فقام يصلى إلى سارية ، فبصر به عمر فقام إليه فقال: من الرجل؟ فقال من أهل اليمن ، قال فلعلك الذى حرقه الكذاب بالنار ، قال ذلك عبد الله ابن ثوب ، قال : أنشدك الله أنت هو ؟ قال: اللهم نعم ، فاعتنقه ثم بكى ، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين أبى بكر ، فقال: الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى فى أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن .

وروى الإمام أحمد بن حنبـــل فى كتاب الزهد (أن أبا مسلم الخولانى مر بدجلة وهى ترمى الخشب من مرها ، فمشى على الماء ، ثم التفت إلى أصحابه ، فقال : هل تفقدون من متاعكم شيئاً فندعوا الله عز وجل) ورواه من طريق آخر وفيه (أنه وقف على دجلة ، ثم حمد الله تعالى وأثنى عليه ثم ذكر آلاءه ونعماءه ، وذكر سير بنى إسرائيل فى البحر ؛ ثم نهر دابته فانطلقت تخوض فى دجلة ؛ واتبعها الناس حتى قطعها الناس ) وله كرامات عديدة غير هذه وثيقة الأسانيد ؛ وحسبنا من نماذج الكرامات ما ذكرنا .

(رأى الإمام محمد عبده)

عقد الإمام محمد عبده فصلا فى آخر (رسالة التوحيد) تكلم فيه على كرامات الأولياء ، وذكر آراء العلماء فى هذه المسألة - ما بين مثبت ومنكر - وناقش أدلة كل فريق ، ثم قال: ( وأما مجـــرد الجواز العقلى ، وأن صدور خارق للعادة على يد غير نبى مما تتناوله القدرة الإلهية ، فلا أظن أنه موضع نزاع يختلف فيه العقلاء ، وإنما الذى يجب الالتفات إليه ، هو أن أهل السنة وغيرهم فى اتفاق على أنه لا يجب الاعتقاد بوقوع كرامة معينة على يد ولى لله معين بعد ظهور الإسلام ، فيجوز لكل مسلم بإجماع الأمة أن ينكر صدور أى كرامة كانت من أى ولى كان ولا يكون بإنكار هذا مخالفاً لشىء من أصول الدين ، ولا مائلا عن سنة صحيحة ، ولا منحرفا عن الصراط المستقيم ، اللهم إلا أن يكون مما صح فى السنة عن الصحابة ) .

ومن هذا الكلام نفهم أن الإمام محمد عبده يرى أن الكرامة جائزة عقلا ، ولكنها ليست واجبة الحدوث لكل ولى ، وأن التصديق بأن الولى الفلانى صاحب كرامات معينة ليس أصلا من أصول

الدين ، فمن لم يصدقها فإن ذلك لا يخدش إيمانه ؛ والذى يجب التصديق به من الكرامات هو ما ورد فى السنة الصحيحة عن أصحاب رسول الله .

وكلامه هذا لا يمنع من عرف الكرامة فى ولى أن يصدق بها وبولايته ؛ لأنها من الأمور الجائزة عقلا وشرعا على الله تعالى ؛ فهى داخلة فى قوله تعالى : (والله على كل شىء قدير ) والذى حمل الإمام محمد عبده على أن يقول ما قال هو الاحتياط فى أمر الدين ؛ ولذا قال عقب الكلام الذى رويناه عنه (أين هذا الأصل المجمع عليه مما يهذى به جمهور المسلمين فى هذه الأيام ، حيث يظنون أن الكرامات وخوارق العادات أصبحت من ضروريات الصناعات يتنافس فيها الأولياء ؛ وتتفاخر فيها همم الأصفياء ؛ وهو مما يتبرأ منه الله ودينه وأولياؤه ؛ وأهل العلم أجمعون).

فاحرص على هذا الكلام النفيس واستفد به ؛ ولا تصف أحداً بالولاية إلا إذا تيقنت أنه كما قال الله : « الذين آمنوا وكانوا يتقون ، ولا تصف أمراً خارقا بأنه كرامة إلا إذا صدر عن مؤمن تقى ؛ فالخوارق قد يأتى بها السحرة والمستدرجون وغيرهم ولا تقتصر على المتقين ؛ كما سبق بيانه فى أوائل هذا المقال ؛ تحت عنوان (كرامة الولى ) وأسأل الله لى ولك التوفيق ؟

مصطفى محمد الطير

---

( بقية المنشور على صفحة ٥٩٢ )

به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، هذه أبواب الرحمة فتحها الله للمذنبين من عباده ، وفيها رجاء للعفو والمغفرة إذا لازمها الخوف والخشية ، فالعبد لا يلجأ إلى هذه الأبواب إلا بدافع الخوف من ذنوبه ، وبهذا الجانب جعلها الله مفضية إلى غاياتها فلا يغترن العبد بجانب الرجاء فيرضى لنفسه العنان ولكن عليه أن يلجمها بلجام الخوف :

وراعها وهى فى الأعمال سائمة
وإن هى استحلت المرعى فلا تسم
واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت
من المحارم والزم حمية النــدم

أبو الوفا المراغى

من هدى السنة:

# فضل الصوم والصائمين

للدكتور محمد محمد أبو شهبة

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما بسنديهما عن أبى صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله - عز وجل - كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لى وأنا أجزى به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد، أو قاتله فليقل: إنى امرؤ صائم، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه».

تخريج الحديث: روى هذا الحديث بهذا اللفظ البخارى فى صحيحه - كتاب الصوم - باب هل يقول: إنى صائم إذا شتم، وروى نحوه فى باب فضل الصائم وفى كتاب التوحيد - باب رواية النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن ربه.

ورواه مسلم فى كتاب الصيام - باب فضل الصيام، ورواه بنحو من هذا فى هذا الباب أيضاً من طرق عدة، وبأسانيد متعددة، وكذلك رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن.

(الشرح والبيان)

«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله - عز وجل -».

هذا من الأحاديث القدسية التى رواها النبى صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل، وهو يدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتلقى عن الله تعالى وحى السنة، كما يتلقى وحى القرآن الكريم

وللعلماء المحدثين فى رواية الأحاديث القدسية طريقان (١) أن يقال، «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى، كما هنا، أو فيما يرويه عن ربه قال» (٢) أو أن يقال قال الله تعالى فيما يرويه عنه رسوله وقد تضمن هذا الحديث القدسى بعض

فضائل الصوم ، والصائمين ومنزلهم عند الله تبارك وتعالى :

« كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به » .

فرواية البخارى فى باب فضل الصوم ، بزيادة « والحسنة بعشر أمثالها » وفى بعض روايات الإمام مسلم من طريق الأعمش ، عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه بلفظ « كل عمل ابن آدم يضاعف ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله عز وجل : إلا الصوم ، وفى بعض الروايات « الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلى ما شاء الله ، قال الله : « إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » .

وقد اختلف العلماء فى المراد من قوله تعالى : « إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به » وذلك لأن الأعمال كلها لله ، وهو الذى يجزى بها ، وقد ذكروا فى ذلك ما يزيد عن عشرة أوجه فى الجواب .

وأحسن ما يقال فى هذا أن الله خص الصوم لأنه من العبادات التركية التى لا يدخل فيها الرياء ، والمعول فيها على الإخلاص والمراقبة لله ، ألا ترى لو أن أحدا أكل أو شرب متخفيا عن أعين الناس ، ثم ظهر أمام الناس صائما كغيره فهل يدرك ذلك أحد من الناس ؟ فهو من العبادات التى تعتبر سرا بين العبد ، وبين ربه ، وأيضا فلكونه بهذه المنزلة من العبادات فالله يجازى عليه جزاء لا يقدره قدره ولا يعلم غايته إلا الله تبارك وتعالى ، فالحسنات الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، إلا الصيام فإنه لا يعلم مدى المضاعفة فيه إلا الله ؛ ويشهد لهذا ما ورد فى بعض الروايات عند سمويه « إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لا يدرى أحد ما فيه » ويشهد له أيضا ما رواه ابن وهب فى جامعه مرسلا ورواه الطبرانى ، والبيهقى فى الشعب عن ابن عمر مرفوعا من حديث « الأعمال عند الله سبع » وفى هذا الحديث « وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله ثم قال : وأما العمل الذى لا يعلم ثواب عامله إلا الله فالصيام »(١) هذا إلى ما فى إضافة هذه العبادة إلى الله من التشريف للعبادة ، والتشريف للصائمين ، وعلى

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٤ ص ٨٦ - ٨٧ .

هذا يكون معنى قوله تعالى : « وأنا أجزى به » أى أثيب عليه ثوابا لا يعلم كنهه ، ومقداره إلا الله .

« والصيام جنة » .

جنة - بضم الجيم وتشديد النون المفتوحة - أى ستر ووقاية ، ومادة « جن » وما تصرف منها ، تدور على معنى الاستتار والاستخفاء ، ومنه الجن لاستتارهم عن الأعين ومنه « المجن » الذى يلبسه المحارب لأنه يقيه ويستره من سهام الأعداء وسيوفهم ؛ ومنه الجنة ؛ لأنها تستر من فيها بأشجارها وظلالها .

والصوم ستر ووقاية من النار ، ووقاية من الشهوات ، والوقوع فى المحرمات ، ووقاية النفوس من مساوئ الأخلاق كالشح ، وقسوة القلب ، وعدم الرحمة بالخلق ، ووقاية للمجتمعات من الفقر وسوء الأخلاق والمذاهب الفاسدة الباطلة ؛ فإن الصائم الحقيقى إذا صام كما أراد الله وأراد رسول الله فإنه ولا شك يصبح إنسانا قوى العزيمة ، صلب الإرادة فلا يصير أسير شهواته ، ولا عبد أهوائه عطوفا على الناس ، محبا للفقراء والمحتاجين عف اللسان ، عف الجوارح ، نموذجا للكمال الخلقى الإسلامى وإن الصوم ليربى فى المسلم ملكة المراقبة لله ؛ ويقظة الضمير وما أشد حاجة الأمم والشعوب إلى ملكة المراقبة لله : وإلى الضمير الحى ؛ فإنهما من من أسباب الاستقامة ؛ والصلاح الدنيوى والأخروى .

« فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب » .

وفى رواية البخارى : « فلا يرفث ولا يجهل » .

« يرفث » بضم الفاء وكسرها ، ويجوز فى ماضيه الفتح ، والضم ، والكسر ، والرفث - بفتح الراء ، والفاء - يطلق ويراد به مباشرة الزوجة ومنه قوله تعالى : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم »[1] . ويطلق ويراد منه مقدمات المباشرة ، ويطلق ويراد منه ذكر ما يتعلق بذلك ولا سيما أمام النساء ومنه قوله تعالى : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » ، ويطلق ويراد منه الكلام الفاحش ، والعبارات البذيئة ، وهذا هو المراد هنا ، فالمراد النهى عن الفحش فى الكلام والتفوه بالألفاظ

(١) البقرة آية ١٨٧ .

الثانية ، وأما المباشرة التامة للزوجة فهى مفسدة للصوم وموجبة للقضاء والكفارة وأما مقدمات المباشرة أو المباشرة للزوجة غير التامة فقد تؤدى إلى إفساد الصوم ، لأن القبلة ، أو المعانقة ، أو المضاجعة قد تؤدى إلى الإنزال وهو موجب للقضاء عند الحنفية ، والشافعية ، والحنابلة ، وموجب القضاء والكفارة عند الإمام مالك وآخرين ، فالأولى عدم ذلك وخاصة لمن لا يأمن على نفسه الوقوع فى المفسد للصوم كالشاب مثلا ، ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها فى الحديث الذى روى عنها فى الصحيح من جواز القبلة ، والمباشرة غير التامة : « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أملككم لإربه ، أى لنفسه ، وأما الإمذاء »[1] بسبب القبلة ونحوها فالجمهور على أنها لا تفطر ، وبعض العلماء يقول : إنها تفطر وعليه القضاء فحسب .

« يصخب » روى بالصاد والخاء المفتوحة ، وروى بالسين ، والخاء أيضا ، وهما لغتان صحيحتان ووردت بهما الرواية ولكن الأكثر هو الأول والصخب : الخصام والصياح ، ورفع الصوت بما لا ينبغى ، وهو بمعنى الرواية الأخرى « ولا يجهل » أى لا يفعل فعل أهل الجهل والسفه ، والرفث ، والصخب والجهل ممنوعات فى غير الصوم لكنهما فى الصوم أشـــد حرمة ، وآكد فى المنع .

ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم المنهج الذى يتبعه الصائم إذا ما أثير بسباب أو فحش ، أو مخاصمة ، ومضاربة فقال : « فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل : إنى امرؤ صائم » .

فى رواية للبخارى : « وإن امرؤ قاتله أو شاتمه » ، بتقديم القتال على الشتم ، والشتم ، والسب ، بمعنى واحد ، و « أو » للتنويع لا للشك ، والتقديم والتأخير فى مثل هذا أمر سهل لأنه يدخل فى باب الرواية بالمعنى ، ولا سيما أن التقديم والتأخير لا يترتب عليه أى إخلال

---

(١) المذى ماء رقيق يخرج من غير دفق وشهوة بعد المداعبة مثلا ، وأما « المنى » فهو ما يخرج من الرجل بدفق وشهوة ، وفيه غلظ وثخونة ، وحكم المرأة فى ذلك حكم الرجل فليتنبه إلى ذلك ، والمذى فى غير الصوم موجب للوضوء لا الغسل ، وأما الإمناء فموجب للغسل .

بالمعنى ، وإن كنت أرجح الرواية التي معنا في هذا الحديث : « فإن سابه أحد أو قاتله » ، لأن فيها ترقيا من الأدنى إلى الأعلى وهو المناسب لكلام أبلغ البلغاء صلى الله عليه وسلم ، وفي بعض الروايات في غير الصحيحين : « فإن سابه أحد ، أو ماراه » ، أي جادله .

والمراد « بالمقاتلة » الهم بالمضاربة والمشاجرة ، أما إن أراد قتله بالفعل فعليه أن يدفعه بالحسنى ، أو بقوله : إني صائم فإن لم يفد فواجب عليه أن يدافع عن نفسه ، وفي الحديث الشريف « من قتل دون نفسه فهو شهيد » والدفاع عن النفس ضد الصائل أمر مشروع مقرر في الشريعة الإسلامية الغراء ، والمراد بالمسابة والمقاتلة الفعل من جانب واحد ، وكثيراً ما تأتي المفاعلة على غير بابها مثل قول العرب : تراءينا الهلال ، وعافاه الله ، وعاقبت اللص .

« فليقل : إني امرؤ صائم » .

وفي رواية للبخاري « فليقل إني صائم مرتين » وقد اتفقت الروايات في الصحيحين وغيرهما على قوله : « إني صائم » إلا أن بعض الروايات اقتصرت على ذكر ذلك مرة ، وفي بعضها ذكر « مرتين » والمراد أن يكرر قوله : « إني صائم » وذلك لتأكيد المسالمة ، وأنه لا يرد الجهل بالجهل ، ولا السفه والسباب بالسفه والسباب ، فانظر كيف يصير الصوم من الصائم رجلا مسالما ، عفوا ، لا يقابل السيئة بالسيئة ، ولكن يدفع بالتي هي أحسن .

وأيقول : « إني صائم » بقلبه أم يقولها بلسانه ؟ ذهب إلى كل بعض من العلماء ، والقول باللسان حسن ، ولو جمع بين القول بالقلب ، والقول باللسان يكون أجمل وأحسن ، والمراد بالقول بالقلب الإذعان على عدم الرد ، ثم يؤكد ذلك بالقول باللسان ، فيتواطأ على عدم مقابلة السباب بالسباب القلب واللسان ، وهذا غاية الخلق الكريم أن يكون الخلق الظاهري ، منبعثا عن خلق نفسي أصيل « والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

هذا قسم من النبي صلى الله عليه وسلم لتأكيد المحلوف عليه وتوكيده في نفس السامع « الخلوف » بضم الخاء واللام ، وهذا ما عليه جمهور علماء اللغة والحديث

وأجاز بعض اللغويين والمحدثين « فتح الخاء » فيكون فيه لغتان ، يقال : خلف - بفتح الخاء واللام -فوه ، يخلف-بضم اللام فى المضارع - وأخلف - بالهمز - يخلف إذا تغير ، والخلوف : تغير رائحة فم الصائم بسبب الصوم .

والمراد بكونه أطيب عند الله من ريح المسك مع أنه سبحانه وتعالى منزه عن استطابة الروائح ؛ إذ ذاك من صفات الحيوان الذى له طبائع تميل إلى شىء فتستطيبه ، وتنفر من شىء فتستقذره - هو رضاه سبحانه وتعالى عن صاحبه وإجزال الثواب له ، ورفع درجاته يوم القيامة ، فالكلام من قبيل المجاز، وهو باب واسع فى اللغة العربية وقيل إن ذلك سيكون جزاءه وسمته فى الآخرة أن يأتى على هذه الحالة وهى النكهة الطيبة ، كما يأتى المجروح فى سبيل الله يوم القيامة جرحه يشخب دما ، اللون لون الدم والريح ريح المسك .

وقيل : إن ذلك بحسب الملائكة وأنهم يستطيبون خلوف فم الصائم أكثر مما يستطيبون ريح المسك ، وفى ذلك من تكريم الصائمين مافيه ، وقد استدل بهذا الجزء من الحديث بعض العلماء على أن السواك يكره للصائم لأن فى الاستياك إزالة الرائحة ، والحق أن الحديث لا يدل على هذا ، وهذا الاستدلال يعارضه ما ثبت فى الأحاديث الصحيحة من أنه صلى الله عليه وسلم كان يستاك وهو صائم وقد ترجم الإمام البخارى فى صحيحه فى كتاب الصيام فقال : « باب السواك الرطب واليابس للصائم » ثم روى تعليقا فقال : ويذكر عن عامر بن ربيعة قال : « رأيت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يستاك وهو صائم مالا أحصى أو أعد » وهذا الحديث المعلق قد رواه موصولا الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى من طريق عاصم بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه ، وأخرجه ابن خزيمة فى صحيحه ، وقد ساق الإمام البخارى أحاديث أخرى تفيد بعمومها شرعية السواك للصائم[1] والذى أرجحه هو جواز الاستياك للصائم وسنيته ، ولاسيما أن هذه الرائحة التى تنبعث من فم الصائم لا يكون منبعها غالباً ما بين الأسنان من

---

(١) فتح البارى جـ ٤ ص ١٢٧

فضلات ، وإنما منبعها خلو البطن من الطعام ، وجفاف الريق بسبب عدم الشراب وهذا ربما يحصل للجائع والعطشان في غير الصوم ، وأيضاً فالحديث مساق لبيان فضل الصائمين عند الله حتى ولو لم تنبعث من أفواههم رائحة كريهة فالحديث كما قال جمهور العلماء سيق مساق التمثيل والمجاز .

والصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره ، يفرحهما أى يفرح بهما لحذف حرف الجر ، ووصل الضمير .

ثم بين الله تبارك وتعالى أن للصائم فرحتين : إحداهما فى الدنيا ، والأخرى فى الآخرة ، الأولى فرحه عند فطره ، وذلك بزوال جوعه وعطشه حيث أبيح له الفطر ، وهذا الفرح فطرى طبعى ، وأيضاً فالصائم عند الغروب يفرح لتوفيق الله له بإتمام عبادته وصومه ، وخلوه من المفسدات والمبطلات ، ووقوعه على ما أراد الله ورسوله فلا رفث ، ولا صخب ، ولا فحش ولا هجر فى القول ، وهذه من الأمور الوجدانية التى يشعر بها معظم الصائمين عند الغروب من رضى قلبى ، وراحة نفسية ، وشعور بأداء الفرض الذى فرضه الله عليه ، وعند الصباح يحمد القوم السرى[1] مهما كان فى هذا السرى من تعب ومشقة وعدم نوم .

والثانية : فرحه عند لقاء ربه تبارك وتعالى وذلك لما يجده من ثواب عظيم ، وفضل كبير قد أعده الله له ، مما لا يخطر له على بال ، وأيضاً فالصائم يسر بلقاء ربه لأنه لقاء يجد فيه كل ألوان التكريم ، ويجد فيه الرضوان الأكبر وصدق الله حيث يقول فى الحديث القدسى الذى رواه عنه نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه ، ثم قرأ : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » نسأل الله سبحانه أن يرزقنا وإخواننا المسلمين هذا النعيم المقيم ، وأن يتقبل منا صيامنا وقيامنا فى هذا الشهر الكريم ؟

د. محمد محمد أبو شهبة

(١) المشى فى السفر ليلا .

# دعائم النصر في يوم بدر

للأستاذ عبد الغني أحمد ناجي

---

«هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها» عبارة قالها محمد عليه الصلاة والسلام لجنده يوم بدر، حينما أخبر بأن في جيش قريش القادم لحرب المسلمين هؤلاء النفر من الأشراف والقادة: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف، ونبيه، ومنبه ابنا الحجاج؛ وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود، ثم قال - عليه الصلاة والسلام «القوم ما بين التسعمائة والألف» عندما علم بأن الأعداء ينحرون يوما تسعاً ويوما عشرا.

وكان هذا وذاك كافيين لإلقاء شيء من الخوف في قلوب المسلمين، لقلة عددهم، وضعف عدتهم المادية، فقد كان الثلاثة منهم يعتقبون البعير الواحد ولكن الله القوي الذي وعد - ووعده الحق - بنصر المؤمنين لم يشأ أن تدخل ذرة من خوف في قلب مسلم آنذاك، فأتت أسباب النصر تترى، حتى غدت دعائم كبرى، سمق فوقها هذا النصر المبين، ففي اللحظة التي كان متوقعا أن يدخل فيها الخوف القلوب كانت الدعامة الأولى للنصر المبين، متجلية في عنصر التثبيت الذي ربط الله به على تلك القلوب المؤمنة فالتكافؤ العددي غير متحقق حقا، وموازين القوى - في الحسبان الظاهري - تشير إلى أن كفة قريش العددية راجحة، وكفة المسلمين شائلة، ففرق كبير بين جيش يتراوح بين الألف والتسعمائة وجيش لا يزيد عدده على الثلاثمائة إلا قليلا وفرق بين جيش فيه وجهاء القوم وأشراف القبيلة في حساب من يبهرون بزخارف الحياة الدنيا، وجيش تكون من فقراء، ومستضعفين، لم يستطيعوا بالأمس القريب أن يدفعوا عن أنفسهم

أذى لحق بهم من هؤلاء الذين يواجهونهم اليوم ، وفرق بين جيش وراءه القوافل التجارية الضخمة - بحساب ذلك العصر - وجيش لا يملك من وسائل المادة ما يحقق شيئاً فى الميدان ، وإن الفرق بينهما يومئذ ليشبه الفرق - فى عصرنا - بين دولة قوية غنية ، وأخرى ضعيفة عدداً ، ولا تملك من أسباب الثراء والغناء ما يغنى فى مجابهة الخطر .

ولا أحب أن أقف طويلا عند هذه المعلومات التاريخية ؛ لأنها شهيرة ومعروفة ، ولا ينبغى الإسهاب فى تحليلها أو الوقوف لديها إلا بغية التحليل أو الاستشفاف ، ولكن الذى نود أن نجليه فى هذا الموقف : موقف تقابل جيشين غير متكافئين عدة وعددا - إنما هو عنصر التثبيت الذى أطاح بما يسمى فى عصرنا الحديث « موازين القوى » فالذين يعتقدون - فى مجال الحروب - أن القوة المادية والعددية هى كل شىء لإحراز النصر هم قوم لا يبصرون إلا مجمع أرجلهم ، ولا يحسون إلا مايلمس أيديهم ؛ لأنهم لا يفقهون أن وراء القوى المادية قوى أخرى أضخم وأعظم ؛ لأن لها فى مجال إحراز النصر الأثر الكبير ، تلك هى قوة الإيمان ورسوخ العقيدة اللذين بهما يقوى القلب ويربط عليه ، وتثبت القدم فى الميدان ، ويصبح ذلك المؤمن الراسخ العقيدة كالطود الأشم لا تزعزعه أعتى القوى فى الحياة ، وهذه القوة الإيمانية ، وذلك الرسوخ العقدى يشبهان - إلى حد كبير - ما نسميه اليوم من هذه المسميات : وضوح الرؤية ، وسمو الهدف ، وسلامة المبدأ ، ونبل الغرض والمقصد فى العرف الإنسانى العام ، ومن ثم ألزم الله المؤمنين أول الأمر أن يقتل كل واحد منهم عشرة من الكفار : « .. إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون .. » ، وحينما خفف الله عنهم لم يقبل من المؤمن المقاتل أن يكتفى بقتل واحد نظيره من الأعداء ، بل لا بد أن يقتل اثنين على الأقل : « .. الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين

يأذن الله والله مع الصابرين » .

وانظر إلى تذييل الآية الأولى : « بأنهم قوم لا يفقهون » ، وتذييل الثانية : « والله مع الصابرين » ، إن التمعن في التذييلين وما يهدفان إليه يهدم نظرية « موازين القوى المادية » التي يتحدث بها المتحدثون دون وعي بصير ، أو إدراك مبني على الإيمان ، واليقين ، فالتذييل الأول يوضح سبب هزيمة الكثرة العددية أمام القلة المؤمنة ، ذلك السبب المنحصر في عدم فقه هذه الكثرة ، وعدم الفقه معني رحب ومبسوط ، يوحي بضلال تلك الكثرة ، وحيرتها ، واضطرابها ، وزيغها .

وهذه الأمور تسبب تفكك الصف ، وعدم الالتقاء على هدف : « قوم لا يفقهون » ، جيش لا يفقه .. لا يعرف ، إنه معدوم المعرفة ، ربما في كل مجال ، وبخاصة في مجالي : « العلم والإيمان » ، فأنى له أن يحرز نصراً ، أو يدفع خطراً ؟

والتذييل الثاني : « ... والله مع الصابرين » يشير - في وعد أكيد ، وبشرى بقبلية - إلى أن القلة الصابرة على بلاء الحرب ، الثابتة في الميدان لا بد أن تنتصر مهما كانت موازين القوى المادية في النظر المادي تشير إلى غير ذلك ، مصطدمة مع الوعد والبشرى .

ولما كان نصر المؤمن الثابت الصابر أمراً معلوماً ، والله أراده للمسلمين يوم بدر ، وكان عدم التكافؤ أمراً ربما يجعل الفريقين لا يلتقيان في حومة القتال - قضى الله بما يحقق ذلك الالتقاء الحربي ؛ لينفذ قضاؤه بنصر المؤمنين مع قلتهم ، فقلل الله عدد كل فريق في عين الآخر قبل بدء المعركة : « إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور » ، فكان اللقاء ، وكان النصر للقلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، كمن يريد من حمال قوي أن يحمل شيئاً كثيراً كبيراً ، ولكنه خفيف الوزن ، فيجعله حتى يتخيله ضئيلا قليلا ، ثم يحمله إياه دون أن يراه ، فيحمله دون ضيق أو برم ، حتى إذا ما وصل إلى المكان المطلوب ، ووضع ذلك الحمل ، ونظر إليه ، عجب من نفسه ، كيف استطاع أن يحمل هذا الشيء الهائل العظيم ، ثم حمد الله تعالى

الذى أمامه وقراءه : فهذا الموقف مشبه تماماً لموقف المسلمين يومذاك ، قال أبو إسحاق السبيعى عن أبى عبيدة؛ عن عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - قال : لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر ، حتى قلت لرجل إلى جنبى : تراهم سبعين ؟ قال : لا ، بل هم مائة ، حتى أخذنا رجلا منهم فسألناه ، فقال : كنا ألفا - روى ذلك ابن أبى حاتم ؛ وابن جرير .

وإذا كانت الكثرة العددية لا تحقق وحدها النصر المرتقب . وربما تحققه القلة القليلة : « . . . كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين» وإذا كانت غـزوة بدر تدعم ذلك وتقويه ، بل وتجبه به الذين يقولون غيره من أصحاب النظريات الحربية المبنية على المادة فحسب - فهل من تفسير وتعليل يقتنع بهما أصحاب نظـرية « موازين القوى المادية فى الحروب » ؟ نعم . يوجد التفسير المقبول والمعقول ويوجد التبرير المقنع الممتع يجدهما كل من يقرأ - بتدبر وإمعان - سورة الأنفال ويقف طويلا عند هذه الآية بالذات :

« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ، إن الله مع الصابرين . ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط » فهذه الآية الكريمة تكاد تحصر أسباب النصر فيما ذكرت من أمور إرشادية فى مجال الحروب والقتال وهذه الأمور التى ذكرتها إذا بحثناها لا نجد من بينها كثرة العدد ، وإغفالها لهذه الكثرة يشير ( والله أعلم ) إلى أن هذه الأسباب التى تضمنتها تغنى — فى تحقيق النصر والظفر — من الكثرة الباهرة ، والقوة المادية الظاهرة ، وكل من عنده قدر من إيمان لا بد أن يعتقد أن أسباب النصر لا تعدو الأمور التى اشتملت عليها الآية الكريمة من الثبات فى الميدان ، ومن ذكر الله تعالى ساعة اللقاء ، ومن طاعته وطاعة رسوله ، بامتثال كل توجيه سماوى فى مجال من مجالات الحياة وبخاصة فى هذا المجال الخطير ، مجال لقاء العدو ، ثم من عدم التنازع والاختلاف

مخافة الفشل والاندحار، ثم الصبر على شدائد القتال وأهواله، وأخيراً عدم الغرور بكثرة عدد، أو قوة عدة، وعدم الفخر بالنصر، والمراءاة بالقتال وإن كل من عنده أثارة من عقل فاقه، وتدبر واع لا يمكن أن ينكر فاعلية هذه الأسباب فى تحقيق النصر المبين، ولا أعدو الحق والصواب إذا قلت: إن أى رجل عسكرى فى القديم والحديث ممن يشهد لهم التاريخ بالحصافة العسكرية، والفنية الحربية — لو تدبر ما تضمنته الآية الكريمة السابقة من دعائم للنصر لما تمالك نفسه من الإعجاب والانبهار بها إعجاباً وانبهاراً يسلمانه إلى التصديق،

والتصديق — حتما — مسلمة إلى الاعتقاد بأن الكثرة العددية ليست هى كل شىء، وبأنه ليس هناك ما يسمى بموازين القوى وخطرها أمام تثبيت الله وتأييده لمن يدافعون عن دينه الحق لنشر العدل والسلام، فهل يعز النصر على جيش — مهما قل عدده — إذا كان كل جندى فيه ثابتا كالطود، عالما أنه بقتاله يعبد الله، ويتقرب إليه بأعظم القربات وهو الجهاد، لإحقاق الحق فى دنيا البشر «... واذكروا الله كثيرا ...»، وإذا كان كل جندى فيه يطيع الله ورسوله، فلا يأتى منكرا، ولا يدع معروفاً، حتى يصير ربانيا ولياً لله، وإذا كان الجيش كله وحدة متراصة الصف فى قوة، متوحدة الهدف فى نبل، لا يعرف النزاع إلى صفوفها سبيلا، وإذا كان كل جندى قد وطن نفسه، وعقد العزم على أن يواجه الخطر بكل شجاعة وبسالة، فهو يواجه قتالا لا لعباً، ويخشى حرباً لا مرحاً، فلابد من الخشونة والرجولة، ولابد من التحمل وإفراغ أقصى الجهد «... واصبروا ...»، ثم إذا كان ذلك الجيش إنسانيا بكل ما تعنى كلمة الإنسانية من معان ندية، فلا يخرج إلى العدو بطرا أو فخرا، ولا يتمنى اللقاء رياء أو اعتداء، وإنما يقبل النزول إلى الميدان لهدف واحد لا يعدوه، وهو إحقاق الحق وإزهاق الباطل؛ بغية أن يسعد، وتسعد البشرية كلها بالخير والسلام وإحقاق الحق يطوى تحت جناحيه الدفاع عن الوطن، والنفس، والعرض، والمال والحق السليب. أقول: هل يعز النصر على مثل هذا الجيش؟ بل أقول: هل

يتخلى الله تعالى القوى القادر عن مثل هذه الفئة المؤمنة التى انصاعت لتوجيهات الآية ، والإجابة يقولها التاريخ المنصف لا يمكن أن يتخلى الله تعالى عن جيش - مهما قل عدده - إذا كان آخذاً بأسباب النصر التى أرشدت إليهـــا تلك الآية السابقة الكريمة .

وربمـا يقول أصحاب نظرية ( موازين القوى المـادية ) مجادلين ومحاجين : ألم يقل الله فى ســـورة الأنفال نفسها : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيـل ترهبـون به عـدو الله وعدوكم » ؟ ونقول : بلى ، قال الله ذلك ، وكل مسلم يعلم علم اليقين ، ولكن هل هذه القوة المـادية مغنية وحدها فى جلب النصر للمسلمين ؟ لقد أعدوها يوم حنين وكانت سبيلهم إلى الهزيمة أول المعركة ؛ إذ أنها دفعتهم إلى الغرور ، والاعتداد بالكثرة ، فقال قائلهم يومئذ : « لن نغلب اليوم من قلة » ، ونزل فى ذلك قول الله تعالى : « ويوم حنـين إذ أعجبتـكم كثرتـكم فـلم تغن عنـكم شيئـاً وضاقت عليـكم الأرض بمـا رحبت ثم وليتم مدبرين » ، ولا يمنى خلو قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً » الآية . من الأمر بإعداد القوة ، أن الإسلام فى تكوينـه للجيش الإسلامى يغفل هـذا الإعداد القوى ؛ لأن الإسلام فى توجيهه الحربى يلزم للمسلمين دائمـا بإعداد القوة للحيطة والحذر : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، فهذا إرشاد حربى قبل القاء الفعلى مع الأعداء ، حتى إذا كان ذلك القاء فى ميادين القتال كان التوجيه الخاص بالميدان فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار » . وفى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلـكم تفلحون . وأطيعوا الله ورســـوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين . ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء النـاس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط » ، حتى إذا كان النصر فلا غرور ولا فخر ، فذلك شأن المسلم الذى يقاتل لهدف إنسانى نبيل ، فأنى أن يزدهيه النصر ، فيخرجه عن حده واتزانه ،

وكيف يدير رأسه الفوز فيتخلى عن ثباته الذى أحله فوق الذرى فى الحياة، ومن ثم كان التهذيب القرآنى للمسلمين بعد النصر المبين فى بدر ممثلا فى قوله تعالى لنبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه، ولمن معه من المؤمنين المقاتلين : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

وإذا كان الثبات فى الميدان - بعد إعداد العدة اللازمة - فى صدر الأسباب التى أحرز بها المسلمون النصر يوم بدر، وما تلاه من أيام - كان ذلك مؤذناً بأهمية قصوى، وخطر بالغ لذلك الثبات، وإذا كان تصور ميدان القتال فى الخيال يرعب ويرعد، فما بال الثابتين فيه على الحقيقة والمشاهدة، وإذا كان يعاودنا الدهش والاستغراب من ثبات المؤمنين يوم بدر، وهم قلة، والكفار كثرة - فلنا أن نذكر أن الله وحده هو الذى ربط على قلوب تلك الفئة المؤمنة التى تركت كل مباهج الحياة فى سبيل الله، أفلا تستحق التثبيت والتأييد حتى النصر ؟

( ... إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم، إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام . إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ) حتى كان المسلم يومئذ يفوق ما نسمع اليوم عن فرق ( الكوماندوز ) الفدائية ؛ أو الصاعقة أو غيرها ؛ ومن ثم كان الواحد يعدل عشرة أو يزيد ؛ لقد قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه يوم بدر حين أقبل المشركون فى جمعهم وعددهم : ( قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض ) . فقال عمير بن الحمام : (عرضها السموات والأرض)؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . فقال : بخ بخ . فقال ما يحملك على قولك : ( بخ بخ ) ؟ قال : رجاء أن أكون من أهلها . قال : فإنك من أهلها ؛ فتقدم الرجل فكسر جفن

سيفه ، وأخرج تمرات ، لجعل يأكل منهن ، ثم ألقى بقيتهن من يده . وقال : لئن أنا حييت حتى آكلهن إنها لحياة طويلة ، ثم تقدم فقاتل حتى قتل (رضى الله تعالى عنه) .

إن جيشاً فيه نماذج مثل عمير بن الحمام فى أى زمن ، أو فى أية موقعة ـ لحرز النصر لا محالة ، فهذه النماذج المؤمنة التى تحرص على الموت فى سبيل الحق لا يعقل أن يجافيها الظفر قيد شعرة .

وإذا كانت الجيوش الحديثة تخصص عدداً من الأبطال للأعمال الفدائية . فقد كان الجيش الإسلامى يوم بدر كله فدائيين ، إذ كان الكل يومئذ يحرص على الموت والشهادة . وما الفدائية ـ فى أروع مشاهدها ـ سوى الحرص على الموت فى سبيل الحق والحرية .

ومن ثم فلنا أن نقول : إن القوى المادية البحتة لا ترهب المؤمنين عبر التاريخ ؛ لأنهم مؤمنون حقاً والمؤمن الحق لا يجل قلبه إلا إذا ذكر الله تعالى ولحكمة صدرت سورة الأنفال قبل أن تتحدث عن وسائل النصر ودعائمه بأبرز سمات المؤمنين الصادقين ، الذين يستأهلون النصر المبين : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً ...) . ولأن لديهم القوى المعنوية والروحية التى تربط على القلب ، فتجعل المقاتل المؤمن يفوق العدد من عدوه ، وهى التى يسهر فى ركابها ، وتحت لوائها النصر الكبير ، وفى مجالها ينبغى أن يتحدث المتحدثون عن : (توازن القوى فى الحروب) . وفيها فليتنافس المتنافسون .. فالنصر حليف المتفوق فيها حتماً ، كما تشهد بذلك وقائع التاريخ . وأبرز تلك الوقائع يوم بدر .

وإذا كان من المجدى تلخيص أسباب النصر يوم بدر ، فنشير إلى أن أبرز هذه الأسباب سببان رئيسيان ، استحق الجيش الإسلامى بهما ـ يومئذ ـ نزول جند من الملائكة تقاتل معه السبب الأول : الإيمان القوى ، الذى تغلغل فى القلوب لجعل المسلم يستهين بكل شىء ، حتى بروحه فى سبيل نصر الحق ، يقول سعد بن معاذ

لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله » .

السبب الثانى : الوحدة الكاملة الشاملة التى لم يشهد مثلها التاريخ فى قديمه وحديثه ، تلك الوحدة التى جعلت الأوس والخزرج فى المدينة أنصاراً ، ثم جعلت الأنصار والمهاجرين مؤمنين ، لاشىء سوى الإيمان يوصف به الجميع ، فلم تذب الفوارق فحسب ؛ وإنما امحت امحاء لم يدع لها أدنى شائبة أو أثر ، وعلى هاتين الدعامتين :

١ - الإيمان . ٢ - والوحدة .

أتى نصر الله ممثلا فى ملائكة تقاتل مع المؤمنين ؛ بعد الربط على القلوب وتثبيت الأقدام ؛ ومن ثم ندرك أن نصر الله تعالى لا يصف جندا - فى أى زمان ومكان - إلا إذا حققوا فى واقعهم هاتين الدعامتين : الإيمان القوى ؛ والوحدة المتينة .

ولا يعزب عن الذهن أن المسلمين فى غزوة الخندق وحينما بلغت الخطورة ذروتها « وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر » لم يأتهم النصر إلا بعد ما ميز الله المؤمنين الصادقين من المنافقين حتى يصبح المؤمنون صفاً واحدا طاهراً من أصحاب الآراء الهدامة والإيمان الضعيف والعقيدة المزعزعة . وبعد انضمام الوحدة إلى الإيمان القوى ، أو بعد تطهير الصفوف المؤمنة من رجس المنافقين الذين تركوا الجبهة والميدان بحجة واهية مكذوبة : « يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا » ، بعد ذلك جاءت أسباب النصر على هيئة معجزات خارقات يعرفها كل من يقرأ تاريخ تلك الغزوة .

وبعد : فإن فى العلم والإيمان اللذين نبنى عليهما دولتنا الآن لقوى مادية فى ( العلم ) ومعنوية وروحية فى ( الإيمان ) نرجو الله تعالى واضرع إليه أن يحقق لنا بها النصر المبين على أعداء البشرية والإنسانية .

« وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » ؟

عبد الغنى أحمد ناجى

# رمضان والصيام

للأستاذ عباس أبو السعود

---

إنما اختار الله جلت قدرته شهر رمضان ليصوم فيه المسلمون ، لأنه الوقت الذى أشرقت فيه النعمة الكبرى ، وهى نزول القرآن الكريم حيث قال سبحانه : ( شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ) .

ففى ليلة ميمونة مباركة من لياليه هى ليلة القدر التى اتسمت بأنها خير من ألف شهر ، بدأ الله بإنزاله فيها أو أنزله فيها جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم كان جبريل عليه السلام ينزل به على رسولنا صلى الله عليه وسلم منجما فى ثلاث وعشرين سنة ، وسميت هذه الليلة بهذا الاسم لشرفها ، أو لتقدير الأمور فيها ، لقوله سبحانه : ( فيها يفرق كل أمر حكيم ) .

والصوم هو الامتناع والإمساك عن الطعام والشراب واللذات الحيوانية وأمثالها من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، قصداً لامتثال أمر الله الذى قال فى كتابه الحكيم : ( يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ) وهذه الآية تشير إلى أن الصوم عبادة قديمة ، فرضها الله على الأمم السابقة ، لأنها وسيلة من وسائل التقرب إلى البارىء المصور .

عرفه المتدين طريقا يوصله إلى خالقه وعرفه الوثنى سبيلا من سبل التهذيب ورياضة النفس ، فهو غير مقصور على أمة دون أمة ، ولا هو خاص برسالة دون رسالة ، وإنما هو شأن فطرى يشعر بالحاجة إليه فى فترات متتابعة أو متفرقة كل كائن حى ، وإن اختلفت صوره وأوقاته باختلاف العصور والأمم .

وهو فريضة سابية ، بيد أن آثارها الإيجابية كثيرة ومتنوعة ، وما نحن أولاء رأينا ولا زلنا نرى أنه كلما تقدمت

الأبحاث العلمية تكشف كثير من المزايا للباحثين من الأطباء وعلماء الأخلاق والاجتماع ، فهو مدعاة لمراقبة الله والخوف منه ، كما هو مدعاة للتخلق بالأخلاق الفاضلة من العطف على ذوى القربى والمساكين ، كما يحمل على الوفاء بالعهد ، والصبر على البأساء والضراء ، والصدق فى العمل ، لأن الصوم نصف الصبر ، والصبر نصف الإيمان ، كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام : ( الصبر نصف الإيمان والصوم نصف الصبر ) .

والصوم يكبح جماح النفس الأمارة بالسوء عن الاستسلام للكبر والغضب كما أنه إحياء لفضيلة العفو عند المقدرة ، والإحسان إلى من أساء وآذى ، والأحاديث المؤيدة لهذه المعانى الكريمة كثيرة ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم » .

وها هو ذا الصوم قد حقق فى عمال هذه الصفات والمزايا لسلفنا الصالح العزة والكرامة والتعاون والوحدة والمساواة

وبتقدم الأبحاث العلمية والطبية منها بخاصة تجلت محاسن الصوم ومآثره . وأثبت علماء الطب أن الصوم علاج ووقاية من أدواء عدة ، فهو وقاية من السمن الذى ينشأ عن تراكم فضلات الطعام فى المعدة فتسبب تمددها وضعفها عن أداء وظيفتها ويتبع ذلك تضخم الكبد والقلب كما هو علاج لطرد الرواسب المتخلفة عن الأطعمة التى تتكون فى مجارى الدم ، فتعوق حركته ، وتفسد عناصره ، ومنها ينشأ ضغط الدم وتصلب الشرايين ، ومتى صفا الإنسان من هذه العلل الوبيلة صفا ذهنه ، واكتملت قواه وأصبح عنصرا فعالا لنفسه ولأمته ومجاهدا قويا ضد أعدائها .

وقد جرى على ألسنة كثير من الناس أن الصوم هو الإمساك عن الطعام والشراب والملابسة الجنسية ، وبهذا يزعمون أن الإنسان متى أمسك عن هذه الأشياء الثلاثة طول يومه فقد صام وأدى فرضه .

والواقع الذى لاريب فيه أن هذا بيان الصوم بالنسبة إلى مظهره ، وإلى الجانب السلبى منه ، وكلا الأمرين لا يكونان

حقيقة الصوم الذى كلفه الإنسان من رب العالمين ، فإن الله سبحانه بدأ آيات الصوم بقوله : « يأيها الذين آمنوا » وختمها بقوله : « لعلكم تتقون » ، وقوله « ولعلكم تفكرون » .

ولا ريب فى أن النداء بوصف الإيمان أولا وهو أساس الخير ومنبع الفضائل وفى ذكر التقوى آخرا وهى روح الإيمان وسر الفلاح - إرشاد قوى ودلالة واضحة على أن الصوم المطلوب ليس الإمساك عن الطعام والشراب فقط ، وإنما هو الإمساك عن كل ما ينافى الإيمان ، ولا يتفق مع فضيلة التقوى والمراقبة .

وإذن فالذى يتجه إلى غير الله بالقصد والرجاء لا صوم له والذى يفكر فى الخطايا ويفتن فى تدبير الفتن والمكايد ويحارب الله ورسوله فى جماعة المؤمنين لاصوم له والذى ينطوى قلبه على الحقد والحسد والبغض للمسلمين لا صوم له والذى يحابى الظالمين ويجامل السفهاء ويعاون المفسدين لا صوم له وكذلك من يمد يده أو لسانه بالإيذاء لعباد الله لا صوم له .

فعلى الصائم ألا يكذب ، ولا يشى ، ولا يدبر سوءاً ، ولا يخادع ، ولا يأكل أموال الناس بالباطل وبهذا يجمع بصومه بين تخلية نفسه وتطهيرها من الدنس ، وبين تزكيتها بالطيبات ، وإلى ذلك يشير الرسول الكريم بقوله : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » ، وقوله : « ليس الصيام عن الأكل والشرب ، وإنما الصيام عن اللغو والرفث » ، وحسبنا فى ذلك قوله جل ثناؤه « إنما يتقبل الله من المتقين » .

ومن فضائل الصوم أن الله ميز الصائمين فجعل لهم فى الجنة بابا خاصاً تكريماً لهم وتعظيما لعبادة الصوم ، فقد روى البخارى ومسلم : (أن فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد) وروى سلمان الفارسى عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ( من تقرب فيه بنافلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ) ويقول: (إذا كانت أول ليلة

فى شهر رمضان فتحت أبواب الجنة ، فلم يغلق منها باب واحد طول الشهر كله وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب طوال الشهر) .

ومن حكم الصوم غرس خلق المراقبة وخلق الصبر فى نفوس المؤمنين ، وجهما لصدق النية وتقوى العزيمة ، فيثبت الصائم لما عسى أن ينزل به من حوادث الدهر .

فنى الحياة نوازع الشهوة والهوى ، وفيها دوافع الغضب والانتقام ، وفيها التقلب بين النعماء والضراء ، وفيها النزوح من الأوطان ومفارقة الأهل والخلان وفيها الجهاد فى سبيل الله والذود عن الحمى والكرامة .

فما أحوج كل مؤمن إلى أن يتذرع بخلق الصبر ، ليستطيع أن يثبت أمام هذه الأحداث ، وما أحوجه إلى أن يتسلح بسلاح المراقبة والاستعانة بالله والرجوع إليه والاعتماد عليه .

كما أن إحساسه بالجوع والعطش فى أثناء الصوم يذكره بحال البائس والمعدم والمسكين ، ويربى فيه فضيلة الكرم والبذل ، فيحمله ذلك على أن يمد لهم يد المساعدة ويشعرهم بعطفه ورحمته ، وقد ورد أن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام كان يكثر من الجوع ، فقيل له : لم تجوع وأنت على خزائن الأرض ؟ فقال : إنى أخاف أن أشبع فأنسى الجائع هذا إلى أن الصائمين إذا تصدقوا ببعض أموالهم على المعوزين وذوى الحاجة فإن ذلك غالباً ما يغرى أولئك الذين لا يصومون بتقليدهم ولو على سبيل الفخر أو التنافس والرياء ، سواء أكانوا مسلمين أم متدينين بدين آخر .

ومن رحمة الله بعباده أن رخص لمن يشق عليهم الصوم من المرضى والمسافرين أن يفطروا فى رمضان على أن يقوموا بالقضاء فى أيام الصحة والإقامة ، حيث قال : ( فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ) .

ومن علامات اليسر فى الصوم أن الله جل وعلا أباح للأصحاء والمقيمين الذين يرهقهم الصوم ويعرضهم للخطر ، كالشيوخ ، والحوامل ، والمراضع ، أن يفطروا ، على أن يطعم الواحد منهم مسكيناً عن كل يوم كما فى قوله سبحانه :

« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » .

وأخيراً أقول : إن فرض الصوم لم يقصد به إرهاق ولا تعسير ، وإنما قصد به التقوى والتطهير ، وفى التنزيل : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وقد أعجبنى ما قال أحد الشعراء فى رمضان وصومه :

حسبوك يا رمضان مائدة تقا
م لدى الغروب وسهرة حمراء

حسبوك قنديلا يضاء وشادياً
يشدو وجماعة تذوب دماء

كلا وربى ، ما لذلك خالق
فرض الصيام وما لذلك جاء

الصوم معناه الكبير تسامح
يدنى القلوب فتلبس الإرضاء

الصوم إحساس العباد بأنهم
إخوان زادهم الصيام إخاء

الصوم إيقاظ الضمير ، فإن غفا
فالفطر يضحى والصيام سواء

ماذا يفيد الصوم ؟ والدنيا هوى
وقلوبنا ملئت غوى ورياء

ماذا يفيد الصوم ؟ جوع منافق
ولسانه آذى الورى وأساء

ماذا يفيد الصوم ؟ طول عبادة
والقلب يضمر للورى بغضاء

نسأل الله عز شأنه أن يعيد للإسلام مجده وازدهاره ، وأن يلهمنا السداد فى أعمالنا ، والرشاد فى ديننا ، وأن يمن على العرب والمسلمين بجمع شملهم وتوحيد أهدافهم ، وانتصارهم على أعدائهم ، إنه سميع الدعاء مجيب ؟

عباس أبو السعود

# ذكر الله

للأستاذ عنتر أحمد حشاد

---

سعادة الإنسان في هذه الحياة في اطمئنان قلبه، وراحة باله، واستقرار خواطره، وصفاء نفسه، وقد أرشد الله عباده في كلمة موجزة حكيمة إلى الوسيلة التي تحقق لهم هذه السعادة، وهذا الاطمئنان والاستقرار، وتقيهم من عذاب القلق والاضطراب، وآلام الجزع والهلع، وشقاء الشك والارتياب، فقال جل ثناؤه، وهو أصدق القائلين: «ألا بذكر الله تطمئن القلوب»[1].

وذكر الله الذي تطمئن به القلوب ليس مجرد ترديد اللسان لاسم من أسمائه، أو صفة من صفاته، وإنما هو تذكر ألوهيته وعظمته، واستشعار رأفته ورحمته، وقهره وعزته، واستحضار حكمته في سنته، وعدالته في قضائه وقدره.

يراد بذكر الله ذكر ألوهيته التي لا يشركه فيها أحد، وعلمه الذي وسع كل شيء، وقدرته التي لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء، وإنعامه على عباده بالخلق والرزق وسائر ما يحتاجون إليه، وكماله المطلق الذي لا يرقى إليه كمال ولا يدانيه.

وليس من شك في أن المطالب بهذا الذكر هو قلب الإنسان ولسانه معاً؛ فالذكر باللسان وحده مع غفلة القلب ليس له كبير شأن، واشتغال القلب بالذكر يستتبع تحرك اللسان به، إن لم يكن دائماً فبين الحين والحين.

وتمثل المؤمن لعظمة الله وجلاله دائماً هو - دون شك - خير وسائله لتطهير القلب، وصقل النفس، وإحياء الروح؛ ذلك أنه يشعره برقابة الله عليه، ويذكره بما أسبغ عليه من نعمه الظاهرة والباطنة، ويربط بينه وبينه بصلات من الخوف والرجاء والحب تجعل منه إنساناً كاملا.

ومن راض نفسه على أن يتذكر ربه في جميع حالاته: في سرائه وضرائه، وفي شدته ورخائه، وفي صحته وسقمه، وفي طاعته ومعصيته، وفي غناه وفقره،

---

(1) الرعد: ٢٨.

وفى حربه وسلمه ، وفى رضاه وغضبه ووقت عمله وراحته ، وعلى كل حال - أسند كل أمر إلى مصدره ، واطمأن إلى حكمة الله فيما نزل به ، فسكن قلبه ، واستراح من الهم والحزن على مافاته ، ومن الزهو والبطر بما ناله ، وأمن متاعب القلق والاضطراب .

إن ذكر الله عز وجل فى كل وقت ، وفى كل حال - هو واجب المؤمن الذى لايعذر فى تركه ، ولعل فى إمكان الذكر بالقلب واللسان ، وعلى طهارة وبدون طهارة ، ومع استقبال القبلة ودون استقبالها ، و « قياما وقعوداً وعلى جنوبكم »[١] وفى كل حال من الحالات ، وكل وقت من الأوقات - لعل فى هذا الإمكان ما يؤكد لا وجوب الذكر فحسب ، ولكن وجوب الإكثار منه أيضاً ، كما أمرنا الله سبحانه بقوله : « ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا »[٢] . وهذا

(١) « النساء : ١٠٣ » ، ونصها « فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم » .

(٢) الأحزاب : ٤١ ، ٤٢ .

ماعناه حبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بقوله : (إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها فى حال العذر غير الذكر فإن الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهى إليه ، ولم يعذر أحد فى تركه إلا مغلوبا على عقله ومن هنا أمرهم الله به فى الأحوال كلها ، فقال تعالى : « فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم » ، وقال : « اذكروا الله ذكراً كثيراً » ، أى بالليل والنهار ، وفى البر والبحر وفى السفر والحضر ، وفى الغنى والفقر ، وفى السقم والصحة ، والسر والعلانية ، وعلى كل حال »[١] .

والواقع أن الإنسان إذا تدبر الآيات القرآنية الواردة فى الذكر فإنه يجدها تستغرق الأوقات والحالات ، فأينما كان الإنسان وكيفما كان - عليه دائما أن يكون ذاكراً لله سبحانه وتعالى .

ولا يشغل الإنسان عمله عن ذكر الله سبحانه وتعالى ، كما قال الله عز وجل : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون »[٢] .

(١) انظر صفحة ٢٣ ج٢ من تفسير الطبرى

(٢) الجمعة : ١٠ .

وقد أرشدنا الله سبحانه إلى أن الإكثار من ذكر الله فى أثناء القتال وسيلة من وسائل النصر؛ فقال تعالى: «يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون»[1].

ذلك أن من ذكر الله بقلبه وهو يقاتل - ذكر وعده للمؤمنين بأن ينصرهم، وينصر كل من يتبع سنته، ويقيم دينه، وذكر أن النصر من عند الله العزيز الحكيم، القوى القادر على نصر أوليائه وسحق أعدائه، الحكيم فى تدبيره وتقديره، فلم تفزعه قوة الأعداء، أو كثرتهم، أو ضخامة استعدادهم، أوهى مجتمعة، ومن ذكر الله بلسانه فكبره، وتضرع إليه فى دعائه، مستيقنا أنه لا يعجزه شىء - استصغر كل ما عداه، فلم يبال عدوه، فلم ينهزم.

كما أن من أكثر من ذكر الله فى أثناء القتال ذكر نهيه عن اليأس، ونهيه عن الفرار عند لقاء العدو، إلا لحيلة فى القتال، واستعداد للكر والهجوم، وإلا فإن غضب الله يلحق الفار فى الدنيا وعذاب الله ينتظره فى الآخرة، وبئس للمصير، كما قال الحق سبحانه: «يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير»[1].

ويطلق الله على الثبات فى الميدان، والإكثار من ذكر الله - رجاء الفلاح للمؤمنين، أى الفوز فى القتال هنا، والظفر بالثواب فى الآخرة.. ولا ينكر أحد أن الاستجابة لأمر الله بالثبات وبالإكثار من ذكره فى ميدان القتال طاعة يثاب المؤمن عليها... وأن هذا الثبات والإكثار من ذكر الله وسيلتان للنصر قلما يخطىء النصر من يلتزمهما فى حرص عليهما.. ومن هنا قيل المؤمنين عقب أمرهم بالثبات والإكثار من ذكر الله «لعلكم تفلحون» أى لعلكم تفوزون وتظفرون بمرادكم من النصر والمثوبة، وفيه إشعار بأن على العبد ألا يفتر عن ذكر الله أشغل ما يكون قلبا، وأكثر ما يكون هما... وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزعة مشغولة عن غيره.

وفى يوم بدر لجأ الرسول صلوات الله

(١) الأنفال: ٤٥

(١) الأنفال: ١٥، ١٦

وسلامه عليه إلى ربه خاشعاً متضرعاً حينما رأى قوة المشركين وكثرة عددهم إلى جانب قلة عدد المسلمين، وظل يهتف من أعماق نفسه قائلا : « اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى . اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » وهكذا .

حتى لقد سقط رداؤه من منكبيه ، فرده عليه أبو بكر وهو يقول: يانبى الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ماوعدك ، ولكن الرسول الكريم يظل فيما هو فيه من ضراعة وابتهال مشغولا عن نفسه وعن كل ما حوله بدعاء ذى الجلال ، حتى أخذته خفقة من نعاس فرأى نصر الله يغشى، ويملأ الآفاق ، واستيقظ فرحا مستبشراً ، وخرج إلى الناس يحرضهم على القتال ويقول لهم : « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » .

وقد تجلت عناية الله برسوله وبالمؤمنين فأيدهم بجنوده وملائكته ، فكانت كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى ، وانجلت المعركة عن هزيمة المشركين ، فولوا مدبرين ، بعد أن قتل المسلمون منهم سبعين ، وأسروا مثل ذلك وقد ذكر الله هـــذا الفضل والنعمة فى كتابه الكريم ، فقال :

« إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعلـــه الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم » [1] « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب» [2] .

« فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم » [3]

نسأل الله جل جلاله أن يوفقنا لذكره وطاعته ، وأن يشملنا بتوفيقه وعنايته ، وأن ينصرنا على أعدائنا ؛ إنه أكرم مسئول ، وأفضل مأمول ؟

عنتر أحمد حشاد

---

(١) الأنفال : ٩ ، ١٠

(٢) الأنفال : ١٢ ، ١٣

(٣) الأنفال : ١٧

# جزاء السيئة في الإسلام

للأستاذ محمود النواوى

---

قال الله سبحانه فى وصف عباده الذين يؤثرون ما عنده على متاع الحياة الدنيا وزينتها : « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم . ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور » سورة الشورى ٣٩ - ٤٣ .

وقال الله سبحانه فى الحث على دفع الإساءة بالتى هى أحسن : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » فصلت : ٣٤ .

ويقول جل شأنه فى وصف المتقين الذين أعد الله سبحانه لهم جنات النعيم : « الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » آل عمران : ١٣٤ .

أيها القارىء الفاضل :

إن القرآن الكريم يحث فى كثير من آياته على كظم الغيظ ومغفرة الإساءة ومجازاتها بالحسنة ، ولكنه ينص فى بعض الآيات على أن من حق من توجه إليه الإساءة أن يجازيها بمثلها من غير بغى ولا ظلم ولا عدوان كما فى آيات سورة الشورى السابقة التى من بينها قوله سبحانه : « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها » وكما فى قوله سبحانه : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » . على أنه سبحانه إذا رخص فى المجازاة بالمثل يحث على الصفح والعفو ويجعله منزلة رفيعة ويرصد لها من الجزاء ما يحث النفس الفاضلة على إيثارها وعدم التفريط فى تحققها والاتصاف بها فهو

مثلا يقول فى آيات الشورى بعد قوله : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » ، « فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين » ، وواضح أن التذييل فى قوله سبحانه : « إنه لا يحب الظالمين » ، ما يشعر بأن الاتجاه إلى الانتقام قد لا يخلو من شائبة الظلم التى تعرض صاحبها الحرمان من حب الله عز وجل : « إنه لا يحب الظالمين » . وقد تقدم قبل هذه الآيات وصف المؤمنين بقوله سبحانه : « وإذا ما غضبوا هم يغفرون » . فنى الوصف بعد ذلك بقوله سبحانه : « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون » حفز للمؤمن على أن ينفى الظلم عن نفسه ولا يرضى المذلة لها فإذا قدر تفضل بالعفو فتكرم بالصفح كما يوصى به فقه القرآن وتذوق معانيه الكريمة .

أيها القارىء الكريم :

إن هذا القرآن يهدى التى هى أقوم فهو هنا يتجاوب مع الفطرة ثم يسمو بمعتنقيه إلى أرفع المراتب ليقع الحب بين الناس والتعاون بينهم على تحقيق خلافة الله سبحانه فى ظل التحاب الكريم الذى يتمثل إيثاره على كل صعق سواء فى مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

إن الإسلام الكريم ليتجاوب مع الفطرة فيلبى داعى الغريزة وحب الانتقام الذى هو طبيعة فى الإنسان فيبيح له ذلك ولكن فى دائرة العدل الذى لا تعمر الحياة إلا فى ظله وهكذا يوازن الإسلام بين جانب النفس وجانب القلب والروح فيرخص فى الانتقام إرضاء للغريزة وفى إرضاء الغريزة ما يحفظ على الناس حياتهم ويوفر لهم الأمن الذى هو دعامة الحياة وأساس الطمأنينة المنشودة والعاقبة المطلوبة ولكنه مع ذلك يحرص على تحقيق المماثلة فى العقوبة حتى لا تقع الخصومة ولا يتكرر العدوان وما أجول وأروع وأوجز قوله سبحانه : « ولكم فى القصاص حياة يأولى الألباب لعلكم تتقون » .

ثم إنه يضيف إلى ذلك معاملة كريمة يسدى بها الإحسان إلى المحسن وأجراً عظيما يرصده لمن يقابل الإساءة بالإحسان إذا لم يكن هناك ما يمنع من

الإحسان مثل ظهور الفاحشة أو تمرد المسىء إذا كان لئيما أو معتاداً للمكروه يوقعه بالناس وما إلى ذلك مما فصل فى مواضـــعه ولا مجال لتفصيله الآن .

إن مجازاة الإساءة بالإساءة رخصة فى الإسلام بشرط المماثلة بين الإساءتين « إنه لا يحب الظالمين » .

وإن العفو والصفح عزيمة يحبها الله ويغفر لصاحبها ويعده بين عباده المكرمين كما يقول سبحانه : « والعافين عن الناس والله يحب المحســنين » ، « وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » .

وإن من الحق أن نتجه بالأنظار إلى ماوقر فى النفوس الإنسانية من تقدير العدل قدره بما يحقق للناس من راحة وطمأنينة ويكفل لهم من تلبية داعى الفطرة والغريزة فى عزة وكرامة .

الناس يقدرون العدل قدره بما يتمثل فيه من معرفة كل نفس مالها وماعليها ومن إنصاف الإنسان من نفسه وانتصافه إذا شاء من خصمه وفى ذلك ما فيه من درء مفسدة التعدى وما تتحدث به بعض النفوس الشريرة .

ومع ذلك فإن الظلم من شيم النفوس مالم تردع ، والرغبة فى العدوان من أمراضها مالم تدفع فكان لا بد من دفع البغى والفساد ، بالصفح تارة والعقوبة تارة بحسب ما تدعو إليه الحال ، وفى هذا الدفع الحكيم يقول الله سبحانه : « ولولا دفع الله النـاس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » ، هذا بعد تصويره سبحانه بعض نواحى الجهاد حتى لا يفهم الجاهل أنه ضرب من الفساد وذلك فى قصة داود وجالوت وما أنتهى فيها الأمر من تأييد الله سبحانه للحق فهو يقول سبحانه : « فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله النـاس بعضهم ببعض لفســـدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين » ، ويقول سبحانه فى بيان الإذن للمؤمنين بالقتال وما يبرر ذلك : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض

لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » ، فهذا الدفع من الله للناس بعضهم ببعض لا يصلح فيه صفح ولا عفو ولا يجدى فيه إلا ضرب بالهام وردع للمعتدين الآثام .

ولقد امتن الله سبحانه على عباده بأنه وضع الميزان ليقوم الناس بالقسط فقال سبحانه: (والسماء رفعها ووضع الميزان. أن لا تطغوا فى الميزان. وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) الرحمن ٧ — ٩ .

ويقول جل شأنه: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز) الحديد: ٢٥ .

ومن أجل ذلك كان القيام بالقسط دعامة التعايش ووسيلة التعاون الصادق على كل ما يحقق خلافة الله سبحانه فى الأرض ويشيع السلام والأمن .

قال ابن كثير فى تفسير الآية : إن الميزان فى قول مجاهد وقتادة وغيرهما هو العدل ، وإنه الحق الذى تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة ثم قال : إن قوله سبحانه وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد معناه: أنا جعلنا الحديد ردعا لمن أبى الحق وعاند بعد قيام الحجة عليه ، ثم قال : إن الله سبحانه لما أقام الحجة على من خالف الحق بالجدال والبيان والإيضاح فلم يهتدوا بعد ثلاث عشرة سنة شرع الله سبحانه الهجرة وأمر المسلمين بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وعانده .

وجملة الأمر أن هذا الموضوع الذى نتناوله اليوم ـ جزاء السيئة فى الإسلام ـ من الموضوعات الحيوية الاجتماعية، وفى دراسته بالاستقصاء والتحليل ما هو جدير أن يصلح كل مجتمع وأن يجمع النفوس على الخير ويتجه بها إلى السعادة ما أخذت بتوجيه الإسلام القويم فيه وحسبنا اليوم أن نشير إلى أن جزاء السيئة فى الإسلام يكون على ثلاث مراتب نستبعد منها مرتبة البغى وتجاوز الحد فى الاقتصاص لأن الظلم شنيع فى نفسه سواء أكان ابتداء بالعدوان على

نفس أو عرض أو مال أم كان قصاصا يتجاوز الحد ولا تتحقق فيه المماثلة بين السيئة وجزائها ، وإن الظلم لفاحشة بشعة لو تمثل لكان شيئاً مخيفاً مزعجاً ولفر من وجهه كل مخلوق .

وقد قيل إن النبى صلى الله عليه وسلم لما رأى حمزة عمه وقد مثل به المشركون فى غزوة أحد، قال فى ساعة ألم وحسرة: والله لئن أظفرنى الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فنزل قوله سبحانه: ( وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، وسواء أصحت الرواية فى سبب النزول أم لم تصح فإن الآية تنادى بترك التجاوز فى القصاص مع ما تحث عليه من الصبر ومع عزم الله سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصبر فى قوله ؛ سبحانه بعد ذلك : ( واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون ) .

وأما المرتبتان الباقيتان فى جزاء السيئة فكلتاهما مشروعة وإحداهما أفضل من الأخرى فى الجملة وهما جزاء السيئة بمثلها تحقيقاً لقوله سبحانه : ( وجزاء سيئة سيئة مثلها ) والصفح عن المسىء والعفو عنه كما حث عليه قوله سبحانه : ( فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ) .

أما جزاء السيئة بمثلها فقد شرعه الله سبحانه لتهدئة الخواطر وزجرا عن القبائح .

وهو مرتبة العدل التى لا يذم فاعلها لأنه يستوفى حقه ويرضى إذا شاء نفسه وهذه المرتبة رخصة ليست بواجبة فى الجملة وإن كانت قد تجب فى إقامة الحدود ونحوها ولهذا يقول سبحانه : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » ويقول جل شأنه : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » .

ويقول سبحانه: « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » .

وقد أوجب سبحانه فى قطاع الطريق ما يردع عن هذه الجريمة ويقطع جرثومتها لو أخذ الناس بتشريع القرآن الكريم

فى قول الله جل شأنه : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » .

ومن ذلك ما أشرنا إليه من دفع الله الناس بعضهم ببعض وكل ما كانت العزيمة فيه كذلك فهو خير للمجتمع ومصلحة الشعوب والأمم ، ويا حبذا لو عمل الناس على تطبيق الحدود أخذا بالتشريع الحكيم فى مقاومة المفاسد وعلاج الأمراض والله المستعان .

ولقد حاول بعض الناس أن يستشفعوا بأحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العفو عن امرأة شريفة سرقت فغضب النبى صلى الله عليه وسلم وقال : «يا أسامة أتشفع فى حد من حدود الله والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

ولقد عاش الناس فى ظل ذلك التشريع حينا من الدهر وهم فى أمن وطمأنينة حتى نسوا ذكر الله فسلط الله عليهم الأمراض الاجتماعية والبدنية وظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون .

أما المرتبة الثانية المشروعة فى جزاء السيئة فهى أرفع المرتبتين شأناً وأعرقهما فى حسن الخلق وأحبهما إلى الله سبحانه إذا خلا تحقيقها من موانع الفساد فى الأرض والتمادى فى الشر وهى العفو عن الظالم وكظم الغيظ عن المسىء الجاهل .

وينبغى أن نفرد لها مقالا يبرز مكانتها فى الإسلام وما كان للسلف الصالح منها من نصيب صالح جعل حياتهم هنيئة كريمة ومجتمعهم فاضلا رشيداً فشاع بينهم التعاون على البر والتقوى والتكافل الصالح الذى سعدوا فى ظله ، ونسأل الله سبحانه أن يكتب لنا التوفيق للخير وإيثار الفضل آمين ؟

محمود النواوى

# رمضان والقرآن

للأستاذ معوض عوض ابراهيم

لم يحظ شهر من الشهور فى دنيا الناس بمثل ما حظى به شهر رمضان من تنويه القرآن الكريم به ، وإشادته بأحداثه الكبرى فى أيامه ولياليه ، وبافتراض الله صيامه على أمة محمد صلوات الله عليه ، مقرونا بحكمة اللطيف الخبير فى إيجاب هذا الصيام ، وبيان من فرضه الله عليهم ، ومن عذرهم من أدائه ، ورضى منهم بقضائه ، ومن أسقط برحمته هذه الفريضة عنهم ، وأوجب عليهم فيها الفدية ، وبيان ابتداء يوم الصوم وانتهائه ، والإلماع إلى الآداب التى يثمرها الصوم فى أنفس المؤمنين ، وإلى سنة الاعتكاف التى هى إحدى ملامح الشهر الكريم ، الذى ذهب بشرف طائفة من أمهات الفضائل ، فى القمة منها نزول القرآن ، إيذانا باصطفاء محمد صلوات الله عليه ، وابتداء طور جديد من أطوار الحياة ، هو قيام أمة أنهى الله إليها بمحمد ورسالته ، أمره إلى خلقـــه وكلماته إلى الناس حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

والقرآن الكريم فى حياة البشرية ليس ككل كتاب سبقه ، ولا هو شأن مادى كسائر الشئون التى تعرض للناس فى شتى الظروف ، فهو كتاب الله الذى يعلم السر فى السموات والأرض ويعلم من خلق وهو أصدق الحديث ، وأحسن القصص ، والسجل الواحد . والثبت الفرد الذى لم تعرف الحياة منذ نزل القرآن كتابا تصدق نسبته إلى السماء سواه ؛ ولا يجد المؤمن بد‌ا من أن يخفض له الجناح ويكبح من نفسه الجماح . ويرتبط به كلما غدا أو راح ؛ فلا يخفق فؤاده إلا به ولا ينبض قلبه إلا معه ولا ترنو عينه لغير إشاراته ، ولا يرهف سمعه إلا لدلالاته وتوجيهاته ، ويكون طماحه وأشواقه فى مرضاة الرحمن ووفق ما رسم الصادق المصدوق صلوات الله عليه بقوله :

« لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » صحيح مسلم . ولقد جاءنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالقرآن

من لدن حكيم حميد، وأمره الله أن يحكم به وثاق المؤمنين ويدعم صفهم ، ويروى فيهم شجرة إيمان ينمو مع الزمان. ويمد أهله خيره وفضله أينما اتجهوا ؛ وقلبوا أبصارهم في جوانب الحياة وقل أن توحش المؤمن والقرآن معه وحدة أو تطارده وحشة أو تخفى عليه معالم الهدى؛ فإن القرآن الكريم يؤنس وحدته ، ويقهر وحشته ويهديه من ضلالة ، ويعلمه من جهالة ويملأ أعطافه بالثقة والإعزاز الذين يصيران إليه من قول الله تعالى :

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » ( المنافقون ٨ )

والقرآن الكريم أعطى المنصفين ـ وهو يعطيهم إلى آخر الزمان ـ الدين والدنيا على سواء. ويفسح المجال في مدارج الشرف والكمال حتى يكونوا باتباع هداياته، امتداداً صادقاً وبنين شهوداً لأوائلهم الذين يقول الله فيهم : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (آل عمران ١١١ )

ولن يجد الأحياء هدايتهم ولا أمن دنياهم في غير رحاب القرآن، قال تعالى: « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » (طه ١٢٣ - ١٢٧).

ورمضان حقيق بكل إشادة في القرآن ومثلها معها ، فهو شهر الإسلام ،وليس وراء الإسلام من هبات الله ومن مفاخر الحياة ما يوضع أمامه في كفة ميزان ولقد أبصر الذى قال :

ألم تر أن السـيف ينقص قدره
إذا قيل هذا السيف خير من العصا

وجلت منة الله الذى يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » (المائدة٣)

قال الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية في كتابه « مفتاح دار السعادة »:

وإذا تأملنا الحكمة الباهرة في هذا الدين القويم والملة الحنيفية والشريعة المحمدية . التى لا تنال العبارة كمالها ولا

يدرك الوصف حسنها ولا تقترح عقول العقلاء - ولو اجتمعت وكانت على أكمل عقل رجل منهم - فوقها، وحسب العقول الكاملة الفاضلة إن أدركت حسنها وشهدت بفضلها وأنه ما طرق العالم شريعة أمثل ولا أجل ولا أعظم منها . فهي نفسها الشاهد والمشهود له والحجة والمحتج له والدعوى والبرهان ولو لم يأت الرسول ببرهان عليها لكفى بها برهاناً وآية وشاهداً على أنها من عند الله وكلها شاهدة له بكمال العلم وكمال الحكمة وسعة الرحمة والبر والإحسان والإحاطة بالغيب والشهادة والعلم بالمبادىء والعواقب . وأنها من أعظم نعم الله التي ينعم بها على عباده فما أنعم عليهم بنعمة أجل من أن هداهم لها وجعلهم من أهلها وممن ارتضاها لهم ، وارتضاهم لها فلهذا امتن على عباده بأن هداهم لها ، قال تعالى :

« لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (آل عمران ١٦٤)

وقال معرفاً لعبـاده ومذكراً لهم عظيم نعمته عليهم ، مستدعيـاً منهم شكره على أن جعلهم من أهلها » .

« اليوم أكملت لكم دينكم ... » الآية.

قال: « وتأمل كيف وصف الدين الذي رضيه لهم بالكمال ، والنعمة التي أسبغها عليهم بالتمام ، إيذاناً بأنه لا نقص فيه ولا عيب ولا خلل ولا شيء خارجاً عن الحكمة بوجه ، بل هو الكامل في حسنه وجلالته ، ووصف النعمة بالتمام، إيذاناً بدوامها واتصالها ، وأنه لا يسلبهم إياها بعد إذ أعطاهموها ، بل يتمهـا لهم بالدوام في هذه الدار وفي دار القرار » .

« وتأمل حسن اقتران التمام بالنعمة، وحسن اقتران الكمال بالدين ، وإضافة الدين إليهم ، إذ هم القائمون به المقيمون له ، وإضافة النعمة إليه ، إذ هو وليها ومسديها ، والمنعم بها عليهم، فهي نعمة حقاً ، وهم قابلوها » .

« وأتى في الكمال ( باللام ) المؤذنة بالاختصاص ، وأنه شيء خصوا به دون الأمم » .

« وفي إتمـام النعمة ( بعلى ) المؤذنة بالاستعلاء والشمول والإحاطة ، فجاء (بأتممت) في مقابلة (أكملت) و (عليكم) في مقابلة ( لكم ) و ( نعمتي ) في مقابلة (دينكم) وأكد ذلك وزاده تقريراً وكمالا

وإتماما النعمة بقوله : ( ورضيت لكم الإسلام ديناً ) .

• وكان بعض السلف الصالح يقول : ( يا له من دين لو أن له رجالا ) !

هذه جوانب من الإسلام ، تتوائب فى الخواطر والأفهام ، كلما دار الفلك بهذه الحقبة من الزمان عاماً بعد عام ، والأبصار تستطلع هلال شهر الإسلام ، والأرواح تهفو إلى صيام أيامه وقيام لياليه ، استجابة لما كتب الله علينا ، وحفاوة بأيمن الذكريات وأبرك المناسبات التى تجدد فيها عهود الولاء لله ، والوفاء لدينه ، والاقتداء برسوله ، وشد عرى السير وراء صحابته ؛ الذين هم من بعده أعـــلام الحق ونجوم الهدى ، وتأمل الإسلام وتكاليفه ، ابتغاء أن نكون بها مع الله على حال نرجو بها نصره ، ونستنجز خيره ، فما عند الله من عون ولصمة لا ينال إلا بطاعته « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » النحل ١٢٨ .

وتكاليف الإسلام التى نتأملها ونحن نجدد مع الله عهود الولاء له والوفاء لدينه عصمة من شرور الحياة ، وأمان من أهواء النفوس ، ووساوس الشيطان ودسائسه ، وهى ينابيع تفيض على المؤمن أبداً مزيداً من الكرامة التى لا يهبها إلا الله ( ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ) الإسراء .

والصوم الذى تقبل فرضيته ؛ واحد من هذه التكاليف التى لا ينبغى أن تغيب حقيقتها عن شراة رضوان الله ، وطالبى مغفرته وهداه ؛ حتى يصنع منا الصيام مرة أخرى الأمة الموصولة بالله ، المستجيبة لأمره ، المراقبة له فى كل ما تأخذ وما تدع ، وقد انتصرت فى ميادين ترك طعامها الضرورى وشرابها الحبوى ، وشهواتها المشروعة ؛ إلى ميادين الذب عن العقيدة وتعقب الذين يحتلون أرضها ، ويتهددون أمتها ويتألبون فى مواطن كثيرة عليها فلا تنتهى هذه العزيمة الخيرة النيرة حتى يأمن العباد وتسلم البلاد وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

ولا تبقى فى كيان المجتمع المسلم ثغرة يمكن أن ينفذ منها الذين يحسبون الصوم - ظالمين - عادة تدعو إلى السلبية ، وتشجع على الكسل والعجز عن العمل ، وتورث الصائم ضعفا فى صحته وتخلفا فى الإنتاج عن أبناء أمته كبرت كلمة تخرج من

أفواههم إن يقولون إلا كذبا» الكهف: ٥

- يقول الإمام ابن قيم الجوزية فى فصل عقده لبيان الحكمة الإلهية فى الشرائع فى كتابه «مفتاح دار السعادة» : «وأما الصوم فناهيك به من عبادة تكف النفس عن شهواتها ، وتخرجها عن شبه البهائم إلى شبه الملائكة المقربين ، فإن النفس إذا خليت ودواعى شهواتها التحقت بعالم البهائم ، فإذا كفت شهواتها لله ، ضيقت مجارى الشيطان ، وصارت قريبة من الله بترك عادتها وشهواتها ومحبة له وإيثارا لمرضاته ، وتقربا إليه ، فيدع الصائم أحب الأشياء إليه ، وأعظمها لصوقا بنفسه من الطعام والشراب والجماع من أجـل ربه ، فهو عبادة ، ولا تتصور حقيقتها إلا بترك الشهوة لله ، والصائم يدع طعامه وشرابه من أجل ربه ، وهذا معنى كون الصوم له تبارك وتعالى بهذا فسر تلك الإضافة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : «يقول الله تعالى : كل عمل ابن آدم يضاعف ، الحسنة بعشر أمثالها قال الله تعالى إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به يدع طعامه وشرابه من أجلى» ، حتى إن الصائم ليتصور بحالة من لا حاجة له فى الدنيا إلا تحصيل رضا الله ، وأى حسن يزيد على حسن هذه العبادة التى تكسر الشهوة ، وتقمع النفس ، وتحيى القلب وتفرحه ، وتزهد فى الدنيا ، وشهواتها وترغب فيما عند الله ، وتذكر الأغنياء بشأن المساكين وأحوالهم ، وأنهم قد أخذوا بنصيب من عيشهم ، فتعطف قلوبهم عليهم ، ويعلمون ما هم فيه من نعم الله فيزدادوا له شكرا . وبالجملة فعون الصوم على تقوى الله أمر مشهور ، فما استعان أحد على تقوى الله ، وحفظ حدوده ، واجتناب محارمه بمثل الصوم فهو شاهد لمن شرعه ، وأمر به ، بأنه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين ، وأنه إنما شرعه إحسانا إلى عباده ورحمة بهم ولطفا ، لا بخلا عليهم برزقه ولا مجرد تكليف وتعذيب خال من الحكمة والمصلحة ، بل هو غاية الحكمة والرحمة والمصلحة ، وإن شرع هذه العبادات لهم من تمام نعمته عليهم ورحمته بهم» .

فمتى يأخذ الناس ما شرع الله ، وأوجب من تكاليف ، على وجوهها الربانية ؛ لتصلح بها دينهم ، وتصح عقيدتهم ، ويكونوا بها مرة أخرى القادة السادة فى كل زمان وفى كل مكان ؟

معوض عوض إبراهيم

# ليلة القدر

للدكتور عزت على عطية

---

إن مقارنة الآيات القرآنية التى لها علاقة بهذه الليلة الكريمة هو أول ما ينبغى أن نبدأ به حديثنا عن تلك الليلة الجليلة .

لقد أنزل الله سورة باسمها ، وصدر هذه السورة بتقرير إنزال القرآن فيها ، ونفخم شأن القرآن بتفخيم هذه الليلة ، وبيان ما اشتملت عليه من مظاهر الرضوان الإلهى ، والسلام العام .

ويتحدث القرآن مرة ثانية عن نزول القرآن مقرراً نزوله فى ليلة لها سمات خاصة ، وملامح معينة ، لا تكاد تختلف عن صفات ليلة القدر - فيقول : « إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم ... » .

وفى مرحلة ثالثة يحدد القرآن الشهر الذى تحقق فيه نزوله ، وسرى فى أرجاء العالم على مر الزمان سناؤه ونوره ، فيقول : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

الليلة التى نزل فيها القرآن ليلة القدر ، والشهر الذى نزل فيه القرآن شهر رمضان ، لقد نزل القرآن فى ليلة القدر من شهر رمضان .

أما عن تحديد هذه الليلة تحديداً لا لبس فيه من شهر رمضان فذلك موضوع له مجالاته الفسيحة أمام الباحثين .

إن تعيين وقتها لم يرفع كلية بحيث تصبح غير واضحة المعالم من بين سائر أيام الشهر ، لقد انحصر تعيينها فى دائرة الأيام العشرة الأخيرة من شهر رمضان ، وعلى ذلك تدل الأحاديث الصحيحة ، فبدلا من أن يطلب التماسها فى ليلة ، طلب التماسها فى عشر من الليالى ليتمكن المؤمن من التماسها ، والاستعداد لاغتنامها ، فترة معقولة من الزمان ، كافية لترسه بالعبادة ،

وتذوقه حلاوة الطاعة ، وترقيه فى مجالات السباق .

وليست ليلة القدر هى الأمر الشريف الخطير الذى أخفى الله تعالى عينه ، ووجه إلى التماسه فى فترة محدودة ، لايخرج عن نطاقها زمنه ، وترك تحديده تحديداً قاطعاً لا ريب فيه .

لقد أخفى الله رضاه فى الطاعات ليرغب العباد فى كل طاعة .

وأخفى غضبه فى المعاصى ليحترزوا عن كل معصية .

وأخفى وليه بين عباده ليحفظوا حرمة كل مؤمن .

وأخفى ساعة الإجابة يوم الجمعة ليتحفظوا على اليوم كله .

وأخفى الاسم الأعظم من بين أسمائه ليعظموا كل الأسماء .

وأخفى الصلاة الوسطى لئلا يتهاونوا بأى صلاة .

وأخفى وقت الموت ليخافوا فى كل الأوقات .

أما عن ليلة القدر فقد أخفاها الله تعالى ليغارم العباد كل ما يظن وجودها فيه من الليالى . .

ومن الأحاديث التى تشير إلى زمان ليلة القدر ، وتحدد المدة التى توجد هذه الليلة بين ثناياها ، ما رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان » .

وروى البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان ، ليلة القدر فى تاسعة تبقى ، فى سابعة تبقى ، فى خامسة تبقى » ، وهذا هو مايفسر ماتقدم فى حديث الملاحاة .

وروى البخارى بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هى فى العشر الأواخر ، هى فى تسع يمضين ، أو فى سبع يبقين » .

وحدث مالك عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجالا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر » .

والمنهج الأمثل - فيما نرى - فيما يتصل بالتماس ليلة القدر ، ما رواه البخارى عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور فى العشر الأواخر من رمضان ويقول : تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان » .

إنها تكون لمن جد فى طلبها ، واعتكف من أجل تحصيلها ، وفرغ نفسه للعبادة فى الفترة التى يغلب على الظن وقوعها فيها .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى هذا المجال ، وكان القدوة فى سلوكه لمن أراد التأهل لهذا الاستقبال . روى البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله » .

لقد كان يبدأ حركة إيمانية قوية لا تقتصر على شخصه الشريف ، وإنما تتعدى إلى من يساكنه من أهله ، فكان يعتزل النساء ، ويشمر عن ساعد الجد فى العبادة ، ويجتهد فى هذه الليالى - وهو الذى كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه - أكثر من اجتهاده فى غيرها من الليالى .

وبعد هذا التحديد التقريبى لزمان ليلة القدر نحاول التعرف على السمات الخاصة التى جعلت لهذه الليلة هذا الفضل الكبير .

إن أهم هذه السمات هى نزول القرآن فى هذه الليلة ، سواء أكان نزوله إلى السماء الدنيا أم ابتداء نزوله .

والواقع أن ما ترجحه الأحاديث هو أن المراد بإنزال القرآن فيها ابتداء نزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى فى ذلك تلتقى مع نصوص القرآن فى أن ابتداء نزول الوحى على الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى ليلة من ليالى رمضان ففى حديث بدء الوحى الذى رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها قالت :

أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى

إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء .. قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقــــرأ ، قلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ ؛ فقلت : ما أنا بقارىء ؛ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » الحديث.

وكان ذلك في رمضان فيما رواه ابن اسحاق ، وفي ليـلة أربع وعشرين منه ، وهو ما يشير إليه ما رواه أحمد بسنده عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان »

لقد كان رمضان هو الشهر الذي نزلت فيه هـــذه الكتب المقدسة التي تشمل أم الرسالات الإلهية إلى العالم ، ولعـــل ذلك هو السر في اختصاصه بوجوب الصوم فيـه ، والإكثار من العبادة في أثنائه ، وتمييزه على غيره من الشهور .

وإن ليلة القدر هي الليلة الكريمة من هذا الشهر المبارك التي اختصت بنزول القرآن فيها ، والتي تتكرر ذكراها ، ويتكرر فضلها في كل رمضان . . فهي أفضل ليلة في أفضل شهر ، تتنزل فيهـا الملائكة بالخير ، وينتشر فيها السـلام والأمان لأهل الإيمان . .

وإذا كان بعض العلماء قد حاول قصر تفضيل ليلة القدر على أول ليلة نزل فيها الوحي دون غيرها من ليالي رمضان في كل عام ، فإننا لا نرى ما يدعو لهـذا القصر لما قدمناه من عدم وجود ما يمنع من تفضيل الله ما يشاء بما يشاء .

لقد شرفت ليلة القدر بنزول القرآن فيها ، وشرفت كل ليـلة توافق ذكرى هذه الليلة بمثل ما شرفت به هـذه الليلة تشريفا للقرآن ، وتذكيراً به ، وتوجيها للناس إلى الانتفاع بآياته .

( البقية على ص ٦٤٦ )

# الفتح المبين

للأستاذ عبد الغفار الباز محمد

---

كانت قريش قد نقضت صلح الحديبية بينها وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان من بواعث نقض العهد أن خيل لقريش أن المسلمين قد بلغ بهم الوهن، وأن إحساسهم بالضعف هو الذى حفزهم على استجابة عقد صلح الحديبية مع قريش ولما قد مضى على الصلح عامان فلا بد أن هيبتهم قد زالت من النفوس ولابد أنهم قد تكاسلوا عن القتال ولم يعد لهم جلد عليه ؛ وفى هذا الجو المشحون باضطراب أفكار الشرك فى مكة نهضت قريش لتناصر قبيلة بكر حليفتها على قبيلة خزاعة حليفة الرسول فناصبته بذلك العداء المباشر؛ مما اضطر الرسول إزاءه أن يتجهز ليرد الكيد ويؤدب العدو الغادر ، عند ما بلغه اعتداء قريش وأتاه من خزاعة من يستنجده ويقول فيما قال :

يارب إنى ناشد محمدا
حلف أبينا وأبيه الأتلدا
فانصر هداك الله نصرا أعتدا
وادع عباد الله يأتوا مددا
إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا

فقال الرسول لزعيمهم عمرو بن سالم الخزاعى :

نصرت يا عمرو بن سالم .

وكان الإسلام بمكاتبة النبى للملوك والامراء قد بلغ صداه أرجاء الدنيا ، وكانت الحرب الدائرة بين الفرس والروم قد انتهت بانتصار الروم على الفرس ففرح بذلك المسلمون باعتبار الروم أهل كتاب، وتفاءلوا بانتصار الإسلام - خاتم كتب السماء - على المشركين عبدة الأوثان وكان الفرس أهل وثنية ومجوسية ، فشجع المسلمين إيمانهم بأن نصر الله آت قريب ، وخرج بهم الرسول لينجز ما وعده الله به من الفتح المحقق المبين

بعد ما أثابه من الفتح القريب عام الحديبية الذى اعترفت قريش فيه بالمسلمين اعتراف الند للند بما كان فيه فوق ماتقدم دعاية قوية للمسلمين نحو نشر دينهم خارج بلاد العرب.

خرج الرسول إلى مكة ليضع يده على بيت الله الحرام . الذى جعله الله مثابة وأمنا للناس ، وكان كل أمله أن يدخل البيت دون أن تراق دماء ، فأصدر أوامره إلى قادة الجيش أن لا تقاتل إلا إذا أكرهت على الدخول فى حرب ، وكان أبو سفيان قد أسلم ، بعد أن كان خارجا يستطلع الأخبار لقريش فالتقى بالعباس بن عبد المطلب الذى أردفه وراءه عائداً للرسول بعد أن علم منه أبو سفيان بأن الرسول أتى فى جيش لا قبل لقريش على ملاقاته ـ ولما مثل بين يدى الرسول أسلم بعد محاورة ـ كان من أثرها ـ أن نادى الرسول : «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن» وأسرع أبو سفيان إلى مكة يذيع ذلك على الملأ من قريش .

دخل المسلمون مكة ولم يحدث سوى مناوشات بسيطة صدر بعدها العفو العام من الرسول الكريم ـ عن أهل مكة جميعا ـ إذ وقف عليه الصلاة والسلام على باب الكعبة ونادى أهل مكة :

( ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم ، قال اذهبوا فأنتم الطلقاء ) .

وهكذا نرى أعز تسامح شهده تاريخ الإنسانية ـ من نبى الإسلام لمن ناصبوه العداء وناجزوه القتال حينا بعد آخر وتآمروا عليه ليقتلوه . أى نفس شهدها التاريخ فى دنيا الناس أصفى وأرق وأشفق من نفس تعفو عن العدو بينما هى فى عنفوان قوتها وبلوغها قمة النصر والفتح !؟

يقول لامارتين شاعر فرنسا الكبير[1] لو قسنا العظمة بالنصر الحربى والنفوذ والسلطان فمن يدانى محمدا نبى الإسلام فى هذا المضمار ؟ لقد كان مقياس العظمة فى توحيد البشرية المفككة الأوصال ومن يكون أجدر بهذه العظمة من محمد الذى جمع شمل العرب وجعلهم أمة واحدة عظيمة وامبراطورية شاسعة ، ولو كان

(١) راجع محمد فى مرآة الفكر الأجنبى

مقياس العظمة هو إقامة حكم السماء على الأرض فمن ذا ينافس محمداً وقد محا مظاهر الوثنية ليقيم عبادة الخالق وحده؟

ويقول مستشرق فرنسا «ماسينيون»: ليس من مجتمع غير مجتمع الإسلام يحظى بما حفل به الإسلام من ماض حافل بالنجاح فى جمع كلمة الشعوب المتباينة بأخلاق النبوة. فتح محمد صلى الله عليه وسلم مكة وعاد إليها مظفرا منتصرا بعد أن أخرجوه منها عنوة بتضييق الخناق عليه وأصحابه حتى خرجوا مهاجرين من مكة فرارا بدينهم، وهاهم أولاء يعودون يظلهم دينهم الذى طالما عذبوا من أجله وناضلوا فى سبيله.

عاد نبى الإسلام إلى مكة منذ أن خرج منها مهاجرا، والنفس المهاجرة لا تزال تذكر شوقها حتى تعود آمنة إلى من وما تحب.

وما أشد لهفة النفس إلى وطنها الذى فيه نشأت وعلى أرضه ترعرع حبها ونما عليها الجسد سويا، ومن هنا كانت أشواق للمسلمين يحفزها عامل الإيمان بحرمة هذا البيت «مكة» بيت الآباء والأجداد منذ عهد إسماعيل وأبيه إبراهيم عليهما السلام، إذ كانت قبلة عبادتهم ومكان حجيجهم، ولهذا كان قسم الرسول عند ما تعاهدت قريش ولم يزل فيهم خالد بن الوليد أن يمنعوه من دخول مكة: «فوالله لا أزال أجاهد على هذا الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة».

قال تعالى فى سورة الفتح الآية ٢٨: «هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ..» الآيات.

وإذا كان الله سبحانه قد أرسله بالدين الحق فلا بد أن ينجزه ما وعد لأنه دين الحق والإنسانية.

قال تعالى فى الآية قبلها من سورة الفتح ٢٧: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا».

فعلى أى وجه أريد بالفتح القريب، فقد صدق وعد الله بدخول الرسول بيت الله الحرام منتصرا، لكنه ليس نصر القوة الغاشمة، كما يفعل أصحاب

الغرور الفاجر فى طغيان سلطانهم وقوتهم للمادية .

وإنما هو نصر المبادىء الحية فى أرقى سمو للنفس البشرية ؛ وإلا فأى نفس تحمل من المبادىء أصفى من نفس أدبها الله فأحسن تأديبها ؟

تلك كانت نفس نبى الإسلام لتصير مبادئها دينا يعبد فى الأرض لله الواحد ناصر الحق بالفتح المبين ومتم النعمة والهادى إلى الصراط المستقيم ، وهو الذى أرسل رسوله بالهدى مبشرا ونذيرا قال تعالى من سورة الفتح الآية ٨: « إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا »

من هنا كانت غاية الإسلام من فتح مكة يتجلى فى الحقائق الآتية :

أولا : تتبع الدعوة الإسلامية التى أطلت بالفتح المبين على مجتمعات تتنازعها عوامل السيطرة فى حب الذات ، وشهوة الحكم فى ظلام جبروته ، وقوة المادة فى طغيانها الأعمى - مجتمعات تعيش فى ظلام الوثنية والشرك وأخرى تعيش تحت قهر العبودية والذل .

فجاء الإسلام ليرد على إنسان هذه المجتمعات كرامته الآدمية فى أوسع أفق أشرقت شمسه من سماء مكة بالفتح المبين .

ثانيا : ضرب الرسول أعظم المثل فى كل جيل أن الحق لا بد أن ينتصر وأن الصبر على الكفاح واصل إلى غايته .

ثالثا : بفتح مكة جمع شتات الكلمة المتفرقة ، فأصبحوا بنعمة الله إخوانا ، فقضى بذلك على نعرة الجاهلية الأولى فلا سيد ولا مسود ولا فساد ولا طغيان وصارت مكة منطلقا بالدعوة إلى العالم الخارجى ، كما ضرب أعظم المثل أن العفو عند المقدرة ضرورة لازمة للقائد المنتصر إذا أراد البقاء لدعوته .

فها هو ذا صلوات الله وسلامه عليه يعفو عمن ظلموه وأخرجوه وناصبوه العداء « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وناهيك إلى صفوان بن أمية الذى أهريق دمه فى الإسلام لشدة عداوته للنبى والمسلمين يعفو عنه الرسول ويعطيه الأمان بعد أن صار بعد الفتح فى ضيق وخوف . وكاد أن ينتحر ، فإذا الإسلام يملك عليه قلبه فيسلم ، وفى هذا رد على من يرى أن الإسلام قامت دعوته بالسيف .

رابعا : إقامة عدالة اجتماعية تبنت

جذورها فى المدينة ، فقضى النبى صلى الله عليه وسلم على فساد الزعامة بكبريائها المغرور وأصبح الحكم لله ولرسوله ، كما أصبحت الأمة كلها من المدينة إلى مكة أملا لحل الأمانة والانطلاق بها فى أنحاء جزيرة العرب تقويضا لأركان الجاهلية ، حتى أصبح الإسلام حركة كبرى قوضت بالتالى وثنية الفرس ، وأصلحت فساد التحلل المسيحى فى روما .

خامسا : بفتح مكة تكونت الجماعة ذات النفس الطويل فى نشر الدعوة الإسلامية التى شملت الأسرة الإنسانية كلها فى مشارق الأرض ومغاربها ؟

عبد الغفار الباز محمد الباز

---

## ( بقية المنشور على ص ٦٤١ )

ولعل تراوح هذه الليلة بين العشر الأواخر من رمضان ، أو بين أيام الشهر كله على ما قيل ؛ راجع لتراوح الشهور العربية بين الزيادة والنقص ، فما يقابل ليلة القدر من عام لاحق لا يلزم منه أن يكون فى نفس تاريخ هذه الليلة السابقة ، ومن هنا فإن رفع تعيينها بسبب تلاحى الرجلين كان رفعا لتعيين ليلة القدر الخاصة بهذا العام ، ومن هنا كان تعيين ليلة القدر مطلوبا فى كل عام . وإذا تيسر ذلك فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بإخباره بهذا التعيين ، فكيف الحال بعده ، من الذى سيخبر ولا وحى ، ومن الذى سيبلغ ولا رسالة ، ولذلك كان رفعها خيرا ؛ لأنه حصر المدة التى يحتمل وجود هذه الليلة بين ثناياها .

وبعد : فقد روى أحمد وغيره عن عائشة رضى الله عنها قالت : « قلت : يا رسول الله أرأيت إن علمت أى ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال : قولى : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى » ؟

عزت على عطية

# الفرزدق فى شبابه

للأستاذ السيد حسن فروخ

---

كان غالب بن صعصعة سيداً من سادات بنى تميم يجالس أمير المؤمنين على بن أبى طالب ويحادثه ، وفى يوم صحب ابنه هماما المشهور بالفرزدق[1] إليه ليراه ويباركه ، فسأله على كرم الله وجهه عن الغلام الذى معه . فقال له : هذا ابنى يوشك أن يكون شاعراً مجيداً ، وكان قد أخذه برواية الشعر ، ومعرفة أنساب العرب وأيامهم ، لينبغ ويكون شاعر مضر - كما لقب فيما بعد - فقال له الإمام على : أقرئه القرآن فهو خير له ، وصادفت هذه النصيحة مكانها فى قلب الفتى ، فقيد نفسه بقيد وآلى ألا يفكه حتى يحفظ القرآن ، فما زال فى قيده حتى حفظه على الرغم من كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب .

وكان المنتظر منه بعد هذا اللقاء الجليل ، والنصيحة الغالية أن ينزع منزعا إسلاميا يتسم بالخلق الحميد ، والعفة والنزاهة والبعد عما يعيب الرجل الشريف ، ولكنه كان على نقيض ذلك ، فقد غلبه شيطانه ، وأغوته نوازع الشباب وفورته ، فأتى أعمالا وأقوالا ينكرها الدين الحنيف ، ويأباها الخلق الكريم ، وكان والى العراق وخراسان فى هذا الأوان زياد بن أبى سفيان ، وكان رجلا جاداً يقظا يقلد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مسلكه ، وإن غالى فى تقليده غلواً كبيراً ، يحكم العراق بالحزم والعزم ، ولا يتوانى فى أخذ المخطىء بالشدة ولو بالظنة .

وكان كالمستقل بولايته التى اتسعت فامتدت من خراسان إلى اليمامة وعمان ، وكان معاوية بن أبى سفيان يقر سياسته ويقول له : أنت الشدة وأنا اللين ، وكان شعاره المدون فى ديوانه «الشدة فى غير عنف ، واللين فى غير ضعف» وبلغ من ضبطه لولايته أنه كان يقول : «لو ضاع حبل بينى وبين خراسان لعرفت آخذه» وشيطان الفرزدق لم يلجم إلا فى عهده ، وبالتحديد سنة ٥٠ هـ ، فاذا جرى

(١) ولد الفرزدق سنة ١٩ هـ وتوفى سنة ١١٠ هـ

من الفرزدق ؟ وما موقف زياد منه ذلك ما نعالجه فى ذلك المقال ، لحياة الفرزدق طويلة وعريضة ، وحوادثه مع الولاة والأمراء والخلفاء كثيرة ومثيرة ، ولكنا ندل عليه بالإشارة إليه فى شبابه .

كان بدء الصراع بينه وبين زياد أن أباه غالبا بعثه فى عيرنه وجلب ؛ ليبيعه ويمتار له ويشترى كسآ لأهله ، فقدم الفرزدق البصرة فباع الإبل ، وأخذ الثمن ، وجعل يربط الدراهم ويستوثق من ربطها ، وبينا هو كذلك عرض له رجل كأنه شيطان . فقال له : لشد ما تستوثق منها . قال الفرزدق : وما يمنعنى؟ قال الرجل : أما لو كان مكانك رجل أنا أعرفه ما صبر عليها، قال : ومن هو ؟ قال الرجل : هـــو غالب بن صعصعة ـ والد الفرزدق ـ

فلما سمع كلام الرجل وذكر له أباه دعا أهل المربد ، وقال لهم : دونكموها ونثر ما معه عليهم من دراهم ودنانير فقال قائل : ألق رداءك يابن غالب ، فألقاه ، وقال آخر ألق قميصك ، فألقاه ، وقال ثالث : ألق عمامتك ، فألقاها ، حتى بقى فى إزار ، فقالوا : ألق إزارك . فقال لهم : لست بمجنون ألق إزارى وأمشى مجردا .

وبلغ الخبر زياداً فاستشاط غضبا، وأمر بالقبض عليه لإسرافه وسفهه وخروجه على التعاليم الإسلامية ، ولكنه استطاع الهرب بمعونة بعض أقاربه ، ولم يسكت زياد فقبض على ذهيل والزحاف عمى الفرزدق ، وكانا موظفين فى ديوان البصرة ، فأرسل إليهما الفرزدق : إن شئتم سلمت نفسى لزياد حتى تنجوا ، فبعثا إليه : لا تقربنا ، إنه زياد . وسعى أناس لهم دالة على الوالى فى إطلاق سراحهما ، وقالوا : شيخان سامعان مطيعان ليس لهما ذنب فيما صنع غلام أعرابى من أهل البادية ، فخلى عنهما .

ولما هدأت الحال ، وتراخى الطلب تقابل مع عميه ، فسألاه عن أمره ، فقص عليهما قصته ، فأعجبا بعمله ، ولم يلوماه بل تحملا ما طلب إليه أبوه من ميرة وكسوة وغيرها . وانطلق حتى وافى أباه ، وقدم إليه ما أتى به ، فسأله عما صنع بمربد البصرة ، فأخبره بما كان منه فسر به، وقال له : وإنك لتحسن مثل هذا !

ومسح على رأسه؛ فقد رأى فيه شخصه يوم تبارى مع سحيل بن وسيل الشاعر فى أيهما أكثر نحرا للإبل ، فنحر غالب مايربو على عشرين ناقة والفرزدق يجمع له النرق لينحر ، وقد حرم على كرم الله وجهه تناول لحمها حينذاك ، فالفرزدق ، من معدن أبيه ، «ومن شابه أبه فما ظلم » وقال الفرزدق الشعر بعد تلك الحادثة ، ولم يقله فى الخير ، والدعوة إلى البر ، والتغنى بالفتوحات والانتصارات ، بل سلك مسالك الجاهلية من التعرض للحرمات ، والإقذاع فى الهجاء ، وزج بنفسه فى المزالق والمضايق ، وتجشم المكاره غير مبال بما يلاقيه .

قالوا: وفد إلى معاوية بالشام الأحنف ابن قيس ، وجارية بن قدامة ، والجون ابن قتادة ، والحتات بن يزيد وكلهم من بنى تميم ، وأقربهم نسبا إلى الفرزدق الأخير ، فأعطى معاوية كلا منهم مائة ألف وأعطى الحتات المجاشعى سبعين ألفا ، فلما كانوا فى الطريق سأل بعضهم بعضا ، فعرف الحتات جوائزهم وأنه نقص عنهم فرجع إلى معاوية فقال: ماوراءك ياحتات؟ قال : فضحتنى فى بنى تميم ، أما حسبى صحيح ؟ أو لست معطاعا فى عشيرتى؟ قال معاوية : بلى . قال : فما بالك خسست بى دون القوم؟ قال معاوية : إنى اشتريت من القوم دينهم ووكلتك إلى دينك ، ورأيك فى عثمان بن عفان - وكان الحتات عثمانيا ، فقال : وأنا فاشتر منى دينى.

فأمر له معاوية بتمام جائزة القوم ، وطعن الحتات فمات ، فحبس معاوية جائزته . وعرف الفرزدق ما حدث ، فغضب غضبة مضرية - كما يقولون - وشن الغارة على معاوية؛ إذ كيف ينقص جائزة المجاشعى عن غيره ؟ ثم كيف يحبسها بعد وفاة صاحبها ؟ إن هذا يغض من شأن مجاشع ، وماذا يفعل ، إن له شعره ولسانه ، فليقل :

أبوك وعمى يا معاوى أورثا
تراثا فيحتار التراث أقاربه
فما بال ميراث الحتات أخذته
وميراث حرب جامد لك ذائبه
فلو كان هذا الأمر فى جاهلية
علمت من المرء القليل حلائبه

هنا يطالب الفرزدق بجائزة الحتات ، ويتهم معاوية بأخذ ميراثه مع أنه يتمتع بميراث جده حرب بن أمية ، والحقيقة

أن لا ميراث لأحد منهما فهى ، أموال المسلمين جعلها معاوية جوائز لمن يستميلهم ويتحدث الشاعر عن الجاهلية وأصحاب النوق الكثيرة والقليلة ، ولو كانوا فى الجاهلية لكانوا جميعا رعية لرعية ، فالإسلام هو الذى أغنام وأعلام ، ثم يستمر مفاخرا هاجيا لا يستثنى إلا النبى وآله :

أنا ابن الجبال الصم فى عدد الحصى
وعرق الندى عرقى ، فمن ذا يحاسبه ؟
أنا ابن الذى أحيا الوئيد ، وضامن
على الدهر إذ عزت لدهر مكاسبه
وكم أب لى يا معاوى لم يزل
أغر يبارى الريح ما ازور جانبه
نمته فروع المالكين ، ولم يكن
أبوك الذى من عبد شمس يقاربه
تراه كنصل السيف يهتز للندى
كريما يلاقى المجد ما طر شاربه
طويل نجاد السيف مذ كان لم يكن
قصى ، وعبد الشمس ممن يخاطبه

إنك تقرأ هذا الشعر فترى شابا مفتونا بآبائه ، لا يرى أحدا يدانيهم فى مكانتهم وعددهم وكرمهم ، وطول أجسامهم ، ومن ذلك الأحد ؟ إنهم سادة قريش وسادة الدنيا فى ذلك الزمان ، بأسمهم تسل السيوف ، وتثل العروش ، وترغم الأنوف ، ولكن الشاعر جعلهم وآباءهم دونه ودون آبائه .

ولو اقتصر الشاعر على عبد شمس لقلنا قد قارب وإن بالغ ، ولكنه حين يجعل قصيا ليس فى مكانة من يخاطب أباه يكون قد بالغ ولم يعرف منازل العظماء ولا يرضى آل محمد صلوات الله عليه أن يذكر الشاعر جدهم قصيا بهذا الأسلوب المقذع ، ذكر الشاعر أن فروعه من مالك من حنظلة ، ومالك بن زيد مناة بن تميم ، والعرب تعرف أنهما دون من ذكر من أجداد معاوية ، وذكر جده صعصعة الذى أحيا الموءودات ولو نظر إلى حفيد قصى نبى الإسلام لقر فى نفسه أنه أحيا أمما ، وأقام شريعة سمحاء يستظل بظلها ملايين البشر ، ويفخر بنو تميم أنهم وأدوا بناتهم خشية العار فى قصة يرددونها وهى أن النعمان غزاهم لامتناعهم عن دفع الإتاوة فأسر رجالا ونساء منهم ، ثم تم الصلح فرد الرجال ؛ وخير النساء بين الآباء والأزواج ؛ فرجعت جميع النساء إلا بنتا لقيس بن عاصم اختارت زوجها . وقد

أكذبهم القرآن الكريم بقوله : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق » ونسى عليهم جفاءهم بقوله حين صاحوا ينادون رسول الله : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون » ، لم ينظر الفرزدق إلى ذلك ؛ واكتفى بذكر المالكين وصعصعة ومحيى الموءودات بشراء حياتهن من آبائهن ؛ ونسى أن قصيا شخصية تاريخية من مؤسسى المدن الكبرى ؛ وواضع النظم لحياة مكة وقريش ؛ وصاحب السقاية والرفادة والحجابة واللواء ودار الندوة . ومن الذى يهتز الندى يومئذ ؟ إنه معاوية الذى يطالب بجائزة الحتات ؛ وقد بعثها إلى ورثته من بنى مجاشع وفوق كل ذلك « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وسمع زياد هذا الشعر فزاد غضبه وجد فى طلبه ؛ فهو لا يقبل هجاء ولا قذفا ومما زاد فى غضب زياد وألح عليه فى القبض على الشاعر أن بنى نهشل وبنى فقيم وهم من سكان البصرة جاءوا إليه يشكون الفرزدق ؛ لأنه هجاهم حين هجا الشاعرين : البعيث ؛ والأشهب بن رميلة وأحس الفرزدق بطلبه فاستخفى وركبته هموم وأحزان ناء بها ؛ وعسر عليه الخلاص منها . وفى ليلة ليلاء طرق باب عيسى بن خصيلة البهزى السلمى فقال يا أبا خصيلة : إن هذا الرجل قد أخافنى وإن صديقى وجميع من كنت أرجو قد لفظونى ، وإنى أتيتك لتغيبنى عندك قال : مرحبا بك . فمكث عنده ثلاث ليال ، ثم قال له : قد بدا لى أن ألحق بالشام ، فقال له : لك ما أحببت ، إن أقمت معى ففى الرحب والسعة ، وإن شخصت فهذه ناقة أرحبية أمتعك بها ، فركب ليلا ، وبعث معه عيسى رجالا حتى جاوزوا البيوت ، فقال :

حبانى بها البهزى حملان[1] من أبى
من الناس والجانى تخاف جرائمه
ومن كان يا عيسى يؤنب ضيفه
فضيفك محبـــور هنى مطاعمه

وهى قصيدة طويلة :

وبلغ زيادا أنه قد شخص ، فأرسل فى طلبه ، وعرف أنه نزل عند أم أبى النجم الراجز ، فجد فى القبض عليه عندها ، فسلته من كسر بيتهما ، فنجا ، ومدحها بالشعر ، ثم أتى الروحاء ، فنزل فى بكر ابن وائل ، فأمن ، فقال يمدحهم:

(١) المراد : معونة الخائف .

وقد مثلت . أين المسير فلم تجد

لفورتها كالحي بكر بن وائل

أعف وأوفى ذمة يعقدونها

إذا وازنت شم الذرى بالكواهل

ولم يتمكن الفرزدق من مغادرة العراق فاتخذ لنفسه مسلكا أريبا، ومذهبا مأمونا، فكان إذا نزل زياد البصرة نزل الكوفة، وإذا نزل الكوفة نزل الفرزدق البصرة، وكان زياد يراوح بينهما؛ فيقضي ستة أشهر في كل منهما. وبلغ زيادا ما صنع الفرزدق؛ فكتب إلى عامله على الكوفة عبدالرحمن بن عبيد: إنما الفرزدق فحل الوحوش يرعى القفار، فإذا ورد عليه الناس ذعر ففارقهم إلى أرض أخرى فرتع. فاطلبه حتى تظفر به. وبث ابن عبيد العيون في كل جهة. ورصده بكل سبيل. وصار الناس يتحاشونه خوفا من أذى الحاكم، وسلطان الظالم. وحكى الفرزدق ما لاقى في تلك الفترة، فقال: بينا أنا ملفف رأسي في كسائي على ظهر الطريق إذ مر بي الذي جاء في طلبي. فلما جن الليل أتيت بعض أخوالي من بني ضبة. وعندهم عرس. ولم أكن طعمت قبل ذلك طعاما. فقلت آتيهم فأصيب من الطعام. فبينا أنا قاعد إذ نظرت إلى هادي فرس وصدر رمح قد جاوز باب الدار داخلا إلينا، فقاموا إلى حائط قصب فرفعوه فخرجت منه. وألقوا الحائط فعاد مكانه، ثم قالوا: ما رأيناه. وبحثوا ساعة ثم خرجوا. ورأى أخواله أن يترك الكوفة والعراق جميعاً إلى الحجاز حتى يأمن زيادا وعقابه.

واشترك أفراد القبيلة في جمع ثمن راحلتين، وأحضروا له دليلا اسمه مقاعس فقال له: هيا نرتحل وكان الليل قد أرخى سدوله، فقال مقاعس: إني أخاف السباع قال الفرزدق: السباع أهون من زياد. ومن خاف شيئا رآه؛ فحين سارا لزمهما سبع حتى انشق الصبح عن يوم طويل. فأنشأ الفرزدق يقول:

ما كنت أحسبني جبانا بعد ما

لاقيت ليلة جانب الأنهار

ليثاً كأن على يديه رحالة

شثن البراثن مؤجد(1) الأظفار

لما سمعت له زمازم أجهشت

نفسي إلي وقلت: أين فراري؟

---

(1) قويها.

وربطت جروتها وقلت لها اصبرى
وشددت فى ضيق المقام إزارى
فلأنت أهون من زياد جانبا
اذهب إليك مخرم الأسفار

ورق له زياد حين سمع هذه الأبيات وقال : لو أتانى لآمنته وأعطيته ، ولم يركن الفرزدق لقوله فقال قصيدة منها :

دعانى زياد للعطاء ولم أكن
لآتيه ما ساق ذو حسب وفرا
وعند زياد لو يريد عطاءهم
رجال كثير قد يرى بهم فقرا

وأغذ السير، وأغذ التفكير، ولم يجد له مجيرا بالحجاز إلا سعيد بن العاص الأموى فعطف ناقته نحو المدينة حيث يلقاه ، ومن العجيب أنه وافاه وهو فى جنازة ، فتبعه ، فوجده قاعدا والميت يدفن ، ولم يتمهل، بل سارع فوقف بين يديه قائلا : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ من رجل لم يصب دما ولا مالا ، وكان فى سعيد أريحية فأجابه : قد أجرت إن لم تكن أصبت دما ومالا ، ومن أنت ؟ قال : أنا همام بن غالب بن صعصعة ، وقد أثنيت على الأمير ، فإن رأى أن يأذن لى فأسمعه فليفعل . قال : هات ، فأنشده قصيدة عصماء منها :

ترى الشم الجحاجح من قريش
إذا ما الأمر فى الحدثان عالا [1]
بنى عم النبى ورهط عمرو
وعثمان الذين علوا فعالا
قياما ينظرون إلى سعيد
كأنهم يرون به هلالا

فقال مروان بن الحكم : قعودا ينظرون إلى سعيد ، قال الفرزدق : والله إنك لقائم يا أبا عبد الملك .

وقد وفق هذا الشاعر فى المجلس أيما توفيق، وحظى بالاعتراف بشاعريته من شاعرين فحلين : كعب بن جعيل ، والحطيئة . أما كعب فقال : هذه والله الرؤيا التى رأيت البارحة . قال سعيد : وما رأيت ؟ قال : رأيت كأنى أمشى فى سكة من سكك المدينة فإذا أنا بابن قترة [2] فى جحر ، فكأنه أراد أن يتناولنى فاتقيته . وقام الحطيئة فشق الصفوف ثم قال : قل ما شئت ، فقد أدركت من مضى ولا يدركك من بقى . وقال لسعيد : هذا والله الشعر لا يعلل به منذ اليوم .

( البقية على ٦٥٩ )

---

(١) اشتد وتفاقم .

(٢) ضرب من الحيات خبيث .

# عودة إلى الله

للأستاذ محمد محمد السيد الهوارى

---

رباه إنى أضعت العمر فى لعب — عبد الهوى قد أضل القلب شيطانى
فرحت أهو مع الأيام منطلقا — من كل قيد وبالأوهام أغرانى
وأسكرتنى كئوس الإثم مترعة — فغبت فى نشوة الآثام تغشانى
وعشت لليوم لا ماض يؤرقنى — ولا غد وسراب العمر أنسانى
وقد أفقت على الأيام ضائعة — وليس غير جهالاتى وعصيانى
وحسرة فى صميم القلب تحرقنى — ما كان أشقاك يا قلبى وأشقانى
وخشية من لقاء الله تسحقنى — استحيل حطاما بين أحزانى
رجعت أحمل أوزارى وبى أمل — فى الله ليعد بفضل منه يرعانى
رجعت يا رب عن غيى واخجلى — وطالما صدنى يأسى وأضنانى
إن جل ذنبى فهل يا رب يشفع لى — أنى أحبك نوراً ملء وجدانى

• • •

لأنت موئل من ضلوا وقد رجعوا — ومن سواك إذا ما صدت يلقانى
لقد عرفتك فى الأفلاك سابحة — ومنك سمعى وقد أبدعت إنسانى
فى مولد الفجر فى الأشجار سامقة — تجود بالظل تسخو بالجنى الدانى
وفى البراعم فى الأوراق شاحبة — فى عالم النحل فى إبداع فنان
له الخلود تعالى الله منفرداً — وقدر الأمر أجراه بحسبان
رباه ها أنذا قدمت معذرتى — وأنت المتنى توبى وإيمانى
وأنت تعلم كم قاسيت من ندى — إليك أمرى فعاملنى بإحسان

محمد محمد السيد الهوارى

# ضمان المرهون

للدكتور إبراهيم دسوقي الشهاوي

اتفق الفقهاء على أن المرتهن يضمن المرهون ، إذا هلك بجنايته عليه . أو بتقصيره في حفظه ، ويكون الضمان بالمثل إن كان المرهون مثليا ، وبالقيمة إن كان قيميا ، مهما بلغت قيمته ، ومهما كان المثل ، ويتقاصان ، فإن كانت قيمة المرهون مساوية للدين ، سقط الدين بها وإن كانت أكثر ، رد المرتهن الزيادة للراهن ، وإن كانت أقل رجع المرتهن بالباقي من دينه[1] . ثم اختلفوا في ضمانه إذ هلك بيد المرتهن ، بغير تعد منه ، ولا تقصير في حفظه ، على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن ضمانه على المرتهن ، مطلقاً سواء أكان المرهون مما يغاب عليه ، فيمكن إخفاؤه ، كحلى ، أو ثياب . أو كان مما لا يغاب عليه ، فلا يمكن إخفاؤه ، كدار أو حيوان ، أو زرع قبل الحصاد ، ذهب إلى ذلك الحنفية ، وكثير من الصحابة - رضوان الله عليهم - والحسن البصري ، وشريح ، والشعبي ، وإسحاق بن راهويه ، وإبراهيم النخعي ، وقتادة ، والزهري ، وابن أبي ليلى ، غير أنهم اختلفوا فيما يضمن به ، هل يضمن بالأقل من قيمته ومن الدين ، أو بقيمته بالغة ما بلغت ، أو بمقدار الدين ؟

القول الثاني : أنه غير مضمون على المرتهن ، مطلقاً سواء أكان مما يغاب عليه ، أم كان مما لا يغاب عليه ، فلا يسقط في مقابلة شيء من الدين ، وكأنه هلك عند صاحبه دون تعد عليه من أحد ، ذهب إلى ذلك الشافعية ، والحنابلة ، وداود الظاهري ، وروى عن علي - كرم الله وجهه - وعطاء ، والأوزاعي ، وأبي ثور ، وابن المنذر[1] .

القول الثالث : أن ضمانه على المرتهن ، إذا كان مما يغاب عليه ، أما إذا كان مما لا يغاب عليه فلا يضمنه المرتهن ، ولا يسقط في مقابلته شيء من الدين ،

---

(١) المغنى للحنابلة جـ ٤ ص ٢٤٢ .

(١) الأم للشافعي جـ ٣ ص ١٤٧ - ١٦٤ ، ومغنى المحتاج جـ ٢ ص ١٣٦ ، والمغنى للحنابلة جـ ٤ ص ٢٤٢ ، والمحلى لابن حزم جـ ٨ ص ٩٦

وكان المرهون هلك عند صاحبه ، دون تعد عليه من أحد ، ذهب إلى ذلك المالكية [1] .

( الأدلة )

استدل أصحاب القول الأول : على أن ضمان المرهون على المرتهن ، مطلقاً سواء أكان مما يغاب عليه ، أم كان مما لا يغاب عليه - بالسنة والإجماع والقياس .

أما السنة :

فأولا : ما رواه ابن أبي شيبة - في مصنفه - عن ابن المبارك ، عن مصعب ابن ثابت ، قال : سمعت عطاء ، يحدث أن رجلا رهن عند رجل فرساً بحق له ، فنفق الفرس في يد المرتهن ، فاختلفا ، وترافعا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للمرتهن: « ذهب حقك » [2] .

وجه الدلالة من هذا الحديث : أن قوله : « ذهب حقك » ، إخبار من الرسول - صلى الله عليه - بذهاب حق المرتهن بهلاك المرهون ، يحتمل ثلاثة معان :

الأول : الوثيقة .

الثاني : المطالبة بالبدل .

الثالث : الدين .

فعلى الأول : يكون قوله : « ذهب حقك » ، إخبار عن ذهاب الوثيقة وهي المرهون وذهابه معلوم بالحس فلا يحسن الإخبار عنه ، فلا تصح إرادته من الحق .

وأما على الثاني : فيكون قوله : « ذهب حقك » ، إخبار عن ذهاب المطالبة بالبدل ، وسقوطها ، والمطالبة بالبدل لم تكن واجبة قبل التلف ، فلا يصح الإخبار عنها بذهابها بالتلف ، لأن الشيء لا يقال عنه ذهب إلا بعد وجوده وثبوته .

فتعين الثالث : وهو الدين ، ويكون قوله : « ذهب حقك » ، إخبار عن ذهاب الدين وسقوطه عن الراهن بهلاك المرهون ، ويؤكد أن معنى الحق هنا هو الدين ، إعادته معرفا بالإضافة بعد ذكره في الحديث منكراً ، فإن ذلك يدل على أن الحق واحد ، والأول المراد به الدين بيقين ، فيكون الحق في « ذهب

(1) الحطاب جـ ٥ ص ٢٥ ، وبداية المجتهد جـ ٢ ص ٢٢٩ .

(2) نصب الراية جـ ٤ ص ٣٢١ .

حقك، المراد به - أيضا - الدين وذهاب الدين في مقابلة المرهون الذي هلك، يدل على أن المرتهن ضامن للمرهون إذا هلك في يده.

ورد هذا الدليل: بأن الحديث لا يصلح حجة؛ لأن علماء الجرح والتعديل ضعفوه، فقال: عبد الحق - في أحكامه - هو مرسل، وضعيف. وقال ابن القطان: إن في رواته مصعب بن ثابت بن عبد الله ابن الزبير، وهو ضعيف، لكثرة غلطه، وإن كان صدوقا[1].

وثانيا: ما رواه علقمة بن مرثد، عن محارب بن دينار، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «الرهن بما فيه. ذهبت الرهان بما فيها»[2].

ووجه الدلالة من هذا الحديث: أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أخبر بأن الرهن إذا هلك هلك بالدين. لأن الذهاب هو الهلاك؛ فيكون المعنى هلاك الرهان يكون بما رهنت فيها من الدين، فلا يرجع المرتهن على الراهن بدينه. وهذا معنى كونه مضمونا على المرتهن.

ورد الاستدلال بهذا الحديث: بأنه لا يصلح للاحتجاج به؛ فقد رواه الدار قطني من ثلاثة طرق. لم يخل طريق منها من راو كذاب. أو ضعيف أو وضاع[1].

---

(١) الأم للشافعي جـ٣ ص ١٦٢.

(٢) وفي رواية: «إذا عمي الرهن، فهو بما فيه». قال أبو داود في مراسيله عن أبي الزناد، عن أبيه أنه قال: إن ناسا يرهمون في قول: الرسول - صلى الله عليه وسلم - (الرهن بما فيه) ولكن إنما قال: ذلك فيما أخبر عنه الثقة من الفقهاء، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الرهن بما فيه، إذا هلك وعميت قيمته، - يقال حينئذ للذي رهنه: زعمت أن قيمته مائة دينار، أسلفته بعشرين دينارا، ورضيت بالرهن، ويقال: للآخر، زعمت أن ثمنه عشرة دنانير وقد رضيت به عوضا عن عشرين دينارا، فهذه الرواية تدل على أنه إذا اشتبهت قيمة الرهن بعد هلاكه واختلف الراهن والمرتهن في قيمته، فإن المرهون يكون بما رهن فيه من الدين، ولا يرجع المرتهن على الراهن بشيء، وهذا معنى كونه مضمونا على المرتهن.

(١) حديث: (الرهن بما فيه، ذهبت الرهان بما فيها)، روى مسندا ومرسلا. -

وأما الإجماع : فقد روى عن الصحابة والتابعين . أن الرهن مضمون على المرتهن . وإن اختلفوا فى كيفية الضمان ولم يخالف فى ذلك أحد . فالقول بأن الرهن أمانة فى يد المرتهن خرق لذلك الإجماع .

ورد الاستدلال بالإجماع : بأن دعوى الإجماع عارية عن الدليل ، فلا تصح فإن المنقول عن بعض الصحابة ، وبعض التابعين خلاف ما ادعى عليه الإجماع فقد صح النقل عن على - كرم الله وجهه أن المرهون أمانة فى يد المرتهن ، فقد روى عنه أنه قال : فى الرهن ، يترادان الفضل ، فإن أصابته جائحة برىء ، وهذا يدل على أن عليا - كرم الله وجهه - لم ير تراد الفضل إلا فيما تلف بجناية المرتهن أما ما أصابته جائحة فإنه يرى براءة المرتهن منه ، وهذا معنى كون المرهون لا يضمنه المرتهن إذا تلف فى يده دون تعد منه ، ودون تقصير منه فى حفظه .

وقد صح عن عطاء والزهرى - وهما من التابعين - القول بأن المرهون أمانة فى يد المرتهن ، قال عطاء : الرهن وثيقة إن هلك فليس على المرتهن غرم ، يأخذ الدين الذى له كله .

وقال الزهرى فى الرهن يهلك : إنه لم

---

- أما المسند : فلم يخل طريق من طرقه من راو كذاب ، أو ضعيف ، أو وضاع فقد رواه الدار قطنى من ثلاثة طرق .

الطريق الأول : فيه أحمد بن محمد بن غالب ، وهو غلام خليل ، قال ابن الجوزى : كان كذاباً يضع الحديث ، وفيه هشام بن زياد ، قال يحيى : ليس بشىء ، وقال النسائى : متروك الحديث ، وقال ابن حبان : ينفرد عن الثقات بالمعضلات .

وفيه عبد الكريم بن روح ، ضعفه الدار قطنى ، وقال الرازى : إنه مجهول .

الطريق الثانى : فيه إسماعيل بن أمية ، قال الدار قطنى : يضع الحديث .

الطريق الثالث : فيه سعيد بن راشد ، قال يحيى بن معين : ليس بشى ، وقال النسائى : متروك الحديث ، وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به .

وأما المرسل : فهو وإن كان رواته ثقات عدولا ، إلا أنه لا يقوى على معارضة حديث ( لا يغلق الرهن ) المفيد أن المرهون أمانة فى يد المرتهن ، لأنه روى من عدة طرق مسندة صحيحة . أنظر نصب الراية للزيلعى ج ٤ ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

يذهب حق هذا ، إنما هلك من رب الرهن ، له غنمه وعليه غرمه .

ومع مخالفة هؤلاء ؛ فحكاية الإجماع غير صحيحة .

وأما القياس : فقالوا : الدين كأرش جناية العبد يسقط بتلف العبد ، فكذلك الدين يسقط بتلف المرهون .

ورد هذا القياس : بالفارق ، فإن أرش جناية العبد حق تعلق بمحل واحد هو رقبة العبد الجاني ، أما الدين فحق المرتهن ، تعلق بذمة الراهن وبرقبة المرهون ، فإذا تلف المرهون ، فقد تلف أحد المحلين ، وبقى تعلقه بالمحل الآخر كالدين المضمون ، فإن تلف الضامن لا يسقط الدين لبقاء المحل الآخر ؟

إبراهيم دسوقى الشهاوى

---

( بقية المنشور على ص ٦٥٣ )

وهكذا لقى الفرزدق الأمن والتقدير عند سعيد ، وهو رجل من بنى قصى وعبد شمس ، وفاز باعتراف كبار الشعراء بموهبته الشعرية .

وصار الفرزدق يتنقل بين مكة والمدينة هادىء البال ، آمن المقام ، رفيع الجناب حتى هتف مطمئناً ، وشبابه يدفعه :

ألا من مبلغ عنى زياداً مغلغلة يخب بها البريد
بأنى قد فررت إلى سعيد ولا يسطاع ما يحمى سعيد

ولم يزل على تلك الحال الهانئة الهادئة حتى هلك زياد سنة ٥٣ هـ . حينئذ عادت إليه أشواقه إلى العراق ، فيممه ليستأنف حياة جديدة ملؤها الشعر والفخر وملاحاة الولاة ؟

السيد حسن قرون

# خصائص النظام الإدارى الإسلامى

للدكتور مصطفى كمال وصفى

---

لا شك فى أن الدولة الإسلامية قد بلغت شأواً عاليا فى نظامها الإدارى ، وإلا لما أمكنها أن تقوم على شئون دولة مترامية الأرجاء عظيمة الاتساع ذات سيادة عالية وهيبة لامنازع فيها . فإن هذا كله يحتاج لنظام تام وأمن مستتب لا يتحصل إلا بنظام إدارى عالى الكفاية متين البنيان .

وقد تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بخدثهم عن سعة ملك المسلمين واستتباب الأمن حتى تخرج الظعينة ( المرأة ) من اليمن إلى الشام لا تخاف شيئا ..

لا يوجد قانون إدارى فى الشريعة .

ولكن ليس معنى وجود « نظام إدارى أن يكون ثمة « قانون إدارى » .

فالأمران يختلفان .

فالنظام الإدارى حقيقة حتمية فى كل نظام ، ما دام ثمة حكومة ومحكومون .

وأما القانون الإدارى : فهو قواعد خاصة تطبق على العلاقات الإدارية دون غيرها فيكون ثمة ازدواج فى القانون ؛ إذ توجد قواعد عمومية أو عادية تطبق على العلاقات العادية ، وقانون إدارى خاص يطبق على العلاقات الإدارية دون غيرها .

وليس فى الشريعة الإسلامية هذا الازدواج ، بل إن الشريعة الإسلامية تطبق على جميع الروابط بدون تمييز بين ما يعتبر إدارياً وما لا يعتبر إدارياً منها نعم : نستطيع أن نجمع بعض الأحكام ونقول : هذه تتعلق بعلاقة الدولة بالأفراد ، ولكن هذه الأحكام لن تختلف فى طبيعتها عن الأحكام المعتادة بين الأفراد .

وهناك نظم أخرى ليس فيها قانون إدارى مستقل عن القانون العموى وذلك كالنظام الانجلوساكسونى المطبق

فى بريطانيا والولايات المتحدة ومن تبعهما ، وفى مقابله : النظام اللاتينى المطبق فى وفرنسا من أخذ عنها كمصر .

والنظام الأول - نظام وحدة القانون - أكثر إيصاراً بسيادة القانون وحماية لحرية الأفراد ، لأنه يأبى إلا المساواة التامة بين الدولة والأفراد فى خضوعهما للقانون ، ويرى أن إفراد قانون للإدارة مختلف عن القانون العمومى يهدر سيادة القانون .

وقد أدى إلى وحدة النظام فى الشريعة الإسلامية أمور :

١ – إن الشريعة الإسلامية خطاب عام للحاكم والمحكوم ، فكلهم يخضع لحكم الله تعالى ، وهو وحده - سبحانه وتعالى - المخاطب ( بكسر الطاء ) بالأحكام .

٢ – إن الدولة فى النظام الإسلامى وليدة الشريعة الإسلامية ، وليس العكس كما هو الحال فى النظم الوضعية ؛ إذ أن المنطق الوضعى يؤدى إلى أن الدولة هى التى تصدر القواعد المعمول بها وهى التى تحدد سلطانها لنفسها بنفسها وهى مصدر كل مشروعية فى النظام ، ولكن المنطق الإلهى غير ذلك ، فإن جميع السلطات صادرة عن الله ، ولم تنتظم الدولة الإسلامية إلا فى ظل ما أنزل الله على نبيه من الأحكام .

٣ – إن الفرد يقـــوم فى النظام الإسلامى بدور عظيم الأهمية ، بل هو الدور الأول فى النظام الإدارى ، وذلك بسبب أن عليه تكليفاً عاما بإقامة المصالح ودرء المفاسد . وهذا الأمر هو من فروض الكفاية التى يتعين على الأفراد القيام بها . وهو الذى يقيم المساجد ويفتح الطرق ويتعهدها ويتولى بنـــاء الجسور والقناطر وينشىء المشافى ودور العلم ويرصد لذلك كله - وغيره - الأوقاف الخيرية والأحباس . نعم ينفق بيت المال على ذلك من الفىء . ولكن إن لم يوجد فى بيت المال ما ينفق عليه منـــه تكفل به الأفراد وإلا أثموا[1] ، ويجـوز جبرهم عليه عند اللزوم .

وبسبب أن الفرد يتولى المرافق العامة ويباشر سلطات ذات طبيعة إدارية فإنه لذلك لا يقبل إلا أن يكون القانون واحداً تخضع له الدولة والأفراد جميعاً .

٤ – إن النظامية مستتبة فى الحياة الإسلامية - كما سنرى - بحيث أن نوع

الولاية ونوع العلاقات واحدة فى جميع الأوضاع . فالشريعة الإسلامية تجعل لكل فرد اختصاصا ( سلطة ) على من هم فى رعايته ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ولأن ذلك فرع من عموم قوله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وهذا بخلاف النظم التى تسودها الحرية المطلقة والتى لا تبيح للفرد أن يتدخل فى شئون غيره بأمر بمعروف ولا بنهى عن منكر فيسبب وحده الصبغة النظامية العامة فلم يعد ثمة محل لازدواج القانون .

° ° °

ولنا أن نرصد ـ فيما يلى ـ أهم خصائص النظام الإدارى الإسلامى وذلك من ناحيتين هامتين :

الأولى : من حيث موازنته بين السلطة والحرية .

وثانيهما : من حيث تقيده بالمشروعية الإسلامية .

موازنة النظام الإدارى الإسلامى بين السلطة والحرية :

كل نظام من النظم يعنى بهذه المشكلة الخالدة : مشكلة الموازنة بين السلطة والحرية . ولكن الطرق إلى ذلك مختلفة .

فالإنسان من بدء الخليقة يتطلب وجود سلطة تحكمه ، حتى تلزم القوى حده ، وتحفظ للضعيف حقه . ولكن ما أن تقوم هذه السلطة حتى يخشى الإنسان خطرها عليه ، فيعمد إلى تقييدها ما أمكنه ، وذلك حتى يتوازن النظام بين الانتفاع بوجود السلطة وإمكان ممارسة الحرية فى ظلها .

والنظم الحديثة تتجه لذلك اتجاهين رئيسيين : .

أحدهما : يقوم على دعائم من الفردية مع إنشاء ضمانات ورقابات قوية يدفع بها الأفراد فى وجه السلطة أى محاولة منها للتجاوز أو التعسف وهذا النظام ـ فى الواقع ـ يؤدى إلى الصراع بين الحكم والأفراد ويضيع الوقت والجهد فى الموازنة على هذا الأساس . وربما تعثرت الجهود وضاعت من الطريق الأصلى المستقيم إلى متاهات اللدد والعناد .

وثانيهما : يقوم على إلغاء الكيان الفردى وإنشاء أدوات جماعية عامة يسير

الناس فى إطارها ويخضعون خضوعا مطلقا لمشيئتها .

ولكن طريقة الإسلام ليست هذا ولا ذاك .

فهو يحترم هذه الدعامات الفردية ويجعل الفرد قوام النظـــام وأساسه ولكن فى إطار من النظامية الحاكمة المتوجهة للصالح العام .

فالشريعة الإسلامية ذات صبغة فردية نظامية من طابع خاص .

فالحياة الإسلامية تقوم كلها على أساس من التوحيد ، وهذا التوحيد ليس قولا فحسب ، بل هو عمل بما أمر الله تعالى ومنع لما نهى الله عنه ، أى عمل بنظام الشريعة الإسلامية . وبذلك فإن الشريعة الإسلامية هى أساس جميع الأوضاع والحقوق والنظم .

وهذه النظامية تجعل جميع الحقوق مقيدة بالشريعة الإسلامية فهى فى الحقيقة تكاليف . أو بالتعبير الحديث « وظائف اجتماعية » ، ولذلك فإن الفرد فى ملكه واستعماله لحرياته إنما يستعملها أولا للصالح العام أو لإدراك المقاصد الشرعية وذلك على الوجه الذى سنبينه ، ومن ثم فإن الفردية فى هذا النظام مأمونة ، وهى تختلف تماما عن الفردية المفهومة فى النظم الحديثة والتى تقوم على الأنانية والاستئثار التام ، وذلك بسبب أن النظام الفردى الحديث هو نظام مطلق ، قام على أساس أن كل إنسان له حرية مطلقة فى أن يفعل ما يشاء إلا أن يقيده القانون ، أو أن يضر بالغير ، وانبنى على ذلك أن الحقوق فى هذا النظام هى « مصلحة شخصية يحميها القانون » وليست وسائل ولا تكاليف لإدراك غاية اجتماعية واحدة . فليس على الإنسان فى النظام الفردى الحديث أن يستعمل ملكيته للصالح العام ولا حقوقه لهذا الصالح ، وإنما هو حر يتوجه بإمكانياته ووسائله كيف يشاء ، وجملة هذا الكلام يتضح مما يلى ، عند الكلام على تقيد القانون الإدارى بالمشروعية الإسلامية ، كما يتضح من مراجعة كتابنا « المشروعية فى النظام الإسلامى » .

وبسبب هذه الخصيصة يتجه الإسلام إلى الانتصار للحرية الفردية ما دام أن هذه الحرية مقيدة ـ بطبيعتها ـ بمراعاة الصالح العام ؛ إذ لا خوف فى هذه الحالة من رفع لواء الحرية وإعلائه .

وهذا النظام هو من أهم العوامل التى أدت إلى عدم ضرورة إفراد قانون إدارى إلى جانب القانون العموى .

لأن الضرورة التى أوجبت إيجاد قانون إدارى : هى أن هذا القانون تسوده عدم المساواة بين الأفراد والحكومة ويوجب الاعتراف بامتيازات معينة للحكومة على الأفراد . بعكس القانون العموى فهو يقوم على المساواة التامة بين أطراف العلاقة القانونية سواء كانت العلاقة بين الأفراد بعضهم وبعض أو بينهم وبين الحكومة . فإنه قد روى أنه لا بد أن تتمتع الحكومة بامتيازاتها المقررة لها فى القانون : مثل امتياز إصدار قرارات إدارية نافـذة بذاتها نفاذاً مباشراً ، أو امتياز التنفيذ الجبرى بالطرق الإدارية أو امتيازات الشروط غير المألوفة فى العقود الإدارية ، أو امتيازاتها القضائية المتعددة ، أو امتيازات التحصيل الإدارى بنحو الخصم من الراتب أو التأمين أو مما هو تحت يد الإدارة ، والحجز الإدارى وعدم قيام المقاصة بين الديون الإدارية والعادية ، وامتيازات ديون الخزانة العامة ونحو ذلك مما جعل محلا لأن تقوم قواعد إدارية وأخرى مدنية أو عادية .

ونحن لا نجد فى الشريعة أبوابا خاصة لمثل هذه القواعد ، وإن كانت هناك كتب تخصصت فى بيان الأحكام السلطانية ونحوها ، ولكن هذا تخصيص جمعى كما قدمنا ، ولا يوجد أى خلاف فى الطبيعة بين الحقـوق والأوضاع فى العلاقات بين الأفراد و بعضهم وبينهم وبين الدولة .

ولذلك فكثيراً ما نجد القياس تاما حقيقيا بين ولاية الأب مثلا وبين ولاية السلطان ، أو بين مسائل من السير وأخرى من المعاملات وثالثة من الأحكام ، وهكذا . فهو نظام موحد أساسه واحد هو ما خاطب الله عباده جميعا على وجـه المساواة ؟

مصطفى كمال وصفى

# العرب والمسرح

للأستاذ محمد كمال الدين

## - ١٣ -

يقف الدين موقفاً حازماً إزاء تمثيل الشخصيات الدينية على خشبة المسرح إذ ليس من المعقول أن تجد الممثل الكفء - دينا وخلقاً وثقافة - الذي يستطيع القيام بدور صحابي جليل أو أحد خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو أحد القادة المسلمين الأوائل ، كذلك لن تجد الممثلة القديرة التي تستطيع أن توفى مثل هذه الأدوار النسائية حقها ، ذلك لأن التمثيل الصادق هو الذي يقنع المشاهد بالدور وبصاحبه ، وهو الذي يقدم صورة أقرب ما تكون إلى الكمال والإتقان والإقناع ، ولذلك كانت وقفة رجال الأزهر من تمثيل هذه الأدوار وقفة صادقة ، ومن هذا القبيل وقفته من تمثيل شخصية الحسين ، فضلا عن قصته الحقيقية بما فيها من عظات وعبر ولكننا ونحن في إطار السرد التاريخي لتطور فن المسرح العربي ، والتدليل على وجوده منذ قديم ، نعثر بين الحين والآخر على أدلة تكفي لإثبات وجوده ،

ومن هذه الأدلة ما ذكرناه في مقالنا السابق[1] عن وجود مسرحيات التعازى التي كانت تمثل في الساحات العامة في إيران والعراق منذ القرن السابع الميلادى والأول الهجرى وعلى مدى الأيام العشرة الأولى من شهر المحرم من كل عام وتقدم فيها مشاهد مقتل الإمام الحسين في كربلاء ، ومما يذكر أن الممثلين القائمين بأدوار تلك المشاهد لم يكونوا من الممثلين المحترفين ، كما أن شخصية الحسين لم تكن تظهر مجسمة على خشبة المسرح ، وإنما كان الصوت يقوم بديلا عن الظهور ، أما مشهد القتل فلم يكن يظهر بأكمله ، اللهم إلا رأسا ولربة كانت تتدحرج على المسرح أمام النظار . وتنبعث منها دماء غير حقيقية ، كما نرى أحد الفرسان العزل من السلاح يقتل خصمه بسيف يقبض عليه بيده ، ويقوم الرجال بأداء أدوار النساء ؛ إذا لم يكن

(١) المقال رقم ١٢ من سلسلة ( العرب والمسرح ) بمجلة الأزهر . عدد شعبان ١٣٩٢ .

سمحوا للنساء بالظهور على المسرح ، ويستطيع الممثلون بصوتهم ونبرتهم التأثير على المتفرجين حتى لتبدو الأحداث أمامهم وكأنها واقعية ، وهذا كله فى إطار (ديكورات) رمزية تمثل الطبيعة ، كما كان القتال يدور وفى الخلفية نسمع الموسيقى المناسبة وأصوات الفرقعة وسنابك الخيل وصهيلها كمؤثرات تضفى على الأحداث جوها وواقعيتها ، وكان يرمز للرمال بالقش المنثور على خشبة المسرح ، وهذا الجو الدرامى يشبه إلى حد كبير جو الدراما الفرعونية فى مسرحية إيزيس وأوزوريس ، وكانت تلقب بأقدم مسرحيات الأسرار وأعظمها وتمثل علانية أمام الناس فى الساحات العامة ، ويقوم بتمثيلها الكهنة ورجال الدين أنفسهم ، ويستمر التمثيل ثلاثة أيام من شهر هاتور كل عام ، ويفتتح الاحتفال بموكب عظيم يمثل انتصارات أوزوريس حتى أبيدوس أو غيرها ، فإذا جاء مشهد القتل تم ذلك خلف الأبواب الموصدة فى كتمان شديد ، ثم تجىء المرحلة الثالثة وهى علنية حيث تبحث إيزيس عن جسد زوجها أوزوريس وكان الممثلون من الكهنة يتخذون الأقنعة على هيئة الآلهة ، كما تشهد بذلك الصور المكتشفة فى آثار معبد دندرة ، ونقوش هرم أوناس بسقارة المعروفة بنصوص الأهرام ، كذلك تجرى مسرحية التعازى العربية على ثلاث مراحل ، الأولى تسبق معركة كربلاء وتمثل زواج على وفاطمة ، وطفولة الحسين ، وموت الرسول صلى الله عليه وسلم ثم فاطمة ، وأخيراً ترك الحسين للمدينة وذهابه لكربلاء مستجيباً لدعوة من دعاه إليها ، ثم تأتى المرحلة الثانية تروى سير المعركة حتى مقتل الحسين وأنصاره ، وفى المرحلة الثالثة نرى آثار ما بعد المعركة مثل حمل الجيش الأموى رأس الحسين إلى دمشق ومعه بعض الأسرى ، ثم تحرير أسرة الحسين بعد فترة قصيرة من الأسر ، ثم يأتى المشهد الأخير حيث يعرف أن مصير الحسين هو جنة الخلد ، ومعه مفاتيحها ليدخل إليها المسلمون الصالحون[1] .

نجد لهذا المسرح العربى القديم بعض النصوص الرئيسية ، ومنها أصل فارسى محفوظ بالمكتبة القومية بباريس ويحتوى

(١) الإسلام والمسرح: ص ٩٠، ١٣٤، ١٣٥

على ٣٣ مجلداً، ويحمل عنوان «نشيد الشهيد» وأصل عربي عراقي بعنوان «كتاب لتين» وطبعه ويليم لتين في ألمانيا ويحتوى خمسة عشر مشهداً منقولة فوتوغرافيا عن مخطوط عراقي مع مقدمة مختصرة، كما أن هناك نصا آخر يحمل عنوان «كتاب لويس» نشره بالإنجليزية لويس بيللى، وفيه «مسرحية الحسن والحسين المعجزة» كما أن به ٣٧ مسرحية فقد أصلها الأصلي[1].

ويهمنا ـ ونحن في مجال الكلام عن الدراما العربية ـ أن نقدم نموذجا من الحوار، وهو نموذج يثبت أن لغة الحوار المسرحية عرفت أيضا منذ عرف العرب لغة الحديث، أو ليست لغة الحوار المسرحي هي لغة الحوار اليومي العادى بعد وصفه في الإطار الفنى المناسب؟ وهذا الحوار على قدمه لا يفترق كثيرا عن لغة الحوار المسرحي الحديث وخاصة الحوار الشعرى، بما فيه من سمو وخيال وقد أعد هذا النص إعدادا حرا عن عدد من النصوص الشيعية التي نقلها المترجم بتصرف عن الكتاب الفارسي: «جونج ى ـ شهاريه» أو «نشيد الشهيد»[2].

ونكتفى باجتزاء هذا المشهد بين الحسين وشمر الحسين: أعلم أنني لن اعترف أبدا بسلطان رجل حقه في الخلافة لا المبايعة الشعبية وإنما لأنه ابن لأبيه.

شمر: لم أكن انتظر على ذلك منك يا حسين الكريم، يا حسين المثالى، أيها النقى الجيل، يا كثير النقاء يا حسين. في أرجاء هذا السهل الكئيب: حيا، كنت تتحدى الملوك، وميتا ستكون عطية للغربان الجائعة، تذر بكبريائك أيها الأمير الذى سقط...

الحسين: أى قلق عميق أحسه في قرارك المذعور، أى شمر، لماذا يدفعك عذاب روحك إلى ظلمات غرائزك الدنيا؟.

شمر: لا تكلف نفسك جهد إقناعى أيها النبيل، إن اغراء طيبتك العذبة لا تمس روحى الصلبة، إني أكره الضعف الإنساني، وأكره صوت التفاؤل الراضى عن نفسه، كفى مزاحا بايع يزيدا أو تهيأ للموت..

الحسين: إني أرضى بموتى الذى لا مفر منه، ولكن أخبرنى يا شمر، لم تكرهنى إلى هذا الحد؟ وما الذى أمثله وتحتقره؟.

شمر: ما يثيرنى فيك يا حسين

(١) الإسلام والمسرح ص ٨٨ - ٨٩
(٢) المرجع السابق النص ص ٩٨ إلى ١٣٢

ليس عظمتك أو عذوبتك ، وليس نفاقك وإنما هـذا الطابع المطلق لعواطفك . .

وفى مشهد آخر يدور حوار بين زينب والجوقة، وهذا دليل آخر على أن الجوقة فى المسرح العربى قد وجدت كما وجدت فى المسرح الفرعونى أو اليونانى القديمين وكان دورها قديما التعليق على الأحداث أو ربطها أو التمهيد لها ، وما زالت وسيلة مسرحية هامة تستعمل إلى اليوم فى جميع أرجاء العالم ، ونحن ننقل هـذا الحوار عن النص الشيعى السابق ذكره كدليل فحسب :

زينب (صوت فقط ولا تظهر على المسرح) : الحسين يذهب ؛ والأرض تتابع دورانها يا لجنون العالم .

الجوقة : فى سهل الظلم . النقى يتقدم .

زينب : الحسين يذهب .. والنجوم ما زالت تتلألأ .. يا لعمى العالم .

الجوقة : النقى يتقدم .. تأوهى يا قبة السماء الزرقاء . . الخ .

يثبت هـذا كله أن النص يحتوى على كل العناصر الدرامية المعروفة قديما وحديثاً ، إذ يجرى تمثيله على منصة ، هى خشبة المسرح، بديكوراتها ومؤثراتها، ويقوم بالأدوار ممثلون غير محترفين يطابقون بين النص والأداء ، ويحاكون بالصوت والحركة الأحداث الجارية فى القصة ، ويحضرها مشاهدون ينفعلون ويتجاوبون ويتأثرون ، وقد انتشرت القصة بتفاصيلها فى أكثر من بلد إسلامى - وخاصة فى إيران والعراق وسوريا - لتمثل بنفس الأسلوب والأحـداث ، وصحيح أنها تعد من المسرح الدينى ، وإن كان العنصر السياسى قد برز فيها بشكل واضح، ولكن هكذا كانت بدايات المسرح فى مصر واليونان والهند والصين، ثم فى العصور الوسطى المسيحية ، وكانت تروى قصة المسيح كاملة وتأخذ الشكل الدينى والتعليمى [١] ، واستمرت قصة الحسين فى كتابات الأدباء والفنانين ، ولعل آخرها ما قرأناه بقلم الشاعر المصرى عبد الرحمن الشرقاوى فى مسرحيته الشعرية (ثار الله) بجزئيها : الحسين ثائراً ،

(البقية على ص ٦٧٠)

(١) دراسات فى السينما والمسرح عند العرب : يعقوب . ج . لنداو وترجمة أحمد المغازى - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٢ ص ٤١ - ٤٦ .

# باب الفتوى

يقدمه الأستاذ / عطية صقر

---

السؤال من المواطن / حامد أبو زيد حامد

تركت زوجتي المنزل وذلك لوجود والدتي المسنة بالحجرة التي جواري علماً بأنه إذا تركت والدتي الحجرة سيسكنها أجنبي وزوجتي لا تريد العودة إلى منزلي حتى تخرج أمي منه ومرتبي ضئيل لا أستطيع أن أواجه به مطالب الحياة فما الحكم ؟

(الجواب)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

بأنه حيث أن مقدورته لا تزيد عن استئجار حجرة واحدة لزوجته . وأنه إن أخرج والدته من الحجرة الأخرى فيسكنها أجنبي وقد يكون الضرر منه أعظم فإن بقاء أمه في الحجرة التي تسكنها بجوار الحجرة التي يسكنها هو وزوجته لا يمنع من وجوب طاعة زوجته له وسكناها معه في الحجرة التي يسكنها الآن جمعا بين المصلحتين بقدر الإمكان.

والله تعالى أعلم .

° ° °

السؤال من المواطن الدكتور / محمد أبو بكر جاد بمستشفى آخن الجامعي - ألمانيا الغربية .

١ - هل يحرم الإسلام عملية ترقيع القرنية من ميت لشخص حي يستفيد منها؟

٢ - هل يمكن نقل عين كافر لمسلم أو العكس ؟

(الجواب)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

عن الأول بأن لا مانع شرعا من عملية ترقيع (القرنية) المذكورة في السؤال إذا أذن الميت في ذلك قبل وفاته أو اذن أهله.

وعن الثاني بأنه يجوز نقل عين الكافر لمسلم ما دام قد أذن في ذلك قبل وفاته أو أذن أهله ولا يصح نقل عين المسلم إلى الكافر ، والله تعالى أعلم .

السؤال من المواطن / عمر الفاروق :
هل تجوز صلاة الجمعة ركعتين في مكان غير المسجد ، علما بأن المصلين في بلد غير إسلامي لا توجد به مساجد وأن هذا المكان قد يتواجد به إناس غير مسلمين ولا تبقى له صفة المساجد بعد ترك المصلين له ؟

(الجـواب)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :
بأنه لا مانع من إقامة صلاة الجمعة ركعتين بعد خطبتيها اللتين يقوم بهما أحد المصلين بشروطهما ولا يضر في ذلك أن المكان غير مسجد أو أن يوجد به غير مسلمين بعد الصلاة والله تعالى أعلم .

السؤال من المواطن / مسعد عبد المعطى
للمسجد ميكرفون خاص به وله سماعات في داخل المسجد وبوق فوق المئذنة ، فهل يجوز أن يعلن فيه عن الوفيات والأشياء الضائعة وعما يتعلق بالجمعية الزراعية والاتحاد الاشتراكي وغير ذلك ؟

(الجـواب)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :
بأن للمسجد حرمة يجب المحافظة عليها والبعد به عما لا يتفق ورسالته ، يقول الله تعالى : « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن ينشد ضالته في المسجد : ( لا ردها الله عليك ) والله تعالى أعلم .

محمد أبو شادى

---

( بقية المنشور على ص ٦٦٨ )

والحسين شهيداً ، وتحتويان معاً على تسعة عشر منظراً تحكى قصة خروج الحسين من المدينة حتى استشهاده في كربلاء [1] .
وقد أوقف الأزهر عرضها على المسرح لعدم التعريض بشخصياتها الدينية ، ولأن ظهورها يقلل من هيبتها ومكانتها الدينية السامية ، وسيقوم بها ممثلون معروفون لن ينجحوا في تقديمها بشكل مقنع يحيطه الوقار والجلال ؟

محمد كمال الدين

(١) روايات الهلال ـ دار الهلال بالقاهرة العددان ٢٧٥ ، ٢٧٦ نوفمبر ، وديسمبر ١٩٧١ .

# أنباء وآراء

● قانون الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند :

طالب المجلس العام لاتحاد المسلمين في الهند الحكومة المركزية بأن تتعهد بعدم القيام بأي تغيير أو تعديل في قانون الأحوال الشخصية للمسلمين، وهو القانون الذي تستند نصوصه إلى الشريعة الإسلامية .

● تزايد اعتناق الإسلام في أوغندا :

تزايد عدد المعتنقين للإسلام في أوغندا من يوم لآخر ، فقد أعلن ما لا يقل عن أربعة آلاف أوغندي اعتناقهم للإسلام دفعة واحدة .

ويتضاعف عدد المعتنقين له في الاحتفالات الدينية التي تقام في المناسبات الإسلامية .

يحرص الرئيس الأوغندي عيدي أمين على حضور هذه الاحتفالات والمشاركة فيها .

● في مناسبة وفاة العالم الجليل محمد الفاضل بن عاشور عضو مجمع البحوث الإسلامية :

أقامت جامعة الزيتونة حفلا لتأبين فقيد العالم الإسلامي الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور .

وقد خصصت مجلة ( جوهر الإسلام ) التونسية في عددها الثامن ( لسنة ١٣٩٣ ) صفحات عدة اشتملت على بعض الكلمات التي عرفت بالشيخ وجهاده وعلمه ودوره العظيم في تنظيم مناهج التعليم بجامعة الزيتونة .

● مزيد من البحث حول خبر «المعرفة رأس مالي» .

كتب الأستاذ «فكري زكي الجزار» مقالا بعنوان : «حديث للمعرفة رأس مالي: في الميزان» في عدد رجب ٩٣ من «مجلة الأزهر» ، وذهب في مقاله إلى عدم صحة الحديث ، وباطلاعه - بعد ذلك - على كتاب «مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفاء» للإمام السيوطي - وجد النص التالي :

«حديث علي رضي الله عنه : المعرفة رأس مالي .. الحديث موضوع» .

● « أدمون روستان » ينقل عن « أسامة بن منقذ » .

هل نقل أدمون روستان من تراث الأمير العربى أسامة بن منقذ فى روايته « الشاعر أو سيرانو دى برجراك » .

نشرت مجلة الميثاق المغربية فى العدد ١٧٣ لعام ١٣٩٣ هجرية بحثا مقارنا للأستاذ ( أكليد محمد ) قارن فيه بإسهاب بين ما كتبه الأمير العربى والشاعر الفرنسى فى حوار المبارزة وهى عند الأمير أسامة بينه وبين النصيرى ، وعند روستان بين سيرانو وأحد النبلاء ، وفضلا عن الأفكار الرئيسية المتحدة فى النصين تكاد الألفاظ تكون واحدة لولا طبيعة الاختلاف بين الرجلين ، ومعلوم أن أسامة ابن منقذ من رجال القرن الثانى عشر فهو يتقدم روستان بأكثر من سبعة قرون .

على الخطيب

رسالة من ملك انجلترا إلى خليفة أندلسى

« من جورج الثانى ملك انجلترا إلى خليفة المسلمين فى مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الجليل المقام .

بعد التعظيم والتوقير فقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة ، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم فى بلادنا التى يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة ، وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة دوبانت على رأس بعثة من بنات أشراف الانجليز لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وحدب من لدن ، اللواتى سيتوفرن على تعليمهن ؛ وقد زودت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل - أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص » .

من خادمكم المطيع - جورج ملك انجلترا

may reward every one as he shall have wrought, and they shall not be wronged". (Q. 45 j 21 - 22)

For the same reason, the Quran calls every action, good or bad, as 'Kasab'. Kasab in Arabic literally means what one earns or the result of one's action. Kasab therefore is what one has to enjoy or bear in corequence.

"Pledged (to God) is everyman for his actions and their desert". (Q. 52 : 21)

The principle is clearly laid down in chapter II of the Quran :

"God will not burden any soul beyond its power. It shall enjoy the good acquired, and shall bear the evil to acquire which it hath laboured". (Q. 2 : 280)

The same principle applies to communities and nations.

"Those people have now passed away : They have the reward of their deeds, and for you is the need of yours" (Q. 2 : 134)

Further, it has been made clear over and over again that when religion invites one do good and abstain from evil, it does so only to afford happiness and salvation to man.

"He who doth right – it is for himself ; and he who doth evil — it is for himself ; and thy Lord will not deal unfairly with His servants" (Q. 41 : 46)

. . . Let it not be supposed that reward or punishment depends upon God's pleasure or displeasure. What the Quran states is this that all recompense or reward or punishment is directly a reaction to one's own action and that God is pleased with a good action and displeased with an evil one. This concept is at variance or in conflict with earlier beliefs. Al-Din is an apt term to demote the law at work in life and should set at rest all misconceptions prevailing on the subject. Its use in the 'Suratul-Fatiha' brings out in clear perspective the significance of the good or evil which flows from an action regarded as reward or punishment.

● ● ●

Among the Jews and the christians, the concept of Diety had, no doubt, been raised a little higher. But the essential character of the earlier common belief still clung to them. The Jews believed that God was, even like the deities of others, an absolute dictator. If He was pleased with them, He would style. Himself as the God of Isreal; if displeased. He would wreak His vengence and cause their ruination. The concept of the Christians was no better. They believed that because of the original sin of Adam, his entire progeny or mankind had become an object of divine displeasure and that consequently Christ had to atone for this original sin through his own crucifixion and affect the redemption of man.

But the Quran places the concept of reward or punishment on a different footing. It does not regard the treatment meted out to man reward or punishment as something differint from the operation of the law of causation that is at work in the universe. On the other hand, it regards it as but an aspect of it. Everything has a quality of its own and producees a result appropriate to it or expresses itself in a form germane to it. The same phenomenon is manifest in the realm of human thought and action. Every thought, feeling or action has its inevitable reaction. That is its requital, its recompense, its reward or punishment. The result of a good action is good and that is 'reward'. Similarly, the result of an evil action is evil and that is 'punishment'. The one is designated heaven, and the other hell. The comforts of heaven are for those who do good, where as the trials of hell are for those who do evil.

"The inmates of the fire and the inmates of paradise are not to be held equal. The inmates of paradise only shall be the blissful".

(Q. 59 : 20)

The Quran points out that everything, whether in the phenomenal word or in the inner life of man, is invested with a nature peculiar to it. The nature of fire is to burn; that of water is to produce coolness, and so on. No other results are produced from them. So is the case with every type of human action. Every action produces a result peculiar to it. That is what the Quran calls recompense, requital, or justice.

"Deem they whose earnings are only evil, that We will deal with them as with those who believe and work righteousness, so that their lives and deaths shall be alike. I'll do they judge.

In all truth hath God created the heavens and the earth, that he

# DIVINE JUSTICE In The Concept Of The Quran

By

*(Late) Moulana Abul Kalam Azad*

The attribute of God which the Quran refers to in continuation of its refernce to the attributes of 'Rububiyat' and 'Rahmat' is that of 'Adalat' or justice, and the term used for it is 'Maliki - Yawmiddin or Master on the Day of Recompense.

Al-Din In the ancient Semitic Languages, the terms 'Dân and Din' were used in the sense of law. They lent them - selves, particularly in Aramaic and Hebrew, to various derviatives. Probable, it was through Aramatic that the term in the form of Dina or law found its place in the ancient Iranian language of Pahlawi. The word has been used in the Avesta in more than one place, and in the early literature of Iran, a code of literary values was termed 'Dina-I-Dabira'. In fact, one of the religious books of the Zoroastrians is named 'Din Kart' which probably was compiled by a Zoroastrian priest in the 9th century of the Christian era. In any case, the tern 'Al Din' in Arabic bears the meaning of requital or recompense, whether of good or evil action.

The phrase 'Maliki-Yawmiddin' bears the meaning of 'He who is the dispenser of Justice on the Day of Requital'.

In this context. several aspects of the subject present themselves for for consideration. The Quran uses the term 'Al-Din generally in the sense of requital. That in why it refers to the day of judgment as the day of requital. It is also so styled because the Quran attempts to point out that requital or justice is the inevitable result of one's own action and not arbitrarily imposed, as was the idea prevailing when the Quran was delivered. The old belief had been inspired by the absolutism or despotism of rulers, and a simititude entertained in respect of God suggesting that even as the absolute monarche of those days, God could dispense reward or punishment as as His whim suggested. It was why people in those days propitiated the Deity by various forms of sacrifices. The idea was to humour Him up and keep His temper at the nomoral.

of mutual respect, upholding the legitimate rights and duties of individual and socities without any discrimination between man and man.

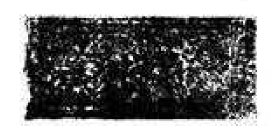
The scholars of the Islamic Research Academi call on the governments, nations and organisations of the world over, and the United Nations organisations, urging them to strive hard with firmness, earnestness and frankness to resist these persecutions, and work to secure to the Muslim minorities their rights guaranteed by the International laws in the liberty of worship, and in the political and economic rights.

In all these, scholars of the Academi are prompted by a strong desire to see the realisation of a General Human Tie, and to prevail the world over the atmosphere of fraternity, progress and prosperity in the shade of the principles of Justice, truth, liberty and peace.

( If you do good and keep from evil, God is ever informed of what you do.Quran ).

*The Islamic Research Academi*

*27 / 6 / 1973*



and giving them the liberty of thought, belief and worship, and they have all duties and rights like Muslims. This principle was embodied practically in the long history of their relations with different minorities who were living among the Muslim majorities. It was evident in the history of Islam in Spain, Persia, Syria, Egypt and other parts of the world.

But we see frequent press reports on the persecution, extermination, killings and terrerist acts to which Muslim minorities are being subjected in some parts of the world, which run counter, firstly to sound Islamic principles, the generous treatment extended by Muslims to minorities in their countries, secondly to the just human principles and moral values, and thirdly to the international covenants and the United Nations charters on the protection of human rights; for example the events occured to Muslims in the Philippines, Ceylon, Bulgaria, Rumania, Chad, Cyprus and some other parts of the world.

The Islamic Research Academi in watching these acts which are contray to the principles of justice, truth, and humanity, is prompted by its deep desire to avoid the dangerous results and harmful effects of such trends not only on some nations or certain communities, but on the humanity as a whole. So we should combat such tendencies before graw to be more grave and incurable.

These atrocities to which Muslim minorities are being subjected, caused a violent shock in the hearts of Muslims all over the world, and they voiced their protects and condemnations in the conferences and also through appeals addressed to the heads of governments, Organisations and the peoples.

These tendencies are still going on, acts of persecution are continued, and danger of a severe bloody conflict is overlocking from the canine teeth of anger, from beneath the feet of oppressed peoples, and behind the chairs of rulers and leaders.

The best way to face this dangerous situation is a joint constructive efforts, based on sincere cooperation, by the leaders of opinion, like scholars and thinkers, and leaders of rule, like statesmen and heads of governments, to combat these trends and tendencies whtch are destructive to civilizations and relations between nations and communities.

If these efforts are succeeded in putting an end to the hated class system, tearing communalism and heartrending racism the people will live in peace and security, in fraternity and amity. Progress and prosperity will prevail in the shadow

# III - MUSLIM MINORITIES

There has been a great change in the method of relations between nations and communities since centuries, but decades.

Every nation and each community was previously living in isolation from others, in the limits of its own culture, faith, ideology, and political, economic and social systems, but nowdays the doors of nations are opened in order to be acquainted with the systems, cultures and ideas of each other.

This new trend needed a basis for cooperation and understanding among the nations, that is the mutual benefit and respect, and the confirmation of the rights and the duties of all nations.

The modern age of developments in technology and in the means of communications helped to bring nations more clearr and facilitated to unite the all under the banner of common human bond, so they become as the members of one family.

It is recalled that such a closeness is one of the main aims of Islamic teachings as the Almighty God says :

" O mankind : We have created you male and female, and have made you nations and tribes so that you may know one another. The noblest of you in the sight of God is the best in conduct".

Referring to this point the Prophet Mohammad says : "The real believer is he who will associate with others and others will associate with him. The best man is the more useful to the people". This indicates that the cooperation and acquaintance among people should be relized on the basis of sincere fraternity, strong affection, mutual understanding and respect to the rights and duties of all with out any discrimination between nation and nation, on the basis of colour, languages, geographical boundaries.

The Prophet asserted this principle once again in his last speech when he said : "O mankind ! your father is one and your Lord is one. There is no preference to an Arab over a non-Arab or to a white man over a black one except by picus werks and good deeds. You are all Adam's offspring, Adam is of earth".

Having resolved to this principle Islam has laid its foundation on tolerance and respect of all minorities

2) every writing sign will have one sonant.

These two conditions are fulfilled in the Arabic scripts. If we find another sonant in a language the creation of some Arabic scripts with some change will be sufficient for the purpose as done in Urdu and Persian.

The Islamic Research Academy draws the attention of the Muslims to the fact that the Arabic scripts, besides the above mentioned technical considerations, will connect them with Arabic language in which the Holy Quran was revealed, and will help them to pronounce it correctly, and understand its meanings easily. It will also help them to acquaint with the Islamic heritage compiled in Arabic during the period of 14 centuries in different parts of the Muslim world stretching from the East Asia to the West Africa.

The Academi also draws their attention to another fact that the dignity of the Muslim nations, who regained their freedom from the fetters of colonialism and of the humility of the Subjugation to the western imperialism, should refuse to adopt the scripts used by the imperialism, otherwise they will remain continued in the humiliation of subjugation to those systems God has enabled them to get rid of them.

The true religion is the good advice, thus we are giving this advice sincerely for the sake of God, the Almighty, the Islam and the Muslims.

***Dr. ABDUL HALEEM MAHMUD***
*The Grand Sheikh of Al-Azhar*
*the President of the Academi.*

15th July, 1973



up of the religion of Islam, either in its spiritual guidance or in its social link, depends on understanding the language of its Book, and the tradition of its messenger.

The Muslims are now in an urgent need of unity and clarity of object as they are awakened from the lethargy of backwardness that the imperialism had imposed on them.

The most important means to consolidate and safeguard this liberty for which they faught severely is to strengthen the relations among them, individually and collectively, through learning the language of their religion instead of making their understanding, correspondence, and education in the languages of the imperialists who effaced their Islamic personality through those languages.

So, what is more honourable to Muslim nations : to make their mutual understanding and correspondence in English or in French— the language of those who imposed on them the dominion of emperialism.. and the humiliation of subjugation.. or in the language of their religion which will link them with hundreds of millions of their brothers in faith, culture, civilization and destiny?

b) The Islamic Research Academy wants to draw the attention of the Muslim brothers who speak their non-Arabic national languages, to another point that those languages, for them we wish all kinds of progress and presperity, most of them had adopted, since the spread of Islam among their peoples, the Arabic scripts because of the following two reasons ; firstly : these languages were contained many Arabic words and expressions related to the Islamic studies and civilizational terms. And secondly : the Arabic scripts have proved their suitablity to spell linguistic phonetics required in these languages.

The Academi is motivated to issue this appeal at the present time, by the new imperialistic move undertaken by the enemies of Islam and Muslims, which calls to adopt latin scripts for some national languages of Muslims in Africa and Asia.

This innovation is old as the oldness of imperialist enmity to Islam and Muslims and they even tried unsuccessfully to insert the latin letters in Arabic language.

It is a well established fact that the latin scripts are unable to convey ligulstic sonants to other languages. The adoptive scripts of any language should realize the following two things :

1) every sonant of the language will have one writing sign.

# 2 - ARABIC LANGUAGE

a ) Learning the Arabic language

b ) Danger of writing the languages of Muslims (other than Arabic ) in latin scripts.

a ) In the name of Islam which united Muslims for the good of themselves and for the good of the humanity as a whole, and made them brothers in equal status regardless of differences in colour, land or race.

The Islamic Research Academi of Al-Azhar addresses this appeal to all Muslims who speak non-Arabic national languages in order to acquaint with the view of Islam regarding the learning of the language of Islam, which is the basis of their worship, the means of understanding their religion, the vessel of their culture and the symbol of their unity.

The Arabic language is the language of the Glorious Quran, the language of traditions of the Prophet, and the language of all the religious sciences concerning the worships, transactions and other affairs of Muslims.

The famous Islamic Jurisprudent Imam-al-Shafie has proposed, in his book about the principles of Jurisprudence, that the learning of Arabic language is an obligation to every Muslim in an extent required to perform his religious worship properly. And he quoted the following verses of the Quran in support of his opinion.

1 ) And lo ! it is a revelation of the lord of the worlds. Which the true spirit has brought down upon your heart that you mayest be ( one ) of the warners. In Plain Arabic speech.

2 ) Thus we have revealed it to be a judgment of authority in Arabic.

3 ) We have made it A Quran in Arabic that you may be able to understand ( and learn wisdom ).

Thus every Muslim must learn from the Arabic language to the extent enabling him to recite the words of witness, read the Holy Quran, and to pronounce the necessary religious recitations.

The Islamic Research Academy reminds the Muslims that the set

and groups, and we have become fumbling to seek help and favour from here and there.

Thus, there is no safety for us, no protection, and no victory without unity, according to the Guidance of God : (And hold fast, all of you together, to the cable of God and do not separate ).

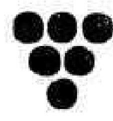
The unity was the stamina of of this nation and the secret of its strength - and now this unity has become the stamina of its continuation and the means of its salvation. The successors of this nation will not grow better except through what by which their ancestors had grown. ( This is My way, leading straight., follow it, and follow not other ways, they should scatter you from His Path — Quran ).

And we hope that the leading steps taken on the path of unity between Egypt and Libya .. may be an intuitive to unity of Islamic nation so that they can regain their glory, dignity and prestige.

May God guide us to the straight path.

DR. ABDUL HALEEM MAHMUD
*Grand Sheik of Al-Azhar*
*and president of the Academy*

*July 8, 1973*



The method laid down by Islam to realise this unity is simple as well as its bases and principles.

This method is characterised in the following verse of the Quran : "And hold fast, all of you together to the cable of God and do not separte".

If the Muslims resorted to the law of God and held fast to this bond by which they are conjointed, then they will find themselves marching unitedly on one path with one aim.

In order to realise this unity they should firmly adhere to the Islamic faith, not aelowing any alien currents to spong on the Islamic socities aim at dissuading Islam from the hearts of Muslims and their thoughts.

The Prominent feature of the stickness to this faith will be manifested in the implementation of the laws of God in all spheres of our life, and act according to His commands, and avoid His inhibitions, so that the Muslim society should become an embodiment of Islam in faith and action.

We would like to draw the attention of those who show fear, sincerely, or otherwise to the fact that the application of the Islamic limits imposed by God is immured with strong guarantees and safeguards.

And also the application of these limits ( imposed by God ) will definitely desiccate the springs of sins and wrong — doings. The experience of some Muslim countries which applied the prescribed punishment of theft, is a best evident.

It is worthmentioned that some influential' countries of the modern world prescribed the death sentence as the punishment of the theft.

In fact, this trend is a spontaneous response towards the implementation of the teachinge of Islam because it is a phenomenon of genuine belonging to this religion.

As we are forbidden 'to believe in some parts of the Quran and disbelieve in others', we have to apply the teachings of Islam in all aspects of our life : education, culture, information, law, economic, moral etc.

This is a pressing need of unity in Islam. Moreover, unity has become today a necessity of life for Muslims in all parts of the world.

We are passing through a crucial period of our life in which the strong nations of the world pounced on us and scattered us into sections

established which included different races and tribes.

Thus, the unity is the basis of the Islamic state . . . and the secret of its strength and continuity. As well as the unity is the source of strength for the believers when they call the mankind to the path of God. The Holy Quran says : ( And lo ! this your community is one community and I am your lord, so keep your duty unto Me ).

( The believers are brothers ).

( And remember God's favour unto you, when you were enemies and He made friendship between your hearts so that you became as brothers by His Grace ).

The Prophet Muhammad described the believers in their fraternity and amity as one body calling the Muslims to strive hard in the cause of God as one unit, the Almighty God says in the Quran : Lo : God Loves those who battle for His case in ranks, as if they were a solid structure.

The unity of Islamic nation is linked with the principles of Islam, in faith, in practical devotions and moralities. The Islamic belief leads the Muslims towards the worship of One God and their heart will turn entirely to one direction that is the observation of proper worship of God. the One. the eternal and there is no partner or helper to Him and He is the Sovereignty. He gives sovereignty unto whom He wants, He withdraws sovereignty from whom He wants. There is no preference in His sight to an Arab over a non-Arab, and to white man over a black man except through pious work and good conduct.

In this way Islam, unlike any other faith, builds up the hearts of its sincere believers on unity.

In the sphere of practical devotions this unity is linked with the adherence of Muslims to one system which is given by the one God (whose judges not by that which God has revealed ! such are disbelievers Quran).

The system of the life of the Muslims is based on a unified code of action in all fields of life relating to the state, to the family, to the economic life, social relations etc.

With regard to the moral system this unity is conjointed with the up-bringing of Muslims on the unified and established moral principles : in fraternity, Mercy, justice, courage, politeness, generosity and other virtues and moral values laid down in the Quran and the tradition of the Prophet, and became the moral code of Muslim in all times and places.

# THREE APPEALS

*ISSUED BY*

# The Islamic Research Acadamy of Al-Azhar

## 1 - The Islamic Unity

*In the Name of God the Beneficent, the Merciful*

The Almighty God sent His messenger the Prophet Muhammad (peace be on him) with the message of Islam as a guidance from God to the mankind. The first group of his companions, who responded to his Call and embraced his mission, included Bilal of Abyssinia and Sahaib of Rome.

The Prophet united different classes and races of his companions in closer bonds and constituted out of them a unified community who shouldered themselves the task of spreading the message of Islam.

When the Prophet moved to Medina he united together the tribes of Aus and Khazraj, and the Ansar (helper of the Prophet) and the Mujireen (the emigrants) in the bond of Islam. Thus the nucleus of Muslim state was formed in Medina. This united Muslim band took upon their shoulders the responsibility of building and safeguarding of this new state. Unity was its line of action and support. The most serious element of danger to this unity was conspiracies of Jews of Medina.

The expulsion of the Jews from Medina by the Prophet was a eternal lesson to his nation that the Jews would be a source of continued danger to their unity and getting rid of them and driving them away from the Arab land is a neccessary step to the establishment and continuation of this unity and they must strive hard to achive this aim by all means and sacrifices.

Before the demaise of the Prophet the tribes of Arabian peninsula came flocking from the north, south, east and west to join his faith based on Oneness of God and united by the ties of fraternity.

During the reign of four Caliphs a strong unified Islamic state was

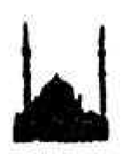
mind from all base thoughts is as incumbent as the abstinence of the body unnecessary mortification of the human body is condemned in Islam. Fasting is prescribed to the able-bodied person as a means of chastening the spirit by imposing restraint on the body. For example, the sick, the traveller, the weak and the women in their ailments are allowed to do not keep fast in the month of Ramadan, and they may fast an equal number of other days.

The rules and the wisdom of the institution of fasting are summerised in the following clear verses of the Quran :

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » . ( البقرة ١٨٥ )

It means :

"The month of Ramadan in which was revealed the Quran, a guidance for mankind, and clear proofs of the guidance, and Criterion ( of right and wrong ). And whosoever of you is present, let him fast the month, and whosoever of you is sick or on a journey, ( let him fast the same ) number of other days. Allah desireth for you ease; He desireth not hardship for you; and ( He desireth ) that ye should complete the period, and that ye should magnify Allah for having guided you, and that peradventure ye may be thankful" (2 : 185).



how more expedient it is that he should refrain from evil. Fasting is, infact, like a sort of training of man's faculties, for as every faculty of man requires training to attain its fulforce, the faculty of submission to Divine will should also require to be trained.

One must abstain during every day of the month of Ramadan from eating, drinking and smoking from dawn to sunset, he must likewise abstain from thinking of carnal and other pleasures. It appears a rigorous discipline, but one can get accustomed to it very soon if he shows good will and inclination. The fast extends over a lunar month. The result is that the month of fasting ( Ramadan ) rotates turn by turn through all the seasons of the year, summer, winter, autumn and spring. In this way one undergoes all these experiences as a spiritual discipline in obedince to the Will of God.

In order to subjugate the body to the spirit, it is necessary to break the force of the body and increase that of the spirit. It is evidenced by the experiences that nothing is as efficacious for this purpose as hunger, thirst, renunciation of carnal desires and the control of the tongue, the mind with its thought and other organs. Nature sometimes rebels, and its behaviour at other times is one of submissiveness. It has been remarked that the over power of animal nature hinders the perfection of the human spirit, and fasting brings comfort of the mind and purification of the soul.

It is worth to be observed that neither eating nor drinking is the characteristic of the Angels ; and in imposing this habit, man makes himself resemble the Angels, and his actions are intended to conform to the commands of God. The ultimate result of this systemetic practice may be more and more approach to obtain the nearness of God and His pleasure which is the supreme aim of purposeful life on this earth, and the highest grade of spiritual development.

The institution of fasting in Islam has the legitimate object of restraining the passions, by abstinence for a limited and a definite period, from all the gratifications of the senses, and directing the overflow of the animal feelings into a moral chanal. This rule of abstinence is restricted to the day-time. In the night time the Muslim is allowed to refresh the system by partaking in moderation of food and drink and otherwise enjoying himself lawfully.

During the fast abstinence of

# MAJALLATU'L AZHAR

## ( AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

RAMADAN 1393 | ENGLISH SECTION | OCTOBER 1973


# Fasting – An Institution for Moral Elevation and Spiritual Development

by : Dr. Mohiaddin Alwaye

Fasting is a universally recognised religious institution. It was enjoined upon all nations and prescribed in all scriptures before the Quran. This universal character of the institution of fasting is made clear in the Holy Quran (Verse 183, chapter 2). It does not mean that the fasts observed by the different religious communities are alike in the number of days, the time or manner of fasting, or in other incidents; but it only means that the principle of self-denial by fasting is not a new one.

Islam has introduced quite a new meaning into the institution of fasting. Although the Muslim fast is stricter than other fasts, it also makes easier in special circumstances. Fasting in Islam meant an institution for the improvement of the moral and spiritual character of man. The object is that man may learn how he can shun evil, for one who is able to renounce the lawful satisfaction of his desire in obedience to the Will of God, certainly acquires the power to renounce the unlawful satisfactions.

If it was merely a temporary abstention from food and drink it would be salutary to many people who habitualy eat and drink to excess. In fact abstention from food is but a step to make a man realise




مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثامن — السنة الخامسة والأربعون — شوال سنة ١٣٩٣ هـ — نوفمبر سنة ١٩٧٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

# الجديد في هذا العيد

للأستاذ عبد الرحيم فودة

يحتفل المسلمون بعيد الفطر ، فيجدون فيه ارتياحا لأداء الواجب وانشراحا بعودة الحرية ، وشعورا بالأمل والتفاؤل . يثيره الايمان الصادق بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه » .

وتتجلى في هذا العيد ــ كما تتجلى في عيد الأضحى ــ معالم الشخصية الاسلامية واضحة جلية اذ يستقبل المسلمون صباحه بالتهليل والتكبير ويجتمعون لأداء صلاته في المساجد والفلوات والميادين ، ويستمعون الى الخطباء في هذه المناسبة الكريمة العظيمة ، ويرفعون أصواتهم بذكر الله غادين الى أماكن الصلاة وعائدين الى المنازل ، وتغمر الجميع بهجة تشرق بها الوجوه ، وفرحة تتجاوب بها المشاعر ، فيقبل بعضهم على بعض مهنئا بنعمة الله . مبشرا بمستقبل أطيب . وحياة أخصب . وخير مدخر ..

وقد شرع الله زكاة الفطر كثمرة لصيام شهر رمضان ليشعر الفقراء في هذا اليوم بما يشعر به الأغنياء من اغتباط وابتهاج . كما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم : « اغنوهم عن السؤال في هذا اليوم » ولتتأكد بينهم روابط الأخوة ، وتتوثق بينهم أواصر المحبة ، فانهم بحكم دينهم كما يقول الله : « انما المؤمنون اخوة » وكما يقول النبي صلى الله

عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، وكما يقول عليه السلام : « المسلم أخـو المسلم لايظلمه ولا يخذله ولا يسلمه» .

ولا شك أن شعور المسلمين بما يعانيه اخوانهم فى الأرض المحتلة من أعدائهم وأعداء دينهم سيحفز هممهم وعزائمهم الى التعاون على درء العدوان وتطهـير الأرض . والثـأر لأرواح الشهداء الأبرياء الذين ذهبوا ضحية الطيش والغرور والطغيـان ، وقـد أصـبح حقهم أمام العالم واضـحا ، ورأوا من تأييده لهم فى مجلس الأمن ما يزيد من اصرارهم على الصمود ، وعزمهم على الجهاد ..

ونحمد الله على أن هذا العيد أقبل بجديد يعيد للمسلمين شعور الاعتزاز بالله والثقة بنصره . والعزم المصمم على اعلاء راية دينه .

فجيش مصر المظفر قد عبر القناة وأخذ يخطو فى سيناء خطواته الموفقة على جماجم أعداء الله . وأعدائهم . وأعـداء دينهم ؟ يطهر عزيز الأرض ويحطم خرافة الجيش الذى لايقهر . وجيش سوريا يذل مذخور الجهـد وموفور الطاقة فى أجل معارك الشرف وأخطرها ، وثبت كالطود الأشـم . أمام العواصف الرعن ، والجحـافل السود . والرؤساء والملوك تلاقوا على ضرورة المواجهـة المشـتركة لتحرير الأرض وصـيانة المقدسـات ، والأمة العربيـة كلها تاهبت لخوض معركة المصير . وهزت العـالم كله بموقفهـا الرائع المجيد .

وسيأتى دون شك اليوم الذى يتم فيه النصر ، طال الوقت أو قصر ، وسيتحقق دون شـك قول رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « تقاتلكم يهـود فتسـلطون عليهم حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا عبد الله يا مسلم . ورائى يهـودى : فتعـال فاقتله » ، وصدق الله اذ يقول فيهم : « واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم » .

فليحتفل المسلمون بعيد الفطر على هـذا الأمل الذى لاحت بشـائره ، وليـذكروا أنهـم دون غـيرهم الذين اصـطفاهم الله واجتباهم للجهاد فى سبيله . كما يفهم من قوله فيهم : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هـو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سـماكم المسـلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على النـاس فاقيمـوا الصـلاة وآتوا الزكاة واعتصـموا بالله هـو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » .

**عبد الرحيم فوده**

## دراسات قرآنية

# الحرب وآدابها فى الاسلام

للأستاذ مصطفى الطير

**قال الله تعــالى : ( فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ) وقال سبحانه : ( وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله )**

لو عرف الناس سبيل الحق فى دينهم ودنياهم ولم يختلفوا فيهــا ، لما اعتدى بعضهم على بعض منذ أول البشرية ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، ولكنهم بما جبلوا عليه من غرائزمتباينة ، ونزعات الى الخــير والشر مختلفة ، وعقــول متفــاوتة ، يختلفون فى حقــوق ربهم وحقوق أنفسهم ويؤدى اختلافهم الى وقوع الفتن والحروب بينهم .

ومن رحمة الله تعالى ـ منذ أول البشرية ـ أنه كلما تعاظم الشر بينهم بعث اليهم من أهل الحق من يهديهم الى سبيل الرشاد ، ويقر بينهم الأمن والســلام ، فان لـم يتيسر له ذلك بالحجــة والبرهان ، حققــه بالقوة الرادعة التى تـكون حينئـذ ضرورة لا محيص عنها ، وان كان يبغضــها ولا يميل اليها .

ولقــد عرف النــاس بالتجربة أن أكثر أهــل الباطــل لاينزعــون عنه بالنصــائح البالغة والحجج الدامغة ، وانما يكفون عنه بالقوة الغالبة وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول : « ان الله ليزع بالســـلطان مالا يزع بالقرآن » .

فاســتعمال القوة المــادية ضرورة اجتماعية ، للقضاء على عناصر الشر والفتنة ، وصدق الله تعالى اذ يقول : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » واذ يقول : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » .

وقــد شرع الله الأديان لاصـــلاح العقائد ونفى الباطل عنها ، وتنظيم سلوك الناس نحو الخلق والخالق ، ليستقيم لهم أمر معاشــهم فى أمن وســلام ، وأمر معــادهم فى وحــدة ونظام .

وبما أن عناصر الباطل تقف دائما فى وجه الحق كمــا تقدم ، فلهذا أذن

الله للرسل وأتباعهم بمقاومتهم كما سنبينه بعد .

وآخر الأديان السماوية وأجمعها لقوانين السلوك الدنيوى والأخروى على الوجه الأتم هو دين الاسلام ، والدعامة العظمى التى ترتكز عليها الدعوة الاسلامية ، هى قوله تعالى لرسوله : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة **والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** » .

وقد سلك الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المسلك القويم ، ولكن أهل الباطل تعدوا له كل مرصد ليصدوا الناس عن سبيله ، وتآمروا عليه ليقتلوه ، فنجاه الرحمن الرحيم، حتى يتم رسالة الحق التى بعثه الله بها ، فهاجر هو ومن آمن معه الى المدينة ،فآمن به أهلها ، واشتد بهم عضد الاسلام .

ولما كثر عدد المسلمين بالمدينة ، وأصبحوا قوة تستطيع الدفاع عن الحق ، ورد العدوان والفساد ، أذن الله لهم بالقتال دفاعا عن النفس وعن الحق فقال : « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير** » ولم يطلق لهم الاذن بالقتال ، بل قيده ببقاء العدو على المحاربة ، فان سالموا كفوا عنهم ، قال تعالى : « **وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله** » .

## ( الحرب الدفاعية مشروعة فى الأديان )

والحرب مبدأ مقرر فى جميع الأديان ، دفاعا عن الحق وحماية للمؤمنين ، فالاسلام لم يختص بذلك حتى يتهم زورا بأنه انتشر بالسيف ودليلنا على ذلك ما حدث من قتال أنبياء بنى اسرائيل للوثنيين ، كقتال نبى الله داود لجالوت ، وقتال يوشع للجبارين ، كما يدلنا على ذلك قول المسيح فى الانجيل : « لا تظنوا أننى جئت لألقى سلاما على الأرض ، ماجئت لألقى سلاما بل سيفا » متى اصحاح ١٠ فقرة ٣٤ وقوله : « لكن من له كيس فليأخذه ومزودة كذلك ، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشترى به سيفا ٢٢ (١) » لوقا اصحاح ٢٢ ــ فقرة ٣٦ .

فاذا كانت أناجيل المسيحيين تنقل عن السيد المسيح أنه كان يقول : « من ضربك على خدك الأيمن فادر له خدك الأيسر »فانها قد اعترفت بأنه ما جاء سلاما لأهل الشر ، بل سيفا

---

(١) نقلنا هذين النصين عن الانجيل الذى بأيدى المسيحيين ، لاعترافهما بالحرب كوسيلة لدفع الشر ، وافادتهما ان ذلك مبدأ مقرر عندهم ، ومعلوم أن قول الله تعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض » الآية ، ناطق بأنها مبدأ مقرر فى جميع الأديان .

عليهم ، وأنه أمر أتباعه أن يحملوا السلاح ولو باعوا ثيابهم فى سبيل شرائه .

وكما تكون الحرب الدفاعية عادلة دينيا وعقليا ودوليا ، فالحرب الوقائية كذلك ، فاذا علمت الدولة أن خصمها يعد لجهوم ضدها ، أو يظاهر عدوها عليها ، فمن حقها أن تهاجمه ، ولا تدعه يباغتها أو يعاون عدوها عليها ، والا عرضت نفسها للضياع ، وفى ذلك يقول الله تعالى : واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » .

وفيما عدا ذلك يكون مسلكنا مع أهل الكتاب قاصرا على أن ندعوهم الى الهدى ، ونجادلهم بالتى هى أحسن قال تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن» فان لم يستجيبوا لا نكرههم على الايمان ، وحسبنا أننا أشهدناهم على معالم الحق فى الاسلام وسبيلنا فى ذلك رسمه الله بقوله : « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

ولقد وضع الاسلام فى ذلك مبدأ سار عليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعاة المسلمين من بعده ، وهو قوله تعالى : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

ومن تطبيق الرسول لهذا المبدأ أن رجلا من بنى سالم بن عوف أسلم ، وطلب من ولديه المسيحيين أن يسلما فأبيا ، فاستأذن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أن يكرههما على الاسلام ، فنهاه قائلا : « لا اكراه فى الدين » .

ومن تسامح الرسول مع أهل الكتاب أن وفد نجران المسيحى ، لما قدم عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعطاهم بعض مسجده ليقيموا فيه شعائر دينهم أثناء اقامتهم بالمدينة .

## ( الحرب عند غيرنا )

واذا كانت الحرب فى الاسلام لأغراض عادلة كما بينا ، فانها عند غيرنا ظالمة ومدمرة ، يراد بها استعباد الضعفاء وامتصاص دمائهم، وتسخيرهم لخدمة أغراضهم فى سلامهم وحربهم، ولا تسل عما يفعلونه فى سبيل سيطرتهم على غيرهم ، من تحطيم وتدمير ، وتخريب وتحريق ، وتقتيل وتشويه ، دون مبالاة بقوانين دولية ، أو بعهود ومواثيق ، وحسبك شاهدا على ذلك ما حدث فى الحربين العالميتين الماضيتين ، وما فعله اليهود ويفعلونه فى أهل فلسطين ، وما يوم القصاص منهم ببعيد .

## ( شهادة الأجانب بعدالة حروبنا )

ولقد شهد المنصفون من الأجانب بعدالة حروبنا ، وصلاح قواعد الحرب عندنا للسلام العالمى ، فهى حرب اصلاحية لردع الظالم ، لا للبغى والعدوان ، قال الأستاذ هاك فى رسالة نشرها ١٩٣٢ فى لاهور بالهند:

« ان الأمم تبذل الكثير من الجهد ، وتعقد المؤتمرات لمنع التسليح ، والحيلولة دون الحرب ، أو التقليل من فرص اعلانها ، ولكن جهودهم باءت بالفشل ، لأن الدول لا تقيد نفسها بالمعاهدات ، الا حين تنعدم الوسيلة لديها لنقضها ، والتاريخ ملىء بأمثلة ذلك ، ولو طبقت أحكام الاسلام،فيما يتعلق بالحروب والجهاد تطبيقا كاملا ، لوجد العالم فيها جنته التى يبحث عنها ، بدلا من الجحيم التى هو مسوق اليها ، ليطع كل منا دعوة الله التى يقول فيها : «كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » اهـ ٠

## ( الاسلام والمعاهدات )

واذا كان الاسلام قد أذن بالحرب لحمايته وحماية أهله من غدر أعدائه، فانه أجاز الاستعاضة عنها بالمعاهدات التى يتفق فيها على منع الحرب بين الطرفين ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه واسلم فى معاهدة الحديبية ، فانه عاهد قريشا على منع الحرب بينهما عشر سنين ٠

وقد اختلف الفقهاء فى مدة المعاهدة مع غير أهل الكتاب ، فالحنفية والشافعية أوجبوا أن لا تزيد على عشر سنين ، كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فى معاهدة الحديبية وبعض الحنابلة أجازوا للامام توقيتها بأكثر من ذلك اذا اقتضه المصلحة ٠

أما مع أهل الكتاب فقد اتفقوا على أن للامام أن يوقتها بما يشاء من الزمن قل أم كثر ، تبعا للمصلحة ، وذلك حين لا تتيسر مصالحتهم على الجزية ٠

والجزية ضريبة تفرض على أهل الكتاب المسالمين فى مقابل قيام المسلمين بدفع الأعداء عنهم ، ويقابلها فى الاسلام الزكاة التى فرضها الله على المسلمين لذلك ولأغراض اجتماعية عظيمة ، واسهام المسلمين بها فى الدفاع والمصلحة العامة أكثر قدرا ، وأعم نفعا من الجزية ٠

وحينما توقع المعاهدة من الطرفين يتحتم على المسلمين احترامها وعدم نقضها ، فان نقضها الطرف الآخر نقضوها هم ، والشر بالشر والبادىء أظلم ٠

وقد بلغ من احترام الاسلام لعهد الذمة مع أهل الكتاب أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من آذى ذميا فقد آذانى » وللعهد مع غيرهم أنه قال: « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة » ٠

وبلغ التسامح عندنا أن من استجارنا من المشركين أجرناه ، وعرضنا عليه الاسلام ، فان قبله وأسلم ، كان له ما للمسلمين ، والا أبلغناه مأمنه ولم نغدر به ، قال تعالى : « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » ٠

## ( آداب الحرب فى الاسلام )

اذا اضطررنا الى الحرب وجب علينا أن نراعى الآداب التى شرعها الاسلام لنا ، وهى بحق تعتبر مثلا عاليا لايرقى الى مستواه ما فى غيرها من الأديان أو القوانين الدولية ، ومنها أن لايؤخذ العدو على غرة ، بل يدعى أولا الى المسالمة ، فان أبى حورب ، فعن عبد الرحمن بن عائذ قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث بعثا قال : تألفوا الناس وتأنوا بهم ، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فما على الأرض من أهل بيت من مدر ولا وبر ، الا أن تأتونى بهم مسلمين ، أحب الى من أن تأتونى بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم » .

وهذا المبدأ الخلقى الكريم لم يستطع القانون الدولى أن يصل اليه ، الا فى معاهدة لاهاى سنة ١٩٠٧ اذ نص فيها على أن لاتبدأ أعمال الحرب الا بعد اخطار سابق .

والحروب الحديثة لاتهتم بهذا المبدأ ، بل يعمد العدو فيها الى المباغتة ، ليشل حركة خصمه ويقضى على معنوياته ، بعد قضائه على معداته الحربية بالمباغتة ، وبما أن أعداء المسلمين يسلكون هذا المسلك الخطير ، فللمسلمين أن يسلكوه عملا بقوله تعالى : « ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة » ولا شك أن غفلتهم عن عدو غادر ذى أسلحة فتاكة ، وتركه يباغتهم ، فيهما تعريض لهم الى الهلكة .

ومن آداب الحرب فى الاسلام ، أن لايقتل النساء والصبيان والرهبان ، والشيوخ المسنون والعمى ، وهذا هو رأى جمهور الفقهاء كما قال ابن تيمية ، ثم قال : وفى السنن عنه صلى الله عليه وسلم أنه مر على امرأة مقتولة فى بعض مغازيه قد وقف عليها الناس فقال : ما كانت هذه لتقاتل ، وقال لأحدهم : « الحق خالدا فقل له لاتقتلوا ذرية ولا عسيفا » وفيها أيضا أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لاتقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة » اهـ . والعسيف : الأجير الذى لا دخل له فى الحرب .

وروى مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اغزوا فى سبيل الله ، وقاتلوا من كفر بالله ، ولاتغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع » .

ولقد تأثر خلفاؤه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتعاليمه ، فهذا أبو بكر جهز جيشا وجعل يزيد بن أبى سفيان قائده ، وأوصاه قائلا : « انى موصيك بعشر فاحفظهن ، انك ستلقى أقواما زعموا أنهم فرغوا أنفسهم لله فى الصوامع ، فذرهم وما فرغوا أنفسهم له ، وستلقى أقواما حلقوا أوساط رءوسهم فافلقوها بالسيف ، ولا تقتلن وليدا ولا امرأة ، ولا شيخا كبيرا ، ولا تعقرن شجرا بدأ ثمره ، ولا تحرقن نخلا ، ولا تقطعن كرما ، ولا تذبحن بقرة ولا شاة ، ولا ماسوى ذلك من الماشية الا للأكل » .

ومن الآداب تأمين المبعوثين والمفاوضين : جاء ابن النواحة وابن اثال رسولا مسيلمة الكذاب الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال لهما : أتشهدان أنى رسول الله ؟ قالا نشهد أن مسيلمة رسول الله ، قال صلى الله عليه وسلم : «آمنت بالله ورسوله لو كنت قاتلا رسولا لقتلتكما » .

ومن آداب الحرب العناية بمرضى الأعداء وجرحاهم ، وعدم تعذيب أسراهم ، وهذه أمور لم تنظم فى القوانين الدولية الا فى أوائل هذا القرن ، وتم اقرارها فى ٢٧ من يوليه سنة ١٩٢٩ ، ومع هذا فان غير المسلمين لا يعملون بذلك ، بل يعذبون الأسرى ويقتلونهم .

ومن آداب الحرب وقوانينه فى الاسلام ، أن من أسلم لا يحل اتهامه بأنه فعل ذلك تقية وقتله ، ففى البخارى عن أبى ظبيان قال : «سمعت أسامة بن زيد يقول : « بعثنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم ، فلما غشيناه قال : لا اله الا الله ، فكف الأنصارى عنه ، وطعنته برمحى حتى قتلته ، فلما قدمنا بلغ النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال: يا أسامة : أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله ؟ قلت : كان متعوذا ، فما زال يكررها حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم » يريد بقوله هذا أنه فهم من تكرار عتاب الرسول أنه ارتكب اثما لا يتفق مع سابقيته فى الاسلام ، وأن اسلامه قبل هذا الحدث كان كـ بـلا بأن يمنعه عنه ، فلذلك تمنى أن يقع اسلامه اليوم لا قبله ، حتى لا يكون قد ارتكب ما ينافيه وهو مسلم .

## ( الاعداد للحرب )

أوجب الاسلام الاعداد للقاء الأعداء على أرفع مستوى ، قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ولا بد لبلوغ ذلك مما يأتى :

١ — تسليح الجيش بأحدث الأسلحة ، وتدريب جنوده على استعمالها ، فان الجندى المثقف حربيا المدرب على استعمال ما بيده من سلاح ، له قوة كبيرة ضد الأعداء ، وفتك ذريع بهم ، ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يعنى بالتدريب ويحضره بنفسه ، فقد روى البخارى عن سلمة بن الأكوع أنه قال : « مر النبى — صلى الله عليه وسلم — على نفر من أسلم يتناضلون ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ارموا بنى اسماعيل ، فان أباكم كان راميا ، وأنا مع بنى فلان ، قال : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال — صلى الله عليه وسلم — ما لكم لا ترمون ؟ قالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ارموا وأنا معكم كلكم » .

٢ — تحصين الحدود والثغور ، ووضع الرجال الشجعان ذوى الدين المتين ، والثقافة الحربية الممتازة ، لحراستها والتيقظ لحركات العدو ،

فانها ذات خطر على أمن الدولة ، والمرابطون فيها لهم أجر عظيم ، قال صلى الله عليه وسلم : « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » رواه البخارى ، وقال أيضا : « كل ميت يختم على عمله ، الا الذى مات مرابطا فى سبيل الله ، فانه ينمو عمله الى يوم القيامة » رواه الترمذى وينبغى لولى الأمر أن يكون دائم الاتصال بهؤلاء ، ليتعرف منهم أخبار العدو لقربهم منه ، وكان بعض ملوك الفرس يقول لحاجبه : لا تحجب عنى رسول الثغر ، وان كنت نائما فأيقظنى ٠

٣ ــ اختيار القواد من أعلى العسكريين ثقافة وايمانا وتدريبا ، وأكثرهم شجاعة وأوسعهم أفقا ، فان القائد المتصف بذلك يكون ميمونا على أمته ، مظفرا فى حربه ، ففى غزوة خيبر : لما أبطأ الفتح طلب الرسول على بن أبى طالب وسلمه الراية ، ليكون أمير الجيش المباشر ، ففتح الله عليهم بسبب شجاعته ودربته الحربية ، وحسن قيادته للجيش ٠

٤ ــ التعبئة الروحية ، يقوم بها خطباء فصحاء أتقياء ، فيذكرون الجند بفضل الجهاد فى سبيل الله ، وما أعده الله للمجاهدين من كريم الأجر وعظيم الجزاء ، وفضل الشهداء ومنزلتهم فى الجنة ، عملا بقوله تعالى : « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال » ولقد كان الرسول يهتم بالتعبئة الروحية وقت الأمن ، وكذا فى مقدمة المعركة ، كقوله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر : « أبشروا فوالله لكأنى أنظر الى مصارع القوم » وكذا فى أثناء المعركة، كما فى قوله صلى الله عليه وسلم فى بدر وقد أطل من عريشه على الجيش : « سيهزم الجمع ويولون الدبر » وقوله : « والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر ، الا أدخله الله الجنة ، ومن قتل قتيلا فله سلبه » فقال عمير بن الحمام ــ وبيده تمرات يأكلها ــ : « بخ بخ ، مابينى وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه وقاتل حتى قتل » ٠

وينبغى تذكير الجنود بالوقائع التاريخية التى تم فيها النصر للمؤمنين المستبسلين ، ليتخذوا منها نبراسا لهم ٠

٥ ــ اعداد رجال المخابرات العسكرية ، الذين يتسللون فى أرض

العدو لتعرف أخباره ، وتمرينهم على أحدث الأساليب العالمية فى استقصاء الأخبـــار ، على أن يـكونوا من ذوى الايمان والصدق والشجاعة ، ولايصح أن يســتخدم فيها جبـان ولا ثرثار ولا لـين فانهـؤلاء ان وقعـــوا فى الأسر ، استطاع العدو أن يحصل منهم على أسرار الجيش فيكونوا نكبة على المسلمين .

ولقد كان النبى صلى‌الله عليه وسلم يختارهم من ذوى الأقدار العسكرية العظيمة ، ففى غزوة بدر بعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام ، لتعرف أخبار قريش ، فجاءا بأعظم الفوائد .

٦ ـ تخزين الأقوات اللازمة للأمة والجيش ، ووضعها فى أماكن بعيـدة عن مدارك العدو ، فان لها أهميـــة عظيمة .

٧ ـ الاكثار من وسائل النقـل وتعبيد الطرق الحربية ، وغير ذلك من الوسائل الكفيلة بالنصر وحسبنا ما ذكرنا ، والله الهادى الى ســواء السبيل ؟

**مصطفى محمد الطير**

## من هدى السنة :

# من صور الجهاد والاستشهاد فى الاسلام

للدكتور محمد محمد ابو شهبة

روى الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما عن أنس بن مالك رضى الله عنه ـ واللفظ لمسلم ـ قال :

« جاء ناس الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : أن أبعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة ، فبعث اليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم : القراء ـ فيهم خالى حرام ـ يقرءون القرآن ويتدارسونه بالليل يتعلمون ، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه فى المسجد ، ويحتطبون فيبيعونه ، ويشترون به الطعام لأهل الصفة ، وللفقراء ، فبعثهم النبى صلى الله عليه وسلم اليهم فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان ، فقالوا : اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ، ورضيت عنا ، قال : وأتى رجل حراما خال أنس من خلفه ، فطعنه برمح حتى أنفذه ، فقال حرام : فزت ورب الكعبة !! فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأصحابه ان اخوانكم قد قتلوا ، وانهم قالوا : اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك ، فرضينا عنك ، ورضيت عنا » تخريج الحديث: روى هذا الحديث الامام البخارى فى صحيحه مطولا ومجملا فى مواضع من كتابه ، ورواه الامام مسلم(١) .

### ( الشرح البيان )

« جاء ناس الى النبى صلى الله عليه وسلم » .

بينت رواية للبخارى هذا الابهام فى لفظ الناس فقد روى قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رعلا(٢) وذكوان ، وعصبة من بنى سليم استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدو لهم ، وفى رواية أخرى أنهم زعموا أنهم أسلموا ، واستمدوا على قومهم ، وكانت تلك خديعة قصدوا

---

(١) صحيح البخارى ـ كتاب الجهاد ـ باب دعاء النبى على من نكث عهدا ، وكتاب المغازى ـ باب غزوة الرجيع ، ورعل ، وذكوان ، وبئر معونة ... وصحيح مسلم ـ كتاب الجهاد ـ باب ثبوت الجنة للشهيد .

(٢) رعل : بكسر الراء وسكون العين ، وذكون : بفتح الذال ؛ وعصية : بضم العين وهى قبائل من بنى سليم .

بها الايقاع بهؤلاء المسلمين والذى ذكره ابن اسحاق فى السيرة أن استمدادهم لهم لم يكن لقتال عدو ، وانما هو للدعاء للاسلام قال : قدم أبو براء عامر بن مالك المعروف بملاعب الأسنة ، وهو من رؤوس بنى عامر فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام ، فلم يسلم ، ولم يبعد ، وقال : يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انى أخشى عليهم أهل نجد » فقال أبو براء: أنا جارلهم ، فبعث المنذر بن عمرو فى أربعين رجلا منهم : الحارث بن الصمة، وحرام بن ملحان ، ورافع بن بديل ابن ورقاء ، وعروة بن أسماء ، وعامر ابن فهيرة وغيرهم من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا « بئر معونة (١) فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر ابن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر فى الكتاب ، ثم استصرخ (٢) عليهم بنى عامر فأبوا ، وقالوا : لن نخفر (٣) أبا براء ، وقد عقد لهم عقدا وجوارا ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم: رعلا ، وذكوان ، وعصبة ، فأجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم فى رحالهم فقال لهم المسلمون : والله ما اياكم أردنا ، وانما نحن مجتازون فى حاجة للنبى صلى الله عليه وسلم فأبوا عليهم ، فقاتلوهم حتى استشهدوا جميعا الا كعب ابن زيد فانهم تركوه بين القتلى وبه رمق فلما أفاق تحامل على نفسه ، وقفل راجعا ، وعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا ، والا عمرو بن أمية الضمرى والمنذر بن محمد بن عقبة فقد كانا فى سرح القوم(١) ، فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما الا الطير تحوم حول العسكر ، فقالا : والله ان لهذا الطير لشأنا !! فأقبلا لينظرا ، فاذا القوم فى دمائهم ، واذا الخيل التى أصابتهم واقفة ، فقال المنذر لعمرو : ما ترى ؟! فقال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر ، فقال المنذر ابن محمد : لكنى لا أرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لأخبر عنه الرجال !! وقاتل القوم حتى قتل ــ رضى الله عنه ــ شهيد البطولة والوفاء !!

وأخذوا عمرو بن أمية أسيرا ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر ابن الطفيل بعد أن جز ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت عن أمه فيما زعم ، فخرج عمرو بن أمية قاصدا المدينة فلقى رجلين من بنى عامر وكان معهما عهد من الرسول ، وهو لا يعلم ، فأمهلهما حتى ناما فقتلهما ، وهو يرى أنه أصاب بذلك ثأرا من بنى عامر الذين غدروا بالسرية ، فلما قدم عمرو ، وأخبر الرسول بقصتهما قال:

---

(١) اسم موضع من بلاد هذيل بين مكة وعسفان .

(٢) استنفرهم عليهم .

(٣) بضم النون : لن ننقض عهده وأما خفر الثلاثى بمعنى وفى بالعهد .

(١) الابل فى المرعى .

« لقد قتلت قتيلين لأدينهما » لأنه قتلهما خطأ ، ثم قال : « هذا عمل أبى براء قد كنت لهذا كارها متخوفا » !! فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفار ابن أخيه عامر اياه، فذهب ابنه ربيعة الى عامر بن الطفيل ، فطعنه بالرمح انتقاما منه على فعلته النكراء ، فجرح ولكنه لم يمت ·

ولم يقف أمر هذا الخبيث الغادر عامر عند هذا الغدر ، فقد وفد على النبى صلى الله عليه وسلم قاصدا الغدر به فمنعه الله منه ، وقد دعا عليه النبى قائلا : « اللهماكفنىعامرا » فأصابه الله بغدة (١) فى بيت امرأة من بنى سلول ، فكان يقول متحسرا : غدة كغدة البعير ، فى بيت امرأة من بنىسلول !! ثم ركب فرسه فمات على ظهره بالعراء ، تطعم منه الطيور والسباع ، وهذه عاقبة من يحاد الله ورسوله ، ويحارب دينه ، ولامنافاة بين ما ذكر فى الصحيح ، ما ذكره ابن اسحاق شيخ كتاب السيرة لجواز أن يكون البعض قد استمدوا رسول الله على عدوهم مخلصين أو مخادعين ، وأبو براء استمد رسول الله بمن يدعو قومه الى الاسلام غير مخادع فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السرية المؤمنة المجاهدة لهؤلاء ، وأولئك ، فغدر بهم عامر · « فقالوا : ابعث لنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة » ·

هذا يدل على أنهم كانوا مسلمين ، أو أنهم على الأقل تظاهروا بالاسلام ، وهو غير ماذكره ابن اسحاق من الدعوة الى الاسلام لأنه يدل بظاهره أنهم لم يكونوا مسلمين ، وفى رواية البخارى أنهم استمدوا على عدوهم ، ولن يمدهم الرسول الا اذا كانوا مسلمين ، أو كان بينه وبينهم عهد ، وهو قريب مما ذكره مسلم ، وتعدد السبب لدعوتهم يدل على تعدد القصة ، وأن الذين طلبوا ذلك من رسول الله كانوا طوائف كما قدمنا ·

« فبعث اليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم القراء » ·

فى سيرة ابن اسحاق : أربعين ، وفىرواية البخارى فى« كتاب الجهاد » أربعين أو سبعين بالشك ، وفىرواية مسلم ومعظم روايات البخارى أنهم كانوا سبعين بالقطع ، وهو الصحيح الذىجاءت به معظم الروايات · والقراء جمع قارىء والمراد بهم قراء القرآن الكريم وكانوا يجمعون الى الحفظ الفهم ، والفقاهة ، والعمل بما يحفظون ، فالقارىء فى الصدر الأول كان يوافق لفظ العالم الحافظ لكتاب الله تعالى وقد ورد فى صفتهم أنهم كانوا يقرأون القرآن ، ويتدارسونه بالليل ويتعلمون ما فيه من علم ، وفقه وتشريع وآداب ، وأخلاق ، ومواعظ ، وزواجر ، وهذا يؤيد ماذكرته فىمعنى القارىء ، وهكذا كانوا يحيون ليلهم ·

ثم هم الى ذلك جمعوا بين الدين والدنيا ، وبين العبادة والتكسب ، فهم يأتون بالماء الى المسجد ، ويحتطبون بالنهار ، ويبيعونه ، ويطعمون به أهلالصفة ، وهمأضياف

(١) داء يصيب الابل وهو طاعونها .

الله ، وأضياف الاسلام ـ كما ورد في صحيح البخارى ـ لا يأوون الى اهل ولا الى مال ، والصفة : هى مكان كان مظللا بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم يأوى اليه الفقير والمحتاج، ومن لا دار له ، ولا أهل ، فيجد الطعام والشراب ، والمقيل ، والمبيت ، وهكذا ينبغى أن يكون المسلم فلا هو ينقطع الى العبادة ، ويدع التكسب والارتزاق ، ولا هو ينكب على الدنيا ، ويدع العبادة ، والقيام ، وقراءة القرآن .

« فبعثهم النبى صلى الله عليه وسلم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان » .

قد فصلت ذلك فيما سبق ، وبينت ما كان من تخوف رسول الله عليهم أن يغدر بهم ، ولولا ما كان من جوار أبى براء لهم لما أرسلهم ، وقد بينت من غدر بهم وهو عامر بن الطفيل وقبائل من بنى سليم ، وقد جازاه الله على غدره ، وقتل عامر شر قتلة .

« فقالوا : اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك ، فرضينا عنك ، ورضيت عنا » .

وروى البخارى فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم لما نعى القراء قال : «ان أصحابكم قد أصيبوا ، وأنهم سألوا ربهم فقالوا : ربنا أخبر عنا اخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا فأخبرهم عنهم فأنزل الله فيهم قرآنا كان يتلى « بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا ، وأرضانا » ثم نسخ بعد » .

وهذا يدل على كرامتهم عند ربهم ، وأن الله قد استجاب دعاءهم ، فالروايتان يكمل بعضها البعض الآخر وقد دل قوله : « ثم نسخ بعد » على أن هذا كان قرآنا ثم نسخ ، أى لفظه وتلاوته ، وان بقى معناه كما تدل على ذلك النصوص المتكاثرة من القرآن والأحاديث على منزلة الشهداء عند ربهم .

ومعنى رضا الله تعالى عنهم اعاضته الخير ، والاحسان ، والرحمة عليهم فيكون من صفات الأفعال ويجوز أن يكون بمعنى ارادة الله تعالى ذلك فيكون من صفات الذات .

ومعنى رضاهم عن ربهم أى رضاهم بما أكرمهم به من الثواب العظيم ، والمنزلة الرفيعة ، وبما أعطاهم من الخير الذى لا ينقطع ولا يفنى ، ولا يزول .

وكان وصول خبر سرية الرجيع ، وسرية بئر معونة فى يوم واحد فحزن النبى صلى الله عليه وسلم ، والمسلمون حزنا شديدا عليهم لم يخفف منه الا أنهم شهداء عند ربهم يرزقون « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ❋ فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ❋ يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » سورة آل عمران / ١٦٩ ـ ١٧١ .

وقد بلغ من حزن الرسول عليه الصلاة والسلام على هؤلاء السادة الأخيار الشهداء أنه مكث شهرا يدعو فى صلاة الصبح على رعل ، وذكوان ، وعصبة الذين غدروا بالقراء ٠

« قال :وأتى رجل حراما خال أنس من خلفه ، فطعنه برمح حتى أنفذه فقال حرام : فزت ورب الكعبة » ٠

حرام : هو حرام بن ملحان خال أنس بن مالك لأنه أخو أم سليم والدة أنس رضى الله عنه ، فقد كان حامل كتاب رسول الله الى الطاغية عامر ابن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر فى الكتاب ، وأوعز الى رجل من قومه فضربه غدرا بالرمح من خلفه حتى أنفذه ، يعنى ضربه ضربة نفذت الى قلبه فمات ، وكان مع حرام رجلان : وهما كعب بن زيد النجارى والمنذر ابن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح الخزرجى فقال لهما : كونا قريبا حتى آتيهم ، فان آمنونى كنتم قريبا منى ، وان قتلونى أتيتم أصحابكم ٠

وهكذا نجد « حراما » ضرب أروع مثل فى حب الشهادة ، لم يبك لما أصابه ، ولم يجزع ، ولم يتأوه — وحق له أن يتأوه — ولكن الرجل مات ميتة الأبطال وسقط وهو ينطق بكلمة المؤمنين الأخيار « فزت ورب الكعبة » !! نعم والله انه الفوز العظيم ، الفوز بالجنة ونعيمها ٠

وروى الواقدى أن قاتله وهو جبار بن سلمى عجب مما حدث ، ووقف مبهورا بما سمع ، فقال : ما معنى قوله : « فزت ٠٠٠ » ؟ !! مع أن الرجل قد قضى نحبه ، وأصيبت مقاتله بالطعنة فقالوا له : يعنى بالجنة !! فقال : صدق والله ، والفضل ماشهدت به الأعداء ٠

وقد كان لهذه الكلمة المؤمنة أثرها البالغ فى نفس « جبار » فبقيت فى نفسه لا تبرح سمعه ، وقلبه وتملكت عليه حسه ، ومشاعره حتى هداه الله الى الايمان ، وتشرف بالاسلام ٠

«وبعد» فيا قومى العرب والمسلمين ويا أبناء هؤلاء الأبطال المغاوير ، وهؤلاء الآباء العظام الأماجد ، هذه صفحة مشرقة نيرة من صفحات حب الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله ، وفى سبيل الدعوة الى الاسلام ، وصورة من صور البطولة فى الاسلام ، أذكر بها قومى المسلمين والعرب ليعلموا أن الاسلام لم يقم على الراحة والدعة ، والجبن والضعف ، والخور وانما قام على الكفاح والتضحية : التضحية بالنفس التى هى أعز شىء على الانسان فى سبيل الدين ، وفى سبيل العزة ، والكرامة ، والحياة الحرة التى لا ذلة فيها ، ولا استخذاء ، ولا مهانة ٠

ان هذه وسيلة من وسائل النصر على الأعداء ، وتحرير البلاد ، والعباد من ظلم العدو الغاشم المستبد ، وتلقينه درسا لا ينساه ؛ ليعلم أنكم من سلالة هؤلاء الأبطال : أبطال سرية القراء ؟؟ فهل أنتم فاعلون ؟ !؟

**د ٠ محمد محمد أبو شهبة**

# فضل الجهاد والمجاهدين

للأستاذ عبد العزيز بن باز

الحمد لله الذى أمر بالجهاد فى سبيله ، ووعد عليه الأجر العظيم والنصر المبين ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له القائل فى كتابه الكريم : ( وكان حقا علينا نصر المؤمنين ) ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخليله أفضل المجاهدين وأصدق المناضلين وأنصح العباد أجمعين ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه الكرام الذين باعوا نفوسهم لله وجاهدوا فى سبيله حتى أظهر الله بهم الدين وأعز بهم المؤمنين ، وأذل بهم الكافرين رضى الله عنهم وأكرم مثواهم وجعلنا من أتباعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد : فان الجهاد فى سبيل الله من أفضل القربات ، ومن أعظم الطاعات ، بل هو أفضل ما تقرب به المتقربون وتنافس فيه المتنافسون بعد الفرائض ، وما ذاك الا لما يترتب عليه من نصر المؤمنين واعلاء كلمة الدين ، وقمع الكافرين والمنافقين وتسهيل انتشار الدعوة الاسلامية بين العالمين ، واخراج العباد من الظلمات الى النور ونشر محاسن الاسلام وأحكامه العادلة بين الخلق أجمعين ، وغير ذلك من المصالح الكثيرة والعواقب الحميدة للمسلمين ، وقد ورد فى فضله وفضل المجاهدين من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يحفز الهمم العالية ، ويحرك كوامن النفوس الى المشاركة فى هذا السبيل ، والصدق فى جهاد أعداء رب العالمين وهو فرض كفاية على المسلمين اذا قام به من يكفى سقط عن الباقين ، وقد يكون فى بعض الأحيان من الفرائض العينية التى لايجوز للمسلم التخلف عنها الا بعذر شرعى كما لو استنفره الامام أو حصر بلده العدو أو كان حاضرا بين الصفين ، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة معلومة ، ومما ورد فى فضل الجهاد والمجاهدين من الكتاب المبين قوله تعالى : ( انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون . عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين . لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين .

انما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ) ٠

ففى هذه الآيات الكريمات يأمر الله عباده المؤمنين أن ينفروا الى الجهاد خفافا وثقالا أى شيبا وشبانا وأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، ويخبرهم عز وجل أن ذلك خير لهم فى الدنيا والآخرة ، ثم يبين سبحانه حال المنافقين وتثاقلهم عن الجهاد وسوء نيتهم ، وأن ذلك هلاك لهم بقوله عز وجل : ( لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة ) الآية ، ثم يعاتب نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عتابا لطيفا على اذنه لمن طلب التخلف عن الجهاد بقوله سبحانه : ( عفا الله عنك لم أذنت لهم ) ، ويبين عز وجل أن فى عدم الاذن لهم تبيين الصادقين وفضيحة الكاذبين ، ثم يذكر عز وجل أن المؤمن بالله واليوم الآخر لا يستأذن فى ترك الجهاد بغير عذر شرعى لأن ايمانه الصادق بالله واليوم الآخر يمنعه من ذلك ، ويحفزه الى المبادرة الى الجهاد والنفير مع أهله ، ثم يذكر سبحانه أن الذى يستأذن فى ترك الجهاد هو عادم الايمان بالله واليوم الآخر المرتاب فيما جاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى ذلك أعظم حث وأبلغ تحريض على الجهاد فى سبيل الله ، والتنفير من التخلف عنه ، وقال تعالى فى فضل المجاهدين : ( ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ) ٠

ففى هذه الآية الكريمة الترغيب العظيم فى الجهاد فى سبيل الله عز وجل وبيان أن المؤمن قد باع نفسه وماله لله عز وجل وأنه سبحانه قد تقبل هذا البيع وجعل ثمن أهله الجنة وأنهم يقاتلون فى سبيله فيقتلون ويقتلون ، ثم ذكر سبحانه أنه وعدهم بذلك فى أشرف كتبه وأعظمها التوراة والانجيل والقرآن ، ثم بين سبحانه أنه لا أحد أوفى بعهده من الله ليطمئن المؤمنون الى وعد ربهم ويبذلوا السلعة التى اشتراها منهم وهى نفوسهم وأموالهم فى سبيله سبحانه عن اخلاص وصدق وطيب نفس حتى يستوفوا أجرهم كاملا فى الدنيا والآخرة ، ثم يأمر سبحانه المؤمنين أن يستبشروا بهذا البيع لما فيه من الفوز العظيم والعاقبة الحميدة والنصر للحق والتأييد لأهله وجهاد الكفار والمنافقين واذلالهم ونصر أوليائه عليهم وافساح الطريق لانتشار الدعوة الاسلامية فى أرجاء المعمورة ، وقال عز وجل : ( يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ٠ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ٠ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ٠ وأخرى

تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ) .

ففى هذه الآيات الكريمات الدلالة من ربنا عز وجل على أن الايمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله هما التجارة العظيمة المنجية من العذاب الأليم يوم القيامة ، ففى ذلك أعظم ترغيب وأكمل تشويق الى الايمان والجهاد ، ومن المعلوم أن الايمان بالله ورسوله يتضمن توحيد الله واخلاص العبادة له سبحانه ، كما يتضمن أداء الفرائض وترك المحارم ، ويدخل فى ذلك الجهاد فى سبيل الله لكونه من أعظم الشعائر الاسلامية ومن أهم الفرائض ، ولكنه سبحانه خصه بالذكر لعظم شأنه ، وللترغيب فيه لما يترتب عليه من المصالح العظيمة والعواقب الحميدة التى سبق بيان الكثير منها ، ثم ذكر سبحانه ما وعد الله به المؤمنين المجاهدين من المغفرة والمساكن الطيبة فى دار الكرامة ليعظم شوقهم الى الجهاد ، وتشتد رغبتهم فيه،وليسابقوا اليه ويسارعوا فى مشاركة القائمين به ، ثم أخبر سبحانه أن من ثواب المجاهدين شيئا معجلا يحبونه وهو النصر على الأعداء والفتح القريب على المؤمنين ، وفى ذلك غاية التشويق والترغيب .

والآيات فى فضل الجهاد والترغيب فيه وبيان فضل المجاهدين كثيرة جدا، وفيما ذكر سبحانه فى هذه الآيات التى سلف ذكرها ما يكفى ويشفى ويحفز الهمم ويحرك النفوس الى تلك المطالب العالية والمنازل الرفيعة والفوائد الجليلة والعواقب الحميدة، والله المستعان .

أما الأحاديث الواردة فى فضل الجهاد والمجاهدين ، والتحذير من تركه والاعراض عنه فهى أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر ، ولكن نذكر منها طرفا يسيرا ليعلم المجاهد الصادق شيئا مما قاله نبيه ورسوله الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم فى فضل الجهاد ومنزلة أهله ، ففى الصحيحين عن سهل بن سعد — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : ( رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد فى سبيل الله، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها ) ، وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : ( مثل المجاهد فى سبيل الله — والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله — كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد فى سبيله ان توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة ) أخرجه مسلم فى صحيحه ، وفى لفظ له : ( تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة) وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : ( ما من مكلوم يكلم

في سبيل الله الا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى اللون لون الدم والريح ريح المسك ) متفق عليه ، وعن أنس رضى الله عنه – أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال : ( جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم ) رواه أحمد والنسائى وصححه الحاكم ، وفى الصحيحين عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه سئل : أى العمل أفضل ؟ قال : (ايمان بالله ورسوله ) قيل : ثم ماذا ؟ قال : ( الجهاد فى سبيل الله ) قيل : ثم ماذا ؟ قال : ( حج مبرور ) متفق على صحته ، وعن أبى عبس بن جبر الأنصارى – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ( ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار ) رواه البخارى فى صحيحه ، وفيه أيضا عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ( ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ) ، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ( من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من نفاق ) ، وعن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : ( اذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه شىء حتى ترجعوا الى دينكم ) رواه أحمد وأبو داود وصححه ابن القطان ، وقال الحافظ فى البلوغ : رجاله ثقات .

والأحاديث فى فضل الجهاد والمجاهدين وبيان ما أعد الله للمجاهدين الصادقين من المنازل العالية ، والثواب الجزيل ، وفى الترهيب من ترك الجهاد والاعراض عنه كثيرة جدا ، وفى الحديثين الأخيرين ، وماجاء فى معناهما الدلالة على أن الاعراض عن الجهاد وعدم تحديث النفس به من شعب النفاق ، وأن التشاغل عنه بالتجارة والزراعة والمعاملات الربوية من أسباب ذل المسلمين وتسليط الأعداء عليهم كما هو الواقع ، وأن ذلك الذل لا ينزع عنهم حتى يرجعوا الى دينهم بالاستقامة على أمر الله والجهاد فى سبيله ، فنسأل الله أن يمن على المسلمين جميعا بالرجوع الى دينه وأن يصلح قادتهم ويصلح لهم البطانة ويجمع كلمتهم على الحق ويوفقهم جميعا للتفقه فى الدين والجهاد فى سبيل رب العالمين حتى يعزهم ويرفع عنهم الذل ، ويكتب لهم النصر على أعدائه وأعدائهم انه ولى ذلك والقادر عليه .

**المقصود من الجهاد :**

الجهاد جهادان : جهاد طلب ، وجهاد دفاع ، والمقصود منهما جميعا هو تبليغ دين الله ودعوة الناس اليه واخراجهم من الظلمات الى النور واعلاء دين الله فى أرضه وأن يكون الدين كله لله وحده كما قال عز وجل فى كتابه الكريم من سورة البقرة : ( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون

الدين لله ) ، وقال فى سورة الأنفال: ( وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ) ، وقال عز وجل فى سورة التوبة : « فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم » ، والآيات فى هذا المعنى كثيرة ، وقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله عز وجل ) متفق على صحته من حديث ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ ، وفى الصحيحين عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأنى رسول الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله ) ، وفى صحيح مسلم عنه أيضا ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به ) ، وفى صحيح مسلم أيضا عن طارق الأشجعى ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ( من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل ) ، والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة ، وفى هذه الآيات والأحاديث الدلالة الظاهرة على وجوب جهاد الكفار والمشركين وقتالهم بعد البلاغ والدعوة الى الاسلام ، واصرارهم على الكفر حتى يعبدوا الله وحده ويؤمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ويتبعوا ما جاء به ، وأنه لا تحرم دماؤهم وأموالهم الا بذلك وهى تعم جهاد الطلب ، وجهاد الدفاع ، ولا يستثنى من ذلك الا من التزم بالجزية بشروطها اذا كان من أهلها عملا بقول الله عز وجل : (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ) ، وثبت عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه أخذ الجزية من مجوس هجر ، فهؤلاء الأصناف الثلاثة من الكفار ، وهم اليهود والنصارى والمجوس ثبت بالنص أخذ الجزية منهم ؛ فالواجب أن يجاهدوا ويقاتلوا مع القدرة حتى يدخلوا فى الاسلام أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، أما غيرهم فالواجب قتالهم حتى يسلموا فى أحد قولى العلماء ؛ لأن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قاتل العرب حتى دخلوا فى دين الله أفواجا ، ولم يطلب منهم الجزية ، ولوكان أخذها منهم جائزا تحقن به دماؤهم وأموالهم لبينه لهم ، ولو وقع ذلك لنقل،وذهب بعضأهل العلم الى جواز أخذها من جميع الكفار لحديث بريدة المشهور فى ذلك المخرج فى صحيح مسلم ، والكلام فى هذه

المسألة وتحرير الخلاف فيها وبيـان الأدلة مبسوط فى كتب أهل العـلم من أراده وجده ، ويستثنى من الكفار فى القتال النساء والصبيان والشيخ الهـرم ونحـوهم ممن ليس من أهل القتال مالم يشاركوا فيه فان شاركوا فيه أو ساعدوا عليه بالرأى والمكيدة قوتلوا كمـا هـو معـلوم من الأدلة الشرعية ، وقد كان الجهاد فىالاسلام على أطوار ثلاثة : **الطـور الأول** : الاذن للمسلمين فى ذلك من غير الزام لهـم به كما فى قـوله سـبحانه : ( أذن للذين يقـاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ) .

**الطور الثـانى** : الأمر بقتـال من قاتل المسـلمين والـكف عمن كف عنهم ، وفى هـذا النوع نزل قوله تعـالى : ( لا اكراه فى الدين قد تبين الرشـد من الغى ) الآية ، وقـوله تعـالى : ( وقل الحق من ربـكم فمن شـاء فليؤمن ومن شـاء فليكفر ) ، وقوله تعالى : ( وقاتلوا فى سـبيل الله الذين يقـاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ) فى قول جماعة من أهل العلم وقوله تعـالى فى سـورة النسـاء : ( ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سـبيل الله فان تولوا فخـذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولاتتخذوا منهم وليا ولانصيرا . الاالذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أوجاؤكم حصرت صـدورهم أن يقـاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسـلطهم عليكم فلقـاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ) والآية بعدها ،

**الطور الثالث** : جهاد المشركين مطلقا وغزوهم فى بلادهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ليعم الخير أهل الأرض وتتسع رقعة الاسلام ويزول من طريق الدعوة دعاة الكفر والالحاد وينعم العباد بحكم الشريعة العـادل ، وتعاليمها السمحة وليخرجوا بهـذا الدين القويم من ضيق الدنيا الى سعة الاسلام ، ومن عبادة الخلق الى عبادة الخالق سـبحانه ، ومن ظلم الجبابرة الى عدل الشريعة وأحكامها الرشيدة ، وهذا هـو الذى اسـتقر عليـه أمر الاسـلام وتوفى عليه نبينا محمد ـ عليه الصلاة والسـلام ـ وأنزل الله فيه قوله عز وجل فى سـورة براءة وهى من آخر ما نزل : ( فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ) الآية ، وقوله سبحانه : ( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ) والأحاديث السابقة كلهـا تدل على هذا القول وتشهدله بالصحة ، وقد ذهب بعض أهل العلم الى أن الطور الثانى وهو القتـال لمن قاتل المسلمين والكف عمن كف عنهم قـد نسخ لأنه كان فى حال ضعف المسلمين فلما قواهم الله وكثر عددهم وعدتهم أمرهم بقتـال من قاتلهم ، ومن لم يقـاتلهم حتى يكون الدين لله وحـده أو يؤدوا الجزية ان كانوا من أهلها ، وذهب آخرون من أهل العلم الى أن الطور الثانى لم ينسخ بل هو باق يعمل به عند الحاجة اليه ، فاذا أقوى المسـلمون واسـتطاعوا بدء عدوهم بالقتال وجهاده فى سبيل الله

فعلوا ذلك عملا بآية التوبة وماجاء فى معناها ، أما اذا لم يستطيعوا ذلك فانهم يقاتلون من قاتلهم وتعدى عليهم ، ويكفون عمن كف عنهم عملا بآية النساء وما ورد فى معناها ، وهذا القول أصح وأولى من القول بالنسخ وهو اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله – ، وبهذا يعلم كل من له أدنى بصيرة أن قول من قال من كتاب العصر وغيرهم أن الجهاد شرع للدفاع فقط قول غير صحيح والأدلة التى ذكرنا وغيرها تخالفه ، وانما الصواب هو ماذكرنا من التفصيل كما قرر ذلك أهل العلم والتحقيق ، ومن تأمل سيرة النبى – صلى الله عليه وسلم – وسيرة أصحابه – رضى الله عنهم – فى جهاد المشركين اتضح له ماذكرنا وعرف مطابقة ذلك لما أسلفنا من الآيات والأحاديث .

## وجوب الاعداد للأعداء

وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين أن يعدوا للكفار ما استطاعوا من القوة وأن يأخذوا حذرهم كما فى قوله عز وجل : ( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ) وقوله سبحانه : ( يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ) وذلك يدل على وجوب العناية بالأسباب والحذر من مكائد الأعداء ويدخل فى ذلك جميع أنواع الاعداد المتعلقة بالأسلحة والأبدان ، كما يدخل فى ذلك اعداد جميع الوسائل المعنوية والحسية وتدريب المجاهدين على أنواع الأسلحة وكيفية استعمالها وتوجيههم الى كل ما يعينهم على جهاد عدوهم والسلامة من مكائده فى الكر والفر والأرض والجو والبحر وفى سائر الأحوال ؛ لأن الله سبحانه أطلق الأمر بالاعداد وأخذ الحذر ولم يذكر نوعا دون نوع ولا حالا دون حال وماذاك الا لأن الأوقات تختلف والأسلحة تتنوع ، والعدو يقل ويكثر ويضعف ويقوى والجهاد قد يكون ابتداء وقد يكون دفاعا فلهذه الأمور وغيرها أطلق الله سبحانه الأمر بالاعداد وأخذ الحذر ليجتهد قادة المسلمين وأعيانهم ومفكروهم فى اعداد ما يستطيعون من القوة لقتال أعدائهم وما يرونه من المكيدة فى ذلك وقد صح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : ( الحرب خدعة ) معناها : أن الخصم قد يدرك من خصمه بالمكر والخديعة فى الحرب مالا يدركه بالقوة والعدد وذلك مجرب معروف ، وقد وقع فى يوم الأحزاب من الخديعة للمشركين واليهود والكيدلهم على يد نعيم بن مسعود – رضى الله عنه – باذن النبى – صلى الله عليه وسلم – ما كان من أسباب خذلان الكافرين وتفريق شملهم واختلاف كلمتهم ، واعزاز المسلمين ونصرهم عليهم وذلك من فضل الله ونصره لأوليائه ومكره لهم كما قال عز وجل : ( ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ) ، ومما تقدم يتضح لذوى البصائر أن الواجب امتثال

أمر الله والاعـداد لأعـدائه وبـذل الجهـود في الحيطـة والحـــذر ، واستعمال كل ما أمكن من الأسـباب المباحة الحسية والمعنوية مع الاخلاص لله والاعتمـاد عليـه والاسـتقامة على دينه ، وسؤاله المدد والنصر ، فهـو سبحانه وتعالى الناصر لأوليائه والمعين لهـم اذا أدوا حقـه ، ونفـذوا أمره وصدقوا في جهادهم وقصـدوا بذلك اعلاء كلمته واظهار دينه ، وقد وعدهم الله بذلك في كتابه الـكريم وأعلمهم أن النصر من عنده ليثقوا به ويعتمدوا عليه مع القيام بجميع الأسباب ، قال تعـالى : ( يا أيهـــا الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ) وقال سبحانه : ( وكان حقـا علينـا نصر المؤمنين ) ، وقـال عز وجـل : ( ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز • الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصـلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهـوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ) ، وقال عز وجل : ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهـم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعـد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ) الآية ، وقال تعـالى : ( وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بمـا يعملـون محيط ) وقال سـبحانه : ( اذ تسـتغيثون ربـكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين• وماجعله الله الابشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم ) ، وقـد سبق في هذا المعنى آية سورة الصف وهي قوله تعـالى : ( يا أيهـا الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عـذاب أليم.تؤمنون بالله ورسـوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالـكم وأنفســكم ذلـكم خير لـكم ان كنتم تعلمون • يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنـات تجرى من تحتهـا الأنهـــار ومســاكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم • وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ) ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، ولـما قام سلفنا الصالح بما أمرهم الله به ورسوله وصبروا وصدقوا في جهـاد عدوهم نصرهم الله وأيدهم وجعل لهم العاقبة مع قلة عددهم وعدتهم وكثرة أعدائهم كما قال عز وجل : ( كم من فئة قليلة غلبت فئة كثـيرة باذن الله والله مع الصابرين ) ، وقال عز وجل: ( ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخـــذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) ، ولـما غير المســـلمون وتفـرقوا ولم يستقيموا على تعاليم ربهم وآثر أكثرهم أهواءهم أصابهم من الذل والهـــوان وتسليط الأعداء مالا يخفى على أحد ، وماذاك الا بسبب الذنوب والمعاصى ، والتفرق والاختـلاف وظهـور الشرك والبدع والمنكرات في غالب البـلاد ، وعدم تحكيم أكثرهم الشريعة كما قال الله سـبحانه : ( وما أصـــابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ) ، وقال تعالى : ( ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى

يغيروا ما بأنفسهم ) ، وقال عز وجل: ( ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ) ، ولما حصل من الرماة ما حصل يوم أحد من النزاع والاختلاف والاخلال بالثغر الذى أمرهم النبى - صلى الله عليه وسلم - بلزومه جرى بسبب ذلك على المسلمين من القتل ، والجراح والهزيمة ما هو معلوم ، ولما استنكر المسلمون ذلك أنزل الله قوله تعالى : ( أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شىء قدير ) ولو أن أحدا يسلم من شر المعاصى وعواقبها الوخيمة لسلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الكرام يوم أحد وهم خير أهل الأرض ويقاتلون فى سبيل الله ، ومع ذلك جرى عليهم ماجرى بسبب معصية الرماة التى كانت عن تأويل لا عن قصد للمخالفة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتهاون بأمره ، ولكنهم لما رأوا هزيمة المشركين ظنوا أن الأمر قد انتهى وأن الحراسة لم يبق لها حاجة وكان الواجب عليهم أن يلزموا الموقف حتى يأذن لهم النبى - صلى الله عليه وسلم - بتركه ، ولكن الله سبحانه قد قدر ما قدر وقضى ما قضى لحكمة بالغة وأسرار عظيمة ، ومصالح كثيرة قد بينها فى كتابه سبحانه وعرفها المؤمنون وكان ذلك من الدلائل على صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنه رسول الله حقا ، وأنه بشر يصيبه ما يصيب البشر من الجراح والآلام ونحو ذلك، وليس باله يعبد وليس مالكا للنصر ، بل النصر بيد الله سبحانه ينزله على من يشاء ، ولا سبيل الى استعادة المسلمين مجدهم السالف واستحقاقهم النصر على عدوهم الا بالرجوع الى دينهم والاستقامة عليه وموالاة من والاه ، ومعاداة من عاداه وتحكيمه فى أمورهم كلها ، واتحاد كلمتهم على الحق وتعاونهم على البر والتقوى كما قال الامام مالك بن أنس - رحمة الله عليه - : ( لن يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصلح أولها ) ، وهذا هو قول جميع أهل العلم والله سبحانه انما أصلح أول هذه الأمة باتباع شرعه والاعتصام بحبله والصدق فى ذلك والتعاون عليه ، ولا صلاح لآخرها الا بهذا الأمر العظيم .

فنسأل الله أن يوفق المسلمين للفقه فى دينهم وأن يجمعهم على الهدى وأن يوحد صفوفهم وكلمتهم على الحق وأن يمن عليهم بالاعتصام بكتابه وسنة نبيه - عليه الصلاة والسلام - وتحكيم شريعته والتحاكم اليها ، والاجتماع على ذلك والتعاون عليه ، انه جواد كريم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

**عبد العزيز بن عبد الله بن باز**

# وخذوا حذركم ...

للدكتور عزت عطية

في ضوء هذه الآية كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتصرف وعلى هديها كان يسير .

ويبدو ذلك أوضح ما يكون في موقفه صلى الله عليه وسلم من الجواسيس ، وحرصه على أسرار المسلمين ، وتوجيهه الى العناية بمواجهة مكائد الأعداء ، والاستعداد لمواجهتهم على أساس من العلم الصحيح ..

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا أراد غزوة ورى(١) بغيرها ، لئلا يتيح الفرصة لجواسيس الأعداء ، أو الخونة ممن انبثوا في قلب الجيش ، أو تستروا بالاسلام ، ليذيعوا مقصده ويعرفوا اتجاهه ..

وكان الصحابة - بتوجيه من الرسول صلى الله عليه وسلم - يحذرون الجواسيس ويتعقبونهم ، ويقتلون من يكتشفون أمره ، ويتأكدون من سوء مقصده ، روى أبو داود - بسنده - عن سلمة بن الأكوع ، قال :

( أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - عين(١) المشركين ، وهو في سفر ، فجلس عند أصحابه ، ثم انسل ، فقال صلى الله عليه وسلم : « اطلبوه فاقتلوه » .. قال سلمة : فسبقتهم اليه فقتلته وأخذت سلبه ، فنفلني(٢) اياه ) ..

وعن فرات بن حيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتله ، وكان عينا لأبي سفيان ، وحليفا لرجل من الأنصار ، فمر بحلقة من الأنصار ، فقال : اني مسلم ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ، انه يقول : اني مسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

( ان منكم رجالا نكلهم الى ايمانهم ، منهم فرات بن حيان ) (٣) .

وهذان الحديثان يعطيان صورة واضحة لحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على حجز الأخبار الهامة

---

(١) اى أخفى أمرها ، وسكت عن ذكر المكان المتجه اليه وذكر اسم مكان آخر بدلا منه .

(١) اى جاسوس .
(٢) أعطاني .
(٣) رواه أبو داود .

عن الجواسيس ، وعلى تعقبهم واقتناصهم فى كل مكان ..

والناظر فى بيئة المدينة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يدرك على الفور أنها لم تكن لتسلم من الجواسيس والعملاء .. لقد كان فيها منافقون ، وكان فيها يهود .. وكلا الفريقين كان حريصا على هدم الاسلام والقضاء على المسلمين ، ومع ذلك تمكن الرسول صلى الله عليه وسلم بسياسته الحكيمة الحازمة من تقليم أظافر الفريقين ، وحصر خطرهم والسير فى طريقه بلا عناء ..

لقد واجه اليهود مواجهة صريحة قوية انتهت باجلائهم عن المدينة ، وتكاتفت الآيات القرآنية والتوجيهات النبوية على كشف المنافقين ، واظهار مكرهم ، وفضح دسائسهم ، حتى انتهى بهم الأمر الى أن أصبحوا معروفين بأسمائهم ، يحذرهم المسلمون ، ويحولون بينهم وبين ما يريدون ..

ومن هنا كان خطرهم محسوبا ، ونشاطهم مقيدا .. وكان للرسول — صلى الله عليه وسلم — من الثقة بأصحابه — بسبب تعاليمه الرشيدة ، وأنواره الهادية — ما يمنعه من الشك فيهم ، أو الخوف من كشفهم لأسراره ومع ذلك ، فقد رتب من الوسائل ما ييسر التعرف على ما قد يقع مما يضر بالمسلمين ، اذ لا يمكن الاعتماد على مجرد الثقة فيما يتصل بمصير الناس ، ومستقبل الأمم ، روى الامام البخارى — بسنده — عن على رضى الله عنه قال :

( بعثنى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنا والزبير والمقداد ابن الأسود ، قال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ(١) ، فان بها ظعينة (٢) ومعها كتاب،فخذوه منها .. فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا الى الروضة ، فاذا نحن بالظعينة ، فقلنا: أخرجى الكتاب ، فقالت : ما معى من كتاب .. فقلنا : لتخرجن الكتاب ، أو لنلقين بالثياب (٣) ، فأخرجته من عقاصها (٤) ، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا فيه : « من حاطب بن أبى بلتعة الى أناس من المشركين من أهل مكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حاطب ، ما هذا ؟ .. فقال : يارسول الله ، لاتعجل على ، انى كنت امرأ ملصقا فى قريش ، ولم أكن من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى ، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا ، ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد صدقكم . فقال عمر : يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق ..

---

(١) موضع بقرب حمراء الأسد
(٢) امرأة .
(٣) أى ليفتشوا كل شىء فيها .
(٤) شعرها المضفور .

فقال : انه قد شهد بدرا ، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ) ..

لقد اجتهد هذا الصحابى فأخطأ فى اجتهاده ، حيث ظن أن حماية أهله بمكة من الايذاء ، وثقته بقوة المسلمين ، يبيحان له أن يخبر بما حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الاخبار به .. ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم بين خطأ هذا الاجتهاد وما يستحقه من يتصرف مثل هذا التصرف من القتل والعذاب .. وأهم من ذلك كله أنه كشف الخطر قبل أن يقع ، وحال بين سره وبين الأعداء .

ومع احتراس الرسول صلى الله عليه وسلم من الجواسيس ، وحرصه على قطع آمال الأعداء فى التعرف على أسراره ، فقد كان حريصا على جمع المعلومات عن أعدائه ، واستطلاع أخبارهم بدقة ، حتى يتمكن من بناء خطته على أسس واقعية ، وحقائق موضوعية تكفل له تمام الاعداد والاستعداد .. روى أبو داود بسنده عن أنس رضى الله عنه ــ قال : ( بعث النبى صلى الله عليه وسلم بسيسة عينا ينظر ما صنعت عير[1] أبى سفيان ) وذلك فى غزوة بدر ..

وفى غزوة الخندق قال النبى صلى الله عليه وسلم : من يأتينى بخبر القوم ؟ فقال الزبير أنا .. فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ان لكل نبى حواريا[2] وحوارى الزبير[3] .

وعن حذيفة ــ رضى الله عنه ــ قال :

« لقد رأيتنا مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليلة الأحزاب ، وأخذتنا ريح شديدة وقر[4] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا رجل يأتينى بخبر القوم ، جعله الله معى يوم القيامة ؟ فسكتنا ، فلم يجبه منا أحد ، ثم قال : ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معى يوم القيامة ؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد ، ثم قال : ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معى يوم القيامة ؟ .. فسكتنا فلم يجبه منا أحد ، فقال : قم ياحذيفة فأتنا بخبر القوم ، فلم أجد بدا اذ دعانى باسمى أن أقوم ..

---

(١) الابل تحمل الزاد .

(٢) ناصرا .

(٣) رواه البخارى .

(٤) برد .

قال : اذهب فائتنى بخبر القــوم ، ولا تذعرهم (١) على ، فلمــا وليت من عنده جعلت كأنما أمشى فى حمـــام حتى أتيتهم ، فرأيت أبا سفيان يصلى ظهره بالنار ، فوضعت سهما فى كبد القوس ، فأردت أن أرميه ، فذكرت قول رسول‌الله صلى الله عليه وسلم: ولاتذعرهم على ، ولو رميته لأصبته ، فرجعت وأنا أمشى فى مثل الحمام (٢)، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوموفرغت قررت ، فألبسنى رسول الله صــلى الله عليه وسلم من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها ، فلم أزل نائما حتى أصبحت ، فلما أصبحت قال : قم يانومان » .

وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يواجه الحرب بالحرب ، ويعمل ـ بكل ما يستطيع ـ على أن يحول بين أعدائه وبين ما يريدون منه ، ويحرص فى نفس الوقت على أن ينال منهم كل ما يريد

**عزت على عطية**

---

(١) لا تمكنهم من التعرف عليك والتفطن لمهمتك .

(٢) أى فى جو حار .

# النظر العقلي بين الاسلام وخصومه

للاستاذ أحمد موسى سالم

ونعود الى كتاب الدكتور محمود اسماعيل عبد الرازق « الحركات السرية فى الاسلام » لنكشف الستار مرة أخرى عن أحد مشاهد مسرحيته التى اختار أبطالها تحت مؤثرات استشراقية ماركسية وصهيونية من بين من يسميهم من أعداء العرب والمسلمين « قوى الظل » أو قوى المعارضة من البابكية والباطنية والقرامطة وغيرهم ضد السلطة العربية الشرعية من الأمويين والعباسيين ٠٠

فى هذا المشهد نعرض للقارىء المسلم هؤلاء الأبطال المزعومين من أفراد هذه العصابات الشعوبية المأجورة على هدم العرب والاسلام ـ فى الثياب التى أسبغها المؤلف عليهم بسخاء حين زعم أنهم كثوار تغلب عليهم « الروح العقلانية » وأنهم كانوا يتمتعون فى وجه المذهب السنى السائد بموهبة « النظر العقلى » الذى هو كما يرى المؤلف « لب المنهج الاسلامى فى التفكير » ٠٠

والمؤلف كعادته يخلع على أبطاله من « عصابات الباطنية » ما يشاء من الأوصاف المثالية فى كل المجالات ، ثم يفترض أننا سنصدقه بغير دليل ، أو يتركنا لنكتشف الدليل المضاد لهذه الأوصاف التى أغدقها على مجرد « جهلة وزنادقة ومأجورين » دون أية رعاية للأمانة العلمية ، أو للمسئولية الوطنية والقومية تجاه من يكتب لهم ٠

ولذلك فنحن عندما نبحث عن مدلول « العقلانية » فى أفكار ومناهج الباطنية والبابكية والقرامطة نتساءل أولا : هل هو يعنى بالعقلانية هذا « الفكر الحر » بمنطق العصر الحديث ، والذى ينتهى عادة الى « الالحاد » كما انتهى فكر البابكية والباطنية والقرامطة الى « الزندقة » التى جاهروا بها ، وجعلوها منهج حياتهم وشعار دعوتهم ؟ ! ٠٠٠ فى هذه الحالة تكون صفة « العقلانية » مطابقة تماما لصفة هذه العصابات ، وصادقة فى تصوير المهام التخريبية التى تعهدوا بها فوق الوطن العربى لهدم السلطة العربية الشرعية ، وهدم أساسها وهو الاسلام !

ولكن المؤلف يصر فى تشبثه بعالمه الخاص على أن هذه العقلانية التى يغدق صفتها على عصابات الشعوبية والزنادقة انما هى عين « النظر العقلى »

الذى هو لب المنهج الاسلامى فى التفكير ... !

بل ان المؤلف لا يرضى فقط بأن يختلق هذه الصفة العالية ، وبأن يخلعها على عصابات من الجهلة والممسوسين والاباحيين الذين يعملون كالأدوات الصماء فى أيدى سلطة خفية من الزعماء المجهولين ، وانما هو يصر فى مقابل ذلك على أن ينزع كنتيجة لمختلقاته هذه الصفة نفسها من « النظر العقلى » عن المجتمع العربى المؤمن الذى قاد حضارة العالم تحت قيادة الأمويين والعباسيين قرونا طويلة ، مشرقا على هذا العالم بأول معارفه الصحيحة عن الفكر العلمى ، والمنهج العلمى ، وهو يستمدهما من المنابع الصحيحة لهما فى القرآن الكريم وفى الآفاق .

ان المؤلف وهو يرتدى وشاح المغالطات المرقط يريد وراء جدل المستشرقين السقيم أن يمحو بمجرد كلماته آية النظر العقلى الكبرى التى ظهرت مع ظهور النبى صلى الله عليه وسلم ، ومع صحابته وأتباعه من المسلمين الأسوياء ، حفظة القرآن ، وحافظى الشرع ، الذين حرروا وطنهم العربى الكبير من الطاغوت والكهانة ، ومن التبعية والاستغلال ، ومن عبادة البشر واستحلال المحارم ، والذين ساروا على الطريق حتى أنجزوا تصحيح مسار الفكر الانسانى من سفسطة التجريد الفلسفى اليونانى الى حدود المنهج العلمى القرآنى ...
لقد كان هذا المنهج العلمى هو دلالة النظر العقلى السليم فى حياة الأمة العربية الاسلامية منذ بدأ فى حياة النبى ، وامتد فى حياة خلفائه . وعندما بدأ الامام الشافعى ـ ١٥٠ حتى ٢٠٤ هجرية فوضع فى رسالته أول الأسس لمنطق الأصوليين الذى يهدم بعلميته تجريدات ومتاهات المنطق الأرسططاليسى ـ بدأت حياة جديدة للعالم ، وتخلقت البذور فى الأرض الصالحة لظهور مستقبل باذخ وشامخ فى العصر الحديث لسلطان العلوم وآثارها التطبيقية .

لقد اكتشف المسلمون السنيون الأسوياء عجز المنطق الأرسططاليسى ـ الذى انطوى فى طياته مجوس ويهود الباطنية والقرامطة ـ من حيث عجز اللغة اليونانية عن كمال الأداء العقلى والعلمى ، ومن حيث ما فى المنطق الأرسططاليسى من ميتافيزيقية بعيدة عن تجسيد العالم فى الحس والواقع ، ومن حيث ما فى هذا المنطق اليونانى الصناعى والخرافى من قسر للواقع الحى على ضرورات عالم « الفكر المجرد المصنوع » ، وأخيرا من حيث أن هذا المنطق الأرسططاليسى فى تعريفه الحد بأنه « المعرف للماهية » انما يسمح للذهن بأن يتلقى «صورة غير حاصلة» فى الواقع ... وهذا غاية الضلال !!

يريد المؤلف الذى اتسعت له كل مواهب التقليد والاستسلام لأساتذته المستشرقين بأنواعهم ، وعلى رأسهم بندلى جوزى وكايتانى وما سينيون وبرناردلويس الخ ـ يريد أن يخلع صفة « النظر العقلى » على من كانت

مهمتهم الأساسية اشاعة الجهل بين المسلمين ، واطفاء منارة الاسلام العلمية والحضارية بهدم أساسها فى السلطة العربية ··· ويريد أيضا أن ينتزع بتلقائية المغالطة هذه الصفة عن المسلمين العرب السنيين أصحاب الأرض ، وحماة العقيدة ، وبناة حضارة الاسلام ، وواضعى الأساس الوحيد الصحيح لحضارة العالم ·

ولما كان المؤلف كما ذكرنا ، وكما هو ثابت فى كتابه الدعائى لم يقدم دليلا واحدا على صحة هذا الزعم ، وانما ترك لنا « أبطاله » يتحركون ويتسللون على مسرحه الوهمى فى الظلمة ، كما يتحرك اللصوص والمتآمرون ، والمخبولون والمخمورون ــ فلقد كان علينا أن نتطوع فنقدم نحن الدليل له ولغيره على مقدار ما فى زعمه من التجنى الصريح على الحقائق ، ومن الجسارة الغريبة على قلب تاريخ الأمة العربية ، ومن العجمة المفرطة فى فى تصور مبادىء وأحداث وأطوار هذا التاريخ ···

**آلات صماء :**

نبدأ بأقوال من بندلى جوزى الذى وضع للمؤلف وأمثاله هذا المخطط الماركسى الشعوبى لتمييز الملاحدة على المسلمين تحت عنوان الاشتراكية أو الشيوعية الأولى فى المجتمع الاسلامى السابق · يقول بندلى جوزى مؤكدا أن عصابات القرامطة الاسماعيلية كانت أدوات صماء فى أيدى رؤسائها :

« ولقد كان ما يتخذه الدعاة من وسائل التأثير على ارادة الأعضاء البسطاء ، وما يأخذونه عليهم من عهود ومواثيق وسيلة الى ربط هؤلاء الأعضاء رباطا متينا برئيسهم الأعظم، وبعضهم ببعض ، ويجعلهم فى أيدى الدعاة الخبيرين « آلة صماء » بل أجسادا لاحراك لها ، يتصرفون فيها كيف شاءوا ، وشاءت أهواؤهم وغاياتهم » !!

ويقول أيضا على لسان بعض دعاتهم فى قواعد الدعوة بما يكشف عن طبيعتها البعيدة عن النظر العقلى أو حرية الفكر ، أو المنهج الاجتماعى المستند لحرية الارادة أو حرية الثورة المزعومة :

« ادع الناس بأن تتقرب اليهم بما يميلون اليه ، وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم ، فمن آنست منه قبولا فاكشف له الغطاء » !!

ثم يقول بندلى جوزى معلقا على هذه الأساليب راضيا عنها ومغتبطا بها مع أنه يدعى أنه بذاته داعية للاشتراكية ··· فكأنما هذه هى الاشتراكية الماركسية فى نظره ··· !

يقول بندلى « هذا شىء قليل من تلك الطرق التى كان يستعملها الاسماعيليون لاصطياد الناس وتأليف كتلة قوية موحدة · والحق انهم توفقوا بهذه الأساليب الىاستمالة ألوف الألوف الى مذهبهم ، وتلقينهم مبادئهم ، وجعلهم « آلة صماء » فى

أيدى صاحب الزمان وأعوانه ، يقذفون بهم أينما شاءوا ، ويسخرونهم لقضاء أغراضهم ... » .

فهؤلاء كما يصفهم بندلى جوزى لتلميذه المؤلف جماهير المسخرين كالآلة الصماء فى أيدى سادتهم ، الذين يقذفون بهم كيفما شاءوا ... فهل هذا هو مناخ « النظر العقلى » .. الذى هو لب المنهج الاسلامى فى التفكير .. ! ؟

هل يستطيع المؤلف ، ولو فيما بينه وبين نفسه أن يجيب ! ؟.. وأن يكون صادقا ؟ !

**التشكيك والتدليس :**

وننتقل من بندلى جوزى الى مؤلف عربى محايد هو الدكتور محمد عبد الفتاح عليان الذى يصف فى كتابه « قرامطة العراق » بعض وسائل هذه العصابات المتحركة بأحقاد شعوبية ، ومعتقدات وثنية لاستمالة أعداد كبيرة للانخراط فى تجمع التآمر لهدم الاسلام والدولة العربية ... أعداد من الناقمين على الحرية والسواسية ... والنظر العقلى !!

يقول الدكتور عليان فى وصف بعض وسائلهم التى تخرج بهم عن أى مفهوم اجتماعى انسانى الى شكل من أشكال المافيا السياسية الموجهة من الشعوبية والصهيونية لحرب الاسلام والعرب :

« يبدأ الداعى بتشكيك المستجيب فى عقيدته تمهيدا لتغييرها ، واستبدال العقيدة القرمطية بها ، وسبيل الداعى هو توجيه عدد من الأسئلة عن مقررات الشرائع ، وغوامض المسائل ، وعن المتشابه من القرآن ، فيقول فى معنى المتشابه : ما معنى « ألم » و « كهيعص » ... ثم يشككه فى أحكام الدين قائلا : ما بال الحائض تقضى الصوم دون الصلاة مع أن الصلاة مقدمة على الصوم ؟ ... وكذلك فى أخبار القرآن فيقول : لماذا كانت أبواب الجنة ثمانية بينما أبواب النار سبعة ؟ ثم يستطرد فى القاء الأسئلة قائلا : « لم كانت السماوات سبعا ، ولم كان فى رأس الانسان سبعة ثقوب العينان والأذنان والمنخاران والفم .. ولماذا جعل رأس الآدمى على هيئة الميم ، ويداه اذا مدهما على هيئة الحاء ، والعجز على هيئة الميم ، والرجلان على هيئة حرف الدال ، بحيث اذا جمع الكل يشكل كلمة « محمد » ! ؟ .. ولا يزال الداعى يسرد أمثال هذه الأسئلة حتى « يوهم » المدعو أن هناك « أسرارا » خافية عنه يجب أن يعمل على الاطلاع عليها » !

أرأيتم كيف أن المؤلف الدكتور محمود اسماعيل عبد الرازق مدرس التاريخ الاسلامى بجامعة عين شمس كان على حق ! ؟ ... أو ليست هذه « الأوهام » والتوهمات الباطنية فى علم الحاء والدال هى من روائع « النظر العقلى » عند القرامطة والباطنية الذين خاصموا لأسباب بعيدة عن المعارضة الشرعية والثورة

الاجتماعية عقيدة الاسلام ، وسلطة العرب الشرعية على أرضهم ! ؟

ثم يتكلم الدكتور عبد الفتاح عليان عن وسائل هؤلاء الشياطين من رؤوس الفتنة فى « اصطياد » البسطاء أو المجرمين أو المسوسين أو الموتورين ـ من حيث لا يوجد سبب ظاهر للسخط العام على الدولة ، فينتقل من حديثه عن فنونهم فى « التشكيك » الذى تصنع مثله اسرائيل اليوم والمذاهب المعادية ـ الى التعليق ! ومن التعليق الى الربط ! ومن الربط الى التدليس الذى كان منه اسم القرامطة أى « المدلسين » على الرغم من جزع المؤلف وموقفه الهستيرى من انكار هذه التسمية الدامغة فى مرحلة من مراحل نشاطهم السرى التخريبى البعيد عن أى نظر عقلى آدمى ، أو أى وجدان اجتماعى انسانى .

يتكلم الدكتور عليان عن مرحلة « التدليس » عند القرامطة فى « اصطياد » الأتباع ، وعمل الخلايا السرية فيقول :

« ومعنى التدليس هو كشف الداعى لشىء من أسرار الدعوة القرمطية ، مع التمويه على المستجيب ببعض الأمور حتى يسهل تقبله له . ومن أمثلة هذه الأمور زعم الداعى بأن « الامام » وحده دون بقية الناس هو الذى يستطيع تفسير القرآن تفسيرا صحيحا لايرقى اليه الشك » !

وهكذا يستسلم آلاف السذج والمعتوهين أو الجانحين الى أن مقاليد دينهم وعقولهم وفهمهم للقرآن موضوعة بالتدليس وما قبله وبعده فى قبضة رجل واحد مجهول منهم ، لا يعرف أحد هويته ، وهو عالم الزمان وامامه الذى لا يخطىء ... فكيف وجد المؤلف الشجاعة لكى يصف بالنظر العقلى واقع تعطيل « العقل » وهدم « الارادة » وتكبيل « الحرية » فى حياة هؤلاء الذين سخرهم كأداة صماء شياطين من أمثال عبد الله بن ميمون القداح ، وحمدان قرمط ، وحسين الأهوازى ، وابن بهرام الجنابى ، والعبادى ، وأبناء زكرويه ، وحسن الصباح زعيم الحشاشين ... الخ .

**الابتزاز بالتأويل :**

ولم يكن القرامطة من بين هذه العصابات ـ ليكتفوا بسرقة الحجاج المسلمين وقطع الطريق ، وانما تقدموا بقوة « عقلانيتهم » التى اكتشفوا بها الكثير من علوم التأويل والباطن فاستحدثوا طرقا للابتزاز وألوانا من التأويل الباطنى لسرقة أتباعهم ومطايا أغراضهم وأهدافهم الشيطانية ، فمن ذلك ما ورد فى كتاب الدكتور عبد الفتاح عليان من ظواهر « الروح العقلانية » فى حياة هؤلاء الأبالسة من القرامطة والاسماعيلية وغيرهم فى موضوع بذاته هو سرقة « فلوس » أتباعهم .

**يقول الدكتور عليان :**

« لعب التأويل الباطنى فى حياة القرامطة دورا كبيرا استغله دعاتهم وهم يعملون على تأويل آيات القرآن الكريم على النحو الذى يحقق أغراضهم . من ذلك لما أراد حمدان قرمط أن يجمع الأموال من أتباعه طلب من كل شخص أن يدفع له مبلغا من المال سماه « الفطرة » وقال لهم ان ذلك هو المقصود من قوله تعالى : « فطرة الله التى فطر الناس عليها » ... ثم طلب منهم مبلغا آخر سماه « البرهان » وتلا عليهم قول الله تعالى : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » واستمر حمدان فى طلب الأموال من أتباعه مستندا فى ذلك الى تأويل بعض آيات القرآن الكريم حتى استحوذ فى النهاية على جميع ممتلكاتهم » !!!

أليس هذا هو « البرهان » الذى لا يملك المؤلف أفضل منه ليثبت تمتع أبطاله من أعداء الاسلام والسلطة العربية الشرعية بالقدرة على « النظر العقلى » الى بعيد ... بقدر ما تمتد اليه أبصار زعمائهم من المزادكة ـ والاباحيين ... ومن اليهود عباد العجل الذهبى !؟

**الحلول والشعوذة :**

وفى ختام هذه الكلمة ، ودون اطالة ، لا يمكن أن يجتمع بالبداهة فكر حر ، أو نظر عقلى ، أو دعوة للاخاء الاجتماعى والمساواة الانسانية فى ظل « عبادة البشر » الأمر الذى لا يجرؤ الدكتور محمود اسماعيل على أن يفتح عينيه الكليلتين فى شمس برهانه الساطع . ففى تقرير عقيدة حلول الاله فى الامام المعبود ، المحرك للأكوان ، والمفسر بهواه للقرآن ، يقول الدكتور عليان :

« كان الاسماعيلية على اختلاف طوائفهم يعتقدون بأن روح الله تحل فى امامهم ، ولم يشذ عنهم فى اخفاء هذه العقيدة سوى الفاطميين الذين اضطروا الى اخفائها مخافة أن يثور عليهم المصريون السنيون » .

**ويقول الدكتور عليان :**

« ومما يدل على ايمان القرامطة بمبدأ الحلول أن أنصار زكرويه بن مهرويه سجدوا له عندما ظهر لهم بعد اختفائه الطويل ... » .

ويقول الدكتور عليان فى انحطاط مجتمع القرامطة العقلى وتغلغل الشعوذة فيه :

« وكان يتضح بدلائل كثيرة أثر الشعوذة فى المجتمع القرمطى ... ومما يعاب على هذا المجتمع انتشار الجهل والخرافات بين الكثير من أفراده ، الذين غلبت عليهم البلادة والبله ، والذين لم يعرفوا شيئا من العلوم . وكان يحيى بن زكرويه ـ أحد زعمائهم ـ يدعى لأنصاره أن ناقته مأمورة ، وأنه اذا أشار بيده الى الجهة التى بها محاربوه انهزموا ، وقد لجأ الى التمويه على أعدائه قبل موته فزعم لهم أنه سيطلع غدا الى السماء ويقيم بها أربعين يوما » !!

ويقول الدكتور عليان فى آخر كتابه تلخيصا لقصة القرامطة الذين زعم الدكتور محمود اسماعيل أنهم بعض «قوى الظل» وبعض من استهدفوا من المعارضة هدفا ساميا ، وكان لهم « نظر عقلى » بحسب المنهج الاسلامى:

« كان القرامطة ضحية الجهل والخرافات فاستجابوا للدعاية التى أدخلت فى روعهم أنه لابد لقيادة العالم من امام معصوم يرجع اليه وحده فى تفسير تعاليم الدين ، وأنه يملك ناصية الأمور ، وأن المقصود من العبادات الظاهرة كالصلاة والصوم والحج وغيرها هو طاعة الامام ، ونصرة دعوته ، كما أن آيات القرآن الكريم لها معان باطنية يحددها الامام ومن تعلموا منه ... » !!

هؤلاء اذن هم المعارضون للحكم الأموى الهرقلى ، والحكم العباسى الكسروى — على حد قول الدكتور محمود اسماعيل — تجمعوا فى شقوق الأرض من بقايا المنسحقين بسلطان الأكاسرة ، والمنهزمين بمعتقدات المزدكية الوثنية المزمنة ، من الذين اتسعت عليهم الحرية التى جاءهم بها العرب المسلمون فسقطوا من أثوابها ، وضاقت عليهم شرائع العفة والورع والنقاء وصون الحرمات التى جاءهم بها القرآن فمزقوها وخرجوا منها ، وبذلك كانوا وقودا وحطبا لنيران الحقد التى أشعلها الدعاة لاسترجاع الامبراطورية الفارسية على أرض العرب ، فلم يستطيعوا الا استرجاع حكومات الرؤساء المستورين الوثنية الكسروية « فى الظل » أى فى الظلام وفى فراغات الأرض العربية الواسعة ، أو فى بؤر الوثنيات القديمة من أمثال أذربيجان وخراسان وأرمينية ، وقد عجزوا رغم طول اجترارهم للمنكرات والاباحيات القديمة ، واستسلاماتهم المهينة لمن قادوهم قيادة المستبدين للعميان والحمير — على حد قول الاسماعيلية أنفسهم — أن يصنعوا شيئا يغير مجرى التاريخ ، الا هذا التمنى الأثيم الذى تحركوا اليه بغريزة الموت والهدم ، وباعمال السلب والسفك والاختفاء لكى يرجع النظام الذى جاء به الاسلام الى الفوضى ، ولكى تعود الحياة التى دبت فى كل شىء بالقرآن والحرية والعلم الى حالتها الأولى من الانحلال غير العضوى قبل الحياة والكرامة والوحدة ، والقدرة على المواجهة والادراك والتعبير ...

هؤلاء هم المعارضون الذين عارضوا محرريهم ومعلميهم العرب من أجل

عبادة البشر ، ومن أجل ظلمات من الأوهام والخرافات يتحركون بها كأدوات صماء ، لا يعرفون يمينهم من شمالهم ، ويطيعون الطاعة العمياء حتى فى سفك الدماء ، وسرقة المال ، وهتك الحرمة ، وهدم الكعبة ، وتقديم « البرهان » أى القرابين لسادتهم العصابيين الدمويين الاباحيين حتى آخر ما يملكون ٠٠٠

هؤلاء هم الذين استهدف الدكتور محمود اسماعيل فى كتابه الشعوبى تبرير « هدفهم النضالى » فى هدم الاسلام وضرب السلطة العربية الشرعية ، استنادا الى ما بسطناه من دلالات لا تمت الى ما أدعاه لهم من « النظر العقلى » وفق منهج التفكير الاسلامى ، بقدر ما يتضح فى كل زاوية من تاريخهم الأسود ان هدفهم كان اغراق البلاد العربية الآمنة العامرة الراشدة فى بحر من التشكيك والتدليس والتخريف الذى فقد فيه المؤلف مع الأسف قدرته على رؤية الحقائق ، وعلى الاحساس السليم بايقاع الأحداث ، كما أضاع فيما أضاع حدود ذاته القومية ، ومعالم أمانته العلمية ٠٠٠ عفا الله عنه ٠

**أحمد موسى سالم**

# نداء من الميدان

للدكتور احمد عمر هاشم

أنا هاهنـــا عزمي حـــديد
مهمـــا بغى الخصـــم العنيـد

أنا قـد نذرت الروح للـــر
حمـن ٠٠ للوطن المجيـــد

ان عشـت عشـت على النضا
ل ٠٠ وان أمت فأنا شـهيد

ان الـــكرامة فـــطرتي
لا أرتقي عيش العبيــــد

من أجـــل عـــزة أمتي
ســأمزق الليـــل البليـد

من أجلهـــا ٠٠ من أجل لا
جئهـــا ٠٠ ومن أجل الشريد

من أجـــل من طـردوا وعا
شوا ليـلهم فـوق الجليـــد

من أجـل من تركـــوا الديا
ر ٠٠ ودمعهم فوق الخـــدود

من أجـــل من سـكبوا الدما
ء بريئـــة فوق الحـــدود

أقســـمت لن أدع الحـــدو
د ، ولـــن أرى تلك الـــورود

حتى أطهـــر أرضي الخضـ
ـــراء ٠٠ من دنس اليهـــود

أنا هاهنـــا أحمي البـــلاد
ممن تمـــادوا في العنـــاد

من معتـــــدين تســـربلوا
ليـــل الــــروابي والـــوهاد

أنا هاهنـــــا متـــــربص
أقضي الليــــالي في ســـهاد

عينـــاي في جوف المـــدى
ويدي هنـــا فـــوق الزناد

أحمي الذمار ، وأســـتجيـ
ـــب لـــكل ناحيـــة وواد

أشـــتم رائحـــة الجنـــا
ن تفوح في جو الجهـــاد

وأحس وقع الخطو في الفـــر
دوس ٠٠ يحـدوني المـــراد

أبني هنـــا مســـتقبل الجنا
ت ٠٠ مـــرفوع العمـــاد

وحفيف أمـــلاك الســـما
ء كأنمـــا يـــوم التنـاد

ونـــداء رب العــــالمين
، يقولهـــا : « بشر عبـــاد »

**د٠ أحمد عمر هاشم**

# جرائم البغي في الشريعة والقانون

للاستاذ توفيق على وهبة

## تعريف البغي :

البغى لغة : طلب الشيء . فيقال : بغيت كذا اذا طلبته ثم اشتهر البغى فى العرف فى طلب ما لا يحل من الجور والظلم .

ويختلف الفقهاء فى تعريف البغى: فالمالكية يعرفونه بأنه : الامتناع عن طاعة من ثبتت امامته فى غير معصية بمغالبته ولو تأويلا . ويعرفون البغاة بأنهم : فرقة من المسلمين خالفت الامام الأعظم أو نائبه لمنع حق وجب عليها .

ويعرفه الحنفية : بالخروج عن طاعة امام الحق بغير حق . والباغى الخارج عن طاعة امام الحق بغير حق .

بينما يرى الشافعية أن البغاة : هم المسلمون مخالفو الامام بخروج عليه وترك الانقياد له وشوكة لهم وتأويل ومطاع فيهم . أو هم الخارجون عن الطاعة بتأويل فاسد لا يقطع بفساده ان كان لهم شوكة بكثرة أو قوة وفيهم مطاع . فالبغى عندهم هو خروج جماعة ذات شوكة ورئيس مطاع عن طاعة الامام بتأويل فاسد .

ويعرف الحنابلة البغاة بأنهم : الخارجون عن امام ولو غير عدل بتأويل سائغ ولهم شوكة ولو لم يكن فيهم مطاع . فالبغى عندهم لا يختلف فى تعريفه كثيرا عن الشافعية ... والشيعة الزيدية يعرفون الباغى بأنه : من يظهر أنه محق والامام مبطل وحاربه أو عزم على حربه وله فئة أو منعة فالبغى فى نظرهم هو الخروج على الامام الحق من فئة لها منعة .

أما الظاهرية فالبغى عندهم هو : الخروج على امام حق بتأويل مخطىء فى الدين أو الخروج لطلب الدنيا . يقول ابن حزم من الظاهرية : « البغاة ثلاثة أصناف : صنف تأولوا تأويلا يخفى وجهه على كثير من أهل العلم ، فهؤلاء معذورون . حكمهم حكم الحاكم المجتهد يخطىء فيقتل مجتهدا أويتلف مالا مجتهدا ، أو يقضى فى فرج خطأ مجتهدا ، ولم يقم عليه الحجة فى ذلك ففى الدم دية على بيت المال لا على الباغى ولا على عائلته ، ويضمن المال كل من أتلفه ، ونسخ كل ما حكموا به ولا حد عليه فى وطء فرج جهل تحريمه ما لم يعلم بالتحريم . وهكذا أيضا من تأول

تأويلا خرق به الاجماع بجهالة ولم تقم عليه الحجة ولا بلغته .

وأما من تأول تأويلا فاسدا ولا يعذر فيه لكن خرق الاجماع ولم يتعلق بقرآن ولا سنة ، ولا قامت عليه الحجة وفهمها وتأول تأويلا يسوغ وقامت عليه الحجة وعند ، فعلى من قتل هكذا القود فى النفس فما دونها والحد فيما أصاب بوطء حرام ، وضمان ما استهلك من مال وهكذا من قام لطلب دنيا مجردا بلا تأويل ، ولا يعذر هذا أصلا ، وهكذا من قام عصبية ولا فرق . وقد تكون الفئتان باغيتين اذا قامتا معا فى باطل فاذا كان هكذا فالقود أيضا على القاتل من أى الطائفتين كان ، وهكذا القول فى المحاربين يقتل بعضهم بعضا » .

والتعريف المشترك فى البغى عند جمهور الفقهاء هو : الخروج على الامام مغالبة .

**ادلة جريمة البغى :**

**اولا ـ من القرآن الكريم :**

يقول الله سبحانه وتعالى :

١ ـ « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين » .

٢ ـ « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

٣ ـ « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » .

**ثانيا ـ من السنة النبوية الشريفة :**

١ ـ عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر فان من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية » .

٢ ـ روى عرفجة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ستكون هنات وهنات ـ ورفع صوته ـ الا من خرج على أمتى وهم جميع فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان » .

وفى رواية أخرى : « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » .

٣ ـ وعن عوف بن مالك الأشجعى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » قال : قلنا يارسول الله ألاننابذهم ؟ عند ذلك قال : لاماأقاموا فيكم الصلاة الا من ولى عليه وال

فرآه يأتى شيئا من معصية الله فليكره ما يأتى من معصية الله ، ولا ينزعن يدا من طاعة » .

٤ ــ وعن حذيفة بن اليمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهديى ولا يستنون بسنتى ، وسيقوم فيكم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان انس ، قال : قلت : كيف أصنع يا رسول الله ان أدركت ذلك قال : « تسمع وتطيع وان ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع » .

٥ ــ روى عن عبد الله بن عمر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أعطى اماما صفقة يده وثمرة فؤاده فليطعه ما استطاع فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » .

٦ ــ وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعبد الله بن مسعود : « هل تدرى ياابن أم عبد كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : « لا يجهز على جريحها ولايقتل أسيرها ولا يطلب هاربها ، ولا يقسم فيئها » .

٧ ــ وعن عبادة بن الصامت قال « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله الا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان » .

٨ ــ وعن أبى ذر أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « ياأبا ذر كيف بك عند ولاة يستأثرون عليك بالفىء » : ؟ قال : والذى بعثك بالحق أضع سيفى على عاتقى وأضرب حتى ألحقك قال : أولا أدلك على ما هو خير لك من ذلك ؟ تصبر حتى تلحقنى » .

**أركان جريمة البغى :**

١ ــ الخروج على الامام ، والامام هو الرئيس الأعلى للدولة الاسلامية أو من ينوب عنه والراجح فى المذاهب الأربعة والشيعة الزيدية أنه لا يجوز الخروج على الامام متى كان عادلا وان كان البعض لا يجيز الخروج عليه حتى ولو كان غير عادل وكان فاسقا أو فاجرا لأن ذلك يؤدى الى الفتنة والفوضى وسفك الدماء واباحة الحرمات .

٢ ــ أن يكون للخارجين تأويل كأن يقولوا : ان الحاكم خرج عن حدود الشرع فى كذا وكذا أى أن انتخابه غير صحيح الى غير ذلك وحتى لو كانت حجتهم غير صحيحة .

٣ ــ أن يكون الخروج مغالبة أى باستعمال القوة فالخروج بلا قوة فى مظاهرات ولو كانت مخالفة للامام لا تعتبر بغيا وأن يبدأوا هم بقتال الحاكم فان لم يقاتلوا كانت جريمتهم جريمة رأى وليست جريمة بغى .

٤ ـ القصد الجنائى : وهو قصد الباغى الخروج على الامام مغالبة أو قتله أو عدم طاعته ٠

**مسئولية البغاة :**

يسأل البغاة قبل المغالبة عما يقع منهم مدنيا وجنائيا أما بعد المغالبة فما اقتضته حالة المغالبة دخل ضمن جريمة البغى ، أما ما يكون أثناء المغالبة ولا تقتضيها طبيعة المغالبة فيسأل عنها كجرائم عادية ويعاقب عليها بعقوبات عادية ٠

**هل يجوز الاستعانة بالحربيين والذميين فى قتال البغاة ؟**

يرى ابن حزم الظاهرى أنه لا يستعان بأهل الحرب وبأهل الذمة ما دام فى أهل العدل منعة فان أشرفوا على الهلكة واضطروا ولم تكن لهم حيلة ٠ فلا بأس بأن يلجؤوا الى أهل الحرب ويمتنعوا بأهل الذمة ما أيقنوا أنهم فى استنصارهم لايؤذون مسلما ولا ذميا فى دم أو مال أو حرمة مما لا يحل ٠ أما الاستعانة عليهم بأمثالهم فهى مباحة ٠٠٠٠

ولا يحل للامام ومن معه أن يقتل أسير أهل البغى لا أثناء الحرب ولا بعد انتهائها أما الجريح اذا وقع فى يد أهل العدل فهو أسير والا اعتبر باغيا كسائر زملائه ٠ ولا يجوز قتل النساء والأطفال من البغاة فان قاتلوا دوفعوا فان أدى ذلك الى قتلهم فى حال المقاتلة فهو هدر ٠٠٠

**عقوبة البغاة :**

تعاقب الشريعة البغاة باباحة دمائهم واباحة أموالهم بالقدر الذى يقتضيه ردعهم والتغلب عليهم أما اذا تمكنت الدولة من التغلب على البغاة أو ألقوا سلاحهم عصمت دماؤهم وأموالهم وكان لولى الأمر أن يعاقبهم تعزيرا أو يعفو عنهم ، ولا يسألون عن الجرائم التى ارتكبوها وكانت تقتضيها حالة البغى لأنها داخلة تحت نفس الجريمة وليست جرائم منفصلة أما اذا كانت لا تقتضيها حالة البغى عوقبوا عنها كجرائم عادية ٠

يقول القرطبى: وما استهلكه البغاة والخوارج من دم أو مال ثم تابوا لم يؤاخذوا به ٠

وقال أبو حنيفة يضمنون ٠ وللشافعى قولان : وجه قول أبى حنيفة أنه اتلاف بعدوان فيلزم الضمان والمعول على ذلك عندنا أن الصحابة رضى الله عنهم فى حروبهم لم يتبعوا مدبرا ولا ذففوا على جريح ولا قتلوا أسيرا ولا ضمنوا نفسا ولا مالا ، وهم القدوة ٠ وقال ابن‌عمر قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يا عبد الله أتدرى كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة ؟ » ٠ قال : الله ورسوله أعلم ٠ قال : « لا يجهز على جريحها ولايقتل أسيرها ولايطلب هاربها ولا يقسم فيئها ٠

فأما ما كان قائما رد بعينه ٠ هذا كله فيمن خرج بتأويل يسوغ له ٠

وذكر الزمخشري في تفسيره : ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لهـا ضمنت بعد الفيئة ما جنت • وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن رحمه الله فانه كان يفتى بأن الضمان يلزمها اذا فاءت • وأما قبل التجمع والتجند أو حين تتفرق عند وضع الحرب أوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع • فحمل الاصلاح بالعدل في قوله : « فاصلحوا بينهما بالعدل » على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل • وعلى قول غيره وجهه أن يحمل على كون الفئة الباغية قليلة العدد • والذى ذكروا أن الغرض اماتة الضغائن وسل الأحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق المأمور به من عمال العدل ومراعاة القسط • قال الزمخشري : فان قلت : لم قرن بالاصلاح الثاني دون الأول : قلت لأن المراد بالاقتتال في أول الآية أن يقتتلا باغيين أو راكبتى شبهة ، وأيتهما كانت فالذى يجب على المسلمين أن يأخذوا به في شأنهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء بإراءة الحق والمواعظ الشافية ونفى الشبهة الا اذا أصرتا ، فحينئذ تجب المقاتلة ، وأما الضمان فلا يتجه ، وليس كذلك اذا بغت احداهما ، فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين •

## جرائم البغي في القانون الوضعي

### الجرائم السياسية في التشريع المصري :

لا يخص قانون العقوبات المصرى الجرائم السياسية بقواعد معينة فهو لا يفرق في العقوبة بين جريمة سياسية وجريمة عادية بل ان طابع الشدة ظاهر فيها في العقوبات المقررة لما يعتبر من الجرائم السياسية بلا شبهة كما هو الشأن في معظم الجرائم الواردة في الباب الثاني من الكتاب الثاني الخاص بالجنايات والجنح المضرة بالحكومة من جهة الداخل حتى أنه جعل الباعث السياسي ظرفا مشددا في بعض الجرائم •

والجنايات والجنح المشار اليها تقابل جرائم البغي في الاسلام وقد وضع المشرع عقوبات رادعة لها كما سيتضح فيما يلى :

ويعتبر القانون الأفعال الآتية جرائم بغى :

١ — محاولة قلب أو تغيير دستور الدولة أو نظامها أو شكل الحكومة ويعاقب عليها بالاعدام فاذا قامت عصابة مسلحة بالجريمة فيعاقب بالاعدام من ألف العصابة ومن تولى زعامتها أو تولى فيها قيادة ما •

( مادة ٨٧ ع )

٢ — كل من ألف عصابة هاجمت طائفة من السكان أو قاومت بالسلاح رجال السلطة العامة في تنفيذ

القوانين . وكذلك كل من تولى زعامة عصابة من هذا القبيل أو تولى فيها قيادة ما يعاقب بالاعدام (مادة ٨٩ع) أما من انضم الى تلك العصابة ولم يشترك فى تأليفها ولم يتقلد فيها قيادة فيعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة .

٣ ـ ومن يخرب عمدا مبانى أو أملاكا عامة أو مخصصة لمصالح حكومية أو للمرافق العامة أو للمؤسسات العامة أو الجمعيات المعتبرة ذات نفع عام يعاقب بالسجن مدة لا تزيد عن خمس سنين . وتكون العقوبة الأشغال المؤبدة أو المؤقتة اذا وقعت الجريمة فى زمن هياج أو فتنة أو بقصد احداث الرعب بين الناس أو اشاعة الفوضى . وتكون العقوبة الاعدام اذا نجم عن الجريمة موت شخص كان موجودا فى تلك الأماكن . ويحكم على الجانى فى جميع الأحوال بدفع قيمة الأشياء التى خربها ( مادة ٩٠ ) :

٤ ـ كل من حاول بالقوة احتلال شىء من المبانى العامة أو المخصصة لمصلحة أو لمرافق عامة أو لمؤسسات ذات نفع عام يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة فاذا وقعت الجريمة من عصابة مسلحة يعاقب بالاعدام من ألف العصابة وكذلك من تولى زعامتها أو تولى فيها قيادة ما .

٥ ـ كل من تولى لغرض اجرامى قيادة فرقة أو قسم من الجيش أو قسم من الأسطول أو سفينة حربية أو طائرة حربية أو نقطة عسكرية أو ميناء أو مدينة بغير تكليف من الحكومة أو بغير سبب مشروع يعاقب بالاعدام ويعاقب كذلك بالاعدام كل من استمر رغم الأمر الصادر له من الحكومة فى قيادة عسكرية أيا كانت ، وكل رئيس قوة استبقى عساكره تحت السلاح ( أو مجتمعه ) بعد صدور أمر الحكومة بتسريحها .

٦ ـ كل شخص له حق الأمر فى أفراد القوات المسلحة أو الشرطة يعاقب بالأشغال الشاقة المؤقتة اذا طلب من هؤلاء الأفراد أو كلفهم بتعطيل أوامر الحكومة اذا كان ذلك لغرض اجرامى . فاذا ترتب على الجريمة تعطيل تنفيذ أوامر الحكومة كانت العقوبة الاعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة أما من دونه من رؤساء العساكر أو قوادهم الذين أطاعوه فيعاقبون بالأشغال الشاقة المؤقتة .

٧ ـ كل من قلد نفسه رئاسة عصابة حاملة السلاح أو تولى فيها قيادة ما وكان ذلك بقصد اغتصاب أو نهب الأراضى أو الأموال المملوكة للحكومة أو لجماعة من الناس أو مقاومة القوة العسكرية المكلفة بمطاردة مرتكبى هذه الجنايات يعاقب بالاعدام . ويعاقب من عدا هؤلاء من أفراد العصابة بالأشغال الشاقة المؤقتة .

ويعاقب بالأشغال الشاقة المؤقتة كل من أدار حركة العصابة سالفة الذكر أو نظمها أو أعطاها أو جلب اليها أسلحة أو مهمات أو آلات

تستعين بها على فعل الجناية وهو يعلم ذلك أو بعث بمؤونات أو دخل فى مخابرات اجرامية بأى كيفية مع رؤساء تلك العصابة أو مديرها وكذلك كل من قدم مساكن أو محلات يأوون اليها أو يجتمعون فيها وهو يعلم غايتهم وصنعتهم ( مادة ٩٤ ) ٠

٨ ـ ويعاقب القانون كل من يحرض على ارتكاب الجرائم السابق ذكرها وكل من يشترك فى اتفاق جنائى أو يشجع على ارتكاب هذه الجرائم كما يعاقب أيضا كل من يدعو آخر الى الانضمام الى اتفاق يكون من شأنه ارتكاب جريمة من هذه الجرائم ولا يقوم بابلاغ السلطات المختصة عنها ٠ ( المواد من ٩٥ الى ٩٨ عقوبات ) ٠

٩ ـ وكل من يلجأ الى العنف أو التهديد أو أى وسيلة أخرى غير مشروعة لحمل رئيس الجمهورية على أداء عمل من خصائصه قانونا أو على الامتناع عنه يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة حسب ظروف الجريمة ٠ وتكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤقتة أو السجن اذا وقع التهديد على وزير أو على نائب وزير أو على أحد أعضاء مجلس الشعب ٠

تلك هى جرائم البغى فى قانون العقوبات المصرى وقد أستثنى القانون كلا من الفئات الآتية :

١ ـ لا يحكم بعقوبة ما بسبب ارتكاب الفتنة على كل من كان فى زمرة العصابات المنصوص عليها فيما سبق ولم يكن له فيها رئاسة ولا وظيفة وانفصل عنها عند أول تنبيه عليه من السلطات المدنية أو العسكرية أو بعد التنبيه اذا لم يكن قد قبض عليه الا بعيدا عن أماكن الاجتماع الثورى بلا مقاومة ولم يكن حاملا سلاحا ، ففى هاتين الحالتين لا يعاقب الا على ما يكون قد ارتكبه شخصيا من الجنايات الخاصة ٠

٢ ـ يعفى من العقوبات المقررة للبغاة كل من بادر منهم باخبار الحكومة عمن أجرى ذلك الاغتصاب أو أغوى عليه أو شارك فيه قبل حصول الجناية المقصود فعلها وقبل بحث وتفتيش الحكومة عن هؤلاء البغاة وكذلك يعفى من تلك العقوبات كل من دل الحكومة على الوسائل الموصلة للقبض عليهم بعد بدئها فى البحث والتفتيش ٠

وتقوم الحكومات بالعفو الشامل عن الجرائم السياسية فى الظروف التى تراها مناسبة والتى تقدرها هذه

الحكومات ، تلك هي جرائم البغي في الشريعة الاسلامية والقانون الوضعي ، ومنها يظهر بوضوح مدى سمو مبادىء الاسلام وتشريعاته وتفوقها على أي تشريع وضعي مهما حاول المشرعون والقانونيون الوضعيون تنظيمه وتنميقه ، ان الله سبحانه وتعالى هو المشرع في الاسلام وقد وضع لنا من النظم والتشريعات ما ينفعنا في الدنيا والآخرة .

اننا نطالب الحكومات والدول الاسلامية أن تأخذ بالنظام الاسلامي وتطبق قوانين وتشريعات الاسلام حتى تسمو مجتمعاتها وتأخذ في طريق التقدم والحضارة والرقي وليصبح مجتمع الاسلام هو المجتمع الانساني الفاضل كما أراد له الله سبحانه وتعالى أن يكون ...

والله هو الموفق والهادي الى أقوم سبيل ؟

ونختم بالذي هو خير « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » .

**توفيق على وهبه**

# تضحية المرأة ليتاماها
# كيف قدرها الاسلام ؟

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن عوف بن مالك الأشجعي رضى الله عنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنا وامرأة سعفاء الخدين كهاتين يوم القيامة وأومأ بيده — يزيد منزريع — الوسطى والسبابة ، امرأة آمت من زوجها ذات منصب وجمال حبست نفسها على بناتها أو يتاماها حتى بانوا أو ماتوا • رواه أبو داود •

السعفة : السواد والمراد أنهابذلت وجهها حتى اسود اقامة على ولدها بعد وفاة زوجها لئلا يضيعوا • آمت المرأة : صارت أيما وهى من لازوج لها • البين : البعد والانفصال ، أراد حتى تفرقوا منها بالزواج أو ماتوا •

قدر الاسلام عاطفة الأمومة لمكانها فى حسن تنشئة الأجيال وصيانة الأسر وحرص على ربط الأطفال بأمهاتهم بل والأبناء عامة بآبائهم لتكون الأسرة وحدة اجتماعية صالحة ومدرسة تهذيبية يتلقى فيها الأطفال من الأفكار والسلوك ما يبنون عليه مما يستمدونه من مدارسهم وحياتهم ما ينفعهم فى مستقبلهم ومما أثر من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : لعن الله من فرق بين والدة وولدها •

وألح الاسلام فى وصاة الأبناء بأمهاتهم فى كثير من الآيات والأحاديث • وان يكن قد تخفف فى وصاة الآباء بأبنائهم فذلك اعتمادا على بواعث الفطرة فى نفوسهم ، فالفطر السليمة تقضى على الآباء بالعطف على أبنائهم والحدب عليهم والحرص على رعايتهم والتضحية فى سبيلهم ، ولا شك أن مرحلة الطفولة هى أخطر مرحلة فى حياة الانسان فهى مرحلة الضعف والعجز والحاجة الى كل شأن من ضرورات الحياة وكمالياتها من طعام وشراب ومسكن وملبس وتهذيب وتعليم ، ولعل الطفل هو أضعف الحيوانات وأحوجها الى الرعاية على الاطلاق ، ومرحلة الطفولة فى الانسان وحاجة الطفل فيها الى الرعاية والحضانة من أطول المراحل فى الكائنات الحية •

وقد يتعرض الطفل فى مراحل طفولته الى كوارث تزيده ضعفا الى ضعف وتحوجه الى الرعاية والعناية وذلك حين يفقد عائله والقائم برعايته ومعاشه فيموت أحد والديه ويفقد شطر العناية به أو يموت والداه كلاهما فيفقد العناية كلها وحينئذ يجب على المجتمع أن يتحمل شيئا

من المسئولية ، وعلى من بقى من الوالدين أن يتحمل المسئولية كاملة، ومسئولية الوالدة حين تحملها الأقدار شئون ابنها اليتيم أو أولادها اليتامى مسئولية قاسية وثقيلة تنوء بها ان لم تلذ بالصبر ، وان لم يتداركها الله بالرحمة والعصمة وويح للأم حين يقضى عليها أن تقوم بدور العائل والمربى والمدافع عن صغار حملت أمانة رعايتهم وتربيتهم ،، وتختلف قساوة المسئولية باختلاف ظروف الأمهات الاجتماعية والزمنية واختلاف مكانتهن من الغنى والفقر والجمال والدمامة والحسب والنسب ، فقسوة المسئولية على الأم الفقيرة الصغيرة أشد من قسوتها على الأم الغنية الكبيرة ، وقسوتها على الأم الصغيرة الجميلة ذات الحسب والنسب أشد من قسوتها على الغنية الدميمة الكبيرة وترجع قساوة الظروف على الأم الغنية الصغيرة ذات الحسب والجمال حين تقضى عليها الظروف أن تحبس نفسها على رعاية يتاماها الى أنها فى حال تحوطها المغريات فتقع فريسة الصراع النفسى بين أن تستجيب لداعى الصبا والجمال وأصوات الثناء والاعجاب وبين أن تستجيب لداعى العطف والحنان والخشية على أبنائها وفلذات أكبادها من أن يضيعوا فى الجو الجديد حين تتزوج بزوج آخر ، فاذا قاومت المرأة عوامل الاغراء وانتصرت على عواطفها وأغضت عما عساه يصرفها عن أبنائها وحبست نفسها على يتاماها تعيشهم وتربيهم وتعلمهم وتهذبهم وتقدمهم للأمة مواطنين صالحين كانت جديرة بأن توضع فى أسمى المنازل فى الدنيا كما وضعها الاسلام فى أسمى المنازل فى الآخرة حيث جعلها فى أقرب الدرجات من الأنبياء كما ورد فى الحديث عن رسول الله اذ يقول ، « أنا وامرأة سعفاء الخدين كهاتين ( الأصبعين الوسطى والسبابة ) يوم القيامة امرأة آمت من زوجها ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها أو بناتها حتى ماتوا أو بانوا » .

والحق أن كارثة الزوجة بفقد زوجها وعائل أولادها امتحان رهيب تتعرض فيه المرأة لأقسى ضروب الابتلاء تتعرض لقسوة تدبير شئون المعاش والتربية وتتعرض للضغط على غرائزها كما تتعرض لشائعات السوء ممن لا يتحرجون عن الارجاف بها لا يزعهم وازع من دين ولا مروءة ولا تأخذهم شفقة ولا رحمة فاذا صمدت المرأة لذلك وقامت بواجبها نحو يتاماها وأفلحت فى تنشئتهم وتربيتهم كانت مجاهدة منتصرة تطاول المجاهدين فى صفوف القتال ، وان جهاد المرأة فى هذا الميدان ميدان القوامة على اليتامى هو الميزان الصحيح الذى ينبغى أن نلوذ به من موضوع المساواة بين الجنسين . فهل أفلحت المرأة فى هذا الميدان وهل استطاعت أن تقوم مقام الرجل فى عيالة الأولاد وتربيتهم حين ألقت اليها الأقدار تلك المسئولية فكانت حقيقة بتلك المساواة التى تنادى بها أم أن باعها قد قصر فيها عن الغاية ؟ ان جوابنا على ذلك من واقع حياتنا فى المدن والأرياف ؟

ان المرأة قد فشلت فى ذلك فى أكثر الأحوال وان لجمهرة الناس فى ذلك الموضوع عبارات معروفة فى وصف من نشأ فى كنف الرجل ومن تولت أمره امرأة .

ان اليتامى فى كل أمة جزء كبير من مجتمعها بحكم سنن الحياة وهو جزء جدير بالعناية والتربية حتى لا يتعدى فساده اذا فسد الى المجتمع وقد أولته الشرائع الاسلامية والقوانين الوضعية اهتماما بالغا فى كل ناحية من نواحى حياته سواء فى معاشه أو تربيته أم معاملته ومعاشرته ولعل من أعظم الشرائع اهتماما بشأنه الشريعة الاسلامية ، وكان هدفها العام فيما تناولته من شأن اليتيم أن تحاول أن تنشئه فردا صالحا كريما عزيزا لا يشعر بالغربة والمهانة بين أقرانه وأنداده وفى مجتمعه ، وفى سبيل ذلك حذر المجتمع الاسلامى أن يحقره أو يهينه أو يستذله أو يقهره أو يعتدى على أمواله بأقسى عبارات التهديد والوعيد .

يقول الله تعالى : « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا » ويقول جل شأنه : « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » .

ويقول عز من قائل : « فأما اليتيم فلا تقهر » . ويقول تبارك وتعالى : « أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم » .

ومن أحاديث الرسول الكريم فى شأن اليتيم قوله : « خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه » ومن أبلغ أقواله فى وعد كافل اليتيم والقائم على شأنه باخلاص قوله : « أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة » .

ان البر باليتيم والاحسان اليه والشفقة عليه مظهر من مظاهر النفوس الكريمة والقلوب اللينة الرحيمة والوجدانات النبيلة فحين يستشعر الانسان ما يحس به ابنه حين يلقاه وحين يبسم له يفيض بشىء من لطفه وبره على اليتيم فينعكس على وجهه بشرا وسعادة ويحس أن له فى مجتمعه آباء يعوضونه شيئا من حنان الأبوة ورعاية الآباء . ان فى اليتامى جواهر كريمة ودررا غالية فلنمسح ببرنا وعطفنا عن صدئها ولندخرها لغدنا فعسى أن يكون فيها القائد المظفر والعالم المخترع والطبيب البارع والأديب المرموق ولنتذكر دائما أن الذى ملأ الدنيا بهاء أو نورا وعلما وحكمة وأخرج العالم من الظلمات الى النور هو اليتيم محمد بن عبد الله خير الناس أجمعين الى يوم الدين .

أبو الوفا المراغى

# صناعة التنبؤات في عصر الخلفاء

للأستاذ السيد حسن قرون

تطالعك في كتب التراث ولا سيما الكتب التي تعتمد على الرواية والاسناد ، وجمع الأخبار من كل سبيل ، وعرض الحدث بطرق مختلفة تنبؤات منسوبة الى أهل الكتاب ، واذا كانت الروايات المتعددة تفيدك في عرض الموقف التاريخي أكثر من مرة ، وأكثر من وجه ؛ فتنتقي منها ماتشاء وتترك ماتشاء فانها تسيء في كثير من الأحيان ، فقد يأخذ ما جاء فيها عدو كاشح للاسلام ، فيجعل من الحبة قبة — كما يقولون — ويتخذ من حكاياتها مادة للطعن وتشويه الحقائق؛ كالذي روى عن حادث الشيماء أخت الرسول صلى الله عليه وسلم من الرضاع ، فقد وقعت في الأسر في غزوة حنين وجيء بها اليه ، فعرفته بنفسها بعضة منه في كتفها ، وليس من المعقول أن يبقى أثر عضة طفل أسنانه لبنية لم يتعد الرابعة من عمره الى ما فوق خمسين عاما ، وكالذي سيق في قصة زواج محمد المعصوم بزينب بنت جحش ، وكالذي أثاروه حول خالد بن الوليد حين قتل مالك بن نويرة في حروب الردة ، فقد نسجوا قصة غرام بين خالد وليلى زوجة مالك . الى كثير من هذه الروايات التي تنشر الغيوم على أمجادنا المضيئة .

أقول ذلك حين أعرض لتنبؤات أهل الكتاب للخلفاء ، وبخاصة تلك التي أشاعها أحبار اليهود ، انها ضارة ، وما صادف منها الواقع كان تضليلا أو افسادا أو مؤامرة ، وقد مهد لهم أن يحققوا أغراضهم الخبيثة عناية المجتمع الاسلامي بقصص الأحداث التي رافقت مولد محمد صلوات الله عليه . ومعلوم أن الجزيرة العربية وما حولها قبيل مولده كانت تموج بالتبشير بنبي منقذ يخلص البشرية من أوزارها ، ويرسم لها طريق النجاة ، يستوي في الحديث عنه ، وترقب زمانه الأحبار والرهبان وكهان العرب والمتحنفون بديانة ابراهيم ، وكلما وضحت معالم البشرى أمامهم ، واستبانوا الجهة التي تشرف بمطلعه منى كل فتى من تلك الجهة نفسه بأنه المقصود بالرسالة الالهية حتى ان رجلا كأمية بن أبي الصلت الشاعر كان يعلن لنساء ثقيف أنه النبي المنتظر .

وفي رحلات محمد وهو صغير الى يثرب مع أمه ، والشام مع عمه ،

ثم وهو شاب يتجر بمال خديجة كان يشار اليه بالبنان من الرهبان وغيرهم أنه النبى الذى تتحدث عنه الكتب السماوية ، وقد أكثر يهود يثرب من التبشير به ، والاستنصار بدعوته حين تفجر النور وانمحت الغشاوة عن العيون ، وتحطم معاقل الأصنام ، فلما ظهرت نبوته وبهرت تنكروا لما أذاعوه ونشروه فى الآفاق ، وقد نعى عليهم الله تلونهم وتعنتهم بقوله : «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » وبلغ من حقدهم وحسدهم أنهم فضلوا عبادة الأصنام على عبادة الله وتوحيده وهم الموحدون – حين سألهم كفار قريش : أديننا أفضل أم دين محمد ؟ وسجل القرآن موقفهم هذا ، فقال تعالى : « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا • أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا » •

فأهل الكتاب من اليهود والنصارى تنكروا لما أذاعوه ونشروه ؛ لأن كل فريق منهم كان يود لو اتبعه محمد ، ولكن محمدا جاء بدين كامل فى شرائعه وتعاليمه من عند الله ، فيه سعادة الدنيا والآخرة ، وما يزال الناس الى اليوم يتحدثون عن الأناجيل التى احتفلت به ، وذكرته باسمه وصفته ، ومنها انجيل ( برنابا ) الذى ظهر على عهد السلطان عبد الحميد ، وفيه النص على نبوته وبشرى(١) عيسى بن مريم به •

لكن الذين دخلوا الاسلام من اليهود مثل ( كعب الأحبار ) وغيره أتوا أمرا عجبا ، واستغلوا أمية العرب فأكثروا من الأقاويل الملفقة ،عن خلفاء محمد – سلام الله عليه – من عهد عمر رضى الله عنه الى نهاية الدولة الأموية ، يصنعون ذلك تمويها فيدعون على الخلفاء أمانى أنفسهم وينسبون ما يهرفون به الى كتبهم ، ويرويها الرواة ، ثم تدون فيما بعد فى كتب التاريخ والتفسير ، ويستيقظ علماء المسلمين فيحذرون من الاسرائيليات بعد أن امتلأت الأسفار بالترهات • وقد لعبت أقاويل كعب الأحبار على عهد عمر ألاعيب أضرت بنا وبأسلافنا الأجلاء ، فمن ذلك أنه ذهب الى الشام فى ركاب عمر حين طلب أهل ايلياء عقد الصلح معه فأخذ كعب هذا يقول أقوالا ما أنزل الله بها من سلطان • قال الطبرى بعد أن تحدث عن المسجد والمصلى : ثم قام عمر من مصلاه الى ( كناسة ) قد كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس فى زمان بنى اسرائيل ، فلما صار اليهم أبرزوا بعضها ، وتركوا سائرها • وقال : أيها الناس ، اصنعوا كما أصنع ، وجثا فى أصلها ، وحثا فى قبائه ، وسمع التكبير من خلفه فقال ماهذا ؟ فقالوا : كبر كعب فكبر الناس

(١) ثورة الاسلام لمحمد لطفى جمعه .

بتكبيره ، فقال : على به ، فاتى به . فقال ياأمير المؤمنين : انهقدتنبأ على ما صنعت اليوم نبى من خمسمائة سنة . فقـال : وكيف ؟ فقـال : ان الروم أغاروا على بنى اسرائيل فأديلوا عليهم فدفنوه ، ثم أديلوا فلم يفرغوا لهحتى أغارت عليهم فارس فبغوا على بنى اسرائيل ، ثم أديلت الروم عليهم الى أن وليت ، فبعـث الله نبيـــا عـلى الكناسة . فقال أبشرى أورشـــليم عليك الفاروق ينقيك مما فيك . . »

ومن العجيب أنه يعين ( الفاروق ) عمر ، ولا يذكر اسم نبى بنىاسرائيل الذى بشر أورشليم بالفاروق الذى يطهرها مما بهـا ، وكل ما فى الأمر أنه أرخ لما حدثلهم من نكبات علىأيدى رجـال هاتين الـدولتين فى حديثـه المزعوم . وكم تحدث بأخبار من هذا القبيل ، وما من شك فى أنه كان يمهد لأمر جلل يفت فى العضض ، ويملأ النفـوس بالكمد ، كان شريكـا فى المؤامرة التى انتهت بمقتلهذا الخليفة العظيم عمر واستشهاده فى مسـجد رسـول الله بالمـدينة فى فجـر يوم عصيب .

كانت فتوحات عمر تروع الأعداء ، وتقض مضاجع البسلاء ، فقد قوض الدولتين العظميين فى ذلك الزمان : الفرسوالروم وأجلى اليهودمن الحجاز الى الشـام ، ونصـــارى نجران الى ضواحى الكوفة ؛ لأنه سمع رسول الله يقول فى مرضه : « لايجتمعفى جزيرة العرب دينان » ويذكر الرواة تنبـأ نصارى نجران قبل اجلائهم ، قالوا : ركب عمر فرسا فانكشف ثوبه عن فخذه ، فرأى أهل نجران بفخذه شامة سوداء . فقالوا : « هذا الذى نجد فى كتابنا أنه يخرجنا من أرضنا » وكان لابد لهـؤلاء المغلـوبين أن يتجمعوا ، ويفكروا فى اغتيال ذلك الخليفةالميمون الطالع ظنا منهم أنه ان ذهب ذهبت ريح النصر معه . وتجرى خيوط هذه المؤامرة فى متـاهات من الخـرافات يدركها منَ يتأملها ، ولا يمكن أن تأتى بها المصادفات كما روتها كتب التراث نوى عمر الحـج كعـادته كل عام ، واصـطحب معه زوجات رسـول الله صلى الله عليه وسـلم ، وفى بيتـه استدعى زوجه أم كلثوم بنت على ابن أبى طالب فوجدها تبكى ، فقال . ما يبكيك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، هذا اليهودى تعنى ( كعب الأحبار ) يقول : انك على باب من أبواب جهنم . فقال عمر : ما شاء الله انى لأرجو أن يكون ربى خلقنى سعيدا . ثم أرسل الى كعب فدعاه فلما جاءه قال يا أمير المؤمنين : لا تعجل على ، والذى نفسى بيده لا ينسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة . فقال عمر : أى شىء هـذا ؟ مرة فى الجنة ومرة فى النار . فقال ياأمير المؤمنين ، والذى نفسى بيـده انا لنجدك فى كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعـوا فيهـا ، فاذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها الى يوم القيامة »

وأدى عمر حجه ، وفى أثناءوقوفه

(١) انتصروا .

على عرفة صرخ رجل من خلفه ياخليفة يا خليفة فنهـره من كان يجانبـه وفى اليوم التالى وقف عمر على العقبة يرميها فصكت رأسـه حصاة طائشة فأدمت رأسه . فصاح صائح : أشعرت ورب الكعبة ، لا يقف عمر هذا الموقف بعد العام أبدا . قال جبير بن مطعم : فاذا هـو الذى صرخ فينا بالأمس . قالوا هو رجل من لهب ـ بطن من الأزد ـ وكان عائفـا . وفى طريـق عودته من الحـج روى الرواة أن أم المؤمنـين السـيدة عائشـة سـمعت بالمحصب رجلا يسأل عن أمير المؤمنين . ثم رفع عقيرته فقال :

عليك سـلام من امام وباركت
يد الله فى ذاك الأديم الممـزق

وقد نسـبوا الشعر للجن والجن يعلمون بقتل عمر أيضا قبل أن يقتل وبلغ عمر المدينة ؛ فاذا كعب أمامه يبشره وأبو لؤلؤة المجوسى يتوعده ! ماذا يدور فى الخفاء وماذا فى رءوس الأعـداء ؟ ان الأيام سـتكشف عن مخطط أثيم .

جاء فيروز أبو لؤلؤة ( من سبى نهاوند ) الى عمر يشكو سيده المغيرة ابن شعبة ؛ لأنه ضرب عليه درهمين كل يوم . قال له عمر : وماذا تعمل؟ قال : الأرحاء . وأخفى ما كان يحسنه من الحـرف ، كان نجـارا وحـدادا ونقاشا ـ كما أخبر بذلك أيضا .

قال عمر : فى كم تعمـل الرحى ؟ فأخبره قال : وبكم تبيعها ؟ فأخبره . فقال : لقد كلفك يسيرا . انطلق فأعط مولاك ماسألك، فلما أراد أن ينصرف قال عمر له : ألا تعمل لنا رحى ؟ لقد بلغنا أنك تعمل الرحى تطحن بالهواء قال : بلى أجعل لك رحى يتحدث بها من بالمشرق ومن بالمغرب . قال على ابن أبى طالب ـ وكان حاضرا ـ توعدك يا أمير المؤمنين . قال عمر . يكفيناه الله . وأنا أعتقد أن هذه الشـكوى الغرض منها وضع الخليفة العادل فى صورة الحاكم الظالم ، ليسوغ مانوى اقترافه . ولو لم ينتقم من سيده ؟ ان هذا المجوسى كثيرا ما شوهد وهو يمسح رءوس السبى الصغار ويبكى ويقول : « ان العرب أكلت كبدى » ومع ذلك لا يحترس منه أحد . وفى اليوم التالى لهذا التهديد جاء كعب الأحبار منزل عمر . فقال له : يا أمير المؤمنين ، أعهد ، فانك ميت فى ثلاثة أيام . قال : وما يدريـك ؟ قال : أجده فى كتاب الله عز وجل (التوراة) قال عمـر : آلله ، وانك لتجد عمـر ابن الخطاب فى التوراه ؟ قال : اللهم لا ، ولكن أجد حليتك وصفتك ، وانه قد فنى أجلك ، وعمر لا يحس وجعا ولا ألما ، وأخذ يتردد على منزله ، يقول له : بقى يومان ، بقى يوم ، الى أن فعل أبو لؤلؤة فعلته النكراء .

هل تصدق أن التوراة حددت أجل عمر بالسنة والشهر واليوم ؟ يموت هذا العام ٢٣ هـ وفى ذى الحجة بعد رجوعه من الحج فى السابع والعشرين منـه وقد سـبق أن نعـاه اللـهبى ونعاه الجن . وما أجرأ هذا الرجـل ( كعبا ) فقد أسرع الى عمر حين علم

بالاعتداء عليه يقول له : « الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » • فقد أنبأتك أنك شهيد ، فقلت : من أين لى بالشهادة وأنا بجزيرة العرب » ؟

لم ينتبه الى هذا كله غير عمر ، فقد سأل : أعن ملأ منكم ؟ يشير الى المهاجرين والأنصار • قالوا : وددنا لو زدنا فى عمرك من أعمارنا • وغير عبد الرحمن بن أبى بكر ، فقد أخبر أنه رأى الهرمزان وجفينة وأبا لؤلؤة يتناجون ليلة الحادث ، فلما بغتهم قاموا فسقط من بينهم خنجر له رأسان ونصابه وسطه • قال عبد الرحمن : « فانظروا ما الخنجر الذى قتل به عمر ؟ فوجدوه الخنجر الذى نعت » • وسمع عبيد الله بن عمر مقالة عبد الرحمن فانطلق كالأسد الهائج فى يده سيفه ، فقتل الهرمزان وجفينة ، وتكاثر عليه الصحابة فانتزعوا منه سلاحه ، وقبض عليه للفصل فى أمره •

لم يحقق الصحابة فى المؤامرة التى أدت الى مصرع أعظم خليفة حكم فعدل ، وأقدر فاتح أرادته الدنيا ولم يردها لم ينظر الى الخيوط التى حيكت من يوم سفره الى مكة حاجا الى أن رجع الى المدينة ، جرت أمور سطرناها آنفا ، منها التنبؤات والعيافة والشعر والوعيد ، ثم انتحار القاتل خوفا من سؤاله عن الاجتماع الذى اشترك فيه مع زميليه الهرمزان وجفينة ومن ورائهم موتورون من الدول التى تقوضت بأمر ذلك الشهيد • ولكن كان همهم فى أمرين لا ثالث لهما : لمن تكون الخلافة ؟ وماذا نصنع فى عبيد الله بن عمر الذى أحدث حدثا فى الاسلام ؟ قتل مسلما وهو الهرمزان وذميا هو جفينة ، وأسدل الستار على دفع الدية ، واطلاق سراح عبيد الله •

ومضت السفينة حولها المتنبئون من أمثال كعب الأحبار فى عهد كل خليفة ، معاوية يحدثونه أنه يجعل الخلافة ملكا ، ثم يصير الى غير ولده• الى غيره من الملوك والأمراء •

وأعجب ما روى فى هذا الصدد — كما جاء فى الكامل للمبرد — أن عبد الملك بن مروان كان له صديق ، وكان من أهل الكتاب يقال له : ( يوسف ) أسلم • فقال له عبد الملك يوما وهو فى عنفوان نسكه ، وقد مضت جيوش يزيد بن معاوية مع مسلم بن عقبة المرى يريد المدينة : ألا ترى خيل عدو الله قاصدة لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال له يوسف : جيشك والله الى

حرم رسـول الله أعظم من جيشـه ، فنفض عبـد الملك ثوبه ، ثم قـال : معاذ الله • قال له يوسف : ما قلت شاكا ولا مرتابا ، وانى لأجدك بجميع أوصـافك • قال له عبد الملك : ثم ماذا ؟ قال : ثم يتداولهـا رهطك • قال : الى متى ؟ قال : الى أن تخرج الرايات السود من خراسان •

وصـانع هذا الخبر ماهر ولا ريب فقد جعل عبد الملك ينكر صنيع يزيد بالمدينة لينبئه يوسـف بأن جيشـه سيكون أعظم من جيشه ، ثم يواصل تنبؤاته الى أن يخبره بالرايات السود التى تأتى من خراسان لتقضى على ملك بنى مـروان وهـذا التنبـؤ يرضى العبـاسيين ، والـكتاب مؤلف فى عهدهم •

وانا لنقرأ هذا وأمثاله ولم نفكر قليلا فى أن الكتب السماوية لم تجىء مؤرخة لمستقبل الأيام ، متحدثة عن الملوك والثورات ، وانما جاءت للهداية والارشاد ، والارتفاع بالانسـان الى مناط التكليف وحمل الأمانة •

ألا ترى معى أن هذه الكتب يجب أن ننظر فيهـا من جـديد ، لنتبـين منها المفيـد وغير المفيـد ، ولا يغضب أسلافنا أن نفعل ذلك لننير ونستنير ؟

**السـيد حسن قـرون**

# ضمان المرهون

للدكتور ابراهيم دسوقي الشهاوي

— ٢ —

**واستدل أصحاب القول الثاني :** على أن المرتهن لا يضمن المرهون ، اذا هلك في يده ، دون تعد منه عليه ، ودون تقصير منه في حفظه . بالسنة ، والقياس :

أما السنة : فمارواه الشافعي والدار قطني ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا يغلق الرهن ؛ الرهن من صاحبه الذي رهنه ، له غنمه ، وعليه غرمه » (١) .

ووجه الدلالة من هذا الحديث ؛ أن قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «الرهن من صاحبه» معناه من ضمانه ، وأن قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « له غنمه ، وعليه غرمه » معناه للراهن زوائد الرهن ، ومنافعه ، وعليه نقصانه وهلاكه ، فالقولان يدلان دلالة واضحة على أن يد المرتهن على المرهون يد أمانة ، فلا يضمنه اذا هلك في يده .

**وقد رد هذا الاستدلال :** بأن هذا الحديث مختلف في وصله ، وارساله ورفعه ، ووقفه ، وحديث

(١) نصب الراية للزيلعي جـ ٣ ص ٣١٩

هذا شأنه لايصلح للاحتجاج به (١) .

**ودفع هذا الرد :** بأن مثل هذا الحديث يحكم فيه بالوصل ، والرفع ، لأنها زيادة من الراوي الثقة ، والزيادة من الثقة مقبولة ، كما قرر ذلك علماء الجرح والتعديل ، فالحديث يصلح للاحتجاج به ، ومثبت للمطلوب ، وهو أن يد المرتهن يد أمانة ، فلا ضمان عليه اذا هلك المرهون في يده ، دون تعد منه عليه .

هذا : وقد رد الاستدلال بهذا الحديث ـ أيضا ـ بوجوه أخرى ضعيفة لا تقدح في صحة الاستدلال به (٢) .

**وأما القياس :** فالمرهون كالصك والكفيل والشاهد ، بجامع مطلق التوثق في كل ، فكما أن الدين يكون باقيا بحاله على الراهن اذا تلف الصك

(١) العناية على الهداية جـ ٨ ص ١٩٦ .

(٢) حديث : « لا يغلق الرهن ؛ الرهن من صاحبه ، له غنمه ، وعليه غرمه » من الأحاديث المهمة التي يدور عليها كثير من أحكام الرهن .

وقد اختلف الفقهاء ، والمحدثون في صحته ، وكثر الكلام حوله ، وقد ذكرنا ـ في الأصل ـ وجها من وجوه ضعفه . =

. . . . . . . . . . . . .

---

= ودفعناه . ولزيادة الفائدة نذكر ما عثرنا عليه من وجوه الضعف الأخرى ، مع دفعها، حتى يطمئن الناظر فيه الى صحته والاحتجاج به ، وهى ثلاثة وجوه :

**الوجه الأول :** أن هذا الحديث فى سنده عبد الله بن نصر الأصم الأنطاكى وهو غير معتمد الرواية عند علماء الحديث ، فقد قال فيه صاحب التنقيح : ليس بذاك المعتمد ، وذكر له ابن عدى – فى كتابه – أحاديث منكرة منها هذا الحديث .

**ودفع الوجه الأول :** بأن هذا الحديث قد ورد من طرق أخرى ليس فيها عبد الله هذا ، وقال عنها العلماء : انها حسنة ، وقال عبد الحق فى أحكامه : ان هذه الرواية صحيحة ، وصحح ابن عبد البر هذا الحديث ، وقد روى ابن وهب هذا الحديث فجوده .

**الوجه الثانى :** أن قوله – فى الحديث : « له غنمه ، وعليه غرمه » ليس من قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – وانما هو من كلام سعيد . نقله عنه الزهرى وقاله: أبو داود فى مراسيله ، وقال : وهو الصحيح ، والحجة انما تكون فى قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا فى قول الراوى .

**ودفع الوجه الثانى :** بأنه على فرض أن قوله « له غنمه ، وعليه غرمه » من كلام سعيد . فانه لا يضر فى الاستدلال ، لأن المستدل يكفيه لاثبات مذهبه بهذا الحديث قول الرسول – صلى الله عليه وسلم : « الرهن من صاحبه » لأن معناه الرهن من ضمان صاحبه لأنه مالكه ، ويد المرتهن عليه يد أمانة ، فلا ضمان عليه .

**الوجه الثالث :** انا لا نسلم أن معنى قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – « الرهن من صاحبه » أن المرهون من ضمانه. بل معناه أنه من ماله ، لا من مال المرتهن، لان الحديث ورد فى حالة خاصة ، وهى ما كان عليه العمل فى الجاهلية من أن المرتهن كان يملك المرهون ويستحقه حين يعجز الراهن عن الوفاء بالدين ، ولو كانت قيمة الرهن أكثر من الدين فبين الرسول . صلى الله عليه وسلم – بهذا الحديث – أن المرهون لا يملكه المرتهن بعجز الراهن عن الوفاء ، وأنه باق على ملك صاحبه ، فالحديث بعيد عن محل النزاع .

**ودفع الوجه الثالث :** بأن حمل قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : « الرهن من صاحبه» على انه من مال الراهن ، يجعل هذه الجملة لا تفيد شيئا لم يستفد من قبل ، لأن كون المرهون مملوكا للراهن أفاده قوله – صلى الله عليه وسلم – : « لا يغلق الرهن » بخلاف ما لو حملناها على معنى أن المرهون من ضمان صاحبه فتكون مفيدة معنى جديدا ، وكون الكلام للافادة أولى من كونه للاعادة .

أو مات الكفيل أو الشاهد ، فكذلك يكون الدين باقيا بحاله اذا هلك المرهون ٠

وهذا هو معنى عدم الضمان(١) ٠

**ورد هذا القياس :** بأنه قياس فاسد ، لعدم وجود العلة ، فان موجب الرهن ثبوت يد الاستيفاء ، فاذا هلك المرهون تحقق الاستيفاء ، بخلاف تلف الصك وموت الكفيل والشاهد ، فانه لم يتحقق بها معنى الاستيفاء ، لأن الاستيفاء مختص بالمال ٠

**ودفع هذا الرد :** بأنا لا نسلم أن موجب الرهن ثبوت يد الاستيفاء بل موجبه التوثق الذى يوصل الى الاستيفاء من عين المرهون ، اذا لم يقم المدين الراهن بدفع الدين فى موعده المحدد له بدليل أن المدين لو دفع الدين عند الأجل أو قبله ، زال التوثق بالمرهون وتسلمه من المرتهن ، فالدين لا يسقط بموت المرهون كما لا يسقط بموت الكفيل والشاهد وتلف الصك ٠

**واستدل أصحاب القول الثالث :** على أن المرتهن يضمن المرهون الذى يغاب عليه ، ولا يضمنه اذا كان مما لا يغاب عليه ــ بدليلين :

**الدليل الأول :** أن ما يغاب عليه يكثر فيه ادعاء الضياع على وجه لايعلم فيه صدق مدعيه لخفائه ، وعدم اطلاع الناس عليه ، ومالا يغاب عليه ليس كذلك ، اذ هلاكه وتلفه من شأنه أن يكون ظاهرا للناس معروفا ، فلوجود التهمة فيما يغاب عليه ، وجب ضمانه على المرتهن ، لأن عدم الضمان يكون ذريعة لاضاعة الحقوق ، أو اخفائها رغبة فى اقتنائها ٠ فالمناط وجود التهمة ، حتى اذا قامت للمرتهن بينة على صدق ما ادعاه من الهلاك فلا ضمان عليه[١] [*]

**ورد هذا الدليل :** بأنه لا وجه للتفرقة بين ما يغاب عليه ، وما لا يغاب عليه الا ما يظن من وجود التهمة فى الأول دون الثانى ولكن التهمة موجودة فى كل شىء ، ومتوجهة الى كل انسان[٢] ٠

**ودفع هذا الرد :** بأن التهمة التى يعول عليها ، انما هى التهمة القوية ، والواقع يدلنا على أنها موجودة فيما يغاب عليه دون ما لا يغاب عليه ٠

**الدليل الثانى :** عمل أهل المدينة ــ رضى الله عنهم ــ فانهم توارثوا الضمان فيما يغاب عليه فقط ٠

**ورد هذا الدليل :** بأن عمل أهل المدينة ، انما يكون حجة ، اذا دل على سنة متبعة فى زمن الرسول صلى الله

---

(١) المهذب جـ ١ ص ٣١٦ ٠

(١) الخرشى جـ ٥ ص ٢٥٧ ، ومنهج الجليل جـ ٣ ص ١٠٢ ٠

(٢) المحلى لابن حزم جـ ٨ ص ٩٧ ٠

عليه وسلم ـ كنقلهم الصاع والمد والمزارعة والمساقاة ، أما العمل الذى طريقه الاجتهاد والاستدلال ـ كما هو ظاهر فى ضمان المرهون ـ فلا يكون حجة(١) .

**ودفع هذا الرد :** بأنه يبعد أن يتفق أهل المدينة على عمل ، ويتناقلوه عصرا بعد عصر من غير دليل ، لأنهم أعلم بالسنة ، متقدمها ، ومتأخرها ، ناسخها ، ومنسوخها ، فانهم أدركوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعاشوا معه ، فهم أعلم الناس بما كان عليه فى آخر حياته ، وقد كان طريقهم العمل بالمنقول ، ما وجدوا الى ذلك سبيلا ، ولم يلجأوا الى الاجتهاد الا بعد عجزهم عن الوقوف على المنقول ، ومن المعلوم أن المسائل الاجتهادية لم يثبت الاتفاق عليها ، مثل ما ثبت هؤلاء على الاتفاق على العمل بعمل أهل المدينة ـ رضى الله عنهم ـ على أن ابن الحاجب المالكى ، نقل : أن مذهب الامام مالك فى اجماع أهل المدينة ، حجة مطلقا فى المنقولات وغيرها(٢) .

## القول الراجح

**والراجح هو القول الثالث :** وهو ما ذهب اليه المالكية ، من ثبوت الضمان على المرتهن ، اذا كان المرهون مما يغاب عليه ، وعدم الضمان اذا كان مما لا يغاب عليه ، لأن القول بعدم الضمان مطلقا من شأنه فتح الباب على مصراعيه ، أمام المرتهنين لأكل أموال الناس بالباطل ، والقول بالضمان مطلقا فيه غبن بالمرتهنين ، ومخاطرة بأموالهم ، فان سلم الرهن حفظت أموالهم ، وان تلف ضاعت أموالهم دون تهمة فيما لا يغاب عليه ، فالعدالة تقضى بالتفرقة بين ما يغاب عليه ، ومالا يغاب عليه ، سدا لذرائع الفساد ، وضربا على أيدى المحتالين الذين يتفننون ـ غير مبالين ـ فى ضروب الحيل ، لأكل أموال الناس بالباطل ، رغبة منهم فى اقتنائها فى بعض الحالات ، أو طمعا منهم فى الحصول عليها ، وهذا انما يتحقق لهم فيما يغاب عليه ، اذ يمكنهم انكاره ، أو اخفاؤه ، فلو لم يشرع الضمان فيما يغاب عليه لوجود التهمة ، لما تحقق المقصود من عقد الرهن وهو المحافظة على أموال الراهنين والمرتهنين حتى لا يضار أحدهم ، فان عدالة الدين تقضى بأنه: « لا ضرر ولا ضرار » .

## « ضمان المرهون فى القانون الوضعى »

جاء فى المادة ( ١١٠٣ ) مدنى « اذا تسلم الدائن المرتهن الشىء المرهون فعليه أن يبذل فى حفظه وصيانته من العناية ما يبذله الشخص المعتاد » ..

فهى تفيد أن المرتهن ملزم بالمحافظة على الشىء المرهون محافظة يتحقق فيها ما يبذله الشخص المعتاد على مثل

---

(١) اعلام الموقعين جـ ٢ ص ٣٠٤ .

(٢) ابن الحاجب جـ ٢ ص ٣٥ .

المرهون ، وذلك يقتضى أن الراهن اذا أراد مساءلة المرتهن عن أى تلف أو هلاك أصاب المرهون وجب عليه اقامة الدليل على أن المرتهن قد قصر فى اتخاذ احتياط معين مما يقوم به الشخص المعتاد على مثل المرهون . فاذا لم يقم الدليل على ذلك ، أو أقام المرتهن الدليل على أنه بذل كل مايبذله الشخص المعتاد من عناية بمثل المرهون ، وأن ما أصاب المرهون من تلف أو هلاك انما هو بسبب أجنبى لا دخل له فيه ، كان المرتهن غير مسئول عما أصاب الشىء المرهون من تلف أو هلاك .

**وخلاصة ما قرره القانون الوضعى ، فى ضمان المرهون :** أتلف المرهون أو هلاكه اذا كان بتعد من المرتهن أو بتقصير منه فى المحافظة على سلامته ، وجب ضمانه على المرتهن . أما اذا كان التلف أو الهلاك بغير تعد من المرتهن ولا تقصير منه فى المحافظة على المرهون فلا ضمان عليه ، وتلف المرهون أو هلاكه على صاحبه وهو الراهن المدين .

**وما قرره القانون** من وجوب الضمان على المرتهن اذا كان التلف أو الهلاك بتعد من المرتهن أو بتقصير منه فى المحافظة على المرهون ، يوافق ما اتفق عليه الفقهاء من وجوب الضمان فى هذه الحالة ، ويوافق ما ذهب اليه الشافعية والحنابلة من عدم وجوب الضمان اذا كان التلف أو الهلاك بغير تعد من المرتهن أو تقصير منه فى المحافظة على المرهون مطلقا ، سواء أكان المرهون مما يغاب عليه ، أم كان مما لا يغاب عليه . وهو يخالف مذهب المالكية فى وجوب ضمان مالا يغاب عليه وهذا خلاف ما اخترناه(١) .

## ما يضمن به المرهون

اختلف الفقهاء القائلون بضمان المرهون ، فيما يضمن به اذا تلف أو هلك بغير تعد من المرتهن وبلاتقصير منه فى المحافظة عليه — على ثلاثة أقوال :

**القول الأول :** أنه يضمن بالأقل من قيمته ، ومن الدين ، فان كانت قيمته تساوى قيمة الدين ، سقط الدين عن الراهن ، ولا يرجع أحدهما على الآخر بشىء ، وان كانت قيمة الرهن أكثر من قيمة الدين سقط الدين ولا يرد المرتهن شيئا للراهن ، وان كانت قيمة الرهن أقل سقط من الدين بمقداره ، ويدفع الراهن للمرتهن ما زاد عليه — ذهب الى ذلك أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد . ويروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

**القول الثانى :** أنه يضمن بقيمته بالغة ما بلغت ، ذهب الى ذلك زفر ، واسحق بن راهويه ، والمالكية فيما يغاب عليه ، ويروى عن على — كرم الله وجهه — وابن عمر .

---

(١) التأمينات العينية للدكتور سليمان مرقس ص ٤٤١ ط الثانية سنة ١٩٥٩ .

**القول الثالث :** أنه يضمن بالدين ، فان هلك سقط الدين عن الراهن ولا يغرم أحدهما للآخر شيئا مطلقا سواء أكان المرهون مساويا للدين أم كان أقل أم كان أكثر(١) .

**الأدلة**

**استدل أصحاب القول الأول :** على أن المرهون اذا تلف ، أو هلك بغير تعد ولا تقصير من المرتهن ضمنه المرتهن بالأقل من قيمته ومن الدين ـ بدليلين :

**الدليل الأول :** ما روى عن عمر وابن مسعود أنهما قالا : « المرتهن أمين فى الفضل » وهو نص فى أن المرتهن لا يرد الى الراهن ما زاد عن الدين اذا تلف المرهون أو هلك .

**ورد هذا الاستدلال :** بأن ما روى عن عمر لم يصح عنه ، لأنه من رواية عبيد بن عمير عن عمر ، وهو لم يدرك عمر ، أو أدركه وهو صغير ولم يسمع منه . وقال البيهقى : هذا الأثر ليس بمشهور .

**الدليل الثانى :** بأن الزائد على قدر الدين أخذه المرتهن لا فى مقابلة شىء ، فكان غير مضمون كالوديعة ، لأن يد المرتهن يد استيفاء ، فلا توجب الضمان الا بقدر المستوفى ، كما اذا أعطى شخص لدائنه دراهم فى كيس، وكانت أكثر من الدين الذى للدائن فهلك الكيس بيد الدائن ، فانه يكون مضمونا عليه بقدر الدين ، والزائد أمانة فكذلك المرهون(١) .

**ورد هذا الدليل :** بأنا لانسلم أن الزائد على قدر الدين أخذه من المرتهن لافى مقابلة شىء فكان غير مضمون لذلك ، بل ان المرتهن أخذ الرهن ليستوثق به فى نظير دينه لا فرق بين جزء وجزء ، وقد رضى الراهن بذلك فى عقد الرهن ، وأيضا . فقد بنيتم هذا على أن يد المرتهن يد استيفاء ، ويد المرتهن ليست يد استيفاء . وانما هى يد توثق موصل الى الاستيفاء ، بدليل أن الراهن لو دفع الدين من غير الرهن حصل الاستيفاء بدون الرهن ، وعليه فلا محل لقياسكم هلاك الرهن على هلاك الكيس الذى دفعه المدين لدائنه .

**واستدل أصحاب القول الثانى :** على أن المرهون يضمنه المرتهن بقيمته مهما بلغت ـ بدليلين .

**الدليل الأول :** ماروى عن على ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال : « يترادان الفضل » .

والتراد يكون من الجانبين ، فيرجع كل منهما على صاحبه بالفضل عند الهلاك .

**ورد هذا الدليل :** بأن قول على ـ كرم الله وجهه ـ « يترادان الفضل » محمول على ما لو هلك المرهون بجناية

---

(١) البدائع جـ ٢ ص ١٥٤ ، وتبيين الحقائق جـ ٦ ص ٦٣ وتكملة الفتح جـ ٨ ص ١٩٤ .

(١) المبسوط جـ ٢١ ص ٦٧ .

من المرتهن ، كما تدل على ذلك الرواية الصحيحة عنه وهي أنه قال : «يترادان الفضل ، فان هلك بجائحة برئ» فتدأثبت البراءة للمرتهن فيما أصابته جائحة ، فدل ذلك على أن تراد الفضل انما هو فيما اذا تلف بجناية المرتهن(١) .

**الدليل الثانى : أن القدر الزائد** على قيمة الدين مرهون عند المرتهن لكونه محبوسا عنده ، فيكون مضمونا عليه قياسا على ما يساوى الدين .

**ورد هذا الدليل :** بأنه مبنى على أن المرهون مضمون على المرتهن ضمانا أثبته الشرع بعقد الرهن ، ولم يقم دليل صحيح على ضمان المرهون بهذا الوجه ، وانما هو مضمون ضمان خوف التعدى ، وهو يكون بقيمة الدين أو بالأقل منهما .

**واستدل أصحاب القول الثالث :** على أنه يضمن بالدين بما روى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « الرهن بما فيه » .

**ووجه الدلالة من هذا الحديث :** أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ جعل الرهن فى مقابلة مارهن فيه ، وهو الدين فيكون مضمونا به .

(١) تكملة فتح القدير جـ ٨ ص ١٩٨ .

**ورد هذا الدليل :** بأن هذا الحديث لم يصح رفعه الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانما الذى صح أنه مرسل ، ورد فى حالة خاصة ، وهى ما اذا اشتبهت قيمة المرهون ، كما جاء ذلك موضحا فى رواية أبى داود للحديث فى مراسيله ، ومذهب المستدلين به الضمان بالدين مطلقا اشتبهت القيمة ، أو علمت ، فهم لم يقولوا بمضمون هذا الحديث .

**هذا والناظر الى** أدلة هذه الأقوال الثلاثة فيما يضمن به المرهون يتبين له أنها غير ناهضة لاثبات ما ذهبوا اليه لعدم سلامتها مما ورد عليها .

**ونرى أن** الذى ينبغى التعويل عليه هو القول الثالث القائل: يضمن بالدين لأن الضمان فى الواقع ضمان خوف التعدى ، لا ضمان للعدوان بالفعل ، فان ضمان العدوان يكون ـ باتفاق ـ بالمثل مهما كان ، أو بالقيمة مهما بلغت .

والله أعلم بالصواب ..

**دكتور/ابراهيم دسوقى الشهاوى**

# خصائص النظام الادارى الاسلامى

للدكتور مصطفى كمال وصفى

---

بينا فيما سبق أنه لايوجد فى الشريعة الاسلامية ما يسمى «بالقانون الادارى» وان كانت توجد بطبيعة الحال أحكام تنظم ما يقوم بين الدولة والأفراد من علاقات ولكنها لا تختلف فى شىء عن القواعد التى تنظم العلاقات العادية .

وبينا الخصيصة الأولى للنظام الادارى الاسلامى : وهى خصيصة الفردية النظامية التى يوازن بها بين الحريات والسلطة .

**والخصيصة الثانية للنظام الادارى الاسلامى : هى خصيصة تقيده بالمشروعية الاسلامية :**

فالنظام الادارى الاسلامى — كأى وضع آخر فى الدولة الاسلامية — يتقيد بالمشروعية الاسلامية العليا : وهى التضامن فى تنفيذ ما أمر الله به سبحانه وتعالى ومنع ما نهى عنه . ( انظر : كتابنا المشروعية فى النظام الاسلامى ) .

وهذه المشروعية تتحلل الى مايأتى:

**أولا** : التزام النصوص الواردة فى الكتاب والسنة سواء بتطبيقها المباشر ، أو بمد مجالها بالقياس وطرق الاجتهاد فى كل ما يتعلق بأحكام الاسلام . ذلك لأن الاسلام لا يعرف تقسيم النظام الى قانون ادارى وقانون عادى كما أسلفنا . فكل النصوص الشرعية ملزمة للسلطة والأفراد فى مجال جميع العلاقات الادارية وغير الادارية على حد سواء . نعم هناك علاقات تقوم بين الادارة والأفراد ، ولكن هذه العلاقة لا تتميز بشىء عن العلاقات العادية التى تقوم بين الأفراد وبعضهم ، فان المساواة وسيادة القانون شاملتان فى جميع أنواع العلاقات الاسلامية .

**ثانيا** : اعتبارالمقاصد الشرعيةفيما لا نص فيه ولا قياس . وهى التى نسميها بالمصالح المرسلة ، وتتحصل هذه المقاصد فى جلب المصالح ودرء المفاسد فى الأمور الخمسة المعروفة ؛ وهى حفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال وذلك فيما يعتبر ضرورة تختل الجماعة باختلاله ، أو ما يعتبر حاجيا يقع الناس فى المشقة والحرج باختلاله ، أو مايعتبر تحسينيا يتطلبه استكمال أسباب الرفاهية بتوفيره .

وهذه النظرية لها أهمية عظمى فى ترتيب المرافق والمصالح العمومية اذ يترتب عليها انتظام العمل الادارى ،

وتحديد الأسباب المشروعة للقرارات

فمن الناحية الأولى ، لاشك أن ترتيب المرافق العامة يقتضى تقديم الأهم فالمهم من هذه المصالح .

فلا يصح التضحية بمصلحة ضرورية من أجل أخرى حاجية أو تحسينية .

فاذا راعينا ذلك فى مصلحة لحفظ الدين مثلا ، نجد أن هذه المصلحة تتطلب ـ فيما تتطلبه ـ انشاء المعاهد اللازمة للتعليم الدينى . فلا يجوز أن يضحى بهذه المصلحة من أجل انشاء معاهد تقوم على تعليم شئون المال الاقتصادى بما لا يعتمد على الدين أو تقوم مثلا على تقوية البدن والرياضة البدنية ونحو ذلك ، نعم ان هذه المصالح هامة فى ذاتها ولكن يجب أن تقوم فى اطار من أحكام الدين وبالحفظ لأحكامه وبعد تعليمه العلم الذى فرض على الناس تلقيه . فلا يتلقون علم المال قبل علم العبادات واتقانها . ولا تدار دراسات الرياضة البدنية مع كشف العورة واتيان مالا يقره الشرع . . نعم ان علم المال هام لا ننكر أهميته وتقوية الأبدان من ضمن المقاصد الشرعية ، ولكن الترتيب فيما بين المصالح يقتضى تقديم الأهم على المهم حسب الترتيب السابق وعدم تضحية ما هو هام من أجل ما هو أقل أهمية .

وكذا اذا راعينا مصلحة كحفظ النفس ، نجد أنه فى تصنيع الدواء أو استيراده مثلا نقدم دواء يتطلبه حفظ النفس ـ كدواء لعلاج أزمات القلب ـ على دواء لفتح الشهية مثلا أو التقوية مثلا . نعم أن هذا المطلب الأخير ضرورى ولكنه يلى فى الضرورة مطلب حفظ النفس ؛ وبذلك نجد أن السياسة الاسلامية منسقة مخططة دقيقة فى التنفيذ ومن شأن ذلك أن ينضبط معه التخطيط العام للدولة والتنفيذ المرحلى لمتطلباتها وتستقيم أمورها .

وهذا يؤدى الى رقابة دقيقة لأسباب القرارات الادارية ، لأنه مادامت المصلحة العامة محددة ظاهرة دقيقة على هذا الوجه ، فان ما تنحرف عنه الادارة فى غاياتها يكون واضحا بمجرد عدم مراعاته لهذا الترتيب الشرعى الدقيق . فاذا أصدرت الادارة قرارا مراعاة لمسألة تحسينية ـ كادخال الرفاهية على العاملات بجهة معينة ـ وكان ذلك يخل بآداب الدين ، فان القرار يكون غير مشروع لأنه أخل بمصلحة مقدمة على المصلحة التى قصدها القرار ...

**الخصيصة الثالثة : تقيد السلطة العامة :** فان السلطة فى الاسلام مقيدة على خلاف ، ما وهمه بعض المستشرقين الذين استنتجوا ـ بدون روية ولا تبين ـ أن النظام الدينى بنصه على الخلافة ـ انما يقتضى اطلاق السلطات . وقد تأثروا فى ذلك بنظرية قامت عندهم فى العصور الوسطى وهى نظرية التفويض الالهى وكان الملوك يزعمون بمقتضاها أن الشعب لا يملك حسابهم ، وهذا

يناقض أصول الاسلام الذى يقوم على تقييد سلطة الحكومة للأسباب الآتية :

**أولا :** أن الشريعة الاسلامية خطاب لكل من الدولة والأفراد على قدم المساواة ، مما أدى الى وحدة القانون والقضاء كما قدمنا . وهذا من شأنه أن يحكم سيادة القانون على تصرفات الدولة فتتقيد لهذا السبب حتى تتساوى مع الأفراد فى أحكامهم .

**ثانيا : أن الدولة وليدة القانون ،** لا العكس كما هو الحال فى النظم الوضعية ، وهذا يؤدى الى أن الدولة نشأت فى الشريعة الاسلامية مقيدة محكومة بالقانون .

**ثالثا :** أن الأفراد يقومون بقسط من الولاية العامة كما سنرى اذ تناط بهم معظم المرافق العامة ، ولا يتأتى أن تكون بعض الأحكام الادارية مغايرة لبعضها الآخر فى حكمها ، بأن يكون بعضها عن ولاية مطلقة وبعضها الآخر عن ولاية مقيدة .

**رابعا :** أن السلطة التشريعية ــ وهى أم السلطات والمقصودة بالتقييد ــ منفصلة تماما عن السلطتين : التنفيذية والقضائية . والواقع أن نظام الفصل بين السلطات أنما أستهدف أولا صيانة السلطة التشريعية وحفظها ، وأما السلطتان التنفيذية والقضائية فهما تتقيدان بالنسبة للسلطة التشريعية ، اذ أن السلطتين المذكورتين وليدتا التنظيم القانونى الذى تشرعه وتسنه السلطة التشريعية ، كما أنهما تطبقان القوانين التى تصدر عن هذه السلطة وبذلك فهما فى الواقع فى مكانة أدنى من قدسية السلطة التشريعية .

وفى الاسلام ، فان السلطة التشريعية **محفوظة لله ولا تصل اليها** تصرفات البشر ، فهم جميعا مقيدون بها . نعم يستطيع السلطان فى كل وقت أن يصدر تشريعات فرعية ، ولكنها تكون متقيدة بالأحكام الشرعية وفى اطارها ولا يجوز أن تخرج عنها وبذلك فان جميع السلطات فى الدولة مقيدة تقييدا بالأحكام الشرعية كما بينا آنفا فى الكلام على خصيصة المشروعية .

وهذا الوضع يخالف الوضع فى النظم العصرية تمام المخالفة . اذ الواقع أنه يتأتى أن تستولى السلطة التنفيذية على السلطة التشريعية وتقودها وراء رغباتها . بل هذا مفروض قطعا والا تعذر التعاون بينهما . فرئيس الحكومة فى دور

انتخاب الشعب للحزب الذى يرأسه ، أو للنظام الذى ينادى به ، يضع برنامجا عاما يرتضيه الشعب بالانتخابات أو بالتأييد . وبذلك يأتى المجلس التشريعى المنتخب عن الشعب متقيدا بهذا البرنامج لأنه انتخب على أساسه . والغالب أن تتقيد المجالس النيابية بقوة شخصية رئيس الحكومة وقدرته على حفظ النظام وبذلك نجد أن السلطة التشريعية تتغير اتجاهاتها حسب تغير اتجاهات الحكم والنظام السائد فى كل وقت مما يؤدى الى القول بأن السلطة التشريعية ليست مصونة صيانة حقيقية فى النظم الوضعية كما هو الحال فى الاسلام .

فهذه هى الخصائص العامة للنظام الادارى التى سنرى أثرها فيما بعد عند سرد أحكامه ؟

**دكتور مصطفى كمال وصفى**

# السُّنة رواية ودراية

للاستاذ محمد رشيد حاد الحق

السنة فى اللغة : الطريقة المسلوكة فاذا أطلقت انصرفت الى الطريقة المحمودة، وفى لسان الشرع هى : قول النبى وفعله وتقريره ، ومعناه عدم انكاره لأمر رآه أو بلغه عمن يكون منقادا للشرع العزيز • وللسنة أدوار تقلبت فيها من يوم صدورها عن صاحب الرسالة الى أن وصلت الينا من حفظ فى الصدور وتدوين فى الصحف وجمع لمنثورها وتأليف لأشتاتها وتهذيب لكتبها واستنباط من عيونها وشرح لغامضها ونقد لروايتها وغير ذلك • وقد عرف أرباب هذا الفن علم الحديث بأنه : ما أضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم أو الى صحابى أو الى من دونه قولا أوفعلا أو تقريرا أو صفة وحكموا بأن علم الحديث أفضل العلوم قاطبة اذ به يعرف كيفية الاقتداء به صلى الله عليه وسلم • ثم قسموا علم الحديث الى قسمين : رواية ، ودراية فعلم الحديث رواية هو : علم بنقل أقوال النبى وأفعاله بالسماع المتصل وضبطها وتحريرها •

وعلم الحديث دراية هو : علم يعرف به حال الراوى والمروى من حيث القبول ، والرد وواضعه ابن شهاب الزهرى فى خلافة عمر بن عبد العزيز بأمره وقد أمر أتباعه بعد فناء العلماء العارفين بالحديث بجمعه ، ولولاذلك لضاع الحديث وفسد أمر الناس

ثم بينوا الفرق بين الحديث والأثر والخبر فقالوا : الحديث ضد القديم وقد استعمل الحديث فى قليل الخبر وكثيره لأنه يحدث شيئا فشيئا والمراد بالحديث فى عرف الشرع ما يضاف الى النبى صلى الله عليه وسلم وكأنه أريد به مقابلة القرآن لأنه قديم واطلاق الحديث على ما يضاف اليه صلى الله عليه وسلم مقتبس من قوله تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث» فانه سبحانه عدد أولا فى سورة الضحى منته العظيمة على نبيه صلى الله عليه وسلم من ايوائه بعد يتمه واغنائه بعد عيله وهدايته بعد ما وجده ضالا أى وجده غافلا عن الشرائع التى لا تستقل العقول بادراكها كما فى قوله تعالى : «ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الأيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا » فهداه الى مناهجها فى تضاعيف ما أوحى اليه من الكتاب المبين وعلمه ما لم يكن يعلم ثم رتب على هذه المنن الثلاثة أمورا ثلاثة وهى

النهى عن قهر اليتيم والزجر عن نهر السائل والأمر بالتحدث بالنعمة فكان المعنى : لقد كنت يتيما فآواك وضالا فهداك وعائلا فأغناك ؛ فلا تنس نعمة الله تعالى عليك فى هذه الثلاثة واقتد بالله تعالى فى الطف على اليتيم واللين للسائل والتحدث بنعمة الله فقد ذقت اليتم والفقر وقوله تعالى : وأما بنعمة ربك فحدث » فهى فى مقابلة قوله تعالى : « ووجدك ضالا فهدى » أى أن هذه النعمة الجليلة وهى نعمة الهداية هى النعمة وما سواها بالنسبة اليها فليس بنعمة الا أن يحدث بها المرء عباد الله ويشيعها فيهم والظاهر أن أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله التى سماها العلماء أحاديث انما هى شرح وبيان لما هدى الله نبيه بها وتحديث وتنويه لما أنعم الله عليه من صنوف الهداية وفنون الارشاد فعلوم الحديث على اختلاف درجاتها وتنوع فروعها من حفظ متونه ومعرفة غريبة وحفظ أسانيده ومعرفة رجاله من جرح وتعديل وتمييز صحيحه من سقيمه وجمعه وكتابته وسماعه وبيان طرقه وطلب العلو فيه والرحلة الى البلاد فى سبيله والتنقل فى الأقطار للاستفادة من الشيوخ وافادتهم ، كل ذلك عده علماء هذا الفن من أشرف العلوم وأعلاها قدرا وأرفعها منزلة ثم قالوا : ان ما يتعلق به صلى الله عليه وسلم من الأحوال ان كانت اختيارية فهى داخلة فى الأفعال ، وان كانت غير ذلك كالحلية لم تدخل فيها اذ لا يتعلق بها حكم كما يتعلق بنا ومن اصطلاحهم فى هذا العلم الفرق بين الحديث والأثر والخبر ، فالحديث ما أضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم فيختص بالمرفوع عند الاطلاق ولا يراد به الموقوف الا بقرينة ، وأما الخبر فهو أعم لأنه يطلق على المرفوع والموقوف فيشمل ما أضيف الى الصحابة والتابعين، وعليه فيسمى كل حديث خبرا ولا يسمى كل خبر حديثا وقد خص بعضهم الحديث بما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم والخبر بما جاء عن غيره فيكون مباينا للخبر وأما الأثر فانه مرادف للخبر وفقهاء خراسان يسمون الحديث الموقوف بالأثر والمرفوع بالخبر .

وأئمة الحديث عندما شرعوا فى تدوينه انما دونوه على الهيئة التى وصل بها اليهم ولم يقطعوا بما وصل اليهم فى الأكثر الا ما يعلم أنه موضوع مختلق مصنوع فجمعوا ما رووا منه بالأسانيد التى رووه بها ثم بحثوا عن أحوال الرواة بحثا شديدا حتى عرفوا من تقبل روايته منهم ومن ترد ومن يتوقف فى قبول روايته ثم أتبعوا ذلك بالبحث عن المروى وحال الرواية اذ ليس كل من يرويه الموصوف بالعدالة والضبط يؤخذ به فقد يعرض له السهو أو النسيان أو الوهم ، ولهم فى معرفة ذلك طرق مذكورة فى كتبهم .

وقد اقتضت حكمة الله سبحانه أن جعل ارسال الرسل لطفا منه سبحانه بخلقه ورحمة لهم ليتم لهم أمر معاشهم ويبين لهم حال معادهم فاشتملت الشريعة على المعتقدات

الصحيحة التى يجب التصديق بها والعبادات المقربة اليه سبحانه مما يجب القيام بها والمواظبة عليها والأمر بالفضائل والنهى عن الرذائل مما يجب قبوله ، فانتظم من ذلك ثمانية علوم شرعية : علم القراءات – وعلم رواية الحديث – وعلم درايته – وعلم تفسير الكتاب المنزل على النبى المرسل وعلم أصول الدين – وعلم أصول الفقه – وعلم الجدل – وعلم الفقه – وذلك أن المقصود من الشريعة اما النقل واما فهم المنقول واما تقريره واما تشييده بالأدلة واما استخراج الأحكام المستنبطة والنقل ان كان لما أتى به الرسول عن الله تعالى بواسطة الوحى فهو علم القراءات أو لما صدر عن نفسه المؤيدة بالعصمة فعلم رواية الحديث،وفهم المنقول ان كان من كلام الله تعالى فعلم تفسير القرآن أومن كلام الرسول فعلمدراية الحديث والتقرير اما للآراء فعلم أصول الدين واما للأفعال فعلم أصول الفقه ، وما يستعان به على التقرير فعلم الجدل .

ومعرفة الأحكام المستنبطة فعلم الفقه ولاخفاء لدى العقلاء بما فىهذه العلوم من جملة المنافع ففى الدنيا حفظ المهج والأموال وانتظام سائر الأحوال وفى الآخرة فالنجاة من العذاب الأليم أو الفوز بالنعيم المقيم .

**وعلم القراءات** علم ينقل لغة القرآن واعرابه الثابت بالسماع المنقل ومن الكتب المشهورة المختصرة فيه التيسير وقد نظمه الشاطبى – برد الله مضجعه فى لاميته المشهورة فنسخت سائر كتب الفن لضبطها بالنظم .

**وعلم رواية الحديث علم** : بنقل أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله بالسماع المتصل وضبطها وتحريرها ، وأضبط الكتب المجمع على صحتها كتاب البخارى وكتاب مسلم وبعدهما بقية كتب السنن المشهورة كسنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والدار قطنى والمسندات المشهورة كمسند أحمد وابن أبى شيبة والبزار ، وزهر الخمائل لابن سيد الناس ونحوها .

**وعلم التفسير** : علم يشتمل على معرفة فهم كتاب الله المنزل على نبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه والعلوم الموصلة الى علم التفسير هى اللغة والنحو والتصريف والمعانى والبيان والبديع وعلم القراءات ويحتاج الى معرفة أسباب النزول وأحكام الناسخ والمنسوخ والى معرفة أخبار أهل الكتاب ويستعان فيه بعلم أصول الفقه وعلم الجدل ومن الكتب المختصرة فيه زاد المسير لابن الجوزى والوجيز للواحدى ، ومن المتوسطة تفسير الماتريدى والكشاف للزمخشرى وتفسير البغوى والكواشى ومن المبسوطة البسيط للواحدى وتفسير القرطبى ومفاتيح الغيب للامام الرازى فخر الدين بن الخطيب واعلم أن أكثر المفسرين اقتصر على الفن الذى يغلب عليه فالثعلبى غلب عليه القصص وابن عطية غلبت عليه

العربيــة وابن الفرس أحــكام الفقه والزجاج المعانى والله سبحانه خاطب عباده بما يفهمونه فأرسل كل رسول بلســان قومه ليبين لهم وأنزل كتاب كل قوم بلغتهم والقرآن العظيم انما أنزل بلسان عربى مبين فى زمن أفصح العرب فكان الناس يفهمون ظواهره وأحكامه ، أما وقائعه وأسراره الباطنة فانما كانت تظهــر لهم بعــد البحث والنظر وجــودة التأمل والتــدبر مع سؤالهم النبى صلى الله عليه وسلم فى الأكثر وكان النبى يدعــو لأصــحابه بالفهم حتى دعا لابن عباس فقال : ( اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل) ولم ينقــل الينــا عن الصــدر الأول تفســير القرآن وتأويله بجملة فنحن نحتاج الى ما كانوا يحتاجون اليــه زيادة على ما لم يكونوا يحتاجون اليه من أحــكام الظــواهر لقصــورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم ، فنحن أشد احتياجا الى التفسير ومعلوم أن تفسيره يكون من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها وبعضــه من قبيل ترجيــح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته وحسن معانيه وهــذا لا يستغنى عن قانون عام يعول فى تفسيره عليه .

**وعلم دراية الحديث** : علم يعرف منه أنواع الرواية وأحكامها وشروط الرواة وأصناف المرويات واستخراج معانيها ويحتاج الى كل ما يحتاج اليه علـم التفســير من اللــغة والنحــو والتصريف والمعانى والبديع والأصول ويحتــاج الى تاريــخ نقلة الحــديث والــكتب المنســوبة الى هــذا العــلم كالتقريب والتيسير للنووى وأصله ككتاب علوم الحديث لابن الصــلاح وأصله ككتاب المعرفة للحاكم وكتاب الكفاية للخطيب أبى بكر بن ثابت البغــدادى وانما هى مداخل وليست بكتب كافية فى هذا العلم .

**وعلم أصول الدين** هو علم يشتمل على بيان الآراء والمعتقدات التى صرح بها صــاحب الشرع واثباتها بالأدلة العقليــة ونصرتهــا وتزييــف كل ما خالفها .

والمشهور أن أول من تكلم فى هذا العلم فى الملة الاسلامية عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وغيرهما من رجال المعتزلة لمــا وقعت لهم الشــبهة فى كلام الله تعالى كيف يكون محدثا وهو صفة من صفات القديم وكيف يكون قديما وهــو أمر ونهى وخبرة وتوراة وانجيل وقرآن ، والشبهة فى مسألة القدر : هل الأشياء الكائنة كلها بقدر الله ولا قدرة للعبد عن الخروج عنها فكيف العقاب وان كانت للعبد قدرة على مخالفة المقدور فيلزم تغيير علم الأول بالكائنات الى غير ذلك من المســائل وأخذ عنهم أبو الحسن الأشــعرى وخالفهم فى كثير من المسائل ، ومن الكتب المختصرة فيه قواعد العقائــد للخوجة نصير الدين الطوسى ولبــاب الأربعين للقاضى جمال الدين بن واصل ومــن المتوســطة المحصــــل للامام فخر الدين ولبــاب الأربعين للأرموى ومــن المبســوطة الأحــكام للآمــدى والمحصـــــول للامام فخــر الديــن ابن الخطيب .

**وعلم الجدل** : علم يعرف منه كيفية تقرير الحجج الشرعية ودفع الشبه وقوادح الأدلة وترتيب النكت الخلافية وهذا متولد من الجدل الذى هو أحد أجزاء المنطق لكنه خصص بالمباحث الدينية ، وللناس فيه طرق أشبهها طريقة العميدى ومن الكتب المختصرة فيه المغنى للأبهرى والفصول للنسفى والخلاصة للمراغى ومن المتوسطة النفائس للعميدى والرسائل للأرموى ومن المبسوطة تهذيب النكت للأرموى

**وعلم الفقه** : علم يعرف به أحكام التكاليف الشرعية العملية كالعبادات والمعاملات والعادات ونحوها .

أسأل الله أن ينفعنا بهذا العلم ويشفع فينا صاحب الرسالة ؟

**محمد سيد جاد الحق**

# المعلم الأكبر ومدارس النبوة الأولى

للأستاذ محمد نعيم

---

نزل الوحي على قلب محمد بن عبدالله وجلس المعلم الأكبر صلوات الله وسلامه عليه يقرأ القرآن لأتباعه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم بمكة وعلى الصفا ويشرح للمسلمين نظم الدين الجديد وأفكاره ، وفيها أسلم جماعة من الصحابة بدعوته حتى تكاملوا أربعين رجلا .

ولما بدأ الاسلام ينتشر فى المدينة قبل الهجرة أرسل الرسول اليها مصعب بن عمير ليقرىء المسلمين القرآن ويعلمهم الاسلام ويؤمهم فى الصلاة وكذلك فعل عليه الصلاة والسلام فى كل مدن الجزيرة العربية عندما كان الاسلام ينتشر بها .

وحين عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة بعد فتحها ترك فيها معاذ بن جبل ليعلم المسلمين قواعد الدين الحنيف ثم هاجر عليه الصلاة والسلام الى المدينة المنورة فأقام أياما فى بنى عوف ثم بنى مسجده الذى قال عنه : «لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا» . وأصبح المسجد النبوى الشريف بعد دار الأرقم يتعلم فيه الصحابة ما يوحى اليه صلى الله عليه وسلم ، وفى عهده تعلم صحابته الأبرار الكتب والحكمة .

عن عائشة رضى الله عنها أنه يفسر آيات علمهن اياه جبريل حين كانوا يسئلونه عن دقائق الأحكام لمعرفة معانى كلام الله عز وجل من أوامره ونواهيه . وليس أدل على أهمية المسجد النبوى من أن عدد كتاب النبى صلى الله عليه وسلم قد بلغوا اثنين وأربعين كاتبا يكتبون له فى جميع شئون الدين والدنيا فأين تعلم هؤلاء ؟ والبلاذرى يروى أنه لم يكن فى قريش الا سبعة عشر رجلا يكتبون قبل الاسلام .

يقول ابن خلدون ان الدعوة الدينية تزيد الدولة فى أصلها قوة وبفضل الاسلام العظيم دين العلم والنور والتقدم كان علماء الاسلام الأوائل المشعل الذى أنار الدرب للمعرفة البشرية فى القرون الوسطى فأصبحت الثقافة الاسلامية سلما تدرجت عليه الحضارة الانسانية حتى وصلت الى ماهى عليه الآن .

فالقرآن الكريم ورد فيه ما يزيد على الثمانمائة كلمة تدل على العلم ومشتقاتها وثلاثمائة كلمة تدل على القراءة والكتابة ثم الأحاديث النبوية

الشريفة وآثار حكماء الاسلام وغيرهم وبخطى واسعة تقدمت الحضارة الاسلامية مهتدية بنور الاسلام وتطور المجتمع الاسلامى تطويرا سريعا يفوق سنة التطور والارتقاء وتلمس نتائجه فى العصر العباسى بتأسيس الجامعات الاسلامية كالنظاميات والمستنصرية وغيرها .

وانبرى الصحابة والتابعون الى طلب العلم ولقاء المشيخة .. ها هو ذا ابن شهاب الزهرى يحفظ الفين ومائتى حديث نصفها مسند ويطوف بالحرم المكى الشريف ومعه الألواح والصحف ويكتب كلما يسمع فكان أعلم بالحديث والتفسير ... وصاحب الجامع الصحيح البخارى تلميذ الامام أحمد بن حنبل الذى اجتمع فى مجلسه عشرون ألفا أو أكثر ببغداد بعد أن ارتشف من منهل العلم فى المسجد النبوى فقال لقد صنفت كتابا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الليالى المقمرة ..

ولما اتسعت رقعة الاسلام انتقل بعض صحابة الرسول وتلاميذه الى الأمصار الجديدة وتحلق حولهم الطلاب وكان عمر يرسل الفقهاء والقراء مع الجيوش ليبقوا بالبلاد المفتوحة بعد فتحها ، يدعون للاسلام ويعلمون أحكامه ، وقد أنشأ هؤلاء فى كل قطر نزلوا به حركة علمية وكونوا مدارس ، وكان لهم تلاميذ ينقلون عنهم .

من هذا وغيره نجد أن دار الأرقم فى الصفا ، والصفة فى مؤخر المسجد المدنى والمسجد النبوى الشريف هى أولى مدارس الاسلام جرى فيها التعليم بأوسع مدلوله من مبادىء وقيم سلوكية ومعاملات ففيها عقيدة روحية سامية وتربية وجدانية وجسمية وعقلية .. قال أعرابى : مارأيت محمدا يقول افعل والعقل يقول لا تفعل ومارأيت محمدا يقول لاتفعل والعقل يقول افعل . وفى البخارى كان من عادة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجلس فى مسجده بالمدينة المنورة يعلم أصحابه دينهم ودنياهم وساهمت المرأة فى اكتساب التعليم فقالت النساء لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك وأن رسول الله عليه الصلاة والسلام خرج ومعه بلال فظن أنه لم يسمع النساء فوعظهن – أى علمهن .

**المسجد فى حياة المسلمين :**

وارتبط تاريخ التربية الاسلامية بالمسجد ارتباطا وثيقا فكان مكانا للعبادة ومعهدا للتعليم ودارا للقضاء وساحة تتجمع فيها الجيوش ، ونزلا لاستقبال السفراء .

وانتشرت بعد ذلك المساجد فى جميع أنحاء العالم الاسلامى وفى أكثرها كانت تعقد حلقات العلم وتلقى الدروس .. ففى مسجد المنصور ببغداد جلس خيرة العلماء يلقون دروسهم ومن هؤلاء الخطيب البغدادى والكسائى وأبو العتاهية وأبو عمر الزاهد .. وفى جامع دمشق كانت توجد مدرسة للشافعية ، ومقصورة

للأحناف ، وعدة زوايا يتخذها الطلبة للنسخ والدرس بعيـــدا عن زحام المصلين ..

أما العلوم التى كانت تدرس فقد بدأت كما يقول ابن خلدون بالعلـوم الشرعية وهى التى تسمى « العـلوم النقليـة » وهذه تشـمل ما يتصـل بالكتاب والسنة والأحكام الشرعية ، ثم أضيفت طائفة من العـلوم تهيء للافادة من العـلوم الشرعيـة كعلوم اللسان العربى فلم يكن بد من النظر فى الـكتاب ببيان ألفاظه وهذا هو علم التفسير ، ثم باسناد نقله وروايته الى النبى صلى الله عليه وسلم الذى جاء به من عند الله واختلاف روايات القراء فى قراءته وهـــذا هو عـلم القراءات ، ثم باسـناد السـنة الى صاحبها والكلام فى الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهموعدالتهم ليقع الوثوق بأخبارهم وهذه هى علوم الأحاديث . ثم علم أصول الفقه والعقائد وعلم اللغة وعـلم النحو وعـلم البيـان وعـلم الأدب .

### عمرو بن العاص فى مصر :

وفتح عمرو بن العاص مصر وكان جيشـه يحـوى ــ ككل الجيـوش الاسـلامية ــ مجمـوعة من العلمـاء والفقهاء ، استوطنوها ولحقهم أفواج أخرى من العلماء والدارسين ، وفى مقـدمة هؤلاء الصـحابيان عبد الله ابن عمرو بن العاص وأبو أمية عبيد ابن مخمر المعافرى ، ويعـد عبد الله بن عمرو بن العاص مؤسس المدرسة المصرية ، وكان من أكثر الناس حديثا عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم وكان يدون ما يسمع منه حتى كانت عنده مجموعة من الأحاديث ليس بينه وبين الرسول فيها أحد (١) .

وكان المعافرى أول من قرأ القرآن بمصر ، وممن اشتهر فى مدرسةمصر بعد الصحابة يزيد بن أبى حبيب ، وجعفر بن ربيعة ، وعبد الله بن جعفر ومن تلاميذ يزيد بن حبيب عبد الله ابن لهيعة والليث بن سعد الذى يقول عنه الشافعى : « الليث أفقه من مالك الا أن أصحابه لم يقوموا به » (٢) .

وقد اتخـذت الحركة العلمية فى مصرالمسجد الجامع ومسجد ابنطولون مركزين لنشاطها .. والمسجد الجامع ويسمى المسـجد العتيق بناه عمرو ابن العاص مع مدينة الفسطاط سنة ٢١ هجـــرية وسرعان ما جلس به المعلمون وحولهم الطلاب ، فكان منذ انشائه قلب الفسطاط الفكرى وأهم مركز للدراسة ، وقد لبثت ساحاته مدى عصور ندوة فكرية أدبية جامعة ، وفيها كانت توجه حركةالتفكير والآداب فى مصر الاسلامية(٣) ففى عهد مبكر جدا جلس فيه سلمان بن عتر التجيبى ليعظ النـاس عن طريق القصص ، وكان قد جمع له القضاء والقصص ، ثم

---

(١) طبقات ابن سعد .

(٢) احمد أمين : فجر الاسلام .

(٣) عبد الله عنان : تاريخ الجامع الأزهر .

عزل عن القضاء وأفرد بالقصص ٠٠ ومن أشهر الحلقات التيعقدت بالمسجد الجامع : حلقة الامام الشافعى التى كانت مدرسة تخرج فيها جلة الشيوخ والعلماء كالربيع بن سليمان والمازنى والبويطى والأزدى ٠٠ ومن العلماء الذين علموا بالمسجد الجامع محمد بن جرير الطبرى،الذى وفد الى مصر عدة مرات فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى(١) ٠

أما جامع ابن طولون فقد فرغ من بنائه سنة ٢٥٦ هجرية وسرعان ما جلس به الربيع بن سليمان تلميذ الامام الشافعى ليملى الحديث ، وازدحمت به بعد ذلك الحلقات وكثر به المعلمون وطلاب العلم وكانت تلقى به دروس التفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة وغيرها من الدروس (٢)

وازدهرت بمصر دراسات واسعة فى القراءات وفى الحديث وفى الدراسات اللغوية والنحوية وكذلك فىالسيرة والتاريخ ، وممن برعوا فى هذه العلوم أبو بكر بن عبد الله بن مالك شيخ القراءات وأحمد بن محمد ابن اسماعيل الذى نبغ فى النحو واللغة وابن جنى الشهير ٠٠ ومن المؤرخين المصريين ابن عبد الحكم والكندى وأصله من كنده ولكنه نشأ فى مصر وتوفى بها ٠٠

(١) ياقوت : معجم الأدباء .

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة .

ووجدت العلوم العقلية كثيرا من العناية فقد عنى المصريون بالفلسفة والطب عن طريق الكتب المنقولة ومن العلماء المصريين الذين اهتموا بهذه العلوم : ذو النون الأخميمى وسعيد ابن البطريق ٠

### الفتح الفاطمى ٠٠ وتأسيس الأزهر

وجاء الفاطميون الى مصر فى ١١ شعبان سنة ٣٥٨ هجرية وبنى جوهر الصقلى مدينة القاهرة لتكون عاصمة للخلافة الفاطمية كما أنشأ الجامع الأزهر ، وقد بدىء فى بنائه سنة ٣٥٩ هجرية وتم بناؤه بعد عامين وثلاثة أشهر وافتتح للصلاة فى رمضان سنة ٣٦١ هجرية ، ولم تبدأ الدراسة به الا بعد ذلك بأربع سنوات ٠٠

وكان مطلع الدراسة بالأزهر فى أواخر عهد المعز لدين الله فقد جلس قاضى القضاة أبو الحسن على بن النعمان فى شهر صفر سنة ٣٦٥ هجرية بهذا الجامع ، وقرأ مختصر أبيه فى فقه آل البيت ، وهو المسمى بكتاب « الاختصار » فى جمع حافل وأثبت أسماء الحاضرين فكانت هذه أول حلقة للدراسة بالأزهر ، وبدأ الأزهر بذلك صفحة جديدة فى نشر العلم والمعرفة والهدى ، وامتد تاريخه العريق الى ألف وواحد وثلاثين عاما ٠٠ تاريخ ملء بالدين والحياة ٠٠ حافل بالعلم والعلماء ؟

**محمد نعيم**

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

---

## ● حول الدين والدولة

### تاليف : د . نجيب الكيلانى

هـذا الـكتاب الـذى نشرته دار النفائس ببيروت ، يقع فى أقل من مائة صفحة من القطع المتوسـط ، والمؤلف أولا ، من كتـاب القصـة المعروفين فى العالم العربى ، وقد نال عن قصصه الاسلامية والتاريخية عدة جوائز أدبية ، لكنه فى قصصه ينهج منهجـا خاصـا فى مجال التاريخ الاسـلامى ، بعيـدا عن المجالات الرخيصة الاستهلاكية .

وللحق وحده ، فان هذا الكتيب ـ على صـغر حجمه ـ يحملك على أن تمنحه ـ وأنت تقرأه ـ كل مشاعرك وكل أحاسـيسك ، فماذا يريد أن يقول هذا الكتاب ؟ يقول الناشر :

« منذ فترة ليست قصيرة ، يعيش مفكرو الاسلام عالة على أفكار الأقدمين ، يختصرونهـا ويشرحونهـا ويعلقـون عليهـا ، حتى يخيـل الى بعـض من لا يفهمون الاسلام ، أنه عاجز عن مسايرة التقدم الحضارى الحديث ، أما فى هذا الكتاب ، فالمؤلف يطرح أفكارا جديدة فى مواضع تهم جميع المسلمين : يبحث فى الدين والدولة ، والفن الاسـلامى ، وأزمة المثقفين ، والحرية ، والأزهر ، من زاوية دينية قويمة تتفق والشريعة ، وتسـاير تطور المدنية فى العصر الحديث .. »

أما المؤلف فيقول : « هناك قضايا كثيرة تفرض نفسها بقوة .. أعنى تفرضها متطلبات حياتنا العصرية ، ومعاركنا الشرسة ، مع أعداء تسلحوا بكل أنواع الأنانية والحقد والطمع .. ان كل واحدة من هـذه القضـايا تحتاج الى أكثر من كتاب .. » .

والقضـايا التى تناولتهـا هـذه الدراسـة المركزة ، هى : الـدين والدولة ، الفن الاسـلامى ، الانتماء والالتزام ، أزمة المثقفين ، الأزهر ، ثم الحرية .

فى « قضية الدين والدولة » أشار المؤلف الى الظروف التى ساعدت على ظهور هذه الفرية الغريبة عن الاسلام ومبادئه ، يقصد فرية « فصل الدين عن الدولة » ومن هذه الظروف :

ـ التـأثر بالصراع الرهيب الذى ساد أوربا بين الكنيسة ومنازعيهـا على السلطة .

ـ الحقد الصليبي القديم ، لقيام الاسلام وانتشاره في فترة قصيرة من الزمن ، وتصديه لأكبر امبراطوريتين في العالم آنذاك ٠٠ وامتداده وانطلاقه ٠٠ أوغر صدر الكنيسة ، فلما فشلت الحروب الصليبية لجأ الماكرون الى الحروب الصليبية الفكرية لايهام السذج من المسلمين بأن الاسلام معوق لنمو الحضارة ٠٠

ـ عدم اهتمام بعض علماء المسلمين بمشاكل المسلمين الاجتماعية والاقتصادية ٠

ـ ما أصيب به بعض المذاهب الاسلامية السياسية فى التاريخ الاسلامي ، من الشطط والمغالاة مما جر المسلمين الى بعض المعارك ٠٠

وفى القضية الثالثة : « الانتماء والالتزام » ناقش المؤلف مذهبا جديدا هو « اللامنتمي » ذلك الذى تشبث به الضائعون والتائهون للانفتاق عن كل مسئوليات العقائد ، والانفلات من كل القيم ٠ وقد يكون لهذه البدعة ما يبررها فى أوربا ، لكن فى ديار المسلمين ٠٠ لا ٠٠ فالشخصية المسلمة « منتمية » بكل ما تحمل هذه اللفظة من معنى ، ملتزمة بما احتواه فكرها وضميرها من عقائد وتصورات ٠ وهى شخصية لا تنكر الصراع الداخلي ، لكنها تنجو دائما من التمزق والتحلل ، والشخصية المسلمة ، مرتبطة بتراثها العريق ، لا ارتباط وثنية أو تقديس، ولكنه ارتباط عقيدي صادق ، يجعل من هذا التراث قوة وفكرا وحضارة ٠٠

وفى الفصل الخامس ، عرض المؤلف للأزهر الشريف ، وأود أن أؤكد هنا، أن البعض من الكتاب يشتهى الغمز واللمز فى الأزهر ، لمجرد الشهوة أو لأهواء فى النفس ، والمؤلف ليس كاتبا اسلاميا وحسب ، بل صاحب فكرة اسلامية ، وذا غيرة على الأزهر ، لأن المسلم المخلص لدينه وعقيدته ، يرجو للأزهر أن يظل المعقل الاسلامى الحصين ، الذى تنعقد عليه آمال المسلمين جميعا ، انه يريد للأزهر أن يؤدى دوره ـ وهو جدير به ـ أمام الضغوط الهائلة ، والتهم الباطلة التى وجهت ـ ولا تزال توجه فى خبث ودهاء ، نحو الدين وفكره ورجاله ٠

وبعد ـ فالحقيقة أن هذه الدراسة الموجزة المركزة تحتاج الى بسط أكثر ، ربما لايسمح به هذا الحيز الضيق المحدود ، وان كان لا بد من التعقيب على هذا البحث ، فأرى أن المؤلف قد ترك بعض الجوانب فى الموضوع كان لا بد من اثارتها كما أثار جانب « الانتماء والالتزام » مثلا أقصد ببعض هذه الجوانب ، الجوانب الفكرية التى تحتك اليوم بالفكر الاسلامى ، وفى مقدمتها الوجودية مثلا ٠٠ هذه الوجودية التى أصبحت تسيطر كثيرا على شبابنا الذى يريد أن يعيش حياته غير ملتزم بضوابط دينية أو أخلاقية أو اجتماعية يريد أن يعيش حرا ، ومفهوم الحرية عنده الاباحية والانطلاق بلا مسئوليات ، كذلك « النظرية الاقتصادية » كنت

أود أن يوفيها المؤلف حقها من الدراسة كما أن الفصل الأخير من الكتاب « الحرية » جاء مجرد عرض لأزمة الحرية فى البلاد الاسلامية ، وليس مقارنة بين مفهوم الحرية وتطبيقاتها فى الاسلام ، والمذاهب السياسية الأخرى ، المعاصر منها وغير المعاصر ٠

وكلمة أخيرة : أتمنى أن يقرأ شبابنا المسلم المثقف المعرض عن الفكر الاسلامى ، هذه الصفحات المعدودات فى كتاب ، ليس جديرا بالقراءة وحسب ، بل بالتدبر والاستيعاب ٠

**● فن ادارة المعركة فى الحروب الاسلامية :**

**تاليف : الأستاذ محمد فرج**

هذا الكتاب الذى نشر ضمن « سلسلة البحوث الاسلامية » التى يصدرها تباعا مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف ، يقع فى زهاء مائتى صفحة من القطع المتوسط ، والمؤلف من المعروفين بدراساتهم فى العسكرية الاسلامية ، وقد قدم للمكتبة العربية أكثر من ثلاثين دراسة على جانب من الأهمية ، فهو بالاضافة الى تخرجه فى الكلية الحربية ، حاصل على دبلوم فى الدراسات العليا فى التاريخ من المعهد العالى للدراسات العربية ، التابع لجامعة الدول العربية ٠

وقد قسم المؤلف هذه الدراسة التى بين أيدينا الى أربعة أبواب هى بمثابة الأسس التى يعتمد عليها فن ادارة المعركة فى الحروب الاسلامية ، وهذه الأبواب هى : التنظيم ، وتقدير الموقف ، ويقصد به دراسة ظروف المعركة قبل خوضها ، والخطة ، وهى المنهاج الذى يخوض الجيش عليه المعركة ، ثم مبادىء الحرب : وأهمها الحشد ، وادخار القوى ، والمباغتة والهجوم ، وخفة الحركة ، وسلامة القوات ، والتعاون ثم المطاردة ، ويشير المؤلف الى أن القيادات العسكرية الاسلامية قد تنبهت لمبادىء الحرب قبل أن تعرفها القيادات العسكرية الحديثة ، ووضعتها موضع التنفيذ فى جميع معاركها بمهارة فائقة ٠٠ كما يشير المؤلف فى مقدمته الى أن الحرب أساسا تعتمد على مبادىء ثلاثة : النظرية ، والاعداد ، والتطبيق ، والحروب الاسلامية شأنها شأن أية حروب أخرى ، قامت على هذه المبادىء الثلاثة ، وكان للاسلام فى هذا المجال قصب السبق ، بل لقد طور الاسلام نظرية الحرب ، وهذب فكرتها ، وسما بأسبابها ، طورها من الكم الى الكيف ، فبعد أن كانت القيادات تعتمد فى معاركها على العدد وكمية السلاح ، جاء الاسلام فجعل المعركة تعتمد أساسا على الكيف ، أى على المقدرة الفردية وامكانية المقاتل وقدرته ٠

لقد استطاع المؤلف أن يجد تطبيقات لأصول فن ادارة المعركة ، فى المعارك الاسلامية التى خاضها الأسلاف ، واهتم بتحليل الظروف والأحداث التى عايشت تلك المعارك كذلك اهتم بايراد الآراء العسكرية الحديثة ، مقارنة بأفكار العسكرية

الاســلامية ، وكم كنـا نود أن تمتـد المقارنة النظرية الى المقارنة العمليـة ، أقصـد المقارنة بين حروب الاسـلام والحـروب الحديثـة ، لافى مجـال الفنون العسكرية وحسب ، بل فى مجال الأخلاق أيضا ..

ولا جدال بعد ذلك فى أن هـذه الدراسة الطيبة التي قدمها الأسـتاذ محمد فرج ، هى دراسـة قيمة نحن احوج ما نكون اليها فى وقتنا هـذا والأمة العربية تخوض أعنف المعـارك مع عدو لا يعرف القيم الأخلاقية فى حربه ، ويحرص كل الحـرص عـلى تجاهلها ..

● **نحو تقنين الفقه الاسلامى :**

فى العدد الأخير من مجلة « ادارة قضايا الحكومة » كتب الأسـتاذ عبد الحليم الجندى رئيس ادارة قضـايا الحكومة السابق . بحثا مستفيضـا تحت عنـوان « نحـو تقنـين جديد للمعامـلات والعقـوبات من الفقـه الاسـلامى » ويقـع فى مائة وثمانين صفحة من القطع الكبير ، قسمه الى ثلاثة أبواب : حرية الفكر والاجتهـاد فى الفقه ، ومن الفقـه الاسـلامى الى التقنين العصرى ، ثم التقنين العصرى.

وقدأشار الأستاذ فىمقدمة دراسته الى أن هذه الدراسة محاولة عمليـة للوفاءبالمسئولية التى ألقاها الدستور المصرىودستور دولة اتحادالجمهوريات العربية على الدولة والأمة بالنص على أن الشريعة الاسـلامية مصدر رئيسى للتشريع ، كما أشار فى الخاتمة الى الشعور اليوم بأن الظروف مواتية ، والقطوف دانية وآيةذلك هذه الوثبات الموفقة لتطبيق الشريعة فى الجمهورية العربية الليبية فقد شرع فيها حتى الآن حدان : هما حد السرقة ، وحد الخمر ، وقانونان ماليان : هما قانون الزكاة ، ومنع الربا بين الأفراد ..

الحق أن هذا العمل الذى قام به السيد المستشار الأستاذ عبد الحليم الجندى . هو عمل مثمر جاد ، نرجو أن يكون تحت سـمع وبصر مجمـع البحوث الاسلامية الذى بدأ منذ زمن أولى المحاولات فى تقنين أحد فروع المعاملات على مذهب الامام ابن حنبل، وكنا نود أن يـكون العمل متواصلا ومشتركا بين علماء الشريعة الاسلامية وعلماء القانون .. ان الأمة الاسلامية التى تعـود اليـوم الى الجادة تحت ضغط الكوارث ـ كما يقول السـيد المستشار ـ تدرك أن خصـوم اليوم أشد الخصوم لددا . وأن علينا أن نقابلهم بمنهج صحيح ، وعقل مفتوح وأن نكون فى مستوى آمال أمتنا .

● **قراءات :**

« اعلم أن جميع الولايات في مقصودها أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ، فان الله سبحانه ، انما خلق الخلق لذلك، وانزل الكتاب وأرسل الرسل ، وعليه جاهد الرسول والمؤمنون ، وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لافي الدنيا ولافي الآخرة الا بالاجتماع والتعاون على جلب منافعهم والتناصر لدفع مضارهم ولهذا يقال : الانسان مدني بالطبع . والناس جميعا لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة ، وعاقبة العدل كريمة ، ولهذا روى أن الله ينصر الدولة العادلة وان كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة » .

« من كتاب الحسبة لابن تيمية »

**محمد عبد الله السمان**

---

# باب الفتوى

للأستاذ محمد أبو شادى

من السيد/منسى محمد محمود .

يريد الزواج من فتاة هو لم يرضع من أمها وهى لم ترضع من أمه ولكن له اخوة رضعوا من أمها فهل يجوز ذلك ؟

## الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين أما بعد : فنفيد بأنه حيث لم يرضع هذا الشاب من أم الفتاة وهى لم ترضع من أمه ولم يجتمعا على ثدى واحد فيجوز له أن يتزوجها ولا يغير من هذا الحكم كون أخوته قد رضعوا من أمها فالتحريم قاصر عليهم فقط والله تعالى أعلم .

من السيد / عبد الحميد محمد عبد المعطى .

بعد طباعة المصحف الشريف تبين أن هناك بعض علامات التشكيل والنقط لم تظهر فى الطبعة .

فهل يجوز تصحيح هذه الملاحظات ووضعها مكانها بطريقة ضغط الحرف مكانه بحبر المطبعة على نفس النسخ التى تم طبعها حتى تصبح الطبعة فى الصورة المطلوبة والصحيحة ؟

## الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين أما بعد : فنفيد بأن استكمال الشكل الناقص جائز ولا شىء فيه والله تعالى أعلم .

من السيد/على أحمد عبد الله

هل يجوز الزام ابن الأخت بالنفقة على خالته ، مع الاحاطة بأن لها بنتا موسرة وأخا وأختا شقيقين ؟

## الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين أما بعد : فنفيد بأن نفقة هذه المرأة تكون على بنتها حيث كانت موسرة .

ولا يجوز الزام ابن الأخت بالنفقة ، الا اذا ثبت اعسار البنت والأخ والأخت والله تعالى أعلم .

**من السيدة/أمينة سيد أحمد زغلول .**

كنت قد تزوجت من الدكتور البير باسيلى حنا منذ ١١ عاما تقريبا وذلك بعد اعتناقه الدين الاسلامى وسمى نفسه بعد الاسلام محمدسعيد باسيلى ، وأنجبت منه ابنا سمى علاء الدين .

وبعد خمس سنوات قام الزوج بالعودة الى الدين المسيحى ، وأعلن ذلك أمام الناس ، وقام بتغيير اسم ابنه من علاء الدين محمد سعيد باسيلى الى علاء الدين البير باسيلى ، وقام كذلك بالزواج من سيدة مسيحية ، طبقا للطقوس المسيحية التى تمت بالكنيسة القبطية ، وطلقت منه بهذا السبب وهو ردته عن الاسلام .

والآن استصدر هذا الشخص أمرا من النيابة العامة بتمكينه من دخول شقتى التى أقيم بها مع ابنى منه بحجة أنه كان يحضر باستمرار لرؤية هذا الابن . والمرجو بيان حكم الشريعة الاسلامية فى هذا الموضوع من جوانبه الآتية :

هل لهذا الشخص ولاية على ابنه المسلم ؟

هل يملك هذا الشخص حق رؤية هذا الابن ؟

**الجواب**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن كل من كان مسلما ورجع عن دين الاسلام فانه يكون مرتدا والمرتد لا ولاية له على أولاده المسلمين ، وتكون ولاية الصغير المسلم للقاضى ومن ينيبه القاضى حتى يبلغ هذا الصبى .

وليس للوالد المرتد حق فى رؤية ابنه المسلم ، ولا أن يمكن من رؤيته لعدم الولاية وخشية أن يؤثر عليه فى دينه والله تعالى أعلم .

**من المواطن السيد/محيى الدين موافى أحمد حنفى .**

**تزوجت من سيدة المانية مسيحية الديانة وأنجبت منها بنتا تسمى منى عمرها الآن سبع سنوات ولخلاف مع زوجتى طلقتها ، ولما كانت ابنتى معها وأريد ضمها الى ـ لذلك أرجو بيان حكم الشرع فى موضوع حضانتها ؟**

**الجواب**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

بانه طبقا للمذهب الحنفى المعمول به فى المحاكم المصرية ، فان حضانة هذه البنت تنتهى فى سن السابعة من عمرها ، وان كانت دون السابعة فتكون حضانتها لأمها الا اذا خيف عليها أن تتأثر بدين أمها المسيحية ، وهى مسلمة الديانة تبعا لوالدها

المسلم ، من أن تسقيها خمرا أو تغذيها بلحم الخنزير فانه ينتزعها منها فى هذه الأحوال والله تعالى أعلم .

**من المواطن/محمد زكريا جيجة .**

رجل استأجر مسكنا لمدة وقبل انتهاء مدة الايجار دعته الحاجة الى السفر فأحل زميلا له مكانه فى المسكن . فهل هذا مشروع ؟

**الجواب**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

بأن للمستأجر أن يستوفى المنفعة فى المسكن بنفسه أو بغيره ممن هو مثله فى العمل والسكن .

والله تعالى أعلم

# أنباء و آراء

للاستاذ على الخطيب

---

باسم الله ، وعلى بركة الله ، انطلق جيش مصر وسوريا طلبا للكرامة التى ارادها الله للبشر ٠

وطلبا للحق المشروع فى الحرية ٠

واستردادا لأجزاء غالية من وطن الأمة العربية ، بل الأمة الاسلامية التى كانت ـ باتصافها بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتقدير الانسانية ـ خير أمة أخرجت للناس ٠

باسم الحق وعلى طريق الحق انطلقت قوانا لتبنى للحق حصنا ، وترفع عنه غبنا ، فتقدمت جيوشنا لتحرير سيناء والجولان وغيرهما من اراضينا الطاهرة المقدسة التى لم يعرف تاريخها فى أى عصوره أنها عاونت على عنصرية أو ساعدت على تفرقة بين بنى البشر ، حتى بين هؤلاء الذئاب اليهودية ، فهم لم يتمتعوا بفترة استقرار وسلام الا بين احضان الحكم الاسلامى فى تاريخه كله ٠

ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ٠

لقد صدر تصريح من ( حكومة اسرائيل ) يوم الجمعة التاسع من رمضان ١٧٩٣ الموافق الخامس من أكتوبر ١٩٧٣ تقول فيه :

ان اسرائيل لن تتنازل عن شبر من الأراضى المحتلة وما هى الا ساعات حتى تهاوت جنودها جاثية أو مستسلمة أو فارة بينما العالم يسمع تصريحا رسميا من فرنسا بأن أوربا لا تثق فى الأنباء التى تذيعها الحكومة الاسرائيلية ٠

اللهم تمم لنا النصر

ليعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ٠

**● رئيس جمهورية جابون يعلن اسلامه :**

أشهر الرئيس البرت برنارد بونجو رئيس جمهورية جابون ـ احدى دول غرب أفريقيا ـ اسلامه ، فى اجتماع عام عقد فى ليبرفيل ٠

حضر الاجتماع وفد عربى برئاسة الشيخ محمود صبحى أمين عام جمعية الدعوة الاسلامية فى ليبيا ٠

كذلك حضره وفد عربى آخر من المملكة السعودية ٠

قال الرئيس بونجو ، عن سبب اعتناقه الاسلام :

ان اسلامى تم عن اقتناع وايمان بالدين الذى يعز الانسان ولا يفرق بين البشر ، ويحترم الانسانية ٠

**● الدول توالى قطع علاقاتها بالحكومة الاسرائيلية :**

قرر الرئيس موبوتو رئيس جمهورية زائيرى قطع علاقاته السياسية مع الاسرائيليين تعتبر زائيرى ثامن دولة افريقية تتخذ هذا القرار • ارتحلت عن زائيرى البعثة العسكرية الاسرائلية كما ارتحل عنها موظفو السفارة •

تبعت زائيرى نيجيريا ثم راواندا وداهومى من حكومات افريقيا •

**● تطبيق الشريعة الاسلامية على مرتكبى جريمة الزنا فى ليبيا :**

قرر مجلس الثورة الليبى تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية على مرتكبى جريمة الزنا •

يعتبر هذا القرار استجابة لرغبة الشعب الليبى ، وتأكيدا للمادة السادسة من دستور اتحاد الجمهوريات العربية •

**● اللغة العربية والأمم المتحدة :**

قررت لجنة التوجيه التابعة للجمعية العامة ـ وتضم خمساوعشرين دولة ـ ادراج مسألة جعل اللغة العربية لغة رسمية فى أعمال الجمعية ولجانها فى جدول أعمال الدورة الحالية •

تم ذلك اجابة للطلب الذى تقدمت به تسع عشرة دولة عربية الى الأمين العام للأمم المتحدة (كورت فالدهايم) أوصت اللجنة بأن تناقش لجنة الميزانية هذه المسألة لأن اضافة اللغة العربية الى اللغات الخمس الرسمية فى الأمم المتحدة سيؤدى الى ميزانية خاصة بها تضاف الى النفقات •

**● اثنتا عشرة تذكرة حج هدية من الرئيس السادات الى مسلمى نيجيريا :**

أهدى الرئيس محمد أنور السادات اثنتى عشرة تذكرة حج الى مسلمى نيجيريا •

يقوم السيد محمود رفعت قنصل مصر فى مكادونا بتسليمها الى أصحاب الشأن •

صحب هدية الرئيس ألف كتاب اسلامى ومصحف شريف •

**● دعوة شيخ الأزهر لزيارة دولة الامارات العربية :**

تلقى فضيلة الامام الأكبر دكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر دعوة لزيارة دولة امارات الخليج لافتتاح الموسم الثقافى الاسلامى •

يبدأ الموسم فى منتصف شوال ١٣٩٣ هـ

**● المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية :**

تقرر ـ بصفة مبدئية ـ عقد المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة فى بداية ديسمبر القادم •

رشح للدعوة الى المؤتمر خمس وأربعون دولة بين آسيا وافريقيا وأوربا •

وتبلغ الشخصيات المدعوة الى المؤتمر نحو سبعين شخصية اسلامية من العلماء •

من بين الدول المرشحة بلجيكا • وللمسلمين فيها جالية كبيرة •

يلقى علماء المسلمين ـ فى هذا المؤتمر ـ بحوثا فقهية واجتماعية وتربوية •

ويحتفل خلال انعقاد المؤتمر بوضع حجر الأساس لمبنى المجمع بمدينة نصر •

يقام المجمع فى مساحة عشرة أفدنة ويتكلف نحو مليونى جنيه •

**● مشروع احياء التراث الاسلامى :**

وجه الامام الأكبر شيخ الأزهر دكتور متولى يوسف شلبى مشرفا على مشروع احياء التراث الاسلامى الذى تنظمه مشيخة الأزهر مع امارة أبى ظبى •

**● الجامعة العربية وطلاب المناطق المحتلة :**

تعد الجامعة العربية لاقامة مؤتمر بدمشق يبحث وسائل تدريس البرامج التعليمية الموجهة لتعليم الطلاب فى المناطق المحتلة •

**● مجلة « الفكر الاسلامى » :**

تصدر فى بيروت مجلة « الفكر الاسلامى » عن دار الفتوى ويرأس تحريرها فضيلة الشيخ عبد الله العلايلى ، ويرعاها سماحة مفتى لبنان الشيخ حسن خالد •

تستعين المجلة بأصحاب الرأى الناضج والقلم المسلم وكبار المفكرين والمثقفين فى العالم العربى • لدعم الفكرة الاسلامية ورد ما يثار ضد الاسلام افتراء وزورا •

ومجلة الأزهر ترجو للزميلة نجاح المسعى الكريم فى خدمة الاسلام والمسلمين ؟

**على الخطيب**

# بيـــان
## من مجمع البحوث الاسلامية
## الى الأمة العربية والاسلاميةومحبى السـلام فى العـالم

قـرر مجمع البحوث الاســلامية توجيه البيان التالى الى الأمة العربية والاسلامية ومحبى السلام فى العالم لدعم معركة الجهاد المقدس والدعوة الى الجهاد واعلان مقاطعة اسرائيـل والوقوف صفا واحدا وراء المجاهدين فى سبيل الله ٠

وفيما يلى نص البيان :

فى تمام الساعة الحادية عشرة من صـباح يوم الخميس ١٥ رمضـان سنة ١٣٩٣ هـ الموافق ١١ أكتوبر سنة ١٩٧٣ م ٠ اجتمع مجلس مجمع البحوث الاسـلامية بالأزهر الشريف وبحث فيما ينبغى اتخاذه منإجراءات بشأن المعركة ٠ وقرر من بين ما قرر فى هذا الصدد اصدار البيان التالى :

فى الصراع الدائر اليوم على أرضنا العربية وحول مقدساتنا الاسـلامية تواجـه الأمة العربيـة والاسـلامية عدوانا جديدا على أرضها ومقدساتها من قوى الصهيونية والاسـتعمار ٠ وهذا العـدوان ليس الا واحـدا من سـلسلة الاعتـداءات المـكررة التى دابت اسرائيل على ارتكابها من حين لآخر ضد العرب مسلمين ونصارى ، انتهاكا لحرمات أراضيهم واسـتباحة لمقدسـاتهم وتنـكرا لمبادىء الأديان السماوية والقوانين الدولية والمبادىء الأخلاقية التى تميزت بهـا انسانية الانسان ولم يكن ذلك فى استطاعة اسرائيل أو فى حيز امكانيـاتها لولا مساندة بعض الدول لهـا وامدادها بمختلف الامكانات كالمـال والعتـاد والتأييد السياسى والمعنـوى فى كل محفل دولى أو مؤسسة اعلامية ٠

وكان من الحق المشروع والواجب المقدس أن تهب جيوش الأمة العربية لدفع هـذا العـدوان ورد الاعتـداء بأسلوب القوة العادلة ووسائل الردع المشروعة ٠ وكان من الحق المقـرر والواجب المقدس كذلك أن تقوم الأمة العربية والاسـلامية بواجب الدفاع عن نفسها وحمـاية مقدساتهـا التى تطمع اسرائيل فى السيطرة عليها وأن تعمل بجد لاينقطع وهمة لاتفتر وعزم لا يلـين على تطهـير أرض العـروبة والاسلام ، من هذه الفئة التى لاتكف ساعة عن تهديد الأمن وتعكير صـفو السلام العالمى وبذر أسباب الفتنة بين الشعوب وتقويض علاقاتها الانسانية وصـلاتها الودية القـائمة على الحب والتعاون المثمر لخير البشرية ٠

لذلك كانت الرسالة التى تضطلع بها جيوش الأمة العربية فى معركتها مع الكيان الصهيونى رسالة انسانية عالميـة وكان نجاح هذه الجيوش فى

رسالتها المقدسة التى تقوم بها انما هو نجاح لشعوب العالم وأممه واسهام ايجابى فعال فى تحقيق أمنه وسلامه وفى تأكيد تقدمه وازدهاره ٠

ان قضية فلسطين ومأساتها ليست قضية العرب وحدهم ولا المسلمين وحدهم وانما هى قضية كل محب للسلام ، قضية النصرانى والمسلم ، قضية العربى وغير العربى ، قضية الشرقى والغربى ، قضية كل انسان يعتز بانسانيته وكل شعب يحافظ على تراثه وحضارته وكل ذى دين يحترم مقدسات دينه ٠ هى قضية الشرفاء من البشر والأحرار من الشعوب والمتعاقب من الأجيال والأمم ٠

ومن هنا تنشأ الواجبات وتحدد المسئوليات مسئولية شعب مصر والشعوب العربية جميعها ومسئولية الشعوب الاسلامية ومسئولية شعوب الأرض قاطبة ٠

أما مسئولية شعب مصر فهى أن يظل صامدا وراء جيشه وقيادته وأن يظل باذلا من التضحيات أغلى ما يملك وأن يأخذ حذره من عدوه وأن يجد بعزم واصرار على تنظيم صفوفه وحفظ أسراره ودعم اصراره ٠ انه عندئذ يكون درعا لقواته المسلحة وسندا قويا لامدادها بكل وسائل الدعم المعنوى والمادى ٠

فليقم كل بواجبه وليؤد كل فرد ما تفرضه عليه ظروف المعركة من خدمات ومعونات وتضحيات وأمانات ٠

أما واجب الأمة الاسلامية فهى أن تقف صفا واحدا وبناء شامخا متماسكا ـ من المجاهدين فى سبيل الله ٠ العرب وجيوشهم التى هى جيوش الحق والدين ـ وأن تعمل على مساندتهم بكل ما يمكن من مال أو عتاد أو رجال أو جهد سياسى أو أدبى أو مقاطعة لكل أنواع التعامل مع العدو المشترك ٠

بقى واجب شعوب العالم بصفة عامة ومسئولياتها أمام الله وأمام شعوبها وأمام ضمائرها وهى أن تساند العرب والمسلمين فى قضيتهم العادلة مساندة ايجابية على المستوى العالمى وفى المنظمات الدولية بالكلمة ، بالرأى بالسياسة بالدعم الاقتصادى ، بمقاطعة اسرائيل حتى يشعر هذا الجسم الغريب فى محيط الانسانية بعواقب سياسته ومغبة جريمته عله يكف عن عدوانه أو ينتهى عن عصيانه فيترك الأرض لأصحابها ويرد الأوطان لأربابها ويحترم الأديان ومقدساتها ٠

واذا ما واجه كل فرد وكل شعب بالمجتمع الانسانى كله مسئولياتهم أمام الله وأمام قضية فلسطين وحق أهلها وأمام الحق والعدل والواجب ـ لا يمكن أن تستمر اسرائيل فى عدوانها وستنتهى لا محالة عن غيها وطغيانها فيقوم العدل ويعم الأمن وينعم الجميع بنعمة السلام ٠

أما أنتم ياجنودنا البواسل ويا كتائب التحرير فى ميدان الشرف والمجد فقد وعدكم المولى عزوجل بشرف الجهاد فى سبيل الله وانكم أيها المقاتلون البواسل بما ضربتم من أروع الأمثال وبما سجلتم من أخلد البطولات وبما بذلتم وتبذلون من أغلى التضحيات قد وضعتم أقدام الأمة العربية على طريق النصر المؤزر والفتح المبين . وأن تأييد الله لكم فى زحفكم وتثبيته لأقدامكم انما هو مدد من فضله وعون من فيضه ونفحة من توفيقه . فيد الله فوق أيديكم ، يبارك خطاكم ويسدد مرماكم وينجح مسعاكم لأنكم أولياؤه وجنده فلا بد من دعم جهودكم وتقوية حشودكم وتحقيق مقصدكم ذلك وعده الحق وقوله الصدق : « الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا » .

---

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

**على سلطان على**

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٣

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٥٢٢٠-١٩٧٣-٦٠٠٠

from every expedition remained behind, they could devote themselves to studies in religion and admonish the people when they return to them that thus they (may learn) to guard themselves (against evil) (Surat A Tuwba 122).

Islam also cared much for the Moral education of the youth. because the physical and scientific aspects do not yield their good fruits without the sound Moral education.

The Quran aboundsin verses on Morals and virtues which the Moslems must adhere to. Introduces to its followers many serene Commandments and, graet pieces of advice which would lead to the propagation of virtue and the weeding out of vice. Listen to the Quran introducting to its followers this glorious example of the moral Education uttered by the wise Luqman.

These glorious verses portray the highest, the Amost glowing, and the purest types of Moral Education.

They order the Moslem at any time and in any place to worship Allah alone and to be good to his parents and to observe his creator in secret and in public, to observe the prayers, to ordain the good and excommunicate the evil., to devote himself to the virtue of tolerance to avoid, and conceit as Allah likes the Modest and dislikes the conceited.

Respectable Masters

This is a synopsis of the way, Islam cares for physical, Mental and Moral Education of the youth.

If the youth have the strong body, the intelligent mind, the good morals, they will have great effect on this world which is full of oppression, adultery, and corruption.

In the name of the religion and virtue we call upon you to be, in any place you go to, the heralds of the right and the good. We are in an age in which the people are in dire need of following the glorious Islamic principles, its high morals and good directions.

If the heralds of evil, tyranny, aggression. stick fiercely and persistently by to their evil and aggression. It is better for us, we the heralds, of the right justice and good, to stick to these gloriious meanings with force and persistence so that the word of Allah would be the highest and the word of the disbelievers would be the lowest. (to be continued).

they. For those who believe and do righteous deeds, are Gardens as hospitable Homes, for their good deeds. As to those who are Rebelious and wicked, their abode will be fine; every time they wish to get away there from they will be forced thereinto, Respectable Masters and it will be said to them. "Taste ye the penalty of the fire, which ye were wont to reject as false". (Surat El Sajda 18 : 20)

Islam cared much for the physical education of the Youths. It ordered them to strengthen their bodies by practising sports such as racing, shooting, swimming and the other types of sports which strengthen the body and give it health and ritality.

Our Prophet, Peace be upon him, is the practical example, Mosleme Ibn El Akwa, May Allah bless him said, The Prophet peace be upon him, passed once by some people from Beni Moslama, competing in archery. He said to them Shoot Beni Ismail your father was a good archer. Shoot while I am with Beni foulan. One of the teams ceased. The Prophet asked them, "why dont you shoot". They replied : How could we shoot while you are with them ? He said to them : Shoot and I am with you all. Of the wise sayings of Sayedna Omar Ibn El Kattab, "Teach your children archery and swimming and order them to jump over the horses".

Islam also cared for the mental and Scientific education of the Youth, because Islam, by its nature, is a religion that obliges its followers to be educated and never to be ignorant.

As a satisfactory evidence for that we can open the Quran and see that the first : sura revealed to the Prophet, Peace be upon him, was, Allah's words. Proclaim ! (or read) in the name of Thy Lord and cherisher, who created — created man out of a (mere) Clot of Congealed blood : Proclaim ! and Thy Lord is most bountiful, — He who taught (the use of) the pen.

These holy verses constitute the first call that glorifies the pen and praises the value of Education and wages a campaign upon ignorance and the ignorant. It makes the Prime quality of the virtuous person his faith in the right revealed by Mohammed, Peace be upon Him and to read and learn.

Islam has put those who serve their nation through their learning on par with these who serve it by defending it with their hearts and souls. Listen to Al Quran calling its followers to emigrate East and West in pursuit of the useful knowledge and to diffuse it all over the world. Al Quran says : Nor should the believers all go forth together : It a contingent

# THE CARE OF ISLAM FOR BRINGING UP THE YOUTH

**A paper submitted to the Muslim youth conference, Tripoli, Libya, July 1973**

Praise be to God. Prayers and Peace be on our prophet Mohamed The Master of the Mujahedeens and the Imam of the pious and on his Kins, companions and followers and the callers for his message till the day of judgement.

The youth of every nation are the nerves of its life the essence of its existence, its strongest elements and the vanguard the defenders of its glory and dignity.

Of the stories that the Quran relates, is the one of the Cave Companions. The praises them for their faith, and purity of souls, adherence to the right and emigration from the land of heresy to the land of faith. He describes them as youth, in the prime of, their age, who believe deeply in Allah and so Allah has increased their guidance. Allah says "We narrate unto thee their story in truth. They were young men who believed in their Lord and We increased them in guidance" (18 : 13).

When we read the history of the Islamic Call which our master, Peace be upon him, has brought to us, we see that most of those who believed in it, backed its idea and defended it with their wealth and souls, were youths like Ali Ibn Abi Taleb, Mosab Ibn Umir Asama Ibn Zeid and other youths of the Islamic Call.

Islam gave its greatest care for teaching its followers, especially the youth, high morals, good qualities and good habits, the best of manners and honourable attributes. The nation whose individuals are brought up on the love of virtue and hatred of sins, on dignity and good temperament, will rise up high. Its affairs will improve, its conditions will get better and so peace and security will spread among its sons and it will achieve the progress and happiness it is aspiring for.

Al Quraan in many of its verses tells us that the prosperity of the individuals, nations and groups can never be achieved by chance, but prosperity, honour and dignity are realised for those whoe seek the realization.

Allah is true when He says :

Is then the man who believes no better than the man who is Rebellious and wicked ? Not equal are

It is on the basis of this commandment, that the Prophet and his successors in Islam have concealed to evry non-Muslim community, from among the subjects of the Islamic State, a judicial autonomy, not only for personal status, but also for all the affairs of life : civil, penal and others. In the time of the Orthodox Caliphs, for instance, we find evidence of contemporary Christians (for text cf. infra § 497) attesting to the fact that the Muslim government had delegated, in favour of Christian priests, many temporal judicial poewrs. In the time of the 'Abbasid caliphs, we find the Christian patriarch and the Jewish hakham, among the highest dignitaries of the State, connected directly with the Caliph.

In the time of the Prophet, the Jews of Madinah had their Bait al-Midras (both a sinagouge and educational institute). In the treaty with Christians of Najran (yaman), the Prophet gave a guarantee not only for the security of the person and property of the inhabitants, but had also expressly left the nomination of bishops and priests to the Christian community itself.

(to be continued)

## SOCIAL AUTONOMY

Perhaps the most characteristic feature of Islam, in its attitude regarding the non-Muslims, is the award of social and judicial autonomy. In a long passage of the Quran, we read :

"If then they have recourse unto thee (O Muhammad), judge between them or disclaim jurisdiction; if thou disclaimest jurisdiction, then they cannot harm thee at all ; but if thou judgest, judge between them with equity; lo ! God loveth the equitable. How can they come unto thee for judggement when they have the Torah, wherein is contained the judgement of God ? yet even after that they turn away; such folk are not believers. Lo ! We did reveal the Torah, wherein is guidance and a light, by which the prophets who surrendered (unto God) judged the Jews, and the rabbis and the priests judged by such of God's Scripture as they were bidden to observe, and thereunto they were wintnesses ; so fear not, mankind, but fear Me, and barter not My revealations for a little gain ; whoso judgeth not by that which God hath revealed ; such are disbelievers.

And We perscribed for them therein : The life for the life, and the eye for the eye, and the nose for the nose, and the ear for the ear, and the tooth for the tooth, and for wounds retaliation; but whoso forgoeth it (by way of charity) it shall be expiation for him; whoso judgeth not by that which God hath revealed ; such are wrong-doers. And we caused Jesus, son of Mary, to follow in their foot steps, confirming that which was revealed before him, and We bestowed on him the Gospel wherein is guidance and a light, confirming that which was revealed before it in the Torah — a guidance and an admonition unto those who are God-fearing. Let the people of the Gospel judge by that which God hath rvealed therein ; whoso judgeth not by that which God hath revealed : such are evil-livers. And unto Thee (O Muhammad) have We revealed the Scripture with the truth, confirming whatver Scripture was before it, and a watcher over it ; so judge between them by that which God hath revealed, and follow not their desires away from the truth which hath come unto thee; for each We have appointed a Divine law (shir'ah) and a traced-out way; had God willed He could have made you one community, but He may try you by that which HE hath given you (He hath made you as ye are) ; so vie one with the other in good works; unto God ye will all return, and He will then inform you of that wherein ye differ." (Q. 5/42-8).

practice of later times, a study of history could profitably be pursued. We shall refer to a few facts here :

### LATER PRACTICE

A governor of the caliph 'Umar selected a non-Muslim secretary. Learning the news, the caliph issued an order to have him replaced by a Muslim. This refers to a time when the province in question had not yet been pacified, and a war was still in progress. This is understandable in view of the importance of the post and the natural mistrust of the inhabitants of the newly conquered country. In order to better comprehend the attitude of 'Umar, let us recall another incident of this same great caliph (reported by al-Baladhuri, Ansab) : One day he wrote to his governor of Syria : Send us a Greek, who could put in order the accounts of our revenues." He put a Christian at the head of this administration, in Madinah.

The same caliph often consulted non-Muslims on military, economical and administrative questions.

One would not reproach Muslims for preserving the post of the Imam (the leader of the prayer-service in the mosque) exclusively for their co-religionists. Islam has desired the co-ordination of all aspects of life, spiritual as well as temporal. Hence, the fact that the leading of the prayer-service in the mosque is duty and privilege of the head of the State who is also head of the religion. If one takes into consideration this state of things, one will understand easily why a non-Muslim subject cannot be elected head of a Muslim State.

But this exception does on no account imply the exclusion of non-Muslim subjects from the political and administrative life of the country. Ever since the time of the caliphs, non-Muslims have been seen holding the rank of ministers in Muslim State. A parallel practice has not been witnessed in the more important secular democracies of the world, where Muslim subjects are not wanting. That this practice of the caliphs is not contrary to the teaching of Islam, is borne witness to by classical authors; and Shaf'ite jurists (Like al-Mawardi) and Hanbalite ones (like Abu Ya'la al-Farra') have not hesitated to support the view that the caliph may lawfully nominate non-Muslim subjects as ministers and members of Executive Councils. We have already spoken of a non-Muslim ambassador sent by the Prophet himself, to Abyssinia.

or again, (cf), Suyuti, Husn al-Muhadarah, ch. Khalij Amir al-Mu'minin), when a non-Muslim Egyptian laid before the Muslim government the project of re-digging the ancient canal from Fustat (Cairo) down to the Red Sea, thus, facilitating the maritime transport of the food stuffs of Egypt to Madinah — the famous Nahr Amir al-Muominin — caliph 'Umar rewarded him by exempting him from jizyah during his whole life. There are jurists who opine that one should also take into consideration the international repercussions affecting Muslim interests, in view of the fact that Islam has penetrated the entire world, and there are millions of Muslims inhabiting countries which are under non-Muslim domination; and the Jizyah if levied from Christians, Jews, Hindus and others in the Islamic territory would inevitably produce a reaction on Muslims in Christian and other countries.

There is another saying of the Prophet, pronounced on his death bed; directing the transfer of the Jewish and Christian populations of the Hijaz to other regions, its context has not been mentioned in traditions, but it is evident that it concerned certain populations of this region on account of their political behaviour, and that it was not a general prohibition against the members of these two communities. It may be noted that, in the time of the caliphs there were non-Muslim slaves, male and female, belonging to Muslims and living along with their masters, at Mecca, Madinah, etc. A celebrated case of free non-Muslims is that of the Christian doctor, whose consultation rooms were just below the minaret of the mosque of the Kaobah (Mecca). He lived there in the time of 'Umar ibn 'abd al-'Aziz or soon after him (cf. Ibn Sa'ad, V. 365 Dawud ibn 'Abdur Rahman. In fact Dawud was a pious Muslim, yet his physician father remained always a Christian). Ibn Sa'ad (III/i, p. 258) also records the case of a Christian, Jufainah, who taught reading and writing to school children at Madinah.

We may also recall the direction of the Prophet, on his death-bed : "Observe scrupulously the protection accorded by me to non-Muslim subjects (cf. al-Mawardi). Another saying of the Prophet reported by Abu Dawud is : "Whoever oppresses the non-Muslim subjects, shall find me to be their advocate on the day of the Resurrection (against the oppressing Muslims)."

The directions as well as the practice of the Prophet constitute the highest law for Muslims. As to the assimilation of these laws in the life of Muslims and the

years, mutual confidence was most complete, as the following incidents would show.

In the year 2 H. the pagans of Mecca sent a diplomatic mission to Abyssinia, in order to demand of the Negus the "extradition" of Meccan Muslims who had taken refuge in his country. To counteract their machinations, the Prophet also sent, in his turn, an ambassador for interceding with the Negus in favour of the Muslims who had sought asylum in his country due to religious persecution by their co-citizens. This ambassador of Islam was "amr ibn Umaiyah ad-Damri," who had not yet embraced Islam." In fact, he belonged to one of the allied tribes of the neighbourhood of Madinah just referred to.

At a time when there were constant wars on extensive frontiers of the Islamic territory, military service was very far from being an easy means of earning livelihood ; for the risks to life and to the economic situation of the combatants were very real. Even if the exemption of the non-Muslims subjects from this service was motivated by suspicions in regard to their trustworthiness, all non-Muslims who had accepted domination and did not seek its overthrow in collusion with foreigners welcomed this exemption from military service. They could thus pursue in tranquility their avocations and prosper while the Muslims would be engaged in military duties with all the attendant risks. So, the non-Muslims paid a little supplementry tax, the jizyah — of which the women, children and the poor from among them were exempt — which was neither heavy nor unjust. In the time of the Prophet, the jizyah amounted to ten dirhams annually, which represented the expenses of an average family for ten days. Moreover, if a non-Muslim subject participated in military service during some expedition in a year, he was exempted from the jizyah for the year in question. Some typical cases would show the real character of this tax.

In the beginning of Islam, this tax did not exist in the Muslim State, either in Madinah or elsewhere. It was towards the year 9H. that the Quran ordained it. That it was a question of expediency, and not a matter of dogmatic duty in Islam, is sufficidents. It is reported (by Ibn Sa'd on the authority of Zuhri) that at the moment of the death of his son, Ibrahim, the Prophet Muhammad declared : "Had he survived, I would have exempted all the Copts from the jizyah, as a mark of esteem for Ibrahim's mother (who was a Coptic girl)

to his place of safety ..." The Victims of racial, religious, political and other persecutions have always found refuge and shelter in the land of Islam.

**PRACTICE OF THE PROPHET**

When the Prophet Muhammad settled down in Madinah, he found there complete anarchy, the region having never known before either a State or a king to unite the tribes torn by internecine feuds. In just a few weeks, he succeeded in rallying all the inhabitants of the region, into order. He constitued a City-State, in which Muslims, Jews, pagan Arabs, and probably also a small number of Christians, all entered into a statal organism by means of a social contract.

The constitutional law of this first "Muslim" State — which was a confederacy as a sequence of the multipicity of the population groups — has come down to us in toto, and we read therein not only the clause 25 : "To Muslims their religion, and to Jews their religion," or : that there would be benevolence and justice," but even the unexpected passage in the same clause 25 : "The Jews ... are a community (in alliance) with — according to Ibn Hisham and in the version of Abu-"Ubaid, a community (forming part) of — the believers (i.e. Muslims)".

The very fact that, at the time of the constitution of this City-State, the autonomous Jewish villages acceded of their free will to the confederal State, and recognized Muhammad as their supreme political head, implies in our opinion that the non-Muslim subjects possessed the right of vote in the election of the head of the Muslim State, at least in as far as the political life of the country was concerned.

Military defence was, according to the document in question, the duty of all elements of the population, including the Jews. This implies their participation in the consultation, and in the execution of the plans adopted. In fact, 37 laid down : "The Jews would bear their expenses and the Muslims theirs, and there will be mutual succour between them in case an agressor attacks the parties to this Document." Further, § 45 says that war and peace will be undivisible for the parties to the Document.

Some months after the establishment of this City-State, we see hte Prophet Muhammad concluding treaties of defensive alliance and mutual aid with the pagan Arabs of the neighbourhood of Madinah. Some of these embraced Islam about ten years afterwards. During all these long

and (2) but little inequality between the two categories regarding the affairs of this world. We shall try to throw some light on this last aspect of the question.

*Divine Origin Of Duties :*

One should not forget the great practical importance attached to the fact, that Muslims obey their system of law as something of Divine origin, and not merely the will of the majority of the leaders of the country. In this later case, the minority enters on a struggle so that its own conceptions may prevail. In the democracies of our time, not only do the majorities often change from election to election, but are also constituted or disintegrated by all sorts of communication and combinations, and the party in power tries to upset the policy pursued by its predecessors, causing, among other changes, the modification of laws. Without entering here into the question of the adaptability of Islamic laws to the exingencies of social evolution, one might deem it as an incontestable truth that there is greater stability in the Muslim law — due to its Divine origin — than in any other secular legislation of the world with the following result.

The Islamic law ordains justice to, and observance of certain rules regarding the non-Muslims. These therefore feel no apprehension in the face of political quarrels and parlimentary elections of the country of their residence, with regard to the Islamic laws in force. The ruler or the parliment cannot modify them.

**BASIC NOTIONS**

The believers and the unbelievers cannot be equals ; the former will go to Paradise, and the latter to Hell, but all this concerns the Hereafter. As to the life in this world ,Muslim jurists like ad-Dabusi and others have at all times revealed the greatest equality compatible with their sysem between the "relatives" and the "strangers", as we shall presently see.

There is the question of religious tolerance. The Quran (2/256) prescribes that there should be no compulsion in religion. The residing subjects as well as the temporary sojourners have an assurance regarding their safety and the liberty of their conscience.

There is the question of hospitality and asylum, regarding which theoretical position is strengthened by the practice of more than a thousand years. There is the well-known verse of the Quran (9/6) : "And if anyone of the pagans seeketh thy asylum (O Muhammad), then give him asylum ... and afterwards convey him

# STATUS OF NON-MUSLIMS IN ISLAM

*By*

Dr. Muhammad Hamidullah

It is but natural that one should make a distinction, and even a discrimination, between the near and the distant, between the relative and the stranger. With intellectual and moral evolution, there is a tendency in human society to facilitate the assimilation of the foreigner. If society were to group itself solely on the basis of blood relationship, naturalization would be out of question for ever. The same is true if the basis were the colour of skin, which cannot be concealed. Language as a factor of social unity requires long years for a veritable assimilation. Place of birth is even less perceptible in a stranger ; and ever since man has crossed the horizon of city-states, not much importance is attached to this last factor. However, one would remark that in all these various conceptions of social unity, the basis is a mere accident of nature, and belongs more to the animal instinct than to the rationality of man. It is common knowledge that Islam has rejected all these notions of nationality, and selected only the identity of ideas — a thing which depends upon the choice of man and not upon the accidents and hazards of birth — as the basic tie of society and the factor of union. Naturalization and assimiliation in such a society is not only easy and accessible to all human races in their entirety, but is also closer to reason and more practical, showing how to live one's life in peace and tranquility.

If a believer in God or a capitalist is considered as a stranger in communist countries, a black-skinned in such white countries as practise social segregation, or a non-Italian, in Italy, it should not be surprising if a non-Muslim should be considered as a stranger in the land of Islam. Conceptions or rather angles of view, differ, yet everybody makes some distinction or other between those who belong to his own group and those who do not.

As in every other political or social system, Islam also makes a distinction between its "relatives" and "strangers", but there are two characteristics peculiar to it : (1) the facility to cross this barier, by subscribing to its ideology,

The human connection alows the innate human characteristics to grow and thrive in their souls by giving comfort, friendship, kindness, mercy and mutuality and this is the meaning which is expressed in the following Quranic verse : " ...... that ye might find rest in them, and He ordained between you love and mercy, ...... "

If the function of man on this earth is to bring children, one of his most important functions, as well, is to invent the virtues of kindness, good relations, getting acquainted with others, altruism, condolence and cooperation ...... Without these virtues, man will be a dormant energy without any mission, and these virtues are the only means to make society worthy of any reverence or respect.

These objects are not to be realized, in a way acceptable by nature and society, unless marriage is consumated in the manner decreed for us by God. Because marriage is the joining together of qualities with qualities, the basis of the acceptance for the man who offers to engage a woman should be character and religion.

It will be mere complications and idolatry contrary to rules and actual facts to let aside the appreciation of religion and character and care for other things such as richness, class, position, nationality, colour ...... etc. He is a man and that is all. His share of humanity will indicate whether he is capable for the woman he is engaging. Islam laid down the basis of this human preference, as the Quran said :

ان اكرمكم عند الله اتقاكم .

*It means* : "Lo ! the noblest of you, in the sight of Allah, is the best in conduct." (49—13).

Therefore, a man who has good conduct, high education and profound religious ' feeling and respectful personality, will be capable for the best woman in any class, nation or colour. In this high standard of thought, the prophet says, "If a person with acceptable religion and character comes to you, let him be married. If you do not do so, there will be great disturbance, and affliction on earth."

In this way the Islamic marriage system removes effectively all barriers that divide a brother from brother, or family from family on the basis of descent, inheritence, wealth, and social or political position, and builds up a society on the basis of equality and fraternity among individuals and groups.

in love and joy and mutual cooperation which, under certain circumstances and the presence of children, becomes strengthened by more kindness, altruism and tenderness. A further significance is that when spouses agree on this deep auto-suggestion and kind feelings, they reduce their selfishness and consequently increase the circle of their kind feelings to embrace others *i.e.* their children : they exchange kind feelings in a manner previously unknown because the kindness of man was solely limited to himself. This is a wide step that cures his selfishness and strengthens his moral existence in the field of social capabilities.

Another significance of the marriage system is that when man strives in his economical horizon and distributes his earnings among his children or others, he has started to serve others instead of serving himself alone as he used to do in the past, and he now gives preference to others instead of keeping everything for himself, only. This is a remarkable development in forming his social personality. The real significance of marriage is that a man be connected with a woman, in both their physical and human characteristics. The physical connection results in children and in the continuous existence of the human kind.

The Objects of Marriage

If man knows that marriage is an eternal law and that he himself was adapted to this law, he will get a clear idea about himself and find the way to good and happiness. Marriage was made for childbirth and for comfort and an agreement on something that produces kindness, mercy and good feelings and relations. It is clear that the best wives are those who have the spiritual characteristics which make them abler than others to fulfill the sensual and moral aims of marriage in the best manner.

Therefore, the efforts of a wise person should be directed towards looking for noble qualities, beautiful thoughts and good character which represents noble humanity. But there are people who ignore the value of life and look at it as a fortune to be obtained and lavishness which satisfies the senses of the body. Such a person, therefore, makes wealth an essential condition in the girl he engages.

This is a deviation from the nature of things and using marriage for a purpose other than the one for which it was legislated. The prophet, therefore, says "Do not marry women for their wealth, lest their wealth makes them tyrannical."

features, we shall clearly realise that nature did not intend by these original distinctions to satisfy the sexual pleasure of the two spouses but it actually aimed at a sort of "multiplication" to maintain the existence of the human kind in line with the purpose and aim of Allah by His creation. Sexual pleasure was never the purpose for which these distinctions were made, but it was made, to force man to fulfill the aim of nature in maintaining the existence of the human-kind.

No doubt that human beings, especially women, suffer in performing this duty, immense pains, troubles, weakness and sickness that are apt to turn him or her away from it or even make them shrink thereform.

Man is selfish by nature. This selfishness will, at least, make him avoid pains. If he is, therefore, let alone in connection with his duty to preserve mankind he will never care for it, and if he tried it once; such an experience would turn him and others from it. Divine wisdom has, therefore, planted in him sufficient lust to stir his imagination and enkindle his desire and spur him to attain it in the well-known beastly manner to fulfill God's decision to maintain mankind. Hence, the Holy Quran stated that the aim of sexual appetite is not to obtain one's lust, but childbirth, where it says :

فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم
( البقرة ١٨٧ ) .

*It means :*

"So hold intercourse with them and seek that which Allah hath ordained for you." (2 : 187)

Interpreters say that this means that we should aim at child birth. The preservation of mankind is nature's intention from the creation of the male and female. If man limited his aims to the mere obtainment of pleasure he would deviate from nature's rule ... and man will not be in order unless he follows the rules of his original nature and existence.

A Cure To Selfishness

One of the significant sides of marriage is that man describes ... for himself a "private area" to satisfy his sexual desires in such a way as not to transgress upon the areas of others. In this way he cures his selfishnes by himself and trains himself to remain within certain limits paying full regard to the rights of others. By this, he, no doubt, takes successful steps towards his social capabilities.

By marriage both spouses agree on a deep auto-suggestion basis to live together and exchange desires

remain ineffective and the eternal yearning for the positive to meet the negative and vice versa will continue to exist.

The Holy Quran says :

.. ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون . ( الذاريات : ٤٩ )

*It means* : "And all things We have created by pairs, that happily ye may reflect" (51 : 49).

This means that "marriage" is an original necessity for all beings in this world, but we do not mean by this what psychologists call sexual instinct or parenthood "instinct". What we mean is a far deeper secret more closely connected with the laws of the universe because the logic displayed in this holy verse covers everything created by God : plants, animals, human beings, ...... and other things unknown to us : the Holy Quran says :

سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون يسن ٣٦ ) .

*It means :*

"Glory be to Him who created all the sexual pairs, of that which the earth groweth, and of themselves, and of that which they know not." (36 : 36).

Individual and Society

Man is a social animal, or he is civilized by nature as people say; he has the selfishness and individualism of animals, and has, from the civil point of view, the tendency to gather together, settle down and cooperate to develop and improve. In him, animal nature contradicts human nature; his repulsive nature contradicts the nature of living in a society.

This makes his life complicated and his history full of breaches of social systems and deviations from their requirements. The efforts to reconcile these two contradictory tendencies formed important parts of the missions of reformers and prophets to realize coherence between individual and society. Undoubtedly, the most successful effort made by man in this respect is the attemp which led to the formation of the family system in the way known to ancient and modern civilized societies because it led us to the natural position in which our authentic nature prospers and produces good fruits for the individual and the society.

Islam is the only heavenly and legislated law which originally instituted "marriage" between individual beings. This basic institution leads us to meditate carefully when we look into "marriage" as a necessity for every individual and for society.

When we consider the organic formations which indicate the distinction between the feminine and masculine body, and look into the function of the womb in the woman and other distinctive

৳MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

| SHAWWAL 1393 | ENGLISH SECTION | NOVEMBER 1973 |
|---|---|---|

# TOWARDS AN IDEAL SOCIETY

*By*

DR. MOHIADDIN ALWAYE

Islam aims at building up a society in which there is no class conflict or discrimination, but it retains such of the classes and groups as was needed for harmonious development of the social organism. These classes and groups are the limbs of the same body functioning systematically for the healthy development of the body as a whole. The most important factor which develops an ideal society is organized family life. Islam contributed much towards a healthy and sound family by prescribing an ideal marriage system, because it leads to build up a sound family. A society built up of such families, undoubtedly, will be an ideal society.

## The Concept of Marriage

The marriage system is not restricted to human beings, animals and plants, but is a vast and accurate universal law which established itself in individual beings and divided every being into two parts endowing each part with an unknown power different from that in the other part, similar to the negative and the positive currents in electricity. The unknown power in the positive current is different from that in the negative current, and the natural law will not produce its effect unless both powers meet together joining both negative and positive currents in the well-known method. If both powers do not meet together the law will



مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء التاسع — السنة الخامسة والأربعون — ذو القعدة سنة ١٣٩٣ هـ — وديسمبر سنة ١٩٧٣ م


بسم الله الرحمن الرحيم

# سنقولها دائماً ...


للأستاذ عبد الرحيم فوده


الله أكبر ..

انها كلمة ... ولكن الوجود كله يعتبر تفسيرا لها وتعبيرا عنها ، بل هو دون ما تدل عليه أو تشير اليه ، لأنه بكل ما فيه وما تقع عليه الحواس منه ، وما نبصر وما لا نبصر فيه ليس الا أثرا لبعض ما تدل عليه أسماء الله الحسنى من قدرة ورحمـة ، وعلم وحكمة ، وعزة ، وجلال ، وسلطان وملكوت ، كما يفهم من قوله تعالى: « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » .

الله أكبر ..

انها الكلمة التى ينطلق بها صوت المؤذنين حين ينفلق الظلام عن جبين الصبح ، وحين تستوى الشمس فى كبد السماء ساعة الظهر ، وحين تميل للغروب وقت حلول العصر ، وحين تغيب فى الأفق غارقة فى الشـفق ،

وحين يذوب الشفق فى ظلام المساء.. ليذكر المسلمون بها واجبهم نحو الخالق الرازق .. القادر القاهر ، ويصلون له حين يصبحون وحين يمسون ، وفيما بين هذين الحينين ، كما يقول الله : « وأقم الصلاةطرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين» وكما يفهم من قوله تعالى :«فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون » . وكما يقول جل شأنه : «ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون » .

الله أكبر ..

انها الكلمة التى يفتتح بها المصلون كل صلاة ، ويقولونها مع الركوع والسجود ليترجموا بها عن شعورهم بقدرة الله التى لا تعجز ، وقوته التى لا تضعف ، ورحمته التى لا تضيق ، وغناه عن كل ما سواه ، ثم لينتظموا بها مع حركة الوجود فى السجود له والاسلام اليه ، كما يفهم من قوله تعالى : « ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال » وقوله جل شأنه : «أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرهاواليه يرجعون » .

الله أكبر ..

انها الكلمة التى يذكرها المؤمن فتصغر فى عينه الدنيا ، وتهون أمامه الخطوب ، وتلين لعزمه الصعاب ، اذ يجد فيها ما يعينه على اقتحام الأهوال واحتمال الشدائد ، فلا يعبأ بما يصيبه ، ولايأبه لما يلقاه ، لايمانه الراسخ بقول الله : «ماأصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير» وايمانه الصادق بأن الموت والحياة بيد الله ، كما يفهم من قوله تعالى : « وماكان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابامؤجلا » ثم لثقته المطلقة بأن الشهداء كما يقول الله : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة

من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين • الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم • الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » •

الله أكبر ••

انها الكلمة التى امتلأ قلب محمد صلى الله عليه وسلم ايمانا بها ، وهو يرى الدنيا كلها تتحزب ضده• وتتألب عليه ، فلم يساوره شعور بالضعف أو الخوف ، وقال لعمه • وهو يطلب الرفق به وبقومه : (والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أوأهلك فيه ماتركته) وقال لصاحبه أبى بكر وهما ريان فى الغار جموع أعدائهما تحدق بهما ، وتكادتطبق عليهما : (ياأبا بكرماظنك باثنين الله ثالثهما ) • ثم كانمايحكيه القرآن اذيقول الله فيه: « الاتنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمةالذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » •

الله أكبر ••

انها الكلمة التى انبعثت من قلب جيش مصر يوم العاشر من رمضان فاهتزت لها أعماق الدنيا ، وتجاوبت بها آفاق السماء ، وكانت قوته الخارقة وهو يهجم كالصاعقة على خط « بارليف » فيستولى عليه بما فيه ويقضى على من فيه ، ثم يمضى كالعواصف الناسفة والرعود القاصفة ليصب النار والدمار على أعدائه وأعداء دينه ، « وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب » ولم تمض الا أيام قلائل حتى انكشف للعالم أمرهم ، وارتفع ستار الغرور عنهم ، وظهر لهم ولمن كانوا يغرونهم بالعدوان ، ويمدونهم فى الغى ، أنهم كانوا حالمين واهمين• حين اغتروا بما حسبوه قوة ، ونسوا قول الله فيهم : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله

وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

الله أكبر ..

انها الكلمة التى يخفق لها قلب المؤمن . وينطق بها لسانه ، فيتلاشى عنده الشعور بالزهو . والغرور بالنصر ، ويبقى معها الاعتزاز بالله . والاعتصام بحبله . والثقة المطلقة فى عدله وفضله ، والعزم المصمم على امتثال أمره والجهاد فى سبيله ، فان ذلك من الايمان بالمثابة العظمى التى نلمحها فى قوله تعالى : « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » .

انها الكلمة التى سنقولها دائما ، وتخفق بها قلوبنا ، وتقوى بهاعزائمنا ونفرض بها وجودنا على الوجود من جديد ، وصدق الله اذ يقول :«وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

**عبد الرحيم فودة**

---

## معنى التقوى

انها فى اللغة جعل النفس فى وقاية . وفى الشرع:امتثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه . وفى ذلك وقاية من شقاء الدنيا وعذاب الآخرة ، وقد قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وقال : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقو الله واعلموا أن الله مع المتقين »ومن ذلك يفهم أن معنى التقوى ليس من السلبيات أو الغيبيات أو التفكير اللاعقلى كما نشرت الأهرام لكاتب يعيش بعقله ووجدانه بعيدا عن هذه البيئة الوضيئة . ويزعم أن أهلها يعيشون فى غربة فكرية .. ولا يشعر أنه الغريب الكئيب .

ومن أضاع تراثا من أبوته . لم يستفد من سواهم قدر ما فقدا

**« فودة »**

# نحن والعدو الذى نقاتله

للأستاذ أحمد موسى سالم

لا ريب فى ان ليلة العاشر من رمضان الماضى ـ ٦ أكتوبر ١٩٧٣ كانت من ليالى القدر لهذه الأمة ، حيث كان لزاما على جميع الأقلام العربية منذ نشب فيها القتال الى أجله ضد العدو الاسرائيلى أن تخرج من جهادها الأصغر الى جهادها الأكبر مرتفعة بفكرها ورسالتها الى واجب القتال المباشر لهذا العدو الشديد البغى فوق جميع الميادين التى يكون فيها القلم هو السلاح الأول •

واذا كانت عجلة المطبعة فى مجلة الأزهر قد سبقتنى على الأحداث فنشرت لى فى عددى رمضان وشوال مقالين فى سلسلة الحلقات النقدية لكتاب «الحركات السرية فى الاسلام» فان عزائى هو أن هذا الموضوع النقدى لم يكن فى الدفاع عن حقائق التاريخ الاسلامى بعيدا تماما عن غبار المعارك مع العدو الصهيونى ، بل كان فى صميمه بلغة الفكر فرعا على تلك الحقائق التى تجلت وتجسدت وازدهرت أصولها فى معارك تلك الأيام المجيدة ، حيث كان واضحا تماما أن هذا الانتصار الأول الذى حققناه على العدو كان فى أعظم ركائزه مستندا الى ايماننا الراسخ والجارف ـ جيشا وشعبا ـ بهذا الاله القادر الواحد الأكبر ، الذى تتحد فى طاعتنا له ، واسلامنا اليه ، وجهادنا به بمقتضى هذا الايمان الذى يجمعنا فهما وعلما واتباعا على محكم القرآن ، وأسوة السنة ، فلا ننقسم فيهما كما انقسم اليهود الى فريسيين وصدوقين وكتبة ، أو كما انقسم الشعوبيون الى باطنية وقرامطة وكذبة ؟!

لقد جاءت الجولة الأولى من جولات انتصارنا على العدو الاسرائيلى تجديدا لحياة البرهان القديم العظيم وهو أن العرب

يستطيعون دائما تحت الشعار الأعلى للوحدانية الخالصة « الله أكبر » وفى حزام الوحدة القوية النقية التى يجمعهم بها الايمان متكافلين متواثقين أن يسيروا على الطريق الصحيح الى النصر ، وأن يسيروا عليه بالتحقيق حتى ينجز الله وعده باستخلافهم على أرضهم كما استخلف الذين من قبلهم من أسلافهم ، وحتى يمكن الله لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وحتى يبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، ومن بعد حاجتهم غنى ، ومن بعد فرقتهم وشتاتهم وحدة واجتماعا ونصرا ...

ولقد صدق الله اذ جعل فى القتال الذى هو كره لنا ، وعبء علينا ، خيرا لنا ، وسعة لحياتنا ، ونضرة لآمالنا . فالعدو الذى هدفه الظاهر والخفى أن يقتل العرب ، وأن يرث أرضهم ومواردهم ، وأن يزيل ركائز وجودهم من القرآن ، ومن الفرات الى النيل ، انما عمل دون أن يدرى على ايقاظ العرب من غفلتهم ، وعلى اخراجهم من شتاتهم ، وعلى دفعهم دفعا — فى بهرة الضوء المروع لقذائف العدوان والتدمير — الى اختصار مسافات التقدم بعد التخلف ، والتجمع بعد التشتت ، زحفا الى العدو وهرولة وركضا وراء شعلة الايمان ، ورؤية التاريخ ، وبصيرة المستقبل ، لملاقاته بكل سلاح ، وهزيمته على كل ساحة ، وسحق مخططاته عند نهاية كل طريق ، حتى لا تكون بالصهيونية فتنة فوق أرضنا ، ويكون الدين لله ، وتكون أرض العرب للعرب ، وحتى يستعيد التاريخ المكتوب والمروى سننه التى يحكمها الله باتجاه جهادنا ، وتجاوبا فى منعطف النصر الأعظم مع صدق ايماننا ، فتعود القدس — كما كانت دائما تعود — رغم اغارات الجبابرة وأوهام الطواغيت « عربية » سابغة الأمن ، مفتوحة الطرق بالوفاق والوحدة والايمان الى مكة والمدينة والى دمشق والقاهرة ، والى بغداد والرباط .

لقد جاءت هذه الحرب القليلة الأيام ، والبعيدة الآثار فأزاحت كثيرا من الحجب عن طبيعة العدو ، وأنزلت كثيرا من الأقنعة عن وجهه ، وأصبحنا نكاد نبصره بالعين وليس بالتخيل مثالا لسلفه المهين القديم

« أكـذوبة ناطقـة » و « مسخـا متطاولا » لا يصبر على قتال الا أن يخف له من اصطنعهم واصطنعوه ، ولا يقـدر على طلب المـوت لأنه كأسلافه من قتلة الأنبيـاء لا يعيش الا حياته الـدنيا بغير آخرة ، فلئن مات أو قتل بيد العرب فلماذا خرج اذن من تحت أطباق الجليد فى أوربا يفح فحيح الحيات ، ساعيا على بطنه وراء تلك الأمانى بأن يعيش بلاموت على الأرض العربية التى تفيض سمنا وعسلا، لا أن يموت صريعا دونهما ؟

**داود وجالوت :**

لقد جاءت هذه الحرب التى التحم فيها دوى التكبيرات مع دوى القذائف بواحدة من آيات الله رأينـا فيهـا العدو الاسرائيلى يتعرى حتى ماتحت حزامه عن واحدة من أكاذيبه الكبرى فى التاريخ التى زعم فيها أن الصراع الذى يدور فى هذا العصر بينه وبين العربى انما هو صورة تتجدد لصالحه مما حدث فى غياهب العصور القديمة بين داود وجالوت !

لقد أراد العدو أن يخدع العالم بهذه الصورة الدعائية التى انتزعها ولفقها من أساطير أسفاره ، كما أراد أن يخدع أيضا أجياله ويهود العالم ، وأن يحقن خيالهم دائما بهذا الرمز المثير عن أسطورة « داود وجالوت » التى أفرغها الأحبار فى سفر صموئيل من حقائق التاريخ لتكون جزءا من مادة الدعاية والتهويل والتخويف عن الشعب المختار الـدعى ، وليكون جالوت أو جوليات الفلسطينى الذى زعموا أن طوله ستة أذرع وشـبرا رمزا لانتصار اليهود ، قتلة الأنبياء ، وعبدة المـال ولصـوص الأرض ، ومثيرى الحـروب — وليس آيـة لانتصار داود نبى الله الذى عاش فى طاعـة الله والعمل بشريعتـه فى الطرف المضاد لليهود وليس رمـزا أو مثالا عنهم !

لقد أراد العـدو فى الصميم من هدفه الـدعائى بهذه القصـة التى أشاعها بكل وسائل اعلامه أن يخدع العرب عن نفسه ، وأن يخيفهم بقوته وأن يضـعهم بالتـأثير النفسى تحت سلطانه، بأن يزعم لهم أن النصر البعيد عنه مكفول له بمثل هذه الاسطورة التى يدعى انهـا تتكرر فى تاريخـه عن « داود وجالوت » وذلك حيث يجتهد بكل وسائله فى تزوير التاريخ والمـواقف فيضـع الارهابيـين واللصـوص والقتلـة من الذين تم

الافراج عنهم من سجون ومعتزلات اليهود فى أنحاء أوروبا « الجيتو » فى موضع النبى البار راعى الغنم فى أول أمره ، والملك العابد فيما بلغ من رضى الله عنه ، وهذه هى الجريمة التى فضحها ، وانتقم لها المقاتل العربى خلال تلك الأيام المجيدةالتى حارب فيها العدو الاسرائيلى بعيدا عن نصرة آلهته الذين خلقوه وسلحوه ودربوه وأنفقوا عليه فى البت الأبيض .

فلقد ظهر واضحا للمصريين والسوريين ، وللعرب جميعا ، ولكل العالم ، وللعدو الاسرائيلى ولقادته وحلفائه أنفسهم مدى ما بلغ اليه جوليات الاسرائيلى — بحسب ما تستقيم به الأحداث والوقائع — من مهانة عسكرية فى جميع ميادين القتال وأنواعه ، حيث تفحمت فى الأيام الأولى — قبل التدخل الامريكى — كل أسلحته ، وحيث سقطت خوذته الضخمة عن رأسه الفارغ فغاصت فى رمال سيناء تذكارا لهزيمته الكبرى ، وحيث تقاصرت قامته المتطاولة بالدعاية من ستة أذرع فى سفر صموئيل الى شبر واحد فأخذ فى ضوء الواقع ، وتحت شمس الصحراء الكاوية يولى الأدبار وقد تملكه الرعب ، أو يرفع الأيدى بالاستسلام صاغرا يطلب الأمان !

**مسلمة ومرحب :**

هكذا تغنى العدو الاسرائيلى طويلا بقصة « داود وجالوت » حتى جاءت معارك الأيام الأولى فنقضت أكذوبته على رأسه ، وأعادت الحقيقة الى مسارها الطبيعى ، وفهمنا — وربما جاء يوم قريب يفهم فيه العدو تحت وطأة الهزائم المتتابعة — أن داود فى مفهوم هذا الصراع الدائر — اذا كان لا بد من تحليله فى ضوء الصدام المثير الذى وقع بين داود الراعى البدائى وبين الملك جوليات المدجج بالسلاح — انما هو العربى المعاصر الذى يشترى الأسلحة من كل مكان ، ويتدرب عليها ، ثم يستعين بالله ويضرب بمقلاع القذائف التى يحصل عليها رأس العملاق جوليات الاسرائيلى المدجج بأثقال أسلحة أمريكا الحديثة فينكفىء على وجهه ، ويصرخ مضرجا بدمه فى الجولة الأولى من معركة طويلة .

لقد كشفت معارك الأيام الأولى بحق هذا القناع المسرحى عن وجه

العدو الحقيقى فرأيناه فى لحظات رعبه وضراعته على صورة رأيناها مرارا من قبل . انها صورة بارزة ومحفورة فى التاريخ المدون ، وفى ضمير وذاكرة البشر ، وفى بقايا المعلومات السرية التى لا يزال يحتفظ بها كهنة وقادة اليهود فى العالم . انها الصورة التى تتأكد دائما عند جميع نقط المواجهة والصدام التى تنعطف اليها أحداث التاريخ على أرضنا فيجد اليهود أنفسهم لسوء حظهم وجها لوجه معنا ، ووجها لوجه ـ كما هى سنن الله التى لا يعونها ـ مع انتصارنا المحقق ومع هزيمتهم حتى السجود والتسليم والموت .

ان هؤلاء الدعاة العصريين فى صفوف وقادة العدو من الذين جرى بهم الخيال بعيدا الى عصر داود وجالوت ، والى تزييف وقائع هذا العصر الحديث لصالح عدوانهم المتجدد على وصايا الله ، وعلى حقوق الانسان، لابد أنهم يذكرون قصصا وأخبارا ومشاهد حقيقية عن تقوض مملكة اسرائيل الخيالية التى أرادوا اقامتها فى شمالى الحجاز خلال بضعة قرون من الجهد البطىء المنظم ، والخطط التخريبية المرحلية من مراكز أنشأوها فى حصون المدينة وخيبر ووادى القرى وتيماء . انهم يذكرون مدى ما أنفقوه من الجهد ، ودبروه من الكيد لتفريق العرب فى الجزيرة من طريق تجارة الأسلحة والخمر والمغنيات والربا والدسائس، وانهم فعلوا ذلك من مراكز قوية ، وداخل قرى محصنة ، ومن وراء جدر كانت فى زمانها فى مثل مناعة جدار بارليف ، وان هذه المراكز بدورها كانت على أخطر النقط الاستراتيجية عند مفارق الطرق التى تتحكم فى طرق القوافل والجيوش بين الحجاز ونجد والشام والعراق .

ومع ذلك فماذا حدث ... ماذا حدث بعد أن مضت القرون ، وتفرق العرب بالحرب والخمر والشرك ، وطابت الثمرة ؟

هل استطاع يهود بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة أن يتحدوا ويغلبوا الأوس والخزرج على مدينتهم ؟

هل استطاع يهود المدينة الذين كانوا يملكون فيها أكثر منابع الماء ، وأراضى النخيل ، كما كانوا يجمعون داخل حصونهم المنيعة أكبر العتاد وكميات الأطعمة وكنوز الذهب — هل استطاع هؤلاء أن يتحدوا مع أمثالهم فى المعتقدات والأهداف العدوانية من يهود خيبر ووادى القرى وتيماء !؟

لقد كانوا على عادتهم على موعد مع الهزيمة ، ومع الشتات ، ومع تدمير الحصون والآطام ، وفقدان الأموال والأسلحة ، ومع العقاب الصارم والدائم بيد الله الذى وعد أن ينصر العرب عليهم كلما واجهوهم باسمه ، وأبطلوا كيدهم بحكمه ، بينما العرب كانوا كما يكونون أول الأمر — مثل داود الراعى — بغير مال كثير ، ولا سلاح وفير ، يقاتلونهم فى العراء ولا حصون لهم الا الايمان ، وظهور الخيل ، وحب الموت ، وصدق اللقاء ، ومرهفات السيوف !

ان الدعاة الكذبة من قادة العدو الاسرائيلى وساسته لا بد يذكرون فى معلوماتهم السرية وهم الذين كانوا يطالبون الملك عبد العزيز سعود بلسان روزفلت بما يزعمون أنه أرضهم فى المدينة وخيبر — انهم يذكرون فى الواقع وليس فى الخيال ما تناقلته الأخبار عبر قرون طويلة عن تلك المواجهات الحاسمة بين العرب واليهود ، فوق الأرض التى استخلف الله العرب عليها ، وطرد اليهود بأعمالهم منها — انهم يذكرون هذه المواقف الخالدة مثل الطبائع والصفات الوراثية حيث كان يظهر دائما فى صفوف المقاتلين العرب آلاف الأبرار الأبطال مثل داود الذين وهبهم الله بالايمان تلك الضربات النافذة ، والقدرات الخارقة ، والانجازات القتالية التى يتغير بها مسار الأحداث والتاريخ ، وحيث كان يظهر بالمقابل فى صفوف اليهود آلاف المدججين بالسلاح مثل جالوت من المزودين بالخديعة ، الذين يحاولون اختطاف النصر أو سرقته حتى اذا ما واجهوا الموت والحق والرجال خاروا خوار العجل الذى عبدوه ، وأذعنوا لمأساتهم الأبدية قتلا أوأسرا أو فرارا أو جلاء الى تيه جديد ، وكيد وليد .

لقد ظهر أمثال داود بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم على أبواب تلك

الحصـون التى اختزنت فى ظلامها وعفنها أمثال جالوت ومن هم أكثر سلاحا وخورا من جالوت . لقد كان معه أبرار المهاجرين وأعلام الأنصار الذين لولا صدق جهادهم عن الدين وبالدين ما قـام على الأرض ذلك المجتمـع البشرى الزاخر بالرحمـة والقوة والعلم والعدل الذى استقرت به وأضاءت وتجسدت الى أبد الدهر حقائق الايمان والشريعة فى دعـوة جميـع الرسل من لدن آدم ونوح وابراهيـم وحتى موسى وداود والمسيح .

لقد قاد محمد رسول الله أولئك الرجال الأبرار الذين لا يجتمع مثلهم قط على أرض بذاتها ، وزمان بعينه الى حصون اليهود وآطامهم فى المدينة، ثم تتبعهم الى خيبر ووادى القـرى وتيماء ، بعد أن أخرجت الأحـداث أضغانهم ، وبعد أن طالت سخريتهم بالمؤمنين العرب ، وبعد أن نقضـوا العهود ، وصعدوا الحروب السرية والمؤامرات تعجـلا لانجـاز حلمهم المزمن باقامة دولة عنصرية على أرض العـرب يسرقون أرضها منهـم ، ويسلطون قوتها عليهم .

ان هـذا التاريخ المجيد يجب أن نعيد كتابته فى ضوء حاجات الصراع المعاصر مع العدو الاسرائيلى،وبدافع الحاجة القصوى الى تصحيح الرؤية التاريخية الاسلامية والقومية للانسان العربى . فهناك فى كتب التراث أكثر من صورة زاهيـة يمكن أن تسلطها على اسـطورة اسرائيل عن « داود وجالوت » فتنسفها فى الجـو كما نسفتها أحداث المعارك بعد ١٠ من رمضان . ولسنا هنا بصدد التسجيل التاريخى ولكننا نقـدم مثالا واحدا عن داود العربى وجالوت الاسرائيلى من بعض وقائـع الحصار والهجوم الذى قام بـه جيش النبى صلى الله عليه وسلم لحصـون خيبر وأشهرها حصن نطاة والوطيح والسلالم وناعم وغيرها كثير . وهذا المثال عن موقف من المواقف الكثيرة التى تجلى فيها التحدى اليهودى المغرور كما تجلى فيها العقاب العربى الصاعق ، وهـو ما نقلته الأخبار الموثوقة عن صدام المبارزة ــ على طريقة «داود وجالوت» بين محمـد بن مسلمـة وبين مرحب اليهودى ، المقـاتل المدجج بالسـلاح والخوذة والدرع الذى خرج من أحد الحصـون التى ضاق عليها الحصار

رافعا سيفه ، وباسطا درعه ، وهو يرتجل أو ينشد شعرا يتغنى فيه بشجاعة مرحب « شاكى السلاح والبطل المجرب الذى يخشى صولته ويحجم عن لقائه المقاتلون الحكماء »!

فهذا هو بعينه نموذج الاسرائيلى المعاصر — مع فارق التكنولوجيا الدعائية الحديثة — كما تريد أن تصوره اسرائيل للعالم ، وتخيف به العرب . انه جالوت الاسرائيلى فى صورة من صوره الكثيرة ، وتحت اسم حقيقى هو البطل المجرب مرحب الخيبرى !

وهتف النبى صلى الله عليه وسلم بأصحابه قائلا — من لهذا ! ؟

فقال محمد بن مسلمة الأنصارى الأوسى على الفور سابقا لغيره — أنا له يا رسول الله . فأنا والله الموتور وصاحب الثأر فقد قتل أخى بالأمس .

والنتيجة التى يتغافل عنها اليهود دائما معروفة . فلقد قتل داود العربى البار محمد بن مسلمة مرحب اليهودى الخيبرى البطل المجرب ، والشاعر الفصيح من أول مصاولة ، وافتتح الحصن المنيع — كما انفتح جدار بارليف — بعد سقوط جالوت ابن مرحب الاسرائيلى فدخل العرب المؤمنون المسلمون اليه ، ودكوه على من فيه ، وعادت الأرض والأموال والطرق والأسلحة الى أهلها ، بينما كان النصر فى ركابهم ، وتحت رايات ايمانهم واسلامهم يقول لهم : مرحبا .. مرحبا !

احمد موسى سالم

# الوجود الصهيوني غير شرعي في فلسطين

للدكتور محمد بديع شريف

فلسطين هى الفقرة الوسطى من العمود الفقرى فى وطننا العربى من المحيط الى الخليج والوسط الذى يصل آسيا العربية بافريقية العربية وهى النقطة التى تصل الجزيرة العربية بالبحر الأبيض المتوسط والجسر القوى الذى عبرت عليه الدعوة الاسلامية .

هذه الفقرة اذا انكسرت من عمودنا الفقرى انكسر ظهر الوحدة العربية واختل ميزان القوى فى هذا الشرق العربى وأصبحت نقطة خطر يهدد كياننا الاقتصادى والاجتماعى .

فيها أولى القبلتين ومسرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » .

ما انفكت هذه الآية الكريمة تقرع آذان المسلمين وتنبههم على أهمية هذه البقعة المقدسة وتحرضهم على الاحتفاظ بها .

هذه البقعة جزء مهم من البلاد العربية استوطنها العرب الكنعانيون حوالى ٢٥٠٠ ق م وأنشأوا مع أشقائهم الفينيقيين حضارة زاهرة فى كنعان وفينيقية فى الفنون والآداب والشرائع وصناعة التعدين وسبك المعادن وصناعة الحلى والنسيج والحلل والمركبات الحربية وبناء القصور والآطام واستعملوا الخيل لجر العربات وضربوا فى البلاد بالملاحة والتجارة وأنشأوا الموانى فى البحر الأبيض المتوسط وخاصة على الساحل الأفريقى وكانوا

السـابقين فى استعمال الألف باء فى كتابة الرسائل والتوثيق وعنهم وصلت الى الاغريق ولا تزال تحتفظ باسمها العربى فى جميع اللغات ALPHA-bat

أما اليهود فان المؤرخين يكادون يجمعون على أن وجودهم فى هذه المنطقة يحيط به الغموض ولم يرد اسمهم بين أسماء الأمم التى كونت حضارات راسخة فى وادى الرافدين وعلى سواحل فينيقية وأرض كنعان اللهم الا ما ورد فى اللوحة الحجرية التى سجل عليها ملك مصر منفتاح فى ١٢٣٤ ــ ١٢٢٥ انتصاراته عليها والتى وجدت فى مدينة طيبة وفى نهاية النصوص نص انتصارات حققها ضد الشعوب ومن بينها شعب اسرائيل الذى يقطن فى ناحية جدباء لا أثر للنبات فيها فى ناحية من أرض كنعان .

ولم يذكر المؤرخون كيانا لهذه الفئة الا ما جاء فى كتب اليهود المقدسة ، وتذكر التوراة تأريخهم مفصلا وتصف كيانا متأرجحا بين القوة والضعف مهزوزا لم تتقبل وجوده الأمم المجاورة لهذه المنطقة وظلت تقاومه حتى أنهته الى الأبد .

لقد كان اليهود بسلوكهم هدفا لهجمات المصريين والآشوريين والكلدانيين ومن ثم الاغريق والرومان حتى عادت الى حضن العرب والاسلام .

ففى ٩٢٠ ق زحف ملك مصر على أورشليم وطرد هؤلاء المشاكسين وفى حوالى ( ٧٢٢ ــ ٧٢١ ق م ) صعد شلمتاحد وحاصر السامرة واستولى عليها وسبى الأسباط العشرة من قبيلة بنى اسرائيل ودفع بهم الى آشور وأسكنهم فى حلج وخابور ونهر جوزان ومدن مادى وأتى بقوم من بابل وحماة وغيرهما وأسكنهم فى مدن السامرة .

وهكذا تلاشت مملكة اسرائيل الى الأبد ( ملوك ٢ ــ ١٧ : ١٤،٥ ) ويقول المؤرخ فيليب حتى : قد أظهر الرحالة بنيامين من بلدة توديلا فى القرن الثانى عشر مقدارا كبيرا من الفهم التأريخى حين كتب أن الطائفة اليهودية فى جبال نيسابور فى شرق ايران ينحدر أفرادها من المسبيين الأصليين .

وقد بقى من اليهود سبطان هما سبط يهوذا وسبط بنيامين وقد

اتخذوا أورشليم مكانا لهم . باسم مملكة يهوذا .

وفى حوالى ٦٠٠ ق م أصبحت نهبا لغزوات الأمم حولها يغزوها الكلدانيون والآراميون والمؤابيون والعمونيون وتذكر التوراة أن « يهوه » أرسل هذه الأقوام على يهوذا ليبيدها .

وفى حوالى ( ٥٨٦ ق ) صعد بنوخذ نصر فأحرق الهيكل وبيت الملك وهدم أسوار المدينة وسبى أهلها وقاد الرؤساء والصناع والأقيان وملك اليهود ودفع بهم الى بابل وبذلك انتهت مملكة يهوذا الى الأبد ، ولم تقم لليهود قائمة بعد .

وعندما اختفت دولة بابل من ميدان السياسة فى الشرق الأوسط على يد الفرس حوالى ( ٥٣٩ ) ق م وجد ملك الفرس كورش أن فريقا من السبى اليهودى لا يزالون موجودين فى بابل فأراد أن يستفيد منهم ويستعين بهم على الكنعانيين فأصدر بيانا يخول من يريد الرجوع منهم ووعدهم أن يعيد لهم بناء الهيكل . وفى هذه الفترة أملى كهنة السبى التوراة على لسان عزرا وهى غير التوراة التى أنزلها الله على موسى . وقد منحهم الفرس صفة دينية تسمى « الكهانة » لادارة شئونهم .

ثم جاء الاغريق واكتسح الاسكندر امبراطورية الفرس واستقبل متاعب اليهود ففى ٣٣٣ انتهت امبراطورية فارس وابتدأ عهد الاغريق فتجاوب اليهود مع الاغريق بادىء الأمر وتبنوا عاداتهم وثقفوا لغتهم وتسموا بأسمائهم وكان انتيوخس القائد الاغريقى يريد أن يصهر ممتلكاته فى وحدة ثقافية لأنه يعتبر الهيلينية نقطة التقاء لجميع رعايا دولته ولما أراد أن يفرضها على اليهود وجدهم قد سبقوه اليها ومع قبول اليهود للهيلينية فقد حصل اختلاف بينهم وبين الرومان فى شأن الكهانة فأرسل القائد الرومانى أحد ضباطه الى أورشليم ( وهو رئيس محصلى الضرائب ) فهدم المعبد وسلب جميع ما فيه وقتل كثيرا من اليهود وهدم بيوتهم وسبى نساءهم وأطفالهم وأخذ جميع مواشيهم ومنع اليهود من احتفالاتهم يوم سبتهم وأقام

مذبحا للآله الاغريقى زيوس فوق الهيكل وقد ضعف شأن اليهود عن أية مقاومة • حتى جاء الرومان ففى حوالى ٦٤ ق م زحف القائد الرومانى يومى "Pompey" الى آسيا الصغرى وسوريا ودخل دمشق وفى ٣٧ ق م أصبحت أرض كنعان تحت حكم هيرود الكبير •

وفى عام ٧٠ م تقدم تيتوس الى أورشليم فحاصرها وهدم الهيكل وأحرقه وحمل جميع ما فيه وحمله الى الامبراطور ويقول مؤرخو اليهود ان هذا الحادث يعد مصيبة كبرى لا تشبهه مصيبة وقعت عليهم الا مصيبة السبى عام ٥٨٦ ق م •

وفى عهد هادريان خرج عليه رجل يهودى يدعى « بركوبا » ومعناه بالآرامية ابن الكوكب ١٣٢ ــ ١٣٥م مدعيا أنه المسيح المنتظر فى الاعتقاد اليهودى فخرج اليه هدريان فقضى عليه ولفشله سماه اليهود «بركوزيبا» أى ابن الكذب ثم هدم هدريان ما بقى من مدينة أورشليم وسواها بالأرض وبنى مكانها مدينة جديدة سماها « ايليا كابتولوينا » وهى التى تعرف عند العرب «ايلياء» • وأبدل المعبد القديم واسكن فى المدينة غير اليهود وبعد قتل بركوزيبا هذا تفرق ما بقى من اليهود فى العالم فانتشروا فى لبنان وسوريا والعراق واليمن واستمر فريق منهم فى هربه حتى وصل شواطىء أوربا •

وأشرقت الدعوة الاسلامية ورأى المسلمون أن الرسالة الاسلامية لم تكتمل ما لم تعد فلسطين الى الوطن الأم •

فانفذ أبو بكر ارسال جيش اسامة عام ٦٣٣ م الذى كان مهيئا قبل وفاة الرسول وتوالت جيوش المسلمين فى تحريرها حتى وقفت جحافل القائد العربى المسلم أبى عبيدة بن الجراح على أبواب القدس • فجاء القوم يعرضون الصلح ويشترطون أن يتولى الخليفة نفسه تسلم القدس وفى الجابية أمضى عمر العهد وأعطى فيه لسكان القدس الأمان فى أنفسهم ودينهم وأموالهم ولا يسكن معهم فى القدس أحد من اليهود • ومنذ ذلك اليوم طبعت القدس بالطابع العربى الاسلامى كما كانت مطبوعة بالعربى الكنعانى مدة سبعة وعشرين قرنا قبل الميلاد •

وبقيت كذلك عربية الى عام ألف وخمسة وتسعين حيث بدأت الحروب الصليبية وعبأت أوربا قواتها وزحفت على الشرق بمائة وخمسين ألفا احتلوا فى طريقهم آسيا الصغرى وكثيرا من المدن فى سوريا ووصلت جموعهم الى القدس فحاصرها أربعون ألفا منهم ولم تثبت الحامية الاسلامية فى ذلك الوقت لقلة عددها واستسلمت بعد حصار دام شهرا ودخلت جيوش أوربا القدس عام ألف وتسعة وتسعين وذبحوا سكانها عن بكرة أبيهم لم يتركوا طفلا ولا شيخا ولا امرأة وبلغ عدد القتلى سبعين ألفا وأقاموا فيها دولة لاتينية واحتلوا مدنا كثيرة فى سوريا • ولم يدخل اليأس الى قلوب المؤمنين وظلوا يدافعون ويقاومون هذا الجسم الغريب مثلما تدافع العين الباصرة جسما يدخل فى موقها « ان فلسطين عين البلاد العربية والاسلامية » وأخذت جيوش المسلمين تنتزع من الدخلاء مدينة بعد أخرى حتى برز القائد البطل صلاح الدين وأدرك لأول وهلة أنه لا يمكن القضاء على هذه الفئة المعتدية الغادرة الا بتوحيد مصر مع سوريا فسار بجيشه الى سوريا واستولى عليها ومن دمشق مثوى هذا البطل زحف لقتال المعتدين وحاصر طبرية فسقطت بيده ثم اتجه الى حطين ونشبت المعركة الكبرى وأيد الله المؤمنين بنصره ووقع قواد الفرنجة أسرى بيده فأكرم مثواهم ولم يفعل بهم مثلما كانوا يفعلون بأسرى المسلمين •

كانت موقعة حطين موقعة فاصلة وأقبلت جنود العادل أخى صلاح الدين من مصر ففتحت المجدل ويافا وسار الاخوان يرف عليهما علم النصر والمجد وحاصرا مدينة القدس فاستسلمت بعد أسبوع من حصارها فى شهر تشرين الأول لعام ألف ومائة وسبعة وثمانين وهنا ظهر نبل صلاح الدين فأطلق سراح الأسرى وقبل الفدية وترك للنصارى العرب أملاكهم وسمح لهم فى شراء متاع الفرنجة واهتزت أوربا لهذا الحادث الجلل وأعادت الحرب جذعة واشترك فى هذه المرة ثلاثة ملوك من أعظم ملوكهم وهم ملك بريطانيا ريتشارد وملك ألمانيا فردريك وملك فرنسا فليب •

وأول حصار وقع منهم كان على عكا وبعد قتال طويل نفذت مؤنة الحامية ففاوضت على الاستسلام واطلاق السراح لقاء فدية وقد أعطاهم ريتشارد فرصة شهر واحد ولما لم يستطيعوا دفع الفدية أمر بذبحهم فذبحوا وكانو ألفين وسبعمائة أسير. وفى عام ألف ومائة واثنين وتسعين ( ١١٩٢ ) اتفق صلاح الدين بعد حروب وغلبة لجيوش المسلمين أن يترك ريتشارد المسجد الأقصى وأن يسمح صلاح الدين للنصارى بالحج وقد أسكن صلاح الدين بعد موقعة حطين القبائل العربية وغادر فلسطين الى دمشق وتوفى عام ١١٩٣ ألف ومائة وثلاثة وتسعين .

وانتهزت أوربا فرصة غياب صلاح الدين وزحفت مرة رابعة واستولت جيوشها على القدس ثم استردها منهم المسلمون واستطاع الظاهر بيبرس ملك مصر أن يوحد سوريا ومصر وأن يتفرغ لهؤلاء الدخلاء فيرسلهم الى بلادهم وأسدل الستار وبقيت بلاد فلسطين الفقرة الكبرى فى عمود الوطن العربى .

هكذا لعب اليهود فى القرون الخالية فى أحداث القلق والاضطرابات فى هذه المنطقة .

وتحت شعار الصهيونية نسبة الى أحد التلول التى تقوم عليها مدينة القدس تحرك الصهاينة فى القرن التاسع عشر فى تنفيذ خططهم بعد نجاح مؤتمرهم الأول الذى عقد فى مدينة بازل من مدن سويسرا عام ١٨٩٧ برياسة هرتزل .

والصهيونية حلقة من حلقات التآمر اليهودى والتكتل ضد الشعوب التى يعيشون فى ظلالها تثبيتا لأقدامهم وتعزيزا لسيطرتهم ظهرت فى بلاد العرب أولا بقيادة كعب الأحبار ثم تكونت السبئية بقيادة عبد الله بن سبأ ولعبت دورها فى العالم العربى وانتقلت بنظام جديد وتعبئة جديدة تحت اسم الماسونية فى الغرب وتغلغلت هذه الحلقة حتى شملت أرجاء العالم وعادت مرة أخرى الى بلاد العرب وهى التى دفعت الصهيونية بيد خفية فالصهيونية مظهر من مظاهر الماسونية .

والماسونيون فى جميع البلدان هم الذين يساعدونها ويدفعونها وهم الذين يجندون لها الصحافة ووسائل الاعلام وبأموالها يشترون الذمم ويقدمون للبسطاء وسائل الاغراء .

ولقد لعب الاستشراق الصهيونى دورا مهما للحط من شأن العرب والاسلام فى الغرب وكان أبرز المستشرقين كولد تسيهر الذى لم يجد شيئا يحيط من قدر الرسالة الاسلامية الا دسه فى مؤلفاته وأخذ تلامذته يهولون أمر الجهاد المقدس ويصورون العرب والمسلمين فى أعين الأوربيين بصورة مخيفة ويفهمون الغرب أن الجهاد المقدس موجه ضدهم ومؤمل فى كل لحظة وانتشرت هذه الفكرة على لسان كل مستشرق ناشىء أو خرف وسرت بين عجائز المقاهى يتحدثن بها وينقلنها الى أولادهن وأحفادهن فيجدون فينا خصما مخيفا وعدوا لدودا ولعبت الرأسمالية الصهيونية فى توجيه الاستعمار الى الشرق دورا واسع النطاق وأخذ المستعمرون يجوبون أقطار الشرق الأوسط للتفتيش عن الأسواق التجارية والمواد الخام الأولية فكان ذلك مأساة الاستعمار وبذل دزرائيلى اليهودى الذى كان رئيسا للوزارة البريطانية جهدا عظيما فى وضع جزيرة قبرص تحت الادارة البريطانية فتنازلت عنها الدولة العثمانية بمقتضى اتفاق منفصل أقره مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ وتمكن هذا الصهيونى الخطر من شراء أسهم قناة السويس عام ١٨٧٥ عندما نزلت بالخديوى ضائقة مالية .

وفى غمرة هذه التعبئات خامر الصهاينة انشاء دولتهم فكتب هرتزل الى السلطان عبد الحميد يطلب منه شراء أراضى فى فلسطين لقاء اتاوة من المال مستمرة يقدمها الى السلطنة فى كل عام فرفض السلطان هذا العرض بكل اباء اسلامى وشمم .

واستمرت دسائس المحافل الماسونية تعبث من وراء ستار تغرى البسطاء بالمال والمناصب والنساء حتى وقعت الحرب العالمية الأولى فكان الرجل المريض الدولة العثمانية الذى هدت أركانها أفاعى الماسونية فريسة لأطماع الاستعمار واستغل وايزمن اختراعه مادة الاسيتون

الضرورية للمتفجرات فاشترى من بلفور وعده بهذه المادة . وهو وعد جائر صادر ممن لا يملك التصرف فى حقوق الغير أهم ما فيه انشاء وطن قومى لليهود دون الاخلال بحقوق المواطنين الأصليين .

ومع كل عوامل الضعف فى شرعية هذا الوعد تعلق به الصهاينة وعبأوا لتحقيقه كل القوى . خاصة وهم يمتلكون مفاتيح ثروات الأمم والمسيطرة على البنوك وعلى وسائل الاعلام وعلى توجيه الآداب فى السينما والمسرح وعلى امتلاك ناصية السياسة فى الولايات المتحدة فالرئيس الذى لا ينصبه اليهود فى البيت الأبيض يبقى كرسيه يتأرجح من تحته والسناتور الثرى صاحب المعمل الذى لا يتكلم فى جهتهم يتدهور اقتصاده والسياسة الاستعمارية تريد لها مخلب قط وهم مستعدون لذلك .

وقد جربوا مثل ألاعيبهم هذه فى حروبهم فهم يستندون الى الخطف وقصر الوقت لأنهم لا يستطيعون أن يثبتوا فى حروب طويلة الأمد فمثلهم مثل الثعلب يخطف ويهرب ثم يطلبون الهدنة وفى الهدنة يماطلون ويكسبون ويستغلون قوى الاستعمار لتبرير أفعالهم وأعمالهم . واذا شعروا بالاحراج عدوا الى الاغتيال والتخريب وقد اغتالوا برنادوت وذهبت حياته كصوت فى واد واذا أعدنا النظر فى حروبنا معهم نستطيع أن نعرف كيف استطاعوا بناء ايلات وكيف أخذوا يزحفون على الأراضى المحتلة شبرا شبرا وكيف هيأوا أنفسهم فى كسب الوقت وغدروا غدرتهم الأخيرة .

لم يلتفت الصهيونيون الى مقررات هيئة الأمم المتحدة أيام برنادوت ولم يلتفت الصهيونيون الى مقررات مجلس الأمن فى أيام يارنج وهذا الأخير منكمش على نفسه حائر لا يدرى ماذا يفعل .

موقف صهيونى يتحدى العالم . وهيئة الأمم قائمة ومجلس الأمن قائم وحق تقرير المصير فى اعلان حقوق الانسان أهم مكسب من مكاسب حضارة القرن العشرين تفتخر به هيئة الأمم المتحدة والكارثة معروضة أمام الجميع تهجير مواطن شرعى واسكان مغتصب دخيل مكانه وهدم وابادة ، وضمير البيت الأبيض

نائم أمام هذه الكارثة يقظ متوثب أمام الغدر .

هذه الكارثة لم تكن أول قارورة كسرت فى قضية فلسطين وانما هى واحدة من سلسلة متعاقبة ستليها أخريات لا يقطعها الا وعى عام وتربية جيل قوى يعرف أن مستقبل الأجيال الزاهر منوط بحاضره .

وتعبئة عاجلة سريعة منسقة فى العدة والمال مرتكزة على وحدة الصف والايمان بحقنا فى الحياة .

وثورة عارمة فى ابعاد العملاء المأسونيين والعملاء المغرر بهم والمخدوعين .

تهيئة أجهزة اعلام فى الغرب لنشر أباطيل هذه العصابة فان الغرب يفهم حقيقتها ويعرف قوة تسلطها على ثروته وادارة بلاده .

كسب الرأى العالمى وتكوين الصداقات مع الأمم بطريق الدبلوماسية القوية .

تكوين قوة عربية رادعة تردع الخصم وخلق متين يحمى الأمة من الدخلاء والعملاء والمعوقين .

وهنا نسمح لأنفسنا أن نقف وقفة المتأمل ونسأل لماذا انهارت اسرائيل ان صح تسميتها دولة فى العصور القديمة وانتهى أمرها الى الأبد وبسرعة قصيرة ؟ والاجابة على ذلك أن اليهود كانوا غرباء عن هذه المنطقة وأنهم رعاة أغنام وأبقار حلوا وسط شعوب لها حضاراتها ونظمها وأنهم جاءوا لا ليسكنوا مع أهل البلاد بأمن وسلام انما جاءوا بنية مبيتة جاءوا ليستأصلوا السكان ويحطموا الحضارات ويغتصبوا الأوطان وكانوا أسسوا دويلتهم فى القديم على حساب أهل البلاد الأصليين وأخذوا يهددون الممالك المجاورة فى اقتصادها واجتماعها وسياستها فنفرهم المجتمع المحيط بهم مثلما ينفر الجسم عن الجسم الغريب .

وقد شعرت الأمة العربية ومعها الأمم الأخرى بهذا الأخطبوط الذى أخذ يمد خراطيمه فى آسيا وأفريقيا ويغزو البلاد ويقتطع الأوطان ويحتجز منابع الثروات لتكديس الأموال فى البنوك والمصارف ومؤسساته،وقدمربنا سلوكه فى حروب ثلاثة ، كيف كان يخدع ويراوغ حتى بلغ السيل الزبى وكان للوعى العربى والاسلامى والأسيوى والافريقى أثر كبير فى التنبه لهذا الخطر وكان تعبير عشرة من رمضان ٦ أكتوبر عن هذا الوعى أعظم تعبير أوضح للعالم أن فى أرضنا حماة • واننا أصحاب حق وطلاب عدل

دكتور محمد بديع شريف

# نحن ... والتراث

من المعروف أن الشجرة انما تزهر وتثمر وتمتد غصونها فى كل اتجاه بما تستمده من غذاء فى جذورها الضاربة فى أعماق الأرض . وفى هواء جوها وأشعة شمسها وكذلك الأمم الكريمة العظيمة تستمد روح تقدمها وعوامل نموها ورخائها من أمجاد ماضيها . ومن تراثها الفكرى . والأدبى والحضارى فاذا هتف هاتف فى مصر أو فى غيرها من البلاد العربية والاسلامية بالدعوة الى قطع الصلة بالتراث والماضى .. فهو شجرة خبيثة بعيدة عن هذه البيئة الوضيئة . التى أشرقت فيها شمس الرسالات . ودعوته هى الكلمة الخبيثة التى يقول الله فيها : « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار » .

دراسات قرآنية :

# أثر الجهاد وكرامة المجاهدين في دار الثواب

للأستاذ مصطفى محمد الطير

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .
( البقرة - ٢٥١ )

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » . ( آل عمران - ١٦٩ )

**البيان**

منح الله الانسان غرائز تدعوه الى الخير تارة ، والى الشر تارة أخرى، ومنحه نعمة العقل ليكون قواما على تلك الغرائز ، وحكما بين نزعاتها المتضادة، ومتجها بالسلوك الانسانى نحو الفضيلة والخير ، فان أعطت النفس قيادها الى العقل عاشت سعيدة فى دنياها ، ورجعت الى ربها راضية مرضية فى أخراها ، وان أعطت قيادها الى هواها لازمها الشقاء فى أولاها، وباءت بالخسران يوم يقوم الأشهاد .

والطابع الغالب على بنى الانسان اهدارهم للقيم الخلقية الفاضلة ، والمعايير العقلية الواعية ، وسلوكهم منفعلين بهواهم وميولهم الشريرة ، وقل أن تجد فيهم مجتمعا فاضلا ، صغيرا كان أو كبيرا .

ولهذا وجدت الجريمة على ظهر الأرض فى أول النشأة الانسانية ، حين قتل ابن آدم أخاه ، مدفوعا بهواه ، عاصيا أباه .

والمتتبع لتاريخ الانسانية يجدها تسير متخبطة فى ظلام الشر، متورطة فى أسباب الفساد ، مضرجة بدماء القتال ، فكم من فصيلة عدت عليها فصيلة ، وكم من قبيلة طحنتها قبيلة ، وكم من أمة أفنتها أمة ، وكم من دولة استولت عليها دولة .

ولم يحدث فى تاريخ البشرية صلاح لأمرها ، الا حين يبعث الله اليها من يهديها سواء السبيل ، ويردها عن أساليب الشر والاعتداء، ويحملها على التمسك بالفضيلة ونشرها بين الناس ، وكف أهل الشر عن الاعتداء على سواهم، بالنصيحة

تارة وبالقتال تارة أخرى ، وصدق الله اذ يقول فى سورة البقرة : «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » ويقول فى سورة الحج «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز (٤٠) الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٤١) » .

ولاتجد دينا من الأديان السماوية أغفل عامل الجهاد ، لرفع راية الحق ، ودك حصون الباطل ، فقد جاء فى القرآن الكريم أن موسى عليه السلام أمر قومه بقتال الوثنيين الجبارين ، فخافوهم وقالوا له « اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » وكان موقفهم هذا متسما بالجبن الذى هو طابع اليهود ، ومتسما بالمروق من الدين ، كما هو دأبهم ، فقد عبدوا العجل وتركوا عبادة الله الذى نجاهم من القتل والأسر ، ومكنهم من عبور البحر فى طرق يابسة شقها لهم بين مياهه .

وقام يوشع من بعد موسى باقناعهم بالقتال فقاتلوا معه أولئك الوثنيين حتى انتصروا عليهم ، وكما أباحت الشريعة الموسوية قتال أهل الشر والكفر ، أباحته الشريعة المسيحية ، فقد جاء فى انجيل متى ( اصحاح ١٠ فقرة ٣٤ « لا تظنوا أننى جئت لألقى سلاما على الأرض ، ما جئت لألقى سلاما بل سيفا » وفى انجيل لوقا ( اصحاح ٢٢ فقرة ٣ ) « فقال لهم — أى المسيح — لكن الآن من له كيس فليأخذه ، ومزود كذلك ، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر به سيفا » .

فالمسيح الذى يدعو الى السلام بقوله : « اذاضربك أخوك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر » يرى أن الدعوة الى السلم التى ينشدها قد لا تناسب كل طائفة ، فلذلك دعا أتباعه الى استصحاب السلاح اذا اقتضى الأمر جهاد أهل الباطل .

ثم جاءت الشريعة الاسلامية فأقرت هذا المبدأ الذى جعله الله منهاج رسالاته السماوية ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله » ويقول : « واما تخافن

من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » وهكذا أباح الله القتال فى حالتين : احداهما رد اعتداء المعتدين ، وثانيتهما تأمين المسلمين من أهل الخيانة والغدر .

وهكذا يجرى الله سننه منذ أول الخليقة الانسانية ، فيسلط على أهل الباطل والفساد ، من يدفعون شرهم وفسادهم عن أهل الأرض ، حتى تسود الطمأنينة والسلام ، وهذا ما بينه بوضوح قوله تعالى فى سورة البقرة: «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين » (٢٥١) وكذا آية سورة الحج رقم ٤٠ والتى تليها وقد سبق ذكر نصهما .

### اشرف الجهاد

الجهاد لغة : بذل الجهد والطاقة فى أمر من الأمور ، وقد غلب فى عرف الشريعة الاسلامية على بذل الجهد فى سبيل الله تعالى .

والقتال كريه لدى النفوس ، لما فيه من ازهاق الأرواح ، واحداث التشويه والجراح ، ودك الحصون وتدمير العمران ، وبذل الأموال واضعاف ( الاتتاج ) ، ولكنه أمر لا بد منه لما يترتب عليه من مصالح عظيمة الشأن ، رفيعة المكان ، فبه يصان الدين والأخلاق ، وتحفظ الأوطان والأعراض والأموال من شرور الأعداء ، وصدق الله اذ يقول فى سورة البقرة : «كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » (٢١٦) .

ولا تجد فى حروب الناس أشرف من حرب تسترد بها الكرامة ، وتسترجع بها أرض سليبة ، ويصان بها الدين والأموال والأعراض ، ويحال بها دون ما يبتغيه العدو من التوسع فى أرض الأحرار الكرام .

وهذه هى الحرب التى خضناها مع الاسرائيليين فى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ ( ١٩٧٣/١٠/٦ ) وبهرنا بها العالم ، حيث عبرنا قناة السويس ، واستولينا على حصن ( بارليف ) المنيع فى ست ساعات ، ثم تقدمنا فيها عبر سيناء الى مسافة تسعة عشر ميلا شرق قناة السويس ،

وأذقنا فيها الغرور الصهيونى مرارة الهزيمة وكثرة الضحايا فى جميع درجات الجيش ، من أكبر جنرال الى أصغر جندى ، وأسقطنا مئات الطيارات محترقة بطياريهم ، يستوى فى ذلك الفانتوم وما دونها ، وأبدنا فيالق دباباتهم ، وما يتبعها من العربات المجنزرة ، وأذقناهم حربا طاحنة لم يرو مثلها التاريخ ولم يعرف مثلها البشر ، حتى فى الحربين العالميتين الأولى والثانية ، ولقد كان أمرا عاديا أن ندمر لهم من الدبابات والعربات يوميا ما يصل الى مائة وحدة أو يزيد ، فكثيرا ما كان القتال يدور فى ساحة سيناء بين نحو ألفى دبابة من أخطر نوع وأفدحه فتكا •

والخسائر التى لحقت بدباباتهم وطائراتهم وعرباتهم المجنزرة ، لحق مثلها بمدافع الميدان وقواعد الصواريخ التابعة لهم ، كما لحق مثلها بقطعهم البحرية على اختلاف أحجامها •

وكما حدثت لهم هذه الخسائر فى الجبهة المصرية ، حدث لهم مثلها فى الجبهة السورية ، وفيما يلى شهادة مجلة أمريكية بهذه الحقائق ، ومعروف مبلغ تعاطف الأمريكيين مع اسرائيل ، ففيهم يصدق قول الله تعالى : « وشهد شاهد من أهلها » •

تقول مجلة (نيوزويك) الأمريكية فى تحقيق لها استغرق (١٢) صفحة : لقد أسفرت الروح القتالية العربية المثيرة للدهشة ، والأسلحة السوفيتية المتقدمة ، ـ عن الحاق خسائر فى الأرواح ، من الصعب على اسرائيل أن تتحملها ، ولقد كانت الحرب فى الشرق الأوسط مسرحا وأرض تجارب لحرب عالمية غير ذرية •

ومن عناصر ارتفاع الخسائر ، الأسلحة المستخدمة فى القتال ، فقد استخدم الجانبان أفضل ما فى الترسانتين الأمريكية والسوفيتية ، واستخدم العرب الصواريخ (أرض ـ جو ) التى لم يستخدم مثلها أبدا حتى فى الدفاع عن هانوى ، ولكن القدرة القتالية العربية أسىء فهمها من جانب اسرائيل منذ بداية الحرب ، ونظرا لأن معظم الفنيين العرب المهرة ، كانوا ( متمركزين ) بعيدا عن خطوط الجبهة ، فمن غير المحتمل أن يكون لحق بهم نقص كبير فى القوة البشرية •

وبالنسبة لاسرائيل انهار تأكدهم بأن بلدهم يتمتع بتفوق تكنولوجى واضح فى ميدان الشرق الأوسط ، نتيجة للنجاح الملموس الذى حققه العرب بصواريخهم المضادة للطائرات وأسلحتهم المضادة للدبابات — الى آخر ما نقلته عن هذه المجلة، صحيفة الأخبار الصادرة يوم ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٧٣

وقد برهنت جميع الدول العربية على تعاونهم الصادق مع مصر وسوريا ، بوضعهم مواردهم المالية تحت تصرف المعركة ، وارسال بعضهم فرقا من جيوشهم الى الجبهة لتقاتل فى معركة التحرير ، وقيام الدول المنتجة للبترول باستخدام سلاح البترول ضد من يتعاونون مع اسرائيل ، وهم بذلك يحققون ما جاء فى الحديث الشريف : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » فجزاهم الله عن دينهم وعروبتهم خير الجزاء ، ومرحبا بهذه البداية العظيمة لتعاون دائم مشترك فى جميع المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية .

ولقد أدى اشتعال الحرب الى هذه الدرجة القصوى من الخطر على سلام العالم ، أدى ذلك الى أن تتقدم روسيا وأمريكا الى مجلس الأمن يوم ١٩٧٣/١٠/٢٢ بمشروع لوقف اطلاق النار خلال ١٢ ساعة من الموافقة عليه ، على أساس انسحاب اسرائيل فورا من الأراضى العربية التى احتلتها سنة ١٩٦٧ تنفيذا للقرار الذى اتخذ فى حرب السنة المذكورة ، ولم تعمل به اسرائيل ، حتى أرغمتها المعركة على قبول الهدنة المقترحة على أساس الجلاء الفورى ، وتحقيق الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، كما وافقت عليه مصر لأنه هو الذى أعلنت الحرب على اسرائيل من أجل تحقيقه ، ولقد صدق أبو القاسم الشابى اذ يقول :

اذا الشعب يوما أراد الحياة
فلابد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلى
ولا بد للقيد أن ينكسر

وسوف تبين الأيام مبلغ خداع أولئك اليهود فى قبول الهدنة وتنفيذ قرار مجلس الأمن الذى وافق أعضاؤه

عليه بالاجماع ، ما عدا الصين التى امتنعت عن ابداء رأيها فيه .

وسوف يكون من ألمع الصفحات فى حرب الكرامة التى خضناها،ومن أعظمها تأثيرا فى نفوس القراء المعاصرين ومن سيأتى بعدهم ، ما يتصل بالقيادة المؤمنة الواعية ، التى خططت لهذه الغزوة المباركة ، وأشرفت عليها حتى تسير فى خطتها المحكمة نحو أشرف غاية أعدت لها .

### نحن أمة لها ماض

طمعت فينا اسرائيل بعد هزيمة سنة ١٩٦٧ ، وما قدرتنا حق قدرنا ، مع أننا أمة لها ماض مجيد ، فلقد هزمنا الدول الصليبية المتحالفة على أرض فلسطين فى معركة حطين ، بقيادة السلطان صلاح الدين ، بعد أن ظل الصليبيون بها قرابة مائة سنة، ابتداء من سنة ١٠٩٩ ، ارتكبوا فيها فظائع ومنكرات كثيرة وذبحوا تسعين ألفا فى رحبة المعبد ، فجرت الدماء أنهارا .

كما هزمنا التتار وقضينا عليهم ، مع أن قائدهم كان هولاكو الطاغية ، الذى اجتاح بهم الممالك وخربها ، وخرب بغداد وقتل الخليفة بها ، وعاث فى الأرض فسادا ، وأجرى الدماء أنهارا ، فما أن وصل هذا الطاغية الى مشارف البلاد الشامية ، حتى وصل منه خطاب يطلب فيه من أهل مصر الخضوع والاستسلام ، وقد تلقى هذا الخطاب ملك مصر والشام ( الملك المظفر سيف الدين قطز ) وكان حديث عهد بالملك ، فشمر عن ساعد الجد ، وجمع جيشا من الرجال الشجعان ، وجد فى السير حتى وصل الى ( عين جالوت ) بأرض كنعان ، وعلى هذه الأرض العزيزة التقى الجمعان ، ودار قتال رهيب بين الفريقين ، وأخيرا دارت الدائرة على جيش هولاكو ، ولم تقم للتتار بعد هذه المعركة قائمة ، وحمى الله من بغيهم البلاد الشامية والمصرية ، بفضل بسالة جنودنا الغر الميامين .

### هدفنا دائما النصر أو الشهادة

يمتاز قتال المسلمين بأنه مجرد عن النزوات والأغراض العدوانية ، وأنه فى سبيل الله ابتغاء مرضاته ، وحماية دينه وصيانة الوطن الاسلامى من الطامعين ، ويمتاز الجندى المسلم بالبسالة والاقدام والثبات رجاء النصر

أو الشهادة ، ولذا يعـدل عددا من الجنود سواه ، فانه جرىء لا يرهب الموت بل يتمناه ليحوز أجر الشهداء العظيـم ، وسوف يروى التـاريخ قصصا عن أبطـال معركة القنـاة والجولان ، هى أشبه بالأساطير لمـا فيها من الخوارق ، وقد ورثوا هذا المجد البطـولى عن أجدادهم الغر الميامين .

ومن أمثلة أولئـك الفـدائيين فى الجدود أنس بن النضر ، عم أنس بن مالك ـ فاتتـه غزوة بدر وكان نادما على أنه لم يشهدها ، فنذر ان أشهده الله مشهدا حربيا ليرين الله ما يصنع ، فلما حضر غزوة أحد رأى المسلمين ينهزمون حين ترك رماتهـم مواقعهم فوق جبل أحـد ، ليجمعوا الغنائم بعد هزيمة المشركين أول الأمر ، مخالفين أمر الرسـول لهم بالبقـاء فى أماكنهم لحماية ظهـور المسلمين ، ورأى خالد بن الوليد ـ وكان يومئذ مشركا ـ يرتقى أحـدا ومعه جماعة من رماة المشركين ، يمطرون المسلمين بوابل من نبالهم فى ظهورهم ، وهم يتتبعون المشركين المهزومين، يقتلونهم ويجمعون الغنائم منهم ، ورأى كثيرا من المسلمين يسقطون صرعى من نبال قناصة المشركين ، وبعضهم يفرون ، ورأى الدم يسيل من وجه رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، بسبب صـموده لهجمات المشركين الذين رجحت كفتهم ، لمـا حل خالد ومن معه محل رماة المسلمين كما شرحناه .

فقال أنس بن النضر : اللهم انى أبرأ اليـك مما صـنع المشركون ، وأعتذر اليك مما صـنع المسلمون ، ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ ، فقال له : الى أين يا أبا عمـر ، فقـال ابن النضر : واها لريح الجنة يا سعد، انى لأجده من دون أحد ، ثم مضى فقاتل المشركين حتى قتل ، فما عرفه الا أختـه ببنانه ، وكان به بضـع وثمانون اصابة ، ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم ، وفيـه وفى أمثاله نزل قوله تعـالى : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

### المسلمون يقتحمون دجلة ويفتحون المدائن

كان سـعد بن أبى وقاص قائدا للمسلمين فى جبهـة الفرس ، وكان

يفصله عن المدائن ـ عاصمة الفرس ـ نهر دجلة ، وكان زاخرا بالماء ، وفى ليلة جاءه رجل فارسى وأخبره أن يزدجر سيذهب بكل شيء فى المدائن ان لم يدركه قبل أن تمضى ثلاث ليال ، فجمع سعد الناس ، وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، وقد رأيت أن تجاهدوا العدو ، وتقطعوا هذا البحر اليه ، فقالوا جميعا : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل ، فندب الناس للعبور ، وقال : من يبدأ ويحمى لنا الفراض ( أى الشاطىء ) حتى تتلاحق به الناس ، لكيلا يمنعوهم من العبور ، فأجابه الى طلبه عاصم بن عمرو ذو البأس الشديد ، فى ستمائة من أهل النجدات ، ثم سبقهم عمرو فى ستين فارسا ، وجعلهم على خيل ذكور واناث ، ليكون أسلس لسباحة الخيل ، فلما رآهم الفرس يقتحمون دجلة على خيولهم ، نزل بعضهم اليهم يقتحمونها على خيول مثلما فعل المسلمون ، فلقوا عاصما ومن معه قبيل وصولهم الى الشاطىء ، فأمر عاصم رجاله أن يضربوهم فى عيونهم برماحهم ، فولوا ولحقهم المسلمون فقتلوا أكثرهم ، ومن نجا منهم صار أعور ، وتلاحق الستمائة بالستين ، ولما تم عبورهم أمر سعد جيشه بالعبور كما فعل سعد وأصحابه ، فعبروا وهم يقولون « حسبنا الله ونعم الوكيل » فلما رأى الفرس ذلك ذهلوا من هذا الأمر الذى لا عهد لهم بمثله ، وولوا هاربين بما خف حمله،وبالنساء والذرارى ، وتركوا فى الخزائن من الجواهر والأموال والنفائس ما لا يستطاع تقديره ، وكان فى الخزائن ثلاثة آلاف ألف ألف ألف ثلاث مرات ، أخذ منها رستم النصف عند ذهابه الى القادسية ، وبقى النصف ، وكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال وعلى رأسها عاصم بن عمرو ، ثم كتيبة الخرساء وعلى رأسها القعقاع بن عمرو .

ولما دخل سعد ايوان كسرى قرأ : «كم تركوا من جنات وعيون» الى قوله تعالى : « قوما آخرين» .

أفلا ترى أيها القارىء الكريم أن أشبالنا الذين اقتحموا القناة اليوم، هم أحفاد أولئك الأسود الذين

اقتحموا دجلة الى المدائن ، وأزالوا دولة الفرس ، ورفعوا فيها راية التوحيد وعبادة القهار ، وخفضوا فيها راية الشرك وعبادة النار •

**فضل المجاهدين والشهداء**

لا ترى أفضل عند الله من المجاهدين والشهداء ، ولا أعظم منهم ثوابا ، ولا أعلى منهم مكانا ، ولهذا كان المسلمون يحرصون الحرص كله ، على شهود المغازى والفتوحات الاسلامية ، لينالوا الدرجات العلية ، التى أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ، ولا تزال هذه النزعة الشريفة ، تسيطر على مشاعر المسلمين حتى اليوم ، وحسبنا دليلا على ذلك ما أداه جنودنا الشجعان من البذل والتضحيات فى ميدانى سيناء والجولان ، وعلى أعلى مستوى من الثبات والاقدام ، ابتغاء النصر أو الشهادة فى سبيل الله •

وحق لمصر وسوريا وجميع العرب أن يباهوا بهذه المواقف العظيمة ، التى عادت بنا الى مواقف المسلمين الأولين فى فتوحاتهم فى جيوش خالد بن الوليد وسعد بن أبى وقاص ، وعمرو بن العاص ، وغيرهم من القواد المسلمين عبر الأجيال •

وانى أسوق فيما يلى بعض النصوص الواردة فى فضل الجهاد والمجاهدين والشهداء ، وما أعده الله لهم من عظيم الثواب ، حتى يغتبط المجاهدون ، ويطمئن أهل الشهداء ، ويتعزوا بما أعده الله لهم من عظيم الجزاء •

يقول الله تعالى فى سورة التوبة : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله » الآيتان ١١١ ، ١١٢

وروى البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال : « قيل يا رسول الله : أى الناس أفضل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله » قالوا ثم من ؟ قال : « مؤمن فى شعب من الشعاب ، يتقى الله ويدع الناس من شره » •

وروى البخـارى عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مثـل المجاهد فى سـبيل اللـه ـ والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله ـ كمثل الصـائم القائم ، وتوكل الله لمن يجاهد فى سبيل الله بأن يتوفاه ـ أن يدخله الجنة ، أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة » .

وجاء فى حديث رواه البخـارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان فى الجنة مائة درجـة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السـماء والأرض ، فاذا سألتم الله فاسألوه الفـردوس ، فانه أوسـط الجنة وأعلى الجنـة ـ أراه قـال : وفوقه عرش الرحمن ـ ومنه تفجر أنهار الجنة » .

وروى البخـارى عن أنس عن النبى صـلى اللـه عليـه وسـلم قال : « لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » .

وجاء فيه أيضا عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليـه وسلم قال : «لقاب قوس فى الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب » الخ .

والأحاديث الواردة فى فضل الجهاد والشهادة ، وما أعده الله للمجاهدين والشـهداء من الأجـر العظيم كثيرة لا يتسع لها هـذا المقال ، وحسب القارىء ما ذكرنا .

ويطيب لى أن أختم هذا المقـال ببيتين قالهما خبيب بن عدى عنـدما أراد المشركون قتله بعد أسره ، وأود أن يكونا شعار كل مجاهد .

ولست أبالى حين أقتل مسـلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشـأ
يبارك على أوصال شلو ممزع (1)

**مصطفى محمد الطير**

(1) الأوصال : المفاصل ، الشلو : العضو ، وجمعه أشلاء .

من هدى السنة :

# الشهيد الذى لم يجدوا له كفنا يكفيه

للدكتور محمد محمد أبو شهبة

روى الشيخان فى صحيحيهما بسندهما عن خباب بن الأرت قال : « هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نريد وجه الله ، فوقع أجرنا على الله تعالى ، فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئا منهم مصعب ابن عمير قتل يوم أحد وترك نمرة ، فاذا غطينا رأسه بدت رجلاه ، واذا غطينا رجليه بدا رأسه ! فأمرنا النبى صلى الله عليه وسلم أن نغطى رأسه ونجعل على رجليه الاذخر ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها » .

**تخريج الحديث** : رواه البخارى فى مواضع عدة من كتابه : كتاب الجنائز — باب اذا لم يجد كفنا الا ما يوارى رأسه ، أو قدميه غطى رأسه ، ثم فى باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة وفى كتاب المغازى — باب غزوة أحد موجزا عن عبد الرحمن بن عوف ، وباب من قتل من المسلمين يوم أحد ، وفى كتاب الرقاق — باب فضل الفقر .

ورواه الامام مسلم فى صحيحه : كتاب الجنائز — باب تكفين الميت .

## « الشرح والبيان »

« خباب بن الأرت » هو الصحابى الجليل خباب [1] بن الأرت — بفتح الهمزة ، والراء وتشديد التاء — ابن جندلة ، ابن سعد بن خزيمة ابن كعب من بنى تميم يكنى أبا عبد الله ، وقيل : أبو محمد ، وقيل أبو يحيى وهو عربى لحقه سباء فى الجاهلية ، فبيع بمكة ، وكان خباب حدادا يصنع السيوف بمكة ، وكان رسول الله يتألفه ويأتيه ، فلما علمت بذلك مولاته كانت تعذبه بوضع

(١) خباب بفتح الخاء وتشديد الباء الاولى .

أسياخ الحديد على رأسه ، فما صرفه ذلك عن دينه .

وهو من السابقين الأولين الى الاسلام ، وممن يعذب فى الله تعالى، فصبر على البلاء ، وكان سادس ستة فى الاسلام ، وقد تحمل هو واخوانه من الموالى والأعبد من التعذيب ما ينوء به الجماد .

روى البخارى فى صحيحه عن خباب قال : « شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد ببرد له فى ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ فجلس محمرا وجهه، فقال : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض ثم يجاء بالميشار (١) فيجعل فوق رأسه ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخشى الا الله — عز وجل — والذئب على غنمه،ولكنكم تعجلون » فيرجعون وقد ازدادوا ايمانا وثباتا على الاسلام ، وعزما على الصمود وتحمل العذاب . شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله .

ولما هاجر آخى النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين تميم مولى ، خراش بن الصمة ، وقيل : آخى بينه وبين جبر بن عتيك ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه ابنه عبد الله ، ومسروق ابن الأجدع ، وشقيق بن سلمة ، والشعبى وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل ، وقيس بن أبى حازم وغيرهم، وكانت وفاته سنة سبع وثلاثين فرضى الله عنه وأرضاه (١) .

« هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة » .

بينت رواية البخارى فى كتاب الرقاق أنه قال ذلك لما عادوه وهو مريض فعن أبى وائل قال : « عدنا خبابا فقال » والظاهر ان ذلك كان فى مرض موته ، فقد طال عليه حتى منعه من حضور صفين مع سيدنا على .

---

(١) الميشار بالميم والياء هو المنشار بالنون وهما لغتان .

(١) أسد الغابة ترجمة خباب بن الأرت .

والمراد بالمعية المشاركة فى الهجرة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر كان معه الصديق وعامر ابن فهيرة من أصحابه أو المراد هاجرنا بأمره وإذنه .

« نريد وجه الله » وفى رواية « نبتغى » . والمعنى واحد ، والمراد بوجه الله : قصد رضائه ، والفوز بما عنده من الثواب والأجر الأخروى لا نريد شيئا من الدنيا ، وإنما هجرتنا كانت متمحضة لوجه الله .

« فوقع أجرنا على الله » .

وفى رواية للبخارى ، ومسلم « فوجب أجرنا على الله » والوجوب هنا ليس على ظاهره وحقيقته ، لأن الله عز وجل لا يجب عليه شىء وإنما المراد تأكيد الأجر وثبوته لهم فعبر عن ذلك بالوجوب .

أو المراد بالوجوب هنا أن الله سبحانه هو الذى أوجب ذلك على نفسه بنفسه بمقتضى وعده الصادق الذى لا يتخلف ، والمراد بالأجر الثواب والجزاء الأخروى .

« فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئا » .

مضى : أى مات حتف أنفه أو استشهد « أجره » المراد بالأجر هنا ما حصل لهم من الغنائم والأموال من الفتوحات ، وما فتح لهم من خيرات الدنيا ، وإطلاق الأجر على الدنيوى من قبيل المجاز وعلى هذا لا يتنافى هذا مع قوله : « نبتغى به وجه الله » لأن ما جاءهم من ثمرات الدنيا ما كان مقصودا وإنما جاء لهم عفوا وفضلا ، فاستحلوه بتحليل الشرع له .

«منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد»

يعنى من هؤلاء الذين وقع أجرهم على الله الصحابى الجليل مصعب بن عمير شهيد أحد وكان حامل اللواء فى هذا اليوم ، قتله عبد الله بن قمئة ــ أقمأه الله ولعنه ــ ظنا أنه رسول الله ، لأنه كان من الذين باعوا أرواحهم رخيصة فى سبيل الله تعالى ولما قتله ابن قمئة أذاع أنه قتل رسول الله مما سبب الاضطراب والذهول فى نفوس المسلمين ، ومن أمثاله أيضا عثمان بن مظعون فقد مات بعد الهجرة الى المدينة بعد بدر .

**« من هو مصعب بن عمير »**

ويقتضينا عرفان الفضل لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن

نذكر كلمة موجزة عن هذا الصحابى الجليل الذى آثر الفقر والضنك فى ظلال الايمان ، على النعيم فى حياة الكفر .

هو مصعب بن عمير بن هشام ابن عبد مناف بن عبد الدار يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جده « قصى » وكان مصعب بن عمير فتى مكة شبابا ، وجمالا ، وتيها ، وكان أبواه يحبانه ، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون الثياب ، وكان أعطر أهل مكة يلبس الحضرمى من النعال ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حقه : « ما رأيت بمكة أحسن لمة (١) ، ولا أرق حلة (٢) ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير » ولم أعلم فيما قرأت تصويرا لما كان يتقلب فيه عمير من النعيم من هذا الكلام النبوى البليغ .

ولما دعا النبى صلى الله عليه وسلم الى الله سرا ذهب اليه فى دار الأرقم وأسلم ، ولكنه كتم اسلامه خوفا من عشيرته ، فكان يختلف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا ، فوشى به الى أمه وقومه أحد بنى عبد الدار ، فما كان منهم الا أن أخذوه فحبسوه ، وأوثقوه ، ولم يزل محبوسا حتى لاحت له فرصة الافلات من الحبس فخرج مهاجرا الى الحبشة ، وتحمل فى هجرته ما تحمل من شظف العيش ، وألم الغربة حتى نسى ما كان فيه من النعيم وآثر الفقر على الغنى ، والخشن من الثياب على اللين والحرير .

ولما أسلم الكثيرون من الأنصار طلبوا من النبى أن يرسل اليهم من يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الاسلام ، فوقع اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير ، وقد نجح فى مهمته خير نجاح ، وكان الأنموذج الكامل الصادق للدعوة الى الله بالحكمة والموعظة ، وعلى يديه أسلم سيدان شريفان أسلم باسلامهما أناس كثيرون وهما سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير من بنى عبد الأشهل .

---

(١) الشعر الذى يجاوز شحمة الأذن « قاموس » .

(٢) حلة : ثيابا .

ولوأن مصعبا ـ رضوان الله عليه ـ نشأ فى غير مطارف النعيم لقلنا : ربما هان عليه ما تحمله بعد الاسلام والهجرة من بؤس الحياة ، وخشونة الملبس ، والمطعم ، أما وقد ترعرع فى النعيم فقد كان من البطولة النفسية حقا أن يلبس ثوبا مرقوعا بفروة شاة ، ونعلا مخصوفة مرقعة ! فلا تعجب اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الرءوف الرحيم ، الرقيق القلب كان اذا رآه بكى رثاء لحاله ، روى الترمذى فى سننه بسنده عن على رضى الله عنه قال : « بينما نحن فى المسجد اذ دخل علينا مصعب بن عمير وما عليه الا بردة له مرقوعة بفروة ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رآه للذى كان فيه من النعيم ، والذى هو فيه اليوم » نعم والله انه لموقف يستحق البكاء ممن أرسله الله رحمة للعالمين .

وتأتى غزوة أحد ، وتكون الجولة الأولى للمسلمين ، ثم تدور الدائرة عليهم ، ويختل نظام جيش المسلمين، ويفر من يفر ، ويذهل من يذهل ، ويقف الرسول كالطود الشامخ وحوله ثلة من أصحابه الأبطال منهم مصعب بن عمير يدافعون عنه ويفدونه بأنفسهم ، وفى هذا الموقف الشجاع وفى ساحة الكرامة والاستشهاد استشهد مصعب بن عمير وهو ينافح عن رسول الله ، وبذلك كتب فى سجل الخلود فى الاسلام : سجل الشهداء والصديقين ، من أتباع الأنبياء والمرسلين فرضى الله عنك ياسيدى مصعب بن عمير وأرضاك .

« قتل يوم أحد وترك نمرة .. »

النمرة : ازار من صوف مخطط أو بردة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بشهداء أحد أن يدفنوا حيث ماتوا ، وأمر بدفنهم بدمائهم ، وثيابهم التى عليهم ، ولم يغسلوا ولم يصل عليهم (١) وذلك لتكون دماؤهم ، وجراحاتهم شاهدة لهم يوم القيامة بفضلهم ومنزلتهم .

وكان على الصحابة من الثياب ما قام مقام الكفن أما سيدنا مصعب فلم يكن على جسده ! الا هذا الثوب الغليظ القصير الذى ضاق عن أن

(١) صحيح البخارى كتاب المغازى باب من قتل من المسلمين يوم احد .

يكون كفنا ، فكانوا اذا غطوا رأسه بدت رجلاه ، واذا غطوا رجليه بدا رأســه ! فـأمرهم المشرع الحكيم صلوات الله وسلامه عليه أن يغطوا رأسه لأنه أولى ، ويضـعوا الاذخر على قدميه ، و « الاذخر » ــ بكسر الهمزة ، وســكون الــذال ، وكسر الخاء ــ نبت طيب الرائحة كــانوا يستعملونه فى فرش قبورهم ، فقـام الاذخر مقـام الثوب للضرورة ، اذ كان المسلمون فى حال ضنك وتعب ومشقة .

قال الامام النووى ــ رحمه الله تعالى ــ : « وفيه دليل على أنه اذا ضاق الكفن عن ستر جميع البـدن ولم يوجد غيره جعل مما يلى الرأس وجعــل النقص ممــا يلى الرجلين ، ويستر الرأس ، فان ضاق عن ذلك سترت العورة ، فان فضل شىء جعل فوقها ، فان ضاق عن العورة سترت السوأتان لأنهما أهم ، وهما الأصل فى العورة » فان لم يوجد ثوب قط لف فى الاذخر أو ما يشاكله .

« ومنــا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها » .

أينعت : أى نضجت وكثرت ، ثمرته : ما أخذ من الغنائم ولا سيما زمن الفتوحات العظيمة يهدبها : ــ بفتح الياء المثناة ، وسكون الهــاء ، وضم الدال ، وكسرها ، وقيل بالفتح أيضا ــ أى يجنيها ، وينتفع بهــا ، وهذا من التعبيرات المجازية البديعة فقد جعل ما فتح لهم من الدنيا بمنزلة البستان الحافل بشتى الثمار ، فلما نضجت وطابت انتفع وتلذذ بما فيها .

وهؤلاء الذين عاشوا حتى فتحت عليهم الــدنيا أصــناف : فمنهم من عاش الى أن فتح الله عليهم وهؤلاء منهم من أعرض عن المــال وواسى به المحاويج أولا فأولا بحيث بقى على تلك الحالة الأولى وهم قليل مثــل أبى ذر ، وهؤلاء ملحقون بالقســم الأول ، ومنهم من تبســط فى بعض المباح فيمــا يتعلق بكثرة النســاء والسرارى أو الخدم ، والمــلابس ، ونحو ذلك ولم يســتكثر وهم كثير منهــم ابن عمــر ، ومنهم من زاد واستكثر بالتجارة وغيرها مع القيام بالحقوق الواجبة والمنــدوبة ، وهم كثير أيضا منهم عبد الرحمن بن عوف

الزهرى ، والى هذين القسمين أشار خباب رضى الله عنه •

فالقسم الأول وما التحق به توفر له أجره فى الآخرة ، والقسم الثانى مقتضى الحديث أنه يحسب عليهم ما وصل اليهم من مال الدنيا من ثوابهم فى الآخرة •

وقد روى البخارى فى صحيحه بسنده عن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف « أن عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام (١) وكان صائما، فقال : قتل مصعب بن عمير، وهو خير منى كفن فى بردة ان غطى رأسه بدت رجلاه وان غطى رجلاه بدا رأسه وأراه (٢) قال : وقتل حمزه وهو خير منى ، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط أو قال : أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا ، ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام » فمن ثم كان يميل كثير من السلف الصالح الى التقلل من الدنيا وزينتها حتى لا يذهب ببعض أجرهم فى الآخرة •

« وبعد » فهذا سيدنا مصعب بن عمير مثل عال من أمثلة المؤمنين الصادقين الذين سخروا من الحياة وشدائدها ، وترفعوا عن أن يكونوا أسراء لشهواتها وزخارفها ، وأول داعية الى الاسلام على بصيرة وحكمة وبفضله وكياسته ، وصدقه دخل الكثيرون من الأنصار فى الاسلام •

ثم هو مثال للتضحية بالنفس فى سبيل الله ورسوله ، ومثال للبطل المجاهد المكافح المنافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى قدم نفسه فداء له عن عقيدة وطيب نفس •

ومثال للفقير العزيز الصابر الذى آثر الفقر فى رحاب الاسلام ، على الغنى والجاه العريض فى ضيق الكفر ، وها هو الآن يرفل فى عرصات الجنة ، ويجول فى مغانيها وقصورها ، فهل نحن بمصعب وأمثاله مقتدون ، وعلى آثارهم سائرون ؟ ذلك ما نرجو والله الموفق والمعين ؟

د • محمد محمد ابو شهبة

---

(١) كان لحما وخبزا كما فى سنن الترمذى •

(٢) بضم الهمزة بمعنى أظنه •

# موقف الفقه الإسلامي من أسرى الحرب

للدكتور محمد رأفت عثمان

عنى الاسلام العناية البالغة بأمر أسرى الحروب ، فلم يتركوا لرئيس الدولة أو قادة الجيوش يستبدون بهم وفق أغراضهم أو حسب هواهم ، وانما نظم أمر معاملتهم تنظيما حفظ به كرامة الأسير حفظا لم ترق اليه النظم الوضعية الى الآن .

ومنذ أربعة عشر قرنا خلت من الزمان وتعاليم الاسلام واضحة جلية فى هذا الشأن .

وكان من أهم ما يميز العلاقة الجديدة الناشئة بين جيش المسلمين وجندى العدو الذى ظفر به المسلمون أن القوة والغلظة التى كان يعامل بها فى ساحة القتال قد أضحت بالنسبة اليه الآن أمرا لا يباح ؛ اذ أنه قد ألقى درعه ، وسلم أمره الينا اختيارا أو جبرا ، وهو وضع جديد استوجب أن يعامل بالرأفة باعتباره مغلوبا على أمره ، فأصبح كالمسالم الذى لم يرفع سلاحا فى وجه المسلمين ، وغاية الأمر أن المسالم من أول الأمر محظور قتله والأسير ان استحق القتل باعتبار ماضيه وترتب على قتله مصلحة عامة قتل بأمر رئيس الدولة أو من ينيبه فى هذا الشأن كما سنعلم فيما بعد .

واذا ما قلنا ان الرأفة بالأسرى هى من أهم ما يميز العلاقة الجديدة الناشئة بين الجيش الاسلامى وأسرى الحرب ، فان هذا القول يحتاج الى ايضاح مظاهر هذه الرأفة بهم ، ويمكن أن نجملها فى المظاهر الثلاثة الآتية :

**المظهر الأول** : عدم جواز أن يقتل الجندى المسلم أسيره الذى أسره من جنود العدو ، وما عليه الا أن يسلمه لقيادته التى تقوم بدورها بتسليمه الى رئيس الدولة أو من ينيبه ، ليتخذ فيه قراره الذى يستند أول ما يستند الى المصلحة العامة للدولة الاسلامية

واذا ما كان الأسير لم ينقد للجندى المسلم فامتنع من الخضوع له ، فله أن يكرهه بالقدر اللازم من ضرب وغيره من وسائل الاكراه الشريفة .

فاذا لم تجد فى اكراهه هذه الوسائل فللجندى فى هذه الحال أن يقتله ، وكذلك اذا خاف منه أن يلحق به ضررا ، أو خاف أن يهرب منه[1]

وما يسرى على الجندى المسلم فى هذا من وجوب تسليم أسيره الى قيادته يسرى كذلك على أفراد الشعب غير المنخرطين فى صفوف الجيش الاسلامى المحارب ، فاذا تمكن بعض أفراد الشعب من القبض على بعض الهابطين من جنود العدو ، الذين يتساقطون بطائراتهم على أرضنا ، بعد أن تسدد لهم قواتنا الضربات التى تؤدى بهم الى الهوى كالفراشات على النيران ، فان على هؤلاء أيضا كالجنود تسليم أسراهم الى المسئولين عن الجيش أو الأمن .

**المظهر الثانى** : عدم جواز التفريق فى الأسر بين الوالد وولده والوالدة وولدها ، ولا بين الأخ وأخيه ، وذلك لأن الفضيلة والنواحى الانسانية مراعاة فى شريعة الاسلام حتى مع أعداء هذه الشريعة .

فاذا سبى المسلمون مجموعة من المحاربين فلا يجوز أن يفرق بين أم وولدها الطفل وهذا أمر أجمع عليه فقهاء المسلمين ، مستندين فى ذلك الى ما ثبت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم من قوله : « لا توله والدة عن ولدها » بل ان فقهاء الاسلام قد نبهوا الى أنه حتى لو رضيت الأم بالتفريق بينها وبين ولدها ، فان ذلك لا يجوز لأمرين :

**الأمر الأول** : أن ذلك وان بدا للمرأة الآن أنه ليس فيه اضرار لها ، فان هذا الاضرار فى الغالب متحقق فى جانب الولد .

**الأمر الثانى** : ان المرأة قد ترضى بأمر فيه ضرر لها ، ثم يتغير قلبها بعد ذلك فتندم على ما اتخذته من قرار .

وكذلك لا يجوز التفريق بين الأب وولده ، لأنه أحد الأبوين فأشبه الأم فى ذلك ، والجد فى هذا كالاب والجدة كالأم .

---

(١) الشرح الكبير لعبد الرحمن بن محمد ج ١٠ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

وأيضا لايجوز أن يفرق بين الأخ وأخيه ، ولا بين الأخ وأخته ، لما روى عن على رضى الله عنه قال : وهب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم غلامين أخوين فبعت أحدهما، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما فعل غلامك ؟ فأخبر به، فقال : رده ، رده » (١) •

المظهر الثالث : وجوب المعاملة الطيبة للأسرى ، فيوصى الاسلام بحسن معاملتهم ، فلا يكون ما فعله أعداؤنا بنا فى الحرب سببا للانتقام من أسراهم ، لأن الكرامة الانسانية محفوظة دائما فى شريعة الاسلام •

والأمر الالهى يجب أن يكون ماثلا دائما أمام قادة المسلمين ، وهو أمر الله عز وجل للمسلمين أن يتقوا الله حتى عند ردهم على اعتداء الآخرين عليهم ، يقول سبحانه : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين »

وقد اعتبر الاسلام اطعام الأسير قربة من القربات التى يتقرب بها

(١) المغنى لابن قدامة جـ ١٠ ص ٤٦٧ — ٤٧٠

المؤمنون الى ربهم ، ويظهر هذا واضحا فى قول الحق سبحانه : « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » (١) وسل التاريخ يحدثك عما ضربه المسلمون من مثل مضيئة فى تاريخ علاقة الانسان بالانسان ، تطبيقا لأوامر هذه الشريعة التى ما جاءت الا لاحياء الانسان ، وصدق الله : « يأيها الذين آمنو استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » فان الاسلام أحياهم بعد أن كانوا موتى بكفرهم (٢) •

وتاريخ المعارك يسطر بالنور ماكان يفعله المسلمون المنتصرون معأسراهم ولنرجع الى تاريخ معركة بدر الكبرى لنلمس السمو فى معاملة الجيش المنتصر لأسيره ، هذا السمو الذى لن تجده الا فى شريعة رب العالمين ، فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه يومئذ أن يكرموا الأسارى ، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء (٣) •

(١) سورة الانسان آية ٨
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٩٧
(٣) المصدر السابق جـ ٤ ص ٤٥٥

فالاحسان اذن الى الأسرى والرأفة بهم علامة مميزة لعلاقة المسلمين بأسرى الحرب .

واذا ما وضحت هذه الحقيقة ، فاننا ننتقل الآن الى بيان نوع الأسرى ، وما يجب على رئيس الدولة أو من ينيبه اتخاذه من قرار يحدد مصير كل نوع .

الأسرى من أهل الحرب ثلاثة أنواع :

الأول : النساء والصبيان .

الثانى : الرجال من اليهود أو النصارى ، أو المجوس .

الثالث : الرجال من عبدة الأوثان، وغيرهم ممن ليسوا من النوع الثانى .

فأما النوع الأول ، وهم الصبيان والنساء ، فلا يجوز لرئيس الدولة ولا لقائد الجيش أن يصدر قرارا بقتلهم ، وانما يصيرون رقيقا للمسلمين بنفس سبيهم ، وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النساء والصبيان ، وكان عليه الصلاة والسلام يسترقهم اذا سباهم .

وأما النوع الثانى ، وهم الرجال من اليهود ، أو النصارى ، أو المجوس فلرئيس الدولة أو من ينيبه فى ذلك الحق فى أن يبت فى شأنهم بأحد الأمور الآتية :

١ — القتل ، وقد حكم به النبى صلى الله عليه وسلم فى عقبة بن أبى معيط ، والنضر بن الحارث، وطعيمة بن عدى فى بدر .

٢ — الفداء ، بأسرى من المسلمين، أو من الذميين وهم رعايا الدولة الاسلامية من غير المسلمين .

ولا يفوتنا هنا أن نشير الى مدى اهتمام الدولة الاسلامية بغير المسلمين من رعاياها وهم الذميون ، فانه — كما قلنا — كما يجوز أن يكون الفداء بالأسرى من المسلمين يجوز أن يكون الفداء بالأسرى من الذميين فلهم فى هذا حقوق المسلمين ، وهو معنى سما به الاسلام عن كل معنى من معانى التعصب المقوت .

بعد ذلك نقول ، انه كما يجوز أن يكون الفداء بواحد منا أسير عندهم مقابل واحد منهم ، فانه يجوز أيضا أن يكون الفداء بواحد

منـــ بأكثر من واحـــد منهم ، وبالعكس (١) وكما يجوز أن يكون الفـداء بأسرى من المسلمين أو من الذميين ــ يجوز أن يكون الفـداء أيضـا بمـال يدفعـه المحـاربون للمسلمين .

٣ ــ المن عليهم بتخلية سبيلهم بلا مقابل ، وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد من على أثامة بن أثال ، ومن أيضا على أبى عزة عمر الجمحى الشاعر ، حينما وقع فى أسر المسلمين ولم يكن يملك من المـال ما يمكن أن يفدى به نفسه ، فأظهر الضعف لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : يارسول الله انى ذو عيلة ، فأطلق عليه الصلاة والسـلام سراحـه لبنـاته الخمس ، على أن لا يرجع الى القتال ، فلما رجع الى مكة مســح عارضيه وقال مغتبطا : خدعت محمدا ، فلما جاء عام معركة أحد دعا النبى صلى الله عليه وسلم ربه قائلا : اللهم لا تفلته ، فاستجاب الله لدعاء نبيه ، فلم يقـع فى الأسر غيره ، فقال عمر الجمحى : يامحمد ، انى ذو عيلة ، فقال صلى الله عليــه وسلم : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، وأمر بقتله » .

٤ ــ استرقاقهم ، بأن يصـيروا أرقاء للمسلمين (١) .

ويحســن بنـا أن نبين أن بعض الفقهاء يرى أن من الأمور المخيرفيها رئيس الـدولة زيادة على الأمـور الأربعة التى ذكرناها ، ضرب الجزية عليهم ، (٢) والجزية هى مقدار قليل من المال تقدره الدولة وتفرضه على رعاياها من غير المسـلمين ، من غير شطط فى تقديره ، مساهمة منهم فى المصالح العامة ، ونظير الزكاة التى يدفعها المسلمون ، واشعارا لهم بعلو شريعة الاسلام .

وأما النوع الثالث ، وهم الرجال من عبدة الأوثان ، ومن معهم من هذا النـوع ، فان الفقهـاء قد بينوا أن رئيس الدولة مخير فى أن يصدر قرارا بقتلهم ، أو تخلية سبيلهم بلا مقابل ، كأن لا يكون لهـم قيمـة معتبرة فيتركوا لسبيلهم ، أو يخلى سبيلهم

---

(١) حاشية الشرقاوى على التحرير جـ ٢ ص ٣٩٤

(١) شرح التحرير للشيخ زكريا الأنصارى ، وحاشية الشرقاوى جـ ٢ ص ٣٩٤

(٢) بداية المجتهد لابن رشدى جـ١ ص ٣٢٥ وشرح الزرقانى على مختصر خليل جـ ٣ ص ١٢٠

بمقابل يدفعـونه لنـا ، ثم اختلف الفقهاء فى استرقاقهم ، فالبعض يرى جـواز استرقاقهم كالنوع الثانى ، والبعض يمنعه (١) .

هـذا وينبغى أن نشير الى أن بعض العلماء يرى عدم جواز قتل أى نوع من الأسرى ، فقتل الأسير على رأيهم ليس من الأمور المخير فيهـا رئيس الدولة (٢) .

كما أن هناك من العلماء من يرى أن رئيس الدولة لا يخـير الا بين أمرين فقط فى كل الأسرى ، وهذان الأمران هما : المن على الأسرى بتخلية سبيلهم ، ومفاداتهم وليس له أن يفعل غير واحد من هذين الأمرين (٣) .

وقد استدل كل فريق من القائلين بجواز قتل الأسرى ، والقائلين بعدم جـواز قتلهم بدليل يرون أنه يثبت مدعاهم .

فأما الذاهبون الى عدم جواز قتل الأسرى فقـد اسـتندوا الى أن الله عز وجل قـد حصر ما يجب اتبـاعه ازاء الأسرى فى أمرين هما : المن ، والفداء ، فى قوله سبحانه : « فاذا لقيتم الذين كفـروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم (١) فشـدوا الوثاق فامامنا بعـد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » (٢) .

وقال هذا الفـريق انه مع كون النبى صلى الله عليه وسلم قد ثبت عنه أنه أمر بقتـل بعض الأسرى ، فان هذه الآيـة الكريمة قد نسخت فعله عليه الصلاة والسلام (٣) .

وأما الذاهبـون الى أن لرئيس الدولة أن يأمر بقتل الأسرى ، فقد بنوا رأيهم على أن آية « فاذا لقيتم الذين كفروا » ليس فيها ذكر لقتل الأسرى لا بالجواز ، ولا بالمنع ، كما أنه ليس المقصود منها حصر الأمور التى يجـوز أن يفعلهـا المسلمون بالأسرى ، علاوة على أن قتل الأسير قـد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، كما حدث من قتل النضر بن الحـارث ، وعقبـة بن أبى معيط ، اللذين قد وقعا فى أسر المسلمين يوم

---

(١) منهاج الطالبين وعمدة المفتين للنووى ص ١٢٦

(٢) بداية المجتهد جـ ١ ص ٣٢٥

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص١٧٣

---

(١) أى أهلكتموهم قتلا .

(٢) سورة محمد آية ٤

(٣) بداية المجتهد جـ ١ ص ٣٢٦

معركة بدر ، فيكون حكمه صلى الله عليه وسلم زائدا على ما فى الآية الكريمة (١) .

واذا ما علمنا الأمور التى بينها الفقهاء فى معاملة الأسرى،فان الواجب على رئيس الدولة أن يفعل ما يتفق والمصلحة العامة للمسلمين ، فلا يتخذ قرارا بالتشهى أوحسب هواه ، وانما يكون رائده فى ذلك وحاديه المصلحة فحسب(٢) . واذا لم تظهر له المصلحة فان الواجب عليه أن يأمر بحبس الأسرى ، وينتظر حتى يتبين له الرأى الذى تتوقف عليه المصلحة العامة للدولة الاسلامية ولو بسؤال غيره من مستشاريه وسواهم (٣) .

هذا ، وثمة سؤال يمكن أن يجىء هنا ، وهو ما الحكم فيما لو أسر المسلمون أسيرا فأعلن أنه أسلم قبل أن يتخذ رئيس الدولة أو من ينيبه قرارا بشأنه ؟

ان الفقهاء فى ذلك مجمعون على أنه لا يجوز قتله ، لأنه أصبح كسائر المسلمين لا يجوز أن تهدر دماؤهم ، ثم اختلف العلماء فى بقية الأمور السابقة على رأيين :

أحدهما : يرى أنه يصير رقيقا فى الحال ، أى أن رئيس الدولة أومن ينيبه ليس له الاختيار فى الأمور السابقة التى بيناها ، وانما الأسير فى هذه الحال قد صار حكمه حكم الصبيان والنساء ، وهؤلاء يصيرون أرقاء للمسلمين .

وأما الرأى الثانى : فيرى أن الأسير فى هذه الحال قد سقط جواز قتله ، فيبقى الاختيار فى باقى الأمور المخير فيها رئيس الدولة ، وكان مما استند اليه أصحاب هذا الرأى ما روى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا قد أسروا رجلا من بنى عقيل ، فمر به النبى صلى الله عليه وسلم ، فناداه ، وسأله عن سبب أسره ، فقال له الرسول : « أخذت بجريرة حلفائك من ثقيف ، فقد أسرت رجلين من أصحابى » ثم مضى النبى صلى الله عليه وسلم ، فناداه الرجل: يا محمد ، يا محمد ، فقال له :

---

(١) المصدر السابق ص ٣٢٦ وتفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١٧٣

(٢) شرح الرملى على المنهاج جـ ٨ ص ٦٥ ، والمغنى لابن قدامة جـ ١٠ ص ٤٠٠

(٣) حاشية الشرقاوى على التحرير جـ ٢ ص ٣٩٥ ،وحاشية الجمل على شرح المنهج جـ ٥ ص ١٩٧ والمغنى لابن قدامة جـ ١٠ ص ٤٠٢ ، ٤٠٣

« ما شأنك ؟ » فقال : انى مسلم ، فقال : « لو قلتها وأنت تملك أمرك لأفلحت كل الفلاح »وفادى به النبى صلى الله عليه وسلم الرجلين (١) .

وهذا اذا أسلم الأسير بعد أسره ، فأما اذا أسلم الحربى قبل أن يظفر به المسلمون ، فان حياته تصبح واجبة الصيانة ، وكذا أمواله ، والصغار من أولاده ، وأما زوجته فالأرجح عند الشافعية عدم عصمتها (٢) .

ثم أما بعـد ، فاذا ما علمنـا أن الاسلام يوصى بالعنـاية بالمرضى والجرحى من الأسرى ، ويمنع تعذيب العدو ، أو قتله غيلة،بل أمر باكرامهم، أدركنا مدى ما فى هـذه الشريعـة الخاتمـة من السـمو بالانسانية ، والارتقاء بها الى آفاق لا يمكن أن يرقى اليها أى تنظيم آخـر سواها ، ويكفى أن الاسلام قد أتى بهـذه المبادىء منذ أربعة عشر قرنا ، ولم تهتد القوانين الوضعية الى تنظيم أمر العناية بالمرضى والجرحى ، ومنع تعـذيب العـدو ، تنظيما كاملا الا بمقتضى اتفاقية جنيف المنعقـدة سنة ١٨٦٤ م والتى عدلت بمعـاهدة

(١) منهاج الطالبين ص ١٢٦

سنة ١٩٠٦ ، ثم باتفاقية ٢٧من يوليو سنة ١٩٢٩ ، ومع ذلك فان الحقوق التى تقررها هذه القـوانين للمرضى والجرحى لا يقاس بما قررته مبادىء الاسلام (١) .

بالاضافة الى أن الاسلام اذا كان قد قـرر أمورا تسمو بمعاملة أسرى العدو فانه قد جعل ذلك واجبا يعاقب على تركه ، بخلاف القوانين الوضعية التى لن تجد من يفرض تطبيقها على دولة تسىء الى الأسرى أو تهـين كرامتهم وانسانيتهم ، والأمثلةحاضرة فى أى عصر من العصـــور قديمها وحديثها ، ويكفينا أن تتذكر ما فعله نابليون بونابرت عندما رأى أن عدد الأسرى من أعدائه فى احدى معاركه قد زاد وكثر فأمر بابادتهم ، هـــذا يحدث بينما يعتبر الاسلام اطعـام الأسير من القربات التى يتقرب بهـا المسلم الى ربه (٢) فانظر مدى السمو فى شريعـة محمد صلى الله عليـه وسلم ؟

**دكتور محمد رافت عثمان**

(١) ميثاق الأمم والشـعوب فى الاسلام . محاضرة للدكتور عبدالفتاح حسن .

(٢) العلاقات الدولية فى الاسلام للشـيخ محمد أبوزهرة . المؤتمـر الاول لمجمع البحوث الاسلامية .

# من قضايا العصر

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن سليمان بن يسار رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث عبد الله بن رواحة رضى الله عنه الى خيبر فيخرص بينه وبين يهود خيبر ، قال : فجمعوا له حليا من حلى نسائهم فقالوا : هذا لك وخفف عنا وتجاوز فى القسم فقال عبد الله : يا معشر يهود والله انكم لأبغض خلق الله الى ، وما ذلك بحاملى على أن أحيف عليكم ، فأما ما عرضتم من الرشوة فانها سحت ، وانا لا نأكلها فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض • أخرجه الموطأ •

الخرص : التقدير بالحزر والظن •

تناول هذا الحديث على وجازته جملة من القضايا التى تشد انتباه العالم فى هذا العصر ، وما تزال مطروحة للبحث ومبعثا للحوار الحاد والجاد ، تناول الحديث ناحية من أخلاق اليهود وناحية من أخلاق موظفى الدولة وما ينبغى أن يتحلوا به من أمانة وعدالة كما تناول ناحية من تسامح الدولة الاسلامية فى معاملة الأعداء وبخاصة اليهود ، وهذه كلها قضايا هامة تأخذ قسطا كبيرا من جهود الكتاب فى ميادين الكتابة وخاصة فى الميدان العربى ، وقبل أن نتكلم عن هذه القضايا نشير بايجاز الى شأن خيبر التى وردت فى الحديث • ان خيبر بلد أو مدينة هامة كما يقول المؤرخون قريبة من مدينة الرسول ، كانت موطنا لبعض اليهود وكانت أرضها خصبة ذات زروع وثمار وكانت منيعة بقلاعها وحصونها وقد اتخذت وكرا لمؤامرات اليهود وبث الدعاية ضد الاسلام ونبى الاسلام ، وبها وقعت الغزوة المعروفة بين اليهود والمسلمين فما أشبهها اليوم بتل أبيب ولو شئنا

لقلنا : ان تل أبيب امتداد لها فكلاهما فى البلاء سواء وقد اضطر المسلمون لقتال أهلها اتقاء لشرهم وتأمينا لدعوة الاسلام منهم ، وكتب الله للمسلمين النصر عليهم بعد مناورات ذكية واعية ومعارك ضارية دامية بذل فيها كل من الفريقين ما استطاع من حول وحيلة للظفر بصاحبه والغلبة عليه ، وانتهى أمر تلك المعركة بخضوع اليهود بعد أن كسر المسلمون شوكتهم واستنزفوا قوتهم ، وبقبول النبى صلى الله عليه وسلم مصالحتهم التى عرضوها عليه على أن يقيموا فى ديارهم ويعملوا بأرضهم وأن يكون لهم النصف مما تغل الأرض وللمسلمين النصف ذلك حديث خيبر ، أما القضايا التى تناولها الحديث فقد تناول الناحية الخلقية لليهود وصورهم كواقعهم عبدة للمال يستهينون فى سبيله بكل القيم ولا اعتداد فى سبيل الوصول اليه بمروءة ولا شرف ولا كرامة ولا قانون ولا دين ، وقد سجل عليهم القرآن الكريم أنهم باعوا دينهم بدنياهم واستبدلوا بكلام الله كلاما من عند أنفسهم ونسبوه اليه، وحرفوا كلمه عن مواضعه بأثمان قليلة ولم يبالوا بعذاب الله على جناياتهم فقال جل شأنه : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » وقال عز من قائل : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » وفى هذا الحديث صورة من صور الرشوة التى تمرسوا بها واعتادوها فأصبحت من خصائصهم فى حياتهم فقد حاولوا أن يستخدموا الرشوة مع عبد الله بن رواحة عامل المسلمين فى تحصيل الأموال التى صالحهم عليها رسول الله ليتساهل معهم فى القسمة ويعطيهم أكثر مما جعل لهم فى المصالحة واحتالوا أن يجعلوا الرشوة مغرية فجمعوا له من حلى نسائهم ما شاءوا وعرضوه عليه ليأخذه ويرجح لهم فى نصيبهم ولكن خاب فألهم وضل سعيهم ، فقد أبت على عبد الله عفته ودينه أن يستجيب لما دعوه اليه ، وجعل من رفضه لذلك فرصة لأن يلقى عليهم درسا فى مبادىء الاسلام وكان مما علمهم

اياه من ذلك ، وجوب الأمانة فى العمل وأن موظف الدولة يجب أن يكون له من دينه وأمانته حصانة من الانحراف مهما كانت حاله من الحاجة والاملاق ومهما كانت دواعى الاغراء والتأثير وجعل من نفسه مثلا وقدوة فابن رواحة فى موقفه هذا كان محصلا قليل الأجر وكان مما أغرى به من الرشوة ذا قيمة تعدل أجره فى سنوات ، ولكن كانت حصانته بدينه وخلقه أعظم مما تتعرض له من الامتحان بالمال مهما تعاظمت قيمته وكثر قدره،ومما علمهم اياه فى درسه هذا أن الرشوة حرام على المسلمين وأنها سحت وأكل لأموال الناس بالباطل ، وأنها اذا حرمت فى العلاقات الفردية فهى أشد حرمة فى العلاقات العامة بين عمال الدولة ورعاياها ، لأن الموظف اذ يخون فى تلك العلاقات فانما يؤذى بخيانته رعايا الدولة جميعا ، ومما علمهم اياه فى هذا الدرس ، وجوب مراعاة العدالة فى المعاملة مهما كانت علاقة المتعاملين بالعاملين من حب أو بغض أواختلاف فى الجنس والدين اذ لم تحمل كراهية ابن رواحة اليهود واختلافه معهم فى الدين على أن يظلمهم فى القسمة ويستغل سيطرة الدولة وقوتها فى الحيف عليهم وطمأنهم على أنه سيعدل بينهم رغم ذلك كله ورغم أنه أخزاهم برفض رشوتهم وقال تلك الكلمة الحلوة العذبة التى تقع من النفوس موقع الرضا والقبول : « يا معشر يهود والله انكم لأبغض خلق الله الى وما ذلك بحاملى على أن أحيف عليكم » وكأنه فى هذا يستلهم قول الله تعالى:«ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » وبهذه الكلمة وبهذا التصرف انتزع ابن رواحة شهادة اليهود واعجابهم بعدالة الاسلام وأنه بهذه العدالة سيستطير نوره ويعم الآفاق ضياؤه فبالعدل قامت السموات والأرض كما قالوا وانا لنقف هنا وقفة قصيرة مع موظفى الدولة فى هذا العصر لنقدم هذا النموذج من موظفى الدولة الذين لم يبعد عهدهم بالبداوة ولم يدخلوا معهدا ولا جامعة ولم يدرسوا لوائح الموظفين ولا قواعد الادارة وكيف تصرف مع معامليه فى أمانة ورفق وكياسة ووقف منهم موقف المعلم للأخلاق والآداب وقواعد المعاملة من

أمانة وصدق فظفر باستحسانهم وأنجز عمله ولم يبخس من حقوق الدولة شيئا .

وفى الحديث أخيرا مثل من أمثلة تسامح الدولة الاسلامية مع أعدائها فقد أجاب الرسول طلب اليهود أن يقيموا فى ديارهم ليقوموا باستزراع الأرض ويأخذوا النصف مما تغله ليستكفوا به فى معاشهم ، ولقد كان فيما انتهى اليه الصلح مصلحة لليهود حيث لبثوا بمقتضاه فى ديارهم وكفلوا أرزاقهم ، ومصلحة للمسلمين أيضا حيث كانوا فى شغل عن فلاحة الأرض بالنضال فى ترسيخ الدعوة وكانت خبرتهم باستثمار الأرض دون خبرة اليهود اذ ذاك ، وقد اتخذت معاملة النبى صلى الله عليه وسلم لليهود فى أرض خيبر ومناصفتهم فى غلتها أساسا لأحكام المزارعة فى الاسلام ودار حولها اختلاف الأئمة حسبما تصوروه من ذلك اسص وغيره من النصوص التى وردت فى هذا الموضوع ويعرف تفصيل ذلك من كتب الفروع ؟

أبو الوفا المراغى

---

# الجانب العسكري من موقعة بدر

للأستاذ علي حسن عمر

« ان دنا القوم منكم فانضحوهم بالنبل ، واستبقوا نبلكم ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم ولا تحملوا عليهم حتى تؤذنوا » .

محمد رسول الله

بهذا الأمر الميداني ن القائد العظيم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم خاض المسلمون معركة بدر الى النصر يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، يوم الجمعة السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة ..

وهذه التعليمات من الرسول صلى الله عليه وسلم هي غاية ما وصل اليه العلم الحديث وأرقى ما جادت به عبقرية قائد قوة صغيرة محدودة السلاح لمواجهة قوة تفوقها في العدد ثلاث مرات استعدت للحرب وخرجت لملاقاة المسلمين بتجهيز قوى وعدة كاملة من سوابغ الحديد والخيل المسومة .

وغزوة بدر من الغزوات الحاسمة في التاريخ أعز الله بها الاسلام وكانت أهم عامل في ظهوره وسرعة انتشاره وقد شمل الله تعالى من حضرها من المؤمنين برضاه وخصهم وأهل الحديبية بالغفران والجنة . « استأذن عمر رضى الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل حاطب بن أبي بلتعة ممن حضروا بدرا لمحاولته افشاء سر غزوة الفتح لقريش في السنة الثامنة من الهجرة فمنعه رسول الله قائلا : « دعه يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فلقد وجبت لكم الجنة ــ أو فقد غفرت لكم » .

أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ هاجر الى المدينة الحرب الاقتصادية على قريش والمشركين وضرب الحصار الاقتصادي على تجارة قريش الأساسية في رحلتيها الى الشام واليمن اللتين ذكرهما

الله تعالى فى قوله: « لا يلاف قريش . ايلافهم رحلة الشتاء والصيف » .. وطريق تجارة قريش الى الشام هو طريق ( مكة ساحل البحر الأحمر ـ تبوك ـ دمشق ) والمدينة المنورة تتحكم بحكم موقعها فى هذا الطريق ويسهل منها تحقيق الهدف الاستراتيجى بالتعرض لتجارة قريش الأساسية الى الشام واصابة اقتصادياتها بضربات قاصمة .. ولذلك وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوات ثلاثا سابقة لغزوة بدر حققت أغراضها مع القبائل المنتشرة على هذا الطريق بعهود أهم شروطها ألا يظاهروا عليه أحدا .

ثم وردت الأخبار بخروج عير قريش بتجارتها الرئيسية فى قافلة عظيمة تحركت من مكة قاصدة الشام وفيها كل أموال قريش ( قيل فيها خمسون ألف دينار وألف بعير ) بقيادة أبى سفيان بن حرب ومعه سبعة وعشرون رجلا ( وقيل تسعة وثلاثون ) فيهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل ( كان على أموال بنى زهرة ) فخرج اليها صلى الله عليه وسلم ليعترضها قبل وصولها الى الشام فى مائة وخمسين رجلا ( وقيل مائتين ) ووصل الى مكان يسمى « العشيرة » فوجد القافلة قد مرت وسبقته فصالح بنى مدلج بن كنانة وحلفاء بنى ضمرة على ألا يظاهروا عليه أحدا ورجع الى المدينة معتزما التعرض لعير قريش حين عودتها من الشام .. فلما وصلته أخبار خروجها من الشام حاملة بضائع ونفائس قاصدة مكة ندب المسلمين للخروج ولم يكره أحدا ولم يأمرهم بالاستعداد لحرب وانما كان قوله صلى الله عليه وسلم : « هذه عير قريش فيها : أموالهم فاخرجوا لعل الله أن ينفلكموها » ولم يصل الأمر الى أغلب رجال الأوس لاقامتهم بالعالية ( قرية قرب قباء ) بعيدا عن المسجد ، مع تعجيل رسول الله الخروج خشية افلات عير قريش فى رجوعها .. وتثاقل ناس وأجاب ناس لم يستعدوا استعدادا كاملا للحرب واجتمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ستة وثمانون رجلا من المهاجرين وواحد وستون رجلا من الأوس ومائة وسبعون رجلا من الخزرج

وأعاد من مجموعهم أربعة لم يبلغوا السن وبقى ثلاثة عشر وثلثمائة رجل معهم فرسان اثنان وسبعون بعيرا ، فكانوا يتعاقبون الاثنان والثلاثة والأربعة على بعير واحد ..

وسارع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج برجاله يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة خلت من رمضان من العام الثانى للهجرة .. وخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر الأوسى .. وعلى الصلاة ابن أم مكتوم رضى الله عنها وخلف عاصم بن عدى على قباء وأهل العالية لشيء بلغه عن مسجد الضرار. وعقد اللواء لمصعب بن عمير .

ولكن الأخبار عن خروج المسلمين وصلت أبا سفيان بن حرب فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى ليفزع قريشا ويستصرخهم للخروج لانقاذ أموالهم من محمد ( صلى الله عليه وسلم ) ورجاله — ونجح ضمضم هذا فى ازعاج أهل مكة جميعا ، فتجهزوا للقتال وكانوا بين رجلين اما خارج للقتال بنفسه واما باعث مكانه رجلا ، ولم يتخلف من أشراف قريش الا أبو لهب الذى بعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة مقابل أربعة آلاف درهم كانت دينا عليه ( وقد قتل فى المعركة ) .

وبلغ حشد المشركين أكثر من خمسين وتسعمائة رجل ( وقيل ألف رجل ) سوى بنى زهرة الذين خرجوا فى مائة رجل ( وقيل ثلثمائة ) يقودهم حليفهم الأخنس بن شريق الثقفى ، وقادوا من الخيل مائة عليها مائة درع ( وقيل مائتين من الخيل بأدراعها ) سوى دروع المشاة ، ومعهم عدد كبير من الابل لركوبهم ولحمل أمتعتهم واصطحبوا معهم القيان يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين رفعا لمعنويات المشركين .

وكان يقود هذا الجيش عدد من رجالات قريش .

انطلق حشد رسول الله من المدينة يريدون عير قريش حتى وصلوا بدرا بعد مسيرة خمس ليال وأربعة أيام ، فوجدوا عير قريش ( قافلة قريش ) قد أفلتت ونزلوا بأرض رملية تسيخ فيها الأقدام بعيدا عن الماء ثم عدلوا عن هذا الموقع

بمشـورة الحبـاب بن المنـذر بن الجموح الأنصارى .

وانطلق جيش المشركين من مكـة حتى اذا ما وصلوا الجحفة صادفهم مبعوث أبى سـفيان وأبلغـهم أمره بالرجـوع ما دامت أموالهـم قـد اسـتنقذت وأفلتت من المسـلمين باتخاذه طريق الساحل والاسراع فى السـير .

وتردد من كان لا يريد الخروج من قريش ومنهم أمية بن خلف وعتبة وشـيبة ابنـا ربيعـة ، ولكن أبا جهل رفض أن يرجعوا وقـال : «والله لا نرجع حتى نحضر بدرا فنقيم فيها ثلاثة أيام ، وننحر الجزر ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرتنا جميعا فلا يزالون يهابوننا » وأفلح أبو جهـل فى تثبيت من تردد فى الرجوع الا بنى زهرة ، فقد اتبعوا أمر قائدهم الأخنس بن شريق الثقفى بعـد أن خطبهم وقال : « يا بنى زهرة قد نجى الله أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل .. وانما نفرتم لتمنعوه وماله ، فارجعوا فانه لا حاجة لكم الى أن تخـرجوا لغير منفعة ودعوا هـذا ( يريد أبا جهل ) فرجعوا .. ثم ان بنى هاشم أرادوا الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل وقـال لقريش : « لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع » وظل حشـد المشركين سائرا حتى نزلوا بالعدوة القصوى من بدر على عيون المـاء .

أضحى جنـود الله أمام موقف آخـر مخالف لمـا كانوا قد ندبوا للخروج له فان عير قريش ( قافلتها ) أفلتت وأصبحوا فى مواجهـة جيش المشركين .. وبلغ رسول الله قولة أبى جهل فخشى أن يتسامع العـرب بخروج حشـود قريش ومسـيرتهم وتحديهم للمسلمين دون أن يلقـوا نزالا منهم .. وبذلك تهاب العـرب قريشـا ولا تلقى دعـوة الاسـلام الا اهمالا واعراضا لايعلم مداهمـا الا الله سبحانه وتعالى .. ثم ان الله سبحانه وتعالى وعد الرسـول احدى الطائفتين ( العير أو النفير ) فكان لابد من تقدير الموقف .. ثم الاعداد للمعركة .

**١ ـ تقرير الموقف :**

بدأ رسول الله بما يعبر عنه فى العلم الحديث بتقدير الموقف فى مجلس الحرب فجمع الناس وعرض عليهم أمرين : أولهما ـ أن يعودوا الى المدينة دون صدام مع قريش وقد خرجوا لهم على كل صعب وذلول وفى هذا تصغير لشأن المسلمين وتفويت للجهاد فى سبيل اعلاء كلمة الله وتمكين القبائل من الجرأة عليهم حين تسامع العرب بحشود قريش وتحديهم لمحمد وحزب الله وتراجع المسلمين حرصا على حياتهم .. فتصيب الدعوة الى الله هزة كبرى فى داخل المدينة وفى القبائل..وثانيهما ـ أن ينازعوا المشركين ساعين الى الشهادة فى سبيل اعلاء كلمة الله .. فان انتصروا فى المعركة ( وهو ما وعد الله به رسوله ) فانها تكون انتصارا للعقيدة ودليلا عمليا على رسوخها وترفع من هيبة المسلمين ويخافهم أعداؤهم فضلا عما يصل اليه المسلمون من قتل وأسر أشراف قريش أئمة الكفر واغتنام أسلابهم.. ثم قال : «أشيروا على أيها الناس». ( وما كان رسول الله بحاجة الى ذلك والله مؤيده بنصره وقد وعده احدى الطائفتين ( العير أو النفير ) .. ولكنه أراد أن يتثبت من ارادة القتال لديهم . وأن يشاورهم فى الأمر .. ) .

وقام أبو بكر وتكلم وأحسن .. ثم قام عمر وتكلم وأحسن ، ولكنه أعرض عنهما واتجه الى الأنصار وقال :«ان القوم قد جمعوا لكم كل صعب وذلول وهذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها .. فأشيروا على أيها الناس » فقام المقداد بن عمرو فقال : « يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك ، ولا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون » فقال له رسول الله خيرا ودعا له بخير ، ثم عاد فقال:«أشيروا على أيها الناس » فقام سعد بن معاذ رضى الله عنه وهو سيد الأوس وسيد الأنصار قال الزرقانى « كان سعد بن معاذ فى الأنصار كالصديق فى المهاجرين » قال سعد : « لعلك تريدنا يا رسول الله ، ولعلك تخشى أن تكون الأنصار

ترى ألا ينصروك الا فى ديارهم ، ( يشير الى عهدهم فى بيعة العقبة الكبرى )•قال رسول الله : «أجل» قال سعد : انى أقول عن الأنصار وأجيب عنهم •• ولعلك يا رسول الله خرجت لأمر وأحدث الله غيره فامض لما شئت ••• الخ • الى أن قال : وما نكره أن نلقى عدونا ، انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك •• فسر على بركة الله • فتهلل وجهه صلى الله عليه وسلم وتأكد من ارادة القتال فى جنده وهى أهم عناصر المعركة •

وقال : « سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين اما العير واما النفير •• والله لكأنى أنظر الآن الى مصارع القوم » •

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عد جنده فى بدء المسيرة فوجدهم ثلاثة عشر وثلثمائة جندى فتفاءل ، وقال : عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر ، ثم نظر اليهم فى حالهم فدعا الله : اللهم انهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فأشبعهم وعالة فأغنهم من فضلك •• ولعل حالهم هذه هى التى جعلت بعضهم فى البدء يود لو أنهم صادفوا العير•• لا حبا للسلامة،ولكن لتمكين المسلمين من شراء السلاح والخيل ليعدوا لعدوهم ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل وسنرى أن دعوة رسول الله استجيبت من طريق هزيمة المشركين ، فما رجع من المسلمين أحد الا وله البعير والبعيران واكتسى من كان عاريا وأصابوا أزواد قريش وفداء الأسارى فاغتنى به كل عائل ، وقد نزل فى ذلك قرآن الله تعالى : « واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين » •

## ٢ ـ التخطيط للمعركة :

### ( ا ) الاستطلاع قبل المعركة :

أوفد رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب والزبير ابن العوام وسعد بن أبى وقاص يتحسسون الأخبار فاستطلعوا مواقع العدو ما استطاعوا ، ورجعوا بغلامين للمشركين كانا يسقيان لهم••

واستجوبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم واستنتج عدد جيش المشركين وأسلحتهم ومكانهم وقادتهم ومن منهم من أشراف قريش .. ثم أقبل رسول الله على الناس وقال : « هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها » .

**(ب) اختيار ميدان المعركة :**

روى ابن اسحق « خرج الرسول صلى الله عليه وسلم يبادر الكفار الى الماء حتى جاء أدنى ماء فنزل به فقال الحباب بن المنذر بن الجموح رضى الله عنه : « يا رسول الله أهذا منزل أنزلكه الله تعالى لا تتقدمه ولا تتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟ فقال رسول الله : « بل الرأى والحرب والمكيدة » . قال الحباب : هذا ليس منزلا فانهض يارسول الله بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم ( يريد من المشركين) فانى أعرف غزارة مائة فننزل به ، ثم نغور ما وراءه من القلب ( أى ندفنها وتفسدها عليهم ) ثم نبنى عليه ( أى على ذلك الماء الذى ننزل عليه ) حوضا فنملؤه فنشرب ولا يشربون .. فقال صلى الله عليه وسلم : «أشرت بالرأى » ونهض صلى الله عليه وسلم ومن معه حتى أتى أدنى الماء الذى اختاره الحباب فنزل عليه وبنى على قليبه حوضا ملىء بالماء وقذفت فيه الآنية للاعداد للشرب، ثم أمر بالقلب الأخرى ( العيون ) بما فيها القلب التى تلى العدوة القصوى التى عليها الكفار فغورت وفوجىء بذلك جيش المشركين وأصابهم العطش الشديد قبل المعركة وأثناءها .

وكان اختيار مكان النزال (ميدان القتال ) بحيث تكون الشمس فى أقفية المسلمين (وراءهم) وفى وجوه الكافرين ( ورواد الصحراء القريبة من المنطقة الاستوائية والحجاج يعلمون ما للماء من قيمة وما للشمس من ضربات مميتة وأذى قاتل لمن يواجهها ) .

وأيد الله سبحانه وتعالى جنده ليلة المعركة بمطر غزير فتطهروا به وتوضأوا وملأوا الأسقية ، وأطفأ المطر الغبار من حولهم ، ولبد الأرض ليثبت أقدامهم ، ولم يستفد موقع الكفار من هذا المطر بل انه أوحل الأرض اللينة التى كانوا علها، وأفسد عليهم المعركة واطمأنت

نفوس المسلمين فأصابهم النعاس واستجموا ليقابلوا المعركة فى الصباح غير مجهدين ، وفى ذلك نزل قوله سبحانه وتعالى: « اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » .

ونامت الأعين الا عين رسول الله، فقد شغل الليل بالصلاة وأكثر دعاءه لربه فى سجوده « ياحى ياقيوم » .

**(ج) تعبئة الجيش للمعركة :**

لما طلع الفجر ( فجر يوم الجمعة السابع عشر من رمضان ) نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم « للصلاة » فجاء الناس وصلى بهم ثم خطبهم وحمدالله وأثنى عليه .. وحثهم على الصبر ، وأبان لهم أن الصبر فى مواطن البأس ، مما يفرج الله به الكروب ، وينجى من الغم ، ثم أعطاهم تعليماته .

ودارسو علم الحرب الحديث وفنونه تعتريهم الدهشة للنبى الأمى الذى لم يحمل سلاحا قبل البعثة ولم يكن من رجال الحرب . كيف قاد رجاله فى مسيرة الصحراء من المدينة الى بدر لمواجهة المشركين فى هذه الحملة وكيف صدرت عنه هذه الأوامر التى وصلت الى حد الاعجاز الفنى فى علم الحرب الحديثة ــ وسيأتى فى ذلك فضل بيان .. وبصدد المعركة فقد فاجأ الرسول صلى الله عليه وسلم أعداءه بتشكيل جديد لم يكن معروفا للعرب هو القتال بأسلوب الصفوف ــ وكان عاملا من أهم عوامل انتصار المسلمين فى المعركة فرتب جند الله صفوفا جعل فى الصف الأول المسلحين بالرماح وفى الصف الثانى المسلحين بالنبال القصيرة والسهام،وفى الصف الثالث المسلحين بالنبل الطويلة . واستبقى استعمال السيوف الى وقت التحام جند الله حين يغشاهم المشركون . وهذا النوع من القتال هو ما يسمى فى علم الحرب القتال بالعمق ويحتفظ فيها القائد الأعظم باحتياطى يعالج به المفاجآت والكمائن التى قد يلتجىء لها العدو ولا تكون فى الحسبان ــ ثم يستعمل هذا الاحتياطى فى الهجوم المضاد وترجيح كفة جنوده عند الحاجة . وتعبئة

جيش المسلمين على نظام الصفوف مكن القائد الملهم رسول الله من السيطرة على جيشه .. فى مقابل هذه التعبئة والقتال بأسلوب الصفوف الذى فاجأ به رسول الله جيش المشركين ، قاتل جيش المشركين بتشكيل الكر والفر ،وهو أن يهجموا بكل قوتهم وبجميع أسلحتهم النشابة منهم وحملة السيوف والذين يطعنون بالرماح مشاة وفرسانا فان ثبت أعداؤهم فى مواقعهم وانكسرت حدة الهجوم رجعوا ونكصوا ثم أعادوا تنظيمهم وكروا ثانية .. فهم يكرون ويفرون حتى يكتب لهم النصر أو الانحسار .. ولم يكن العرب يعرفون أسلوبا آخر للحرب غير القتال بأسلوب الكر والفر ..

خطط مولانا رسول الله صلى الله عليه سلم بهذا التشكيل ( نظام الصفوف ) وكان ينظم أصحابه فى الصفوف بنفسه ، ويختار الرجل المناسب للسلاح المناسب والوضع المناسب ثم أصدر أمره المعجز أساس النصر فى المعركة :

« ان دنا القوم منكم فانضحوهم بالنبل ، واستبقوا نبلكم ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم ، ولا تحملوا عليهم حتى تؤذنوا » .

ويهمنا تحليل هذه التعليمات :

للجيوش أسلحة بعيدة المدى وهى فى زماننا : المدفعية والقاذفات والصواريخ وغيرها .. وفى زمان رسول الله : هى النبال ( السهام ) وأسلحة قريبة المدى تستعمل عند الالتحام .. وهى فى زمان رسول الله السيوف .

وتعليمات رسول الله هى التريث فى القتال بالنبال حتى يدنو العدو من المرمى المؤثر المنتج للنبل ، فلا تستعمل والعدو بعيد فتفقد قوتها القاتلة ببعد المسافة — ثم قوله صلى الله عليه وسلم :« استبقوا نبلكم » معناه عدم التفريط والتحفز للعدو حتى اذا ما أصبح قريبا يضمنون وصول النبل الى مقاتله فاجأوه بوابل كثيف فتكثر فيه الخسائر ويؤثر فى معنوياته وتضطرب جموعه فتنحسر موجة هجومه ، أما قوله صلى الله عليه وسلم : « ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم » ففيه ضمان لبقاء جنوده فى صفوفهم وقصر استعمال السيف على مواطن الالتحام بعد استنفاذ تأثير

الأسلحة بعيدة المدى ( النبل وما فى حكمها ) • وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « ولا تحملوا عليهم حتى تؤذنوا » فقد قصد به رسول الله ضمان تنظيم الهجوم المضادوسيطرته على جيشه فى جميع مراحل المعركة.

وهذه التعليمات هى منتهى ما وصل اليه العلم الحديث من مبادىء منها مبدأ كبت النيران الذى يتمثل فى كبت الرمى بالنبال حتى يفاجأ به العدو فى المرمى المؤثر •• ثم فتح النيران بوابل شديد تكثر فيه الخسائر ويحدث الاضطراب فى العدو فيفلت منه زمام المبادرة •

### كيف دارت المعركة ؟

فوجىء المشركون بتغوير عيون الماء حولهم ، وبوفرة الماء فى حوض المسلمين ، فخرج الأسود بن عبد الأسد أشدهم شراسة فقال أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه فتصدى له حمزة ابن عبد المطلب رضى الله عنه فضربه دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما ، ثم اقتحم الحوض فقتله حمزة فى الحوض ، فالأسود هو أول قتيل من المشركين يوم بدر •• ثم حمت الحرب وتهيأ المشركون للقتال وبرز منهم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة أخوه والوليد بن عتبة ابنه متقدمين صف المشركين داعين للمبارزة فبرز لهم عوف ومعاذ ( فتيان من الأنصار من بنى النجار ) وعبد الله ابن رواحة من الأنصار فرفضوا مبارزتهم ، وصاحوا : يامحمد أخرج الينا ، أكفاءنا من قومنا فأمر رسول الله الأنصار بالرجوع الى مصافهم ، وقال : قم ياعبيدة بن الحرث وقم ياحمزة قم يا على •• فقاموا وعرفوا بأنفسهم ، وبارز عبيدة ( وكان أسن القوم من المسلمين ) عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة ، وبارز على الوليد ابن عتبة وقتل على الوليد وقتل حمزة شيبة واختلف عبيدة وعتبة بضربتين كلاهما أثخن صاحبه فكر حمزة وعلى بأسيافهما على عتبة فزففا عليه ( أجهزا عليه ) واحتملا صاحبهما الى أصحابه •• ( وعبيدة هو عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب ابن عبد مناف ابن عم الرسول ) ولما قتل أشراف قريش الثلاثة واستعد جيش المشركين للهجوم نزل القائد العظيم محمد رسول الله من عريشه فعدل الصفوف وأعطى أمره العظيم

•• ثم لما التحم الجيشان اقتحم رسول الله بسيفه وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر ) فاشتعلت الروح المعنوية بتقدمه صفوف جيشه وباع المؤمنون أنفسهم طلبا للشهادة واعلاء لكلمة الله •• يقول الامام على رضى الله عنه : ( انا كنا اذا اشتد الخطب واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يكون أحد أقرب الى العدو منه ، ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا الى العدو ) وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالا شديدا حوله المهاجرون والأنصار ومدد السماء•• وقد فعل حمزة رضى الله عنه بالمشركين الأفاعيل واقتحم الزبير حتى كان الرجل يدخل يده فى الجراح التى فى ظهره ••• وكان شعار المهاجرين : يامنصور أمت أمت ، وشعار الأنصار : أحد أحد ، وحمل معاذ ومعوذ ابنا عفراء ( فتيان صغيران من الأنصار ) على أبى جهل حتى بترا رجله وأثخناه وتركاه وبه رمق من الحياة حتى أدركه ابن مسعود فزفف عليه ( أجهز عليه )

وانحسر هجوم المشركين ولاحقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهرا سيفه وأمر صفوفه بالهجوم المضاد فقطعوا على المشركين خط الرجعة وهو يكرر : « سيهزم الجمع ويولون الدبر » وأعلن لأصحابه «من قتل قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا فهو له » فاشبعوهم قتلا وأسرا •• ورجعت فلول جيش المشركين منهزمة مثخنة بالجراح •• وغنم المسلمون أزواد المشركين وأسلابهم وأسلحتهم •• وأسروا منهم تسعين أسيرا من علية أشرافهم وقادتهم وقتلوا منهم تسعين قتيلا ، منهم ٣٤ قتيلا احتواهم القليب من أشراف مكة فيهم أبوجهل فرعون الأمة الذى اجتز ابن مسعود رأسه وأتى به رسول الله فكان أول رأس حمل فى الاسلام واستشهدمن المؤمنين أربعة عشر دفنوا جميعابيدر الا عبيدة بن الحرث الذى أصيبفى ركبته فى المبارزة مع عتبة بن ربيعة ومات متأثرا بجراحه فى طريق العودة الى المدينة بجهة اسمها الصفراءودفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بها •

**تقييم المعركة عسكريا**

من المفهوم أن المسلمين عرب كانوا يقاتلون عربا منهم، قريش أعز وأعظم قبيلة فى العرب يقودها صناديدها وأبطال لهم سمعتهم فى الحرب .

وكان المسلمون فى هذه المعركة أقل سلاحا، فهم لم يخرجوا ابتداء لمواجهة جيش .. انما ندبوا للتعرض لقافلة تجارية . وكان أغلبهم كما ورد فى دعاء رسول الله فى بدء المسيرة .. اللهم انهم حفاة، فاحملهم، وعراة فاكسهم، وجياع فأشبعهم، وعالة فأغنهم من فضلك . وهم لم يستعدوا لقتال المشركين الذين خرجوا لهم فى أتم استعداد يفوقونهم فى العدد بثلاثة أمثال من أبطال وصناديد مشهود لهم بقوة البأس فى القتال ومع ذلك فقد انتصرت الفئة القليلة الضعيفة مظهرا على الفئة الكبيرة ذات الماضى العريض فى الحرب ولا يأتى النصر عفوا . وانما جهادا وغلابا واستحقاقا .

ويرجع الدارسون لعلوم الحرب هذا النصر الى أسس وقواعد تحققت فى حشد جيش المسلمين وتخلفت فى جيش المشركين منها : القيادة الاقناعية الموحدة المعجزة لرسول الله وقد تخلفت فى جيش المشركين الذى واجه هذه القيادة بقيادات ارغامية لأشراف قريش على المشركين بلغت أربعة عشر قائدا، ومنها ما يتمتع به المسلمون من صفات الجندى الممتاز ومنها وحدة الغرض وسموه، ومنها الروح المعنوية العالية فى المعركة .

**١ ـ اما عن القيادة الاقناعية الموحدة للقائد المقتدر :**

فانه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وقد قاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى وعشرين غزوة فى خلال سبع سنين بعد هجرته للمدينة انتصر فيها جميعا ولم يخذل فى أى منها بما ' ها غزوة أحد التى كانت نصرا استراتيجيا عظيما وان أصاب التنفيذ اخفاق أساسه مخالفة الرماة لأمر القائد ونزولهم من أعلى الجبل بعد أن ترجح النصر للاشتراك فى الغنائم، وآثار المخالفة كانت درسا مهد السبيل للنصر المبين فى كل المعارك بعد أحد بالتزام الجند الطاعة الكاملة فى تنفيذ أوامر القائد، فانتصر المسلمون على جميع أجناد الأرض دون هزيمة .

وقد تجلت قيادة رسول الله الاقناعية فى هذه المعركة فى أجلى مظاهرها : فى الأخذ بالشورى فى تقدير الموقف ، وفى التخطيط للمعركة وفى الأوامر التى خاض بها جند الله المعركة .

وعلم النفس العسكرى يحصر القيادة العسكرية فى نوعين :

أولهما ــ القيادة الارغامية (ويطلق عليها أيضا القيادة المطلقة أو المستبدة) وهى القيادة التى يرغم فيها القائد مرءوسيه على طاعته معتمدا على سلطته وقوته ونفوذه فيطيعه مرءوسوه مرغمين وهم غير مقتنعين بالهدف مما يؤدى الى عدم الرضا عن القيادة وتضعف بذلك الروح المعنوية وتحد من كفاءة المرءوسين وتنتهى الى السلبية أو محاولة التهرب من العمل العسكرى ؛ مما يؤدى الى الهزيمة المنكرة .

وترى مظهر هذا النوع من القيادة بين صفوف جيش المشركين فى موقعة بدر ــ فقد ( انسلخ ) بنو زهرة ورجعوا بأمر قائدهم الأخنس ابن شريق الثقفى بما أسلفنا ايضاحه وحاول قادة قريش وصناديدها أمثال عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأميه ابن خلف الرجوع بعشيرتهم ثم رضخوا مكرهين لتحكم أبى الحكم ابن هشام ( أبو جهل ) وحاربوا غير مؤمنين بالهدف من الحرب ، بما انتهى الى قتلهم جميعا .

أما النوع الثانى من القيادة ــ فيعبر عنه علم النفس العسكرى بالقيادة الاقناعية ــ ومظهرها طاعة المرءوسين لأوامر القائد عن رغبة واقتناع وارتياح لقدرة القائد وهدف القتال بما يتوافر معه الرضا وارتفاع الروح المعنوية ، وارادة القتال ، والى الكفاءة العالية من المرءوسين فى تنفيذ أوامر القائد وممارسة القتال بالاخلاص والحماس اللازمين لكسب المعركة .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد سلك مع أصحابه وجنوده منهج القيادة الاقناعية فقد استشارهم وعرض الموقف عليهم وثبتوا على ارادة القتال وكان يكرر عليهم « أشيروا على أيها الناس » فيصممون على نزال جيش المشركين ، وقد نزل على رأى الحباب بن المنذر بن الجموح فى اختيار موقع المعركة .. وحين حمى وطيس

المعـركة أعطى الأوامر القـائد الملهم فتلقـاها جنـوده وتفذوها بأرواحهم •• ونزل الى المعـركة ، وحارب بشخصه والتف حوله جنده وكانت قيادته فى كل مراحل الغزوة اقناعية تلقاها جنده بالرضا •

وليس من شك فى أن السـبب الأساسى للنصر فى هذه الموقعة هـو قيادة رسول الله صلى الله عليهوسلم للغزوة قيـادة اقنـاعية وهو أسوة حسنة للسلمين ويلتزم المسلمون له بالطاعة وتكمن فيه كل صفات القائد الممتاز المظفر ؛ فهو قادر على اعطاء القرار السريع الصحيح ، ويملك ارادة قوية وشجاعة نادرة ويتحمل المسئولية بلا تردد •• وهو عليم برجاله يثق بهم ويثقـون به •• وله شـخصيته المثالية القوية المحبوبة المهابة ويمتلك مجامع جنـده وتبرز فيه المبـادىء الحربية جميعاوقد طبقهـا بمقـدار فى كل غزوة من غزواته••وفى غزوة بدر طبق رسول الله عدة مبـادىء من مبادىء الحرب الحديثة •• فهو طبق مبدأ التعرض الذى يرتكز على الروح الهجومية •• وجميع غزوات رسـول الله كانت كلها تعرضية ( هجومية ) غير عدوانية فيما عـدا غزوتى أحد والخنـدق ••• وطبق رسول الله فى هذه الغزوة مبـدأ الاقتصـاد فى المجهـود ، والأمـر العسكرى الـذى ألقاه على جنوده ( وقد أسـلفنا بيـانه ) هو نموذج رائع للاقتصاد فى المجهـود الـذى مكن قوة صغيرة قليلـة السـلاح من اجهاد قوات المشركين والانتصار عليهم •• وطبق رسول الله صلى الله عليـه وسلم مبدأ كبت النيران التى تتمثل فى الترصد والتحكم فىالرمى بالنبال حتى يفاجأ به العدو فى المرمى المؤثر الذى لا يستطيع الخلاص منه أو التراجع عنه حين تفتح عليهالنيران فجأة بوابل شديد تكثر فيه الخسائر ويحدث الاضطراب فى خيله ورجله ويفلت منه زمام المبادرة •

وطبق رسول الله صلى الله عليـه وسلم مبدأ حشد المعنويات لخدمـة المعركة ( التوجيه المعنوى ) انظـر اليه صلى الله عليه وسلم وهو يقول لجنوده : « والذى نفس محمدبيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبـلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة » فبين لهم شروط الشهادة فى هذه الواقعـة وهى الصـبر

والاحتساب والاقبال دون الادبار ثم انظر الى قوله « قوموا الى جنة عرضها السموات والأرض » وحين اشتد القتال وحمى الوطيس ترك رسول الله عريشه وشهر سيفه وتقدم جنده صائحا «سيهزم الجمع ويولون الدبر» فأشعل معنوياتهم وكان دواما الأقرب الى العدو يتقى به الصناديد ويحتمون فى المواقف الحرجة بما أسلفنا فى حديث على بن أبى طالب .. ثم هو يتهيأ للبطشة الكبرى فيحمل ويحمل معه المسلمون مكررا قوله .. « سيهزم الجمع ويولون الدبر » .. ويزيد فى رفع معنويات جنود الهجوم المضاد ومطاردة فلول المشركين ويغرى المؤمنين على تتبعهم فيقول « من قتل قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا فهو له » . وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم القناصة ذوى المهارة لاصطياد قواد قريش فكلف بلال بن رباح بقتل أمية ابن خلف سيده السابق ومعذبه وكذلك كلف ابنى عفراء بقتل أبى جهل فجمع الدوافع الشخصية والمصالح العامة فى القتال .

وطبق رسول الله فى النهاية مبدأ أساسيا من مبادىء القانون الدولى فى معاملة الأسرى والقتلى فمنع التمثيل بالقتلى فى بدر وأمر الحراس على الأسرى بحسن معاملتهم فقال لهم : « استوصوا بهم خيرا » قال أبو عزيز بن عمير « وكنت أسيرا فى رهط من الأنصار حين أقبلوا من بدر فكانوا اذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصونى بالخبز وأكلوا هم التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم . ما يقع فى يد رجل منهم كسرة خبز الا نفحنى بها ، فأستحى وأردها على أحدهم فيردها على ما يمسها .

وغزوة بدر فى دوافعها انما هى تحقيق لمبدأ استراتيجى يسمونه فى العلم الحديث بمبدأ الحرب الشاملة ، وقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج لاعتراض عير قريش وتجارتها يشير الى أن الحرب الاقتصادية لا تقل عن الحرب العسكرية ..

وهكذا مخطط الحرب المدنية فى العلم الحديث التى لا تقتصر على الجنود فى الميدان وانما تتناول

التجارة والمنشآت وكل ما يوقع خسائر بموارد العدو قبل الالتحام مع جنده فى الحرب العسكرية ..

وقد بينا آنفا عظمة الرسول وقيادته الاقناعية بمشاركة المسلمين فى دراسة الموقف بطريق المشاورة للتأكد من ارادة القتال وفى اختيار ميدان المعركة وعبقريته الفذةفى تنظيم جيشه وتشكيله للقتال بأسلوب الصفوف وسيطرته على جند الله سيطرة كاملة فى المعركة وامتيازه باصدار القرارات السريعة الصحيحة وقيامه بالاستطلاع واستنطاقه بنفسه من أسرتهم دورية الاستطلاع قبل معركة بدر .. وشجاعته النادرة بقراره دخول معركة بدر ونزوله لمباشرة القتال بنفسه .. وارادته القوية الثابتة ونفسيته المستقرة وبعد نظره ومعرفته بقدرات رجاله ونفسياتهم ووضع كل منهم فى العمل المناسب والثقة المتبادلة بينه وبين رجاله وحبهم له ، وهاكم نموذج من حب جند الله لرسول الله : قال ابن اسحق : لما قتل المبارزون ( يقصد مبارزو المشركين ) خرج صلى الله عليه وسلم من العريش لتعديل الصفوف فعدلهم بقدح فى يده ( أى سهم لا نصل فيه ) فمر صلى الله عليه وسلم بسواد بن غزية حليف بنى النجار وهو خارج من الصف فطعنه صلى الله عليه وسلم فى بطنه بالقدح وقال : استو ياسواد .. فقال : يارسول الله أوجعتنى وقد لقبك الله بالحق والعدل فاقدنى ( أى مكنى من التود أى القصاص ) من نفسك فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال : « استقد (أى خذ القصاص» فاعتنق سواد النبى صلى الله عليه وسلم وقبل بطنه ، فقال رسول الله : « ماحملك على هذا ياسواد ؟ » فقال : يارسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك .. فدعا له رسول الله .

وجدير بهذا الحب من الجند لقائدهم ألا يسلموه حتى يهلكوا دونه .. وأن ينفذوا أوامره حتى الموت .

ولنا وقفة سريعة أمام القتال بتشكيل الصفوف الذى فاجأ به القائد العظيم جيوش المشركين أليس هذا التشكيل تحقيقا لقوله سبحانه وتعالى : «ان الله يحب الذين يقاتلون

فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص» قبل نزولها ( آية ٤ سورة الصف ).

**٢ ـ أما عن جنود الله وعقيدتهم الراسخة وروحهم المعنوية فى معركة بدر :** فهم المسلمون الأولون تلاميذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فى تأهيلهم للجهاد ثلاث عشرة سنة قبل الهجرة وعاما وتسعة أشهر بعد الهجرة .. اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فأحبوا الموت فى سبيل الله . وسرت ارادة القتال لاعلاء كلمة الله فى دمائهم .. وكان الثبات من أهم صفاتهم ومن تعاليم دينهم . « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا » .. « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

وهم يقاتلون عن عقيدة راسخة ؛ فهم لم يقاتلوا هذه الموقعة لمغانم شخصية أو لكسب مادى فقد علموا أن قافلة قريش أفلتت منهم ولكنهم يقاتلون لاعلاء كلمة الله وهدفهم النصر حتى تترك لهم الحرية الكاملة لنشر دعوتهم وحتى تكون كلمة الله هى العليا .

ولم تكن لقريش أهداف يقاتلون من أجلها .. فقد نجت تجارتهم .. وكان هدفهم أن ينحروا الجزور ويطعموا الطعام ويشربوا الخمر وتعزف لهم القيان فتسمع بهم العرب فهم قد خرجوا بطرا ورئاء الناس .

ورسوخ عقيدة جيش الله جعلتهم لا يحجمون عن مقاتلة من يلقونهم من الأبناء والآباء والاخوة ـ وقد قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه فى هذه المعركة .

وقاتل المسلمون بروح معنوية عالية مؤمنين بأن استشهادهم فى المعركة جزاؤه حياة أخرى فى الجنة . « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله .. » .

وهو ما أكده رسول الله فى المعركة بقوله .. « والذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة » . ويشعل معنوياتهم انهم يلتقون بأعداء رسول الله الذين

آذوه ولا بد من أن يشفوا منهم صدورهم لا يتخلف فى هذا الهدف صغيرهم عن كبيرهم . ( فى صحيح مسلم ) عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه قال : انى لواقف يوم بدر فى الصف فنظرت عن يمينى وعن شمالى واذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما فغمزنى أحدهما سرا من صاحبه فقال: « ياعم هل تعرف أباجهل بن هشام فقلت : نعم وما حاجتك به قال : « بلغنى أنه كان يسب النبى صلى الله عليه وسلم . والذى نفسى بيده لو رأيته لم يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا ( يعنى الأقرب أجلا ) فغمزنى الآخر فقال مثلها سرا من صاحبه . فلم أنشب ( ألبث ) أن نظرت الى أبى جهل يزول فى الناس ( أى يتحول من محل الى محل آخر ) فقلت لهما ألا تريان هذا صاحبكما الذى تسألان عنه فابتدراه بسيفهما فضرباه حتى قتلاه ( يعنى أشرفا به الى القتل وصيراه فى حالة المذبوح ) وقد استشهد هذان البطلان الحدثان فى نفس الغزوة ، وهما ابنا عفراء معاذ ابن الحارث الخزرجى الأنصارى ومعوذ بن الحارث الخزرجى الأنصارى .

وبهذه الروح المعنوية كان القتال .. والروح المعنوية تفوق القوة المادية والتجهيز والتنظيم الجيد والتفوق العددى والقيادة الحازمة مجتمعة بنسبة ٣ : ١ فى الجيوش وكما يقول نابليون : يعنى أن الجيش يكون من نواحى مادية ومعنوية وأن نسبة المادى فيه ٢٥ فى المائة والمعنوى ٧٥ فى المائة . ولما تطورت الأسلحة واخترعت الصواريخ العابرة للقارات والهيدروجينية والأجهزة الالكترونية أصبحت جميع هذه القدرات المادية تساوى ٥٠ فى المائة فى القتال والروح المعنوية تساوى ٥٠ فى المائة .

وقد كانت غزوة بدر صراعا بين عقيدتين انتصرت فيها العقيدة الصالحة التى قاتل فى سبيلها جنود الله بالروح المعنوية العالية على العقيدة الفاسدة المشركين الذين يفوقونهم عددا وسلاحا .

« فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين »

وكان جنود الله فى المعركة جنودا صامدين بارادة القتال لاعلاء كلمة الله ، تميزوا بالصبر والشجاعةوبذل النفس والاقبال دون الادبار بروح معنوية عالية أقل مظاهرها طلب الشهادة فى ميدان القتال •

**٣ ـ وأما عن الغرض الذى يحاربون من أجله ـ فهو** اعلاء كلمة الله واستئصال شأفة الكفار الذين يعترضونها ونصر العقيدة ، بينما حارب الكفار بغير غرض وبدون هدف ، بل خرجوا بطرا ورئاءالناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط •

لقد رضى الله عن جنود الله فى موقعة بدر ، وعلم ما فى نفوسهم فأثابهم النصر وجنة الخلد وأمدهم بعون من ملائكته آزروهم وحاربوا معهم وقد استحقوا هذا النصر •

نضر الله وجوه جنود الله فى بدر فى جنة الخلد وجزاهم عن الاسلام خيرا وجعلهم قدوة تستلهم منهم الأجيال النصر •• وجزى الله القائد العظيم محمدا رسولالله خير ماجزى نبيا عن أمته •• امام المرسلين وقائد الغر الميامين ،؟

**على حسن عمر**

# من القواعد الحربية الإسلامية
## قاعدة الكوفة

للأستاذ أحمد عادل كمال

مع نهاية الصحراء وعلى شاطىء الفرات تقع مدينة الكوفة احدى مدن العراق التى لا يتناسب حجمها ولا مستواها اليوم بما كان لها من مكانة ومن أثر فى التاريخ امتد مع الزمن حتى الآن ومنذ أربعة عشر قرنا من الزمان .

والكوفة حاضرة أنشأها المسلمون وجعلوها قاعدة حربية فكانت أول وأكبر قاعدة حربية خارج جزيرتهم أو داخلها على السواء ، ولكنها مالبثت أن تحولت الى حاضرة زاهرة للعلوم والمعارف تشعهما على كل البقاع .

لقد فرغ أبو بكر الصديق رضى الله عنه من حروب الردة عام ١١هـ ، ثم بعث جيوشه لفتوح العراق والشام ، فنجح خالد بن الوليد عام ١٢ هـ فى تطهير جميع الأراضى الواقعة غربى الفرات من كل نفوذ استعمارى وعبر الفرات حتى بلغ شطآن دجلة فى قسمه الجنوبى كله . واقتضت فتوح المسلمين سحب خالد بنصف جيشه من العراق وتوجيهه الى الشام . ثم توفى أبو بكر فبعث عمر أبا عبيد ابن مسعود الثقفى لاتمام فتوح العراق . وخاض أبو عبيد عدة معارك ناجحة ولكنه انهزم هزيمة ساحقة فى معركة الجسر واستشهد فيها بسبب تورطه بين المسالك المائية وانحصاره بينها ، فكان لهذه المعركة أثرها على نفس عمر وفكره حين أمر باقامة الكوفة فيما بعد .

وفى شعبان ١٥ هـ كانت المعركة الحاسمة بالقادسية بقيادة سعد بن أبى وقاص ، ثم تابع سعد زحفه المظفر حتى اقتحم المدائن عاصمة الامبراطورية الساسانية فى صفر ١٦ هـ فأقام بها المسلمون واتخذوها قاعدة لهم وهم يواصلون الفتح ويخوضون معاركهم فى جلولاء

وتكريت والموصل ونينوى وقرقيسياء وهيث وماسبذان والأبلة والأهواز ، تلك المعارك استغرقت العام السادس عشر من الهجرة وكانت أكثر هذه الفتوح على أيدى قوات خرجت من قاعدة المدائن • ومع نهاية عام ١٦ هـ كان سعد فى قواته الأساسية بالمدائن وكانت هناك حاميات فى ثغور أمامية عليها قادة من أبطال المسلمين ، فكان القعقاع بن عمرو فى حلوان وضرار بن الخطاب فى ماسبذان وعبد الله بن المعتم فى الموصل وعمر بن مالك فى قرقيسياء •

ومن المدائن كتب حذيفة بن اليمان الى عمر •

« ان العرب قد أترفت بطونها وخفت أعضادها وتغيرت ألوانها » •

ونظر عمر فى الرسل الذين كانوا يفدون اليه من العراق فلاحظ تغيرهم فسألهم عن ذلك :

« والله ما هيئتكم بالهيئة التى بدأتم بها ولقد قدمت وفود القادسية والمدائن وانهم لكما بدأوا ، وقد انتكيتم فما غيركم ؟ » •

قالوا : « وخومة البلاد » •

وكتب عمر الى سعد يسأله فأجابه سعد « وخومة البلاد » !

كانت المدائن على أرض طينية بشطآن دجلة كثير ذبابها وبعوضها وقد بنيت مبانيها على النظام الفارسى وبها مرافق المياه ، كانت كثيرة الزرع والشجر والبساتين رطبة الجو ، وكل ذلك يخالف ما درج عليه ساكن الصحراء ويغايره فلم ترق لهم حضارة الفرس ومدنيتهم وتغيرت له هيئتهم وألوفهم • فكتب عمر الى سعد :

« ان العرب لا يوافقها الا ما وافق ابلها من البلدان ! » فابعث سلمان الفارسى رائدا وحذيفة بن اليمان ، فليرتادا منزلا بريا بحريا ليس بينى وبينكم فيه بحر ولا جسر » •

وتم اختيار موقع الكوفة فانتقل المسلمون اليها من المدائن ، ويعبر الرواة عن اقامة الكوفة بلفظ « تكويف الكوفة » وهو تعبير يدل على سخاء اللغة العربية وعلى اتساع دائرتها عند أصحابها • بدأ تكويف الكوفة على شكل معسكر ثم بنى المسلمون ديارهم من البوص ولكن حريقا شب فالتهم البيوت وعاد المسلمون الى مضارب خيامهم ، ثم

استأذنوا عمر فى أن يبنوها من اللبن فأذن لهم بشرط ألا يزيد حجم البيت عن ثلاث حجرات وألا يتطاولوا فى البنيان . فبنوا ونقلوا أبواب دورهم من المدائن الى الكوفة وابتنى سعد دارا وجعل لها بابا من الخشب. وانطلق بعضهم يشكون سعدا الى عمر :

« لقد ابتنى دارا يقال لها قصر سعد واحتجب فيها وجعل لها بابا وقال سكن عنى الصويت ! فأرسل عمر محمد بن مسلمة الى الكوفة وكانت أوامره له :

« اعمد الى القصر حتى تحرق بابه ثم ارجع عودتك على بدئك »

وكتب معه الى سعد :

« بلغنى أنك بنيت قصرا اتخذته حصنا ويسمى قصر سعد ، وجعلت بينك وبين الناس بابا . فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال ! ( الفساد ) انزل منه منزلا مما يلى بيوت الأموال وأغلقه ، ولا تجعل على القصر بابا يمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك اذا خرجت » .

هكذا لم يكن للقائد العام فى أكبر قاعدة حربية للمسلمين من الحقوق أكثر مما لأى جندى فيها ، ولم يكن من حقه أن يكون له « قصر الحاكم » ليستجم فيه أو كما قال من شكى ليسكن عنه الصوت . ولم تكن القيادة العامة رتبة يتعالى بها صاحبها ومن باب أولى القيادات الأصغر .

وقبل اتخاذ الكوفة قاعدة ضم سعد اليه قواد الثغور بأكثر من معهم من قوات الحاميات فكانوا جميعا بالكوفة وقد استخلفوا على أماكنهم قوادا من الفرس الذين أسلموا بعد القادسية فى قوات من الفرس المسلمين .

فاستخلف القعقاع ، قباذ الفارسى على حلوان .

واستخلف ضرار ، رافعا الفارسى على ماسبذان .

واستخلف ابن المعتم ، مسلما الفارسى على الموصل .

واستخلف عمر بن مالك ، عشنق الفارسى على قرقيسياء .

وهؤلاء جميعا كانوا يتبعون قاعدة الكوفة . هؤلاء الفرس المسلمون

كانوا مجوسا يحاربون المسلمين بالقادسية منذ عام وبعض عام . وما أكبر ما فى هذا من دلالة . فلم يكن ايمان هؤلاء عفويا أو عشوائيا ولكنه بكل تأكيد كان انعكاسا طبيعيا لما لمسوه من سيرة الفاتحين المسلمين من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ومن أخلاقهم ومعاملاتهم وهم لهم أعداء ... ولكنهم كما كانوا محاربين مقاتلين كانوا أيضا دعاة . وفيه أيضا دلالة أن تعاليم الاسلام بالمساواة بين الناس كانت روحا يسرى فى المسلمين ولم تكن مجرد دعاوى للدعاية لا يتبعها عمل وتطبيق « لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » ، ومادام قد أسلم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، ويصل فيما له الى أن يتولى قيادة الفرس المسلمين فى حرب ضد الفرس المجوس .

وما أن نزل المسلمون الكوفة حتى تواطأ أهل الجزيرة مع الروم واتفقوا على عمل مشترك ضد المسلمين وجعلوا هدفهم مدينة حمص بالشام حيث اتخذها أبو عبيدة بن الجراح قاعدة له . لقد أتت الفتوح بغنائم كثيرة حتى فاض المال فاتخذعمر من ذلك المال احتياطا للطوارىء والمفاجآت فأنشأ فى القواعد الحربية قوات ضاربة من الفرسان فكان من ذلك أربعة آلاف فارس بالكوفة . وكتب عمر الى سعد أن يرسل هؤلاء فورا وعليهم القعقاع بن عمرو لنجدة أبى عبيدة . ومن الأعمال المذهلة أن يتحرك هؤلاء فيخرجون من الكوفة الى الشام فى ذات اليوم الذى تبلغهم فيه رسالة عمر مما يدل على أن الجندى المسلم والقائد المسلم كانا فى قمة الكفاءة .

وفى نفس الوقت طلب عمر من سعد أن يحرك سهيل بن عدى الى الرقة بالجزيرة وأن يحرك عبد الله بن عتبان الى نصيبين من الجزيرة أيضا ، ثم يفتحا حران والرها ، وأن يبعث الوليد بن عقبة الى عرب الجزيرة على أن يكون أمر هؤلاء جميعا الى عياض بن غنم . فخرج كل لواء من هؤلاء الى وجهته فثبطوا أهل الجزيرة عن نصرة الروم وعادوا أدراجهم الى بلادهم للدفاع عنها ،

فانتهز أبو عبيدة الفرصة وهاجم الروم فهزمهم • وفى ذلك قال عمر :

« جزى الله أهل الكوفة خيرا يكفون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار » • وأمر أن يشرك القعقاع ومن معه فى الغنيمة •

من الكوفة خرج عياض بن غنم فى خمسة آلاف ففتح الجزيرة عام ١٧ هجرية • وجهز يزدجرد الثالث ملك الفرس جيوشا وجهها نحو الأهواز لمهاجمة المسلمين هناك ، فكتب عمر الى سعد أن يبعث من الكوفة النعمان بن مقرن فى قوة الى الأهواز كما كتب الى أبى موسى الأشعرى أن يبعث من البصرة جيشا آخر • وانتصر النعمان بجيش الكوفة على هرمزان فى أربك واستولى على رام هرمز وذلك قبل أن يصل اليه جيش البصرة • ثم أتموا جميعا فتح الأهواز وأسروا هرمزان وأرسلوه موثقا الى عمر •

وفى عام ١٨ هـ استطاع يزدجرد أن يحشد جيشا جديدا قوامه مائة وخمسون ألفا فى نهاوند ، فتعاونت قاعدة الكوفة وقاعدة البصرة أيضا على هزيمته بقيادة النعمان بن مقرن مع مطلع العام التاسع عشر الهجرى

وقبيل هذه المعركة الكبرى شكا بعض أهل الكوفة سعدا فبعث عمر محمد بن مسلمة مرة أخرى للتحقيق ومع وضوح براءة سعد فقد عزله عمر واستبقاه مستشارا له فى المدينة وولى الكوفة عبد الله بن عبد الله بن عتبان •

وكما كانت فتوح الأهواز ونهاوند عملا مشتركا بين الكوفة والبصرة ، كذلك كان فتح أصبهان عام ٢١ هـ •

وفى عام ٢٢ هـ بعث عمر خمسة بعوث من قاعدة الكوفة • فكان نعيم ابن مقرن المزنى الى همذان ، ومن بعد همذان فتح الرى ( قريبا من مكان طهران اليوم ) • ومن الرى بعث نعيم أخاه سويد بن مقرن الى قومس وجرجان وطبرستان • كذلك بعث عمر بكير بن عبد الله وعتبة بن فرقد الى شرقى أذربيجان والى غربها • كما بعث عمر ابن سراقة الى الباب على بحر قزوين من بعد فتح أذربيجان •

كل هاتيك فتوح مباركة تمت من قاعدة الكوفة ، كما كانت هناك فتوح

أخرى من البصرة حتى خطب عمر بن الخطاب المسلمين فقال فيما قال :

« ألا ان اللـــه قـــد أهلك ملك المجوسية وفرق شـــملهم فليســـوا يملكون من بلادهم شبرا يضر بمسلم ألا وان الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبنـــاءهم لينظر كيف تعملون . ألا وان المصرين (الكوفة والبصرة ) من مسالحها اليوم كأنتم والمصرين فيما مضى من البعد ، وقـــد أوغلوا فى البلاد ، والله بالغ أمره ومنجـــز وعده ، ومتبع آخر ذلك أوله .. »

**احمد عادل كمال**

# يوم الفتح وصوت الشعر

للأستاذ على الجمبلاطى

كان من الشروط التى اشترطتها قريش بعد بيعة الرضوان أن العرب أحرار فى اختيار من ينضمون اليه ، فمن أراد أن يدخل فى عهد محمد من غير قريش دخل ، ومن أراد أن يدخل فى عهد قريش دخل (١) .

وكان من أثر هذا أن دخلت بنو بكر بن عبد مناة فى حلف قريش ، وأن دخلت خزاعة فى حلف الرسول. وفى الهدنة التى اتفقت عليها قريش مع النبى — ومدتها عشر سنوات — اغتنم بعض بنى بكر فرصة فاعتدوا على خزاعة ، وآزرت قريش حلفاءها بنى بكر فمدتهم بالسلاح ، وآزرهم بعض القرشيين بأنفسهم فقاتلوا معهم مستخفين بالليل ، فقتلوا من خزاعة حتى لجأوا الى الحرم ، فقاتلوهم فيه .

(١) سيرة ابن هشام ٣٦٦/٣

وبذلك نقضت قريش ما كان بينها وبين رسول الله من العهد والميثاق لأنها اعتدت على حلفائه .

وهنا أبلى الشعر بلاءه ، ليمهد السبيل الى فتح مكة . ذلك أن عمرو بن سالم الخزاعى قدم المدينة على رسول الله ، فأنبأه بما اقترفت بنو بكر وقريش، واستصرخه ليؤازر حلفاءه ، وفاء بعهده لهم كما آزرت قريش حلفاءها غادرة ، وكان من حقه أن يفعل ذلك .

وقد استطاع عمرو فى الأبيات القليلة التى قالها أن يستثير النخوة، وأن يشعل نار الثأر ، وأن يحض على الوفاء بالوعد ، اذ صور غدر قريش بهم ، واستهانتها بمناصرة الرسول لهم ، ودعا الرسول الى المسير اليهم فى جيش لجب يقوده بنفسه آبيا للخسف والمهانة ، ليثأر

للمسلمين الذين عاهدوه وحالفوه •

قال عمرو بن سالم : [1] •

يـارب انى ناشــد محمــدا
حلف أبينـا وأبيـه الأتلـدا [2]
قـد كنتم ولـدا وكنـا والـدا
ثمت أسلمنـا فلم تنـزع يـدا
فانصر هـداك الله نصرا أعتـدا
وادع عباد الله يأتوا مـددا [3]
فيهم رسـول الله قـد تجـردا
ان سيم خسـفا وجهه تربدا [4]
فى فيلق كالبحر يجـرى مزبـدا
ان قريشـا أخلفـوك الموعـدا
ونقضـوا ميثـاقك المؤكـدا
وجعلوا لى فى كداء رصـدا [5]
وزعموا أنه لست أدعـو أحـدا
وهـم أذل وأقـل عـددا
هـم بيتونـا بالـوتير هجـدا
وقتلـونا ركعـا وسـجدا [6]

(١) سيرة ابن هشام الجزء الرابع وتاريخ الطبرى ٣/١١٠
(٢) ناشـد : طالب ــ الأتلد : القديم •
(٣) أعتد : حاضر مهيأ •
(٤) تجرد : شمر واستعد لحربهم ــ الخسف : الذل ــ تربد : تغير •
(٥) كداء موضع بمكة ــ رصـد : جمع راصد وهو الذى يترصد للأمر ويطلبه •
(٦) الوتير : اسم ماء لخزاعة •

فقال رسول الله : نصرت ياعمرو ابن سالم • ثم وفد على النبى بديل ابن ورقاء فى نفر من خزاعة فأخبروه بمثل ما أخبر عمرو •

ومعنى هذا أن النبى مضطر الى أن يحارب قريشا ، وأن يناصر حلفاءه انتصافا للمظلوم ، وتحقيقا للمعاهدة وصيانة لكرامة المسلمين ووفـائهم بعهودهم •

فتجهز لفتح مكة وخرج سنة ٨هـ فافتتحها سلما لا عنوة لأن كثيرا من زعمائها كانوا قد أسلموا من قبل كخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص وأسلم أبو سفيان والمسـلمون على مشارف مكة •

ويأبى الشعر الا أن يصور بعض الأحداث فى صـدق وواقعية ، ولا تثريب عليه فى أن يصور النقائص من شجاعة وجبن ، أو يصور الشخص الواحد معتزما على الشجاعة مباهيا ببلائه المنتظر ، ثم يصوره وقد نكل عن عزيمته حينما جد الجد ، لأنه تبين أن شجاعته تهور ومهلكة ، فقد كان بعض القرشـيين جمعوا ناسـا ليقاتلوا المسلمين فى دخولهم مكة ،

وكان من هؤلاء رجل اسمه ( حماس ابن قيس ) كان يعد سلاحا قبل دخول رسول الله ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى؟ قال : لمحمد وأصحابه . قالت : والله ما أرى أنه يقوم لمحمد وأصحابه شيء . قال : والله انى لأرجو أن أجعل بعضهم خدما لك ، وأنشد :

ان يقبلوا اليوم فمالى عله
هذا سلاح كامل وأله (١)
وذو غرارين سريع السله (٢)

ثم لقيهم المسلمون بالخندمة فناوشوهم شيئا من قتال ، فأصابوا من المشركين نحو ثلاثة عشر رجلا ، وانهزم المشركون وفر حماس الى بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقى على بابى ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

انك لو شهدت يوم الخندمه
اذ فر صفوان وفر عكرمه
وأبو يزيد قائم كالمؤتمه
واستقبلتهم بالسيوف المسلمه (٣)
يقطعن كل ساعد وجمجمه
ضربا فلا يسمع الا غمغمه (١)
لهم نهيت خلفنا وهمهمه
لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه (٢)

ونستطيع أن تتبين من بعض الأحداث الموصولة بفتح مكة ما يدل على عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوة شخصيته ، ونفاذ بصيرته ، ورعاية الله له وانكشاف بعض خفايا النفوس له كما تتبين عظمة الاسلام ، ومقدرته العجيبة على تطهير النفوس ، والتسامى بها عن المفاسد والآثام . فقد أراد ( فضالة بن عمير ) أن يقتل النبى وهو يطوف بالكعبة عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول الله : أفضالة؟ قال : نعم فضالة يارسول الله . قال: ما ذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لاشيء . كنت أذكر الله عز وجل . فضحك النبى ثم قال : استغفر الله ووضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقول : والله ما رفع

---

(١) ألة : حربة لها سنان طويل .
(٢) ذو غرارين : سيف . والغرار: الحد
(٣) المؤتمة : التى قتل زوجها فبقى لها أولاد أيتام .

(١) الغمغمة : أصوات الأبطال فى الحرب .
(٢) النهيت : صياح الأسد ــ والهمهمة : صوت الصدر .

يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحب الى منه ، فرجعت الى أهلى فمررت بامرأة كنت أتحدث اليها ، فقالت : هلم الى الحديث فقلت : لا ، وانبعث فضالة يقول :

قالت هلم الى الحديث فقلت لا
يـأبى عليك اللـه والاسـلام

لـو ما رأيت محمـدا وقبيلـه
بالفتـح يـوم تكسر الأصنام

لـرأيت دين الله أضـحى بينـا
والشرك يغشى وجهـه الاظـلام

أما الشعر الـذى قيل فى الفتح فكثير ، أجتزىء منه ببعض ما قاله حسان بن ثابت ، وبجير بن زهير ، وعباس بن مرداس ، وأحمد محرم ، وهاشم الرفاعى ، وشوقى .

أما حسان فانه صور خيل المسلمين تقتحم مكة ، مثيرة للغبار حتى تستقر بنا على مكة ، وجعلها فى مسـيرها نشيطة تعلك لجمها وتجاذب الفرسان اعنتها ، وعلى أكتافها تمتـد الرماح العطاش الى دماء المحاربين ، وهى فى سيرها يسابق بعضها بعضا ، لا يصدها أن نسـاء مكـة ظللن يوم الفتح يضربن وجوه الخيل بخمرهن ليرددنها ثم أنذر قريشا بأنها ان سالمت المسلمين اعتمروا ورضوا بالفتح ، وان قاومتهم كانت الحرب التى سينصر الله فيها عباده المتقين . قال حسان بن ثابت من قصيدة له :

عـدمنا خيلنـا ان لم تروهـا
تثير النقع موعـدها كـداء (١)

ينـازعن الأعنـة مصـغيات
على أكتافهـا الأسل الظمـاء (٢)

تظـل جيـادنا متمطـرات
يلطمهن بالخمـر النسـاء (٣)

فامـا تعرضـوا عنـا اعتمرنا
وكان الفتح وانكشـف الغطـاء

والا فاصـبروا لجـلاد يوم
يعين الله فيـه من يشـاء

وأما بجير بن زهير بن أبى سلمى فانه فاخر بقومه مزينة ، لأنهم كانوا فى القبـائل التى نـاصرت النبى فى الفتح ، ودخلت مكـة مع قضـاعة وأسلم وغفار وجهينة وسـليم ولم

---

(١) كداء : المعلى بمكة .

(٢) مصـفيات : مسـتمعات ــ الأسل : الرماح ــ الظماء : العطاش .

(٣) متمطرات : مسرعات يسبق بعضها بعضا . روى أن نسـاء مكة يوم الفتح ظللن يضربن بخمرهن وجوه الخيل ليرددنها .

يلجأ الى المبالغة أو الخيال فى فخره، بل قنع بأن قص ما حدث ، فقال :

ضربنـاهم بمكة يوم فتـح الـ
نبى الخـير بالبيض الخفـاف

صبحناهم بسـبع من سـليم
وألف من بنى عثمـان واف

نطـأ أكتـافهم ضربا وطعنـا
ورشـقا بالمريشـة اللطـاف

فأبنـا غانمين بمـا اشـتهينا
وآبـوا نادمـين على الخـلاف

وافتخر عباس بن مرداس السلمى بما بذله قومه من نصرة رسول الله فى حماسة واستبسال :

منـا بمكة يـوم فتـح محمـد
ألف تسيل به البطـاح مسـوم

نصروا الرسول وشـاهدوا أيامه
وشـعارهم يوم اللقـاء مقـدم

وأما أحمـد محرم فانه عـرض بالتفصيل لفتح مكة ، واستطـاع بمهارته أن يصوغ الأحداث فى شعر من الطراز العالى وحسبنا مما قاله هـذا المثال ؛ فقد جعل النبى لواء المهاجرين مع الزبير بن العوام ،وأمره أن يدخل مكة من كداء ، وأن يركز رايته بالحجون : ثم يمكث بهالا يبرح حتى يأتيه ، وبعث خالد بن الوليدفى كتائب أخرى ، وأمره أن يدخل من أسـفل مكة ، وكان قد تجمع بهـا ناس من بنى بكر وبنى الحارث بن عبد منـاف وناس من هـذيل ، فقاتلوا خالدا ، وقالوا : لا تدخلها عنوة ، فقاتلهم خالد وهزمهم ، وفى هـذا يقول الشاعر أحمد محرم (١) :

ديار مكـة هـذا خالـد دلفـا
فما احتيالك فى الطود الذى رجفا؟

طود من الشرك خانته جوانبـه
لمـا مشى نحوه الطود الذى زحفا

ان الجبال التى فى الأرض لو كفرت
لدكهـا جبل الاسـلام أو نسفا

لمـا دعاه بسـيف الله سـيده
زاد السيوف به فى عزهـا شرفا

ديـار مكـة أمـا من يسـالمه
فلا أذى يتقى منـه ولا جنفـا

تلك الوصية ما يرضى بهـا بدلا
ولا يرى دونهـا معدى ومنصرفا

هبت الى الشر من جهالهم فئـة
لم تأل من جهلهـا بغيا ولا صلفا

(١) ديوان مجد الاسلام ص ٢٧٨

واستنفرت من قريش كل ذى نزق
اذا يشار اليه بالبنان هفا

فخاضها خالد شعواء كالحة
اذا جرى الهول فى أرجائها عصفا

رمى بها مهج الكفار فاستبقت
تلقى البوار وتشكو الحين والتلفا

وقال قائلهم : أسرفت من بطل
ما كان أحسنه لو جانب السرفا

وهاج هم أبى سفيان ما وجدوا
فراح يشفع فيهم جازعا أسفا

فلان قلب رسول الله مرحمة
ورق من شدة البطش الذى وصفا

وقال : سر يارسولى فانه صاحبنا
عن القتال فحسبى ما جنى وكفى

الله أكبر جاء الفتح وابتهجت
للمؤمنين نفوس سرها وشفى

وحسبنا من مطولة محرم هذه الأبيات فان ما بقى فيها من المعانى السوامى عبر عنها الشاعر الشهيد هاشم الرفاعى حين عرض لفتح مكة فى قصيدته الهمزية التى نظمها تمدحا بالرسول الكريم فى ذكرى مولده الشريف ، فهو يحدثنا عن دخول النبى عليه الصلاة والسلام مكة يحف النصر موكبه ويشيعه جلال الله ثم يصف لنا الزحف الاسلامى الضخم الذى سد الطريق على جيوش الشرك وقائد الأشرار أبى سفيان وكيف حاق الهوان بالأصنام فلم يبق بالبيت منها شىء وكيف انتصف النبى لنفسه بالعفو بعد أن ظلمه ذوو قرابته فردظلامته فى مياسرة ورفق فأطلقهم بعد أن تملك أعناقهم فهو السمح الذى بعثه الله رحمة للعالمين ، وهنا يقول هاشم الرفاعى :

وقضى الاله بفتح مكة فانبرى
حاد له عند المسير حداء

وتدفق الوادى بخيل فوقها
أسد اللقاء أنوفها شماء

مهلا أبا سفيان ذاك محمد
سدت بخيل جنوده الأرجاء

طلعت عليك فوارس لا تتقى
تكبيرهم لحن لهم وغناء

ياقائد الأشرار فى أحد ويا
من أشبهته الحية الرقطاء

ماذا لقيت من الرسول وقد أتى
من بعد ما خرجت به الشحناء

أو ليس قد رسم الطريق الى العلا
فيكم فكان الصفح والاغضاء

نظـروا اليـه ذليلـة أعنـاقهم
ملء العيون ضراعـة ورجـاء

نـاداهم ماذا تـرونى فاعـــلا
قالوا له : ما يفعـل الرحمـاء

فأجـابهم انى عفوت عن الـذى
قـدمتموه فـأنتم الطلقـــاء

فـاذا ما انتقلنـــا الى شـوقى وجـدناه لايخص بالذكر غزوة من الغزوات ، بل ينظر الى الحـروب الاسلامية كلها جملة ، فيشيد ببطولة النبى عليه السلام والمسلمين ، ويرد على خصوم الاسلام الذين زعموا أنه دين حرب ، وأنه شق طريقـه الى الناس بالقوة ، وأجبرهم على اعتناقه بالسيف ، واستقر فى البلاد المفتوحة بالقسر والاجبار • وفى رأى شوقى أن هذه المزاعم ناشئة عن جهل بحقيقة الغزوات النبوية وبواعثها ، أو ناشئة عن علم لكن أصحابه يضللون الناس ويخفون الحق • ذلك أن النبى اضطر الى أن يشهر سـيفه بعد أن أعيته وسائل السلام والاستمالة والاقناع ، وبعد أن صـبر صـبرا طويلا على تكذيبه ومعارضته ، وبعد أن ناء بما يحمل من عدوان عليه وعلى أتباعه ، ثم انتهى الحقـد بقريش الى تدبير مؤامرة لاغتيـاله ، فاضـطر الى أن يهاجر من مكة الى المدينة • وحينئذ لم تقنـع قريش بل جعلت تطـارده وتجمع أمرها للقضاء عليه فى وطنـه الجديد ، وتقتل أتباعه ولا تكفـل الحياة لدينه ، فهو فى الحقيقة مدافع لامهاجم ، وهوفى أشد المآذق حرجا وفى أوسع الميادين فرجا مؤثر للسلام على الحرب ، وهو فى حروبه انسان كامل لا يمثل ولا ينكل ولا يخرب ما لم تلجئه ضرورة حربية ، وهو بعد انتصاره،الانسان الكامل السريع الى العفو الرحيم بالمغلوبين ، ثم هو بعد هذا كله لم ينتصر فيجبر أحدا على الاسلام ، واذا فقد تكفل سيف النبى بالأعداء المصرين على حربه ، ومن طبيعـة الشر ألا ينجح فى لقائه خير ، بل يحسمه الشريقى النـاس جرائره •

ثم لجأ شوقى الى التاريخ يستمد منه البرهان على أن الشر يتعاصى على الخير ويتمرد ، فقـال ان المسيحية تعرف ما عانت من تشريد وتقتيـل وتحريق ، يشير بهذا الى أنهاحوربت ثلاثمائة سنة الى أن تنصر قسطنطين

( ٣٠٦ ـ ٣٣٧ ) فحماها فاستقرت وانتشرت • ولكنها لم تستقر ولم تنتشر الا بقوة ملوكها ، فكم من ملك أو أمير أذاعها أو نشر مذهبا من مذاهبها بسيفه مثل شرلمان وملوك فرنسا وقياصرة بيزنطة والروسيا وملوك المجر ـ لهذا يعلم أتباع المسيح أنفسهم أنهم طالما شربوا كئوس الظلم من أيدى حكام طغاة ، فلما هب لحمايتها وحمايتهم ملوك أقوياء نكلوا بالوثنية وطاردوا أتباعها أمنت المسيحية ، ولولا هذه الحماية القوية ما نفع المسيحية اعتمادها على الرحمة والرفق والاستسلام •

وختم شوقى دفاعه ببرهان آخر من حياة السيد المسيح نفسه ، فقال ان أعداءه قبضوا عليه ، لأنهم أقوياء وهو ضعيف ، وهموا بصلبه ، ولولا فضل من الله عليه لسمروا جسده الشريف على لوحين من خشب فى غير ما خشية ولا تردد ، لكن الله نجاه من أيديهم •

ثم عاد شوقى الى الحرب فقال ان النبى علم المسلمين كل شىء،حتى قوانين الحرب وما تقتضيه من ذمم ، وعلمهم كيف يجاهدون لحماية دينهم ووطنهم •

والحرب فى رأى شوقى ـ ما دامت لحماية الدين والوطن ـ أساس فى النظام البشرى القائم على الصراع، ولولاها ما قامت دول باذخة الحضارة، واندثرت دول أنهكها الضعف والترف •

قال شوقى :

قالوا غزوت ورسل الله مابعثوا
لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم

جهل وتضليل أحلام وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم

لما أتى لك عفوا كل ذى حسب
تكفل السيف بالجهال والعمم (١)

والشر ان تلقه بالخير ضقت به
ذرعا وان تلقه بالشر ينحسم

سل المسيحية الغراء كم شربت
بالصاب من شهوات الظالم الغلم(٢)

طريدة الشرك يؤذيها ويوسعها
فى كل حين قتالا ساطع الحدم (٣)

لولا حماة لها هبوا لنصرتها
بالسيف ما انتفعت بالرفق والرحم

---

(١) العمم : العامة .
ـ الصاب : جمع صابة وهى شجر مر .
(٣) الحدم : شدة احتراق النار .

لولا مكان لعيسى عند مرسله
وحرمة وجبت للروح فى القدم
لسمر البدن الطهر الشريف على
لوحين لم يخش مؤذيه ولم يجم(١)

ويقول مخاطبا النبى صلى الله عليه وسلم :

علمتهم كل شىء يجهلون به
حتى القتال وما فيه من الذمم
دعوتهم لجهاد فيه سؤددهم
والحرب أس نظام الكون والأمم
لولاه لم نر للدولات فى زمن
ما طال من عمد أو مر من دعم

وجميل من شاعر العروبة أن يقصر غضب الرسول على أنه كان فى الحق وللحق ، وأن يدلل على أن الحرب لنصرة الحق ضرورة لا مندوحة عنها بأنها كالسم الناقع الذى لا يبرىء من بعض السقام سواه :

واذا غضبت فانما هى غضبة
فى الحق لا ضغن ولا بغضاء
الحرب فى حق لديك شريعة
ومن السموم الناقعات دواء

وجميل منه أيضا أن يجل الحق ويعزه ويوجب فداءه بالأرواح فيجعله عرض الله ، يجب على كل أبى أن يفديه فيقول :

الحق عرض الله كل أبية
بين النفوس حمى له ووقاء

واليوم ونحن نرقب فى أفق المستقبل الذى خطت اليه جيوشنا المظفرة باذن الله ، نرقب يوم فتح جديد ، تجلجل من فوق منابره قصائد النصر العزيز ، يحفظها التاريخ ذخرا ، وتترنم بها الألسنة عبر الأجيال .

**على الجمبلاطى**

(١) لم يجم : لم يفزع .

# بيع الوفاء

للدكتور إبراهيم دسوقي الشهاوي

تعريفه: بيع الوفاء: يشترط فيه البائع على المشترى ، أن يرد له المبيع اذا رد اليه الثمن .

ويصور بصورتين :

الأولى: أن يقول للمشترى: بعتك هذه العين بالدين الذى لك على ، بشرط أن تردها الى اذا قضيت لك الدين .

الثانية: أن يقول البائع للمشترى: بعتك هذه العين بشرط أن تردها الى، متى دفعت لك الثمن . وهذا النوع من التعامل يسمى ببيع الوفاء ، لأن فيه عهدا من المشترى بأن يرد المبيع الى البائع اذا رد اليه الثمن .

**حكم بيع الوفاء**

اختلف الفقهاء فى حكم بيع الوفاء، اختلافا كثيرا حتى بلغت أقوالهم فى بعض المذاهب ، تسعة أقوال ، كما هو مذكور فى مذهب الحنفية .

وسيكون بحثنا مقصورا على ثلاثة أقوال ، مع بيان الراجح منها :

القول الأول : أن بيع الوفاء رهن حقيقة، يأخذ أحكام الرهن، فلا يملكه المشترى، ويسترده البائع اذا دفع الثمن للمشترى ، ويستوفى منه المشترى حقه اذا عجز البائع عن دفع الثمن عند الأجل ، ذهب الى ذلك بعض الحنفية ومنهم ابن شجاع الثلجى ، والامام القاضى الحسن الماتريدي.

القول الثانى : أنه رهن باطل ، ذهب الى ذلك بعض المالكية ومنهم سحنون ، وابن الماجشون كما قال ابن رشد فى بداية المجتهد .

القول الثالث : أنه بيع باطل ، ذهب الى ذلك جمهور المالكية ، ومنهم ابن القاسم ـ كما فى المدونة ـ والشافعية والحنابلة .

## الأدلة

استدل أصحاب القول الأول :

على أن بيع الوفاء رهن حقيقة ، يأخذ أحكام الرهن : بأن المتعاقدين، وان سمياه بيعا،لكن غرضهما الرهن والاستيثاق بالدين ، فان البائع يقول: لكل أحد بعد هذا العقد ، رهنت ملكى لفلان ، والمشترى يقول : ارتهنت ملك فلان ، والعبرة فى التصرفات للمقاصد والمعانى لا للألفاظ والمبانى ، ألا ترى أن الحوالة بشرط أن لا يبرأ المحيل تكون كفالة ، والكفالة بشرط براءة الأصيل حوالة، والهبة بشرط العوض مع القبض بيع، فكذلك البيع بشرط رد المبيع عنه رد الثمن يكون رهنا لا بيعا .

واستدل أصحاب القول الثانى :
على أنه رهن باطل بأن البيع بشرط رد المبيع اذا رد البائع الثمن عبارة عن سلف بمنفعة ،لأن المشترى بمقتضى عقد البيع ينتفع بالمبيع بلا مقابل سوى دفع الثمن حتى يؤدى اليه ، وذلك باب من أبواب الربا المنهى عنه شرعا .

واستدل أصحاب القول الثالث :

على أنه بيع باطل : بأن البيع مع اشتراط رد المبيع عند رد الثمن. تارة يكون بيعا اذا عجز البائع عن رد الثمن ، وتارة يكون سلفا اذا رد البائع الثمن ، وبين أحكام البيع والسلف تناف ، فالعقد الذى يتردد بينهما يكون باطلا ، لا تترتب عليه آثار أحدهما .

## القول الراجح

والقول الراجح من الأقوال الثلاثة هو ما ذهب اليه بعض الحنفية من أن بيع الوفاء رهن حقيقة يأخذ أحكام الرهن ، لأن الدافع على هذا البيع فى الكثير الغالب ، انما هو الحاجة الملحة ، فان كثيرا من الناس يحتاج الى مال يفرج به ضائقته ويقضى به مصالحه ، وقد لا يجد من يخرجه من ضائقته الا من يبيع له عقارا ، أو منقولا يؤثر هو اقتناءه ، فيشترط على المشترى أنه يرجع اليه ملك المبيع اذا رد اليه الثمن ، فهذا فى الواقع يدل على أن

البائع انما يقصد الرهن ، والضرورة أجبرته على اخراجه عن ملكه المدة التى عينت للوفاء ، والواقع من حال المشترى أنه انما قبل أن يشترى قاصدا الانتفاع بالمبيع تلك المدة ، فاذا عجز البائع عن دفع الثمن فانه يملك المبيع دون عقد جديد ، ودون رجوع الى سلطان القضاء هذا هو الواقع من حال البائع والمشترى فى صورة بيع الوفاء •

ومعلوم أن الشريعة فى باب المعاملات مقصودها المحافظة على الأموال حتى لا يحصل غبن لأحد من المتعاملين ، والقول بأن بيع الوفاء بيع باطل ، أو رهن باطل فيه غبن على المشترى بترك ماله دون توثق ، وهو لا يأمن البائع على ما دفعه له فقد يدعى الافلاس ، وقد يتصرف فى ماله على وجه يجعله معدما فيضيع على المشترى ما دفعه ، أما القول بأنه رهن حقيقة يأخذ أحكام الرهن فان فيه حفظا لمال كل من البائع والمشترى ؛ فان المبيع بمقتضى أنه رهن لا يملكه المشترى ولا ينتفع به، ولكن له حق استيفاء الثمن الذى دفعه من المبيع عند أجل الوفاء بجعل المبيع وثيقة يستوفى منها ماله،وبذلك يتحقق مقصود الشريعة الغراء من المحافظة على الأموال على وجه لا ظلم فيه ولا اجحاف •

**بيع الوفاء فى القوانين الوضعية والأدوار التشريعية التى مرت به**

بيع الوفاء : «بيع اقترن بشرط فاسخ، وهو رد المبيع عند رد الثمن فى أجل معين » •

وبمقتضاه يدفع المشترى الثمن ويتملك المبيع ، على أن يكون للبائع الحق فى أن يرد الثمن ، ليسترد فى مقابل ذلك ملكية المبيع •

ويسمى هذا العقد «بيع الوفاء» •

**الفرق بين بيع الوفاء ورهن الحيازة**

قد يعقد بيع الوفاء بين بائع ومشتر دون أن تكون عندهما نية القرض والرهن ، وفى هذه الحالة يختلف بيع الوفاء عن رهن الحيازة، فيما يأتى :

أولا : أن البائع وفاء لا يكون مدينا ، ولا يجبر على رد الثمن ، ولا تستحق عليه فوائد ، ويكون له الحق فى أن يرد الثمن ، ليسترد

ملكيته للمبيع ، أما الراهن فيكون مدينا بالمبلغ الذى يرهن له ، ويجبر على سداده مع فوائده .

وثانيا : أن البائع وفاء لا تبقى له ملكية المبيـع ، غاية الأمر أن له أن يسترد هـذه الملكية اذا رد الثمن فى الأجل المعين ، أما الراهن فيظـل مالكا للعين المرهونة .

**الأدوار التشريعية التى مرت ببيع الوفـاء**

كان بيـع الوفـاء ــ فى الكثير الغالب ــ يستر رهنا مقترنا بشرط التملك عند عدم الوفاء ، لذلك تردد المشرع فى اجازته وابطاله ، وقـد مرت به ثلاثة أدوار تشريعية متتالية.

الدور الأول : فى القانون المدنى قبـل سـنة ١٩٢٣ ، كانت المـادة ( ٤٢١/٣٣٨ ) مدنى قـديم ، تقسم بيع الوفاء ، باعتبار الغرض المقصود منه الى نوعين :

النوع الأول : ما يكون الغـرض منه الرهن الحيازى .

النوع الثانى : ما يكون الغرض منه البيع الوفائى ، وكانت المـادة ( ٤٢٢/٣٣٩ ) تجـرى فى النـوع الأول أحكام الرهن ، وفى النـوع الثانى أحكام بيع الوفاء .

فاذا ظهر أن بيع الوفاء يخفى رهنا حيازيا لم يكن ذلك مبطلا للعقد بل كانت تتبع فى شأنه أحـكام الرهن الحيازى .

الـدور الثـانى : كان المرابون يفضـلون البيع الوفائى على الرهن الحيازى لأنه يوفر عليهم الاجراءات التى تخولهم الملكية ، ويسـمح لهم بتقاضى فوائد فاحشة ، ولم يتعرضوا به لأية خسارة ، لأنه كان على أسوأ الفروض يعتبر رهنا حيازيا ، لذلك اضطر المشرع الى تعـديل نصوص المـواد ( ٤٢١/٣٣٨ ) وما بعـدها بالقـانون رقم ٤٩ لسـنة ١٩٢٣ ، تعديلا يقضى ، بأنـه متى اتضح أن بيع الوفاء يخفى رهنا حيازيا عقاريا ، فانه يكون باطلا ، ولا ينتج أى أثر ، سواء باعتباره بيعا أو باعتباره رهنا، غاية الأمر أنـه يصلح سـندا بدين عادى .

ولم يتعرض التعديل لبيع الوفاء الذى يخفى رهنا منقولا فترك حكمه للقواعد العامة ، وهى تقضى بتطبيق قواعد الرهن عليه .

وقـد نصت المـادة ( ٣٣٩ فقرة ثانية / ٤٢٣ ) على بعض أحـوال

تعتبر قرينــة على أن العقــد يخفى رهنا ، وبذلك يكون باطلا لا أثر له. فقد جاء فيها :

أولا : « اذا اشترط فى العقد رد الثمن مع الفوائد كان ذلك قرينةعلى أن العقد يخفى رهنا » ، لأن اشتراط الفوائد قرينةعلى القرض ، لأنالبيع الوفــائى يملك بــه المشترى العين ومنافعها ولا يعطيه حقا فى فوائد .

ثانيا : « اذا بقى المبيع تحت يد البائع ، بأى صفة من الصفات كان ذلك قرينــة على أن العقــد يخفى رهنا » لأن بقاءه فى حيازة البائع يدل على أن البائع لم يقصد نقل ملكيته الى المشــترى ، ويكون قرينــة ــ أيضا ــ على أن العقد المقصود عقد قرض مع تأمين لا عقد بيع .

الدور الثالث : وهذه القرائن لم ترد على سبيل الحصر ، ويجـــوز اثبات عكسها . وقد حكم بأن من الأدلة على أن البيع الوفائى يخفى رهنا ما يأتى :

١ ــ ضآلة الثمن المذكور فىالعقد بالنسبة الى القيمة الحقيقية للعقار .

٢ ــ تعريف المشترى فىأىموضع من العقد بكلمة ( الراهن ) .

٣ ــ الاشارة الى الثمن أن أصله قرض بــدون فوائد ؛ لــذلك رأى المشرع افراد فرع خاص لتنظيمالبيع الوفائى ، فى مشروع تنقيح القانون المدنى الجــديد واحتفظ فيــه فيما يتعلــق بالبيــع الذى يستر رهنا ، بالأحكام المعــدلة بالقانون رقم ٤٩ لســنة ١٩٢٣ ، مع تعــديل بسيط فى صياغتها ، غير أن لجنة القــانون المــدنى بمجلس الشــيوخ قررت بالاجماع حذف هــذا الفــرع ، والاستعاضة عنــه بنص يحرم بيــع الوفاء اطلاقا واســتقر هــذا النص فى المــادة (٤٦٥) من القانون المدنى الجديد ، وهــو يقضى بأنــه « اذا احتفظ البائع عند البيع بحق استرداد المبيع خلال مدة معينة ، وقع البيــع باطلا » .

وقالت اللجنة فى تعليل ذلك : « ان هذا النوع من البيع لم يعد يستجيب لحاجة جدية فى التعامل ، انما هو وسيلة ملتوية من وسائل الضمان تبدأ ستارا لرهن ، وينتهى الرهن الى تجريد البائع من ملكه بثمن بخس ، والواقع أن من يعمد الى بيع الوفاء لا يحصل على ثمن يتناسب مع قيمة المبيع ، بل يحصل عادة على ما يحتاج اليه من مال . ولو كان أقل بكثير من هذه القيمة ؛ ويعتمد غالبا على احتمال وفائه بما قبض قبل انقضاء أجل الاسترداد، ولكنه قل أن يحسن التقدير ، فاذا أخلف المستقبل ظنه وعجز عن تدبير الثمن خلال هذا الأجل ، ضاع عليه المبيع ، دون أن يحصل على ما يتعادل مع قيمته ، وتحمل غبنا ينبغى أن يدرأه القانون عنه ، ولذلك رؤى أن تحذف النصوص الخاصة ببيع الوفاء وأن يستعاض عنها بنص عام يحرم هذا البيع فى أية صورة من الصور ، وبهذا لا يكون أمام الدائن والمدين الا الالتجاء الى الرهن الحيازى وغيره من وسائل الضمان التى نظمها القانون ، وأحاطها بما يكفل حقوق كل منهما ، دون أن يتسع المجال لغبن قلما يؤمن جانبه» .

**مقارنة آراء فقهاء الشريعة ورجال القانون الوضعى فى حكم بيع الوفاء**

على ضوء العرض الذى عرضناه لآراء فقهاء الشريعة ورجال القانون الوضعى فى حكم بيع الوفاء يتبين لنا :

أولا : أن حقيقة البيع الوفائى فى القانون الوضعى والشريعة شىء واحد .

ثانيا : أن آخر تشريع للبيع الوفائى فى القانون الوضعى هو أنه باطل مطلقا فى أى صورة من صوره . وهو يوافق فى هذا ما ذهب اليه جمهور المالكية والشافعية والحنابلة وبعض الحنفية . ويخالف ما ذهب

اليه بعض الحنفية من أنه رهن حقيقة يأخذ أحكام الرهن .

ونحن نرجح القول بأنه رهن صحيح يأخذ أحكام الرهن لما فى ذلك من المحافظة على مال كل من البائع والمشترى لأننا لو قلنا أنه عقد باطل لا تترتب عليه أية آثار ، نكون قد تركنا مال المشترى فى ذمة البائع دون توثق ، ولكن اذا قلنا انه رهن نكون قد حفظنا على البائع ملكيته للمبيع ومنافعه . وحفظنا على المشترى ما دفعه ثمنا للبائع باستيفائه عند الأجل من المبيع .

ولا شك أن المحافظة على أموال الراهنين والمرتهنين ، هى مقصود الشريعة الغراء حتى لا يوجد غبن لأحد من المتعاملين .

**دكتور : ابراهيم دسوقى الشهاوى**

# الشخصية القانونية فى النظام الإسلامى

للدكتور مصطفى كمال وصفى

— ٣ —

تعتبر بحوث الشخصية القانونية للهيئات والمنظمات المختلفة من أهم بحوث القانون الادارى، لأن الجهات الادارية ـ فى القانون الحديث ـ كلها أشخاص قانونية ، أى غير طبيعية .

ويجب أن تفرق بين الشخصية القانونية ، والشخصية المعنوية أو الاعتبارية ، وهى تفرقة لم تظهر الا حديثا جدا فى القانون .

فالشخصية القانونية هى التمتع بالحقوق والواجبات أى بأهليتى الوجوب والأداء . وأما الشخصية المعنوية أو الاعتبارية فهى أهلية خاصة ـ من ضمن هذه الأهليات ـ تتيح للشخص القانونى أن يظهر بذاته على مسرح الحياة القانونى بمعنى أنه توجد أشخاص قانونية بلا شخصية معنوية أو اعتبارية ، كالأسرة ، وشركة المحاصة وكثير من التشكلات السرية التى لايعلم بها الغير . فى هذه الحالة يعتمد الشخص القانونى على أحد أعضائه الطبيعيين فى التعامل وفى الذمة ـ بمعنى أنه يستعيرها ليستعملها فى أغراضه .

وقد وجدت نظرية الشخصية المعنوية أو الاعتبارية فى القانون الحديث نتيجة لظروف سياسية معينة هى التى استدعت التعقيد فى تكوينها فانه فى مستهل القرن التاسع عشر عمدت الدول الرجعية الى مقاومة انشاء الجمعيات السياسية عن طريق القول بأن لها حقا مطلقا فى الاعتراف بأى شخص قانونى ، وسحب هذا الاعتراف فى أى وقت لأى سبب وأسست هذا النظر على أن الشخص القانونى (غير الانسان) هو شخص افتراضى مجازى غير حقيقى ، ولذلك فشخصيته منحة من الدولة . وسميت هذه النظرية بنظرية المجاز ، وكرد فعل لهذه النظرية قامت نظرية أخرى انتصارا للحرية تقرر أن الأشخاص

المعنوية هى أشخاص حقيقية كالانسان لا تملك الدولة أن تمنع ميلادها ولا يجوز لها سحبها .

ثم اتزنت الأمور بالتفرقة بين الشخصية القانونية – وهى أمر حتمى لا دخل للدولة فيه – والشخصية المعنوية التى تخضع لرقابة الدولة خضوعا مقيدا بالقانون .

والواقع أن الفطرة الحسنة تؤدى الى قبول القول بأن الشخصية القانونية حتم لا بد لأحد فى رده . فهى أمر طبيعى لاتصرف فيه . فكلما وجد جمع من الأشخاص يهدفون لفرض مشروع ، ترتبت الشخصية القانونية لهذا الجمع . وأما الاعتراف بالشخصية المعنوية أو الاعتبارية أى أهلية ظهور هذا الشخص القانونى على استقلال فى الحياة فهذا أمر تنظيمى يتقيد بالقانون ، ويقبل رقابة الدولة . وتسير القوانين الآن على أن الشخص القانونى تكون له الشخصية الاعتبارية فور تأسيسه ولكن يجوز أن تعرض السلطة المختصة على انشائه خلال مدة معينة اعتراضا قابلا للطعن فيه اذا خالف القانون .

وفى النظام الاسلامى يجب أن نفرق بين نوعين من الأشخاص القانونية .

أشخاص تلقائية تنشأ بذاتها : وذلك كأهل المسجد وأهل القرية وأهل المصر ونحو ذلك ، وهى أشخاص هامة فى القانونين : الدستورى والادارى ، لأنها تقوم بوظائف سياسية وادارية بالغة الأهمية فهذه الوحدات هى التى يناط بها – فى النهاية أمر البيعة والشورى – على مابيناه فى مقالاتنا فى المسائل السياسية والدستورية فى الاسلام . كما أنها تقوم بأعمال ادارية – تقابل ما تقوم به الادارية المحلية فى القانون الحديث – مثل رعاية المرافق المحلية من تعليم ومواصلات ورى كشق الطرق وصيانتها وانشاء القناطر وكرى الأنهار ونحو ذلك . كما تقوم بالمرافق الصحية كاقامة الأطباء وانشاء المستشفيات ونحو ذلك وكله من قبيل فرض الكفاية الذى يتعين على جماعة المسلمين القيام به .

وقد حفلت كتب الفقه بالكلام على « أهل المسجد » مما لا يجعلنا نشك فى أنهم شخصية قانونية ذات أهلية للأداء والوجوب . ونصت المجلة العدلية فى باب الاجارة على

أنه لأهل القرية أن يقيموا معلما وانهم يلزمون بدفع أجره •

وأشخاص قانونية تنشأ بتصرف من التصرفات : وذلك كبيت المال وديوان المظالم والأوقاف والشركات فهذه كلها تحتاج الى قرار أو عقد بانشائها •

ولما كانت بعض الأشخاص التلقائية سالفة الذكر أساسا للقانون الادارى كأهل المسجد وأهل القرية وما أشبههما ــ فان تفهم صياغتهما الفنية أمر بالغ الأهمية لا يتأتى التطبيق الا به •

وفى ذلك نكرر ما سبق أن بيناه فى مقالاتنا السياسية والدستورية ان هذه الأشخاص تنظم طبقا لما سميناه بقانون أو ظاهرة التدرج الاجتماعى • ومؤداه : أن الأشخاص يتدرجون صعودا فى مجتمع معين طبقا لكفايات الأفراد المناسبة لهذا المجتمع ، وذلك بشرط توافر ظروف تكافؤ الفرص •

ففى المسجد تبرز جماعة من أهل العلم والتقوى والتصرف ، يثق فيهم أناس يختارونهم ويعهدون اليهم بالحل والعقد فى أمورهم كما يقوم القادرون بواجب الانفاق ــ وهو من أهم تكاليف الاسلام وأهم أسس التضامن الاجتماعى فيه ــ فيوقفون الأوقاف ويقدمون الهبات والتبرعات والزكاة لعيالة الأغراض الاجتماعية وهى كلها مرافق ادارية ــ فى المنطقة •

ومن أهل الاختيار المذكورين أو أهل الحل والعقد فى كل وحدة يتكون القائمون بالادارة • كما تعتمد الموارد المالية لهذه الأشخاص على ذمم القائمين بالاتفاق فى تلك الوحدة •

نعم يقبل ذلك التنظيم بالتسجيل ونحوه ، ولكن بحيث لا يخرج ذلك عن الاطار الاسلامى ، بنحو القاء أزمة الأمور الى ناس من غير أهل المسجد المعتادين لارتياده أو بحيث لا يستند الى الواقع أو يعرقل تطبيق قانون التدرج الاجتماعى السابق على غير أساس العلم والايمان •

وبذلك ينضبط أساس التطبيق العملى لهذه الوحدات الاسلامية ذات الأهمية العظمى فى الحياة الادارية الاسلامية ؟

د• مصطفى كمال وصفى

# الجنة التى لا تخترق

## للأستاذ السيد محمد قرون

كان دستور عمر رضى الله عنه الذى أعلنه الى الأمة هو قوله : أربع من أمر الاسلام لست مضيعهن ولا تاركهن لشىء أبدا : القوة فى مال الله وجمعه حتى اذا جمعناه وضعناه حيث أمر الله ، وقعدنا آل عمر ليس فى أيدينا ولا عندنا منه شىء ، والمهاجرون الذين تحت ظلال السيوف ألا يحبسوا ولا يجمروا ، وأن يوفر فىء الله عليهم وعلى عيالاتهم وأكون أنا للعيال حتى يقدموا . والأنصار الذين أعطوا الله عز وجل نصيبا وقاتلوا الناس كافة أن يقبل من محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم ، وأن يشاوروا فى الأمر . والأعراب الذين هم أصل العرب ، ومادة الاسلام أن يؤخذ منهم صدقتهم على وجهها ، ولا يؤخذ منهم دينار ولا درهم ، وأن يرد على فقرائهم ومساكينهم . وهذا الدستور التزمه عمر ، وفرضه على نفسه فرضا ، ونفذه بكل دقة، ويكاد هذا الحصر فى هذا العدد يجمع سياسة الدولة من جميع أقطارها فهو قد اهتم بسياسة المال ، فدون الدواوين للقبائل والجند ، ونال كل انسان ما يستحقه حسب ما أقره الديوان ، واهتم بالجند ونظامهم ، ومنع تجميرهم فى ساحة القتال ، فجعل لكل مقاتل أشهرا معدودة ، وجعل نفسه القائم على شئون عياله حتى يحضر ، وجعل للأنصار مكانتهم فى الشورى وغيرها لما أدوا للاسلام من خدمات، ثم العناية بالشعب عامة، وقد سماه الأعراب ، وبين حقوقهم وواجباتهم . وقد فعل عمر ذلك تمشيا مع التطور ، وتوافقا مع كثرة المال والفتوحات ، بل يتمنى لو أطال الله بقاءه أن يرحل الى البلاد المفتوحة فيعيش فى كل مصر شهرين حتى يقف على شئون الرعية وسياسة

الولاة بنفسه ويطمئن على سير الأمور ، والعدالة المنشودة •

فلما تولى الخلافة بعده عثمان بن عفان رضى الله عنه تهاون فيما تشدد فيه عمر ، ولان فى موضع الشدة ، ولم يتنبه لمطالب الشباب الذين ظهروا فى عهده ، ولا فى الذين دخلوا الاسلام بعد انتشاره ، ونظر الناس فرأوا فرقا كبيرا بينه وبين الخليفتين اللذين سبقاه ، وتحدث الناس فى ذلك ، وراعهم أن يروا بعض شباب قريش من أقارب عثمان يلون الولايات ويقودون الجيوش ، وتناولوا قريشا بما يسىء اليها ، وكانت أفعال الولاة وأقوالهم تثير ثائرتهم ، وتملأ قلوبهم حسدا ومقتا ، فلما قال سعيد بن العاص الأموى على منبر الكوفة « ان سواد العراق بستان لأغيلمة قريش » قامت الدنيا وقعدت ، وهب الشباب ينكرون هذا القول، وذهبت طائفة الى عثمان تشكوه، ونظر عثمان فى الشكوى ، ولم يأخذ بها ، بل دعا سعيد بن العاص الى الرجوع لعمله ، ولكن شباب الكوفة وعلى رأسهم الأشتر النخعى حالوا بينه وبين دخولها ، بل تعدوا طورهم فولوا عليهم أبا موسى الأشعرى الذى أقره عثمان على الكوفة حين سمع أنه أخذ البيعة له منهم من جديد ، وكان هذا أول الوهن ، اذ كيف يقبل الخليفة ارادة غير ارادته ، فيرضى بعزل واليه ، واقرار من ارتضوه ؟ ولو انتهى الأمر عند هذا الحد لهان الخطب، ولقلنا انها سياسة من الخليفة ومن قبله كان عمر يستجيب للأمصار فى عزل الولاة ، ولكن الأمر كان أخطر من ذلك وأشد ، فقد أعلنوا الثورة على الخليفة نفسه ، وصاروا يذكرونه بكل قبيح ، وتفشى حديث أهل الكوفة فى البصرة وغيرها ، وبلغ الأمر المدينة وهى حاضرة الاسلام يومئذ ، فارتاع عثمان ، وأراد أن يقف على ما يدور فى الأمصار فأرسل مندوبين عنه اليها ، وبعد حين رجع هؤلاء المندوبون الا عمار بن ياسر الذى ذهب الى مصر ، فأخبروه باستتباب الأمن وسعادة الرعية ، ثم عرفت الأخبار الحقيقية ، وأن هناك شغبا فى الكوفة والبصرة ومصر ، فأراد أن يستأصل الفتنة من جذورها فسير عشرة من مشاغبى الكوفة الى معاوية بالشام على رأسهم الأشتر

النخعى ، وقد أكرم معاوية هؤلاء المسيرين ، وكان من واجبه أن يهينهم لأنهم خارجون على الخليفة لكنه مال الى اللين ليوصف بالحلم وكان ينشده ويؤكده ، وفى يوم جلس اليهم ودار بينه وبينهم حوار لا بأس من ذكر طرف منه ، ففيه الدلائل على شغب هؤلاء القوم، وحسدهم قريشا وبغيهم على خليفتهم ، ومجافاتهم للأخوة الاسلامية •

سألهم معاوية : انكم قوم من العرب لهم أسنان وألسنة ، وقد أدركتم بالاسلام شرفا ، وغلبتم الأمم ، وحويتم مراتبهم ومواريثهم ، وقد بلغنى أنكم نقمتم قريشا ، وان قريشا لو لم تكن عدتم أذلة كما كنتم ان أئمتكم لكم الى اليوم جنة ، فلا تبعدوا عن جنتكم ، وان أئمتكم يصبرون لكم على الجور ، ويحتملون منكم المئونة ، والله لتنتهن أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم ثم لا يحمدكم على الصبر ، ثم تكونون شركاءهم فيما جررتم على الرعية فى حياتكم وبعد موتكم •

قال صعصعة بن صوحان : أما ما ذكرت من قريش ، فانها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها فى الجاهلية فتخوفنا ، وأما ما ذكرت من الجنة ، فان الجنة اذا اخترقت خلص الينا •

قال معاوية : عرفتكم الآن ، علمت أن الذى أغراكم على هذا قلة العقول ، وأنت خطيب القوم ولا أرى لك عقلا أعظم عليك أمر الاسلام وأذكرك به ، وتذكرنى الجاهلية وقد وعظتك ، وتزعم لما يجنك أنه يخترق ، ولا ينسب ما يخترق الى الجنة • ثم قال : افقهوا ولا أظنكم تفقهون ، ان قريشا لم تعز فى جاهلية ولا اسلام الا بالله عز وجل ، لم تكن بأكثر العرب ولا أشدهم ، ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابا ، وأمحضهم أنسابا ، وأعظمهم أخطارا ، وأكملهم مروءة ، ولم يمتنعوا فى الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضا الا بالله ، فبوأهم حرما آمنا يتخطف الناس من حولهم • هل تعرفون عربا أو عجما أو سودا أو حمرا الا قد أصابه الدهر فى بلده وحرمته بدولة الا ما كان من قريش فانه لم يردهم أحد من الناس بكيد الا جعل الله خده الأسفل حتى أراد الله أن يتنقذ من أكرم واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة فارتضى لذلك خير خلقه ، ثم ارتضى له أصحابا ، فكان خيارهم قريشا ،

ثم بنى هذا الملك عليهم ، وجعل هذه الخلافة فيهم ، ولا يصلح ذلك الا عليهم، فكان الله يحوطهم فى الجاهلية من الملوك الذين كانوا يدينونكم . أف لك ولأصحابك ..

وهذا الحوار يدل على براعة معاوية ، وتعمقه فى معرفة العرب ، ومكانة قريش منها ، فكل كلمة فاه بها تشير الى حالة ، وتدل على موقف، وتؤرخ لحدث ، وتكشف عن حقيقة، وما ذكره عن قريش لا ينكره منصف، ففى الجاهلية حماها الله من تبع وأبرهة وفى الاسلام أكرمها الله بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبمحمد صارت العرب أمة يخضع لها المشرق والمغرب ، وتنشر العدالة وتقيم الحضارة ، ولمعاوية الحق فى تأففه وضجره من تلك العقول الضالة ، والنفوس المريضة . وكان عليه أن يحبسهم عنده ولا يردهم الى موطنهم ، ولكنه لأمر فى نفسه أبدى هوانهم وأنهم ليسوا خطرا فردهم — بعد أن تابوا — الى الخليفة ليرضى عنهم .

وصنع عثمان بأمثالهم من مشاغبى البصرة ، فسيرهم وأنذرهم ، وطردهم من مصرهم ، ولم يكن هذا علاجا ، فكان ينبغى أن تطبق نصوص الشريعة عليهم . هذا الحسد ، وهذا التسيير ، وهذا التحرك تلقفه المفسدون فنفخوا فيه ، وأشعلوا النار فى لبه وحواشيه فصارت البلاد الاسلامية تغلى كالمرجل ، والشائعات تطوف بكل مكان : عثمان أحدث الترف ، عثمان أتم الصلاة فى السفر، عثمان زاد فى أذان يوم الجمعة ، عثمان يولى الصغار من أقاربه على الجلة من أصحاب محمد ، عثمان يغدق الأموال على أقاربه ، ويشتمونه اذا مر عليهم ، ويهددون حياته بجوامع الحديد .

وفكر أعداء الاسلام فيما يدور فى الأمصار من القيل والقال ، فأخذوا يصيدون فى الماء العكر ، ان الفسطاط والكوفة والبصرة فيها نكير على عثمان ، ولكن هذا النكير لا هدف له يتضح فى الأذهان ، ولا يعمل تحت راية ، ولا يجادل فيه حول قضية تصلح أن تكون عقيدة ، فليكن كل ذلك . ظهر فى الأفق رجل اسمه ( عبد الله بن سبأ وأمه السوداء ) من يهود اليمن أسلم فى عهد عثمان ، فماذا يفعل ليستغل تلك الأحداث ؟ ان العرب تحسد

قريشا على خلافتها ورياستها ، وجلب الخيرات الى قادتها وسادتها « ان سواد العراق بستان لأغيلمة قريش» لا بد اذن من توجيه الثورة لضرب وحدة العرب حتى يحدث الجزر من المد ، ويعود خيرهم شرا عليهم ، لابد للثورة من قائد وراية وقضية يكثر الخلاف حولها . تنقل عبد الله ابن سبأ فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام ، ولم تثمر الدعوة كما يريد ، فأخرج الى مصر طريدا فوجد ضالته ، وجد الثورة على عثمان من بعض أقاربه ( محمد ابن أبى حذيفة) من بنىعبد شمس، ينادى بالجهاد من الداخل يريد المدينة وعثمان ، فلتكن الدعوة من هنا والثورة ، وليراسل من عرفهم فى البصرة والكوفة ، وليضلل أهل الحجاز بالكتابة على ألسنة الصحابة وأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وقد فعل .

أخذ يقول فى مصر : لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمدا يرجع ، وقد قال اللهعز وجل: « ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » فمحمد أحق بالرجوع الى الدنيا من عيسى،وقبل ذلك منه ، وبذلكوضع لهم (الرجعة) فتكلموا فيها ، وهذا افساد للعقيدة، ثم أقدم على ضرب الوحدةالاسلامية، أعلن لمن حوله أنه كان ألف نبى ، ولكل نبى وصى ، وكان على وصى محمد ، ومحمد خاتم الأنبياء ، فعلى خاتم الأوصياء ، وأثار الشجون ، وحرك المكنون بقوله : من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووثب على وصى رسول الله ، ثم ان عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهضوا فى هذا الأمر فحركوه ، وابدءوا بالطعن على ولاتكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فتستميلوا الناس.

دعوة ثورية لها برامج وخطط وهدف : رجعة ، وصية ، ظلم ، تهاون بوصية رسول الله ، وكانت كلمة «من كنت مولاه فعلى مولاه» لها سحرها وأثرها فيمن يحدثهم أو يراسلهم ، ومع أن بنى هاشم وقريشا والعرب جميعا فهموها على أنها تكريم لعلى كرم الله وجهه ، وبيان لمنزلته

ودعوة لحبه صيرها ذلك الرجل الحسود الحقود وصية مقدسة من رسول الله أهملت عن عمد،وأغفلت عن قصد ، وعثمان أخذها بغير حق . ولم عثمان ؟ ان الذين سمعوه لم يناقشوه ، ولم ينظروا الى أن خليفتين سبقا عثمان،وجرت الشورى بعد مقتل عمر ، وانتخب الخليفة الثالث ، وبايعه على ، ولم يذكر أحد هذه الوصية . ولو فهم على هذا الفهم لما ترك الخلافة لأحد غيره ، لأنها تكون أمرا من الرسول واجب التنفيذ ، ولكن عبد الله بن سبأ مغرض فيما ادعاه ، واستغل عطف الناس على على ، وحبهم له ، فأثار الشكوك ، ووجه الثورة الى غير هدفها فضرب قريشا فى شخص عثمان، وفرق الأمة بالتشيع لعلى ، ولست مع القائلين بأن ابن سبأ كان مخلصا لعلى ، جادا فى الدعوة له ، واثبات أنه صاحب الأمر بعد رسول الله صلوات الله عليه .

وكأن ابن سبأ هذا كان على اتفاق مع كعب الأحبار ، ليوقدا النار ، ويحرقا الديار . فما موقف كعب الأحبار من تلك الفاشية وهو يهودى قديم الدخول فى الاسلام ؟ فى العام الخامس والثلاثين من الهجرة حين استفحل الداء ، واضطربت البلاد على الأمراء استدعى الخليفة الولاة معاوية ، وعبد الله بن عامر ، وعبدالله ابن سعد ، وأدخل معهم سعيد بن العاص ، وعمرو بن العاص وكانا معزولين ، ودعا معهم أهل الشورى عليا وطلحة والزبير ، وكان الاجتماع بمكة فى موسم الحج وتشاوروا ، واستقروا على رأى ، وأمر عثمان ولاته بالرحيل الى ولاياتهم ، وركبوا وركب عثمان فحدا الحادى وراءه :

قد علمت ضوامر المطى
وضمرات عوج القسى
أن الأمير بعده على
وفى الزبير خلف رضى
وطلحة الحامى لها ولى

ومعروف أن الحادى يرتجز بأسماء أهل الشورى الذين عينهم عمر عند وفاته ، ولكن كعب الأحبار رد على الحادى منكرا « كذبت صاحب الشهباء الأمير بعده » — يعنى معاوية — وسأله معاوية عن قوله . فقال : نعم أنت الأمير بعده ، ولكنها لا تصل اليك حتى تكذب بحديثى

هذا ، قال الراوى : فوقعت فى نفس معاوية .

رأيان متباينان يذيعهما بين المسلمين يهوديان يدعيان العلم بالغيب والكتب السماوية ، والاختلاف مهيأ ؛ فقبائل العرب معظمها ضد قريش ، تحسدها على مكانتها ، وتؤيد فى الوقت نفسه ابن سبأ فى دعوته لعلى ، وقريش والشام معها مع الخليفة المظلوم ، ومعاوية يدور فى خلده قول كعب «أنت الأمير بعده» وتبلغ الفتنة مداها ، فيقتل عثمان ، وتلوذ قريش بغريزتها الى من يحميها من الثوار ، فيذهب من يذهب الى الشام ، ويفر من يفر الى مكة ، وينسب لعلى التهاون فى شأن عثمان ، وتحدث موقعة الجمل لا لأن عليا يريدها أوطلحة والزبير كلا ، ولكن شرذمة بن سبأ أفسدت الصلح ، وأشعلت الحرب سحرا ، واخترقت الجنة فى نظرها ، ومهما قال المؤرخون فى التنازع والتخاصم بين أمية وهاشم فان الحسن بن على رضى الله عنه حفظ الجنة وأرجع الأمة لوحدتها ، فارتفعت راية الاسلام فى جميع الآفاق ؟

**السيد حسن قرون**

# من المبادئ الفقهية التى سبق بها الإسلام

للدكتور عبد العزيز عبد الرازق صبرى

— ٥ —

تحدثنا فى المقال السابق عن بعض المبادىء الفقهية التى سبق بها الاسلام فى مجال القانون الدولى والعلاقات الدولية • وسنتناول فى هذا المقال طائفة أخرى من هذه المبادىء التى تتصل بشريعة الحرب والتى أخذ بها القانون الدولى فى أحدث تطوراته •

ولما كانت الحرب هى أبغض الأمور الى النفس البشرية لأن قوامها القتل وسفك الدماء • فقد جعل الاسلام الأصل فى العلاقات الدولية هو السلم وعدم الاعتداء بقوله تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » آية — ١٩٠ — من سورة البقرة ، وغير ذلك من الآيات الكريمة الأخرى التى سبق أن أشرنا اليها فى مقالنا السابق •

وعلى هذا الأساس فان الاسلام لم يقر الحرب الا لدفع الاعتداء وتأمين الدعوة اليه ومنع ارهاق الناس فى دينهم • وكان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقاتل الا بعد أن تظهر بوادر الفتنة أو يحدث الاعتداء بالفعل على الأنفس والأموال • وحتى فى هذه الحالة فانه عليه الصلاة والسلام كان يأمر المسلمين بعدم الاندفاع فى القتال ويدعوهم الى التأنى فيقول لهم : « لا تتمنوا لقاء العدو، واذا لقيتموهم فاصبروا » • واذا وجد أن القتال أصبح لا مفر منه كان يخير أعداءه بين أمور ثلاثة : اما الاسلام ليكونوا مع المسلمين بقلوبهم، واما العهد ليأمن المسلمون جانبهم وليؤمن الاسلام دعوته ، واما القتال — كما أنه صلوات الله وسلامه عليه كان حريصا على منع القتال حتى عند أخذ الأهبة• فلنستمع اليه وهو يقول لمعاذ بن جبل عندما أرسله قائدا مع طائفة من

المؤمنين لفتح اليمن : « لا تقاتلوهم حتى تدعوهم فان أبوا فلا تقاتلوهم حتى يبدءوكم ، فان بدءوكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلا، ثم أروهم ذلك وقولوا لهم:«هل الى خير من هذا سبيل » فلئن يهدى الله على يديك رجلا واحدا خير مما طلعت عليه الشمس وغربت » .

واذا ما نفذ السهم واشتعلت الحرب ــ فانها كانت دائما حربا مقيدة بقانون السماء ــ تحكم فيها الفضيلة وسط قعقعة السيوف ؛ لأن حرب المسلمين كان هدفها دائما مقاومة الرذيلة المعتدية ولذلك كانت مقيدة بالفضيلة لا تعدوها ولو جاوز حدودها المعتدون .

وتتمثل شريعة الحرب فى الاسلام فى وصيتين : احداهما لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثانية لخليفته أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

فأما الوصية الأولى فهى قوله صلى الله عليه وسلم : « انطلقوا باسم الله . وبالله . وعلى بركة رسول الله . لا تقتلوا شيخا فانيا . ولا طفلا ولا امرأة . ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا . ان الله يحب المحسنين » وفى معنى هذه الوصية قوله عليه الصلاة والسلام : « سيروا باسم الله فى سبيل الله وقاتلوا أعداء الله ولا تغلوا (أى تخونوا) ولا تغدروا . ولا تنفروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا» ويقول عليه السلام لخالد بن الوليد : « لا تقتل ذرية ولا عسيفا ( أى عاملا ) » .

أما وصية الصديق خليفة رسول الله فقد رواها أحمد بن حنبل فى مسنده وهذا نصها :

« عن يحيى بن سعيد أن أبا بكر بعث الجيوش الى الشام ، وبعث يزيد بن أبى سفيان أميرا فقال وهو يمشى ويزيد راكب . فقال يزيد : اما أن تركب واما أن أنزل فقال الصديق : « ما أنا براكب وما أنت بنازل . انى أحتسب خطاى فى سبيل الله . انك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم فى الصوامع،فدعهم وما زعموا،وستجد قوما قد فحصوا أوساط رؤوسهم من الشعر وتركوا منها أمثال العصائب ، فاضربوا ما فحصوا بالسيف ، وانى موصيك

بعشر : لا تقتلن امـرأة ولا صـبيا ولا كبيرا هرما ولا تقطعن شـجرا مثمرا ولا نخلا ، ولا تحرقنهـا ، ولا تخربن عامرا ، ولا تعقرن شاة ولا بقـرة الا لمـأكلة ولا تجبـن ولا تغلل » .

ومن هـاتين الوصيتين نستخلص أهم مبادىء الحرب فى الاسلام وهى:

١ ـ عـدم قتـل رجـال الدين أو التدخل فى حريتهم : وعلة ذلك كما يقـول السرخسى : « ان المبيح للقتل شرهم من حيث المحاربة ، فاذا أغلقوا البـاب على أنفسهم اندفـع شرهم مباشرة وتسببا » وأما الذين يتزيون برداء الدين ولكنهم فى الواقع يقاتلون فلا حماية لهم .

٢ ـ عدم قتل النساء والصـبيان والشيوخ ، فقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والأطفال لأنهم ضعفاء ولا يشتركون فى القتال. وقد حدث أن مر النبى على القتلى فى احدى المعارك فرأى امرأة مقتولة فقال صلى الله عليه وسلم « ما كانت هذه لتقاتل » . كما أنه كان عليـه السلام يغضب أشد الغضب اذا بلغه أن جنده قتلوا صبيانا . وكان يقول لهم: « ما بال أقوام تجاوز بهم القتل حتى قتلوا الذريـة . ألا لا تقتلوا الذريـة . ألا لا تقتـلوا الذرية . ألا لا تقتلوا الذرية » .

وأما الشيوخ فهم قسمان : قسم يدبر الحرب بالرأى والتخطيط وهذا يباح قتله فى الميدان . وقد أمر النبى صلى الله عليـه وسلم بقتل دريد بن الصمة فى غزوة حنين وقـد بلغ من الكبر عتيا . ولكن كان له رأى وفيه وعى وأشار على ثقيف الذين كانوا يقـاتلون بما يقويهم . وأما القسم الثانى من الشيوخ وهو الذى لا رأى له فى الحرب فهؤلاء لا يقتلون .

٣ ـ عدم قتل العمال : فقد تكرر نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتـل العسفاء وهم العمـال الذين يستأجرون للعمل ولا يحاربون وليس لهم فى الحرب عمل ، لأن هؤلاء بناة عمران ، والحرب الاسلامية ليست لازالة العمران أو تقويض دعائمه .

٤ ـ عدم قطع الشـجر أو الثمر أو أى تخريب : الا اذا تبين أن قطع الشجر أو هدم البناء ضرورة حربية لا مناص منها لاستتار العـدو بهـا واتخاذه منها وسيلة لايذاء الجيش الاسلامى . وقد فعل النبى صلى الله

عليه وسلم ذلك حين أمر ـ فيما يروى ـ بتحريق قصر مالك بن عوف وكان أمير الجيوش بالطائف . كما أمر برمى حصن ثقيف بالمنجنيق . ولا يمكن أن يقال ان هذا من قبيل التخريب .

٥ ـ عدم التمثيل بالقتلى أو تشويه أجسامهم : فقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وكان يأمر بدفنهم حتى لا يتركوا نهبا للوحوش والطير وقد أمر عليه السلام بوضع جثث القتلى من أهل بدر فى القليب وهى بئر جافة .

٦ ـ عدم تعذيب الجرحى : فقد نهى عنه الرسول عليه الصلاة والسلام أيضا . فالجريح اذا قعدت به قوة الجرح عن القدرة على المقاومة لا يسوغ قتله بل يبقى ويداوى حتى يؤسر أو يفدى .

٧ ـ الرفق بالأسرى : فالقرآن الكريم اعتبر أبر القربات التى تكون من المؤمن وأخص أوصاف المؤمنين أنهم يطعمون الطعام للمسكين والأسير ، فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » آية ـ ٨ ـ من سورة الأنسان . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : «استوصوا بالأسرى خيرا » .

هذه هى المبادىء الانسانية التى تضمنتها شريعة الحرب فى الاسلام وهى تتفق مع الانسانية والرحمة والكرامة والفضيلة . وقد أخذ بها القانون الدولى العام فى أحدث نصوصه . ويا ليت هذه المبادىء القويمة تتبع فى الحروب التى يستعر أوارها الآن فى مختلف أنحاء العالم والتى تتسم بأبشع أنواع الهمجية والقسوة واهدار الكرامة الآدمية ؟

**د. عبد العزيز عبد الرازق صبرى**

**ما هذا ... يا جريدة الأهرام .. ؟**

نشرت جريدة الأهرام فى يوم الأحد ١٨ من شهر نوفمبر الماضى مقالا لأستاذ فى الجامعة نربأ بصفحة هذه المجلة عن أن تحمل الى قرائها اسمه . تناول فيه التفكير اللاعقلى فيما قيل ولا يزال يقال عن أحداث تحدث بها المقاتلون جنودا وضباطا وقعت فى ميدان القتال.. وحكاها ورواها مراسلون كثيرون لصحف أجنبية وصحف عربية .

وهذا المقال فى جملته وتفصيله يسيل سخرية وحقدا واستهانة وانكارا للظاهرة الطاهرة النقية التى سادت جو المعركة ، ورأى فيها المقاتلون ببصائرهم وأبصارهم ما عزز ثقتهم بالله ، وحماستهم للقتال ، وتصميمهم على النصر ، ولا نريد أن نعيد ما ذكره فى مقاله المحموم المسموم ، وانما نذكر المسلمين بما ذكره الله فى كتابه من الآيات التى يتلونها أو يسمعونها ليعرفوا بها مكانة هذا الكاتب فى مجتمعهم ، ومكانة الجريدة التى تفسح له صدرها ، وتنشر له هذا الكلام . .

١ ــ « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا » ( الأحزاب ــ ٩ ) .

٢ ــ « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » ( آل عمران ــ ١٣ ) .

٣ ــ « يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ( محمد ــ ٧ ) .

٤ ـ « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » ( التوبة ـ ٤٠ ) .

٥ ـ « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعـدوكم وآخرين من دونهم لا تعلموتهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء فى سـبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » ( الأنفال ـ ٦٠ ) .

هذه الآيات ـ وغيرها كثير فى القرآن ـ ترسم للمسلمين طريق النصر ، وتكشف عن مدى جهل الكـاتب بالاسـلام وجهله بمعنى التقوى الذى استبعده من عوامل النصر ... ورحم الله وقار الأهرام واحترامها لمشاعر المسلمين من قرائها فى عهد أنطون الجميل . وداود بركات . وبشارة تقلا ....

مجلة الأزهر

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

**الدين فى مواجهة العلم :**
**تأليف : العلامة وحيد الدين خان**

نشرت هذا الكتاب دار « المختار الاسلامى » بالقاهرة ، والمؤلف من أعلام الفكر الاسلامى بالهند ، فهو رئيس تحرير مجلة « الجمعية الأسبوعية » التى تعتبر من أوسع المجلات الاسلامية انتشارا هناك ، كذلك يعد المؤلف ــ كما يقول الناشر ــ : مؤسس مدرسة اسلامية فكرية جديدة تؤمن بوجوب مواجهة التحديات التى يواجهها الاسلام والمسلمون بنفس المصطلحات والوسائل والأساليب التى يستخدمها الأعداء ، وبوجوب ايجاد فكر اسلامى عصرى متكامل .

والكتاب بالرغم من صغر حجمه ــ حيث بلغت صفحاته زهاء ثمانين صفحة من القطع الكبير ــ الا أنه يعتبر دراسة مركزة جادة فى أخطر موضوع يجابه اليوم الفكر الاسلامى ،ففى تسعة فصول موجزة، قضية طريقة الاستدلال ، وأفكار براترند راسل الفيلسوف الانجليزى، والتفسير الميكانيكى للكون ، وقضية الحياة بعد الموت ، والدين والعلم ، والانسان ذلك المجهول ، ودين العصر الحديث ، والتفسير الالحادى للدين ، وفى الفصل التاسع والأخير ، عرض المؤلف للاشتراكية والدين ثم الاسلام فى العصر الحاضر .

والمؤلف يشير فى مقدمته الى أن المسلم لا يحتاج الى دليل عقلى حتى يؤمن بالعقائد الاسلامية ، فان منبع يقينه هو مشاهدته الداخلية ، أو هو ذلك «الوجدان» الذى يعتبر أعلى وأرفع من «التصديق العقلى» ان اكتشاف الله ليس مماثلا لاكتشاف الرياضى لبعض المعادلات الرياضية

التى لا يمكن الوصول اليها الا عن طريق العقل ، والتى لا تتعدى ــ فى الوقت نفسه ــ حدود العقل بطبيعتها .

وفى الفصل الثانى يناقش المؤلف آراء راسل الالحادية . وينتهى منها الى اعتراف هذا الملحد ــ من ناحية المبدأ ــ بحقيقة الدين ، فهو يقر بالنظام فى الكون ، وبأن النظام يستلزم المنظم ، ولكنه حين يلجأ الى نظرية داروين فى « النشوء والارتقاء » لرفض هذا الاستدلال القوى ، فانه بذلك يبطل قضية أقام بنفسه الدليل على صحتها ، وذلك لأن النظام حقيقة ثابتة ومعروفة للكل ، بينما لا تزال « الداروينية » نظرية غير ثابتة كليا .فزعمها بأن النظام ذا الدلالة أو المغزى انما يوجد فى أنواع الحياة نتيجة لعوامل مادية ــ لا يزال هذا الزعم افتراضا محضا ، فالاستدلال بالنظام على المنظم انما هو الأمر المقبول . أما نظرية داروين فلم تعد بعد فى موقف يسمح لراسل أو غيره أن يرفض على أساسها هذه الحجة القوية .

ويناقش المؤلف قضية الحياة بعد الموت ، فيقرر بأن الكشوف الحديثة قد فتحت آفاقا جديدة من الوقائع والحقائق التى يمكننا أن نقول فى ضوئها : ان وجود الروح ككائن مستقل ، وبقاءها بعد فناء الجسم ــ لم يعد قضية وجدانية ، بل أصبح حقيقة يمكن اثباتها بالدليل التجريبى . ثم يشير المؤلف الى أن كثيرا من علماء الغرب العلمانيين يعترف ببقاء الحياة بعد الموت كحقيقة علمية واقعة ، لكنه ينكر الجانب الدينى من هذه القضية .

وفى البحث الأخير من هذا الكتاب « الاسلام فى العصر الحاضر » أثار المؤلف قضية على جانب من الأهمية، انها « قضية الحضارة الحديثة » وتحديها للاسلام ، ويرى المؤلف أن التحديات التى أثارتها الحضارة الحديثة فى وجه الاسلام،وكان على المسلمين أن يردوا عليها ، قد انحصرت فى مشكلتين :

أولا : لقد أصبحت شعوب ما يسمى بالحضارة الحديثة ــ بفضل الثورة الصناعية ــ قوية لدرجة أن هذه الشعوب بدأت تستعمر كل

العالم الاسلامى بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

ثانيا : أن الصدام الذى وقع فى أوربا بين هذه الحضارة وبين المسيحية الغربية قد اتجه خطأ الى الالحاد ، وهذا الاتجاه الخاطىء هو المسئول — وليست الحضارة الحديثة نفسها — عن كل تلك العلوم ، وعن كل مظاهر المدنية التى تقود العالم الى الثورة على الدين .

ويرى المؤلف : أن العالم الاسلامى أخفق فى كل شىء حتى فى اثبات أنه يعى جوهر التحدى الذى أثارته الحضارة الحديثة ، ولذلك لم تتمكن — نحن المسلمين — من الاستفادة الحقة من الحضارة الحديثة ، ولم نستطع أن نقدم الرد الصحيح على التحدى الذى يمسنا فى صميم مصيرنا ، ويمس مستقبل الدين نفسه على الأرض .

وبعد — فلقد سبق لدار المختار الإسلامى ، أن نشرت للمؤلف كتابا بعنوان « الاسلام يتحدى » ثم هذا الكتاب الذى بين أيدينا ، وكلا الكتابين على جانب كبير من الأهمية فى ظروفنا الحاضرة . ويبقى أن نقرر هنا أن المفكر الاسلامى الكبير ، قد أدى واجبا جديرا بكل تقدير وبكل اهتمام أيضا ، ولكن الرجاء معقود فى أن تهتم جامعاتنا — ولا سيما جامعة الأزهر — بمثل هذه الدراسات الجادة ، فشبابنا المثقف هو أكثر الناس تعرضا لمحاولات التشكيك فى العقيدة ، وواجب الأزهر — على الأقل — أن يقدم لشبابنا المسلم حصانة من الدراسات الجادة القوية .

## خالد بن الوليد

### تاليف : الأستاذ بكر موسى

خالد بن الوليد المثل الأعلى للقيادة الظافرة ، كتاب فى سلسلة البحوث الاسلامية التى ينشرها تباعا مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف ، وهو يقع فى زهاء مائة وخمسين صفحة ، وقدم له بمقدمة موجزة طيبة فضيلة الدكتور محمد عبد الله ماضى .

يشير المؤلف فى تمهيده للدراسة عن خالد ، الى أن القليل من الكتاب اهتموا بفن القيادة عند خالد مع أن هذا الجانب أخطر ما فى حياته وأجدر بالبسط ليمكن الانتفاع به ، وقد

نلتمس عــذرا للأقــدمين ، ولكن لاوجه فى اغفال فن القيــادة عنــد خالد بن الوليد اذا ما تعرض للدراسة عنــه بعض المحــدثين ، لا سيما والمســلمون فى أمس الحاجــة الى دراسة فن القيادة فى الظروف الراهنة ، ومعــرفة أصــولها وخصائصها ، والتمرس بها على أيدى قادة الاسلام وأبطال الفتوحات الاسلامية •

هذا ــ وقد اهتم المؤلف بدراسة الجوانب العديدة من شخصية خالد ، والتى تصل فى النهاية الى تحقيــق هدفه من الدراسة ، وهو أن خــالد ابن الوليد كان المثل الأعلى للقيادة الظافرة ، وهذه الجوانب هى : خالد بين الجندية والقيادة ، بيئــة خالد ، خالد وفن القيادة ، عبقريته الحربية ، بطولته فى جاهليته واسلامه ، نهــاية المطاف حين عزله عمر عن القيــادة فى حزب الشام ، ودفاع عن بطــولة خالد ، ثم صور مشرقة من حيــــاة خالد •

وبعــد ــ فما أكثــر ما كتب عن خالد ، وفى اعتقــادى أن المؤلف ــ أى مؤلف ــ يجب أن يضع فى اعتباره عندما يفكر فى الكتابة عن شــخصية اســلامية فذة ، نالت من الدراسات حظها ــ أن مهمته ليست باليسيرة ، اذ عليه أن يأتى بجديد ، والا كانت كتابته تكرارا لا أكثر ولا أقل ، وقد نجــح المؤلف فى التركيز على عبقرية خالد العسكرية ، فأبرزها فى صورتها المشرقة اللائقة به ، ومع ذلك فستظل شخصية خالد الفذة فى حاجــة الى دراسات جديدة أخــرى ، دراسات تهتم بالتحليــل لا بمجــرد السرد التاريخى ، ليس معنى هذا أن دراسة المــؤلف التى بين أيدينــا خلت من التحليل ، ولكن أقصد أن شخصية خالد لا تزال فى حاجة الى مزيد من الدراسات التحليلية لذاتيته كقــائد عبقرى ملهم •

### حول الأفلام الدينيــة

أجرت مجلة « الاذاعة والتليفزيون » القاهرية نقاشا عنــوانه : « الكاميرا تبحث عن الفيــلم الدينى ، والفيلم الدينى يبحث عن الكاميرا » أشــار الكاتب فى هذا الصدد الى أن للأفلام

الدينية والتاريخية خلال السنوات الأربعين الماضية ، اتجاهين رئيسيين :

الاتجاه الأول : اتجاه يعيد صياغة الأحداث القديمة ، بأسلوب « كلاسيكى » ، ويكاد الأسلوب يقترب من الماضى نفسه .

الاتجاه الثانى : اتجاه يتناول التاريخ تناولا عصريا ، وهذا لا يعنى تزييف التاريخ ، والاضافة اليه ، أو التحريف فى وقائعه ، انما يعنى تفهمه وتقديمه بشكل جديد يتلاءم مع ظروف العصر .

وهذا رأى نقبله مع شىء من التحفظ حول الاتجاه الثانى ، اذ أن تجربتنا مع الأفلام الدينية التى ظهرت فى مصر ، تجعلنا نؤكد أن أفلام الاتجاه الثانى ، قد أصابها شىء غير يسير من التحريف ، وليست الأفلام الدينية وحدها ، بل المسرحيات التى تعرض على الشاشة الصغيرة ، وأحدثها مسرحية « رجال ورجال » ومسرحية « القصاص » ففيها من التحريف ما لا يجهله أنصاف المثقفين ، هذا التحريف مس بقصد أو بغير قصد أشخاصا من أصحاب رسول الله .

أما العنوان الذى اختارته المجلة ، فالشطر الآخر حق وهو أن الفيلم الدينى يبحث عن الكاميرا ، أما الشطر الأول وهو أن الكاميرا تبحث عن الفيلم الدينى ، فهو من غير المسلم به ، لأن النصوص من تاريخنا الاسلامى المشرق ، موجودة ، لكنها فى حاجة الى منتجين يملكون القدرة على الانفاق ، ومخرجين فيهم مواهب المخرجين الكبار الذين أخرجوا لتاريخ المسيحية : « الرداء » و « سالومى » و « كوفاديس » ، وأخرجوا لبنى اسرائيل مثل « الوصايا العشر » .

**قراءات :**

« ان المعنويات عامل مهم من عوامل النصر ، بل هى عامل من عوامل

النصر على الاطلاق••ولا نصر بدون عقيدة منشئة بناءة ، تصاول فى أيام السـلام ، وتصمد فى أيام الحرب ، وتكافح عوامل الحرب النفسية التى يشنها الأعداء •• ان الاسلام بالنسبة للعرب ، هو السـلاح السرى الذى جعلهم يقودون العـالم قرونا طويلة فى ميـادين السـياسة والحضارة والحرب ••• » •

اللواء الركن محمود شيت خطاب
من كتاب « الاسلام والنصر » •

**محمد عبد الله السمان**

# باب الفتوى[١]

للأستاذ محمد أبو شادى

**الاستفتاء من السادة / عمال شركة سيجال**

دعت الضرورة فى هذه الأيام التى نحرر فيها أرضنا الى تجميع الدم من عمال الشركة مساهمة منهم فى الجهاد ضد أعداء الاسلام والمسلمين ، ولما كنا فى شهر رمضان المبارك ، والتبرع بالدم يقتضى افطار المتبرع كما توجب التقارير الطبية ذلك حيث يجب على المتبرع بالدم تناول ما يعوضه عن كمية الدم التى أخذت منه مع الاحاطة بأنه يتعذر على العمال الحضور بعد نهار رمضان لتقديم أنفسهم للتبرع بالدم ، ولذلك فهم مضطرون الى أن يتم ذلك فى نهار رمضان .

فهل يجوز للمتبرع بالدم أن يفطر بعد أخذ الدم منه ؟ وهل يجب عليه القضاء ؟

**الجواب**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد : فنفيد بأنه اذا خشى الصائم من المرض أو زيادته حل له الافطار أما اذا تيقن المرض أو زيادته فانه يجب عليه الافطار وعليه القضاء .

وفى حالة أخذ الدم من الصائم فان الطب يرى وجوب افطار الصائم لما يرى من تيقن ضعفه ومرضه اذا لم يفطر عقب أخذ الدم منه . وعليه فيجب على الصائم فى هذه الحالة وجوب الافطار لتعويض ما فقده من دم وحتى لا يتعرض للأضرار تطبيقا لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » .

وعليه القضاء عن الأيام التى أفطر فيها لقوله تعالى: « ومن كان مريضا

أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

بهذا علم الجواب عن السؤال والله تعالى أعلم .

**السؤال : من المواطن : محمد على الحاج اسماعيل ـ نص الوصية :**

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فقد أقر واعترف الحاج محمد على ابن الحاج اسماعيل بدرى وهو بحال صحته وكمال عقله ونفوذ تصرفه وصحة اقراره بالرغبة والاختيار لا بالكره والاجبار بأن جميع وجملة ما تحت يده ويد أولاده من عقارات وأثاث البيوت وأموال التجارة وحلى ونقود وأوراق السندات على الناس وأوراق البنوك ومفروشات كل ذلك ملك خالص لأبنائه التسعة وابنته مكية ووالدتهما فستوزع جميع ذلك عشرة أسهم منها تسعة أسهم لأبنائه التسعة وهم : أحمد ، وعبد الرازق ومحمد هادى ، وعبد الرحيم وعبدالرحمن ،وعبد الله ،ومحمدسعيد ومحمد طيب ،ومحمد طاهر ، والسهم العاشر لابنته مكية ووالدتها لكل منهن النصف ، وانه لا يملك من المذكورات شيئا غير خمس وسبعين ألف ٧٥٫٠٠٠ لا زيادة وقد أوصى لابنه محمد هادى أن يصرف ثلث الخمس والسبعين ألف المذكورة الى وجوه الخير وبأن يكون أموال أولاده القاصرين تحت يد ابنه محمد هادى الى أن يبلغ القاصرون رشدهم فيدفع لكل من بلغ رشده ما يخصه من المال وأما الثلثان الباقيان من الخمس والسبعين ألف بعد اخراج الثلث كذلك ميراث لورثته يقسم بينهم القسمة الشرعية هذا ما أقر به واعترف وأشهد على ذلك الشهود والله خير شاهد ووكيل .

وقد طلب السائل توضيح النقاط التالية :

١ ـ ما القول فى هذه الوثيقة أهى وصية أم اقرار وما الحكم فى الحالتين وكيف يكون تقسيم الأموال بين الورثة ؟

٢ ـ لصاحب الوثيقة ولد من جارية تسرى بها لم يرد اسم هذا الولد فى الوثيقة والولد وأمه موجودان بعد موت المقر،فما نصيبه هل له فى جميع الأموال أو فى الخمسين ألف الموصى بها للورثة ؟

٣ ـ الزوجة الوارد ذكرها فى الوثيقة حرة فهل لها الثمن فى المجموع أو المذكور لها فى الوثيقة ؟

٤ ـ الثلث الموصى به للخيرات كيف يخرج هل يخرج من الجزء الذى أوصى به وفى حالة الحكم ببطلان الوثيقة هل يخرج من جميع المال ؟

٥ ـ فمن المعلوم أن الولد الذى من الجارية لم يحرم من المساعدة بل يعطى الذى يكفيه من المصاريف وهو راض عن جميع الورثة وليست لديه أية دعوى على المذكورين •

ما حكم الشرع فى هذه الوصية ؟

الشهود : امضاء

محمد على الحاج اسماعيل

امضاء

## الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ـ أما بعد فنفيد :

بأنه اذا صح ما جاء بالوثيقة المرافقة فانه يكون الحكم فيها ما يأتى :

(١) ان جميع ما ذكره فى اقراره يكون ملكا للمقر لهم حسب اقراره•

(٢) اعترف بأنه لا يملك من جميع ما ذكره الا خمسة وسبعين ألف روبية وأوصى بثلث هذا المبلغ فى وجوه الخير فتنفذ وصيته كما أوصى وترك ميراثا لورثته : أولاده التسعة وزوجته غير أنه أجحف بحق الزوجة فى الميراث ولم يجعل لها الا نصف العشر وهى تستحق شرعا ثمن أمواله ولم يجعل لابنه من السرية شيئا ، والواجب بمقتضى تركه ميراثا أن يقسم الباقى بعد الوصية على ورثته ومنهم الزوجة فلها الثمن فرضا والباقى لأولاده جميعا للذكر ضعف الأنثى ومنهم ولده من الجارية التى تسرى بها ، أما الجارية فلا ميراث لها لأنها أجنبية منه •

والله تعالى أعلم •

**السؤال :**

**من المواطن السيد/كريم محمد كريم :**

وقف خيري على اصلاح مسجد ومصاريف مندرة وابن السبيل ، وصدرت فتوى من الأزهر بعدم جواز صرف ريع الوقف على غير مصارفه المذكورة ، ولكن ناظر الوقف أراد ترضية بعض أولاد الواقف وذلك بتخصيص مبلغ أربعين جنيهامن ريع الوقف المذكور لأولاد الواقف وقرأ الفاتحة اذا ما امتنع عن تنفيذ ما اتفق عليه وعاد الى تنفيذ حكم الشرع بالنسبة لمصاريف الوقف ؟

**الجواب**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين •
أما بعد فنفيد :
بأن قراءة الفاتحة على تنفيذ أمر يخالف الشرع لا يجوز كما لايجوز تنفيذ ما اتفق عليه وقراءة الفاتحة من أجله ، وعليه أن يستغفر الله تعالى رجاء أن يقبل توبته والله تعالى أعلم ؟

# أنبـــاء و آراء

للاستاذ على الخطيب

● الامام الأكبر مقصد المتبرعين :

يستقبل فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر كثيرا من المواطنين الذين قدموا اليه تبرعاتهم من أجل الجهاد المقدس لتحرير الأرض •

ترسل التبرعات ــ بالتــوالى ــ الى البنك المركزى فرع الموسكى •

كذلك قام فضيلته بزيارة للجبهة فى المواقع المتقدمة والتقى بالجنــود وتبادل معهم التحية والتهنئة كما شاهد مواقع خط ( بارليف ) •

● سعى مصر للسلام لم يكن ضعفا :

قال دكتور محمد عبد القادر حاتم فى اذاعة مرئية للاعلام البريطانى :

ان انتصارات قواتنا المسلحة على قــوات الاحتلال الاسرائيلى برهنت للعــالم على أن مصر عنــدما كانت تنادى بحل النزاع على أساس مبادىء القـــانون الدولى وقرارات الأمم المتحــدة فانها لم تكن تنادى بذلك عن ضعف أو خوف ؛ ولكنها كانت مدفوعة برغبة أصيلة فى اقرار سلام عادل ودائم فى المنطقة •

● حصيلة الغرور الاسرائيلى :

قال وزير خارجية فرنسا فى جلسة مجلس النواب الفرنسى يوم ٢١ من رمضان ١٣٩٣ الموافق ١٧/١٠/١٩٧٣

« ان اسرائيل أصرت منــذ عام ١٩٦٧ على رفض جميع قرارات الأمم المتحــدة ، وفوتت فى فبراير ١٩٧١ فرصة هامة لتحقيــق السلام برفضها مذكــرة يارنج تحت اشراف الأمم المتحــدة •

انه منذ سنة ١٩٦٧ قطعت ثمانى عشرة دولة علاقاتهــا مع اسرائيل ، وهناك أكثر من أربعين قرارا اتخــذ ضدها » •

مجلة الأزهر : قطعت معظم دول افريقيا علاقاتها باسرائيل •

● **الاقتصاد فى الحياة العــامة داخل فلسطين المحتلة :**

خلفت الحرب العربيــة لاسرائيل محنة اقتصادية أكيدة تتمثل فى العجز الذى تعانيه فى القــوى البشريــة والمواصلات •

كذلك توقفت تــامــا ــ داخــل فلسطين ــ صناعة البناء •

وأغلــق كثير من المصانع والمتاجر والمكاتب بسبب استدعاء أصحابهــا الى عصابات جيشهم •

وحــــل محل العمــال الذين تم تجنيدهم متطوعون فى سن المراهقة وطلبة أجانب وعمال تنقصهم الخبرة التامة فى مواقــع ما أسند اليهم من عمل ، وألحق بهم عمال كان يجرى تدريبهم فى المدارس المهنية قبــل أن يتم هذا التدريب •

كما توقفت الأيدى العربية داخل فلسطين المحتلة عن بــذل طاقاتهــا لأعداء الاسلام والأمة العربية •

● **اسرائيل تعدم طياريها :**

شاء الله ــ سبحانه ــ ألا يموت « ديان » بعد حرب ٦٧ فيموت بطلا منتصرا ، وأراد الله أن يعيش ليكون قائد الهزيمــة ويبتلع فى مرارة كل الصلف الذى عاش به،ولتظهر للعالم مقــدرته الحربية هو وأبناء جلدته على حقيقتها •

وقد بين « يورى جلوكوف » أن انخفاض عدد الطيارين الاسرائيليين بشــــكل كبير يدل على تدهــور معنوياتهم • وقــال : وقــد وصلت المسألة الى أبعــد من ذلك فقــد تم تنفيذ حكم الاعدام فى عـــــدد من الطيارين الاسرائيليين الذى أحجموا عن الاشتراك فى القتال •

● **الحرب العربيــة بين ( نيكسون ) و ( نائبه ) ••• وأوربا :**

قال نيكسون فى اجتماعه بالوزراء العرب : هناك حرب صغيرة فى الشرق

الأدنى • بينما وصفها نائبه فى مجلس الأمن بأنها حرب دامية •

وقال نيكسون فى مؤتمره الصحفى الذى عقده مساء أول شوال ١٣٩٣ ٢٦/١٠/١٩٧٣ :

ان أصدقاء أمريكا الأوربيين لم يكونوا متعاونين ــ يقصد مع أمريكا ــ بالقدر الكافى فيما يتعلق بالشرق الأوسط، ان أوربا التى تعتمد على الشرق الأوسط فى ٨٠٪ من بترولها ستتجمد حتى الموت من شدة البرد هذا الشتاء اذا لم تتم تسوية أزمة الشرق الأوسط •

وفى هذا البيان قال حرفيا :

انه من المهم أهمية حيوية بالنسبة للسلام فى العالم ألا تصبح تلك المنطقة التى تنطوى على احتمالات خطيرة ، والتى تعد ــ حقيقة ــ واحدة من أكثر المناطق المتفجرة فى عالمنا ــ منطقة تصل فيها الدول الكبرى الى حالة مواجهة •

● العرب واسرائيل :

قالت مجلة نيوزويك الأمريكية : ان اسرائيل التى شيدت منذ انتصار اسرائيل الخاطف فى حرب عام ١٩٦٧ قد تداعت يوما بعد يوم•

لقد كانت هناك خرافة تقول : ان العرب ليسوا محاربين على الاطلاق، حيث طمست أحداث ١٩٦٧ من ذكريات الناس أن المحاربين العرب نشروا يوما ما دعوة الاسلام فى كل مكان يشمل نصف العالم المتحضر حينئذ •

ص ٢ فى ١٦/١٠/١٩٧٣ الاهرام•

● ••• نتائج هذه الحرب :

(ا) أبرزت هذه الحرب نتائج عدة ، فهى :

أولا : قد أعدمت الثقة بين العرب والولايات المتحدة التى تقدم السلاح للاسرائيليين لقتل العرب ، وليس لها مبرر معقول لسياستها •

(ب) ألقت عملية « التأهب الأمريكى لمواجهة حرب شاملة » شعورا أليما فى نفوس المسئولين الأوربيين فى الغرب وبخاصة أعضاء الأطلنطى ــ بتبعيتهم ــ دون تبصير ــ لأمريكا ،

وفى بروكسل بالذات صدر بيان أدلى به مسـئول عن الحلف قال فيه : ان أمريكا تفكر فوق رءوسنا حين تجر دول الحلف الى أمور ليست من شأنه • فهو أساسا قائم لرد أى عـدوان سوفيتى ، وليس قائما لامداد حكومة اسرائيل من أراضى الحلف بالسلاح • ورمت البيانات الأمريكية حلفاءها فى أوربا بالجبن فى ١٩٧٣/١٠/٢٧

(ج) أصـبح التصدع قائمـا فى الحلف نتيجة هذا التصرف الأثيم ، وليس بأفضل منه حلف شرق آسياء فان دوله الأعضاء ترتبط بالقضـية العربية ارتباطا وثيقا جعلها تعمل سياسيا فى صفه منـذ وقت طويل •

هكذا وجدت الولايات المتحـدة نفسها وحيدة فى الميـدان • بينمـا ارتفعت أصوات أوروبية تنـادى : الى متى تظل اسرائيـل عبئـا على الولايات المتحدة ، وبينمـا ظهرت اسرائيل ــ سابقــ بالصلف والغرور ظهرت أمريكا ــ الى جانبها ــ رسول الدمار لأى شعب يطلب حقه فى الحياة على أرضه دون عدوان على الآخرين كذلك ظهرت بوادر تـأثير التـأييد الأمريكى لاسرائيل على السـياسة الأمريكية والشعب الأمريكى •

فقد ظهرت خمسة أصوات داخل مجلس الأمة الأمريكى (الكونجرس) تتجه نحو الاعتــدال فيمـا يختص باسرائيل التى حازت هذه المرة على السلاح بلا ثمن، بينما ظهرت أصوات تطالب بدراسة هذا الأمر وبالنسـبة للشعب الأمريكى ، فقد نشرت مجلة « أويل ويك » الأمريكية أن الحرب كلفت اسرائيل حـوالى ٣٥٠ مليون دولار يوميا ، وقالت المجلة :

« سوف تغطى اسرائيـل هـذه التكـاليف من تبـرعات الأمريكيين للمنظمـات اليهودية فى أمريكـا والمساعدات المـالية الرسمية »

مجلة الأزهر :

وهكـذا يدفع الشعب الأمريكى ثمنا فادحا لسياسة بلده •

● ... والبلاد الأخرى المنتجة للبترول :

أثر موقف البلاد العربية المنتجة للبترول على مواطن الانتاج غير العربية ؛ ففى أمريكا اللاتينية تجرى سريعا مشاورات فعالة لاحتفاظ البلاد هناك بسواردها قبل أن تحتويها الولايات المتحدة ، وتشير الاجتماعات المستمرة هناك الى محاولة انشاء منظمة ( أوبك ) أخرى تدعم حماية الموارد الوطنية لهذه البلاد قبل أن تستوعبها الولايات المتحدة .

بينما أعلنت ايران انها لا تستطيع رفع الانتاج أكثر مما هو عليه ، وزادت أندونيسيا سعر البترول بنسبة تتراوح ما بين ٢٠ الى ٢٥ ٪

وما من شك فى أن الاتجاه ( المسعور ) نحو تعويض الواردات البترولية كان هو نفسه دافعا الى تنبيه الحكومات غير العربية المصدرة له الى الاحساس بخطورة ما ينتظر مواردها من نهب أو احتكار . وهو الأمر الذى تواجهه حاليا .

● تواطؤ أمريكى برتغالى ضد العرب :

ذكرت صحيفة ( ستار ) التى تصدر فى ( جوهانسبرج ) بجنوب أفريقيا أن البرتغال سمحت للولايات المتحدة باستخدام جزر الازور لنقل المعدات الحربية لاسرائيل فى مقابل مساندة الولايات المتحدة لها فى هيئة الأمم ضد ما تواجهه من ضغط داخل هيئة الأمم بسبب حروبها اللا انسانية فى مناطق القارة التى تستعمرها .

على الخطيب

ing except a holy act. All war is forbidden in Islam, if it is not waged for a just cause, ordained by the Divine law. The life of the Prophet provides reference to only three kinds of wars : defensive, punitive and preventive. In his celebrated correspondence with the Emperor Heraclius of Byzantium, in connection with the assassination of a Muslim ambassador in the Byzantine territory, the Prophet proposed three alternatives : "Embrace Islam — if not, pay the jizyah-tribute ...... if not do not interfere between they subjects and Islam if these former desire to embrace Islam ... if not pay the jizyah" (cf. Abu 'Ubaid, Kitab al-Amwal. 55). To establish liberty of conscience in the world was the aim and object of the struggle of the Prophet Muhammad, and who may have a greater authority in Islam than he ? This is the "Holy War" of the Muslims, the one which is undertaken not for the purpose of exploitation, but in a spirit of sacrifice, its sole object being to make the Word of God prevail. All else is illegal. There is absolutely no question of waging war for compelling people to embrace Islam, that would be an unholy war.

---

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

**على سلطان على**

رقم الايداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٣

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٦٠٤١م١٩٧٣-٦٠٠٢

She may go to chruch or synagouge, she may drinck wine, etc. It is forbbidden for a Muslim to marry a woman who does not belive in God or is idolator or polytheist. A Muslim woman cannot be the wife of a non-Muslim to whatever category he may belong. Again, a Muslim cannot eat flesh of animals slaughtered by members of the "primitive" communities.

## CONVERSION

The Islamic law expressly recognizes for non-Muslims liberty to preserve their beliefs; and it forbids categorically all recourse to compulsion for converting others to Islam, it maintains a rigorous discipline among its own adherents. The basis of the Islamic "nationality" is religious and not ethnic, linguistic or regional. Hence apostasy has naturally been considered political treason. It is true that this crime is punished by penalties, but the necessity scarcely arose as history has proved. Not only at the time when the Muslims reigned supreme from the Pacific to the Atlantic Oceans, but even in our own age of political as well as material and intellectual weakness among Muslims, apostasy of Muslims is surprisingly non-existent. This is not only of regions where there is semblance of a Muslim State, but even elsewhere, under the colonical powers who have made all humanly possible efforts to convert Muslims to other religions. Islam is gaining ground today, even among Western peoples, from Finland and Norway to Italy, from Canada to Argentine. And all this is in spite of the absence of any organised missionary activity.

## HOLY WAR

Let us conclude this brief expose with some words on a question which is most misunderstood in non-Muslim circles. It refers to the notion commonly held of the holy war. The entire life of a Muslim, be it concerning spiritual affairs or temporal ones, is a discipline regulated by the Divine Law. If a Muslim celebbrates even his service of prayer without conviction (for ostentation, for instance), it is not a spiritual act of, devotion, but a crime against God, a worship of the self punishable in the Hereafter. On the contrary, if a Muslim takes his meals, for the purpose of having the needed strength to perform his obligations regarding God, even if he cohabits with his wife, as an act of obedience to the Divine law, which orders him that, these acts of need and pleasure constitute saintly acts of devotion, meriting all the Divine rewards promised for charity, as a saying of the Prophet indicates.

Such being the concept of life, a just struggle cannot be anyth-

Another letter of the same caliph (cf. Ibn Sa'd, V, 252): says :

"Purify the registers from the charge of obligations (i.e. taxes levied unjstly) ; and study old files (also). If any injustice has been committed, regarding a Muslim or a non-Muslim, restore him his right. If any such person should have died, remit his rights to his heirs."

It is common knowledge, that Muslim jurists recognize the right of pre-emption in regard to neighbours. If anybody sells his immovable property, the neighbour has the prior right over a stranger. This right reconized in favour of the non-Muslims also.

The safe-guard of the rights of non-Muslims, in the Islamic territory, goes even to the extent of giving them liberty of practising customs entirely opposed to those of Islam. For instance, the consumption of alchoholic drinks is forbidden to Muslims, yet the non-Mulsim inhabitants of the country have full liberty not only of consumption, but also of manufacture, importation and sale of the same. The same is true of games of chance, marriage with close relatives, the contract entailing interest, etc. In olden times, this did not affect Muslims, and the abuses with their repercussions were rare. Modern jurists have restricted the liberty in so far as international commerce is concerned. As attempts to restrict alcholoic consumption will be ineffectual if they should not be applicable to the whole population, the consent of the representatives of non-Muslim has facilitated the task of jurists, who in principle would not intervene in the practices of different communities differing in point of religion.

The Islamic law makes a certain distinction among different non-Muslim communities, in so far as their relations with individual Muslims are concerned. It divides non-Muslim in to what we might call "developed", and "primitive" or those who believe in the One God and follow Divine laws revealed to the founder of their religions, and those who do not do that (such as idolators, atheists, pagans, animista, etc.) All are tolerated as subjects and enjoy protection with regard to the liberty of the conscience and life, yet a Muslim in his private life treats them differrently : A Muslim has the right to marry a "developed" non-Muslim woman, but not a primitive one. So is it too that a Muslim may not only marry a Christian or a Jewish girl, but also give her the liberty to conserve her religion.

allowed to profane them, because if the ill treatment of a Protected (non-muslim) is forbidden in his life-time, on account of the protection which he enjoys, the protection of his bones against every profanation is equally obligatory after his death". The jurists are unanimous in declaring that, if a Muslim violates a non-Muslim woman, he will receive the same punishment as is prescribed against the violation of Muslim women.

In the time of the caliph 'Umar, certain Muslims had usurped a piece of land belonging to a Jew, and had constructed a mosque on the site. Learning the news, the caliph ordered the demolition of the mosque and the restoration of the land to the Jew. Prof. Cardahi (a Christian of Lebanon, in his series of lectures on Private international Law of Islam delivered at the Hague, 1933)) writes: "this house of the Jew Bait al-Yahudi, still exists and is well known.

Another classical example, cited by Ibn Kaṭhir and others is that of the Grand Mosque of Damascus. An Umayyad caliph had occupied a church to enlarge the Mosque. Later when the complaint was brought before caliph 'Umar ibn Abd al-Aziz, he orderred to demolish part of the mosque and restore the church. But the Christians themselves preferred a monetary compensation, and the matter was thus amicably settled.

Let us site the circular of the caliph 'Umar ibn 'Abdal-Aziz (preserved by Ibn Sa'd V, 280), which again is eloquent testimony:

"With the name of God, the Most Merciful, the All Merciful. From the Servant of God, Commander of the Faithful, 'Umar (ibn 'Abdal-'Aziz) to (the governor) 'Adi ibn ARtat and to the believing Muslims in his company : Peace be with you. Whereafter I send you the praise of God, beside whom there is no God. Thereafter : Pay attention to the condition of the Protected (non-Muslims), and treat them tenderly. If any of them reaches old age and has no resources, it is you who should spend on him. If he has contractual brethren, demand these latter to spend on him. Apply retaliation if anybody commits tort against him. This is as if you have a slave, whoreaches old age, you should spend on him till his death or liberate him. I have learnt that you accept tithe on the import of wine and make it enter the Treasury belonging to God. I warn you never to enter it, in the Treasury belonging to God, however small the amount be, unless it be a legally pure property, Peace be with you."

# STATUS OF NON-MUSLIMS IN ISLAM — II

*By*

DR. MUHAMMAD HAMIDULLAH

There is a tendency among a large number of people to imitate and ape their governors and chiefs, in the outer conduct of life, such as dress, coiffure, etiquette, etc. The result is a superficial assimilation, which brings no advantage to the ruling community, but which causes a moral damage to the classes which imitate in a servile manner. In an Islamic State, non-Muslims constitute a protected community (dhimmi). Therefore it is the duty of the governments to protect the legtimate interests of these strangers. Hence it is that we see, during the 'Abbasid caliphate that, far from seeking the assimilation of "strangers" by force, the government discouraged all imitation of one by the other : Muslims, Christians, Jews, Magians and others conserved their own modes of dress, their social manners and their distinctive individualities. Only a total assimilation, through religious conversion, was sought, and not a confusion of communities. This is proof enough that the measure had nothing to do with the religious exigencies of Islam — and in the time of the Prophet there was absolutely no trace of it — but a condition of life, suiting the social conceptions of the epoch : and its essential purpose was recognize at the very first sight, the religious community of each and every individual. The intention was to protect in this way the culture of everyone, so that its intrinsic values and defects should come more into relief. In passing, it may be repeated that the conception of nationality in Islam is based neither on an ethnic source nor on place of birth, but on the identity of ideology, i.e. of religion.

The person, property and honour of every individual, whether indigenous or heterogeneous, are fully protected in the Islamic territory. The Sharh al-Hidayah, which is a legal manual of current use, employs, for instance, the characteristic expression : "Defamation is prohibited, be it concerning a Muslim or a Protected (non-Muslim)". Another jurist of great authority, the author of al-Bahar ar-Raiq says : "Even the bones of the dead among the Protected (non-Muslim) have the right to be respected, even as the bones of Muslims ; it is not a

Finally I would not like to miss the chance to present some proposals for the benefit of Islam and the Moslem youth.

1. To qualify religiously the Lebyan youth sent to non Moslem Countries. This could be done by allotting a period of time before their departure to teaching them whatever is related to the religion of Islam and its principles. This should be carried out by efficient instructors until it becomes clear that the youth have comprehended their religion, have been well armed by faith and immunized by those instructions against the mental pests to which they may be exposed. Thus the revolution would feel secure about them. Furthermore it would be expected from them to gain for Islam new adherents through what they would do by way of calling for Islam beside realising the aim for which they have been sent abroad.

2. To make of Moslem Embassies in Non Moslem countries religious centers by sending some 'Ulamas with reciters of Al-Quran. provided that the selected Ulamas would be real authorities on Islamic studies and known for their great piety and sincerity to their religion and country. Thus the Enbassies, would be centers of guidance and radiation for the concepts of Islam.

3. To recruit the Moslem youth every where to serve the causes of Islam and arabism, to explain those causes to the States and the nations in the proper way and sift those causes from false distortions which were meant to harm Islam and to contest its tolerent principles and its high morals.

In conclusion, I thank you all praying Allah the Almighty that this conference would yield its expected fruits and that it would be of the greatest benefit to Islam and Arabism and to all huminity which seeks justice and the elimination of evil and peace be upon you.

to shame the agents of ideologies the traders of humanity, the opportunists who live on deceit and villainy and on sabotaging the relations between nations and states by lies, rumours and slanders.

This Libyan revolution which broke out on the soil of this proud country, which, at one time, suffered from various types of colonialism and the hateful international bargains, under the leadership of one of the sons of this grateful nation, namely brother colonal Moo'Ammar El Gadhafi and his brave companions. It was announced to the world that this revolution had broken out to do the right, to erase the evil, to do away with lies and confusion. It was echoed by all parts of the world, it changed the flux of the political and economic history did much towards raising the Islamic East from its fall and awakening it from its deep slumber. It has disturbed the colonialists and tyrants and has rocked the opportunists and exploiters to the foundations and threatened them with disaster. This revolution has opened its arms to welcome all those who back justice and protest loudly against injustice and corruption. It has raised the voice of Islam in the highest pitch with daring and candidness and called for resorting again to the laws of Islam to control this dear nation. It is enthusiastic for Arabism, for the Language of Al-Quran, with the full sense and significance of this word.

It was said in old time, "I like Arabs for three reasons; I am an Arab, Al-Quran is in Arabic, the Language of paradise is Arabic, the holy prophet according to certain sources said, "Lern Arabic and teach it to people" It was relayed from Al Imam Al Shafi, may Allah bless him, a saying to the effect that people have differed and been misled after they have neglected their Arabic Language.

This revolution is trying hard to unite the nation under one banner and within one frame to go back to the Islamic caliphate. Inso doing, it is waging a compaign against the inherited political systems which afflicted nations with painful disasters and obliterated justice and right and gave triumph to delusion and evil. This revolution too, supports daringly the nations subdued and oppressed by tyrannic colonialists. We pray for the progress and flourishing of this revolution ; we pray for it to go ahead along the path of right and along the way of the Islamic justice.

We hope it would encourage the teachings of Islam, the reciting of the holy Book of Allah the Alminghty and the teachings of the sunna.

work, for the defence with the moral and material strength, and for the struggle with all one's existence as the situation requires. The struggle can also be carried on by the sacrifice of property, where nothing else could do, by pen when necessary and we should be ready for duels by proofs and word, whenever it is necessary to contest with proofs and to use the weopon of sound argument. It has been said that, "for every situation there is a dictum."

So you youth, you have to be very brave soldiers, courageous heroes and dutiful sons of this pure religion and this true and dignified Arabism and this dear spacious motherland which gave birth to the genius thinkers, the well experienced leaders and the wise successful politicians for whom history has recorded with, words of light, immortal annals that cannot be forgotten over all ages; a bright proof of the manliness of those fathers and the gallantry of their brave predecessors. This good soil in which grew the roots of dignity and pride developed the characteristics of those who refused tyranny. It also developed the defenders of the land and the protectors of dignity and honour, those who sacrificed their pure blood and great spirits for the sake of an honourable life to protect their dear honour and their glorious history which is full of glorious deeds that are subject of pride. You, youth, have to take as your guide this pure scent and those good roots and take from the history of those fathers and grandfathers more good models so that you would be sincers and dutiful sons to your zealous predecessors. You will thus wipe away from the forehead of the Islamic a and Arabic Umma the shameful stains of Imperialism, the rejoicing of her base enemies who strove hard to blot out the landmarks of your glorious history and to deny your legal rights and to plant in yourselves, weakness, lack of confidence in your selves in you history and in your sincere leaders. Those leaders take care of the interests of your Umma and try to revive your glorious history which has almost been dimmed away by the lapse of time and by denying rights and duties. You should be enthusiastic for liberation causes every where on earth ; you should liberate humanity from slavery and making from the tyranny of man which squeezes out the weak and works for annihilating him and for reducing him to the status of animals. It is now time to revolt against all these.

The time has come to destroy the vestiges of aggression and tyranny. This is the time to put

shouldering this heavy burden under which it moans. By shouldering it you will keep high your esteem and that of your nation and you would to restore to this glorious Umma the ravaged teachings of Mohammed together with its usurped rights which the hands of treachery and aggression have fiddled with the powers of materialism against those rights. The instincts of evil and vengeance have united to crush them so that no nation will be set up for your glorious legacy and no traces of your glories would remains.

The wicked international zionism supported by the hateful imperialism is trying with full force to destroy the virtuous spirual forces and mobilize its potentialities to destory the heavenly eternal law of Allah and its innocent followers and those who are faithful to it. It does with all its means and stolen instrument to liquidate the world completely under the slogan of the chosen people of Allah representing the elements of evil and hatred for all humanity; Israel which is like a thorn in the spine of Arab and Islamic Umma and a wide open door for the cunning Imperialism to pass through it for terrorism, expatriation for the Arab and Islamic East hoping to absorb the fruits of this great Arab homelands and the good soil of the extensive blessed land from which emanated the rays of the eternal heavenly message, till it filled the whole universe with light and illumination and in which the spring of the industrial renaissance erupted in the Modern age, and from which the torrents of the material civilization flowed to facilitate the means of living and transport and of communicating with the distant societies and contries.

Proud youth.,

The wounded palestine and the bleeding Jerusalem, the first of the two Kiblas, the third sanctuary, the cradle of prophetship, and the center of guidance are impatiently waiting for you and are anxiously waiting for the time of victory receive you. They are waiting for the time when the nests of the crows and the caves of bats are crushed, when the fortifications of the Fierce zionism are shaken off; when the sinning gangs of Israel are torn, when the haly land is purged of defilement of the tyrannic jews, when the right is restored, when the ravaged property is given back to its legal and expatriated owners. This cannot be done only by speeches and articles or by holding panels and conferences, Above all, there must be impetus in the field of struggle under all circumstances. There is the field for the positive

# THE CARE OF ISLAM FOR BRINGING UP THE YOUTH (II)

**A paper submitted to the Muslim youth conference, Tripoli, Libya, July 1973**

It is the duty of the Arab Moslem youth in every spot in the whole world to rise up to defend the Islamic faith, its sanctuaries, its glories and its principles. They should move to destroy the enemies of Arabism and Islam and to pull down the reactionary institutions which cooperate with Imperialism, whether masked or not, which does its utmost best to lie with its full weight on the chest of Arab and Islamic nation, and eradicate it from existence so that the place would be clear for evil, anarchy and to prepare the circumstances for the bats of the dark and mutiny. Wherever the elements of tyranny and corrution live, and wherever the dark replaces the light, wherever tyranny and oppression replaces justice, the peoples would be deprived of their precious right in freedom, and consultation which Islam has been calling for fourteen centuries. Indeed Islam practically applied ages the systems of freedom and consultation in its the golden.

Islam has saved this world from the fetters of slavery, humiliation and has saved humanity from the evils of the evil jahilia and the giant barbarism. It has transfered the human society from the unjust law of the jungle to the law of the just and merciful heaven and to the law of justice and equality. It has punished the reckless fiercely and set up a moderate system of life on this universe and under its skies in the fields of the social, economic and cultural life. All people are equal before the right, as there are neither class bars nor sectarianism in Islam. All people are as equal as the teeth of the comb. All of them belong to Adam and Adam is from dust as Allah Almighty says. " O mankind; LO; We have created you male and female, and have made you nations and tribes that ye may know one another. LO ; The noblest of you, in the sight of Allah, is the best in conduct," (Surat Al-Hujurat (13) and as the poet says :

People are the same in their creation.

Their father is Adam and their Mother is Eve.
Vivid Moslem youth.,

The Arab and Islamic Umma today holds you responsible for

the temple with your own hands : we shall send agents from here to do the job, and if there should be any consequences, which you are afraid of on account of your superstitions, it will be they who would suffer.

This act of the Prophet shows what concessions could be given to new converts. The conversion of the Taifites was so whole hearted that in a short while, they themselves renounced the contracted exemptions, and we find the Prophet dominating a tax collector in their locality as in other Islamic regions. In all these "wars", extenting over a period of ten years, the non-Muslims lost on the battlefield only about two hundred and fifty persons killed, and the Muslim losses were even less. With these few incisions, the whole continent of Arabia, with its million and more of square miles, was cured of the abscess of anarchy and immorality. During these ten years of disinterested struggle, all peoples of the Arabian peninsula and the southern regions of Iraq and Palestine had voluntarily embraced Islam.

rows around the House of God, waiting to discover their fate. Would they live or die ? Then the Prophet came out of he House of God, stood at the doorway and directed his face towards them, saying :

"Praise be to God who keeps His Promise and gives victory to His servants and helps His army and defeats their enemies."

Then he said : "O, People of Mecca ! What do you expect me to do with you ?"

And they answered : "Something good. You are a noble brother and the son of a noble brother".

And the Prophet said : "No harm shall befall you this day. Allah will forgive you, He is Merciful Beneficent. Go, you are free".

What did the Prophet do ? This was the act of who wanted to guide people to the right path, not, to destroy them. He came as a messenger of God and his call was to allow peace to prevail in the world. And this was what made peace : he pardoned those who had harmed him. And they did not forget his grace upon them. The historians, therefore, call this day 'The Day of Mercy'. He even renounced the claim for the Muslim property confiscated by the pagans. This produced a great a psychological change of hearts instantaneously. When a Meccan chief advanced with a fullsome heart towards the Prophet, after hearing this general amnesty, in order to declare his acceptance of Islam, the Prophet told him : "And in my turn, I appoint you the governor of Mecca ! Without a single soldiers in the conquered city, the Prophet retired to Madinah. The Islamization of Mecca which was accomplished in a few hours, was complete. Immediately after the occupation of Mecca, the city of Taif moblised to fight against the Prophet. With some difficulty the enemy was dispersed in the valley of Hunain, but the Muslims preferred to raise the seige of nearby Taif and use pacific means to break the resistance of this region.

Less than a year later, a delegation from Taif came to Madinah offering submission. But it requested exemption from prayer, taxes and military service, and the continuance of the liberty to adultary and fornication and alcoholic drinks. It demanded even the conservation of the temple of the idol Al-Lat at Taif. But Islam was not a materialist immoral movement ; and soon the delegation itself felt ashamed of its demands regarding prayer, adultary and wine. The Prophet consented to concede exemption from payement of taxes and rendering of military service ; and added : You need not demolish

able to achieve, Allah will compass it., Allah is Able to all things'' (48 : 18 — 21).

In the next year the Prophet came to Mecca with his companions to perfom their Umra to the House of God. Some time earlier a battle had taken place between two tribes, one of them allied to the Prophet and the other allied to the people of Mecca. According to the Agreement the Meccan people had no right to help the allies but they did not keep away from the battle. They helped their allies and killed the allies of the Prophet. The allies of the Prophet explained to him what had happened and it was clear that the people of Mecca had broken their promise. Therefore the Prophet ordered his companions to be ready and they went to Mecca.

They reached Mecca on the 24th Ramadan, in the eight year of Al-Hijrah. When the Prophet approached Mecca the news of his coming had reached the people before him, and they were in a difficult position. But the Prophet made an Announcement :

"Whoever comes to the Mosque is saved, and whoever stays at home and doesn't fight is also saved ; whoevercomes to the house of Abu Sufyan is also saved.'' A large number of people did these things, but some of them insisted on fighting the Prophet and his companions. The battle did not last long and the Prophet and his companions entered Mecca.

When the Prophet came to the House of the God he prostrated himself and thanked God for what He had done for him, and he went around the House of God for 'Tawaf' as a greeting to the House and asked for the key of it, and went inside. He found the House full of idols. He broke all of them saying :

« أشهد أن لا اله الا الله » .

"I bear witness that there is no deity than God.'' He then prayed inside the House, and he ordered Bilal to stand on the roof and to call 'Adhan' for the first time in the history of Mecca. This was a sign that Mecca was now in the hands of the Prophet, and the Meccan people were worried. They didn't know what the Prophet was going to do with them, because they remembered what they had done against him over the last twenty years. They remembered how they had harmed him and insulted him, how they had tried to kill him and launched war against him, killed many of his followers and tried to destroy his town. All these things they remebered, and did not expect their lives to be spared. The Prophet, however, had not come to kill them, but to guide them to the right path and they sat in

time that the people of Mecca had accepted the existence of Muslim community in Arabia, and other tribes could have an allience with them if they wished, which had never been possible before.

The other point which Muslim plople could not understand was why they should return anyone who came from Mecca, and not except the Meccan people to return one from their side who had gone over to Mecca. The Prophet explained this point as follows : "If anyone leaves us and goes to Mecca we don't want him back, because he is not with us. There will be no benefit in keeping anyone with us against his desire. But those who came from the side of Mecca, when we return them they will find a way of securing their freedom". And this was so. Three people came from Mecca to the side of the Prophet. When the people from Mecca discovered this they sent a delegation to demand their return. The Prophet gave them the three people, and this caused a sad situation among the Moslim people. What happened when these three were being returned to Mecca ? One of them, who was strong and brave killed one of the Meccans who had come to take them back, and the other two ran away. Then he and his friends stayed somewhere between Mecca and Syria. When anyone came by from Mecca they stopped him and took away his property and made it very difficult for the Meccan people to carry on their trade. At last the Meccans went to the Prophet, asking him not to return anyone who came to him from their side.

The Holy Quran, therefore, called this Agreement a great victory, because of the results which came from it, and these verses of the Holy Quran were revealed on this occasion :

لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما . وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما . واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها وكان الله على كل شىء قديرا . ( الفتح ١٨ — ٢١ ) .

It means : "Allah was well pleased with the believers when they swore allegiance unto thee beneath the tree, and He know what was in their hearts, and He sent down peace of reassurance on them, and hath rewarded them with a near victory ; And much booty that they will capture. Allah is ever Mighty, Wise. Allah promiseth you much booty that ye will capture, and hath given you this in advance, and hath with-held men's hands from you that it may be a token for the believers, and that He may guide you on a right path. And other (gain)., which ye have not been

of this terrible deed. The followers of the Prophet promised not to return home until they knew what had happened to the Prophet, and this day is known in Islamic History as the Day of 'Ba'iat al-Ridwan'.

It is mentioned in the Holy Quran that on this day they pleased God in their sincerity and their readiness to make sacrifices in order to seek the truth. Then the people of Mecca sent a delegation to the Prophet, returning at the same time his messenger. This delegation was sent to make an agreement between the people of Mecca and the Prophet. They agreed that the Prophet must not enter Mecca that year, but they would be permitted te enter the following year. And the war must stop between both sides for ten years. Anyone who came to the people of Mecca from the side of the Prophet would not be allowed to return, and a further condition was that anyone wishing to form an alliance with the Prophet, could do so, and anyone of Muhammad's followers could form an alliance with Mecca.

When the followers heard these conditions they were not all happy. They had no wish to go back to Medina without performing their Umrah, to the House of God in Mecca and they were surprised that the Prophet should be expected to return anyone coming from Mecca back to them and yet not to have one of their people returned who had gone to the side of Mecca. They argued until Omar Ibn Al-Khattab became very angry and went to the Prophet, saying :

"Aren't we right, and they in wrong ?" The Prophet answered : "Yes". Then Omar said : "But why should we accept this humiliation ?" The Prophet's answer was : "I am the slave of God and His Messenger. He will never let me lose the way". Omar could not continue talking to the Prophet after this. He went to Abu Bakr and expressed his sorrow for this. Abu Bakr explained to Omar that even if they didn't understand the benifits that this Agreement would bring them then certainly the Prophet did know, and they must follow him and put their trust in him.

The Prophet saw the distress of his followers and he himself was sadened by it. He spoke to his wife, Omm Salmah about it, but she advised him to go to his sacrifice and start to slaughter the animals and that when they saw him doing this they would do the same. And this is what happened. Then they returned to Medina. Several events took place which made it clear the Prophet's acceptance of the Agreement had been of great benefit to the Muslim side, because it was the first

# MAJALLATU'L AZHAR

**(AL-AZHAR MAGAZINE)**

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

| DHU'L QA'DAH 1393 | **ENGLISH SECTION** | DECEMBER 1973 |
|---|---|---|

## THE TRUCE OF HUDEYBIYA AND THE CONQUEST OF MECCA

*By*

DR. MOHIADDIN ALWAYE

The conquest of Mecca in the 8th year after the Prophet's migration to Medina decided the fate of the whole of the Arabia, and opened its doors to Islam. The Truce of Hudeybiya, concluded between the Prophet and the people of Mecca in the 6th year of Hijrah, paved the way to this historic conquest. In this crucial period through which the Arab and Muslim nations are passing, let us have a glance on these two great historical events.

In the 6th year of Hijrah, the Prophet informed his companions that he was going to Mecca to perform 'Umrah, and they accompanied him, bearing with them their sacrifice. They went with no intention of making war, but when the Prophet and his followers approached Mecca they were refused entry, and the Meccan people stoped them performing their Umrah. Then the prophet sent one of his companions Osman ibn Affan, to explain to the people of Mecca that they hadn't come to make war, but to pay their respects to the House of God. But when the messenger of the Prophet went to speak to the people they kept him there for three days, and it was feared they had killed him. The Prophet became angry and made a covenant with his followers. If this rumour was true, they must fight the people of Mecca because




# مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة

« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء العاشر — السنة الخامسة والأربعون — ذو الحجة سنة ١٣٩٣ هـ — يناير سنة ١٩٧٤ م


بسم الله الرحمن الرحيم

# الثقة بالنصر


للأستاذ عبد الرحيم فودة


١ — كما يمتحن الذهب والمعادن بالنار يمتحن المؤمنون بالمحن والشدائد، لتصفو نفوسهم وتسمو هممهم ، وتقوى عزائمهم ، وتعظم قيمهم ، ثم لتكون لهم الحياة الطيبة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة كما يفهم من قول الله : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » وقوله : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة .. »

٢ — وقد مثل الله الحق بالماء ينزل من السماء ، فتجرى به الأنهار ، وتجود به العيون وتبض به الآبار ، وتحيى به الأرض بعد موتها ، وبالمعادن النفيسة تصهر بالنار لتخلص مما يشوبها ويعيبها ، وينتفع بها الناس بعد تمحيصها وخلوصها . ومثل الباطل مهما يكن شأنه بالزبد فوق السائل من الماء والمعادن ، لا بقاء له ولا خير فيه ، ثم قال جل شأنه : « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال » .

٣ ـ فالبقاء للحق ، مهما يكن الباطل ومهما يطل به الزمن ، والنصر لمن يؤمنون بالحق ويحرصون عليه ، ويكافحون دونه ، ويجاهدون فى سبيله ، ويجودون بأموالهم وأنفسهم ، وبكل ما يستطيعون من قوة لاعلاء كلمته واعزاز رايته . فاذا بذلوا وسعهم فى ذلك كان الله عونهم فيما لا تبلغه طاقتهم ، وفيما تقصر عنه قوتهم ، « ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما » « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » « ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

٤ ـ ذلك هو التفكير العقلى السليم عند من يؤمنون بالله ، ويتوكلون عليه ، ويمتثلون أمره ، ويعدون لعدوه وعدوهم كل ما استطاعوا من قوة كما يقول سبحانه: « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » ولا شك أن معنى القوة عام يشمل القوة المادية ، والقوة المعنوية ، والقوة العلمية ، وأن معنى الرباط كذلك عام يشمل حراسة الثغور والمنشآت والمؤسسات التى يتوقع هجوم العدو عليها ، ويقوم مقام الخيل فى هذا العصر كل أدوات الحرب والدفاع الحديثة ، من البندقية ، الى المدفع ، الى الدبابة ، الى الصاروخ .

٥ ـ فاذا توافرت وسائل النصر ، وتكاملت معداته وأدواته ، كان علينا أولا وأخيرا أن نعتمد على الله ، وأن نلتمس عونه ، ونلتزم حدوده ، فقد يعطل الأسباب عن عملها ، ويكون الخير فيما نراه شرا ، والشر فيما نراه خيرا ، كما يقول جل شأنه : « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » فكثرة العدد ، ووفرة السلاح ، قد تثيران فى نفوس المقاتلين الغرور بالقوة والشعور بالزهو ، فتكون الهزيمة من حيث يتوقع النصر ، كما حدث للمسلمين فى غزوة حنين، اذ قال بعضهم لبعض: لن نهزم اليوم من قلة ، ثم كان ما يذكره الله حيث يقول : « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا

وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين • ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين » •

وأيا كان الأمر بيننا وبين أعدائنا فنحن نذود عن حق ، وندافع عن شرف ، ونؤمن بقول الله فيهم : « واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » وقوله : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » وقد عرف العالم أمرهم • وكانت معركتنا الأخيرة معهم بشارة سارة لنا بما ينتظرنا من خير ونصر • وما ينتظرهم من شر وقهر ••

ويرجع ذلك النصر الذى حققناه الى اتحاد الكلمة ، وتضافر الجهود ، والاعداد للحرب ، والاقدام عليها ، والتضحية فيها ، بل يرجع أولا وأخيرا الى ذلك الأثر الكبير الخطير الذى أحدثه دوى الصيحة التى انطلقت من أعماق المقاتلين وهم ينقضون على حصون الأعداء ، ويهتفون بكلمة : الله أكبر •

وقد تحدث المقاتلون بما رأوه فى هذه المعركة من مظاهر عون الله وتأييده ، وبلغت قصصهم فى ذلك حدا يزيد المؤمنين ايمانا واطمئنانا ، وصدق الله اذ يقول : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا » واذ يقول : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون • نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون » •

عبد الرحيم فوده

# المعركة وإشاراتها إلى حقائق الإيمان

للأستاذ أحمد موسى سالم

فى العاشر من رمضان جاءت الصحوة مثل فلق الصبح لتقاتل الأمة العربية بعقيدتها الهادية ، وعقلها العلمى ، وعملها العقلى ، ومواردها الكثيرة هذا العدو المستطيل عليها ، الذى حاول بكل وسائله النفسية والدعائية أن يلبس عليها أمرها ، وأن يضعها فى الشتات من حقيقتها ، وأن يعزلها عن جذور وجودها فى التراث والدين واللغة والتاريخ لتركع تحت ضرباته أمة بغير هوية ، وكيانا بغير حيوية ، فاقدة ارادتها لتستسلم ، ولافظة بقية أنفاسها لتموت .

لذلك فلقد كانت هذه الصحوة التى تجسدت فى انتصار العاشر من رمضان على ساحة القتال مع العدو الاسرائيلى برهانا للمتشككين على أن الخيط المتين لم ينقطع فى نسيج الأحداث بين ماضى هذه الأمة وحاضرها ، وعلى أن المصدر الوحيد لعقيدة هذه الأمة الهادية الى مفازة رشدها وانتصارها هو ايمانها الخالص بالله ، هذا الايمان الذى ترتفع بمنهجه الى العزة بالهها الواحد فوق القهر ، وفوق الخوف ، وبعيدا عن الانحراف .

لقد ملكت الأمة العربية فى هذه المعركة ماهى بحاجة اليه من الأسلحة والخطط والفنون العلمية ولكنها قبل ذلك ملكت من ذاتها ما هو أهم من كل ذلك . لقد ملكت من ثمار كفاحها العقلى والنفسى الطويل عبر عصور التخلف والانحلال هذا الوعى العملى لحقائق الايمان . لقد ملكت هذه الحقائق التى كانت ولا تزال هى خلاصة قصة الدين ، ملكتها فى لحظة الحاجة اليها ، لتكون هى علامة التصحيح لطريقها ، ولتكون هى التأكيد لما جاءها به القرآن الكريم فى آياته وتطبيقاته على أن العلم ، والنظر العلمى ، والبصيرة العلمية ،

ليست هي فقط طريق الاهتداء الى الله عبر هذا الوجود المتسق ، وانما هي أيضا وسائل اقامة المجتمع السليم على هـذه الأرض التي استخلف الله المؤمنين في مواردها ، كما أنها المصدر الذي يمنح قوة الدفاع عن حقوق وحرية البشر وارادتهم المؤمنة فوق هذه الأرض .

من أجل هذا انتبهت الأمة العربية الى أن انتصار العاشر من رمضان هو اشارة وعلامة على طريق الايمان الذي لا تزال تشقه لتبني به مبادىء ماضيها العظيم في صورة حاضرها الجديد . وكانت العلامة هي هذه الصحوة التي أشرق بها ايمانها القائم على العلم فوق ساحة القتال . هذا الايمان الذي منح قواتها المقاتلة من الوعي والأمن والبسالة ونشوة الاستشهاد مااستطاعت أن تحرك به الأسلحة الثقيلة والأشياء المتنوعة والمجاميع البشرية هذه الحركة التوافقية العقلانية التي اندفعت بايقاعها المؤمن نحو النصر .

**العقلانية المتنمرة :**

ولقد كان من المفارقات أن تثير هذه الظاهرة المتوقعة عن صحوة الايمان همهمة متنمرة لبعض الأفكار والنزعات المادية أو العقلانية كما يسمونها ، وأن يعلن بعض هؤلاء الذين يعيشون بفلسفتهم الباردة داخل الماء الراكد أنهم يرفضون تعليل الانتصار الذي حققه المقاتل العربي بصحوة الايمان ، أو دعوة الايمان ، بل ولا يغتفرون انتشار هذا التعليل الذي هو من وجهة نظرهم رجوع الى التفكير اللاعقلي ، أي الى التفكير « الديني » أي أنه تجديف عندهم بكل قواعد المادية القديمة والحديثة ، واهدار لكل ما اجتهدت قرائح فلاسفة الغرب الوضعين لاثبات أن كلمات مثل « الله والدين والايمان والتقوى » طالما أنه ليس لمعانيها تحقيق تؤكده الخبرة الحسية في حدود العالم الطبيعي فهي كما يزعمون كلمات لا معنى لها تؤديه اللغة ، وينبغي في عقلانيتهم أن يعدل الناس عنها !!

ومن أجل هذا فان الدكتور فؤاد زكريا مثلا ، والأستاذ بجامعة عين شمس ، قد أثير من ركوده أخيرا بسبب انتشار هذا القول بأن الانتصار العربي في معركة العاشر من رمضان قد اقترن بآثار قوة غير عقلانية من وجهة نظره هي الايمان . ولقد بلغ من مدى تأثره واثارته أنه رفض أن

« يغتفر » لمواطنيه هذا « الانزلاق » في الفكر اللاعقلي ! ومضىوهو يحدد لمواطنيه طريق الصواب يعلن أن التدريب العلمي والعملي الذي مارسه المقاتلون المصريون والسوريون لاستيعاب الأسلحة الحديثة هو وحده السبب الذي يقبله العقل لهذا الانتصار !!

ولقد كنت أحب لو أن مخاوف الدكتور فؤاد زكريا من التفكير اللاعقلي تنصب على اهتمامه بازالة ما ران على « حقائق الايمان » من أساطير ومبتدعات خلال عصور ومحاقات زمنية مظلمة وطويلة ، ليس أفدحها فقط هو العصر العثماني الذي استنزف الموارد ، وعطل الحياة ، وهدم المقومات . ولكن بكل الأسى والعجب فان مثل الدكتور فؤاد زكريا يصدر في هجماته الملتوية على الفكر الديني من منطلق فلسفة أوروبية متداعية هي الفلسفة الوضعية المادية التي ترى في الفكر الديني ميتافيزيقية غير علمية ، والتي لا تعني بالفكر الديني في نظر روادها الأواخر من أمثال ماخ وشليك وكارناب ورسل والهودي فتجنشتين الا على صورة المقررات التي أعلنها قادة الكنيسة الأوروبية في وجه العلم ، وأنزلوا سلطانها على اجساد بعض العلماء ، والتي كان من ظواهرها ذلك الانذار الذي أصدره البابا بيوس التاسع للعلماء سنة ١٨٦٤ تحت عنوان «جملة الأخطاء » أو « كوانتا كورا » والذي تهددهم فيه اذا ما استمروا فيالتعرض لمقدسات الفكر الكنسي ! ...

لهذا فان الدكتور فؤاد زكريا لا يميز من بادىء الأمر بين المقاصد التي تحرك بها فلاسفة الفلسفة الوضعية في أوروبا ممن لم يكن لهم أي قدر من الالمام أو الاهتمام بدراسة الاسلام وموقفه من العلم والعقل ،وبين الايمان الذي يعنيه الاسلام نفسه بمدلول لفظه العربي ، هذا الايمان الذي دعا اليه القرآن الكريم مستندا الى العلم ، وبانيا للمجتمع بقواعد العلم والعقل ، وكاشفا لأول‌مرة عن منهج الاستدلال العلمي بالتحليل والتعميم للظواهر التي تدخل في عمل العقل وخبرة الحواس .

ولهذا فان الدكتور فؤاد زكريا وهو يرتدي فراء أساتذته ، وينظر بأعينهم فلا يميز الظروف التي أنبتت

الوضعية بأشكالها غير المستقرة فى أوروبا والظروف التى أصابت شعوبنا المؤمنة فغشت على فئات منها ببعض الأساطير فى عصور الوهن الى حد التوهم لبعض القوى الخفية فى بعض الأفراد ـ لهذا نقول:ان الدكتور فؤاد زكريا قد أخذه الزهو بعقلانيته الشكلية الى حد أن يرفض بغير داع أن « يغتفر » لمواطنيه ثقتهم بأن انتصار العاشر من رمضان كان صحوة واشراقا ـ على طريق صراعهم الطويل للعدو ـ لحقائق الايمان . هذا فى الوقت الذى نعتقد فيه أنه قد غفر دون ما سبب معقول كثيرا من الفكر اللامعقول الذى يصدر عن هذه الشعوب التى يجعلها مصدرا لمعتقداته، ومستقرا لأسوته ، ممن يأخذون بالفلسفات المادية والعلم ولا يبالون بحقائق الايمان ، أو حقوق الانسان !

ولهذا أيضا نجد أن الدكتور فؤاد زكريا الذى يتطوع بالتباكى على اغتراب الأمة العربية فكريا ، من حيث أنها لا تزال شديدة التعلق بماضيها الى حد يجعلها ـ كما يتوهم ـ تعطى ظهرها لحاضرها ـ أننا نجده قد تناسى فى الحديث عن هذا الاغتراب أن يكتشف اغترابه هو فى هذا الولع الذى يصعب تفسيره حين يعيش مشدودا على أرض مصر الى ماض بعيد عن أرض مصر ، هناك حيث تلقفه فى مهاوى ومضايق الفكر الأوروبى ذى الطبيعة العدوانية والنفعية أذرع هذه الفلسفة الوضعية التى أسس لها منذ القرن السابع عشر فرنسيس بيكون الانجليزى ، والتى مضى بها الى شوط من أشواطها أوجست كونت الفرنسى فى القرن التاسع عشر ، والتى تدافع اليها تمتعا بقتل الوقت أعضاء جماعة فينا منذ أوائل القرن العشرين ـ ناسيا مرة أخرى ـ أى الدكتور فؤاد زكريا ـ أن فرنسيس بيكون الذى رفض فكر أرسطو ومال الى احياء مادية حديثة من مادية ديمقريطس قد أفاد أعظم تحولات فكره نحو الصواب العلمى والعقلى من الفكر العربى الاسلامى عندما كان بيكون ينتفض من فجاجة فكر أرسطو « العظيم » ومن لا عقلانية تجريده الميتافيزيقى الذى كان كما يصفه « يجر التجربة الحسية من ورائه كما يجر الأسير » !!

فاذا ما كان الدكتور فؤاد زكريا بكل ما حصله فىغربته داخل التراث الغربى من مهارات فلسفية وعقلانية

لا يزال عاجزا عن تعقل الرابطة العضوية بين العلم والايمان ، وعن النظر اليهما على أنهما ليسا أمرين مختلفين ، وانما هما أمر واحد يبدأ من العلم - وضعيا - حتى ينتهي بالتفكر البصير فيصبح ايمانا بالله مبدع العلم ، أي حتى يصبح هذا الايمان تفسيرا للوجود وللعلم ليكون هو علم العلم - اذا كان الدكتور فؤاد زكريا لا يزال عاجزا أو مستكبرا عن أن يحرك عقلانيته في هذا المجال المفتوح أمامه للبحث في حدود خبرته الحسية فان هجماته التي وجهها لما يسميه الفكر اللاعقلي ، أو لما هو الأساطير والمبتدعات التي علقت من رواسب القهر والتخلف بحقائق الايمان الخالدة - هذه الهجمات ستذهب سدى ، وسيبقى رنين كلماته العقلانية المنقولة عن فلسفات شكلية بغير أصداء، وسيتأكد - كما هو الغالب والمؤسف - أن هذه الهجمات الملتوية ليست الا قناعا مهتزا على وجهه يخفي به حرجه من لا عقلانيته وهو يهاجم الاسلام : مشرق العلم ، وحصن العقل ، ومصدر ازدهار فكرة حقوق الانسان وحضارة العلم في العالم القديم والحديث ...

**حقائق الايمان :**

ومن أخطر ظواهر التفكير اللاعقلي عند من يهاجمون الايمان باسم العقلانية بغير حجة أو علم ان هذه المعركة المصيرية التي تخوضها مصر والأمة العربية هي صراع بكل الأسلحة لتأكيد « حقوق الانسان » في عالم الواقع الملموس . انها صراع على حق الوجود للأمة العربية ، وحق الحياة ، وحق الوطن ، وحق الاعتقاد، وحق الأمن ، وما يتفرع عليها . ومثل هذه الحقوق الأساسية لوجود أمة اذا لم تجمعها في وجدانها وعقلها وذاكرتها عقيدة قادرة على بث الايمان بها الى حد اليقين ، وتوليد طاقة الدفاع عنها الى حد القتال والموت ، فان أي سلاح في اليد ، وأي علم أو معلومات في الدماغ ، وأي خبرة حسية أو فلسفة وضعية في اللسان تصبح ركاما باليا لا خير فيه ، ولا جدوى منه مهما تعاظم بها الجهد ...

ولعلها من الحقائق التي أصبحت من ثوابت التاريخ أن كل الانتفاضات الثورية في أوروبا من أجل انتزاع حقوق الانسان ، والاعتراف بمبدأ الأمم وحقوق الشعوب منذ الماجناكارتا في عهد الملك جون الانجليزي سنة

١٢١٥ وهى عبارة عربيــة منطوقة بالانجليزية وأصلها « الشرط المغنى » أو الشرط العظيم ـ ثم بامتـداد ذلك الى الثـورة الفرنسـية ، ثم الحروب القوميـة وثورة أكتـوبر الروسـية ، وحتى الاعلان العالمى لحقوق الانسان ثم المواثيق الدولية لحقـوق الانسان التى اعتمدتها الأمم المتحدة سنة ١٩٦٨ ـ ان ذلك كله كان بغير مبالغـة منحة للغرب من تيـار الثقـافة العربيـة الاسلامية ، ومن المبادىء التى أعلنهـا الاسلام بالتطبيق الأمين لهذه الحقوق فى واقع اجتماعى أشرق منذ القـرن السابع بغير انكار .

كذلك فلقد كان من الثوابت فى تاريخ الانسان أن التفجير الذى قامت به حضارة الاسـلام لمبـادىء حقوق الانسان فى وجدان الشعوب الأوروبية ورواد فكرها السياسى والاجتماعى قد سار فى حركة متوازية مع ما فجره الاسلام نفسه بثقافته التى انتشرت من أسبانيا وايطاليا وفرنسا وألمـانيـا من قواعـد « الفـكر العـلمى » المنهجى التجريبى الذى كان له وحده فضل مولد أوروبا فى حضـانة العلم وان يكن علما يتيما بغير أبوين . والذى كان له وحـده بالتأكيـد من خلال حماس من تلقفوه فضل اقتلاع جذور الفكر الأرسطى ، وشجاعة المجابهـة ـ فى ضوء العقل ـ لقسريات اللاهوت الكنسى ، حيث تألق من ولائد الأثر العـلمى العربى الاسـلامى ـ رغم الاضطهاد والخوف ـ أمثـال جاليليو وكوبرنيكس وكبلر ونيوتن وروجر بيـكون وفرنسيس بيكون وديكارت ومن جـاء بعـدهم بغير حصر ممن سـارعوا الى اقتحام سجن العبـارات والمقدمات الميتافيزيقية الى حدود رحاب العـلم ، وان يـكن كمـا ذكرت علما يتيما أصبح مع المدى عدوانيـا بغير حقائق الايمان أو شرائعه ...

من أجل هذا فانه قد أصبح أكثر ثباتا فى خبرتنا الحسية أن أوروبا رغم علومهـا النظرية ، وثروة مصانعهـا ووفرة أدواتها لا تزال بسبب عجزها المطلق عن تصـور « الاله الواحد » عاجزة بالمثل عن أن تمارس لنفسها أو مع غيرها حقوق الانسان ، فى الوقت الذى تمارس فيه استخدامات علمهـا المـادى ضد نفسها وضد الانسان !

لقد عجزت أوروبا تماما ، شرقا وغربا ، عن أن تقدم للانسـان على أرضه توحدا يجمع بالعدل بين الحرية السياسية والحرية الاجتماعية . لقد

كان مفهوم الرأسمالية الغربية ولايزال حرية سياسية على حساب الحرية الاجتماعية ، والحصيلة النهائية امتناع الاثنتين • وأما فى الماركسية اللينينية فلا زلنا نجد أن الحرية الاجتماعية بالقدر الذى تحقق لها كان على حساب الحرية السياسية فكأنهما معا ضدان لا يجتمعان قط على أرض أوروبا مصدر العقلانية الأعظم لأعداء الايمان!

ولكن بنظرة واعية وغير متحيزة فان هذه الغاية البعيدة المنال فى تنمية الانسان وحقوقه وعلومه وعقله بالحريتين قد كانت واقعا لا خيالا ثمرة متحققة للمجتمع الاسلامى الأول وتطبيقاته • هذا المجتمع السليم الأسس الذى لا تزال أصوله الحية وقواعده ومناهجه فى متناول الاعتقاد والتطبيق لجميع المسلمين ، ولمن يستطيع من غيرهم أن يسير معهم •

ولكن الدكتور فؤاد زكريا — فى عودة اليه — يذكرنا فى بعض غرائب أحاديثه بأن الحضارة الأوروبية المعاصرة قد حفظت منذ عصر النهضة الأوروبية « هذا التراث العربى وصانته على رغم نفيها وتجاوزها له » • ومعنى هذا فيما يريد أن يقرره هو دعوة للأمة العربية الى أن تيأس من البحث عن تراثها فى أعماق ذاتها ، وأن عليها أن تتحول الان الى الحضارة الاوروبية التى تجاوزت بتقدمها مدى الحضارة العربية التى لا يزال العرب يبحثون عنها فى الماضى ! وهو بهذا يكرر النغمة الأوروبية التى تسمعها كثيرا من الأوربيين عند حديثهم عن الحضارة العربية الاسلامية ، والتى كأنها تقول لهم فى شماتة أو رثاء : « أما حضارتكم أيها العرب فقد هضمناها هضما ، ثم انتقلنا منها الى غيرها ، بحيث لم يعد لكم الا أن تسيروا وراءنا » !!

وهنا موضع النظر والسؤال ، اذ كيف نتبعهم ونسير وراءهم اذا كانوا قد أسقطوا من حضارتنا أزهى وأهم ما فيها للانسان وهو « حقوق الانسان » مكتفين بالمنهج العلمى الذى طوعوا به المادة ، وأحدثوا ثورة الصناعة والتكنولوجيا والغزو الصهيونى !؟

نعم على أى شىء نتبعهم ونسير وراءهم اذا ما كان كل ما توصلوا اليه من الأدوات والأسلحة والنظم العقلانية ونظم التوجيه الذاتى مسخرا لهدم هذه الحقوق فى العالم ، الى حد أن جهود شعب متقدم مثل الشعب الأمريكى تسخر كلها فى هذه الأيام لمساندة العصابات الارهابية اليهودية

فى اسرائيل لاقتلاع حق الشعب العربى فى أرضه ، ثم ابتلاع هذه الأرض !؟

على أى شىء نتبع أوروبا فى عقلانيتها التى لم تستطع بها أن تحول دون ارتدادها فى حياتها الاجتماعية الى أشكال قريبة من حياتها تحت قسر العصور الوسطى وهمجيتها ، حيث أصبح الآن من المسلمات خضوع الشعوب الأوروبية المختلفة لأنواع من العقائد الشكلية التى تعتبر السلطة جزءا من العقيدة ، وأن لهذه السلطة فى صورها الخفية والظاهرة الحق فى الوصاية على المواطنين وتفسير عقيدتهم الاجتماعية ! وأنه لذلك انتشر نفوذ الصهيونية العالمية فى ربوع أوروبا العقلانية بحيث كان من الصعب بغير حظر العرب لتصدير البترول أن تفهم الشعوب الأوروبية أن قانون الأمم المتحدة يمنع أن تحصل دولة بالقوة على أراض لدولة أخرى ، وأن مأساة الشعب الفلسطينى خلال أكثر من ربع قرن تعتبر وصمة عار أجدر بها أن تحرق جباه الأوروبيين جميعا بسبب التواطؤ المزرى لدولهم على هذه المأساة خضوعا وذلا لنفوذ الصهيونية العالمية التى كان من السهل عليها أن تدوس فوق ارادتها •• وعقلانيتها !!

من أجل هذا كله يصبح من «المعقول» أن ترجع الأمة العربية الى ذاتها ، وأن تبحث فى تراثها وماضيها ، وراء حقائق الايمان التى تبنى مجتمعها ، وتعزز صراعها ، وتملك بها الارادة على حاضرها ، مقبلة بكل وعيها وجهدها ورشدها على طريق مفتوح ، ومستقبل مشرق ••• رغم ثرثرة بعض العقلانيين على الطريق !!

**احمد موسى سالم**

دراسات قرآنية

# يد الله مع الجماعة
## الاتحاد قوة والفرقة هزيمة

للأستاذ مصطفى محمد الطير

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » آل عمران : ١٠٣
« إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » محمد : ٧

خرج الملوك والرؤساء العرب من مؤتمر القمة ، بقرارات لم يعهد لهـا مثيل فى اجتماعاتهم ، وقد نبعت هذه القرارات من قلوبهم ومشـاعرهم ، واحسـاسهم العميق بمسئوليـاتهم عن شـعوبهم وأراضـيهم ومقدسـاتهم ، وشعورهم أكثر من ذى قبل بالخطر الصهيونى عليهم أجمعين •

ولقد رأيت صورهم فى الصحف التى صدرت غداة اليوم التالى لجلستهم الختامية ، التى اتخذوا فيها قراراتهم الخطيرة ، فوجـدت البشاشـة تعلو وجوههم ، والراحة النفسية واضحة على محياهم ، والحيوية تتدفق منهم ، وقد بدا شـيوخهم وكأنهم عادوا الى شـبابهم ، وبدا شـبابهم فى أروع صورهم ، خرج هؤلاء الملوك والرؤساء من مؤتمرهم ، وأيديهم متشـابكـة وسواعدهم متعاونة ، خرجوا وقلوبهم مشحونة بأعظم قوى العزم والتصميم ، على طرد العدو الصهيونى من بلادهم ، وقطـع أيديهم الطـويلة التى سرقت أراضيهم ، وعبثت بمقدساتهم ، واعتدت على حرماتهم ، ، وقتلت أبرياءهم ، وبقرت بطون الحوامل من نسائهم •

خرج هؤلاء الملوك والرؤساء من مؤتمرهم ، وقلوبهـم مفعمـة بقيمـة وحدتهم ، وألسنتهم لاهجة بشكر الله على ما من به عليهم من نعمة التعـاون واتحاد الغاية والوسيلة •

خرجوا من مؤتمرهم وقـد عرفوا تأثيرهم الفعال فى ميزان القوى الدولى ان هم اتحدوا وتعاونوا ، واستعملوا ما فى أيديهم من نعم الله لمصلحتهم ومصلحة السلام فى الأرض ؛ وترجموا تلك المعرفة فى قراراتهم التاريخيـة التى تدعم معركة رمضان وتسـاندها حتى تؤتى ثمارها بطرد عدوهم من

بلادهم ، ولا تقتصر آثار تلك القرارات على تلك الفوائد ، بل تزرع المودة الدائمة بينهم ، وتقتلع أسباب الخلاف من نفوسهم ، وتحول دون الطمع فيهم ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « انما يأكل الذئب من الغنم القاصية » •

تحية لكم أيها الملوك والرؤساء من أممكم ، فلقد عملتم بقول الله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وحققتم قوله صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » وقوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » •

تحية لكم حين قدرتم قيمة الوحدة الافريقية ، فقررتم مساعدة الأمم الافريقية على التخلص من آثار الاستعمار البغيض ، والحيلولة دون وقوعها في حبائله مرة أخرى ، ومعاونة من لا يزال منها تحت الاستعمار ، حتى تتخلص من اساره واذلاله وابتزازه •

تحية لكم حين خرجتم من مؤتمركم بهذه القرارات المجيدة ، التي استعدتم بها مجدكم ، وصفعتم بها وجوه أعدائكم ، الذين زعموا أن العرب متخاذلون متفرقون متخاصمون لا يجتمعون ، فازدادوا ضراوة في الاعتداء على أرضكم ، وتصميما على انتقاصها كلما لاحت لهم الفرصة ، حتى يدين لهم العرب جميعا ــ كما زعموا ــ والله من ورائهم محيط •

أيها الملوك والرؤساء العظام ••

انا لننتظر الخير الكثير من وحدتكم، وانكم سوف تجدونها معوانا على رفاهيتكم وسعادة شعوبكم ، وسوف يتبين لكم أن بقاءها أساس لبقائكم ، ودعامتكم لعزتكم واستقلال بلادكم ، وسوف ترون أنه لا مجال للخلاف على أمر يكون الخلاف فيه ضارا بمصلحتكم ، انكم أيها الملوك والرؤساء تنصرون الله بتعاونكم واتفاقكم ، والله يقول: « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وتعلمون أن الفرقة معوان لأعدائكم عليكم وذهاب لقوتكم « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » •

لقد آن الأوان لأن يطمئن كل ملك ورئيس جمهورية على نظام الحكم في بلاده ، فلا ينبغي أن تعترض دولة على نظام أخرى ، وأن تسعى في تقويض

نظامها أو الكيد لها ، فكلكم اخوة ، يظلكم دين واحد وكتاب واحد ، وتتكلمون بلغة واحدة ، فكونوا فى أنظمتكم كما شئتم ، على أن تلتقوا جميعا على دستور واحد هو الحب والصفاء ، والتعاون والمساندة ، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ما استطعتم ، وانكم ان شاء الله لفاعلون .

**عوامل النصر فى الجولة الأولى :**

عند ما انتهت معركة سنة ١٩٦٧ الى ما انتهت اليه من الهزيمة ، أحسسنا بأن سر ما أصابنا يرجع الى تفريطنا فى حق الله تعالى ، وسوء التخطيط ، وضعف التعاون بين شعب الجيش المختلفة ، وغدر الأعداء ، وخديعة من جعلوهم حراسا للمنطقة عنهم ، وعدم استيعاب الأسلحة التى بأيدينا فهما وتدريبا ، ( وتشويش ) أجهزة الخصوم على أجهزتنا ، مما أفقدنا الترابط بين قوانا المختلفة ، وغير ذلك من الأسباب ، وترتب على ذلك سقوط مساحات من الأرض العربية الغالية ، فى أيدى اليهود الآثمين فى ستة أيام ، كما تسقط أوراق الشجر بمداعبة يسيرة من هواء الخريف .

وقد تلا هذا الاحساس انبعاثنا نحو مرضاة الله تعالى بطريقة أفضل مما كنا عليه ، وان كنا لم نبلغ ما بلغه أسلافنا من الاستقامة على الجادة ، وقد تقبل الله منا هذا الرجوع ، وأكرمنا بحسن التخطيط ، وعظيم الاستعداد ، وقوة القلوب ، والاستهانة بالصعاب ، ومعجزة العبور ، وتحطيم الحصون ، وتدمير قوى العدو الأرضية والبحرية والجوية ، والقضاء على مزاعمه فى أنه لا يقهر ، وأنه سيسحقنا فى أول جولة من العبور ، ويجعل القناة قبرا لجيوشنا ، لقد جعلنا عدونا يستبدل بأغانى النصر القديمة ، أغانى الحزن والرثاء ، وحملناه على البكاء والنحيب ، وأصبناه بالشلل فى كل مرافقه ، وجاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، وصدق الله اذ يقول : « ان ينصركم الله فلا غالب لكم » .

ولقد كان النصر الذى أحرزناه فى اليوم الأول من هذه الجولة ، سببا فى تجمع العرب ووحدتهم ومساندتهم لنا فورا بكل امكانياتهم من المال والمقاتلين والصحف وغير ذلك ، حتى تمت هذه الجولة على أحسن حال ، وفوق ما يتصوره الخيال ومايحلم به الحالمون .

**آثار تلك الجولة فى اسرائيل :**

نشرت جريدة الأخبار بعددها الصادر يوم الاربعاء ٢٨ من نوفمبر ، أن مجلة ( لينوفل أوبزرفاتير ) الفرنسية ، نشرت مقالا للكاتب ( فيكتور سيجلمان ) الفرنسى تحت عنوان ( نهاية دولة اسرائيل الكبرى ) وجاء فى هذا المقال أن أغانى الانتصار التى كانت ترددها اذاعة اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ ، عن شرم الشيخ والقدس الذهبية حلت محلها اليوم فى حرب أكتوبر أغنية تلاحق الاسرائيليين ليل نهار ، من الاذاعة والتليفزيون وتقول كلمات الأغنية : باسم الجنود الذين احترقوا أحياء فى دباباتهم باسم الطيارين الذين هبطوا والنيران مشتعلة فى أجسادهم ـ ثم تعدد الفجائع التى حلت بهم وتقول : أعدك ياصغيرتى العزيزة أن هذه الحرب ستكون الأخيرة ، نعم الأخيرة •• الأخيرة •• الأخيرة •

ويعلق الكاتب الفرنسى على كلمات تلك الأغنية فيقول : كانت الأغانى سنة ١٩٦٧ تعبر عن فرحة الحياة ولذة النصر ، أما اليوم فقد خارت قوى الأبطال ، ولم يسبق فى تاريخ اسرائيل القصير أن شعر الاسرائيليون بمثل هذه الشدة والحدة فى التعطش الى السلام والهدوء وزوال التوتر •

ثم يقول : فالشاغل الرئيسى لرجل الشارع الاسرائيلى يتركز فى الانتهاء بسرعة ، واعادة الجنود المرابطين على الجبهة ، ووضع حد لقائمة القتلى والمفقودين والجرحى ، لكى يتسنى له أن يلتقط أنفاسه التى كادت أن تتوقف ••• الخ •

وتنقل الأخبار فى عددها المذكور عن مجلة ( الايكونومست ) البريطانية قولها فى ضمن تحقيق طويل لها : ان حرب أكتوبر تركت اسرائيل فى حالة ذهول من الصدمة ، بينما تركت مصر قريبة من الوحدة الوطنية الى آخر ما نقلته الأخبار عن المصادر الاسرائيلية وغيرها ، وهى تعطى للقارىء صورة واضحة للكارثة التى حلت باسرائيل بسبب حرب ٦ أكتوبر ، وهكذا عاقبة البغى والعدوان ، ونرجو أن يحكم العرب الغل حول عنق هذه الدولة التى خلقت للاضرار بهم ، حتى تزهق روحها وتلفظ أنفاسها غير مأسوف عليها •

**القيادة المؤمنة من اسس النصر :**

لا يمكن النجاح فى أمر صغر أم كبر الا باعداد العدة والتخطيط السليم لنجاحه ، وقد تسلم الرئيس محمد

أنور السادات السفينة وقد تحطم شراعها ودفتها ، ودب الوهن فى جنباتها ، فشمر عن ساعد الجد مستعينا بالله تعالى ، واختار معه أكفأ الرجال ليعاونوه فى اصلاح السفينة وتسييرها حتى تصل الى بر السلامة وكانت مهمته شاقة في الداخل والخارج ، كان كل شيء فى البلد بحاجة الى الاصلاح ، وكان لا بد من رفع الصخور التى تعوق سير السفينة نحو غايتها ، وتنقية الجو حتى تتضح الرؤية .

قام الرجل بهمة لا تعرف الكلال فأخرج المعوقين وأبعدهم عن مسار السفينة ، وأمن الخائفين وأنصف المظلومين ، ومنع العقاب بدون تحقيق يثبت الادانة ، وأجرى الأمر فى أمته على نمط من العدل والطمأنينة استردت به أنفاسها ، ووحد به كلمتها ، وكان فيما بين ذلك يسلح جيش مصر على أحدث الطرق فى صمت عجيب ، وكان القادة العظام الذين اختارهم لمعاونته من الطراز الأول عزما وفهما وحكمة ، وكم وجه الى الرئيس السادات كثير من وسائل الاكراه على الاستسلام من الخارج ، وأخرى من وسائل الاغراء والضغط من الداخل لكى يحارب العدو ، وينهى معه الحالة المتوسطة بين الحرب وعدم الحرب حتى تفرغ الأمة الى مصالحها الداخلية ، ولكنه صمد لكل الضغوط ، حتى يتم استعداده سياسيا وعسكريا ، ويتم الجنود تدريبهم واستيعابهم لكل الأسلحة الحديثة ، فياله من رجل شجاع عظيم ، انه وضع مع مستشاريه العسكريين الأمناء خطة الحرب مفصلة ، وحدد مع عدد قليل من القادة موعد البدء فى العملية ، حتى جاءت الساعة الموفقة المحدودة ، فأشعل الشرارة ، وبدأ الثأر وحقق جيش مصر أمل الأمة فيه ، متعاونا مع الجيش السورى الباسل ، الذى أثبت بدوره ذكاء الجندى العربى وبسالته واخلاصه وتفانيه فى خدمة وطنه ، مثلما أثبته الجيش المصرى بجنوده الذين بهروا العالم بمزاياهم العديمة النظير ، فهنيئا للرئيس السادات ومعاونيه ما حصلوا عليه من النصر العظيم الذى حققته جهودهم بعد فضل الله ، وهنيئا للرئيس الأسد ، ما أثبته جنود سوريا الشجعان المغاوير من صور البطولة التى عاونت على احراز النصر المشترك وهنيئا للعرب أجمعين ما حققه الجيشان من مجد

للعرب والعروبة ، وما أنباه للناس أجمعين من أن العرب أقوياء الشكيمة، وأن لحومهم ليست هضيمة ، وأنهم لا يقعدون عن الثأر ، ولا يقيمون على ضيم يراد بهم •

ونختم هذا المقال بشهادة لمواطن أمريكي بعث بها في رسالة الى الرئيس أنور السادات قال ( وليام شيكران ) الأمريكي في رسالته ما يأتي :

سيدى الرئيس المصرى أنور السادات ـ أرجو أن تأذن لى فى هذا التعبير •• لقد أثبت فعلا أنك رجل عظيم ، وتتمتع بدرجة عالية فى القيادة ، وقت أن كنت هادئا ضد كل ضغط ، وقد نجحت فى توحيد الشعوب العربية ، لمحاربة العدو اسرائيل ، التى تتحدى كل قانون للسلوك المتحضر ، وقد دعوت الرئيس نيكسون أن يعيد النظر فى موقفه من الشرق الأوسط ، وذلك من خطاب أرسلته اليه وهذا نصه (بعد الديباجة) ليس ثمة منطق لامداد اسرائيل بالأسلحة والذخيرة ، فى الوقت الذى تتحدى فيه العالم باحتلالها الأراضى العربية ، ان أمريكا تناصر نظاما عنصريا كالنازية التى حاربتها فى الحرب العالمية الثانية ، ثم تؤيد العدوان الاسرائيلى الذى تستنكره الأمم المتحدة وهذا ضد العدل ، ويؤدى الى حرب نووية •

ان السيطرة اليهودية على سياسة أمريكا تعتبر مأساة وعارا على الولايات المتحدة التى تقتل قنابلها الرجال والأطفال العرب ، والأجدر بالرئيس نيكسون أن يعمل من أجل هؤلاء ، بدلا من تزويد اسرائيل بالأسلحة المدمرة ، لماذا يدفع الساسة الأمريكيون المؤيدون لليهود ، أمريكا الى مواجهة روسيا فى حرب نووية ، والتضحية بأرواح ستين مليونا من الأمريكيين ، ولماذا تدع اسرائيل تدفعها الى هذه الكارثة •

ان الوقت لم يفت بعد لتجنب تأييد البربرية الاسرائيلية ، واذا لم تستجب لهذا التحذير ، فيجب أن نتوجه الى الله ليحفظ أمريكا من تدمير شامل ـ وشنطون ٨ من نوفمبر سنة ١٩٧٣

هذه شهادة أمريكى فاضل ، أنصف فيها الرئيس السادات كما أنصف فيها العرب ، ووصف فيها اسرائيل بالعدوان والبربرية ، وعاب على رئيسه نيكسون تسليحه لليهود ، وتعريض العالم بسببهم لحرب نووية ، فلعل الرئيس نيكسون يتذكر أو يخشى ؟

**مصطفى محمد الطير**

# ماهو العلم المطلوب

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن حميد بن عبد الرحمن قال : سمعت معاوية يخطب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين، وانما أنا قاسم والله يعطى ، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة وحتى يأتى أمر الله ، أخرجه البخارى ومسلم •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة • أخرجه الترمذى وزاد رزين ، وكل عالم غرثان الى علم • والكلمة من الحكمة ضالة كل حكيم فحيث وجدها فهو أحق بها •

الحكمة : كلمة وعظتك أو زجرتك ، أو دعتك الى مكرمة أو نهتك عن قبيح • والضالة : الضائعة من كل ما يقتنى ، وقد تطلق على الضائع من المعانى • كما جعل الله لأبداننا غذاء فسخر لنا ما فى السموات وما فى الأرض غذاء نقتات به وفاكهة نتفكه بها جعل لعقولنا غذاء تغتذى بادراكه وتفهمه واستخدامه فقد جعل لنا الكون كتابا نتصفحه ونستجلى أسراره وقوانينه وحكمه ، ودفعنا دفعا الى النظر فيما احتواه واستجنه ، وتلك ولا شك دعوة الى العلم والمعرفة اذ بدت غير ملحوظة فيما سبق الاسلام من شرائع فانها كانت فى الاسلام قوية عنيفة ، وليس بنا حاجة الى سرد ما فى القرآن الكريم والسنة النبوية من آيات وأحاديث فى الدعوة الى العلم وبيان فضله فى دنيا الانسان وأخراه ، وبيان فضل تعلمه وتعليمه وتفاضل العلماء به حتى جعل العالم حيا والجاهل ميتا كما جعل العلم نورا والجهل ظلاما •

والعلم الذى دعا الاسلام المسلمين اليه علمان ، علم يتعلق بمعادنا ، وهو علم شئون الآخرة وعلم العبادات وهذا هو علم الدين ، وعلم يتعلق بمعاشنا وشئون حياتنا وهو علم الدنيا ، ولما كان علم الآخرة أعنى علم العقائد والعبادات وما يتصل بهما هو العلم المنظم لصلة الانسان بربه فيما يختص بالايمان به وتوحيده وتنزيهه وما يجب له من صفات الكمال ، وفيما يختص بعبادته وكيف يعبد ويعظم قضت حكمة الله ورحمته بعباده أن يحصر ويحدد وينص عليه فى كتابه وسنة رسوله ، فبين كيفية الايمان وكيفية التعبد ولم يترك ذلك لعقل الانسان حتى لا ينزلق فى مهاوى الضلال من حيث يبغى الهداية والرشاد ، وقد كان الاسلام فيما شرع فى هذين الأمرين: أمر العبادة والعقيدة لينا رفيقا فلم يكلف فيهما بما يشق أو يعنت بل كان تكليفه فيهما بقدر الوسع والطاقة ولما كان كل مسلم مطالبا بالايمان بربه وبعبادته بالطريقة التى رضى أن يعبد بها ، وكانت تلك هى صلته بربه كان حتما عليه أن يتعلم العلوم التى تنظم هذه الصلة ، ومن هنا أجمع العلماء على أن تعلم تلك العلوم فرض عين على كل مسلم حتى تقوم صلته بالله على أساس صحيح يرضى الله عنه .

أما العلوم التى تتعلق بمعاش الناس وارتفاقاتهم مما يسمى علوم الدنيا ، فقد دعا اليها الاسلام أيضا دعوة قوية لما لها من الأثر فى حياة الناس وسعادتهم ولكن لم يحصرها بنصوص كما حصر العقائد والعبادات بل نبه الى أن الكون كله سماءه وأرضه وبره وبحره ونجومه وكواكبه مجال لهذه العلوم يسبح فيها عقله كيف يشاء ويستجلى منها ما يشاء مما يعينه فى حياته ويسعده فى عيشه حتى نهايته ، وقد أودع الله فى الكون من العلوم والقوانين ما يفوق العد ولا يقف عند حد ، ولم يحصر الله علوم الدنيا لأنه لا سبيل الى حصرها وفى كل يوم يتمخض الكشف عن جديد مفيد لم يكن فى خيال أن يكون ، ولأن ضلال العقل فيها لا خطر منه على عقيدة أو عبادة وربما كان أهم من ذلك أن الله أراد للعقل الانسانى أن يظل حرا طليقا باحثا منقبا حتى يعلم بما يصل اليه من غرائب الأسرار عظمة الخالق وضآلة المخلوق فيستجر ذلك الشاكين

والجاحدين الى حظيرة الايمان والتقوى •

ولما كانت هذه العلوم لا تتصل بتنظيم صلة العبد بربه بل تتعلق بشئون عيشه ، وارتفاقاته لم يجعل العلماء التكليف بتعلمها فرديا أى فرضا على كل مسلم بل جعلوه فرضا كفائيا أى فرضا جماعيا على المسلمين يكفى أن يقوم به جماعة منهم كعلوم الهندسة والزراعة والطب وغيرها ، ففى تعلم طائفة من المسلمين هذه العلوم ما يسد حاجة المسلمين اليها ، ولا يلزم كل فرد تعلمها ، ان الاسلام ندب الى تعلم العلوم بلا حدود لأثرها فى حياة الفرد والجماعة الا أنه قسمها من حيث أهميتها قسمين ، قسم فرض تعلمه على كل فرد وهو العلم الذى يتعلق بالايمان بالله وبعبادته ، وعلم لم يفرض بعلمه على كل فرد بل اكتفى أن يقوم بتعلمه جماعة من المسلمين كما ذكرنا • وأساس ذلك التقسيم أن سعادة الآخرة هى المهم الأعظم فى نظر الشرائع وينبغى أن تكون كذلك فى نظر العقلاء وما يوصل الى تلك الغاية هو الجدير بالاهتمام والتى تتصاغر دونه كل المطالب ، والآيات والأحاديث فى الدعوة الى الاسلام وان كانت عامة الا أن سياقها يوحى بأن العلوم الجديرة بأن تتجه اليها الأنظار هى علوم الدين ، ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم فى حديثنا هذا : من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، فقد جعل الخير فى الفقه فى الدين ، ففقه الدين أعنى تعلم الدين وفهمه فى نظر الاسلام وفى نظر الشرائع السماوية الصحيحة هو مفتاح الخير •

واذ تعرضنا لهذه القضية من الحديث وهى أولى قضاياه فعلينا أن نمضى الى بيان قضاياه جميعا • والذى يتأمل الحديث يلاحظ اختلاف قضاياه موضوعيا ان أمكن أن يتكلف ربط بعض قضاياه فلا يمكن ذلك فى سائرها ، والقضية الأولى قوله صلى الله عليهوسلم : من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، والقضية الثانية قوله : انما أنا قاسم والله يعطى ، وما أبعد هذه عن سابقتها ، فهذه فى الأموال وتوزيعها وتلك فى الفقه فى الدين ، الا أننا نستطيع أن نربطهما بما قبلهما بأن نقول : ان النبى صلى الله عليه وسلم يريد أن يقول – والله أعلم بما يريد – لمن يريد أن يتفقه فى الدين، ان وظيفتى أن أقسم العلم بينكم يعنى

أقوم بتعليمكم جميعا على سواء ، أما أن تتساوا فى الحفظ والادراك والفهم والضبط فليس ذلك الى وانما هو الى الله يعطى الفقه والفهم من أراد وانما أنا قاسم والله المعطى ، واذا صح فهمنا هذا ارتبطت القضيتان ، أما القضية الثالثة فى الحديث فقوله صلى الله عليه وسلم : ولن يزال أمر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة ، وانها لقضية ظاهرة الاشكال لتعارضها مع الواقع ، ان نحن فسرنا استقامة أمر الأمة بحسن أحوالها واستقرار شئونها وتعاونها وتماسكها وقوة بنائها وهيبتها فى نفوس أعدائها وانتصارها على الباغين عليها ، فالأمة الاسلامية الآن منذ زمن بعيد مختلة الأحوال مهتزة الأركان متنافرة متباغضة نهب للباغين والمستعمرين وهى فى جملتها منحرفة عن دينها متهاونة به ، متنكرة له ، فليست هذه القضية مسلمة على ظاهرها ، ولعل مما يدفع ظاهر التعارض فيها ويجعلها متفقة مع الواقع أن نفسر استقامة أمر الأمة باستقامتها على الاعتقاد الحق فى وجود الله ووحدانيته وتنزيهه والايمان برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولاشك أن المسلمين منذ وجد الاسلام وآمنوا به وبعث الرسول وصدقوه وأقروا برسالته استقاموا على هذه الطريق ولم ينحرفوا عنها وسيظلون كذلك حتى يأتى أمر الله وتقوم الساعة .

ويرتبط بالحديث الأول ما جاء بالحديث الثانى خاصا برغبة الاسلام فى العلم ودعوته المؤمن أن يتزود منه بدون حدود حتى يكون كالجوعان الذى يأكل ولا يشبع ويظل ذلك دأبه فى حياته ، وطالب العلم منهوم لا يشبع كما جاء فى الأثر ، وينبغى عليه ألا يدع فرصة لتحصيل المعرفة الا انتهزها ويجعل حقائق العلوم ضوالا له ينشدها ويبحث عنها حتى يعثر عليها ويحفظها ولا ينكره مصدر علم أياكان ولا يتعالى عليه وليأخذ العلم حيث وجده ولو من مخالف له فى رأى أو مذهب فالكلمة من الحكمة ضالة كل حكيم كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا وقضايا الحديث كلها أوامر وردت فى صور أخبار اهتماما بها واعتناء بشأنها كما تقتضيه بلاغة الكلام وكما قرر البلغاء ؟

أبو الوفا المراغى

# الأخلاق والدين

للدكتور ابراهيم على أبو الخشب

الجماعات المتمدينة ، أو الأفراد التى أخذت من الثقافات الغربية بنصيب ، لا تزال تحسن الظن بما وصلت اليه من المعرفة ، أو حصلت عليه من الثقافة ، أو درست له من علوم فى الطب والهندسة ، والزراعة والصناعة ، والفلك والنجوم ، أو ما سوى ذلك مما وصل اليه العقل البشرى الحديث من ألوان التقدم والعمران ، زاعمة أن هذا الوعى الذى أفادتهم اياه المعرفة والدراسة ضمان لهم من الانزلاق ،وحجاب من التخبط ، ووجاء من الأمراض التى تنحدر بهم نحو الزلل الذى يسوقهم الى الدمار والهلاك ، مع اعترافهم أن هذا السلوك الذى تطبعه فيهم تلك المعرفة ، أو تغرسه فى سجاياهم هذه الدراسة ، لم يكن على نسق واحد ، أو نهج دائم ، أو نمط غير متحول .. ولكنه يتشكل عند الناس بأشكاله المتباينة ، وألوانه المتعددة ، وضروبه المختلفة ، على حسب ما يتوهم هؤلاء وهؤلاء فى الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، والنور والظلمة ، والهداية والضلالة ،والسعادة والشقاء ، ولذلك فان الاطمئنان اليها كميزان ، والايمان بها كمعايير ثابتة لا يتخلف لها حكم ، ولا يختلف لها تقدير ، لتكون أداة تهذيب ، ووسيلة تقويم ، من قبيل الزعم الخاطىء ، والوهم الكاذب ، لأن أخلاق البشر مهما قوموها بالتربية وأصلحوها بالعلم ،وعالجوها بالزهد ، وأقاموا منآدها بالترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، لم تزل بحاجة الى ديدبان يحرسها من الانحراف ، ويصونها من الانزلاق ، ويكفها عن الشهوة ، ويردعها عن الطيش ، ويصدها عن الخضوع لعوامل الشر ، ونزوات الهوى ، التى تصنع حين تتحكم فى الضمائر معايير خاصة تحل محل الأخلاق عند ضعاف النفوس ، صغار الهمم ، مرضى القلوب ، فاذا

هم يخضعون لسلوك ، ويستجيبون لهواتف ،ويسلمون قيادتهم الى ميول، ربما أنكرتها الفطرة ، ونفرت منها الأذواق ، وتعرضوا بسببها للسخط ، على الرغم من رضاهم عنها ، أو ارتياحهم اليها ... وعلى هذا فنحن لا نرى رأى أولئك الذين ينكرون الحاجة الملحة الى الدين ، ولا يعترفون بالضرورة القصوى الى ارسال الرسل ، بحجة أن الأخلاق التى يتعارف عليها الناس ، ويذعن لقضاياها المثقفون ، ويؤمن بها طبقات المستنيرين من أفراد الأمة ، تسد وحدها ذلك الفراغ ، وتملأ ذلك الحيز ، وتحمى حوزة النفوس من أن ينال منها عامل من عوامل السوء والشر، والضرر والافساد ، والعدوان والكيد .. لأن تلك الأخلاق التى يبالغون فيها هذه المبالغة ، ويأخذون نفوسهم بها ، ويحملون طباعهم عليها ، لا تطرد فى الخير، ولا تتمحض للفضيلة ، ولا تجرى على نسق واحد من الاعتدال والاستقامة ، ولذلك قد نرى طائفة واحدة من البشر جمعتهم الثقافة ، وربطت ما بينهم المعرفة ، ولاءمت أهواءهم البيئة ، وتشابكت لديهم الآمال والمطامع التى يعملون لها ، ويكدحون فى سبيلها ، ومع هذا كله لا نكاد نجد اثنين منهما أو أكثر على محجة واحدة من الحكم على الاشياء ، والتقدير للأمور ، أو النظر بعين السخط والازدراء لرذيلة من الرذائل ، أو عيب من العيوب ، ولهذا كان كثير من الجرائم غير محكوم عليها بالحكم الاجماعى عند من يقارفونها ، ويرتكبون لها ، وكأن الفضيلة لا تكون فضيلة الا اذا مالت طباعهم اليها ، واستساغت نفوسهم لها ، وأن الرذيلة لا تكون رذيلة الا حين ينفرون منها ، ويكرهون مذاقها، فان انحرف مزاجهم ، أو انعكس تقديرهم ، كان الخير شرا ، والشر خيرا ، ولم يكن الميزان الا هم ، ولا الحكم الا منهم ، ولا التقدير الا عندهم ، وحين يصدر من ساحة قضائهم .. وهكذا كانت اللصوصية عبقرية ، والاحتيال ذكاء ، والاغتصاب رجولة ، والتدليس مهارة ، والتهور شجاعة ، والجبن حذرا ، والصراحة قحة ، والنصيحة تطاولا ، والحلم عجزا ،والتوانى بلادة ، والأدب سفها ، والاعتزاز بالنفس كبرا ، ولا ترى ميزة صريحة ، ولا فضلا باديا ، ولا سجية محمودة ، دون أن نجد من

هؤلاء جميعا من يذمها برأيه ، أو يلمزها بنقده ، أو ينكرها بطبعه ... والسبب كل السبب أن الاحتكام فى ذلك لم يكن لمصدر واحد لا يكذب ، ولا لميزان واحد لا يخدع ، ولا لحاكم واحد لا يتحيز ، ولا لقاض واحد لا يحيف ، ولا لعقل وحد لا يتغير ولا لحكمة واحدة لا تضطرب ، ولا لمصلحة واحدة لا تتبدل ، ولكنه يخضع للزمان والمكان ، والهوى والغرض ، والمفسدة والمصلحة ، ورجاء الخير أو الشر من الفعل أو الترك ... والناس مهما كان علمهم بالفضيلة والرذيلة ، وحكمهم على الخير والشر ، والضرر والنفع ، والداء والدواء ، فى عقلهم قصور ، وفى ادراكهم نقص ، وفى تقديرهم خطأ ، وفى بصرهم حول ، وفى قدرتهم عجز ، وفى ميزانهم انحراف ، وفى بصيرتهم انعكاس ، وفى تفكيرهم هوس ، ولهذا كان من الواجب ألا يوكلوا الى شهواتهم الساقطة ، وأهوائهم الحقيرة ، وميولهم المسفة ، وعقولهم الصغيرة ، وادراكهم البسيط ، وتفكيرهم المحدود ، وتقديرهم المتذبذب ، وأن تقوم عليهم وصاية رشيدة ، وحراسة أمينة ، وحياطة واعية ، وهداية حكيمة ، ولم يكن ذلك الا دستور السماء ، وقانون الحكيم الخبير ، وشريعة الديان جل جلاله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ...

وكان من خطأ الرأى ، وخطل العقل ، وسفه المنطق ، وهوس التفكير ، أن يقول قائل ان علم الأخلاق ـ وحده ـ يؤدى رسالة الدين ، ويغنى عن الشرائع المنزلة ، ويقوم مقام الرسل الذين بعث الله بهم مبشرين ومنذرين ، وبخاصة بعد أن عرفنا أن الناس لا يعصمهم عقل ، ولا يحول بينهم وبين المنكر وازع ، ولا ينأى بهم عن التردى فى مهاوى الرذيلة علم محيط ، ولا فقه شامل ، ولا ثقافة واسعة ، ولا عظة رادعة ، ولا عبرة مانعة ، ما لم يكن ذلك كله دينا مرعيا ، أو شريعة متبعة .. واذا كنا نقول هذا القول فى مقام الدعوة الى التمسك بالاسلام كدستور لا بديل عنه لاستقرار الأمن ، واستتباب العدل ، وتمكن راية الحق ، وانتشار مبدأ المساواة والاخاء بين الناس ، فاننا لا نقول به عصبية له ، ولا تنويها بشأنه ولا اغراء للناس ـ من هنا وهنالك ـ أن يحولوا وجوههم اليه ، ويعلقوا

مصيرهم به ، بعد أن دوى صوته ، وارتفعت رايته ، وصار حديث الملايين فى جامعات العالم كله ، ولكننا فقط نرد هذا الزيف الذى يزعمه هؤلاء الجهال الذين يرون أن الرسالات السماوية لا وظيفة لها فيما وراء صلة المرء بربه ، من التكاليف الواجبة ، والأوامر المتبعة ، أما صلته بالناس ، أو سلوكه مع غيره ، والتمييز بين الخير والشر ، والضياء والظلمة ، والكياسة والحمق ، وما يشبه ذلك وذلك مما يدخل فى أسباب السعادة والشقاء ، والنجاح والاخفاق ، والصحة والمرض ، والقوة والضعف، فمرده الى ما يكتسبه الانسان من العلوم والمعارف ، والتجارب والخبرة ، والآداب والسلوك ، والأخلاق والعادات ، والميول والأهواء ، وأن للأفراد أن يلونوا ذلك باللون الذى يتفق لهم ، والصورة التى تتوفر لديهم ، ولا خير ولا شر الا ما جرى به العرف ، ولا ضرر على المجتمعات من الاختلاف فى الاعتبارات المتنوعة للفضيلة والرذيلة ، وأن الوجودية وغيرها من المذاهب التى لا تحمى الأعراض ، ولا تغار على الحرمات ، ولا تعلن سخطها على الانحلال ، ولاتحارب الميوعة ، ولاتقاوم الفوضى، ولا تنكر الظلم والعدوان ، لا يضيرها أن تنكرها الشرائع ، أو لا تعترف بها الأديان ، أو تقف فى وجهها الكتب السماوية كلها ، ما دام أصحابها غير ساخطين عليها ، أو كافرين بها ، ولا يطلبون تلك التكاليف التى يرسف فى أغلالها الناس ...

ونحن نقول لأمثال هؤلاء الذين يتذرعون بهذا المنطق ان الشرائع لم تجيء بها الرسل ، أو ينزل بها الوحى ، الا لبناء الأمم ، وتماسك الشعوب، وسعادة البشرية ، واستقرار السلام بين الأفراد ، وسيادة العدالة فى الأرض ، والأخلاق التى ترسم معالمها ، وتدعو اليها ، هى تلك التى لا ينكرها طبع ، ولا يأباها ذوق ، ولا ينقضها عقل ، ولا يهدم فى بنائها معول ، ولا تعصف بكيانها ريح « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » ؟

د. ابراهيم على أبو الخشب

# الوجه الحضارى للإسلام

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

( ١ )

الاسلام دين حضارى بكل ما يدل عليه هذا التعبير من معنى .

فمبادئه تتمشى مع كل قيم الحضارة الانسانية الأصيلة ، دون أن تخالفها فى قليل ولا فى كثير .

وتاريخه صنع للانسانية تطورا وتاريخا حضاريا ليس له مثيل فى تاريخ الشعوب والجماعات .

وجماعات المسلمين تلتزم التزاما كاملا بكل قيم الاسلام الحضارية الكبرى التى لا مثيل لها فى أى مذهب أو عقيدة أو رسالة .

لقد كانت أوربا تخوف شعوبها من الاسلام فتصف لهم المسلمين بأنهم برابرة ، وحوش غزاة ، لا عمل لهم الا النهب ، والا سلب الأموال ، وقطع الطرق ، وتدمير كل عمران بشرى على وجه الأرض . ولكن شعوب أوربا أفاقت من الأوهام التى كبلت بها ، وعرفت حقيقة الاسلام ، ودوره القيادى الحضارى المشرق الخالد على مرور الأيام .

وهذا هو نابليون بونابرت يقول : « اعتدت أن أضع قرآن المسلمين فى غرفة نومى ، حتى فى أثناء المعارك ، وذلك لعدة أسباب :

السبب الأول : أننى بعد قراءة الترجمة الفرنسية الكاملة للقرآن وجدت أنه الدين الوحيد الذى يجمع بين الروحانيات والمعاملات والاقتصاديات وأسس الحكم .

السبب الثانى : أنه اعترف بما قبله من الأديان والرسل والأنبياء .

السبب الثالث : أن انتصاراتى فى ٤٠ معركة لم تكن هى مجدى

( نمرة ١ ) ، وانما مجدى ( نمرة ١ ) هو القانون المدنى ، قانون نابليون ، وأغلبه مأخوذ من كتاب للامام خليل من تلامذة الامام مالك » •

ويقول المستشرق المجرى عبد الكريم جرمانوس : ان على المسلمين ان يفخروا بحضارة أسلافهم ويستمدوا منها ومن مواهبهم وعيا يقودهم الى مستقبل جديد •

ويقول هانوتو : لما بعث الشرق من مرقده عاش فى الاسلام وانتصر بالاسلام ، واستظل بحضارته ، ولا يزال يحيا اليوم وغدا فى الاسلام •

— ٢ —

ان حضارة الاسلام صنعت للحرية وللثقافة والمعرفة الانسانية وللمساواة والاخاء والعدالة أضخم الصروح التى آوى الى ظلها كل انسان ، ونهل من أفكارها كل عقل ، وارتوى بينابيعها الثرة كل فكر •

حضارة تجمع بين المادة والروح ، والجسم والعقل ، والغنى والزهد ، والدين والدنيا ، والأمل والعمل •

حضارة تقرب بين الانسان والانسان ، والأمة والأمة ، والجماعة والجماعة ، وتفتح قلب الانسان ليسمع حداء السلام والحرية مدويا فى كل أفق ، مجلجلا فى كل بقعة •

كل قيم الحق والعدل والفضيلة والشرف والعزة والكرامة ، هى حارسة الحضارة الاسلامية ، والمهيمنة على سيرها وعلى توجيهها •

ومن أفكار الخير والرحمة والمحبة والتعاون والتكافل تنبع كل الأسس الحضارية فى الاسلام لصنع حضارة باذخة ساحقة شاهقة مرفوعة اللواء •

لقد كانت بغداد والبصرة والكوفة ودمشق والفسطاط والقيروان والمهدية منارات رفيعة فى وجه الزمن والانسانية ، وقد أثلت للحضارة أعظم الصروح ، وأرفع الدعائم •

ولقد رفع الاسلام العبيد الى منزلة السادة ، والمرأة الى مكانة الرجل ، والخادم الى درجة المخدوم ، والفقير الى رتبة الغنى ، وجميع الطبقات كلها فى رباط وثيق من الحب والأخوة الشاملة •

ولم يعد فى ظلال الاسلام مكان لنغمة الجنس واللون ، ولا تفاضل بين الأنساب والأمم ، وأصبح الجميع اخوة متحابين فى الله ، يجمعهم

الاسلام وأصوله وحضارته على شريعة واحدة من المساواة والاخاء • وصارت مجموعة الشعوب الاسلامية تكون دولة واحدة تضم أغلب سكان العالم ، وتقع فى أعظم المناطق غنى وخصبا وتقدما وحضارة • وتدين بأعظم دين سماوى عرفه الانسان •

وكل عمل فى الاسلام مقرون بالنية الصالحة ، وكل خطوة أو خطرة فالضمير رقيب عليها ، وكل حركة أو فعل فمراقبة الله فيهما هى الأساس الأول والأخير •

وأشرقت الأرض بنور الله ، وازدهرت العواصم بنور المعرفة ، وتقدمت معارف الانسان فى الطب والهندسة والفلك والرياضة وفى الميكانيكا والكيمياء وفى الصيدلة والزراعة والتجارة والصناعة ، وفى كل مرفق من مرافق الحياة الاسلامية الممتدة ، وأصبح المسلم رمزا للعلم والتقدم والرفاهية والأمانة وتحمل المسئولية وارضاء الضمير ، وطاعة الله عز وجل •

— ٣ —

ان الوجه الحضارى للاسلام لا يشبهه وجه آخر •

ولقد سارت مواكب الحضارة زاحفة الى غاياتها ومثلها وآمالها بكل ما تستطيع من قوة ومن طاقة متجددة خلاقة •

النور والأمل

الرفاهية والزهد

الترف والعمل

كل ذلك تقترن فيها النظرية بالتطبيق ، والمبدأ بالصورة ، والفكرة بالخطة ، مما حار فيه أفذاذ المفكرين فى الشرق والغرب •

أفكار الاسلام ومبادئه هى أفكار ومبادىء صنعتها السماء على نمط محكم من أحكام الفطرة والغريزة فى الانسان •

ليس فى الاسلام ولا منه : الكذب والغش والنهب والسلب ، واراقة الدماء واستبداد الأقوياء بالضعفاء ، واغتصاب أحد لمال أحد ، والعدوان

على العرض أو المال أو النفس ، الشورى عماد الأمة فى السير نحو غاياتها ، والتعاون والمحبة سدى المجتمعات الاسلامية ولحمتها ، لا يكمل ايمان مسلم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ولا يتجاوز المسلم دائرة الحلال بحال ، شعاره : كل ما يحبه الانسان لنفسه لابد أن يحبه لغيره ، ايثار لا أثرة ، وقناعة لا جشع ، وزهد لا استشراف لزهرة الحياة الدنيا وعرضها الزائل . معدن أصيل للحضارة فى الاسلام .

وجوهر ثمين تعود اليه حقيقة الحياة فى الأمة الاسلامية ذات الحضارة والمجد والتاريخ العريق .

— ٤ —

ان الوجه الحضارى فى الاسلام قد عاش أجيالا يقود العالم ، ويتزعم الدنيا وتأتم به الشعوب والأمم والجماعات الانسانية . ولابد من اكمال المسيرة نحو شاطىء هذا الكنز المختبىء فى جنة الأمل .

لقد شقى الانسان بما هو سائد الآن فى الغرب ، مما يسمونه حضارة ، وليس بحضارة على الحقيقة ، اذ لابد أن تتعادل فى الحضارة كفتا المادة والروح ، والعلم والأخلاق ، والأمل والعمل ، وكل ذلك مفقود فى حضارة الغرب التى تظل العالم اليوم ، مما يهدد بفنائها ودمارها وانحلالها وفى ذلك يقول بعض مفكرى الغرب : انه ليس بالبعيد أن يقف الانسان على ضفاف السين أو التايمز ليبكى فوق أطلال الحضارة الغربية المنهارة ، كما بكى الانسان من قبل على أطلال بابل ونينوى والمدائن وغيرها من عواصم الدنيا .

وكل ذلك ينذرنا بضرورة الأناة فى تقليد الغرب ، والتريث فى احتذائه فى حضارته ومدنيته ، والتمهل فى الاستجابة لفكرة ربط الشرق بعجلة الغرب فى كل شىء .

لابد من سيادة حضارة جديدة فى العالم غير حضارة اليوم ، غير حضارة العرى والرقص والنساء والخمر

والمخـدرات ، وغير حضـارة الكذب والغش والنفـاق والرياء والالحاد وغير الحضارة التى تدين بمبدأ القوة وحدها ، وتعطى كل الحقوق للأقوياء دون سواهم ، وتحرم الضعفاء من كل شيء ، بل تجعلهم نهبا مقسما لغيرهم من الشعوب القوية فى الأرض .

لابد من سـيادة حضـارة الروح والعقل من جديد ، حضارة الانسان والانسانية ، حضارة الدين والايمان ، حضارة الاسلام العظيم دين الله الخالد وشريعته الكاملة المثلى ، وصـدق الله العظيم : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحـق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » ؟ ....

**محمد عبد المنعم خفاجى**

# شهيد مرج الصفر

للأستاذ حسن قرون

في أصيل يوم من أيام الربيع أقبل خالد بن سعيد من الطائف حيث أملاك أبيه سعيد بن العاص بن أمية ، فنزل عن راحلته ودفعها لتابعه ، واستقبل الكعبة هشا بشا ، فطاف مع الطائفين ، ودعا مع الداعين ، فما أن فرغ من طوافه ودعائه حتى ناداه صديقه الحارث ابن هشام المخزومي : ياخالد ، من أين أقبلت ؟ قال خالد والسعادة تطل من عينيه : من الطائف ، قال الحارث: لقد افتقدناك واشتقنا اليك ، وأن أصحابنا اليوم على ميعاد ، فان شئت كنت معنا الليلة . لبى خالد دعوة صديقه ، وافترقا على هذا الميعاد .

دخل منزله ، وحيا والده ، وحدثه عن ماله في ( الظريبة ) وأطرفه بأخبار التجار ، وبيع الثمار ، وهم أبوه بالخروج الى أندية قريش فخفق قلبه لرؤية أصدقائه ، وفكر في صديقه الحارث وموعده ، فما ان زايل أبوه الدار حتى كان هو ينطلق في طرق مكة يسعى حثيثا نحو ( أجياد ) حيث منازل بني مخزوم وبالقرب منها صفوة السمار في حالة يعرفها ، وكان له فيها مزار هنالك ضم الصحاب من شباب قريش مجلس أعد له ما لذ وطاب من الطعام والشراب - كما يقولون - وبعد أن تحدثوا وتبادلوا الود صافيا غنت قينة بأبيات لعبد الله ابن الزبعرى السهمي يمدح بها أبناء المغيرة لبلائهم في حرب الفجار :

ألا لله قوم و
لدت أخت بني سهم
هشام وأبو عبد
مناف مدره الخصم
وذو الرمحين أشباك
من القوة والحزم
فهذان يذودان
وذا من كثب يرمي

فانتعش الحارث حين سمع مدح أبيه هشام بن المغيرة وعميه أبي عبد مناف الخطيب ، وذي الرمحين أبي ربيعة . قال خالد : ليس هؤلاء فحسب هم الذين ناضلوا قيس عيلان

فأبى سعيد ، وحرب بن أمية ، وعبد الله بن جدعان صلوا نارها ، ودافعوا عن الذمار . قال فتى من بنى تيم كان رئيس قريش عبد الله ابن جدعان ، وتلاحوا وأكثروا من ذكر المفاخر والمآثر فقال خالد مهما قلتم وأعدتم فنحن - بنى عبد مناف - أصحاب الراية ، ولنا السيادة والرفادة وسقى الحجيج . ألم تسمعوا قول أبى طالب :

اذا افتخرت يوما قريش بمفخر
فعبد مناف أصلها وصميمها

وفى تلك اللحظة بغتهم عمرو ابن هشام قائلا : فيم تتحدثون ؟ قال الحارث : يا أخى كنا نتحدث فى مآثر قريش . قال أبو جهل - وهذه كنيته فيما بعد - مآثر قريش : ان قريشا مقبلة على أحداث جسام . قال الفتية فى دهشة : أحرب أخرى مع قيس عيلان ؟ قال أبو جهل : ليت الأمر كذلك . لا حرب بيننا وبين قيس عيلان ؟ تم الصلح منذ زمن بعيد ولا داعى للقتال . قالوا : فماذا حدث اذن ؟ صمت هنيهة ثم قال : ان محمد ابن عبد الله يزعم أنه يوحى اليه من السماء ، وأنه رسول الله . ولما لم يسمع كلاما ولم يجد لقوله صدى صاح : والله لأحاربن تلك الدعوة ما حييت ، ولن أقبل أن يسود بنو عبد مناف بنى مخزوم ، أبعد أن تساوينا نحن وهم فصرنا كركبتى البعير تقومان معا وتقعدان معا يقولون منا نبى ؟ وانفض المجلس على أثر تلك الصيحة ، ونسوا أن يقول كل لصديقه : عم مساء .

غادر خالد بن سعيد مجلس الأنس حيران أسفا ، وأخذ يفكر فيما قاله أبو جهل ، ماذا يحدث لو أن محمدا ادعى أنه يوحى اليه من السماء ؟ ولم يتحدى هذا الرجل بنى عبد مناف وتواردت على رأسه المثقل أفكار شتى ، وخواطر لا تعد ولا تحصى ، منها ما يرجع الى عهد نأى ، ومنها ما يرجع الى يومه هذا ، جرى فى ذهنه حفر زمزم وعبد المطلب ، وعبد الله والفداء وحادث الفيل ، وحرب الفجار وموقف أبيه منها والأشعار التى قيلت فيها ، وبرزت بين الصور المتلاحقة بناء الكعبة وحزم محمد الأمين فى حسم النزاع ، واستغرق فى أفكاره فجاوز ديار بنى عبد مناف ، وماردة الى اليقظة والانتباه الا البيت الحرام

والكعبة بأصنامها العتيدة (١) ، فضحك من نفسه ، ورجع الى داره . وولج غرفته ولم يحس به أحد ، وأوى الى فراشه ولم يفكر في تحية أمه أو أبيه أو اخوته . وألقى بنفسه على سريره وهجمت عليه الوساوس والهواجس أشد مما كانت حين سار في طريقه ولم ينم حتى حطم أعصابه واحدا بعد واحد ، وحين أخذه الكرى بين أحضانه كان لا يزال في حوار لا يفتر ، وجدال لا يهون . أكان هانئا في نومه ؟ أبعدت عنه أفكاره بعد تحطيم أعصابه ، أأعادت له أحلامه ما رأى وسمع من رقص وغناء ؟ لم يكن من ذلك شيء رآه ، ولكنه « رأى أنه واقف على شفير النار ، ورأى من سعتها ما الله به أعلم ، ويرى – في النوم – كأن أباه يدفعه فيها ، ويرى رسول الله آخذا بحقويه لئلا يقع » ففزع من نومه ، وجلس على فراشه ، ودارت خواطره كما تدور الرحى صاخبة طاحنة لا يعرف الهدوء اليها سبيلا . هنالك هتف « أحلف بالله ان هذه لرؤيا حق » وانتظر الصباح بفارغ الصبر ، وعلى أحر من الجمر .

كانت مكة حين ألقت عليها الشمس أشعتها الذهبية كسلحفاة تهم بالسير بين جدارين ، فطالعها خالد فرحا بها علها تخلصه من أشجانه وهمومه ، وقام من مكانه يجر رجليه جرا ، ويجر معه رؤياه ، ويود أن يرتاح من تلك المعاناة ، ها هي ذي مكة قد قامت من رقادها فليسر في أرجائها ، والفرج قريب ، والأمل لا يفارق الأحياء ، التقى بأبي بكر بن قحافة على مدى خطوتين من داره وكأن الله ساقه اليه ، لينقذه مما هو فيه ، تبادل معه التحية ، وذكر له رؤياه – وكان أبو بكر قد أسلم وبشر صحبه بالنور الجديد – فقال أبو بكر « أريد بك خير ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه ، فانك ستتبعه ، وتدخل معه في الاسلام الذي يحجزك أن تقع في النار ، وأبوك واقع فيها » . وانكشفت له الدنيا بوجه ضاحك مريح ، وانفلت من وجه أبي بكر ، ونسي أن يشكره أو يحييه ، وانطلق يبحث عن محمد رسول الله في طرقات مكة وفي شعابها لا يسأل أحدا ، ولا يخاطب رجلا أو امرأة انما هو منطلق كالسهم ، لا يلوي على

---

(١) الحاضرة .

شيء ولا يفكر الا في لقاء محمد • وراه ، وأين رآه ؟ صدفة عجيبة ، لقد التقى به في ( أجياد ) حيث قضى ليلة بدأت بالغناء ، وانتهت بالعناء • ولم يتمهل فنادى وسأل : « يا محمد الام تدعو ؟ قال : أدعو الى الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ، ولا يرى من عبده ممن لم يعبده ، قال خالد : فانى أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أنك رسول الله » فسر رسول الله باسلامه وصار خامس أصحابه (١) •

ماذا يصنع خالد مع أبيه ؟ انه لا يخاف أحدا غيره ، فهو يعلم أنه رجل فظ غليظ القلب لم تهذبه السنون ، ولم يضعضعه قدم الميلاد ، تقر له قريش بالسيادة بعد موت أقرانه ، فكان اذا اعتم لم يعتم قرشى لمكانه وسلطانه ، فليس غريبا منه أن يعتدى عليه بكل تغطرسه ، ليفتنه عن دينه ، ويؤذيه في بدنه ، واختفى من وجه أبيه وطال اختفاؤه وتطورت الدعوة الاسلامية أثناء ذلك من السر الى الجهر ، فأعلن رسول الله دعوته على ملأ قريش ، وقرأ أصحابه القرآن تحت سمع قريش وبصرها ، وكان خالد لا يفارق رسول الله مصبحا أو ممسيا ، مجتمعا بأصحابه أو منفردا ، وعلم أبوه باسلامه فركب رأسه ، وزمجر زمجرة الأسد الذى هيج فى عرينه ، فأرسل فى طلبه أولاده ومولاه رافعا ، ولم يعييهم البحث عنه ولم يعجزهم القبض عليه ، واحضاره الى أبيه • وقبل أن يسأله صاح فى وجهه مؤنبا مبكتا ثم ضربه بعصا حتى كسرها على رأسه ثم قال : أتبعت محمدا وأنت ترى خلافه قومه ، وما جاء به من عيب آلهتهم ، وعيب من مضى من آبائهم ؟ فقال خالد فى روعة ايمان وقوة عقيدة : قد صدق والله واتبعته• فاحتد أبو أحيحة قائلا والله لأمنعنك القوت • فقال خالد : ان منعتنى فان الله يرزقنى ، ونظر الى بنيه زاجرا لهم : لا يكلمه أحد منكم الا صنعت به ما رأى ، ثم أمر بحبسه ،وضيق عليه وأجاعه وأعطشه حتى لقد مكث فى حر مكة ثلاثا (٢) ما يذوق ماء •• ولاحت لخالد فرصة فاهتبلها ، غافل حارسه وهرب واختفى

---

(١) رواية ابنته أم خالد •

(٢) الطبقات الكبرى .

مرة أخرى منتظرا سعة بعد ضيق ، وأفلح فى تلك المرة فلم يستطيعوا له كيدا ، ومع ذلك كان قريبا من آيات الله البينات وفى لقاء بعد لقاء مع هدى البشرية الى الصراط المستقيم • وبلغ خالدا أن أباه مرض فقال : لئن رفعنى الله من مرضى هذا لا يعبد اله ابن أبى كبشة(١) ببطن مكة • فقال خالد عند ذلك : « اللهم لا ترفعه » ورأى خالد أن يترك مكة لأبيه وللطغاة الذين يحادون الله ورسوله ، فهاجر الى الحبشة مع من خرج للهجرة الثانية اليها ، فغاظت هجرته أباه وعمته • فقال : لأعتزلن فى مالى لا أسمع شتم آبائى ، ولا عيب آلهتى ، هو أحب الى من هؤلاء الصباة ، فاعتزل فى ماله ( بالظريبة ) نحو الطائف •

موقفان متضادان : أب يرحل من مكة نفارا من سماع القرآن ، وابن يهاجر من مكة خوفا على دينه من الفتنة والطغيان ، لقد وجد خالد فى هجرته مأمنه ، فعبد الله حرا طليقا بعيدا عن سيد قريش وعصاه العاصية ، وعاش مع اخوته المسلمين المهاجرين معه زوجته وابنته التى ولدت فى الحبشة حين وفد عليها ، وعاش كسائر المهاجرين فى شوق الى منزل الوحى ، وتأخر عن الرحيل الى مكة ، وتأخر عن الهجرة الى المدينة ، رجع كثر منهم الى رسول الله ثم هاجروا الى المدينة ، لكنه هو ونفرا منهم جعفر بن أبى طالب وعمرو أخوه مكثوا طويلا زهاء أربعة عشر عاما الى السنة السابعة من الهجرة ، والاسلام قد انتشر وقد انتصر وسمعوا هم بغزوة بدر وأحد والخندق وغيرها وما زالوا فى انتظار أوامر صاحب الرسالة العظمى • فى هذا العام أرسل رسول الله عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى ليخطب له أم حبيبة بنت أبى سفيان ثم الرجوع بأصحابه من الحبشة • ماذا جرى فى هذا الشأن ؟ أرسل النجاشى جاريته الى أم حبيبة ، فقالت لها : ان الملك يقول لك : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى أن أزوجكه • فقالت : بشرك الله بخير ، وخلعت عليها حليها ، قالت يقول لك : وكلى من يزوجك ، فوكلت خالد بن سعيد لأنه ابن عمها ، فلما كان العشى أمر النجاشى جعفر ابن أبى طالب ومن هناك من المسلمين

(١) لقب زوج حليمة مرضعة الرسول .

فحضروا فخطب النجاشى ، فقال بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله . أما بعد ، فان رسول الله كتب الى أن أزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان ، فأجبت الى ما دعا اليه ، وقد أصدقتها أربعمائة دينار ، ثم سكب الدنانير بين يدى القوم ، فتكلم خالد بن سعيد ، فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال أما بعد ، فقد أجبت الى ما دعا رسول الله وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان ، فبارك الله رسول الله وتسلم المهر بعد كلمته . وأولم الملك لهم وليمة فاخرة فأكلوا ثم انصرفوا ، وكانت تلك الوليمة ابتهاجا بالزواج والهجرة الى المدينة ، وحملوا على سفينتين، فقدموا على النبى صلوات الله عليه وهو بخيبر ، فسر بهم سرورا تبين فى وجهه وقوله . فقال خالد – وكانت معه ابنته – : « يا رسول الله لم نشهد معك بدرا . فقال : أو ما ترضى ياخالد أن يكون للناس هجرة ولكم هجرتان اثنتان ؟ قال : بلى يارسول الله . ثم ان خالدا قال لابنته أم خالد : اذهبى الى عمك ، اذهبى الى رسول الله فسلمى عليه ، فذهبت البنية حتى أتته من خلفه فأكبت عليه ، وعليها قميص أصفر ، فأشارت اليه متحدثة بالحبشية عن حسنه . فقال لها الرسول : أبلى وأخلقى ثم أبلى وأخلقى . وانضم خالد الى صفوف المجاهدين الأبطال ، ولم يفارق الرسول فى مشهد من مشاهد القتال يريد أن يعوض ما فاته من شرف الجهاد ، كان معه فى صلح الحديبية وفى فتح مكة وفى غزوة حنين ،وخرج معه الى تبوك ، وكان يكتب له ، وهو الذى كتب كتاب أهل الطائف لوفد ثقيف ، وهو الذى مشى بالصلح بينهم وبين رسول الله .

وفى السنة العاشرة للهجرة استعمله رسول الله على صدقات اليمن ، وبقى هناك حتى جاءه نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع معلنا أنه لايعمل لغير رسول الله .

لقد هزته وفاة رسول الله هزا عنيفا ، وأحزنته حزنا عميقا كادت تصرفه عن هدفه العظيم ، فلم ير لأبى بكر ما يجب أن يراه له لسابقته وأثره فى خدمة الدعوة الاسلامية ، ورآه معتديا على بنى عبد مناف، فذهب الى على وعثمان ، فقال لهما : أرضيتم - بنى عبد مناف - أن يلى هذا الأمر عليكم غيركم ؟(١) فنقلها عمر الى أبى بكر ، فلم يحملها أبو بكر وحملها عمر • وذهب الى بنى هاشم فقال لهم : يابنى هاشم أنتم طوال الشجر وطيبو الثمر فلا يكون الأمر الا لكم • وأقام ثلاثة أشهر ممتنعا عن بيعة أبى بكر •

وذات يوم مر عليه أبو بكر ظهرا وهو فى داره فسلم عليه فقال خالد : أتحب أن أبايعك ؟ فقال أبو بكر : أحب أن تدخل فى صلح ما دخل فيه المسلمون • قال : موعدك العشية أبايعك ، ونفذ المبايعة ، قالت ابنته أم خالد : وكان رأى أبى بكر فيه حسنا ، وكان له معظما ، فلما بعث أبو بكر رضى الله عنه الجنود الى الشام عقد له على المسلمين ، وجاء باللواء الى بيته ، فغضب عمر ، ولم يرضه أن يولى خالدا وهو القائل ما قال ، فلم يزل به يكلمه ويشير عليه حتى رجع عن رأيه ، فعزل خالدا ، وأرسل اليه أبا أروى الدوسى • فقال : يا خالد ، ان خليفة رسول الله يقول لك : اردد الينا لواءنا ، فأخرجه فدفعه اليه وقال : ما سرتنا ولايتكم ، ولا ساءنا عزلكم • وحل محله يزيد بن أبى سفيان ، لكن أبا بكر الرقيق القلب المرهف الحس ذهب اليه معتذرا ، وعزم عليه ألا يذكر عمر بحرف ، قالت ابنته أم خالد : والله ما زال أبى يترحم على عمر حتى مات ، كانت هذه سحابة صيف ، ثم عزم على الجهاد فى سبيل الله ، فسيان عنده أن يكون جنديا أو قائدا ، ومتى كان القائد أكثر ثوابا من الجندى ؟ فعلى قدر البذل والفداء يكون حسن الجزاء ، ان خالدا واتته فرصته ليشترك فى بناء الدولة التى

---

(١) الطبقات الكبرى •

شــهد مولدها ، فلينضم الى الجيش الذى حمل لواءه « ان الله اشترى من المؤمنين أنفســهم وأموالهــم بأن لهم الجنة » وقد وجب البيــع ، وخــرج مجاهدا يطمع فى الشــهادة ، فوافاه كتــاب أبى بكر يخيره بين أميرى الجند الراحف الى الشــام : يزيد ابن أبى سفيان الأموى أو شرحبيل ابن حسنة الكندى ، فكان جوابه نبيلا حازما يرضى المثل العليــا ، والقــدوة الحســنة • قــال : ابن عمى ــ يعنى يزيــد ــ أحب الى فى قرابتــــه ، وشرحبيــل أحب الى فى دينى ، انه أخى على عهد رسول الله ، وناصرى على ابن عمى ، فلأكن مع شرحبيــل ابن حسنة •

وفى الشام تحت راية الاسلام التقى بمن يحبهم منهم عكرمة بن أبى جهل، وشــهد خالد فتح اجنادين وفحــل ومرج الصفر وكانت أم حــكيم بنت الحارث بن هشــام زوج ابن عمهــا عــكرمة الذى اســتشهد مع أخــوين لخالد بن سعيد يوم النصر فى موقعة اليرموك سنة ١٣ هـ فبقيت فى جنــد المســلمين تحــارب الروم ، وتروع الشجعان ، ولمــا انقضت عدتهــا راح يزيد بن أبى ســـفيان يخطبها وكان خالد بن سعيد يرسل اليها فى عدتهــا يتعرض للخطبة ، فاختارته لمــا رأت فيه من قوة الايمان ، وحب الجهاد ، فتزوجها على أربعمــائة دينار اتبــاعا لسنة النجاشى فى مهر أم حبيبة ، فلما نزل المســلمون مرج الصــفر بين الواقوصة ودمشق أراد خالد البنــاء عليها ، فجعلت أم حــكيم تقــول : لو أخرت الدخول حتى يفض الله هــذه الجمــوع ، وكان خالد يجيبهــا الى طلبها • وبينما هو بين اليقظة والمنــام رأى الجنة ورأى كثيرا من الشــهداء ابنــه ســعيدا وأخــويه عمــرا وأبانا وعكرمة ، وتراءى له رفيقــه جعفــر ابن أبى طالب يطير بجناحين فيها يومىء اليه ، وكأنه يقول له اتبعنى • فلمــا اســتيقظ ذهب الى أم حــكيم وأسر اليها : ان نفسى تحدثنى أنى شــهيد هذه الموقعة ، فوافقتــه ، وتم الزفاف عنــد القنطــرة التى سميت باسمها • وأولم خالد وليمة شائقة لائقة بالحسناء المجاهدة ، ودعا أصحابه على طعــام ، فمــا فرغوا منــه حتى هجمت الروم هجوما كبيرا فى صفوف خلف صفوف ألوف وألوف ، ودوى فى الفضــاء : الله أكبر فاندفع خــالد فى مقــدمة الأبطال مبارزا ومهاجما بين أبطــال

لا يبالون أسقطوا على الموت أم سقط الموت عليهـــم ، وحمى الوطيس ، فنظرت أم حكيم فرأت زوجهـا بين كوكبة من الأعداء تنوشه السيوف من كل جانب ، ورأته يخر صريعـا على ( مرج الصفر ) حينئذ شـدت عليهـا ثيابهـا ، وعـدت موتورة كالسـيل الكاسح ، تقتل وتجندل، يفوح المسك من أردانها ، خلعت العروس عمـود الخيمـة التى بات فيهـا خالد ، فقتلت سبعة من جنـود الأعداء .. وانتصر المسلمون ، وألقت أم حكيم نظرة على البطل الشهيد ـ شـهيد مرج الصفر سنة ١٤ هـ وترحمت عليه وتلت : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتابل أحياء عندربهم يرزقون».

رحم الله خالد بن سعيد ، لقد كان من المجاهدين الصادقين ؟

**السيد حسن قرون**

---

# الشفعة

للدكتور ابراهيم دسوقي الشهاوي

## المبحث الأول في تعريف الشفعة لغة وشرعا

الشفعة لغة : الضم والزيادة .

وشرعا : اختلفت عبارات الفقهاء في بيان حقيقتها تبعا لاختلافهم في بعض الأحكام المتعلقة بها عندهم .

فعرفها الحنفية : بأنها « حق التملك في العقار لدفع ضرر الجوار » .

وعرفها المالكية : بأنها « استحقاق شريك أخذ ما عاوض به شريكه من عقار بثمنه أو قيمته بصفته » .

وعرفها الشافعية : بأنها « حق تملك قهري يثبت للشريك القديم على الشريك الحادث فيما ملك بعوض » .

وعرفها الحنابلة : بأنها « استحقاق الشريك انتزاع حصة شريكه المنتقلة عنه من يد من انتقلت اليه » .

وجملة هذه التعاريف تفيد أن الشفعة حق للشريك أو الجار ، به يتملك العقار ممن انتقل اليه بمعاوضة قهرا عنه ، اذا دفع الشريك أو الجار الثمن أو قيمته ، فاذا كان لشخص حصة شائعة في عقار فهو شريك في نفس العقار ، واذا كان العقار جميعه له ولكنه يشترك مع آخرين في الشرب الخاص ، أو الطريق الخاص ، أو المسيل الخاص فهو شريك مع هؤلاء في مرافق العقار ، لأنه وان لم تكن هناك شركة في العقار فهناك شركة في حقوق الارتفاق المترتبة لعقاره ، وان لم تكن هناك شركة في المرافق بينه وبين أحد المجاورين له ولا اتصال سوى ملاصقة عقاره بعقار الجار فهو جار لهم وهم جيران له بالملاصقة ، فاذا باع الشريك أو الجار عقاره لغير شريكه أو جاره كان من حق الشريك أو الجار أن يتملك ما بيع جبرا عن المشتري بما قام عليه من الثمن أو القيمة ، فاذا فعل ذلك سمي شفيعا

وسمى المبيع مشـــفوعا فيـه وسمى المشـــترى من الشريك أو الجـــار مشفوعا عليه وسمى ما يدفعه الشريك أو الجـار مشفوعا به والارتبـاط بين هؤلاء هو الشفعة .

هذا والناظر فى تعاريف الشفعـــة الأربعة يتبين له أن الاختلاف بينهـــا واضـــح فى ثبوت الشـــفعة للجار والشريك فى تعريف الحنفية فانـه عبر عن الشـــفيع بقوله « لدفع ضرر الجوار » فأفاد بذلك ثبوت الشفعـــة للجـار بمنطوقه وللشريك بمفهومـه الموافق ،لأن اتصال الشريك أقوى من اتصال الجار، فاذا ثبتت الشفعة للجار فتثبت للشريك من بـاب أولى ، أمـا تعـا، بـى المذاهب الأخرى فقصرت الشفعة على الشريك لعدم وجود دليل صـــحيح عندهم يفيد ثبوت الشفعة للجار .

## المبحث الثانى فى حكم الشفعة وحكمة مشروعيته

اختلف الفقهاء فى حكم الشفعـة من السلف والخلف .

على قولين :

الأول : الاباحة بمعنى أنهـــا حق اختيارى للشـــفيع له أن يطـالب به ، ذهب الى ذلك جمهـــور الفقـــهاء

الثـانى : عدم الاباحة بمعنى أنهـا ليست حقا للشـــفيع يطالب به ، ذهب الى ذلك جابر بن زيد من التـابعين ، وأبو بكر الأصم (١) .

### الأدلة

استدل جمهور الفقهاء على الاباحة بالسنة والاجماع .

أما السنة :

فأولا : ماروواه البخارى وأحمـد من حديث جابر ـ رضى الله عنـه ـ « أن النبى صلى الله عليه وسلم ـ قضى بالشـــفعة فى كل ما لم يقسم ، فاذا وقعت الحـــــدود وصرفت الطرق فلا شفعة (٢) .

---

(١) المغنى والشرح الكبير للحنابلة ج ٥ ص ٥٤٩ والشوكانى ج ٥ ص ٢٨١ وفتح العزيز ج ١١ ص ٣٦٢ ، وشرح النووى على مسلم ج ١١ ص ٤٥ .

(٢) الشوكانى ج ٥ ص ٢٨٠ ، وصحيح مسلم ج ١ ص ٤٥ .

وثانيا : ما رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث جابر « أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالشفعة في كل شركة لم تقسم ، ربعة أوحائط لايحل له أن يبيع حتى يؤذن شريكه، فان شاء أخذه وان شاء ترك ، فان باعه ولم يؤذنه فهو أحق به » .

وثالثا : ما رواه أحمد من حديث عبادة بن الصامت « أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قضى بالشفعة بين الشركاء في الأرض والدور » (١) .

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث : أن الشفعة لو لم تكن مباحة وحقا لطالبها ما صح للنبي - صلى الله عليه وسلم - أن يقضي بها ، فقضاء النبي - صلى الله عليه وسلم - دليل على اباحتها وأنها حق للشفيع يحكم له بها اذا طلبها .

وأما الاجماع : فقال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على ثبوت الشفعة للشريك الذي لم يقاسم فيما بيع من دار ، أو حائط ، « بستان » وفي المغني لأبي محمد عبد الله بن أحمد الحنبلي « المتوفى سنة ٣٦٠ هـ » أنه لا يعلم خلافا في ثبوتها لأحد الا لأبي بكر الأصم ، ومثل ذلك في نيل الأوطار للشوكاني ، وأبو بكر الأصم هو محمد بن الحسن الأصم المتوفى سنة ٣٢٠هجرية كما في الجزء الثاني من تاريخ بغداد ص١٩٣ ، وابن المنذر الذي حكى الاجماع . هو ابراهيم بن المنذر بن عبد الله أحد كبار العلماء المحدثين عن مالك ، وابن عيينة ، وقد توفي سنة ٢٣٦ هـ ، فعلى هذا يكون أبو بكر الأصم قد خالف الاجماع ، لأنه وجد بعده ولاعبرة بقول من خالف الاجماع ، ولعل حكاية الاجماع لم يعلم بها أبو بكر الأصم .

واستدل أصحاب القول الثاني على عدم اباحة الشفعة ، بالكتاب والسنة :

أما الكتاب : فقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » (١) .

ووجه الدلالة من هذه الاية : أن قوله تعالى : « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » نهى عن أخذ أموال الناس بالباطل كالسرقة ، والغصب ، والخيانة ، والربا والقمار ، وغير ذلك من الطرق التي لم يبحها الشارع

(١) الشوكاني جـ ٥ ص ٣٨٣

(١) النساء : ٢٩

الحكيم ، ثم استثنى التجارة عن تراض بقوله تعالى « الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » وهو استثناء منقطع رفع به توهم أن تدخل التجارة عن تراض فيما هو باطل ، فلو كانت الشفعة التى لا تراضى فيها مشروعة ، لكانت أحق بالاستثناء لأنها يتوهم دخولها أكثر لعدم التراضى فيها ، فعدم استثنائها دليل على عدم مشروعيتها .

ودفع هذا الدليل : بأن الشفعة لم يتوهم فيها باطل ، لأن الأخذ فيها بمثل الثمن أو القيمة بخلاف التجارة فان الانسان قد يشترى بعشرة ويبيع بمائة فيتوهم أن هـــذا داخل فى الباطل ، فاستثناه عز وجل ، رفقـــا بعبـــاده ولطفا بهم .

وأما السنة : فقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل مال امرىء مسلم الا بطيب من نفسه » . ووجه الدلالة من هذا الحديث أن قوله : «لا يحل» نهى عن أخذ كل مال من صاحبه بغير طيب من نفسه ، ومن ذلك الحصـــة التى يبيعهـــا الشريك أو الجار لأجنبى ، فلا يحل بشريكه أو جاره أن يأخذها من الأجنبى بغير رضاه ، فالحديث نص فى النهى عن الشفعة والمنهى عنه لا يكون مشروعا .

ورد هذا الاستدلال : بأن المنهى عنه هو أخذ المال الذى حصل عليه صاحبه باستعمال حقه الذى رسمه له الشارع ، كالبيع والهبة والاجارة ونحوها ، أما المال الذى حصل عليه باساءة استعمال حقه والحاق الضرر بغيره بتملكه اياه ، فأخذه منه بالطريق الذى رسمه الشارع أيضا ليس منهيا عنه ، ومن ذلك الحصة التى باعهـــا الشريك أو الجـار لأجنبى ، فاقدام الأجنبى على شرائها وتملكها ، والشريك أو الجار فى حاجة اليها اساءة منه فى استعمال حقه الذى رسمه الشـــارع ، فأخذ الشريك لتلك الحصة من الأجنبى بغير رضاه ليس منهيا عنه بل هو واجب ، لدفع الضرر عن نفســـه ، فحرية الحصول على الأموال والتعاقد عليهـــا ليســـت مطلقـــة بل هى مقيـــدة بقيود تمنع لحوق الضرر بالغير لقوله صلى الله عليه وسلم : «لا ضرر ولا ضرار» على أنه لا ضرر فى الأخذ بالشفعة على الأجنبى ، لأنه سيحصل على مادفعـــه ثمنا لمـــا اشتراه وكل ما فى الأمر أن

الصفقة أخذت منه ، فحاله بعد أخذ الصفقة هو حاله قبل أخذها ، ولوسلمنا أن في أخذها منه ضررا ، فان ضرر الشفيع أعظم بالتضييق عليه والظهور على غوراته ، ورفع أعظم الضررين واجب ، ولذلك جاءت الأحاديث متضافرة على ثبوت الشفعة ، وأنها حق للشريك أو الجار اذا طلبها ، فكانت مخصصة للعموم فى حديث : « لا يحل مال امرىء مسلم الا بطيب من نفسه » .

## القول المختار

المختار هو قول الجمهور باباحة الشفعة وأنها حق للشريك أو الجار ، فله أن يطالب به لقوة أدلته وملائمته لروح العدل والانصاف برفع الأضرار التى قد تصيب الشريك أو الجار اذا لم يأخذ مبيع شريكه أو جاره بالشفعة ؟

**دكتور : ابراهيم دسوقى الشهاوى**

## الطب النبوى

# التداوى بعسل النحل

للدكتور حسن عز الدين الجمل

قال الله عز وجل فى كتابه العزيز ، من سورة النحل :

( وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ) . الآيتان ٦٨ ، ٦٩ .

وجاء فى كتاب الأربعين الطبية لمحمد بن يوسف البرزانى حدثنا على ابن سلمة ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا سفيان عن ابن اسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالشفاءين : العسل والقرآن » (١) .

والقرآن الكريم شفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين . فتعالوا ندرس ما فى العسل من شفاء للأبدان .

ان العسل هو طعام النحل ويرقاتها . وتقوم الشغالة من النحل بصناعة العسل ، وذلك بالارتشاف من كل رحيق الأزهار ، والأزهار هى مرحلة سابقة للثمرات . والرحيق سائل حلو المذاق يفرز بالقرب من قاعدة الأوراق الزهرية الملونة المعروفة بالبتلات .

ويتركب الرحيق من محلول مائى به ثلاثة أنواع من السكر وهى (السكروز) سكر قصب ، (والجلوكوز) سكر العنب ، ( والفركتوز ) سكر

---

(١) كتاب الاربعين الطبية لمحمد بن يوسف البرزانى .

الفاكهة . وتختلف نسبة كل منها فى الرحيق من زهرة الى أخرى . كما يحتوى الرحيق على أنواع أخرى من المركبات الكيمائية وهى :

الصبغات والزيوت المبخرة والزيوت الأساسية والاستيرات والأنزيمات والدكسترينات والأملاح المعدنيـة والخمائر والبروتينات والفيتامينات والأملاح العضوية ومواد أخرى لازمة للحياة ...

ويؤدى وجود هذه المواد الاضافية المتعددة الى وجود ألوان كثيرة من العسل تختلف فى الطعم والرائحة وذلك تبعا لنوع الرحيق الذى تمتصه .

**« تعسيل الرحيق »**

ومن أجل تحويل رحيق الأزهار الى عسل « تسلك » النحل عمليتين أساسيتين :

**العملية الأولى كيميائية :**

وهى تحليل ( السكروز ) وهو سكر ثنائى بواسطة « أنزيم الانفرتيز » أو الخميرة المحولة ، وتوجد فى لعاب النحل الذى تفرزه الغدد اللعابية الصدرية للشغالة ، فعندما « يأكل » النحل الرحيق من الأزهار تنشط الغدد اللعابية ويتدفق افرازها مختلطا بهذا الرحيق حتى تمتلىء به حوصلتها أو كيس العسل ، وقبل أن تعود النحلة الى بيتها تكون « خميرة الانفرتيز » قد بدأت عملها فى ظروف ميسرة من درجة الحرارة ووجود الماء بنسبة أكبر فى الرحيق .. ويستمر تعسيل الرحيق ويتحلل جزىء السكروز الثنائى مع جزىء من الماء الى جزىء من الجلوكوز الأحادى ، وجزىء من الفركتوز وهو سكر أحادى أيضا .

والمعروف طبيا أن السكر الأحادى أسهل فى الهضم والامتصاص والتمثيل من السكر الثنائى .

وعند وصول النحلة الى المستعمرة تسلم هذا الرحيق الى زميلاتها الباقيات بالمستعمرة . ويستمر تحليل السكروز ، وتتم هذه العملية داخل البيوت الشمعية التى يخزن فيها العسل

ويرمز لهذه العملية الكيميائية بالمعادلة الآتية :

سـكروز + ماء الخميرة
( سكر ثنائى ) المحولة
جلوكـوز + فركتـوز
( سكر أحادى ) (سكر أحادى)

**والعملية الثانية ميكانيكية :**

وهى ازالة الماء الزائد من الرحيق ذلك بأن العسل يحتوى على ما يقرب من ١٧ ـ ٢٥٪ من الماء بينما يحتوى الرحيق على ما يقرب من ٦٠ ـ ٦٥٪ من الماء وقد لاحظ العلماء أن الشغالة المنزلية عند ما تتسلم الرحيق من شغالة الحقل تعتكف داخل البيت للتفرغ لتصنيع العسل باخراج الماء الزائد من الرحيق •ولتركيز الرحيق تخرج الشغالة من حوصلتها جرعة من الرحيق تحت لسانها وبين فكيها السفليين ، ثم يأخذ خرطومها فى الارتفـاع والانخفاض فى حركات متتابعة لتعرض أكبر سطح ممكن من هذه الجرعة الى جو المستعمرة الدافىء ، وعند ذلك يحدث تبخر سريع للماء الموجود فيها ، ثم تبتلع النحلة هذه الجرعة مرة ثانية وتخرج غيرها ، مكررة نفس العملية السابقة مرة بعد أخرى لمدة عشرين دقيقة من العمل المتواصل • وفى النهاية «يخرج من بطون النحل » ما صنعته من عسل لتضعه فى احدى الخلايا الفارغة ، ثم تحكم اغلاقها بأغطية شمعية وهكذا • وأثناء هذا التصنيع تقوم مجموعة أخرى من الشغالة المنزلية بتهوية المستعمرة حيث تأخذ فى تحريك أجنحتها حركات سريعة متتابعة لدفع الهواء المشبع بالرطوبة الى الخارج •• واستبداله بهواء أكثر جفافا • وهذه العملية تساعد على تعسيل رحيق الأزهار •

وللعسل صفات طبية يعرفها العلماء وهـذا بعض ماكتبه الشيخ محمد ابن يوسف البرزانى فى وصف العسل : « ان العسل غسال جلاء مفتح اذا استعمل أكلا وطلاء ، وينقى البشرة وينعمها ويحفظ قوى المعاجين وغيرها •ويجعل الدواء وسطا بين الطبيعة والأدواء • وله فى نفسه منافع ، فانه ينقى الكبد والصدر ، وينفع من لسع الهوام ومن السموم القاتلة • • • واذا جعل فيه اللحم الطرى حفظ طراوته ثلاثة أشهر • وكذلك ان جعل فيه الخيار والقثاء

والقرع والباذنجان وكثير من الفواكه يحفظها ستة أشهر ، ويحفظ جثث الموتى وكل ما يودع فيه ، ولذلك سمى الحافظ الأمين •

**التركيب الكيميائى للعسل :**

يتكون العسل من سكر العنب وسكر الفواكه :

**ومن محتويات العسل :**

الكالسيوم والصوديوم والبوتاسيوم والمغنسيوم والحديد والكلور والفسفور والكبريت واليود • وقد لاحظ العلماء أن نسبة بعض الأملاح المعدنية فى العسل يكاد يوافق نسبتها فى مصل الدم البشرى •

وأرى أن الخواص الممتازة للعسل ترجع الى ما يحويه العسل من خمائر : اذ يوجد فى العسل خمائر تحول النشا الى سكر وخميرة تحول سكر القصب الى سكر عنب وسكر فواكه ، وخميرة تحطم الأكاسيد العالية •

كما يحتوى العسل على بعض الأحماض العضوية والبروتينات والفتيامينات •

هذا وقد اكتشف الأطباء حديثا أن العسل يحتوى على الخمائر الحيوية وهى مواد تزيد من نشاط الجسم • وتزيد من المناعة ضد الأمراض •

**الفيتامينات الموجودة فى العسل :**

١ ـ فيتامين ب٢ ( ريبوفلافين ) وهذا الفيتامين يساهم فى التمثيل الغذائى الخاص بالسكريات • ويساعد على تحسين القدرة على الأبصار • وان نقص هذا الفيتامين فى الطعام يؤدى الى قرح « المصران الغليظ » ، كما يزيد من تهيج الجهاز العصبى ، ويؤدى الى البثور الجلدية فى الوجه • وقد دلت الأبحاث على أن العسل يحوى كميات كبيرة من هذا الفيتامين •

٢ ـ فيتامين ب٣ ( حمض البانتوتنيك ) وهو عامل ضد التهابات الجلد •

٣ ـ فيتامين هـ • وهو يساهم فى التمثيل الغذائى الخاص بالدهون والبروتينات ويساعد على تمثلها فى بناء الجسم • وهذا الفيتامين يمنع انتشار الاكزيما والقوباء والدمامل والصدفية •

٤ ـ فيتامين ف ( حمض الفوليك ) يساهم فى المحافظة على الحجم العادى

للكرات الدموية الحمراء وكمية الهيموجلوبين فى الدم • ويستعمل بنجاح فى علاج الانيميا ( فقر الدم ) الخبيثة •

٥ ـ فيتامين ك ( ضد النزيف ) ويستعمل فى حالات النزيف كذلك •

٦ ـ الكاروتين ( ومنه يخرج فيتامين أ ) وهو ضرورى لتجديد البشرة والأبصار •

٧ ـ فيتامين ج يزيد مناعة الجسم ضد العدوى ويساهم فى عمليات التأكسد والاختزال والتكوين العادى للدم •

**قدرة العسل على التعقيم :**

**وخواص العسل المضادة للجراثيم والفطريات :**

أثبتت التجارب أن العسل يمنع البكتيريا والفطريات ويؤدى الى قتلها • وذلك يرجع الى تركيز السكر فى العسل بنسبة عالية والى وجود الخمائر الكثيرة فى العسل والى وجود الأحماض العضوية فيما فيه شفاء للناس •

وقد تم اكتشاف مواد مانعة أو معطلة لنمو البكتريا أو مضادات حيوية تتأثر بالضوء والحرارة فى العسل وربما كان ذلك نتيجة نشاط افرازى فى النحلة الشغالة •وأطرف ما يروى عن العسل فى هذه الناحية هو العسل الذى وجد داخل بناء بالهرم فى الجيزة وانه رغم مضى آلاف الأعوام عليه فقد ظل محتفظا بصفاته •

**الخواص الشفائية الموجودة فى الجلوكوز او سكر العنب وهو اهم مكونات العسل :**

يستعمل الجلوكوز بكثرة فى الطب لعلاج أمراض الدورة الدموية • وزيادة التوتر • والنزيف المعوى • وقرح المعدة •

والجلوكوز علاج ناجح للتسمم بأنواعه •

وهو منبع الطاقة فى جسم الكائن الحى ، كما يفيد فى تحسين عملية بناء الأنسجة والتمثيل الغذائى • والجلوكوز يزيد مقاومة الجسم للعدوى • وفى العلاج الحديث يستعمل الجلوكوز على نطاق واسع ليزيد من مقاومة الكبد للتسمم ، وفى مجال جراحة القلب يستعمل الجلوكوز بدلا من الدم فى تحضير القلب الصناعى وذلك لتوفير الدم وتقليل خطورة التفاعلات •

**الخواص الشفائية للغذاء الملكى :**

الغذاء الملكى عبارة عن مادة غروية بيضاء لؤلؤية تحتوى على نسبة عالية من البروتين ، وقد اكتشف ان الغذاء الملكى يحتوى على جميع الأحماض الأمينية المعروفة • كما يحتوى على دهنيات وسكريات محلولة مثل الجلوكوز وسكر الفواكه ، وهذا الغذاء ، غذاء الملكات ، غذاء غنى جدا بالفيتامينات والهرمونات • ويرجع تكوين الغذاء الملكى الى وجود نسبة كبيرة من حبوب اللقاح ونسبة أقل من رحيق الأزهار بعكس العسل فان النسبة الغالبة فى العسل هى الرحيق •

وقد وجد أن المواد الغذائية الأساسية التى يستخلصها النحل من حبوب اللقاح هى البروتينات والدهون والسكر •

وقد أثبت العلماء أن للغذاء الملكى خاصية عالية فى قتل الميكروبات • وقد تم صنع أنبولات للحقن فى العضل من الغذاء الملكى مع الماء الملحى • وقد وجد أن لهذه الحقن تأثير منشط للغدد الجنسية •

وقد تبين أن العلاج بالغذاء الملكى يفيد ويساعد على اعادة بناء الأعضاء الضعيفة وفى الأمراض العصبية وفى ضعف الجهاز الدورى • كما أن لهذا الغذاء خواصا وقائية عالية كما أن له أثرا خاصا لتأخير الشيخوخة •

**العسل ومرضى السكر :**

ويكاد يكون فى العسل شفاء حتى للمريض بالسكر ، وذلك لوجود ٤٠٪ من حجمه سكر فواكه ، ٣٠٪ جلولكوز • لذلك يمكن للمريض بالسكر تناول العسل الأبيض بكمية تماثل ضعفين ونصف ضعف وزن السكر العادى المسموح له بتناوله بدون الاحتياج الى مزيد من الانسولين • وفى نفس الوقت يحصل على نفس الطاقة الحرارية منه •وتعليل ذلك أن سكر الفواكه لا يحتاج للأنسولين فى احتراقه وتخزينه مثل الجلوكوز ، ومن ثم فان أكل المريض بالسكر للعسل الأبيض فى حدود النسبة السابق ذكرها غير ضار •

**« العسل فيه شفاء للأمراض الآتية »**

**علاج الزكام بالعسل :**

يعتبر عسل النحل علاجا عالميا للزكام ، وعند الاصابة بالزكام ينبغى أن يظل المريض فى الفراش أو على الأقل يلازم المصاب البيت لمدة يومين أو ثلاثة لأن العسل يسبب كثيرا من العرق • وننصح بالعسل مع اللبن الدافىء • كما أن استعمال العسل ممزوجا بعصير الليمون له تأثير حسن وسريع فى نزلات البرد •

**علاج امراض المعدة والأمعاء بالعسل :**

ثبت بالتجربة أن عسل النحل يقلل من الحموضة لدى المرضى الذين يشكون من الحموضة الزائدة فى المعدة • والغريب فى عسل النحل أنه ينقص العصارة المعدية فى حالات الحموضة العالية ، وفى حالة نقص الحموضة فان محلول العسل يداوى أيضا هذا النقص فيزيد افراز العصارة المعدية زيادة طفيفة أى أنه علاج فى حالتى نقص عصارات المعدة وزيادتها• وفى حالات قرح المعدة والاثنى عشر يؤخذ العسل فى كوب ماء دافىء بين الوجبات واذا أخذ العسل قبل الأكل مباشرة فانه ينشط افرازات المعدة •

وعموما فان عسل النحل يعتبر مقويا عاما • وفيه شفاء اضطرابات الكبد • وهو يزيد مقاومة الجسم للعدوى •

وقد وجد أن كوب ماء مذاب فيه العسل اذا أخذ قبل النوم يتبعه النوم الهادىء •

ويعتبر العسل مع الخل دواء ناجحاً لارتفاع ضغط الدم •

**العسل فيه شفاء لأمراض القلب :**

أنصح أن يدخل العسل فى الطعام اليومى لمرضى القلب ، وكان ابن سينا يعتبر عسل النحل علاجا ممتازا لأمراض القلب • ونرى أن فى العسل شفاء خصوصا فى حالات نقص كمية الدم الواصلة الى عضلات القلب والذبحة الصدرية وفى حالات ضعف عضلات القلب وحالات النقص فى الجهاز الدورى وغيرها • وقد وجد أن تناول ملعقتين من العسل يوميا لمدة شهر للمرضى الذين يشكون من علل خطيرة فى القلب يحدث تحسنا ملحوظا فى حالهم •

والمعروف أن نسيج القلب العضلى يعمل باستمرار ، لذلك يحتاج دائما

الى الجلوكوز ليمـــده بالطاقة ما دام حيــا .

وقد قام الأطباء بعزل قطعة من قلب حيوان فى محلول ملحى حتى فقدت مظاهر الحياة من الحركة والاهتزاز. ولمـــا أضـــيفت كمية من الجلوكوز ١ر٪ = ( $\frac{١}{١٠}$ فى المـائة ) الى المحلول الملحى المحفوظ به هذه القطعة من خلايا القلب ساعده هذا على الاستمرار فى الانقباضات أو الضربات لمـــدة أربعة أيام .

والمعروف أن عسل النحل يتكون فى الأغلب من الجلوكوز. والجلوكوز غذاء كامل لعضلات القلب كمـــا أن القرآن شـــفاء تام لقلوب المؤمنين وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول : « عليكم بالشفائين : العسل والقرآن » .

**دكتور : حسن عز الدين الجمل**

# الذراع وحدة قياس منذ أكثر من (٥٥٠٠) سنة

للأستاذ محمد كمال السيد

نقرأ فى كتب التراث عن بعض المسافات الطولية أنها كذا بالذراع أو الفرسخ أو الميل • أو غير ذلك من وحدات القياس • فلا يستقر المعنى فى أذهاننا • فقد بطلت هذه الأقيسة • أو ندر استعمالها • ولا نعرف الآن غير المتر ومضاعفاته وأجزائه المنقولة عن الفرنسيين • والقدم ومضاعفاتها وأجزائها المنقولة عن الأنجليز • وهما المقياسان السائد استعمالهما الآن فى أغلب أنحاء العالم (١) •

وسنرى فى سياق البحث باذن الله أن القدم الانجليزية متفرعة من الذراع •

وعدم الفهم الكامل لهذه الأقيسة القديمة ليس راجعا فقط الى عدم استعمالها الآن • ولكن لأن هذه الأقيسة أيضا قد تغيرت قيمتها عند العرب على مر العصور الاسلامية •

والذراع ـ وهى وحدة القياس عند العرب ـ والتى تقابل المتر عند

(١) مضاعفات المتر هى : الديكامتر . والكيلومتر . والميريامتر . كل منها عشرة أضعاف ما قبله . وأجزاء المتر هى : الديسمتر والسنتيمتر والميمتر . كل منها عشر ما قبله .

ومضاعفات القدم هى الياردة وتساوى ثلاث اقدام . والميل وهو ١٧٦٠ ياردة . واجزاء القدم هى البوصة وهى $\frac{1}{12}$ من القدم . واللنية ( Line ) وهى $\frac{1}{12}$ من البوصة . كذلك الاصبع وهى $\frac{1}{16}$ من القدم . واستعمال الاصبع نادر الآن . ولكن نذكرها للارتباط بينها وبين أصبع الذراع . وقد خلط المرحوم على مبارك بينها وبين البوصة .

والميل الانجليزى ١٦٠٩ر٢٩ مترا .

والقدم ٣٠ر٤٧٩ سنتيمترا .

الفرنسيين والقدم عند الانجليز ـ تغيرت قيمتها وتعددت أنواعها حتى قاربت العشرة • وسنحاول معرفة طول كل نوع من هذه الأنواع باذن الله •

ففى القاموس المحيط للفيروزابادى ( توفى سنة ٨١٧ هـ = سنة ١٤١٤ م ) فى كلامه عن الفرسخ أنه ثلاثة أميال هاشمية أو ١٢٠٠٠ ذراع أو ١٠٠٠٠ ذراع • وقال عن الميل أنه ٩٦٠٠٠ أصبع أو ٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ ذراع • وعند الكلام عن الذراع لم يحدد طولها بل ذكر وضعها التشريحى بالنسبة للجسم أنها من المرفق الى طرف الأصبع الوسطى • وأنها مؤنثة وقد تذكر • وذرع الثوب قاسه بها • وما يذرع به حديدا أو قضيبا •

فكأنه ذكر أربعة أنواع من الأذرعة • والنسبة بين الأولين كالنسبة بين ٥ ـ ٦ • والنسبة بين الأخيرين كالنسبة بين ٣ ـ ٤ •

وفى المصباح المنير للمقرى الفيومى ( توفى سنة ٧٧٠ هـ = سنة ١٣٦٦ م ) ذكر أن الفرسخ ثلاثة أميال هاشمية • وقال عن الميل انه عند القدماء من علماء الهيئة ٣٠٠٠ ذراع • وعند المحدثين ٤٠٠٠ ذراع • وقال ان الخلاف لفظى لأن القدماء كانوا يعتبرون الذراع ٣٢ أصبعا • والمحدثين يعتبرونها ٢٤ أصبعا • والاتفاق أن الميل ٩٦٠٠٠ أصبعا • والأصبع هى ست شعيرات بطن كل واحدة الى الأخرى • وقال عن الذراع أن ذراع الانسان من المرفق الى أطراف الأصابع • وأنها مؤنثة فى أغلب الأحوال • وأنها ست قبضات معتدلات • وأن هذا القياس يسمى ذراع العامة • لأنه نقص قبضة عن ذراع الملك وهو بعض الأكاسرة•

فاذا جمعنا بين القولين : قول صاحب القاموس المحيط وقول صاحب المصباح المنير • وقد اتفقا على أن الفرسخ ثلاثة أميال هاشمية • تكون النتيجة أن الميل = ٤٠٠٠ ذراع أو ٣٠٠٠ ذراع ٣٣٣٣ ½ ذراع حسب طول الذراع التى يقاس بها •

تكون ٤٠٠ ذراع = ٣٠٠ ذراع = ٣٣٣ ½ ذراع • حسب طول الذراع • ولنتذكر هذه المقادير •

ثم نجد أكثر توضيحا فى صبح الأعشى للقلقشندى (توفى سنة ٨٢١هـ)• فقد تكلم عن القصبة أنها حررت ـ أى ضبط طولها ـ فى زمن الحاكم بأمر الله الفاطمى • فنسبت اليه •

وسميت بالقصبة الحاكمية (١) • وأن طولها ستة أذرع بالهاشمي • وخمسة أذرع بالنجاري • وثمـانية أذرع بذراع اليد (٢) • وأن ذراع اليد ست قبضات بقبضة انسان معتدل ،كل قبضة أربع أصابع بالخنصر والبنصر والسبابة والوسطى • وكل أصبع ست شعيرات معترضات ظهرا لبطن •

ثم قال عن الذراع أنه يستعمل فى أراضى البنيان • وأنهم اصطلحوا على تسميته بذراع العمل • وطوله ثلاثة أشبار بشبر رجل معتدل وأنه ذراع وثلث بذراع اليد • ( فيكون هـو الهاشمى ) •

وقال أن ابتداء وضع الذراع لقياس الأرضين أن زياد بن أبيه(٣) حين ولاه معاوية العراق وأراد قياس السواد ( قرى البلاد بالعراق ) جمع ثلاثة رجال : رجلا من طوال القوم ورجلا من قصارهم ورجلا متوسطا بين ذلك • وأخذ طول ذراع كل منهم فجمع ذلك • وأخذ ثلثه • فجعله ذراعا لقياس الأرضين • وهو المعروف بالذراع الزيادى • لوقوع تقديره بأمر زياد • ولم يزل ذلك حتى صارت الخلافة لبنى العباس • فاتخذوا ذراعا مخالفا لذلك • كان أطول منه فسمى بالهاشمى لوقوعه فى خلافة بنى العباس ضرورة كونهم من بنى هاشم •

وقال : أما الأقمشة فانها تقاس بالقاهرة بذراع طوله ذراع اليد وأربع أصابع مطبوقة ( أى ١ من ذراع اليد لأنه ذكر أن ذراع اليد ست قبضات وأن القبضة أربع أصابع ) • وقال ان ذراع القماش بالفسطاط يزيد عليه ــ أى على ذراع القماش

---

(١) استعمل للذراع صيغة المذكر . صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٤٦

(٢) كانت القصبة الرسمية ٣ متر و ٨٥ س والفدان منها ٢٠ × ٢٠ = ٤٠٠ قصبة مربعة = ٥٩٢٩ مترا مربعا . وهذه القصبة هى التى وجدها الفرنسيون عند قدومهم مصر . وكانت مودعة فى عهد أسرة محمد على فى القرن الماضى فى مديرية الجيزة . وتدخلت أغراض الحاكمين والمساحين فى خفض طول القصبة لزيادة مساحة الأرض . والآن القصبة ٣ متر ر ٥٥ س والفدان منها ٣٣٣⅓ قصبة مربعة = ٤٢٠٠ر٨ مترا مربعا .

(٣) استلحقه معاوية بن أبى سفيان فى النسب لأبيه فسمى زياد ابن أبى سفيان وكان الاستلحاق لأغراض سياسية فدرج المؤرخون على تسميته زياد بن أبيه .

بالقاهرة بعض الشيء . وربما زاد في بعض نواحي الديار المصرية . ولغير القماش من الأصناف أيضا كالحصر وغيرها ذراع يخصه . ا هـ .

وهكذا نجد القلقشندي قد ذكر لنا أربعة أنواع من الأذرعة محددة النسبة بينها وبين ذراع اليد . وأصغرها ذراع اليد وطولها ست قبضات . ثم ذراع القماش وهي ١ ١/٦ من ذراع اليد . ثم الذراع الهاشمية وهي أيضا ذراع العمل لأن طول كل منهما ١ ١/٣ من ذراع اليد . ثم الذراع التجارية وطولها ١ ٣/٥ من ذراع اليد .

ونترك غير هذه الأذرعة الأربعة . مثل ذراع الزيادي وذراع القماش بالفسطاط . وأذرعة باقي الأصناف لأنه لم يحدد الفرق بينها .

فلو دفعنا أكبر هذه الأذرعة الأربعة - وهي التجارية - الى رقم ٣٠٠ لنقارن بينها وبين ما ذكره صاحبا القاموس المحيط والمصباح المنير . لوجدنا النتيجة الآتية :

٣٠٠ ذراع تجارية = ٤٠٠ ذراع هاشمية = ٤١٦ ٢/٣ ذراع القماش = ٤٨٠ ذراع اليد .

يضاف اليها نوع خامس أنها تساوي ٣٣٣ ١/٣ ما ذكره زيادة صاحبا القاموس والمصباح .

وهكذا نرى أن الأصل وهو ذراع اليد ظل دون تحديد دقيق غير أنها ست قبضات معتدلة كل قبضة ٢٤ شعيرة معتدلة ظهرا لبطن .

وهذه النسب بين الأذرعة المختلفة لها أهمية سنتبينها فيما بعد باذن الله . ولكن الربط بين ذراع اليد وحبات الشعير تحديد مبهم . وأعتقد أن الكثيرين من سكان المدن لم يروا حبة شعير في حياتهم .

ولكن نحمد الله أن ترك لنا الأقدمون من المصريين تحديدا ثابتا لكل هذا . وسجلوا تسجيلا يغالب أحداث الزمن . وهذا في بناء الهرم الأكبر بالجيزة .

قد تناول المؤرخون العرب الأهرام في كتبهم . وذكروا أنها كانت ١٨ هرما . وخصوا هرمي الجيزة الكبيرين بالحديث . وكان للهرم الأكبر النصيب الأوفر . فوصفوا مافي بنائه من عظمة . وما في تشييده من مقدرة معمارية وهندسية . وذكروا كثيرا من الأساطير عن بنائه والغرض

منه • وهى أساطير لا مجال هنا لمناقشتها • وقد أجمل أحد القضاة المصريين فى القرن الثامن الهجرى[1] ما قيل عن الغرض من بنائه • فى قصيدة نقتطف منها هذه الأبيات :

ثبتت على حر الزمان وبرده
مددا ولم تأسف على حدثانه
والشمس فى احراقها والريح
عند هبوبها والسيل فى جريانه
هل عابد خصها بعبادة
فمبانى الأهرام من أوثانه
أو قائل يقضى برجعى نفسه
من بعد فرقته الى جثمانه
فاختارها لكنوزه ولجسمه
قبرا ليأمن من أذى طوفانه
أو أنها للسائرات مراصد
يختار راصدها أعز مكانه
أوأنها وصفت شؤون كواكب
احكام فرس الدهر أو يونانه
أو أنهم نقشوا على حيطانها
علما يحار الفكر فى تبيانه
فى قلب رائيها ليعلم نقشها
فكر يعض عليه طرف بنانه

ولا ندرى كم من المكاسب الحضارية كانت تجنيها البشرية لو عرف العرب أسرار اللغة الهيروغليفية • التى كانت قد اندرست بحكم البطالسة – وهم أغريقيو الأصل – الذى استمر ما يقرب من الثلثمائة عام • وبالاحتلال الرومانى الذى استمر ٦٧٠ سنة تقريبا • فالمدتان معا تقربان من ألف عام •

ولو عرف العرب هذه اللغة • لما أهملوا المحافظة على الآثار الفرعونية القديمة • ولأمكنهم قراءة ما خلفه المصريون القدماء من علوم وحكمة • ولاستفادوا منها بما لهم من ذكاء فطرى وشغف بالمعرفة • ولأضافوا اليها الكثير • ولكن الاحتلال الرومانى أخر الحضارة الانسانية ألف عام •

وعند ما تلقف العرب كرة هذه الحضارة • كادوا أن يكونوا قد بدأوا من الصفر • لولا ما وعاه بعض الأغريق ونقلوه من العلوم المصرية القديمة أثناء دراستهم فى جامعة عين شمس الفرعونية أو جامعة الاسكندرية فى عهد البطالسة • فأغلب علماء الأغريق المشهورين الذين تعتبرهم أوربا أصلا لحضارتها درسوا

(١) هو القاضى فخر الدين عبد الوهاب المصرى – والقصيدة بخطط المقريزى ج ١ ص ١٢٢

علومهم بهاتين الجامعتين • وترجم العرب كتبهم • واستوعبوها فهما وتحليلا • وأضافوا اليها اضافات عديدة • وابتكروا علوما جديدة •

ونقلت أوربا علوم العرب باحتكاكها بهم فى الأندلس وصقلية والحروب الصليبية • كما نقلت تراجمهم لكتب علماء الأغريق فلولا هذه التراجم لجهلت الكثيرين منهم • ثم نسبت أوربا حضارتها للأغريق• وقد تناست الأصل وهى مصر • وحلقة الاتصال وهم العرب •

وقد بعدنا عن الموضوع • ولكن كانت هذه كلمة استطرادية ضرورية للرد على ما تنسبه أوربا الى العرب من اهمال المحافظة على الآثار المصرية القديمة لأنها آثار وثنية • فالمتهم الأول هم الرومان الذين قضوا على اللغة الهيروغليفية • مفتاح العلوم المصرية القديمة • كما أن الكثيرين من علماء العرب • مثل عبد اللطيف البغدادى والمقريزى وغيرهما • قد نبهوا الى ضرورة المحافظة على هذه الآثار لما فيها من تاريخ وعظمة • وأن التعدى عليها لم يأخذ شكلا واضحا الا عندما سيطر الأعاجم على الحكم فى البلاد العربية •

ونعود الى موضوعنا الأصلى •

فعندنا فى بناء الهرم الأكبر بالجيزة خطوط ثابتة هى أضلاعه وارتفاعه العمودى وارتفاع ميل وجهاته • وغيرها من الأبعاد الثابتة على مر الزمن • وقد تناولها المؤرخون العرب• وذكروا أطوالها بعدة أنواع من الأذرعة •

وبعض هذه الأقوال نقله البعض عن الآخرين • وبعضها كان لعلماء تحروا أن يقيسوا هذه الأطوال بأنفسهم • وقد جمع لنا المقريزى فى خططه ( حـ ١ ص ١١١ – ص١٢٢) والسيوطى فى حسن المحاضرة (حـ ١ ص ٣٣ – ص ٣٨ ) عددا من هذه الأقوال •

١ ـ فقد نقل السيوطى عن ابن عبد الحكم ( توفى بالفسطاط سنة ٢٥٧ هـ • وهو من أقدم من كتبوا فى تاريخ مصر بعد الفتح الاسلامى ) أن طول كل ضلع من أضلاع الهـ[illegible] ٥٠٠ ذراع بذراعنا الآن •

٢ ــ ونقل المقريزى عن ابن وصيف شاه أن طول كل جهة من جهاته ١٠٠ ذراع ملكى . وهو ٥٠٠ ذراع بذراعنا الآن(١) .

٣ ــ ونقل المقريزى عن أبى محمد عبد الله بن عبد الرحيم القيسى ( وهو ممن دخلوا الهرم عندما فتحه المأمون فى أوائل القرن الثالث الهجرى ) أن الهرم الأكبر بالجيزة دوره ٢٠٠٠ ذراع فى كل وجه ٥٠٠ ذراع .

٤ ــ ونقل أيضا عن ابن خرداذبة ( توفى سنة ٣٠٠ هـ ) أن الهرمين بمصر سمك كل منهما ٤٠٠ ذراع . وكلما ارتفع فى الجو دق . وهما من رخام ومرمر(٣) والطول ٤٠٠ ذراع فى عرض ٤٠٠ ذراع . مكتوب عليها بالمسند كل سحر وكل عجيب من الطب .

٥ ــ ونقل عن المسعودى فى مروج الذهب ( قدم مصر سنة ٣٤٥ ونزل بالفسطاط وتوفى فى السنة التالية ) :

وقد قال من عنى بتقدير ذرعها أن مقدار ارتفاع الهرم الكبير ذهابا فى الجو نحو ٤٠٠ ذراع أو أكثر . وكلما صعد فى الجو دق . والعرض على نحو ما وضعنا .

٦ ــ ونقل المقريزى عن ابن حوقل ( من علماء القرن الرابع الهجرى ) أن ارتفاع الهرم ٤٠٠ ذراع . وعرضه كذلك .

---

(١) الخطط جـ ١ ص ١١٢ . هنا خطأ فى النقل على ما أعتقد . فصحة مقدار الأذرع الملكية ٢٠٠ . بدليل ما ذكره ص ١١٩ . وما ذكره السيوطى عن ابن عبد الحكم جـ ١ ص ٣٤ أن ٢٠٠ ذراعا ملكية = ٥٠٠ ذراع بذراعنا الآن . والذراع الملكى لم يرد له ذكر فى غير هذين القولين فيمكن أن نستبعده. والمهم ما ذكراه عن أن ضلع الهرم ٥٠٠ بذراعنا الآن .

(٢) ابن خرداذبة هو عبيد الله بن عبد الله خراسانى الأصل اسلم جده . وكتابه ( المسالك والممالك ) من أقدم ما كتبه المسلمون فى علم الهيئة وانتفع به ابن حوقل والمقدسى وغيرهما .

(٣) كان العرب يعتقدون أن الهرم الأول والثانى متساويان . مع أن الثانى أصغر قليلا بدرجة لا تتبين للناظر . فكانت مقاساتهم فى الغالب للهرم الأكبر لأنه أدق صنعا . وكانت كسوة الهرم باقية عندما كتب ابن خرداذبة ، وقد بدىء فى ازالتها فى القرن السابع الهجرى . والكسوة عبارة عن حجارة ملساء محكمة الالتصاق . وبعضها موجود بالقسم المصرى بمتحف لندن .

٧ ـ ونقل السيوطى عن الزمخشرى: الهرمان بالجيزة على فرسخين من الفسطاط . كل واحد ٤٠٠ ذراع عرضا .

٨ ـ ونقل السيوطى عن صاحب المرآة أن سمك كل منهما ٥٠٠ ذراع فى ارتفاع مثلها . وكلما ارتفع دق .

٩ ـ ونقل المقريزى عن كتاب البنية والأشراف : والهرمان اللذان فى الجانب الغربى من فسطاط مصر هما من عجائب بنيان العالم كل واحد منهما ٤٠٠ ذراع فى سمك مثل ذلك.

١٠ ـ ونقل المقريزى عن المساح أن قاعدة كل من الهرمين ٤٠٠ ذراع بالذراع السوداء .

١١ ـ ونقل أيضا عن على بن رضوان الطبيب ( طبيب ومنجم مصرى توفى بعد سنة ٤٦٠ فى عهد المنتصر بالله الفاطمى ) : أن قياس الهرم الأول بالذراع التى تقاس بها الأبنية بمصر كل حاشية منها ٤٠٠ ذراع . يكون بالذراع السوداء التى طول كل ذراع منها ٢٤ أصبعا ٥٠٠ ذراع (١) .

١٢ ـ ونقل المقريزى عن أمية بن أبى الصلت الأندلسى ( ٤٦٠ ـ ٥٢٩ هـ ) (٢) .

وقد طاف ابن أبى الصلت بالهرم ورأى الكتابة على وجهاته قال : انه يظهر أنه كان منهم ( يعنى المصريين القدماء ) طائفة من ذوى المعارف والعلوم . وخصوصا علم الهندسة والنجوم . يدل على ذلك ما خلفوه من الصنائع البديعة المعجزة كالأهرام والبرابى . . ثم قال : وأى شىء أعجب وأغرب ـ بعد مقدورات الله عز وجل ـ من القدرة على بناء جسم جسيم من أعظم الحجارة مربع القاعدة

---

(١) نلاحظ وصف السوداء فى هذا القول والسابق له . واعتقد ان الأول يقصد الذراع السوادى لأن السوداء كانت تطلق على الذراع المصرى العتيق كما سنذكر باذن الله . وقول ابن رضوان ادق لأنه عالم مصرى أدرى بمقاييس مصر .

(٢) قدم مصر فى عهد الافضل بن بدر الجمالى فى وزارته للآمر بأحكام الله الفاطمى . ونفاه الأفضل من مصر ٥٠٥ هـ . وله مؤلفات فى الفلك والرياضيات والموسيقى وله الرسائل المصرية تحامل فيها على المصريين وأخلاقهم ولكنه لم يستطع الا ان يعترف بروعة الأهرام .

مخروط الشكل ارتفاع عموده ٣١٩ ذراعا • يحيط به أربعة سطوح مثلثات طول كل ضلع منها ٤٦٠ ذراعا • وهو من العظمة من احكام الصنعة ••• الخ •

١٣ ـ ونقل المقريزى عن ابن اسحق النديم فى الفهرست أن هذه البنية يعنى الأهرام طولها بالذراع الهاشمى ٤٨٠ ذراعا على مساحة ٤٨٠ ذراعا •

١٤ ـ ونقل السيوطى عن صاحب مناهج الفكر أن كل هرم منها مربع القاعدة مخروط الشكل ارتفاع عموده ٣١٧ ذراعا يحيط به أربعة سطوح متساويات الأضلاع كل منها ٤٦٠ ذراعا •

١٥ ـ وذكر القلقشندى ( صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٢٦ ) : ويقال أن طول عمود كل منها ٣١٧ ذراعا تحيط به أربعة أسطح متساوية • كل ضلع منها ٤٦٠ ذراعا •

فهذه خمسة عشر قولا منها أحد عشر قولا أن طول ضلع القاعدة ٤٠٠ ذراع أو ٥٠٠ ذراع • وأوضح بعض هذه الأقوال أن المقدارين متساويان • وثلاثة أقوال ذكرت أن الضلع ٤٦٠ ذراعا وقول واحد فقط أنه ٤٨٠ ذراعا •

ونلاحظ أن المصريين ذكروا أنها ٥٠٠ ذراع وسموها السوداء • وأن مؤرخى المشرق العربى ذكروا أنها ٤٠٠ ذراع •

وكانوا يعتقدون أن كل مثلث فى الوجهات الأربعة متساوى الأضلاع وهو غير صحيح لأنه متساوى الساقين • وان كان يرى للناظر كذلك • فربما أدى هذا الى اختلاف الأقلية من المؤرخين فى طول القاعدة • وقد قال على باشا مبارك فى هذه النقطة أن الـ٤٦٠ ذراعا التى ذكروها لا تنطبق على ضلع الهرم • وانما على حرفه المائل • مستشهدا بما ذكره عبد اللطيف البغدادى أن كل ضلع من أربعة الأضلاع المائلة على العمود يساوى ٤٦٠ ذراعا (١) •

اذن هناك شبه اجماع على أن ضلع الهرم الأكبر هو ٥٠٠ ذراع • أو ٤٠٠ ذراع حسب نوع كل منهما •

فاذا رجعنا الى الطبيعة • نجد أن الفرنسيين قد حددوا طول هذا

(١) الخطط التوفيقية ج ١٦ ص ٣٠

الضلع بمقدار ٢٣٠٫٩٠٢ مترا . وتقريبه الى ٢٣١ مترا .

فاذا قسمنا هذا المقدار على ٥٠٠ كان الناتج ٤٦٫٢ سنتيمترا .

واذا قسمناه على ٤٠٠ كان الناتج ٥٧٫٧٥ سنتيمترا .

واذا قسمناه على ٣٠٠ كان الناتج ٧٧ سنتيمترا .

وهذه الأطوال الثلاثة هى أطوال الأذرعة التى كان يستعملها قدماء المصريين فى استعمالاتهم المختلفة . سجلوها فى تصميم الهرم لتغالب الزمن (١) .

وأصغرها طولا ٤٦٫٢ سنتيمترا . وهى الذراع المصرية العتيقة . وهى طول ذراع اليد . وكانت تسمى السوداء . ويبدو أنها استمرت معروفة فهى الأصل فى غيرها من الأذرعة . بدليل ما نقله المقريزى عن على بن رضوان الطبيب المصرى ( الحادى عشر فى المنقول عنهم بهذا البحث ) أن طول ضلع الهرم ٤٠٠ ذراع بالذراع التى تقاس بها الأبنية الآن ( القرن الخامس الهجرى ) بمصر . يكون بالذراع السوداء التى طول كل ذراع منها ٢٤ أصبعا ٥٠٠ ذراع . وبدليل ما ذكرناه عن صاحب المصباح المنير أنها تسمى ذراع العامة .

وعن الذراع المصرية العتيقة تفرقت باقى الأذرعة .

فالذراع البلدى : وطولها ٥٧٫٧٥ سنتيمترا . وقدرها ١ ١/٤ من الذراع المصرية العتيقة . كان معروفا ومستعملا بهذه النسبة كما يتضح من قول على بن رضوان الطبيب فى الفقرة السابقة . ومن أقوال جميع المؤرخين الدين ذكروا أن طول ضلع الهرم ٤٠٠ ذراع . وظل استعمال الذراع البلدى سائدا فى مصر الى أوائل القرن الحاضر . وكان معروفا أن القصبة القديمة ٦ ٢/٣ من هذا الذراع والذراع المعمارى : طوله ٧٧ سنتيمترا هو ٢/٣ من الذراع المصرى العتيق . وهو أيضا ١ ١/٣ من الذراع البلدى . ولايزال الذراع المعمارى مستعملا للآن فى مقاس أراضى البنيان خصوصا فى الاسكندرية ونواحيها . وان كان الاصطلاح جرى على اعتباره ٧٥ سنتيمترا أى ٣/٤ متر لتسهيل التعامل .

---

(١) ولولا فضل العرب فى تسجيل مقاس ضلع الهرم لما عرفت هذه الحقيقة .

والذراع الهاشمى فقد ذكرنا ما قاله القلقشندى أن القصبة ستة أذرع هاشمية = ثمانية أذرع من ذراع اليد . فيكون الذراع الهاشمى ١ ١/٣ من ذراع اليد أى ٤/٣ × ٤٦٫٢ = ٦١٫٦ سنتيمترا (١) .

وذراع مقياس النيل تفرع أيضا من الذراع العتيق . فهو ١ ١/٦ منه . يكون طوله ٥٣٫٩ سنتيمترا . وهو أيضا ذراع القماش بالقاهرة الذى ذكره القلقشندى .

أما الذراع النجارى الذى ذكر القلقشندى أن القصبة خمسة أذرع نجارية وثمانية من ذراع اليد . فيكون النجارى ١ ٣/٥ من ذراع اليد ويكون طوله ٧٢٫٨ سنتيمترا .

ونلاحظ أن عدد أذرعة القصبة التى ذكرها القلقشندى أنها ٦ أذرع هاشمية = ٥ أذرع نجارية = ٨ من ذراع اليد . اذا طبقنا الأطوال التى ذكرناها لكل ذراع لكانت النتيجة أن طول القصبة ٣ متر و ٦٩ س . وهذا يدل على أن القصبة المستعملة وقت القلقشندى كانت أقصر من القصبة الرسمية التى طولها ٣ متر و ٨٥ س . وهكذا كان فى أغلب الأحيان نتيجة لأغراض الحاكمين وأهواء المساحين .

وذكر على باشا مبارك ( الخطط التوفيقية جـ ١٦ ص ٣٥ ) مقياسين آخرين لا يرتبطان بالذراع المصرى العتيق . وانما أدخلا للبلاد مع الأتراك . وهما الذراع الاسلامبولى وطوله ٦٧٫٧ سنتيمترا . والهنداسة وطولها ٦٥٫٦ سنتيمترا .

**الميل الهاشمى :**

ومادمنا عرفنا طول الذراع بأنواعه فيمكن استنادا على ما ذكره صاحبا القاموس المحيط والمصباح المنير معرفة طول الميل الهاشمى . فقد ذكرا أنه ٣٠٠٠ ذراع أو ٤٠٠٠ ذراع وما قاله القلقشندى فى نسبة الذراعين الهاشمى وذراع اليد للقصبة .

فيكون الميل الهاشمى ٣٠٠٠ × ٦١٫٦ ( الذراع الهاشمى ) = ١٨٤٨ مترا .

وهو يساوى ٤٠٠٠ × ٤٦٫٢ ( الذراع العتيق ) = ١٨٤٨ مترا .

ويكون الفرسخ وهو ثلاثة أميال هاشمية = ٣ × ١٨٤٨ = ٥٥٣٤ مترا

(١) يبدو أن هذا الذراع هو الذى ذكر صاحب المصباح المنير ان القدماء من علماء الهيئة كانوا يستعملونه .

ويكون البريد وهو أربع فراسخ = ٤ × ٥٥٣٤ = ٢٢١٣٦ مترا .

الأصبع . والاتفاق على أن الميل ٩٦٠٠٠ أصبع . وقد ذكرنا أنه ١٨٤٨ مترا . فتكون الأصبع العربية ١ر٩٢٥ سنتيمترا.وهو رقم لو ضربته فى ٢٤ عدد أصابع الذراع لكان الناتج ٤٦ر٢ سنتيمترا طول الذراع العتيق [1] .

**القصبة :**

وضلع قاعدة الهرم لم يبين لنا فقط أطوال الأذرع المستعملة . ولكنه بين لنا أيضا طول القصبة . فلو قسمت ٢٣١ مترا طول القاعدة على ٦٠ لكان الناتج ٣ متر و ٨٥ س طول القصبة القديمة . أى أن الضلع = ٦٠ قصبة .

**الفدان :**

وحيث أن الفدان القديم كان ٤٠٠ قصبة ( ٢٠ × ٢٠ ) كما سبق ذكره فتكون المساحة التى بنى عليها الهرم تسعة أفدنة من الفدان القديم بدون كسور . وهى تساوى ١٢ ٣/٤ فدانا تقريبا بفداننا الحاضر .

**القدم الانجليزية والأصبع الانجليزية**

وتفرعت عن الذراع المصرى العتيق القدم الانجليزية . فالقدم الرومانية هى ٢/٣ الذراع المصرى العتيق = ٣٠ر٨ سنتيمترا . ونقلها الانجليز عن الرومان . وقد ذكرنا فى أول البحث أن القدم الانجليزية ٣٠ر٤٧٩ سنتيمترا . بفارق عن الرومانية ثلاثة مليمتر تقريبا . وقسمها الانجليز الى ١٦ أصبعا . محتفظين بنفس النسبة فى تقسيم الأصل وهو الذراع المصرى الى ٢٤ أصبعا . فتكون الأصبع الانجليزية ١ر٩٠٥ سنتيمترا . وهو نفس طول الأصبع العربية بفارق يسير لا يكاد يذكر .

**خطأ صاحب الخطط التوفيقية :**

وقدأخطأ المرحوم على باشا مبارك بأن ذكر فى نقله عن العالم الانجليزى بياز بسميث ( الخطط التوفيقية حـ١٦ من ص ص ٣٩ – ص ٤٤ ) أطوالاعديدة تبلغ العشرات عن مقاسات الهرم من الداخل والخارج . وارتباطاتها

---

(١) الذراع الذى طوله ٢٤ اصبعا هو ذراع اليد أو الذراع العتيق . وباقى الأذرعة تزداد أصابعها بنسبتها اليه . مع تفصيل بالنسبة لذراع مقياس النيل .

الهندسية والفلكية . ذكرها جميعها أنها بالأصبع الانجليزية . ولكن صحتها البوصة . فالأصبع ١٦/١ من القدم والبوصة ١٢/١ من القدم .

ولعلى باشا مبارك رحمه الله بعض العذر . فقد ترجم المقال عن الفرنسية كما ذكر . وبالفرنسية كلمة pavce معناها أصبع من أصابع اليد . وأيضا معناها ١٢/١ من القدم . وهو المقاس الذى نعرفه بالعربية باسم البوصة . ولكن بالانجليزية البوصة معناها inch وهى ١٢/١ من القدم. والأصبع finger بمعنى أصبع اليد وهى ١٦/١ من القدم . ويبدو أنه رحمه الله لم يكن يعرف الانجليزية .

ونحن ننبه لهذا الخطأ لأهمية الاستنتاجات التى توصل لها العالم الانجليزى المذكور فى أسرار الهرم .

ولكن هذا لا يقلل من غزارة المادة العلميـة فى بحث صاحب الخطط التوفيقية . فهى معلومات تفيد الدارسين كثيرا . وقد أوفى بحث القياسات الطولية والمساحية القديمة. مثل الغلوة والعسلة والقلمة والجريب والأشل والأورور والخطوة والقامة. وغيرها . مقارنا بينها وبين مثيلاتها عند الاغريق والرومان . كما تناول المكاييل القديمة . وتعرض لبعض المسائل الفقهية مثل الصاع والمد . وغير هذا مما يجده القارىء فى كلامه عن الأهرام فى الجزء السادس عشر من ص ٨ — ص ٤٤ .

**ونعود الى الهرم :**

فالنسبة بين الذراع المصرى العتيق وبين الذراع البلدى وهو ٤/١ ١ منه روعيت أيضا فى تصميم بناء الهرم . فالنسبة بين ضلع الهرم ٢٣٠٫٩٠٢ مترا وبين ميل ارتفاع الوجه ( أى خط من رأس الهرم الى نصف قاعدة الضلع ) وهو ١٨٤٫٧٢٢ مترا كما أثبته الفرنسيون هى نفس النسبة ٤/١ ١ .

وليس بناء الهرم قاصرا على تحديد وحدات القياس . وليست أهميته الأثرية قاصرة على المقدرة المعمارية فى انشائه من ضخامة البنيان ومتانته ودقة لحامات أحجاره ورفع هذه الكتل الضخمة من الأحجار التى يصل وزن بعضها الى ٦٠ طنا وغير هذا من النواحى المعمارية . ولكن فى تصميم الهرم أسرار فلكية متعددة وعمليات هندسية بارعة .

فكل جزء منه سواء في الداخل أو الخارج ـ طولا وعرضا وارتفاعا وقطرا ومحيطا ـ صمم على حسابات فلكية عن ظواهر طبيعية كمحيط الكرة الأرضية وقطرها وبعدالشمس عن الأرض • وعدد أيام السنة الشمسية وغيرها من الظواهر الطبيعية • أو لعمليات هندسية بارعة مترابطة بحسابات النسبة بين محيط الدائرة وقطرها الذى يرمز له الرياضيون بحرف ( ط ) وبالتربيع والتكعيب والجذور • وغير ذلك مما يجده القارىء تفصيلا فى بحث العالم الانجليزى بيازيسميث المذكور ( مع ملاحظة ما ذكرناه عن الاصبع والبوصة ) • ولا نعتقد أن العالم المذكور قد استوفى كل أسرار الهرم • فربما تدل الأبحاث على أسرار جديدة • ويخيل للمرء بعد قراءة ما كتبه أنهم كانوا يستعملون أجهزة حاسبة أو عقولا الكترونية •

ولا مجال هنا للتفصيل • ولكن نذكر بعض هذه الأسرار للدلالة على ما كان للمصريين القدماء من علم وحكمة وسبق طويل بعيد المدى فى الحضارة •

**الدرجة الأرضية :**

وهى تقسيم محيط الكرة الأرضية الى ٣٦٠ درجة طولية • ومثلها عرضية • فقد عرف المصريون متوسط الدرجة الأرضية لموقع مصر • وسجلوه فى تصميم الهرم • فميل وجه الهرم ١٨٤٫٧٢٢ مترا كما أثبته الفرنسيون لو ضربته فى ٦٠٠ لكان الناتج ١١٠٨٣٣ مترا و ٢٠ س• والحسابات الفلكية الحديثة تقرر أنها ١١٠٨٢٧ مترا و ٦٨ س • فالفارق يسير لا يكاد يذكر •

**ارتفاع الشمس :**

كان تقدير المصريين القدماء لبعد الشمس عن الأرض مثار الاعجاب • وقد سجلوه فى تصميم بناء الهرم • فالارتفاع العمودى للهرم ١٤٧ مترا و ٧٩ سنتى ( وهو القدر الذى نقله عن الفرنسيين العالم الانجليزى المذكور وحوله الى بوصات انجليزية قدرها ٥٨١٩ ) فلو ضربنا هذا القدر فى ألف مليون وحولنا الناتج الى أميال انجليزية لكان ٩١٫٨٤٠٫٠٠٠ ميل انجليزى • وهو ما قدره قدماء المصريين لبعد الشمس عن الأرض •

وتفهم عظمة هذا الكشف الفلكى لو علمنا أن تقدير هذا البعد كان لغاية عهد كبلر الفلكى ( ١٥٧١ — ١٦٣٠ م ) خمسة ملايين فقط ٠ ثم فى عهد لويس الرابع عشر بفرنسا ( ١٦٤٣ – ١٧١٥ م ) رفع هذا التقدير الى ٧٠ مليونا ٠ ثم رفع فى أواخر القرن الثامن عشر الى ٩٥ مليونا ٠ وظل هذا البعد ساريا حتى سنة ١٨٦٧ حين اتضح بالحسابات الفلكية أن البعد يتراوح بين ٩١ ، ٩٣ مليونا من الأميال الانجليزية ٠

ونكتفى بهذين المثلين من الأمجاد العلمية ٠

ونحن كمصريين — مهما قيل عن فضيلة التواضع — لا نستطيع الا أن نفاخر العالم بمصر ٠ مهد الحضارة الانسانية ٠ والرائدة الأولى للبشرية فى طريق العلم والمعرفة ٠ مصر التى لا تهرم أبدا ٠ بل شبابها دائم التجدد على مر العصور ؟

**محمد كمال السيد**

# هكذا ينوب المسح عن الغسل في باب الطهارات

للدكتور محمد محمد الشرقاوي

لست بحاجة الى التنويه بعناية الاسلام بشأن النظافة الشخصية ، والطهارات العينية ، بعد أن حفلت آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بالكثير المتنوع من ألوان الأمر بالتطهير والتطهر ، وأحاديث التنزه والتنظف ، وما أعده الله لأهله من مقام كريم ، وثواب عظيم ، ومن ذلك قوله تعالى : « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » فالتوبة لنقاء الباطن ، والتطهر لنظافة الظاهر • • ذلك أن الاهتمام بتجميل الظواهر الذاتية بكل ما هو صحى ونظيف لا يقل عن تركيز العناية بتخلية البواطن والسرائر من كل ما هو قذر من العقائد ، وباطل من الأخلاق ، ونستطيع أن نلقى ضوءا على مظاهر العناية الاسلامية بالطهارات فيما يأتى :

١ ــ الوضوء وهو يستهدف غسل الأعضاء المعرضة أكثر من غيرها للتلوث والاصابة بخلفيات الممارسة اليومية الجاهدة فى محيط العمل المشترك ، وهذا ما يحسه منا كل متعرض لذلك بحيث ينساق بمقتضى الفطرة السليمة الى ضرورة ازالة ذلك ان لم يمتثل لأوامر الشارع الحكيم فى هذا الصدد لايقاع الفرائض اليومية المترتبة على هذه النظافة الجبرية على فترات النهار المتقاربة • وفى الحديث الشريف : « لا يتوضأ أحدكم فيحسن وضوءه ويصلى الصلاة المفروضة الا غفر له ما بين الصلاتين » •

٢ ــ الغسل وهو نظافة تحمل طابع الالزام حينا والندب اليها حينا آخر وهو نظافة عامة لكل أعضاء الجسم سواء منها ما ظهر ، وما استتر ، واذا كان الوضوء لأسبابه فى أوقات متجاورة مراعاة لخفته

وليسره ، فان الغسل منوط بأسباب يلم بها المكلف فى أحيان متباعدة نسبيا اذا قورنت بالأولى ، وذلك نظرا لمؤونته وشموله .. روى الطبرانى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اتقوا اللـه وأحسنوا الغسل فانهـا من الأمانة التى حملتم ، والسرائر التى استودعتم » .

٣ ــ السواك : وهو فرشـاة طبيعية ذات أملاح معدنية ، ومواد عطرية تساعد على تقوية اللثة وتنظيف الأسنان وقد أمر به الاسلام أمرا اختياريا مؤكدا منذ أكثر من ثلاثمائة وألف سنة .. بينما نصح به الأطباء منذ قرن ونصف على التقريب وفى الحديث الشريف : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » .

٤ ــ التنظف العام بما يلائم الذوق الرفيع ، والطبع السليم ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم « خمس من الفطرة ( أى من متطلبات الطبيعة المستقيمة ) : قص الشارب ، وتقليم الأظفار ، وحلق العانة ، ونتف الابط ، والسواك » .

٥ ــ تحريم أكل الميتة ولحم الخنزير والدم السائل ، والمسكرات ، والمفترات ( أى المخدرات ) لضررها البالغ على الصحة العامة وفى الحديث الشريف : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر » .

٦ ــ النهى عن قربان المرأة حال حيضها ونفاسها تجنبا للأذى ، وتلافيا لأضرار مؤكدة وفى القرآن الكريم : « ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم اللـه » .

كل هذا وأمثاله يجلو لنا الصورة المثالية لعناية الاسلام بالنظافة ورعايته لأسبابها واهتمامه البالغ بوقاية الناس وعلاجهم عن طريق الطهارة والتطهر والتطهير .

ولعل من مكملات هذه العناية ما شرعه الله تعالى من ألوان المسح التى تنوب عن الغسل فى حالات تعذره ، أو الحرج من استعماله ومن ذلك :

١ ـ المسح على الخفين ، وهو ثابت بالسنة قولا وفعلا ، والخف ، كل ساتر للكعبين متخذ من شيء سميك لا يسمح بتخلل الماء الى الجلد ويستمسك على الساق بصلابته وقوة نسجه سواء كان من جلد أو لباد أو غيرهما وهو رخصة للرجال وللنساء فى السفر وفى الحضر ، ومدته فى الأول ثلاثة أيام بلياليها وفى الثانى يوم وليلة ابتداء من وقت انتقاض الطهارة ولا يشترط العجز عن استعمال الماء بل يمسح على الخفين القادر والمريض على السواء، وهو يحمل معنى الترفيه واليسر وخصوصا فى حالات البرد أو الضعف أو تزاحم الأشغال وضيق الوقت ، روى البخارى عن سعد بن أبى وقاص : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين » وعن المغيرة بن شعبة قال : « كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فأهويت لأنزع خفيه فقال عليه السلام : دعهما فانى أدخلتهما طاهرتين فمسح عليهما » .

٢ ـ المسح على الجبائر وذلك حين تشد الأعواد على العضو المكسور فيكتفى بالمسح مرة واحدة على أكثر الجبيرة لا على كلها على الراجح ، وكذا يكفى المسح على الأجزاء السليمة المربوط عليها أو الظاهرة بين العصائب تبعا للجريحة أو المكسورة اذا كان يشق عليه حلها ولا يتوقف هذا المسح على الجبيرة بوقت مخصوص كما سبق بيانه فى مسح الخفين ، بل هو كالغسل الأصلى تماما ينتقض بنقضه ، ويصح بصحته كما لا يشترط شد الجبيرة على طهارة مسبقة ، ولو سقطت الجبيرة قبل الشفاء أعاد ربطها ولا يعيد المسح عليها ، ولو بدلها بغيرها جاز ولا يكرر مسح الثانية .

ومثل ذلك وضع الدواء أو الأربطة على أى مكان جريح بالجسم حيث يجوز له المسح عليه ، وكذا لو رمدت عينه وضرها الغسل ساغ له المسح عليها .. حتى لو ضره المسح فى كل ذلك تركه وصحت طهارته لمكان الضرورة وفى القرآن الكريم : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

قال المنذرى : صح عن ابن عمر رضى الله عنهما المسح على العصابة موقوفا عليه لا مرفوعا الى رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، وساق بسنده : « ان ابن عمر توضأ وكفه معصوبة فمسح عليها وعلى العصابة، وغسل سوى ذلك » قال الحافظ أبو بكر بن الحسين : الموقوف فى هذا كالمرفوع لأن الأبدال لا تنصب بالرأى ولأن المسح على الجروح والكسور التى يضرها الغسل أولى من المسح على الخفين اللذين لا ضرر فى نزعهما فكان أولى بالمشروعية فيثبت المسح على الخفين بعبارة النص وعلى غيرهما بدلالته ، وقد نقل القدورى فى التجريد : أن الصحيح من مذهب أبى حنيفة أن المسح على الجروح والكسور ليس بفرض •• بل هو أقل من الفرض وغايته اما الوجوب أو الاستحباب وعلى كلا الأمرين فترك المسح لا يفسد الصلاة ، وقد ذكر فى شرح الطحاوى وشرح الزيادات : « أن المسح ليس بفرض عند أبى حنيفة » ومعنى ذلك أن هناك رواية معتمدة(١) عن أبى حنيفة نفسه تتيح للجرحى الذين يعصبون جروحهم أو كسورهم بعصائب فى أماكن الغسل أو الوضوء وكانت أحوالهم لا تسمح لهم بنقض هذه العصائب •• أن يتركوا المسح عليها كلية بعد غسل الأعضاء السليمة وليس من اللازم امرار اليد المبتلة عليها بالماء ، وتصح طهارتهم مع هذا أو عبادتهم ، ووجهة نظر أبى حنيفة فى ذلك : أن العذر قد أسقط الغسل عن المحل وهو الوظيفة الأصلية فى طهارته ، فلا ينتقل الوجوب الى العصابة المربوطة عليه الا بنص آخر قوى يتأتى بمثله الانتقال ، وهذا ما لم يثبت فى مسح الجبائر عند أبى حنيفة •• ولا شك أن الاعتماد على هذه الرواية المنقولة عن أبى حنيفة فيها تيسير وخفة على اخواننا الجرحى من أبطال معركة التحرير والذين تزخر بهم الآن المستشفيات والمنازل ففى وسعهم أن يتطهروا بدون المسح على الأربطة والعصائب التى فوق جروحهم ويؤدوا ما عليهم من فرائض وعبادات « ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » •

---

(١) فتح القدير ج ١ : ١٢٠ .

وبعد .. فمما تقدم تتبلور الحقائق الآتية :

(١) أن النظافة الشخصية عنصر أساسي من عناصر الرعاية الاسلامية للمجتمع الفاضل حتى كانت فرضا من فرائضه ، وشرطا من شرائط صحة العبادات فيه ، بحيث يعاقب المقصر فيها عقاب المذنبين ، ويعذب المهملون فيها بالعذاب الأليم .

(٢) أن من مواطن نيابة المسح عن الغسل استعمال الخفين وربط الضمائد .. والأعصبة فوق الجروح أو القروح أو الكسور وهنا يكتفى بالمسح على الخفين قدر ثلاث أصابع من أصابع اليد ، كما يجزى مسح الجزء الأعظم من هذه الضمائد والأربطة ، وعن أبى حنيفة رأى معتمد بسقوط المسح على هذه العصائب بالمرة ما دام يضره حلها .

(٣) يتسامح فى الأجزاء السليمة التى تكون بين العصائب أو تحت الأربطة ولا يتيسر حلها بسهولة ، وحينئذ يكتفى بالمسح عليها تبعا لما حولها من جروح أو قروح .

(٤) فى امكان الجرحى والمرضى بعيونهم وغيرها أن يأخذوا برواية معتمدة عن أبى حنيفة بترك المسح نهائيا على عصائبهم الى حين البرء والشفاء والاكتفاء بغسل الأجزاء الصحيحة من مواضع الغسل والوضوء وأداء العبادات بعد ذلك بدون اعادة لها أو تنقص من أجرها وهذا أولى بالعمل ، وأدعى لليسر والرحمة الذى يتناسب مع روح الشريعة السمحة ، وأسلوب رسولها الرءوف الرحيم فى شأنه كله فقد روى عن عائشة رضى الله عنها : « أنه صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فاذا كان اثما كان أبعد الناس عنه » ؟

دكتور محمد محمد الشرقاوى

## النظام الإدارى الإسلامى

# النشاط الإدارى الإسلامى ووسائله

للدكتور مصطفى كمال وصفى

( ٣ )

تقـوم الادارة العاملة بما نسميه « بالوظيفة الادارية » (١) .

وهذه الوظيفة هى ادارة المرافق العـامة ، وتنفيـذ القوانين . وكل ما يسنده القـانون للادارة العاملة يكون ضـمن وظيفتها الادارية . وهذه الأمور تدخـل بطبيعتها ضمن المجال الادارى (٢) تقـوم بها الادارة ولو لم تنص القوانين على اسنادها اليها . فذلك هو المعيار العام للوظيفة الادارية ، بحيث يسترشد به كذلك فى حدود مايجوز للادارة وما لايجوز لها عمله . وهـذه الأمور الخارجة عن المجال الادارى بطبيعتها تتطلب تشريعا فى شـكل القـانون ( أى تصدره السلطة التشريعية ) لتنظيمه، ويعهد بها ــ أحيـانا ــ الى القضاء ليتولاها بنفسه أو تحت اشرافه . ولا تجريها الادارة الا بصريح النص الذى يفسر فى هـذه الحالة بأضيق الحدود .

ومثال ذلك : ما يتعلق بالحـرية الشخصيـة ، من أمـور القبـض والتفتيش والحبس وتوقيع العقوبات، فهذه ــ فى النظم الحديثة ــ ينظمها قانون العقـوبات وقوانين خاصة ، ويقـوم قانون الاجراءات الجنائية بتنظيم اجراءاتها . ويعهـد القانون فى ذلك الى السلطة القضائية ، أى النيابة العامة والقضاء ، وتستعين هذه السلطة بعاملين ــ من غير الترتيب القضائى فى الأصل ــ ولكن تسبغ عليهم صـفة قضائية بنص صريح فى القـانون ويسمون اذن بالضـبطية

(1) le fonction administrative.

(2) le domaine administratif.

القضائية (١) كبعض رجال البوليس وبعض مفتشى الضبط الادارى ممن ينيط بهم القانون سلطة تفتيش الأماكن ( كالمحلات العمومية ) وتحرير المحاضر للمخالفين، وموظفى الجمارك ونحو أولئك .

ومثاله أيضا : ما يتعلق بالذمم المالية الفردية ، أى بالديون والملكية وسائر الحقوق العينية ، فهذه يناط تنظيمها أساسا بالقانونين : المدنى والتجارى وبعض القوانين الخاصة ، ويناط تنفيذها بالسلطة القضائية ، أى للمحاكم ولأجهزتها من المحضرين وغيرهم . ويقوم موثقو الشهر العقارى ومأموريه بأعمال التوثيق والحفظ والتسجيل والاشهار ، وكذا من يقابلهم بالنسبة للملكيات الصناعية والتجارية ونحوها . والادارة معزولة تماما عن التدخل فى هذه الأمور — الا بنص صريح — لخروجها عن المجال الادارى .

ومنه أيضا : ما يتعلق بالأحوال الشخصية ، من زواج وفراق وما يتعلق بأحوال ناقصى الاهلية ، فهو على ما تقدم من استبعاده عن المجال الادارى واخضاعه للترتيبين التشريعى والقضائى .

ولكن الملحوظ أن الادارة — فى قيامها بوظيفتها الادارية — لاتلتزم حدود الأعمال التى تعتبر ادارته بطبيعتها ، وهى الأعمال التى تقوم على انشاء مركز قانونى لفرد من الأفراد، أو القيام بعمل تنفيذى بحت لا يسمو الى مرتبة التصرفات القانونية (٢) . بل هى تقوم أيضا بأعمال ذات طبيعة تشريعية ، وذلك بسن اللوائح ، وأخرى ذات طبيعة قضائية ، بالفصل فى الخصومات فصلا كاشفا أو مقررا بانزال القانون على الوقائع المعروضة، وهو عمل تقوم به العديد من اللجان القضائية ذات الاختصاص القضائى كلجان فض المنازعات بين الأفراد ، أو النظر فى المهربات الجمركية أو غيرها . وبذلك فان التطابق ليس كاملا

(1) police judiciare.

(٢) acte juridique — وهذه الأعمال تتطلب ارادة منشئة ، ومحلا وسببا ، وأما الأعمال التنفيذية المحضة فانها — وان كانت ارادية — الا أن الارادة فيها ليست منشئة . وكذا ليس لها سبب خاص سوى مجرد التنفيذ المادى للقانون .

بين الفصل بين السلطات (١) وبين الوظيفة التى تمارسها هذه السلطات فالسلطة التشريعية ( مجلس الشعب ونحوه ) تقوم بأعمال ذات طبيعة ادارية – ولو صدرت فى شكل القانون – كاصدار قوانين العفو الشامل فى حالات فردية ، ومنح تراخيص استغلال الثروة القومية – فى بعض الدساتير – والاحتكارات . كما تقوم أحيانا بأعمال ذات طبيعة قضائية كالفصل فى طعون الانتخابات ومحاكمة الوزراء والفصل بين بعض القضايا المعينة فى بعض النظم ، كاختصاص مجلس اللوردات الانجليزى أو مجلس الشيوخ الفرنسى فى أمور معينة . وكذا تقوم المحاكم ببعض الأعمال الادارية – المسماة بالأعمال الولائية – كتعيين الأوصياء والقامة والأمر ببيع العقار الموقوف وادارة التفليسات وهى لاتعتبر – بطبيعتها – أعمالا قضائية فى موضوعهالأنها ليست فصلافىخصومات معروضة .

وفى النظام الاسلامى ، تشمل الوظيفة الادارية – فى الأصل – كل ما يتطلبه تطبيق الشريعة الاسلامية . ولم يقم هذا السياج المانع بشكل أصولى الا فيما بين الوظيفة التشريعية من ناحية الوظيفتين : القضائية والادارية .

نعم ، قام على مر الايام عمل شبه مستقر – وليس على تمام التأكيد – يفصل بين العمل القضائى والعمل التنفيذى (٢). فكانت هناك أمور يقوم

(١) séparation des pounoires.

(٢) عرض بعض الفقهاء للتفريق بين ما يعتبره قضاء وما يعتبره من اعمال الامامة والسياسة ، وذلك كالامام القرافى فى الفروق . وكذا فنصادف فى بعض المذاهب اقوالا توصل اساس وظيفة القاضى وما يجوز له ، ومن ذلك تعريف القضاء وتحديد اعماله – كما بينها الامام الدردير المالكى فى الشرح الصغير – بأنه : « حكم حاكم أو محكم فى أمر ثبت عنده ، كدين ، وحبس وقتل وجرح وضرب وسب وترك صلاة ونحوها وقذف وشرب وزنا وسرقة وغصب ، وعدالة وضدها وذكورة وانوثة وموت وحياة وجنون وعقل وسفه ورشد وصغر وكبر ونكاح وطلاق ونحو ذلك ، ليرتب على ما ثبت عنده مقتضاه أو حكمه بذلك المقتضى » فهذه الأمور تكاد تتطابق مع ما بيناه فى تحديد العمل الادارى ومجاله ، فبين اختصاص القاضى بالمسائل المدنية وهى الديون ، ثم المسائل الجنائية وهى الحبس والقتل وما بعده ، ثم بمسائل الأحوال الشخصية من عدالة وذكورة وما بعدها ، وكثيرا ما نراه يفصل بأن ذلك من اختصاص القاضى بطبيعته فلا يعرض له الولاة ، أو أن هذا من أمور الولاة فلا يطرح على القاضى .

القاضى وأخرى يقوم بها الوالى ولكن هذا العمل ـ خاصة بين حدوده الباهتة المتداخلة ـ يعتمد على شخصية القاضى أو الوالى وتكييفه لحدود اختصاصه • وسبب ذلك أن الولايات كلها تنبع من الامام ، وهو يفوض فيها • وليس ذلك صوريا كما فى النظام الحديث،بل فعليا ، لأن الأصل أن الامام يجلس بنفسه للحكم فى القضايا ، كما يقوم بكل أعمال السياسة والادارة وبذلك فلم يقم فصل حدى بين الادارة والقضاء فى الاسلام •

وليس الفصل التام بين القضاء والادارة مثاليا كما قدمنا ، فان كلا العملين تنفيذى بالنسبة للعمل التشريعى • فالقضاء رهين فى تحديد اختصاصه وترتيبه وتنظيمه بالقانون • وليس عمله فى الحقيقة الا تطبيق القانون ، كما رأينا أن القضاء يقوم بأعمال ولائية ، والادارة تقوم بأعمال قضائية ، وليس ثمة مصلحة فى الزام الادارة أدنى مدارك سوء الظن بها ، بل الأولى رفعها الى مرتبة يؤنس فيها بأن تقوم بمختلف الأعمال ، خاصة وأن الشريعة الاسلامية تتطلب فى العامل أعلى شروط العلم مما لا يكاد يفترق فيه ـ أحيانا ـ عن القضاء • فيجب أن يكون للادارى ضمانة القاضى وأن يكون عدلا نزيها فى عمله • فالتمييز بينهما غير سليم والأولى رفعهما الى مكانة واحدة •وقد عمدت النظم الحديثة الى الحد منه، والنظر اليه كتوزيع فى الاختصاص ، وليس فصلا بين السلطات • ولذلك ، فمع عدم منافاته لأصول الشريعة الاسلامية ، ومع

---

= وبين الامام ابن القيم الجوزية فى كتابه الطرق الحكمية ( المرجع السابق ص ٢٣٧ ) القاضى او الحاكم هو الذى يتولى الفصل فى الخصومات واثبات الحقوق والحكم فى الفروج والانكحة والطلاق والنفقات وصحة العقود وبطلانها ، تقول : وتوقيع الحد والتعزير ، وان كان يشاركه فى الأخيرة غيره . وبين فى (صفحة ٢٣٩) أنه ليس لذلك حد فى الشرع ، فقد يدخل فى ولاية القضاء فى بعض الأزمنة والأمكنة ما يدخل فى غيرها وبالعكس ، وكذا الحسبة وولاية المال وغيرها من الولايات . وضرب لذلك مثلا من أن ولاية الحرب فى زمنه فى البلاد الشامية والمصرية وما جاورها تختص باقامة الحدود من قتل وقطع وجلد كما يدخل فيها الحكم فى دعاوى التهم التى ليس فيها شهود ولا اقرار ، وفى بلاد أخرى كالمغرب ليس لوالى الحرب من ذلك شيء بل هو الى القاضى .

**اتجاه بعض الأقوال اليـــه فى بعض الأمور ، الا المصلحة فيه بقدر ، وليست الى ذلك الحد الذى يجعل منه أصـلا دستوريا مانعا .**

وبذلك ، فان من عمل الادارة فى النظام الاسـلامى أن تطبق الشريعة الاسلامية على أوسع مايحمله هذاالمعنى من نطاق ، سواء بانشاء المراكز للأفراد باصدار الأوامر الملزمة لهم أو بغيره كمنـح المزايا أو تغيير الوصـف أو تقييـده ، أو كان باصـدار القـواعد التنظيمية اللازمة لتطبيق الشريعة وهى تكون بمثابة اللوائح التنفيذية اللازمة لها فتتقيد بأصول الشريعة وما هو مقرر فيهـا ، وليس ما تســـميه باللوائح التفويضية ، اذ ليس لهذا النوع محل فى الاسلام ، لأن السلطة التشريعيـة لله سبحانه وتعالى كاملة فلم يبق بعدها ما يصح التفويض فيه . أو كان من قبيل ما يسمى بلوائح ( البوليس ) أو الضبـط الادارى ، فهى مشروعة فى الاسلام لأنها لازمة لتطبيقه وتحقيقه ، فان المحـــافظة على الأمن والسـكينة والصحة العامة،ونحو ذلك من المصالح الشرعية المعتبرة فيجوز وضع اللوائح اللازمة لضبطها .

وكذا يصح أن يكون عمل الادارة تنفيذا ماديا ، سواء كان ذلك متعلقـــا بالحرية الشخصية،كالقبض والاحضار والتفتيش ونحوه،أو لم يكن كالاستيلاء الجبرى فى الأحوال الجـائزة وهدم العقارات المحلة أو التى يخالف قيامها أصول الاسلام ، كبنـاء يجرح عورة الجـــار أو كعلو الذمى على المسلم ونحو ذلك .

ولا يمتنع أن تقوم السلطة الادارية باصدار الأحكام فى منازعات قضائية : أى بتطبيق حكم الشريعة الاسلاميـة على منـازعة معروضـة نقطع الخلاف فيها ، وذلك ما لم ينه العمال عن ذلك ويصدر من الامام أو من له السلطـة أمرا بذلك . فانه ان منع جاز ونفذ أمره ، لأنه لمصلحة شرعيـة ، وأمر أولى الأمر نافذ فى حدود ما يجوز شرعا لقوله تعالى: « أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » فلا بأس أن يصـــدر الامـام أمرا يحـدد به اختصاص القضاة ويمنع الولاة والأمراء والعمـــال من تجاوزه . ومؤدى ذلك أنه يجوز للامام نفسه ولمن ينوب عنه أن يباشر القضاء والمظالم فى أى وقت وأى مكان . ولا يبطل عمله لذلك، لأنه ليس ثمة يد فوق يده تنهـــاه

وقد أجازه له الله سبحانه وتعالى . فان منع نفسه ، ثم عرض ، فالظاهر عندى أنه يصح قضاؤه بشروطه ، لأنه يجوز له أن ينقض ما أبرم من الأوامر ، وان كان هناك محل للقول بأن أمره التنظيمى العام أقوى من أمره الفردى فلا يمنع نفسه عامة ثم يعرض للفصل فى حالة بعينها . وانما يكون فصله فى احدى القضايا الغاء لعموم أمره السابق بعدم الفصل والله أعلم .

وبذلك فان النشاط الادارى يشمل ـ بصفة عامة ـ جميع أوجه اقامة المصالح وجلبها ، ومنع المفاسد ودرئها، وذلك سواء بالأعمال ذات الطبيعة التشريعية ـ وهى اللوائح الفرعية ـ أو بالأعمال ذات الطبيعة القضائية وهى الفصل بين الخصومات فى الحدود السابقة أو بالأعمال الادارية المحضة كما بينا ولو مست الحرية والملكية ، ما لم يقيد .

وقد جاء فى الطرق الحكمية لابن القيم(١) أن الولايات الاسلامية مشتقة من أصلين أحدهما : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والآخر : اقامة الشهادات واثباتها . ولو نظرنا لهذا القول لوجدناه جامعا .ففى الواقع فان ولاية الجهاد هى أمر بالمعروف ونهى عن المنكر لما فيه من دعوة للاسلام ونهى عن الكفر . وولاية الحج أمر بالمعروف لأنها اقامة لفرض أو سنة وحفظ أموال بيت المال وتوزيعها أمر بالمعروف كذلك ونهى عن المنكر لما فيه من جلب المصالح ودرء المفاسد وهكذا فى أكثر الولايات.وأما مايعتبر من قبيل الشهادة : فهو أعمال التوثيق والتسجيل والاشهار ونحو ذلك مما يتطلب تحرير المحاضر الرسمية وحفظها وغير ذلك . وليس فى ذهنى شىء خرج عن الأصلين . فلا بأس بقوله رضى الله عنه وأرضاه ؟

**دكتور مصطفى كمال وصفى**

---

(١) طبعة السنة المحمدية سنة ١٩٥٣ صفحة ٢٣٨

# العربية لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ علي عبد العظيم

## ( ١٧ )

## فريضة إسلامية

---

بعث الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، فقد أعده الله دينا للبشرية جمعاء ؛ ولهذا أنزل كتابه الكريم ـ لا لهداية العرب وحدهم ـ وانما لهداية الناس أجمعين : « كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور » ولهذا كانت دعوة الرسول عامة شاملة : « قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » فان الله رب العالمين أرسله ليكون نذيرا للعالمين « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » .

وقد اقتضت حكمته أن تكون لغة كتابه الكريم ودينه القويم هى اللغة العربية ، وكان من الممكن أن تكون لغته هى اللاتينية ، وكانت منتشرة فى أنحاء أوربا يتحدث بها مئات الملايين فى حوض البحر الأبيض المتوسط من رعايا الدولة الرومانية القوية وأتباعها ، كما كان من الممكن أن تكون لغة القرآن هى الفارسية ويتحدث بها مئات الملايين فى الامبراطورية الفارسية القوية وما حولها فى ربوع آسيا وكان من الممكن أن يكون الرسول رومانيا أو فارسيا ، ولكن الله سبحانه اختار لأداء رسالته رجلا أميا عربيا علمه ما لم يكن يعلم وأدبه فأحسن تأديبه وهذبه فأحسن تهذيبه ، وجعله أستاذا للبشرية كلها فى جميع العصور ؛ كما اختار لأداء كتابه الكريم لغة أمة فقيرة ضعيفة متخلفة ، ولكنه أمدها من فضله وعظمته وقدرته بما جعلها قوية كل القوة نامية كل النماء ثرية كل الثراء ، وذلك لتتحقق معجزته الخالدة ، ولتكون حجته العظمى على العالمين : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ولقد كان الرسل ـ قبل محمد صلى الله عليه وسلم ـ يحمل كل منهم رسالة

خاصة الى شعب خاص به فى بقعة معينة ، فكان يؤدى رسالته بلغة هؤلاء القوم ، أما رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فهى عامة للناس أجمعين ، وقد أعد الله العربية لتكون حاملة رسالته العالمية الى العالمين ؟ ولهذا كان قوم محمد صلى الله عليه وسلم هم البشر أجمعون ، قال تعالى : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » . فاذا كانت عاد هى قوم هود ، وثمود هم قوم صالح ، فان البشر أجمعين هم قوم محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ومن هنا نفهم تنبيه القرآن الكريم فى كثير من آياته البينات الى أنه قرآن عربى مبين ، قال تعالى : « انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » وقد بعث الله رسوله ليكون للعالمين نذيرا وجعل انذاره للعالمين باللغة العربية المبينة ، قال تعالى : «نزل به الروح الأمين • على قلبك لتكون من المنذرين • بلسان عربى مبين » وقد وصف الله كتابه بالابانة : « تلك آيات الكتاب المبين • انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » كما وصفه بأنه « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » ثم وصفه بأنه فى قضائه الأزلى على حكيم : «انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون • وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم » وقد أنزله الى الناس جميعا ليخرجهم من الظلمات الى النور وجعله « هدى وبشرى للمسلمين » جميعهم وليس للعرب وحدهم ، كما جعله « شفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين » كما أقسم به سبحانه فى أكثر من آية فقال : « يس والقرآن الحكيم » وقال تعالى : « ص والقرآن ذى الذكر » وقال جل شأنه « ق والقرآن المجيد » ووصفه سبحانه بأنه « مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » وأنه لو نزل على جبل لخشع هذا الجبل وتصدع من خشية الله : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله » .

ووصفه الله بأنه عربى فى عشر آيات بينات لعل سامعيه « يتقون » ولعلهم « يعلمون » ولينذر به « الذين ظلموا » وليجعله « هدى وبشرى للمسلمين » ومن هنا كانت اللغة العربية لغة الاعجاز القرآنى الكريم دون غيرها من اللغات ؟ ولهذا كان تعلمها فرضا على جميع المسلمين لأنها لغة دينهم القويم وكتابهم الكريم .

ولقد التزم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون : «من المنذرين • بلسان

عربى مبين »التزم هذا مع العرب ومع غيرهم من الأعجمين فقد أرسل الرسائل باللغة العربيـة الى كسرى امبراطور الفرس والى قيصر امبراطور الروم والى النجاشى عاهل الحبشـة والى المقوقس حاكم مصر ؛ وكان من الممكن أن يأمر بترجمة رسـائله الى لغـات هؤلاء القوم فقد كان بين أتباعه الأولين من يتقن هـذه اللغـات مثل سـلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى ولكن الله سبحانه أعده ليكون : « من المنذرين • بلسان عربى مبين » •

ومن هنا أفتى جمهرة العلماء والفقهاء بأن تعلم العربيـة فرض على جميع المسلمين على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم، فان الصلاة ركن أساسى من أركان الاسلام ، ولا يمكن أداؤها الا بتلاوة القرآن ، وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب الأداء ، ولا نستطيع أن نسمى تفسير القرآن أو ترجمته قرآنا •

قال الامام الشافعى رضى الله عنه فى « الرسالة » ص ٣١ : « على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به ألا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله ، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير ، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك ، وما ازداد من العلم باللسان الذى جعله الله لسان من ختم به نبوته ، وأنزل به آخر كتبه كان خيرا له ؛ كما عليه أن يتعلم الصلاة والذكر فيها ، وأن يأتى البيت وما أمر باتيانه ، ويتوجه لما وجه له ، ويكون تبعا فيما افترض عليه وندب اليه لا متبوعا •••• » ثم أشار الى أن النصيحة مفروضـة على المسلمين جميعا وأن النصيحة قائمة على القرآن الكريم باللسان العربى المبين ، فقـال : « فكان تنبيه العـامة على أن القرآن نزل بلسـان العرب خاصـة نصـيحة للمسلمين ، والنصـيحة لهم فرض لا ينبغى تركه ، وادراك نافلة خير ( أى غنيمة خير ) لا يدعها الا من سفه نفسه وترك موضـع حظه وكان يجمع مع النصيحة لهم قياما بايضـاح حق ، وكان القيـام بالحق ونصيحة المسلمين من طـاعة الله ؛ وطـاعة الله جامعة للخير ••• عن تميم الدارى أن النبى صـلى الله عليـه وسلم قال : ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ، ان الدين النصـيحة : لله ولكتابه ولنبيه ولأئمـة المسـلمين وعامتهم ) » ولم يخالف أحد من الفقهاء الامام الشافعى رضى الله عنه ، وقد أفاض الشاطبى

فى كتابيه « الموافقات » و « الاعتصام » فى الاحتجاج لرأى الامام •

ولا عجب فى هـذا فان الاسـلام حرص على الغاء العصبية اللغوية كما حرص على القضـاء على العصبية الجنسية ؛ ولقد كان العرب يعتزون بعصبيتهم الجنسية تعصبا كبيرا كما كانوا يعتزون بعصبيتهم اللغـوية ويسمون غيرهم من الأمم أعاجم تشبيها لهم بالحيوان الأعجم الذى لا يسـتطيع الكلام •

روى السلفى عن النبى صـلى الله عليه وسلم أنه قال : « أيها الناس ان الرب رب واحد ، والأب أب واحد ، والدين دين واحد وان العربية ليست لأحدكم بأب ولا أم انما هى لسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى » وروى أبو داود عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : « ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » فالاسلام دين الجميع ، والعربية لغة الجميع ، قال صـلى الله عليـه وسـلم ـ فيما رواه أبو طاهر السلفى عن الحسين بن على « من ولد فى الاسـلام فهو عربى » وروى عن أبى هريرة يرفعـه « من تكلم بالعربية فهو عربى » وروى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم « من يحسن أن يتكلم بالعربيـة فلا يتكلم بالعجمية فانه يورث النفـاق » وفى رواية أخرى « من كان يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالفارسية فانه يورث النفـاق » وفى هـذا بلاغ لبعض المثقفين الذى يحشون كلامهم باللغـات الأجنبية دون مبرر الا أنهم يحقرون العربيـة ويتشـدقون بغيرها للتباهى والافتخار ، قل شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم» ص٢٠٦ : «أما اعتيادالخطاب بغير العربية التى هى شعار الاسـلام ولغـة القرآن حتى يصـير ذلك عادة للمصر وأهله ، ولأهل الدار، وللرجل مع صـاحبه ، أو لأهل السـوق ، أو للأمراء أو لأهل الديوان ، أو لأهل الفقه فلا ريب أن هذا مكروه فانه من التشـبه بالأعاجم وهو مكروه » ثم يقول ص ٢٠٧ : « ان نفس اللغـة العربيـة من الدين ومعرفتها فرض واجب ، فان فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم الا بفهم اللغـة العربيـة ، وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب »•

ولهذا أوصى عمر أبا موسى الأشعرى فى رسالته اليه يقول : « أما بعـد ،

فتفقهوا فى السنة ، وتفقهوا فى العربية وأعربوا القرآن فانه عربى » وفى كلام آخر لعمر : « تعلموا العربية فانها من دينكم » وقال عطاء : « لا تتعلموا رطانة الأعاجم ، ولا تدخلوا عليهم كنائسهم فان السخط ينزل عليهم » وقال الامام الشافعى : « ان اللسان الذى اختاره الله عز وجل لسان العرب فأنزل به كتابه العزيز وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم وبهذا نقول : ينبغى لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها لأنها اللسان الأولى بأن يكون مرغوبا فيه من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بالعجمية » وهو على حق فى هذا فان اختيار لغة عالمية لا يمنع أن يكون لكل شعب لغته الخاصة به التى يستعملها فى شئونه الخاصة لأن هذا أمر فطرى يقتضيه اختلاف البيئات والظروف والأحوال ، على أن تكون اللغة العالمية أداة تسجيل المعاهدات الدولية والثقافة الانسانية العامة والكشوف العلمية الهامة .

قال ابن تيمية فى كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٦ : « كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر ولغة أهلهما رومية ، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلهما فارسية ، وأرض المغرب ولغة أهلها بربرية عودوا أهل هذه البلاد العربية حتى غلبت على أهل هذه الأمصار مسلمهم وكافرهم ، وهكذا كانت خراسان قديما » .

ربما يقول قائل : ان الغالب المنتصر يفرض لغته فرضا ، ولكننا نقول ان الغالب دالت دولته . ومع هذا ظلت اللغة العربية هى لغة غالبية الشعوب الاسلامية على اختلاف جنسياتها حيث قضت العربية على القبطية واللاتينية بمصر وعلى البربرية فى شمال أفريقيا، وعلى السريانية والعبرية فى ربوع الشام ؛ ولا تزال العربية منتشرة فى أنحاء العالم مؤثرة فى اللغات الأخرى بمفرداتها وأساليبها وخطها العربى كما فى الفارسية والأردية ولغة البوشتو فى أفغانستان ولا تزال دراستها حية قائمة بين المهاجرين فى ربوع أمريكا اللاتينية وأمريكا الشمالية ، وبها تصدر الصحف وتتوالى الكتب والمطبوعات . فضلا عن قيام أقسام عربية فى جميع جامعات العالم فى الشرق والغرب على السواء .

والفقهاء قديما وحديثا مجمعون على أن تعلم العربية فرض على المسلمين جميعا ، قال الامام رشيد رضا فى تفسير المنار ج ٩ ص ٢٩٣ : « مما

يدخل فى بحث اتباعه صلوات الله وسلامه عليه تعلم لغته التى هى لغة الكتاب الالهى الذى أوحاه الله تعالى اليه ، وأمر جميع من اتبعه ودان بدينه أن يتعبده به ، وأن يتلوه فى الصلاة وغير الصلاة مع التدبر والتأمل فى معانيه ، وذلك يتوقف على اتقان لغته ، وهى العربية فالمسلمون يبلغون الدعوة لكل قوم بلغتهم حتى اذا ما هدى الله من شاء منهم ودخل فى الاسلام علموه أحكامه ولغتـه ، وكذلك كان يفعل الخلفاء الفاتحون .. » ثم نقل آراء الشافعى فى « الرسالة » وعقب على ذلك بقوله : « هـذا ما قاله الامام الشافعى فى رسالة الأصول الشهيرة ولاتحسبن أن هذا (فرضه تعلم العربية على المسلمين جميعا ) مذهب له خالفه فيه غيره من أئمة المسلمين ؟ كلا انه اجماع لا خلاف فيه وقد اشتهرت رسالته هذه فى جميع أقطار الاسلام ، وقد خالفه بعض المجتهدين فى بعض مسائل الأصول دون هذه المسألة فلم يخالفه ولم يناقشه أحد فيها ولا فيما أورده من الأدلة عليها وأوضح الأدلة على هـذا اجماع المسلمين سلفا على التعبد بتلاوة القرآن العربى . وأذكار الصلاة والحج وغيرها بالعربيـة ، لم يشـذ عن هـذا سنى ولا شيعى ولا اباضى ولا خارجى ولا معتزلى ..

* *

ولقـد ذهب بعض الباحثين الى أن ترجمـة القرآن الكريم الى اللغات الأجنبيـة تحمل الى الأجانب الدعوة الاسلامية ؟ وموضوع هذه الترجمـة كان مثار دراسـات عديدة قديمـة وحديثـة ، فـذهب جمهرة القـدماء والمحـدثين الى أن ترجمـة القرآن الكريم ليست فى حيز الامكان . لأن فى القرآن محكما ومتشابها ؟ والمتشابه لا سبيل الى ترجمتـه لاختلاف العقول فى فهم المراد منه ، ولكل وجهـة هو موليها؟وأما المحكم فاذا أمكن ترجمة بعضه فانه لا يمكن ترجمة نظمـه المعجز وأسلوبه الرائع ، وقد تحدى القـرآن النـاس جميعـا أن يأتـوا بسورة من مثله ـ ومن السور قصار لا تتجاوز ثلاث آيات قصـار ـ كما تحـدى الانس والجن أن يأتـوا بمثـله ولو كان بعضـهم لبعض ظهيرا ، وقد أفاض الفخـر الرازى من القدماء فى منع جواز الترجمـة فى تفسيره لسورة الفاتحـة ، كما أفاض فى هذا من المتحدثين الشيخ

رشيد رضا فى الجزء التاسع من تفسير المنار ، ونستطيع أن نضيف الى ما ذكروه اننا نتحدى أى باحث عربى أن يترجم بعض الآيات من العربية الى العربية ومن أسلوبها القرآنى الى الأسلوب العربى غير القرآنى ، وذلك مثل صفات الله تعالى أو الاقسام المتوالية فى أوائل السور الكريمة مثل قوله تعالى : « والنازعات غرقا • والناشطات نشطا • والسابحات سبحا • فالسابقات سبقا • فالمدبرات أمرا • يوم ترتجف الراجفة • تتبعها الرادفة » ثم ماذا يقول المترجم فى قوله تعالى : « نسوا الله فنسيهم » وقوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » وقوله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » •

ولهذا منع الامام الغزالى ترجمة القرآن الكريم فى كتابه القيم « الجام العوام عن علم الكلام » ـ أما ترجمة ما يفهمه الشراح من معانى القرآن الكريم فهو ترجمة لتفسير القرآن الكريم ولا مانع منه مع النص على أنه ترجمة لشرح القرآن لا للقرآن وهذا الشرح يتحمل أصحابه ما يقع فيه من أخطاء ويقرأ القارىء هذه الترجمة على أنه مجرد شرح من شروح القرآن الكريم •

أما ما نسب الى الامام أبى حنيفة من جواز الصلاة بالفارسية فقد خالفه فيه الأئمة الآخرون ، كما خالفه فيه أئمة مذهبه ، وذكر الثقات أنه رجع عن رأيه « راجع تفسير الآلوسى ج ١٩ ص ١١٣ » ، وقد أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر قرارا بمنع ترجمة القرآن الكريم نشرته مجلة الأزهر فى الجزء الأول من المجلد السابع جاء فيه : « أجمع علماء المسلمين سلفا وخلفا على أن كل تصرف فى القرآن الكريم يؤدى الى تحريف فى لفظه أو تغيير فى معناه ممنوع منعا باتا ومحرم تحريما قاطعا ••• » وحسبنا ما ذكره ابن خزيمة فى صحيحه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل » ؟

**على عبد العظيم**

# منهج التربية فى الإسلام

للأستاذ على القاضى

رسم الاسلام للتربية منهاجا متكاملا يتناول الانسان من جميع نواحيه بحيث لوطبق تطبيقا سليما • لخرج للمجتمع الاسلامى المسلم المتكامل السوى الذى يستطيع أن يحقق هدف الاسلام من التربية ؛ ذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الانسان ، فهو أعلم به وباحتياجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية وهو الذى أرسل رسوله الكريم بمنهج التربية المتكامل الذى عنى بجسم المسلم ، كما عنى بروحه وعقله مراعيا فى كل ذلك استعداداته وخصائصه واحتياجاته •

والانسان خلقه الله سبحانه وتعالى ليكون خليفة له فى الأرض يقوم بتعميرها ونشر الأمن والعدل والسلام فيها ( واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ) ولذلك فقد كان أساس التربية الاسلامية دوام صلة المسلم بالله سبحانه وتعالى وكان المسلم القريب الى الله ليس هو صاحب المال ولا صاحب الشرف ولا صاحب المنصب بل كان هو الذى يسير على المنهج الذى أراده الله سبحانه وتعالى ( ان أكرمكم عند الله أتقاكم )•

والانسان مزيج من الماديات والمعنويات واستخدام الانسان لطاقاته كلها يحدث توازنا بين مادياته ومعنوياته ؛ ذلك لأن طغيان ناحية على ناحية يحدث أنواعا من الشذوذ على النحو الذى نراه فى المجتمعات الحديثة • فالتربية المتوازنة من الخصائص الواضحة فى منهج التربية الاسلامية •

ولقد عنى الاسلام بالطفل المسلم عناية كبيرة من قبل أن يولد وذلك باعداد البيئة المناسبة التى يتكون فيها ويتربى بين أحضانها ،تلك هى البيئة التى تعنى به وتهيئه ليكون فردا سويا قائما بواجبه نحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه ونحو البشرية ونحو ربه الذى خلقه ، وبذلك يستشعر الرضا والسعادة ؛ فاشترط فى اختيار الوالدين الدين ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام فى اختيار الزوج : ( اذا جاءكم من ترضون

خلقه ودينه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ) •

وقال فى اختيار الزوجة : ( تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينهـــا فاظفر بذات الدين تربت يداك ) •

فى هذه البيئة الصالحة ينشأ الطفل ويتربى على الأساس الذى رسمـــه الاسلام : يتربى جسمه وتتربى روحه ويتربى عقله •

**تربية الجسم فى الاسلام :**

لكى يؤدى المسلم وظيفته فى هذه الحياة لا بد وأن تكون صحته سليمة وعضلاته قوية وحواسه تؤدى وظيفتها على أكمل الوجوه بحيث يؤدى كل عضو من أعضاء الجسم وظيفتهوبحيث يكون هناك تناسق بين ذلك كله يؤدى الى حيوية الجسم والى طاقته الفعالة والى الاستفادة من ذلك كله والا فما فائدة الحواس اذا لم ينتفع الانسـان بها الانتفاع السليم الذى يميزه عن غيره من الكائنات ؟ ما فائدة العين اذا كانت لا ترى الحقائق التى أمامهـــا وما فائدة الاذن اذا كانت لا تسمع ، مايفيدها فى حياتهاوفىآخرتها ولذلك نعى القرآن الكريم على هؤلاء الذين ( لهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ) وقال عنهم ( أولئك كالأنعام بل هم أضل ) •

والاسلام يريد أجساما قوية يمكن أن تؤدى واجبها فى المجتمعالاسلامى ولذلك كان المؤمن القوى خيرا واحب الى الله منالمؤمن الضعيف،كما يقول النبى عليه الصلاة والسلام ؛ ولذلك فقد أباح الطعـام وبين المنهج الذى يسير عليه الاســـلام فى هذا بحيث يستفيد الجسم منه الفائدة الـــكاملة وبحيث لا يزيد عن حاجته فينتج منه الضرر ، فالغذاء وسيلة لا غاية ، وسيلة تنبه المسلمين الى العناية بالأساليب التى تقوى الجسم وتهىء المسلم لرسالته كالسباحة والمصارعة والفروســـية ، وطلب أن يتعـود الانسان الخشونة « اخشوشنوا فان النعيم لا يدوم » • كما أن الاسلاموجه ويريد أيضا ذرية صالحة تؤدى وظيفتها فى هذه الحياة فنظم الجنس لتكون ممارســـته فى الحدود التى رســـمها الاسلام حتى يضمن النظافة والاعتدال •

ذلك لأن الانسان أفضل مخلوقات الله سبحانه وتعالى وقد كرمه ربه فبين له كيف يرتقى بطاقاته كلها ويوفرها لأداء رسالته فى هذه الحياة وعمـل على حفظها من الهبوط والانطلاق فى

ملذات الحيـــاة ، فان ذلك يستنفد الطاقة ولا يترك رصيدا للقوة ، التى يؤدى بها المسلم رسالته فى هذه الحياة .

ومن هنـــا فقد عمل الاسلام على تربية القوة الضابطة فى المسلم وتنميتها منذ الصغر - والصيام مثل واضح لوسيلة من وسائل الضبط التربوية التى شرعها الاســلام ، فالمسلم الذى يمتنع مختارا عن كثير من لذائذ الحياة المباحة يتعود على الارتفاع عن رغبات نفســه فيحقق بذلك كيـانه وقوته وذاته ولا يصبح انسـانا بغير قوة أو ارادة أو يفقد كيانه فى ناحيـــة من النواحى التى لا يستطيع أن يتغلب فيها على نفسه وذلك مالا يرضـــاه الاسلام لفرد من أفراده .

والاسلام لا يترك قلب المســلم يعيش فى فراغ بل يربطه بالله سبحانه وتعالى وذلك بمراقبتــه فى كل عمل من أعماله يربطه بتقواه التى يتسع معناها فتشمل كل شىء يقوم الانسان بعمله .

كما يربطه باليوم الآخر الذى فيه الجزاء الأوفى ذلك لأن الانسان اذا أحس بأن الحياة الدنيا هى الفرصـة الوحيدة له انطلق ينهل من لذائذها قبل فوات الأوان والا فانه قد خسر بذلك كل شىء .

لكن الاسلام يبين للناس أن الحياة الدنيا فانية وأن متاعها قليل ( قل متاع الدنيـا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ) .

**تربية الروح :**

نعنى بالتربيـة الروحيـــة طريق التعرف على الله سبحانه وتعالى والاتصال به لتحقيق هدف الانسان فى الأرض فالله خلق الجن والانس لعبـــادته والطريق الذى رسمه الاســلام كله عبادة ... عبادة لا تكون مظهرا من المظاهر بل لا بد وأن تكون عميقـة ذات أثر واضح فى حياة الانسان وفى سلوكه فتكون قائمة على أساس ايجاد الصلة القوية بين القلب البشرى وبين الله سبحانه وتعالى ، قائمة على خطـة سـلوك وعمل وفـكر وشعور بحيث تدفع القلب البشرى الى الرجوع الى الله فى كل لحظة وهذا هو الضمان للمسلم فى عقد هذه الصلة .

وعبادة المسلم معناها أن يسير فى الطريق الذى رسمه الاسلام فالقلب يحمل شحنة قوية من الايمان والصلة بالله تدفعه الى العمل الايجابى الذى يريده الاسلام ، وكل عمل فى حياة المسلم يمكن أن يكون عبادة مادام قد

نوى ذلك ( انما الأعمال بالنيـــات ) فالجهاد عبادة والسعى على العيال عبادة ومساعدة المحتاج عبادة وآداء الواجب عبادة وحتى الشهوة التى يضعهـــا الانسان فى حلال عبادة .

والروح هى الطاقة التى يتصـــل الانســـان بها بالغيب المحجوب عن الحواس . ووظيفتهـا الاتصـال بالله سبحانه وتعـــالى فهى قبس من الله عزوجل ( فاذا سويته ونفخت فيـــه من روحى فقعوا له ساجدين ) .

وطـاقة الروح لذلك كانت أكبر طاقات الانسان التى تؤثر فى سلوك الفرد كما تؤثر فى سلوك المجتمـع ولذلك فقد عنى الاسلام بتربيتهـــا بطريقة فريدة وذلك بعقـد الصـلة الدائمة بين الروح وبين الله سبحانه وتعالى ؛ بحيث يجعل هذه الصلة فى كل لحظة وفى كل عمل من الأعمال التى يقوم بها الانسان فى حدود طاقاته وامـكاناته ( فاتقوا الله ما استطعتم ) وهذه الصلة تقتضى أن يكون العمـل كله خالصـا لله سـبحانه وتعالى والله لا يقبله الا اذا كان كذلك وهو بهذا يرفع من الضعف البشرى للانســان فيحميـه من الانحـدار الى مصـاف الحيوانات ويبين له أن الله هو السند الحقيقى له وأنه هو الذى بيـده كل شىء وان النـاس لا يملكون له نفعـا ولا ضرا ولا يملكون له موتا ولا حياة ولا نشورا ، وفى ذلك يقول الرسول الكريم لعبد الله بن عباس : ( احفظ الله يحفظـك ، احفظ الله تجـده تجاهك . تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشـدة . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليـــك رفعت الأقلام وجفت الصحف ) .

فاذا ما حدث للانسان شىء يكرهه فقد يكون فيـه الخير وهو لا يعرف وعليه أن يطمئن الى ذلك ( وعسى أن تكرهوا شـيئا ويجعل الله فيـه خيرا كثيرا ) بل ان الشىء الذى يحبـه الانسان قد يكون فيه شر ، وعلم ذلك كله عند الله سبحانه وتعالى الذى يتولى أموره بالعنـاية والرعـاية وهو الذى يختار له الخير مادام ملتجئا اليـــه وحـــده ( وعسى أن تكرهوا شـيئا وهو خير لـكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لـــكم والله يعـــلم وأنتم لا تعلمون ) .

وكل ما يصيب الانسان بعد ذلك له ثوابه عند الله تعالى حتى الشوكة يشاكها المسلم له ثوابها ، والمسلم بذلك يستشعر الرضا الذى يشيع على حياته الأمن والطمأنينة وهذا ما تفتقده المجتمعات الحديثة وذلك أسمى ما يحتاج اليه الانسان فى هذه الحياة .

### تربية العقل :

العقل البشرى من الطاقات التى أنعم الله بها على الانسان يتبين هذا فى قوله تعالى ( قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ) ولقد استطاع الانسان فى العصر الحديث أن يستخدم عقله على نطاق واسع فاكتشف أشياء كثيرة استخدمها استخداما واسعا فى المجتمع البشرى ولكن تربيته لم تكن متكاملة ولم يكن له رصيد روحى يوجه هذه الطاقة وتلك الاكتشافات الى الخير ففتن بما وصل اليه وطغى وتجبر ، ونتيجة ذلك كله أن البشرية أصبحت تعيش فى مشكلات لا نهاية لها فشقى الانسان بدل أن يسعد وأصبح العقل نقمة على البشرية بدل أن يكون نعمة تتنعم به ، والاسلام يهدف الى سعادة الانسان والى اقامة الحياة فى الأرض على أساس من الحق والعدل فعمل على اصلاح القلب البشرى ووجه الطاقة العقلية الى التأمل فى حكمة الله سبحانه وتعالى ( أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لاترجعون ) كماوجهها الى حكمة التشريع الذى أنزله الله ليطبق فى الأرض ( ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون ) وطلب من المسلمين أن يكون احقاق الحق بالنسبة للناس جميعا حتى تستقر النفوس وتهدأ القلوب ( واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) ولكى يكون لهذا المنهج فاعليته واستمراره فقد جعل الاسلام كل فرد فى هذا المجتمع مسئولا عن المحافظة عليه فى حدود امكاناته (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ) وهذه المسئولية ليست مسئولية سلبية بل هى ايجابية فالنصيحة مطلوبة ( الدين النصيحة ) والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب ( من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان ) . بل ان هذه الأمة كانت خير أمة أخرجت للناس لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فان لم تسر على هذا المنهج فانها ستكون كبنى

اسرائيل الذين لعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم لأنهم (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ) والمسلم مطالب بأن يكون مع الطيب ولو كان قليلا وأن يبتعد عن الخبيث حتى ولو كان منتشرا مع اعجاب الناس به لأنه تطهر •

من مظاهر التقدم ( قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ) والاسلام يقدر الطاقة العقلية ويدربها ليستخدمها المسلم فى الخير وقد وضع لذلك المنهج الصحيح للنظر العقلى فطلب تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط ؛ ولذلك فقد نعى على الانسان التقليد المطلق الذى لا يستخدم العقل ( انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون • قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ) •

لذلك تميز المسلمون بالدقة العلمية فى أبحاثهم رغم قلة الامكانات التى كانت معهم •

والاسلام يوجه العقل البشرى الى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور الحقيقية فى المجتمعات ويستخدم طاقاتها الواعية فى تدبرها والبحث عن أسبابها ونتائجها ( ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ) كما يوجهه الى استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الانسان ( فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ) •

والمذهب التجريبى هو فى أصله مذهب اسلامى ، يقول (جب) فى كتابه « الاتجاهات الحديثة فى الاسلام » ( أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظات التفصيلية الدقيقة التى قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبى الى أوربا فى العصور الوسطى •

كما يقول «بريفولت » فى كتابه بناء الانسانية عن أصول الحضارة الغربية • لقد كان العلم أهم ماجاءت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولكن كانت بطيئة •

ومما يميز هذا المنهج أن العلم سار فى ظلال العقيدة فلم ينقطع عن الروح ولذلك لم يوجد بين الدين والعلم فجوة كتلك التى نراها فى العالم الغربى • وقد رفع الاسلام من شأن

العلم والعلماء ( يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ) وقد جعل النبى الكريم العلماء ورثة الأنبياء وحث القرآن الكريم العلماء أن يعلموا غيرهم لينتشر العلم ( فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ) .

وهكذا يكون منهج التربيـــة فى الاسـلام منهجا متكاملا يعنى بتربيـة الجسم والروح والعقل حتى لا تطغى ناحيـة من النواحى ؛ وبذلك ينشأ المسلم سويا قوى الصلة بالله محققـا لرسالته فى هذه الحياة فيسعد المسلم وتسعد البشرية كلها ؟

**على القاضى**

———

# العرب والمسرح

للأستاذ محمد كمال الدين

## (١٤)

يذكر عدد كبير من المستشرقين كتاب « الفرج بعد الشدة » للقاضي التنوخي على أنه من أكبر الكتب العربية احتواء على بذور الدراما وقد قارنت مجلة الداميات الألمانية بين احدى قصص هذا الكتاب وبين « رواية عروس كورنثة » للشاعر الألماني جيتة ، واعتبرت التنوخي من كبار علماء العرب في القرن الرابع الهجري وأنه من خلال مؤلفاته اهتم بالتاريخ وتخطى الأساليب والمناهج السابقة عليه ، مع التزامه العميق بالشعب ، وتقوم قصص الكتاب جميعها على فكرة بسيطة هي سعي الانسان الدائب في الحياة ثم اصطدامه بعقبات كثيرة لا تجعله يأسى أو ييأس بل ينتصر عليها في النهاية (١) . ومن كتب التنوخي الأخرى ، والتي تحتوى على حكايات وقصص كثيرة نذكر « كتاب المستجاد من فعلات الأجواد » ، وأكثر حكاياته عن الخلفاء العباسيين ويوجد أصله في مكتبات غوطا واكسفورد والاسكوريال وبطرسبورج وأياصوفيا، كما نذكر كتاب « نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » وهو عبارة عن مجموعة من القصص والأخبار التاريخية ، ويوجد في مكتبة باريس (٢) وقد نشره أخيرا المجمع العلمي العربي بدمشق بتحقيق محمد كرد على .

وقد ذكر ابن خلكان ( في تاريخه الجزء الأول ص ٤٤٥ ) ترجمة حياة هذا الأديب العربي ، فقال انه أبو على المحسن بن ابى القاسم على بن محمد ابن أبي الفهم داود بن ابراهيم بن تميم التنوخي ، ولد سنة ٣٢٧ هـ بالبصرة ، وتلقى علومه على أيدى أبي العباس الأشرم وأبي بكر الصولى

---

(١) مقدمة مسرحية المنتظر المأخوذة عن احدى قصص هذا الكتاب لعبده بدوى انظر مجلة المسرح العدد ٤٤ اغسطس سنة ١٩٦٧ ص ٨٣ — ٩٠

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان — الجزء التالى — دار الهلال ص ٢٨٥

والحسين بن محمود بن عثمان ، ونزل بغداد وأقام بها طوال حياته ، وكان من العلماء الحفاظ والشعراء المجيدين ، وله ديوان شعر كبير ، وقد تولى القضاء قبل أبى السائب عتبة بن عبيد الله فى بابل والقصر سنة ٣٤٩ هـ ، ثم ولاه الامام المطيع لله القضاء بعسكر مكرم وأيذج وغيرها وتقلد بعد ذلك أعمالا كثيرة فى أماكن مختلفة حتى كانت وفاته ببغداد فى سنة ٣٨٤ هـ .

وفى مقدمة كتابه « الفرج بعد الشدة » (١) يذكر التنوخى انه جمع فيه أخبارا تنبىء عن رفع البلاء لمن صبر على المحن ، « وتقوية العزيمة على التسليم لله مالك كل أمر ، وتصويب رأيه فى الاخلاص ، والتفويض الى من بيده ملك النواص ، وهو بها يرجو « انشراح صدور ذوى الألباب عندما يدهمهم من شدة ومصاب » ، وقد « جاء الكتاب فى ألوف أوراق لطول ما مضى من الزمان ، وأن الله سبحانه وتعالى بحكمته أجرى فيه أمور عباده منذ خلقهم والى أن يقبضهم على التقلب بين شدة ورخاء ورغد وبلاء وأخذ وعطاء ومنع ومنح وضيق ورحب وفرج وكرب ، واقتصرت على أحسن ما رويته من الأخبار ، وأصح ما بلغنى فى معانيها من الآثار ، وأملح ما وجدت فى فنونها من الأشعار ، وجعلت قصدى الى الايجاز والاختصار واسقاط الحشو وترك الاكثار » .

ومعنى ذلك أن التنوخى حرص فى حكاياته وقصصه على أن يكون واقعيا وصادقا ، وأن يدخل فى موضوعاته مباشرة بدون تطويل أو حشو .

ويقع الكتاب فى أربعة عشر بابا يستغرق بعضها أكثر من خمسين صفحة كاملة ، وعشرات القصص القصيرة والطويلة ، ولكل قصة بداية ونهاية ، كما تتضمن بعضها حوارا يصح أن يكون مسرحيا اذا مثل على خشبة المسرح .

واذا كان لنا من أمثلة لهذه القصص ذكرنا بعضها ومنها :

• قصة الزوجة التى تغار على زوجها من جاريتها فتوعز لدى خادمين لها أن يذكرا أمام الزوج أن الجارية تخونه مع غيره ،ولكن الزوج لا يسرع بتصديق هذه التهمة ، ويشدد الأمر

(١) نشرته مطبعة الهلال بالفجالة سنة ١٩٠٤ فى جزئين من أربعة عشر بابا .

على الخادمين – كلا على حدة – لأن يقولا الحقيقة ، ويعترف الخادمان بأن كلا منهما أخذ من الزوجة ألف دينار ليذكر هذه الخدعة ، ويقف الزوج فى النهاية على هذه الحيلة وتبدو له براءة الجارية فيحسن جائزتها • (١)

• قصة الخادم فى دار المقتدر الذى حنث فى وعد له أمام الله أن لا يلجأ الى الكذب مرة أخرى ، فاذا به يضطر الى ذلك مرة فيحدث له مالا تحمد عقباه ، وينوى التوبة بعد ذلك ، ولأنه صدق تلك المرة ، ينجو من عقاب المقتدر • وفى هذه القصة حوار طلى بين ذلك الخادم بعد أن تاب وبين أحد أصدقائه قابله مصادفة فى الطريق نقتطف منه هذا الجزء •

الصديق : ( يقابله – وقد شاب بعد شهور – بزى التجار ) : أنت فلان ؟

الخادم : نعم عبدك ياسيدى •

الصديق : ما هذا الشيب فى هذه الشهور اليسيرة ، وما هذا الذى أراه ؟

الخادم : ( يتلجلج ) فيحمله الصديق الى داره حيث يحكى له قصته • (٢)

• قصة ذلك السجين فى أيام المقتدر ، وقد كان يسير يوما فى أحد شوارع بغداد ، واذا بحملة المشاعل يبحثون عن شىء ، ولأمر ما فضل أن يختفى وراء أحد الأبواب ، واذا به أمام جثة لقتيل لا يعلم عنه شيئا ، واذا بهذا الحرس يكتشون أمر اختفائه وراء ذلك ، واذا بهم أيضا يكتشفون أمر الجثة ، فيقبضون على الرجل ، وهو لم يجن ذنبا ، ولأنه الوحيد الذى كان بالمكان يتهم بالقتل ، ثم يزج به فى السجن ستة عشر عاما فى تعذيب شديد ، ولا يفرج عنه الا عنوة عندما تشب الثورة ، ويصل العامة الى السجن فيخرجون جميع من به ومنهم ذلك السجين المظلوم •

ونقيس على مثل هذه الحكايات قصصا أخرى امتلأ بها الكتاب بجزئيه ، مما يصلح أفكارا لا للمسرح فحسب بل للسينما والتليفزيون والاذاعة ، ذلك بما تحويه من امكانية التجسيم

---

(١) هذا موجز للقصة اما تفاصيلها ففى ص ٥٧ من الجزء الأول من الكتاب .

(٢) الفرج بعد الشدة ص ١٢٢ – ١٢٣ جزء أول ، الباب الخامس .

والتصوير ، وبما تضمنه من دروس نافعة وعظات شديدة الأثر فى النفوس .

هناك أيضا من الكتب القصصية العربية العدد الكبير نذكر منها :

ـ رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ، وتضمن نقدا للشعراء والأدباء والنحاة فى الجاهلية بأسلوب خيالى يتخلله حوار أدبى ولغوى ، وقد تأثر دانتى الأديب الايطالى به فكانت ثلاثيته الشهيرة .

ـ رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسى .

ـ قصة حى بن ابى يقظان للفيلسوف العربى ابن طفيل .

ـ رسائل اخوان الصفاء فى الحيوان والانسان .

ـ قصص عنترة وألف ليلة وليلة وقصص البطولة المعروفة .

ـ قصص العقد الفريد ، وامثال الميدانى وسيرة ابن هشام وبخلاء الجاحظ وغير ذلك كثير وكثير .

ان الاستعداد القصصى خاصة يشترك فيها كل الناس ، والقاص يختار لنفسه المواقف التى يريدها والانفعالات التى يحس بها ، ويستفيد من تجارب الغير ، وقد وجد ذلك عند العرب قديما وحديثا كما وجد عند الأمم الأخرى ، ويقول المستشرق آدم ميتنز : ان وجود اللهجات العربية الممكنة ربما كان السبب فى انتشار وانتعاش تقديم المحاكاة فى المدن حيث يلتقى الناس ، ونستطيع أن نعثر فى أدب العصر العباسى مثلا على نماذج تشبه مقطوعات المحاكاةوهى الحكايات العربية وهى لا تختلف كثيرا عن مضمون المحاكاة الحديثة التى تتضمن أسلوب المحادثة والحوار ، كما أنها تقلد فى أجزاء منها أنماطا مختلفة من الشخصيات ، وقد اتسع نطاق المحاكاة ليشمل فن القصاصين ، وهم الذين تميزوا بقدرتهم الكبيرة على الملاحظة والتقليد ومنهم المداح والمقلد والحكواتى العربى ، وله حكايات مؤثرة كانت الاشارات وحركة الجسم تتخللها وترتبط فيها بالكلمات وتمتزج فيها الملح بالنكات فى لقطات مسلية من تقليد الشخصيات وهى تتكلم وتعمل وكانت الفقرات تصل الى حد التمثيل الصامت (البانتوميم) كنوع من التهدئه الضاحكة أو الترويح ( الكوميدى ) من

التوتر الذى قد تخلقه حكاياتهم [١] ، وهذا كله من الأمور المسرحية كما نعرفها اليوم بالمعنى الفنى المتعارف عليه أكاديميا . ثم لا ننسى كلمة لأبى وعمرو بن العلاء منذ النصف الأول من القرن الثانى الهجرى : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ، ولو قد جاءكم وافر لجاءكم علم وشعر كثير » ، فلنواصل الكشف عما جاءنا ، ولو أنه على قلته له دلالة وأثر .. ؟

**محمد كمال الدين**

---

(١) دراسات فى المسرح والسينما عند العرب ـ ص ٣٩ ـ ٤٠

# إنّ الأمرَ جِدّ

للأستاذ محمد هارون الحلو

جـدوا ، فان الأمر جـد ... وعلى عـدو العـرب شـدوا
لا تتركوا العـادى يدمـ ... ـر ما نشـيد ، وما نعـد
انا بنى مضر ، و فينـا ... للـكفاح هوى ، وجلـد
ولنـا بنصر الله ايمـ ... ـان ، وميثـاق وعهـد
أننـام دون عـدونا ... ذاك العتيى المسـتبد
العـين يقظى لا تنـام ... وكل طرف فيـه سـهد
وبـكل كف مـدفع ... يـدوى به برق ، ورعـد
وعلى الخنـاجر صـيحة ... فيهـا من الثارات حقـد
وفتى الـكفاح ملثم ... لعـدوه ، ذاك الألـد
يرميـه بالشرك الـذى ... يصـمى ، وليس له مرد
يرمى ، وكم حصـن يدمـ ... ـره ، وكم صرح يهـد
من ذاك يطلبنـا ، ونحن ... على شـعاب الغـاب أسـد
نحمى الحمى ، ونصـونه ... ولنـا بعون الله جنـد
كـم من فتى رشـف المنيـ ... ـة وهى سـلسال وشـهد
ويلذ للوراد منهـا منـ ... ـهل ، ويطيب ورد
صـدقوا ، ففـازوا بالـكرا ... مة ، وهى فـردوس ، وخلد
أبنـاء يعـرب فى الوغى ... هم خير من جدوا ، وشـدوا
وشـبيبة الاسـلام فى ... يوم النضـال هم الأشـد
كل يصـول السـيف فى ... يـده ، وما للسـيف غمـد
أنعم بصـنديد الفـوا ... رس ، وهو فى الغمرات جلد
أتراه عمـرو ، أم المثنى ... أم فتى الاسـلام سـعد
أم فارس التوحيـد يخفـ ... ـق باللواء عليـه بنـد
وسـنا الهـدى بجبين خير ... الخلق ايمان ، ورشـد

فتحوا المدائن والقرى وغدوا بفيء لا يعد
ويمين أحمد بالندى تهل ، وهي مني ، ورفد
فاذكر بهم يوم النضال وما تقاعس عنه فرد
عافوا القيود ، فلم يقم في عرفهم للناس قيد
اذكر بهم بدرا ، وقد حمي الوطيس بهم ، وشدوا
خاض الغمار بهم رسول الله ، فاستبقوا ، وجدوا
واذا التقى الجمعان والمـ ـلأ الملائك فيه جند
عنت الوجوه لربها وازور بالطعن الفرند
حصدوا جموع المشركين فلم يعد للشرك أيد
ورموا بهم بين القليب وقد طواهم منه لحد
واذكر بهم أحدا ، وخيـ ـل الله بالفرسان تعدو
مال الرماة فزلزل الشـ ـجعان ، والسفهاء شدوا
لولا ثبات المصطفى لتصدع الركن الأشد
وأبو الفوارس جعفر فيهم ، وفي البكرات هند
أغرت فتاها بالغضنفر ويح سهم لا يرد
فرماه وحشي ، وفر بفعلة الجبناء وغد
واذكر بتاريخ العر وبة ما به سبقت معد
ولهم كتاب خالد في الدهر طال عليه عهد
مازال يرويه الزمان وفيه ذكرى تستمد
سنعيد أيام العروبة وهي للاسلام مجد

**محمد هارون الحلو**

# فروق بين ألفاظ متقاربة

للأستاذ عباس أبو السعود

(١٠)

٥٣ - ولا يفرقون بين السحر بالكسر وزان العلم ، والسحر بالفتح وزان الدهر ، والسحر بفتحتين .

فهو بالكسر اخراج الباطل فى صورة الحق ، وقيل هو الخداع والتمويه ، تقول : سحره اذا خدعه وموه عليه ، والمسحور مخبول العقل ، ومنه قوله تعالى على لسان فرعون : « انى لأظنك ياموسى مسحورا » وسحره بتشديد الحاء تسحيرا للمبالغة ، ومنه قوله سبحانه : « انما أنت من المسحرين » واذا أطلق السحر ذم فاعله ، وفى التنزيل : « قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله » وقد يستعمل فيما يمدح ويحمد كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : « ان من البيان لسحرا » أى ان بعض البيان سحر ، لأن صاحبه يوضح المشكل ، ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ، فيستميل القلوب كما تستمال بالسحر ، وهذا اللون هو الذى يسمى بالسحر الحلال .

أما السحر بالفتح فهو الرئة كالسحر بالضم ، تقول : انتفخ سحره ومساحره اذا عدا طوره ، وجاوز قدره ، جمعه أسحار .

وأما السحر بالتحريك فهو قبيل الصبح ، فان أردت التنكير صرفته ، تقول : لقيته سحرا وسحرة بالضم كما فى قوله تعالى : « الا آل لوط نجيناهم بسحر » وقد غلب عليه التعريف اذا كان غير مضاف ، ولا مقرون بالألف واللام ، تقول : لقيته سحر ياهذا معرفة تريد سحر ليلتك ، وعلى هذا لم تصرفه لأنه معدول عن الألف واللام ، وسمى السحر بهذا الاسم استعارة ، لأنه وقت ادبار الليل ، واقبال النهار ، فهو متنفس الصبح .

٥٤ - ولا يفرقون بين الحزن بالضم وزان القفل ، والحزن بالفتح وزان القلب .

فالأول معناه الهم وشدة التأثر كالحزن بالتحريك ، تقول : حزن

فلان يحزن حزنا بالتحريك وحزنا بالضم فهو حزن كتعب ، وحزنان ، ومحزان ، ومن المضموم قوله تعالى : « وابيضت عيناه من الحزن » ومن المتحرك قوله : « الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن » •

ويتعدى بالهمزة فيقال : أحزنه الحادث فهو محزن بصيغة اسم المفعول ، وبالحركة فيقال : حزنه الأمر يحزنه فهو محزون ، ومن هذا قوله تعالى : « ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر » وقوله : « انى ليحزننى أن تذهبوا به » •

أما الحزن فهو ما غلظ من الأرض كالحزنة ، تقول : أحزن الرجل اذا صار فى هذه الأرض ، ومن المجاز قولك : رجل حزن اذا لم يكن سهل الخلق ، قال :

شيخ اذا ما ليس الدرع حرن(١)
سهل لمن ساهل حزن للحزن

ويقال للبغل اذا لم يكن وطيئا : انه لحزن المشى ، وفيه حزونة بالضم •

٥٥ ـ ولا يفرقون بين الحين بكسر الحاء ، والحين بفتحها وزان البين •

فهو بالكسر وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان كالمدة ، وقوله تعالى : « فتول عنهم حتى حين » معناه حتى تنقضى المدة التى أمهلوها ، جمعه أحيان ، وجمع الجمع أحايين •

تقول:حان حين الزرع أوالحصاد اذا قرب وقته وحل ميعاده ، وعامله محاينة كمشاهرةومياومة والحين أيضا الأكلة الواحدة فى اليوم والليلة كالحينة بكسر الحاء وفتحها ، قال :

ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم
تحان وحين الضيف احدى العظائم

أما هو بالفتح فمعناه الهلاك ، تقول : حان حين المجرم أى قرب هلاكه ، والدين حين أى هلاك ، ونزلت به كائنة حائنة ، أى فيها حينه وهلاكه ، والحائنة هى النازلة المهلكة •

٥٦ ـ ولا يفرقون بين الكير بكسر الكاف والكور بضمها ، فيستعملونها فى معنى واحد ، أو يستعملون احدهما مكان الآخر ، والحق أن كلا منهما له معنى يخالف معنى الآخر ، فالكير هو

---

(١) حرن : يقال : حرن الفرس من باب دخل اذا صار حرونا غير منقاد .

الزق أو المنفاخ الذى ينفخ فيه الحداد ليزيد النار لهيبا واشتعالا ، أما الكور فهو بناء من الطين يستعمل موقدا للنار، تقول: اتخذ القين كيرا وكورا، والقين بفتح فسكون هو الحداد •

٥٧ ـ ولا يفرقون بين البرء بالضم والبرء بالفتح ، والبراءة ، والمبارأة ، والمباراة ، والابراء ، والتبرئة ، والتبرؤ فالأول معناه الابلال والشفاء ، تقول : برىء فلان من مرضه برءا ، وأهل الحجاز يقولون برأ المريض يبرأ بفتح الراء فى الماضى والمضارع برءا وبروءا بضمهما اذا نقه فهو بارىء ، وهم براء بالكسر كجائع وجياع أما مفتوح الباء فمعناه الايجاد ، تقول : برأ الله الخلق من باب قطع برءا وبروءا أى خلقهم وأوجدهم ، ومنه قوله تعالى : «ماأصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها » فالله بارىء ، وفى التنزيل : « هو الله الخالق البارىء المصور » وتقول : حق على البارىء من اعتلاله أن يؤدى شكر البارى على ابلاله ، وأما البراءة فهى الأمان ، تقول : برئت من الدين أو العيب ، أو من فلان أبرأ براءة ، كما فى قوله سبحانه : « أم لكم براءة فى الزبر » أى أنزل لكم فى الكتب السماوية أن من كفر منكم فى أمان من العذاب ؟ واسم الفاعل برىء ، وجمعه برءاء ، كما فى قوله تعالى : « انا برءاء منكم » وأبرياء كأصدقاء ، وأبراء كأشراف ، وبراء كـكرام ، وبريئون كما فى قوله عز شأنه : « أنتم بريئون مما أعمل » ويقال أيضا : هم براء بضم الباء ، قال ابن برى : هو جمع لا واحد له ، وعليه قوله :

رأيت الحرب يجنيها رجال
ويصلى حرها قوم براء

ويقال للأنثى : بريئة ، وهن بريئات ، وبريات بتشديد الياء، وبرايا كخطايا •

ولك أن تقول : أنا براء مما قذفت به ، وأنا الخلاء البراء منه بفتحهما ، وهما وهم وهن براء، لايثنى ولايجمع، لأنه مصدر ، وفى التنزيل « اننى براء مما تعبدون » •

وأما المبارأة فمعناها المفاصلة ، تقول : بارأ الرجل شريكه اذا فاصله، وتبارأنا تفاصلنا ، وهى أيضا المفارقة كما فى قولك بارأ الرجل امرأته اذا فارقها •

وأما المباراة فهي المعارضة والمسابقة تقول : فلان يباري زميله أي يعارضه، وتباريا تعارضا ، وفلان يباري الريح أي يسابقها ، ومثل المباراة الانبراء والتبري ، تقول انبرى له انبراء اذا تعرض،وتبريت لمعروفه تبريا تعرضت وأما الابراء فله عدة معان منها الشفاء كما في قوله تعالى : « وأبرىء الأكمه والأبرص » ومنها جعل الانسان بريئا كما في قولك : أبرأت الرجل ابراء اذا جعلته بريئا من حق لك عليه ، ومنها الاصابة بالتراب ، تقول : أبرى الرجل ابراء اذا أصابه البرى بالفتح والقصر وهو التراب .

وأما التبرئة فهي التنزيه وتزكية النفس كما في قوله جل شأنه : « وما أبرىء نفسي » وهي أيضا اظهار البراءة كما في قوله : « فبرأه الله مما قالوا» .

وأما التبرؤ من الشيء فهو التنحي عنه والتخلص منه ، تقول : تبرأت من الكذاب أو من المجرم اذا تنحيت عنه وقاطعته ، ومن هذا قوله تعالى : « لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا» أي لو أن لنا رجعة الى الدنيا لابتعدنا عنهم وتخلصنا منهم كما فعلوا ذلك معنا أولا .

٥٨ ـ ولا يفرقون بين حين وحيث، فيستعملونهما استعمالا واحدا،فيقولون مثلا رأينا فلانا حيث غربت الشمس ، وهذا تعبير فاسد ، والصواب أن يقال: حين غربت . أي في الوقت الذي غابت فيه .

ويقال : رأيتك حيث كنت ، أي في الموضع الذي كنت فيه ، واذهب حيث شئت ، أي الى أي مكان أردت ، ومنه : « وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء » . ويقال : رأيتك حين ظهر القمر أي في ذلك الوقت ، ولا يجوز حيث ظهر القمر ، قال تعالى : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون » وذلك لأن حين ظرف زمان ، وحيث ظرف مكان ، فليتعهد كل من القائل والكاتب كلامه، فاذا كان موضع يحسن فيه أين فيقال فيه حيث ، لأن أين معناها حيث ، وقولهم حيث كانوا وأين كانوا معناهما واحد ، ولكن أجازوا الجمع بينهما لاختلاف اللفظين ، واذا كان موضع يحسن فيه وقت فيقال فيه حين ، لأن معناهما واحد .

واعلم أنه يحسن في موضع حين لما ، واذا ، واذ ، ووقت ، وساعة ،

تقول : رأيتك لما جئت ، وحين جئت ، واذ جئت ، ويوم جئت ، وساعةجئت، وتقول : سأكرمك اذا جئت ، ومتى جئت •

٥٩ ـ ولا يفرقون في الاستعمال بين السوء بضم السين، والسوء بفتحها، وهو اسم جامع لكل آفة وداء ، قالت العرب : وقاك الله من السوء ومن الأسواء ، وهذا رجل سوء وكذا رجل السوء بالاضافة فيهما ، ولكنها لم تقل : الرجل السوء على النعت ، كل أولئك بالفتح ، مع أنها قالت : الحق اليقين على النعت ، وحق اليقين بالاضافة ، لأن السوء غير الرجل ، أما اليقين فهو الحق •

فان عرفت الأول قلت الرجل السوء ، والعمل السوء بالضم على النعت ، وان قلت لاخير في قول السوء جاز الفتح والضم ، اذا فتحت كان المعنى لاخير في قول قبيح ، واذا ضممت كان المعنى لا خير في أن تقول سوءا ، وقرىء قوله تعالى : « عليهم دائرة السوء » بالوجهين أي الهزيمة والشر ، وكذا قوله : « أمطرت مطر السوء» فالمفتوح معناه الفساد، والمضموم معناه الضرر ، ومنه قوله تعالى : « ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى » في قراءة ، وقيل في قوله تعالى : « تخرج بيضاء من غير سوء » أي من غير برص• والسوء بالفتح والمساءة مصدران لساء نقيض سر ، وأصل المساءة مسوأة على مفعلة وترد الواو في الجمع فيقال : بدت مساويه أي نقائصه وعيوبه ،ولكن العرب استعملت هذا الجمع مخففا ولم تستعمله مثقلا ، فلم تقل المساوىء •

٦٠ ـ ولا يفرقون بين البر بكسر الباء ، والبر بفتحها ، والبر بضمها •

فهو بالكسر الطاعة وعدم العقوق كالمبرة ، تقول : بررت والدى أبره برا فأنا به بار ، جمعه بررة ، كما في قوله تعالى : « بأيدى سفرة • كرام بررة » •

وهو أيضا الخير والجنة كما في قوله عز شأنه : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » •

وقولهم : فلان لايعرف هرا من بر معناه أنه ساذج لا يعرف من يهره ويكرهه ممن يبره ويكرمه ، وأما هو بالفتح فمعناه خلاف البحر ، تقول : أبر فلان وأبحر اذا كان مسفارا قد ركب البر والبحر ، وفي التنزيل : « هو الذى يسيركم في البر والبحر » •

وتقول : جلست برا ، وخرجت برا اذا جلست خارج الدار أوخرجت الى ظاهر البلد ، وينسب الى البر فيقال : برانى كما يقال فى النسب الى الجو جوانى ، تقول : افتح الباب البرانى أى الخارجى ، وقد قالوا : من أصلح جوانيه أصلح الله برانيه ، أى من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن هذا قولك : أريد جوا ويريد برا ، أى أريد سرا وخفية وهو يريد كشفا واعلانا ، فالجو كل بطن غامض ، والبر المتن الظاهر ، وهاتان الكلمتان نسب اليهما بالألف والنون على غير قياس .

والبر أيضا المطيع الذى يرعى الحرمة ، تقول : برفلان والديه اذا أطاعهما واحترمهما فهو بر ، جمعه أبرار ، كما فى قوله سبحانه : « ان الأبرار لفى نعيم » .

وأما البر بالضم فهو الحنطة ، واحدته بره بالهاء، وجمعه أبرار كحر وأحرار .

٦١ ـ ولا يفرقون بين المنة بكسر الميم ، والمنة بضمها ، والمنون بالفتح .

فهى بالكسر النعمة ، تقول : قدمت لصديقى منة اذا اصطنعت عنده صنيعة ، وله على منة ومنن ، ومن الله تعالى على عباده وانعم ، وهوكثير المنن عليهم ، وهو الحنان المنان أى المعطى ابتداء ، وفى الكتاب الحكيم : « قد من الله علينا »وهى بالضم القوة تقول : فلان ضعيف المنة ، أوليس لقلبه منة ، وهم ضعاف المنن ويقال : منه السفر اذا أضعفه وذهب بمنته ، قال ابن ميادة :

منناهن بالادلاج حتى
كأن متونهن عصى ضال(١)

أما المنون فهو الموت ، تقول : منته المنون أى قطعته القطوع وهى المنية ، قال :

كأن لم يغن يوما فى رخاء
اذا ما المرء منته المنون

والمنون أيضا من كان كثير الامتنان كالمنونة ، وكذلك من تزوجت لمالها ، لأنها كثيرا ما تمن على زوجها كالمنانة؟

**عباس ابو السعود**

---

(١) يريد انهم انهكوا الابل بكثرة السير ليلا ، حتى صارت ظهورهن عاصية على الركوب .

# عمر بن الخطاب وفكره الاقتصادى

للأستاذ فاروق منصور

## نظرات المفكر .. وليست مطالب الحاكم

— ٦ —

عندما ننظر الى حياة عمر — رضى الله عنه — بمنظار العلوم المعاصرة ، ونقيس حياته بمقاييسها ، ونطبق عليه ما تأخذ به من مسميات وما تضعه من مصطلحات ، فاننا نقول : لقد عاش عمر جانبا كبيرا من حياته فى دائرة السلطة وكان مسئولا عن ادارة الكثير من شئونها . وتقديم الحلول لما تواجهه من مشكلات . واذا كان عمر قد مارس السلطة ، وكان مخولا فى ممارسته أن يفعل ما تتطلبه هذه السلطة ، فما هى الحدود التى يقف عندها دور رجل السلطة أو الحاكم ليقوم دور المفكر ؟

ويمكن أن ننظر الى الأمر بصورة أخرى ، فيكون السؤال هو : كيف نفرق بين ما فعله عمر كحاكم أو رجل دولة أو قريب من الحاكم ، وما يمكن أن يعتبر وجهة نظر اقتصادية ؟ أو فكر اقتصادى يستقل به ؟

**خلاف يجب ان يثار :**

اننا عندما ننظر الى حياة عمر بهذا المنظار الذى تأخذ به العلوم المعاصرة لا يمكن أن نسلم بكل ما تضعه هذه العلوم من قواعد ، وما تشترطه من شروط . لأنها فى غالبها صواب يحتمل الخطأ ولأنها فى مجموعها تستند الى أمور تختلف اختلافا كبيرا عن البيئة التى عاش فيها عمر . وتتعارض مع العقيدة التى آمن بها عمر ، وجاء فكره انطلاقا منها . أو تعبيرا عنها . أو التزاما وتفسيرا لها .

ان عمر — رضى الله عنه — لم يكن مجرد انسان عاش حياته طولا وعرضا ثم مضى الى جوار ربه . ولكن عمر كان ابن بيئة معينة ، ونتاج مجتمع عاش عقيدة متميزة . كان عمر تلميذا للرسول صلى الله عليه وسلم ، والرسول يتلقى عن ربه ، الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه . وكان عمر معاصرا

لمجموعة نادرة من الرجال دقيقة فى فهمها ، دقيقة فى وعيها ، دقيقة فى حكمها على الأمور • ولقد عاش عمر فى عصر يختلف عن كل عصور التاريخ الانسانى منذ هبط الانسان الى الأرض ليعمرها ، وفى بيئة هى أفضل ما عرف الانسان فى حياته كلها •

ان عمر الانسان المتميز تلميذ المدرسة المتميزة ، وعطاء العقيدة الاسلامية المتميزة ، لا بد أن يعلو على المقاييس التى نضعها •

وان عمر ابن البيئة العربية المتميزة فى فجر الاسلام ، والحاكم الفذ الذى لم يتكرر فى تاريخ البشرية كلها ، لا يمكن أن ندرك عظمته وتتفهم خصائصه ، ونعى فكره فى نطاق ما نضعه نحن ، أو نتعارف عليه فى عصرنا • ولكن الممكن والمعقول أن نفهمه بقدر ما يتاح لنا ، بقدر ماتستطيع عقولنا أن تعى ، وما يمكننا أن ندركه فى ضوء مفاهيمنا ومقاييسنا مع التسليم أننا أمام ظاهرة خاصة لها طبيعتها وخصائصها التى قد تتفق مع مقاييسنا ، أو تعطينا أبعادا جديدة للفهم ، وطرقا أخرى للقياس أو التأصيل •

**حواجز ... وليست قيودا :**

اننا فى المنهج العلمى نغير الرأى من واقع ما نتوصل اليه من نتائج عن طريق التجربة ، ولا نجد فى هذا التغيير حرجا ، بل نعتبره دقة فى الفهم ، وآية على الذكاء والمعرفة •

كنا مثلا لسنوات قليلة مضت نقول : أن الذرة لا تنقسم ولا تتفتت •

ثم جاء العلم ونقض عمليا ذلك الرأى وفتت الذرة •

واذا كان التغير هو سمة العلم وطبيعته فان المقاييس العلمية يجب ألا تقف جامدة ، أو تكون حجرا وسدا أمام البحث •

انها فقط أداة تنظيمية قد تصلح مقولاتها لمعرفة الحقيقة ، وقد تكون الحقيقة أحيانا فوق تلك المقاييس وبعيدا عن مجالاتها • فلا يمكن اذن أن نضع شروطا معينة يجب أن تنطبق على كل انسان لكى نصفه بأنه مفكر • ولا يمكن أن تكون هناك مواصفات قياسية دقيقة لأن الفكر لا يقاس الا بنتائجه •

وهذا الاتجاه نفسه مثار خلاف كبير ، ان المذاهب الفلسفية متعارضة فى هذه النقطة تعارضا كبيرا • فالعقليون

يرون أن أصل العلم هو العقل المستقل عن التجربة . ويقول التجريبيون ان التجربة وحدها أصل العلم . ويحاول أصحاب المذهب النقدي التوفيق ويقفون موقفا وسطا عندما ينادون بأن العقل والحس معا مشتركان فى أصل كل علم(١) .

وكما اختلفوا فى أصل العلم ، فقد اختلفوا فى صحته ، واختلفوا فى ماهيته . يقول أزفلد كولبه فى اختلاف المذاهب الفلسفية حول ماهية المعلوم : « يقول المثاليون ان المعلوم أفكار أو حقائق عقلية شعورية ولايكون غير ذلك . ويرى الواقعيون أن العلم لا يتم الا بوجود حقائق خارجة عن العقل الانسانى . وهناك مذهب ثالث هو مذهب الظواهر الذى يعتبر المعلوم نوعا من الظاهرة وبذلك يجمع بين الناحيتين المثالية والواقعية لذلك فان أى شروط توضع لتعريف العالم أو المفكر هى أمور نسبية وهى حواجز وليست قيودا .

**لم يتفقوا فى التعاريف :**

واذاكانت المذاهب الفلسفية لمتتفق فى تعريف العلم وماهيته فان المدارس العلمية كلها لم تستطع حتى الآن أن تتفق فى تعريفها لأنواع كثيرة من العلوم.لقد عجزت عن تعريف واحد يوافق عليه الجميع أو الغالبية . مثلا ماهو علم الاقتصاد ؟ ما هو علم النفس؟ ماذا تعنى كلمة فلسفة ؟ هذه البديهيات لم تحدد بعد تحديدا نهائيا ؟ لذلك فلم يكن غريبا ما نشرته الصحف المصرية هذا العام من أن فتاة مصرية تقدمت لامتحان مضيفة بالطيران ولم تستطع تعريف معنى كلمة اقتصاد وهى خريجة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية . ان الصحفى الذى نشر الخبر ، والصحيفة التى نشرته يجهلان تماما القضية . ان تعاريف هذه العلوم أمر نسبى ، والاتفاق حولها يكاد يكون مستحيلا . ولكن هناك نقطة تقريبية يمكن الاتفاق عليها أو التسليمبصحتها مع وجود اعتراضات أو ملاحظات عليها ، فيقولون مثلا ان المفكر الاقتصادى هو ذلك الرجل

---

(١) راجع فى هذا الخلاف المؤلفات الخاصة بالمذاهب الفلسفية وقد تعرض اليه بالتفصيل ازفلد كولبه فى كتابه المدخل الى الفلسفة .

الذى يلم بمفاهيم معينة فى الأمور الاقتصادية ، ويكون قادرا على ابداء وجهة نظر فى العلوم أو الآراء أو المشاكل الاقتصادية تستند الى منهج علمى ، أو أساس يمكن فهمه ومناقشته • وهو بهذه الصورة التقريبية يجب أن يكون ملما بأفكار من سبقوه فى مجال تفكيره ، ولابد أن يكون متفهما للموضوع الذى يدرسه تفهما ينبع من علم وتجربة وبصر • ولابد أن يبدى رأيه ، أو يضع حله على أساس علمى استقاه من منهجه فى المعرفة ، وقدرته على فهم موضوعه ، وملتزما بما اصطلح عليه أهل هذا العلم أو الخبراء فيه •

فالفكر وان كان شيئا نظريا فانه لابد أن يأخذ صورة مادية تتمثل فى الرأى الذى يقدمه المفكر ، والذى يمكن مناقشته ، والحكم عليه أو له منطقيا أو عن طريق التجريب اذا كان ذلك ممكنا : فالفكر سواء أكان تجريبيا أو نظريا فله صورته وله مجالاته التى يتضح فيها وتستبين معالمه •

**مفكر اقتصادى بمقاييسهم :**

واذا كانت العلوم العصرية لاتضع قيودا جامدة ، ولاتشترط شروطا محددة بالنص يجب أن تتوافر فى المفكر الاقتصادى • واذا كان أصحاب تلك العلوم لم يتفقوا فيما بينهم على تعريف محدد لها •

كما هو حادث فى الفلسفة والاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجرام مثلا • واذا كانت كل الشروط الموضوعة يمكن أن توجد ظواهر تفوقها وتعلو عليها ، وتضيف لها بعض التغيير والتحوير ، فاننا نستطيع أن نقول علميا ان عمر ـ رضى الله عنه ـ كان مفكرا اقتصاديا ، لأنه قدم من الآراء الأقوال ، والتشريعات والتنظيمات ما يعتبر فكرا أو عملا اقتصاديا •

كما أن عمر ظاهرة لا تخضع للشروط التى قد نفترضها فى المفكر الاقتصادى ، ولكنها تعطينا صورة مثالية للمفكر الاقتصادى وكيف يجب أن يكون ، والفكر الاقتصادى وماهيته • واذا كنا نعتبر « مالتس » مفكرا اقتصاديا لرأى عابر أبداه فى المشكلة السكانية أو نعتبر « ليبرمان » مفكرا اقتصاديا لأنه جاهر برأيه فى ضرورة الحوافز فلقد جاء عمر بما يفوقهما اننا لا نذهب فى هذا الموضوع مع القائلين بأنه لا يجوز قياس الماضى باكتشافات عصرية لأنه رأى صائب فى

وجه خاطىء فى وجهه الآخر ولانتفق مع القائلين بأن ذاك عصرونحن نعيش عصرا آخر • لأن الانسان هوالانسان ولابد من وجود سمات واضحة تلازمه ولا نمضى مع أنصار التلفيق لنقول ان كل ما عرفه العصر الحديث قد عرفه أسلافنا فهذه مغالطة قد يدعيها الأحمق، ولكن لايصـدقها الا المجنون ـ والله نسأل أن يجنبنا شر الصنفين ـ وننزه الفكر الاسـلامى أن يلجأ لمثل هـذه المغالطات التى يأباها الاسلام ويمقتها ، لأنه دين الحق والوضوح والصراحة • دين بدأ بقول الله تبارك وتعالى: «اقرأ» ودعت اياته وقامت مبادئه منذ أبينـا ابراهيم على احترام العقل وتقـديم البرهان •

ولسنا مع القائلين بأن علم الاقتصاد نتاج عصر حديث لم تعرفه البشرية الا عندما اكتشفه آدم سميث • لسنا مع أصحاب كل هذه الآراء • ولكننا نقول: ما الدليل على أن ماتذهبون اليه هوالصواب ؟ واذا كان القول بأن علم الاقتصادأسسه آدم سميث قولاصحيحا فما الدليل على أنه الصواب الوحيد ؟

واذا كان كذلك فما الدليل على أنه لا يحتمل الخطأ ؟ ولا يقبل النقـد ؟ أوالنقض ؟ ومن أين تأتى لآدم سميث أن يعرف علم الاقتصاد ؟ هل بمحض الصدفة أم قادته اليه الملاحظة العابرة أم أنه كان حلقة من حلقات التفكير الانسانى ، واذا كنا لا ننتظر ردا لأن ردا صادقا لن يأتينا من الغير ولأننا فى هذه المرحلة بالذات مطالبون أن نبحث وننقب لنعرف حقيقتنـا ، ونكتشـف أنفسنا، ونفهم هذا الدين السمح الذى كرمنا الله به • ونتعرف على حضارة رائعة أنارت العالم • صنعها أجدادنا عندما عاشوا الاسلام ، وساروا بقيمه وتعاليمه •

**أمة خالدة لها عقيدة وتاريخ :**

وربما كان من الميسور أن نجـد الـكثير من الاجابات التى تخـدم قضايانا والحلول التى تصلح لحـل مشاكلنا كلمـا عدنا الى ديننا والى تاريخنا ، وكلما رجعنا الى عروبتنـا وأصالة قيمنا وكلما تفهمنا حقيقتنا ، بعيدة عن أى تخبط أو شعوذة أو غموض ، وكلمـا نظرنا الى أنفسنـا بمنظار عربى ، وتبينا الأمر وفق رؤية اسلامية صحيحـة • نقول ربما كان ذلك ميسورا ولكنه ليس سهلا • وأعتقد أن المهمة ليست سهلة وانما هى مهمة لايستطيعها الا الأكفاء ولكنها ملزمـة لكل الأكفاء وفرض يجب أن يقوموا به جميعا والا كانوا آثمين • لست فى مجـال فتـوى ، ولا أدعى مقام

الافتاء . ولكن شعور المدافع عن قضية عادلة يدرك أنها صعبة ، وأنها فى عدالتها وصعوبتها تمس حاضر العالم الاسلامى ومستقبله . اننا مالم نعش الاسلام فاننا نهدم أنفسنا ، ولن نستطيع أن نعيش الاسلام الا اذا عرفنا حقيقته ، ووعينا معناه ، واستطعنا أن نتمثل قيمه ونجعلها سلوكنا . هذه قضيتنا حضاريا . وهذه مشكلتنا الواقعية وهى الامتحان الحضارى الذى يفرضه علينا العصر ، والذى يجب أن نتسلح بالايمان وبالعمل الاسلامى حتى ننجح فيه .

أليس من التقصير أن يظل التاريخ الاسلامى مجهولا لملايين المسلمين وتظل الحقائق الاسلامية غائبة حتى على الكثيرين من المثقفين فى عالمنا الاسلامى ؟ أليس من العار أن نظل نجهل الكثير عن قضايا الفكر السياسى والاقتصادى فى الاسلام ؟ ونظل نستعير من الغير ، ونستورد من الأفكار ما ليس جديدا علينا ، ولكننا نملك أفضل منه ؟

اذا كنا قد أضعنا كثيرا باغفال تراثنا فماذا نستطيع أن نقدمه الا العودة لهذا التراث ؟ والفهم لهذا الدين ؟ والعودة لأولئك الأخيار الصالحين الذين شرفوا تاريخنا وقدموا للانسانية أعظم ما يخدمها ؟ وفى مقدمتهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه هذه العبقرية الفذة المتعددة الجوانب . عمر الذى يمكننا بمقياس كل العلوم العصرية أن نقول انه كان مفكرا اقتصاديا وسياسيا ، واجتماعيا ونفسيا . وأنه كان فقيها ومشرعا ، وكان حاكما عادلا .

## مفكر اقتصادى ... يحكم دولة

انه بلا أى تعصب له ، ولكن بكل حب له وفهم لسيرته وتفهم لأقواله ونظمه — يقف فى كل فرع من الفروع التى فكر فيها أستاذا لمن جاء وابعده فى كل عصر ومكان .

وعند ماتتضح هذه المعالم للشخصية العمرية فاننا نقول انه فى فكره الاقتصادى لم يكن مجرد حاكم يقوم بما تتطلبه مصلحة الدولة . أو تقتضيه متطلبات الحاكم ولكنه كان صاحب فكر اقتصادى مستقل . وشتان بين ما يصدر عن الشخص بوصفه حاكما صاحب مصلحة ، أو قائما بواجب محدد ، وبين ما يصدر عن الانسان بكونه مفكرا يقدم الرأى أحيانا ويملك القدرة على تنفيذه بوصفه حاكما .

لقد كان عمر من رجال السلطة كما تقول مفاهيم علم السياسة فى عصرنا • ولقد عاش فترة طويلة من حياته قريبا من الرسول صلى الله عليه وسلم • يشارك بالرأى فيما يعرض من مشكلات يومية واجهها المجتمع الاسلامى وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يشاور فيها صحابته وعند ما انتقل الرسول الى الرفيق الأعلى وقف عمر وقفة رجل الدولة ــ بالمفهوم العصرى ــ فى اجتماع السقيفة وأبدى وجهة نظره فى اختيار الصديق رضى الله عنه خليفة • وشارك برأيه طوال خلافة أبى بكر ولم يتأخر عن تقديم المشورة كلما طلبها الصديق رضى الله عنه أو شعر عمر أن دينه يقتضيه أن يقول برأيه أو يجتهد متزودا بالكتاب والسنة • وعند ما استخلف عمر الصديق وأصبح أميرا للمؤمنين كان له نظام عمرى ، وأسلوب خاص فى ادارة شئون الدولة فى النواحى السياسية والاقتصادية •

لقد ولى عمر الأمر فى ظروف مختلفة عن ظروف الصديق وواجه مجتمعا أوسع رقعة ، ودخل فى خلافته مجموعات من الشعوب المتعددة الخصائص والموارد والعادات والتقاليد• وكان على الخليفة أن يواجه ذلك ، وأن يقدم الحلول لمشاكله ، ويقوم بالسهر على راحة المواطنين فى هذه الدولة الضخمة المترامية الأطراف وقد نجح عمر فى مهمته وأدى دوره بصورة لم تتكرر •

ولم يقف عمر ــ رضى الله عنه ــ عند حدود الحاكم الحريص على ما تقتضيه دواعى الحكم أو يتطلبه دور الحاكم فى الدولة • بل تجاوز ذلك اتباعا لتعاليم دينه ، ومتابعة للخصائص العمرية التى امتاز بها واستخداما اسلاميا للهبات الطبيعية التى من الله بها عليه ، والالهامات الالهية التى ألهمه الله بها • فكان مسلما عاملا وكان مؤمنا شكورا • لقد عمل بما يقتضيه ايمانه ويحتمه عليه اسلامه وقام بشكر نعمة ربه فى صورة عملية تمثلت فى بذل جهد انسانى ابتكارى منشىء • راح يستحدث للمسلمين كل ما يمكن أن ينفعهم ، ويوفر للجماعة الاسلامية كل ما يسعدها ، ويعطى للانسانية كل ما من شأنه أن يفيدها ، ويحفظ انسانيتها ، ويبقى لها مواردها • لقد كان الفكر العمرى فى مجال الاقتصاد حلا لمشكلات واجهت ذلك العصر ،

ومنهاجا صالحا للتطبيق فى ظروف أخرى قد تأتى بعد • كان بمقدور عمر رضى الله عنه أن يكتفى بالحفاظ على موارد الدولة وحينئذ كنا نعده حاكما عادلا يدرك أهمية الاقتصاد ، وينظر اليه بعين المصلحة • وكان بمقدور عمر ـ رضى الله عنه ـ أن يأخذ الرأى ممن يمكنه تقديم الرأى فى المجالات الاقتصادية وحينئذ كنا نعده حاكما حصيفا عادلا يحسن استشارة الرجال حوله ، ويحسن اختيار ما يراه صالحا للدولة ، ويكفل حقوق الأمة ، وكان بمقدور عمر ـ رضى الله عنه ـ أن يترك توجيه الأمور الاقتصادية لمجموعة يختارها لذلك وحينئذ كنا سنقول عنه لقد كان رجلا يحسن اختيار الرجال ويوسد للأمر من يصلح له ويستطيع القيام بأعبائه • ولكن سيدنا عمر تجاوز هذه المراحل كلها ، وأبى الا أن يكون مفكرا اقتصاديا لم ينظر لأمور الدولة الاقتصادية نظرة الحاكم الحريص على الخزائن ، ولكن نظرة الاقتصادى الذى يحافظ على الثروة ، ويحسن استخدامها وتنميتها ، وسنكتشف فى هذا البحث ـ ونحن نعيش مع السيرة العمرية ، والفكر العمرى ـ كيف يعتبر عمر رضى الله عنه أول مؤسس للتنظيم الاقتصادى ، وأول مبدع لنظرية التنمية ونظرية فائض القيمة • لقد استطاع أن يؤسس الكثير من النظريات الاقتصادية التى يفخر البعض بأنها من نتاج الفكر العصرى وعلم الانسان المتقدم ، واستطاع أن يؤسس نظريات لم نفهمها بعد • انه لم يكن مجرد حاكم يهتم بالشئون الاقتصادية ، ولكنه كان مفكرا اقتصاديا • أهله علمه وتجاربه لوضع فكره الاقتصادى لخدمة الدولة التى وجد نفسه قريبا من مجال السلطة فيها فترة وحاكما لها فى فترة أخرى من تاريخها •

## الأمر شورى والمسئولية تضامنية

لقد أهلته طبيعته كما أهلته ظروف الحياة من حوله ليكون صاحب نظر اقتصادى ، وعند ما كان قريبا من توجيه الأمور فى الدولة الاسلامية الناشئة استطاع أن يقدم كل فكره باعتبار أن ذلك واجب دينى لأنه مسئول عن هذه الدولة لا بوصفه واحدا من رجال السلطة كما يقول علم السياسة فى عصرنا ولكن بوصفه مسلما ، يحتم دينه على كل انسان أن يقدم ما عنده لخدمة هذا الدين ،

ويعتبر كل فرد من أتباعه مسئولا ، ويشارك كبار المسئولين فى الدولة فى تحمل الأعباء ، وتقديم الجهد البناء . دولة تقوم على الشورى . الناس فيها سواسية . وكل يسهم بقدر جهده ، لاسعاد مجتمعه حتى يكون قد أدى واجبه ، وتحمل مسئوليته تجاه مجتمعه ، واستحق رضا ربه . وكلنا نذكر ما رواه ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته : الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع ومسئول عن رعيته » . متفق عليه .

هذا الدين الذى تتضح فيه المسئولية بصورة عجزت عنها أحدث النظم هو الذى آمن به عمر رضى الله عنه ، وهو الذى شكل شخصيته ، وأسهم فى بناء فكره ، فكان المفكر الفذ العملاق ، واستطاع أن يسبق عصره وما تلاه من عصور ، ويكون المفكر الاقتصادى ؟

فاروق منصور

---

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

**فصول في الدين والأدب والاجتماع**
**للأستاذ زيد بن عبد العزيز بن فياض**

هذا الكتاب الذى نشرته « رابطة الأدب الحديث » بالقاهرة ، يقع فى أكثر من خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، والمؤلف أديب سعودى واسع الاطلاع ، وعالم من علماء الدين واسع الأفق ، تخرج فى المعهد العلمى بالرياض ، ثم فى كلية الشريعة ، وكان ترتيبه الأول ، اشتغل بالافتاء والقضاء والتدريس والصحافة ، وقد قدم للمكتبة الاسلامية والعربية عديدا من المؤلفات ، طبع بعضها عدة طبعات ، والحقيقة أن المؤلف ـ وقد قرأت بعض مؤلفاته ـ ليس بالكاتب المحترف ، وانما هو كاتب يحمل بين جنبيه عقيدة قوية ، وغيرة شديدة على الاسلام والأخلاق ، وقضايا الاسلام والعروبة ..

والكتاب الذى بين أيدينا ـ وان لم يكن قد التزم وحدة الموضوع تمشيا مع عنوانه ـ الا أن فصوله الستة ممتعة ، متسمة بالنقد المهذب فى بعضها كذلك كثير من أبحاثه فيها الكثير من الاعطاء الثقافى والفكرى ، والقارىء للكتاب لا يحس بشىء من الملل ، لأن المؤلف قد اختار الأسلوب السهل الميسر ، واختار أيضا المسائل المجردة من الحشو والتعقيد .

أما أقسام الكتاب الستة فهى :

أولا ـ المسلمون بين الماضى والحاضر : عرض فيه لزهاء سبعين موضوعا ، منها : الاسلام دين الفطرة ، من مواقف الرسول ، السعادة فى الدارين ، كلمة غير صحيحة « الدين لله والوطن للجميع » ، هل الحضارة خير أم شر ؟ ، شريعة كاملة ، الشيوعية الهدامة ، الايمان والكفر ، واقع العالم الاسلامى ، السيف أصدق أنباء من الكتب ، ثم القرآن العظيم .

ثانيا ـ العلوم والمعارف : عرض فيه لبضع وعشرين مسألة ، منها : اللغة العربية ، قصة النحو ، لغة الدين ،

المعاجم ، فضل العلماء المسلمين على الثقافة ، جهاد العلماء ثم الرؤيا ..

ثالثا ـ الأدب والبيان : عرض فيه لزهاء مائة مسألة ، منها : النقد الأدبى، شعراء الرسول ، المتنبى وسيف الدولة ،جرير مع الأخطل والفرزدق، الرشيد ومالك بن أنس ، الشجاعة والحماسة ، الغزل ، ثم المقامات ..

رابعا ـ شخصيات وقصص : عرض فيه لكثير من الأعلام فى الدين والسياسة والأدب ، منهم : عمر بن الخطاب ، معاوية ، عمرو بن العاص ، المغيرة بن شعبة ، الأحنف بن قيس ، الحجاج بن يوسف ، أبو حنيفه ، ثم ابن تيمية ..

خامسا ـ طلب العلم وبثه : عرض فيه لبعض الأعلام من العلماء : ابن عباس ، الشافعى ، الكسائى ، كما عرض لبعض المسائل : واجب المدرسين ، فنون العلم وآدابه ، قصص الأطفال ، المكتبات ، تربية النشء ، خطر المبشرين ثم المجلات بأنواعها..

سادسا ـ الناس والحياة : وهوأطول الأقسام ، وأكثرها استيعابا لما يمس حياة الناس ، عرض فيه لكثير من المسائل والقضايا ، المظهر والمخبر ، مكارم الأخلاق ، النصائح والحكم ، الشجاعة ، الصبر ، التفاؤل ، الوفاء ، الطموح ، الجود والبخل ، المال وسيلة لا غاية ، المجد والمال ، جلائل الأعمال ، تدهور الحضارة الغربية ، الزواج والطلاق ، ثم الأمانى ..

* * *

هذا عرض سريع للكتاب ، واذا كان هذا الكتاب الضخم لم تتوافر له الوحدة العضوية تمشيا مع عنوانه ، الا أنه فى الحقيقة يعتبر موسوعة ثقافية تعطى للشباب المسلم والعربى الكثير من المعانى ، لكن المؤلف وقد قسم الكتاب الى ستة أقسام ، كان ينبغى أن يراعى التناسق بين الموضوعات التى ضمنها كل قسم من أقسام الكتاب ، لتتوافر الوحدة العضوية فى كل قسم على حدة ، لكن يبدو أن كثرة الموضوعات التى عرض لها حال دون ذلك .

والمؤلف طرق كثيرا من القضايا التى هى على جانب من الأهمية ، لكن هذه القضايا البالغة الأهمية لم تنل من المؤلف الجهد اللائق بها ، فمثلا ، قضية التطور والجمود ، أوجز فيها

المؤلف ايجازا كبيرا ، مع أنها قضية تشغل اليوم أذهان الشبيبة المسلمة ، ويستغلها الملحدون والمبشرون أسوأ استغلال بما يمس منهج الاسلام ..

وشيء آخر ، يبدو أن غيرة المؤلف على الاسلام ، جعلته يهتم بالأسلوب الخطابي ، حتى في القضايا المهمة ، فمثلا في بحث « السعادة في الدين » يقول : كلا النظامين : الرأسمالي والشيوعي ، يضطهدان المجتمع ويتحكمان فيه ، الشيوعية تسلب الفرد جهده ، وتسخره كالآلة ، والرأسمالية المادية ، تعبد المادة ، وهذا كلام يقرر الحقيقة ، ويعتمد على منطق الواقع ، لكنه عند ما تحدث عن الاسلام ، قال : أما الاسلام ففيه السعادة والهناء ، وشريعته شاملة ، وفيها كل ما فيه خير البشرية وأمنها واستقرارها ، وحميد عاقبتها في الدين والدنيا والآخرة .. وهذا كلام يتسم بالخطابة ، وكان الأجدر بالمؤلف أن يبرز بالأدلة قيمة الاسلام ، وهو كفء لذلك .

* * *

وبعد ــ فهذه ملاحظات عابرة ، وبعض آراء المؤلف في حاجة الى مناقشة ، نأمل أن تسمح الظروف القريبة بذلك ان شاء الله ، ويبقى أن نقول : ان الكتاب جولات ممتعة شيقة ، وبالاضافة الى أنه موسوعة ثقافية ــ يعتبر ذخيرة في الأدب العربي ، ويحمد للمؤلف بعد ذلك عقيدة اسلامية يتحرك بها ولها قلمه ، في شجاعة لا تعرف المواربة ولا التردد .

* * *

### تجديد الدين واحياؤه
### واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم
### للمفكر الاسلامي: أبي الأعلى المودودي

هذا الكتاب الذي نشرته دار الفكر في بيروت ، يقع في أكثر من مائتي صفحة من القطع المتوسط ، وهو كتابان بين دفتي كتاب واحد ، الكتاب الأول أو الرسالة الأولى : مقال طويل كتبه المؤلف منذ أكثر من ثلاثين سنة لمجلة « الفرقان التي كانت تصدر في مدينة بريلي بالهند ، لعددها الخاص بذكرى ولي الله الدهلوي (١١١٤هـ ـ ١١٧٦هـ) وقد ظهر منها حتى الآن سبع طبعات باللغة الأردية ، وهذه أول ترجمة لها باللغة العربية ، وقد قام بالترجمة الأستاذ محمد كاظم السباق العضو في دار العروبة .

والمفكر الاسلامى الكبير ، الأستاذ أبوالأعلى المودودى غنى- بالطبع-عن التعريف ؛ فهو صاحب مدرسة فى الفكر الاسلامى ، يتتلمذ عليها ألوف الشباب المسلم فى كل بقاع العالم الاسلامى ، ومن أجل عقيدته لقى كثيرا من الاضطهادات ، حتى لقد حكم عليه بالاعدام منذ أكثر من عشرة أعوام ..

وهذه الرسالة استوعبت أكثر من مائة وعشرين صفحة ، لم ينل منها صاحب الذكرى الا القليل ، لأن المؤلف تحدث عن الاصلاح والتجديد ورجالهما فى تاريخ الاسلام ، وعرض للنزاع الفكرى والتاريخى بين الاسلام والجاهلية ، كما عرض للفرق بين التجدد والتجديد ، وشتان ما بينهما ، فالتجديد ليس التماس الوسائل لمسالمة الجاهلية ، بل هو تنقية الاسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية ، ثم العمل على احيائه خالصا محضا ..

أما الكتاب الثانى أو الرسالة الثانية فمحاضرة ألقاها المؤلف فى مؤتمر الجماعة الاسلامية التى انعقدت فى كراتشى عام ١٩٥١ م ، قام بترجمتها الى العربية الأستاذ محمد عاصم الحداد ، وموضوع هذه الرسالة من أخطر القضايا التى يجب أن نعنى بها اليوم ، والمؤلف ينعى على المسلمين واقعهم اليوم ، ويرد أسباب عبوديتهم الى ما أصاب حالتهم الدينية من انتكاس ، والى ما أصاب حالتهم الأخلاقية من تدهور ، والى ما أصاب حالتهم الفكرية والعلمية من كساد ، كما ناقش المؤلف أسس الحضارة الغربية ، كما ناقش آراء بعض مفكريها ، ناقش هيجل وفلسفته للتاريخ ، وخلاصتها : أن كل نظام للحضارة فى عصر من عصور التاريخ ، انما يكون مبناه على أخيلة خاصة تجعله فى العالم عصرا للحضارة والمدنية ... وناقش دارون ونظريته فى التطور الانسانى ، كما ناقش تفسير ماركس المادى للتاريخ ... ويرى المؤلف لكى ينهض المسلمون اليوم ، عليهم أن يفيدوا من عمل أسلافهم ، وأن يختاروا لحياتهم الفردية والقومية ذلك الطريق المستقيم الذى هدانا اليه : كتاب الله وسنة رسولنا - صلوات الله وسلامه عليه - ثم عليهم أن يحللوا مزيج الاسلام والأوضاع القديمة غير الاسلامية ، ويميزوا ما حازه الغرب من الرقى

الحقيقى فى المدنية والعلوم ، عن ضلالته فى فلسفة الحياة ، ووجهة الفكر والنظر والأخلاق والاجتماع ، يأخذون الأول ، ثم يضربون صفحا عن الآخر .

* * *

### أقلام تهذى

كنا نعتقد أن هذه المعركة التى كتب الله النصر فيها لجنوده الشجعان ، سوف تجبر هذه الأقلام التى تقطر حقدا على الاسلام ، على الاختفاء ولو بعض الوقت ، وسوف تحمل لونا من الصحافة التى يسيطر عليها فرد على الاعتدال ، والتوقف — ولو بعض الوقت — عن اغاظة عواطف الجماهير المؤمنة بالله .

ان الايمان كان من أبرز عوامل النصر فى هذه المعركة ، سواء أرضيت هذه الأقلام الحاقدة أم سخطت ، هذه الأقلام أهون من أن تناقش ولكنا نسوق عبارات وردت فى كتاب للقائد البريطانى الشهير «مونتجمرى» الذى أحرز النصر للحلفاء فى الحرب العالمية الثانية ، عنوان الكتاب « السبيل الى القيادة » والذى ذكر فيه أن محمدا — صلوات الله وسلامه عليه — كان من أعظم القادة فى كل الأزمان ، يقول القائد الكبير :

« لا يستهوى القائد الكثيرين من الناس . ان لم يتحل بالفضائل الدينية ، ومن هذه الفضائل «الهدى» وهى ارجاع جميع الأمور الى الارشاد الالهى » .

ويمتدح القائد البريطانى الملك « ألفرد » الذى حكم بريطانيا فى القرن التاسع الميلادى ، والذى أنقذ بريطانيا . والذى أعطى المسيحية أملا جديدا ، لأنه كان مسيحيا صادقا يمارس كل الفضائل المسيحية ، وبذلك استطاع أن ينقذ انجلترا بحكمته ومهارته العسكرية ، وابراز جميع الفضائل المسيحية التى قامت عليها حياته » .

لم يقل أحد : ان الاسلام يعتمد فى كسب المعارك على القوى الغيبية ، وهذا كتاب الله يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ولكن هذه الأقلام تهذى بما لا تعى ، لقد سمعت ضابطا شابا خاض المعركة يقول :

« كنا نحمل سلاحنا ، لكن كأن الله هو الذى يقاتل أعداءنا » .

فلنصغ بكل مشاعرنا الى هذه الكلمات المؤمنة ، ولنصم مسامعنا عن صرير أقلام حاقدة لاتجيد الا فن اثارة الشكوك ، وهى أهون على الوعى العربى المسلم من الهوان نفسه .

**قراءات :**

«ينبغى لصاحب الحرب أن يجعل رأس سلاحه فى حربه ، تقوى الله وحده ، وكثرة ذكره ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، والفزع اليه ، وأن يعتمد فى كل ما يعمل بهفى حربه طلب ما عند ربه ، ليجتمع له به خيرا الدنيا والآخرة » .

من كتاب « مختصر سياسة الحروب » للهرثمى

**محمد عبد الله السمان**

# باب الفتوى ١

للأستاذ محمد أبو شادي

**السؤال :**

امرأة توفى عنها زوجها وكانت قبل وفاته قد استأذنته فى أداء فريضة الحج وبعد وفاته ذهبت مباشرة الى الحج فى أثناء العدة ودون صحبة محرم ــ فما الحكم ؟

**الجواب :**

ان شروعها فى العدة يمنعها من السفر الى الحج لأن بقاءها فى مسكنها الذى مات عنها زوجها وهى فيه واجب شرعا .

**السؤال :**

رجل حج الى بيت الله الحرام منذ سنوات وفى أثناء طوافه بالبيت قبل الحجر الأسود مرتين من السبع طوفات وكان يحرك قدميه الى الباب فى الطوفتين . وهذا قاطع لبعض مرات الطواف لأن بعض بدنه فى هواء الشاذروان وهو داخل الكعبة والطواف يجب أن يكون خارج الكعبة . وهذا النص موجود فى كتاب تيسير الحج ، فما رأى الشرع ، وهل يلزمه دم ، وهل يجوز له احرام فى وطنه ؟

**الجواب :**

كان الواجب على السائل أن يخرج جميع بدنه من الشاذروان فى كل طوفة من طوافه لأن ذلك شرط من شروط صحة الطواف لأنه من البيت وهو ما عليه الأكثر من المالكية والشافعية وذهب بعضهم الى أنه ليس من البيت .

وعلى ما تقدم فان طاف وبعض بدنه فى هواء الشاذروان فى بعض الأشواط ــ شوط أو شوطين ــ كما جاء فى السؤال فانه يعيد ما دام فى مكة فان لم يتذكر ذلك حتى بعد عن مكة فانه ينبغى أن يأخذ برأى من يقول انه ليس من البيت ولا يلزمه الرجوع الى مكة وعليه دم مراعاة لمذهب الحنفية الذين يكتفون بأكثر الطواف والباقى واجب يلزمه فيه الدم اذا تركه يذبح فى الحرم ويوزع على فقرائه ولا يكفى ذبحه وتوزيعه فى وطنه الا اذا عجز عن ايصاله الى الحرم فيكفى فى وطنه .

**السؤال :**

شخص يريد أداء فريضة الحج ولكنه مصاب بفتق أسفل البطن يستدعى شد حزام عليه بصفة دائمة والحزام محاك بآلة الحياكة .

فهل يجوز له لبس الحزام وهو محرم واذا لم يجز وتعذر سفره لذلك، فهل التصدق بالمبلغ الذى يحج به على الفقراء والمساكين يقوم مقام أداء فريضة الحج ؟

**الجواب :**

ان شد الحزام لأجل الفتق لايمنعك من الحج ؛ لأن لبس المخيط لعذر جائز وفيه فدية فقط .

وهى ذبح شاة أو صيام ثلاثة أيام أو اطعام ستة مساكين نصف صاع من القمح أو قيمته مع مراعاة أن الكيلة المصرية تكفى ستة المساكين بالتساوى بينهم .

وحيث ان هذا العذر لا يمنع من الحج بسبب ازالته بلبس الحزام فلا يحل ترك الحج والتصدق بالمبلغ على الفقراء .

**السؤال :**

رجل يقيم فى بلاد (تشاد) ويتمتع بصحة تامة أراد أن يحج فكلف شخصا بالقيام بالحج نيابة عنه ودفع له جميع النفقات فهل يجوز ذلك ؟

**الجواب :**

ان النيابة فى الحج انما تجوز عن الميت أو عن المعضوب الذى لايستطيع أن يثبت على الراحلة أما الصحيح الذى يمكنه أن يسافر فلا يجوز أن يحج غيره عنه؛ اذ الأصل فى العبادات أن يؤديها الشخص بنفسه ولم تخرج عن هذا الا فى الميت؛ لورود الحديث فيه وفى المعضوب لأنه فى حكم الميت وهذا مذهب الشافعية رضى الله عنهم .

**السؤال :**

توفى والدى وكان قد أوصانى بأن أحج عنه بمال تركه لى يكفى بذلك مع العلم بأننى سبق أن أديت فريضة الحج فى الماضى عن نفسى والآن وقد تمنعنى بعض اللوائح عن تنفيذ هذه الوصية بسبب الحج السابق لى فما الذى أفعله ازاء هذه الوصية وهل يجوز أن أنيب عنى آخر فى تنفيذها ؟

**الجواب :**

حيث توفى والدك بعد الاستطاعة وقد أوصى بالحج عنه وترك ما يفى

بنفقات ذلك فانه يجب عليك أن تنفذى وصيته بالحج عنه .

وحيث انه يشترط فى من يحج عن غيره أن يكون قد أدى فريضة الحج عن نفسه أولا وأنت قد سبق لك أن حججت عن نفسك فانك أولى بالحج عنه حينئذ .

**السؤال :**

رجل أدى فريضة الحج ولديه مال فهل ذهابه للحج تطوعا أولى أم صرف ما يملكه للفقراء أولى ؟.

**الجواب :**

ان صرف هذا المبلغ فى وجوه الخير التى منها التصدق على الفقراء والمساكين أولى من صرفه فى الحج تطوعا لأن نفع التصدق قد تعدى الى غيره بخلاف الحج تطوعا فمنفعته قاصرة عليه وحده .

**السؤال :**

هل يجوز السفر للحج والتجارة وهل ينقص ذلك من أجر الحاج ؟.

**الجواب :**

السفر للحج والتجارة جائز وقد قال الله فى شأن الحجاج : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » فيستفاد منه أنه لا مانع من التجارة لقاصد الحج وأن ذلك لا ينقص من أجر الحج شيئا .

**السؤال :**

احتل اليهود مدينة القدس واتخذوا بعض الاجراءات لضمها الى دولة اسرائيل وقد قرأت كثيرا من البيانات الصادرة من الجهات الاسلامية والمسيحية تعارض هذا الضم كما تعارض فكرة تدويل القدس لما لبيت المقدس من الأثر الدينى بالنسبة للدين الاسلامى والمسيحى .

فهل للدين اليهودى نفس هذا الأثر ؟ ولماذا يحج المسلمون ليه بعد تحويل القبلة الى البيت الحرام بمكة ؟.

**الجواب :**

ان بيت المقدس بلد اسلامى منذ فتحه المسلمون أولا ، وخروجه من أيديهم قهرا فى بعض فترات من الزمان لا يسلبه هذا الحكم ، والاسلام لا يمنع أهل الكتاب من اقامة شعائرهم الدينية بما لا يتعدون فيه على المسلمين، والتفكير فى اخراجه

من يد المسلمين بتدويله أو وضعه تحت يد دولة غير اسلامية أمر غير مشروع والاسلام لا يقره بحال من الأحوال . وعلى المسلمين جميعا أن يقاوموه بكل ما اوتوا من قوة .

والمسلمون لا يحجون اليه بعد تحويل القبلة بل يقصدونه للزيارة لما ورد فى الحديث ( لا تشد الرحال الا لثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى ) ولما ورد فى فضل الصلاة فيه وأنها بخمسمائة صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام والمسجد النبوى .

**السؤال :**

أوصت سيدة شقيقها قبل وفاتها بأن ينوب عنها فى أداء فريضة الحج فهل يجوز تنفيذ هذه الوصية على أن يخصم تكاليف الحج من تركتها قبل توزيعها ؟ .

**الجواب :**

ان مصاريف الحج عن المتوفاة يجب أن تخصم من التركة قبل توزيعها على الورثة حيث ان الحج واجب عليها قبل وفاتها باستطاعتها وقد أوصت به أيضا لقوله تعالى : «من بعد وصية يوصين بها أو دين» .

**السؤال :**

دخل رجل مكة المكرمة فى غير وقت الحج ولم يحرم ولم يكن من أهل مكة وبدون أن يكون له سابق علم بأن الذى يدخلها بدون احرام عليه دم ( شاة ) فهل يجب عليه ؟ .

**الجواب :**

ان الراجح من مذهب الشافعية أن من قصد مكة غير مريد للنسك ( الحج أو العمرة ) كأن دخلها للتجارة أو الزيارة لا يجب عليه الاحرام ولا دم عليه .

**السؤال :**

شاب أعزب يبلغ من العمر ثمانية عشر عاما ، ويريد أداء فريضة الحج، فهل الأفضل أن يقدم الحج على الزواج ، أو يؤخر الحج الى أن يتزوج ؟.

**الجواب :**

ان الأفضل تقديم الحج على الزواج اذا كان قادرا على الزاد والراحلة فاضلا عن المسكن وما لابد منه وعن نفقة عياله الى حين عودته وكان الطريق آمنا لأنه حينئذ يكون فريضة محتمة وهو أحد أركان

الاسلام باجماع العلماء من غير نكير ما لم يخش على نفسه الوقوع فى المعصية بتأخير الزواج ، والا قدم الزواج على الحج .

**السؤال :**

جاءتنى دعوة الى الحج فهل فى تلبيتها حرج وهل لى ثواب على ذلك مع أن المال ليس مالى وهل تسقط به الفريضة ؟

**الجواب :**

لا مانع شرعا من تلبية هذه الدعوة والحج والزيارة على نفقة الداعى ويكون لكل ثواب ، وثواب الملبى على ما قام به من عمل بقصد ابتغاء مرضاة الله واسقاط ما وجب عليه من فريضة وثواب الداعى يكون على اعانته لشخص على فعل الطاعة وتسقط به الفريضة ، وفضل الله واسع ، والله ذو الفضل العظيم .

**السؤال :**

ما حكم حج الصبى وهل عليه حج متى بلغ ؟.

**الجواب :**

الصبى لا حج عليه ولكنه اذا حج مع أهله ــ مميزا كان أم غير مميز ــ حج حجة وكان له تطوعا لا يسقط عنه حجة الفريضة الواجبة على البالغين ، فعليه اذا بلغ أن يحج حجة أخرى وذلك لحديث ابن عباس : «أيما غلام حج به أهله ثم بلغ فعليه حجة أخرى » .

واذا كان الصبى غير مميز أحرم عنه وليه ولبى عنه ورمى عنه الجمار لقول جابر بن عبد الله : « حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم » .

# أنبـاء و آراء

للأستاذ علي الخطيب

**قصص الأبطال ... وامجاد الآباء :**

أبطالنا المجاهدون الذين خاضوا معركة العاشر من رمضـــان ، فعبروا القناة وشقوا حصن « بارليف » ثم انتشروا فى سيناء ...

هؤلاء الأبطال قصوا على ذويهم.. علـى الآبـاء والأمهـات والأخـوة والأخوات...على الأقارب والأصدقاء قصص اكـرام الله لهـم فى أرض المعـركة ... كرامات كثيرة عززت الايمان ، وشـدت قلوب الرجال ، فكانت قوة الى قوتهم وسـلاحا الى أسلحتهم زادها مضاء وأيدها كفاءة .

قصص ماضر من أحد ، ولا أوهى من عزيمة ، ولا شغل عن حذر ، ولا بخس بحـق الجهـاد ، ولا نال من أسرارنا العـزيزة ، ولا حقـر من رصاصة أو هزأ بصاروخ .

لكن ضاق به من يضيق بالحديث عن الله الواحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد !!

ساء قصص الأبطال من لم يحمل سلاحا ، ولم يخض كفاحا ولم يشرف بالقتـال فى معركة ، أو يتطلع الى ساحة جهاد .

ساءه وضاق به أن يكون «الدين» فى قلوب الرجـال وأن يكون أثره بارزا فيهم ، فآثر حربا فى غير معركة وضجيجا بغير شرف ليس هـذا وقته ولا هذا مكانه .

ثم هو بعد لم يزعزع ايمان الرجال الذين حملت خوذاتهم ــ كما سجلتها مجلة المصور ــ كلمة « الله أكبر لااله الا الله » على خوذة عميـد طيـار ، وانتشرت ــ كما سجلت الأهرام ــ فى جبهة القتال فى كل مكان . فوق عربات الجيب . والعربات الادارية وغيرها ، وفى مراكز الرادار ارتفعت لوحـة تحمـل الحديث الشريف : « عينـان لاتمسهما النـار أبدا : عين بكت من خشـية الله . وعين باتت تحرس فى سبيل الله » .

وتوالت رسوم الأبطال على الصحف في لوحات معبرة تحمل آيات الايمان مع الصورة .. ولا تزال .

وكأي حديث ـ لاشرف فيه ـ تناول الكاتب موضوعه باللفظ الغامض ، والمعنى المبهم ، فهو لا يكشف عما يريد حذر أن يقهره الحق ، حتى اذا انبرى له المحققون أسرع في طلب النجدة فأغلقت له صحيفته باب الحوار .

ومالبث (نفس الكاتب) أن انطلق في سعار ينال من أجهزة الاعلام أنها تقدم للناس روائع آبائنا المجاهدين . وهو ماض لنا مجيد نعيش فيه حقيقة العلم والايمان . لماذا ... كل ذلك .. وماذا يضيره من هذا الأسلوب ؟!!

ان الايمان بالله عدتنا والعلم سلاحنا .

نادى بهما رئيس الدولة المؤمن المجاهد .

وقال دكتور محمود فوزى نائب رئيس الجمهورية :

« لو لم يساند الدين والتعليم والصحة والاقتصاد قواتنا المسلحة ... لما عشنا أمجاد هذه الأيام .»

اللهم انصر جندك وحقق وعدك فأنت ـ بجندك ـ نعم الولى النصير ، ولا نصر الا نصرك .

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » .

قال تعالى :

« واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون » .

صدق الله العظيم

أنباء :

*** من « بلفور » الى « كيسنجر » :**

ورد فى مذكرات « بلفور » صاحب الوعد المشهور سؤال وجه اليه بشأن انشاء وطن قومى لليهود بفلسطين ، ويتضمن السؤال ما يأتى :

« لماذا تعطى انجلترا وعدا لليهود باقامة وطن قومى لهم فى فلسطين بينما العرب لم يسيئوا الى بريطانيا فى شىء ؟

وأجاب بلفور : هذا صحيح ، لكن العرب ممكن أن يتكتلوا فى قوة تكون جبهة صلبة أمام الامبراطورية البريطانية ، واقامة هذا الوطن فى قلب الأمة العربية كفيل بتفتيت وحدتها . »

وسأل مراسل « اليونيتد برس » كيسنجر ـ أثناء وجوده فى ( بكين ) التى زارها عقب زيارته للبلدان العربية فى ( شوال ـ نوفمبر ) الماضى نفس السؤال تقريبا ـ قال المراسل :

لماذا يكون من المصلحة الوطنية الأمريكية تأييد اسرائيل بهذه القوة ؟ وأجاب كيسنجر :

ان الولايات المتحدة تؤيد اسرائيل بسبب الروابط العاطفية القائمة بينهما. اهـ

ترى هل يكون ـ مع هذه الفلسفة ـ انصاف ؟!!

**نتيجة ... بلسان شارون قائد مغامرة « الدفرسوار » :**

فى منتصف شوال الماضى قال شارون :

اننى أعتقد أن اسرائيل خسرت فى عدة مجالات ، وقد حقق المصريون نتائج فى عملية عبور شاملة للقناة لم يكن يتوقعها أحد ، ولقد منينا بخسائر جسيمة فى الأرواح ، وفقدت اسرائيل قوة ردع العرب .

واعترف شارون بأن اسرائيل عجزت عن محاصرة الجيش

الثالث •

كذلك قال : ان الجيش الثالث لديه مواد كافية من المياه والأغذية •

*** الأموال العربيـــة ... والبنوك الأجنبية :**

شن عضـــو صهيونى بالكونجرس الأمريكى حملة اثارة ضـــد العرب لتعبئـة المشـــاعر الأمريكيـة بالحنق والبغضاء لشعوب العالم العربى • قال: « السناتور » ابراهام ريسكوف :

انه خلال خمسة عشر عاما ستملك دول البترول العربية ماقيمته مائةبليون دولار من الذهب والعملات الصعبـة ، وهى أموال كافية ليسيطر العرب على قطاعات كاملة من الصناعة الأمريكية وليهددوا اقتصاديات الدول الغربيـــة الكبرى المتقدمة صناعيا • ا هـ

ولاشك أننا ـ نحن العرب ـ نتوقع ألوانا من هذه الاثارات التى تشعلهـا أحقاد اليهود ومرارة هزيمتهم ، ولقد كان قرار وزراء الاقتصاد العرب فى ختام الدورة التاسعة عشرة للمجلس الاقتصادى كفيلا باقناع أمثال هـــذا الصهيونى أن مناورته هذه لم تفلح فى تهديد العرب فقد قرر هذا المجلس التدرج فى نقل بعض الأرصدة العربية من البنوك الأجنبيـــة الى المؤسسات التمويلية العربية • وقد انخفضت ـ فعلا ـ أسعار سوق الأوراق المـاليـة فى اليوم التالى بلندن ١١ من ذى القعدة ٩٣ وأدى ذلك الى ضياع استثمارات تقدر بملايين الجنيهات •

وطبقا لبعض التقديرات تبلغ الأرصدة العربية الرسمية والخاصة فى البنوك الغربيـة عشرة آلاف مليون دولار ، معظمها أموال سائلة يمكن تحويلهـا فورا وباقيها أوراق مالية وودائع يمكن سحبها فى فترة تتراوح بين ثلاثة وستة أشهر •

*** الصراع بـين الحاخـامات بعـد الجنرالات :**

بعد حرب العاشر من رمضان فقط ، وليس قبل ذلك بدأ الانقسام فى الرأى بين رجال الدين اليهودى ، وشـهد المؤتمر القـومى للاصـلاح اليهودى المنعقـد فى نيـويورك فى ١٨ شـوال ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣/١١/١٢ خلافا حادا بين حاخامات اليهود حول ما اذا كانت اليهودية تتركز فى اسرائيل ، أم هى دين يكون مع اليهودى أينما وجد ؟•

وتعصب ريتشارد هير سبش حاخام القـــدس لنظرية ارتبـــاط اليهودية

باسرائيل ــ وهي نفس نظرية دافيد بن جوريون •

بينمـــا رأى دافيد بوليشى حاخام مدينة « ايفا تستون » بولاية «ألينوى» بالولايات المتحـــدة ــ أن الحوار سينتهى الى أن نتساءل : هل نحن دولة أم شعب ؟ ثم قال :

ان استبدال الرب بدولة هو الوثنية فى أبغض صورها • اهـ

من المؤكد أن خلاف الحاخامات هـذا لاينفى اتفاقهم على جمـع أكبر ما يمكن جمعه من أموال أمريكيـــة لصالح اسرائيل • وهؤلاء الحاخامات أنفسهم كانوا راضين تماما عن شعار :

« ادفع دولارا تقتل عربيا »

*** ... « البترول » الافريقى :**

صرح شستيما على مو نجوتو وزير الطـاقة فى نيجيريا بأن بلاده لا تعتزم زيادة انتاجها من البترول الخام وانتهاز فرصة الأزمة التى تواجهها ســـوق البترول فى العالم فى الوقت الحاضر ، وقال : ان زيادة انتاج البترول الخام يعتبر تصرفا غير أخلاقى تجاه الدول العربية التى تخوض نضالا عادلا ضد العدوان الاسرائيلى •

*** ... وفى اندونيسيا :**

أعلنت أندونســيا أن بترولها لن يذهب الى هولندا وكذبت ما نشر عن ذلك• وأكد الرئيس ســـوهارتو أن أندونسيا حكومة وشعبا تقف بجانب الأمة العربية فى قضيتها العادلة ، وأن ما أشيع من أن أندونســـيا ستعوض الدول التى تأثرت بتخفيض البترول العربى غير صحيح •

*** اسرائيل وعـــدوان على الأمـم المتحدة :**

قال فالدهايم السكرتير العـام للأمم المتحدة :

ان الحادث الخطير الوحيـد الذى حدث بعد الأزمة الكبرى الخاصـــة بتهديد حدوث مواجهة عسكرية بين الولايات المتحدة والاتحـاد السوفيتى كان اشتباك القوات الاسرائيلية مـــع الأعضاء الفنلنديين فى قوات الطوارىء الدوليـــة عندما رفض الاسرائيليون التخلى عن موقـع مراقبـة على طريق القاهرة ــ السويس • ولو أننا لم تتمكن من القضاء على الخلافات فان الموقف كان ســيتحول الى كارثة ، ذلك أن الأعمال العدائية بين القوات الاسرائيلية وقوات الأمم المتحـدة كانت ســتفسد اتفاق كيسنجر •

*** مصر وافريقيا ... اقتصادا وثقافة :**

تقررتنشيط التبادل التجارى وتدعيم العلاقات الاقتصاديةمع الدول الافريقية وتوجيه الدعوة لبعض خبراء ( الالكترونيات ) فى افريقيا لزيارة مراكز الحساب الآلى فى القاهرة ، وايفاد بعثات متخصصة من رجال المال والاقتصاد الى الأسواق الافريقية لدراسة امكانيات تنشيطها • وبدأت الجهات المختصة - فعلا - باعداد الاجراءات التنفيذية لهذه القرارات•

فأما فيما يختص بالعلاقات الثقافية فان جامعة الأزهر ومعاهد الأزهر والدراسات الخاصة بمجمع البحوث الاسلامية تستوعب آلافا من الطلاب الافريقيين الذين يحصلون العلم فى أروقتها •

كذلك جاء فى قرارات الملوك والرؤساء العرب :

تقديم معونة عاجلة الى الشعوب الافريقية التى تضررت بالمجاعة وبعدة كوارث طبيعية وخاصة دول الساحل الافريقى - ودعم التعاون العربى الأفريقى وتعزيز التمثيل السياسى العربى فى افريقيا واتخاذ اجراءات مواصلة تمويل الدول الافريقية المساندة بالبترول ؟

**على الخطيب**

# فهرس أبجدى عام
# للمجلد الخامس والأربعين من مجلة الأزهر
# سنة ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م

## ( ا )



## ( ب )

( ت )

الموضوع | الصفحة



( ث )



( ج )



( ح )



( خ )

( د )



( ذ )



( ر )



( س )



( ش )

## ( ف )



## ( ق )



## ( ك )



## ( ل )



## ( م )

( هـ )



( و )



( ى )

## هدايا صدرت مع مجلة الأزهر

(١) هجرة النبى من مكة الى المدينة .

(٢) ابن عربى وتفسير القرآن .

(٣) الحسبة وظيفة اجتماعية .

(٤) اليهود والأنبياء .

(٥) الاسراء والمعراج .

(٦) بشائر النصر ومعركة المصير .

(٧) أعداء الماضى والحاضر والمستقبل .

(٨) الصلاة فى الحرب .

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول
**على سلطان على**
رئيس مجلس الادارة

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٤/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٦٠٠٢-١٩٧٣-١٧٤٠٤

Allah : fear Me, then, O men of understanding !'' (2:197).

« ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين » ( ٢ : ١٩٨ ) .

"There no blame on you in seeking bounty from your Lord so when you hasten on from Arafat, then remember Allah near the holy monument, and remember Him as He has guided you, though before that you were certainly of the erring ones'' (2:198).

« ثم أفيضوا من حيث أفاض النـاس واسـتغفروا الله ان الله غفـور رحيم . فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا » .

( سورة ٢ ، آيات : ١٩٩ — ٢٠٠ ) .

"Then hasten on from the place from which the people hasten on and ask the forgiveness of Allah; surely Allah is Forgiving, Merciful.

"So when you have performed your holy rites, then laud Allah as you lauded your fathers, rather a greater lauding'' (2:199-200),

« وأتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صـيام أو صدقة أو نسك فاذا آمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب » .

٢ : ١٩٦ ) .

"And accomplish the Pilgrimage and the Visitation (Umrah) of the holy places in honour of Allah but if you are prevented, (send) whatever offering is easy to obtain, and do not shave your heads until the offering reachs its destination ; but whoever among you is sick or has an ailment of the head, he (should effect) a compensation by fasting or alms or sacrificing ; then when you are secure, whoever profits by combining the Visitation with the Pilgrimage (should take) whatever offering is easy to obtain ; but he who cannot find (any offering) should fast for three days during the Pilgrimage and for seven days when you return ; these (make) ten (days) complete ; this is binding on him whose family is not resident (near) the sacred Mosque. And fear Allah, and know that Allah is severe in requiting (evil)'' (2:196).

# HAJJ (PILGRIMAGE)

## In Verses from the Quran

« ان أول بيت وضـــع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين .

فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » .

( سورة ٣ ، آيات : ٩٦ : ٩٧ ) .

"Most surely the first House (of worship) appointed for men was at Bakka, full of blessing and of guidance for all nations. In it are clear signs : the standing-place of Abraham, and whoever enters it shall be secure, and pilgrimage to the House is incumbent upon men for the sake of allah, (upon) every one who is able to undertake the journey to it ; and who ever disbelieves, surely Allah is Self-sufficient, above any need of the worlds'' (3 : 96-97).

« واذ بوانا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بى شـــيئا وطهـر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشـهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » .

( سورة ٢٢ ، آيات : ٢٦ — ٢٨ ) .

"And when We assigned to Abraham the place of the House, saying : Do not associate with Me aught, and purify My House for those who make the circut and stand to pray and bow and prostrate themselves. And proclam among men the Pilgrimage : they will come to thee on foot and on every lean, camel, coming from every remote path. That they may witness advantages for them and mention the name of Allah during stated days over what He has given them of the cattle quadrupeds, then eat of them and feed the distressed one, the needy'' (22:26-28).

« الحج أشـــهر معلومات فمن فـرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقـوى واتقـون يا أولى الألبـاب » .

( سورة ٢ ، آيات : ١٩٧ ) .

"The Pilgrimage is (performed in) the well-known months ; so whoever determines the performance of the Pilgrimage therein, there is to be no intercourse with women nor the commission of any sins, nor any wrangling during the (period of) the Hajj ; and whatever good you do, Allah knows it ; and make provision (for your journey to Mecca), but the best provision is the fear of

salath there are very few passages to recite. There are first the adhaan and iqaamah (call to prayer). Then inside the service of worship there are the formulas Allahu-akbar. Subhana rabbiy-al-azeem, subhana rabiy-al-a'laa, the short chapter al-Fatiha, two other short chapters, and the prayer of 'tashahhud', and that is all. The totality does not exceed a page of small size, and most of the words of these texts are commonly understood by the Muslim masses and have penetrated into all the languages of the Muslim countries, so much so that even a child or a beginner learns their meaning without pain and without strain. And once the significance of these formulas is learnt, the salath of a Muslim remains no more a mechanical recitation and without understanding.

Personally, this writer thinks that no Muslim would ever bestow the same respect on a translation of the Quran as he does on the original revealed by God to His messenger. For the translation would be done by an ordinary human being and not by an infallible person who should be protected by God against error, as is the case of a prophet.

One day a young student kept insisting on the importance of undestanding what one says (or prays). When all other arguments seemed to fail to convince him, the author said : "If you promise me that you will perform regularly the five daily services in your mother-tongue, I authorize you to do so." Forthwith he interrupted the discussion, and never came again to speak of it. In other words, those who insist on regionalizing the faith and cult are those who do not practise it themselves ; at least, such is the case with the immense majority of them. A beliver has no need to take counsel with those who do not belive in or do not practise Islam.

To end there are writers who say that they have the backing of such authorities as the Imam Abu Hanifah (d. 767 C.E) to say that the recitation of the translation of the Quran in the service of worship is permitted. But this is only a half-truth. These writers omit to mention that the Imam Abu Hanifah, although he had this opinion in the beginning, changed it later on (as we find express precision of it in the authoritative manuals of law such as the Hidayah of al-Marghinani, the al-Mukhtaar of al-Haskafi, etc.) and that he rallied to the general opinion that in normal cases only the Arabic text is to be employed in the services of worship.

In the general interest, one has to sacrifice the particular interest, on pain of losing in the long run, even the particular interest.

There is another aspect of the question which is no less important. In fact no translation ever replaces the original. There are, for instance, nowadays numerous translations of the Holy Quran in English (as also in practically every language of the world), yet every now and then there are new and unceasing attempts to produce another translation, thinking that the older ones are partly defective. This is true not only of English but of every language of the world, and true also of the translation of any and evry work. Should one utilize a defective thing or the perfect one, the translation or the original ?

Let us recall in this connection that practically no religion, excepting Islam, possess today integrally the original of the Revelation on which it is based, the original teaching of its founder : It is the translation, or at best fragments, of which dispose the Christian, Jewish, Parsi and other communities. How fortunate the Muslims are that they form an exception, and possess integrally the original text of the Revelation, the Holy Quran !

What is more, the Quran, although in prose, possess all the qualities and charms of poetry, such as rhythm, resonance, grandeur of style, etc., so much so that the omission or addition of even a single letter in the text disturbs it as much as it would disturb the hemistich of a verse. Some time ago, it happened to the present writer that a Muslim French convert, who is a musician by profession, one day assured me that in chapter 110 of the Quran some passage seemed to have been lost, for it reads "fee deenillahi afwaaja. Fasabbih ...", whis is musically impossible. May scant knowledge of the art of reciting the Quran came to my aid and I replied : "No, the correct reading of the passage is "fee deenil-laahi afwaajan-v-fasabbih......" (the 'n' 'f' getting assimilated, so after n, there is a slight v, before pronouncing f of fasabbih). Thereupon the musician and well-meaning brother exclaimed at once : "I renew my faith ; with your explanation there remains nothing objectionable from the musical point of view, and no passage seems to be lacking". The prose of the Quran is as much measured as the lines of a poem. And if this is so, who would care to replace something perfect and splendid by something comparatively mediocre ?

One should not lose sight of the fact that in the entire

ordinarily resemble those in England, France or elsewhere in the Orient, and ordinarily have no minarets either). Similarly a Chinese Muslim, travelling through other countries, would find nothing in common with his co-religionists if these others said their collective worship in their local tongues. So auniversal religion requires certain basic things to be common to all the faithful. The call to prayer and the formulas to be recited in the act of worship evidently constitute part of such fundamental and basic elements of the practice of the cult. A passing remark may be made about the fact that sometimes words of two different languages sound alike but have different significations, at times the harmless word of one signifying something ridiculous or obscene in another. Such a risk is greater in languages with which one is utterly unfamiliar, and hears them only during a journey, for example. This would be contrary to the dignity of the service of worship to God. Things familiar from childhood avoid such complications, even if the individual is non-Arab and recites in Arabic the required formulas.

One cannot neglect the psychological aspect of human beings who have at times petty prejudices of xenophobia. Occasions would arise daily when political (national) or even personal and individual frictions would induce, for instance, and Englishman not to participate in the salaat led in French or Russian or some other language. Arabic, as the language of the Quran and the Hadith, has a respect and a halo in the minds of every Muslim, and one employs it not as the language of the Arabs but as the language of the Prophet Muhammad, the language of the mothers-of-the-faithful, the language God Himself has chosen for revealing His latest Word for us.

The needs of unity among the co-religionists can never be too much stressed upon. One should create new links to strengthen their ties of fraternity, rather than destroy those that already exist.

One may also cite the example of international congresses and meetings, When, for instance, one attends the United Nations Organization session, one cannot select the medium of expression according to one's whims and fancies, which would be contrary to the object of the meeting, and one would fail to reach others attending the session; one is obliged to employ himself or get his speech translate into the officially recognised languages, which are for all pratical purposes lither English or French, and nobody objects to this state of affairs.

work and human word, and this can scarcely serve the purpose of this mystical journey.

For those who would seek more mundane reasons, let us recall first that a clear distinction is to be made between prayer in the sense of supplication (du'a) and the prayer in the sense of the service of worship to God (salaat). In so far as du'aa is concerned — i.e., the prayer in general and outside the formal way of worshipping God, the tete-a-tete with the Lord (munaajaat) — nobody has ever raised the slightest objection to the liberty of the individual to address one's need, one's petition to the Lord in any language and in any physical posture one prefers. It is purely a personal and private affair and concerns the relations of the individual creature directly with the Greator. The salaat, on the contrary, is a collective and public affair, where the needs and requirements of other companions of the congregation are evidently to be taken into consideration. It is pointedly to bring into relief that the salaat is in principle and preferably to be performed in common along with others (jama-a'at) : the salaat individually and in isolation is only tolerated and never recommended, the preference going to the congregational service. Let us see now more closely the diverse aspects of this collective and public act which is performed in the company of others.

Had Islam been a regional, racial or national religion, one would certainly have employed the current language of the region, of the race, of the nation. But quite different are the requirements of a universal religion, whose members speak hundreds of regional languages — of which each is incomprehensible to all the rest of the human groups — belonging to all the races and inhabitants of all the regions of the earth. Our life today is getting more and more cosmopolitan, and practically every town has Muslims belonging to several linguistic groups, both from among the permanent residents and the travellers in transit, and one has to take into consideration the aspect of courtsey and hospitality to strangers. Supposing an Englishman goes to China and knows not a word of its language, and supposing he hears in the street something like "Ching, Chang, Chung". Evidently he would not understand what is intended thereby : and if it is the regional translation of the well-known call to prayer, the Allahu Akbar, he would fail to percieve it and would miss the weekly prayer on Friday, or the congregational prayer of the moment. (Incidentally, the mosques in China do not

# THE SERVICE OF WORSHIP : WHY IN ARABIC ALONE ?

*By*

DR. M. HAMIDULLAH

It is well known that during their service of worship (prayer, in Arabic Salaat), Muslims employ only the Arabic language : they recite certain passages of the Quran and pronounce certain formulas to attest to the sublimity of God and humility of man. This is done both by the Arabs and the non-Arabs, even by those who do not know a word of Arabic. Such was the case in the time of the Prophet Muhammad and such has been the case ever since to this day, whatever the country and the tongue of the Muslims.

At first sight it may seem normal and even desirable that the faithful should address his prayer to the Lord in a way that he is fully conscious of what he says. Of course, the mother tongue is the medium best suited for the purpose, the worship being performed in as many languages as are spoken by the Muslim community. But a bit deeper consideration shows that there are reasons that militate strongly against such a solution.

First of all, a metaphysical or psychological point. According to the Holy Quran (33 : 6), the wives of the Prophet are the mothers of the Muslims. We know that all of these revered ladies spoke Arabic. Therefore Arabic is the mother tongue of all the Muslims. Who can object to praying in one's mother-tongue ?

Perhaps this argument does not suffice to convince everybody. Pushing further the study, it is noteworthy that according to the Islamic belief the Quran is the Word of God, the recitation of which is considered by the Quran as something meritorious. This is evident from the spiritual point of view. The faithful journeys unto the Lord through the sacred word of the Lord Himself. His word is the path towards Him, something like a wire to conduct the electrical current that illuminates the bulb. The journey unto the Lord is of course the ultimate goal that every soul aspires to reach.The original Word has been revealed in Arabic : any translation would be a human

responsibilites they are to assume before God and their consciences. The Call of these requires them to offer the Arabs and Muslims a positive support on a world scale. This is to be achieved by expressing their viewpoint in world organizations, adopting a political attitude contemning aggression, and boycotting Israel in all sorts of dealings until this strange creation comes to realize the consequences of her criminal policy so that she might renounce aggression, withdraw from the Arab territories, handing them over to their rightful owners, and pay heed to what is sacred in other faiths.

Once every individual and people in world society have realized their responsibilities before God, Truth, Justice, and duty as related to the cause of Palestine and the rights of its people, Israel would never be able to persist in her wanton aggression ; her arrogance and tyranny will inevitably come to an end. Thus justice and security would be realized and there would be peace for all.

As to you valiant troops and liberation battalions in the field of honour, God hath bestowed upon you the dignity of jihad striving in His Cause.

You daring Fighters ! It is through the inestimable sacrifices you have offered and are still offering that you have set the finest examples and recorded the most everlasting feats of heroism, thus paving the way to decisive victory and strenghtened conquest.

God's Aid to you in marching off towards the enemy, His having made your foothold firm, are but signs of His Favour, a support out of His Bounty, and a Divine Gift that has accorded you success.

It is the Hand of God that is above their hands.

May God bless your steps, direct aright your target, help you in winning decisive victory, since you are His Friends and His Warriors !

Thus your efforts have to be strengthened, your forces have to be mustered and your aim has to be realized. This is God's Genuine Promise, and His Saying is Manifest Truth.

"Those who believe do battle for the cause of God, and those who reject Faith do battle for the cause of Evil. So fight ye against the minions of the devil. Feeble indeed is the devil's cunning." (IV, 76).

homeland of Arabism and Islam from this group of gangsters who never cease to threaten security, disturb world peace, and sow the seeds of discord among nations, undermining their friendly relations based upon good-will and fruitful cooperation for the welfare and prosperity of mankind.

For this reason, the mission aimed at by the armies of the Arab Nation in their struggle against the Zionist State is human and universal ; the success to be achieved therefrom is rather a victory for the peoples of the world and for their security ; as it is also an effective and positive contribution in promoting the peace of the world and consolidating its progress and welfare.

The cause and tragedy of Palestine do not belong exclusively to the Arabs nor to Muslims. It is the cause of every advocate of peace ; the cause of the Christian and the Muslim ; the Arab and the non-Aarb, the Easterner and the Westerner. It concerns every human being who takes pride in his humanity. It is also the cause of every nation that safeguards its cultural legacy ; as it is that of the adherents of a religion venerating what is sacred in their faith. It is the cause of the honourable and free in all the nations of the world.

Hence, obligations, originate and responsibilities are defined. It is the responsibility of the Egyptian people, and all the Arabs and Muslims, and lastly of the whole nations of the world.

As to the Egyptian people's responsibility, it is to stand steadfastly behind their armies and leaders offering any sacrifices required. They have to be wary of the enemy's deception, to strive hard with resolve and perseverence, closing their ranks and keeping their secrets.

Then, they will be a shield to their armed forces, and a support providing them with all the means of material and moral aid.

So let everyone fulfil one's duty, doing whatever is imposed by the circumstances of the struggle : services, sacrifices, and means of aid and relief.

As to the obligation of the Muslim Nation, it is to stand behind the Mujahids in the Cause of God, lined up in one united array and in a solid towering structure.

The Arab armies striving for the upholding of Truth and the shielding of the Faith, have to be fully afforded all the possible aids, whether those be equipment, manpower, political or moral efforts, or the boycotting of all sorts of dealings with the common enemy.

Now remain the obligations incumbent upon the whole nations of the world in general, and the

# A STATEMENT
# ADDRESSED BY THE ACADEMY OF ISLAMIC RESEARCH
# TO
# THE ARAB AND MUSLIM NATION AND THE ADVOCATES OF PEACE IN THE WORLD

## In the Name of God, Most Gracious, Most Merciful

On Thursday 15th of Ramadan, 1393 A.H. (11th October, 1973 A.D.), at 11 A.M., the Council of the Islamic Research Academy held a meeting in the Exalted Azhar in which were discussed the measures that ought to be taken as regards the outbreak of war.

It has decided, amongst other resoultions, the issuing of the following statement :

In the struggle that is raging at present in our Arab homeland and around our sacred shrines, the Aarb and Muslim Nation is facing a new agression waged by the forces of Zionism and imperialism.

This is only one of a series of repeated aggressive attacks Israel has persisted in committing from time to time against Arabs whether these be Muslims or Christians in violation of their countries and the sanctity of their shrines, and in total disregard of the tenets of heavenly religions, international laws and moral principles all of which are considered as the essential merits that distinguish the humanity of man.

Israel would never have been able to persist in these aggressive wars, nor would these have been within the scope of her potentialities, had it not been aided and abetted by certain powers with money and equipment, besides being afforded political support in every international gathering and informative organization.

Hence, it was the legitimate right and sacred duty of the Arab Nation's armies to repel this aggression with the equitable use of force and the recognized means of deterring the enemy.

It was, as well, the established right and sacred obligation of the Arab and Muslim Nation to rise in self-defence and to safeguard the integrity of her territories Israel longs to dominate.

Consequently, the Arab and Muslim Nation has to strive hard with unflinching perseverence and unrelenting resolve to purify the

But Muslims can never realize nor safeguard their power unless they exert themselves and make all the sacrifices in the holy jihad for the victory of their Faith and countries, so as to exalt the Word of God to the heights and to humble to the depths the word of the unbelievers. Then, God will vindicate the Truth of His Words and will cut off the last remenant of the infidels.

O Muslims ! in the East and West ! God's Saying : "Go ye forth, light-armed and heavy armed, and strive with your wealth and your lives in the Way of God", (IX, 41), allows no excuse for any one. It is a general and absolute ruling.

Hence, you Muslims, close your ranks and fulfil your obligation of holy jihad until you gain victory over your enemy. Thus you will become the uppermost.

It is by God's Will that you will prevail.

"And that Our forces, they surely must conquer." (XXXVII, 173).

---

# A CALL FROM THE AZHAR'S RECTOR AND ITS ULEMAS, TO THE MUSLIM WORLD : PEOPLES AND GOVERNMENTS

**In the Name of God, Most Gracious, Most Merciful**

Praise be to God, Lord of the Worlds, prayers be on the noblest of Prophets, the Foremost among Mujahids, our Master Muhammad ; and blessings be on his Family, and virtuous Companions.

O Muslims ! Peoples and Goverments all over the world ! Our **Arab** nation and Islamic world are passing through critical circumstances in which their armies and peoples are engaged in holy war against the Israeli enemy to repel his repeated aggression and to drive away his armies from the homeland of Islam.

Israel, by its persistence in aggression against Arab countries and its profaning Muslim sanctuaries, is considered, according to the viewpoint of Islam, as the enemy of God and His Prophet, as well as the enemy of the Arabs and Muslims.

God **hath** prescribed to Muslims all over the Islamic World, in case the enemies of Islam have occupied Muslim territories, the holy **jihad**, to safeguard their countries, offering what is in their power : their lives, wealth, and toil, so as to ward off the enemy's imminent peril and his evil intents.

For this reason :

The rector of the Azhar and the Ulemas, solemnly declare that the holy jihad has become incumbent upon the whole body of Muslims : peoples and governments all over the world. It is in fulfilment of their religious obligation and in response to the Call of God, be He Exalted, that they have to rise as one power to rescue the usurped homeland of Islam, to recover their rights, and to get back their holy shrines that had been seize and profaned by the enemy.

God, Glory be to Him, hath not chosen for Muslims, humilation and submissiveness, but hath ordained for them power and glory since He saith and His Word is the Truth: "And might belongeth to God and His Messenger and the Believers". (LXIII, 8).

These teachings were actually put into practice by the Caliphs. This is a clear and distinctive difference between the aggressive and extirpative wars and the struggles of self-defence and self-preservation.

The holy Quran declares :

لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فائلك هم الظالمون . ( الممتحنة ٨ ، ٩ ) .

(Allah does not forbid you respecting those who have not made war against you on account of religion, and have not driven you forth from your homes, that you show them kindness and deal with them justly ; surely Allah loves the doers of justice.

Allah only forbids you respecting those who made war upon you on account of religion, and drove you forth from your homes and backed up (others) in your expulsion, that you make friends with them, and whoever makes friends with them, these are the unjust) -60:8-9.

community who had forsaken home and wealth for the sake of Almighty God and His Worship, and so insistent on the common duties of love, charity, fraternity and equality based on purity of thought and deed.

So the destruction of the Prophet meant the destruction of the entire body of people who had gathered round the messenger of God. From the moment of his entry into Madina, the Prophet's destiny had become intertwined with that of his people and of those who had invited and welcomed him into their midst. To the Muslims self-defence had become a question of self-preservation. They must either submit to be massacred or fight when they were attacked. They had to chose the latter alternative. It was essentially necessary for the safety of the weak and small community.

A single city had to make head against the combined attacks of the multitudinous tribes of Arabia. Under these circumstances, an unsleeping vigilance on the part of the muslims was required, and energetic measures were often necessary to sustain the existence of the Muslim community. The same instinct of self-preservation is the creteria of the legality of war in Islam, as the Holy Quran has clearly directed (2,190, 191 and 193).

Islam forbids all kinds of wars, if it is not waged for a just cause. Such wars can be referred to only three kinds, namely defensive, punitive or preventive. The Prophet proposed, in his well-known correspondence with the Byzantium Emperor Heraclius, in connection with the assassination of a Muslim envoy in his territory, three alternatives : embrace Islam, if not, pay the Jizya, if not, do not interfere between your subjects and Islam if they desire to embrace it.

The establishment of liberty of conscience in the world was the aim and object of the struggle of the Prophet. He did not undertake any war for the purpose of conversion, conquer of territory or with expansionist intentions. All war is illegal in Islam except to make the justice prevail and to remove the consequences of suppression and aggression.

When we turn from the concepts of war in Islam to the conduct of a war we see the following facts :

According to the expressed instructions of the Prophet and his companions, it is obvious that the objective of fighting should always be upholding of high ideals, not the material gain.

It was strictly forbidden to kill women, weak, children, old people, monks and priests.

loves not aggressors... But if they attack you then slay them ...) 2:190-191.

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين . ( البقرة ١٩٣ ) .

(And fight them until persecution is no more, and religion is for God. But if they desist, then let there be no hostilities except against wrongdoers)-2:193.

Islam never interfered with the dogmas of any moral faith, never persecuted and never established an inqusition. But it opposed to isolation and exclusiveness. In a comparative rude age, when the world was immersed in darkness morally and socially the Prophet Muhammed (peace be on him) preached those principles of equality and promulgated the laws of freedom and human rights.

The extraordinary sucess and marvelous effect of the teachings of the Prophet upon the minds of the people have given rise to the charge, by some people, that Islam was propagated by the sword and upheld by the sword. A careful examination of the circumstances and facts connected with the rise of Islam, and the wars of the Prophet will show clearly that the various conflicts were occasioned by the aggressive and unrelenting hostility of the idolaters and were necessary for self-defence and self- preservation.

When the Prophet migrated to Madina from Mecca, and the two tribes of Aus and Khazraj ended their strick by the Islamic fraternity, the elements of danger became apparent. The surrounding tribes, among whom the influence of the Quriesh was supreme, were grouped against Madina. The Meccan disciples who had braved death, and now faced poverty and exile. While the Madinite followers were not many. The Jew, compact and united jealously and relentlessly, opposed the Prophet in every direction, with poison, with treachery and with conspiracies.

But the heart, which did not fail when the Quriesh threatened with death, was not frightened when the existence of others depended on him. He set himself to the task of organising into a social entity the varied elements which had gathered round him as the Messenger of God. He abolished the distinction between the waring tribes ; he also comprehended the Jews and Christians in his little state and established basis of cordial relations among all believers.

While the Prophet was engaged in this divine and noble work of humanising his people, raising them from the abyss of degradation, he was attacked by his enemies from all sides, ruthlessly and uniting. They had sworn his death and the extermination of that

# MAJALLATU'L AZHAR

**(AL-AZHAR MAGAZINE)**

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

| DHU'L-HIJJAH 1393 | ENGLISH SECTION | JANUARY 1974 |
|---|---|---|

## THE STRUGGLE IN SELF-DEFENCE, AND FOR SELF-PRESERVATION

*By*

DR. MOHIADDIN ALWAYE

An impartial study of the principal directions of Quran on which the laws of war are to founded show the wisdom and humanity which animated the Islamic system. It will also be to give us a clear idea about the Islamic point of view about war and peace, and violence and tolerance. The spirit of Islam is based on peace and tolerance. By the laws it guaranteed liberty of conscience and freedom of worship to the followers of every other creed under the Muslim dominion. The Holy Quran testifies to the principle of tolerance and liberty inculcated by Islam as follows :

لا اكراه فى الدين

(Let there be no compulsion in religion)-2 : 256 ; and

ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ... ( يونس ٩٩ – ١٠٠ ) .

(And if your Lord will, all who are in the earth would have believed together. Would you compel people until they are believers? It is not for any soul to believe save by the permission of God ...) -10 : 99-100.

In turning to the legality of war for self-defence the Holy Quran says :

وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ... فان قاتلوكم فاقتلوهم ... (البقرة ١٩٠ – ١٩١)

(Fight in the way of God against those who fight against you, but begin not hostilities. Lo ! God